

# مَجْلَّةُ شَهْرَةِ جَامِعَةِ شَيْخَةِ الصَّفَا الْعَلِيَّة

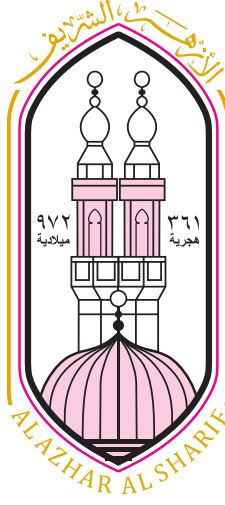
مَجْلَّةُ شَهْرَةِ جَامِعَةِ شَيْخَةِ الصَّفَا الْعَلِيَّة

تصدر عن شيخه الأخر في أول كل شهر عربي



المجلد الخامس والعشرون  
السنة ١٣٧٣ هـ





مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

[www.azhar.eg](http://www.azhar.eg)

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

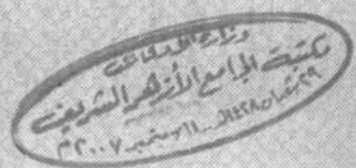
SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

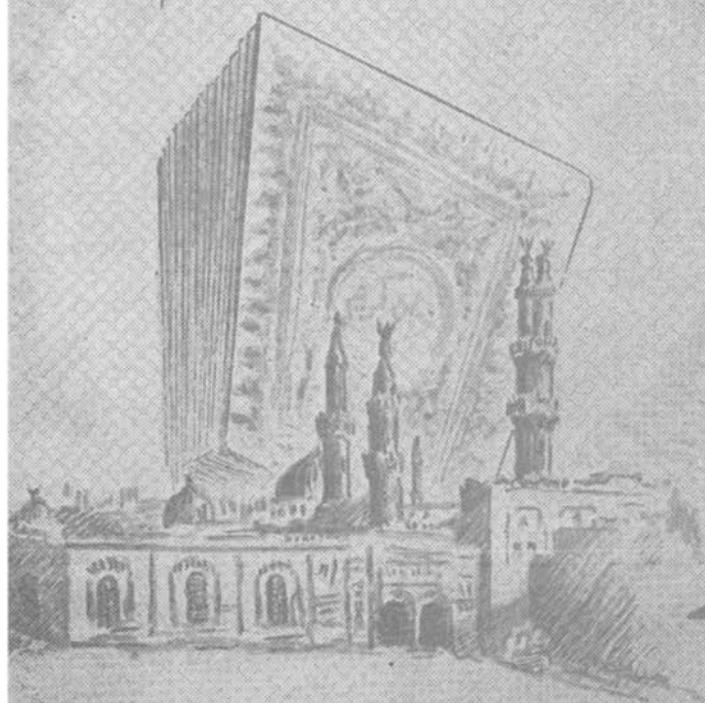
[www.saqifat-alsafa.org](http://www.saqifat-alsafa.org)

E-mail : [info@saqifat-alsafa.org](mailto:info@saqifat-alsafa.org)

سنة ١٣٧٣



إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم



مجلد



رئيس التحرير  
عبدالله بن عبدالمطلب  
العنوان  
ادارة اجماع الازهر بالقاهرة  
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهري

مجلة شهرية تبثها جمعية

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

الاشتراك السنوي  
٥٠ في مصر ودهودان  
٣٠ للطلبة في مصر والسودان  
٦٠ في الخارج  
٤٠ للطلبة في الخارج  
ثمان الجزء هـ

الجزء الاول

غرة المحرم ١٣٧٣ - ١٠ سبتمبر ١٩٥٣

المجلد الخامس والعشرين

فاتحة السنة الخامسة والعشرين

لمجلة الأزهري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواصل الحمد بالنعم ، والنعم بالشكر . اللهم إنا نعوذ بك أن نفتن عن دينك ،  
أو نتابع بنا أمواتنا دون الهدى الذى جاء من عندك .

وبعد فقد دار ملكوت الله الأعظم دورة أخرى ، فالتقينا - على رأس السنة الخامسة  
والعشرين من حياة هذه المجلة - بمن جمعنا الله بهم من كتابها وقراءتها ، لتعاون إن شاء الله  
على ما يسدد خطانا نحو الغاية التى بعث الله بها رسله برسالاته ليوجهوا الإنسانية إليها ، وعلى  
ما يصلح خططنا فى تنظيم حياتنا وإسعادها ، والإفادة من ثروتنا فى العلم والحكمة والأخلاق ،  
التي ادخرها لنا العلماء البررة من سلفنا الكادحين الناصحين الصالحين .

نحن فى زمن كثر فيه القائلون ، وما أكثر من يحسن القول ويجوّدده ، ولكن قل منا  
من يعمل بما يقول ، ومن يخطر بباله وهو يقول أن الذى يقوله يراه منه العمل به .  
وحبذا الكاتب المقل الذى يؤمن بما يكتبه ، ويعمل بما هو مؤمن به ، ويدعو قراءه إلى  
مثل هذا الإيمان والعمل به ، فهو الذى يخاطب القلوب باغة القلوب ، وقديماً قالوا : من  
القلب إلى القلب سبيل . ونحن فى زمن كثر فيه القارئون ، وكثيرون منهم يواصلون

الفرامة بشغف ونهم ، وقد لا يفوتهم شيء مما يهمهم الاطلاع عليه . غير أنهم يقرأون - في الغالب - للتسلية والمتعة ، وليقولوا أحسن فلان وزل فلان ، وقل منهم من يرتفع إلى مستوى العاملين على تمحيص الحقائق والتعاون مع أهلها والدعوة إلى تعميم العمل بها . وحبذا القارئ الذى يتحرى الحق والخير فيما يقرأ ، والذى وهبه الله حاسة الشعور بإيمان من يكتب عن إيمان ، فيعمل من ناحيته على تحقيق النافع من دعوة الحق ، إلى أن يكون للحق أولياء يهاجرون إليه حيثما يكون ، وللخير أنصار يؤيدونه فى كل الظروف .

إن ممثل المبادئ والسنن فى تاريخ الإنسانية كمثل النقود التى يتعامل الناس بها فى الأسواق . ونحن المسلمين أغنى أم الأرض فى موارث الإنسانية من مبادئ الحق وسنن الفضائل والخير . ولكن مرت علينا بضع مئات من السنين جهلنا فيها قدر هذه الموارث فأهملنا التعامل بها ، ثم طغى علينا الاستعمار الاجنبى فروّج فينا عملة أخرى من مبادئه وسننه ، صنعها لنا ولنفسه من نحاس وصفر ، وطلاها بطلاء لامع براق ، فبقيت موارثنا الذهبية والفضية مهملة فى جملة مهملاتنا التى لا نلتفت بها ، ويسطو عليها المستشرقون - وهم عيون الغرب فى الشرق - فيستخلصون منها ما يروقههم ، ويعلمونه فى نظريات لهم ينتحلونها ، وبحوث يفخرون بها ويقهون على الناس . ثم يعرضون علينا سائر ترائنا ناظرين إليه بعين السخط ، فيتطفل أبناؤنا على فئات موائدهم ، ناقلين إلينا غذاءنا من فضلاتهم . وهذا هو العلم اليوم عند مؤلفينا وكتابتنا وعلماؤنا : ثقافة اجنبية محضة أحملناها محل ثقافتنا ، وارقتيناها عملة لاسواقنا بدلا من عملتنا المهمة . وعلم من ترائنا لاناخذة مباشرة عن أصوله بأساليب قومية وروح إسلامية ، بل ناخذة عن طريق الآخرين ناظرين إليه بأعينهم ، حاكين عليه بأهوائهم ، عارضين له بأذواقهم وأغراضهم

بين أيدى أبناء هذا الجيل - من مشرقين وغربيين ، مسلمين وغير مسلمين - تركه جهاد وجهود لسلفنا من المسلمين والعرب سهروا على تسكينها أربعة عشر قرناً فى الإسلام وقرونا مثل ذلك قبله . وهذه التركة فيها لغة العرب ، وهى أدق لغات البشر وأوسعها وأجملها . وفيها شريعة الإسلام ، وهى أعظم الشرائع على الإطلاق وأغناها وأبعدها عن أهواء النفوس البشرية فى تحرى العدل وتوقيع أحكامه على ما يحدث للناس من أفضية . وفيها جهاد نبيل لبعث الاخلاق الفطرية ، وتكوين الكيان الإنسانى السعيد الذى لم تنجح فيه

أمة ولا دعوة كما نجحت فيه أمتنا وقامت عليه دعوتنا . وقد شمرت طوائف كثيرة عن سواعدها لجرد هذه الزكة الإسلامية العربية والإفادة منها وعرض محتوياتها بعزائم ضعيفة وأخرى قوية ، وبعيون الرضا وعيون السخط .

ومن هذه الطوائف المستشرقون على اختلاف أجناسهم ولغاتهم من نحو مائتي سنة وأكثر ، وأخيراً الجامعة العبرية القائمة على جبل الزيتون في بيت المقدس ، وفي شهرنا هذا انعقد المؤتمر الدولي للثقافة الإسلامية في برنستون من ولاية نيوجرسي بأمريكا . كل هذه الطوائف والعناصر أباحت لنفسها أن تضع أيديها على تركتنا التي هي أئمن تركات البشر ، ونحن وحدنا الواقفون موقف المنفرج عليهم ، وفينا من الأغرار من لا يريد أن يتعرف على تركه سلفه إلا عن طريق هؤلاء الأغيار فيجلب الحشف من تمرها إلى أسواق حجر ، بكل ما فيه من عجر وبجر ، حتى أضحكوا علينا أشياءهم من المستشرقين أنفسهم .

أما هذه المجلة ندعو إلى أخذ النافع من العلم حيثما كان ، ومن أي مصدر صدر ، بشرط أن يكون حقاً وناهماً . وتلفت أنظار المخلصين من شباب الجيل إلى أن تراثنا العلي والثقافي أئمن تراث ورثه خلف عن سلف ، غير أنه أصبح باهمالنا له كالعملة التي يطال التعامل بها وبذلك صرنا مفلسين . فعلينا أن نعود إلى تراثنا فنتعاون على بعثه بأيدينا ، ناظرين إليه بعيون إسلامية ، حريصين عليه حرص المسالك على ما يملك . وبذلك نرد على عملتنا قيمتها ، فيرد الله على هذه الأمة المفلسة اعتبارها ، وتقبوا مكانتها بين الأمم .

لقد أصيب كتابنا ومؤلفونا - من أعقاب الحرب العالمية الأولى - بمرض أجنبي حملهم على أن ينظروا إلى ماضيهم ، وإلى تاريخهم ، وإلى علومهم ، بعيون الأجانب . وصاروا يحكمون على أسلافهم بقسوة الأغيار على غيرهم . ونحن ندعو في هذه المجلة إلى بعث تراثنا ، وإلى التعامل بمبادئه وسننه ، وإلى الاعتزاز به كما يعتز خير الخلف بخير السلف . ونرحب بكل تعاون على ذلك من كتاب هذه المجلة وقرائها ، ونرجو الله لهذه الدعوة الخلاصة حسن الاستجابة .

المجلة

# إيمان ...

من الشائع على السنة الجاهير في الكيان الإسلامى أن ، النظافة من الإيمان ، ...  
فأى إيمان هذا الذى يعدُّ النظافة من عناصره ؟

ومما يلج به كلُّ مسلم في كل مكان أن ، الحياء من الإيمان ، ، ولكن ما هى الرابطة  
بين الحياء وبين الإيمان ؟

الحياء زينة الأخلاق ، وهو ماء الحيوية الذى يترقق في سماء الفضائل . كما أن النظافة  
مقياس من مقاييس الحضارة والعمران ، وهى - بعدُ - في طليعة وسائل الصحة وأسباب  
الوقاية من الأوبئة والأمراض ، وتسكاد تكون نصف الجمال .

هذه حقائق يعرفها ويعترف بها جميع الناس في كل الأمم . غير أن موضع العجب في  
هاتين الكلمتين الشائعتين على السنة المسلمين أن تكون النظافة وأن يكون الحياء من الإيمان ،  
فأى شرع هذا الذى تقل النظافة والحياء من جو الدنيا ونطاقها ، وأقبحهما في جو الدين  
وصميم إيمانه ؟

إن الإيمان الذى عرفته الأمم في أكثر الديانات يتناول الغيبات والخوارق ، ويتجاوز  
الطبيعة إلى ما وراءها . والإسلام قد أقر من ذلك ما هو حق ، وجاء مصداقاً لما صح من  
رسالات الله السابقة ، غير أنه افرق عن غيره باتساع أفقه لكل ما تتوقف عليه سعادة  
المجتمع الإنسانى ، لجعل ذلك من عناصر إيمانه ، حتى لقد قال حامل آخر رسالات الله  
وأكملها صلوات الله وسلامه عليه :

« الإيمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن  
الطريق . والحياء شعبة من الإيمان ، .

وهذه البضع والسبعون من شعب الإيمان الإسلامى هى التى بينها الله ورسوله فيما ورد  
من أوامر القرآن ونواهيهِ ، وفيما صح من الأوامر والنواهي في السنة المحمدية . فكل أمر

أو نهى في دين الإسلام فإن المسلم مكلف بأن يؤمن ، أنه حق ، وعليه أن يعمل ، به ، وأن يظهر أثر إيمانه به في جوارحه وتصرفاته . وهذا هو معنى قول السلف : الإيمان تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . ومن حكمة التعبير النبوى عن شعب الإيمان بأن أعلاها ، لا إله إلا الله ، وأدناها ، إماطة الأذى عن الطريق ، وأن الحياء من الإيمان ، هو أن هذه الدرجات الثلاث التى ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً لسائر درجات الإيمان وشعبه قد حوت الإقرار باللسان فى كلمة ، لا إله إلا الله ، والعمل بالجوارح فى إماطة الأذى عن الطريق ، كما حوت التمثيل بالحياء لأثر الإيمان فى جوارح المؤمن ، لما لا يخفى من ظهور أثر الحياء فى ملاح صاحبه وعلى وجهه وأوضاعه .

لقد تبتعت - منذ سنين طويلة - شعب الإيمان الإسلامى كما وردت فى أوامر هذا الدين ونواهيه ، فرأيتها كلها - بلا استثناء - تنفرع من دوحتين عظيمتين لا تخرج شعبة من شعب الإيمان الإسلامى عن إحداهما :

الدوحة الأولى : هى « دوحة الحق » ، ومعظم أوامر الإسلام التى نحن مكلفون بالإيمان بها متفرعة عنها .

والدوحة الأخرى : هى « دوحة الخير » ، وكل ما زاد عن فروع الدوحة الأولى من شعب الإيمان الإسلامى داخل فى شعب الدوحة الثانية ومتفرع عنها ومكمل لها .

وتعال معى الآن نلقى نظرة على « دوحة الحق » ، فى الإيمان الإسلامى لرى نماذج ولو قايمة من العناصر التى يتألف منها هذا القسم من إيمان المسلمين كما بعث الله به آخر رسل الله بأكمل رسالات الله :

من ذلك عنصر « الصدق » ، وقد أمر الله به فى سورة التوبة ( ١١٩ ) فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . وفى سورة الأحزاب ( ٧ - ٨ ) : « وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . ليسأل الصادقين عن صدقهم ، وأعد للكافرين عذاباً أليماً » . وفى السورة نفسها ( ٢٣ - ٢٤ ) : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً . ليجزى الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفوراً رحيماً » . وفى سورة الزمر ( ٣ ) : « إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ،



وفي آل عمران (٦١) : « تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

ومن دوحة الحق عنصر « العدل » الذى عليه تقوم الأمم وتحيا الجماعات ، وفيه يقول الله عز وجل في سورة النحل (٩٥) : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » . وفي سورة النساء (٥٨) : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

ومن تلك الدوحة فى الإيمان الإسلامى « الشهادة بالحق » ، وقد ورد من ذلك فى سورة البقرة (٢٨٣) : « ولا تسكتوا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » ، والله بما تعملون عليم . وفى السورة نفسها (١٤٥) : « ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون » . وفى سورة الطلاق (٢) : « وأشهدوا ذرى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله » ، ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . بل المسلم مأمور بأن يقف فى مجلس الحكم فيشهد بالحق ولو على أقاربه ، بل على أبيه وأمه ، بل يشهد على نفسه ولا يبالى بكل ما يكون لشهادته من نتائج ، وذلك قول الله عز وجل فى سورة النساء (١٣٥) : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين . إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » . وهذه المرتبة فى التزام الحق والإيمان به والعمل بمقتضاه لا نعرف فوقها مرتبة ، وأى مرتبة فوق أن يتقدم الإنسان إلى المحكمة بدافع من إيمانه الدينى فيشهد على نفسه ، أو على أبيه وأمه ، فضلاً عن سائر ذوى القربى ؟ ... وإن خالف الحق فى ذلك كان مخلاً بشعبة عظيمة من شعب الإيمان فى الدين الذى هو أحد المؤمنين به !

ومن دوحة الحق فى الإيمان الإسلامى حفظ « الأمانات » ، وحسن أدائها . وقد ورد من ذلك قول الله عز وجل فى سورة البقرة (٢٨٣) : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى ائتمن أمانته ، وليتق الله » . وفى سورة النساء (٥٨) : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » . ومدح الله المؤمنين برعايتهم للأمانات فى سورة المؤمنين (٨) بقوله سبحانه : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . ونهاهم عن ضد ذلك فى سورة الأنفال (٢٧-٢٨)

فقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون . واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم . »

ولو ذهبت أستعرض ما في كتاب الله - فضلا عما في سنة أكل رسل الله - من الأوامر والنواهي المفروض فيها على المسلمين أن يؤمنوا بالحق - بجميع معانيه ومظاهره ومذاهبه - وأن ينصروه ، وأن يربوا عقولهم ونفوسهم وقلوبهم ، وبنيهم وذويهم وشعوبهم ، على محبة ومقت أعدائه ومقاومتهم في جميع المواقف ، لطال بي المقام . لأن شعب الحق التي وجه الإسلام عنايته إليها تعد بالعشرات ، بل هي الشطر الأعظم من الشعب البضع والسبعين التي أشار إليها رسول الله ﷺ في حديث شعب الإيمان ، والمسلم مأمور من دينه بأن يؤمن بكل شعبة منها ، وأن يبذل جهده لتحقيقها بالعمل ، في كل الظروف ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

والتعاون ، على جميع الأعمال المباحة - من تجارية وصناعية وزراعية واجتماعية وعسكرية وإنسانية - متى تبينت فائدتها للأفراد أو الجماعات أو الأمة ، فإن ذلك معدود من صميم الإيمان الإسلامي ، لانه من البر ، وقد أمرنا الله في سورة المائدة (٢) فقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدركم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . » بل لو مست الضرورة في يوم من الأيام إلى أن تكون دول المسلمين كلها دولة تعاون ، وشعوب المسلمين كلها « أمة تعاون ، لكان المسلمون عاملين في ذلك بشعبة من شعب إيمانهم ، ولكان ذلك من تمام إسلامهم .

ومن عجائب التربية الإسلامية الأولى على العمل بالإيمان الإسلامي أنهم كانوا يعتبرون « المال ، الذي تحت يد أحدهم من كسبه وفي حيازته أنه « أمانة لله » عنده ، فلا يتصرف منه في حوائجه وحوائج من يعولهم إلا بال معروف وعلى قدر الضرورة . ثم يرون أن ما زاد على ذلك فهو لله عندهم فلا يتصرفون فيه إلا بما يرضى الله ، ويؤيد الحق ، وينسى مرافق المسلمين ، ويقبل عثرات الاختيار ، ويوسع دائرة الخير . وقد فهموا ذلك من قول الله عز وجل في سورة الحديد (٧) : « آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جملكم (مستخلفين) فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير . » وبذلك تعودوا لذة الزهد في الكماليات التي يسهل الاستغناء عنها ، وترفعوا عن سفاسف الأمور فلم يضيعوا فيها شيئا من أموالهم

وأوقاتهم وجهودهم ، وحرروا نفوسهم من أن تكون مستعبدة للمتبع الزائلة وفضول الشهوة ، فسعدت بذلك أمتهم ، وقويت ، واستفحل ملكها ، وبلغت أوج الذرة وقمة السيادة .

أما دوحه الخير ، في الإيمان الاسلامي فإنها لا تقل عظمة وحيوية وازدهاراً عن أختها دوحه الحق ، بل إن نفس المؤمن في ظل هذه الدوحه أرضى وأسعد ، لأنها تقوم بالقدر الزائد عن الحق ، وتقوم به مختارة ، فهي تجد اللذة عنده مضاعفة . ولو شاء امرؤ أن يؤلف في تفاصيل هاتين الدوحتين كتاباً يبدأ بمحصر عبودية الإنسانية وطاعتها في الله وحده ، إذ لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق ، ثم يستعرض شعب الإيمان الاسلامي شعبة بعد شعبة ودرجة فدرجة حتى يبلغ شعبة الرفق بالحيوان وأنها من عناصر إيمان المسلمين ، ثم ينزل منها إلى الشعبة التي تجعل من تكاليف المسلم أن يميّط الأذى عن الطريق لمنع ذلك الأذى عن يعرف ومن لا يعرف ، بل عن أعدائه الذين يسلكون ذلك الطريق فضلاً عن يودهم ويريد الخير لهم ، إن من يؤلف في شعب الإيمان الاسلامي فيستعرضها كلها ، سيجد نفسه أمام دين لا شك أنه دين الحق ، وشرعية لا ريب أنها شرعية الخير : بمفهومها الإنساني منذ وجدت الإنسانية في هذه الأرض إلى أن تقوم الساعة . وإن كتاباً كهذا لا يستطيع المؤلف الحكيم المنصف إلا أن يخرج في مجلدات حافلة بالمثل العليا الإنسانية العليا . وما هذه المثل العليا للإنسانية العليا إلا د الاسلام ، نفسه في ريعان حيويته وروعة فطرته ، مجرداً من أنانيات البشر وإسفافهم وضلالة نفوسهم منذ انقطع عنها هذا الغذاء الشهي والمورد العذب الهني . ويوم دخل المسلمون الأولون مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا وسائر البلاد التي حملوا إليها الرسالة المحمدية ، تقدموا إلى أهلها بهذا الإيمان معروضاً على الأنظار يبراهين العمل به والتعامل بقواعده وسنته ، فبادرت الأمم في الحال إلى اقتباسه وتفضيله على كل ما كانت عليه من قبل .

أيها الطالب الأزهرى ، ويا أيها الشباب المسلم حيثما كنت ، إن إسلامك إذا عرفته من يتابعه فهو سبب سعادتك ، وسعادة وطنك وأمتك بك . آمن به ولا تحف ، ومن شرط إيمانك به أن تعمل به ، وإذا عملت به أنت وأبناء جيلك فأنا الضامن لكم بأن تؤمن به هذه الأمم الخائرة التي تشدد أهداف رسالة الإسلام وهي لا تعلم أنها موجودة في الاسلام لأنها تريد أن ترى بعيونها ، لا أن تسمع بآذانها . . .

## مسجد المدينة

[ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ]

- ٧ -

بدا لي أن أستقبل مجلة الأزهر في عددها الأول لعامنا الهجري الجديد [ ١٣٧٣ ] بالحديث عن مسجد مدينة الرسول - كرمها الله ، وأضفى على ساكنها من صلواته وتسلميه صوباً مديداً ، وبارك جيرة الرسول في جيرتهم ومنحهم رزقاً مزيداً .

وبالكلام على مسجد المدينة أكون وصلت الحديث بما نشرته لي مجلة الأزهر - مشكورة - عن البيت العتيق ، لا حجب الله عنا إثراقه ، ولا أطال علينا فراقه ، وأكون كذلك أرضيت نفساً تتوق إلى الهدى وإن لم تكن مهدياً ، وآستها بذكريات عن روضة الرسول أعز عليها من الأمل في لقاء الأحبة ، وهدأت بين الضلوع نوازع يثيرها ركب الحجيج كلما نهض إلى بيت الله محرمًا ، أو عاد إلى الديار غانماً .

وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

والمساجد المذكورة في القرآن ثلاثة ، ثم رابع :

المسجد الحرام - وقد تناوله القرآن هراحة أو ضمناً في أكثر من خمسين آية على ما حدثناك من قبل .

والمسجد الأقصى - بيت المقدس - وهو أحدث من الأول ، وكان القبلة المشروعة قبل الكعبة .

ثم مسجد المدينة - الذي توجه إلى الحديث عنه الآن .

تلك المساجد الثلاثة التي أقيمت على الحق ، والتي يورك فيها بذكر الله وعبادته منذ نشأتها ، ثم المسجد الرابع : مسجد الضرار ... قبح الله أهله كما شوه سيرته .

وكان مسجد المدينة حرياً بتخليد ذكراه في الكتاب العزيز ، مقرونة بأكرم هفة له ، وأطيب ثناء على أهله .

ذلك أن دعوة التوحيد حينها هتف بها النبي ﷺ وصحبه في وطنهم ، وبين أهلهم نشأت غريبة عليهم ، بغیضة لآلهم ، وما زالت بهم في رفق وتؤدة ، وما زالوا بها في مقاومة وعنف ، حتى لقيت منهم أنكى ما يلقي الدعاة إلى الخير من شرار الناس وأعداهم للخير . وإذا كان الأمر في أوله يستغرب ثم يؤلف ، فإن دعوة محمد ﷺ لم تظفر من أهله غير قليل منهم - إلا عنتا في الخصومة ، وشططا في النكال .

وكيف تحسب أنت قوما يطاردون إنسانا دعاهم إلى الهدى ، وأخلص لهم في النصيح ، وما كلفهم على ذلك قليلا من حطام ، ولا رغب لآلهم في نصيب من سلطان . وهم مع ذلك يعرفون عن طهارة نشأته ، وعن مجد قبيلته ، وأصالة الشرف في بيته ما يكفي لأن يطمئنا إليه ، ويستجيوا له ويلتفوا حوله ، ويسيروا في معيته لينهض بهم إلى مجد خير من مجدهم ، ويكسبهم شرفا جديدا ، وذكر أبقى على التاريخ من ذكرهم ، ولكنهم كانوا عليه ، ولم يكونوا له . ثم لم يطيقوه داعيا بينهم وإن وجه دعوته إلى غيرهم ، بل لم يطيقوه حيا فيهم وإن كان مسلما لهم ، فغضت حلوقهم بدعوته أقسى ما تكون الغصة ، وتعطشوا إلى دمه ليروا منه ظمأهم وإن يكن من فلذات أكبادهم .

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند ومن وراء هذه القنامة في مكة يهيم الله للدينة أن تحتضن هذه الدعوة المرفوضة ، وتؤوى الغمة المطرودة ، وتنتشر الراية المطوية ، وتنصر الحق المهيض .

ويهيئ الله للدينة أن يقام فيها مسجد يذكر فيه اسم الله ، ويكون موئلا للقادمين من حملة الرسالة ، بعد أن حيل بينهم وبين مسجد أصيل لأقيم لذلك من فجر التاريخ . ويكون ملقى لهم بحماة الدعوة الذين تلففوها من عداتها ، الراغبين عنها جهلا بقدرها . فإذا كان مسجد المدينة أصبح رمزاً لنجاح الدعوة الإسلامية ، وموقلا لجندما الأوفياء ، وندوة حافلة بالمصلين الذاكرين ، وبالسائلين في العلم وبالنجيبين ، لجدير به أن يوصف في كتاب الله : بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم . وكفى بذكره في القرآن إشادة ومجادة ، وكفى به للمسلمين نفعا وإفادة .

ولكن في المدينة مسجدان : أحدهما كان الركيزة الأولى للدعوة فيها منذ وصل ركب النبي ﷺ وصاحبه ، واستقبلهما المدنيون في قباء : على بعد مرحلة من يثرب ، ولا يزال

مرعياً حتى اليوم ، والثاني مسجد المدينة نفسها ، وكانت نشأته بعد ذلك ، وهو المسجد الاوحد فيها ، وما ينبغي أن يقام فيها سواء ، فإن الكواكب لا تنفى ، بل هي لا تبدو بجانب الشمس الضاحية . .

فأى المسجدين يراد فى الآية ؟ كلاهما أسس على التقوى من أول يوم ، وفى كليهما رجال أطهار برة بدينهم وبنبيهم . . غير أن مسجد قباء أسبق ، وأن الثانى أعظم وأنفع . قال ذوو رأى صائب من المفسرين أن كليهما مراد ، وذكر المسجد ووصفه بصيغ المفرد لا بأى التعميم إذا كان الوصف شاملاً ، وقاعدة التفسير : الاعتماد على عموم اللفظ ، ولا عبء بخصوص السبب ، ومع الارتياح إلى هذا : فإن المفسرين المولعين بالتحريى يأخذون بالقرائن ، ولكل وجهة .

ففرق يقول : إنه مسجد قباء ، والوجه عندهم أنه لما أقيم ذلك المسجد ، وظهرت به الحياة الروحية ، شق على المنافقين أن يدعوه من غير مناوأة ، فأشار عليهم أبو عامر - وهو من غلاة المنافقين - أن يقيموا بجانبه مسجداً آخر ، ريثما يذهب هو ليأتينهم بعدد من الروم يقاوم به المسلمين ، ثم ذهب هو ، وبنوا المسجد ، وطلبوا إلى النبي ﷺ أن يصلى فيه ليباركه ، وليكون مقصوداً للناس من بعد ، كما يقصدون مسجد قباء - ذلك زعمهم .

وإذ كان النبي ﷺ على أهبة السفر إلى غزوة تبوك ، وعدمه بالانتقال إلى مسجدهم للصلاة فيه بعد رجوعه من الغزوة ، ولكنه لم يكدهم من غزوته حتى أوحى الله إليه بآيات تكشف له عن قصد البائين لهذا المسجد ، وتفضح نفاقهم ، وتجعله فى حل من وعده إياهم : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ، وكفراً ، وتفرقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد لهنهم الكاذبون » . فهذه أغراض أربعة ، ليس فيها واحد يمت إلى المسجدية بسبب : ( ضراراً ) أى رغبة فى إلحاق الضرر بالمسلمين ، كأن يستدرجوهم إلى مسجدهم ليقضوا على المسجد الاول بإهماله ، أو يختلطوا بهم دائماً فى غير تمييز فيستطيعوا السكيد للمسلمين دون تعرف عليهم ( وكفراً ) ورغبته فى ترويح كفرهم باسم الإسلام ، وهم لا يجرؤون على التظاهر به كما هو معنى النفاق ( وتفرقاً بين المؤمنين ) فى مساجد متعددة ليست إليها حاجة ، وفى ذلك توهين للرابطة ، وتمزيق للأخوة التى يساعد عليها اجتماعهم فى مسجد واحد ، ومن أجل ذلك جرى العمل

على الاكتفاء بالمساجد متى كانت تسع أهل محلها على ما هو مبين في بابها من الفقه .  
 ( ولإحصاء لمن حارب الله ورسوله من قبل ) أى ترصدًا وانتظارًا لمن غاب عنهم في استدعاء  
 المدد من الروم ، وانتظارًا لحشد من يجتمع إليهم من منافق آخر يتحين الفرص معهم ..  
 وكان من فرط نفاقهم أن يحلفوا للنبي على أنهم لا يتصدون من بناء مسجدهم إلا المقاصد  
 الطيبة ، والعاقبة الحسنى ، وقد شهد الله عليهم بالكذب في أسلوب أكيد ، وكفى بالله شهيداً .  
 بين الله أغراضهم ، ونهى رسولهم عن الصلاة في مسجدهم أبداً ، فكان النهى عن  
 الصلاة فيه إيذاناً بهدمه ، ومحو آثاره حتى لا يفتتن به من لا يعي . لذلك بادر النبي ﷺ  
 بإرسال نفر من صحبه فأحرقوه ، وكتبوا أمل المنافقين ، وكان النهى عن الصلاة مشفوعاً  
 بالتوجيه إلى المسجد الأول - مسجد قباء - الموصوف بأنه أسس على التقوى من أول يوم ،  
 وبأن فيه رجالاً يحبون أن يتطهروا من الأخباث الحسية بالماء الطهور ، ومن الأوزار  
 والشبهات بالعبادة الخالصة لله .

وإن مسجداً يكون زكياً عند الله ، ويكون أهله أطهاراً بشهادة الله لاحقاً بصلاة النبي  
 ﷺ فيه من مسجد دون ذلك ، بل بعيد كل البعد عن ذلك .. ذلك توجيه القتالين بأنه  
 مسجد قباء ... وآخرون يقبلون الثناء على هذا المسجد ، ولكنهم يمنحون في توجيه الآية إلى  
 مسجد المدينة ، لأن النبي ﷺ سئل عن المسجد الموصوف فقال ( هو مسجدى هذا ،  
 وفى ذلك خير ) .. ولأنه لما نهى عن الصلاة أبداً في مسجد المنافقين ترجع أن المسجد  
 المقصود هو ما ثبتت له الأبدية ، وهو مسجد المدينة .. ونحن نفهم أنها توجيهات للرأى ،  
 واجتهاد غير ملزم ، وأقربها إلى الحق شمول المسجدين فكلاهما على ما وصفت الآية .

ثم تظل الآيات في تحقير النفاق وأهله ، وتزييف أعمالهم فيقول تعالى : أفمن أسس  
 بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ، فاهار به  
 في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

أى : هل الفاعل لفعل يباعث من التقوى ، والرغبة في رضوان الله يكون أشرف قصداً  
 وأجدى نفعاً ، أو من يفعل فعلاً زائفاً خبيث الغاية كمن يقيم بناءه على حافة بئر متصدع على  
 وشك الانهيار حتماً ، وإذا انهار ذلك العمل كما هو متوقع له ، فسيخر بصاحبه في جهنم ؟ هل  
 يستوى ذلك وهذا ؟ الجواب عقلاً وطبعاً وشرعاً - لا - لا يستوى الخبيث والطيب ،  
 وكذلك شأن النفاق والإيمان . ومن عجب أن القرآن يردد علينا حديث النفاق والمنافقين ،  
 ويؤكد في وقائعه وأمثاله أن النفاق مضیعة للأعمال ، ومهلكة للعاملين ، ولكننا لا نتبصر

في الآيات ، ولا تجدنا الزواجر ، بل فسمع ولا نرى ، ونقرأ ولا نفطن ، وشيء من التعقل يهدينا إلى سنة الله في تكوينه لهذا الكون ، فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وجعل الحياة المجدية لما يقسم بسمه الحق ، وكل شيء يثبات بلوثة الباطل لا يحمل في إهابه نصيبه من الحياة التي تكفل نفعه ، أو تورثه حظاً من الخلود لأنه على غير سنة من الله في تكوينه لكونه هذا . ومن هنا يتضح قوله سبحانه : إن الباطل كان زهوقاً ، ذلك قصص نستمدّه من الحديث عن مسجد المدينة . وإن يكن مسجد قباء فيما تناوله الآيات فالمساجد في القرآن أربعة مشكورة : لا ثلاثة . . ثم خامس مرذول بغيض .

أما مسجد الرسول ﷺ — وقد احتوى الجثمان الزكي الأطهر ، واحتوى معه صاحبيه وهما من أكرم الكرام على الله بعد رسله — فإنه ليعد بحق ظهوراً لقاصديه من المآثم ، فإن فيه مبعوث الهداية ، وداعى الإيمان ، والناصح الأمين . . والقرب من مثواه الكريم في هذا المسجد يفتح القلوب الغفل ، ويدفع العظة إلى النفس ، ويوقظ الإحساس سريعاً إلى التماس المغفرة من الله في هذه الروضة المأهولة بأحب الناس إلى الله : بمحمد خاتم رسله ، وأفضل أنبيائه ، وبصاحبيه المقدمين على سواهما من الشهداء عند ربهم .

أليس يؤيد ذلك أن الله جعل الصلاة في هذا المسجد بألف صلاة في غير المسجد الحرام ؟ ؟ فإذا كان ثواب الصلاة يبلغ هذه الأضخاف ألا تكون الدعوات هناك . والصدقات وعامة الحسنات كذلك ؟ إن لئلا ما كن تفاوتنا في القدر كدتفارت الأشخاص . . كان مسجده هذا أول مدرسة ترعرعت فيها العقلية الإسلامية ، وأول مجلس تشريعي أحكم فيه نظام القضاء ، ودبر فيه أمر المسلمين في سياستهم وفي حروبهم ، وأول ندوة رحبية صدر عنها التوجيه الصالح لخير الأمة الناشئة ، وانبثق منها العلم والتاريخ والادب الرفيع .

واليقين في الله لهذا المسجد — وقد اختاره لذلك كله — أن يظل مشغولاً بالرعاية ، وأن يثبته بين معالم الدنيا طوال حياتها ، وأن يجعل منه الإشعاع الذي لا يخبو ، ونسيم الحياة الروحية التي لا تفر ، وأن يربط بين قلوبنا وبين ساكنه برباط قوى من الإيمان الصادق ، حتى تلتقي الدنيا في نهايتها بالآخرة في بدايتها ، فننتقل بنور هدايته في دنياها إلى ظل شفاعته العظمى في آخرنا . . وما ذلك على الله بعزيز ؟

عبد اللطيف السبكي  
عضو جماعة كبار العلماء



# السنة

بدل من الهجرة

منهاج الحنيفية السمحة - رب مقيم خير من  
مهاجر - حقوق النعم - صنائع المعروف - بدل  
الهجرة في الامم الإسلامية - زكاة العلم والمعرفة .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الْهَجْرَةِ ،  
فَقَالَ : وَيَحْكُ ! إِنَّ الْهَجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتُعْطَى  
صَدَقَتُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَحْلِبُهَا يَوْمَ رَدِّهَا ؟  
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْيَحَارِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْرِكَ مِنْ حِمْلِكَ شَيْئًا .  
رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري .

\* \* \*

قد يبدو جديداً في هذا العهد الجديد ، أن ننتقل من أحاديث الهجرة وشؤونها ،  
وحكمها وأحكامها ، وما يتصل بها من روائع أخبارها وأمرارها ، وبدائع إشارها  
وآثارها - إلى ما يعادها من صالح الاعمال ، وحميد الخصال ؛ فقد أسهمت هذه المجلة  
في مجلداتها الاربعة والعشرين ، بنصيب غير قليل من تلك الشؤون ، ومنها ما كتبناه مستهل  
العامين : الخامس عشر والتاسع عشر في حديثي الصحيحين : « لا هجرة بعد الفتح ولكن  
جهاد ونية . . . » و « إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . . . »  
ويسير على من تأمل في سياسة الحنيفية السمحة ، أن يلبس في منهاجها الحكيم القيم ،

من كل عسر يسرا ، ومن كل ضيق فرجا ، ومن كل شاق بدلا ؛ وحسبنا حديث ذلك الاعرابي شاهداً إلى أن يمين الله ببسط الشواهد في أحاديث أخرى .

ظن هذا الاعرابي أن الهجرة إلى المدينة ومصاحبة النبي ﷺ فيها ، أمر محتوم على كل مسلم ، وعزب عنه أنها متعذرة على مثله أو متعسرة ، أو أنها إنما تجب على القادر عليها مخافة الفتنة في دينه ، فأما من كان مثله فلا بأس بأن يقيم مكانه ويعبد ربه ؛ فلما سأل الرسول ﷺ أن يبايعه على الهجرة رق له صلوات الله وسلامه عليه ورحمه ! وهو بالمؤمنين رموف رحيم ، وأخبره أن الهجرة شيء عظيم ، لا يقدر عليه إلا من يوطن نفسه على الصبر والجلد وبذل النفس والنفيس في سبيل الله . ورب قارئ في وطنه يعمل ويتصدق خير من مهاجر ، ورب مهاجر ليس له من هجرته إلا نصب الجسم وشقاء النفس !

ثم عرفه صلوات الله عليه أن للهجرة بدلا يقوم مقامها في عظيم الأجر والمثوبة ، لمن أصلح نيته وأحسن عمله : بدلا يختلف باختلاف كل وما خلق له . والاعراب أهل المال الراعي : الإبل ، والبقر ، والشاة ؛ والاولى أكرم أموالهم ولا سيما الحمرأ ؛ فبدل هجرتهم أن يؤدوا حقوقها كاملة غير منقوصة ، من صدقاتها الواجبة ، ونوافلها المستحبة ، وليعملوا بعد ذلك أينما كانوا ، ولو من وراء البحار <sup>(١)</sup> فإن الله تعالى لن ينقص أجر عامل مثقال ذرة ، وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً .

\* \* \*

بين النبي ﷺ في حديثه هذا أهم حقوق الزعم : أن تؤدى زكاتها ؛ وأن يمنح منها ؛ وأن تحلب على الماء يوم وردها . ومن حقها كما بين ﷺ في أحاديث أخرى ، إعارة دلوها ، وإعارة خلها ، وحمل عليها في سبيل الله .

\* \* \*

فأما زكاتها وزكاة سائر الأموال فهي فريضة محتومة لا ريب فيها ، بل هي ثالث أركان

(١) الشراح على أن البحر هنا : القرية أو البلد ومنه ، وكتب لهم يبحرهم ، ولسكننا نخنار أن يكون على حقيقته وأن العبارة جارية مجرى المثل للأمكنة التي تحول بينها البحار شقة وبعدا . وأكبر مدنا أنه صلى الله عليه وسلم صاحب هذا الابتكار البديع .

الإسلام الخمس . وكفى مانع الزكاة إثمًا وخزيًا أن الله يعذبه بماله في الدنيا والآخرة ، فهو في دنياه حارس مهين ذليل خائف ، وفي أخراه أشد مهانة وذلا ، يوم يحصى على المذهب والفضة في نار جهنم فتسكوى بها جهنمته وجنبه وظهره . وتجيء الإبل أو البقر أو الغنم أعظم ما تكون وأسمه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها ، حتى يقضى بين الناس .

وأما المنحة والمنيحة فهي العطية ، وتقع على وجهين : عطية الرقبة بمنافعها من الحيوان والنعم والذهب والورق والأثاث وما إلى ذلك ، وهذه هي الهبة ؛ وعطية الرقبة للمنافع زمانا من اللبن والشعر والصوف والوبر والثمار ونحوها على أن ترد الرقبة إلى صاحبها وهذه الثانية هي المرادة هنا .

والمناخ من الصنائع الجميلة الشأن ، العظيمة الخطر ، التي لا يلتقاها إلا ذو حظ عظيم ومما جاء في فضلها والحث عليها ما رواه الأئمة : أحمد والترمذي وابن حبان عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من منح منيحة لبن أو ورق ، أو هدى زقاقا كان له مثل عتق رقبة <sup>(١)</sup> وإنما كان له هذا الأجر لأنه أحيا نفساً ، أو نفس كرباً ، والجزاء من جنس العمل ؛ وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً ألا رجل يمنح أهلاً بيت ناقة تغدر بحس وتروح بحس ، إن أجرها لعظيم ، والعس : الإناء الضخم .

وقد كانت معيشة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أول ما قدموا المدينة ، تعتمد على هذه المناخ ، أراد الانصار أن يقاسموهم أموالهم وديارهم ، حتى عرض بعضهم أن ينزل عن إحدى زوجتيه فيطلقها ليتزوجها أخوه المهاجرى عقب عدتها . . فأبوا إلا منيحة المنفعة . . وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لابن أختها عروة : إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، فيقول : يا خالة : ما كان يعيشتكم ؟ فتقول : الأسودان : البتر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار كانت لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينها .

ويروى الترمذى وأبو داود عن أنس رضى الله عنه قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا يا رسول الله ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل ، من قوم نزلنا بين أظهرهم ، لقد كفونا المثونة ، وأشركونا فى المنأ ، حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، ما دعوتهم الله لهم وأنثيتهم عليهم . وحسب الأنصار بدلا من الهجرة هذه الصنائع التى كتبها الله لهم وأثنى بها عليهم ؛ ثم بشرهم نبيه صلوات الله عليه وسلامه بأنه لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، وأن من أحبه الله ، ومن أبغضه أبغضه الله ، ثم إعلانه بأنه لولا الهجرة لكان امراً من الأنصار... أى بدل هذا ؟! وأى فضل هذا ؟! تالله لولا أن النصرة تابعة للهجرة ، لقلنا إن الأولى خير من الآخرة .

\* \* \*

وأما تخصيص حلها بيوم وردها فللرفق بالمشية واليسير عليها ، ولتسكين المساكين والمحاييج من لبنها وانفعاهم به ، ولتعميم البر وإشاعة الخير وبث التعاون جهرة فى أشد المواطن حاجة إليه ، فكم من فقير محتاج منقطع لا يسأل الناس إلحافا ، يموت جوعا ولا يرزأ أحدا شيئا ! فإذا أوى إلى ورد المشية تفتن له أصحابها فنوا عليه مما من الله عليهم من فضله .

وإذا كانت صدقة السر أفضل من صدقة الجهر ، لأنها أقرب إلى إخلاص المعطى والستر على المعطى — فإن صدقة الجهر أفضل ، لأنها أدعى إلى الاقتداء وأعون على إذاعة البر والتقوى . وما أصاب موضعه مع صدق النية فهو خير وأبقى ، ولكل امرئ ما نوى .

\* \* \*

ذلك ، وللعلماء بحث هنا فيما عدا الزكاة من هذه الصنائع وأمثالها : هل هى حقوق مفروضة فرض الزكاة ، أو هى من مكارم الأخلاق ونوافل البر ؟ والذى نختاره أنها من المكارم المستحبة ، مالم تدع إليها ضرورة واجبة ، فتكون حينئذ حقا محتوما على المصلين ، الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين فى أموالهم حق معلوم . للساائل والمحروم .

\* \* \*

وإذا كان هذا هو بدل الهجرة من أعرابى واحد فى إبله ، فكيف يكون البدل من

الامم الإسلامية ، منفردة ومجموعة ، وفي كل منها من العلماء والأغنياء والساسة والقادة والكتاب والخطباء والشعراء ، من لو أدوا ما افترض عليهم من هذا البدل ، لما طمع فيهم من كان بالامس في كنفهم وتحت رعايتهم ١٩

\* \* \*

الحق أن بدل الهجرة ليس جديداً ، فلقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا البدل حقاً محتوماً واضحاً لا لبس فيه يوم قال في كلمته الجامعة الساطعة : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » ، ولقد حذر الله الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم !!

فهل آن لامة محمد صلى الله عليه وسلم — وقد جربوا عاقبة خلافه مراراً — أن يستجيبوا له مرة ، فيجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، ويؤدوا زكاة ما أنعم الله عليهم من علم ومعرفة ، ليعودوا كما كانوا سادة الدنيا وملوك الآخرة ؟

ألا قد بلغت .. اللهم فاشهد ؟

طه محمد الساكت

## هلال المحرم

ضمنت مخايله بشير هلاله	وجلت مطالعه تفاؤل آله
الهجرة الكبرن سماح يمينه	وبياض غرتها صلاح شماله
أضنى عليه هدى الرسول سوابغاً	من يمن طلعت وطهر خصاله
واستن بالتوحيد أقوم سنة	تركت عي الشرك رهن عقاله
لما أخوه طوى الاسى لإدباره	نشر الرجاء المحض فى إقباله
يامرحباً بالبشر فى استهلاله	مترفاً واليمر فى استيكاله
حيوا وليدكم الجديد وكبروا	فى وجهه ، وتبينوا بهلاله
	الهيأوى

# فِي ظِلَالِ الْفَلَاكِ

القرآن كتاب الإسلام ودعامته وأساسه الوحيد ، وقد أنزله الله هدى للمتقين ونوراً أخرج به العالم من الظلمات إلى النور . وهو المصدر الأول لشريعة الإسلام ونظمه الرشيدة الحكيمة في السياسة والحكم والإدارة ، هذه النظم التي بها صلاح المسلمين والعالم كله في الحاضر والمستقبل من الزمان .

وهذا الكتاب الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزيل العليم الحكيم ، هو الذي يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، على مارواه سيدنا على رضي الله عنه إذ يحدث أنه سمع الرسول يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت يا رسول الله ؛ وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله تعالى ؛ فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ... من حكم به عدل ومن عمل به أجر ، ومن دعا ليه هدى إلى صراط مستقيم » .

وقد عنى المسلمون أشد عناية بهذا الكتاب منذ فجر الإسلام ، فتناولوه بالدرس والبحث والتنقيب من كل نواحيه . فمنهم من عنى ببيان ناسخه ومنسوخه ، ومن عنى ببحث أسباب النزول لكثير من آياته ، ومن عنى ببيان وجوه إعجازه ، ومن اهتم ببحث ما فيه من ألوان الفصاحة والبلاغة وصور البيان المعجز ، ومن كان وكده ببحث ما فيه من النحو والإعراب واللغة ، وهكذا إلى سائر النواحي التي تناولها دارسو هذا الكتاب العظيم .

ثم كان من هؤلاء وأولئك من أخذوا في شرحه وتفسيره ، وكانوا في ذلك طوائف من حيث المنازع والوجهات التي قادتهم في التفسير ، فمنهم من وقف في تفسيره عند المأثور عن الرسول وصحابه الأكرمين ، ومن خلط بين التفسير بالمأثور وبين التفسير بالرأى ، ومن جعل همه بيان ما في القرآن من عقائد علم الكلام على مذهب أهل السنة أو المعتزلة ، ومن حاول أن يؤيد به مذهباً في الفلسفة أو التصوف ، ومن حاول أخيراً أن يجعل منه كتاباً جامعاً لكل ما عرفت الحضارة الإنسانية من معارف وعلوم .

(٥) للاستاذ سيد قطب ، وتقوم على نشره دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، ظهر منه حتى الآن ستة أجزاء .

ثم كان من قدر الله وسوء صنيع المسلمين ، أن فقد المسلمون مقام الصدارة في العالم ومنزلة الإمامة والتوجيه ، فركدت الهمم ووقفت العقول ، واعتقدنا أن الاول لم يترك للأخر شيئاً ! فوقفت حركة التأليف ، وأقبلنا على دراسة ما كتب الاوائل لا نزيد عليها شيئاً .

ولكن الزمن يسير ، والفلك يدور ، والعالم يتغير ، وشباب الإسلام اليوم لا يقنع بما كتب الاولون ، ولا يجد في ذلك طلبته . ثم زاد هذا الإحساس بظهور « الإخوان المسلمين » الذين خلقوا جيلاً جديداً ، وأحدثوا في ناشئة اليوم وعياً إسلامياً قوياً ، وأقبلت هذه الناشئة على دراسة كتاب الله وسنة رسوله المصطفى ، وتلتبس في هذا السبيل عون القادرين الأكفيا من علماء المسلمين . هؤلاء الأكفيا الذين تذوقوا القرآن وتعمقوه ، ورأوا فيه ما يستحق البحث والتجلية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية ، حتى يكون من الممكن والميسور أن ينادى — بحق — بحكم الله وشريعة القرآن التي لا يصلح العالم إلّا بها .

وكان من هؤلاء العلماء الأكفيا ، الذين أخذوا في مد شباب الإسلام بما في طوقهم من عون في سبيل فهم القرآن وتعمقه والإفادة منه صديقنا الأستاذ الفاضل سيد قطب الداعية الإسلامي والباحث المعروف في مصر والعالم الإسلامي والعربي عامة ، والذي يسعدنا أن نتحدث اليوم إلى قراء مجلة الازهر عن كتابه : « ظلال القرآن » .

وقد يرى فريق من قراء هذه الظلال كما يقول الأستاذ في مقدمة الجزء الاول منها — « أنها لون من تفسير القرآن ، وقد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادئ العامة للإسلام كما جاء بها القرآن ، وقد يرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهي في الحياة والمجتمع ، وبيان الحكمة في ذلك الدستور ... أما أنا فلم أتعهد شيئاً من هذا كله ، وما جاوزت أن أبجل خواطري وأنا أحياء في تلك الظلال .

« كل ما حاولته ألا أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية ، تحجب القرآن عن روعي وتحجب روعي عن القرآن . وما استطردت إلى غير ما يوحيه النص القرآني ذاته من خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية ، وما أحفل القرآن بهذه الإحياءات ! كذلك حاولت أن أعبر عما خالج نفسي من إحساس بالجمال الفني العجيب في هذا الكتاب المعجز ، ومن شعور بالناسق في التعبير والتصوير . »

هكذا ، يحدد الأستاذ المؤلف منهجه في التفسير وخطته في التأليف ، وحسناً فعل . فقد كفانا - بل زاد عن الحاجة - ما ذخرت به كتب التفسير المعروفة من الإغراق في البحوث اللغوية والفقهية والكلامية والفلسفية وما إلى ذلك كله بسبيل ، مع التفريط في بيان ما اشتمل عليه هذا الكتاب المعجز من نظم اقتصادية واجتماعية وسياسية لا نكاد نجد في تلك المؤلفات - على قيمتها وجلالها - محاولة لبيانها مع شدة الحاجة لها .

نحن إذ نأمن أن كتاب في تفسير القرآن على غير النحو الذي ألفناه ، ومع كاتب له هدفه الواضح ومنهجه السليم في كتابته ، ولا يرى أن القرآن كتاب في علم من العلوم مهما كان خطر هذا العلم . إن القرآن ( كما يقول ج ٢ : ٤١ - ٤٢ ) : كتاب كامل في موضوعه وفي مهمته ، ولإنها مهمة أضخم من مهمة العلم النظري المجرد أو العمل التطبيقي . إن العلم والبحث فيه خاصية من خواص العقل في الإنسان ، والقرآن إنما يحاول بناء هذا الإنسان نفسه ، بناء شخصيته وضميره ووجوده ، كما يحاول بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان أن يستخدم طاقاته . وبعد أن يوجد الإنسان ويوجد المجتمع الذي يسمح له بالششاط ، يترك لعقله أن يجرب ويحاول ويخطئ\* ويصيب في مجال العلم والبحث والتجديد .

وبعد هذا الإجمال ، لابد لنا من شيء من التفصيل . وهذا يكون بأن نسير قليلاً مع الأستاذ المؤلف في الأجزاء الستة التي ظهرت من كتابه القيم . على أن الخير كل الخير أن يأخذ القارئ نفسه بالسير مع الأستاذ طول الشوط ، وإنه سيجد من الفائدة والمتعة ما يدفعه إلى ذلك دفعا . بدأ الأستاذ بتفسير سورة الفاتحة ذات الآيات السبع فقط ، ومع هذا فقد حوت كليات العقيدة الإسلامية : الإقرار بربوبية الله المطلقة للعالمين ، وأن العلاقة بين ربه ، وعبيده هي الرحمة الثابتة المتجددة ، وأنه مالك الأمر كله يوم الدين وما قبله ، وأنه نتيجة لذلك كله لا ينبغي لأحد أن يعبد غيره أو يستعين بسواه ( ح ١ : ٩ - ١١ ) .

وفي الحديث عن الآيات الأولى من سورة البقرة ، نرى الأستاذ يرسم بقلبه البارِع ( ح ١ : ١٤ وما بعدها ) ثلاث صور لثلاثة أنماط من النفوس تشمل البشرية كلها في كل عصورها : وهي نفوس المتقين ، ونفوس الكافرين ، ونفوس المنافقين . وهذا كله استمداد من عدد قليل من الكلمات والاسطر المعطيات في أول السورة الكريمة الجامعة .

وبعد هذا ، يعرض لقصة خلق آدم ومغزاها ، ويحرص على بيان أنه لا تكرار في القصص القرآني ، لأنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد كررت في صورة واحدة من



ناحية القدر وطريقة الأداء ( ١ : ٢٨ ) . كما أنه يحرص في كل ما ظهر من الكتاب ، على بيان المناسبات بين كل مجموعة من الآيات يربط بينها سبب خاص ، وبين المجموعة التي تليها ، هذه المجموعات التي قد جعل من كل منها درساً قرآنياً كما يذكر في المقدمة .

ونذكر من باب التمثيل لهذه الدروس التي قام عليها الكتاب ، ما كان خاصاً ببني إسرائيل وكفرهم بنعمة الله عليهم ، ونقضهم لعهودهم ، وكفرهم بمحمد ﷺ مع أنهم يعرفونه بصفته عندهم في التوراة ، ثم الدرس الأخير من الجزء الأول ، وهو خاص بالحديث عن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، والحديث عن البيت الحرام وبنائه وعماراته وشعائره . . لتقدير الحقائق الخالصة في دعاوى اليهود والنصارى والمشركين حول هذا الفسب وهذه الصلات . كذلك تجيء المناسبة لتقرير وحدة الدين الإلهي ، وإطراده على أيدي رسله جميعاً ، ونفي الاحتكار عنه في أيدي أمة أو جنس ... الخ ص ٧٩ وما بعدها .

وهكذا ، نجد الدروس تتوالى في الأجزاء الأخرى ، وكل منها متماسك متجانس بما ينتظم من آيات يربط بينها سبب خاص ويظلمها ظل خاص . وهنا ، نلاحظ مع صديقنا الأستاذ المؤلف أن جميع الدروس التي تنظمها سورة البقرة ، من أول الجزء الثاني إلى آخر السورة الكريمة ، تدور حول الشؤون الخاصة بالامة المسلمة دون الامم الأخرى ، فالخطاب والبيان يتجهان لها وحدها .

وفي هذا يقول الأستاذ حرفياً ( ج ٢ : ٧ ) : « ومنذ هذه النقطة ، سنرى أن السياق في السورة يسير في بيان تبعات هذه الأمة ، وإعدادها نفسياً ، وتنظيمها عملياً ، وبيان الكثير من تكاليفها في العبارات والمعاملات . فمن حديث عن الصبر على المكاره ، إلى تعليم شعائر الحج ، إلى بيان بعض الحرام والحلال في الطعام ، إلى تجلية معنى البر وحقوق الله في المال ، إلى القصص وآثاره في حياة الجماعة ، إلى الوصية عند الموت ، إلى فريضة الصيام ، إلى أحكام القتال ، إلى حكم الخمر والميسر ، إلى شريعة النكاح وروابط الأسرة ، إلى آداب النفقة والصدقة ، إلى تحريم الربا ، إلى شروط الدين .

تحمل هذه الأحكام تلك التوجيهات القرآنية إلى الله ، وإلى آيات الله . . على طريقة القرآن الفريدة في مخاطبة القلب كلما خاطب العقل ، وإلى توجيه الضمير كلما هم بالتشريع . ومنذ هذه النقطة ، نحن مع الأمة المسلمة وحدها ، وقد خلس السياق كله لها ، الأمة التي رباها القرآن بهدى القرآن ، .

هذا ، وليس من الميسور لنا أن نسير مع الأستاذ إلى نهاية الشوط ، فالنطاق المخصص

لهذه الكلمة محدود ، فلندع ذلك للقارىء الذى سيجد ، بلا ريب ، فيما كتب المؤلف رضى لقلبه ومتعة لنفسه ورياً لحافظته وإحساناته الفنية .

على أنه مهما اضطرونا الإيجاز ، وغنيما بالإشارة ، فلا بد لنا من وقفات قصيرة عند بعض ما وفق إليه أخونا الفاضل من اللفظات البارة الاصيلية ، وهنا أيضاً نكتفى بالإشارة إلى القليل من هذه اللفظات .

ففي قوله تعالى في سورة البقرة : « واستمعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون » ، لم يقل مع كثير من المفسرين بأن الظن هنا معناه اليقين ويحل محله أحياناً في التعبير . إنه يرى أن هذا التعبير يلفت النظر ، ويقول ( ج ١ : ٣٨ ) : « أحسب أنه يراد أن يقال إن أدنى العلم بلقاء الله كفيل بأن يترك في النفس آثاره ، كفيل بأن يهب الروح قوة وطمأنينة ، كفيل بأن تخضع له القلوب وتلين له النفوس » .

وفي قوله تعالى في السورة نفسها : « ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم » ، يذكر ( ج ٢ : ١٩ ) أن المعنى المقصود هو أن الله يرضى عن ذلك الخير ويثيب عليه . « ولكن كلمة « شاكر » ، تلقى ظلالاً ندية وزام ذلك المعنى المجرد ، تلقى ظلال الرضى الكامل حتى كأنه الشكر من الله للعبد ، وتوحى بالأدب الواجب في حق الإحسان ... »

وفي قوله جل ذكره في سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، نرى الأستاذ يقول ( ج ٤ : ١٤ ) : « إنه تعبير يلفت النظر ، لفظ أخرج وبنائه للمجهول . وهو يكاد يشى باليد الخفية المدبرة ، تخرج هذه الأمة لإخراجها وتدفعها إلى الظهور دفعاً من ظلمات الغيب ... إنها لفظة تصور حركة خفية المسرى لطيفة الديب ، حركة تخرج على مسرح الوجود أمة ! فيألفها من يد قادرة مدبرة ، تشى بها لفظة مصورة معبرة ! »

هذه اللفظات ، وما أكثرها في الكتاب ، هي إحدى خصائص هذا العمل الجليل الذى يجب أن نحتفل بصدوره ، والذى ندعو الله أن يهب صاحبه العون والتوفيق لإتمامه . ولا عجب ! فهو عمل يصدر عن رجل يعتز بدينه ، وقلب مؤمن حق الإيمان بسمو الإسلام وشريعته ، وعقل ألمى لماسح . وهو مع هذا كله ، عمل يمتاز بالبيان الرائع المشرق ، والأسلوب السهل الممتنع .

الدكتور محمد يوسف موسى

الأستاذ بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

## نشأة المعجم اللغوي وطورها

كانت أهم المصادر التي اعتمد عليها القدماء في جميع اللغة العربية هي :

أ — القرآن الكريم

ب — الحديث النبوي

ج — كلام العرب الفصحاء

ووجه الاعتماد على هذه المصادر الثلاثة هو ما فصله علماء أصول الفقه في موضوع :  
الطريق إلى معرفة اللغة :

فمن العلماء من رأى أن الطريق إلى ذلك هو النقل المحض <sup>(١)</sup> .

ومنهم من رأى أنه إما النقل المحض كأكثر اللغة ، وإما استنباط العقل من النقل  
كمعرفة أن صيغ الجمع تفيد العموم ، بالاستدلال العقلي على ذلك عن طريق الاستثناء من الجمع  
المعروف <sup>(٢)</sup> . وعلى كلا القولين فالأساس الأصلي في معرفة اللغة هو النقل ولا مجال في ذلك  
لمحض العقل .

والنقل إما تواتر وإما آحاد ، فالتواتر ما بلغ عدد ناقله حدا لا يجوز على مثلهم الاتفاق  
على الكذب ؛ وهذا القسم قطعي يفيد العلم . والآحاد ما انفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد  
فيه شرط التواتر ، وهو دليل مأخوذه . وذهب الأكثرون إلى أنه يفيد الظن ، وزعم  
بعضهم أنه يفيد العلم <sup>(٣)</sup> .

وإذا فلا مناص من تخير مصادر النقل على أساس يكسبها صفة التواتر المأدب إلى العلم  
القطعي حسب الامكان ؛ والأخذ بنقل الآحاد الموثوق بهم فيما عدا ذلك .  
وأمثلة المتواتر لغة القرآن ، وما تواتر من السنة ومن كلام العرب .

(١) أنظر كتاب الأحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن الآدب ج ١ ص ١٠٤ فإ بعدها ( مطبعة  
المعارف ١٩١٤ ) والمزهر للسيوطي ج ١ ص ٢٩ فإ بعدها [ بلاق ]

(٢) المزهر في الموضع السابق

(٣) المزهر في الموضع السابق وفي النوع الثالث معرفة التواتر والآحاد

ومن أمثلة المتواتر من كلام العرب ما تواتر على ألسنة الناس من زمن العرب إلى اليوم وليس في القرآن، ولا تحوم حوله شبهة الدخيل؛ من ذلك أسماء الشهور والأيام والفصول، وأجناس الحيوان والنبات، والحلى واللباس والأدوية والأمراض وغير ذلك.

وقد يعيننا على فهم السر في اتباع هذا النظام مراجعة النظر في الأصل الداعي إلى جمع لغة العرب، وهو القرآن الكريم.

ذلك أن جمع اللغة وإن صار فيما بعد مقصداً مطلوباً لذاته، ودراسة اتجه إليها التفرغ والاختصاص، ونشأت فيها المدارس والمذاهب، فإنه لم يكن في بادئ الأمر إلا وسيلة وسبباً لفهم مدارك القرآن الكريم، واستيضاح أسرارها؛ كما هو الشأن في نشأة جميع العلوم الإسلامية على وجه العموم. فمما كان القرآن مصدر الدراسات الفقهية والكلامية، وما يفتنى إليها بأدنى سبب، كذلك كان مصدر الدراسات اللغوية والأدبية وما يتعلق منها بقرابة أو نسب.

القرآن إذاً هو المصدر اللغوي الأصلي الذي صدرت عنه الدراسات اللغوية كافة، وفقن مفردات اللغة على وجه الخصوص. وهو مصدر مزدوج من هذه الوجهة أيضاً:

فهو من جانب منبع لذاته من أهم منابع اللغة بل أهمها على الإطلاق، لبلوغه مبلغاً خاصاً من التواتر لا يدانيه فيه غيره، كما أن لغته تبلغ في نظر العرب الأضلاع أسمى درجات الخلوص والفصاحة.

وهو من جانب آخر مصدر باعث إلى التوسع والتبحر في اللغة، توفرت بسببه الدواعي إلى تميمتها، والإحاطة بها. فكل كلمة منه، وكل جملة في تركيبه، حفزت الهمم إلى ملاحظة نظائرها في الاستعمال العربي العام، والبحث عن أصولها وفروعها، ووجوه اشتقاقها وتصريفها؛ وكل ما يتصل بشجرتها من ألفاظ وعبارات.

ومن هنا كان المصدر الأساسي في حقيقة الأمر هو القرآن الكريم، وكل ما عداه تبع له وفرع عليه.

في جميع اللغة ، ووسائل معرفتها ؛ حتى كانوا أشد حرصا على حرفيتها من الحديث والسنة ، لا لأن اللغة كانت عندهم أعلى مقاما ، وأقدس قداسة من الحديث والسنة ، بل لأن اللغة كانت مقصودة لذاتها ، مطلوبة لحرفيتها . بخلاف الحديث الذي جوز جمهور العلماء روايته بالمعنى ، الذي هو مناط التعبد لا اللفظ ، بشرط أن يكون الراوى عالما بمدلولات الألفاظ واختلاف مواقعها<sup>(١)</sup> .

وعن هذا نشأ الاختلاف في جواز الاحتجاج بالحديث على اللغة ؛ على حين لا يختلف العلماء في جواز الاحتجاج بما ثبت من كلام العرب<sup>(٢)</sup> .

وفي سبيل التأكيد من هذه الحرفية اللغوية ، بدأ العلماء في جمع اللغة جارين على سنة أهل الحديث : من تخير الرواية ، والرحلة إلى من يؤخذ عنهم بعد التصفية والتخل ، والاستيثاق من الأسانيد ، والسبر بمعايير النقد الدقيقة ، ووسائل الجرح والتعديل ، الخ .

ونمت هذه الطريقة في اللغة كما نمت في الحديث ، حتى نشأ من ذلك فن متكامل للرواية اللغوية<sup>(٣)</sup> ، على نمط فن رواية الحديث ، الذي عرف فيما بعد بمصطلح الحديث .

ولا شك أن من دواعي ازدهار ذلك الفن في القديم انتشار الآمية بين العرب ، وحادثة عهدهم بالسكتابة ، كما هو الشأن في أصل ازدهار الحديث .

وربما كان الفارق بين اللغة والحديث في أصل طبيعتهما ، أن الدواعي كانت متوفرة على

(١) انظر : كتاب الأحكام للآمدى ج ٢ ، ص ١٤٦ فما بعدها .

(٢) انظر تفصيل الكلام على الاحتجاج بالحديث وكلام العرب في : خزائن الأدب للبغدادي ، ج ١ ص ٣ فما بعدها .

(٣) بنى السيوطي كتابه : المزهر في علوم اللغة ، على هذه الطريقة ، وانظر قوله في المقدمة : « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويحه وتبويبه ، وذلك في علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع » ، الخ . ثم انظر في ختام هذه المقدمة نقله قول أحمد بن فارس في أول كتاب فقه اللغة حيث جاء في آخره : « والذي جملناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف كتب العلماء المتقدمين ، وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر ، أو شرح مشكل أو جمع متفرق » ، ثم فقيب السيوطي على ذلك بقوله : « وبمثل قوله أقول في هذا الكتاب » .

الكذب في الحديث لأسبابه المعروفة الحاملة للواضعين على الوضع . وأما اللغة فالدواعي إلى الكذب عليها في غاية الضعف ، <sup>(١)</sup> .

لهذا ما كادت الكتابة تشيع وتفشو في العالم الإسلامي حتى أقبل العلماء على تدوين اللغة ووضع المؤلفات الكثيرة فيها ، وتقيد شواردها ، وجمع شواهد ما ، مع قلة العناية — بعد ذلك — بنقد الاسانيد ، وتجريح الرجال وتعديهم ، كما استمر ذلك في فن رواية الحديث من قبل ومن بعد <sup>(٢)</sup> . بل جمع من اللغة ما صح وغيره ، فلم يلتزم المؤلفون الصحيح ، وإن نبهوا غالبا على ما لم يثبت <sup>(٣)</sup> .

ومع هذا فقد بلغ التزم والدقة اللغوية عند بعض اللغويين فيما بعد أيضا مبلغا شبيها بما عرف في السنة ، حتى بدأ بال التزام الصحيح من اللغة في تأليفه مقتصر على ، مثل الإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، صاحب كتاب الصحاح ، الذي ألفه بعد تحصيله للغة بالعراق رواية ، وإتقانه لها دراية ، ومشافهته بها للعرب العاربة [ أى الاصلية العروبة ] في ديارهم بالبادية ، <sup>(٤)</sup> .

ومثل أحمد بن فارس ، المعاصر للجوهري ، والذي ألف كتابه المجمل ، فالتزم فيه الصحيح ، وذكر ما صح من ذلك سماعا ، أو من كتاب لا يشك في صحة نسبه ، <sup>(٥)</sup> .

واستمر بعد ذلك جمع اللغة وتدوينها سائرا على هذا المنوال من التحري والتزم ، أو على الأقل محدودا بقيود العربية الفصحى ، فكثرت المؤلفات في هذا النطاق ، على تطور معلوم في الترتيب والتبويب .

### — ٣ —

قد نستطيع أن نفهم ، على ضوء ما تقدم ، أن جامعي اللغة العربية رأوا أنفسهم منذ البدء محدودى الحرية ، مقيدى باتجاه خاص في مزاوله نشاطهم إلى الجمع .

(١) من كلام الامام القرافي في شرح المصنوع ، كما نقله السيوطي في المزهج ج ١ ص ٦٠ .

(٢) أنظر تفصيل الكلام على ذلك في المزهج ج ١ ص ٥٦ فما بعدها .

(٣) أنظر عبارة الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط ، كتبها على ظهر نسخة من العباب ، كما

نقلها السيوطي في المزهج ج ١ ص ٤٨ .

(٤) بصرف قليل من خطبة كتاب الصحاح .

(٥) من أول كتاب المجمل .

فلم تحظ اللهجات الشعبية ، ولا غير الفصحى من العربية ، إلا بأقل من القليل من مثل تلك العناية بل لا نكاد نجد لها ذكرا إلا عرضا ، أو بمناسبة التمييز بين الفصح والافصح ، أو في غير ذلك من الكتب التي وضعت لخدمة العربية الفصحى ، فعنيت بتقنياتها من ظواهر اللفظ والخطأ ، التي لم تقوكل المحاولات على منع تسربها من اللهجات الشعبية والدارجة . ولم يبدأ الاتجاه إلى الشعور بالحاجة لجمع اللهجات الشعبية ، وضرورة هذا الجمع في تغذية الثقافات اللغوية ، والتاريخية ، والاجتماعية ، والعلمية العامة ، إلا في مفتتح النهضة العلمية الحديثة .

وقد كانت لما سلكه اللغويون القداماء في جمع اللغة آثار هامة لا تزال ظواهرها بارزة إلى اليوم :

١ - سهل ذلك عليهم من ناحية عمل الحصر والاستقصاء الذي يهدفون إليه ، لأنهم وضعوا نصب أعينهم أولا أن يحصوا لغة القرآن والسنة ، التي ترجع في الكثير الغالب إلى لهجة قریش ، وإن اشتملت على ظواهر مختلفة من بقية اللهجات العربية .

ومن هنا كان هم أولئك العلماء أن يرتادوا في جمع اللغة مناطق العربية البعيدة عن التأثر بالدخيل . كما حدد ذلك بتفصيل أبو نصر الفارابي في كتابه المسمى بـ "الفاظ والحروف" (١).

٢ - بيد أن ذلك - من ناحية أخرى - حد من الأفق العلمي للغوى ، والنظر إلى العربية لذاتها ، على أنها أصل أو فصيلة لغوية عامة ذات فروع وأفان مختلفة المظاهر والنمو وترتب على ذلك تقييد حركة البحث العلمي ، وحجزه عن الاستعانة بوسائل كانت تاتي كثيرا من الضوء على أصول اللغة وتطورها ، لو توفرت العناية بها في ذلك الوقت المناسب .

٣ - كان ذلك الاتجاه أشبه بوسيلة من الوسائل الصناعية ، أبعد ما تكون عن الصراع حول تنازع البقاء ، للعمل على سيادة لهجة من لهجات اللغة الواحدة ، وصبغها بصبغة الاعتماد الرسمي ، الذي يفرض نفسه فرضا ، ولا يستمد حياته وقوته من النمو الطبيعي ، والشعور العام .

٤ - أخضع الأدب والنتاج العقلي لقيود حدثت من حريته وانطلاقه ، فحرم ذلك الأدب من إبراز صورته الشعبية الحقيقية ، والظهور في صيغة القومية الأصلية ، التي لم تخضع

للقبوض النحوية الجمادة ، المفروضة فرضاً ؛ بل ظلت منطلقة على طبيعتها دون أن تنال الاحترام والتسجيل .

٥ — بعدت الهوة بين اللهجات العربية الحديثة وأصولها القديمة إلى حد يخشى بسببه من تباعد الشعوب العربية وتجانفها للغوى ، دون أن يجد الباحثون بين أيديهم عوناً تاريخياً وافياً يكشف لهم عن سر ذلك التطور وأسبابه الحقيقية ، من جراء الاكتفاء في جمع اللغة بالعربية الفصحى .

٦ — ترتب على بعد الشقة بين اللهجات الحديثة وأصولها القديمة خصوصية الثقافة العربية ، واقتصارها على وسط المتعلمين ، وحرمان عامة الشعوب العربية من نتائج الحضارة والمعرفة ، وترقية مستوى تفكيرهم ، وأحاسيسهم ووجداناتهم ، عن طريق ذلك . وهكذا نصير الثقافة عندهم من قبيل الترف العقل الذي لا يقدر عليه إلا المحظوظون ، بدلا من أن تكون في متناول الجميع كالغذاء والماء والهواء .

٧ — صار كل طامح للتزود من العلم والمعرفة ملزماً باصطناع لغتين : لغته الشعبية الدارجة ولغة العلم والأدب .

إلى غير ذلك من الآثار اللغوية والعلمية والاجتماعية ، ولا سيما هذه الأخيرة ، إذا لاحظنا أن اختلاف الثقافة اللغوية بين أبناء الشعب الواحد كثيراً ما يؤدي إلى تنمية الفروق الاجتماعية بين الطبقات .

• يتبع ،

دكتور عبد الحليم النجار

## القافية في الشعر الاوربي

أخذ الاسبانئون القافية في صناعة الشعر عن شعراء العرب ، ثم وصلت هذه الصناعة إلى مرسليليا وطولون بواسطة التجار الاسبانيين . وذاعت القافية بعد ذلك في الشعر الفرنسى وشعر الامم الاوربية الاخرى .



## شفاء الغليل من مسالك الغليل (للغزالي)

للغزالي مكانته العلمية ، ليس بين علماء المسلمين فحسب ولكن بين العلماء في سائر الاقطار ، واقوة حجته وشدة عارضته وقدرته على الكشف عن محاسن الإسلام ومدافعة أعدائه ودره الشبهات عنه لقب بحجة الإسلام . وللغزالي أسلوبه الخاص في عرض قواعد العلوم وبسط قضاياها فهو لا يقنع بسرد المعلومات جافة جامدة ، بل يلتزم في أكثر الأحيان أن يتبع القواعد بالأمثلة ليستأنس المتعلم وينشط في تحصيل العلوم ، وقد نهج هذا المنهج في أكثر ما صنف من كتب في مختلف الفنون . نهج ذلك في الأخلاق والتصوف والفقه والاصول ، وبهذا عده علماء الغرب في التريية وعلم النفس من أئمة المتقدمين من علماء الإسلام في هذه الفنون ، وجعلوا من آرائه فيها نظريات تدارسوها في جامعاتهم بروح الإعجاب ، وأحلوها محلها من العناية والتقدير ، وعن هذه العقلية التربوية صدرت مؤلفات الغزالي . فمما المختصر ومنها المطول ، ومنها السهل الذي يلائم مستوى الناشئين ومنها الدقيق العميق الذي يناسب عقليات العلماء الذين ربحوا في العلوم أقدامهم واستمكنت في دراستها ملكاتهم . ومن أسماء كتبه : إجماع العوام عن علم الكلام ، و المصنوع به على غير أهله ، وللغزالي مؤلفات كثيرة في فنون مختلفة أكثرها في علوم الكلام والتصوف والاصول . ومن مصنفاته في الاصول كتابنا هذا الذي نعرف به وهو « شفاء الغليل » ، في بيان الشبه والطرد والخيال . ومسالك التعليل ، ويختصر عنوانه أحيانا فيقال : « شفاء الغليل في مسالك التعليل » ، وموضوع الكتاب : القياس الأصولي بأركانه المعروفة لعلماء الاصول .

والقياس أحد الأدلة التي تستمد منها الاحكام الشرعية . وقد كان القياس من بين أدلة الاحكام مجال جدال بين متقدمي علماء الاسلام في اعتباره دليلا من أدلة الاحكام وغصت كتب الاصول بالحديث عنه ، وقد أورثنا الكلام عنه ثروة فكرية رائعة تدل على استنارة أذهان أسلافنا من علماء الاصول واستحضار ملكاتهم في علومهم وتحققهم بها . وللقياس مناح دقيقة ، ومباحث عويصة من أدقها العلة ومسالكها ، وقد خصها الغزالي في كتابه

هذا بالحظ الاوفر من هنيئه ، وفصل القول فيها تفصيلا لم يعهد في كتب الاصول . وإن عنوان كتابه ليدل على هذه العناية بل إنه يفيد عقد الكتاب عليها ، فعنوان الكتاب « شفاء الغليل في مسالك التعليل » ، وإن كان الواقع أن الكتاب في القياس بسائر أركانه فقد قال قدمت لك مقدمة في صدر الكتاب على نهاية الإيجاز في بيان معاني القياس والعلة والدلالة ثم قسمت مقصود كتاب القياس إلى خمسة أركان ؛ الركن الاول في إثبات طرق علة الاصل ، الركن الثاني في العلة ، الركن الثالث في الحكم ، الركن الرابع في الاصل الذي يقاس عليه ، الركن الخامس في الفرع الملحق بالاصل .

والكتاب في نظرنا من أدق كتب الاصول وأعمتها ، وهو مثال رائع في قوة الحجاج واستحضار الشواهد والأمثلة ، ودليل قاطع على ذهنية الغزالي الخصبة في علم الاصول . ولعلنا لا نعدو الواقع إذا قلنا : إنه من أجل كتب الغزالي في هذا الفن ، وهو فقه الاصول ولبابه وخلاصته في بابه ومنهجه فيه منهجه في أكثر مصنفاته من حيث الاعتماد على الأمثلة في توضيح القواعد وبسطها مع اختلاف في الأسلوب وبعض المصطلحات عما ألفناه في كتب الاصول

ويمتاز هذا الكتاب بأسلوب أدبي قوى لم يعهد في كتب هذا الفن ، وقد أودعه الغزالي دقائق كتاب القياس ولباب أبحاثه فيه ، ونبه في مقدمته على مكان الكتاب من علم الاصول وأنه لا يتيسر لسكل دارس أن يقتحم لحجه ، ويستخرج دره ، بل يشترط أن يكون دارسه على قسط خاص من الثقافة وذات تبه ذهني قوى . فيقول في خطبة الكتاب بعد الديباجة : أما بعد فإن إلحاحك أيها المسترشد في افتراحك ، ولجأك في إظهار احتياجك إلى شفاء الغليل في بيان مسالك التعليل من المناسب والمؤثر والشبه والطرده والمخيل . هـزم لجأجى في التسويف والتساهل ، وحل عقدة عزمى في الماطلة والتكاسل فأنجزت إلى تحقيق أربك ، واستخرت الله تعالى في إسعافك بمطلبك ، وأتيت فيه بالعجب العجيب ولباب الالباب ، وكشفت عن مغمضاته غواشي الارتباب ، وأنا أنبهك أيها المسترشد على شاكلة الصواب ، قبل أن أخوض بك في غمرة الكتاب ، وأقدم إليك نصيحة مشوبة بخشونة ولا يزوينك عنها مرارة مذاقها وخشونة ملمسها - فنصيحة في تحشن خسير من خديعة في لين - وهى أن هذا الكتاب لن يسمح بمضمون أسراره على مطالع ، ولن يجود بمخزون أغواره على مراجع إلا بعد إستجماع أربع شرائط . الشريطة الاولى : كمال آلة الدرك من وفور العقل وصفاء الذهن . . . . . الشريطة الثانية : استكداد الفهم والافتراح عن القرينة واستثمار العقل

بتحديق بصيرته إلى صوب الغوامض . . . . . الشريطة الثالثة : الانفكاك عن داعية العناد وضراوة الاعتياد . . . . . الشريطة الرابعة : أن يكون التعرّيج في مطالعة هذا الكتاب مسبوقة بالارتياض بمجارى كلام الفقهاء في مناظرتهم ومراقى نظرهم في مباحثهم محيطا بمجليات كلام الأصولين محتويا على أطراف هذا العلم خبيرا بمنهاج الحجاج . . . . . ولم يستوف الغزالي في كتابه هذا الكلام في القياس بل قصره على الدقيق من مباحثه والغويص من مسائله ، فقد قال : « وما أخللته من كتاب القياس مما لم أتعرض له فهو منقسم إلى ما رأيته جلياً يستغنى بكتاب المنحول عنه - ( المنحول ) للغزالي - وإلى ما لا تمس الحاجة إليه في المناظرة إلا نادراً ، فقصرت همتي على الاغراض ثم اجتزأت باللام .

والكتاب نسخة فريدة في المكتبة الأزهرية ليس لها نظير في مصر فيما نعلم ولها نظير في الهند . وبأول نسختنا وقف للشيخ أحمد الدمهورى على طلبه العلم بدون تاريخ على أن يكون مقرها بمقصورة الأزهر ، وتقع في ١٨٠ ورقة من القطع المتوسط وعدد سطورها ما بين ٢١ و ٢٣ للصفحة الواحدة وليس عليها ما يدل على تاريخ كتابتها إلا أننا نرجح من طريق رسم خطها ونوع ورقها أنها كتبت في القرن السادس ، وخطها هو الخط المعتاد لذلك العصر الذى ينقصه كثير من النقط فتعسر قراءته حتى على من مارس موضوع الفن ، وهى لناسخين ، وقواعدهما في رسم الكلمات على غير ما نعرفه الآن من كلمات كثيرة . ولا تستطيع النسخة الأزهرية مهما بولغ في تصحيحها أن تعطينا صورة صحيحة للكتاب كما ألفه الغزالي ، لرداءة الخط وحالة النسخة ، فقد عبثت الأرضة ببعض كلماتها وذهبت ببعضها ذهاباً كاملاً في الكراسة الاولى ، وقد يمكن معرفتها بمقارنتها بالنسخة الهندية . وقد استحضرت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية صورة مصغرة « فيلم » منها وهى تقع في ١٧٩ ورقة وكتبت سنة ٥٥٥ هـ أى بعد وفاة المؤلف بنصف قرن وقد قابلناها في بعض صفحاتها بالنسخة الأزهرية فرأيناها مختلفة في بعض الكلمات . وفى رأينا أن النسخة الأزهرية أدق في عبارتها .

وقد حرصت المكتبة الأزهرية على الاحتفاظ بهذا الكتاب فاستنسخت لحسابها نسخة من نسختها على قدر الطاقة ، وراجعناها على الأصل ، ورغم التروى والتدقيق في المراجعة فقد فاتنا معرفة كثير من الكلمات واعتمدنا في تعرف بعضها على سياق الكلام ومعناه وأثبتناه على الهامش مع استبقاء الأصل بالصلب ونهنا على ذلك .

والسكتاب في نظرنا جليل القدر في علم الاصول وفي باب القياس بوجه خاص ، وهو جدير بالنشر والطبع لانه نهج غير مألوف في كتبه . والسكتب القديمة غير المقررة في المعاهد لا تغرى دور النشر التجارية بالنشر مهما كانت قيمتها العلمية ، لذلك نرى أن تعمل المشيخة على نشره بمطبعة الازهر بعد أن يقوم على تحقيقه وتصحيحه عالمان من علماء الاصول بالكليات ، وإن صدور هذا السكتاب وأمثاله عن مشيخة الازهر محققاً محصاً جزء من رسالتها .

هذا وإن أنهن هذه الفرصة فأهيب بالغيرين على العلوم الإسلامية من سائر الأقطار وبخاصة مشيخة الازهر فأنبههم من منبر المسلمين العام وهو مجلة الازهر على الخطر الذى يهدد هذه العلوم بركود حركة الطباعة فيها ، وبخاصة المراجع المطولة منها ، فقد انصرفت أكثر دور الطباعة التجارية عن طبع هذه السكتب انصرافاً تاماً بطبع السكتب الصغيرة الحديثة في التاريخ والأدب وما إليهما فارتفعت أثمان السكتب الإسلامية القديمة ارتفاعاً مرهقاً للراغبين فيها ، وأخذت تختفى من الاسواق شيئاً فشيئاً ، وإن ذلك الخطر لا يقتصر على مصر وحدها ولكنه سيعم الأقطار الإسلامية ومن واجبها أن تتضافر لدفعه والسبيل إلى ذلك في نظرنا أن تتألف لإحياء السكتب الدينية والعربية جمعية من بعض علماء جميع الدول الإسلامية على أن يكون لهذه الجمعية رأس مال تسهم فيه كل دولة بقدر طاقتها وتقوم بنشر مطبوعات كتب اللغة والحديث والفقه بما تهمل دور الطباعة نشره ، ثم تباع هذه السكتب للجماعات والافراد بجزء من تكاليفها وتحمل الجمعية الباقي من التكاليف .

وإن في بعض الامم جمعيات تقوم بمثل هذه الرسالة في نوع خاص من السكتب ولها فروع في القاهرة .

قد يقال : إن بالجامعة العربية إدارة لمثل هذا العمل وأنا جدد عليهم بهذه الإدارة وعلى صلة قوية بها وأقدر مجهوداتها العلمية ، إلا أن هذه الإدارة لا يمكن أن تنهض بالعمل الذى أدعو إليه ونشاطها في نواح أخرى لا يغنينا عن القيام بهذا العمل دفعا للخطر عن ثقافتنا الإسلامية العربية .

وعسى أن يكون لدعوتنا صدق واقه يتولانا بالسداد والرشاد .

أبو الوفا المرافعى  
مدير المكتبة الازهرية

# الحج المبرور

## حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

أذيع من دار الإذاعة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ورد في صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : إيمان بالله وبرسوله . قال السائل : ثم ماذا ؟ قال : ثم الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور .

وقد ثبت فى صحيحى البخارى ومسلم وأكثر كتب السنة المعتبرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

والحج المبرور : هو الذى وفيت أحكامه ، ولم يخالطه شيء من الإثم ، والذى يستعرض أعمال الحج وأحكامه يجدها ترجع إلى عناصر يكمل كل منها الآخر ، ومدارها على أن يجدد المسلم حياته بالحج : فيقطع صلته بكل ما كان يعلق بها من شوائب الإثم ، أو الانحراف عن طريق الله ووسائل مرضاته ، ويبدأ حياته جديدة تقية ، بنفس راضية تقية ، بعد توبة نصوح يشهد الله عليها فى أطهر بقاع الأرض ، مخاطبا ربه عز وجل قائلا . « لبيك اللهم لبيك ، وملزما أن لا يعمل من ذلك الحين إلا ما يرضى الله من عمل ، وأن لا يقول إلا ما يقربه إلى ربه من خير وحق ، وأن لا يعود إلى أهله ووطنه ألا وهو لإنسان آخر يؤثر مرضاة الله فى كل ما يصدر عنه ، ويكون فى جانب الحق فى كل ما يصطدم فيه الحق والباطل ، ويحرص على أن يكون من أهل الخير كلما دعت الظروف وسنحت له الفرص لعمل الخير .

كما أن المدرسة مصنع يدخله غير العارفين ثم يخرجون منه علماء عارفين ، كذلك الحج

فرصة من فرص الحياة يتعرض لها المسلمون بما ارتكبوا في حياتهم من هفوات ، وما وقع منهم مما لا يرضى الله عنه فيجددوا توبتهم العظمى في البلد الحرام والشهر الحرام ، ويبتفون من أعماق قلوبهم معاهدين ربهم على التزام أوامره واجتناب نواهيه قائلين : « لبيك اللهم لييك ، فلا يذنبون من مناسكهم إلا وهم على عهد مع الله عز وجل بأن يكونوا من أهل الاستقامة في حياة جديدة قامت مناسك الحج حائلا بينها وبين شوائب الماضي ، فيعفو الله عما سلف على قدر ندم صاحبه عما فرط منه ، وعلى قدر ثباته على عهده مع الله بأن يكون من أهل السلامة والاستقامة والتقوى .

إن عشرات الألوف من المسلمين يقفون بين يدي الله عز وجل في عرفة ، في البقعة المباركة التي وقف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوة خلق الله من أصحابه الأكرمين والتابعين لهم بإحسان .

وهذه الألوف التي لا تحصى ترفع أصواتها بالدعاء إلى الله الرحمن الرحيم معلنة أنها أجابت دعوته ، وأنها تعاهده عز وجل على أن تتوخى رضاه في أقوالها وأفعالها . ولن تسكت في هذه الجموع العظمى بهذا العهد العظيم مع الله ، بل إنها بعد الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة تدفع من مزدلفة إلى منى قبل أن تطلع الشمس ، وفي منى تعلن مقاطعتها للشيطان ، وترمز لهذه المقاطعة برميها عند الجمرة الكبرى ثم عند الجمرة الوسطى وجمرة العقبة في أيام التشريق . وهي الأيام الثلاثة التي بعد يوم النحر .

هذه المقاطعة الرمزية للشيطان في كل ما ينظر أن يسول به للمسلم في حياته من شر أو لائم ، يقوم بها الحجاج جميعاً بعد ذلك العهد الذي قطعوه لربهم كلها هتفوا له « لبيك اللهم لييك ، فتخرج نفوسهم فقيصة طاهرة مثيبة إلى الله ، مستريحة من أوزار الماضي ، ومستقبلية حياة جديدة صالحة ، وأياما سعيدة هنيئة .

هذا هو الحج المبرور لأنه يرجع بالمسلم إلى الله ، ويرجع المسلم إلى سعادته التي كلفها له الإسلام ، ودله على طريقها ، وضمن له الجنة إذا التزم هذا الطريق فلم يخرج عنه .

يا حجاج بيت الله الحرام ، أن الله عز وجل قد هيا لكم الفرصة الثمينة لتجددوا أنفسكم وترجعوا إلى ربكم . وتكونوا من خيرة أبناء بلادكم وأمتكم ، فتسعدوا في الدنيا ، وتكونوا من أهل الجنة في الآخرة . وسبيل ذلك أن تكونوا من أهل الحج المبرور ، ولا يكون حجكم مبرورا إلا بالتوبة الصادقة ، ومقاطعة الشيطان إلى الأبد وفي كل شيء . فسأل الله عز وجل أن يتم عليكم هذه النعمة ، وأن يجعلكم من عباده الصالحين . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

## جددوا أنفسكم في هذا العيد

كما جددتم ثيابكم

كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر  
ألقاها الشيخ عبد الحليم بسيوني مدير مكتبه من محطة الإذاعة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها المسلمون :

في مثل هذا اليوم المبارك من حجة الوداع . خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في المسلمين الأولين ، وكانوا بشهادة الله لهم خير أمة أخرجت للناس ، فأعلن فيهم بدء حياة  
جديدة ، يتناسون فيها ما كان بينهم من إحن وشحناء ، وترات وبغضاء ، وتعامل بما لا يرضى الله  
واختلاف بالباطل على الأموال ، وتعامل بالربا ، وخروج عن سنن الإسلام إلى سنن  
الجاهلية ، وبذلك جدد فيهم الأخوة والمحبة والتعاون على الخير ، والتعامل بشرع الله  
وأخلاق الإسلام . وجعل ذلك نظاما عاما لأمته جميعا ، من حضر منهم تلك الخطبة النبوية  
العظيمة ومن غاب عنها . وقد فعل ذلك بأمر من الله ، ولذلك أشهد الله على ما فعل ، وأمر  
الذين شهدوا خطبته وسمعوا مقالته أن يبلغ الشاهد الغائب . وإذا كنا نحن أيها المسلمون  
من غاب عن تلك الاوامر والإرشادات المحمدية ، فقد أباننا ذلك الرواة النفاة العدول .

أيها المسلمون :

إن أمل نبيكم فيكم لعظيم ، ولأنكم أمة مباركة ، أولها خير وآخرها ، ولذلك قال صلى الله  
عليه وسلم في خطبته التي خطبها في حجة الوداع : « رب مبلغ أوعى من سامع » . وها أنتم  
هؤلاء ممن بلغتكم دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى أن تجددوا أنفسكم في هذا العيد المبارك  
كما جددتم ثيابكم ، فاجعلوا نفوسكم وقلوبكم نقية طاهرة ، كما جعلتم ثيابكم ويوتكم طاهرة

نقية ، كونوا من أمة نبيكم المباركة لتكونوا من أهل الخير كما كان سلفكم الاول من أهل الخير ، وكونوا من أهل الوعى لهذا الإرشاد العظيم لتسعدوا به ، ولتكونوا ممن قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه ، رب مبلغ أوعى من سامع ، .

أيها المسلمون :

إن هذا العيد يفرح فيه المسلمون بما كتب الله لإخوانهم حجاج بيت الله الحرام من تجديد في حياتهم بما خلعوا عنهم من سيئات الماضى وآثامه ، وبما عاهدوا الله عليه عند ما هتفوا له ، إياك اللهم لييك ، بأن يكونوا من أهل مرضاته . فهذا العيد هو عيد الفرح بأن هذا الجمع الاعظم من المسلمين الذين حجوا بيت الله الحرام قد طهروا نفوسهم وقلوبهم من درن الآثام ، وصاروا من صالحى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإذا كان هذا مما يفرحنا ونعيد لاجله ، فلماذا لا نشاركهم فى هذا العيد الذى نعقده مع الله عز وجل بأن نكون نحن أيضا من أهل الخير ، وأن نتعامل فيما بيننا بما يرضيه ، وأن نتعاون على البر والتقوى .

أيها المسلمون :

عاهدوا ربكم على ذلك ، وجددوا حياتكم لتلقوا الله وأنتم من أهل السعادة ، وإذا عاد إليكم حجاج بيت الله فراقبوا وصاحبوا ، وكلوا هذا أحد منهم هفوة تخالف ما عاهد الله عليه عند ما نادى ربه قائلا ، إياك اللهم لييك ، فذكروه بعهد مع الله ، وتعاونوا معه على ما يرضى الله ، لتكونوا بعد اليوم أمة سالحة سعيدة ، تعيش بالحق والحق وبما يرضى الحق جلست عظمتة وعز سلطانه .

أيها الاغنياء من المسلمين :

إن نبيكم ﷺ كان يضحى فى هذا العيد المبارك بكبشين سميين عظيمين ، فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم فى مصلاه فذبحه ثم يقول ، اللهم إن هذا عن أمتى جميعاً بمن شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ ، ثم يؤتى بالكبش الآخر فيذبحه ويقول : هذا عن محمد وآل محمد . فيطعمهما جميعاً المساكين ويأكل هو وأهله منهما .

فالنبى ﷺ كان يعيش لآمنته ، ويحمل عن آمنته .



## السيد أبو أيوب الأنصاري

من ذا الذي يذكر الهجرة ، ولا يذكر المضيف الأول ، والرجل الذي نال من الشرف الرفيع ما لم ينله أحد من أهل المدينة أوسها وخزرجها ، وهو السيد الجليل ، أبو أيوب الأنصاري ، فقد أبى الله ورسوله إلا أن يكرم بنو النجار أخوال جد رسول الله ، وكان تكريمهم في شخص الرجل الكريم أبي أيوب رضى الله عنه .

ولو أن فضل أبي أيوب تمثل في إضافته لرسول الله لكفى ، فما بالك وقد تمثل في شخصيته شتيت من المفاخر والفضائل ، فهو - فضلا عن كرمه - مرفف الحس والشعور ، ذو أدب عال ، شجاع أبي مجاهد من الطراز الأول ، يرى أن نفسه ونفيسه شيء هين في سبيل نصر دين الله وإعزازه . وقد كانت وفاته بجوار أسوار القسطنطينية شهادة حق على مبلغ حبه لله وإعزاز دينه ، وأمانة صدق على ما ينبغي أن يكون عليه المجاهد في سبيل الله . وإن في التحدث عن الرجل الذي صدق الله فيما عاهد عليه لوفاء ببعض الذكري لرجل الوفاء .

فيا من أغناهم الله : اشكروا نعمة الله عليكم ، بأن تعيشوا أيضاً لامتكم ، وتحملوا عن امتكم ، وإن الزمان قد استدار ، وإن امتكم قد عزمت بحول الله وحسن توفيقه على أن تبدأ حياة جديدة يدعمها كل فرد منا بما يستطيعه من الناحية التي هو فيها ، وبالموهبة التي وهبها الله له من مال أو علم أو صناعة ، أو غير ذلك من نعم الله عليه .

فكل فرد من أفراد الأمة مدعو إلى بذل ما يستطيعه وما يتيسر له من تضحية ليتمتع هو الآخر من مجموع تضحيات .

وعيد الاضحية رمز إسلامي قديم لمعنى التضحية ، ولما يجب على المسلم من بذل في دائرة مقدوره ، وبمجموع ذلك يكون التعاون ، وإن الحياة بهذا التعاون وهذه المحبة تكون جميلة وسعيدة ، وفي أيدينا أن نكون من أهل السعادة إن شاء الله ، وهذا العيد المبارك يذكرنا بهذا كله ، أعاده الله عليكم بالهناء والسعادة وتحقيق الاماني .

نسبه :

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو ابن الخزرج الاكبر ، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي ، معروف باسمه وكنيته . وأمه السيدة هند بنت سعيد بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

قال في الخزرج ينتهي نسبه من جهة أبيه وأمه . وبنو الخزرج إحدى القبيلتين المشهورتين اللتين يتكون منهما عرب المدينة . وبنو النجار في الذؤابة من أهل المدينة نسباً وفضلاً ، وإلى هذا يشير الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة وفي كل دور الأنصار خير » ، ولم يكن هذا من رسول الله ﷺ عن مجاملة أو محاباة ، فرسول الله لا يقول إلا الحق ولا ينطق إلا بالصدق ، وليس للمحاباة إلى نفسه سبيل .

ولعل من الأسباب التي حملت هاشم بن عبد مناف سيد قريش على أن يصاهر بني النجار ما لهم من فضل ومنزلة بين قومهم . وقد تزوج هاشم سلى بنت عمرو النجارية وهي والدته عبد المطلب جد رسول الله صلوات الله صلواته عليه ، وفي بيوت بني النجار تربى عبد المطلب فلما كبر وترعرع عاد إلى موطن آبائه ، وإليه انتهت الرئاسة في قريش .

إسلامه :

كان أبو أيوب رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام من الأنصار . فبعد بيعة العقبة الأولى أرسل رسول الله مصعب بن عمير مع من أسلموا ، وقد كان له أثر حميد في إسلام كثير من أشراف المدينة وسادتها ، فانتشر الإسلام في المدينة حتى لم يبق بيت من بيوت المدينة إلا وقد استضاء بنور الإسلام .

وكان أبو أيوب ممن شهد بيعة العقبة الثانية من مسلمي المدينة ، وأخذ عليهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه العهد على أن يمنعوه عما يمنعون منه أنفسهم ونسائهم وأبنائهم ، وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر . وقد وفي أبو أيوب بما عاهد عليه ، فكان مثالا عالياً للجهد والكفاح على كل حال .

## روايته الحديث عن رسول الله :

روى أبو أيوب الحديث عن النبي ﷺ وعن أبي بن كعب ، وروى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر والبراء بن عازب وأبو أمامة وزيد بن خالد الجهني والمقداد بن معد يكر ب وأنس بن مالك وجابر بن سمرة وغيرهم من الصحابة . ومن التابعين سعيد بن المسيب وهروة بن الزبير وسالم بن عبد الله وعطاء بن يسار وغيرهم وقد خرج له أصحاب الصحاح والسنن والمسائيد ، وله في صحيح البخارى سبعة أحاديث .

## المآثر الخالدة :

لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق إلى المدينة نزلا أول ما قدما بقباء ، وأقام رسول الله في بني عمرو بن عوف حتى بنى مسجد قباء ، وهو المسجد الذى أسس على التقوى .

وبعد أن أقام رسول الله في بني عمرو بن عوف بضعة أيام أو تزيد خرج يوم الجمعة متوجها إلى المدينة فاتاه رجال من بني سالم بن عوف فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . وتعلقوا بزمام الناقة ، فقال لهم الرسول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، وسار رسول الله والانصار يحفون به متقلدى السيوف ، وكان كلما مر بدار من دور الانصار تعلق أهلها بزمام الناقة وتضرعوا إليه أن ينزل عندهم في العدد والعدة والمنعة ، فيقول لهم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . وما زالت الناقة تسير حتى بركت في موضع مسجد رسول الله أمام دار أبي أيوب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب : أنا يا رسول الله ، هذه دارى وهذا بابى . قال : فانطلق ، فبى لنا مقبلا . فاحتمل أبو أيوب - وهو قرير العين - رحل رسول الله إلى بيته . ثم جاء رجل إلى رسول الله فقال : أين تحل ؟ فقال له : المرء مع رحله حيث كان ، فكانت مكرمة لابي أيوب خالدة على وجه الدهر .

وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ، وبقي رسول رسول الله في بيت أبي أيوب مكرماً معزواً مدة سبعة أشهر ، حتى بنى المسجد وبيوت نسائه فانتقل إليها ، وفتح أبو أيوب بابه على مصراعيه لاستقبال زوار رسول الله على الرحب والسعة ، وتسابق الانصار رضوان الله عليهم في إكرام رسول الله وصحبه ،

وما من ليلة إلا وعلى باب أبي أيوب الثلاثة والأربعة يتناربون القصاص ، وكان أبو أيوب يرسل بقصعته ولا يتناول العشاء حتى يتناوله رسول الله ، ويتحرى هو وأم أيوب موضع أصابع النبي يلتصقان بذلك البركة ، وفي ليلة من الليالي بعث رسول الله بعشائه وفيه بصل أو ثوم ، فردده رسول الله وليس ليده فيه أثر . قال أبو أيوب لجنته فزعا فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك . فقال أنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، وأما أتم فكلوه . قال أبو أيوب : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

ومن أدب أبي أيوب الرفيع أنه تخرج أن يكون رسول الله في سفلى البيت وهو في العلو فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فظهر أنت فكن في العلو ، ونزل نحن فنكون في السفلى . فاعتذر له رسول الله مبيناً الحكمة في اختيار السفلى قائلاً : يا أبا أيوب بأن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفلى البيت ، . لكن أبا أيوب لم يطب نفساً بأن يعلم رسول الله فتحنى هو وأهله فباتوا في جانب غير مسامت لرسول الله ، ولم يزل أبو أيوب يرجو رسول الله أن يكون في العلو حتى قبل رجاءه وحقق له رغبته .

وكان أبو أيوب شديد الحرص على راحة رسول الله ﷺ وزواره ، فقد انكسر حب لم فيه ماء في الغرفة ، قال أبو أيوب ، فتمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها المساء نخوفاً أن يقطر على رسول الله منه شيء فيؤذيه . ومن فضائل أبي أيوب التي تدل على العفة في القول ورجاحة العقل أن السيدة زوجه لما قالت له : أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ فقال لها : أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ فقالت : لا والله . فقال : والله لمي خير منك . فأنزل الله سبحانه تصديقاً لمقالته ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا أفك مبين ، . كما يروى أن أبا أيوب هو الذي أرضى سهلاً وسهلاً صاحبي المربد الذي بنى موضعه المسجد النبوي عن ثمنه من حر ماله <sup>(١)</sup> .

وهكذا نجد أبا أيوب قد سجل لنفسه مآثر خالدة في سجل الخالدين مرضى الله عنه وأرضاه .

عرفان الجميل لصاحبه :

وتدور الأيام دررتها ، ويقدم أبو أيوب البصرة ، وكان واليها يومئذ عبد الله بن عباس نائباً عن علي كرم الله وجهه ، فلتقاه بالبشر والترحاب ويقول له : يا أبا أيوب إني أريد أن أخرج لك عن مسكني ، كما خرجت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنك . وأمر أهله فخرجوا وملكه كل شيء أغلق عليه بابه . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس رضى الله عنهما عشرين ألفاً وأربعين عبداً ، وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاة أفلق ، فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وأصلح ما وهى من بنيانها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة <sup>(١)</sup> ولا يزال موضع دار أبي أيوب في المدينة معروفاً إلى يومنا على قيد خطوات من المسجد النبوى .

بلاؤه في الجهاد :

كانت حياة أبي أيوب سلسلة متصلة من الكفاح والجهاد والبطولة ، وقد شهد بدرًا والمشاهد كلها في عهد رسول الله ، ولزم الجهاد بعده ، ولم يتخلف عن غزاة إلا وهو في أخرى . ولما حدثت الفتنة بين السعيدين على ومعاوية انحاز إلى جانب على وشهد معه قتال الخوارج ، ولما أرسل معاوية ابنه يزيد على رأس جيش لغزو القسطنطينية تخرج في أول الأمر أن يخرج في جيش تحت إمرة يزيد ولكن نفسه التواقة للجهاد نازعته إليه وقال : ما ضرني من استعمل على ، فلحق بالجيش وأبلى بلاء حسناً . ثم مرض فعاده يزيد فقال له ما حاجتك ؟ قال : حاجتي إذا مات فاركب بي ما وجدت مساعداً في أرض العدو ، فإذا لم تجد فادفني ثم ارجع <sup>(٢)</sup> . ثم قال : سأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لولا حالى هذا ما حدثتكموه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، فلما توفي صلى الله عليه يزيد ودفن بجوار أسوار القسطنطينية ، وكانت وفاته في سنة اثنتين وخمسين ، وهى السنة التى وقعت فيها هذه الغزاة ، وقيل سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، والا كثرون على الأول ، ولا يزال موضع قبره معروفاً إلى اليوم .

(١) البداية والنهاية جزء ٣ ص ٢٠٢ .

(٢) الإصابة ص ٤٠٥ جزء أول .

بعض آرائه :

وقد كان أبو أيوب في ملازمته للجهاد وحرصه عليه يصدر عن علم بكتاب الله ومعرفة بالآيات التي وردت في التحريض على الجهاد . وقد حفظت لنا كتب التفسير والحديث بعض هذه الآراء ، فقد كان يستدل على لزوم الجهاد على كل حال في المنشط والمسكره والعسر واليسر والشباب والشيخوخة بقوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » ، وقد ذكر ابن جرير في تفسيره أن أبا أيوب شهد بدرًا مع رسول الله ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا عامًا واحدًا ، قال : وكان أبو أيوب يقول : قال الله تعالى « انفروا خفافا وثقالا » ، فلا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلًا ؛ وكان يرى - وحققا رأى - أن في الرغبة عن الجهاد والاشتغال بالأهل والمال إلقاء باليد إلى التهلكة .

روى أصحاب السنن والحاكم في مستدركه عن يزيد بن حبيب عن أسلم أبي عمران قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقة معناه أبو أيوب الأنصاري ، فقال ناس : ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب : نحن أعلم بهذه الآية ، إنما نزلت فينا ، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر ، اجتمعنا معشر الأنصار تحببًا فقلنا : قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ حتى فشا الإسلام وكثر أهله ، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها ، فزجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيها . فنزل فينا ، وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، فكانت التهلكة في الأهل والمال وترك الجهاد . وصدق السيد أبو أيوب فشا أتى المسلمون وغلبوا على أمرهم إلا يوم أن تخلوا عن الجهاد ، واشتغلوا بالأموال والأولاد ، ورضوا بالراحة ، وأخذوا إلى الضعف والاستكانة .

وبعد ، فهذه سيرة يتمثل فيها الطهر والعفاف وكرم النفس وسجاجة الطبع وأصالة الرأي وأدب الضيافة العالي وحب الجهاد والاستشهاد ، ولعل فيها نبراسا للذين ينشدون مكارم الاخلاق ومحاسن القمال : ووازا للذين يجاهدون في سبيل الله ويطلبون الشهادة في سبيل الحق وعز الأوطان ، وعزاء للذين يفقدون الاحبة وفلذات الاكباد وهم بنأى عنهم في ساحات الكرامة والخلود .

محمد محمد أبو شريفة  
الاستاذ بكلية أصول الدين

# بيان الى الشعوب الاسلامية

عن أحداث مراکش

منه جماعه كبار العلماء في الأزهر

في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الأحد ٢٠ من ذى الحجة سنة ١٣٧٢ ( ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٥٣ ) عقدت جماعة كبار العلماء جلستها الاولى بعد عطلة عيد الاضحى برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الامتاز الأكبر الشيخ محمد الحضر حسين شيخ الجامع الأزهر ، واستعرضت الأحداث الجسام التي وقعت أخيراً في المغرب الأقصى ، وقررت إذاعة البيان التالي على المسلمين جميعاً وعلى الشرقيين من كل الاجناس ، وعلى أنصار الإنسانية في كل مكان — إرشاداً إلى حكم الله في العدوان الذي وقع من فرنسا على إخواننا في المغرب الأقصى ، وفيمن مد إليهم يد المعونة والتأييد في هذا الاعتداء من أبناء تلك البلاد : إن دولة المغرب الأقصى (مراكش) من أعرق الدول الإسلامية المستقلة منذ عصور طويلة ، ولها في تاريخ الإنسانية وخدمة الإسلام مجد مؤثر لا يزال يحفظه التاريخ إلى اليوم ، ولا يزال الحريصون على دينهم ووطنيتهم يتوارثونه جيلاً بعد جيل ، ويضجون في سبيل الاحتفاظ به كل مرتخص وغال .

وقد ضرب الظلم الغاشم على تلك البلاد الإسلامية حمايته قبيل الحرب العالمية الأولى . ومع أنها حماية ظالمة يأبأها الإسلام ؛ ويأبى على أهله أن يقبلوها ويخضعوا لسلطانها ، فإن لها بمقتضى وثيقتها الرسمية قيوداً لم يبرح رجال الاستعمار الفرنسي يعملون على تخطيتها ومخالفتها ، ويعتدون بذلك على كل ما يمس حقوق الوطن المغربي الديني والاجتماعي والسياسي .

وإن أشد نكبة أصيبت بها البلاد الإسلامية عامة وبلاد المغرب الأقصى خاصة ، هي تلك النكبة التي وقعت في هذه الايام .

تعهد فرنسا بطغيانها المستمر وجبروتها الغاشم ، فتخلع سلطان البلاد الشرعي ، وتلقى به وبأبنائه في المنفى ، وتشدّد الحصار عليه فتسلبه حتى حريته الشخصية ، ثم لا يدرى إلا الله

حاقبة ما تريد من وراء ذلك . وهي في الوقت نفسه تعمل على شق وحدة المسلمين في البلاد ، وتفريق كلمتهم ، حتى أصبح أبناء البلد الواحد والدين الواحد يضرب بعضهم رقاب بعض . إن جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف وعلى رأسهم حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لبيرون :

أولاً — أن موالاة أرباب المصالح الشخصية من أبناء تلك البلاد لدولة الاستعمار ومعاونتهم إياها في تحقيق أهدافها الماسية بكرامة الإسلام والمسلمين ، هي من موالاة الأعداء التي جعلها القرآن في صريح آياته عنواناً على النفاق والخيانة لله وللرسول ، وعلى الانضمام إلى هؤلاء المعتدين وصيورتهم منهم ، ومن يتولم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ، . لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، .

ويرون ثانياً — أن واجب المسلمين في كافة بقاع الأرض أن يكافحوا هذا الظلم الواقع على إخوانهم في بلاد المغرب بكل ما يملكون من وسائل الكفاح ، وأن يعلنوا أولئك الحونة الذين عاونوا الأعداء ووالوهم أنهم ليسوا منهم ، وأن الدين برىء من صنيعهم ما داموا مقيمين على تلك الموالاة الآثمة ، وأن أقل مراتب الكفاح للمعتدين وأعوانهم أن يقاطعوهم مقاطعة تامة في جميع شئونهم الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى المؤمنين من أبناء مراكز أن يصارحوا أولئك المنافقين الذين عرفهم بموالاة الأعداء والانضمام إليهم بالسخط عليهم وتحقير خطتهم والتضييق عليهم ومقاطعتهم حتى في السلام والحديث كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تأديب المتخلفين عن القيام بواجبهم الديني والوطني .

ألا وأن جماعة كبار العلماء ليضعون في خاتمة هذا البيان أمام أعين المسلمين قوله تعالى « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتبعون هتهم العزة فإن العزة لله جميعاً ، وقوله تعالى « قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتهموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ، والسلام على من اتبع الهدى .



# ذِكْرُ الْإِسْلَامِ

مِنْ بَلَدِ الشَّاعِرِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حَمْدًا

بِتَعْلِيلِ الْأَسْتَاذِ الْبَاهِيَّةِ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

## ذكري غزوة بدر المباركة

وكيف تمضي إلى غاياتها المهم  
عن كل ذي أدب بالصدق يتسم  
كمن إذا قال لم يكذب له قلم ؟  
تقضي الحقوق ، وترعى عنده الذمم  
وجددوا ما يحا من رسمها القدم  
فما لكم مقتنى منها ومغتتم ؟  
وغالهم من ظنون السوء ما زعموا  
أكل ما عندكم أن تحشد الكلام ؟  
من باذخ المجد يسمى وهو منهمدم  
والحزن أيسر ما يلقاه والالم  
فلا يد نشطت منكم ولا قدم  
وقائد ماله سيف ولا علم

تعلوا كيف نبني مجدما الام  
تعلوا ، وخذوا الانبياء صادقة  
أمن يقول ، فإنيك يكذبكم  
لكم على الدهر مني شاعر ثقة  
تعلوا يا بني الإسلام سيرته  
الله أكبر ، هل هانت ذخائره  
بل أنتم القوم ، طاح المرجفون بهم  
ماذا تريدون من ذكري أوائلكم  
لسنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا  
إن تذكروا يوم بدر ، فهو يذكركم  
سن السبيل لكم مجداً ومأثرة  
غاز يصول بجند من وسأوسه

\*\*\*

وفودهم حولكم يا قوم تزدحم  
في كل ناحية للحرب يضطرم  
(جبريل) في غمرات الهول يقتحم  
غيظ يظل على الكفار يستخدم

حيوا (القرأة) قياما ، وانظروا تجدوا  
ثم انظروا تارة أخرى تروا لهبا  
حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم  
الأرض ترجف رعباً ، والسماء بها

هم حاربوا الله ، لا يخشون نقمته      في موطن تتلاقى عنده النقم  
من جانب الحق ، أردته حمايته      واحزم الناس من بالحق يعتصم

\* \* \*

الدين دين الهدى تبدو شرائعه      أيضاً تكشف عن أنورها الظلم  
ما فيه عند ذى الالباب منقصة      ولا به من سجايا السوء ما يصم  
يحيى النفوس إذا ماتت ، ويرفعها      إذا تردت بها الاخلاق والشيم  
لا شيء أعظم خزيًا أو أشد أذى      من أن يطاع الهوى ، أو يعبد الصم  
دين تصان حقوق العالمين به      ويستوى عنده السادات والخدم  
ضل الالى تركوا دستورهم سفهاً      فلا الدساتير أغنتهم ولا النظم

\* \* \*

دعا ( النبي ) فلي من قواضيه      ييض مطاعها المأثورة الخدم  
حرى الوقائع ، عرثى لا كفاء بها      إن جد ملتهب ، أو شد ملتهم  
تجرى المنايا دراكا في مسايها      كما جرى السيل في تياره العرم  
قواضب الله مانامت مضاربها      عن الجهاد ، ولا أزرى بها سام  
يرمى بها كل جبار ، ويقصمه      إن ظن من سفه أن ليس يتقضم

\* \* \*

الجيش منطلق الغارات مستبق      والبأس محترم ، والامر ملتم  
الله ألف بين المؤمنين فهم      في الحرب والسلم صف ليس ينقسم  
كروا سراعا ، فللأعمار مصطرع      تحت العجاج ، وللأقدار مصطدم  
من كل أغلب يعضى الخنف معتزما      إذا مضى في سبيل الله يعتزم  
حران ، يحسب إذ يرمى بمهجنه      نشوان يزداد شكراً أو به لم  
للحق نشوته في نفس شاربه      وليس يشربه إلا امرؤ فهم

وأظلم الناس من ظن الظنون به ما كل ذى نشوة في الناس منهم

\* \* \*

طال القتال ، فإللقوم إذ دلفوا  
وقام بالسيف دون الليث ( صاحبه )  
ماذا يظن ( أبو بكر ) بصاحبه ؟  
أمن النفوس ، إذا احتاجت مخاوفها  
هل يعظم الخطب ، يرميه امرؤ درب  
راع الكتائب ، واستولت مهابته  
دعا فاجت سماء الله ، وانطلقت  
لام غوثك ، إن الحق مطلبنا  
تلك العصاة ، ما لله إن هلك

\* \* \*

جاء الغياث ، فدين الله منتصر  
جنى على ( زعماء السوء ) ما اجتروا  
ما الجاهلية إلا نكبة جلال  
هذى مصارعها نجى الدماء بها  
هذا ( أبو الحكم ) انحابت عمائته  
ماذا لقيت ( أبا جهل ) وكيف ترى  
هذا ( القلب ) لكم في جوفه عبر  
ذوقوا العذاب أليما في مضاجعكم  
لا تجزعوا واسمعوا ماذا يقال لكم  
الشرك يعول ، والإسلام مقيم  
يا قومنا إن في التاريخ موعظة  
لنا من الدم يجرى في صحائفه

على اللواء ، ودين الشرك منهزم  
وحاق بالمعشر الباغي ما اجتمروا  
تردى النفوس ، وخطب هائل عم  
وتشكى الهون ، في أرجائها الرمم  
لما قضى السيف ، وهو الحكم والحكم  
آيات ربك في القوم الذين عوا ؟  
لا اللوم ينفعكم فيها ولا الندم  
ما في المضاجع إلا النار والحلم  
فما بكم تحت أطباق الثرى صم  
سبحان ربى له الآلاء والنعم  
وإنه لسان صادق وفم  
شيخ يحدثنا أن الحياة دم

## الأزهر ومعارك التحرير الأولى

في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ( الثامن عشر الميلادى ) افتتح رجال الأزهر أولى حركات التحرير فى تاريخنا القومى ، فاشترك كبار العلماء فى إعداد الثورات ورسم خطط المقاومة الشعبية مضحين فى سبيل الدفاع عن الوطن بأموالهم وأنفسهم . فهم من صودرت أملاكه ، ومنهم من عذب ، ومنهم من استشهد ، وقد كان لهذه التضحيات أكبر أثر فى بعث روح المقاومة فى الشعب الذى نهض ليواجه قوات الاحتلال فى شجاعة نادرة المثال .

### إعلان الجهاد :

اضطرب المماليك حين وصلهم نبأ احتلال نابليون للإسكندرية فى صفر ١٢١٣ هـ ( ١٧٩٨ م ) ، وعقدوا اجتماعاً للتشاور فى الأمر ودعوا العلماء لحضوره - وكانوا قادة الرأى العام إذ ذاك - فحضر منهم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف ، والشيخ السادات ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ الصاوى ، والشيخ المهدى ، والشيخ العربى ، والشيخ محمد الجوهري . وجرت أثناء الاجتماع مناقشة حادة بين العلماء والأمراء حتى قام الشيخ السادات ووجه الكلام إلى الأمراء قائلاً : إن كل هذا من سوء مقالكم وظلمكم . وآخر أمرنا معكم أنكم ملكتمونا للأفرنج ، ثم نظر إلى مراد بك قائلاً له : وخصوصاً بأفعالك وتعديك أنت وأمرائك على متاجرهم وأخذ بضائعهم . . وأخيراً اتفق المجتمعون على إخطار الدولة العثمانية بالأمر وتجهيز العساكر للحرب .

من هذا الاجتماع نستطيع أن ندرك لأول وهلة موقف الأزهر بالنسبة للفرنسيين ، فهو موقف المقاومة المسلحة ؛ كما أن العلماء بصفتهم وكلاء عن الشعب وضعوا قاعدة دستورية هامة ، وهى محاسبة الحكام على تفريطهم فى حقوق الشعب .

ولما وصل نابليون إلى إمبابية أعلن السيد عمر مكرم والعلماء الجهاد واستنفروا الشعب ودعوا إلى التطوع العام ، وسار السيد عمر مكرم فى مقدمة المتطوعين للقتال ، وقام بعرض شعبي فى شوارع القاهرة استجاب له جميع الأهالى ، ولكن إذا كان العلماء قد نجحوا فى تعبئة الشعب إلا أن تحاذل المماليك أسرع بالبلاد نحو الخاتمة المنتظرة .

### بين الأزهر ونابليون :

استفز الفرنسيون المصريين بفرض الضرائب الثقيلة والقتل ومصادرة الأملاك والاعتداءات المتوالية ، مما جعل بقيام ثورة القاهرة الأولى في ( جمادى الأولى سنة ١٢١٣ أكتوبر سنة ١٧٩٨ ) . فقام العلماء وعلى رأسهم الشيخ السادات يدعون إلى الجهاد ضد الفرنسيين ، وانتخبوا مجلساً للثورة كي ينظم حركات المقاومة ويمونها بالأسلحة والذخائر ، وفي ذلك يقول نابليون في مذكراته : « إن الشعب قد انتخب ديواناً للثورة ، ونظم المتطوعين للقتال ، واستخرج الأسلحة المخبوة . وأن الشيخ السادات انتخب رئيساً لهذا الديوان ، . وذكر في تقريره إلى حكومة الديركتوار أن لجنة الثورة كانت تنعقد في الأزهر .

انتشر رجال الأزهر في القاهرة يبشرون الثورة في النفوس ويدعون الشعب إلى الجهاد ويعاهدونه على المقاومة ، بينما كان مجلس الثورة يوزع الأسلحة على إحياء العاصمة ، حتى اقترب الوعد فعمد المجلس اجتماعلية الأحد ( ١٠ جمادى الأولى ١٢١٣ - ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨ ) لرسم خطة العمل في صبيحة ذلك اليوم .

يقول الكولونيل ديتروا في يومياته وصفاً للثورة كما شهداها : في الساعة السادسة صباحاً من يوم ٢١ أكتوبر احتشدت الجموع في كثير من أحياء القاهرة وكان المؤذنون يدعون إلى الجهاد على المسأذن ، وكان المعسكر العام للثائرين الجامع الكبير المسمى بالأزهر ذلك المسجد الجليل الذي طارت شهرته في أنحاء المشرق وقد قام الثوار بإقامة المتاريس في الطرق والأزقة المفوضية إليه حتى أصبح من المستحيل أن تقتحمه المدفعية أو الجنود المشاة .

وفي الساعة العاشرة صباحاً اصطدم الثوار بكتيبة من الفرسان يقودها الجنرال دييوى قومندان القاهرة وتغلب الأهالي على الكتيبة وقتل الجنرال دييوى أثناء المعركة . وامتدت الثورة حتى اشتبكت الجماهير بدوريات الجنود في كل مكان .

كان نابليون في ذلك الوقت يطوف بسرعة ليتفقد الاستحكامات العسكرية في مصر القديمة والروضة ولما عاد إلى بولاق بلغه مصرع الجنرال دييوى فأصدر أمراً بتعيين الجنرال بون خلفاً له وكلفه بإجراء اللازم لإعادة النظام إلى المدينة .

هال الجنرال بون تفاقم الحالة في العاصمة فمكتب إلى نابليون في الساعة العاشرة مساءً من يوم الثورة يطلب اتخاذ إجراءات في غاية الشدة والصرامة مع حى العرب حيث يوجد الجامع الأكبر ( الأزهر ) .

وفي صباح يوم ١١ جمادى الأولى ١٢١٣ (٢٢ أكتوبر ١٧٩٨ م) بلغت حماسة الثوار مبلغاً عظيماً حتى حاولوا ضرب الاستحكامات الفرنسية في القلعة من مسجد السلطان حسن ، كما تمكنوا من قتل الكولونيل سلكوسكى في معركة عند باب النصر .

وفي هذا اليوم أرسل نابليون الجنرال ( برتييه ) رئيس أركان حرب في الساعة الثانية بعد الظهر ومعه أمر بضرب الأزهر بالمدافع سلمه للجنرال بون وقد أوصى نابليون بوضع المدافع في أصلح المواقع ليكون تدميرها شديداً . كما أصدر أمراً إلى الجنرال ( دومارتان ) بالاستيلاء على جميع المنافذ المفضية إلى الأزهر وبما جاء في هذا الأمر (وعليكم أن تفتحوه بمجردكم تحت حماية المدافع وأن تقتلوا كل من تلقونه في المسجد وأن تضعوا فيه حرساً قوياً من الجنود) .

وابتداء الضرب من بعد الظهر حتى الساعة الثامنة مساء ، وأخذت رسائل الوحشية المقتنعة بالمدينة تهال في صورة آلاف من القنابل على الأزهر حتى قال ريبو أوشك الجامع أن يتداعى من شدة الضرب فيدفن تحت أنقاضه الجماهير الحاشدة فيه وأصبح الحى المجاور للأزهر صورة من الخراب والتدمير . ولما وجد العلماء أن الاستمرار في المقاومة سيفضى إلى كارثة محققة ، شرعوا في مفاوضة نابليون لإيقاف الضرب .

#### محاكمة العلماء الثائرين :

في ١٢ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ (٢٣ أكتوبر ١٧٩٨ م) أصدر الجنرال ( برتييه ) أمراً باسم نابليون إلى الجنرال ( بون ) قومندان القاهرة بهدم الأزهر ليلاً إذا أمكن ، ومن هذا نرى أن نابليون أراد أن يقضى على المقاومة الشعبية بهدم مركزها ، ثم عدل عن هذه الفكرة خوفاً من إثارة الحماس الدينى .

وفي ٢٤ أكتوبر توجه وفد من العلماء إلى نابليون يسأله العفو عن الأهلالي ليسكن روعهم ، فطالبهم نابليون بإرشاده عن تسبب في الثورة من العلماء ، فلم يرشدوه إلى أحد فقال لهم : نحن نعرفهم واحداً واحداً .

قبض نابليون على ثمانين من أعضاء لجنة الثورة أعدموا سراً وألقيت جثثهم في النيل أما الذين حوكموا رسمياً من المقبوض عليهم باعتبارهم زعماء الثورة فهم الشيخ لإسماعيل البراوى والشيخ يوسف المصياحى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ سليمان الجوسقى

شيخ طائفة المكفوفين والشيخ أحمد الشرقاوى وكلهم من العلماء وقد حكم عليهم بالإعدام ونفذ الحكم في الساعة الثامنة صباحاً من ٢٣ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ (٤ نوفمبر ١٧٩٨ م). وفي كتاب تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى أن الفرنسيين قتلوا في هذه الثورة ثلاثة عشر عالماً.

### بين الأزهر والجنرال كليبر :

لم تسكد تدوى مدافع معركة عين شمس في ٢٣ شوال ١٢١٤ هـ (٢٠ مارس ١٨٠٠ م) حتى دوى في القاهرة نداء الحرية فلبت العاصمة النداء مستمدة قوتها من إيمان أهلها وحماستها من وطنيتهم واستبسالها من تضحياتهم وهب السيد عمر مكرم والسيد أحمد المحروقي والشيخ السادات والشيخ الجوهري وغيرهم من زعماء الثورة يحرضون الناس على القتال . ولما رجع كليبر بعد انتصاره على الجيش العثماني في معركة عين شمس وجد العاصمة أشبه ببركان ثائر لا يهدأ فاشتبك مع الثوار في معارك طاحنة دامت أكثر من ثلاثين يوماً دمرت خلالها بولاق قدماً تماماً . وللمرة الثانية شرع العلماء في مفاوضات الفرنسيين على أساس العفو عن جميع سكان القاهرة فوافق كليبر على هذا الشرط ولكنه سرعان ما نقضه وفرض على الأهالي غرامة فادحة قدرها ( اثنا عشر مليوناً من الفرنكات ) وألزم الأهالي بتسليمه عشرين ألف بندقية وعشرة آلاف سيف . وكانت أشد الغرامات المفروضة غرامة الشيخ السادات وقدرها ثمانمائة ألف فرنك هذا فضلاً عما تعرض له من التعذيب والإهانة إذ كان يجلد صباحاً ومساءً في معتقله ، وكانت غرامة الشيخ الصاوي ( ٢٦٠.٠٠٠ من الفرنكات ) والشيخ محمد الجوهري وأخيه فتوح الجوهري مثل ذلك .

### مصرع الجنرال كليبر :

كان إسراف كليبر في الانتقام وإهانته للعترة النبوية ممثلة في شخص الشيخ محمد السادات من أهم الأسباب التي أدت إلى مصرعه في ٢٠ المحرم ١٢١٥ هـ ( ١٤ يونية ١٨٠٠ م ) بيد سليمان الحلبي ، وسرعان ما اتجهت أنظار الفرنسيين نحو الأزهر فقاموا بتفتيشه وتفتيش أروقته وقبضوا على من ذكرهم سليمان الحلبي في التحقيق كما قبضوا على العلماء المعروفين بقيادة الثورات الوطنية . ورأى كبار العلماء أن الفرنسيين سيتخذون من تفتيش الأزهر بين حين وآخر ذريعة للإيقاع بهم فتوجه الشيخ الشرقاوى والشيخ الصاوي والشيخ المهدي

إلى الجنرال مينو واستأذنه في إغلاق الازهر فأغلق في ٢٧ المحرم ١٢١٥ هـ ( ٢١ يونية ١٨٠٠ م ) . وكان هذا ما يريده الفرنسيون وقد استمر الازهر مغلقاً حتى تم جلاء الفرنسيين عن مصر .

يقول تيير : « لو بقي كليز حياً لاستمرت مصر خاضعة للحكم الفرنسي حتى انهيار نابليون على الاقل ، فقد ضاع أكبر قائد وأكفأ من يؤسس الاستعمار الفرنسي في الشرق » .

وهنا لا بد من أن نقول كلمة عن المنشورات التي كان يصدرها الفرنسيون على لسان أعضاء الديوان من العلماء ؛ إذ كان الغرض من هذه المنشورات تضليل الشعب وبث التفرقة بينه وبين زعمائه ، وأكبر دليل على براءة من اشترك من العلماء في الديوان أنهم كانوا من المعروفين لدى الفرنسيين بقيادة الثورات والتحريرض عليها .

#### الازهر يعرض على قتال الحملة الإنجليزية الاولى :

في المحرم ١٢٢٢ هـ ( مارس ١٨٠٧ م ) نزل الإنجليز الاسكندرية بقيادة الجنرال فريزر وما كادت تصل أنباؤهم إلى العاصمة حتى قام السيد عمر مكرم والشيخ الشراوى والشيخ الامير يدعون الناس إلى الدفاع عن الوطن ، وحث الخطباء في المساجد الناس على القتال ؛ فأقبل هؤلاء يتطوعون في حماس نادر المثال وانضم إليهم جميع طلبة الازهر والعلماء وكان المتطوعون يذهبون يومياً لضرب الاستحكامات خارج القاهرة تحت إشراف السيد عمر مكرم وكبار الشيوخ ، كما تطوع البعض الآخر للسفر ليشارك في فك حصار الإنجليز لرشيد .

وأمام هذا التضامن الشعبي الرائع وجد الإنجليز أنفسهم عاجزين عن متابعة احتلال البلاد فقرروا الجلاء عن القطر المصري في ١٠ رجب سنة ١٢٢٢ هـ ( ١٤ سبتمبر ١٨٠٧ م ) .

هذا هو الدور الذي قام به الازهر في معارك التحرير الاولى ؛ وقد كان لهذه المعارك أكبر أثر في تكوين الوعي القومي الذي بدأ منذ ذلك الوقت يوجه تاريخنا الحديث .

أحمد عز الدين خلف الله

المدرس بمعهد دسوق



## منهج البغدادي في غزاة الأدب

أوضح ما تنسم به مؤلفات العصر الحديث هو النزعة العلمية في التأليف . وهي نزعة واعية تقوم على أساس قوى من طبائع الأشياء حين تجعل للبحث في كل علم وفن منهجاً خاصاً يتحرراه المؤلف ، وليس الأمر قاصراً على هذا المنهج الخاص وإنما هناك منهج فكري عام يخضع له كل الباحثين في كل العلوم والفنون ، وفي هذا المنهج العام تتضح القواعد الأساسية التي تشترط في بحث ينزع منزعا علمياً .

والمقصود بالمنهج الخاص هو النظام الذي تفرضه طبيعة المادة المدروسة على الدارس ؛ فنحن حين ندرس الأدب يلزمنا أسلوب غير ذلك الذي يلزمنا حين ندرس الفلسفة ؛ ومنهج دراسة الفلسفة يختلف عن منهج دراسة الكيمياء ، وهكذا . فطبيعة الموضوع - كما قلنا - هي التي تفرض الأسلوب أو المنهج ؛ فأحياناً يستخدم الباحث أسلوباً تاريخياً - عندما يكون بسبيل الترجمة لشخصية أدبية مثلاً - وأحياناً يستخدم أسلوباً تحليلياً - عندما يعنى بدراسة نص من النصوص - وفي حالات أخرى يستخدم أسلوباً وصفيّاً أو تقريرياً أو تركيبياً أو تجريبياً ، بحسب الموضوعات المختلفة التي يدرسها .

أما المنهج العام فهو تلك الشروط التي تكفل لنا تحقيق أمرين في كل عمل علمي وهما : دقة البحث ، بكل ما تنطوى عليه كلمة دقة من معنى ، ثم أصالة المادة وصدقها .

ولست في مجال الإفاضة هنا في هذا الذي تنطوى عليه الكلمتان ، وحسبي هنا أن أشير إلى مثالين . الأول ، ويختص بدقة البحث . فن القواعد الجوهرية الخاصة بدقة البحث ، وهي من القواعد العامة ، تلك القاعدة التي نقول :

« يجب ألا نستخلص نتيجة من نتيجة أخرى إلا بمنتهى الحذر ، وكذلك تلك القاعدة : يجب أن نتصل مباشرة بالنص المدروس ذاته ، فلا نحل قط نصاً آخر محله ، ، فنقول مثلاً : ( أ ) كتب ( ب ) ، ولكن ( ب ) هو نفس ( ح ) . وإذا كان ( أ ) قد ألف ( ح ) إذن . . . ، ثم نفسى ( ب ) ونأخذ في بحث ( ح ) وهو النص المزيف الذي كونه أو تناولناه بثقة مسرفة .

ثم نشير بمثال أيضاً إلى أصالة المادة ، فهناك قاعدة تقول : « لا تنقل عن محدث ما نقله عن قديم » ، و « لا تقتبس من محدث رأياً سبقه إليه قديم » ، و « لا تناقش محدثاً في رأى ما لم تقرأ كتابه من الجلفة إلى الجلفة » .. وهكذا .

ونسلك الآن إلى كتاب « خزانة الأدب » للبغدادى ، لنتبين - على ضوء ما أسلفنا - مدى مسيرته للمنهج العلمى الخاص والعام . وقد يكون من سبيل التعسف أن نطلب في كتاب قديم أسلوباً في البحث لم يعرفه إلا المحدثون والمؤلفات العلمية الحديثة ، ولكننا نجد أنفسنا في كثير من الأحيان في غير ما خرج من تقرير تلك الصفة العلمية في كثير من المؤلفات العربية القديمة ، فلا خرج عليك في أن تتكلم عن مناهج المفسرين ، ولا عليك في أن تبحث مناهج المحدثين ، ولك أن تتكلم عن غير هذه وتلك من مناهج البحث والتفكير الإسلامى . ذلك أن تحرى الدقة واستقصاء الخبر والتقيد بالالتزامات القاسية لم تعهد كما عهدت في رواية الحديث مثلاً . وكل ما كان يتكبد به العلماء من مشقات الرحلة والطلب لم يكن في حقيقة أمره إلا صورة مبالغاً فيها لخلاصة أهداف النزعة العلمية المحدثه كما بينها .

« وخزانة الأدب » من المؤلفات المتأخرة نوعاً ما . ومعروف أنه في هدفه الاصيل هو شرح شواهد شرح الرضى الاسترأباذى على الكافية في النحو لابن الحاجب . وقد اجتمع فيه « ما تفرق في مئات الكتب من طرف النوادر العلمية والاخبار التاريخية ، تتخلله تحقيقات في العربية لا يجدها القارىء في غيره .

ويستطرد صاحبه إلى فنون من النقد الأدبى لو أفردت لكانت بنفسها من خير ما كتبه السكاتبون . زد على ذلك ما فيه من تراجم الرجال وفرائد الامثال ، وفردته بنقل النصوص الجليلة من كتب لم تجتمع في زمانه عند أحد غيره .. إلى غير ذلك من الفنون التى جعلت هذا الكتاب دائرة معارف أدبية وتاريخية لا يستغنى عنها مشغل بالأدب العربى .. »<sup>(١)</sup>

ويعيننا هنا تشبيه بدائرة المعارف ، لانه في الواقع لم يقف عند مجرد هدفه الاول وهو شرح شواهد شرح الكافية - كما ذكرنا - ولكنه جمع صنوفاً شتى من المعرفة والثقافة العربية الاصيله . والكتب التى لها هذه الصفة في المكتبة العربية القديمة كثيرة ، ويكفى أن تذكر الامهات الاربع : الكامل للبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأمالى القالى ،

والعقد الفريد لابن عبد ربه ؛ فهذه كل موسوعات للثقافة العربية الاصلية أكثر منها كتباً تبحث موضوعات خاصة .

ولكن كتابنا « خزانة الأدب » قد حدد موضوعه منذ اللحظة الاولى ، وكل ماورد به من ثقافة تاريخية أو أدبية أو تراجم للأعلام لم تكن إلا جزءاً ضرورياً لتصوير المادة التي يعرضها الكتاب تصويراً دقيقاً ، ولكي نضع أيدينا على مصادر هذه المادة كيما نستوثق من أصالتها وصحتها . والكتاب بهذه المثابة متكامل المادة فيه بحيث لا يمكن الاستغناء ( عن جزء منها ) كالترجمة أو الخبر أو الرواية . . الخ ) والمشكلة الوحيدة التي تعترض الباحث في الكتاب بصورته الاولى هي صعوبة الإفادة من هذه المادة الغزيرة إفادة مستقلة . فأنت تستطيع أن تفيد من الخزانة مادة طيبة في ترجمة أبي الاسود الدؤلي مثلاً ، ولكن كيف كنت تهتدي إليها لولا هذه الفهارس القيّمة التي أصبحت في الواقع جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه في الكتاب . ولا شك أن عمل الفهارس عمل على ناءض في العصر الحديث <sup>(١)</sup> وإذا كانت تلك الموسوعات القديمة ينقصها هذا العمل العلي الذي يبرز قيمتها ويجعلها في متناول يد الباحث فإن الأزم ما يلزم الآن هو إضافة هذا الجزء الحى إلى تلك الموسوعات . فإذا كان في الخزانة — بصورتها الاولى — هذا النقص فإنه نقص عام لم تدع إليه الحاجة في العصور الماضية . أما الآن فأنت تستطيع أن تهتدي إلى كل جزئية من جزئيات هذه المادة الغزيرة .

ولنعد الآن إلى صلب الكتاب .

ماذا صنع البغدادى في سبيل الحصول على مادة يمكن الوثوق بها ؟ إذا أردنا أن نجيب في كلمة قلنا : الامتحان .

ومن أين استمد البغدادى هذه المادة ؟ الجواب : من المصادر الاصلية .

أما مشكلة الامتحان فيطول شرحها . ولعلنا نصادف هذه اللفظة في ميدان آخر من

---

[ ١ ] مجلة الازهر - لقد عني العلامة المحقق أحمد تيمور رحمه الله بهذه الناحية فوضع لخزانة الادب فهارس عظيمة ورد وضعها في مقدمة النشر لهذه الطبعة من الكتاب .

ميادين البحث وأغنى به ميدان الرواية بخاصة رواية الحديث . ووسائل هذا الامتحان يمكن الوقوف عليها — فيما يختص برواية الحديث — في كتب فن مصطلح الحديث . أما فيما يختص بمشكلة الخزانة فقد أخذ البغدادي بمبدأ أنه لا يصح الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله ، « وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً أو مولداً أو لمن لا يوثق بكلامه ، ولهذا — كما يقول البغدادي — اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح وفحصنا عن قائلها حتى عزونا كل بيت إلى قائله — إن أمكننا ذلك ، ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، وميزنا الإسلامي عن الجاهلي ، والصحابي عن التابعي وهلم جرا ، وضمننا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ، وإن كان من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة أوردناها كاملة وشرحنها غريبها ومشكلها ، وأوردنا سببها ومفشاها ؛ كل ذلك بالضبط والتقييد ، ليعم النفع ويؤمن التحريف والتصحيف وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ، ويدفع احتمال ضعفه » . هذا ما يصنعه البغدادي لتقديم مادة موثوق بها . وهكذا نرى أن ما يتطرق إلى ذكره من رواية تاريخية أو ترجمة أو نص من النصوص ليس في الواقع إلا زيادة في توثيق هذه المادة . وهذا يحمد له من الناحية العلمية . وتبقى مشكلة عامة هي مدى الثقة بمن يستشهد بكلامهم في اللغة وهي مشكلة كان لا بد للبغدادي من مواجهتها . وهنا نجدد يعرض لنا آراء العلماء السابقين فيها .

وهؤلاء السابقون قسمان : قسم يعتمد على الشعر ويستشهد به وقسم يعتمد على غير الشعر . والفريق الأول تواجهه مشكلة طبقات الشعراء ؛ فزاهم يقسمون الشعراء طبقات بحسب الثقة التي يمكن أن تمنح لكل . فطبقة الجاهليين وطبقة المخضرمين يستشهد بشعرهما إجماعاً . وتأتي الطبقة الثالثة وهي طبقة المتقدمين الذين عاشوا في صدر الإسلام ، والصحيح صحة الاستشهاد بشعرهما رغم اللحن الذي وقف عليه بعض العلماء في شعر كثير من شعرائها . أما طبقة المولدين أو المحدثين فلا يستشهد بكلامها مطلقاً ، وإن كان الزحشرى في كشفه قد سن قاعدة جديدة فيما يختص بشعراء هذه الطبقة ، وهي استشهاده بشعر لأبي تمام ، وقوله : « أجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » ، وكانت حماسة أبي تمام من أوثق مصادر علماء اللغة . ولعل توثيق شعر أبي تمام يرجع إلى تقسيم آخر لطبقات الشعراء يتفق مع التقسيم الأول في أمر الطبقات الثلاث الأولى ولكنه يجعل المولدين طبقة ، وتليها طبقة المحدثين ،

كأنى تمام والبحترى ، ثم طبقة المتأخرين كأنى الطيب المنفى . ولكن هذا رأى يرجحه سابقه .

أما غير الشعر فهو القرآن والحديث ، والقرآن حجة فى متواتره وشاذه . أما الاستدلال بالحديث فقد اختلف العلماء حول الاستشهاد به نظراً لإمكان الرواية بالمعنى . ولستنا إذا ذكرنا التشديد فى الضبط والتحرى فى نقل الاحاديث عند النقلة والمحدثين جاز الاستشهاد بما يغلب على الظن صحته منه . وحتى ما يمكن أن يكون قد روى بالمعنى فتد روى فى زمن كانت اللغة فيه ما تزال فى مهدها نقيّة صحيحة (١) .

هذه هى المفهومات التى تطالعنا فى الخزانة حول توثيق المادة .

أما فيما يختص بالمصادر فقد ذكر البغدادى أجناس السكتب التى أفاد منها فى علم النحر وفى تفسير أبيات المعانى المشكلة وفى الدواوين والمجاميع الشعرية حتى طبقة المولدين والمحدثين ، كما أفاد من كتب الادب ، وكتب طبقات الشعراء ، وكتب فقه اللغة وكتب الامثال ، وكتب الاماكن والطبقات . وبمنظرة فاحصة لهذه المصادر ندين أنها هى المصادر الاولى والاساسية التى أمدت الخزانة بمادة غاية فى القيمة .

وهكذا نجد ما سميناه بالمنهج العام يتمثل فى نفس البغدادى بصورة أو بأخرى قبل أن يقدم على تأليف كتابه الضخم . وما تبقى من عناصر هذا المنهج ليس بشئ بجانب الثقة فى المادة والمصدر ، وهما متوافران - كما رأينا - بصورة كافية فى هذا السكتاب .

عز الدين اسماعيل

مدرس بكلية الآداب - بجامعة إبراهيم

[١] المجلة - لفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر تحقيق فى ذلك تضمنته مقدمته التى كتبها السكتاب [ المنفى عن الحفظ والسكتاب ] ط . السلفية .

## الأردن في أيام الحروب الصليبية

في أيام الحملات الصليبية اتخذ الصليبيون في منطقة البلقاء والأردن إمارة لهم في الكرك وما حولها جعلوها قاعدة حرية يهاجمون منها البلاد الإسلامية والعربية في الحجاز ومصر وأنحاء سوريا حتى قضى عليهم صلاح الدين قضاء مبرما بعد انتصاره على الصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣ هجرية .

ذكر وزير صلاح الدين الأيوبي القاضي بهاء الدين بن شداد في كتابه «سيرة صلاح الدين» ص ٤٩ : أن السلطان صلاح الدين سار من دمشق على رأس جيشه ، في يوم ٢٧ من ربيع الآخر سنة ٥٧٩ هجرية حتى أتى بيسان فوجد أهلها قد رحلوا عنها وتركوا ما كان من ثقل الأقدسة والغلال والامتنعة ففتحها عسكر المسلمين وحرقوا ما لم يمكن أخذه ، وسار السلطان وجيشه حتى أتى (عين جالوت) وهي قرية عامرة وعندها عين ماء نعيم بها ، وكان قد قدم عز الدين جرديك وجماعة من المماليك النورية وجالوا بموك أسد الدين حتى يكشفوا خبر الإفرنج (الصليبيين) فانفق لهم أنهم صادفوا عسكر الكرك والشوبك سائرين نجدة للإفرنج فوق أصحابنا عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا زهاء مائة نفر وعادوا ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد ، فاستبشر المسلمون بالنصر والظفر .

ثم إن صلاح الدين علم أن الإفرنج اجتمعوا في صفورية والقلعة ، فتبعهم بالجيش ونازلهم ونال منهم بالقتل والأسر ، وخرّب قلعة عفر بلا وقلعة بيسان وزرعين وهي من حصونهم ، ثم عاد منصوراً مظفراً مسروراً حتى نزل الغور ، ثم عاد إلى دمشق في يوم ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٥٧٩ وأقام بها إلى ثالث رجب سنة ٥٧٩ وخرج مراراً نحو الكرك وأرسل إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر أن يتقدم إليه بالاجتماع على الكرك ، فخرج العادل من مصر ومعه عدد كبير وذلك في رابع شعبان سنة ٥٧٩ . ا هـ ملخصاً .

ثم ذكر ابن شداد في ص ٥٣ أن صلاح الدين خرج من دمشق في شهر ربيع الآخرة سنة ٥٨٠ قاصداً مهاجمة الكرك وتتابع وصول الجيوش الإسلامية إليه من كل حذب وصوب وتتابعت العساكر بالوصول إلى الكرك حتى أحرقوها بها وذلك في رابع جمادى

الأولى سنة ٥٨٠ هـ وركب آلات المنجنيق على المكان وقد التفقت العساكر المصرية والشامية والجزرية ، ولما بلغ الإفرنج ذلك خرجوا براجلهم وفارسهم للدفاع عن السكرك وكان على المسلمين ضرر عظيم من وجود الصليبيين في السكرك وما حوله لقطعهم الطريق عن قصد مصر بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج إلا مع العساكر الجملة الفقيرة ، فاعتم السلطان صلاح الدين بهذا الأمر ليكون الطريق سابلة إلى مصر .

ولما بلغ السلطان صلاح الدين خروج الإفرنج تبعاً للقاء ، وأمر العساكر بالخروج إلى ظاهر السكرك ، وكان الفرنج قد نزلوا في موضع يقال له الواله وسار حتى نزل على قرية حسان قبالة الفرنج ورحل منها إلى ماعين والإفرنج مقيمون بالواله ثم رحلوا قاصدين السكرك فسار بعض العساكر وراهم فقاتلهم إلى آخر النهار ، ولما رأى السلطان تصميم الإفرنج على السكرك أمر العساكر أن يدخلوا الساحل لخلوه من عسكر الصليبيين فهاجموا نابلس وغنموا ما فيها ولم يبق فيها إلا حصنها وأخذوا جنين والتحقوا بالسلطان في رأس الماء ومعهم الأسرى من العدو ثم عاد صلاح الدين إلى دمشق وأعطى العساكر دستوراً لإجازة .

وقد انتهت مهاجمات صلاح الدين للسكرك وما حوّلها بعقد هدنة بينه وبين البرنس أرناط الذي لم يلتزم بشروطها بل نقضها واعتدى أثناء الهدنة على قافلة عظيمة للمسلمين غدرأ - كمادة الفرنجة في كل زمان وإلى هذا الزمان ، فهم لا يوفون بمعاودة ولا يلتزمون بهدنة ، وإنما يخضعون ويضططون رموسهم للقوة القاهرة التي ترغمهم على الإذعان . وهذا ما يجب أن يفهمه جيداً قادة المسلمين والعرب وأولياء أمورهم حتى يسهل عليهم حل مشاكلهم مع الدول الغربية حلاً عملياً .

قال صاحب حماة تاج الدين شاذنشاہ بن أيوب في ص ٢٨٨ من منتخبات تاريخه في حوادث سنة ٥٨٢ هـ ما نصه : « في هذه السنة غدر البرنس صاحب السكرك وأخذ قافلة عظيمة من المسلمين وأسرمهم ، فأرسل السلطان ( صلاح الدين ) يطلب منه إطلاقهم بحكم الهدنة التي كانت بينهم على ذلك فلم يفعل ، فنذر السلطان أنه إن أظفره الله به قتله بيده . »

وقد حقق الله نذر السلطان صلاح الدين حين هزم الصليبيين في معركة حطين .

الصليبيون يهاجمون مدينة النبي ﷺ :

قال « تاج الدين بن شاذنشاہ بن أيوب في تاريخه الذي نشرت منتخبات منه بذيلى سيرة

صلاح الدين لابن شداد ص ٢٧٨ مانصه : « ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمس مائة ٥٧٧ هـ وفيها عزم البرنس ، أرناط ، صاحب الكرك على السير إلى مدينة الرسول ﷺ للاستيلاء على تلك النواحي الشرقية ، وسمع عز الدين فرخشاه نائب عمه السلطان بدمشق ، لجمع جموعاً وقصد بلاد الكرك وأغار عليها وأقام في مقابلة البرنس ، ففرق البرنس جموعه وانقطع عزمه عن الحركة . »

ثم قال تاج الدين في صفحة ٢٧٩ : « ثم دخلت سنة ٥٧٨ هـ وفي خامس المحرم منها سار صلاح الدين من مصر إلى الشام واجتمعت الإفرنج قريب الكرك ليكونوا على طريقه . »

#### أسطول صابى يهاجم الحجاز وسواحل البحر الأحمر :

قال تاج الدين شاعن شاه ص ٢٨١ و ٢٨٢ : « في هذه السنة ، ( ٥٧٨ ) عمل البرنس صاحب الكرك أسطولاً في بحر أيلة « العقبة ، وسير ، في البحر فرقتين فرقة أقامت على حصن أيلة « العقبة ، يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب ، « شواطئ مصر » يفسدون في السواحل ، وبغتوا المسلمين في تلك النواحي فلم يهتم « أى المسلمين » لم يعهدوا بهذا البحر . « البحر الأحمر ، لإفرتجا قط بل كان بحراً إسلامياً « صرفاً » ، وكان بهصر الملك العادل أبو بكر نائباً عن أخيه السلطان ، صلاح الدين ، فعمر أسطولاً في بحر عيذاب « بهصر » وأرسله مع الأمير حسام الدين لؤلؤ وهو متولى الأسطول بديار مصر وكان مظفراً شجاعاً ، فسار لؤلؤ مجدداً في طلب الفرنج وأوقع بالذين كانوا يحاصرون أيلة فقتلهم وأمرهم ثم سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول إلى الحجاز ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى فسار لؤلؤ يقفو أثرهم فبلغ ( رابع ) فأدركهم بساحل الخوار وتقاتلوا أشد قتال فظفروا الله تعالى بهم وقتل لؤلؤ أكثرهم وأخذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم إلى ( منى ) لينحروا بها وعاد بالباقيين إلى مصر وقتلوا عن آخرهم . »

ثم ذكر تاج الدين في ص ٢٨٩ خبر معركة حطين ، وحطين قرية بالقرب من طبرية : وخلاصة ذلك أنه في سنة ٥٨٣ هـ جمع صلاح الدين العساكر وسار بفرقة منها وضائق الكرك خوفاً على الحجاج من صاحب الكرك ، وأرسل فرقة أخرى مع ولده الملك الأفضل فأغار على بلاد عكا وتلك الناحية وغنموا شيئاً كثيراً ثم سار السلطان إلى طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوة بالسيف ، ولما أخذ السلطان طبرية اجتمعت الإفرنج وملوكهم بفارسهم



وراجلهم وساروا إلى السلطان والتقى الجمعان في يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ وإن جيوش المسلمين أهدقوا بالإفرنج من كل ناحية وأبادوهم قتلاً وأسراً وكان من جملة من أسر ملك الإفرنج الكبير والبرنس أرناط صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن الهنفرى ومقدم الداوية وجماعة الاسيتارية .

ثم قال تاج الدين في ص ٢٩٠ وما أصيب الإفرنج منذ خرجوا إلى الشام في سنة ٤٩١ هـ إلى الآن بمصيبة مثل هذه الواقعة ، ولما انقضى المصاف جلس السلطان ، صلاح الدين ، في خيمته وأحضر ملك الإفرنج وأجلسه إلى جانبه وكان الحر والعطش به شديداً فسقاه السلطان ماء مثلوja ، فسقى ملك الإفرنج منه البرنس أرناط صاحب الكرك ، فقال له السلطان : « هذا الملعون لم يشرب الماء بإذنى فيكون أماناً له » ، ثم كلم السلطان البرنس ووبخه وقرعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين ، مكة والمدينة ، ثم قام السلطان بنفسه فضرب عنقه ، فارتعدت فرائص ملك الإفرنج ، فسكن جأشه . ثم عاد السلطان إلى طبرية وفتح قلعتها بالأمان . ثم كان فتح القدس واستخلاصها من الصليبيين بعد جهاد دام نحو مائة عام حتى كان النصر المبين في يوم ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ وأعيدت القدس ومسجدها الأقصى وما حوله من ديار مباركة إلى حوزة المسلمين .

ويجب أن يعلم كل مسلم وكل عربي في أنحاء هذا العالم أن الغاية التي تقصدها الدول الكبرى إنجلترا وأمريكا وفرنسا وسواها من الدول الاستعمارية والجماعات المعادية للإسلام من صهيونية وتبشيرية وغيرها التي ساعدت على إقامة دويلة إسرائيل في فلسطين على أطلال مدن المسلمين والعرب وقرام وديارهم وتمكينها اليهود من فصل آسيا الإسلامية عن أفريقيا ومنع الاتصال بين بلاد العرب إنما تريد بذلك مقاومة الإسلام والمسلمين وتحقيق الغاية الرهيبة التي عجزت الحملات الصليبية خلال مائتي عام عن تحقيقها .

والواجب الدينى وواجب الشرف والكرامة يحتم على المسلمين والعرب كافة أن يوحّدوا صفوفهم ويشحذوا عزائمهم ويعملوا يداً واحدة متعاونين على إنقاذ فلسطين وإعادتها إلى الحضيرة الإسلامية والعربية كما عمل آبائهم وجدودهم المجاهدون ، وأن يعدّوا ما استطاعوا في قوة لهذه الغاية الشريفة ليعسّلوا هذا العار اليهودى الجاشم فى أطهر بقعة فى وطنهم وديارهم التى جمعت تربتها بدماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من المجاهدين فى مختلف العصور . والمرجو من الله تعالى أن يجعل ذلك اليوم قريباً ، ويؤمنه يفرح المؤمنون بنصر الله . ولننصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

محمد صبرى عابريه

من علماء الأزهر الشريف

## نظرات في الشريعة الإسلامية

### بين التقدير العيني والتقدير النقدي

إذا استعرضنا طريقة المعاملات في العصور البدائية نجد أنها كانت تقوم على أساس المبادأة . فكان الفرد يقوم بشراء ما يلزمه بواسطة ما يقدمه إلى الآخر من مواد . فالمزارع إذا أراد شراء شيء ما . لجأ إلى كمية من حاصلاته ليشتري بها ما هو في حاجة إليه . وكان العامل إذا أراد شراء طعام أو قوت لأولاده يعرض نفسه على الراغبين في استئجاره في مقابل إعطائه ما هو في حاجة إليه .

وهذه الطريقة البدائية المحضة وإن بدا فيها من المتاعب ، والحد من الحرية في التبادل ، حيث تجعل الإعطاء محصوراً بين طائفة معينة ، من الذين توفرت لديهم هذه الطلبات ، إلا أنها كانت تسدى للحياة العامة خدمة جليلة تأتي بطريق غير مقصود . فقد كان من أثر ذلك أن منعت تضخم الأموال حيث امتنع وجود النقد . فكان كل شخص يقصر همه على إنتاج مقدار ما يستطيع أن يستهلكه في قضاء رغائبه ، وسد حاجاته . فلم يكن هناك تضخم في الإنتاج ولم يكن — تبعاً لذلك — تضخم في السكّنز أو في الادخار .

وهذه الطريقة ظلت رديحاً من الزمن ، إلى أن اخترع النقد ، وأصبح هو الوسيط بين المتعاقدين ، وصار هو مصدر التقويم والشمين . وأصبحت السلع تأخذ حظها من التقدير بمقدار ما يبذل فيها من نقد تبعاً لقدرة الراغبين .

وطريقة التبادل وإن كانت قد انكششت باختراع النقود ، إلا أن ذيولها ما تزال تطل علينا في بعض الأحيان وفي بعض الأماكن . فلا تزال منها صور في بعض المعاملات الصغيرة بالقرية حيث ياجأ الريفيون إلى شراء سلهم ببعض الغلات الزراعية ، وإلى شراء الخضراوات بقليل من الحبوب أو بما يعطيه الدجاج من بيض . بل ما يزال التشغيل ، في مقابل إعطاء منتجات معينة موجوداً أيضاً ؛ فما يزال الحلاق والتجار وقارء القرآن وغيرهم يعملون طول العام في مقابل مقدار من الحبوب يعطى لهم في موسم الحصاد .

ولا تقف الطريقة التبادلية العقيمة عند هذا الحد ، بل إن الدول في معظم الأحيان تلجأ إليها ، وخاصة في الأيام الأخيرة بعد أن قتل المستعمرون في سبل السيوف في وجوه

الدول المنتجة ، فلجأوا إلى إعلان الحرب الاقتصادية عليها بفرض حصار تبادلى يقوم على التشكيك فى جدارة هذه الدول على الوفاء ، كى يهرب العملاء منها . وذلك مثل ما لجأت إليه إنجلترا من فرض هذا التشكيك على الاقتصاد المصرى كى لا يجد مصر مشتريا لقطنها . او كان من نتيجة ذلك أن انخفض سعره ، وانخفض سعر الجنيه المصرى فى الاسواق الدولية .

ولا وسيلة لمصر من الفكك عن هذا الحصار إلا بالعودة إلى النظام البدائى ، فتقوم بمبادلة منتجاتها بأخرى من الدول الراغبة فيها حسب اتفاق حر يعقد بين الطرفين . وفى هذا ما فيه من الحد من الحرية بعدم فسخ المجال للدشترين المنافسين . ولكنه على كل حال ضمان لها من الكساد والبوار .

وبعد هذه اللمحة العارضة عن التبادل العيى والتبادل النقدى ، نرى أن كل نوع منهما لم يقيم على فلسفة أصيلة ، بل على منفعة مرئية . ولهذا نراه تارة يكون خيراً وتارة يكون شراً . وتقوم التجارة الدولية على اهتبال الفرص الداعية للاستفادة من هذا الاختلاط العجيب ، فمن أدار العجلة بحكمة وفى حذق كان نصيبه الغنى والكسب . . ولقد انضم إلى هذه العوامل المؤثرة فى الماملة عامل آخر هو وجود الأوراق المالية . فقد لجأت الدول إلى تغطية عجزها النقدى عن القيام بمستلزماتها إلى إصدار سندات مالية على خزائنها . وهذه السندات - تبعاً لظروف دولية - كثيراً ما تنهض من العسير أن تنهض بالعبء الملقى على عاتقها . وكان من نتيجة هذا الاضطراب كله أن تنسامل : ما هى الوسيلة التقديرية فى الشريعة الإسلامية ؟

وسنجد الشريعة الإسلامية - وكأن الله تعالى قد ألم نبيه هذا الاختلاط العجيب - تتخذ التقويم العيى فيما تقرره من مقدرات تقوم فى سبيل الصالح العام كما فى الزكاة أو فى الديات أو فى الكفارات . وربطت التقدير على هذا الأساس حتى فى حالة الفقد والعدم يكون العدول إلى غيره باعتبار ما يساويه التقدير العيى ، كما ذهب إليه الإمام أبوحنيفة من العدول فى زكاة الفطر من الحبوب إلى النقد على أساس قيمة الحبوب .

وعلى رغم ما يبدو فى التقدير العيى من متاعب ، ومن حد للحرية إلا أنه إذا قورن بالتقدير النقدى للقيمة العيية أصبح المستوى الاقتصادى ثابتاً . ولكى يبدو الأمر جلياً أضرب لك مثالا : فرض الله على المسلمين زكاة الفطر ، وقد قدرت بواسطة التقدير العيى

بمقدار صاع أو أقل - حسب الآراء - فلنفترض أن الشرع بدل أن يقدرها بصاع راعى ثمنها وقت التشريع ، أو لم يراع الثمن وقد ابتدأ مقدراً معيناً من الدراهم أو الدينار . فإذا يحدث ؟

يحدث أن الأسعار تتفاوت فترتفع تارة وتنخفض أخرى . فإذا ارتفعت الأسعار ثم أعطى الفقير هذا المقدار الثابت من الذهب أو الفضة كان فيه غبن عليه ، لأنه لا يستطيع أن يشتري به شيئاً ذا أهمية يكفيه ، ولو انخفضت الأسعار وقد قدر على المعطى هذا المقدار عينه لغبن ، لأنه يستنفد في الحصول على هذا المقدار المعين من النقد كمية كبيرة من إنتاجه نظراً لانخفاض الأسعار ، فيكون في هذا غبن عليه .

أما في حالة التقدير العيني فلا يخضع لهزات الأسعار المتأرجحة المضطربة . ثم عالجت الشريعة الإسلامية الحد من هذا التبادل العيني بأن أباح بعض الفقهاء تقويم العين بالنقد ثم استبدالها بالنقد . وهو منتظم في سبط العدالة التي من أجلها شرع التقدير العيني ١ .

وإذا عرف أن الزكاة ما هي إلا نسبة من الإنتاج تستهلك على العاطلين عن هذا الإنتاج من الضعفاء والمرضى والمساكين ، تبين أن النسبة بهذا التقدير العيني ثم العدول عنه إلى التقدير النقدي - في بعض الحالات - لا يجعل هذه النسبة تتغير بحال من الأحوال .

ولندع هذا المثال لنرى وجهاً آخر ، وهو ما جرت عليه الشريعة عند التقدير في الديات وفي الجروح وفي غيرها من الأرض ، نجد أنها لجأت إلى التقدير العيني الذي ينتهي بالتقدير النقدي عند أبي حنيفة - وكنا ونحن في مدرجات السكينة وما زلنا قليلي الخبرة بأسرار هذه الشريعة نتساءل : ما حكمة هذا التقدير بالإبل في بلاد تنعدم فيها الإبل أو تقل كمصر مثلاً ؟ ولماذا لا تكون الدية مقدراً معيناً ثابتاً من النقد يصدر به القاضي حكمه من غير ما تقويم أو تعديل ١٤ ؟

والجواب عن هذا التساؤل أننا لو نظرنا إلى ما ذكرته في المثال السابق لوجدنا الحكمة هنا أيضاً بادية ظاهرة . فلو قدرت دية الرجل بجزء معين من النقد ، لكانت هذه الدية عرضة للتفاوت العجيب نظراً لتفاوت أسعار الذهب والورق بين حين وحين ، ولسكثرتة أو قلته في أيدي الناس في كثير من الأحيان . وفي جزيرة العرب نعلم حيث أصبح

الزيت موردًا ضخمًا للتقود يظهر الفارق الشاسع بين حكمة التقدير العيني والتقدير فلو جعلت الدية مقداراً ثابتاً من الذهب لكان على سائق السيارة الذي يتقاضى مبلغاً كبيراً من النقد دفعها ، ولا أصبحت الأرواح رخيصة هينة . ولكنك لا تجد هذا الهوان إذا رجعت إلى التقدير بالابل . . فإن السلع يطرد ارتفاع ثمنها اطراداً مناسباً مع وجود النقد . فكلما كثر النقد ارتفعت الاثمان . ولهذا أصبح ثمن الجمل في الجزيرة العربية الآن أضعاف أضعاف ما كان عليه من قبل . فإذا رجع في الديات إلى التقدير العيني كانت النسبة محفوظة وثابتة .

وعند التدقيق والبحث نرى أن أسعار الأشياء قد يعرض لها من الأسباب ما يجعلها تتأثر هبوطاً أو صعوداً ، كما في حالة نشوء وباء عام في الحيوانات مثلاً ، أو إصابة الأرض بندرة المطر . وقد لاحظ كثير من الفقهاء هذه الظروف الاستثنائية ، واعتبرها حالات عارضة لا تصح أن تكون الحكم الفاصل ، بل رأى العود إلى الوسط في كل شيء ، من الزمان والمكان ، حتى تتلافى هذه الظروف الطارئة .

ولعل في تحديد الشرع الدية تحديداً واضحاً ، لم يترك فيه للقاضي حرية التصرف تقديرًا كبيراً لحرمة النفس البشرية ، وامتداداً للسواة المطلقة التي جسمها الإسلام ، وجعلها القانون العام بين الناس جميعاً . فلم يفرق بين دية الرجل العظيم أو دية الرجل البسيط كما نشاهد في الشرائع الوضعية التي قد تمنح تعويضاً لقتيل محترم عدة آلاف من الجنيهات ، بينما تقضى على قتيل من الطبقة الدنيا بعدة مئات . ومن الطريف أيضاً أن تشير إلى احترام الإسلام لقيمة النفس البشرية فلم يترك الدم يذهب هدرًا كما نشاهد أحياناً في مجتمعاتنا الحاضر ، بل لا بد للدم من ثمن . فهو في حالة العمد القصاص إلا أن يعفو فالدية . وفي حالة الخطأ الدية على العاقلة ( الإخوة ثم بنى الإخوة ثم العمومة ثم بنى العمومة ) فإن لم يقدرُوا على الوفاء انتقل إلى بيت المال . بل بالغ الإسلام في مقابلة الدم بالجزاء حتى في حالة جهل القاتل وعدم معرفته ، حيث شرع القسامة فأوجب بها على أهل كل محلة وجد بها قتيل أن يتحملوا دية احتراماً للنفس البشرية أن تذهب مع الريح بلا ثمن أو جزاء (١)

[١] بتفصيل وشروط مذكورة في كتب الفقه .

ويمضى الشرع على سننه في جميع التشريعات التي يلاحظ فيها حاجة الفقراء فنراه يستعمل التقدير العيني في الكفارات المختلفة . فيبدأ في مراتبها بمتق الرقة ، ثم بإطعام عدد معين من الفقراء أو كسوتهم ، ثم بالصيام . وذلك تبعاً لنوع الكفارة وتفاوتها بين الشدة والنعيف ، ولكنها على كل حال لا تخرج عن أن يكون التقدير العيني هو محورها ومركزها .

ولا ينتقل الشرع الحكيمن من التقدير العيني إلى التقدير النقدي إلا في الجزية حيث إنها لا تنهض على أساس أنها نسبة معينة من المال ، بل على أساس أنه التزام محدد يقوم على عقد محترم ، فلهذا كان التقدير بالنقد هو مداره حتى لا يتعرض للاضطراب والخلاف . وكما لوحظ في الجزية ذلك لوحظ أيضاً في الخراج - عند بعض الفقهاء - لجعل التقدير فيها أيضاً بالنقد للمعنى السابق عنه .

وإذا كان الشارع قد لاحظ التقديرين عند ما تدعو الحاجة إلى استخدام أحدهما ، واستعماله دون الآخر ، فإننا نراه قد ألغى التقدير في الأشياء التي تتعرض للأخذ والعطاء والجذب والإرخاء ، وتعرض للتفاوت في الأحوال والأزمان ، بل ترك تقديره إما للحكم عند القضاء ، أو للتراضى عند الاتفاق . فنراه ترك أمور النفقة والمهور وأجر الحضنة وغيرها من الأمور إما إلى حكم القضاء الذي يقدر الظروف والملابسات ، وإما إلى التراضى والاتفاق .

ولعلنى بذلك قد وفقت إلى تجاوية سر من أسرار الشريعة الإسلامية ، ذلك الكنز الزاخر بكل رائع وعجيب حينما استعملت التقدير العيني ، مما كان مريض تسأول من بعض الواهمين .

المعير الشريفي الشرباصي

مدرس بالمعهد الديني بالكويت

# موقف الاسلام

## من حوادث مراکش ومعاهدة ليبيا

### حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

قال مندوب الاحرام :

أديت فريضة المغرب أمس مع فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الازهر .

وعقب الصلاة اتجه إلى الله رافعاً يديه نحو السماء ، داعياً أن ينصر الله الإسلام ، ويحرر بلاد العرب من الاستعمار والمستعمرين ، ويخلصها من الاذناب الموالين للأعداء .

أذناب الاستعمار شر خلق الله :

ثم التفت فضيلته إلى ، وقال : إن شر ما تصاب به الامم المستعمرة أن يحدد أعداء البلاد من بينها أتباعاً وأشياء وأذناباً يخونون ربهم ووطنهم ، ويفقدون كرامتهم وإنسانيتهم فيعملون في خدمة أولئك الأعداء على حساب البلاد التي فتوا فوق أرضها واستظلوا بسماتها وشربوا مائها ، وهؤلاء هم شر خلق الله ، وأبعدهم من رحمته ورضاه ، لأنهم منافقون : يقابلون مواطنيهم بوجه وطني ، ويقابلون أعداء البلاد بوجه استعماري ، لا يثقون في أنفسهم ولا يؤمنون بوطنهم ، ويدعون إلى الهزيمة والخيانة : في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم .

### حوادث مراکش :

فسألته عن رأى الإسلام فى الأحداث الجارية فى مراکش وما تمخضت عنه من خلع سلطانها الشرعى .

فقال فضيلته : إن مراکش وبلاد المغرب الأقصى تعد من أعرق الدول الإسلامية فى التاريخ ، ولقد أخذت طريقها إلى مجدها ونهضتها من قديم ، حتى ضرب عليها الاستعمار الفرنسى حمايته قبيل الحرب العالمية الأولى وكاد لأهلها شراً ... وأبى الوطنىون المسلمون أن يخضعوا لهذه الحماية التى يأبأها الإسلام وترفضها كرامة العروبة ... فسقط فى ميدان الجهاد كثيرون من أبنائها ، وشرذ المجاهدون وسجنوا . وسجل الاستعمار وثيقة حمايته للبلاد قسراً ، وفرض عليها قيوداً . وما من يوم مر بتاريخ هذه البلاد إلا يسجل فيه الاستعمار خزيًا جديدًا ، واعتداء سافرًا على حقوق الوطن والوطنىين فى تونس ومراكش . ولما أعيتهم الحيل لجأوا إلى أحدث أساليب الاستعمار فزقوا وحدة أبنائها المسلمين ، وخلقوا منهم شيعة يضرب بعضهم رقاب بعض لصالح الاستعمار نفسه .

ووجد الخونة الذين يبيعون بلادهم بأبخس الأثمان للمحتلن ويعينونه على خلع السلطان الشرعى للبلاد ... ولا شك أن الإسلام يأبى الخضوع للمستعمرىين ويطالب بتقليم أظافر المعتدين .

### المعاهدة البريطانية فى ليبيا :

وسألت شيخ الأزهر عن رأيه فى المعاهدة الإنجليزىة التى عقدتها ليبيا أخيراً . فقال فضيلته : إن الاستعمار ملة واحدة . . . والذى يقرأ نصوص المعاهدة الليبية يدرك تمامًا أهداف المستعمرىين من تثبيت قدم الاحتلال فى هذه المنطقة العربىة ... ولقد صدر بيان هيئة كبار العلماء وحدد المسئولية الإسلامية بشأن هذه المعاهدة والأحداث الجارية فى مراکش .

### الدول تنحرف كالأفراد :

ثم أضاف فضيلته قائلاً : إن الدول تنحرف أحيانًا كما ينحرف الأفراد ، وتعاقب على خيانة



العهد وموالاته الأعداء . . ومن نكد الدنيا وفساد الطبائع أن يجد أعداء الإسلام من أرباب المنافع الشخصية في البلاد قوما يودونهم ويوالونهم ويعملون لدعم قواعد احتلالهم لأوطانهم ، وتحقيق أهدافهم الاستعمارية ، ومعاونتهم في القضاء على الدين والدولة والأوطان ، إما جرياً وراء نفع مادي ، وإما خشية سوء العواقب . وذلك على الحالين مرض في القلب ، وخيانة لله والرسول ، ونفاق ياباه الشرع وتمتته المروءة ويرفضه القرآن الذي قال عنهم : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين . »

### لا مودة لأعداء الله والوطن :

واستطرد فضيلته فقال : لقد حرم الإسلام مودة أعداء الله ورسوله بالغة ما بلغت صلتهم بالإنسان ، حتى لو كانوا آباء أو أبناء أو أهلاً أو عشيرة ، فما بالك بأعداء لا تربطنا بهم إلا أسوأ صلة هي صلة الاستعمار والاضطهاد . والله سبحانه وتعالى يأمرنا بالاستعداد دائماً لمحاربتهم ومقابلة قوتهم بالقوة فيقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، . »

ويجرد أنصارهم من الإيمان فيقول تعالى في قرآنه العظيم : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . »

### وجوب التكفل لمواجهة الاستعمار :

وقد أمر الله المسلمين في جميع بقاع الأرض بأن يتكفلوا وأن يواجهوا أعداءهم صفاً واحداً وأن يقلبوا أظافر الخونة الذين يوالون أعداء الدين والوطن ، وأن لا يضعفوا أمام أية عاطفة في سبيل جهادهم فقال تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين . »

الإسلام ومعاودة الأعداء:

وقلت لفضيلة الشيخ الأكبر إني أطلب رأياً في هذه المعاهدات التي تعقد بين هذه الدول الغادرة والبلاد العربية المنكوبة ، وهل هي نوع من ولاية الكافر على المؤمن ؟ وما هو رأى الإسلام فيمن يتولى عقدها مع هؤلاء الأعداء خشية بطشهم أو قصد الحصول على أمارهم ، في سبيل بيع حرية البلاد ويفضلهم على بنى جنسه وعروبه ١١٩

فقال فضيلته : لقد أجاب القرآن الكريم إجابة حاسمة عن كل هذا في آية صريحة واضحة لا شبهة فيها ولا التباس فقال تعالى : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتفون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً » .

قصيدة للأستاذ الأكبر:

وختم الأستاذ الأكبر حديثه بأن أنشد قصيدته الجديدة التي صاغها لمناسبة الأحداث الجارية في مراکش وليبيا وتونس ، وقد جاء فيها :

لا تسامى كلما خضت غماراً	وإذا رضت جواداً لا يجارى
هات من عزمك ما ترقى به	أمة هيضت جناها وقفاراً
إن يصح العزم من قوم فلا	يلتقى شأنهم إلا تباراً
ولقاء الموت في ذودك عن	ساحة يكسب ذكراك فخاراً
فأسأل المغرب كيف امتلكوا	بعد الاستعمار زرعاً وعقاراً
أبرموا العهد ولم يوفوا على	أنهم لا قوا كراماً وخياراً
ورعينا منهم الجار ولو	أنصفونا حمدوا منا الجوارا
لا رعى الله عهداً قد كوت	بلفظ الضيم صغراً وكباراً

وختم الأستاذ الأكبر حديثه قائلاً : « إننى أنتمنى على الله أن أعيش حتى أشهد مصرع الاستعمار في كل البلاد الإسلامية والعربية » .

فقلت لفضيلته : حياك الله . وأحياك حتى تبلغ منك ، فهى منى جميع العرب والمسلمين .

# نظرات في كتاب الأصول ونظيرة الفقه الإسلامي

تأليف الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

نشر دار الكتب الحديثة ١٤ شارع إبراهيم باشا بعابدين . يقع في ٥٢٤ صفحة

## — ٢ —

قدمت في جزء شوال ١٣٧٢ من مجلة الأزهر الغراء الجزء الأول من نظراتي في هذا الكتاب الجليل الذي يستحق كل ثناء ، والذي هو نمط جديد في دراسة الفقه الإسلامي ينبغي أن يحتذى ويمتثل ، وإن من الخير أن يقبل عليه طلاب الشريعة فيفيدوا منه معارف تبصرهم بالفقه على أحسن وجه ، بجانب الدراسة للفروع والنقاش في أدلها .

واليوم أقدم الجزء الثاني . ومن قصر النظر أن يظن ظان أنها تخض من الكتاب أو تال منه . وإنما هي أمور يختلف فيها النظر والباحثون ، وللؤات الفضل والفوق ، وله الذكر الحسن الجميل ، والكتاب آية في حسن التأليف ودقة النظر وسداد الأفكار .

٦ — يعرض المؤلف لعمل الصحابة الفقهي في عدة مواطن ، ويبدو في كلامه ما يستوجب النظر .

(١) ففي ص ٤٨ يذكر أن كبار الصحابة كانوا لا يقتنون في أحكامهم إلا بما يرجع للقرآن والسنة ، وأنهم يحنون إلى الرأي والقياس إن لم يجدوا إلى غير هذا سبيلا . وفي ص ٤٤ يقول : « وهكذا نرى الاختلاف في عهد الصحابة يرجع إلى هذه الأسباب وأمثالها . ولا يكون إلا حيث لا يجدون نصاً محكما في القرآن أو سنة لا ريب فيها عند الرسول . وفي هذه الحالة يكون الاجتهاد بالرأي والقياس ؛ كما يكون الأخذ بالمصالح المرسلة ،

وانظر بعد هذا ما يقوله في ص ١٣٣ في الحديث عن المصالح المرسلة : « ومن ينظر في تشريعات الصحابة والتابعين ومن إلهم من الفقهاء المجتهدين يعرف يقيناً أن هذا الأصل قد روعي في كثير من تلك التشريعات . بل إن من هؤلاء من عمل على تأويل بعض النصوص

أو لإهمال القياس رعاية لهذه المصالح المرسله وتحقيقها ، قصداً إلى المصلحة العامة فيما سنوا من تشريعات .

وقبل هذا في نفس الصفحة يذكر أن من شرط المصالح المرسله ألا تعارض دليلاً من أدلة الشريعة .

وهنا يحس القارئ بعض الحيرة في الأخذ بالمصالح المرسله . فهي لا يعمل بها إلا عند فقد الدليل ، وهذا في بعض المواطن من الكتاب . وفي بعض المواطن يؤول النص لأجلها ويهمل القياس . وعبارة تأويل النص عبارة مخففة ، قد تشمل لإهمال النص ؛ فقد مثل المؤلف في هذا المقام بعمل عمر في الطلاق الثلاث وهو إهمال للدليل لتأويل له ، وبمنعه المؤلفة قلوبهم من الزكاة مع الأمر بذلك في القرآن . وانظر في ذلك ص ١٢٤ .

ويجد القارئ بعض الحيرة أيضاً في حديثه عن قسمة سواد العراق . ففي ص ٣٨ يذكر أن عمر امتنع من القسمة استناداً إلى آية الحشر . وفي ص ٨٦ يذكر أنه لم يجد له في ذلك سنداً إلا المصالح المرسله . ويقرر هذا أيضاً في ص ١٣٤ .

( ب ) والذي يجب الأخذ به البتة وعدم الحيدودة عنه تقديم الكتاب والسنة على ما عداهما من القياس والمصالح المرسله ، ويكاد هذا يكون لإجماع المسلمين ، وهذا ما قرره المؤلف في أكثر من موطن ، والمهم التزامه في تطبيق ما يؤثر عن الصحابة وتفسير أعمالهم على هذا الأصل .

وسأخذ في ذكر بعض الفروع التي عرض لها المؤلف وفنارى الصحابة فيها :

فمسألة قسمة سواد العراق ينبغي أن يجنب عمر فيه النظر إلى المصالح المرسله ، مع وجود النص ، وللعلماء في ذلك أوجه وأنظار ، فهم من حمل ذلك على استطابة عمر أنفسهم الغانمين فنزلوا عنها باختيارهم ، وبعضهم يرى أن نص الغنيمه محمول على ما إذا أراد الإمام ذلك فإن رأى أن يقسم بطريق الفء كان له ذلك . وقد بسط الكلام في ذلك أبو عبيد في الامرال . وقد حمل العلماء على هذا تنزيه عمر أن يقع في مخالفة النص ، وقد كان وقافاً عند كتاب الله وسنة رسوله . ووصيته لابن موسى معروفة وفيها تقديم الكتاب والسنة على الرأي ، أفكان يوصى غيره بأمر وبخالفه إلى سواءه !

ومسألة الطلاق الثلاث إذا وقع بلفظ واحد أوردتها المؤلف في ص ٤٠ وذكر فيها حديث ابن عباس أن الثلاث كانت تعتبر واحدة في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وأبي بكر وصدر عهد عمر . وأن عمر لم يرقه ذلك فأَمْضاه ثلاثاً عقوبة للناس إذ أكثروا من الطلاق وتنايعوا فيه .

والفقيه في مثل هذا عليه وزن الاخبار والتدبر فيها ؛ وإلا اختلط عليه الامر وتدافعت الاصول فلا يدري بأيها يأخذ ، ويعيا بالحكم وتنسد عليه السبل . وكذلك مؤرخ الفقه عليه أن ينظر إلى اعتبارات كثيرة ؛ وإلا زل في حكمه وركب متن الشطط .

إننا إذا أخذنا بظاهر هذا الاثر كان لذلك من الآثار ما لا ينادى وليده . سنة صريحة جرى عليها العمل في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر وسنتين أو ثلاثاً من عهد عمر ، ويعمد عمر إلى هذه السنة فينقضها ، ويشرع للناس ما لم يأذن به الله ولم يأت به الرسول عليه الصلاة والسلام لمصلحة رأها عمر . وثلاثة الاثنائي أن يوافق الصحابة ولا ينكروا عليه هذه المخالفة وهذا العدوان .

إن هذه المسألة أثارها ابن تيمية وابن القيم ولجبا فيها ، وركبا في ذلك ما كان خيراً لهما أن يجنباه . إن الفقيه عليه أن يتروى كثيراً ويقيس الامور ويرجح عند تعدد الأدلة ، وفي الاصول باب التماثل والترجيح ومن المقرر ألا يترك المقطوع به للظنون . ومن المقطوع به ألا يخالف عمر سنة صريحة ، وإذا أخذنا بظاهر حديث ابن عباس كانت مخالفة عمر أي مخالفة . وإذا فلا بد من تأويل الخبر والنظر فيه ، وهذا ما فعله العلماء من قبل وعدلوا عن الاخذ به .

إن ابن القيم وابن تيمية غلبت عليهما فكرة في هذا المقام فخشدا لها ما استطاعا من بيان وحجاج ، وأخرجتهما للجاجة عن الهدوء وعن سنن البحث العلمي .

ففي هذا الموطن من إعلام الموقعين يذكر ابن القيم في رواية حماد بن زيد أن ابن عباس أفق بوقوع الثلاث واحدة ، وأفق بوقوع الثلاث . وهو يسوى بين الفتويين عن ابن عباس

وليست سواء . فرواية حماد بن زيد عن سنن أبي داود <sup>(١)</sup> ، وقد زيف أبو داود هذه الرواية وأثبت أن هذا قول عكرمة مولى ابن عباس لا قول ابن عباس ، وأن قول ابن عباس هو وقوع الثلاث .

ويذكر ابن القيم أن وقوع الثلاث واحدة لإجماع قديم فيما ادعاه بعض أهل العلم - لعله شيخه - ولم تجتمع الأمة - والله الحمد - على خلافه . ويقول بعد ذلك : « وعلم الصحابة رضي الله عنهم حسن سياسة عمر وتأديبه لرعيته في ذلك فوافقوه على ما ألزم به وصرحوا لمن استفتاهم بذلك . » ألا تشبه هذه الموافقة الإجماع على خلاف الرأي السائد قبل عمر في زعم ابن القيم .

وتدفع الرغبة والتعصب للرأي ابن تيمية أن ينحل مذهب أحمد هذا القول ، وأحد ينكره بملء فيه ولا يأخذ به في حين أنه روى خبر ابن عباس في مسنده . ويسأل عن ذلك فيذكر أن ابن عباس كان يفتي بخلافه . ويحتج ابن تيمية أن من أصول مذهبه الأخذ بما يرويه الراوى وإن عمل بخلافه . وعلى ذلك فمقتضى هذا الأصل أن يكون مضمون حديث ابن عباس قولاً في مذهب أحمد . وهذا أخذ طريف واحتيال فالظنون أن أحمد إذا كان هذا من أصل مذهبه أن يكون ذا كراً له ، وأنه اطلع على علة في الحديث توجب طرحه .

ويذكر في هذا المقام حديث ركانة ، ففي بعض الروايات أنه طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فأمره الرسول عليه الصلاة والسلام بإرجعتها . وفي بعض الروايات أنه طلق امرأته مرة واحدة بلفظ ( البتة ) . والرواية الأولى تشهد لابن تيمية وابن القيم ، والرواية الثانية لا تؤيدهما . ويؤيد أبو داود الخبر الثاني ويرجحه لأنه مروي عن سلسلة من أهل ركانة ، وهم به أعلم ، وفي السلسلة الشافعي رضي الله عنه ، وهو من أهل بيت ركانة ، فأما الخبر الأول فقد رواه ابن جريج ويقول أبو داود عن الخبر الثاني : « وهذا أصح من حديث ابن جريج أن ركانة طلق امرأته ثلاثاً ؛ لأنهم أهل بيته وهم أعلم به ، وحديث ابن جريج رواه عن بعض بني أبي رافع عن عكرمة عن ابن عباس ، . وقد روى الخبر الثاني الذي فيه ( البتة ) الشافعي في الأم ٦/٦٩ ، وبعد هذا يقول ابن تيمية عن الخبر الثاني : إنه رواه قوم مجهولون وضعفه فلان وفلان .

وقد كنت لا أحب أن أطيل الحديث في هذا الموضوع الذى أثير في عهد مضى لولا أن المؤلف عرض له وأورده في معرض يقنع القارئ أن ماجرى عليه المسلمون في دهرهم الطويل من وقوع الثلاث كان مخالفاً للسنّة ، وأن عمر ومن لف لفه من جمهور المسلمين اتبعوا المصلحة العامة من تلقاء أنفسهم ، ونبذوا ما تعارفه المسلمون من قبل .

( ح ) وأورد المؤلف ص ٤٣ مسألة النقاط ضوال الإبل . وعحصلها أن النبي ﷺ نهى عن التقاطها حتى إذا جاء عثمان أمر بتعريفها بعد التقاطها وكان عمر يجعلها مؤبلة تتنازع لا يمسكها أحد كما في الموطأ ، وحمل النهى عن الالتقاط على الالتقاط للملك كما حمله بعض الفقهاء . وليس في هذا أخذ بالمصالح المرسلّة . بل هو فهم النص وتأول له . وفي الموطأ أن ثابت بن الضحاك التقط بعيراً في زمن عمر فأمره بتعريفه ولم ينكر عليه الالتقاط . وللفقهاء بحث في الحديث . وأنظر الزرقاني على الموطأ ٣ / ٢٢٤ وما بعدها .

( د ) وأورد في ص ٤٧ مسألة المسروق إذا بيع . فقد كتب معاوية إلى بعض عماله أن من سرق منه متاع فهو أحقّ حيث وجده ، وقد عارض هذا أسيد بن حضير وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغير ذلك ، فأصر معاوية على رأيه . وهذا الخبر رواه المؤلف عن الزماني ( ج ٢ / ٢٣١ طبع الهند ) ، وروى الزماني في هذا المقام حديثاً عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الرجل أحقّ بعين ماله إذا وجده ، ويتبع البائع من باعه . والظن بمعاوية رضى الله عنه أن يكون قد باعه هذا الخبر فأخذه ولم يبلغه خبر أسيد . وكان من الخير ألا يقدم المؤلف لهذا بما يشعر القارئ بالفدح في معاوية وأنه خرج عن سنن السلف الصالح ، وقد كان من جملة الصحابة وكتاب الوحي ، وله اليد في توسيع الفتوح في الإسلام .

( هـ ) وأورد في ص ١٣٤ مسألة حرمان عمر المؤلفات فلوهم نصيبهم من الزكاة ، وأنه خالف بذلك القرآن ، وعمر تأول آية الصدقات على معنى أن يكون الصرف في الأصناف الثمانية ولا يجب استيعابهم . وبهذا أخذ بعض الفقهاء .

٧ — في ص ٣٨ في الكلام على امتناع عمر من قسمة السواد ذكر أن عمر استند إلى آية الفؤء في الحشر ، وذكر المؤلف في الحاشية أن المراد بالنفء هنا الغنيمة . وهذا يعكس

القضية ؛ فإن المعارضين للقسمة كانوا يحتجون بأية الانفال في الغنائم وفيها التقسيم ، وعمر صرف السواد عن الغنيمة إلى النية الذي لا يعطى أربعة أخماسه المقاتلة كما يكون الأمر في الغنيمة . والنية ما حصل عليه المسلمون من الخيـر من غير إيجاف خيل ولا ركاب ، والغنيمة بخلاف ذلك . وفي أموال أبي عبيد ٦٠ في الحديث عن سفيان بن سعيد أنه كان يقول : « الخيار في أرض العنوة إلى الإمام : إن شاء جعلها غنيمة ، وخمس وقسم . وإن شاء جعلها فينا عاماً للمسلمين ولم يخمس ولم يقسم » .

٨ — ورد في ص ٤١ تفسير القرطبي وأن ابن مسعود يفسره بالطهر وزيد بن ثابت بالحيض . والأمر بالعكس .

٩ — في ص ٧٢ يذكر من كتب أبي يوسف اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى ، وهذا الكتاب نشر مع الام للشافعي على أنه من كتب الشافعي ، وفيه تعقيب الشافعي على آراء الفقهاء ، ويعتمد الشافعي على أبي يوسف في نقل آرائهما . والمفهوم أن الشافعي نقل ذلك من كتاب اختلاف الامصار لأبي يوسف الذي ذكره صاحب الفهرست في كتب أبي يوسف . وقد تبع المؤلف في هذا الشيخ الخضرى رحمه الله .

١٠ — في ص ١١٣ يذكر عن ابن حزم أن الزوج المعسر يجب نفقته على زوجته الغنية ، وأن هذا لا يخالف روح الشريعة . وكيف هذا مع قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

١١ — في ص ٩٩ يذكر عن الشيعة أنهم يرون أن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً للقادر عليه ؛ كما أنهم يرفضون القياس ما دام عندهم أثمتهم الذين لديهم علم الاحكام الشرعية بطريق الوصية . وكيف يكون الاجتهاد دون قياس ١٩ وفي الخضرى ٢٧٦ أن الاحكام عند الإمامية لا تنال بالاجتهاد والرأى ، وإنما تنال من قبل الإمام المصوم .

١٢ — في ص ٧٥ في نسب الإمام الشافعي يذكر عبد المطلب ، وإنما هو المطلب ، فالشافعي مطلق لا هاشمي .

والكتاب بعد هذا يستحق كل إجلال وعناية ، ويستحق المزايف كل حمد وثناء ؟

محمد علي النجار



## الرَّخَرَقُ عَنِ بَنَامِ

(١) اتجهت فلسفة بيكون Bacon بالتفكير الانجليزي نحو الوقائع المحسنة ، فتيهه هويز Hobbes بمذهبه المادى ولوك Locke بنظريته الإحساسية وهيوم بشكه وبنتام بنذهيته ، فكانت كلها جواوب من فلسفة وضعت لتحس الحياة العملية .

ويعد بنتام الممثل الاول لمذهب اللذة في العصور الحديثة ، فهو بالرغم من أنه يعد المؤسس لمذهب المنفعة إلا أنه لم يضع كلمة Utilitarianism بل تكلم عن Universalistic Hedonism أى مذهب اللغة العامة . قال جون ستويات ميل في رسالته ( مذهب المنفعة ) إن جميع القائلين بمذهب المنفعة من أبيقور إلى بنتام لم يريدوا بالمنفعة شيئاً يخالف اللذة بل أرادوا اللذة نفسها والخلو من الألم ، ولم يقولوا إن الشيء النافع يضاد اللذيذ أو ما هو من قبيل الحلوة والزينة بل قالوا إنه يشملهما ويشمل غيرهما ، ثم تطرق إلى تعريف مذهب المنفعة فقال : إنه المذهب الذى يتخذ أساس الأخلاق المنفعة أو السعادة الكبرى فهو مذهب يرى أن الاعمال خير بقدر ما تجلب سعادة أكبر وشر بقدر ما تجلب العكس . والمراد بالسعادة هو اللذة والبعد عن الألم .

نستنتج من هذا أن النظرية القائلة : بأن الاعمال ليست لها قيمة ذاتية ، وإنما قيمتها بقدر ما تحصل من السعادة ، تسمى نظرية المنفعة ، فغيرية الفعل وشريته إنما تكون على أساس قربها من المنفعة أو بعده عنها . فالعلامة بنتام يرى أن الانانية هي مبدأ يصدر منه الإنسان عن أفعاله ، وهو بهذا يقترب من هويز . ولكن هل يظل الفرد أنانياً بعيداً عن المجتمع ولا يرى إلا صالحه الشخصى دون صالح الجميع ؟ يلخص بنتام رأيه في ذلك قائلاً إن المقصود هو : أكبر سعادة لا أكبر عدد ، وهكذا أصبحت أخلاق الانانية أخلاقاً سامية على يديه .

وضع بنتام نظريته هذه ثم حاول أن يقرها من المجال العملى فأحصى الخيرات والشرور حصى معتمداً بذلك على قاعدة أسمائها ، الحساب الأخلاقى ، وهى قاعدة يناقش كل فرد على أسمائها أفعاله ، فيأخذ بالصالح منها ويترك الفاسد . فقبل أن يبدأ الفرد في عمل ما يجب أن يسأل

نفسه عن نتائج هذا العمل ، فإذا كانت النتيجة تحقق منفعة فمى حسنة والعكس صحيح ولما كان العمل لا يعد حسناً من كل الوجوه ولا يعد شيئاً من كل الوجوه أيضاً ، فإن من المحتم أن يجمع الفرد النتائج الحسنة والنتائج السيئة ، ثم يطرح السكيتين بعضهما من بعض وينظر في باقى الطرح فإذا كان حسناً كانت نتائج العمل حسنة ، وبذلك يقبل على هذا العمل بلا تردد ، أما إن كانت النتائج سيئة فيجب عليه أن يبتعد عن هذا العمل . ثم إن هناك شرطاً هاماً فى تلك العملية هى أن تراعى مصلحة المجموع ، أى الاسترشاد بمبدأ المنفعة والسير على هدها فمن يفعل ذلك يصل حتماً إلى تحقيق منفعته الشخصية ومنفعة عائلته ومنفعة وطنه بل منفعة الإنسانية جمعاء .

فالسؤال الذى يجب أن يوضع دائماً أمام الضمير هو : هل هذا العمل يحقق خيراً أو شراً للعائلة ؟ وإذا كان كذلك فما هو الذى يحققه للوطن ثم للإنسانية ؟ وهذا الحساب الذى يضعه الفرد نصب عينيه ويسير على مقتضاه عندما يشرع فى عمل من الأعمال أعطى لنظرية بنتام أهمية كبرى من الناحيتين القانونية والتشريعية ، فالقانون يمجّد العمل الصالح ويعاقب على ما يضر المجتمع . ويخيل إلينا أنه توصل إلى فكرة المنفعة فى الأخلاق عندما اكتشف أن المنفعة العامة هى الموضوع الحقيقى الهام لكل تشريع قانونى ، ويقول فى ذلك : « إن فكرة مبدأ المنفعة هى تيسير الوصول إلى السعادة عن طريق العقل والقانون ، .

ويضع بنتام أصلاً من أصول التشريع وهو العمل على إدخال الفضيلة ضمن فعل الضمير بدلاً من فرضها بالقوة ، ووجوب أن يكون النهى والعتاب على الشئ الذى يضر بمصلحة المجموع لا على الشئ الضار فى ذاته .

ويرى بنتام أن الفعل السيئ يجب أن يحكم عليه بأحكام مختلفة بالنسبة إلى من ارتكبه . فيجب مراعاة ما إذا كان مرتكب الفعل مالكا لكل قواه العقلية ، شاعرا بكل ماحوله أم لا ؟ وما إذا كانت عنده نية لإصرار على ارتكاب هذا الفعل أم أن ارتكابه كان من قبيل الصدفة ؟ وإذا كانت النية متوفرة فما هو مبلغ قوتها ؟ لا بد من مراعاة هذه الاعتبارات ووضعها فى الحساب ، فلا يصح أن يعاقب رجلان أحدهما قوى العقل والآخر نحبول ، حين ارتكابهما لذنوب واحد ، بعقاب واحد .

وهذه النظرية صحيحة من الوجهة العملية وإن لم ترتكز على أساس فلسفى متين من

الوجهة الاخلاقية ، وترجع صحتها - علميا - إلى الأساس الذى يتخذه كل فرد فى سلوكه ويسير على مقتضاه وهو : أعظم قسط من السعادة لا كبر عدد ممكن من الناس ، ، فإن من يتخذ هذا الشعار الجميل أسلوبا له فى الحياة ، لا يمكن إلا أن يكون خيرا ، إذ هو سيتحرى الدقة فى بحثه واستقصائه عن آثار الفعل الذى سيفعله ، فإن أخطأ فى التقدير فإن ذلك سيكون من باب الخطأ غير المقصود الذى لا يعاقب عليه .

٢ - ولا شك فى عظمة مبدأ بننام : أكبر قسط فى من السعادة لا كبر عدد ممكن من الناس ، ولكن على أى أساس يعتمد هذا المبدأ حتى يكون شعارا للأخلاق ؟ يعتمد على الواجب أم يعتمد على الانانية ؟ .

بالغ بعض المفكرين حين قالوا إن مذهب بننام يتضمن - من ناحية التطبيق - أن كل فرد يفعل واجبه بحيث لا يتعارض مع الآخرين ، وحين رأوا أن هذا المذهب ينتهى بالنوافق مع مذهب الواجب .

فذهب بننام يعتمد على الانانية ، إلا أنه حور نظرية المنفعة الشخصية وجعلها تنتهى بنظرية المنفعة العامة ، مع انتفاء العلاقة المنطقية بين القول بمبدأ السلوك وفن المنفعة أى : اسلك واعمل لمنفعتك ، وبين قول : اعلم وفق الواجب لمنفعة الجميع ، . وكل ما هنالك هو تلاعب لفظى ، فنحن لانعرف كيف ولماذا نبدأ بالمنفعة الشخصية وتنتهى بالمنفعة العامة . ألا نستطيع القول - تبعاً لهذا - أن بننام قد غير طريقه بلا شعور ، وأن من أخلاص لمذهب هوبز واستقى منه أساس مذهبه يكون متناقضاً مع نفسه حين يهتم بالمنفعة العامة ، فهذه لا تتفق والانانية ، زد على ذلك أنها أقل وضوحاً من المنفعة الخاصة .

ومن الطريف أن نذكر فقد سبّس لهذه النظرية ، هذا النقد الذى وضعه فى حوار صغير بين بفتامى وأخلاقي وهو :

الأخلاقي : أعتقد أن مبدأكم : أعظم قسط من السعادة لا كبر عدد من الناس ، مبدأ حسن ؟ البتاسى : نعم .

الأخلاقي : إذا رأى تسعون وتسعون شخصاً خيراً فى عمل معين ، ورأى مائة شخص شرم فى ذلك العمل . ألا يكون هذا العمل شراً حسب مذهبكم ؟

البتاسى : يقينا .

الأخلاقى : وسبب هذا هو زيادة شخص فى المجموعة الثانية عنه فى الأولى .  
البفتامى : قطعاً :

الأخلاقى : أنتم إذن تفرضون المساواة بين الأشخاص بدليل ترجيحكم الكفة الثانية ؟  
البفتامى : نعم .

الأخلاقى : وكيف عرفتم ذلك والناس مختلفون أشد الاختلاف فى ثرواتهم وقوام  
وذكائهم وشجاعتهم ... الخ .

البفتامى : ولكنى متأكد من تلك المساواة وأشعر بها .  
الأخلاقى : إنى لا أطلب زيادة عن ذلك . لأنكم قررتم كبداً مساواة قيم الأشخاص وأنتم  
بذلك تلاميذ مخلصون لكانت Kant ، وتدهشنى رقة تعاملكم وسموها فى حين  
أنكم فيما تعتقدونه نافماً تخلصون لهوبز ، فكفروا إذن عن هذا الضلال .

سعيد زهير

## ولاية الاسلام معلمون

خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى موسم الحج فقال :

« إنى والله ما أبعث إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى  
أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم ، وسنة نبيكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى ، فوالذى نفسى  
بيده لأقصنه منه ، » .

# أحمد بن حنبل

١٦٤ - ٢٤١

نشأته - صفاته - منزلته

لقد كتب كثير من الكتّاب في هذا الإمام العظيم فأكثروا ، وجدير بمثل هذا الإمام أن يكثر الكتّابون فيه ، وأن يكتبوا بإسهاب . وجدير بمثله أن يقرأ القارئون عنه ، وأن يقرأوا باستيعاب . لكثرة نواحيه الطيبة وما خلف من ذكريات خصبة . وأسأ حسنة كريمة .

وأما أنا فلا أعد وسبيلي عند الكتابة عن هؤلاء الأعلام من لمس مواضع العبرة استثير بها ما في نفوس كريمة من اعتبار وعظة ، وفي ذلك العون على الخير والرشاد المذشود على أن ثم مناسبة خاصة تحسن لها الكتابة عن هذا الإمام العظيم فقد كتبت بالعدد قبل هذا من مجلة الأزهر الغراء في إمام مثله يشبهه في عظيم القدر ، كان من الربانيين في العلم ، الموصوفين بالحفظ ، المذكورين بالزهد ، وكان الناس يحبونه ويحفون به . ويقدمونه على الملوك كما قلت عنه .

وهذه الصفات في الإمام أحمد بصورة أقوى وأظهر . على أن ما منحه الله ابن المبارك من سخاء فياض شكر الله على نعمة الثراء ، عوض الله عنه هذا الفقير الزاهد صبراً على الشدة والأواء . في ساعة يفجر فيها التقى ، ويضل فيها المؤمن القوى . وقد أيد قتيبة هذا الشبه القوى بين الإمامين في قوله خير زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب يريد الإمام أحمد . ذلك ابن حنبل عاصر ابن المبارك في بعض الزمن فابن المبارك عباسي ولد سنة ١١٨ وتوفي سنة ١٨١ هـ وأحمد عباسي ولد سنة ١٦٤ وتوفي سنة ٢٤١ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل من سلالة عربية ، والده محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ينتهي إلى بني مازن بن ذهل بن شيان ، ومن الناس من يقول شيان بن ذهل وهو خلاف لا يعنيننا كثيراً وإنما يعنيننا أنه عربي نزارى .

وقد قدمت به أمة بغداد وهي حامل به فولدته سنة ١٦٤ . ونشأ ببغداد يتيما فقد فارقه والده طفلا . واسكن عين الله رعته وتولته . فصار يطلب العلم ، والحديث من شيوخ بغداد . ويترحل بين الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة فيسكتب عن علماء ذلك العصر . وأهل الفارسي الكريم يعلم ما كان من إقبال على العلم في عهد أحمد التي تبدى في طلب العلم من عهد الرشيد وتنهى بعصر المتوكل .

نشأ أحمد يطلب العلم في ذلك العهد الذهبي للعلوم الإسلامية وهو حافظ ذكي ومهذب موفور . وقد أثر بجهده ووكده دراسة السنة النبوية فسمع من أعلامها أمثال حماد بن خالد الخياط <sup>(١)</sup> ومنصور بن سلمة الخزاعي <sup>(٢)</sup> والمظفر بن مدرك الخراساني <sup>(٣)</sup> وعثمان بن عمر ابن فارس <sup>(٤)</sup> وهاشم الكناني <sup>(٥)</sup> ومحمد بن إدريس الشافعي الإمام المعروف وغيرهم من أئمة الحديث والفقهاء ذكر منهم البغدادي ثلاثة وثلاثين شيخا ثم قال وخلق سوى هؤلاء يطول ذكرهم ويشق إحصاؤهم . ثم ذكر من حدث عن أحمد فذكر جماعة منهم بعض شيوخ الإمام ومنهم غيرهم كالبخاري ومسلم وأبي داود . والبخاري . وقد بلغ الإمام من منازل الرضا في نفوس الناس على اختلاف صنوفهم وفرقهم ونحلها ( هذا المعتزلة منذ عهد المسامون ) منزلة ليس فوقها إلا منزلة الأنبياء حتى زعم بعضهم أنه كان لا يعد من البشر وإنما يعد من الملائكة .

وشهد أهل العلم من المنافسين أنفسهم للإمام وأخذ عنه بعض شيوخه كما ذكرت لك . فحذا أثر من شهادة الرجال له ما نقله البغدادي والذهبي وغيرهم وإليك طرفا من ذلك .

(١) من تلاميذ الإمام مالك . كان محدثا جليلا وإماما في السنة .

(٢) من تلاميذ مالك أيضا كان من أخص الناس بالإيام وبالرجال سنة ٢٠٩ .

(٣) من أئمة الحديث المؤلفين بخراسان سنة ٢٠٧ .

(٤) من محدثي البصرة قدم ببغداد فحدث بها عن مالك أيضا . وكان أحدا إذا حدث عنه يقول رجل صالح ثقة .

(٥) من أئمة الحديث ببغداد . كان أحمد يعجب به وأهل بغداد أو يغفرون بطله ودينه سنة ٢٠٧ .

قال إبراهيم الحربي (١) سعيد بن المسيب في زمانه وسفيان الثوري في زمانه وأحمد بن حنبل في زمانه . ونقلت عن قتيبة أقوال كثيرة في الإمام . قوله لولا الثوري لمات الورع ولولا ابن حنبل لأحدثوا في الدين . وقوله : إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة . وقوله خير زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب . وقوله أحمد بن حنبل إمام الدنيا ولو أنه أدرك عصر الثوري والأوزاعي ومالك والليث لكان هو المقدم . وقال الطرخابادي : أحمد بن حنبل محنة يعرف به المسلم من الزنديق . وأنشد فيه ابن عيين :

أضحى ابن حنبل محنة مأدونه      وبحب أحمد يعرف المتنسك  
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً      فاعلم بأن ستوره ستهتك

وكان الهيثم بن جميل يقول : إن عاش هذا الفتى سيكون حجة على أهل زمانه . وقالوا إنه حرز من صلى على جنازته فكانوا ثمانمائة ألف من الرجال وستين ألف امرأة .

وزعموا أنه أسلم يوم موته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى وأن هذه الأصناف شاركت المسلمين في النوح عليه وهذا شيء قد لا يخلو من المبالغة ولكنه يلقى ضوءاً على هذا الإمام وما كان له من كثرة المريدين والأتباع . وأن العقيدة فيه بلغت مبلغاً عظيماً . وقد عرف في التاريخ ما كان للحنابلة بعد ذلك من خطر وقوة وكثرة أتباع في بغداد بما يؤيد منزلة الإمام في ذاتها . ويدل على طهر سيرته وقديسية عياله وبماته . وحسبك من رجل لم يتزوج إلا بعد الأربعين لإنقطاعاً للعلم وإقبالاً على العبادة . وحسبك ما أشهر من شهادة الإمام الشافعي له . وأخذه عنه في كتاب الام ما يذكره بقوله ( أخبرنا الثقة ) . وأنه قال خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أبقى من أحمد . وأنه ( الشافعي ) قال : رأيت ببغداد شاباً إذا قال حدثنا قال الناس كلهم صدق .

فلعل في أمثال هذه الشهادات الثابتة عن الإمام وغيره ما يلقى ضوءاً على منزلة أحمد وما أمده الله سبحانه به من توفيق ونجح . على أن للذهبي نقولاً أخرى قد ينظر إليها بعض الناظرين بمنظار من التحفظ لولا أنه لإمام عظيم موثق ولولا أن سيرة الإمام العامة تصدق

(١) كان إماماً في العلم ورأساً في الزهد عارفاً بالفقه والاحكام اتفق على الحبيب أموالاً طائلة وكان يقال لم يخرج من بغداد مثله سنة ١٨٥ .

جملة هذه الاخبار . فهو ينقل أن الإمام كان مورداً عذبا للناس على اختلافهم يبتجعون ساحته للدعاء والتبرك ، استوى في ذلك المسلم والمسيحي .

وأنه كان — مع هذا كله — يؤثر العزلة عن الناس جميعاً ويبالغ في إخفاء نفسه ولا سيما عن الحكام والملوك ، ويؤثر عنه في ذلك كتابه إلى بعض العلماء :

« أما بعد فإن الدنيا دام . والسلطان دام . والعالم طيب . فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره والسلام عليك ، .

وأنه كان يقول : لو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر . أريد أن أكون في بعض الشعاب في مكة حتى لا أعرف قد بليت بالشهرة حتى أني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً ، ويظهر أنه ترك الحديث في آخر حياته ليقاوم الشهرة ، وليدفع بنص هذه المنزلة . كما يدل على ذلك ما نقل عنه : ما جاني الفرج إلا منذ حلفت أني لا أحدث ولتتنا نترك .

وبعد فيظهر من كل ذلك ومن سائر أخبار هذا الإمام العظيم إن الله سبحانه كتب له من التوفيق والسعادة برضا الله والناس حظاً قل أن يتفق لأحد سواه . ذلك أنه كان خيراً محضاً ونصحاً لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم وزهداً وإعراضاً عن الدنيا وما فيها من مال وجاه وسمعة . وحسبك أنه اتخذ الرسول إمامه في كل شيء وأنه أخذ نفسه أن يعمل بكل حديث عرفه : حتى كان يقوم الليل دهره ويصلي بالليل كذا وكذا ركعة . وتأتبه الأموال من كل جانب فلا يقبل منها شيئاً . ويؤثر هلى ذلك أن ينسج التسكك ويبيعها . وبلغ من مبايعته للنبي ﷺ أنه قال : مر بي أن رسول الله ﷺ احتجم وأعطى أباطية ديناراً فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت . ثم إنه نحن في آخر حياته محبة زادت منزلته قبولا ورضا عند الله وعند الناس ، حتى كانت الآلاف المؤلفة تحف به في سجنه مما أخاف منه الظلمة أن يحدثوا به ما أحدثوا بغيره من قتل : وحديث المحنة طويل نفرد له مقالا آخر مع بيان طريق الإمام ومسلكه في أصول الدين وفروعه إن شاء الله وبالله التوفيق .



# تاريخ الكتابة

افتتح في مصر بالهيروغليفية وينتهي إليها بالعربية ١١

لقد تقدم العالم في الحقبة التي نحن فيها تقدماً عظيماً ، حتى أننا لنقول ، لو أن أجدادنا بعثوا وشاهدوا ما نحن فيه اليوم ، من هذه الأمور الميسرة لنا لدهشوا . فنحن اليوم ، نستطيع أن نسمع المتكلم في أى بقعة من بقاع الأرض ، مهما بعدت عنا ، وفي نفس اللحظة التي يتكلم فيها ، ونستطيع أن نشاهد المتكلم أو الخطيب ، ولكن على أبعاد محددة ، وسوف لا يمضى وقت طويل ، حتى يتيسر لكل منزل ، وضع آلة ، يستطع صاحبه إذا حركها ، أن يرى الذى يقرع بابه بإشعاع خاص ، وأن ترى ربة المنزل مطبخها وطفلها ، وهي جالسة مع زوارها في غرفة الاستقبال . وأما التنقلات السريعة فحسبنا أننا صرنا نسابق الصوت !!

هذه خطوات بل وثبات مدهشة ، في تقدم العلوم والفنون ، ومع ذلك فأنتى أرى أن أجدادنا بدورهم قد خدموا الإنسانية والعلم ، خدمات تشكر لكم ، بل إن خدماتهم تلك ، هي التي كانت من أسباب تقدم العالم وحفظ تراثه . وأرد هنا ، أن أذكر خدمة من تلك الخدمات ، ولتكن الكتابة ، فإن الكتابة التي جعلتني أستطيع أن أخطبك بها أيها القارئ الكريم ، وأستطيع أن أتابع بقرائتها تاريخ العالم وحوادثه ومعرفة ما يستجد فيه كل يوم ، بل كل ساعة ووقت ، وليست هذه الخدمة بالشئ اليسير ، بل إننا نعتبرها من أعظم المنن التي تيسر لأجدادنا تقديمها إلينا .

ويكاد يجمع المؤرخون للعلوم والفنون ، على أن أول من كتب أو وضع حروف الكتابة ، هم المصريون ، ولكن كتابتهم كانت تصويرية ، وكانت أدواتها وحروفها من السكثرة بحيث يتعذر على الإنسان حصرها واستخدامها ، وهذا ما جعل الفيلقيين يبرزون إلى الميدان بحروفهم الصوتية التي حصروها في ٢٢ صوتاً ورسوموا لها مثلها من الحروف .

قال الأستاذ نوفل بن نعمة الله نوفل الطرابلسي في كتابه « زبدة الصحائف في سياحة المعارف » المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٩ في الصحيفتين ٣٩ و ٤٠ : —

« وزاد مجد الفينيقيين أيضاً ، باختراع حروف الهجاء ، عند ما كان المصريون يصورون صورة الأشياء ، أرىصطنعون لها علامات ، فاستنبطوا الطريق الأسهل الدارجة ، وجعلوا علامة لكل صوت أصلي ، تسمى حروفاً . وحروفهم هذه صارت منشأ للحروف الأفرنجية فإن اليونانيين أخذوا حروفهم منها ، ومن حروف اليونانيين استخرج اللاتينيون حروفهم التي هي حروف أهل أوروبا الآن . ولأنه ليوجد خلاف كلي بين المؤلفين على ذلك فبعضهم ينسبه إلى ممنون المصري سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، وفي تاريخ الصين ، أن فوهي مؤسس ملكتهم سنة ٢٦٥٠ قبل الميلاد ، علم الألهالي الكتابة . ولعل تلك الكتابة ، هي الهيروغليفية عند المصريين ، وما مائلها عند الصينيين ، غير أن المعلم اسحق نيتون قال إن الكتابة الأبجدية ، هي من اختراع الآدوميين ، وأكد غيره بأنها من اختراع الفينيقيين ، وقال بعض المؤرخين إن قدموس الصوري ، الذي بنى مدينة طيوس في بلاد اليونان سنة ١٥٥٠ ق . م ، هو الذي علمهم الكتابة بهذه الحروف ، وقال آخرون إن دخول الكتابة إلى بلاد اليونان كان في ٧٥٤ ق . م ، وأما استعمالها في مصر فقد كان في سنة ٦٦٠ ق . م . »

وقال الأستاذ أحمد نجيب مفقش وأمين عموم الآثار المصرية ، في كتابه « الآثار الجليل ، لقدماء وادى النيل ، المطبوع في المطبعة الأميرية سنة ١٣١١ هـ .

« وقد اتفق متأخرو الإفرنج ، على أن المصريين ، هم أول من خط بالقلم ، حيث كانت جميع الأمم غارقة في بحر الجهالة ، هائمة في أودية الخشونة ، ولم يكن لسوريا ولا لغيرها من البلاد اسم يذكر ، ولا خبر يؤثر ، وبقي القلم محصوراً في مصر ، مستعملاً بين الكهنة ، إلى آخر العائلة الرابعة عشرة ، أي إلى زمن إبراهيم عليه السلام ، وقد قالت الكهنة إنهم تعلموه من هرمس ، أي إدريس عليه السلام ، وهو مطابق للحديث الشريف ( الذي نقله حضرته عن كتاب العقد الفريد ، وهو أن إدريس أول من خط بالقلم بعد آدم ) . وبقي المصريون منفردين بمعرفته مدة ألف وثمانمائة سنة ، أعني إلى مدة إغارة الرعاة عليها ، وكانوا أخلاطاً من همج الناس ، فتعلموا الكتابة ، واختارت طائفة منهم الأحرف الأبجدية ،

فأخذوها من القلم الدارج المصرى ، وتركوا جميع صور المقاطع الصوتية لصعوبتها فى الرسم ولما أجلاهم المصريون عن بلادهم ، سكنوا بلاد فينيقيا فعملوها لمن كان فيها قبلهم ، بعد ما فقهوها على حسب ما تقتضيه لغتهم .

والدليل على ذلك ، شدة المشابهة بين القلم الدارج المصرى ، والقلم الفينيقي أو السورى القديم . واشتق منها الخط التدمرى ثم العبرى ، ولما كان السوريون أو الصيداويون أصحاب تجارة واسعة ، احتاجوا لاستخدام عمال من كل جنس ، فعملوها لعالمهم ، ونشروها فى جميع الآفاق ، وفتحها كل أمة حسب ما تتطلبه لغتها ، فانتشرت فى بلاد الهند والمغول وفرنسا وأسبانيا . وهذا هو المعتمد ، لعدم وجود خط قديم فى غير مصر قبل دخول العالقة إليها .

ومما لا شك فيه ، أن الأستاذ أحمد نجيب ، يشكر على اعتداده بمصر وأثرها ، وفضل كتابتها على العالم كله ، ولكن المجمع عليه هو أن الفينيقيين ، هم الذين تعلموا من مصر ، ونقلوا علمهم إلى أطراف العالم ، ولقد نفعهم تلك الكتابة فى تجارتهم الواسعة ، وتنقلاتهم العظيمة ، حتى لقد قال عنهم السنيور جويدي ، أول أستاذ للجامعة المصرية عند ما كانت شعبية فى ( أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ) قال عنهم : —

« ولما منعهم الجبال من توسيع مملكتهن فى البحر ، ركبوا البحر ، وتعاطوا التجارة ، وانتشروا فى الجزائر والبلاد القريبة والبعيدة ، وكانوا فى القديم ، مثل الانجليز فى أيامنا هذه ، وكانت لغتهم تشبه لغة اليهود والعرب » . إلى أن قال : « ومن هذه الأحرف الفينيقية القديمة ، اشتقت أحرف اليونان والرومان وسائر أمم أوربا ، فأصل الحروف كلها من الأحرف الفينيقية . واتخذ من هذه الأحرف العبرانيون المنأخرون ، وألفوا منها القلم المستعمل إلى الآن فى كتب اليهود ، ومنه كذلك قلم النبط وقلم العرب القديم » .

وأما الكتابة العربية ، فقد قال الإمام طائى كبرى فى بيان أول اللغات ، وبيان أول من وضع الخط العربى ، قال السهيل فى التعريف والاعلام ، والاضح ما رويناه من طريق أبى عمرو بن عبد البر ، يرفعه إلى النبى ﷺ قال : « أول من كتب بالعربية إسماعيل عليه السلام » . وقيل لابن عباس أين تعلمتم الهجاء والكتابة والشكل ؟ قال علمناه حرب بن أمية . وكان قد تعلم من أهل الحيرة ونقله إلى قومه .

وأرل من كتب بالعربية اليمانيون قوم هود عليه السلام ، وكان خطهم يسمى الخط المسند . وكانوا يكتبون حروفهم منفصلة ، وكانوا يضمنون على الناس بتعليمهم ذلك الخط الحميري ، حتى إذا ما تعلمه ثلاثة من قبيلة طيء وغيروا فيه ثم علموه لأهل الانبار وسمى ذلك الخط بالجزم . عند ذلك انتشر الخط الجزم بأن أخذه عنهم أهل الحيرة . وأخذ حرب بن أمية خطهم لما زار الحيرة ونقله إلى الحجاز فعلمه لأهلها كما ذكره ابن عباس فيما تقدم . وقال المؤرخون ، إن أهل الحجاز أخذوا الكتابة من الحيرة وأخذها أهل الحيرة من التبابعة والحميرين . وأكد ذلك فيلسوف التاريخ العربي ابن خلدون حيث قال .

« وكان الخط العربي بالغاً مبالغه من الاتقان والإحكام والجودة في دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر فسبأ التبابعة والمجدين للملك العرب بأرض العراق ، » .

ومعلوم أن النبي ﷺ استخدم كتاباً لكتابة القرآن ، لما كان ينزل عليه الوحي ، ولكتابة رسائله إلى أمراء النواحي الذين دعاهم إلى الإسلام ، وحفظت بعض صور كتابات كتابه حتى اليوم والحمد لله .

واقعد جعل صلى الله عليه وسلم من جملة فداء الأسرى ، بعد غزوة بدر تعليم أطفال المسلمين الكتابة ، فبكل أسير يعلم عشرة أطفال الكتابة يكون ذلك فداء له من أسره .

وبعد ذلك أنشأ سيدنا عمر بن الخطاب ديوان الخراج والجيش في العراق والشام ، ولكن كتابه كانوا يكتبون بالفارسية إلى زمن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد عند ما كثر كتاب العربية وحسابهم ، وأول من نقل ديوان العراق إلى العربية هو صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج بن يوسف وكان بارعاً بالعربية والفارسية .

ونقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية سليمان بن سعد وإلى الأردن ، ووقف عليه كاتب عبد الملك ، ونقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ هـ وعند ذلك صارت دواوين المسلمين كلها تكتب بالعربية .

وأول كتاب كتب بالعربية هو المصحف الشريف أو المصحف العثماني أو المصحف الإمام ، وهو الذي كتب بإيعاز من الإمام عثمان وأرسل إلى عواصم الإسلام كلها توحيداً للقراءة والرواية ، وكانت كتابته بالخط الجزم وقد سمي ذلك الخط بعد ذلك بالخط الكوفي بعد ما فتحت الكوفة . واستعمل ذلك الخط في عهد بني أمية ولكنه رقى بقدر ما وسعته حضارة بني أمية .

ومعلوم أن المصحف العثماني كتب من غير لفظ ولا شكل ، حتى إذا ما جاء أبو الأسود الدؤلي في عهد معاوية وضع للمصحف علامات الإعراب ورقها وجعل لها لونا غير لون الكتابة ، ثم تابعت المحسنات الكتانية على اللغة العربية على أيدي الخليل بن أحمد .

وفي عهد المباسيين ظهرت محسنات الخط وظهر خط الثلث والناثين والنصف ، وفي عهد ابن مقلة ظهر الخط النسخ الذي تستعمله الكتب والمصحف حتى اليوم . ولقد توفي ابن مقلة سنة ٣٢٨ وقال بعضهم إنه لم يخترع خط النسخ وإنما جوده رحمة الله .

وجاء بعد ابن مقلة أبو الحسن علي بن دلال الكاتب المشهور فزاد الخط تحسينا وتجويداً وقد توفي سنة ٤٢٣ هـ .

ثم جاء بعد ابن دلال ، عهد الترك ، حيث قبضوا على زمام الخلافة الإسلامية ، وكان لهم فضل تجويد الخط وطبع المصاحف المتقنة ، وهي لا تزال تنطق بفضاهم حتى اليوم ، ولكن مصر ، تولت بعد زوال خلافة آل عثمان ، زمام الرعاية العربية والإسلامية ، وتولت طبع المصاحف المتقنة فصارت هي موضع الثقة في العالم الإسلامي والعربي ، حتى أن الحجاز لما طبعت مصحفها في سنة ١٣٦٩ هـ وسمته « مصحف مكة المكرمة » لم تشأ أن تخرجه ، إلا بعد أن ختمته بقولها : إن الشيخ علي محمد الضباع شيخ القراء والمقاريء أشرف على تصحيحه وختمه بختمه .

وفي مصر اليوم من الخطاطين من يشار إليهم بالبنان أمثال الأساتذة حسني وسيد إبراهيم . وهو أبنيني . وعلى ذلك تكون الكتابة بدأت بمصر في العصور الخوالي وختمت بمصر في عصرنا هذا ، وهو فضل من الله على كتابته ؟

## تأويل الخوارق في القرآن

أذاعت محطة الإذاعة المصرية حديثاً دينياً لأحد أصحاب الفضيلة العلماء في السلام على قول الله تعالى ( ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال الله لهم موتوا ثم أحياءم ) الآية . ذهب فيه صاحب الحديث إلى أن موتهم وحياتهم مجازي يراد بهما الذل والحرية ، أو الاستعباد والاستقلال أو نحو هذا .

والذين قرأوا القرآن من حين نزوله إلى الآن يفهمون القصة على الحقيقة وهي الأصل وعلى من يعدل عنها إلى المجاز أن يأتي بالقرينة المصارفة عن الحقيقة إلى المجاز . فإذا كان مع الأستاذ المحدث قرينة غير الاستبعاد المتسرب عن مادية الغرب القائلة بأر العالم آلة ميكانيكية تسير بسنن طبيعية لا يمكن تخلفها ولا دخل لإرادة فاعل مختار فيها وصرح فيلسوفهم غروستاف لوبيون في كتابه ( المعتقدات ) بقوله « أننا لو آمننا بالخوارق والمعجزات لرجعنا إلى زمن الخرافات ، وإن تسلسل الأسباب والمسببات ينتج نفى فاعل مختار خلق العالم ، إلى آخر هذا الهذيان . وغفل عما لا يخلو منه العالم من الخوارق ، والذين استحيوا من مكابرة إنكارها سموها شواذ الطبيعة ، والمؤمنون برب العالم زادتهم إيماناً بإرادته واخفيساره وحكمته .

ولست في مقام البيان عن بهت المادية وإدحاضها فقد تولى ذلك أكابر عقلاء هذا القرن مثل جنر الانكليزي في كتابه ( السكون الغامض ) . وإنما الذي يعينني وأدعو الله مخلصاً أن ينقذ تفكيرنا ويطهره من أوضار الفلسفة المادية وفضلات الافكار الدهرية ومخلفات القرن التاسع عشر في محادة الدين والانياء ومعجزاتهم وما جاءت به كتب السماء وانفتحت عليها الأديان السماوية .

لعل المحدث الفاضل عند ما يقرأ سورة البقرة التي تحدث عن قصة من قصصها يرى فيها عدة قصص تشير إلى إحياء الله تعالى للوحي ردأ على المستعبدین لذلك :

(١) من ذلك قصة البقرة التي أمر بنو إسرائيل بذبحها وضرب قتيلم يبعثها ليحيا فأحياء الله تعالى وسميت السورة سورة البقرة .

(٢) قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأمانه الله مائة عام ثم بعثه الخ .

(٣) ومنها طلب الخليل من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى فأمره الله بأخذ أربعة من الطير وأن يقطعهم ويحمل على كل جبل فمنهم جزءاً ثم يدعوهن ، ففعل فأثنته سعياً وعلم أن الله عزيز حكيم .

وقصة إحياء عيسى بن مريم للموتى يؤمن بها المؤمنون كما ذكر القرآن عنه ، بله عصا موسى التي تنحول من حين إلى آخر حية تسعى إلى غير ذلك مما جاءت به كتب الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم .

وأخيراً فإما لإيمان بالله ورسله وكتبه وما جاء فيها من خوارق ومعجزات ، وذلك هو الكفر بمادية القرن التاسع عشر ودهريته ولحاده وزندقته وسخافته .

ولما تقليد أعمى لتلك المادية المظلمة الظالمة الفاجرة ، وذلك هو الخروج على دين الله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فليسلك العاقل أى النجدين شاء ، والسلام على من اتبع الهدى وصدق المرسلين .

محمد عبد الرزاق صمزة

## من كلمات الصديق خليفة رسول الله

- \* العجز عن درك الإدراك إدراك .
- \* انظر ما تقول ، ومتى تقول .
- \* إن عليك من الله عيوناً تراك .
- \* أهدم الكفر بعضه ببعض .

## كتيكات الاستطلاع في سرية عبد الله بن جحش

تحدثت عن محمد رسول الله ﷺ قائد جيش الإسلام ، وسأتناول أول تجربة لهذا القائد العظيم في مقدمات الحرب وسنرى أنه اجتازها على خير ما ينتظر من القائد العبقري . كانت هذه التجربة في سرية عبد الله بن جحش في السنة الثانية للهجرة ، ولم تكن هذه التجربة إلا عملاً من أعمال الاستطلاع كما يسميه العسكريون ، وهو يهدف إلى جمع كافة المعلومات عن العدو قبل قتاله ، فإن العدو المجهول كالعدو المستتر بأسوار الحصون ، في حى من الجهل به قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية في الوقت الضروري ، ويحول من ثم دون الانتصار عليه .

ولقد حدثنا التاريخ عن قادة فشلوا لأنهم أهملوا الاستطلاع ، أو لم يعنوا به ، وترقت على ذلك خسائر فادحة في الأرواح ، وخير دروس التاريخ التي يحدثنا بها في هذا الباب درس واحد وقع فيه قائدان عظيمان هما نابليون وهنر ، فكلهما هجم بجيوشه على روسيا ثم أخفق . أخفق نابليون لأنه لم يستطلع أحوال روسيا جيداً فكان يعتقد أن القيصر سيطلب الصلح بعد أسابيع من هجومه عليه ، فأودى به الواقع إلى هزيمة منكرة ، وكذلك لأنه لم يعن باستطلاع حالة روسيا الجوية قبل الهجوم عليها ، فكان الشتاء القارس من أهم عوامل هزيمته . . كذلك أخفق هنر ، لأنه أخطأ في استطلاع أخبار روسيا السياسية ، إذ كان يظن أن الشعب الروسى يتحفز للثورة ، ويتربص بالإغارة عليه ليتخلص من حكمه .

ومحمد عليه الصلاة والسلام لم يتعلم من علوم الحرب وأنظمة الجيوش ما تعلمه نابليون وهنر ، ولكنه لم يقع فيما وقع فيه ، فكان علياً بماذا الاستطلاع معنياً به غاية العناية ، فقد رأى أنه لا بد مقاتل قريشاً في يوم قريب ، وأراد أن يستطلع أحوالهم قبل أن يلتقي بهم في أولى معارك الإسلام وهي غزوة بدر ، ولقد كانت أخبار التجارة والمال أهم ما يستطلع في ذلك الحين ، فقد كان المال — وما زال — عماد القوة في كل شيء ، وقد عرفه قادة الحروب الحديثة بأنه عصب الحرب ، إيماناً منهم بالدرر الكبير الذى يقوم به في بناء القوة العسكرية .



ولقد فطن الرسول ﷺ إلى ما فطن له العسكريون بعده بثلاثة عشر قرناً .

والاستطلاع كما ذكرنا محله قبل المعركة ، وقد قام به قائد جيش الإسلام على خير ما يكون الاستطلاع ، وطبقاً لأحدث النظم الحربية التي يدرسها العسكريون في العالم أجمع .

ففي شهر رجب من السنة الثمانية للهجرة ، وقبل غزوة بدر بشهرين ، بعث الرسول عبد الله بن جحش ومعه جماعة من المهاجرين لاستطلاع أخبار قافلة قريش ، ودفع إليه كتاباً أمره ألا ينظر فيه إلا بعد أن يسير يومين ، وكان مضمونه : « سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركته ، ولا تذكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامض فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها غير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » .

ومعنى هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر قائده أن يأخذ هذه الرسالة ، وألا يفتحها إلا بعد أن يسير يومين ، ويأمره ألا يكره أحداً على الخروج معه ، وأن يصطحب من يرغب في ذلك ، حتى إذا بلغ بطن نخلة وقف يترصد قافلة قريش ليجمع المعلومات عنها من حيث عدد رجالها وجمالها وصولتها .

وإذا نحن عرضنا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم على مسرح البحث والتحليل ، لاحظنا أنه عليه الصلاة والسلام قد وضع عدة مبادئ هامة لا يزال يعمل بها في الحرب الحديثة ، وهذه المبادئ هي : —

أولاً : كتمان الخبر . والمحافظة على سرية :

وقد انتهج الرسول لذلك وسيلة بارعة ، وهي أمره لعبد الله بن جحش بألا يفيض الرسالة وينظر فيها إلا بعد أن يسير يومين ، أي حين يكون قد بعد عن المدينة وعن أهلها ، ليضمن ألا يتسرب النبأ . وأمثلة ذلك في التاريخ البعيد والقريب كثيرة ، فإن كثيراً من قواد الجيوش والحملات المرسلة للغزو ، كانوا يخفون أسرار حملتهم عن جميع مرؤوسهم ، إلا عن هيئتهم الخاصة القليلة العدد ، وهي هيئة أركان الحرب التي تقتضى ضرورة وضع الخطط وترتيب العمليات أن يكونوا على علم بها . وقد تصدر إلى قواد الجيوش أو الأساطيل أوامر مختومة ، ليفتحوها في مكان معين بعيد عن القاعدة ، سواء على الأرض أو في عرض البحر ، ويتفق في أمثال هذه البعث أن يكون القائد وحده مطلعاً على السر بينما يجمله جميع

رجاله ، حتى إذا بقي على الحركة المفصودة ساعات معدودات تصدر الأوامر صريحة تحمل المفاجأة وتدعو للأسراع في العمل الواقع .

ومن أمثلة ذلك ما حدث في الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ من أن الحملة الحربية التي أرسلت بحراً من الهند لغزو العراق لم يعرف رجالها وجهتهم إلا في عرض البحر وكان ذلك بقصد إخفاء نوايا هذه الحملة عن الأعداء .

وقد حدث مثل هذا في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، وتعددت أمثلته وكانت في الغالب في عمليات الغزو البحري .

ولرسولنا الكريم حكمة في كتمان خبر تلك السرية عن يحيطون به ، فليس يبعد أن يكون منهم جاسوس من قبل قریش ، ولا أن يكون منهم من ييوح بالخبر في سذاجة ، لا يريد به السوء ، أو لا يدرك ما في البوح به من الخطر المحذور ، ولا يبعد أن يكون فيهم ضعيف النفس ، يفتش السر بنائير مال أو ضغط ، وفي هذا تحقيق كامل لقوله صلى الله عليه وسلم : « استمعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » ..

وهكذا يقرر الرسول أن استطلاع أحوال العدو يجب أن يحاط بالسرية التامة ، وهذا حق إذ أن العدو إذا أحيط علماً بذلك فسوف يستعد استعداداً تاماً للحرمان هؤلاء الذين سوف يقومون بالاستطلاع من الحصول على ما يريدون من معلومات عنه ، وبذلك لا يتحقق الغرض من الاستطلاع ، فضلاً عن ما ينتظر حدوثه من خسائر مؤكدة في أرواح هؤلاء الرجال ، أو من وقوعهم في الأسر . وهذا هو المعمول به في الحرب الحديثة ، فإن دوريات الاستطلاع تقوم بعملها في الغالب ليلاً تحت ستار الظلام ، وأى عمل من أعمال الاستطلاع يتم نهائياً يجب أن يحاط بالكتمان الشديد والحذر المتناهي .

ثانياً : أن يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه :

فقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم قائده عبد الله ألا يكره أحداً من المسلمين على المسير معه ، فقد يخرج الرجل مكرهاً على القتال فيقاتل لأنه مهتد بالموت المؤكد ، سواء في القتال أو إذا حاول الفرار ، ولكنه إذا خرج للاستطلاع مكرهاً فلا يمكن أن يستفيد من استطلاعه . من أرسله ، بل ربما يحرف الأخبار عمداً أو يتلقاها بغير عناية أو يطلع الأعداء على أسرار أصحابه وهم عنه غافلون .

وهذا الشرط أن يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه ، معمول به في الحرب الحديثة ، فإنه إذا تطلب الأمر إرسال دأورية لاستطلاع أمر ما ترك لقائدها الحرية في اختيار مرافقيه ، ومن المؤكد أنه سيختار من يرغب في الخروج معه ، ومن يثق بهم وكذلك الحال في أى عمل يحتاج إلى جرأة وإقدام وغيره ، مثل أعمال الفدائيين الذين يكلفون بمهمة شاقة خطيرة تعرض فيها حياتهم لموت أكيد و هلاك محقق ، فإذا كان هؤلاء يخرجون لمهمتهم مرغبين أمكننا أن نحكم على مبلغ الفائدة التي تعود على من بعثهم ، وإن الفائدة تنوقف على العقيدة القوية وحسن النية ، فهي تستلزم أن يكون الرجل فدائياً غيوراً متحمساً رقيباً على نفسه ، فليس أسير له إذا هو وجد نفسه منفرداً بعيداً عن الرقباء ، ولم تكن في العمل رغبة أن يسلم نفسه لأعدائه ليعيش مرتاحاً في الأسر إلى نهاية الحرب ، ثم إذا وجد من يحاسبه اعتذر بما شاء من العلل . وبذلك تتجلى حكمة النبي ﷺ في قوله : « ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك » . .

ولقد شاء الله أن تحدث في هذه السرية أمور لم تكن في الحسبان ، أضافت إلى موضعنا دروساً جديدة تنصل به ، فإن عبد الله بن جحش مضى بمن معه لاداء مهمته ، غير أن بعيراً لسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ضل ، فذهبا يطلبانه فأسرتهما قريش ، فلما وصل الركب إلى نخلة ، مرت بهم قافلة قريش تحمل تجارة ، وكان ذلك في آخر شهر رجب ، فتشاوروا في قتال أهل القافلة لأن قريشا كانت حجرت أموال بعض المسلمين ، منهم بعض من في السرية ، ولكنهم حاروا فيما يصنعون : إن القتال محرم في الأشهر الحرم التي لم يبق عليها إلا هذه الليلة ، وهم يريدون ألا تفوتهم هذه الفرصة دون أن يستعيدوا ما أخذت قريش من أموالهم . . . وغلبت عليهم الرغبة في ذلك فاندفعوا للقتال الذي انتهى بقتل عمرو ابن الحضرمي شيخ قبيلة قريش ، وأسر المسلمون رجلين هما عثمان بن المغيرة والحكم ابن كيسان .

وعاد عبد الله بن جحش ومن معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد حجوزوا له الخمس من غنيمتهم ، فأباه عليه السلام وقال لهم : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » . وعاتبهم زملاؤهم لهذه المخالفة ، وساءت لقيامهم بين أهل المدينة ، واتخذ أعداء الإسلام هذا الحادث وسيلة لدعاتيتهم ، وتنادت قريش أن محمداً وأصحابه قد استعملوا القتال في الأشهر المحرمة ، وأخذوا الأموال وأسروا الرجال . . . وضاقت الأمور على عبد الله وأصحابه فأنزل الله الآية التي أراحت القلوب : - ( يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد

عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ) يعنى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام ، فقد فدلوا ما هو أشنع : صدرا عن سبيل الله وكفروا به وبالمسجد الحرام وأخرجوكم منه وأنتم أهله وفتنوا الناس فى دينهم والفتنة أكبر من القتل ، ثم هم يقيمون على أشد من ذلك وأعظم غير تائبين ولا هائبين . وفى هذا قطع لاعتراضاتهم لأن الملبس بكثير من الشرور ليس له أن بكثير السلام فى زلة قد ارتكب هو أشنع منها .

ولما نزل القرآن بهذا الأمر ، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف ، قبض الرسول العير والأسيرين ، فطلبت قريش فداءهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : - لانفديكوهما حتى يقدم صاحبانا ، فإننا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما تقتل صاحبكم . .

### ثالثاً : الاستطلاع دون قتال :

وأول ما يطالعنا مما حدث هو إنكار القتال على عبد الله بن جحش ورفاقه ، فإن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فى رسالته له كان واضحاً وهو د فتعلم لنا من أخبارهم ، ولا يفهم من هذا أنه يأمره بقتالهم ثم أنه أرسله فى شهر حرام والقتال محرم فيه ، فلما علم الرسول أنه قاتل القافلة قال د ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، .

وفى الحرب الحديثة تخرج دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات وتعود دون قتال إلا دفاعاً عن النفس . وهذا مبدأ آخر يمكن أن يضاف إلى ما سبق من مبادئ فى (أولاً) و (ثانياً) وهو أن يتم الاستطلاع دون قتال . والسرى ذلك أن المكلفين بالاستطلاع قليلو العدد فى الغالب ، فلا يقدرّون على القتال لأنهم جزء صغير بعيد عن القوة الأساسية ، وعليهم أن يؤدوا مهمتهم فى صمت ثم يعودون ، دون تورط فى قتال . على أنه فى بعض الأحيان لا يتم الحصول مع المعلومات إلا بالقوة ، وهنا تكون القوة مجهزة تماماً من قبل على هذا الأساس .

والرسول الكريم لم يأمر عبد الله بالقتال ، والدليل على ذلك أنه أرسله فى شهر حرام القتال محرم فيه ، وكذلك قوله عليه السلام عندما علم بأنه قاتل القافلة : -

ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، فإذا كان عبد الله قد قاتل فقد كان في هذا مخالفا  
لاوامر النبي ﷺ .

#### رابعاً : تبادل الأسرى :

وأما مسألة قبض العير والأسيرين حتى يقدم الأسيران المسلمان ، فسألة يرضى بها  
القانون الدولي المعمول به في عصرنا الحاضر : أسيران بأسيرين ، وقد شاهدنا كثيراً من  
عمليات تبادل الأسرى في الحرب الأخيرة بين الدول المتحاربة على أيدي المحايدين .  
ولقد كانت مشكلة تبادل الأسرى هي العقبة العظمى في سبيل نجاح مفاوضات الهدنة  
بين الشيوعيين ورجال هيئة الأمم المتحدة في الحرب الكورية ، لأنهم كانوا لا يريدون  
التسليم بهذا المبدأ الواضح بلا قيد أو شرط .

محمد جمال الدين محفوظ

يوزباشى أركان حرب

### السياسة

- \* أرادوا مرة امتحان السياسيين في بلاغة السياسة ، فطرحوا عليهم هذا الموضوع :  
سرق حقوقي أمة ضعيفة ، فاكتب كيف تشكرها على هديتها .
- \* قالوا نظم الصقر قصيدة من الغزل في عصفور جميل مصبغ الريش فكان مطلعها :  
« ما ألد ، ريشك أيها العصفور »
- \* لو سئل السيامي العظيم : أى شيء هو أثقل عليك ؟ لقال : إنسانيتي ٢

الرافعى

## أصل البهائية وحقيقتها

قرأت في (الاهرام) كلمة بعنوان «الذكرى المثوية لمؤسس البهائية، ظاهرها إدعاء ذبوع البهائية في شيكاغو وباطنها الدعاية لهذه الفرقة وتضليل القراء عن حقيقتها؛ فرأيت من الخير أن أبين لإخواني المسلمين أصل البهائية وكيف وجدت وما هي حقيقتها، ليكونوا منها ومن دعائها على بينة.

كان من رزايا القرن الثالث عشر الهجري ظهور رجلين في الأوساط الشيعية بإيران والعراق، يدعى أحدهما أحمد الأحسائي (١١٥٧ - ١٢٤٢) والآخر كاظم الرشتي (١٢٠٩ - ١٢٥٩).

وظاهر من اسم الأول أنه منسوب إلى الأحساء من سواحل الخليج الفارسي، والآخر إلى مدينة رشت من أعمال جيلان في إيران على مقربة من سواحل بحر الخزر. ومن علماء الشيعة من يشك في نسبة هذين الرجلين إلى هذين البلدين ويقول: إن أصلهما قيسان أعدهما الاستعمار لمهمة من مقاصده وخططه البعيدة، حتى لقد قيل إن التقارير والأوراق السرية التي أذاعها روسيا عقب سقوط القيصرية سنة ١٩١٧ تؤيد ذلك. ونحن لا يهمنا إن صح هذا أو كان وهما، فالنتيجة واحدة وهي أن الأحسائي والرشتي رتعا ولعبا في البيئات الإيرانية، وتوسلا بما في تلك البيئات من مبادئ وعقائد وعواطف على طريقة الغلو التي لهم فيها سلف كثيرون هناك. ومن ذلك - على سبيل التمثيل - قولها للناس:

كما أن العناصر أربعة وهي التراب والماء والنار والهواء، فكذلك العقائد أربعة، وهي الله والنبي والائمة الاثنا عشر والركن الرابع، وهو أحمد الاحسائي. ثم ما لبث أحمد الاحسائي أن هلك سنة ١٢٤٢ وزعموا أنه دفن في البقيع بالمدينة، فقام بدعوته كاظم الرشتي وبث دعائه في إيران، ومنهم على محمد الشيرازي (١٢٣٥ - ١٢٦٦)، وكريم خان الكرمانى، ومحمد شفيع. وكان أكثرهم نشاطا على محمد الشيرازي الذي نشر الدعاة من

تلاميذه ومنهم ميرزا محمد علي المازندراني الملقب بالقديس وكانت إقامته في مشهد ، ومنهم ملا علي البسطامي الذي أرسله سنة ١٢٦٠ إلى الكوفة والنجف وكر بلاه وكان والي بغداد يومئذ نجيب باشا فقبض عليه وحبسه بعد أن صار له في العراق أتباع منهم الشيخ بشير النجفي والشيخ سلطان الكربلائي ومحمد شبل الكاظمي وغيرهم . وفي سنة ١٢٦٣ جاءت من إيران إلى العراق داعيتهم التي تسمى ( قرة العين ) فأقامت في بغداد بمنزل محمد شبل الكاظمي ، وزعمت لزوارها أنه « قد نزل الرب الودود ، وظهر الموعود » فأمرتها حكومة بغداد بأن تقيم في منزل الشهاب الألوسي صاحب التفسير المشهور ، وكانت خبيثة جدا وبارعة في التقية ، حتى أن السيد الألوسي في مناقشاته معها لم يستطع أن يكشف عن عقائدها إلا أنها شيعية فقط . وكان يتردد عليها من تلاميذ ملا علي البسطامي دعاة متعددون دخلوا في الباطنية ، منهم إبراهيم المحلاني وصالح الكريمي وأحمد اليزدي ومحمد البايكاني وسليمان الكربلائي .

وهكذا استفحل أمر علي محمد الشيرازي بواسطة دعائه الكثيرون في إيران والعراق ، وقد استغل عقيدة من عقائد الشيعة عن وجود ( واسطة ) بين الإمام الثاني عشر المهدي الذي ينتظرونه وبين شيعته وقد اصطلمحوا قديما على تسمية هذا الوسطة ( الباب ) فانتحل علي محمد الشيرازي لقب ( الباب ) ، وكان ظهور نشاطه في زمن الشاه ناصر الدين وتسبب عن نشاطه سفك دماء وفن كثيرة إلى أن هلك سنة ١٢٦٦ . فظهرت بعده مطامع تلميذه وأحد دعائه المسمى حسين علي المازندراني الذي سمي نفسه ( بهاء الله ) وإليه تنسب البهائية ، وهو معبودهم الديني ، وهو الذي يعنونه في فواتح كتبهم وأعمالهم حيث يقولون « بسم ربنا البهي الابهي » كما كانوا يؤهلون سلفه علي محمد الشيرازي الملقب بالباب ويقولون عنه « بسم ربنا العلي الاعلى » . فالبهائية قائمة على تأليه البهاء حسين علي المازندراني ، كما كانت الباطنية قائمة على تأليه شيخه الباب علي محمد الشيرازي ، أو على تعبيرهم « ظهور الله في الباب » ، و « ظهور الله في البهاء » .

وجاء بعد البهاء حسين علي المازندراني ابنه عباس ، فانتقل إلى فلسطين وأقام في ( عكا ) المجاورة لثغر ( حيفا ) وسمى نفسه « عبد البهاء عباس أفندي » ونقل جيفة الباب من إيران ودفنها في عكا . وكان عبد البهاء ذكيا واسع الاطلاع ولا سيما في المعاني والموضوعات التي

تحوم حول ضلالهم فيكلم في ذلك زواره بفصاحة وأساليب وعبارات خلاصة واتخذ لنفسه في شكله وهيئته مظهراً خداعاً زاده أتباعه بما أحاطوه به من وسائل التهويل والتضليل .

إن العقيدة التي يذشرها البهائيون قائمة على التظاهر لليهود والنصارى والمسلمين باحترام (عناوين) الديانات السابقة ، لكنهم يزعمون أنها نسخت بديانته . ولذلك نرى البهائي إذا مات له صديق من اليهود يمشى في جنازته إلى الكنيس ويصلى في الكنيس كما يصلى اليهود وكذلك يفعل في كنائس الطوائف المسيحية على اختلافها ، وفي مساجد المسلمين . وهو كذاب في ذلك كله ، يخادع الجميع بأنه معهم ، وبذلك استمال البهائيون في شيكاغو وأمثالها من استمالوه .

حدثني رئيس تحرير هذه المجلة الأستاذ محب الدين الخطيب أنه في سنة ١٣٢٧ (١٩٠٩) زار مع شيخه الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله المسكان الذي كان يجتمع فيه داعية البهائية في مصر أبو الفضل الجرفادقاني ، وكان ذلك في ربيع بخان الحلبي ، فوجد عنده رجلاً كان يعرف أنه أرمني يسمى دكركور أفندي ، وقد عرفه في المدرسة الإعدادية العثمانية بدمشق وكان دكركور في السنة النهائية من القسم الثانوي والأستاذ الخطيب في السنة الأولى من القسم الابتدائي ، فقال له الأستاذ الخطيب : ألسنت أنت دكركور أفندي الذي كنت في دمشق ؟ فامتعض لونه وقال له : أنا الآن بهائي ، واسمى دفاتق . وقد تبين فيما بعد أن الذين ينضمون إلى البهائية إما أن يكونوا من أصل غير إسلامي وانضموا إليها كيدا للإسلام ، أو أنهم إيرانيون ممن لهم نزعة مجوسية . والبهائيون الذين احتفلوا في شيكاغو بالذكرى المئوية لمؤسس البهائية لا يخرجون عن أحد هذين الفريقين .

إن حقيقة الدعوة البهائية قائمة على أساسين هما : —

١ — أن الله بعد ظهوره في الأئمة الاثني عشر ظهر في شخص الركن الرابع أحمد الإحسائي ثم في شخص الباب محمد علي الشيرازي الذي يسمونه (حظرت أعلى) ، ثم في شخص حسين علي المازندراني الذي سمى نفسه (بهاء الله) ، ولابنه عباس نصيب من الحلول الشيطاني ودعوى المظهرية . ويزعمون أن كل واحد من هؤلاء هو المظهر الإلهي الذي يتجلى على خلقه ليوحى إليهم الحقائق التي توصلهم إلى حظيرته القدسية .



٢ — إطلاق العنان لتأويل الكتب المقدسة بما يوافق أهواءهم ، فإذا قرأوا ما ورد في الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام : ، إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ليعيث إليكم الفارقليط الذى ينبشكم بالتأويل ، قالوا : إن المراد بالفارقليط هو بهاء الله .

ويؤلون الكلمات القرآنية مثل : يوم الحسرة ، ويوم التلاق ، ويوم القيامة ، والساعة يوم نزول روح القدس وقيام مظهر أمر الله وهو البهاء فى زعمهم .

وتدعى البهائية أنها جامت بأصول جديدة كاتحاد الأديان ، وترك التعصب ، واتحاد الأجناس ، ومساواة المرأة بالرجل ، والسلام العام . ونظنهم اقتنعوا بإفلاس دعواهم فى اتحاد الأديان ، لأن أهل الأديان كلها علموا بأن البهائية فاسدة العقيدة بالله واليوم الآخر ، ولذلك لم يقبل عليها إلا حثالة الناس ممن فى قلوبهم إحنة للإسلام ورغبة فى إفساده ، وهم أعوان المستعمرين وجواسيسهم فى العالم الإسلامى ، فظلوا إلى الآن أقلية تافهة فى وسطه الأقلية التى انفصلوا عنها فى البداية .

ولا ريب أن الدعوة إلى دين الله الحق ، وعدم التفريق بين رسل الله جميعا هى دعوة الإسلام التى استجابت لها الأمم وانضوت إليها الممالك والاقطار فى عشرات السنين الأولى لظهورها حتى زاد أتباعها الآن على خمسمائة مليون ، وإذا أحسن المسلمون عرضها والعمل بها كانت هى شريعة الإنسانية كلها ، لأنها أصح الديانات عقيدة بالله وتوحيداً له وتنزيها عن سخافات الحلول والاتحاد .

فالإسلام هو الذى كرم رسل الله ، ودعا إلى العمل برسالات الله ، وهو الذى أقام وحدة الدين والجنس بالفعل ، ودعوته هى دين المستقبل .

أما سخافة البهائية فقد زادت الضلالات ضلالة جديدة ووقفت عند ذلك فسكانت من مظاهر التفريق لا من مظاهر الاتحاد .

ودعوى ترك التعصب أو كذب من دعوى اتحاد الدين والجنس ، فدينهم قام على الإحنة والكيد للإسلام ، ولا يزالون الآن كما كانوا أيام الشاه ناصر الدين دعاة فتنة وفساد .

والدعوة الصادقة إلى ترك التعصب قتلًا كالشمس في قول الله عز وجل : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، ومع ذلك فكل حق في الدنيا إذا لم يؤيده أنصاره بالتي هي أحسن كان ذلك دماً لهم وليس من الفضائل . و فرق كبير بين تأييد الحق كما هي الحال في الإسلام وبين التعصب الذميم كما هي عليه دعوة البهائية منذ قامت لأول مرة باسم البائية . ودعواهم التسوية بين الرجل والمرأة ، فإن الإسلام هو الذي سوى بينهما في كل ما لا يصطدم مع اختلاف تكوينهما وتوزيع العمل الإنساني بينهما ، وتفاصيل ذلك معروفة وقد ألفت فيها الكتب ، وبين وجه الحق فيها حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في بياناته المتعددة . أما معارضة الطبيعة في تسوية ما اختلف فيه الجنسان في تكوينهما ومزاجيهما ونوع اختصاصهما ، فذلك من السفخافات التي تؤدي إلى فساد المجتمع .

وأخفف من دعوى تسويتهم المرأة بالرجل دعوتهم إلى السلام العام ، والجانب الإنساني الموافق للحق والمصلحة في هذه الدعوة قد سبق الإسلام إليه ، بل الإسلام بنفسه دين السلام ولكن طغيان البشر الذي لا يزال متأصلاً في طبائع أهل المطامع منهم هو الذي عالج الإسلام بقول الله عز وجل : ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، .

وأخيراً يحرص البهائيون على إخفاء تعاليم ديانتهم وجعلها مريبة فيما بين الحشالة الضئيلة من أتباعها ، وقد يما قيل :

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

ومن مظاهر تسرهم فيما يفشرونه على الناس استعمالهم الألفاظ والتعبيرات الخلابة القابلة للتأويل ، وبها يحاولون أن يتصيدوا أهل الغفلة والعوام ، ومع ذلك فشلوا في جميع محاولاتهم ، والله لا يهدي كيد الخائنين ؟

السيد كمال السورى

مأمور الشهر العقارى

# نظام المجتمع في الاسلام

## ١ - أسس النظام الاجتماعي في الإسلام:

قامت الدعوة الإسلامية تهدف إلى تأليف القلوب وتوحيد الاهداف وجمع الناس على عبادة الله وحده ، فاتحدت بها الغاية واجتمع بها الناس على هدف لا يختلفون عليه ولا يجادلون فيه ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتكم بنعمته إخواناً ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم .

وسبيل الدعوة إلى ذلك حجة واضحة وقول حسن وأدب جميل ، أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ذلك بأن طبيعة الدين لا تتفق وروح القهر والإرهاب ، إذ يخاطب أول ما يخاطب القلب ويخاطب أول ما يخاطب العقل ، ولم تكن القوة والإرهاب يوماً من الأيام سبيلاً إلى إقناع أو إيمان ، وهكذا وضعت الدعوة منهاجاً في الحياة يكفل للإنسان حرية النظر والرأى والفكر والاعتقاد ، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وإلى جانب الغاية الواحدة التي وحدت بين الناس وجعلتهم إخوة متحابين ، والوسيلة المهدبة التي جعلتهم يحكمون العقل وينأون عن اللجاج ، جاءت الدعوة الإسلامية تقرر الإخاء والمساواة بين الناس ، الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ولإدريس ذلك النظام الإسلامي بين الناس ليقم مجتمعاً متماسكاً متحداً لا يعترف بسيادة جماعة على جماعة ولا باستغلال طبقة لطبقة ، بل يستوى فيه السادة كآبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة ، والمستضعفين كعمار وبلال وصهيب ؛ وأكثر من هذا يرفع الإسلام المستضعفين بالعمل حتى يفوقوا السادة ، وقد كان العمل من قبل يضع العاملين فأصبح في النظام الجديد أساس

الفضل والتقدم وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، ولدوام هذه الوحدة الإنسانية وإقرار النظام الاجتماعي يدعو الدين إلى التعاون الإنساني العام على البر والخير والتقوى ، وينهى عن التعاون الخاص بين الطبقات المتماثلة في الأقطار المختلفة التعاون الخاص على الإثم والعدوان الذي يهدف إلى إرهاب الطبقات المخالفة بالاستغلال والتسخير ، وينهى عن التعاون الخاص بين السلالة الواحدة على الإثم والعدوان الذي يثير العصبية القبلية والعصبية القومية التي تستهدف الفتن والحروب والاستعمار ، بل إن التعاون على الإثم والعدوان يحرمه الإسلام حتى لو اجتمعت الإنسانية كلها متعاونة في القسوة على الحيوان « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ، ولتكن منكم أمة يدعوون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

ولكن كيف يتحقق التعاون في المجتمع الإنساني والحسد يملأ قلوب الجائعين والجشع يسيطر على نوازع السادة المترفين ؟

إن النظام الاجتماعي في الإسلام لا يدع الفقير للجوع يضفيه ، ولا يدع الغني للترف يتخمه ، بل يأخذ من هذا حقا لذلك لا منا ولا تصدقا ولكن حقا يفرضه « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله . « والله لا يؤمن من بات شعبان وجاره جائع ، ولكن هل يقتصر خير الجماعة المسلمة على نفسها فتؤلف عصبية مذهبية لا نظاما اجتماعيا يقوم على الدعوة للخير والسلام ؟

وفي قصة اليهودي الذي فرض له عمر من بيت مال المسلمين ما يقيم حياته ويكفيه مشقة العمل وهو شيخ كبير ، وفي قصة الصبي القبطي الذي سبق ابن عمرو حين سابقه في مصر فضربه وهو يقول : أنتبقي وأنا ابن الأكرمين ؟ وقد شكى القبطي حاكم مصر العام إلى أمير المؤمنين عمر ، فاستقدم الوالي على مصر وأنصف الغلام منه . في هذه القصص ، وأمثالها لا يحصى ما يقطع بأن الخير والبر والمعروف والعدل كان عاما في الإسلام ، فتألف به نظام اجتماعي يهدف إلى الصالح العام بلا تفريق .

ومع أن الدين لا يمنع الفرد أن يملك ما يشاء ، إذ الحرية أساسه الأول الذي قام يدعو إليه ، فإن القاعدة الثابتة في نهجه أنه يحرم ما أضر بالصالح العام ، ففي سبيل تناسق النظام

الاجتماعى وبقاء وحدته يحرم ما أصله الحل ، ويمنع ما أصله الإباحة فيمنع التملك إن أدى إلى الاحتكار ، ويمنع من التملك ما يضر بنظام المجتمع ، المحتكر ملعون والجالب مرزوق ، ومن كلام عمر ، من احتسك على الناس أرزاقهم ضربه الله بالجمذام ، والاقطاع لون من الاحتكار تقصر فيه منافع الأرض على القلة من المجتمع ، وتستغل فيه جهود السكثرة لصالح القلة من الاقطاعيين .

ولئن كانت أسباب الفتن والاحقاد والحروب فيما مضى لإقطاعا ففى اليوم احتكار فى ( الخامات ) والإنتاج ، والاساس فى بناء المجتمع الإسلامى ، لا ضرر ولا ضرار ، .  
ومع أن الدين لا يتعرض للطبقات التى تقسوم على أسس من المال أو الجاه فإنه يمنع ذوى المال من الاحتكار فى الاقتصاد ، ويمنع ذوى الجاه من الاحتكار فى السياسة ، وفى الوقت نفسه لا يجعل لهذا أو ذاك حقا زائدا أو فضلا خاصا ، بل يفرض للبال والجاه واجبات زائدة يتحقق بها التقارب والتعاون بين الطبقات ، ولامر لا يخفى . أحل الله البيع وحرم الربا .

٢ — أثر هذه الاسس فى إقبال الناس على الإسلام وإقرار التضامن بين المسلمين :

ولقد أسرعت هذه الامس الاجتماعية بالناس نحو الدين الجديد فأقبل عليه المستضعفون يجدون فيه النظام الذى يحفظ لهم حقوق الإنسان قيؤمنهم من خوف ويرفعهم من ضعة ويخلصهم من جهل ويطههم من مرض ويستخلفهم فى الأرض ، وعده الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون فى شيئا .

وكما أسرع المستضعفون فقد أسرع الفساد إلى ذلك الدين تجدد فيه النظام الذى يمنع عنها العدوان فيحرم وأد البنات ، وتجدد فيه النظام الذى يجعل لها حقوقا فى التصرف والملك ورأيا فى الزواج والحياة ، وإذا المومودة سئلت ، بأى ذنب قتلت ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، والثيب تستأمر والبكر تستأذن ، .

وكما وجد المستضعفون والفساد فى الإسلام نظاما يسوى بين الناس ويقر العدل والإنصاف والخير فقد وجد فيه السادة منهجا يوافق العقل ويقوم على الحجة والبرهان ، فأسلوا له إلا من أعرض تكبرا وعنادا .

ولئن ساعدت هذه الأسس الدينية على إقرار الإسلام ديناً في الأرض وأسرت بالناس إليه فقد حققت مع ذلك وحدة المجتمع وانسجامه ، وأبعدت عنه شبح التنافر والاحتقاد ، فوحدة الغاية وأدب الدعوة وتحريك الفكر والمساواة بين الناس والتفاضل بالعمل والتعاون على الخير والتقارب طبق وإيثار الصالح العام ، كل هذه المبادئ أفضت إلى مجتمع متلائم متضامن متكافئ لا يعتريه تفكك أو انحلال ، المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسرى بذمتهم أدنانهم وهم يد على من سواهم ، مثل المسلمين في توأدهم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له جميع الأعضاء بالسهر والحمى .

وفي سبيل حماية هذا النظام من التفرق والانحلال يوجب الدين الإسراع بالإصلاح بين الناس فيقرر أن الصلح خير ، وأن السعى بالنسيئة شر ، و أن الفتنة أشد من القتل ، وأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وفي سبيل حفظ هذه الوحدة أيضاً يوجب الإسلام على المسلمين أن يقفوا موقفاً إيجابياً من طوائف المسلمين التي يؤدي الخلاف بينها إلى القتال ، وذلك بدعوة الطائفتين أو الطوائف إلى الصلح ، فإن رفضت الصلح إحدى الطائفتين أو الطوائف أو أخلت به فبغت ، فعلى المسلمين جميعاً أن يقاتلوا الطائفة الباغية حتى تنفي إلى السلم وإلى أمر الله . وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنفي إلى أمر الله . وهكذا يستقر بهذه المبادئ الحب والتضامن والصفاء والوحدة في مجتمع المسلمين .

### ٣ — إقرار السلم وحماية النظام الاجتماعي من العدوان :

وقد انشرفت بالإسلام صدور واطمأنت إليه قلوب ، فأرهب ذلك المشركين في مكة أولاً فأسرفوا في الكيد والعدوان على الرسول وعلى المسلمين ، ومع ذلك ظل أسلوب الدعوة قائماً على دفع اللجاج بالحجة ومقابلة السيئة بالحسنة ، فأغرى ذلك الرفق السفهاء والمشركين بالدعوة والدعاة حتى بلغ بهم الأمر أن اتهموا بالرسول ليقسوا ، فانتقل إلى قوم غير القوم عليه يجد عندهم آذاناً تصنى وقلوباً تسمى . ومع أنه تركهم في مكة وترك لهم مكة فلم يتركوه ينجو بنفسه وبدعوته ، بل أسرفوا في طلبه ، فلما أعيامهم لإدراكه وقد بلغ المدينة تحزبوا مع القبائل وعقدوا الأحلاف يبعثون بها حصر الدعوة في المدينة لا تخرج منها حتى لا تصل إلى الناس .

لقد كان الأمر مع الرسول أنه يريد أن يبلغ رسالته إلى الناس برفق في الجدل وبحسن في القول ، ويهدي إلى الحق لا يكره الناس على الإيمان ، لا إكراه في الدين ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، أفأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .

وكان الأمر مع المشركين أنهم يعرضون عن الإسلام تكبرا وجهلا ويصدون عنه الناس رهبة وخوفاً ويمنعون الرسول عن دعوته حقداً وعناداً ، وفي سبيل ذلك أسرفوا في السكيد وشرعوا الحراب وسلوا السيوف ، يمتنعون الداعي عن دعوته يردون الدعوة عن الناس ويردون الناس عن الدعوة .

عند ذلك أذن الله لجماعة المسلمين أن ترد عدوانا يقع وتدفع ظلماً ينزل ، أذن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نهرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وفي هذه الآية ، وهي أول ما نزل في القتال ، ما يقطع بأن الإسلام يبنى السلم غاية ، ويستهدف السلم منهجاً في الدعوة لا يخرج عنه إلا أن تقضى بذلك ضرورة قاهرة ، يشير إلى ذلك ما تعبر به الآية الكريمة من الإذن الذي يقتضى الإباحة من منع ، والحل من حرمة ، ومع ذلك لا يعدو الأمر قتال من يقاتل دفعاً لعدوانه ، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، فإن وضع المقاتلون السلاح فلا إسراف في القتل ولا عدوان ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله .

بهذا يمنع الدين العدوان ويشرع القتال والحرب رعاية للسلم ، بل لأنه ينبذ الحرب ويحذر من العدوان ويأمر بالسلم حتى لو طلب السلم من أهدره ، وفي سبيل رعاية عهد السلم يدعو الإسلام إلى إعداد القوة التي تهرب من يميل إلى العدوان فلا يجنح إليه ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، رهبة ترد الظلم وتمنع عدوان المعتدين ، وحين يتصل الأمر بالفتنة التي تهدد الجماعة في وحدتها والعالم في سلمه ، فإن الإسلام يوجب القتال الذي يقضى على منابع الفتنة ليعيد الوئام إلى الجماعة وليحفظ السلم بين الناس ، وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

وهكذا يشرع الإسلام القتال ليضع به حدا للعدوان وإثارة الحروب ، وليقر به في المجتمع الإنساني العدل والخير والسلام .

عبد الطيف عبد النبي خليفة

المدرس بمعهد طنطا الديني

# الكتب

## شرح منازل السائرین - للفركاوى

بتحقيق الاب س دى لوجييه دى بوركى الدومنى - ١٥٣ ص متن ٤٤ ص مقدمتان وفهارس

رسالة ( منازل السائرین إلى رب العالمین ) لشيخ الإسلام أبى إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى الحنبلى ( ٤٠١ - ٤٨١ ) من أنفس ما كتبه المسلمون فى تربية النفس الإسلامية وسلوكها إلى منازل العبودية لله والاستعانة به وحده ( أياك نعبد وإياك نستعين ) . وقد رتب فيها أحوال السلوك بثلاث رتب : أخذ المريد فى السير ، ودخوله فى الغربة ، وحصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد .

وقد عرف المسلمون قدر هذه الرسالة ورفعوها إلى المسكن اللائق بها ولا سيما عندما شرحها الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية بكتابها الجليل ( مدارج السالكين ) فى ثلاثة مجلدات كبيرة ، ولعله يصح أن يتخذ مرآة للتصوف الإسلامى الذى لا تشوبه نزعات أجنبية : لا برهمية ، ولا من حمة الحلول ، أو لإنكار وجود الواجب بدعوى وحدة الوجود .

وبين أيدينا الآن شرح آخر لرسالة شيخ الإسلام الهروى ألفه محمود بن حسن بن محمد الفركاوى القادرى فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، وكانت توجد منه مخطوطة فذة فى خزانة كتب لاله لى ( رقم ١٤٢٧ ) بالقسطنطينية تاريخها شهر صفر سنة ١٠٢٩ .

ومما يدل على غنى سلف المسلمين بالرجال أن مؤلف هذا الشرح ( محمود بن حسن الفركارى ) لا تعرف له ترجمة فى السكتب المتداولة فى الأيدى الآن ، مع بلاغته وفضله وتجويده لصناعة التأليف كما يدل عليه هذا الشرح . غير أن الناشر الاب دى لوجييه استنتج من قول المؤلف إنه كان موجوداً فى سوق العبي بدشق لما احترق سوق القطنين والدقاقين أن ذلك كان سنة ٧٥٦ لأن الحافظ ابن كثير ذكر هذا الحريق فى البداية والنهاية ( ١٤ : ٢٥٣ ) . وللفركاوى غير شرحه على منازل السائرین كتاب آخر اسمه ( النور الاسنى فى شرح معنى



الاسماء الحسنی) توجد منه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ( رقم ٣٩ تصوف ) كتب في آخرها : « وكان الفراغ في رياضة الخميس ٢٨ جمادى الاولى سنة ٧٩٥ بتعليق مؤلفه ، وقد يكون هذا التاريخ للأصل المنقول عنه مخطوط دار الكتب الظاهرية . ويستنتج الناشر من قرائن متعددة أن الفركاوى ولد في العراق غالباً حوالى سنة ٧٢٥ وكان يقرئ الايتام بدمشق بعد سنة ٧٥٠ بقليل ، وكانت وفاته بعد تأليف ( النور الاسنى ) أى بعد سنة ٧٩٥ .

وشرحه على منازل السائرین وصفه هو بقوله : « وهذا الشرح قد جمعنا فيه بين التشرع والتحقق ، ولم أطل خيفة الملل ، وقال أيضاً : « هذا الشرح ما استضاء عليه بكتب ، وإنما كان فتوحاً : نصفح كل مقام ، ونحل كل رمزه ، ونكشف حقيقته . ولم أورد الحكايات والاعخبار فيه خيفة الملل والتطويل . وقال : « تارة نشرح متتابعاً للدرجات وتارة بالعكس ، وذلك بحسب طاقتنا في الوقت . وأكثر ما يهتم به في الشرح ثلاث مقامات : الاستقامة ، والصبر ، والصدق ، وهذه الثلاثة روح الاخلاق الإسلامية ، ومن دعائم أركان الإيمان الإسلامى .

والفركاوى يصف نفسه بأنه مرید عبد القادر الكيلانى ( ٤٧٠ - ٥٦١ ) وبينهما نحو ثلاثة قرون فلعله يريد أنه اقتبس علمه من علم الشيخ عبد القادر ، وهو لا يريد علم الفقه فالشيخ عبد القادر حنبلى والفركاوى شافعى ، ولكنه أراد العلم الذى نجاهه في شرحه لمنازل السائرین . ونسبة هذا الشرح إلى مدارج السالكين كنسبة ما بين علم الفركاوى وعلم الإمام ابن القيم وهو فرق بعيد جداً .

وقد عني الالب دى لوجييه بإخراج هذه الطبعة وتحقيقها عناية عظيمة يشكر عليها . وما نلفت إليه أظنار مقلدى الغربيين - وأكثر حملة الأفلام عندنا مقلدون حتى في الشكليات للغربيين - أن الالب دى لوجييه يضع الخطوط على سطور المتن من فوقها كما هي عادة المسلمين والعرب في كتبهم في جميع العصور . فنحن كما نكتب من اليمين إلى الشمال بعكس الغربيين ، نضع الخطوط على السطور من فوقها بعكس الغربيين أيضاً . والالب دى لوجييه والسواد الأعظم من المستشرقين إذا نشروا كتب العرب والمسلمين يتبعون سنن العرب والمسلمين وذلك هو الاتقان بهم . أما مقلدة الإفرنج من كتابنا وعلماؤنا فلا يعرفون سنن العرب والمسلمين في كثير من الأمور .

وشرح منازل السائرين ، مطبوع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة . ووعد الناشر بمواصلة نشر مؤلفات شيخ الإسلام الهروي وما يتصل بها من شروح وأبحاث .

### خولة الشعراء للاصمعي

بتحقيق الاستاذين محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ، ٩٨ ص جابر  
كتاب (خولة الشعراء) لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي (١٢٢-٢١٦) أحد  
شيوخ الادب والنقد في القرن الثاني للهجرة يرويه عنه الإمام أبو حاتم السجستاني (المتوفى  
سنة ٢٥٥) وكان أبو حاتم يسأل الاصمعي عن كل فقرة من موضوع الكتاب فيجيبه  
الاصمعي عليها ويسجلها أبو حاتم . عثر الاستاذان الفاضلان الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي  
والشيخ طه محمد الزيني على مخطوطة منه قديمة في دار الكتب الازهرية ( بالمجموعة  
رقم ١١٨١ بجامع أباطة - ٧٣٢٣ ) فعارضها بمخطوطة حديثة في الحزانة التيمومية منقولة  
عن الاصل الذي في مكتبة الازهر ، واستفادا من معارضه هذه الرسالة بالمرئى عن الاصمعي  
في كتاب (الموشح) للرزباني . وهذه الرسالة فوق أنها من أقدم المؤلفات في تراث الادب  
العربي فإن صدورها عن الاصمعي ورواية أبي حاتم السجستاني لمسائلها عن هذا الشيخ القديم  
من شيوخ الادب يزيدان في أهميتها . وهي تبدأ من الصفحة ١٢ وتنتهى في ص ٤٠ وقبلها  
كلمة الناشرين عن الرسالة ومؤلفها وراويها . ولما كان (الموشح) للرزباني حافلا بالنقول  
عن الاصمعي في نقد الشعراء والتحدث عنهم وعن شعرهم ، وفيه أكثر مما في هذه الرسالة ،  
فقد ذيلها الناشران بهذه الزيادات عن الموشح وبما عثرأ عليه في بعض الكتب الأخرى .  
والحقا بذلك مجلسا من مجالس الاصمعي الأدبية بين يدي الرشيد نقلاه عن العقد الفريد ،  
كما نقلا عن أمالي المرتضى وزهر الآداب شاهدين من روايات الاصمعي ، وقطعا من ترجمة  
الاصمعي عن القاضي ابن خلكان في الوفيات والسيوطي في البغية والشريشي في شرح المقامات  
فشكراً للناشرين الفاضلين على هذه الطرفة الأدبية .

### دائرة المعارف الإسلامية

من العدد ٧ إلى ١٢ من المجلد التاسع - نشر لجنة ترجمة الدائرة  
أهديت إلينا هذه الأعداد الستة (٧-١٢) من المجلد التاسع لدائرة المعارف الإسلامية  
مترجمة بأقلام الاساتذة أحمد الشنتناوى ، وإبراهيم زكى خورشيد ، وعبد الحميد يونس .

وقد راجعها من قبل وزارة المعارف الدكتور محمد مهدى علام . وتبدأ هذه الأجزاء الجديدة من مادة ( دعان ) وتغنى بمادة ( الراى ) . وقد حفلت بالكلام على الأعلام التاريخية والجغرافية التى لها فى نظر مؤلفى الدائرة أهمية ملحوظة فى تاريخ المسلمين مما يبتدىء بحرف الدال بعد كلمة دعان وجميع حرف الدال ثم حرف الراء إلى كلمة الراى . ولا شك أن مؤلفى الدائرة من مستشرقين ومن استعانوا بهم من شرقيين وفوا هذه المواد حقها من البحث والتحقيق من وجهة نظرهم وبحسب اقتناعهم ، فكانت لذلك مما لا يستغنى عرى ولا مسلم عن الاطلاع عليه . وإن كانوا كثيراً كثيراً ما لا تتفق أنظارهم واقتناعهم مع أنظار المسلمين واقتناعهم . ولخضرة الدكتور محمد مهدى علام تعليقات قيمة فى هذه المواطن ، وكانوا فيما مضى يعمدون إلى طائفة من العلماء باستيفاء هذه الملاحظات ، ومواد الدائرة جديرة بذلك وبأكبر منه .

## السودان من ١٨٤١ إلى ١٩٥٣

أصدرته رئاسة مجلس الوزراء ، فى ٤٥٥ صفحة كبيرة ، المطبعة الاميرية بالقاهرة

أهدت إلينا رئاسة مجلس الوزراء هذه المجموعة العظيمة من الوثائق الرسمية عن وهو تاريخ السودان من ٢١ ذى القعدة ١٢٥٦ ( ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ) الفرمان السلطانى من الدولة العثمانية لمحمد على عن مقاطعات نوبيا ودارفور وكوردوفان وسنار إلى الوفاق المعلوم سنة ١٨٩٩ ، ومنه إلى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ثم وثائق السودان بعد تلك المعاهدة ، والسودان أمام مجلس الأمن ، والسودان بعد مجلس الأمن ، وأخيراً السودان فى العهد الجديد من المذكرة المصرية فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ إلى اتفاق الأحزاب السودانية فى ١٠ يناير سنة ١٩٥٣ ، فباحثات الرئيس محمد نجيب واستيفسون من ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ إلى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ . فهو كتاب جمع كل ما تحت يد مصر من وثائق رسمية عن السودان فى جميع هذه العهود ووضعها بين يدى أمة النيل لتسكون على علم بها ومحيطه بكل ما طرأ على السودان من أغوار . وختم الكتاب بنص اتفاق الحكومتين المصرية والبريطانية فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ بشأن الحكم الذاتى وتقرير مصير السودان والخطابات المتبادلة بين الحكومتين ونظام الحكم الذاتى الصادر فى ٢١ مارس سنة ١٩٥٣ فشكراً للحكومة المصرية على هذا العمل الجليل الذى فيه خدمة للعلم والوطن .

## القاديانية

للأستاذ أبي الحسن على الندوى — طبع الهند

الأستاذ أبو الحسن الندوى معروف لقراء العربية ، بمؤلفاته الكثيرة المنتشرة ، والعنوان الكامل لهذه الرسالة ( القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام ) وهذا المعنى مستعار من مقال للشاعر الأعظم محمد إقبال ، وهو يوافق ما أعلنه مؤسس القاديانية غلام أحمد ونشرته جريدتهم الرسمية ( الفضل ) بتاريخ ٣٠ يولية ١٩٣١ وهو قول غلام أحمد القاديانى ، « إننا نخالف المسلمين فى كل شئ : فى الله ، فى الرسول ، فى القرآن ، فى الصلاة ، فى الصوم ، فى الحج ، فى الزكاة ، وبيننا وبينهم خلاف جوهري فى كل ذلك » . ويقول مؤسس القاديانية فى صفحته ١٠ من الطبعة السادسة من ملحق كتابه ( شهادة القرآن ) :

« لقد ظلمت منذ حدائقى وقد ناعزت الآن الستين أجاهد بلسانى وقلبى لا صرف قلوب المسلمين إلى الاخلاص للحكومة الانجليزية والنصح لها والعطف عليها ، وأنى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهالمى والتى تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة . »  
هذه الحقائق يمجدها القارىء المسلم بنصوصها وتعيين مراجعها فى هذه الرسالة الوجيزة للأستاذ أبي الحسن الندوى . فجزاه الله عن الإسلام خيراً .

## أدب الأخوة

للأستاذ السعيد الشربيني الشرباصى - ١١٧ ص - مطبعة دار الكتاب العربى

هو كتيب لطيف مملوء بالنقول والمختارات وحسن التوجيه عن أدب الأخوة فى الإسلام بدأه بفصل عن المودة والقربى ، ثم عقد فصولاً لاختيار الإخوان ، وحقوقهم فى المال والمعاونة بالنفس واللسان وتناسى الهفوات ، والإخلاص والوفاء ، وترك التكلف وعدم التكليف . وختمه بخطاب عنوانه « يا أخى » ناجى فيه كل مسلم أن يعرف موضعه فى البشرية فينزل المغرور من علياء سمائه الوهمية إلى دنيا الأخوة وميدان سعادتها ، ويرتفع المستعبد من حضن العبودية إلى دنيا الأخوة وميدان سعادتها ، فإن لكلمة « أخى » عذوبة فى الآذان ووقفاً فى الجنان ، بما تولده من ثقة بين المتخاطبين والمتعاونين فتجعل الكبير لا يحس بأنه فوق والصغير لا يشعر بأنه تحت .

فكتيب « أدب الأخوة » كتاب أدب وأخلاق وحسن توجيه ، فلنفت أنظار الشباب إليه .

## نظام الحكم في الاسلام

لفضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون ، ٩٦ ص ، مكتبة وهبة بالقاهرة

هو بحث متمتع لفضيلة الاستاذ الشيخ صادق إبراهيم عرجون شيخ معهد أسيوط الديني ألقاه على أساتذة ذلك المعهد وطلبته وعلى أهل الفضل والمكانة في عاصمة الصعيد ، وبناء على بيان أن ما نحن فيه الآن من تقصير عن الأخذ بنظام الحكم في الإسلام إنما هو نتيجة خطة رسمها الاستعمار لنا في غفلة المسلمين عنه ، وقد بدأ الاستعمار رسم خطته هذه بعد وقوف غلادستون رئيس الوزارة الإنجليزية في مجلس العموم وإعلانه أنه ما دام القرآن قائماً بين المسلمين فإن يتم للغرب عمل بينهم . قال فضيلة الاستاذ المحاضر : وهو لا يعني طبعاً بقيام القرآن بين المسلمين هذا اللون التعبدى بتلاوة القرآن ، ولكنه يعني قيامه بينهم قياماً عملياً يجعله دستورهم الذي يوجه سياستهم ويصرف شئونهم العملية في الاجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم .

ثم تناول قضية فصل الدين عن السياسة وبين أن ذلك ينطبق على غير الإسلام ، وأن من خير الإنسانية أن تستنير في سياستها بهدى الإسلام ، وأن في ذلك علاج الأمم كلها من أوصائها التي تن من هنا الآن أينما ، ولو عرفت كيف تستنير بالإسلام في سياستها وأنظمة حكمها لوجدت في ذلك سعادتها كاملة .

والمحاضرة التي استغرقت ٩٦ صفحة مليئة بأنصع البراهين على صحة هذه الحقيقة ، لو شئنا أن نفتبس منها كل ما فيها من حق لكان حتماً علينا أن نقلها كلها . فعلى كل أزهري وعلى كل أخ مسلم أن يقرأ رسالة ( نظام الحكم في الإسلام ) لفضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون ثم يعيد قراءتها أكثر من مرة ، لا ليتمتع ببلاغها وما فيها من حقائق وحسب ، بل ليؤمن بما فيها من تلك الحقائق وليعرف طريق الهدى الذي شرعه الإسلام للمجتمع الإسلامي والإنساني .

## التقرير السنوي

عن أعمال قسم الانكستوما والبلهارسيا

أهدى إلينا قسم الإنكستوما والبلهارسيا تقاريره السنوية عن أعماله الإنسانية المشكورة من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٩ وفيه إحصائيات دقيقة عن الأعمال التي قام بها هذا القسم

في كل عام ، في أقسامه الخارجية وأقسامه الداخلية ، والوحدات الجديدة التي لا يزال ينشئها تبعاً ، والتحسينات في أنظمة العمل . ولما كانت الانكسار والتفكك والبلهاري من أخطر الأمراض التي تفكك بالعدد الأكبر من جمهور الشعب المصري ، فإن العمل لمقاومتها من أعظم ما تقوم به وزارة الصحة العمومية في مصر .

## خواطر في الأدب

ودراسة نصوصه ونقدها

للأستاذ أحمد مظهر العظمة ، ٧٤ ص قالبين ، مطبعة الترقى بدمشق

الأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس تحرير رصيفتنا مجلة ( التمدن الاسلامي ) بدمشق ، وعضو لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف السورية ، وقد سبق لنا التنويه بكتابته ( مذاعات في الاسلام ) في جزء رمضان من العام الماضي . وبين أيدينا الآن هذا الكتاب ( خواطر في الادب ) من مؤلفاته . وهو ينطوي على فصول : الادب وإصلاح المجتمع ، ملاحظات على أدبنا الحديث ، جمال الاسلوب ، دراسة النصوص الادبية ، البحري يصف الإيوان ، ابن الرومي يرثي البصرة ، موازنة بين نكبة البصرة ونكبة دمشق ، النقد الأدبي ، الذوق والنقد الأدبي . فنلفت إليه الانظار .

## التيامة

صحيفة أدبية نفيسة صدرت من الرياض عاصمة نجد ، وهي الصحيفة الاولى في تاريخ هذا القطر العربي الصميم ، لمديرها ورئيس تحريرها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر أعلم من نعرفهم اليوم بأنسب العرب وجغرافية البلاد العربية ولا سيما الشمالية منها . وقد اطلعنا على الجزء الاول ، منها لشهر ذي الحجة المنصرم قرأناه حافلاً بالفصول الممتعة والتحقيقات القيمة مما يعز مثل في الاقطار العربية العربية في الصحافة . ولما استمرت هذه المجلة في طريقها كما يريده لها منشئها الفاضل ، فالتنا نرجو أن تكون إن شاء الله من مفاخر الثقافة في جزيرة العرب .

# الأربعاء العجلى في شهر

## المؤتمر العلمي العربي

انعقد في أواخر شهر ذي الحجة المنصرم المؤتمر العلمي العربي الأول في الإسكندرية وعرضت عليه بحوث علمية باغت نيفاً وستين بحثاً قال عنها الدكتور مصطفى نظيف رئيس المؤتمر إن فيها ابتكاراً وفيها إضافات جديدة للعلم لا يقل مستواها عما ينشر في المجلات العلمية العربية . وقد أثبتت شعبة البحوث المبتكرة أن في الأمم العربية بداية حركة علمية صحيحة تبشر بمستقبل زاهر . وسوف تنشر في سجل أعمال المؤتمر باللغة العربية .

وألقيت فيه من المحاضرات خمس في تاريخ العلم عند العرب ، ووردت ست محاضرات أخرى لم يتسع الوقت لإلقائها .

وعالج المؤتمر هذه المشكلات الأربع :

المصطلحات العلمية .

التأليف والترجمة والنشر .

إعداد مدرسي العلوم .

العلم والاقتصاد القومي .

وكل مشكلة من هذه المشكلات لا تزال محتاجة إلى أن تنهى الفرصة الكافية لدراستها دراسة كاملة .

وقد اتفق الرأى في اجتماع الرؤساء والوفود ومقررى اللجان والأمن العام المساعد للجامعة العربية ومدير الإدارة الثقافية على أن يتقدموا إلى المؤتمر باقتراح إنشاء ( اتحاد علمى عربى ) يكون هو الجهاز العلمى الذى يتحقق بواسطته التعاون العلمى بين أبناء العروبة ، تتولى تأسيسه هيئة تؤلف تحت إشراف الإدارة الثقافية للجامعة العربية . وستبذل الجهود الممكنة لإنشاء هذا الاتحاد على أسس وطيدة ، ويسمى لدى مؤتمر وزراء المعارف العرب الذى سيعقد فى الأسبوع الثانى من المحرم للحصول على المساعدات الأدبية والمادية لمشروع الاتحاد العلمى العربى

## أصل النيل :

كان المعتبر أن أصل النيل من بحيرة كبرى فوق الهضبة الاستوائية أطلق الإنجليز عليها اسم ( فكتوريا نيانزا ) . وقد تبين بعد ذلك أن فى تنغانيقا نهرين يطلق الوطنيون عليهما لاسمى ( زوفوفو ) و ( كاجيرا ) يلتقيان فى غابة كثيفة بالقرب من ( رواندا ) ويؤلفان الأصل الأول للنيل عند انصباهما فى بحيرة فكتوريا نيانزا ويكون منهما حينئذ شلالات رائعة قلما يوجد نظير لها فى بقاع أخرى .

### الخوف منه الجامع على الجامعة

في إحدى الصحف اليومية ركن يزعم أنه يريد الاتجاه « نحو النور » ، ولكنه يريد من غير نور الله ، ولذلك يخطئ القصد كثيراً ويتعثر الناس بما فيه من ظلمة . وقد أحس هذا الركن في تلك الجريدة بأن جامعة القاهرة تنوى أن تنشئ مسجداً ، لأن المصلين كثروا جدا بين طلبتها وصار المسجد حاجة من حاجاتهم ، فانبعث من ذلك الركن في تلك الجريدة صوت يقول « لسنا نحب أن يختلط الأمر علينا فيصبح حرم العلم المحرر من كل قيد للبحث والرأى ، المطلق من ارتباطه بدين من الأديان أو معتقد من المعتقدات ، وكأنه مخصص لدين معين أو معتقد معين » .

وقد سمعنا طلبة من جامعة القاهرة يقولون عندما وقع نظرم على هذا الكلام : إن الجامعة اليوم زاخرة بطلبة يرون حاجتهم إلى المسجد لا تقل عن حاجتهم إلى قاعة الدراسة ، بل حاجتهم إلى المسجد أعظم . وكاتب « نحو النور » ، عندما يرسل مثل هذه النصائح يرسلها من ركن مظلم ، ولو أنه خطاخطوات أخرى نحو النور لعلم أن الجامعة اليوم غير الجامعة التي كان يعرفها لما كان طالبا

### عميد كلية الحقوق

يتكلم عن نظام الإسلام

سأل مندوب إحدى المجلات الأسبوعية الدكتور عثمان خليل عثمان عميد كلية الحقوق

وقد وصل أخيرا العالم الجغرافي مستر لوملى إلى هذه الشلالات ولمح في جذع شجرة تواجه هذا المكان تجويفا وضعت فيه جرة من زجاج ذات غطاء لولبي ، فلما فتحها وجد فيها ورقة موقعا عليها في أوقات مختلفة بخمسة أسماء لرحالين من الألمان تاريخ أقدم توقيع منها سنة ١٨٩٠ ويقول صاحبه إنه أول رجل وصل إلى منبع النيل . وقد أضاف لوملى توقيعته في هذه الورقة وأبقاها في مكانها .

### مكتبات المدارس المصرية

شكا كاتب في الأهرام ( ٩ ذى الحجة ) من أن الاعتراف بالمكتبات في المدارس المصرية لا يعدو أن يكون رمزاً ، والغالبية العظمى منها عبارة عن مخازن للكتب يسوء الباحث فيها ما بها من إهمال وسوء نظام ، وليس لها دستور غير « لائحة المخازن » ، التي لا تطلب من أمين المكتبة إلا سلامة « العهدة » ، أما إدراك الأغراض التي تنشأ من أجلها المكتبات ، وتيسير تدريب التلاميذ على استعمال الكتب والإفادة منها ، وتوفير المادة التي تثير رغبات التلاميذ وتشبع ميولهم خارج نطاق المنهج الدراسي ، وإعداد الأطفال لفهم نظم المكتبات العامة ، وغرس الميل إلى القراءة في نفوس التلاميذ ، فهذه أمور لا حظ لها من العناية والاهتمام في مكتبات المدارس المصرية .



## تنظيم الأزهر

تألفت لجنة عليا برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر لإعادة تنظيم الأزهر وتنقيح مناهجه ، وتكوين الطالب الأزهرى تكويناً يعده للاضطلاع برسالة الإسلام فى خلقه وتوجيهه الإسلامى وتجهيزه بالعلم النافع الذى يعينه على مهمته السامية بعد إتمام دراسته .

وقد اختار حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر لعضوية هذه اللجنة العليا أربعة من أعضاء جماعة كبار العلماء وهم أصحاب الفضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج ، والدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ عبد اللطيف محمد السبكى ، وصاحبى الفضيلة الشيخ محمد البسيونى زغول شيخ معهد دسوق ، والشيخ طه محمد الساكت المفتش بالأزهر ، وحضرة الاستاذ محمد أحمد الغمراوى أستاذ الكيمياء فى كلية الطب بجامعة القاهرة سابقاً ، والاستاذ محب الدين الخطيب رئيس تحرير هذه المجلة الذى تولى سكرتارية اللجنة العليا .

وقد افتتح عمل اللجنة بتلاوة تقرير مطول كتبه رئيس تحرير هذه المجلة عن مواطن الضعف فى المناهج الحاضرة وضرورة إعادة النظر فيها لتنمى مع حاجة العالم الإسلامى الحاضرة ولنكون أكثر استجابة

عن رأيه فى فصل الدين عن الدولة فى العصر الحديث ، فأجابه : أنا شخصياً لم أشعر فى يوم - وأنا بصدد التفكير فى مواد الدستور - أنى أفكر فى الأمر كسلم ، إلا فى لحظات محدودة حدثت فيها بعض الأشخاص عن هذا الموضوع . واعتقادى الشخصى أن النص على أن دين الدولة هو الإسلام لا ينفع مسلماً ولا يضر غيره . وأمل أن يبحث هذا الموضوع من ناحية مصرية فقط ، ثم قال : إن الإسلام لم يفرض على الناس نظاماً معيناً للحكم ، وإنما فرض أساسين هما الشورى والعدل . فكل نظام يتفق مع الزمن ومقتضياته يعتبر صحيحاً من الناحية الإسلامية ما دام يحقق الأساسين السابقين أما ما يخالف الشرائع أو ما قد يبدو أنه يخالفها من أحكام تفصيلية فهذا مردّه إلى القوانين العادية لا إلى الدستور .

وقد توخينا نقل هذه الجمل من كلام عميد لكلية حقوق مصرية لفسجل ناحية من نواحي التفكير عند ذوى المكانة العلمية فى الفقه والتشريع من أبنائنا . وليفكر العلماء بالتشريع الإسلامى فى مبلغ انطباق هذا الكلام على دين الأمة المصرية . ثم أليس من مهمات الدستور فى أمة مسلمة أن ينص على وجوب تحرى وجهه الإسلام فى الشورى والعدل ، وعلى اشتراط مبادئ ثلاث فى دين الأمة عند صن قوانينها .

الإنجليزية. فعاد مدير الزراعة السعودي وقال إنه لا يسعه إلا أن يطلب العودة إلى مناقشة هذه المسألة بمناسبة حضوره أول جلسة للمؤتمر عقب وصوله من بلاده ، وأضاف قائلاً : إن وجود سبع دول عربية في المؤتمر كان خليقاً أن يجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية لمداوولات المؤتمر ومناقشاته ، وإن عدم الأخذ بذلك واختيار لغة أجنبية كاللغة الإنجليزية لتسكون وسيلة التفاهم بين الاعضاء في مداولاتهم أمر يتنافى مع المنطق والواجب والكرامة ، وعلى أثر ذلك ، اتخذ المؤتمر قراراً بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في المناقشات .

### مدينة جامعية بدمشق

صدر مرسوم تشريعي بإنشاء مدينة جامعية في دمشق تضم أبنية لإيواء الطلبة ، وأندية ، وملاعب ، ومطاعم وقد أبيع للدول العربية وللهيئات أن تفتش في هذه المدينة أجنحة للطلبة بموافقة وزير المعارف السورية .

### مدرسة عربية في القدس :

تبرع سمو الأمير سعود ولي عهد المملكة السعودية بمائة ألف جنيه لإنشاء مدرسة ابتدائية في القدس تتسع لخمسمائة تلميذ يتلقون تعليمهم الابتدائي مجاناً ويقدم لهم الطعام والواجب المدرسية ، وقد تبرع بمائة ألف جنيه أخرى لنفقات المدرسة .

لمقاصد الإسلام وتحرياً لأهداف رسالته . وقد أخذت اللجنة العليا في دراسة هذه الأمور من أسسها ، وستمضى فيها بعزيمة وحكمة بقدر ما يبسر الله لها من أسباب النجاح والتوفيق .

### العربية بالبنك الأهلي

أصدر الأستاذ أمين فكرى محافظ البنك الأهلي قراراً بعد عيد الأضحى بأن تكون العربية اللغة الرسمية للبنك وفروعه وتوكيلاته في أنحاء الجمهورية المصرية فتكتب بها دفاتره ومراسلاته وتكون بها معاملاته وأعماله .

### العربية

#### في مؤتمر هيئة الأغذية والزراعة

في مستهل الجلسة الخامسة للمؤتمر الإقليمي الثالث لهيئة الأغذية والزراعة وقف رئيس وفد المملكة العربية السعودية السيد أحمد عبيد مدير الزراعة وقال إنه يلاحظ - مع الأسف والدهشة - أن اللغة السائدة في مداوولات المؤتمر هي اللغة الإنجليزية ، رغم وجود سبع دول عربية ممثلة في المؤتمر . فقال رئيس المؤتمر : هذه المسألة كانت محل بحث في جلسة سابقة ، أى قبل حضور السيد أحمد عبيد وتولييه رئاسة الوفد السعودي ، ورأى أن تكون هناك لغة موحدة يفهمها جميع أعضاء المؤتمر ، ولهذا وقع الاختيار على اللغة

# إنشاء العمل الإنساني

العامة في كل من مراکش وتونس والاحداث  
الخطيرة التي تسود أرجاء هذين القطرين  
الشقيقتين .

وقد أحيط المجلس علماً بما أقدمت عليه  
السلطة الفرنسية من خلع سلطان مراکش  
سيدى محمد بن يوسف ونفيه وأسرته إلى جزيرة  
كورسيكا .

وإن جامعة الدول العربية - التي تعتبر  
القضية المراكشية قضية عربية تهدف إلى  
الحرية والاستقلال - تستنكر أشد الاستنكار  
هذا العدوان على السيادة المراكشية ، ويرى  
مجلس الجامعة أن هذا التدبير الجائر يتجافى  
مع ميثاق الأمم المتحدة ، فضلاً عما فيه من  
انتهاك صريح للمعاهدات الدولية الخاصة  
بمراكش .

وأن دول الجامعة العربية التي تحرص على  
رعاية الأمانى الوطنية للشعب المراكشى  
الشقيق ، تعلن أنها لا تعترف بأى حال من  
الاحوال بالأوضاع غير الشرعية التي فرضتها  
السلطات الفرنسية في مراکش . وقد كانت  
دول الجامعة العربية تأمل أن تحترم فرنسا  
القرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة بشأن

## ميثاق الضمان الجماعى العربى

من الميزات العسكرية لميثاق الضمان الجماعى  
العربى أنه جعل من الجيوش العربية جيشاً  
واحداً . وسيجعل كل جيش عربى منفرداً فى  
نوع خاص من الاسلحة يتمشى وطبيعة جنوده  
وإن اللجنة العسكرية ترافق التطورات  
الخاصة بذلك بوسيلة عملية عندما تجرى  
الجيوش العربية مآوراتها المشتركة .

وقد رسم الميثاق الطرق أمام الدول العربية  
فى تحالفها مع الغرب بأن لا تسلك أية دولة  
فى علاقاتها الدولية مع الدول الأخرى مسلماً  
يتنافى مع أغراضه .

أما ميزات الميثاق من الوجهة الاقتصادية  
فأهمها أنه جعل من الدول العربية ( وحدة  
اقتصادية ) يكمل بعضها البعض الآخر .  
وسيترب على ذلك أن تمنع الدول العربية  
كل تدخل أجنبى فى اقتصادياتها الكثيرة  
المنوعة ، وتقيم سداً فى وجه الغرب الذى  
كثيراً ما عبث باقتصاديات الشرق .

## المغرب وجامعة الدول العربية

استعرض مجلس جامعة الدول العربية الحالة

شيئا ، ولذلك يجب ألا نخشى شيئا .  
وتسأل : ماذا يخسر الشعب المصرى لو  
قررمقاطعة فرنسا اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا  
وأجاب : انه لن يخسر شيئا ، إلا بعض مظاهر  
المتعة والترف - إذا صح أن يعتبر هذا  
خسرانا - وهو مع ذلك يستطيع أن يستبدل  
بها متعا أخرى يستوردها أو يسعى إليها  
فى غير فرنسا .

ثم قال : وما ينطبق على مصر حكومة وشعبا  
ينطبق كذلك على العراق والمملكة السعودية  
والمملكة الأردنية واليمن المتوكلية ، بل على  
سوريا ولبنان اللتين تخلصتا بحمد الله من نير  
فرنسا ، ومن الخير أن يكون خلاصهما منه  
شاملا كاملا لا تشوبه أية شائبة من أى سبيل .  
الحق أننا نستطيع أن نرد على اللطحات المؤلمة  
التي يوجهها الاستعمار الفرنسى إلينا بلطحات  
مؤلمة مثلها دون أن نخشى شيئا . بل أنا أعتقد  
مخلصا أن مقاطعة فرنسا رسميا وشعبيا ،  
سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ، هو  
أحسن السياسات لخير القضايا العربية كلها .

### ولاية كشمير

الاستاذ الاكبر يدعو إلى استفتاء أهلها  
أذاع حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ  
الاكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالى  
يوم ٧ ذى الحجة ١٣٧٢ ( ١٧ / ٨ / ٥٣ ) :

تونس ومراكش . وتسلك سبيل المفاوضة  
السياسية للوصول إلى حل سلى عادل يقوم  
على أساس ميثاق الأمم المتحدة ، ولكن  
فرنسا قد تجاهلت مشيئة الأسرة الدولية .

من أجل هذا رأى مجلس الجامعة ، نكاطة  
أولى ، أن تواصل الوفود العربية وإلى جانبها  
بقية وفود المجموعة الآسيوية الأفريقية لدى  
الأمم المتحدة الجهود السياسية لبسط ظلامه  
هذين القطرين الشقيقتين أمام الجمعية العامة  
فى دورتها الحاضرة ، وتعبئة جميع الجهود  
الدولية فى أروقة الأمم المتحدة لتحقيق  
الحرية والسيادة لهذين القطرين الشقيقتين .

ومجلس الجامعة إذ يرقب الحالة فى مراكش  
وتونس بالمزيد من الاهتمام والعناية يواصل  
تأييده لمراكش وتونس فى كفاحهما الباسل  
لنيل الحرية والسيادة والاستقلال .

وبأمل مجلس الجامعة أن تستطيع الجمعية  
العامة فى دورتها الحاضرة حمل فرنسا على  
تلبية الامانى المشروعة فى مراكش وتونس  
تجنباً لاتخاذ ( نداءير معينة ) يلح الرأى العام  
العربى فى اتخاذها .

### رد اللطمة لفرنسا

تسأل الدكتور محمد صلاح الدين فى مقال  
كتبه لإحدى الصحف الآسيوية فى القاهرة  
ماذا تفقد مصر لو قررت قطع العلاقات  
السياسية بفرنسا : وأجاب : انها لا تفقد

الإيراني بين أنصار مصدق ومعارضيه إلى المهاترة والضرب وما لا يستطيع وصفه . فأجرى مصدق استفتاء عاما لحل هذا المشكل كانت نتيجته خذلان أنصار الشاه وانتصار مصدق بتأييد حزب تودة انتصاراً جارفاً . وقيل إن مؤامرة دبرت لإحداث انقلاب عسكري لمصلحة الشاه . ولكن سرعان ما أحبطها مصدق يوم ٦ ذى الحجة ( ١٦ أغسطس ) وقبض على زمام الموقف وفر شاه إيران إلى العراق ومنها إلى أوروبا . وما لبث أنصار الشاه أن استأنفوا نشاطهم وقاموا بمظاهرات لحقت بها الفصائل العسكرية التي استطاع الجنرال زاهدی تعبئتها بسرعة ، فأخذ مصدق على غرة ، وسقطت حكومته ، وقبض عليه ، وعاد شاه إيران إلى بلاده . ومن ثم ارتفعت أسهم الشركة البريطانية للبتروال الإيراني ، واستبشر الأمريكيون خيراً ، ولا يزال مصدق معتقلاً تحت يد حكومة الجنرال زاهدی . وقد أعلن الشاه أن خيانة الدولة الإيرانية خاوية ، وأنه يرحب بالعون من أية دولة لإنقاذ البلاد .

### إيران ودولة إسرائيل :

كانت دولة إيران قد اعترفت في سنة ١٩٤٨ بدولة إسرائيل ، ثم سحب الدكتور محمد مصدق هذا الاعتراف في عهد حكومته الأولى .

« اطلعنا على الأنباء الواردة عن الحالة في ولاية كشمير .

« ولما كان هذا القطر إحدى الولايات التي كان يترأسها الأمراء ، وترك لها - عند تقسيم الهند إلى هندستان وباكستان - حق تقرير مصيرها ، ثم أيد مجلس الأمن هذا المبدأ وقرروا سلطة لجانه المعنية لدراسة هذه المشكلة تسويتها عن طريق استفتاء حر نزيه ، والشعب الكشميري نفسه يرى لنفسه حق تقرير المصير . « لذلك نسدى خالص النصيح لسل من لهم علاقة بهذا الأمر بأن يبادروا حالاً إلى حل هذه المشكلة بإجراء استفتاء حر نزيه في جميع أنحاء ولاية كشمير عن رأيها وإرادتها في تقرير مصيرها ، إبقاء على المودة والتعاون في القارة الهندية والشرق الناهض ، ولإعادة الطمأنينة والاستقرار في هذه البقعة العزيزة على الجميع ، وعملاً بالحق الذي أعطى لهذه الولاية عند تقسيم الهند إلى هندستان وباكستان ، ولا يمكن التحلل منه إلا بتحقيقه في الحال ، ونعتقد أن في ذلك مصلحة الجميع ، وبذلك يتفرغ الشرق إلى واجباته نحو نهضته التي نرجو من الله لهم فيها كل توفيق ونجاح ،

### إيران

طال أمد التنافس على الاستثمار بالحكم في إيران بين الشاه ورئيس وزارته الدكتور مصدق ، حتى وصلت الحال في البرلمان

في ( مؤتمر رؤساء جيوش العرب ) المنعقد في القاهرة في منتصف ذى الحجة ( ٢٦ أغسطس ) فقال :

« لقد انتهى وقت العمل الفردي ، ولم يعد جهد الدولة بمفردها — مهما عظم — مجدياً . فلا بد من التكتل والتكاتف . ولقد اجتمعنا اليوم لوضع أسس ذلك . لقد رسم لنا ( ميثاق الضمان الجماعي للدول العربية ) خططه وأساليبه ، وحدد لنا ولممثلينا أعضاء ( اللجنة العسكرية الدائمة ) واجبات وحدوداً . فعلينا نحن العسكريين أن ندرس هذه الواجبات والاختصاصات دراسة وافية ، لإصدار التوصيات ، ولتوجيه اللجنة العسكرية الدائمة ثم دراسة مقترحاتها ، لتتقدم بها إلى ( مجلس الدفاع المشترك ) . ورائدنا في ذلك أن نتقدم إلى هذا المجلس الموقر بما يزيد جامعة الدول العربية قوة ويرفع من شأنها ويؤيد كلمتها . وإلى أقدر بعد نظر واضعي المعاهدة ، فلم يقصروها على المواضيع العسكرية ، بل أضافوا إليها مسائل ( التعاون الاقتصادي ) ، وكلنا يعلم أهمية الاقتصاد والحرب الاقتصادية في الحروب العصرية ، وكلنا يقدر ما للعلاقة بين السياسيين والعسكريين من أهمية . والواقع أن كسب الحرب يتطلب تكاتف السياسى والاقتصادى والعسكرى ، فالأول يفكر ، والثاني يهيئ ويعبد ، والثالث يدعم ويؤيد .

ولما سقطت حكومة مصدق الآن توقعته الأمة العراقية المجاورة لإيران أن تعود لإيران للاعتراف بدولة اليهود ، فأرسل علماء العراق برقية مستعجلة إلى الحكومة الإيرانية يحذرونها من الوقوع في هذه الزلة ، ثم تألف وفد من كبار رجال الدين وبعض الشخصيات العراقية لزيارة طهران ومقابلة الشاه والجنرال زاهدى رئيس الوزراء والمداولة معهما في هذا الأمر الذى لا يليق بحكومة تنسب إلى الإسلام والظاهر أن حكومة العراق أيضاً كتبت إلى حكومة إيران تلقت نظرها إلى هذا الأمر وتحذرها منه . فأجاب الجنرال زاهدى على ذلك بأن هذه المسألة لم تكن موضوع بحث ، ووعد بأن لا تعترف إيران بإسرائيل .

### نقرم مصر العسكرية

قال رئيس الجمهورية المصرية لمراسل وكالة اسوشيتد پرس بمناسبة مرور عام على توليه رئاسة الوزارة : لم يزد الجيش المصرى وحداته المقاتلة بإضافة جديد إليها كجنود المظلات فحسب ، ولكنه توسع أيضاً في التدريب الفنى وقطع شوطاً بعيداً في إنشاء المصانع العسكرية التى ستزود الجيش عما قريب بما هو في حاجة إليه من أسلحة وعتاد .

### تكتل العرب العسكري

خطب رئيس أركان حرب الجيش المصرى

فعلينا أن نتحقق من أن تكون دراستنا مبنية على الفهم الصحيح للأوضاع السياسية والاقتصادية حتى تعزز الدول العربية نشيداً قويا تسير على خطاه القوات النظامية وشباب العروبة أجمعين بخطا قوية في طريق النصر والقوة .

### فرق للرماية بالمدارس

صدر قرار وزاري من وزارة المعارف المصرية بإنشاء فرقة للرماية بكل مدرسة ثانوية وما في مستواها والمعاهد العالية . ويبدأ تنفيذ هذا المشروع من أول العام الدراسي القادم .

### البحر يستعين بالغرب :

قال الأمير سيف الاسلام الحسن رئيس وزراء اليمن لندوب الاهرام : أجرينا منذ سنتين اتفاقا مع إحدى شركات الزيت الألمانية لاستغلال البترول الموجود في أراضينا ، ثم توقفت الأبحاث بسبب التعويضات الألمانية لاسرائيل . وبعد أن اتضح موقف الدول العربية من ألمانيا بصورته الاخيرة أتممنا ما بدأنا البحث فيه ، فأكملنا الاتفاق الخاص باستغلال البترول ، وستتحمل الحكومة اليمنية نفقات التنقيب ، على أن تتولى الشركة - من بعد - جميع الاعمال الخاصة باستخراجه ، بشرط أن تنال الحكومة اليمنية

٧٥٪ من الارباح وللشركة الباقي إلى أن تستوفي أموالها التي أنفقتها . ومدة الاتفاقية ٩٠ عاما . وتركنا الباب مفتوحا بشأن إنشاء معمل تكرير إلى أن نحصر الاماكن التي يوجد فيها البترول وكميته . والاتفاق حدد الاماكن التي سيدور التنقيب فيها ، وللحكومة اليمنية مطلق الحرية في الاستعانة بشركات أخرى للتنقيب في مناطق أخرى .

ولقد اتفقنا مع شركة كروب لاستغلال الفحم والحديد ، وستبدأ الشركة عملها بعد شهر واحد .

واستعانت اليمن ببعض الضباط الاتراك والعراقيين لتدريب الجيش اليمني .

واستعنا بالخبراء الايطاليين في تشييد مصنع للأسمت ، وستألف شركة مساهمة من الايطاليين واليمنيين لإنشاء المصنع المذكور . واستعنا كذلك ببعض الايطاليين للتنقيب عن الفحم في بعض المناطق التي لم تعط للخبراء الالمان ، فاذا ثبت وجود الفحم أمكن حينئذ الاتفاق مع الشركة الايطالية .

### اهياء الصحراء الغربية :

يقوم عدد من ضباط الجيش المصري والخبراء في المدة الاخيرة بإحياء ستة آلاف فدان من الصحراء في منطقة ( فوكة ) بمعاونة

الأموال المتجمعة من الصندوق فى أوجها الشرعية .

### افلسى نظام الاستعمار :

أعلن مسيو بيير منديس لحرائس ( أحد السادسة الذين كانوا مرشحين لرئاسة الوزارة الفرنسية ) فى بيان نشرته صحف باريس الحقائق الآتية :

• ان نظم القرن التاسع عشر الاستعمارية قد عفى عليها الزمن . وعجياتنا ومستعمراتنا القديمة فى حاجة إلى تغيير . وكلما كانت حكوماتنا تحاول تعديل سياستنا فى هذه المناطق - ولو تعديلا يتسم بالجن - كانت تقف فى وجهها معارضة قوية لم يمكن التغلب عليها حتى الآن .

وبعد أن ذكر فشل فرنسا فى الهند الصينية قال : إن لنا أن نتساءل : هل أفدنا من هذا الدرس ؟ وها ان أخطائنا فى شمال أفريقيا تنجلي عن عواقب أوخم .

### سواء بريطانيا !

منحت حكومة الاستعمار البريطانى فى كينيا خمسة وعشرين جنيا لجندى وطنى من جنود البوليس مكافأة له على قتله شقيقه من رجال جماعة ماو مارا

• النقطة الرابعة ، ، وقد أخذت الجرارات والمهراسات والمحارث الميكانيكية والآلات الزراعية الحديثة تشق الأرض هناك وتبث فيها البذور والمياه لزراعة أنواع معينة من النباتات التى تصلح للزراعة . وقد كانت هذه الجهات أرضا زراعية فى زمن الرومان ، وكانت فيه أهراء الحبوب التى تغذى أوروبا . ولما أهملت زراعتها فى أواخر الدولة الرومانية جرفت السيول الطبقات الخصبة من التربة إلى البحر فتحولت هذه الأرض إلى صحراء معطلة . ولقيام هذا المشروع الإحيائى الآن استعين بواسطة النقطة الرابعة ببعض الخبراء الأمريكين الذين مارسوا مثل هذا العمل فى صحراء أريزونا الأمريكية والآلات الصالحة لهذا العمل . وتدل التجارب على أن هذا المشروع سيشكل بالنجاح ، وستربى فى هذه المنطقة أنواع جديدة من الأبقار المكسيكية المهجنة لتوفير كمية كبيرة من اللحوم الجيدة .

### صندوق الزكاة :

قام قسم التشريع بمجلس الدولة بصياغة مشروع قانون يقضى بإنشاء صندوق للزكاة بوزارة الشؤون الاجتماعية يتلقى أموال الزكاة على أن تتولى لجنة عليا الإشراف على صرف



## بترول ساحل الخليج العربي

بدأ استنباط البترول من طبقات الأرض السعودية قبل الحرب العالمية الثانية بسنة ، ولم يكن غزيراً وواسع النطاق ، فلم يصل إلى مليون طن متري إلا في سنة ١٩٤٤ . ثم ارتفع فجأة إلى ١٢ مليون طن في سنة ١٩٤٧ وبلغ ٢٦ مليوناً سنة ١٩٥٠ وقفز إلى ٣٧ مليوناً سنة ١٩٥١ وإلى ٤٣ مليوناً في يونية سنة ١٩٥٢ .

وفي سنة ١٩٤٦ بدأ إنتاج البترول في الكويت حتى إذا حلت سنة ١٩٥١ بلغ فيها ٢٨ مليون طن وفي سنة ١٩٥٢ بلغ ٣٧ مليوناً وهو في ازدياد .

وفي مقاطعة قطر قدر إنتاج البترول بنحو ٣ ملايين طن وربع ولو حظ أن الآبار يتسع لأربعة ملايين ونصف مليون . ويستخرجون البترول في قطر من آبار في اليابسة وفي البحر .

أما في جزر البحرين فلا يزيد إنتاج البترول منذ بضع سنين على مليون ونصف مليون طن .

ويقدر عدد العمال الذين يعيشون من صناعة البترول في المملكة السعودية والكويت وقطر والبحرين بنحو خمسين ألف عامل .

## الانجليز والفرنسيون في ليبيا

في حكومة ليبيا ٢٧٤ موظفاً انجليزيا يتقاضون مرتبات سنوية قدرها ٢٣٢ ألف جنيه و ٢٧٣ جنيتها في حين أن الإعانة البريطانية لليبيا لم تسكن تزيد على مليون و ٢٠٠ ألف جنيه .

ولفرنسا في منطقة فزان ٢٥ موظفاً تبلغ مرتباتهم ١٦٧٦٥ جنيتها في حين أن الإعانة الفرنسية لا تزيد على ٦٢ ألف جنيه ، وتريد فرنسا أن تفرض بقاء قواتها في فزان لقاء هذه الإعانة التي يصرف جزء كبير منها للموظفين الفرنسيين .

## الأمريكيون في البلاد الإسلامية

أعلن السناتور دوجلاس في مجلس الشيوخ الأمريكي أنه يرى أن يفعل سفراء أمريكا في البلاد الإسلامية ما يفعله المسلمون ، أي أن يتمتعوا عن شرب الخمر . وسيطالب خفض الاعتمادات المخصصة للحفلات الدبلوماسية بمقدار مائة ألف دولار ، على أن لا يصرف شيء من هذه الاعتمادات في شراء مشروبات كحولية للسفارات والمفوضيات الأمريكية في الدول الإسلامية .

وحبذا المجاملة في حقوق الاوطان كالمجاملة في آداب المجتمع .

## مؤتمر إسلامى فى نيروبي

٧ - إنشاء بيت لإيواء المهتدين إلى الإسلام .

٨ - إنشاء بيت لكفالة الأيتام ورعاية الموزين .

٩ - إنشاء مستوصف لمعالجة الفقراء

١٠ - شكر الملك عبد العزيز آل سعود على ما بذلته حكومته من التسهيلات لدفن الداعية الإسلامى السيد عبد الله شاه فى جنة البقيع .

١١ - شكر سلطان زنجبار لإنشائه (المعهد الإسلامى) ورجاء العناية بتوسيعه وزيادة المدرسين والطلاب .

١٢ - شكر مشيخة الأزهر الشريف لإرسالها البعوث إلى إريتريا ومقدشو بما كان له أطيّب النتائج فى نشر الثقافة الإسلامية .

١٣ - اقتراح إنشاء معاهد دينية فى أوغندة وتنغانيقا ونيروبي على غرار المعاهد الأزهرية .

١٤ - رجاء حكومة كينيا العدول عن ذبح المواشى بضررها على جبهتها وتحذير المسلمين من تناول لحوم هذه الذبائح اتقاء للشبهة .

١٥ - شكر الجلالة الإسلامية على جهودها والأهابة بها أن تزيد عدد رحلاتها إلى القرى والأرياف لخدمة المواطنين وتحبيب الإسلام إليهم .

دعت جماعة حماية الإسلام فى نيروبي علماء المسلمين وزعماءهم فى أفريقية الشرقية إلى مؤتمر يتداولون فيه رأى للوصول إلى أحسن الوسائل لنشر الثقافة الإسلامية فى تلك المنطقة فانعقد المؤتمر فى أيام ٢٠ و ٢١ و ٢٢ من شهر ذى القعدة برئاسة الشيخ عبد العليم الصديق وقرر :

١ - تأسيس مركز للدعوة الإسلامية تذكارا للعلامة السيد عبد الله شاه رحمه الله وتقديرآ لجهوده الموفقة لخدمة الإسلام فى تلك الجهات .

٢ - إنشاء مدرسة تسمى ( دار العلوم الإسلامية) لتخريج الدعاة للإسلام فى أفريقية الشرقية .

٣ - إنشاء مكتبة علمية إسلامية .

٤ - نشر معانى القرآن الكريم وأحكامه وآدابه باللغة السواحلية .

٥ - تأسيس مكتب للتأليف والطبع والنشر بمختلف اللغات .

٦ - وضع رسالة تبين الأخطاء والدسائس فى ترجمة القرآن باللغة السواحلية التى وضعتها جماعة الغلام القاديانى وتحذير المسلمين منها .

## فهرس

## الجزء الأول — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بقة
١	فاتحة السنة الخامسة والعشرين	قلم التحرير
٤	إيمان	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٩	فتحات القرآن : مسجد المدينة	عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
١٤	السنة : بدل من الهجرة	طه محمد الساكت
١٨	هلال الحرم	المهيساوى
١٩	في ظلال القرآن	الدكتور محمد يوسف موسى
٢٤	نشأة المعاجم اللغوية وأطوارها	عبد الحليم النجار
٣٠	شفاء النبل في مسالك التعليل لفتن الى	الاستاذ أبو الوفا المرازى
٣٤	الحج المبرور ( حديث من دار الاذاعة )	لفضيلة الاستاذ الأكبر
٣٦	جددوا أنفسكم كما جدتم ثيابكم	» » »
٣٨	السيد أبو أيوب الانصارى	الاستاذ محمد محمد أبو شهبة
٤٤	بيان الى الشعوب الاسلامية عن أحداث مراكش	من جماعة كبار العلماء
٤٦	ديوان مجد الاسلام	الشاعر الكبير أحمد محرم رحمه الله
٤٩	الأزهر ومعارك التحرير الأولى	الاستاذ أحمد عز الدين خلف الله
٥٤	منهج البغدادي في خزانة الأدب	» عز الدين اسماعيل
٥٩	الاردن في أيام الحروب الصليبية	» محمد صبرى طابدين
٦٣	بين التقدير العيني والتقدير النقدي	» السعيد الشرباصى
٦٨	موقف الاسلام من حوادث مراكش ومعاهدة ليبيا	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٧٢	نظرات في كتاب الاموال ونظرية العقد في الاسلام	الاستاذ محمد على النجار
٧٨	الاخلاق عند بلتام	» سعيد زايد
٨٢	أحمد بن حنبل	» محمود النواوى
٨٦	تاريخ الكتابة	» محيى الدين رضا
٩١	تأويل الخوارق في القرءان	» محمد عبد الرازق حمزة
٩٣	نكشيكات الاستطلاع في سرية هبة الله بن جحش	اليوزباشى أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
٩٩	أصل البهائية وحقيقتها	الاستاذ السيد كمال الدين الثورى
١٠٤	نظام المجتمع في الاسلام	» عبد اللطيف عبد الننى خليف
١٠٩	السكرت	قلم التحرير
١١٦	الأدب والعلوم في شهر	»
١٢٠	أنباء العالم الاسلامى	»

رئيس التحرير  
 محمد بن عبد الحليم  
 العنوان  
 ادارة اجمع الارزهر بالقاهرة  
 تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الانوار  
 مجلة شهرية تباع في  
 تصدر عن شيخه الزهر في اول كل شهر عربي

الاشتراك السنوي  
 ٥٠ في مصر ولبنان  
 ٣٠ للطلبة في مصر ولبنان  
 ٦٠ في الخارج  
 ٤٠ للطلبة في الخارج  
 ثمن الجزء ٥

الجزء الثاني - القاهرة في غرة صفر سنة ١٣٧٣ - ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُوَّةٌ مِّنْ لَّدُنْهِ

أولها هذا ( النيل ) الأعظم ، هبة الله الكبرى لهذا الوادى . وإن شكر الله عليها لا يتم إلا بمعرفة قدرها ، والفضل بها . وحسن استعمالها . ولو أن كل حكومة تولت مصر - من عشرة آلاف سنة إلى الآن - شقت من شاطئ النيل الشرقى أو الغربى ترعة واحدة فى كل خمسين سنة أو مائة سنة ، لكان شاطئ مصر على البحر الأحمر ، وما بينه وبين النيل ، أعظم عمراناً من سويسرا وبلجيكا ، ولكان لمصر من حدودها الغربية إلى حدود ليبيا ووطن آخر مخضر الربوع ، زاهر بأهراء الجبوب ، معتدل الجو بالنخيل والأعناب ، وبالفواكه أزواجا وأنواعا ، مانح بأمة عظيمة عزيزة تعيش من الأمن والمشاط والرغاء بما يتيح لها أن تكون به أمة مثالية سعيدة .

ولو أن حكومة التحرير لم يصدر عنها - فى الخمسة عشر شهراً التى تولت بها أمر مصر - إلا تخطيط مديرية التحرير فى الصحراء الغربية ، ومشروعات السدود ، والإصلاح الزراعى ، ونشاط التشجير ، لكان هذا من شكر الله عز وجل على ما وهب مصر من نعم أضعافا المرفون ، وغفل عنها المبذرون ، ونام عنها من لا يستحقها من أهل الجشع والهبو والبطالة الذين يعيشون لعاجلتهم ، وليس فى تفكيرهم نصيب لآجلتهم .

إن هذه اللجج الضخمة من ماء النيل لتتحد في الماء المسالح جزافا وبلا حساب ، آناء الليل وأطراف النهار ، مسجلة علينا من آيات التقصير والتفريط والإهمال ما كان ينبغي أن تكتبه لنا ملائكة الرحمة حسنا لو أننا شكرنا الله عز وجل على نعمة النيل بإجراء كل قطرة منه في تربة متعطشة إليه لتثبت به الغذاء والرزق لامة تعظم بعظمته ، وتتسع بسعته ، أو تضمحل بتضييعه ، وتضعف بذهابه سدى - فيما وراء الارض المصرية شمالا - كأنه لم يخلق لتحييا به التربة فنزدهر به الحياة والحضارة والقوة والسعادة والعمران .

وإن هذا النيل ، لو كان جارياً تحت أظفار غيرنا من عشرة آلاف سنة حتى الآن ، لقامت على شطآنه مصانع لكل ما تحتاج الامة إليه ، ولما يفيض عن حاجتها ، فتصدده إلى أقاصى الارض ، مستفيدة من قوة الماء في مجاريها ومنحدراتها . ولكن الذين كانوا يضيعون الماء نفسه في البحر المسالح ، بل يضيعون الامة نفسها في مباحج اللهو أو نحول الفاقة ، هل كان ينتظر منهم أن يفكروا في قوة الماء وما يمكن أن نفيده منها في صناعاتنا وعمراننا ؟

\*\*\*

ومن القوى الضائعة ( الوقت ) تتعاون على تبديده جماهير الناس من أعلاها إلى أدناها ، وأخبت ما يبدد فيه الوقت عندنا هذه المقاهى العامرة بمختلف الطبقات : تركوا أزواجهم وبقيهم وذويهم في البيوت ، أو في خارج البيوت ، وأووا إلى هذه المقاهى يتلففون فيها إشاعات السوء وأساليب المسكر والمحتل ، ويفسدون الهواء بين جدرانها بدخان السجائر ، أو يبددون - مع أوقاتهم - ما كسبوه من خزينة الدولة أو مال الامة . وقد نشرت الصحف عند كتابة هذه السطور أن رجال مكتب الآداب بالاسكندرية ضبطوا طائفة من الكبراء بينهم وزير سابق وهم يقامرون خلسة بمئات الجنيهات في أحد مقاهى محطة الرمل . والذي يحدث في مقاهى محطة الرمل بالاسكندرية يحدث مثله في مقاهى ميدان الاوبرا وشارع فؤاد بالقاهرة ؛ فسلكها عامرة بمن يبددون الوقت والعمر والمال على موائدها ، بل إن أحط المقاهى في أفقر قرى الريف تبذل من وقت المزارعين والعمال الزراعيين وصحتهم وقروشهم ما يذهب بقدر لا يستهان به من ثروة الوطن وأقوات أهله وأوقاتهم وعافيتهم . ولو أن الدولة تولكت على الله - في ساعة مباركة من ساعات التحرير والإصلاح - فقررت تحرير الوطن المهرى من هذه البؤر التي استعبدهت وابتزت وقت الناس ونقدتهم من أعلى الطبقات إلى أدناها لكانت في عملها هذا من المحسنين المصلحين .

ومن ( الوقت ) الذى يضيع على الوطن - وتضيع بضياعه ثروة طائلة وخير عظيم - ما دلت عليه الدراسات الدقيقة من أن فى عمالنا من يستطيع أن ينتج خمسين فى المائة إلى مائة فى المائة زيادة على ما ينتجه فى المعتاد الآن . وإذا أضيف إلى ذلك ما يستطيعه من تجويد العمل والعناية بانفاقه لا يمكن تقدير قيمة ذلك بخمسين أخرى فى المائة إلى مائة فى المائة . وهذه الزيادة المستطاعة فى ( كمية ) الانتاج وفى ( كفاءته ) لو شاء كل عامل أن يحققها لاستحق عليها من زيادة الأجر ما يناسب ذلك ويكافئه . فهو فى إحسانه وحسن استمهاله للوقت يحسن إلى نفسه وأسرته أولاً ، وإلى مصنعه وصناعته ثانياً ، وإلى وطنه ودولته أخيراً . وقد شاهدنا هذا المرض - مرض تضييع العامل لوقته - فى مختلف طبقات العمال : من يؤدون فريضة الصلاة والصيام منهم ، ومن ابتلوا بالمكيفات وما إليها . وإن فیهن يؤدون الصلاة منهم من يظن - خطأ - أنه قد عمر بالصلاة ما بينه وبين الله ، وسيغفر الله له ما وراء ذلك ، فلا يبذل جهده فى حسن استمهال وقته إلا ما دامت عليه قائماً . إن هذه القوة الضائعة من قوى الوطن فى حاجة إلى دراسة طويلة ، ومعالجة سريعة : لخير العمال ومن يعولونهم من جهة ، ولخير الأمة فى نهضتها الاقتصادية من جهة أخرى . وما لوحظ فى طبقة العمال لوحظ مثله فى طبقة الموظفين .

ومما لا ريب فيه أن فى العمال والموظفين من يراقبون الله فى عملهم كما يراقبونه فى عبادتهم ، وحديثنا ليس فى هؤلاء فانهم وبالله الأسف قلة ، بل حديثنا فى مرض لا شك أنه موجود ، ومن الخير مبادرته بالعلاج ، وهو من حق أبنائنا العمال علينا وعلى الوطن .

\* \* \*

ومن القوى الضائعة كذلك ، هذه الأموال الطائلة التى رصدتها الأمة على ( التعليم ) ، وهو ما برح - منذ نصف قرن وأكثر - يجافى ( التربية ) فلا يعترف منها إلا بناحية ( التربية البدنية ) . ولو أن لكل من التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، مهيمنين ومراقبين ومفتشين وخططاً وأساليب ومسابقات ومنشطات فى مدارسنا كما للتربية البدنية ، لما وقع كثير من الأمور التى أنشئت لها محاكم الغدر ومحاكم الثورة ، ولما كانت مصر على غير ما نرى . ومن أجل هذه الناحية الضعيفة فى مدارسنا صار بعض رجال المعارف أنفسهم يختارون لا بنائهم مدارس أخرى أجنبية عنهم بجنسياتها ولغاتها ومذاهبها الدينية . وإنما يحبها إليهم أن فيها ما لا نعتنى نحن به من التربية العملية والتهذيب الدينى والخلق إلى جانب التعليم ، وإن كانت التربية العملية عندهم على أساليبهم القومية ، وتهذيبهم الدينى والخلق

مستعداً من مذاهبهم ومشاربهم . وما دمننا نشعر بهذا الضعف الجوهري فلماذا لا نحرص في مدارسنا على إيجاد هذه الضالة المذشودة من الجميع ؟ وما الذى يمنعنا من ذلك ؟ ولماذا لا يكون الغرض الأول من المدرسة تربية الخوف من الله في نفوس الاطفال بعناية ومراقبة واهتمام كما يراقب الطبيب مريضه بميزان الحرارة وميزان ضغط الدم وبكل ما لديه من الوسائل ؟

ولماذا لا نرسم الخطط الدقيقة في ذلك لجميع أبناء الوطن الذين تتلقاهم المدرسة وهم في السادسة من أعمارهم ، ثم حين يفتقلون إلى الثانوى وهم في سن المراهقة ، وعندما يصيرون جامعيين في الكليات ؟ لماذا لا تحجب اليهم مدارسهم رسالات الله ، وتجعلهم يطمئنون اليها بقلوبهم وعقولهم ، ويؤمنون في طفولتهم وشبابهم بأنهم سيلقون الله حقاً ، ليجزئهم بإحسانهم وقضائهم ما يكافئ ذلك من نعيم ورضا ، ويعاقبهم على سيئاتهم وأناياتهم والتوائهم على الحق والفضيلة بما تستحقه هذه المساوىء من عقوبة ونقمة ؟

إن هذا الوطن شعر اليوم - بجميع حواسه - أنه أصبح في حاجة إلى الاخلاق ، والنظام الجديد القائم لن يعيش في ظله بعد اليوم خاصة ولا عامة إلا بالدين والاخلاق ، ومن أين للدواطن أن يكون صاحب أخلاق إن لم تكن هى الغرض الأول من المدرسة ؟ وإذا لم تكن غاية المدرسة بها عملية وبالدرجة الاولى قبل عنايتها بالتعليم يكن التعليم ( قوة ضائعة ) ، ويكن المال الذى ينفق عليها ( مالا ضائعاً ) ، والوقت الذى يقضيه الطالب فيها ( وقتاً ضائعاً ) . وفي يدنا أن نتفادى ذلك كله إذا شئنا ، وبتفاديه نتفادى هذه الحوادث المذكرة التى ملأت أعمدة الصحف ، وصارت شغل المحاكم الشاغل . وقد تكون مسئولية هذا الالاميار - من الجانب الإيجابى - على دور الخيالة ، وما توحيه إلى النشء الساذج من عوامل الإلجام ، ودور الخيالة نستحق من الوطن إعادة النظر في أمرها ، والتفكير العميق في تغيير جميع اتجاهاتها ، ذلك ما لا نتكره ولا نكابر فيه ، إلا أن المدرسة أيضاً تتوجه إليها المسئولية - من الجانب السلبى - لأنها حتى فيما زادت من مواد الدين وحصص القرآن الكريم لا تزال مصرة على أنها معاهد تعليم لا معاهد تربية ، والعلم بلا تربية سلاح في أيدي غير أهله ، وهذا ما نشكوه ويشكوه الوطن من عهد بعيد . إن المدرسة المصرية يجب أن يكون من أول رسالتها بث الخوف من الله في قلوب أبناء الجيل ، لأن مصر متدنية ، وأبناؤها إن لم يربوا عملياً على الدين والخوف من الله والإيمان برسالاته ، فإن مدرستهم لا تكون حينئذ مصرية ولا تمثل هذه الأمة .

وقد يكون من الشجاعة الادبية الاعتراف هنا بأن الازهر نفسه يشاطر في حل  
مسئولية الاخلاق في البلد ، ولكن الوضع الذى قام الازهر على أساسه - بتلقية طلابه وهم  
فى السادسة عشرة من أعمارهم إن لم نقل فى السابعة عشرة - قد جعل مهمة الازهر شاقة ،  
وجعله فى حالة لا يتمكن فيها من تكوين طلبته كما تتمكن وزارة المعارف من تكوين طلبتها .  
فالازهر يتلقى أبنائه بعد أن احتضنهم غيره من السادسة إلى السادسة عشرة ، فبأنونه غير  
مستكملين كثيراً مما يطلبه من الملتحقين به ، ولو مكنته ظروفه من أن يحك جلده بظفره ،  
ويقوم هو باعداد أبنائه من سن السادسة فيربهم من نعومة أظفارهم على الاخلاق الإسلامية  
ويتولى بنفسه تحفيظهم كتاب الله كما يشترطه القانون فيمن يلتحق بالازهر ، لاستطاع  
الازهر أن يقدم للأمة والوطن دعاء الفضائل والاخلاق والنهضة والاصلاح العاملين بعلمهم  
الذين يقودون الأمة إلى أهدافها الصالحة ، ويكونون قدوة لها فى كل ما يدعونها إليه ،  
والازهر إذا استطاع أن يستكمل هذا الجانب الضعيف فيه بمباشرته تكوين أبنائه من سن  
السادسة لن يكلف الوطن درهما واحداً ، فأبناء السادسة من المصريين جميعاً ملزومون بحكم  
القانون أن يلتحقوا بمدارس الدولة . ومن هؤلاء جميع الذين سيطلقون بعد ست سنوات  
أبواب الازهر ليلتحقوا به ، والدولة تتولى تعليمهم من سن السادسة على كل حال ، ولكن  
وضع الأمور فى مواضعها وردّها إلى طرقها الحكيمة هو فى أن تيسر الدولة لإعداد العدد  
الكافى من الذين سيلتحقون بالازهر بما يلائم طريقة العلمى الذى سيختارونه فى حياتهم  
بأن يتولى الازهر إعدادهم ، ويكون هو المسئول عنهم وعن حسن توجيههم من ناحية التربية  
والاخلاق ، ومن ناحية استيفائهم ما يشترطه القانون من حفظ كتاب الله ، والازهر يكون  
بذلك قد ساهم فى مكافحة الأمية بهذا الشرط التابع له من أبناء الأمة ، وسيعلمهم كل  
ما تعلمه لهم وزارة المعارف فى مدارسها ، مضافاً إليه حفظ القرآن كاملاً ، والعناية بالتربية التى  
لا بد منها لمن سيقود الأمة إلى الفضيلة ومكارم الاخلاق وصراط الله المستقيم .

\* \* \*

مصر مسلمة ، ومن نظام الإسلام الاعتدال والاقتصاد وتجنب السرف والتبذير فى كل  
ما ينتفع به . وما علمه الإسلام للمسلمين أن المتوضىء إذا كان يتوضأ من النيل الأعظم ينبغي  
له أن لا يسرف فى الماء ، لا خوفاً على ماء النيل أن ينقص ، بل خوفاً على المسلم أن يعود



السرف وأن يكون بالتبذير من إخوان الشياطين . ومن العجيب أن يكون هذا تعليم الإسلام ثم نكون جميعا مسرفين على أنفسنا في كل شيء ، ونضيع ما لو حفظناه وأحسننا القيام عليه لكننا من أقوى الأمم ، بل أقوى الأمم .

وأخيراً ، انبرى لهذا البلد من يدعوه إلى « تحديد النسل » بدعوى أن نسبة المواليد إلى عدد السكان وصلت إلى ٤٠ في الألف ، فانحط تبعاً لذلك مستوى دخل الفرد من ١١ جنياً ٣٤٠٠ ملياً إلى ٨ جنيات و ٥٠ ملياً ، وقال أحدهم مخاطباً النساء : إن الحمل والوضع يشوه جمالك ، والزنجيات في مجاهل إفريقيا يخفن على جمالهن من الحمل والوضع ، فتعلن من زميلاتكن المتوحشات كيف تحافظن على جمالك .

ويحدثنا الدكتور محمد عوض محمد في أحد مؤلفاته عن الشرق والغرب أنه لقي في أوروبا آنسة مثقفة انتهجت بلغاته لما علمت أنه مصرى مسلم فقالت له : إننا إذا أردنا أن نصف الدين المسيحي بلفظ موجز نقول عنه إنه دين المحبة ، وإذا أردنا أن نصف البوذية أو البرهمية نقول إنها دين كذا ، فهل تنسكهم فتصف لي رسالة الإسلام بلفظ موجز أعرف منه ما هي رسالته إلى الإنسانية ؟ وقد اعترف مدير جامعة الإسكندرية بأنه لم يجر جواباً ، ولم يجد عنده ما يصف لها به الإسلام . ولو أنه قال لها ، الإسلام دين الحق والخير ، لما استطاع جميع علماء الدنيا إذا تفرغوا للدراسة الإسلام أن يجدوا في رسالته ما يخرج عن مدلول الحق أو مدلول الخير . ومع ذلك فقد بلغت بنا فوضى البحث العلمى وقيادة المجتمع المصرى إلى حد أن مدير جامعة الإسكندرية الذى لم يستطع أن يعرف ما هي رسالة الإسلام صار يريد أن يصحح لمفتى الديار المصرية معارفه عن الإسلام ، ويعلمه ما هو الحكم الشرعى في « تحديد النسل » ، وهل حكمه فيه الإباحة أو الوجوب كما يزعم مدير جامعة الإسكندرية ، أم المنع بتاتا إلا للفرد ، في حالات « الضرورة » كما يقول المفتى .

إن مدير جامعة الإسكندرية لم تجعله مصر مديراً لهذه الجامعة إلا وله جانب من العلم يؤهله لذلك . ولكن مما يدخل في باب ( القوى الضائعة ) أن ينصرف مدير جامعة الإسكندرية عن ناحية القوة في مؤهلاته ، وينبرى لمفتى الديار المصرية في مناقشته عن حكم الإسلام في مسألة من المسائل من وجهتها الشرعية . وإن مفتى الديار المصرية ، وكل عالم شرعى ، يربأ بنفسه أن يناقش طبيياً في موضوع طبي ، أو مهندساً في موضوع هندسى ، وهذا معيار صحيح لمعرفة قدر العلم ، وإعطاء كل ذى حق حقه .

وما دمتنا في موضوع ( القوى الضائعة ) فن الواجب أن نعلن أن الدعوة إلى تحديد  
الفسل ، في مصر على الخصوص تعد في طليعة الدعوة إلى تعطيل القوى وتضييعها ، لأن  
زيادة الفسل عندما ميدانها الريف والأيدي العاملة في الزراعة ، وإن زيادة الأيدي العاملة  
في الزراعة - من نساء ورجال - هي ثروة مصر الأولى بمد ( الأرض ) و ( النيل ) .

يقول الدكتور عبد الجليل العمري وزير المالية في بياناته عن المشروع المصري لبناء  
السد العالي على النيل : « إنه يمكن إتمامه والحصول على الفائدة الكاملة منه في خمس سنوات  
أو ست . وبعد ذلك تزيد رقعة الأراضي الزراعية بمقدار الربع ، ويزيد المحصول الزراعي  
بمقدار الثلث ، .

ولو استجاب مصر لدعوة تحديد الفسل ، ثم جاء الدكتور عبد الجليل العمري بعد  
ست سنين أو عشر سنين يطلب الأيدي العاملة لاستنباط الرزق والحخير من رقعة الأرض  
الجديدة التي تبلغ في سعتها ربع الأراضي المزروعة الآن في مصر ، فانه سيجد الدكتور محمد  
عوض محمد قد سبقه إلى توجيه مصر نحو قطع الذرية احتفاظاً بجمال المصريات على غرار  
ما سبقهم إليه متوحشات مجاهل إفريقية .

بل إن مصر التي ترمق جيشها بعين الإجلال والإكبار ، وتراقب نموه وازدياده بفارغ  
الصبر مقتبلة بذلك مسرورة ، وتحاول إيصاله إلى المقام اللائق به بأكثر مما يساعد على  
ذلك قانون القرعة العسكرية الحالي ، فأوجدت قسم القوى المرابطة ، وفتحت باب التطوع  
للفدائيين ، إنما بعد هذا كله ستجد نفسها - إذا نجح مدير جامعة الاسكندرية في قطع الحرث  
والفسل - أمام جيش أقل مما كان ، لأن هؤلاء العلماء الاجلاء أصحاب دعوة « تحديد الفسل ،  
يكونون حيفظ قد وصلوا إلى نتائج دعوتهم من المبوط بمصر إلى تعداد أقل ، وجيش أضعف ،  
وسيتعطل المشروع المصري لبناء السد العالي على النيل ، وستبور مساحات كبيرة من الأرض  
الزراعية بقدر ما ينقص من الأيدي العاملة فيها . ولا شك انه ستقر بذلك دين إسرائيل ،  
إذا يكون قد جاءها ما تشتهي من حيث لا تحتسب .

ويا له من عمل صالح يرفعه الله أسفل

محمد الدليمي الخطيب

# نَحَاتُ الْفِرَافِ

- ٨ -



## بقرة بنى إسرائيل

(١) [ يا بنى إسرائيل : اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ]

سيظل التاريخ راوية العجب من شأن بنى إسرائيل : فهم أبناء يعقوب . . . وأحفاد إسحاق . . . وأسباط إبراهيم . . . والثلاثة هؤلاء مطلع الهداية من برجها الشاخ . . . ونبع العلم فياضاً من مواهب الله . . . وهم أرومة المجد فى أعراقها الأصلية : حرسها العناية ، وكنفتها الرعاية ، فانبثقت منها فروع النبوة ، وكانت دوحة ناضرة فى وهج الدنيا ، وشجرة مشمرة فى جذب الحياة .

أسبغ الله على بنى إسرائيل ما لم يسبق إليه الأولون ، ولم يلحق به الآخرون ، ومكن لهم من فرعون وجنوده ، وأظلمهم بالغمام من لفح الهاجرة ، ولجّر لهم بين الأحجار عيوننا لتروى فى اليباب ظلماتهم ، وبوأهم ميوأ صدق . . . وفضلهم على العالمين .

وكان بنى إسرائيل زعموها نعمة غير مكفولة فاتخذوها متاعاً فى إسراف ، أو حسبوها عهداً غير مسئولة فنيكثوها فى بلادة واستخفاف .

أو كأنهم ظنوا ربهم أباً لهم وهم أبناؤه وأحباؤه . فهم فى مرح الطفولة ودلال النبوة وليس لهم سوى الرغبات والامانى : فإن تخلف عنهم مطالب غضبوا وقالوا : يد الله مغولة . وفى سبيلهم هذه ظلوا أبعد الناس عن الهدى ، وأنصاع لما أمروا . . . وأكفرهم للنعماء ، وأغدرهم بالانبياء .

وكانت بأيديهم التوراة : أول المكتب الخالدة ، جاءتهم بدلم الدين ، وخير الدنيا ، فما رعوها حق رعايتها ، بل بدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذى قيل لهم ، فسكانوا قرودة خاسمين .

فيا ترى !! لم كانوا من فضل الله في سعة . ثم لم كانت هداية الله فيهم ضائعة ؟ سبحانه وتعالى حكمتك . . . ولعلك يا مولاي !! شئت أن تضرب فيهم المثل الحق هل أن أسباغ النعمة ليس أمارة الرضا فإن الدنيا لك ، ترزق منها البر والفاجر ، أو شئت أن توقظ فينا الوعي إلى أن العبد منا لا يكرم عندك بحسبه ولو كان من النبوة بنفسه : ما لم يرك نفسه بأحب الاعمال إليك ، فاللهم لا تبطرننا بنعمتك ، وعب لنا من نورك نوراً لا نضل معه . وأنعم علينا إيماناً لا نزيغ بعده .

(ب) [ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... فذبحوها وما كادوا يفعلون ]

جاء القرآن حافلاً بالحديث عن بني إسرائيل ، وليتها كانت أحدوثة الرضا ، أو قبساً من ذكريات طيبات . وهذه سورة البقرة وفي سياقها عنهم أحداث جسيمة . كما فيها أحكام تشريعية خطيرة ، ففيها تحويل القبلة إلى الكعبة ، وفيها تحريم الخمر ، وتشريع القصاص وتنظيمه ، وفيها أحكام الطلاق وسواها .

فلم اختير من بين هذا كله أمر يخص بني إسرائيل لتسمى به السورة ؟ ثم لم كان هذا الأمر حادث البقرة خاصة ؟

نعم : فيها أطراف من القصص ، وجمهرة من الأحكام . . . ولكن ما فيها عن بني إسرائيل أوفر كثرة من غيره . . . فأنت ترى ما بين الآية الأربعين إلى الخامسة بعد المائة - أعني خمسا وستين آية - نسقاً واحداً عن بني إسرائيل ، فضلاً عما تراه منشوراً في السورة من آيات أخرى . ثم إنك واجد حادث البقرة بين الأحداث الإمبراطورية أوضح تمثيلاً لما عليه تلك الأمة من رخاوة . مع ما في الحادث والحديث عنه من طرافة صادقة . . . فلذلك ولهذا صح أن تسمى السورة بشئ يخص بني إسرائيل ، وأن يكون ذلك الشئ لفظ البقرة ، واللفظ كغفيل بإثارة العجب ، وإن كان في كل حديث عنهم شيء من العجب .

استفزهم الجشع واستعجلتهم المطامع ، خفف بعضهم إلى قتل سرى من ذوى قرباه ، ثم أخفوا أمره ، وتراموا بالهمة ، وتنادوا بالنار اقتيلهم ، فكانت فتنة الاتهام الباطل مشهوبة إلى جانب الجريمة البغيضة ، وحدث الفاق في البيئة ، وحسبوا ألا تكون فتنة ، وظنوا ألا معقب لما صنعوا ، ولكن الله يكشف عن الخبىء توطيداً لسنة في خلقه ألا يحيق المكر

السيء إلا بأهله [ واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها ، والله يخرج ما كنتم تكتمون ] فكيف تم إخراج الله لما كنتموا ؟؟ .

طلع عليهم موسى بما أوحى إليه [ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ] وليس مأذونا في تعريفهم بسبب الذبح ، وإنما عليه البلاغ لحسب . وكان عليهم أن يستجيبوا مطعنين إلى حكمة الله فيما أمر ، وينفذوا راغبين في الإنجاز ، فمن كمال الإيمان أن يكون العبد جندياً لله يطيع ولا يترتب ، وإن كانت غريزة حب الاستطلاع تقف به موقف التساؤل والتعرف ، فليسكن التنفيذ أولاً عن طواعية .

ولكن بنى إسرائيل لم يكونوا في هواة المؤمن السلس ، ولا في طوعية الناض بالامر ريثما يتعرف ، بل تريثوا تريت المتخاذل ، يسترون لإحباطهم بالجهال ، ويستوضحون ما لم يكن بحاجة إلى استيضاح ، بل استقبلوا الامر بالإنكار ، وزعموا موسى هازلاً معهم ، أو هازئاً بهم [ قالوا أنتخذنا هزوا ؟؟ ] وكان موسى من عامة الناس يبلغ من سنه أن يقول على الله ما لم يأمر به ، ولكنه ينهرهم في قرة ، ويذكرهم بأن من كان مثله من مقام النبوة الرفيعة فهو بعيد عما هوت إليه أفكارهم [ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ] وقد بدا لهم أن المرقف جد ، والامر قاطع ، فأخذوا يتعللون بالأسئلة . . فهم يطلبون تحديد ما بلغت البقرة المطلوبة من العمر ، ويقولون [ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ ] وأنت ترى في السؤال نفثة من اللؤم المطبوع ، إذ يقولون : ادع لنا ربك ، وكأبه ربه وحده ، وليس رباً لهم ولكل شيء . . ومسيرة لحكمة الله في إمهالهم أجابهم موسى بوحى الله [ لأنها بقرة : لا فارض ولا بكر - لا كبيرة ولا صغيرة - عوان بين ذلك ] - وسط بين الطرفين - ثم يكفهم عن إطالة الجدل بقوله [ فافعلوا ما تؤمرون ] ولكن بلاد الطبع تجر بنى إسرائيل إلى معاودة السؤال فيقولون [ ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ] فيجيبهم ثانياً [ إنه يقول : لونها بقرة صفراء ، فاقع لونها ، أسر الناظرين ] فليس يكفي لونها الأصفر ، بل لابد من فقاعة اللون وشده ، وليس يكفي هذا وذاك ، بل لابد أن تبلغ من شدة الصفاء أن أسر الناظرين ، وبذلك دخلوا في قيود كانت محولة ، وتعرضوا لعسر كان ميسورا ، ومع هذا خاضوا في الجدل ثالثاً وسألوا جديداً : لا عن سنه ، ولا عن لونها ، بل عن صفتها التي تؤهلها للعمل [ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ إن البقر تشابه علينا ، وإنا إن شاء الله لمهتدون ] وتعليمهم على المشيئة في هذه المرة ليس تعليق المتوكل حقاً ،

فقد كان موضع ذلك من قبل ، وإنما هي تقوى مصطنعة ، وطاعة مستنقطة ، لذلك لم يترفق الله بهم ، بل أضاف قيوداً أخرى مجازاة لما يبدون من حرص زائف [ قال : إنه يقول إنها بقرة لا ذلول نثير الأرض ، ولا تسقى الحرث ] - ليست سلسلة القياد تطيع في حرث ولا في سقى - [ مسألة لاشية فيها ] - لا نقص فيها ، ولا معابة تشينها أو تخدش جمالها . . فإذا اجتمع فيها من العمر أوسطه ، ومن اللون أبهجه ، ومن الجمال أكمله ، فهميات أن يتباح ذلك : إلا أن تكون بقرة علقت بها حكمة الله سبحانه .

وإذا أحسوا بأن الاستطراد في السؤال لم يعد له منفذ تظاهروا بالرضا ، كن يحس بوقع الأمر على نفسه فيبتسم له وهو مغلوب مكبوت .

وكانت الحكمة أن بقرة بهذا الوصف كله وعلى وجه التمام تحت يد لإنسان منهم كان باراً بأهله ، فظهر من رعاية الله له أن يجعل بقرته منشودة لبني إسرائيل ، فطلبوها وما ظفروا بها إلا بعد ثمن أثرى به صاحبها [ فذبحوها وما كادوا يفعلون ] .

ثم ماذا ؟ ؟ [ فقلنا اضربوه ببعضها . كذلك يحيي الله الموتى ] .

( ج ) آن الحكمة الله في الذبح أن تتجلى ، وأن لدم القتل أن يعاقب بالقاتل . . أمرهم الله أن يأخذوا جزءاً من البقرة ، ويضربوا به جسم القتل ، ولم يعد الأمر بحاجة إلى المراوغة فقد دفع الثمن ، وذبحت البقرة ، فضربوه ، فإذا به ينهض ليقول على مشهد وسمع من القوم : قتلتى فلان . وبهذا استقر الأمر على ما قدر الله ، وبأن لبني إسرائيل ما حسبوه يخفى ، وحرم القاتل من ميراث ممتوله ، وكانت سواة من سواتهم ، ولقد كان القتل سابقاً منهم على التنكيل بذبح البقرة وعلى ضرب المقتول ببعضها ، ولكن بدأت الآية بقصة الذبح وما اشتملت عليه من محاولات ، لأن هذا هو الجانب الذي تستمد منه العبرة ، ويعرف من ناحيته عن بني إسرائيل ما أرداهم في المهالك من مراوغات ، وتخلف ، ومراعاة لانتهاز العبر من القصص ذكر أمر الذبح سابقاً على سببه وهو القتل ، والترتيب في الذكر على نمط الترتيب التاريخي ليس غاية من غايات القرآن . . ومع ما في هذه القصة من لفتات لبني إسرائيل فقد مرت بهم كما مر بهم سواها ، وما أفادوا منها بعض ما فيها ، بل دأبوا على عاداتهم وما أغتتهم آية ، ولا زجرهم النذر ، حتى ليشهد الله عليهم بأن قلوبهم بعد ذلك تحجرت أكثر من الحجارة ، فن الحجارة ما يثشق فيخرج منه الماء ، ومنها ما يهبط ساقطاً من خشية الله كما اندك الجبل على مشهد من موسى ومن معه ، ولكن قلوب بني إسرائيل

ليست كذلك ، ولهم من الاحداث ما حفلت به السير ، وشهدت عليه الآيات : فالامل في هدايتهم ، وثوبهم الى ربهم ، وتوثيق صلهم بالشرائع التي سبق لابلها أنبياؤهم : كل ذلك مطمع في غير رجاء .

ولو أن نفوس القوم على أهبة من صلاح لكان في حياة القليل مزدجر لهم ، وفتح لقلوبهم . ولكن لا تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون .

ورب سائل : — ما ميزة البقر على غيره في الاختيار لإحياء القليل ؟؟

ونحن لا نحسب أن للبقر تميزاً ، وإنما هي وسيلة عرف مثلها عندهم ، فقد كانوا من قبل حين الاتهام والتكاذب يجتمع وجوه القوم من أقرب المواضع الى مكان القتل ، ثم يتقدمون الى بقرة مذبوحة ويغسلون أيديهم ويضطونها على جسمها ويقسمون على التبرى عما يعزى إليهم ، فمن امتنع عن هذا الصنيع كان في اعتبارهم مشمولا . وهذه أساليب بدائية تواطوا عليها ، ثم بقيت فيهم ، وتكليفهم في هذه القصة بالذبح والضرب قريب من وسيلتهم تلك . . فضلا عما في الضرب والإحياء من دليل مادي يزيدهم إيمانا بالبعث والحساب كما أخبرهم الله ، ولم يفتهموا . . ونحن نذكر أن البقر أثير عند بني إسرائيل منذ عبدوا العجل الذي اتخذهم لهم السامري في غيبة موسى عنهم يوما من أيام المناجاة لله في الطور .

بل هو أثير عندهم من قبل أن يجتاز موسى بهم البحر ، وذلك ، منذ كانوا في مصر ، وكان المصريون على قديم عهدهم يعبدون عجل أبيس ، فتشيع اليهود بحب العجل ، وظل داء فيهم ( وأشربوا في قلوبهم العجل بسكرهم ) .

ولا يزال جنوحهم للبقر بادياً حتى اليوم ، ولعل في الأمر رأياً لغيرنا في تعليل هذا الجنوح الى البقر ، وإن كان السكثير من تقاليد الإسرائيليين غير معقول المبنى .

وقد يقال : تكريمهم للبقر يقتضى ألا يطلب إليهم ذبح البقرة ؟؟ ولم لا تكون حكمة هذا التكليف مطوية على امتحان البقر بذبحه بعد تقدسه ، وتعليمهم أنهم يعبدون حيوانا ما كولا لهم ، فكيف يكون إلامهم ؟؟

وقصارى الحديث : أن لنا في هذا النبأ حظا من العظة ، ونصيبا من العلم وعلينا أن نقتن لما جرت له إسرائيل على نفسها ، فنحذر إسرافها ، ونحتاى سبيلها ، ونستوعب في آيات الكتاب أحداثها ، ونأخذ لأنفسنا من قصصهم ما لم يأخذوا لأنفسهم ، والسعيد من وعظ بغيره .

عبد المظيف السبكي  
عضو جماعة كبار العلماء

# السُّنَنُ

## شُعَبُ الْإِيمَانِ

المناهج النبوى فى التربية - من عجائب التربية النبوية - مراتب الإيمان وشعبه - أعلاها وأدناها - مكان الحياء منها - الحياء من الحياة .

\*\*\*

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضْعٌ وسبعون - أو بضْعٌ وستون شُعبةً ، فأفضاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق ؛ والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان . رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

\*\*\*

زاحنى فى الكتابة على هذا الحديث رئيس تحرير هذه المجلة فى جزئها السابق ؛ فبينما أنا ماضٍ فى إعداد العدد لشرحه ، ووقف النظر والفكر والجهد له - طلعت علينا المجلة بمقالته المؤمنة الصادقة الحثيرة . فما أن قرأتها حتى أزمعت الكتابة فى حديث غيره ... بيد أنه - وقد عتبت عليه فى هذه المازاحة - أقنعنى بالمضى فى تبيان هذا الحديث الجامع ، الذى يعد بحق أساسا للدين كله : فرائضه وشرائعه ، وحدوده وسفنه ؛ وينبوعا قويا فياضا لبيان رسول الله ﷺ وهديه (١) :

أزول الله إلى نبيه الذكر ليعين للناس ما نزل إليهم ، وقد فعل ؛ فبين لهم ، وعلمهم كل ما يحتاجون إليه مما فيه سعادتهم ومجدهم وارتفاع درجاتهم فى الدنيا والآخرة ، لم يدع شأنا من شئون العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والبر والتقوى ، فى الحل والترحال ،

(١) ولجلالة شأن هذا الحديث صنف العلماء فى شرحه وتعيين شعبه كتباً كثيرة ، منها كتاب شعب الإيمان للمحافظ الفقيه أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ ألفه فى ست مجلدات ؛ ثم اختصره أبو جعفر عمر القزوينى المتوفى سنة ٦٩٩ : وطبع المختصر مرتين بالمطبعة المنيرية .



والمطعم والمشرب والملبس والمنكح ، والنوم واليقظة ، والاجتماع والانفراد ، حتى دخول  
الخلاء والخروج منه - إلا بيته بيانا شافياً ... فكان من بيانه وهدية هذا المنهاج المنير ،  
وتلك التربية القوية المثلى ، الصالحة لكل زمان ومكان ، ولكل جيل وقبيل ، تلك التي  
لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثلها ، لا يأتون بمثلها ولو كان بعضهم لبدض ظهيرا .

\* \* \*

وكانت طريقته عليه السلام في هذا المنهاج أمثل طرائق التعليم والتربية ، مما يدع المعلمين  
والمربين مشدوهين متسانلين حيارى : أنى لهذا الأسمى تلك الطريقة العجيبة في التقويم والتربية ؟

نعم ، إنه لم يتلق علما من بشر ، ولم يجلس - حياته - بين يدي مرب ولا معلم ، ولكن  
علمه العظيم الخبير الذي وسع كل شيء علما ؛ وجلس بين يدي الروح الامين ، بأمر رب  
العالمين ، حتى أتم هذا المنهاج الذي أعجز الاولين والآخرين أن يأتوا بمثله ، أو أن يجدوا  
سعادتهم - حتى الدنيوية منها - في غيره 11

\* \* \*

ومن منهاج هذه الطريقة المثلى أن يحدث أصحابه بمثل هذا الحديث الجامع ، ثم يفصله  
بعض التفصيل بمثل حديث جبريل في سؤاله عن الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، ثم عن  
الساعة . فيجيبه صلوات الله وسلامه عليه بأهميات هذه الشعب البضع والسبعين . ثم يقول  
لهم : هذا جبريل عليه السلام أنا كم يعلمكم دينكم .

وحديث جبريل من الشهرة بالمكان الذي لا يحمله أدنى قراء هذه المجلة ، وقد جمع  
وظائف العبادات الظاهرة والباطنة : من عقود الإيمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص  
السرائر ، والتحفظ في الأعمال ، - حتى سمي - بحق - أم السنة ، كما سميت الفاتحة بأمر الكتاب .  
ثم يفصل حديث جبريل ويبسطه ، في هديه وتعليمه وإرشاده ، وشرحه لهذه الشعب  
في مختلف المقامات والمناسبات .

وقد جد كثير من العلماء وتكفوا حصر هذه الشعب وتحديدها ... ولخصها صاحب  
الفتح في تسع وستين خصلة طباقا لإحدى روايتي الحديث ، ثم قال : ويمكن عدما تسعا  
وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض . يريد بهذا مطابقة الخصال للرواية  
الثانية . وكلنا الروايتين واردة في الصحيح .

ولا تخرج هذه الشعب - كما قال صاحب الفتح - عن أعمال القلب ، وأعمال اللسان ، وأعمال البدن :

فأعمال القلب المعتقدات والنيات ، وأشتغل على أربع وعشرين خصلة ، أعلاها إيمان بالله وتوحيده وتنزيهه وأنه ليس كمثل شيء... وعن التوحيد يصدر كل خير ، وأعمال اللسان سبع ، منها الدعاء والذكر والاستغفار واجتناب اللغو ،

وأعمال البدن ثمان وثلاثون ، منها التطهير حسا وحكما ، ومنها إطعام الطعام وإكرام الضيف ، ومنها تربية الأولاد وصلة الرحم ، ومنها رد السلام وتشميت العاطس وكف الأذى عن الناس ، واجتناب اللهو ، وإمالة الأذى عن الطريق .



وأيا ما كان الأمر فقد اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بذكر أفضلها وأعلاها ، وأيسرها وأدناها ، ثم بذكر شعبة من أهماتها تبين عليها وتيسر الطريق لها . وهذا الإجمال من عجائب التربية النبوية ، فإنه صلوات الله وسلامه عليه لو فصل الشعب وعدها ، وهو قادر على عدها ، لشق على أمته ، ولسد عليهم طريق الاجتهاد فيها ، ولوقفوا عند الذي عده وفصله ، مع أن كثيرا منها يراد منه نوعه ومثله ، لا عينه وذاته ، ويتجلى ذلك في نوافل الخير وأعمال البر وهي كثيرة لا تحصى ، كما يتبين في آفات من الشر لم تكن معروفة في عهده صلى الله عليه وسلم ، فتفصيل هذه الشعب - فضلا عما فيه من الإضجار والإملال - يوقع في حيرة لا فسكك منها أثم في اختلاف لا رحمة فيه ، ولا ثمرة منه !



بدأ **صلى الله عليه وسلم** بمفتاح هذه الشعب الذي لا يقبل شيء منها إلا به ، وهو كلمة التوحيد : وليس المراد مجرد النطق بها ، وإلا كان المنافقون وكثير من الكافرين من أهل الإيمان... إنما المراد النطق المتبعث عن الإيمان بالله وربوبيته ، والطمأنينة التي لا تشوبها شائبة رية في وحدانيته ، الإيمان الذي خالعت بشاشته القلوب ، وملأت حلقته النفوس ، فطربت الألسنة بالشهادة الخالصة ، وتحركت الجوارح بالأعمال الصالحة .

ونظير هذا ، قوله صلى الله عليه وسلم لسفيان بن عبد الله الثقفي رضى الله عنه حينما

قال له : يا رسول الله ، قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك ، قال : قل : آمنت بالله ثم استقم .

لم يقل له : آمن بالله . لأن الإيمان بالله - وإن كان أساسه التصديق الذى لا شك فيه - يتفاوت بحسب مراتب اليقين والعلمانية ، ومحال أن تكون مرتبة عوام المؤمنين ، كمرتبة النبيين والصديقين ، ولا شك أن النبي ﷺ يريد هنا الإيمان الكامل ، الذى يفيض على اللسان فينطق بكلمته صادقا موقنا ، ثم يفيض على الجوارح فتعمل الصالحات راضية مطمئنة ، وهذا شأن المؤمنين الصادقين ، الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .



وقفى صلوات الله وسلامه عليه بذكر إمطة الأذى عن الطريق ؛ ليبين أن لإزالة الضرر عن المارة كبيراً كان أو صغيراً ، ولو غصن شوك ، من شعب الإيمان التى لا ينبغي الاستهانة بها فقد يكون فيها رضا الله عز وجل ؛ وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : بيننا رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه ، فشكر الله له فغفر له ؛ ثم ليبين أن هذه الشعب على مراتب مختلفة ، ودرجات متفاوتة ، لكن الذى يقدرها ويحصى ثوابها هو الله عز وجل .



وختم الحديث صلوات الله عليه بشعبة من أهمات الشعب وأجلها ، وهى الحياء .

وإنما اختاره ﷺ ختاماً ، لأنه يحض على الشعب جميعها . ويتجه بصاحبه وجهة الخير والاستقامة ، ثم هو حلية الأخلاق وزينتها ، وماء الحياة الذى يترقق فيها <sup>(١)</sup> بل هو خلق هذه الحنيفة السمحة ، كما روى مالك عن زيد بن طلحة بن ركانة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل دين خلقاً ، وخلق الإسلام الحياء » ، فكانه ﷺ يشير بهذا الختام العجيب إلى أن الحياء مهيم على هذه الشعب ومسيطر عليها ، فلن يقبل منها ، أولن يكون واقعا موقع السكال والرضا إلا ما اقم بسيا الحياء ، فن هنا يخرج المنافقون والمرايون والكذابين الذين يتظاهرون بعمل الصالحات وهم عنها مبعدون ؛ ومن

(١) تلميح واقتباس من المقالة التى أشرنا إليها أولاً .

هنا يستبين لمن تأمل ، أن المراد الحياء الشرعى المحمود الذى يبعث على اجتناب القبيح  
ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ، وأما الحياء الذى يحمل صاحبه على الإخلال بالحقوق  
والتقصير فى الواجبات ، فليس حياء فى حقيقة الأمر ، وإنما هو عجز ومهانة وخور ، وإن  
سمى بالحياء مجازاً لمشابهته له ؛ وليس هذا مراداً فى الحديث البتة ، كما أنه ليس المراد الحياء  
الغَرَزى وإنما المراد الحياء المكتسب الذى يستعمله صاحبه على قانون الشرع ، لا يختلف عنه .

\* \* \*

قال العلماء : والحياء مشتق من الحياة ، فهو من قوة الحس ولطفه ، وعلى حسب حياة  
القلب ولطف الحس يكون الحياء قوة وضعفاً .

وذكر الماوردى فى أدب الدنيا والدين ، أن الحياء فى الإنسان قد يكون على ثلاثة  
أوجه : حياؤه من الله تعالى ؛ وحياؤه من الناس ؛ وحياؤه من نفسه . . . وبئنها كلها ثم قال :  
فتى كل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة - فقد كملت فيه أسباب الخير ، وانتفت عنه  
أسباب الشر ، وصار بالفضل مشهوراً ، وبالجميل مذكوراً .

وأما ابن القيم فى مدارج السالكين ، فقد ذهب - والله دره - إلى أن الحياء عشرة أوجه ،  
ثم فصلها تفصيلاً . . . وقد نعرض لها كلها أو بعضها لمناسبة د الحياء النبوى ، الذى نرجو أن  
يكون موضوع حديثنا فى الجزء الآتى بمشيئة الله تعالى ومعونته وتوفيقه ؟

طه محمد الساكت

## ماء الوجه

قال صالح بن عبد القدوس :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه      ولا خير فى وجه إذا قل ماؤه  
حياؤك فاحفظه عليك ، فإنما      يدل على فعل الكريم حياؤه

# إِشَاعَاتُ السُّوءِ

وموقف الإسلام منها

## حديث لفَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

أشرت جريدة (الأمم) في صباح الاثنين ١٢ المحرم (٢١ سبتمبر) ما يلي :

... ثلاث إشاعات تعاقبت على أسماعنا ونحن في الصلاة ، بين يدي الله ، نؤدى فريضة المغرب ، أمس ، قالت واحدة منها ما لا يدخل - ولا يمكن أن يدخل - نطاق التصور ، وجاءت الثانية فكادت تخرجنا - لولا أنارة من الإيمان الصحيح - عن نطاق العقل . ثم جاءت الثالثة فكانت ضغنا على إبالة وكما تقول أمثال العرب ، وأشهد أن الإنياء قد فاض به - هذه الإشاعة ولم يعد في قوس الصبر منزع ، فتوجهت إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وكنا ناتم به في الصلاة وقلت لفضيلته : ألا ترون فضيلتكم أن إشاعات السوء في هذه المرحلة التاريخية من حياتنا قد تلاحقت وتتابعت وأخذت تتآزر وتتساند حتى خيف على دعوة الحق ، فما هو حكم الشريعة السمحة في هذا البلاء الوافد ، وفي هذه الفتنة المشتعلة التي تريد أن تقضى على الحرف والفلس ؟

والحق أن الأستاذ الأكبر قد بدا عليه الألم المرير ، والحزن الموجه الممض ، فاعتدل في جلسته وتحدث إلينا في إنطلاق ، ووضوح ، وأبان عن كثير من الأحكام الخافية علينا ، في موقف الفتنة من دعاة الحق والسلام :

إشاعات السوء عن شئون الأمة وسير أعمالها ، وأهداف إصلاحاتها . ومقاصد رجالها لا تقل ضررا في كيان الأمة وسلامة الوطن عن التجسس للعدو على دخانها ، ومواطن قوتها وضعفها . فكل ذلك خدمة للعدو ، ومولاة له . وقد خاطب الله المسلمين بقوله : لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة .

بل إن مولاة العدو - في حال عدوانه - وترويج ما ينفعه في مضرة الإسلام وأهله تخرج الموالين له عن تبعيتهم لأمته وتلحقهم بأمة عدوهم . وفي ذلك يقول الله عز وجل : ومن يتولهم منهم فإنه منهم .

ترويج إشاعات السوء :

ومن أشد ما يوالى به المنافقون من يكيد للأمة من أعدائها ترويج إشاعات السوء والاصغاء إليها ، وقد ورد في ذلك قول الله عز وجل : لن يفته المنافقون والذين في قلوبهم

مرض والمرجعون في المدينة لغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا .

• وكان مما كانوا يرجفون به ما ذكره الله عنهم في قوله عز وجل : وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا .

• ولؤلؤاء المنافقين خلفاء في كل عصر من عصور الاسلام وفي كل وطن من أوطانه ، يخذلون الناس عن أئمتهم وولاءة أمرهم ، ويشيعون السوء عن براجمهم وخططهم ، وهذا مرض في القلوب كما وصفه الله عز وجل ، وعلى من يصاب بهذا المرض أن يعالج نفسه قبل أن يعالج بأحكام الله . وفي هؤلاء أيضا ورد قول الله سبحانه : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا ، أي أفشوه حيث لا يكون من المصلحة العامة إذاعته وإفشاه . وقد يكون ما يذيعونه كذبا ومضرا بالمصلحة ، فيكون ذلك من الإثم المزدوج الذي طهر الله قلوب المؤمنين منه . • واللائق بالمسلمين إذا سمعوا قالة السوء أن يكونوا كما أراد الله للمسلمين في قوله عز وجل : ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا : هذا إفك مبين . إلى أن قال سبحانه : وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانه هذا بهتان عظيم .

ولما عاد المسلمون من غزوة أحد كان فيهم من اختلفوا في الحكم على المنافقين والمرجفين فقال فريق للنبي ﷺ : اقتلهم ، وقال فريق : لا تقتلهم ، فنزل في ذلك قول الله عز وجل : فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ، وفي ذلك ورد الحديث النبوي : أنها طيبة ( أي المدينة ) تنفي خبثها كما تنفي النار خبث الحديد ، وفي رواية : خبث الفضة .

• وأول فتنة في الإسلام ، وهي الجرأة على خليفة رسول الله وصهره سيدنا عثمان ، كان مذهبها إشاعات السوء الكاذبة ، وتضليل البسطاء وضعاف الاحلام ، فجر ذلك على الامة من الضرر ما لم تتوصل إلى مثله الدول المعادية بما لديها من جحافل وقوات حربية .

وفي الليلة الاخيرة قبل نشوب حرب الجمل توصل أصحاب رسول الله ﷺ من الفريقين إلى التفاهم على ما يرضى الله عز وجل من إقامة الحدود الشرعية على من ثبت عليه أن له بدا في مصرع أمير المؤمنين عثمان ، وبات أبناء كل فريق في معسكر الفريق الآخر بأنعم ليلة وأسعدها وأرضاها الله ، فما كان من قتلة عثمان ومن يتبعهم من قباثلهم إلا أن أنشبوا القتال في الصباح الباكر ، وأشاعوا في معسكر من المعسكرين بأن المعسكر الثاني هو المهاجم له على خلاف ما اتفقوا عليه بالأمس ، وبذلك كانت الإشاعات بين الطرفين أفتك بهما وأضر على الإسلام من أسلحة البغاة الفاتكة .

## أيها المسلمون :

إن إشاعات السوء سلاح العدو ، والذي يصغى إليها يمكن العدو من التفكك بالامة والوطن ، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، فاعملوا في ذلك بهداية الله عز وجل وإرشاده حين يقول : « ولولا إذ سمعتموه قلتم : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانه هذا بهتان عظيم ، وعلى ولاية الامر أن يتصرفوا فيمن يثبت عليهم ذلك وفقاً لحكم الله تعالى حين يقول لنبيه : « لأن لم يفته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ، لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » .

إن الامة تجتاز اليوم مرحلة من أدق مراحلها في تاريخ نضالها العنيف ، هي مرحلة تقرير المصير . وهذه المرحلة - بما لها من الخطر والاثّر في مستقبل الامة وحاضرها - تقتضى منا أن نتيقظ لكل ما يراد بنا ، سواء من العدو الغاصب أو من أعوانه . وأن نحذر دعاة الفتنة والذين يعملون على إشاعتها بين طبقات الامة . ولنعلم أن هؤلاء وأولئك يستهدفون غرضاً واحداً . ويعملون لغاية واحدة ، هي تمزيق الشمل وتشتيت الجمع ، وتفريق الكلمة ، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم ، وإلقاء العداوة بين المؤمنين والمساموم . وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها . فإذا ما تحققت غايتهم ، فإن الفتنة لا تصيبهم وحدهم ، ولا تصيب طائفة دون أخرى ، وإنما هي تصيب الامة بأسرها . وقد حذرنا الله تعالى منهم ومن فتنتهم ، فقال جل شأنه : « واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة ، واتقوا الفتنة يكون بدفعها وإدحاضها ، وإنزال العقوبة الرادعة على كل من يثبت عليه أنه كان سيئاً فيها ، أو في عنصر من عناصرها . ويرى علماء الشافعية أن تكون العقوبة هي ( الإعدام ) لكل من يثبت عليه أنه أحدث بين المسلمين فتنة . وأما علماء المالكية فلم يتركوا الحد على هذه الجريمة لاجتهاد الإمام ، أى الحاكم ، ومن هنا نرى أنه لا سبيل إلى المهادنة في إقامة الحد على هذه الجريمة التكرار ، جريمة لإحداث الفتنة بين الصفوف مناصرة لعدو البلاد الأكبر ، وهو المستعمر الغاصب .

فلنتق الله في أمتنا ووطننا ، وتقوى الله تدفع كل شيء ، وتحول دون أى مكروه ، والله يوفقنا ويسدد خطانا إلى ما فيه النجاح والرشاد .

وإلى هنا كان الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية ، وأصاب المحز . فاماط اللثام عن حكم الله في مثل هذه الطامة الكبرى ، فشكرت لفضيلته ، واستأذنت في نشره ، فنفضل وأذن .

# ذِكْرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

## مِنْ بَدِيعِ أَشْعَارِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ ، مُحَرَّمِ حَرَمِ النَّبِيِّ

### بِتَعْلِيلِ الْأَسْتَاذِ الْبَرَاهِيْتِمُ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

« فى ذكرى غزوة بدر ، »

على ذكرها ، فليعرف الحق جاهله  
هى الغزوة الكبرى ، هوى الشرك إذ رمت  
وأصبح دين الله قد قام ركنه  
بنته سيوف الله بالدم إنه  
تسلق قوى الجبار عما تقيمه  
أهاب (رسول الله) بالجند : أقدموا  
أما تنظرون الأرض كيف أظاها  
خذوه ببأس لا تطيش سهامه  
علينا الهدى ، إما بآيات ربنا  
إذا أنكر القوم البراهين أخضعت  
مضى البأس ( بدرى المشاهد ) ترتى  
وضج ( رسول الله ) يدعوا له  
تنزل يزجى النصر ، تنساب من عل  
أ ( حيزوم ) أقدم ، إنه الجند لن يرى  
هو الله يحمى دينه ويعزه

ويؤمن بأن البغى شتى غرائله  
جحافلها العظمى وولت جحافلها  
فأنهر من أعدائه من يطاوله  
لاصلب من صم الجلاميد سائله  
عليه يد البانى ، وتنبو معاوله  
ولا ترهبوا الطاغوت ، فالله خاذله  
من الشرك دين أهلك الناس باطله ؟  
فأنتم مناباه ، وهذى مقاتله  
ولما بحد السيف ، لا خاب حامله  
براهينه أعناقهم ودلائله  
أعاصيره ناراً ، وتغلى مراجله  
فيالك من جند طوى الجو جافله  
شأبيه نورا ، وينهل وابله  
سواه عدو كاذب البأس هازله  
فن ذا يناويه ، ومن ذا يصاوله ؟

\*\*\*

تمزق جيش الكفر وانحل عقده  
وما برسول الله إذ ناله الأذى  
خفابت أمانيه ، وأعيت وسائله  
سوى ما ارتضت أخلاقه وشمائله



( نبي ) يحب الله حب مجاهد  
يعظمه في نفسه ، ويطيه  
كذلك كان المسلمون الآلى مضوا  
صدفنا عن المثلى فأصبح أمرنا  
يجالد من يبغي الحياة - عدوه  
بنا من عوادي الدهر كل مساط  
قضينا المدى ، ما تستقيم أمورنا  
عجبت لقوى عطل الدين بينهم  
يجبونه حب الذي ضل رأيه  
صلاة وصوم يركض الشر فيهما  
وكيف يقوم الدين ما بين أمة  
سلام علينا يوم يصدق بأسنا  
ويوم تكون الأرض تحت لوامنا  
أنمشى بطام ، والخطوب تنوبنا  
ألا همه ( بدرية ) تكشف الأذى  
ألا أمة تهى النفوس عن الهوى  
ألا دولة للحق تسلك نهجه  
إذا نحن لم نرشد ولم نقبع الهدى

يرى دمه من حقه ، فهو بأذله  
وما يقض من أمر له فهو قابله  
فيالك عصرا يبعث الحزن زائله  
الى غيرنا ، نهذى به ، وهو شاغله  
فيا لعدو لم يجد من يجادله  
مكايد مبهوثة وحبائله  
وهل يستقيم الأمر عليه سافله ؟  
وجنوا به ، والجهل شقى منازله  
فقاطعه منهم سواء وواصله  
حيثا تمز المشرقين صواوله  
إذا عطلت آدابه وفضائله ؟  
فيمضى بنا في كل أمر نحاوله  
فليس عليها من لواء يماثله  
سراعا ، وعادى الشر ينقض عاجله ؟  
وتشقى من الهم الذى احتاج داخله ؟  
وتصغى إلى القول الذى أما قائله ؟  
وتمشى على آثاره ما تزايله ؟  
فلا تكروا يا قوم ما الله فاعله

### غزوة بنى قينقاع

كان خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى هذه الغزوة في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود ، فأظهروا البغى والحسد بعد وقعة بدر :

ردوا ( بنى قينقاع ) الأسر إذ نزلوا  
نقضتم العهد معموداً على دخل  
ما زال شيطانكم بالغيط يقدحه

هيهات هيهات ، أسمى خطبكم جللا  
لما قد ما نوى غشاً ولا دخلا  
بين الجوانح حتى شب واشتعللا

( هاجت ) ( وقائع بدر ) من حفيظتكم  
 أنتم كرون على الإسلام بهجته  
 ( دين الهدى ) يا ( بنى التوراة ) بشرعه  
 لا تدعوا أنكم منها بمعصم  
 جاء ( البين ) بالفرقات وارثهم  
 رأى النفوس بلا هاد ، فأرسله  
 هلا سألتم أحاكم حين يبعثها  
 إن التى رامها فى عزها سفها  
 لا يبلغ العرض منها حين تمنه  
 وقد يكون لها من ربهما رصد  
 ما زال بالدم حتى ظل سالحه  
 ما غركم بقضاء الله يرسله  
 لقد دعاكم إلى الحسنى فقال بكم  
 قلتم : رويد فإيا لا يصاب لها  
 لسننا كيقومك إذ يلقون مهلكهم  
 يا ويلكم حين ترتج الحصون بكم

ونبت منكم الداء الذى عقلا )  
 والله أطلعه من نوره مثلا ؟  
 للناس من شرع الآديان والملا  
 واق ، ولا تظلموا أن تركوا هملا  
 سبجان من نقل الميراث فانتقلا  
 يهدى الشعوب ، ويشقى مهم الملا  
 هو جاء بعصف فيها الشر : ما فلا ؟  
 لؤثر الموت مما سامها بدلا (١)  
 من خيفة العار حتى تبلغ الاجلا  
 إذا رماه بعينى غاضب جفلا  
 يجرى على دمه . مسترسلا نجلا  
 على بدى بطل ، أعظم به بطلا  
 من طائف الجهل داع يورث الخبلا  
 كفء إذا ما التقى الجمعان فاقتلا  
 على يدك ، وإذا يمطونك النفلا (٢)  
 ترجو الأمان ، وتبدى الخوف والوجلا

(١) قدمت امرأة من العرب يجلب لها لبيمه بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ منهم ، فجعل  
 جماعة من سفهائهم يراودونها من كشف وجهها وهى تأبى ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى  
 ظهرها ، وقيل خله بشوكة وهى لا تشعر فلما قامت انكشفت سواها ، فضحكوا منها فصاحت ، فوثب  
 رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشد اليهود على المسلم فقتلوه .

جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وقال لهم : يا معشر يهود ، احسدوا من الله مثل ما أنزل  
 بقريش من النعمة ( يريد وقعة بدر ) وأسلموا ، فإنكم قد عرفتهم أنى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم  
 وعهد الله تعالى إليكم . قالوا يا محمد أنرانا مثل قومك ؟ لا يفرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ،  
 إنا والله لو حاربناك لتملن أنا نحن الناس .

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا ، وأشدهم بغيا فلما قالوا ذلك أنزل الله : « قل الذين كفروا  
 يستلبون — الآية » وقوله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم — الآية »  
 (٢) النفل : الغنيمة .

كم موئل شاخ العرينين يعجبكم  
 أمسى (عبادة<sup>(١)</sup>) منكم نافضاً يده  
 نعم (الحليف) غـ رنم ، فانطوى حنقا  
 ما كان (كأن أُنِي) في جهالته  
 مضى على الحلف يرعى معشراً غـ راً  
 لا تذكروا الدم ، إن السيف منصلت<sup>(٢)</sup>  
 وجانبوا الحرب ، إن الله خاذلكم  
 مشى (الرسول) وجند الله يتبعه  
 يهفو إلى الموت مشتاقاً ، ويطلبه  
 لو غيبته المواضي في سرائرها  
 يخال في غمرات الروح من مرح  
 أهـاب (حزة) بالابطال فانطلقوا  
 عجبت للقرم ، طاروا عن موافقهم  
 مضوا سراعاً إلى الآكام<sup>(٣)</sup> واجفة

يود يومئذ لو أنه وألا<sup>(٤)</sup>  
 فأنبت من عهده ما كان متصلاً  
 يرجو الإله ، ويأبى الزيف والزلا  
 إذ راح شيطانه يرخى له الطولا<sup>(٥)</sup>  
 أهون بكم معشراً لو أنه عقلاً  
 في كف أبيض<sup>(٦)</sup> يدمى البيض والأسلا<sup>(٧)</sup>  
 ولن تروا ناصراً يرجى لمن خذلاً  
 من كل مقدمة يغشى ألوى جذلاً  
 بين الخيسين ، لا نكسا ولا وكلاً<sup>(٨)</sup>  
 ألنى بمهجه يرتاد مدخلاً  
 لولا الرحيق المصفى<sup>(٩)</sup> شاربا ثملاً  
 وانساب منطلقاً يهـديهم السبلا<sup>(١٠)</sup>  
 ما ذاق هاربهـم سيفاً ولا رجلاً  
 يخال أمنعها من ضعفه طلاً

(١) طلب النجاة أو اتخذ له موئلاً .

(٢) كانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول ، فتهرباً عبادة منهم وقال : يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ، وبقي عبد الله بن أبي على حلفه لهم . وفيه نزلة : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض — إلى قوله تعالى — فإن حزب الله هم الغالبون ،

(٣) الطول : الحبل الطويل .

(٤) المنصلت من السيوف : الصقيل الماضي .

(٥) الرسول الكريم .

(٦) البيض وأدسل : السيوف والرماح .

(٧) الخيس الجيش يؤلف من خمس فرق المقدمة والقلب ، والميسنة ، والميسرة ، والسافة .  
 والذكس من لا خير فيه من الرجال ، والوكل العاجز بكل أمره إلى غيره .

(٨) القرآن الكريم .

(٩) لجأوا إلى حصونهم فسار إليهم النبي وكان لواؤه بيد عمه حزة بن عبد المطلب .

(١٠) الحصون .

طال الحصار ، وظل الخنف يرقبهم  
 أفنوا من الزاد والماعون<sup>(١)</sup> ما ادخروا  
 من كل ذى سغب ، لو قال واحده  
 لا يملكون لاهلهم وأنفسهم  
 ظلت وسارهم حيرى تجول بهم  
 حتى إذا بلغ المكروه غايته  
 تضرعوا يسألون العفو مقتدراً  
 أعطى النفوس حياة من سماحته  
 لو شاء طاح بهم قتلاً ، فما ملكوا  
 ما الظن ( بابن أبي ) حين يسأله  
 إما رآه جريحاً لو يصادفه  
 زالوا عن الدور والأموال ، وانكشفوا  
 هو الجلاء لقوم لا حلوم لهم  
 ساروا إلى أذرع<sup>(٢)</sup> ينزلون بها  
 بادوا بها ، وتساقوا في مصارعهم  
 يلوم بعض على ما كان من سفه  
 أهل المعاقل هدمتهم مدمرة  
 رمى بها من رسول الله منذ  
 هل دولة الحق إلا قوة غايته ؟

(١) الماعون . كل ما يستعان به من منافع البيت .

(٢) سألوا النبي صلى الله عليه وسلم — بعد أن طال الحصار خمس عشرة ليلة ولم يبق لديهم ما يأكلون — أن يخلى سيولهم على أن يجلبوا بنسائهم وذرائعهم وأن يكون له المال والسلاح .

(٣) قيل إن النبي أمر بقتلهم بعد خروجهم من الحصون ، فكلمه عبد الله بن أبي فيهم ، وألح عليه ، وإنه أدخل يده في جيب درعه الشريفة يسأله أن يعفو عنهم ، وأنه قال لعبد الله : خذهم لا برك الله لك فيهم ، وأمر بإجلائهم ، فتولى عبادة بن الصامت الأمر .

(٤) قيل إنه جاء إلى منزل الرسول الكريم قبل خروجهم من الحصون يسأله في إقرارهم تخجب عنه فاراد الدخول فدقق بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف منضياً ، والحول اسم من التحول والانتقال . (٥) أذرع طلع بالشام . (٦) لم يحل الحول حتى هلكوا بدعوة الصادق الأئمة (خادمهم لا برك الله لك فيهم )

## مَهْمَةُ الْفَقِيهِ

١ — تفضل أخى وصديق العلامة الأستاذ الشيخ محمد على النجار بنقد كتابي : **الأموال ونظرية العقد في الفقه الإسلامى** ، فى الجزئين الماضيين من هذه المجلة . وهو نقد يدل على ما عرف به السيد الأستاذ من قراءة واعية عميقة ، وعلم أصيل ، وخلق كريم ، وثبت ودراية بما يقول . كما يدل كذلك ، على نزعة المحافظة ، هذه النزعة التى قد تذهب أحياناً إلى تقديس كل ما أثر عن الماضين ، والذراية والتعصب على من يوصفون بالمجددين .

وقد تناول كثيراً من المسائل التى حفل بها الكتاب ، وأبدى فيها رأيه الذى يختلف عن بعض ما ذهب إليه ، وأثنى على ما رآه خليقاً بالتقدير . وإنى لأشكر له خالص الشكر ما خصنى به من ثناء لا أرانى أهلاً له كله ، كما أشكر له أيضاً ما رآه من نقود أراد بها بيان الحق فيما نختلف فيه . إلا أنه وهو بصدد نقده لبعض ما ذهب إليه من آراء ، حمل حملة فيها شيء من العنف على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ، وهى حملة تعتبر صدى لعصبية ضد أمثالهم من مجددى الفقه الإسلامى .

٢ — ولست أحب أن أشغل المجلة وقراءها بالجدل حول المسائل التى أثارها فضيلته ، وكفانى أنى سأفيد بلا رب بما فى نقوده من حق وصواب . كما لا أحب أن أجعل من نفسى مدافعاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته فى الفقه ، بل ولا أرى لذلك داعية ما ؛ فإن العالم الإسلامى قد حكم لمؤسس هذه المدرسة وتلميذه ابن القيم بالاجتهاد وتجديد الفقه الإسلامى (\*) ، وعرف لهما ما قدما لهذا الفقه من تراث قيم مشكور (١) .

إن الذى أريد الحديث عنه فى هذه الكلمة القصيرة ، هو بيان مهمة الفقيه فى هذا الزمن وفى كل زمن ، والتعريف برسالاته فى كل عصر ، ومتى عرفنا ذلك كان من اليسير أن نعرف مكانة ابن تيمية وغيره من جلة الفقهاء .

٣ — الفقه ، كما نعرف جميعاً ، هو العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين

(\*) المجلة - وكان تجديدهم رجوعاً إلى منه الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين ، وإحياء لطريقتهم بقدر ما يسقط منه العالم الآن غير المعصوم .  
(١) الكلام هنا عن مذهب ابن تيمية فى الفقه .

خاصة ؛ كالوجوب والحظر والإباحة والندب والكرهية ، وكون العقد من العقود صحيحاً أو فاسداً أو باطلاً . . . إلى آخره (١) .

ومن المعلوم أن هذه الأفعال تسكاد لا تناهى ، وهى مختلفة من عصر إلى آخر ؛ فإن لكل زمن أحداثه ومشاكله الى تتطلب من الفقهاء بيان حكم الله فيها ، وليس من الممكن أن نجد في تراث الفقهاء الماضيين — رضوان الله عليهم — حلولاً لكل ما يجد في هذا الزمن الذى نعيش فيه ، والمثل لذلك جد كثيرة لا تحتاج إلى بيان .

ومن الحق أن لدينا كتاب الله وسنة رسوله ، وأن فيهما الأصول الكلية لما لم يحسم مفصلاً من الأحكام الشرعية الفقهية . ولكن ، من الحق أيضاً أن استخلاص هذه الأحكام من نصوص الكتاب المحكم والسنة الصادقة ليس يسيراً في كل زمن ، إن لم نقل بأنه قد يكون عسيراً كل العسر في حالات كثيرة يخطئها الحصر ، وذلك لأن النصوص لا تنقضى دائماً بأحكام كل ما يجد من الحوادث والنوازل طوال هذه الحياة .

٤ — وهنا نعرف الفقيه الحق من الدارس للفقه ، كما تظهر مهمة الفقيه ورسالته في هذه الحياة . هذه المهمة أو الرسالة التى تقتضيه فهما عميقاً لهذين المصدرين الجليلين المقدسين ، وإحاطة بأدلة الأحكام الشرعية كما قررها علماء أصول الفقه ، ومعرفة بعلم هذه الأحكام ومسالكها ، وقدرته على الموازنة والترجيح عند تعارض الأدلة ، ووقوفاً على الأعراف في البلاد الإسلامية المختلفة ، إلى غير ذلك كله مما يجب أن يتوفر في الفقيه الذى يتأمل هذا الوصف الجليل .

ومتى تم له هذا جميعاً ، عليه أن يعيش في زمنه ، وأن يتعرف المشاكل الفقهية التى لا بد لها من حلول تتحقق بها المصلحة ولا تتعارض مع القرآن وسنة الرسول ، ثم يجيل في ذلك عقله ويعمل فيها رأيه ويجتهد لبيان حكم الله في مشاكل ونوازل زمنه .

٥ — ولو أن للإسلام فقهاء من هذا الطراز ، فقهاء مجتهدين يصيبون ويخطئون ، لرأينا حكم الشريعة الإسلامية في كل من مشاكل هذا العصر ، هذه المشاكل التى نراها في جميع ميادين الحياة : في المعاملات التى جددت في سوق العقود ، في المصارف المالية وضروب التجارة المحلية والدولية ، في السياسة والحكم وأصوله ، في الاقتصاد وسياسة المال ، في علاقات الدولة بغيرها من الدول الأخرى ، وفي غير هذا وذاك كله من شئون هذه الحياة المتجددة دائماً .

ولكن الذى نراه ونحسه آففين محزونين ، هو الجود الذى أصاب الفقه والفقهاء منذ مئات ومئات من السنين ؛ فلا عمل إلا إلا العكوف على تراث الماضى المتأخر وتعلمه وتعليمه ، دون أن نغنى بتنميته وتطويره حتى يحقق مصلحة المسلمين فى هذا العصر ، مكتفين بالمناداة فى كل مناسبة بضرورة أن نحكم بشريعة القرآن الصالحة لكل زمان ومكان .

٦ — إن هذه الشريعة السماوية صالحة حقاً لكل زمان ومكان ، ولكنها بحاجة إلى فهمها وفهمونها ويتمتعونها ثم يعرضونها للعالم كله صالحة للتطبيق فى هذا العصر . أما أن نظل على التقليد ، والتقليد فقط ، ثم نرى كل من يحاول التجديد فى الفقه بالزيغ والإلحاد ، فذلك من شأن الذين لا يصلحون للحياة إلى لا تعرف الجود والوقوف .

وقد كان من أثر هذا الجود الذى وقف العقول عن العمل ، ومن هذا التقليد الذى ران على القلوب وثقل على الصدور ، أن وجدنا من شباب اليوم من يحاولون الطفرة بالدعوة إلى طرح الماضى ووجوب الاجتهاد بلا قيد ولا شرط ، إذ ضاقوا ذرعاً بجمود كثير من شيوخهم وكبار أسانذهم ، وفى هذا وذاك كل الخطر <sup>(١)</sup> .

٧ — وبعد هذا ، لست بحاجة الآن إلى الإشارة بمكانة شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذه الناحية ، ويكفى أن نقرر بأنه كان من الفقهاء الذين تميزوا بفقه الكتاب والسنة ، واجتهدوا وصار لهم مذاهب تستقى من هذين المصدرين المقدسين ، متجاوزين فى هذا السبيل مرتبة التقليد للفقهاء السابقين . وإلى لا اعتقد ، بحق ، أن ظهور ابن تيمية الفقيه وتلميذه ابن القيم كان من رحمة الله بالناس ، ويكفى لإزالة الظن فيما تركا من تراث فقهى جليل لمعرف أى خير قدماء المسلمين فى الشريعة الإسلامية .

كما أننا بحاجة إلى بيان أن ما نرجوه من التجديد فى الفقه ، على مثال ما كان من ابن تيمية وابن القيم وأمثالهما من الفقهاء المجتهدين المجددين ، لا يعنى أننا نريد أن نخالف حكماً ثابتاً بنص الكتاب والسنة . إن الذى أعنيه هو ضرورة معرفة علل الأحكام الشرعية ، وأن نوقن ، علماً وعملاً ، بأن الحكم يجب أن يدور مع علته وجوداً وعدماً ، وأن بعض الأحكام كانت لعل استوجبتها ، فإذا زالت هذه العلل وجب أن تتغير هذه الأحكام بتغير عللها ، وذلك يكون دائماً فى حدود الكتاب والسنة وفى سبيل تحقيق المصالح للمسلمين .

**الدكتور محمد جـ. عـ. موسى**

[ ١ ] راجع فى هذا وما يتصل به مقالنا : « كفانا تقليداً فى الفقه » ، فى هذه المجلة عدد رمضان وعدد شوال

# السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

كما ينبغي أن نعلمها في معاصدنا

رفع رئيس تحرير هذه المجلة تقريراً إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكرم شيخ الجامع الأزهر عن مناهج الدراسة الأزهرية ، وما يلاحظ عليها مما توحى به حاجة المسلمين ويؤدي به الأزهر رسالته نحو الإسلام وتراثه الثقافي ، ونحو أهله في نهضتهم الاجتماعية والخلقية والدينية ليتبوا أو مكانهم اللائق بهم في طليعة الأمم المعاصرة لنا . ومما جاء في هذا التقرير عن تدريس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ما يأتي :

## السيرة النبوية :

ان دروس السيرة النبوية مخصص لها ساعتان في الأسبوع لسكل من السنتين الأولى والثانية من القسم الابتدائي ، ثم تنقطع الصلة بينها وبين الأزهر في كل مرحلته وهي تدرس بطريقة جافة على أنها وقائع وأحداث ، لا على أنها إعداد إلهي لامة كريمة يطلب منها أن تقوم بأعظم انقلاب إنساني في تاريخ البشر ، فاستجابات لهذه الدعوة بنفوس عالية وأحلام راجحة وأخلاق ممتازة ، حتى صار لخاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم أكرم الأصحاب وأصدق الأعوان على هذا الحق والخير في ثلاث وعشرين سنة ، ولم ينتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كانت هذه الامة كلها في حجة الوداع من أهل الإجابة لهذه الرسالة العظمى ، ولم يشذ عن ذلك من قبل إلا نفر قليل ممن يؤثرون الذرة بالإثم فكان عدد من هلك على الباطل من معارضي الحق عدداً نزرأ جداً ، وكان عدد من نال الشهادة في سبيل الحق بمثل هذه القلة أو أقل ، وهو ما لم يقع مثله في رسالة نبي من الأنبياء ، وما لم يكن ليقع مثله لو أن الإسلام ظهر في أمة أخرى . والذين وقع منهم معارضة الإسلام في هذه البيئة من أمثال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل لم يلبثوا أن ثابوا إلى الحق بدافع من إنصافهم ورجاحة عقولهم واستنارة بصائرهم ، فكانوا هم دعاة الإسلام والمجاهدين في سبيله والحاميين لأعبائه . إن قريشاً وسائر العرب استجابوا للدعوة الإسلام بأسرع مما كانت تستجيب له أية أمة أخرى . والذين يكتبون السيرة النبوية يهولون في معارضة قريش للإسلام وهم متأثرون بدعايات



طوائف مغرضة ذات نزعات خاصة نحو الصحابة جميعاً ، لأن قريشاً والعرب هم الصحابة الذين اهتموا بالتدريج ، ففهم السابقون ومنهم اللاحقون وكلا وعد الله الحسنى . والحقيقة الكبرى في السيرة النبوية أن الإسلام هو رسالة الله الكاملة إلى الإنسانية كلها ، وكما اختار الله لهذه الرسالة أكمل رسله اختار كذلك لهذا الرسول الكريم أكمل الاعوان في أنضج شعوب الأرض أحلاماً وأسلمها فطرة وأسرعها إنصافاً وأصدقها في نصرة الحق بعد الاستجابة له . وقد دخلت في الإسلام بعدهم أمم كثيرة ، فلم يعرف التاريخ أمة أصح منهم فهماً للإسلام ، ولا أصدق منهم نصرة له ، ولا أوفى منهم له في عزته وفي حفظ أماناته وفي التضحية له بكل ما يملكون . وقد قاموا بنشر دعوة الإسلام وقام بذلك غيرهم بعدهم ، فكان ما عملوه هم معجزة أخرى للإسلام لم تضارعهم في كمالها وجمالها أية أمة أخرى من الأمم الإسلامية التي تولت القيادة والتوجيه . وهذه الحقيقة هي مصداق ما ورد في حديث عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب قريشاً ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارني من بنى هاشم ، فأنا خيار إلى خيار .

إن السيرة النبوية ينبغي أن تدرس من هذه الوجهة ، لتبين حكمة الله في إعداد جزيرة العرب لتحمل - تحت راية خاتم المرسلين وفي ظل هدايته - آخر رسالات الله وأكملها لتنتشرها في الأرض . وقد أدت البيئة التي ظهر منها خاتم المرسلين هذه المهمة العظيمة نحو رسالته على أكمل الوجوه ، وبما لا ينتظر من البشر خير منه . والنهويل في كتابة السيرة بمعارضة قريش والعرب للدعوة الإسلامية مدسوس قديماً من طوائف لها آراء خاصة في الصحابة . والنبي ﷺ لم يفارق الدنيا إلا بعد أن كان أهل بيته دعاة لهذه الدعوة وجنوداً ، وهي بيئة كريمة تستحق من المؤرخين لها أن يذكروها بكل خير ، وأن ييسروا لحلفائها من صفوة أبناء الجيل سبيل القدوة بها والاحترام لها والمحبة لرجالها تصديقاً لقول الله عز وجل مخاطباً أهلها : كنتم خير أمة أخرجت للناس .

### التاريخ :

والتاريخ لا يدرس في السنة الأولى الابتدائية . وأول ما يستقبل الطالب الأزهرى

منه في سنته الثانية تاريخ مصر القديم ، أى تاريخ الأسر ، الفرعونية . ومعرفة تاريخ مصر القديم لا بد منها ، ولكن كان ينبغى أن تسكون في غير هذه المرحلة ، خصوصاً للطالب الأزهرى الذى يحتاج فيها إلى ما يلمس منه الأسوة والقوة لينطبق عليه من بداية أمره . ثم إن تاريخ مصر القديم كان يلم إلى الآن بعقلية الحكم الفردى وسلمان القصور المطلق ونظام الطبقات ، والاتجاه الآن حتى في وزارة المعارف إلى إصلاح تعليم هذا القسم من التاريخ بما يلائم مستوا الفكري ، ثم إنه في الأزهر على الخصوص ينبغى أن ينظر إليه نظرة تلائم رسالة الأزهر ، وإن كانت حقائق الوقائع لا تنير مهما اختلفت الأنظار إليها كما هو مقرر في هذا العلم .

هذا فيما يتعلق بمنهاج التاريخ في السنة الثانية الابتدائية ، وفي السنة الثالثة يبدأ الطالب الأزهرى بالتعرف إلى تاريخ الإسلام . ومهما أخطأت المعاهد الأخرى في عرض تاريخ الإسلام - ولا سيما في عصره الذهبي وهو زمن الخلفاء الراشدين - فقد كان ينبغى للأزهر أن يصحح الأخطاء المتعمدة في التاريخ الإسلامى من المصادر الإسلامية الوثيقة التى يعتبر رجال الأزهر أقدر الناس على تتبعها وتمحيصها وحسن عرضها ، لأن عصر الخلفاء الراشدين وكل ما وقع فيه من تعاون أو سوء تفاهم قد حققه أعلام السنة وزيفوا مادس فيه المنغرضون لتشويه هذا العصر وتسويء سمعة الصحابة وإيهام أهم في مستوى أوضع من مستواهم الرفيع الذى رفعهم الله إليه .

ومما يؤسف له أن الكتاب المقرر تدريسه للسنة الثالثة الابتدائية انزل في هذه الهوة وإن تلطف في بيانه عنها ، فجاء في آخر صفحة ٤١ من جزئه الثالث أن اثنين من العشرة المبشرين بالجنة وأم المؤمنين عائشة انهموا علياً ( رضى الله عنهم أجمعين ) بالهوادة في مقتل عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، مع أن الذى حققه أئمة الدين وأعلام المسلمين أنهم جاءوا إلى العراق ليتفاهموا ويتعاونوا مع أخيه وزميل هدايتهم وجهادهم للتوصل إلى إقامة الحد الشرعى في مقتل أمير المؤمنين عثمان ( وتحقيق ذلك في فتح البارى للحافظ ابن حجر ج ١٣ ص ٤١ - ٤٢ وعشرات كثيرة من أمهات الكتب المعتمدة ) . وجاء في ص ٤٢ من هذا الكتاب المقرر أن سيدنا علياً حارب إخوانه الذين مع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وإن تحقيق أعلام السنة وقدماء المؤرخين المحققين أن الجيشين بايا في أنعم ليلة وأسعدها ، وأبناء كل فريق في معسكر الفريق الآخر ، وكانا على أهبة إقرار الاتفاق النهائى في أمر قتلة عثمان

في صباح تلك الليلة ، لكن قتلة عثمان شعروا بذلك وأيقنوا أن الصلح والوفاق سيكون على رقابهم ودمائهم فأنشبوا القتال في الصباح الباكر على حين فجأة من الفريقين وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، ولم يكن على كرم الله وجهه يريد قبل تلك الساعة المشؤمة إلا العافية والسلامة ولم يكن إخوانه الآخرون يريدون إلا مثل ذلك ، فانزلاق الكتاب المقرر تدرسه لطلبة الأزهر في ترويح هذا الخطأ المدسوس على تاريخ الإسلام وادعاء أن سيدنا علياً حارب إخوانه ، يخالف لواقع الامر ، وفيه افتئات على أكرم خلق الله بعد رسول الله ، ومن أسوأ ما تمس به أمة إلى نفسها تلمين هذا الخطأ لأطفال المسلمين الذين سيتولون قيادة الأمة ويقومون بأمانتها وتوجيهها وإرشادها .

وفي عرض الكتاب المقرر لواقعة صفين والتحكيم مضى في تقرير الخرافة المشهورة التي يزعمون فيها أن أبا موسى الأشعري كان أبله وأن عمرا كان صاحب حيلة ، وأشهد أن المؤلف تلافى بالإشارة إلى هذه الخرافة المكذوبة ولم يتوسع في بيانها ، لكنه أشار في هامش الكتاب على المدرس أن يتولى هو التوسع في بيان ذلك . وهذه الأكذوبة من اختراع من لا يخاف الله من كذبة المؤرخين ، والصواب فيها ما رواه الحافظ الدارقطني بسنده إلى حنظلة بن المنذر من رجال على كرم الله وجهه أن عمرا وأبا موسى اتفقا على ترك الامر إلى الموجودين على قيد الحياة من رجال الصحابة كعبد الله بن عمر وطبقته ، ولم يقع قط ما نسب إلى أبي موسى من بلاهة وإلى عمرو من خدعة ، وكان كلاهما أعلى منزلة وأتقى لله وأبصر بدينهما من أن يسكونا كما صورهما أعداء الصحابة بأقلام مؤرخين كانوا لازمانهم كبعض الصحفيين اليوم في تلميس الحق بالباطل بحسب الأهواء وللقاضى أبى بكر بن العربي في كتاب العواصم من القواصم وشيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة وأمثالهما من أعلام المسلمين تحقيقات جليلة في هذا الباب ، بل إن الإمام خليفة بن خياط أحد شيوخ البخارى هو أيضا من رواة الرواية الصحيحة في التحكيم كالتى رواها الدارقطني عن حنظلة بن المنذر . إن الأزهر أولى المعاهد الإسلامية بتصحيح هذه الأخطاء ، بل إن مصر أولى أقطار الأرض بإزالة السوء المفترى على الرجل الذى كان سبب لإسلامها ، وله مثل ثواب كل مسلم أظلك سماء مصر من نحو أربعة عشر قرناً إلى أن تقوم الساعة .

وأهم ما كان ينبغي تعليمه لطلبة الأزهر من تاريخ مصر والإسلام تاريخ المعجزة الاجتماعية التى تمت في مصر على يد عمرو بن العاص وإخوانه الصحابة بتحويل هذا الوطن

إلى دين الإسلام ودخوله في أسرة العروبة واختياره للسانها وبيانها حتى صارت لها الإمامة في ذلك كما هو الواقع الآن ، وهو حادث لا تعرف مصر في تاريخها أعظم ولا أعجب منه في ألوف السنين . وقد عجز الاستعمار الغربي رغم جميع وسائله الحديثة عن أن يحدث مثل هذه المعجزة في الجزائر أو غيرها ، فتعليم طلبة الأزهر كيف صارت مصر عربية إسلامية من أهم ما كان ينبغي تعليمه لهم من حوادث التاريخ . وقد ذكر الكتاب المقرر في الأزهر بعض إصلاحات عمرو بن العاص كإنشائه الفسطاط ، وغير عمرو قد ينشئ أعظم من الفسطاط ، وذكر له من إصلاحاته الاهتمام بالرى وإصلاح المقياس وإنشاء القناطر والجسور وأمثال ذلك ، وإن أسوأ فاتح قد يفعل أكثر من ذلك ، أما انقلاب مصر الاجتماعى الذى قام به عمرو وصحبه ، ولا تعرف مصر مثيلاً له في تاريخها ، فإن طلبة الأزهر لا يعرفون عنه شيئاً ، ومن أولى من طلبة الأزهر بمعرفة ذلك ؟

وفىما يتعلمه طلبة الأزهر من تاريخ الإسلام أخطاء كثيرة قد لا تستحق الذكر ، إنما الذى يستحق الذكر وجوب العدول عن اعتبار التاريخ الإسلامى تاريخ حروب وفتن وأحداث وأشخاص ، وأن ينظر إليه على أنه تاريخ الدعوة الإسلامية وكيفية انتشارها وأسباب نجاحها ، ومن الذى أعان على ذلك وكان له أثر فيه بأخلاقه وتضحيته وصفاء بصيرته ، ومن الذى أساء إلى هذه الدعوة وسار فى غير طريقها وأفسد على الأمة دينها ودنياها ، وكيف طرأ على المجتمع الإسلامى الانحطاط وظهرت فيه النزعات المذهبية والشعبوية .

إن التاريخ الإسلامى فى مناهج تدريسه ، يجب أن يطهر من الدسائس المكذوبة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتماداً على تحقيقات أعلام المسلمين وأئمتهم ، وينبغى أن يرسم منهاجه على أساس أنه تاريخ الإسلام وتطور العمل بالمبادئ التى جاء بها ، ومن هم الذين بذلوا من ذات أنفسهم حتى نشروا دعوة الإسلام وعرفوا الأمم بها ، ومن هم الذين تنكروا لها حتى وجهوا المسلمين التوجيه الذى انحرفوا به عن طريقه .

## دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ

بين الدين والسياسة

فى غضون معالجة السيد رفيق العظم للتاريخ الإسلامى فى كتابه : أشهر مشاهير الإسلام ضاق المؤلف الجليل بأنباء الفتن والخلافات ، وما تبعها من انقسام للفرق فقال :

« والعجيب فى أولئك الفرق أن يتنازع أشخاص من الصعابة على رئاسة دينوية - بل ولو دينية أيضا - يرى كل شخص منهم أنه الأحرى بها والأليق للقيام بأعبائها فيجعلون ذلك التنازع تنازعا دينيا ، كأنه تنازع على أن الله واحد أو أكثر ، ينجو من آمن بوحدايته ويهلك من قال بتعددده ، فبرسخ فى أذهانهم تكفير نصف المسلمين يومئذ ، مع أن فى الحديث : « من قال لآخيه يا كافر فقد باء بالكفر » (١) .

ثم قال فى موضع آخر من الكتاب نفسه :

« وليس أصل عقولا من بعض الفرق الإسلامية التى حصرت النظر من أخبار الفتن وأشخاصها فى الوجهة الدينية ، فقالت : هذا استحل وهذا حرم ، وهذا يماقب وهذا يثاب ، وفاتها أن ما تعلق بمقتوى الله فله ، وأما ما تعلق بالمسلمين فـللمسلمين ، وليس لهم أن يحكموا على شخص يقول ربى الله إلا بالخطأ إذا أخطأ وبالصواب إذا أصاب .

نعم . إن لثل هذه الأحكام والمباحث اتصالا بالأمور السياسية والأعمال الدنيوية ، فلا تخلو من فائدة وسند لمن يريد الحكم على الأشخاص بأعمالهم السياسية والاجتماعية ، ومن منهم المؤاخذ ومن منهم غير المؤاخذ . ولكن أين من مؤرخينا من نظر إلى تاريخ القوم من هذه الوجهة ، بعد أن حال بينهم وبينهم الدين ، فتقيدوا بإيراد الأخبار كما أخذوها ، وتجنبوا الخوض فيها والحكم بشئ - من عندهم عليها - إلا النزر اليسير من المؤرخين - مع أن الصعابة والرواة من التابعين ومن أتى به دمهم لم يضمنوا بشئ من مخبئات التاريخ وأخبار الرجال .

ومع هذا فقد نقلها مؤرخونا على علاتها وزعموا أن من الأدب ألا يتكلم أحد من الناس فيها ، حاشا فريق المحدثين الذين عنوا بالبحث فيها وفرقوا بين الكاذب والصادق منها ونوهوا بلزوم تمحيصها والتدقيق فيها « (١) . وهو يقول أيضاً :  
« وإنما صيغ السلف لهذه الفتنة بصيغة دينية هو الذى يجعل الباحث بين إقدام وإحجام مع أنها فتنة سياسية تابعة لجرى السنن الطبيعية فى الدول » (٢) .

\* \* \*

وأحب أولاً أن يطمن القارئ على فهم صاحب هذه الأقوال للدين ، فهو يعرف أن الدين يشمل أمور الدنيا والآخرة ، فهو يقول : وإن الإسلام جاء بقسمى السياسة والدين ولم يقتصر على أصول التوحيد والعبادات ، لهذا كان وافياً بحاجات الدين والدنيا ، (٣) .

والمؤلف يفهم كذلك أن الخلاف - فى حدوده المشروعة - أمر لا بد منه فى كل مجتمع فهو يقول :... إلا أنهم اختلفوا فيمن يولونه هذا الأمر اختلافاً ليس فيه ما يتنافى المصلحة الإسلامية ، بل غابته تمحيص الفكر ومحض النصيحة فيمن تجمع على تأميره كلة الجمهور الأعظم من المسلمين ليكون أثبت قدماً فى الخلافة وأشد حجة على المخالفين ، (٤) .

وما دام الدين الإسلامى وافياً بحاجات الدين والدنيا ، فقد كنت أحب من المؤلف أن تكون عبارته عن علاقة أحداث التاريخ بالدين أدق وأضبط ، فيعلن عدم رضاه عن الذين يتخذون التكفير والتأثير محوراً لكل كتاباتهم فى التاريخ ، ويستنكر لإفحام الحكم على عقائد الرجال بغير دليل فى ثنايا سرد الأعمال ، أما صيغ التاريخ بصيغة الدين عموماً - والدين يتسع للعقائد والأخلاق والأعمال جميعاً - فهذا أمر لا خطر فيه ، ولا مهرب منه ، لانتنا أمام مجتمع يدين بالإسلام ، ويتحاكم إليه فى كل الأمور . وهذا الإسلام يرسم شعب الإيمان فى كل مناحى الحياة .

ثم إن المؤلف يقول إن الدين قد حال بيننا وبين الصحابة الأفاضل ، فقيدنا فى إيراد الأخبار كما نأخذها . وليس فى هذا خطا ولا خطر ، ما دما نرجع الأخبار إلى سندها ،

(١) المصدر نفسه ص ٨١٦ - ٨١٧ • (٢) ص ٥٦٢ .

(٣) ص ١٨ . (٤) ص ١٨ .

ونعرف صحيحها من سقيمها . وهذه هي طريقة المحدثين الذين استثموا المؤلف من بين من انتقد . أما تجارز النقل الثابت إلى إيراد المنال أو اختلاق الأخبار فهذا من فضل الدين أن حجبنا عنه ، ولم يفعل هذا مؤرخ فاضل ، ولم يقل أحد أن حسن الأدب هو السكوت عن الأكاذيب ، وإنما حسن الأدب هو ردها وتنقية سيرة الصدر الأول منها ، ومن حسن الأدب كذلك السكوت عن الظنون ، والكف عن اقتفاء ما لا علم لنا به وكثيراً ما تلح على المرء في هذا شهوة الاستنتاج ودعوى التحليل ، ولقد أمرنا بأن تكون شهادتنا يقينية لا استنتاجية فيما نشهد من حاضرنا ، ففي الحديث « إذا رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع ، فكيف نشهد بالظن والهوى فيما أدبر من ماضينا ؟

أما أن المجتمع الإسلامي يسير على السنن الطبيعية لكل المجتمعات فهذا حق ، ونحن لا نعصم فرداً أو مجتمعاً من أن تسرى عليه هذه السنن إلا أن يكون نبياً أو رسولا ، ولكن ليس معنى مسايرة المجتمع الإسلامي للسنن الطبيعية ، ومسايرة الفرد لكل النوازع البشرية أن نستبيح القول بغير علم ، أو بعلم مدخول لم نمحصه ، ولا سيما في دراسة ما كان عليه خير مجتمع إنساني عرفه التاريخ .

والإسلام له منهجه في الحكم على الرجال والأعمال ، فهو يأمر بالشهادة بالقسط ، وعدم مسايرة الهوى في شأن أو في محبة ، وهو يأمر باتباع العلم لا الظن ، وتمحيص الخبر وتبينه أن يصاب قوم بجمالة ، وهذا في حق كل الناس ، فكيف بخير القرون وما يليها ؟

وحتى في الأخطاء ... فإن الإسلام يجعلها لنا تبصرة وعبرة ، لاستفيد من تجارب الزمن ، ولنحمد الله على العافية ، ولنتجنب تكرار هذه الأخطاء أو السماح لأسبابها ومقدماتها بالاستقرار في مجتمعاتنا ، أما من سبقونا بإحسان فردهم إلى ربهم — أخطأوا أم أصابوا — لأن الحكم الصادق يقتضى معرفة النية حتى نعرف أم أجورون هم ، أم غير ذلك ، والأعمال بالنيات والنيات لا يعلمها إلا رب السرائر . وكل ما علينا في حياتنا الدنيا أن نتجنب ما نحسبه خطأ ، ولا نسب صاحب الخطأ لأنه بشر أولا ، ولأنه قد تشهد له دلائل وفضائل أخرى ثانيا ، ولأننا لا نعرف الظروف والأوضاع التي كان فيها الخطأ وهل تبرر ذلك أو لا تبرره ثالثاً ، ولأن الأصل أن يحمل حال المؤمن على أحسن الأحوال رابعاً ، خصوصاً إذا كان هذا المؤمن أحد الذين قامت على أكتافهم دعائم السكيان الإسلامى .

فنحن نقف موقفاً وسطاً حيال كلمات السيد رفيق العظم، فلا نجيز جر كل أمور الرجال إلى العقيدة - لا الدين - لنحكم على الناس أحكاماً ليس في أيدينا مستنداتها، ولسنا نحن جهة الفصل فيها - إلا في المخالفة الصريحة، وفي إنكار المعلوم بالضرورة. كما أننا لا نجيز النظر إلى سيرة السلف من ناحية دينوية محضة، لمجرد أن مجتمعهم شأنه شأن أى مجتمع في السير على وفاق السنن الطبيعية. لأننا إن فعلنا نكون قد تجردنا عن فضائل ديننا وعدالة أمتنا، وليس أخش من التدين بمعنى نصب ميزان القيامة في الدنيا بأيدي البشر، إلا التدين بمعنى عدم مراقبة اليوم الآخر الذى ينصب فيه هذا الميزان لإجراء حساب الله، واستباحة فتر الأحكام يميناً وشمالاً بغير هدى من الله... ونحن نحسب أن الدين لا شأن له هنا!

إن الدين بمعنى عقيدة القلب التى يحاسب عليها الرب فى الآخرة هو الباب الذى لا نفتحه على أحد بغير سلطان من صاحبه... أما الدين بمعنى المنهاج الشامل لكل ما فى الحياة، ومنه طريقة الحكم على الناس، والنظر إلى المجتمعات وتقدير الجيل الذى أدرك نور النبوة ومن بعده، إن الدين بهذا المعنى يتدخل فى التاريخ وغير التاريخ.

ونستطيع أن نرجع ما أشار إليه السيد رفيق العظم، وحرص البعض على إصدار أحكام العقيدة على الرجال، إلى ارتباط هؤلاء الرجال بروايات الحديث ومسائل فى الفقه، فالباحثون حسنو النية يريدون أن يثبتوا من يأخذون عنهم دينهم، وهل ما اجتروا من أعمال يؤثر فى عدالتهم.

جاء فى ( المقالة الوضعية فى الفصيحة والوصية ) لشيخ الإسلام شاه ولي الله الدهلوى المتوفى سنة ١١٧٦ هـ (١) :

« إعتقد قلبك وضميرك على الإخلاص والإحسان والاعتقاد الصحيح الطيب فى حق أصحاب النبى ﷺ، ولا تطلق لسانك فيهم إلا بمنافهم وفضائلهم. وأخطأ فى هذه المسألة فثنان، فقوم يزعمون أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا طاهرين ومتزهين عن أدناس غل فى صدورهم، وغش فى مطويات قلوبهم؛ وهذا وهم صرف، لأن النقل المستفيض عنهم شاهد

(١) راجع ترجمته فى رسالة الاستاذ السيد مسعود الندوى « نظرة اجمالية فى تاريخ الدهلوى »



على مشاجراتهم فيما بينهم ، وإنكار هذا النقل المستفيض من الاستحالة بمكان ؛ وقوم لما رأوا تلك الأمور منسوبة إليهم أطلقوا ألسنتهم ، وأخرجوا من أفواههم كلمة تسلكم الصحابة بالظعن عليهم والقدح فيهم وعابوهم ، فتورطوا في وحل الهلكة ، القاضية عليهم ، وورطة الضلالة التي تعسر النجاة لهم منها .

ولفسد أوحى إلى هذا الفقير أن أصحاب النبي ﷺ — وإن لم يكونوا معصومين ، وليس بعيداً أن يصدر عن بعضهم أمور وبعض الهنات التي إن وقعت من الآخرين واستحدثت — لا يصبحوا موارد ظعن وجرح . فنحن مأمورون بكف اللسان عن مساوهم ومحظورون عن سبهم والظعن فيهم ، تعبداً ولمصلحة . والمصلحة أنا لو فتحنا باب الجرح والتقص والتعديد بمثالهم لا نقطعت سلسلة الرواية عن النبي ﷺ ، وفي انقطاع الرواية زهوق روح الأمة ، ولما أن الرواية تؤخذ من كل صحابي ، فأكثر الأحاديث تصير مستفيضة وتقوم الحجة على تكليف الأمة ولا يضر جرح البعض في ذلك النقل فلا يقع خلل <sup>(١)</sup> .

وليس معنى ذلك أن هذه الحماية الشرعية التي أقيمت حول الصحابة قد أطلقت لتحمل كل من صاحب بأوسع مدلولات الصحبة ، فالفقهاء قد حددوا الصحبة المقصودة تمام التحديد . قال الإمام ابن حزم : « وليس كل من أدرك النبي ﷺ ورآه صحابياً ، ولو كان ذلك لكان أبو جهل من الصحابة لأنه قد رأى النبي ﷺ وحادثه وجالسه وسمع منه . وليس كل من أدركه عليه السلام ولم يلقه ثم أسلم بعد موته عليه السلام ، أو في حياته إلا أنه لم يره ، معدوداً في الصحابة ، ولو كان ذلك لكان كل من كان في عصره عليه السلام صحابياً ، ولا خلاف بين أحد في أن علقمة والاسود ليسا صحابين وهما من الفضل والعلم والبر بحيث هما ، وقد كانا عالين جليلين أيام عمر ، وأسما في أيام النبي ﷺ ، <sup>(٢)</sup> وقال أيضاً في الحديث المرسل : « وقد كذب على النبي ﷺ وهو حي ، وقد كان في عصر الصحابة منافقون ومرتدون ، فلا يقبل حديث قال رواه فيه : عن رجل من الصحابة ، أو حدثني من صحب رسول الله ﷺ إلا حتى يسميه ، ويكون معلوماً بالصحبة الفاضلة بمن شهد الله تعالى لهم بالفضل والحسنى » <sup>(٣)</sup> .

[١] مجلة الضياء الهندية - عدد شعبان سنة ١٣٥٣ .

[٢] الأحكام في أصول - ج ٢ ص ٨٣ .

[٣] المصدر السابقة ص ٣ .

ولا يفهم أحد أن هذه الحماية الشرعية لتبرئة نفوس زكاهما الله ، تقام لتبرئة عقول لم يعصهما الله ، من أن يجرى عليها ما يجرى على الناس من النسيان ونقص العلم لذلك لا يكتفى في نقل الحديث بالعدالة وحدها ، يقول الإمام ابن حزم : « وينفرد نقلة الاخبار — عن النبي صلى الله عليه وسلم — دون الشهود في الأحكام ، في وجه رابع وهو ألا يكون المحدث إلا فقهياً فيما روى أى حافظاً ، لأن النص الوارد في قبول نذارة النافر للفقه إنما هو بشرط أن يتفقه في العلم ، ومن لم يحفظ ما روى فلم يتفقه ، وإذا لم يتفقه فليس بمن أمرنا بقبول نذارته ، وليس ذلك في الشهادة لأن الشرط في الشهادة إنما هي العدالة فقط بنص القرآن » (١).

أما الأوجه الثلاثة المشتركة بين راوى الحديث والشاهد فهي التي تختص بالعدالة مطلقاً وهي البراءة من الإقدام على كبيرة ، قد صح عند المسلم بالنص الثابت أنها كبيرة ، ومن الإقدام على ما يعتقد المرء حراماً ، وإن كان مخطئاً فيه ، قبل أن تقوم الحججة عليه بأنه مخطئ ، ثم من المجاهرة بالصغائر التي صح عند المجاهر بها بالنص أنها حرام (٢) .

فالحماية الشرعية للصحابة المرضيين لا تنصب لكل واحد ، ولا تنصب في كل حالة ، وقد كانت تجرح هذه الحماية أحياناً في حق من لفهم ثوب الفتنة حتى يعرف ، أيؤخذ عنهم أم لا ؟ وفي هذا أورد الإمام ابن حزم في أصوله عن الصحابة العدول : « وكذلك - أي من العدول - كل من قاتل علياً رضوان الله عليه يوم صفين ، وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال علي رضوان الله عليه ولا قصد علي رضوان الله عليه قتالهم . وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر في قتلة عثمان ، رضوان الله عليه ، وإقامة حق الله تعالى فيهم ، فترسع الخائفون على أنفسهم أخذ حد الله تعالى منهم - وكانوا أعداداً عظيمة يقربون من الألوف - فأثاروا القتال خفية حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم إذ رأوا السيف قد خالطهم - وقد جاء ذلك نصاً مروياً .

وإن العجب ليس كثير من يبيح لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأوزاعي والليث وسفيان وأحمد وداود ، رحمهم الله ، أن يجتهدوا في الدماء وفي الفروج وفي العبادات ، فيسفلك هذا دماً يحلله باجتهاده ، ويحرمه سائر من ذكرنا ، ويحل أحدهم فرجاً ويحرمه الآخر ، ويحل

[١] الأحكام - ١ ص ١٤٨ .

[٢] المصدر ص ١٤٧ .

أحدهم مالا ويحرمه الآخر ، ويوجب أحدهم حداً ويسقطه الآخر ، ويوجب أحدهم فرضاً وينقضه الآخر ، ويحرم أحدهم عملاً ويحله الآخر ، ولم يختلفوا قط إلا فيما ذكرنا ، فيجيز لهؤلاء الحكم فيما ذكرنا ، ويعذرهم في استباحة الدماء فما دونها ، وليس عندنا من أمرهم إلا أنهم فيما بدا لنا مسلمون فاضلون يلزمنا توقيهم والاستغفار لهم ، إلا أننا لا نقطع لهم بالجنة ولا بمنغيب عقودهم ولا برضى الله عز وجل عنهم ، لكن نرجو لهم ذلك ونخاف عليهم كسائر أفاضل المسلمين ولا فرق ، ثم لا نجيز ذلك لعلى وأم المؤمنين وطلحة والزبير وعمار وهشام بن حكيم ومعاوية وعمرو والنعمان وسمرة وأبي الغادية وغيرهم ، وهم أئمة الإسلام حقاً والمقطوع على فضلهم وعلى أكثرهم بأنهم فى الجنة ، وهذا لا يخيل إلا على مخذول وكل من ذكرنا من مصيب أو مخطئ فأجور على اجتهاده إما أجرين ولما أجرا ، وكل ذلك غير مسقط عدالتهم ، (١) .

وبهذا قطع الإمام الجليل القول فى تأثيم هؤلاء : وما يحرمه التأثيم من التجريح . وجعل المجرح لهم هو المجرح فيما يرويه إذ يقول : « ومن سب أحد الصحابة ، رضى الله عنهم ، فإن ذلك عصبية ، والعصبية فسق . وصدق أبو يوسف القاضى إذ سئل عن شهادة من يسب السلف الصالح ، فقال : لو ثبت عندى على رجل أنه يسب جيرانه ما قبلت شهادته ، فكيف من يسب أفاضل الأمة ، إلا أن يكون من الجهل بحيث لم تقم عليه حجة النص بفضلهم والنهى عن سبهم ، فهذا لا يقدر سبهم فى دينه أصلاً ولا ما هو أعظم من سبهم . لكن حكمه أن يعلم ويعرف . فإن تمادى فهو فاسق ، وإن عاند فى ذلك الله تعالى أو رسوله ﷺ فهو كافر ومشرک ، (٢) .

محمد فتى محمد عثمان

(للبحث بقية)

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

[١] الأحكام ج ٢ ص ٨٥ - ٨٦ .

[٢] الأحكام ج ١ ص ١٤٩ .

# المعجم

## المعاجم

المعجم : اسم لكتاب تكون عناوين البحث فيه ومواده مرتبة على الحروف الهجائية . ويأتى هذا الضرب من التصنيف فى فروع المعرفة . فهناك المعاجم اللغوية ، ومعاجم الرجال الذين رويوا الحديث ، ومعاجم البلدان ، ومعاجم الأدباء ، ومعاجم الصوفية ، وغير ذلك . وقد كان المؤلف لهذا النوع يقول أولاً : ألفت الكتاب على حروف المعجم ، ثم صار المعجم بعد يطلق على الكتاب نفسه ، فقيل : معجم ما استعجم ، وهو لأبى عبيد البكرى ، فى الإبانة عن الامكنة والمواطن ، وقيل معجم البلدان . وهو لياقوت .

وبعنى فى هذا المبحث جمع المعجم فقد طاب لبعض الباحثين أن ينكر جمعه على المعاجم كما هو المعروف فى جمعه ، وأوجب أن يجمع على المعجمات .

جاء فى أهرام أول سبتمبر ١٩٥٣ ما بلى : د يقول بعض الكتاب : لا أجد فيما بين يدى من المعاجم كذا : وهذا خطأ . والصواب : معجمات : لأن المفعول - بضم الميم - لا يجمع على مفاعل . والمعجم بضم الميم ، من أعجمت الحرف أى أزلت عجمته بما يميزه على غيره . فجمعه على معاجم خطأ لا وجه له . وجمعه معجمات : كبهم ومبهمات ، .

وينبغى للحكم فى هذا الأمر أن أتبه على أن علماء اللغة يفرقون فى الجمع بين الاسم والصفة . وقد يميزون صفة العاقل بجمع لا يكون لصفة غير العاقل .

وفى ضوء هذا ينبغى البحث فى د المعجم ، من أى نوع هو ؟

ولقد أسلفت أن أصل هذا الإطلاق هو د حروف المعجم ، وأنه كان يقال : ألف هذا الكتاب على حروف المعجم ، ثم أطلق المعجم على الكتاب . وعلى ذلك فسيجرى البحث فى المعجم فى أصله هذا : د حروف المعجم ، .

وعند أكثر الباحثين أن « المعجم » مصدر ميميّ بمعنى الإعجام . وإعجام الحرف - كما ذكر الكتاب - إزالة عجمته بما يميزه على غيره . ومعنى حروف المعجم الحروف التي يدخلها الإعجام وإزالة اللبس بينها ، بالنقط فيما ينقط ، أو التعرية عن النقط لما لا ينقط ، أو الحروف التي من شأنها أن تعجم ؛ كما يقال : مطية ركوب أى من شأنها أن تركب ، وسهم فضال أى من شأنه أن يناضل به . واستعمال المفعول فى معنى الإفعال واقع كثير . فقد قرئ قوله تعالى : « ومن بين الله فضاله من مكرم » <sup>(١)</sup> بفتح الراء أى إكرام . وقوله تعالى : « رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق » <sup>(٢)</sup> ، فالأظهر فيه أن المدخل والمخرج بمعنى الإدخال والإخراج ؛ وقد قال القرطبي فى تفسيره ( ٣١٣/١٠ ) : « والمدخل والمخرج - بضم الميم - بمعنى الإدخال والإخراج ؛ كقوله : « أنزلنى منزلاً مباركاً » <sup>(٣)</sup> ، أى أنزلاً لا أرى فيه ما أكره » ؛ على أنه يجوز فى الآيات السابقة حمل المفعول على المسكان . والامر فى ورود مفعول للمصدر لا يحتاج إلى الإكثار والبيان ؛ إذ كان من القياس والاطراد بحيث لا ينسکر ولا يدخله الارتياب .

وإذا قبلنا فى « المعجم » هذا رأى - وهو أنه فى معنى الإعجام - كان اسماً ولم يكن وصفاً وحينئذ فالوجه فى جمعه هو المعاجم . وقياسه فى هذا الوجه على الميم ليجمع على المعجمات غير صحيح ؛ فإن الميم وصف من أبهم ، يقال : أمر مهم ، وأمور مهمات . وما عهدنا المعجم وصفاً ؛ فما يقال : كتاب معجم ، وما يلتبس الإعجام بالوصف بحال .

وهناك رأى غير ما سلف فى تفسير « حروف المعجم » . فقد قيل : المراد : حروف الخط المعجم . فالمعجم على هذا وصف كالمهم . ويأتى ما رآه الكتاب من جمعه على المعجمات لا المعاجم . على أن « المعجم » قد خلع عن الوصفية والتحق بالجوامد ، وصار اسماً لضرب من المصنفات . وآية ذلك أنه لا يجرى على موصوف . فإذا قلت قرأت معجماً تاريخياً فإنك لا تقدّر موصوفاً لمعجم فتوى : كتاباً بمعجماً مثلاً . وإذا صح فى المعجم - على هذا الوجه - أنه التحق بالاسماء كان الوجه فى جمعه المعاجم ، ولم يكن قياسه فى الجمع قياس « مهم » . وفى اللغة طائفة من الكلمات على وزن مفعول . كانت فى الأصل أوصافاً ثم التحقت بالاسماء فجمعت على المفاعل .

[١] آية ١٨ - سورة الحج [٢] آية ٨٠ - سورة الاسراء [٣] آية ٢٩ - سورة المؤمنون .

من ذلك المصحف والمخدع والمطرّف والمجسد .

فالمصحف : الجامع للمصحف المكتوبة بين الدفتين . قال الأزهري : وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصحّ أى جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين . والمطرّف : رداء من خزّ مربع في طرفيه علان . وهو - في الأصل - وصف من أطراف الشيء : جعل في طرفه شيئاً . والمخدع : البيت الصغير يكون داخل البيت الكبير . وهو - في الأصل - وصف من أخذع . وقد ورد في هذه الكلمات الكسر ، والأصل فيها الضم : كما يقول الفراء ( راجع اللسان في مواد هذه الكلمات ) . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجد ، وهو الزعفران .

وأعود لمرور هذه الكلمات .

فالمصحف جمعه المصاحف ، ولا يعرف جمعه على المصحفات ، ولا يستساغ ذلك . والمطرّف جمعه المطارف . وفي اللسان : المطرف والمطرّف واحد المطارف ، والمخدع واحد المخادع ؛

وقال الشاعر :

جعل المخادع للخداع يعدّها      بما تطيف بيباه الطلاب

والمجسد واحد المجاسد : وفي حديث أبي ذرٍّ أن امرأته ليس عليها أثر المجاسد .

والقارىء بعد هذا يخرج بأن الوجه في جمع المعجم هو المعاجم .

وفي خطبة تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني : فإن ذلك بالمعاجم والمشايخ أشبه منه بموضوع الكتاب ، . وقد سقت هذا النص ليتبين القارىء أن جمع المعجم على المعاجم جار على الألسنة من غير فكير منذ دهر غير من الزمان .

أكرم العلماء ، وخاصة العاملين منهم ، وبخاصة العاملين منهم

ترد ، خاصة ، في الاستعمال لإفادة تخصيص بعض المتحدث عنهم بحكم ، وتمييزه . ومثلها في ذلك خصوصاً ، . تقول : هذا لك خاصة . وفي الأموال لأبي عبيدة ص : فقال : هذه لرسول الله خاصة قرى عربية : فدك وكذا وكذا . وفي أخبار أبي وجزة في الأغاني : وكان أبو وجزة منقطعاً إلى آل الزبير . وكان عبد الله بن عروة بن الزبير خاصة يفضل عليه ويقوم بأمره ، . وفي الكتاب العزيز : . واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . .

والظاهر أن « خاصة » في هذه الاستعمالات مصدر جاء على فاعلة ، كالمافية والمافحة والباقية في ألفاظ آخر . هذا أصلها ، وقد يراد بها الوصف ، ومن ثم تبقى على حالها ، فيقال هذا لكم خاصة ، و ( خاصة ) هنا حال من ضمير الجمع ، ولم يغير لما ذكرت لك ، وكأنك قلت في هذا المثال : هذا لكم مخصوصين بذلك . وهذا دليل على مصدريتها . وقال في التاج « ويقال : الخصوصية والخصية والخاصة أسماء مصادر » .

وإذا قلت : أكرم العلماء ، وخاصة العاملين منهم وخاصة مفعول مطلق لفعل محذوف ، والعاملين مفعول به لذلك الفعل ، أى خص العاملين خاصة ، وإن لم يرد هذا الأسلوب .

وتقول : أكرم العلماء وبخاصة العاملون فترفع « العاملون » . وذلك أن « بخاصة » خبر مقدم ، و « العاملون » مبتدأ مؤخر ، أى العاملون متلبسون بالخصوص أو الخاص . وترى أن المخصوص يرتفع في هذه الحالة أى إذا دخل حرف الجر على « خاصة » . وجاء في اللسان ( خصص ) : « وسمع ثعلب يقول : إذا ذكر الصالحون فبخاصة أبو بكر ، وإذا ذكر الأشراف فبخاصة علي » .

### هذا الشيء ليس في مكنتي

لا يرى الناظر في اللسان والقاموس « المكنته » ، كما يستعملها الناس بضم الميم وسكون الكاف ، وفي اللسان أن المكنته - بفتح الميم وكسر الكاف - اسم من التمكن ، كالنبعة من التبع ، والطلبة من التطلب . وتقول العرب : إن فلانا لذو مكنته عند السلطان أى تمكن . وجاء في الحديث أقرؤا الطير على مكنتاتها أى على تمكنها واستقرارها . وعلى هذا فالصواب أن يقال : ليس هذا الشيء في مكنتي .

على أنه جاء في المقامة السابعة من مقامات الحريري : « فلما استحلست وكنتي وأحضرتة عجالة مكنتي ، والظاهر أنه بضم الميم وسكون الكاف كما ينطق الناس . وجاء في مستدرك التاج لمادة مكن : « المكنته - بالضم - القدرة والاستطاعة ، وهذا يصحح النطق الجارى بين الناس . وقال الأمير تميم بن المعز الفاطمي :

لك عندي فقر عيناً من المكنته - سنة ما لا تحصىه مني القوافي  
والظاهر أن يقرأ « المكنته » بضم الميم ، وإن كان يصح قراءته « المكنته » بفتح الميم وأصله المكنته بالضم فسكن الميم تخفيفاً ؛ كما يقال في كنف : كنتف ، وفي شؤذ : شؤذ ،

محمد علي النجار

# كولد صهر الشيخ طاهر الجزائري

كتب الاستاذ محمد أمين حسونة مقالا بعنوان ( المستشرقون المصريون ) في مجلة مجرية استقى ما فيها من معلومات عن مصادر أوربية . وما جاء فيها عن أجناس كولد صهر ما يأتى :  
درس في مدارس اللغات الشرقية في برلين وليبزيك وفيينا ، ورحل إلى سوريا عام ١٨٧٣ وتلمذ للعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، ثم نزع إلى مصر حيث تصلح في العربية على شيوخ الأزهر ، وقد شهد له علماء جامعات الغرب بطول الباع وبعد النظر .  
ثم ذكر مؤلفاته وأعماله العلمية ، ومنها أنه ترجم إلى الألمانية كتاب ( توجيه النظر إلى علم الآثار ) لاستاذ طاهر الجزائري .

وقد رأينا لهذه المناسبة أن ننقل من خط أجناس كولد صهر نص كتاب كان بعث به من بوادبشت بتاريخ خامس ذى الحجة سنة ١٣١٧ إلى الشيخ طاهر الجزائري بدمشق .  
وأصل هذا الكتاب من المحفوظات الخاصة لدى رئيس تحرير هذه المجلة الذى تلمذ للشيخ طاهر الجزائري مدة ربع قرن كانت هى ذروة النضوج فى حياة هذا الاستاذ العظيم الذى كان كولد صهر تلمذ له فى شبابه . وهذا نص الكتاب :

سلام إلى صاحب الشرف الباذخ ، والفضل الشاخ ، من هو المرجع للأمان والافاضل ،  
الحاوى لأقصى معارج الفضائل والفواضل ، العالم العلامة الشيخ طاهر بن صالح المغربى  
الجزائرى أدام الله تعالى فضله وزاد بقاءه آمين .

لله در عصابة نادتهم يوما بخلق فى الزمان الاول

أما بعد فإن الإنسان مشتق من الفسيان ، وبدوران الزمان عفا فى قلبه أثر الإخوان .  
والاحباء والاخلاء يفرقهم الملوان . ومع ذلك أرجو أنه ما انحنى من قلبكم خيال صاحبكم  
المجرى الذى كان يستجير بشامكم فى سنة ١٢٩٠ مقتبساً من أنوار علمائها ، وكثيراً ما تداول  
بين فضلائها وأدبائها . وصاحبكم يوماً فيوماً مستأنساً بمجاورتكم ومذاكرتكم ، وكنا  
إذ ذاك - أنتم وعبدكم السكاتب - فى عنفوان شبابنا ، متبحرين فى العلوم الشريفة . مستفرقين  
فى بحور الآداب الظريفة . والآل هيهات بعد مر سبعة وعشرين من الاحوال ، وهن عظمى



واشتعل رأسى شيباً . أما والله تعالى ما اندرس ذكر الصالحين المنيرين من نفسى وفؤادى مع أنى

لقد عيل صبرى بعدكم وتكاثرت هموى ولكن الحب صبور  
ومعتدأ على دوام ما جبل الله تعالى فى قلوبنا من المحبة والمودة أنجمر يا أيها الشيخ  
العلامة أن أستفهمكم عن مسألة دمشقية لا أجد حلها فى الكتب التى تحت تصرفى مع شدة  
اشتياقى لإزالة شغتي فى تلك المادة . فذلك أنى قرأت فى خلاصة المحبى وسلك الدرر للمرادى  
لا غيرهما من الكتب التاريخية وطبقات علماء الإسلام أن الشيخ عبد القادر بن محمد ابن  
سوار المتوفى سنة ١٠١٤ بعد رجوعه من مصر إلى دمشق كان أول من أنشأ سنة ٩٤٠  
بدعة حسنة نقلها من مصر وهى إقامة الجماعات الذكورية المختصة للصلوات على النبي ﷺ  
وعرفوا هذه الجماعات باسم المحيا النبوى لإحيائهم ليالى الاثنين والجمعات بتلك الأوراد  
والأذكار . واستمر منصب شيخ المحيا ومقدم الجماعات المحيوية فى نسله السوارية إذا مات  
منهم أحد خلفه ابنه فى هذه الوظيفة الشريفة .

وكان المحل المخصوص لأداء المحيا الموصوف مشهد فى شرق الجامع الاموى ( لقبوه  
مشهد المحيا ) ، وجامع التيروزى بجوار قبر عائكة رضى الله عنها خارج دمشق ، وبعد ذلك  
فإنى أشتاق كثيراً أن تفضلونى بإخبارى عن المسائل الآتية أولاً فأولاً :

- ١ — هل تستمر الجماعات المذكورة فى الشام ونواحيها إلى يومنا هذا .
- ٢ — ما اسمها فى اصطلاح الناس ، أبقى عليها اسم المحيا أم بدلوها باسم غير هذا .
- ٣ — أين محل إقامة الجماعات المحيوية فى دمشق هل تستمر فى المشاهد المذكورة فوقه  
إلى الآن ، أم نقلت إلى غيرها من المشاهد .

- ٤ — هل تتوارث وظيفة شيخ المحيا فى العائلة السوارية كما كان فى القرن الحادى  
والثانى عشر ، أم اتسعت على غيرها من البيوت الفاضلة الشامية .

تفضل على يا أيها الشيخ بإفادة جواب شافى مثاباً جميل الثواب من الله الكريم الوهاب .  
وتخبرونى أيضاً عن أحوالكم كلياتها وجزئياتها .

وأما عبدكم فيتشكر لله تعالى على ما أنعم عليه من خيريه ، صابراً على البلايا ، إن الله  
مع الصابرين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبه العبد الحقير الفقير

تحريراً فى بودابشت

أجناسى كولد صهر المجرى

٥ ذى الحجة من شهر سنة ١٣١٧

## أقسام الواجب

بمد أن يبين حقيقة ( الواجب ) لغة وشرعا ، ووضحنا الترادف بين الفرض والواجب عند الشافعية والاختلاف بينهما عند الحنفية ، وتمعنا لبحث الواجب في تنوعه يلزمنا بيان التقاسيم التي ذكرها الأصوليون ملتزمين ببيان الحقائق وتميزها دون التعرض للجدل والنقاش والاعتراضات والرد عليها إلا بما تمس الحاجة الشديدة إليه .

فالواجب ينقسم أولا إلى مطلق ومؤقت . فالمطلق ما لم يقيده الشارع بوقت محدد من العمر مثل السكفارات ، والمؤقت ما جعل الشارع له زمنا محددًا يفعل فيه مثل الصلاة وصوم رمضان .

والوقت المعين لفعل الواجب ثلاثة أنواع : موسع ، ومضيق ، وذو شهيدين . فالموسع ويسميه الحنفية ظرفا هو ما يزيد عن مقدار الواجب ووسع على المكلف أن يأتي بالواجب في أى ساعة شاء منه كأوقات الصلوات الخمس . وهذا الوقت سبب لوجوب الواجب وأماره عليه ، فلا يجب قبل دخوله ، وشرط لصحته فلا يصح التجهيل به . ويجوز فعل الواجب في أى ساعة شاء المكلف من الوقت ، وهذه الحقائق موضع اتفاق بين جميع الأصوليين . واختلفوا في جزء الوقت الذي جعل سببا لتوجيه الخطاب من الشارع . فقيل : أن أول أجزاء الوقت هو علامة توجه الخطاب ، فتى ابتداء الوقت صار المكلف مطالبا بالفعل بخيرا في جميع أجزاء الوقت متى كان متأهلا للتكليف أول الوقت ، فإن لم تكن عنده الأهلية انتقل السبب إلى الجزء الذي يزول فيه المانع من الوقت .

وقال قوم : إن السبب هو الجزء الذي يتصل به الأداء من الوقت ، فإن لم يؤد تعين الجزء الآخر الذي يسع أداء الفرض للسببية ، وبعد خروج الوقت تضاف السببية إلى جملته والمضيق من الوقت ما لا يسع شيئا آخر من جنس الواجب كشهر رمضان ، ويسمى معيارا والوقت ذو الشهيدين هو وقت الحج . فله شبه بالمضيق من جهة أن العام لا يسع إلا حججا واحدا ، وشبه بالموسع من جهة أن أشهر الحج لا تستغرقها أعماله .

ويوصف الواجب بالآداء إن فعل في وقته المحدود له ، وبالإعادة إن فعل ثانياً في الوقت بعد فعله أولاً لعدم كمال الأول . ويوصف بكونه قضاء إن قام به المكلف بعد الوقت . وقد اختلفوا في أن القضاء بالامر الأول أو بأمر جديد ، كما اختلفوا في وصف العقل بكونه آداء هل يكفي مجرد الشروع فيه في الوقت كما في الصلاة ، أو لابد أن يأتي بركعة منها على الأقل في الوقت . ولا نرى حاجة إلى الدخول في هذا النقاش لعدم مساس الحاجة إليه .

وينقسم الواجب ثانياً إلى واجب معين على كل فرض من تتوفر فيهم أهلية الوجوب ، وإلى غير معين على كل فرض بل قصد الشارع حصوله من بعض المكلفين غير ناظر إلى فاعله . فالأول كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، وتوصف هذه الواجبات بالعينية لأنها لزمّت كل واحد من الأفراد بعينه ، والثاني كالقيام بوظيفة القضاء والإفناء وببدء السلام وردة الصلاة على الموتى والقيام بعلاج المرضى وسد حاجة المعوزين ، وتوصف هذه الواجبات بكونها واجبات كفاية للزوم أدائها من بعض المكلفين وسقوط طلبها إذا أتى بها فرد من أفراد المخاطبين . فأداء الفرد يسقط الإثم عن جميعهم . وإذا أهمل القيام بهذا الواجب أثم جميع المخاطبين ، فجميع واجبات الكفاية إذا قام بها البعض سقط الطلب عن الجميع ، وإذا لم يأت بها أحد أثم جميع المكلفين ، وأثم الجميع بالترك يقتضى توجيه الطلب إلى الجميع لأنه لا معنى للتأنيم العام مع توجيه الطلب إلى البعض ، وسقوط الإثم بفعل البعض يقتضى توجيه الطلب إلى البعض ، وعند النظر في خطابات الشارع بطلب فروض الكفاية نجد القرآن الكريم يوجه الخطاب أحياناً إلى جميع الأمة بأن يكون بعض أفرادها مطلوباً منه تحصيل الفرض . وهذا البعض هو الذى وجدت عنده الأهلية والقدرة والاستعداد ولفعل هذا الفرض قال تعالى . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، وأحياناً يطلب الفعل من طائفة مهمة قال تعالى . فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة .

ولفروض الكفايات والقيام بها شأن عظيم في تنظيم مرافق الدولة وإصلاح شئونها وإزالة المنكرات فيها . ونشأ عن هذه القاعدة وظيفة المحاسبين في الدولة الذين وطنوا أنفسهم على إزالة كل فساد خلقى أو اجتماعى ، فإذا ما قويت هذه الروح في الأمة استطاعت أن تتضامن

وتتكافل على استتباب الأمن وإزالة الموبقات والقيام بإرفاق الدولة من القضاء على الفقر والمرض والجمل .

وينقسم الواجب ثلثاً إلى واجب محدد وهو ما عين له الشارع مقداراً كالصلوات المفروضة والزكوات . وغير محدد وهو ما لم يعين له الشارع مقداراً كالإنفاق في سبيل الله وإطعام الجائدين وكسوة العارين وإنقاذ الغرق وإغاثة الملهوفين ، وهذه مطلوبة من المكلف غير أنها لا ترتب في ذمته لأنها لم ترتب لكانت محددة معلومة إذ المجهول لا يترتب في الذمّة .

والتسيم الرابع للواجب يحى . في تعيينه بأن يطلبه الشارع عينا فيلزم ذلك المعين ولا يقوم غيره مقامه ، ونحوه وهو ما يطلبه الشارع على سبيل الإبهام ضمن أمور معينة كأحد خصال الكفارة ، قال تعالى في كفارة اليمين : فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فيتعلق التكليف في الواجب بخير بواحد منهم كما في كفارة اليمين . فقد تعلق الطلب فيها بواحد من الأمور الثلاثة وهى الإطعام أو الكسوة أو التحرير .

فالواحد المهم قدر مشترك بين الخصال كلها لصدقه على كل واحد منها . ولا نرى الحاجة ماسة إلى بيان أن الواجب هو الجميع ويسقط بفعل البعض ولو أدى المكلف الجميع يستحق ثواب واجبات . والواجب معين عند الله تعالى ، وهو ما يقوم المكلف بفعله فيختلف أداء هذا الواجب تبعاً لاختلاف ما يقوم به كل مكلف . والواجب معين عند الله تعالى بلا اختلاف ، فإن فعله المكلف سقط الواجب . وإن فعل غير المعين عند الله تعالى سقط به الواجب أيضاً .

فالراجح عند الأصوليين جواز التكليف بأمر واحد من أمور معينة كما في خصال الكفارة ، فالتكليف يتعلق بواحد منهم يسقط الواجب بفعل أى واحد من الخصال الثلاثة في الكفارة . والنتيجة أن الجهة العملية متفق عليها ، وهى أن المكلف مطالب بإحدى هذه الخصال . فإن فعلها فقد أدى الواجب ، وإن ترك الكل أثم . والخلاف بعد ذلك في شىء لا يترتب عليه عمل ( أنظر صفحة ١٧٩ جزء أول موافقات ) .

عبد الله المرافي  
مدير المساجد

## الديموقراطية في الإسلام

اتجه الأستاذ العقاد في السنوات الأخيرة نحو الدراسات الإسلامية ، فأخرج لنا سلسلة العبقريات وغيرها من كتب قيمة أساسها تحليل شخصيات أو موضوعات إسلامية . وكتاب الديمقراطية في الإسلام ، حلقة جديدة في هذا الباب ، ويرمى إلى إثبات أن الإسلام هو الذى أنشأ فكرة الديمقراطية لأول مرة في تاريخ العالم ، وقد حرص الكاتب الكبير على أن يبين أن مقومات الديمقراطية وسماتها الرئيسية من أصول إسلامية ، وعقد لذلك تسعة عشر فصلاً عدا المقدمة والخاتمة .

ما هى الديمقراطية التى عرفت عند اليونان والرومان ؟ قد لا يكون من اليسير تعريفها بصفة إيجابية ، وإنما يلجأ إلى السلب عادة ، فنقول مثلاً إنها ، غير حكم الفرد المطلق ، وغير حكم الأشراف ، وغير حكم الكهان ، وغير حكم القادة العسكريين ، وما عدا ذلك من ضروب الحكم التى ليس للشعب فيها نصيب ، ، لأننا إن قلنا إنها حكم الشعب لن يتسق ذلك تماماً مع تعريفها ، فقد ارتضت الشعوب أحياناً أحكام المستبدين .

والنظام الديموقراطى بدأ فى إسبرطة ، ولم يبدأ فى أثينا موطن الفلاسفة ، فقد كان نظاماً عملياً لا فكرياً ، فالديموقراطية إذن ، لم تكن مذهباً قائماً على الحقوق الإنسانية أو منظوراً فيه إلى حالة غير حالة الحكومة الوطنية ، وعلى ذلك تقرر الدساتير الرومانية مساواة جميع الطبقات فى حقوق الانتخاب وحقوق الحكم لحاجة الدولة - بعد تنوع طوائفها إلى العامة . وهذا فى الواقع السبب الرئيسى فى الحقوق الديموقراطية التى قال بها الإنجليز فى القرن الخامس عشر ، فلم يخول عمال المدن حق الانتخاب إلا بعد أن أصبحوا قوة لازمة للدولة فى المصانع ، ثم تبعهم عمال الريف ، وكذلك المرأة بعد الحرب العالمية الأولى وصلت إلى هذا الحق لاشتغالها بأعمال المصالح أثناء غياب الجندى فى مناطق القتال .

والآن ما هى مقومات الديمقراطية العربية قبل مجئ الإسلام ؟ تصور بعض المستشرقين حياة العرب قبل الإسلام كلها حرية فى جميع التصرفات . ولكنهم لم يخرج عن كونها حرية واقعية لم يقصد إليها ولم تقم على مبادئ توضح حق الإنسان فى الحياة الكريمة ، وإنما كانت

لأن الناس لم يتنازعوا عليها مثلهم مثل الطير في السماء . زيادة على ذلك أن الحرية بالمعنى الذى صورها به بعض المستشرقين لم تكن متحققة دوماً وفي كل مكان ، فقد عرفت بعض القبائل حكم الطفغيان والاستبداد وخضع له أفرادها . وقيام بعض الثورات كان لانتزاع السلطان لا لتحقيق الحرية المسلوقة والدفاع عن الكرامة البشرية ، ناهيك بما كانت عليه الفوارق الاجتماعية من اتساع ، فن غنى فاحش إلى فقر مدقع .

والدول غير الإسلامية التى كانت فى عهد الدولة المحمدية لم تحكم منها دولة بنظام ديمقراطى أو تؤمن بمبادئ ديمقراطية ، : فن فواصل شاسعة بين طبقات الدولة الواحدة ووظائف محفوظة لذوى الانساب بدون تأدية عمل فى بلاد الفرس ، إلى حكم مطلق فى بلاد الروم ، إلى عشائر يحكمها أمراء فى بلاد الحبشة .

لم تظهر الديمقراطية إذن بمعناها الصحيح فى أى من الدول السابق ذكرها ، ولم تنقر بمعناها الإنسانى ، إلا على يدى شريعة الإسلام ، فالمسئولية الفردية ، والمساواة بين الناس فى الحقوق ، ووجوب الشورى ، والتضامن الاجتماعى ، كل هذا من عمل الإسلام وحده ولم يسبقه فيه سابق . ولقد قررها كتاب الله فى آيات عدة ، وأظهرتها سنة الرسول قولاً وعملاً . ومن ناحية أخرى فإن المؤمن الحق يستحى أن يدين لمخلوق مثله أو يخضع لمخلوق مثله بأكثر من الإذانة والخضوع لله ، فإنه يراعى فى جميع تصرفاته حكمومة الكون وما لها من قوة وبأس . ولقد وردت كلمة ( الحكم ) ومشتقاتها فى مواضع كثيرة من الكتاب الكريم لتوحى إلى الضمير أن وراء كل تصرف حكماً ، وأن وراء كل حكم دنىوى حكم الله الذى هو أحكم الحاكمين .

ومن الممكن أن نفسر ( السيادة ) فى الاسلام بأنها عقد بين الله والمخلوق من جهة ، وعقد بين الراعى والرعية من جهة ، والاول أهم من الثانى ، وهو قائم على الحد كما شرعه الله فى كتابه وكما ورد فى حديث رسوله . أما الثانى فإنه يميل أحياناً مع الهوى ، فيأمر الإمام بالمعصية ، ويخالف الشريعة ، فلا تجب طاعته فى هذا الامر ، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ومصدر السيادة هى الأمة ، ولكن هذا لا ينبغي على أنها قد تتحول عن دينها فى احتمال قريب أو بعيد ، إذ التحول عن الدين جريمة كبرى فى جميع الأديان ، ولا يوجد تعارض بين القول بأن الأمة هى مصدر السيادة ، وبين القول بأن القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر التشريع ، فالأمة هى التى تفهم الكتاب والسنة وتعمل بهما .

وقد يعن لمعترض أن يناقش الوسيلة التي كان يتم بها اختيار الحكام في الإسلام ، وأنها لم تكن كما يجري الآن في الأمم الديمقراطية . والرء على ذلك أن الحكم الديمقراطي حقائق وأشكال أو جوهر وعرض ، فالجوهر هو حرية المحكومين في اختيار حكومتهم ، والعرض هو الوسيلة التي تؤدي إلى ذلك ، ولم يرد ما يفهم منه عدم حرية المسلمين الثامة في اختيار إمامهم . فإن الرسول نفسه لم يلزم أمته بأحد الخلفاء فلم يعلن الاختيار ، ولم يرد فيه على الإشارة<sup>(١)</sup> ، ولم تكن مبايعة أبي بكر لعمر ملزمة فلم تخرج عن كونها ترشيحاً أقره الناس راضين<sup>(٢)</sup> .

وإذا نحن انتقلنا من أسس الديمقراطية إلى بعض تفرعاتها ، وجدنا في الميدان الاقتصادي أساساً لا يستطيعون فهم الديمقراطية في ذاتها إلا بمحو الفوارق الاقتصادية . ولكن أليست هناك فوارق طبيعية خلقت فينا ؟ وإذا أمكننا تحقيق الديمقراطية مع وجود هذه الفوارق أفلا يمكننا تطبيقها مع وجود تلك ؟ والديمقراطية بعد هي أن يتساوى الناس في عدل القانون ، وألا تكون الفوارق بينهم سبباً لاستغلال الأقوياء عمل الضعفاء ، أو لاغتصاب المالكين حق المحرومين . ولقد قامت ( ديمقراطية الإسلام الاقتصادية ) على هذا المبدأ القويم ، وعلى تقديس العمل ، وهذا أعظم ما يطمح إليه مجتمع ديمقراطي .

ومن ناحية أخرى قام الإسلام على السماحة . وسيرة الرسول في مجالسه ومعاملته للناس كانت المثال الأعلى للديمقراطية وكذلك أبو بكر ، وعمر .

ولقد كان التشريع عاماً في مصدره ، عاماً في تطبيقه . فالكتاب والسنة والإجماع وحكم الإمام ومن يستعين بهم من ذوى الرأى والمعرفة كل هذا دال على عموم مصدره ، وتطبيقه على الرسول الكريم وعلى الخلفاء أنفسهم أكبر دليل على عموم تطبيقه . وكذلك القضاء تحققت فيه صفة العمومية فسوى بين الناس ، وتولاه من اجتمعت له شروطه أو أكثرها

(١) المجلة - ومن ذلك تقديم أبي بكر للإمامة في الصلاة .

(٢) المجلة - وقد أقروه راضين لأنه ترشيح صادر عن ولوه جميع أمورهم ، وبايعوه على الطاعة فيها جيما غير مقيد إلا بقيد واحد وهو « لا طاعة لمخلوق في مغبة الخالق » ، وعهد إلى عمر بالخلافة بعده مثل جميع تصرفاته المشروعة ، وكان أميناً فاصحاً فيما اختاره لهم .

وهي العقل ، والعلم ، والحرية ، وحسن السمعة ، والبصر ، والناطق . ويستحب أن يكون ( مجتهداً ) ولا يمتنع أن يكون مقلداً .

ولقد عامل الإسلام الأجانب معاملة حسنة لا تكون مغالين إذا قلنا إنها لا تفرق عن معاملته لأبنائه ولم يكن عليه إذا هو نظر إليهم نظرة الحذر والريبة مخافة نقضهم للعهود في دولة حديثة ، ولكنها السباحة . ولقد كانت العلاقة التي أقرها الإسلام بين دولته والدول الأخرى سلمية في جوهرها ، فقد قسم الإسلام الدول الأخرى بالنسبة له أقساماً ثلاثة : قسم المسلمين ، وقسم المعاهدين ، وقسم الأعداء . والحرب مع الأولين حرام ، ومع الأوسطين - إن قبلوا عهد الذمة - فاعلمهم أن لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، ومع الآخرين فلا حرج إلا إذا وقفوا بالقوة في سبيل الدعوة .

هذه هي أهم مبادئ الديمقراطية في الإسلام ، قد تبدو مثالية يزدللها في الحياة العملية ، خاصة في زمن كاد الفساد فيه أن يصبح من المبادئ المقررة . ولكنها طبقت عملياً ويعرف ذلك كل من قرأ عن الإسلام .

وبعد ، فهذه هي العناصر الرئيسية في كتاب الاستاذ العقاد ، لعلى أكون قد وفقت في إبرازها ، ولعل أكون قد أفلحت في إعطاء القارئ ، فكرة عنه ، وهي بعد لا تغني عن قراءته .

سعيد زاهد

## الرجال

قال الحسن البصري : الرجال ثلاثة : رجل كالغذاء لا يستغنى عنه . ورجل كالدرء لا يحتاج إليه إلا حيناً بعد حين . ورجل كالدام لا يحتاج إليه أبداً .



# غزوة بدر الكبرى

ميدان الاستراتيجية ، والتكتيك ، والفن الحربى

## — ١ —

هذه أولى معارك الإسلام ، وهى التجربة العملية الاولى لقائد جيش الإسلام محمد رسول الله . ولم يكن من العسير على أن انتهى من دراستها على ضوء الفن الحربى الحديث إلى أنها كانت ميدانا تجلت فيه الاستراتيجية الحربية والتكتيك الحربى بأجلى صورهما .

### أسباب الغزوة :

اعتاد أبو سفيان زعيم قريش أن يرسل قافلة تجارية إلى الشام وتعود إلى الجزيرة بالمال والتجارة ، وتعلق قريش على هذه القافلة الآمال لأهميتها القصوى لحياتها الاقتصادية . ولقد أدرك محمد القائد أن محاربة قريش فى تجارتها تقضى عليها ، فخرج إلى ( العشيرة ) لمقابلة القافلة فى رحلتها إلى الشام ، ولكنه لم يدركها ، فاعتزم أن ينتظرها فى عودتها صيفا ، فلما اقترب المرعد بعث اثنين من رجاله ينتظرانها ويبيعان له بأخبارها ، وكانت هذه القافلة عظيمة الأهمية حتى بلغ قيمة ما فيها ٥٠.٠٠٠ دينار و ١٠٠٠ بعير ، يقوم بحراستها مع أبى سفيان حوالى الثلاثين رجلا .

وهكذا ترى أن محمدا ﷺ كان يعلم ويدرك أن القضاء على قوة عدوه الاقتصادية لا يقل خطراً وشأناً عن القضاء على قوته العسكرية . وهذا المبدأ الذى نادى به محمد ﷺ فى صحراء الحجاز منذ ثلاثة عشر قرناً يعد من أول ما يعنى به قواد الحروب الحديثة ، فهم يبحثون عن جميع عوامل بناء القوة العسكرية عند عدوهم لهدمها قبل النقاء القوات المحاربة فى ميادين القتال ، وتقبنى على هذا الاعتبار خططهم الاستراتيجية ، ولذلك فهم يحاولون تدمير المصانع الحربية والمخازن والموانئ والمنشآت ومحطات السكة الحديدية وشبكات المواصلات وغيرها بقصد شل الجهاز الحربى لأعدائهم ، ووسيلتهم لذلك الغارات

الجوية المتوالية ( وتسمى الطائرات التي تقوم بها بقاذفات القنابل الاستراتيجية ) واستخدام الجواسيس والطابور الخامس والفدائيين وغير ذلك من الوسائل .

### بدء الغزوة :

لما علم النبي ﷺ باقتراب القافلة أمر رجاله بالاستعداد للقتال ، وكان أبو سفيان — وهو قائد على رأس القافلة — قد علم عندما اقترب من أرض الحجاز نيات المسلمين ، فذعر ، وأرسل رجلا إلى مكة وأمره أن يجده أنف بعيره وأن يقطع أذنيه وأن يغير وضع السرج وأن يشق قميصه من الامام والخلف ليثير منظره نفوس قريش فلما وصل إلى مكة صاح في قريش يستنفرهم ويحفزهم إلى إنقاذ قافلته التي فيها أموالهم وحياتهم قائلا : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ( أى المال والتجارة ) ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها . الغوث الغوث ! ، فهبت قريش للنجدة حتى لم يبق بمكة قادر على القتال .

خرج النبي ﷺ بقوته من المدينة المنورة في يوم ٧ رمضان من السنة الهجرية ، وسار أربعين ميلا حتى وصل ( الروحاء ) وهو مكان به بئر ، وكان قد أرسل رجلين يتجسسان أخبار قافلة أبي سفيان . فلما وصلا إلى ( بدر ) وأخذا يستقيان من ماء البئر سمعا جارية تطالب صاحبها بدين عليها فأجابتها الاخرى : عندما تأتى العير ( أى القافلة ) غداً أو بعد غد سأقوم بخدمتها ثم أقضيك الذى لك . فكان هذا دليلا على أن القافلة سوف تأتى غداً ، فأسرع الرجلان فأخبرا النبي ﷺ بما سمعا .

### تقدير الموقف :

تقدير الموقف هو عملية فكرية يقوم بها كل قائد يريد أن يدخل المعركة مع عدوه معتمداً على أساس من التفكير السليم وبعد النظر وتقدير عواقب الامور وإعداد العدة لكل أمر وقد اتفق المفكرون العسكريون حديثنا على أن خير طرق تقدير الموقف طريقة تشمل

المراحل الآتية : —

١ — تحديد الغرض الذى يصبو القائد إلى تحقيقه ، وهذا التحديد هو أهم الأمور .

٢ — استعراض العوامل التى لها تأثير على تحقيق هذا الغرض ، وهذه العوامل تختلف تبعاً لطبيعة المعارك المختلفة ، وهى متعددة نذكر منها أهمها وهى مقارنة بين القوتين المتضادتين ، وبغية القائد من هذه المقارنة التى تبين له قدر قوته بالنسبة لقوة عدوه ، وتعرفه بما يمتاز به عدوه عليه من ناحية العدد والعدة وغير ذلك من عناصر القوة . بأن يبحث فى علاج نقاط الضعف فى قوته .

٣ — بحث طرق الحل المفتوحة أمام كل من القائدين المتقاتلين ، فإذا كنت مثلاً سأقوم بالهجوم على عدوى فأنى أقول : إن أمامى حلين ، إما أن أهجم بالواجهة مثلاً ، وإما أن أقوم بعملية تطويق من الجانب ، مع تحليل مزايا كل حل وعيوبه . ثم أقول بالنسبة للعدو : لديه حلان مثلاً ، فهو إما أن يصمد للملاقاة إلى النهاية ، وإما يسرع بالانسحاب بمجرد تلقيه الصدمة الأولى ، مع تحليل مزايا كل حل وعيوبه . وهكذا لا يكتفى القائد بالتفكير من وجهة نظره فقط ، بل يجب أن يضع موضع الاعتبار وجهة نظر عدوه . وهذا منتهى الحكمة .

٤ — تقرير الخطة التى تتبع ، ذلك على ضوء ما ظهر فى هذا التفكير المنطقى المتسلسل وطبيعى أن هذه الخطة ترمى فى النهاية إلى تحقيق الغرض الذى تم تحديده بآداه الأمر .

وإنه لطيب لى ، ومما يسر القراء ، أن أبين أن قائد جيش المسلمين ﷺ قد قام منذ ثلاثة عشر قرناً بتقدير الموقف قبل معركة بدر ، متمشياً مع أحدث ما وصل إليه تفكير العسكريين فى هذا الأمر .

فلقد قدر المسلمون الموقف قبل معركة بدر فحددوا الغرض وهو ، القضاء على قافلة قريش ، ثم بحثوا العوامل التى تؤثر على تحقيق هذا الغرض وكان أهمها المقارنة بين القوتين التى تبين منها أن قوة قريش التى خفت لنجدة القافلة بلغت ٩٥٠ رجلاً من المشاة لابسى الدروع يضاف إليهم ١٠٠ من الفرسان المدرعين بينما كانت قوة المسلمين ٣١٤ رجلاً فقط ومعهم ٧٠ رجلاً وبعض الخيل ، ثم انتقل المسلمون إلى بحث ما أمامهم من حلول فكانوا بين أمرين : إما قتال قريش . وإما الانسحاب . ولقد وجدوا أنهم إذا قاتلوا القافلة وهى

أقل منهم قوة فسوف يتغلبون عليها بسهولة ، ولكنهم ان ينجوا من قريش التي خرجت للدفاع عن مالها وحياتها ، وقريش تمتاز بعدد كبير وسلاح كثير .

ولذا هم تركوا القافلة وانسحبوا فسوف يتفادون قتال قريش ، ولكن غرضهم الاساسى الذى حددوه فى تقدير الموقف من البداية ان يتحقق وهو القضاء على القافلة ، وسوف تعيرهم قريش بالتخاذل والضعف ، ويطمع فيهم يهود المدينة ، أضف إلى هذا ما لهذا الانسحاب من أثر سىء على الدعوة الإسلامية ، فلا تكون لها بعد ذلك مكانها المشودة .

لم يشأ محمد ﷺ أن يبت فى الأمر حتى يستشير أصحابه فى هذا الموقف الخطير ، وهنا تتجلى أسى مظاهر الروح المعنوية العالية عند رجال جيش المسلمين ، فلنسمع قول المقداد ابن عمرو : يا رسول الله ، إمض لما أمرك الله ، فنحن معك . والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى ( إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ) ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

وقال سعد بن معاذ يا رسول الله ، إمض لما أردت ، فنحن معك . فالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد .

وهذا مثل رائع على صدق العزيمة وثبات العقيدة ، وثمرة رائعة من ثمار غرس النبى القائد الاعلى .

وهكذا انتهى المسلمون من تقدير الموقف إلى تقرير ضرورة القتال .

أما أبو سفيان فقد سبق القافلة للاستطلاع ومعرفة نيات جيش المسلمين ، فلما وصل بدرا علم أن المسلمين يترقبون لقائهم ، فعاد إلى القافلة وقرر فى الحال أن يغير طريق سير القافلة المعتاد وهو المحاذى لساحل البحر الأحمر ، وتحول إلى طريق آخر غير مطروق ، وكان فى سيره هذا شديد السرعة شديد الحذر ، وبذلك نجح من محمد ﷺ وأصحابه . ولما أحس بأنه قد أفلح فى الإفلات أرسل إلى قريش يأمرهم بالرجوع إلى ديارهم حيث إن الغرض الذى خرجوا من أجله — وهو نجدة القافلة — قد أصبح غير ذى موضوع ، فقد أغلقت من أيدي المسلمين هذه الحيلة . ولكن قريشا وعلى رأسها أبو جهل امتنعوا وأصررا

على قتال المسلمين في بدر ، فتقدموا حتى وصلوا إلى تل من الرمل بالقرب من بدر فنزلوا هناك يحمون به ويستعدون للقتال .

أما المسلمون فبعد أن اتفق رأيهم على قتال قريش محافظة على هبة الإسلام ، فقد تقدموا وعلى رأسهم النبي الكريم حتى وصلوا بالقرب من بدر ، فبعث النبي ﷺ ثلاثة من رجاله للحصول على معلومات عن مدى تقدم قريش واستعدادها . فلما وصلوا إلى بئر بدر وجدوا غلامين من أتباع قريش يستقيان من البئر فأخذهما إلى النبي ، فأخذ في استجوابهما ، وسألهما عن عدد قريش الذين جاءوا للقتال فقالا : لا ندري . فسألهما كم ينحرون من الجزر ( الجبال ) كل يوم : فقالا يوما تسعا ويوما عشرة . فقال النبي ﷺ : القوم ما بين تسعمائة والالف . وهكذا استطاع النبي أن يستنتج قوة المشركين العديدة من عدد ما ينحرون من الإبل لأنه قدر أن البعير الواحد يطعم منه حوالى المائة ، وقد استمد هذه المعلومات من هذين الغلامين اللذين كانا يخدمان قريش .

استقر رأى المسلمين على أن يتخذوا موقعهم بجوار ماء بدر ، ولكن الحباب بن المنذر لم يستحسن هذا الموقع وكان يعلم الموقع جيدا ، فقال للنبي ﷺ هل هذا المكان أمرك الله به لا تنقده ولا تتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فأشار حباب على النبي بأن ينتقل من هذا الموقع إلى موقع آخر يتحكم تماما في مياه البئر بحيث يقطع الماء — وهو حياة رجال البادية — عن قريش في الوقت الذى ينعم فيه المسلمون بالماء الغزير . فقال النبي ﷺ له : أشرت بالرأى وأمر المسلمين بالانتقال إلى حيث أشار الحباب ، وبني المسلمون حوضا على البئر .

وهكذا ضرب لنا الرسول مثلا عظيما للقائد الناجح ، فإن الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة ، تفتقرن بآية الابتكار والانشاء ، لأن القيادة الحسنة هى القيادة التى تستفيد من خبرة الحبير ، كما تستفيد من شجاعة الشجاع . وهى التى تجتذ كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والاجسام .

ولقد كان انتقال المسلمين إلى موقعهم الجديد الذى أشار به الحباب ضربة محكمة أصابت قريشا ، فقد أصبح المسلمون يشربون وهم لا يشربون ، فاندفع من قريش الاسود المخزومى

- وكان شرساً سيئ الخلق - اندفع نحو البئر وهو يقول ، أعاهد الله لأثربن من حوضهم ، أو لأهد منه ، أو لأموتن دونه .

فلما أقبل على الحوض ليهدمه لحقه حمزة رضى الله عنه بضربة سيف قضت عليه .  
وهكذا بدأت المعركة .

ولعل من المناسب أن أتحدث قليلاً عن طرق القتال في هذه الأزمان ، ولو أنه كان من العسير على أن أجد لهذا مرجعاً خاصاً ، فالأمر لا يعدو استنتاجاً وتصوراً .  
يتخذ كل جانب من الجانبين المقاتلين معسكراً له على مقربة من معسكر الآخر .

والألمحة التي كانت تستخدم في هذا الوقت هي القسي والسهام وتسمى بالنبل وهي تعتبر الأسلحة البعيدة المدى ، والحربة والرمح وهي في الغالب سلاح الفرسان ، ثم السيوف والخناجر وما أشبه . للقتال يدأ بيد .

وكانت هناك دروع تلبس على الصدر ، وأقنعة تلبس على الرأس أحياناً ، وترس يمسك في اليد للوقاية من الطعنات .

أما الطعام والشراب فلم يكن مشكلة ، فقد كانوا يخرجون للقتال ومعهم كفايتهم من الطعام الذي كان أغلبه جافاً . ومن الأطعمة المشهورة « السويق » وهو يشبه الفريك المجفف يحمل الرجل كمية منه في مخلاة يعلقها في رقبته ، فإذا جاع ازدرد بعضاً منه وشرب ماء أو لبناً . وكان لديهم التمر متوفراً ، وهو معروف باحتوائه على عناصر مغذية كثيرة . هذا علاوة على لحوم الذبائح كالإبل والغنم والماعز التي كانوا يصطحبونها في تحركاتهم يشربون لبنها ويذبحون منها .

وكانوا يحفظون الماء في قرب يصنعونها من جلود الماعز ، ومنها أيضاً كانوا يصنعون الزمازم للبياه ، وكانت وسيلة الانتقال لديهم الحيوانات كالإبل والحيل إن توفرت وإلا فالسير على الأقدام هو الأغلب ، ولهم على هذا مقدرة فائقة . أما وسيلة الاتصال فكانت الصوت والرسول أو الساعي الذي يكون راجلاً أو راكباً تبعاً للمسافة والسرعة المطلوبة .

وفي أغاب الأحيان تبدأ المعارك بمبارزة بين بعض المبارزين المهرة الذين ينتخبهم كل فريق ، ويقف الفريقان موقف المنفرج المتحفز ، وتستمر المبارزة حتى تسيل الدماء وتظهر غلبة فريق على فريق فيشير المنظر شعور الناس ، وتثور حمية من هزم مبارزوه ، فيصيحون داعين للنزال ، وهكذا يلتحم الفريقان الفارس مع الفارس والمشاة مع المشاة .

ولا تستمر المعارك طويلا ، وهي تجري نهاراً بالطبع ، وسرعان ما ترجع كفة أحد الفريقين ، ويتوقف هذا على القوة العددية والمعنوية وغير ذلك من الظروف . وبذلك تنتهي المعركة وقد خرج منها فريق غالبا وفريق مغلوبا .

ولما ما حدث في غزوة بدر لشبيهه إلى حد كبير بما أوردت من وصف ، فإنه بعد أن قتل حمزة الاسود المخزومي على الحوض اندفع من صفوف قريش ثلاثة يدعون إلى المبارزة ، فأمر النبي ﷺ عليا بطل المبارزة كرم الله وجهه واثنين من المسلمين بملاقاهم ، فبارزوه وقتلوه جميعا ، وجرح أحد المسلمين الثلاثة . وبعد ذلك التقى الحيشان ، وكان ذلك في ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة ( ١٣ مارس سنة ٦٢٤ م )

ويجدر بي أن أروى حادثة لها مغزاها حدثت في هذه الغزوة ، فقد قام النبي ﷺ إلى المسلمين يعدل صفوفهم ، فوجد رجلا اسمه سواد خارجا عن الصف فطاعه بعضا خشبية كانت في يده وقال : استر ياسواد . فقال الرجل : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالعدل والحق فأفقدني ( أى مكنى من القصاص من نفسك ) فكشف النبي عن بطنه وقال ( استقد ) أى خذ القصاص ، فتأثر الرجل وعافق النبي وقبل بطنه الشريف .

هذه حادثة عارضة استوقفتني برهة ، لأنها تقف دليلا ناصعا مضيئا على قوة الحق وفضيلة الاعتراف به من القائد - فقد قبل محمد رسول الله وقائد جيش المسلمين على نفسه أن يقتصر منه جندى في جيشه لأن الحق معه ، وهو الذى بعثه الله بالحق . ولقد حلا لي أن أتصور حالة هذا الرجل المعنوية وحالة باقى الجيش بعد أن لمس هذه الواقعة في أخلاق قائده ، وكان من السهل على أن أدرك كيف أن ثلاثمائة غلبوا ألفا من أعدائهم .

محمد صالح المبرين محفوظ  
يوزباشى أركان حرب

د للبحث بقية ،

# إِعْدَادُ الْقُوَّةِ وَأَخْذُ الْأَهْبَةِ لِلْأَعْدَاءِ

قال الله سبحانه وتعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، (١) .

لقد أرسل الله سبحانه رسله مبشرين ومنذرين وهادين إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وتسود بينهم الرحمة والالفة والإخاء . والشرائع لابد لها من قوة تؤيدها وتشد أزرها ، وإلا كان الحق بين الناس مضيعا ، والظلم بينهم فاشيا ، ولامر ما عقب الله ذكر إنزال الكتب السماوية مع الرسل بذكر إنزال الحديد الذي هو رمز القوة والبأس ، فقال عز من قائل : لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ، (٢) .

ولاجل أن الحق لا بد له من قوة تنصره وتزيل العقبات التي تعترض طريقه وتكفل له الانتشار والغلبة شرع الله الجهاد في سبيل العقائد الصحيحة والمبادئ الفاضلة والحصول على الحقوق المغتصبة ، وجعله من أفضل القربات إلى الله ، وجعل الاستشهاد في سبيل الحق والحقوق وسيلة لحياة أبدية خالدة والنقل في المقيم في جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وصدق الله : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، (٣) .

(١) سورة الانفال الآية ٦٠

(٢) سورة الحديد الآية ٢٥

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩ ، ١٧٠



ولا عجب - والحال كما سمعت - أن أمر الله عباده المسلمين أن يعدوا للكفار المفسدين في الأرض - يبطرهم الحق وغمطهم الناس حقوقهم - كل ما يهيء للمسلمين العزة والغلبة عليهم ، ويجعل شريعتهم هي السائدة على وجه الأرض . فقال سبحانه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » . فعلى المسلمين أن يبذلوا غاية الوسع في تحصيل أسباب القوة ووسائل العزة والمنعة ، من الانتظام في سلك الجندية ، وتعلم الفنون الحربية ، وإنشاء المصانع التي تلتج شتى الأسلحة ، والتدريب على استعمالها ، وبناء المساح ، والمرابطة في الثغور ، وبذلك أمان حقوق المسلمين ويهاب سلطانهم في الأرض . ومن أسرار إعجاز الآية السكرية أن يأتي أسلوبها على هذا الوضع من التعبير باللفظ المرن الصالح لكل زمان ومكان ، فإكل جيل وعصر أن يفسر القوة بما هو أفضل وأولى وأنفع لإظهار شوكة المسلمين ومنعتهم . وقد روى الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما عن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ألا أن القوة الرمي ( ثلاثا ) . ومن العجيب أن يأتي التفسير النبوي كآلآى القرآن مرانة وصلاحية لأن تفسره الاجيال المتلاحقة بما يحقق الغرض وينفي بالحاجة ، فإن فهمت منه الرمي بالسهام والنبال والحراب كما كان في العصر الاول فأنت صادق ، وإن فهمت منه الرمي بالرصاص والمدافع والقنابل وكل ما استحدث من أنواع الدمار والهلاك فلا تعدو الحقيقة . ومثل هذه الأسرار في التعبير لن تجدوها إلا في كلام ربك عالم الغيب والشهادة ، وكلام نبيه الذى لا ينطق عن الهوى . ومعنى رباط الخيل إعدادها وإقامتها للجهاد في سبيل الله ، وفي معنى الخيل إعداد كل ما استجد من سيارات مصفحة ودبابات وجرات وطائرات ونحو ذلك مما تتطلبه الحروب الحديثة وفي الحديث الذى رواه البخارى : « من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » ، وفي الصحيح أيضاً : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم » ، وعلى تقدم الحروب ومعداتها لا يزال للخيل مكانها في الحروب ، ولا سيما في الجهات الوعرة والجبلية والدروب الدقيقة .

والإسلام لا يقصد بأخذ الالهية والاستعداد بتحصيل أسباب القوة لإرهاب الآمنين المسلمين وإزهاق أرواحهم وانتهاك أعراضهم وسلب حرياتهم وغصب أموالهم كما تفعل دول الاستعمار الغاشمة اليوم ، وإنما يقصد لإرهاب أعداء الله وأعداء الإنسانية الذين

لا يقيمون للمعاني الفاضلة وزنا ولا يرهبون إلا السيف والمدفع ، ولو خلوا وشأنهم للاملاوا الأرض جورا وفسادا . فاعداد العدة إنما هو بمثابة الزجر والتخويف وكبت دوافع الشر في نفوس أعداء الله وأعداء السلام والأمان ، فإذا ما استهانوا بالفضائل والحقوق ، وسولت لهم نفوسهم التمردى ، وجدوا القوة لهم بالمرصاد فترد كيدهم في نحورهم وتوقفهم دون الحصول على شهواتهم . وهذا هو المراد بقوله تعالى « ترهبون به عدوا لله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وصدق الله ، فكم من دولة تسترت بستار الصداقة للمسلمين ثم أظهرت الحوادث والايام سوء نيتها وخبث طويتها ، وكم من قوم يظهرن المسالمة حتى إذا ما واثم الفرصة ووجدوا من أنفسهم قوة كانوا حربا على الإسلام والمسلمين .

ولما كان إعداد العدة والتسلح يقتضى أموالا طائلة قد لا يفي بها بيت المال : « الحزاة العامة ، ناشد الله المسلمين البذل والعطاء ، ووعدهم الثواب في الدنيا ويوم الجزاء ، فقال : « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » . ومن قصر في هذا الواجب ، فقد عرض نفسه وأمهته للهلاك وصدق الله : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » (١) .

لقد حارب رسول الله - وهو المؤيد بالوحي والمعجزات - واستتر بالمجن ولبس المغفر والبيض ، وكان إذا حذى الوطيس واحمرت الخندق لم يكن أحد أقرب إلى الأعداء منه . وفي غزوة أحد لما جاء أبي بن خلف يقول : أين محمد ، لا نجوت إن نجا ، أخذ رسول الله الحربة بمن كان بجواره ، ثم أحكم تصويبها نحوه ، فنالت منه مقتلا . وأخذ هو وأصحابه في أسباب العزة والقوة وكثيراً ما استمع إلى مشورة من يشير عليه بالصواب في فنون القتال ، فقبل مشورة الحباب بن المنذر في بدر ، وفي غزوة الخندق أشار عليه سلمان بجفر الخندق فاستصوب الفسكرة وساهم في الحفر ، واستعمل الصحابة المنجنيق والديابات في لقاء الأعداء ولم يدعوا وسيلة للقوة والغلبة إلا فعلوها ، وكثيراً ما كانوا يتدربون على فنون الحرب والقتال ، وكان رسول الله يشهد ذلك ويقوى فيهم هذه النزعة السكرية ، بل ويشاركهم أحياناً ، فما بالنا وهذا هو هدى كتابنا وسنة نبينا قد تقاعسنا عن أخذ العدة والاهبة حتى

تخلفنا عن ركب الأمم القوية ، وأصبحنا لا يقام لنا وزن في السياسة الدولية ، وطمع فينا من لا يكاد يدافع عن نفسه .

نعم إن للدولة المستعمرة لبلادنا المغتصبة لحقوقنا ضلعا كبيرا في هذا التخلف في مضمار القوة ، ولكننا لا نخلى من كانوا يتولون مقاليد الحكم والأمور من التبعات الجسام ، فقد كانوا لعباً في يد المستعمر يحركهم كيف يشاء ، وكان يريق الأصفر الزمان وسراب الحكم الخادع يفسد الذمم والضمائر ، ويقضى على كل حركة الإصلاح .

والآن وقد أزال الله الغمة - والله الحمد والمنة - وأصبحت مقاليد الحكم بأيدي قوية مؤمنة بالله وبحقوق الوطن ، لا يفرهم المال ولا الحكم ، فلنتدارك ما فات فإنا في عصر لا يرهب فيه إلا الأقوياء ، والقوة لا تدفع إلا بالقوة ، ولا يفصل الحديد إلا الحديد . وإذا اجتمع إلى الإيمان الذي يعمر القلوب القوة ، هانت كل الصعاب ، ولا يحول دون ما نريد حائل مهما كانت قوته ، فلنتذرع مع الأخذ في أسباب القوة بالإيمان القوى والتقوى العامة الشاملة .

وإن مما يذكر فيشكر أن يضرب علماء الأزهر - كلياته ومعاهده - مثلاً عالياً فيما ينبغي أن يكون عليه المسلم ، فتقدموا - يحدوهم الإخلاص ، وأن تقتدى بهم الأمة - إلى معسكر التدريب بالجامعة الأزهرية ، وتدريبوا على شتى الفنون والأسلحة ، ولم يمنهم ما عرف عنهم من الجلال والوقار من السبق في هذا المضمار ، وهم في ذلك إنما يصدر عن دين وخلق كريم ، وإحياء لسيرة الصحابة والسلف الصالح من الأمة الإسلامية . وكانت ثمرة هذا العمل الجليل أن تكونت منهم كتبية تسمت باسم سيف الله المسلول د خالد بن الوليد ، رضى الله عنه ، وإنما لبا كورة مستتبعها ثمار شهية إن شاء الله .

ألا رعى الله قادة الأمة وورثة الأنبياء ، ورعى رجال جيشنا البواسل ، كفاء ما قدموا للأمة من خير ؟

محمد محمد أبو شربة  
الاستاذ بكلية أصول الدين

# نشأة كتب الأمال خصائصها

أمالى القالى

القالى هو إسماعيل بن القاسم بن عبدون أبو على القالى . ولد بمنازجرد من ديار بكر ، ورحل إلى بغداد فى طلب العلم سنة ثلاث وثلثمائة ، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وكتب بها الحديث ، ثم خرج من بغداد قاصداً الأندلس .

يقول ياقوت فى « معجم الأدباء » :

لما تأدب القالى ببغداد ورأى أنه لا حظ له بالعراق قصد بلاد الأندلس فأكرمه صاحبها وأفضل عليه إفضالا عمه ، وانقطع هناك بقية عمره .

وصل إلى الأندلس فى أيام عبد الرحمن الناصر الذى أراد بقرطبة أن تظهر على بغداد ، فأدخل فى الأندلس ما كان عند العباسيين من علوم وفنون .

وقد وكل أمر تعليم ابنه الحكم المستنصر إلى أبى على القالى فنشأ وهو من أشهر أنصار العلم ، واشتدت رغبته فى اقتناء الكتب ، وكان الحكم ثقة عالماً بالأخبار والأنساب ، محباً للقراءة ، حتى قالوا إنه قلما يوجد كتاب فى مكتبته إلا كان له نظر فيه وتعليق عليه . وكان يجمع فى داره الخذاق فى صناعة النسخ والضبط والإجادة فى التجليد ويوجد عليهم بالمال ، فكانت داره أشبه بمجمع علمى . وكان يبعث فى الكتب إلى الأقطار رجلاً من التجار ويعطيهم الأموال لشراؤها حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يكن لهم به عهد مما كان يضاهى ما جمعه ملوك بنى العباس فى الأزمان الطويلة .

قال المقرئ فى نفع الطيب : « بعث الحكم فى كتاب الأغاني إلى مصنفه أبى الفرج الأصفهاني - وكان نسبه فى بنى أمية - وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب ، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه إلى العراق ، ، لذلك تلقى الحكم أبا على القالى بالجميل ، وحظى عنده وقرب منه وبالغ فى إكرامه .

فاستوطن القالى قرطبة ونشر علمه بها حتى توفى سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ومولده سنة ثمان وثمانين ومائتين .

كان القالى إماماً فى علوم العربية متقدماً فيها متقناً لها . أدرك المشايخ ببغداد كابن الأنبارى وابن درستويه وابن دريد ومن فى عصرهم ، وأكثر الرواية عن مشايخ الوقت . قال القفطى فى كتابه « إنباء الرواة على أنباء النحاة » .

« قرأ القالى على ابن درستويه كتاب سيويه أجمع واستفصره جمعه وناظره فيه ودقق النظر ، وكتب عنه تفسيره وعلل العلة وأقام عليها الحججة ، وأظهر فضل البصريين على السكوفيين ، ونصر مذهبه على من خالفه من البصريين أيضاً » وقال ياقوت فى معجمه :

« فاستفاد الناس منه وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه على غاية التقييد والضبط والإتقان . وقد ألف فى علمه الذى اختص به تأليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته . وحدث عنه جماعة منهم أبو محمد عبد الله بن الربيع بن عبد الله التميمى وأبو بكر محمد بن الحسين الزبيدى النحوى صاحب « مختصر العين » ، و« أخبار النحويين » ، وكان حينئذ إماماً فى الأدب ، ولكن عرف فضل أبى على قال لىه واختص به واستفاد منه وأقر له . »

وللقالى تصانيف كثيرة أملاها عن ظهر قلب منها :

١ — كتابه فى الأخبار والحكايات المعروف « بال نوادر والامالى » ، وهذا سنفرده له حديثاً خاصاً به .

٢ — ومنها كتابه فى « المقصور والممدود » ، بناه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق لم يوضع له نظير .

٣ — وكتاباه فى الإبل وتناجها وما تصرف معها .

٤ — وكتاباه فى حلى الإنسان والحبل وشياتها .

٥ — ومنها كتابه « فعلت وأفعلت » ، وكتاباه فى « مقاتل الفرسان » ، و« كتابه فى تفسير القصائد والمعلقات وتفسير إعرابها ومعانيها إلى كتب كثيرة » . وارتجل جميعها وأملاها عن ظهر قلب كما يقول القفطى وياقوت .

وألف كتاب « البار » ، فى اللغة فبناه على حروف المعجم وجمع فيه كتب اللغة وعزا كل كلمة من الغريب إلى ناقلها من العلماء ، واختصر الإسناد عنهم وتوفى قبل أن ينقعه ، فاستخرج بعده من الصكوك والرقاع .

والظن بالقالى فى تأليف كتابه ، البارع ، هذا أنه أراد أن يتبح الفرصة للأندلس للإسهام فى حركة المعاجم التى ظهرت فى الشرق وأخذ تيارها فى التدفق المتلاطم ، حتى رأى القرن الذى عاش فيه القالى - القرن الرابع - هذا العدد العظيم منها . فهذا الوافد الشرق على الأندلس كان يريد أن ينقل معارف المشاركة إلى تلاميذه وحببيه من المغاربة فألف لهم ما ألف . وما حاز الشهرة التى طبقت الآفاق كبارعه هذا وأماليه وكلها يقوم على ثقافة الشرق العربى وحدها . فأماليه صورة لأمالى المشاركة ، وبارعه صورة لمعاجمهم .

قال السيوطى فى مزهره : « وأصح كتاب وضع فى اللغة على الحروف بارع أبى على البغدادى وموعب ابن التيانى ، .

وقبل أن نتحدث بتفصيل عن كتاب ( الامالى ) نذكر لماذا سعى أبو على بالقالى .  
قال تليذه الزبيدى :

« وسألت أبا على : لم قيل له القالى ؟ فقال : لما انحدرنا إلى بغداد كنا فرقة فيها أهل قالقلا فكانوا يحافظون لمكانهم من السفر ، فلما دخلت بغداد انقسبت إلى قالقلا ورجوت أن أنتفع بذلك عند العلماء لأنى رأيت الناس يعظمون أهلها فلم انتفع بذلك وعرفت بالقالى » .

### وصف الامالى :

قال القفطى فى كتابه « إنباه الرواة ، يصف أمالى القالى :

« من تصانيف أبى على كتابه فى الأخبار والحكايات المعروف بالنوادر والامالى أملاه ظاهراً من قلبه فى الأخمسة بجامع الزهراء بقرطبة <sup>(١)</sup> وارتجل تفسير ما فيه ، وهذا الكتاب غاية فى معناه وهو أنفع الكتب لأن فيه الخير الحسن والمثل المتصرف والشعر الملتقى فى كل معنى ، وفيه أبواب من اللغة مستقصاة وليست توجد فى شيء من كتب اللغة مستقصاة مثل ما هو فى هذا الكتاب ، وفيه القلب والابدال مستقصى ، وفيه تفسير الاتباع وهو ما لم يستيقظ إليه أحد ، إلى فوائد فيه كثيرة ، .

وذكر الحميدى فى كتابه « جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس ، :

[١] بنى عبدالرحمن الناصر (الزهراء) فى موضع قريب من قرطبة سنة ٢٢٥ هـ وعلمها متزماً له وأتى فى عمارتها من الاموال ما تجاوز فيه حد الاسراف .

قال لنا أبو محمد على بن أحمد - وقد ذكر كتاب أبي على المسمى « بالنوادر » في الاخبار والأشعار - فقال : « وهذا الكتاب مسائر لكتاب « السكامل » الذي جمعه أبو العباس المبرد ، ولئن كان أبو العباس أكثر نحواً وخبراً فإن كتاب أبي على لا أكثر لغة وشعراً . »  
والدارس لهذا الكتاب يجد فيه تفسيراً واضحاً لبعض آيات من القرآن الكريم في بيان شديد وتأويل معقول يسائر اللغة وروحها والبلاغة وأسرارها ، فقد تكلم على قوله تعالى ( ولتعرفنهم في لحن القول ) وعلى معنى قوله تعالى ( وغدوا على حرد قادرين ) ثم أتى بتفسير شاف واف جامع شامل لقوله تعالى ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً ) فتحدث عن معاني ( أمرنا ) حديث اللغوى المتضلع والاديب المتدوق .

ويجد فيه الدارس أيضاً مباحث متعددة لأبواب من فقه اللغة كالبحوث التي تناول فيها بنية الكلمات وصلة تراكيب حروفها بمعانيها ، وفيه عرض واسع للهجات العرب ولغاتها كطلب « ما سمع من العرب في لعل من اللغات » ومطلب « ما تتعاقب فيه القاف والكاف من الالفاظ » و « ما جاء من الكلمات بالصاد والزاي » وما تتعاقب فيه الفاء والناو ، وهذا وأمثاله مما له صلة قريبة بالقراءات .

وفيه أيضاً مباحث عن أساليب أدبية في الاستعمال كطلب « ما تقول العرب في معنى أخذ الشيء كله » ومطلب « ما تقول العرب في معنى ما في الدار أحد » وكبحث « أيمان العرب » ومبحث « دعاء العرب » ومجلس « لا جرم » وتفسيرها والوجه فيها ، وهذا فضلاً عن جملة خصبة من أمثال العرب .

أما الاخبار الادبية والاحاديث اللغوية مما قيل في مجالس الخلفاء وبين يدي الامراء فحدث عنها ولا حرج ، إلا أن أكثر أخبارها عن الدولة الاموية . ولعل ذلك كان منه عن قصد ليرضى أموي الاندلس .

على أن هذه الاحاديث المروية والاخبار المنقولة فيها الموضوع المصنوع وفيها الصحيح المروى ، وليس هذا بمقصود على أمالي القالي بل هو ينسحب على جملة الاخبار التي تروى في كتب الادب جميعها ، فينبغي أن يأخذها الباحث بحذر وشك . وليس هذا الشك بالرأى الحديث ، فقديماً نبه القدماء إلى ذلك وطعنوا في بعض الرواة وجرحوا البعض وعدلوا البعض .

فن الاحاديث المصنوعة ، حديث خفافر الخيرى مع رئية من الجن المسمى شصار ،  
المنبت فى الجزء الاول من الامالى .

ويكفى أن نعلم أن راوى هذا الحديث هو ابن الكلبي ، والذي يظهر لنا أن واضع القصة  
أراد أن يبين مهارته اللغوية وقدرته فى تقليد المكان فى سجعهم وأن يشيع هذا الحديث لأنه  
يمس مظهراً من مظاهر الإسلام وهو إرسال النبي ﷺ إلى الجن كما أرسل إلى الإنس .  
وهذا من الاحاديث التى تنسب إلى ابن دريد فى كتاب الإصابة .

وربما كان آفة الاخبار المصنوعة فى هذه الامالى هو ابن دريد شيخ أبى على ، فإن أكثر  
أمالى ابن دريد منشورة فى هذه الامالى ، وابن دريد قد تكلم فيه ونسب إلى الوضع فقد سئل  
عنه الدارقطنى أنفة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه .

وقال أبو منصور الأزهرى اللغوى : دخلت عليه فرأيتة سكران فلم أعد اليه .

وقال فى مقدمة كتابه ، التهذيب ، ومن ألف فى زماننا للكتب فرمى بافتعال العربية  
وتوليد الالفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامها أبو بكر محمد بن دريد .

ولهذه الامالى ذيل يعرف ، بذيل الامالى والنوادر ، مشحون بالغلط والاهام .

وللامالى شرح لأبى عبيد البكرى يعرف باللكلى ، وقد وهم صاحب الخزانة  
فظنهما كتابين .

وقد ذكر العلامة تيمور باشا رحمه الله فى هلال سنة ١٩٢١ أن هذا الشرح من الكتب  
النادرة المفقودة كشرح مقدمة ابن خلدون ، ولكن صاحب المطبعة السلفية السيد محب الدين  
الخطيب ذكر فى الجزء الاول من الخزانة من طبعته أنه عثر على هذا الشرح فى مكة فتولى  
تصحيحه وتحقيقه ونشره الاستاذ الثبت الشيخ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ونشر ذلك  
الشرح مع التعليق عليه تحت اسم « سمط اللكلى » ، مذيلاً بكتاب من تأليف الميمنى يعرف  
« بذيل اللكلى » ، وهو شرح لذيل الامالى ولصلة ذيله وتبينه على أغلاطه المعدودة فيهما .

ومهما يكن من شئ فإن أمالى القالى أحفل أنواع الامالى مادة وأغزرها أدبا .

عبد الوهاب محمود



## لا تعرف الإنسانية حضارة قادت الرق كالعبيد

استعباد البشر للبشر قديم جدا ، لا يعرف له التاريخ بداية: فقد رأيناه بجميع أنواعه في أقدم ما نعرفه عن الصين ، وفي الهند كانوا يدينون بأن من لم يكن برهيا فهو مخلوق ليكون عبدا للبرهمي ، ويسمونه « سودرار » . وكان الرقيق في النظام الفرعوني هو أداة العمل ، وعلى أكتاف الرقيق بنيت الأهرام ، وكان الرق عريفا في تاريخ الآشوريين والفرس ، أما في بني إسرائيل فقد أباحت التوراة الاسترقاق بطريق الشراء أو سبيا في الحرب ، بل أباحت التوراة للعبري أن يستعبد العبري إذا افتقر ، فيبيع نفسه لغنى ، حتى يوفى له الثمن ، أو يخدمه ست سنين ثم يتحرر ، وإذا سرق العبري ماشية وذبحها ، أو أى شيء استهلكه ، ولم يكن في يده ما يعوضه به عن سرقة يباع السارق بسرقة ، كما نصت التوراة على ذلك في سفر الخروج ، وأباحت التوراة للعبري أن يبيع بذته فتكون أمة للعبري الذي يشتريها .

الرق عند اليونان :

وكان استعباد البشر للبشر مطلقا وبكثرة في حضارة اليونان ، وكان قرصانهم يتخطفون أبناء الأمم الأخرى في مختلف السواحل ويبيعونهم في أسواق أثينا وغيرها ، ولما صارت لليونان مستعمرات في آسيا الصغرى صارت لهم فيها أسواق للتجارة بالرقيق ، حتى امتلأت بيوت الأغريق بالإماء والعبيد ، يستعبدون اليونان جميعا ، لا فرق بين غنى وفقير ، ولم تؤثر في تاريخهم كلمة واحدة عن أى حكم من حكائهم باستنكار استعباد الإنسان لأخيه الإنسان أو الترغيب في تحريره .

### وعند الرومان :

أما الرومانيون فإن النخاسين كانوا يتخذون الحروب السكثيرة مواسم لتجارهم فيصبحون الجيوش إلى أوطان الشعوب الأخرى ليشتروا الأسرى والمفلولين من صبيان وبنات ورجال ونساء بأبخس الأثمان ، حتى لقد كان النخاس إذا كان غنيا يشتري ألف إنسان صفقة واحدة ، عقب نصر كبير تعده الإنسانية خزيا ، ويعدده تاريخ الاستعمار الروماني عظمة ومجدا ، وفي مدينة رومية العظمى كانت للرقيق سوق تعرض فيها هذه البضائع للزاد العلني على رابية مرتفعة . فيكون الرقيق عربانا من كل ما يستره ، ذكرا كان أو أنثى ،

كبيراً أو حدثاً ، ولمن شاء من الناس أن يدنو من هذا اللحم الحى المعروض للبيع فيجسه بيده ، ويقبله كيف شاء ، ولو لم يشتره في النهاية ، والقانون الرومانى لم يكن يعتبر الرقيق إنساناً له شخصية ذات حقوق على الإنسانية ، بل يعتبره شيئاً من الأشياء كسائر السلع التى يباح الاتجار بها .

نظام كان معترفاً به :

ولما جاءت المسيحية كانت عبودية الإنسان للإنسان شائعة فى كل العالم . نقل الدكتور جورج برست ، أحد رجال الجامعة الأمريكية الاولين فى بيروت ، فى المجلد الثانى من كتابه ( قاموس الكتاب المقدس ) ص ٦٠ - ٦١ طبع المطبعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٩٠١ قول العالم ( شاق ) : إن المسيحية لم تعترض على العبودية من وجهها السياسى ، ولا من وجهها الاقتصادى . ولم تحرض المؤمنين على منابذة جيلهم فى آدابهم من جهة العبودية ، حتى ولا على المباحثة فيها ، ولم تقبل شيئاً ضد حقوق أصحاب العبيد ، ولا حركت العبيد إلى طلب الاستقلال ولا بحثت عن مضار العبودية ، ولا عن قساوتها ، ولم تأمر بإطلاق العبيد حالا . وبالأجمال لم تغير النسبة الشرعية بين المولى والعبد بشئ ، بل بعكس ذلك فقد أثبتت حقوق كل من الفريقين وواجباتهما .

هكذا كانت عبودية الإنسان فى أمم الأرض عندما ظهر الإسلام . فهو نظام كان معترفاً به من كل الامم وأسواقه قائمة فى كل مكان ، وآثاره موجودة فى بيوت الناس ومجتمعاتهم ، وفى أنظمة الدول ومرافقها .

ثلاث جهات :

وأبرز مواقف الإسلام من الرق كان من ثلاث جهات :

أولاً : أمر المسلمين بحسن معاملة من تحت أيديهم من الرقيق إلى أقصى ما يمكن أن تسمحوا إليه الفضائل الإنسانية .

ثانياً : الترويج فى تحرير الرقيق إلى أقصى ما ينظر من دين عالمى ، جاء ليعالج عيوب المجتمع بحسن توجيهه نحو الفضائل .

ثالثاً : وضع قاعدة المعاملة بالمثل فى الحروب الدولية فيما يتعلق بالأسرى ومبدأ الاسترقاق . وكلما وجد الإسلام دولة وترضى أن تتعامل معه بمبدأ ينطبق على أهدافه فى تحرير الإنسانية من الرق فإنه كان دائماً على استعداد للاتفاق معها على تحقيق هذه الأمنية بالفعل .

إن النصوص الصحيحة المأثورة عن الدين الإسلامى فى القرآن وكتب السنة النبوية المشهورة بصحة روايتها ، إذا أردنا أن تقتصر منها على المعانى الإنسانية الخاصة بالرفيق ، فإنها وحدها تبلغ كُنْبا ، وإذا حاولنا أن ننقل الوقائع التاريخية عن عظماء المسلمين وأئمتهم ، وأخبارهم فى تطبيق هذه النصوص والمبادئ والأحكام بالعمل ، لسكان من ذلك مجلدات كثيرة . ويمكننا أن نعلن ونحن مطمئنون بصحة ما نقول : أنه من أول ابتلاء الإنسانية بنظام الرق ، واستعباد البشر للبشر ، إلى طرؤه الضعف على دول الإسلام فى العصرين الأخيرين ، لا تعترف الإنسانية حضارة ولا ديانة ولا فلسفة ، قامت الرق ، وحاولت التخفيف من أضراره ، وتهذيبه بما يلائم الإنسانية كما فعل الإسلام وحده دون غيره من أنظمة البشر ومذاهبهم وطوائفهم .

### تحرير الرقاب :

أما نص القرآن على إيجاب تحرير الرفيق فنجده فى سورة التوبة - الآية ٦٠ - التى فرض فيها الإسلام ضريبة على المسلمين لهذا الغرض وهى الزكاة ، فجعل من مصارفها تحرير الرقاب ( أى تحرير المملوكين ) ، ولأنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم .

والرفيق الذى يطلب من مالكة أن يتعاقد معه على مبلغ من المال يدفعه له بسعيه وعمله ليتحرر من الرق ، قد وردت الآية ٣٣ من سورة النور بأمر المسلم المالك للرفيق أن يجيب هذا الطلب ، وذلك فى قول الله عز وجل : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم ، فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

وتحرير الرفيق قد جعله الإسلام فدية عن أمور كثيرة ، كقول الله عز وجل فى الآية الثالثة من سورة المجادلة : « والذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خير » .

وكقوله سبحانه فى الآية ٨٩ من سورة المائدة : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة » .

وما أوصى الله به المسلمين فى الآية ٣٠ من سورة النساء ، قول الله عز وجل : « واعبدوا

الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم .  
النبى بوصى بالرفيق :

أما الأحاديث النبوية فى هذا الموضوع الإنسانى ، فكبيرة جداً لا يكاد يأتى عليها الحصر ، لأن النبى - صلى الله عليه وسلم - ما برح يحدث أمم الأرض بها ويحث القبائل والشعوب على العمل بها مدة ثلاث وعشرين سنة ، منذ بعثه الله بالنبوة إلى أن اختاره للرفيق الأعلى . ونحن نورد هنا نماذج قليلة منها ، لتدل على سائر ما يتسع له المقام ، من ذلك ما ورد فى كتاب الإيمان من صحيح الإمام مسلم ، من حديث أبى ذر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم - قال فى الرفيق : **« هم لإخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تسكفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم »** .

وفى ذلك الكتاب من صحيح مسلم أيضاً ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : ( إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ، ثم جاء به قد ولى حره ودخانه فليقعهده معه فليأكل ، فإن كان الطعام مشفوها - أى كثرت عليه الشفاه فصار قليلاً - فليضع فى يده منه أكلة أو أكلتين ) .  
 وفى مسند الإمام أحمد ، من حديث مؤرق عن أبى ذر أن النبى ﷺ قال ( من لامكم من خدمكم فأطعموه مما تأكلون وأكسوهم مما تلبسون - أو قال تسكتسون - ومن لا يلائمكم فيبعوه ، ولا تعذبوا خلق الله عز وجل ) .

الاسترقاق الشرعى :

ثم إن الاسترقاق الشرعى هو الذى يقع فى حرب يراد بها إغلاء كلمة الحق ، وأن يأذن بها الحاكم العام ، وأن يعامل المسترق بالرفق والإحسان كما يعامل الابن والابن . وقد أصدر أحمد باى تونس سنة ١٢٦٣ هـ أمراً بتحرير المسترقين فى المملكة التونسية ، حيث إن غالب المالكين لا يعاملونهم بما أمر به الإسلام من الرفق وحسن المعاملة ، ووافق الشيخ إبراهيم الرياحى ، رئيس الفتوى فى تونس على ذلك .

ونص الفقهاء على أن من أضر برقيق ضرراً بينا يعتقه القاضى عليه ، وقد قدمنا أن الرق ليس بواجب من واجبات الحرب . إنما أباحه الإسلام للحاكم العام إذا اقتضته مصلحة الحرب ، فلو اتفقت الدول على أن لا استرقاق فرغبة شارع الإسلام فى الحرية تجيز للحاكم العام أن يتفق مع المحاربين هذا الاتفاق ، ويبطل الاسترقاق من أصله .

## من شكل أدبنا القديم

من الكتب الامهات التي يرجع إليها دارسو الادب العربي كتاب « قيمة الدهر » للثعالبي . وشهرة هذا الكتاب كانت تغنيانا عن التصدي له والتعريف به . ولكنني أقرر منذ الآن أنني لم أتصد له لأعرف به ، ولكنني أعرض للمشكلات التي قد يثيرها الكتاب أو تثور حول قيمة الكتاب . وقد سبق ناشر الكتاب الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد إلى الوقوف من بعض هذه المشكلات موقفاً خاصاً ، في حين أهمل الوقوف من غيرها . ولذلك أود أن أقسم كلامي قسمين : الاول يكون مع الاستاذ الناشر نفسه والثاني مع الثعالبي في كتابه .

وأول ما يلفت قارئ الكتاب العادى أنه قد خلا خلوا تاماً من الشكل : فلم يضبط المحقق كلمة واحدة في شعر أو مثنو . وقد راح يعتذر عن هذا النقص بأن « الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التي اختارها الناشر - مع الأسف المحض - لم يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ، ولا من الحركات ما يكفي للقيام بهذا العمل وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء في العمل على الوجه الذي أحب . . . » وهو في ذلك يشعرنا بأن التفسير لا يرجع إليه ، ولكن أليس في ذلك العذر غرابة ؟ لقد طبع الكتاب في سنة ١٩٤٧ ، فهل يصح أن تقوم مطبعة بطبع كتاب من أربعة أجزاء وليس فيها حروف مضبوطة ؟ ولو سلمنا بهذا ، ألم تكن هناك وسيلة أخرى لتلافي هذا النقص ؟ إن انتظار سنة كاملة لإخراج عمل علمي كامل أو أقرب إلى الكمال لخير من العجلة مع إخراج هذه الاعمال مبتورة منقوصة . ولست أنكر أن هذه الطبعة خير مما سبقها . وأعلم أن من سابقاتها ما لم يتمتع بالشكل والضبط ، ولكن ماذا تكون قيمة طبعة لم تعطني أكثر من الحروف ؟ ليس الشكل بدعة غريبة كما يتوهم البعض ، وإذا كان الكتاب الذي بين أيدينا من تلك الكتب القديمة كان الضبط له ألزم ، بل إن الضبط هو المقياس الذي يقاس به مجهود المحقق من جهة ، كما توزن به معرفته ويوزن إدراكه وفهمه للنص ، ومن ثم استلزمت عملية تحقيق الكتب القديمة وبعثها خبرة خاصة ومعرفة واسعة ومن خصائص لغتنا العربية أن الشكل يحدث في معانيها تغييراً قد يصل أحياناً إلى العكس

ونحن نعلم جميعاً أن الفرق بين اسم الفاعل واسم المفعول من الرباعي ليس في عدد حروفهما في الكلمة ، وليس كذلك في نظام هذه الحروف وإنما هو في الشكل ؛ ففي حين يكسر الحرف قبل الأخير في حالة اسم الفاعل ، نجد هذا الحرف نفسه مفتوحاً في حالة اسم المفعول ولا شك أن الضبط في هذه الحالة يجنبنا خطأ الفهم الذي قد يجعل اسم الفاعل اسم مفعول أو العكس .

هذا فيما يخص بالصورة التي خرج فيها الكتاب ، وما زالت هناك مشكلة أخرى أثارها الأستاذ المحقق ، ويتضح منها نظرتة العامة إلى هذا الكتاب . يقول في ( المقدمة ص ٨ ) : « وإن يكن في هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل إنه لم يتعرض في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء فالكتاب في نظر هؤلاء ناقص وفي مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص .. ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع في تاريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تاريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وضع في صميم الأدب ولبابه ، فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل . »

ونحن نختلف مع الأستاذ المحقق هنا اختلافاً كبيراً . وكون الكتاب ناقصاً أو غير ناقص فإن ذلك نبقىه إلى حين نقف ووقفنا مع الثعالبى نفسه ، ولكن اختلافنا مع المحقق يرجع إلى ما ورد في دفاعه عن هذا النقص ، في اعتباره أن الكتاب لم يوضع في تاريخ الأدب والشعر ، وإنما هو في صميم الأدب ولبابه ؛ فإن ذلك ينطوى على معنى غاية في الأهمية ، وهو التفريق بين الأدب وتاريخ الأدب . وهذه لفظة بارعة ولا شك ، سواء أكان المحقق يقصدها أم لا يقصدها . ولكن هل كتاب « اليتيمة » حقاً كتاب أدب وليس كتاب تاريخ أدب ؟ ورأينا أنه ليس كتاب أدب وإنما هو أقرب إلى أن يكون في تاريخ الأدب . إن للأستاذ المحقق العذر في أن يعتبر كتاباً في الأدب وهو في تاريخ الأدب بخاصة إذا كان هذا الكتاب من الكتب العربية القديمة ؛ ذلك أنها كانت تأخذ من كل شيء بطرف ولكن الخير بهذه الكتب يستطيع أن يميز بينها بسهولة إذا لم يدله المزايف ذاته على وجهته

في التأليف منذ اللحظة الأولى . ونحن نعتبر « الكامل » ، للبرد مثلا كتاب أدب وليس كتاب تاريخ أدب . أترانا نقرن « اليتيمة » ، « الكامل » مثلا من حيث هما صنف واحد ؟

وقد يعنى الأستاذ المحقق بقوله إن الكتاب « يعنى بالقول أكثر مما يعنى بحال قائله » أنه كتاب يدرس ويحلل ويقدم النماذج الأدبية والقصائد الشعرية من حيث هي إنتاج أدبي ، بغض النظر عن أصحابها . وهو في هذه الحالة يسند إليه مهمة كتب النقد الأدبي . ولكن هل ترانا نستطيع أن نضع كتاب اليتيمة جنباً إلى جنب مع كتاب كالوساطة للقاضي الجرجاني مثلا ؟

ومن هذا نخلص بوجهة نظرنا ، وهي أن هذا الكتاب ليس في الأدب البحث ، وليس في النقد الأدبي . ويبقى أن نقول ماذا يكون إذن ، وأين نضعه في المصنفات أو المؤلفات .

وهنا ننقل إلى الثعالبى نفسه لنفحص عمله ، ونقبين الحظ الذى سار فيه ، والميدان الذى اهتم به ، ومدى النجاح الذى يمكن أن يكون قد أحرزه في هذا الميدان . ونحن — بعد أن استبعدنا أن يكون الكتاب في الأدب البحث أو في النقد الأدبي — نفترض أنه أقرب إلى لون آخر من التأليف هو المعروف بفن التراجم . ويؤيد هذا الفرض أن الثعالبى حين ندب نفسه لتأليف هذا الكتاب لم ينظر إلى كتب الأدب فيصنيف إليها ما فاتها ، أو إلى كتب النقد الأدبي فيستدرك النقص فيها ، ولكنه نظر إلى كتب الطبقات والتراجم يتضح ذلك من قوله : « وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم وتدوين كلماتهم ... وبقية محاسن أهل العصر التى معها رواه الحدائق ولذة الجدة ... غير محصورة بكتاب يضم نشرها ... » . وكتب الطبقات تطوى على نقد ولا شك ولكن ينبغى أن نكون على حذر من أن نطلق هذا الوصف على كتاب اليتيمة ؛ لأنه لم يصنف الشعراء بحسب درجاتهم في الإجابة ، وإنما هو يسجل شيئاً عن كل أديب أو شاعر عاش في القرن الرابع الهجرى وبإزاء عنه خبر . ولذلك نجده يروى الجيد والمتوسط وقد يروى الضعيف . فهو وإن وضع لنفسه شرطاً أساسياً هو إيراد لب اللب كما يقول ، فإنه يتذرع بسببين لإيراد ما ليس كذلك : أولهما أن يكون هناك تعلق بين الصنفين من الكلام ، والثانى أن يكون المروى « ملكاً أو أميراً أو وزيراً أو رئيس خطير ... » . وإذا عرفنا أن عدد هؤلاء ليس باليسير بخاصة في ذلك القرن الذى تعددت فيه الإمارات الإسلامية في

الشرق والغرب الإسلاميين اتضح لنا أن مهمة الكتاب تختلف في جوهرها عن مهمة كتب الطبقات .

ويبقى أن يكون هذا الكتاب في التراجم الأدبية . وهو في هذه الحالة يكون قد توافرت له بعض عناصر النجاح ، من هذه العناصر ذلك الأساس المنهجي الذي اصطنعه في الترجمة لعلام ذلك العصر ، وهو تقسيم الإمبراطورية الإسلامية إلى بيئات أدبية لها خصائصها ومميزات . ومنها استقصاؤه أسماء الأدباء والشعراء الذين عاشوا في ذلك العصر ، دون أن يتأثر بما لبعضهم من اتجاهات خارجية في المجون كآبي الرقعمق وابن سكرة وأضرابهما . ومنها اصطناعه المفهومات النقدية التي تأصلت في ذلك العصر عند تناوله الممتازين من الشعراء ، أو بعبارة أدق عند ما يجد عند النقاد مادة تتعلق بالشخصية التي يترجم لها . ولا شك أن هذا يزيد الشخصية وضوحا وجلالة . وأوضح مثل نستطيع أن نضربه هنا ترجمته للبتني والصاحب وتبقى هناك نواح كانت تزيد من قيمة هذا الكتاب لو أنها توافرت فيه . ذلك أن بعض الذين ترجم لهم المؤلف لم تتضح لنا شخصيتهم الأدبية فضلا عن شخصيتهم العامة ، ويرجع ذلك إلى نقص المادة التي تصور لنا هذه الشخصيات من جهة ، وقلة النماذج الأدبية التي تصور لنا اتجاهها الأدبي العام ، ومكونات أسلوبها الفني . يقول مثلاً في ترجمته لأبي سلمة بن أحمد المعاذي : « حضر بعض مجالس الانس بنيسابور فانصبت محبرة فتى مليم على ثوبه شغل الفتى . قال أبو سلمة :

صب المدام وما تعمد صبه      فتورد الخلد البديع الازهر  
يا من يؤثر حبره في ثوبنا      تأثير لحظك في فؤادي أكثر (١)

وهذا هو كل ما يذكره في ترجمة المعاذي . ولا شك أننا لانستطيع منها أن نمثل شخصية المعاذي تمثلاً يفردا عن غيرها من الشخصيات ، وهنا تصبح محمدة الاستقصاء سبباً لبعض العيب والنقص ؛ فالشعالي كان يكتب عن أى شخص يسمع به ، ويروى عنه أى رواية ترد إليه ، ويسجل ذلك دون تمثيل منه للشخصية التي يترجم لها ، ذلك التمثيل الذي يخرج لنا صور هذه الشخصيات حية نابضة .



وقد يقال إن قلة الرواية لا صلة للمؤلف فيها ، بدليل أنه أفاض في ترجمته للنبني وتعددت جوانب نظرته إليه لأن المسادة كانت وفيرة في هذه الحالة ، ولكن هذا القول لا يقوم دفاعاً عن الثعالبي إذا كنا نريد أن نميز كتابه وعمله عن كتب الإحصاء ومهمتها . فهو كتاب مهمته الأولى - في رأينا - الترجمة الأدبية ، ولا يكفي أن يذكر المؤلف سطرأ أو سطرين عن إحدى الشخصيات ويزعم أنه ترجم لها بعبارة أخرى ؛ ليست مهمة ، القيمة ، أو كان ينبغي ألا تكون مهمتها - هي مهمة ، الفهرست ، أو ، وفيات الأعيان ، . فإذا رجعنا إلى الأستاذ الناشر وجدناه يدافع عن الثعالبي هنا بأن كتابه ليس في تاريخ الأدب والشعر ، مع أن النقص الذي لاحظناه فيه من حيث هو كتاب في التراجم الأدبية قد رده آخر الأمر إلى أن يكون تاريخاً شاملاً لأدباء القرن الرابع الهجري في البيئات المختلفة ، ولكنه أيضاً تاريخ لم تتوافر فيه كل عناصر التأريخ الناجح .

وتبقى مشكلتان يثيرهما كتاب القيمة . أولاهما رواية شعر المجوف والتبذل . ففي الكتاب شعر كثير مما يمكن أن يطلق عليه التعبير الحديث ، الأدب المكشوف ، . وبعض المتحرزين من العيب يجدون في رواية ذلك انحذاراً وإهداراً للقيم الأخلاقية وحناء على المروق . وهم في نظرهم مصيبون إلى حد بعيد . ولكن ما ذنب الموزع في أن يكون الفسوق ركناً أساسياً في بنية الشخص الذي يترجم له . على أن المسألة أهون من ذلك بكثير ؛ فإن كتاب ، القيمة ، ليس كتاباً يقرأ في العصر الحديث للتسلية كما تقرأ القصص أو الروايات أو كتب التسلية على العموم ، ولكنه ما يزال كتاباً يفتنه الباحثون في الأدب العربي وتاريخه . فهو كتاب للدرس وليس كتاباً للتسلية ، ومرجع للبحث لا يخشى منه ألبنة على أخلاق الباحثين (١) .

والمشكلة الثانية هي مشكلة الشعر والأدب الشامي بعامة ، فقد وقف الثعالبي موقف التحيز لبيئة الشام دون غيرها من البيئات ، بل ربما عقد مقارنة بينها وبين بيئة أخرى كالعراق ، فعنده أن ، شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، . وهو يلمل ذلك ، بقرينهم من خبط العرب ولا سيما أهل الحجاز

[ ١ ] المجلة - وكون الكتاب مما ألف قبل صدور الطباعة يشمر باطمئنان مؤلفه إلى أن ميدان تداوله يضيق عن الطبقات التي يخشى من انتشاره بينها .

وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق المجاورة للفرس والنبط ... ، ولم يقل الثعالبي - في الواقع - بنظرية جديدة ، فالشعراء الذين اختلطوا بالفرس منذ العصر الجاهلي قد ظهرت في أشعارهم آثار هذا الاختلاط . وقرب الشام من بطن الجزيرة يجعلها أقرب إلى فصاحة البداوة . ولكن هل طبق الثعالبي نظريته هذه في دراسته لشعراء الشام وشعراء العراق ؟ يبدو أنه كان قد نسىها ، وأصبح كل همه أن يحصى أكبر عدد ممكن من الأدباء والمتأديبين الشاميين . ولكننا نسجل هنا نتيجة خطيرة لهذا التمييز ، وهي أنه حاول أن يعد شاميا كل من وفد إلى الشام في رحلة وإن لم يكن شاميا . ورأينا أن رحلة قصيرة لعراق إلى الشام لا تجعل منه شاميا ، كما أن الذين ولدوا في الشام ورحلوا منذ الصغر وعاشوا بقية حياتهم في العراق مثلا لا يعدون شعراء شاميين وإن ولدوا في الشام . وهذا الأساس يخرج بعض الذين عدّهم الثعالبي شاميين . ويكتفينا أنه يفسب الفضل لشخص كالتقاضي الجرجاني مثلا إلى الشام ، فهي التي خرجته وأخرجته - كما يقول . ودارس الأدب العربي وتاريخه يعرف تماما أن بيئة الشام كانت فقيرة في الشعراء ، وكان الوافدون إليها من مشاهير الشعراء أكثر من المقيمين فيها . ومشكلة الشعر الشامي أكبر من أن نوجزها هنا في كلمات . ونرجو أن نوفق إلى عرضها مستقلة في مقال نال ، ولكن لا ننسى أن الفضل الأول في إثارتها يرجع إلى الثعالبي .

عز الدين إسماعيل

مدرس اللغة العربية بكلية الآداب

جامعة إبراهيم

### تصحيح

وقع في الجزء الماضي خطأ في آيتين صوابه كما يأتي :

ص ٥ سطر ٢٤ - ليجزى الله الصادقين .

ص ٧ سطر ١ - لا تخونوا الله والرسول .

## مِنْ مَفْكَ خِرْدِينِكَ الْخَالِدِ

أكثر المذاهب القديمة والحديثة قامت على الدماء والأشلاء ، وكل النظم التي سادت - وتسود اليوم - العالم قد ذهب ضحيتها ملايين البشر . . . أما الإسلام ، وأمره في قيامه وفي ذبوعه في العالم كله ، فعلى العكس من ذلك : يقول هانوتو :

« لما بعث الشرق من مرقد عاشر في الإسلام ، وانتصر بالإسلام ، ولا يزال يحيا اليوم وغداً في الإسلام . »

وأضيف إلى ذلك أن الإسلام إنما قام على السلام والحرية : حرية الدين ، وحرية التملك والكسب الحلال ، وحرية الطمأنينة على النفس والمال .

إن الإسلام رسالة إلهية ، لا مبدأ اخترعه بشر ؛ وهو رسالة الحرية والإخاء والمساواة والعدالة والإصلاح والمدنية ، إلى العالم كافة ، والبشرية بجميع طبقاتها . . .

ليس الإسلام ثورة طبقة على طبقة ، وصراع جماعة لهدم أخرى . . . ولم يكن قيامه وانتشاره إلا لما حواه من مبادئ القوة والحق والخير والجمال .

لقد جمع الإسلام إليه الأمة العربية من أذناها إلى أقصاها في أقل من ثلاثين سنة ، وتناول من بقية الأمم ما بين المحيط الغربي وجدران الصين في أقل من قرن واحد . وكان قيامه في الجزيرة العربية أثراً للدعوة إليه ، واقتناع العرب به ، إذ لم يفرضه محمد ﷺ على العرب بقوة السلاح ، ولا بتأييد من عصبية أو سلطان أو ثروة . ولم تكن حروب محمد ﷺ وخلفائه إلا دفاعاً عن حرية العقيدة التي كان الشرك والوثنية والاستبداد تريد القضاء عليها وعلى نور الله الذي انبثق من الصحراء بآخر رسالات الله وآخرها ، وكانت مبادئ الإسلام نفسها ، وروح العدالة المطلقة والمساواة والإخاء التي سادت المسلمين الأولين بإيمان قوى من دينهم ؛ هي السبب الأكبر في انتشار الإسلام بين الأمم ؛ وكانت حرية الأديان محرمة إلا في بلاد الإسلام . إن سرعة انتشار الإسلام وإقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة إنما كان لسهولة تعقله ، ويسر أحكامه ؛ وعدالة شريعته ؛ وبالجملة لأن فطر البشر تطلب ديناً ، وترتاد منه ما هو أفسس بمصالحها ، وأقرب إلى قلوبها ومشاعرها (١) .

ولا داعي للإفاضة في هذه الحقيقة التاريخية فانها معلومة مشهورة ، ولكنني أقصد من ذلك الرد على مفتريات المبشرين ودعائهم ، الذين يضللون عقول الجماهير ، ويقولون : إن الإسلام قام بالسيف ، وإن الجنود المحاربين هم الذين حملوه إلا جهات الدنيا . وهذا افتراء على الحقائق ما بعده من افتراء ، فدعوة الإسلام هي التي كانت تدعو إلى نفسها بنفسها ، والإسلام معناه السلام ، وهو حامى الحريات ، ومحرر الشعوب والجماعات ، والتاريخ الإسلامى شاهد صدق على أن مبادئه هي السر الأكبر في انتشاره ، وإن كان المسلمون حملوا السيف ليدافعوا به عن أنفسهم ، وليحموا العقيدة من عدوان المشركين والوثنيين ، ولم تهاجم الجيوش الإسلامية امبراطوريتى الروم والفرس إلا للقضاء على المناورات العسكرية الخفية التي كانت تريد أن تمهد للإطباق على الجزيرة العربية وأد الدين الجديد فيها .

إن كثيراً من المذاهب الحديثة والقديمة على السواء قامت على الثورة والحرب والكفاح وصراع الطبقات ، ولكن الإسلام لم يكن في حاجة إلى شيء من هذا ، والمسلمون الأولون كانوا دعاة خير وعدل وإنصاف ورحمة وبر وتعاون ، ولا شك في أنه لا سبيل إلى التوفيق بين مؤمن بحرية الفكر والعقيدة ، وكافرها لا يرحب مثله بمبادئ الخير والتسكاف والسلام ، بل يحق عليها ويغضها .

وإذا أردنا أن نوازن بين الإسلام والمذهب الشيوعى - مثلاً - في قيامهما ونشأتهما ، هالنا الفرق بين دين شعاره الإخاء والوحدة والأمان ، ومذهب يصططع العداء بين الناس ويعتمد على النفقات بين الطبقات ، ليشير الحتم والبغضاء في نفوس بنى البشر ؛ ويقول لهذا أنت غنى ولذا أنت فقير ، والغنى شر والفقر موت ، وليدفع الفقير إلى أن يقاتل بالسيف أخاه الغنى ليستحوز على ماله واثروته ، يدلك على ذلك التاريخ ؛ فقد بدأت الشيوعية في روسيا لأول مرة عام ١٨٨٣ حين شكل بليخانوف الجماعات الماركسية ، ومنها جماعة تحرير العمل التي تعتنق آراء ماركس وإنجلز الداعية إلى أن تسير الطبقة العاملة إلى أهدافها بالقوة والثورة ، وقد سبق ذلك صدور قانون تحرير رقيق الأرض عام ١٨٦١ في عهد القيصر إسكندر الثانى بتأثير كتابات المفكرين ودعوتهم إلى الإصلاح ، من أمثال تولستوى وجوركى وبوشكين .

وفي عام ١٨٩٨ نشأ حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى في روسيا داعياً إلى تعاليم

ماركس ، وفي ١٩٠١ قام الحزب الاشتراكي الثوري ، وفي عام ١٩٠٣ أنشأ لينين الحزب الشيوعي البولشفي ، ومن ذلك الحين ظهرت البولشفية مدرسة فكرية وحزبا سياسيا ينادى باستخدام القوة والعنف لخدمة أغراضه .. وخلال الحرب العالمية الأولى - وكانت روسيا تقاسى أهوال الحرب وويلاتها - أخذت الشيوعية تستخدم السخط العام لإثارة حرب الطبقات ، فقامت في أوائل مارس ١٩١٧ ثورات وحروب أهلية مدمرة بين الطبقات ، وفي منتصف مارس قبض الشيوعيون على القيصر نقولا الثاني ، وفي اليوم التالي أعلنوا الجمهورية ؛ وأخذوا بعد ذلك في ذبح الأغنياء ، واستصفاء أراضى كبار ملاك الأرض ، وتسليم المصانع والمناجم إلى العمال ؛ وقامت الديكتاتورية الشيوعية الطاغية في روسيا ، وأخذوا يسلبون الملاك أراضيتهم ومخاضيلهم ومتاجرهم ومصانيعهم باسم الثورة ، حتى المنازل في المدن ، ونفذوا مشاريعهم الاقتصادية بقوة السلاح والإرهاب ، وعاملوا طبقة الفلاحين الاثرياء الكولاك بدون شفقة أو رحمة . كما يقول المؤرخون الروسيون (١) ، فحكموا عليهم بالموت أو بالتشريد في سيبيريا وغيرها . وقامت المذابح الهائلة - باسم الإصلاح - في كل مكان مما انبعث عن فكرة آمن بها الشيوعيون إيمانا عميقاً ، ففكرة صراع الطبقات واستخدام القوة المسلحة للقضاء على خصومهم في الرأي ؛ ويصور هذه الفكرة زعماء الشيوعية الراديكاليون والسياسيون ، يقول ماركس وإنجلز : إن تاريخ كافة الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات (٢) ، ويقول ماركس : إن صراع الطبقات يقود بالضرورة إلى ديكتاتورية الطبقة العاملة التي هي وسيلة لالغاء جميع الطبقات (٣) ، ويقول أيضاً : إن تستطيع الطبقة العاملة التحرك ولا النهوض بنفسها ما لم تنسف جميع طبقات المجتمع المتركمة فوقها (٤) ، ويقول إنجلز : تقبض الطبقة العاملة على سلطة الدولة بدء القضاء على جميع طبقات المجتمع الأخرى .. ويؤمن ماركس بالثورة والانتقال الشامل كضرورة الإصلاح (٥) ، ويؤثر عن لينين : « من غير نظرية ثورية لن تكون حركة ثورية » (٦) ... ونظرية صراع الطبقات هي التي استخدمتها الشيوعية لتسلم الحكم في روسيا ، وهي نظرية لا يقرها عقل أو دين

(١) ٢٤ و ٢٥ الدستور السوفيتي لغزو محمد شبل - طبع القاهرة .

(٢) ٣٨ المرجع السابق . (٣) ص ٤٦ المرجع نفسه ، وصفحة ٧١ نقد النظرية الماركسية

لأحمد جبال الدين طبع القاهرة ١٩٤٨ (٤) ٤٧ الشيوعية . (٥) ٢٧ الدستور السوفيتي .

(٦) ٢٨ المرجع السابق .

ويحاربها الإسلام حرباً شعواء ، لأنها تفسد الأمن والسلام ، وتقضى على الإخاء الإنساني ، وتجعل بعض الناس أعداء بعض ، وتدعو إلى نهب بعضهم بعضاً ، وتولد الشحنة والحقد في المجتمع ، والنصوص على ذلك كثيرة من القرآن الكريم وكلام الرسول ؛ بل إن صراع الطبقات لم تؤم به أية جماعة في عصور الجاهلية الأولى ، ولا يدعو إليه اليوم إصلاح ، فهذا هو الإصلاح العام في الدول الديمقراطية يسير بتلك الأمم إلى المساواة والعدالة الاجتماعية دون وجود صراع طبقي ؛ على أن مصالح الجماعات الإنسانية لا تعارض بينها على الحقيقة ، وإنما بينها التعاون والانسجام ، والإسلام يوجب أن يعيش الفقراء والأغنياء بعضهم بجوار بعض إخوة متحابين ، وقد دعا إلى التعاون التام بين الطبقات .

ولقد أعلن المؤتمر الشيوعي الأول الذي عقد في موسكو في ٢ - ٧ مارس ١٩١٩ تأليف الدولية الشيوعية الثالثة ( السكومثرن ) لنشر الشيوعية في العالم . وتحويل العمال فيه إلى شيوعيين ، وإثارة الاضطرابات ، وإيجاد القلاقل في المحيط السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الدول ، تمهيداً لثورة الطبقة العاملة وسيادة الشيوعية بين الشعوب ، وقد ألغت روسيا الدولية الشيوعية في ٢٢ مايو ١٩٤٣ ، تقرباً إلى الحلفاء ، ولسكن الدولية الشيوعية الثالثة استعادت نشاطها الآن ، وهذا ما يبدو بعد إنشاء مكتب الاستعلامات الشيوعي ( السكومينفورم ) في أكتوبر ١٩٤٧ ؛ وآثار ذلك واضحة في إثارة الطبقات في الشرق والغرب .

يقول كرافتشنكو مؤلف كتاب « آثرت الحرية » : إن موسكو وإن تظاهرت بحل الدولية الشيوعية لا تزال توجه الحركات الشيوعية في جميع أنحاء العالم ، ولم يكن ذلك إلا حركة بارعة من حركات الدعاية إبّان الحرب لكسب مساعدة الدول الغربية . وكان يطلب إلينا أن نقوى إيماننا بالمبادئ الشيوعية واعتقادنا بأن هذه الحركات السياسية كانت خطة مدبرة ، وسياسية مرسومة وضعت لإحراز النصر النهائي <sup>(١)</sup> .

وكتاب « مشاكل اللينينية » ، ظل المرشد الأعلى في شئون المبادئ والأفكار الشيوعية ولا يترك هذا الكتاب أثراً للشك في اعتقاد ستالين ، مؤلفه ، في أن من حق الكتلة العاملة المظفرة - الكتلة الشرقية - بل من واجبها المقدس أن تستخدم القوة في إشعال نار الثورة

في البلاد الأجنبية إذا ما لاحت الفرصة لإشغالها ، وأن تستخدم القوة العسكرية إذا لزم الأمر ضد الطبقات المستقلة والدول التي تناصرها .

وحكم العقل والاديان عامة والإسلام خاصة على مبادئ ونظرية صراع الطبقات واستخدام القوة الثورية لإرهاب الشعوب المسالمة ، لا يخفى على إنسان .

إن الشيوعية لم تكن لتقوم لها قائمة في بلادها لولا هذه المجازر الهائلة وعدد الضحايا الضخم لها في بلادها ولولا سجون الاعتقال والثقي إلى مجاهل سيريا والبطش بخصوصها في الرأي والتنكيل بمعارضها في الفكرة ، ثم لولا الدعاية والأموال الضخمة التي تبذل لفشرها .

أما الإسلام فلا يمكن أن يشك عقل في أنه إنما قام على السلام والمحبة والرحمة والخير والتعاون بين الناس ، وعلى الصدق في المبادئ ، والإقناع بالحجة ، وسمو مبادئ الدعوة وأهدافها ، واتجاه هذه الرسالة الإلهية إلى غرس بذور الوئام والوحدة بين جميع الأمم والشعوب ، وعملها لنشر الرفاهية والسعادة بين بني البشر كافة .

**محمد عبد المنعم خفاجي**

المدرس في كلية اللغة العربية

## أصاب الشيخ وأخطأت أنا

مر أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بالمدينة - وهو يريد مكة - فأقام بها أياماً فقال : هل بالمدينة أحد أدرك أحداً من أصحاب النبي ﷺ ؟ قالوا له : أبو حازم . فأرسل إليه ، فلما دخل عليه قال : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين وأى جفاء رأيت مني ؟ قال : أنا في وجوه أهل المدينة ولم تأتني قال : يا أمير المؤمنين أعينك بالله أن تقول ما لم يكن . ما عرفني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك . فالتفت أمير المؤمنين إلى محمد بن شهاب الزهري فقال :

— أصاب الشيخ ، وأخطأت أنا .

## سالم بن معقل ...

هذه صورة من الصور اللامعة في ذهني ، المائلة في خاطري ، المتمكنة في نفسي ،  
المائلة لجوانب قلبي ، المسالكة منى موضع الإعجاب والإكبار .

لا لأنه من هؤلاء الذين كان لهم دين وورع ، وفقه وعلم ، وأدب وخلق ، وتقوى  
وعبادة ، وسلوك محمود ، وتقان في طاعة المولى جل جلاله .

فربما كانت هذه كلها صفات كثير من صحابة رسول الله ﷺ . ولكن لأنه كان إلى  
جانب ذلك كله المخلوق الوحيد الذي استحق من عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - تلك  
الشهادة بالفضل ، والتنويه بالمزية ، والاعتراف بأنه لم يكن كغيره من الناس الذين يزيد  
بهم العدد ، ويكمل الحساب ، أو تزحزح بهم الأرقام من درجة الآحاد والعشرات إلى  
سواها من الدرجات والمنازل ، ثم لم تعد أن تكون أعداداً وكفى .

وعمر لم يكن من أولئك الذين يرمون بالكلام على عواهنه في تقدير الأشخاص ، والحكم  
على قيم العظماء ، ولا سيما إذا أضيف إلى هذا أنه مر بخياله في لحظة تذهل فيها العقول ،  
وتفضل الأفكار ، وتختل معايير الحق الابلج ، والصواب المحض ، لأن المؤرخين بمجموع  
على أن أمير المؤمنين عمر سأل سائل - والدم ينزف منه بسبب طعنة اللعين أئى لؤلؤة  
المجوسى - أن يجعل ولاية العهد لابنه عبد الله ، فأبى الإباء الذى ليس قبله ولا بعده ، وقال  
« بحسب آل الخطاب أن يتحمل أوزار أمة محمد واحد منهم » . فلما ألحف الملحفون  
في هذه الرجاءة ، وألحوا أن يستجيب لهم تلك الرغبة ، أشار عليهم أن ينتخبوا الخليفة  
من ذلك النفر الذين مات النبى الامين ﷺ وهو راض عنهم ، وعينهم بأسمائهم  
واحداً واحداً .

ولم يلبث أن قال « ولو كان سالم حياً ما جعلناها شورى » ، يقصد أنه لم يكن أمثل لها منه ،  
ولا أجدر بها سواه .



وما كان إنسان يحجل في هذه الآونة من هو سالم الذى يعنيه الخليفة الثانى ، ولا كان هنالك من ينكر عليه هذا الثناء لأنهم يعرفون من شأنه ما يحمله قينا بما هو أبعد من هذا المديح المستطاب ، والإطراء الخالص .

والنقريظ إذا أهدى إلى الأحرار المالكين ، قد لا تنسكه الأذواق ، ولا تأباه الطبائع ولا تنفر منه النفوس ، أو تعلق به الرب والظنون ، أما أن يخلع على الموالى ، ويضفى ثوبه على المملوكين ، فهذا هو الذى يلفت النظر ، ويسترعى الاهتمام ، لأن الشأن فى المستعبد الرقيق أن تقعد به همته ، وتضعف به غايته ، ولا يتطاول طمرحه إلى أن يكون أكثر من خادم ينزل على أمر سيده لا أزيد ولا أنقص . . . ولكن حديث هذا الإنسان كان أعجب ، لأن الإسلام صنع منه شيمة عالية ، وأودع فى قلبه آمالا سامية ، وسوى من نفسه الكبيرة صورة تروع ، وذكرى تضوع ، وتاريخاً يتحدى التاريخ ، ويتطاول على الأيام والسنين . . . ومن الغريب أن ولاءه لأبى حذيفة كان ( ولاء موالاة ) حمل عليه الود الصميم ، والحب الأكيد ، والاستجابة الوثيقة لداعى البر والمعروف . . . وهو فى بادىء الأمر كان منه بمنزلة السيد لأنه عبد زوجته التى أعتقته سائبة لوجه الله الذى فطر السموات والأرض .

وفى الحق أن هذا المحدث الجليل مدين فى نباهة ذكره والكشف عن مستور الخير فيه ، للسيدة عائشة التى يروى الرواة أنها تأخرت عن النبى ﷺ خارج البيت فسألها فى ذلك فقالت والله لقد حبسنى عنك يا رسول الله قارئ للقرآن كأنما يصبه فى الآذان ، ويفرغه فى القلوب ، وينير البصائر ، ويفتح به الأفق ، ويزيل الحجب والاسداف ، وذكرت من الثناء عليه ، والمديح فيه ، ما أغراه برؤيته ، والاستماع إليه ، فلما وقف على الحقيقة دفعه سروره إلى هذا القول ، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك ، ، وذهبت هذه الكلمة ندوى فى المجتمعات والأندية ، وأخذ أهل النظر والرأى يلمفتون إلى سالم على أنه رجل يمتاز بموهبة كريمة ، ومنقبة عظيمة ، وفضل يتسامى به إلى صفوف الخواص . . وبخاصة حين تناقل المتأفقون : « خذوا القرآن عن أربعة : عن ابن أم عبد ، وعن أبى بن كعب ، وعن سالم مولى أبى حذيفة ، وعن معاذ بن جبل » .

ولم يكن هذا الولاء - فقط - مظهر حرص أبى حذيفة على أن تصل الأسباب ما بينه

وبين عتيق زوجته حتى ربط وشانجه بفاطمة ابنة أخيه الوليد بن عتبة ، ثم لم يكتف بذلك بل تبناه على العادة المألوفة - حينئذ - وكأنما أراد بهذا النبي أن يقيح لنفسه فرصة إشباع نهمه إلى التقرب منه ، والاجتماع معه ، والعطف عليه ، والتقى من وجهه ، ولا يزال يروى ظمأ بهذه العرى التي تضم قلوبهما إلى أن نزلت الآية : ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم . . . ويقول ابن المبارك : إن سالما كان يحمل لواء المهاجرين ويصلي بهم ، ويصلي وراءه أبو بكر وعمر . .

وفي موقعة اليمامة كان يقندر مع المسلمين بقوله : بش حامل القرآن أنا إن فررت ، ولم يعم بعدها أن قطعت يمينه فأخذ اللواء بيساره فقطعت كذلك ، وهناك حارل أن يأخذه فأحى جسمه كله عايه وعض فيه بأسنانه ، ولكن القدر كان حريصا على أن يطوى الكتاب ، ويطمس السطور ، ويمحو المعالم . . وأحس سالم أنه يلفظ الانقاس الأخيرة ، فأخذ يذكر مولاه أبا حذيفة ، وكان هو الآخر يجاهد في تلك المعركة ، ولما أخبروه أنه لقي مصرعه ، قال : أضجعوني معه . . وفي بعض الروايات أنهما وجدا هكذا بمحض المصادفة . . وسواء صح هذا أو ذاك ، فإن ذلك مظهر تعاقب الأرواح ، وتلاقى النفوس ، وارتباط القلوب ، وحب كل منهما للآخر ...

والذي تساعده الظروف على أن يستوعب رأى الكاتبين في هذه الشخصية الكبيرة وغيرها من أولئك الذين يعتز بهم الإسلام يدرك إلى أي حد كانوا يؤمنون بالله ورسوله ، ويهيئون للدعوة إلى الإسلام أرواحهم ونفوسهم وأموالهم . وأنهم كانوا لا يبالون إلا برضا الله سبحانه . . وأنهم ما انتصروا في المواقع ، وثبتوا للمحن ، وصمدوا للحوادث ، وأرخصوا دماهم الغالية ، لنديا يطلبونها ، أو عرض يرجونه ، أو جاء يبتغون أن يصلوا إليه . . ولكنهم بذلوا ما بذلوا حتى لا تكون فتنة . . . ويكون الدين كله لله ، ولهذا كان رصيدهم من العقيدة القوية ، والإيمان النقي ، ينفخ فيهم من معاني الشجاعة والاستبسال ، والفوز والنصر ، ما جعلهم أهلا للثناء والتقدير ، ونطق القرآن بأنهم على قلوبهم خير ألف مرة من سواهم على كثرته . . . وكان الشرف كل الشرف عندهم أن يحسب أحدهم من المجاهدين الذين شهدوا الغزوات ، وحضروا الحروب ، وجاهدوا لإعلاء كلمة رب العالمين ، بصرف النظر عن الرق والحربة ، والغنى والفقر . . . وقد عرفنا من أخبارهم المأثورة ، وأنبيائهم

المشهوره إذا أرادوا أن يبالغوا في الثناء على إنسان بالفضل ، والوصف له بالتسكن عنده جل جلاله ، أن يقولوا إنه من أهل بدر ...

والمقياس الصحيح لأن يتبوأ الرجل منهم مكان الصدارة ، ما يقدمه لإسلامه من تركيز ، وللناس من معروف ، وللحياة من نفع ، من غير النفات إلى الفقر والغنى ، والحسب والنسب ... وفي سالم ابن محقل مولى أبي حذيفة الدليل الواضح على صدق تلك الدعوى .. لأنه لم يمتد به الزمن حتى يتصل به الرواة فيحفظوا عنه الآلاف والمئات . فضلا عن أنه ليس من الذين انقطعوا للتلق عن النبي - هداانا الله بهديه - بحيث يضاف إلى المكثرين من الجمع ، المشتغلين بالنقل ، وإنما كان ما تميز به أنه من المؤمنين بالإسلام ، ومن المكافئين ، المجاهدين جهاداً لا يعرف الوفاء والسكسل ... ولم يكن عمر بن الخطاب بعد ما أصيب الإسلام في مقتله هذه الإصابة بضرب ذلك المجري له مبالغاً إذ يقول : « ولو كان سالم حياً ما جعلناها شورى ، ، لأن الأمة يومئذ كانت بحاجة إلى الجنود والبنود ، والسيف والقوة ، والإيمان والعقيدة ، والإخلاص للكتاب ، والذود عن الشريعة ، أضاف حاجتها إلى العلماء الاعلام ، والفلاسفة العظام .

ابراهيم على أبو الخشب  
المدرس بكلية الشريعة

### رسول الله صلى الله عليه وسلم يربى أصحابه

كان صلى الله عليه وسلم في سفر فأمر بذبح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله على ذبحها ، ووقال آخر : على سلخها ، وقال ثالث : على طبخها ، فقال ﷺ : « وعلى جمع الخطب ، ، قالوا : يا رسول الله نحن نكفيك ذلك . فقال : قد علمتُ ، ولكنى أكره أن أتميز عليكم ، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه ، ، وقام فجمع الخطب .

# الدعوة لتحديد النسل

هدم لكيان الأمة ، وجريمة في حقها

## حديث فضيلة الاستاذ الاكبر

قال مندوب مصرى ، لفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر : كان لا بد للقراء أن يقفوا على رأيكم في مشكلة تحديد النسل ، وهى مشكلة الساعة ، وحديث الناس في محافلهم ومجالسهم .  
فقال فضيلته :

إن التفكير في تحديد النسل لأفراد الأمة كلها أمر لا يجيزه الدين بحال ، ولا ترصاه الشريعة الاسلامية السمحة وإلى جوار ذلك فإنه عمل لا يمكن تحقيقه بقانون عام يطبق على جميع الأفراد .

ومضى فضيلته يقول : وفيه هذا الهلع من كثرة النسل ، ونحن في هذه الحياة قد تكفل المولى جل شأنه بأرزاقنا إذ يقول : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين .  
ويقول جل شأنه : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم .

### النيل

ثم قال فضيلته : وهذا الكلام - أعنى الاتجاه إلى تحديد النسل - لا يقال في هذا البلد الذى وهبه الله النيل ليحيل صحراؤه إلى نعيم ، وأرضه إلى ثروات ، وتسامل فضيلته قائلا : هلا حاول الذين ينادون بتحديد النسل - قبل مناداتهم بهذه الدعوة - البحث عن وسيلة فعالة تحقق للبلاذ الانتفاع بمياه النيل التى تذهب إلى البحر سدى أيام الفيضان ، والانتفاع بهذه المياه لا شك يساعد على الهوض باقتصاديات البلاد وإنتاجها ويساعد على قيام عديد من المشروعات النافعة الهامة . هلا فكروا في شيء من هذا لإبداء الآراء النافعة للهوض بموارد البلاد .

### مشكلة الأيدى العاملة

وماذا يمكن أن يجدى تحديد النسل على الجميع غير الضيق ونقص الأيدى العاملة

المنتجة ؟ إننا نرى الرجال في الريف يفرحون بكثرة الأبناء لأنهم يساعدونهم في أعمالهم الزراعية ، ويضاعفون إنتاج آباتهم ، فكيف إذن يحد نسل هؤلاء . . . إن لدينا مساحات واسعة يمكن تعميرها ، والمشكلة مشكلة الأيدي العاملة لا كثرتها .

### تقسيم صوري :

أما قلة الدخل وكثرته الذي تجعله الهيئة الصحية العالمية مقياسا لتقسيم الأمم إلى متأخرة ومتوسطة ومتقدمة ففي نظري يكاد يكون تقسيما صوريا لا غير ، ذلك أننا إذا قسمنا متوسط الدخل في مصر وهو ٣٠ جنيا تقريبا للفرد في العام بمتوسط دخل الطبقة الأولى وهو مائتا جنيه في العام كما هو الحال في أمريكا وبعض ممالك أوروبا ، فإننا نجد النسبة محفوظة . لأن الحالة المعيشية في مصر أرخص جملة مرات من الحياة في أمريكا أو أوروبا ، والفرد الذي يعيش في مصر بثلاثين جنيا في العام لا يستطيع أن يعيش بمائتين أو ثلاثمائة في أمريكا وأوروبا . أفما كان من الواجب مراعاة رخص الحياة أو إغلائها في مثل هذا الإحصاء ؟

### أصحاب الضرورة :

وتحدث فضيلته عن أصحاب الضرورة والحالات الخاصة فقال : أما أصحاب الضرورات كالمرضى مثلا فإن هذه الضرورة تقدر بقدرها . وفي غير حالات المرض من الزوجين لا يجوز تحديد النسل في حالات فردية خوفا من الفقر ، وقد كان العزل جائزا في أول الإسلام ثم نهى رسول الله ﷺ عنه بقوله : « إن العزل هو الوأد الحفي » .

وذمب ابن حزم إلى أن العزل قد نسخ بهذا الحديث الشريف ، ولا يباح إلا لضرورة المرض .

### الامة الناهضة :

وأكد فضيلته المعنى بقوله : لسنا أمة ناهضة ؟

ألسنا في حاجة إلى إعداد جيشنا لإعدادا يتفق ومقتضيات العهد الجديد ؟ وهذا لا يتأتى إلا عن طريق أبناء الامة وإكثار عددهم ؟

### هدم لسكيان الامة :

وختم فضيلته الحديث بقوله : إن دعوة تحديد النسل هدم لسكيان الامة ، وجريمة في حقها .

## خرافة الميتافيزيقا

خرافة الميتافيزيقا كتاب ألفه الأستاذ زكى نجيب محمود أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة . والميتافيزيقا التى جعلها خرافة هى علم ما بعد الطبيعة ، أو علم الإلهيات من الفلسفة .

والاستاذ زكى نجيب كان مترجما أولا ، فقد ترجم كتباً لافلاطون ، ثم اشتغل بالتأليف فألف المنطق الوضعى وكتاب خرافة الميتافيزيقا هذا الذى نريد تعريف القراء به وبيان منزلته . وهو وإن كان تأليفاً ولكنه نقل فصولاً بأكملها عن بعض فلاسفة أوربة مثل كانت وكارناب وبرتراند رسل .

ولقد قسا المؤلف فى كتابه هذا على الفلاسفة المتقدمين ، وهزى بهم وسخر من عقولهم وجعل قضاياهم فى الميتافيزيقا قضايا فارغة ، خالية من المعنى . وقد استعان المؤلف على تأييد نظرياته بأراء بعض الفلاسفة الاوربيين . أو قل إن الآراء لهم ، وقد أخذها وشرحها ثم أتى بأفوالهم بعد ذلك لتسكون جملة واضحة بعد ما قدمه من بيان

وإنى أريد هنا أن أدل القراء على تهافت الكتاب وتناقضه وفساده ، وأنبه المؤلف إلى أن آراء الفلاسفة من الاوربيين ليست كلها صواباً يؤمن بها المرء بدون بحث ولا ترو ، بل إن منها ما هو مهمل ومتداع لا يصبر على النقد ولا يقوى على التحيص . وأريد أخيراً أن أحافظ على تراث العقل البشرى وأبين ثباته ورسوخه وأنه أقوى من أن يذهب به نقد أو يزعه تجربه .

وأول ما أبدأ به : كلامه فى التناقض والنقيضين ، فهو يرى أن قول المناطقة المتقدمين « النقيضان لا يجتمعان » ليست قضية عقلية يلزمنا بها العقل ، وإنما هى مواضعة واصطلاح ، فقد تواضع الناس على أن النقيضين لا يجتمعان فكان ما تواضعوا عليه وجرى استدلالهم واستنتاجهم ومحاورتهم على هذا الاصطلاح ولو اصطلمحوا على أن النقيضين يجتمعان لاستقام لهم ذلك ولجرى استدلالهم وبحثهم . ونحن نسرق من كلامه ومن كلام الفلاسفة الاوربيين الذين ترجم لهم واستشهد بكلامهم ما هو صريح فى ذلك أو نص فيه ، ثم نسكر عليه ، بالنقض والإبطال .

قال في ص ٢١٢ — : لكن إذا كان صدق العبارة معناه مطابقتها للشيء الخارجى أو للواقعة الخارجية ، فإذا نقول فى صدق قواعد المنطق نفسها مع أن هذه القواعد صدقها ضرورى يستحيل عليه الخطأ ؟ خذ مثلا قاعدة « إن القيصين لا يجتمعان » ، فلا يجوز قبول عبارة كهذه « س ولاس » — هذه قاعدة « صادقة » بالضرورة ، فما معنى « صادقة » هنا ، مع أنه ليس هناك فى عالم الاشياء ما نرجع إليه لنطبق بينه وبين قولنا إن « س ولاس » لا يجتمعان ؟ .

هنا يقول « كارناب » ، إن قواعد المنطق صادقة بمعنى أننا اتفقنا عليها ، حين اتفقنا على رموز اللغة ، وطريقة استخدامها ، فقواعد المنطق مختارة منا اتفاقا ، وصدقها اتفاق ، كأن يتفق اثنان مثلا على أن يتفاهما برمز معين مثل هذا الرمز « — » ، على أنه يعنى عدم وجود الشيء الذى يحىء هذا الرمز سابقا لاسمه فإن قال أحدهما « — س » ، فهم الآخر أن س غير موجود فإذا وجدا بعد ذلك أن الرمز « — » يدل دائما على معنى معين لما جاز لهما أن يعجبا لأن دوام معناه ودوام صدقه هو نتيجة اتفاقهما ، وقد كان فى استطاعتهما أن يتفقا على خلاف ذلك ، كأن يتفقا — مثلا — على أن الرمز نفسه دال على وجود الشيء الذى يحىء الرمز سابقا لاسمه ، فقولنا عن العبارتين الآتيتين « نابليون ولد فى كورسكا » و « نابليون لم يولد فى كورسكا » ، إنهما جملتان متناقضتان أى أن الواحدة منهما تنفى الأخرى منطقيا معناه أننا اصطلاحنا بحكم القواعد التى تواضعنا عليها فى اللغة واستعمالها على أن كلمة النفي « لم » ، إذا وجدت فى جملة كان معناها أن الجملة تصبح متناقضة مع نفس الجملة إذا خلت منها بحيث يستحيل صدقهما معا أو كذبهما معا .

ولقد تدرى الأستاذ « آبر » ، لهذه النقطة فشرحا شرحا واضحا نلخصه فيما يلى :

إن مما أدته الحركة التحليلية فى الفلسفة خلال الخمسين السنة الأخيرة هو أنها أزالَت الإشكال الذى كان يظن أنه ملازم لقضايا المنطق الصورى والرياضة البحتة ، إذ كان الرأى بجمما على أن هذه القضايا صادقة بالضرورة ، لكن نشأت الصعوبة حين أرادوا معرفة كيف أتبع للإنسان أن يعلم أنها صادقة بالضرورة : لماذا يكون العالم منطقيا ؟ كيف أتبع لنا أن نوقن بأن قوانين المنطق لن تخالف الواقع ؟ — الجواب هو أنه لا معنى لقولنا إن العالم منطقى أو غير منطقى إذ الشيء الوحيد الذى يمكن أن يوصف بكونه منطقيا أو غير

منطقي استدلال عبارة من عبارة أخرى ، والاستدلال المنطقي هو ما نجريه وفق قوانين المنطق ، وقوانين المنطق هي قواعد وضعناها لإجراء مثل هذا الاستدلال .

إن قوانين المنطق يستحيل أن تتعارض مع الواقع لأنها في ذاتها لا تقول شيئا عن الواقع ، إنما بتطبيقنا لقوانين المنطق نستطيع أن نشق عبارة صحيحة من عبارة أخرى صحيحة لأن ذلك موكل إلى الخبرة وحدها ، كل ما يستطيع المنطق أن يقوله هو أنه إذا صدقت عبارة — أو مجموعة عبارات — وصفية فلا بد أن تصدق كذلك عبارة وصفية أخرى هي كذا وكذا ، لكن لما إذا نلزم أنفسنا اشتقاق العبارة الثانية من العبارة الأولى ؟ الجواب هو أننا إذا سلمنا بالعبارة الأولى الصحيحة ، ورفضنا أن نسلم بالعبارة التي تلزم عنها ، فإننا نكون بمثابة من يناقض نفسه .

والسؤال الآن هو : ولما إذا ينبغي لنا أن نجتنب مناقضة أنفسنا ؟ أليس ذلك لأن العالم مكون على نحو يستحيل معه أن يصدق التقيضان معا ؟ وإذا كان أمر العالم كذلك ، فهو إذن عالم يجري على اتفاق مع قوانين المنطق ، لكن الجواب على هذا كله هو أنه ليس ثمة ما يلزمنا بالألا تقبل التناقض ، إنما هو اتفاق بيننا نشأ عن اتفاقنا على طريقة معينة نستخدم بها لغة التفاهم ؛ إنما اتفقنا على أن يكون لأداة النفي دلا ، معنى معين ، بحيث إذا قلنا عبارة كهذه ( ق ولاق ) جاءت بغير معنى أى لم نجد لها مدلولاً في عالم الأشياء ، وليس ذلك لأن في طابعة العالم نفسه ما يأتى بذلك بل لأننا نحن الذين صممنا لغتنا على نحو يجعل ضم القضية إلى نقيضها لا يفيد وصفاً لشيء .

إن قولنا إن عدم اجتماع النقيضين ، قانون من قوانين المنطق ، مساو لقولنا إنما اتفقنا على استخدام معين لأداة النفي ، وكان يجوز لنا أن نبني نسقاً منطقياً آخر يخرج على هذا القانون — قانون عدم اجتماع النقيضين — إذ يجوز لنا مثلاً أن نبدأ بنامنا المنطقي الجديد باشرطاً صدق « ق ولاق » . ثم نأخذ في استدلال النتائج من هذا الاشرط الأول ، وعندئذ يكون اجتماع النقيضين هو الصحيح ، وهو الذى نرتب على صدقه صدق القضايا التي تستدل منه ، وإذا بدا هذا القول مشكلاً غريباً فلأننا نظن أن علامة النفي ستظل في البناء المنطقي الجديد المقترح ، محتفظة بمعناها الحالى مع أنه واضح طبعاً أننا لو أبقينا لها معناها الحالى الذى يجعل عدم اجتماع النقيضين صحيحاً ، استحالة أن يكون اجتماع النقيضين صحيحاً أيضاً . ( اه من ص ٢٢٢ وما بعدها ) .



ونحن نرى ، والعقلاء يرون معنا ، أن النقيضين لا يجتمعان ، قضية عقلية يقضى بها بالعقل في كل زمان وفي كل مكان ، وهى من القضايا الازلية التى كانت كذلك في القدم ، وهى من القضايا الباقية التى ستبقى كذلك إلى آخر الزمن ، تزول الجبال ولا تزول ، بل تزول الأرض والسموات ولا تتحمل ولا تزول ، بل هى أبقي على الدهر من الدهر ، وليست مرتبهة باصطلاح مصطلحين ، ولا تواضع متواضعين ، وهى مركوزة في العقول وراسخة في الفطر . تقول لابتك الصغير : اشتريت لك حصانا ، ثم تقول لم أشرته ، فيحاجك ويقول : ألم تقل لابتك اشتريته ؟ وما ذلك منه إلا لإيمانه بأن النقيضين لا يجتمعان ، وتقول لك خادمك الذى لم تبلغ رتبة في التفكير : فلان لم يأخذ كذا ، ثم تقول : إنه أخذه ، فتقول لها : ألم تقولى إنه لم يأخذه ؟ فتبت ، وربما تقول : لم يأخذه صباحا ، وقد أخذه في المساء . فتحل التناقض باختلاف الزمن ، وكأها تعلم أن من شرط التناقض الاتحاد في الزمن . وكيف يمكن أن يجتمع النقيضان ؟ هل يمكن أن يصدق : سقراط إنسان ، سقراط ليس بإنسان ، أو هذا حجر وهذا ليس بحجر ، والاسكندر وجد ولم يوجد . هذا محال في العقل وباطل في الفكر ، ومن عجب أن الاستاذ أير لما قرر : أننا لو تواضعنا على أن النقيضين يجتمعان لاجتماعهما ولاستقام ذلك ، أحس بحرج موقفه وتهاافت قوله ، فأراد التخلص ، فقال : كأنك تظن أن حرف النفي سيقى له معناه في اصطلاحنا الجديد ، إنه سينسلخ عن معناه وسيكون معناه معنى آخر يمكن أن يجتمع مع الإثبات ، كأنما يظن أن التناقض إنما هو بين الالفاظ مجردة من معانيها ، والواقع أنه لا تناقض بين الالفاظ دون نظر إلى معانيها ، ولا يتحقق التناقض إلا في المعنى ، ولذلك قالوا في تعريفه : التناقض اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يلزم لذاته من صدق إحدهما كذب الأخرى ، وبالعكس . فالتناقض إنما يكون بين إثبات ونفى ؛ فإذا أجردت أداة النفي من معناها لم يكن تناقض فلا يصح قوله : إننا نجرد أداة النفي من معناها ، ويصح إذن قولنا النقيضان يجتمعان لأننا نقول له لهما إذن ليسا نقيضين .

ونكتفي الآن بهذا القدر وسنعرض في المقال الآتى إن شاء الله للخيال الذى لاح وأخطأهم التعبير عنه .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

## تصويب لغوي

في عدد رمضان من مجلة الأزهر طلع علينا كاتب أديب بتصويبات لغوية ، والكاتب عضو بالمجمع اللغوي ، وهو أديب وعالم معروف ، ولهذا كان لسلامه شأن ، فكان الوفاء بحق العلم واللغة يقتضينا أن نبادر بالنعقيب عليه ، حتى لا يلتبس الحق ، ولا يضيع الصواب .

### (١) خطي\* وخطي\* :

و تقول كتب اللغة : أخطأ فلان ، جاوز الصواب ، والخطأ ضد الإصابة ، رباعى اسم الفاعل منه خطي\* ، وتقول كتب اللغة : خطي\* الرجل يخطي\* ( هكذا ) من الخطيئة والذنب ، ثلاثي اسم الفاعل منه خطي\* في معنى مذهب مسي\* .

هذا ما دونه الكاتب تحت هذا العنوان ، ثم عقب ذلك بأن بعض السكاكين يخفون ، فيضعون الخطي\* موضع الخطي\* ، وذكر حادثا وقع في البرلمان وهو نائب ، ذلك أن بعض الخطباء قال : لقد كان هذا الحديث خاطئا ، فصصح بعض الوزراء كلامه ، ورده إلى الصواب . وقد عراني غير قليل من الحيرة حين قرأت هذا التصويب ، ذلك أني أعرف مكانة الكاتب من العلم والادب ، وأعرف أن كتب اللغة التي نقل عنها لا تقرر هذا التخصيص لكلمة (خطي\*) ووثب إلى ذهني عند أول وهلة هذا المثل العربي المشهور : مع الخواطي\* سهم صائب ، .

وهأنذا أنقل إلى القراء ما ورد في بعض كتب اللغة .

١ — جاء في القاموس المحيط : الخطء والخطأ والخطباء ضد الصواب ، وقد أخطأ أخطاء وخطئة ، وتخطأ وخطي\* .

٢ — وزاد صاحب تاج العروس : قال أبو عبيد : خطي\* وأخطأ لغتان بمعنى واحد وأنشد لاسرى القيس :

يا لهف هند إذ خيطن كاهلا القائلين الملك الحلا حلا  
أى أخطأت الخيل بنى كاهل ، وأوقعنى بنى كنانة .

٣ — ذكر هذا الكلام السابق في لسان العرب ، وزيد فيه عن أبي زيد : خطأ عنك السوء أى أخطأك البلاء ، وفيه : خطي\* السهم وأخطأ لغتان .

وأما المثل : مع الخواطي\* سهم صائب ، فقد قال التاج : يضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحيانا ، وقال أبو عبيدة : يضرب للبخیل يعطى أحيانا .

ويظهر أن أول من نبه على أن بين الفعلين فرقا ، الحريرى فى (درة الغواص ) وقد تعقبه الخفاجى فى شرحه على الدرّة ، فذكر أن الفرقة رويت عن ابن قتيبة كما جاء عن ابن برى ولكن ابن برى روى اتفاق خطيء وأخطأ فى المعنى ، ثم جاء هذا النص القاطع : وكذلك جمهور الرواة المفرقين بينهما عقبوا التفرقة برواية التسوية .

أظن أنه لا شبهة بعد كل ما تقدم فى أن خطيء يأتى بمعنى أخطأ ، وأن خاطيء يقع مكان مخطيء ، كلاهما يقال لمن لم يصب شائكة الأمر ووجه الصواب .  
أمسية :

د يكثر بمض الكتاب أن يقول هذه المقالة - على التثنية - خرجنا للتريض فكانت لنا هناك أمسية طيبة . وجرى كيت وكيت .

د أما القارىء فما أكثر حيرته فى كلمة «أمسية» ، هذه ، فى مثل هذا المقال ، إذ كان مغزاها أنهم خرجوا فى يومهم فكان لهم فى أمسيته أو أمسه شأن رقيق ، فما هذا الشأن ؟ وما ذلك الأمر الذى لم يقع فى يومك وإنما جرى فى أمسيته ؟؟؟ وسالفه ١١١ وإنما أمسية يومك هى اليوم الذى قبله ١١١ .

وإنما نقلت عبارات الكتاب بنصها ، مع ما صاحبها من علامات الاستفهام وعلامات التجنب لارى القارىء الحائر هذه الصورة مرة أخرى ، فلعل حيرته تزول حين يلقى النظرة العابرة فيعرف أنه لا داعى للحيرة ، فالكتاب ذكر أولا العبارة التى مثل بها ، فلم يكن فيها أمسية يوم بعينه وإنما كانت (أمسية طيبة) ثم أنكر أن يقع فى يومك ما جرى فى أمسيته ، وإنما أمسية يومك هى اليوم الذى قبله .

فالعبرة - إذن سليمة ، لأن «أمسية» حين خلت من الإضافة كان إطلاقها صحيحاً إذ أريد بها المساء وليس فيها ما يدعو إلى إنكار ، إذ لم يقل القائل . خرجنا فى يوم الخميس فكان لنا فى أمسيته ساعات طيبة ، وإنما قال : كانت لنا أمسية طيبة ، التى هى أمسية يوم الجمعة - مثلا - والامسية تقابل الاصبوحة كما جاء فى اللسان .

ولم يذكر الكتاب أنه لا بد من إضافة (أمسية) . وما دام الأمر كذلك فإطلاق الامسية على المساء لا غبار عليه ، وحين تقيد الامسية بـ «بعينه» ينظر فى صحة التعبير فقد جاءتها الحرية بخير كثير .

على العمادى

المدرس بمعهد القاهرة

## العزة في القرآن الكريم

ما أكثر الذين تغنوا من آباءنا وأجدادنا بالعزة القعساء والمجد الأثيم . وما أكثر الذين يتحدثون عن العزة في الحاضر صادقين أو كاذبين ، عازمين أو حالمين ؛ وما أكثر الذين سيتحدثون عن العزة في المستقبل القريب أو البعيد ، يصفون أمرها ، أو يتدبون حظها ، أو يحرضون عليها . وإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وللعزة فيه حديث يجب أن يقال وأن يسمع وأن ينتفع به ، ولكنه يحسن بنا قبل أن ندخل روضة القرآن الأريضة لنقطف منها الطاقة الريحانية التي تصور لنا العزة الحقيقية ، أن نعرف ما هي العزة ، فإن الناس قد أسرفوا عليها متطفلين ، وبعضهم قد أسرفوا فيها متعجرفين ، وليست ادعاء عريضا ، كما أنها ليست كبرا سفيا ، ولكنها شيء بين هذا وذاك : كرامة في غير غرور ، وقوة بلا طغيان ، ورفعة بدون بهتان .

نستقي كتب اللغة عن معنى العزة ، فنجد لسان العرب لابن منظور يستغرق في الحديث عن مادتها قرابة ست صفحات ، وهذا يدل - حتى من ناحية الحكم - على أن حديث العزة قد استغرق جانبا جديلا في تاريخ العروبة ، وإن شئت فقل في تاريخ الإسلام ، فقد أحكم الله الصلات بين العروبة والإسلام منذ سالف الأيام . ونرى لسان العرب يحدثنا فيما يحدثنا عن مادة العزة فيقول مع الاختصار : العزير من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى ، قال الزجاج : هو الممتع فلا يغلبه شيء . وقال غيره : هو القوى الغالب كل شيء ، وقيل : هو الذي ليس كئله شيء ؛ ومن أسمائه المعز وهو الذي يهب العز لمن يشاء ، والعز خلاف الذل ، والتعزز التكبر والتشدد على الناس - كأنه تكلف العزة ، الفرق واسع بين الطبع والتكلف ١ - والعز في الأصل القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع . وقوله تعالى : فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ؛ أي جانبهم غليظ على الكافرين لين على المؤمنين ، وقال الأزهري : يتذللون للمؤمنين وإن كانوا أعزة ، ويتعززون على الكافرين وإن كانوا في شرف الاحساب دونهم ، ورجل عزيز : منيع

لا يغلب ولا يقهر . وعززت عليه إذا كرمته عليه ؛ وقوله تعالى : وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أى أن السكتب التى تقدمته لا تبطله ، ولا يأتى بعده كتاب يبطله ، وقيل محفوظ من أن ينقص منه أو يزداد فيه . . . . .

ونجد القاموس المحيط للفيروزبادى يتحدث أيضا عن العزة من الناحية اللغوية فيقول فيما يقول : . . . والعزاز الأرض الصلبة ، والعز المطر الشديد ، وتعزز لحمه صلب واشتد ، والعزير العقاب - وهو الطير الذى يضرب المثل بمناعته - والعزير الملك لغلبته على أهل مملكته . . . . .

نلاحظ من مجموع هذه النصوص وأمثالها أن العزة تدل على القوة والشدة والغلبة والامتناع ؛ ولكن تصرفات الأفعال من الكلمة تتلون معانيها بتلون حركاتها ؛ وهذه خصيصة من خصائص اللغة العربية فى كثير من الكلمات ، إذ تبدل حركة حرف واحد فى الكلمة فتفيد معنى ، ثم تبدل فتفيد معنى ثانيا ، ثم تبدل فتفيد معنى ثالثا .. وهكذا ... يقال : عز الرجل يعز ، بكسر العين فى المضارع ، أى صار عزيزاً قويا بعد ذلة وهوان ، فهذا معنى من المعانى . ويقال : عز المنافس خصمه يعزه بضم العين فى المضارع أى غلبه وقهره قال القاموس : د وعزه يعزه كده يمهده غلبه فى المعازة ، ومنه قوله تعالى على لسان أحد الخصمين فى سورة ( ص ) د وعزنى فى الخطاب ، أى غلبنى فى الاحتجاج ، فذاك معنى ثان من المعانى . ويقال : عز يعز ، بفتح العين فى المضارع ، أى صعب وثقل واشتد ، مثل قولك لصاحبك : يعز على أن أسمع عنك ما يؤلمنى ، أى يشتد ويصعب ، فذلك معنى ثالث من المعانى . . . الخ .

لله هذه اللغة العظيمة السكريمة المليئة بالعجائب والأسرار . . . إنها لغة القرآن . . . وحسبنا ذلك القدر فى حديث اللغة عن « العزة » ، ولننتقل إلى حديثها فى القرآن الكريم .

\* \* \*

والسمة الغالبة على حديث العزة فى القرآن هى أن العزة لله وحده ، وهذه هى العزة الحقيقية الباقية ، وما عداها فعزة باطلة أو زائلة . وتؤدى إلى سوء منقلب وشر مصير ، اللهم إلا إذا كانت العزة هبة من الله لعباده ، فإن الله يشملها بتأييده وعونه ، ولذلك تأتى

فسبة العزة لغير الله تبعاً لفسبة العزة إلى الله : « والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » ( المنافقون ٨ ) .

ولتوضيح هذه القاعدة نقول : إن الله - وهو أصدق القائلين - قد وصف نفسه في القرآن الكريم بوصف العزة في عشرات وعشرات من الآيات فسمى نفسه سبحانه « العزيز » ، وهو يوصف في القرآن بأنه رب العزة : « سبحانه رب العزة عما يصفون » ( الصافات ١٨٠ ) - وما دام هو ربها فهو إذن مصدرها ومرجعها وواهبها وسالها ؛ ولذلك قال القرآن : « وتعز من تشاء وتذل من تشاء » ( آل عمران ٢٦ ) - ويوصف بأن العزة جميعاً له : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً » ( فاطر ١٠ ) - « أيتننون عندم العزة فإن العزة لله جميعاً » ( النساء ١٣٩ ) - « ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم » ( يونس ٦٥ ) .

والله جل شأنه يهب العزة للصالحين من عباده ، فيجعلهم الوارثين في الأرض ، القائمين بالامر ، المستخلفين في السلطان ، الممكنين في الدين . الآمنين من الخوف ، ما داموا مؤمنين ، عالمين خير العلم ، عاملين أصلح العمل ، معترفين لله بالفضل ، ذاكرين شأنه بالثناء والحمد ، شاكرين للنعم بأصدق أنواع الشكر ؛ وأما إذا جاءت « العزة » عن طريق غير طريق الله ، فهي جائزة خاسرة ، وهي باطلة حائلة ، وهي لا تؤدي إلى خير ، وإن دامت ساعات ، فإن تطول بها الاوقات ، ونهايتها أسوأ النهايات .

هذا صنف من الناس ظالم غاشم ، يبغي ويطنى ، ويفسد ويهلك ، ويشدد ويقوى : « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ( البقرة ٢٠٦ ) - أى حملته العزة السكاذبة الجائرة التي هي فيه ، والتي هي شبيهة بحمية الجاهلية ، وعلى الإثم المنهى عنه ، وأغرته بارتكابه . فإذا كان الجزاء ؟ . « فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ١١ .

وهذا صاحب المال والحدائق ، إنه يفخر ويعتز . وكان له ثمر فتمال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، ( الكهف ٣٤ ) - فإذا كانت النتيجة ؟ ... كانت : « وأحبط بشمه فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتى لم أنمرك ربى أحدا ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ، ( الكهف ٤٣ ، ٤٤ ) وهؤلاء سمرة فرعون قد جاءوا مفترين بعزة فرعون الزائلة الخائلة : « فأتوا حبا لهم وعصمهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون » .. ( الشعراء ٤٤ ) - فأقسموا بعزة فرعون

الذى قال : أنا ربكم الاعلى ، وظنوا أنهم قد تحصنوا بأمنع الحصون ؛ فإذا كانت نتيجة ذلك الاغترار ؟ ... ، فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ، فألقى السحرة ساجدين ، ١ . ( الشعراء ٤٥ و ٤٦ ) .

ولقد قال الكفرة لشعيب نبي الله عليه السلام : دلولاً رهطك لرجناك وما أنت علينا بعزير ، ( هود ٩١ ) فاستهانوا بنبي الله وذكروا له أنهم إنما يقون عليه لأن قومه أعزاه فيهم كرماء عندهم ، لأنهم على دينهم ؛ وأنكر عليهم شعيب ذلك : د قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله ، ؟ ( هود ٩٢ ) ... فإذا كان المصير ؟ . اندحر المفترون بعزتهم ، وانتصر الذى قيل له : إنك لست بعزير ؛ مع أنه معتر بعزة الله : ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ، ( هود ٩٤ و ٩٥ ) .

وذلك صنف من الكافرين ضلوا وجحدوا : د واتخذوا من دون الله آلهة ليسكونوا لهم عزا ، ( مريم ٨١ ) اتخذوا هذه الآلهة ليتعزوا بها ، فإذا كانت النتيجة ؟ ... كانت : د كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ، ( مريم ٨٢ ) والمراد بالصد هنا ضد العز وهو الذل ، أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وأرادوه ، كأنه قيل : وتكون الآلهة عليهم ذلا ووبالا ، ولا تكون لهم عزا أو إكراما : د وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا : ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كننا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ، .

ويقول القرآن أيضا : د بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ، ( ص ٢ ) أى فى شدة وقوة ونفاق ، فإذا كان مآل ذلك كله ؟ ... هددهم الله وأوعدهم قاتلا بعد قليل : د كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ، ... وبعد آيات أخرى عاد إلى تهديدهم قاتلا : د بل لما يذوقوا عذاب ، ثم كان القرار الفاصل بعد ذلك : د جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ، ... !!

وهذا بعض المنافقين : د يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل ، . وقائل هذا كما جاء فى سبب النزول هو ابن سلول رأس المنافقين ، وقد قصد - أخزاه الله - بالأعز نفسه وعنى بالأذل رسول الله صلوات الله عليه ... فإذا كان ؟ ... لما رجع قاتل هذه الفرية وقف له ابنه المؤمن على باب المدينة قائلا : لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز

لا ضربن عنقك !! ... فقال ابن سلول : ويحك ، أفاعل أنت ؟ قال : نعم ، فلما رأى منه الجدل قال : أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ! ...

أرأيت ؟ ... كل عزة قامت على باطل زالت ، وكل اعتزاز غير موصول بحبل الله القوي المتين فهو اغترار وخسار !! ...

ولذلك قال الراغب الاصفهاني في كتابه مفردات القرآن : « فقد يمدح بالعزة تارة كما ترى ، ويذم بها تارة كعزة الكفار قال : بل الذين كفروا في عزة وشقاق ؛ ووجه ذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية التي هي العزة الحقيقية ، والعزة التي هي للكافرين هي التعزز ، وهو في الحقيقة ذل ، كما قال عليه السلام : كل عز ليس بالله فهو ذل ، ... !! »

\* \* \*

وننتقل بعد هذا إلى جانب آخر من جوانب البحث . . .

لقد ذكر وصف « العزيز » منسوبا إلى الله سبحانه نحو مائة مرة في القرآن الكريم ؛ ولكن هذا الوصف يصحبه غالبا وصف آخر ، فما هو ؟ ولماذا ؟ ...

إن العزة وصف قوة واقتدار وغلبة وسيطرة ، ولذلك يناسبها أن تقرن في العادة بما يقرب من معناها ، وعلى هذا رأينا في القرآن وصف « العزيز » ، يأتي مع وصف « القوي » ، ليتعاون الوصفان على إظهار قدرة الله وغلبته ، فجاءت في القرآن الكريم هذه الآيات : « إن ربك هو القوي العزيز » ، (هود ٦٦) - « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » ، (الحج ٤٠) - « ما قدروا الله حق قدره إن الله قوي عزيز » ، (الحج ٧٤) - « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز » ، (الشورى ١٩) - « وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز » ، (الحديد ٢٥) - « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز » ، (المجادلة ٢١) - « وكان الله قويا عزيزا » ، (الاحزاب ٢٥) .

ويأتي وصف العزيز مع وصف المقتدر في قوله تعالى : « كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » ، (القمر ٤٢) .

ويأتي وصف العزيز أيضاً مع وصف « الجبار » ، والجبار هو القهار الذي جبر خلقه على ما أراد ، أي أجبرهم فيقول القرآن في وصف الله تبارك وتعالى : « الملك القدوس



السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، (الحشر ٢٣) ويتصل بهذه الناحية إتيان العزيز مع وصف ، ذى انتقام ، فى الآيات : ، والله عز و ذى انتقام ، ( آل عمران ٤ ) ، والله عز و ذى انتقام ، ( المائدة ٩٥ ) ، إن الله عزيز ذو انتقام ، ( إبراهيم ٤٧ ) ، أليس الله بعزيز ذى انتقام ، ( الزمر ٣٧ ) .

قد يبلغ الإنسان من الخوف مبالغه حينما يرى وصف الله بالعزيزه يقترن بهذه الاوصاف الدالة على الاقتدار والبطش : ، قوى ، مقتدر ، جبار ، ذو انتقام ، . وقد يضل ضال فيحسب أن العزة هنا معناها الظلم والجور والتعذيب بلا حساب ... وجل شأن الله !

إن الله قد وصف نفسه كما ذكرنا بوصف ، العزيز ، عشرات المرات فى القرآن ، ولستنا نجد وصف ، العزيز ، هذا يقرن غالبا بوصف ، الحكيم ، حتى تسكرر اقتران الوصفين فى القرآن أكثر من خمسة وأربعين موضعا ، وهذا الاقتران المتكرر يصحح لذلك الضال خطاه ، ويعرفه أن عزة الله مقرونة بالحكمة ، والحكيم هو الذى يضع الاشياء فى مواضعها ولا يعتريه عيب أو زلل ، ونحن نلاحظ أن العزة وصف قوة وقسوة ، والحكمة وصف علم وإتقان ، والقوة مظنة القسوة ، والحكمة موطن الإنصاف والإحسان ، فناسب اقتران هذه بتلك ، لنعلم أن عزة الله عزة حكيمة لا جور فيها ولا طغيان ! .

يقول الله تعالى : ، فاعلموا أن الله عزيز حكيم ، (البقرة ٢٠٩) ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، ( آل عمران ٦ ) ، والله عزيز حكيم ، ( المائدة ٣٨ ) ، إن الله عزيز حكيم ، ( الأنفال ٤٩ ) ، وإسكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ، ( الأنفال ٦٣ ) ، وكلية الله هى العليا والله عزيز حكيم ، ( التوبة ٤٠ ) ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ، ( التوبة ٧١ ) ، والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ، ( النحل ٦٠ ) ، يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ، ( النمل ٩ ) ، تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، ( الزمر ١ ) الخ .

والعزة تحتاج إلى العلم والبصيرة ، لأن العزة إذا لم يصحبها العلم كانت عزة جاهلية ، تندفع وتتطاول وتحقق ، وقد جاء وصف العزيز مقرونا بوصف ، العليم ، فى القرآن ليشعرنا بأن عزة الله عزة عالمة محيطه مقسدة : ، ذلك تقدير العزيز العليم ، ( الأنعام ٩٦ ) ، إن ربك يتقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ، ( النمل ٧٨ ) ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، ( غافر ٢ ) ، ذلك تقدير العزيز العليم ، ( فصلت ١٢ ) ، ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ، ( الزخرف ٩ ) .

والعزة وصف يثير في نفوس الناس الغيظ والحقد والحسد، وهم يتلمسون للعزیز المثالب والمعاطب، ولا يحمّد العزیز فيهم إلا نادرا، ولكن عزة الله عزة محودة لأنها عزة حامدة، تحمد لكل ذي عمل عمله، وتثيب كل محسن على إحسانه؛ ومن هنا اقترن وصف العزیز بوصف الحميد في القرآن: «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزیز الحميد» (ابراهيم ١) ويهدي إلى صراط العزیز الحميد، (سبا ٦) «وما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزیز الحميد» (البروج ٨).

والعجيب بعد هذا أن يقرن وصف العزیز بوصف «الرحيم»... ولكن لا عجب بعد معرفة السبب... إن الرحمة قد تنافى العزة في عرف الناس، فأراد القرآن أن ينفي ذلك في جنب الله، فهو سبحانه عزیز قوى ولكنّه مع ذلك رحمن رحيم، وروى كريم، وقد اقترن وصف العزیز بوصف الرحيم ثلاث عشرة مرة في القرآن: «وإن ربك لهُو العزیز الرحيم» الشعراء (٩) (٦٨) (١٠٤) (١٢٢) (١٤٠) (١٥٩) (١٧٥) (١٩١) «وتوكل على العزیز الرحيم» الشعراء ٢١٧ - «ينصر من يشاء وهو العزیز الرحيم» (الروم ٥) «ذلك عالم الغيب والشهادة العزیز الرحيم» (السجدة ٦) «تنزيل العزیز الرحيم» (يس ٥) «إلا من رحم الله إنه هو العزیز الرحيم» (الدخان ٤٢).

ويؤكد هذا المعنى اقتران وصف العزیز بوصف «الغفور» ووصف «الغفار» وهما وصفان يدلان على كثرة العفو عن الذنوب، وتكرر قبول التوبة من التائبين، وتلك رحمة واسعة. «لأنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزیز غفور» (فاطر ٢٨) «ليلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزیز الغفور» (المالك ٢) «رب السموات والأرض وما بينهما العزیز الغفار» (ص ٦٦) «كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزیز الغفار» (المر ٥) «وأنا أدعوكم إلى العزیز الغفار» (غافر ص ٤٢).

كما يؤكد اقتران وصف العزیز بوصف «الوهاب» في قوله تعالى: «أم عندهم خزائن رحمة ربك العزیز الوهاب» (ص ٩).

\*\*\*

هذا حديث العزة في القرآن الكريم، ومنه نفهم أن العزة لله، تطلب عن طريقه، وتوهب بفضله، ومن اعتز به فقد أفلح، ومن طلب العزة من سواه فقد ضل وناء: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون» وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. **أحمد الشرباصي**  
المدرس في الأزهر

# عقد التأمين

## في التشريع الاسلامى

— ١ —

١ — صدر قانون الميراث السارى المفعول الآن في مصر بقانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ ، وقد استقى المشرع المصرى أحكام هذا القانون من الشريعة الإسلامية وخاصة من الأصل<sup>(١)</sup> الذى كان مطبقاً في مصر قبل صدور هذا القانون ، وقد اعتبر قانون الميراث المذكور ( ولاء العتاقة ) سبباً من أسباب الإرث<sup>(٢)</sup> وفصل أحكام هذا الولاء في الباب السادس منه تحت عنوان ( في الإرث بالعصوبة السببية )<sup>(٣)</sup> ولكنه لم يذكر الولاء الثانى ، ونعنى به ( ولاء الموالاة ) ولم ينص على اعتباره سبباً للإرث خلافاً للأصل<sup>(٤)</sup> .

٢ — وعلمت المذكرة الإيضاحية عدم ذكر القانون لهذا الولاء بأنه لا وجود له منذ زمن بعيد ، ومن ثم فلا حاجة لذكره والنص عليه ، وقد بحثنا في كتب الفقهاء المحدثين

(١) المقصود بالأصل هو : كتاب الاحكام للشرعية في الاحوال الشخصية - على مذهب الامام أبى حنيفة النعمان - لقدردى باشا .

(٢) انظر : المادة السابعة من قانون الميراث لسنة ١٩٤٣ ونصها : « أسباب الارث : الزوجية ، والقرابة ، والعصوبة السببية .. »

(٣) انظر : المادتين ٤٠٤، ٣٩ من قانون الميراث السالف الذكر .

(٤) كان الاصل يرتب المستحقين للتركة في المادة ٥٨٤ منه في عشرة أصناف مقدم بعضها على بعض ، وكان يحمل [ولاء للموالاة] الصنف السابع فيقول : [السابع] مولى الموالاة وهو كل شخص والاه آخر بشرط كون الادنى حراً غير عربى ولا معتقاً لعربى ولا له وارث نسبى ولا عقل عنه بيت المال أو مولى موالاة آخر ، وكوه مجهول النسب بأن قال أنت مولاي ترثني إذا مات وقمقل عنى إذا جنيت ، وقال الآخر وهو حر مكلف قبلك ، فيصح هذا العقد ويصير القابل وارثاً وإذا كان الآخر أيضاً مجهول النسب إلى آخر تبسوط الادنى وقال للاول مثل ذلك وقبله ورث كل منهما صاحبه وعقل عنه فن مات وترك مولى الموالاة وأحد الزوجين فالباقي من التركة بعد نصيب أحد الزوجين له . »

الذين تناولوا بالدراسة والبحث قانون الميراث وأحكامه ، فلم نجد منهم من تعرض لما جاء بهذه المذكرة في هذا الصدد بالقدر إلا واحداً <sup>(١)</sup> ، وقال بأن عدم وجود ولاء الموالاة منذ زمن بعيد لا يمنع وجوده في مستقبل الأيام ، ومن أجل ذلك كان حرياً بالمشرع المصرى أن يذكره في قانون الميراث ؛ إذ ليس في ذكره فيه ضرر .

٣ — وقد أعجبنى هذا القول كثيراً ؛ لا لمجرد أن عدم وجود هذا الولاء منذ القدم ليس مانعاً من وجوده مستقبلاً ، ولا لمجرد أن ذكره في قانون الميراث ليس فيه ضرر ، وإنما على أساس آخر له خطورة قصوى في المجال الشرعى والمجال القانونى الحالى في مصر . هذا الأساس هو أن ولاء الموالاة موجود بالفعل في حياتنا القانونية ، وأنه كان على مشرع قانون الميراث أن يلحظ هذا الوجود ، وأن يساير التطور القانونى الحديث ، بتفسير وتطبيق قواعد وأحكام التشريع الإسلامى فيما يتعلق بعقد ولاء الموالاة مع ما يتفق مع هذا التطور ، ومع اتجاه التشريع المدنى بوجه عام . . وما على المشرع - وقد أخفق في قانون الميراث في شأن هذا العقد فيما يخص الأساس الذى أسلفته والذى سأوضحه - إلا أن يتدارك الأمر فيسكمل ما في أحكامه الوضعية من نقص ، ويساير التطور الذى قصر عن مسيرته ؛ وذلك في تشريع جزئى جديد !

ولفهم هذا الرأى الجديد من جهة ، ولبيان خطورته القانونية من جهة أخرى ، أرى أن أتعرض بشيء من التفصيل لمسألة ( ولاء الموالاة ) في التشريع الإسلامى ، لىكى أربط بالتالى بيها وبين الأساس القانونى الذى اعتمد عليه .

٤ — ولاء الموالاة في التشريع الإسلامى هو عبارة عن رابطة قانونية بين شخصين ، بمقتضاها يتعاقدان على أن يعقل أولهما وهو ( مولى الموالاة ) <sup>(٢)</sup> عن الآخر وهو ( المعقول عنه ) إذا جنى ، أن يدفع الدية في مقابل ميراثه منه إذا توفى غير مخلف وارثاً قط <sup>(٣)</sup>

[ ١ ] هو الاستاذ الشيخ أحمد إبراهيم [ بك ] في كتابه [ الوارث علماء وعمل ] سنة ١٩٤٢ - ص ٢٨

[ ٢ ] وتطلق عليه الشيعة الامامية اسم ضامن الجريمة أى ضامن الجريمة التى تستوجب الغرامة المالية .

[ ٣ ] وقد يكون مقتضى هذا العقد بين هذين الشخصين أن يعقل كل واحد منهما عن الآخر جرائمه الموجبة للمال أى أن يلزم كل منهما التعميض عن جرائم الآخر ، وإذا مات أحدهما قبل الآخر ، ورثه الآخر في ماله .

— وقد اختلف الفقه في صحة هذا العقد ونفاذه ، من حيث كونه سبباً من أسباب الميراث ، ويمكن إجمال وجهات النظر في هذا الصدد في رأيين : قال أولهما بصحته وجوازه واعتباره سبباً للإرث ، وقال ثانيهما ببطلانه ورفضه سبباً له .

٥ — الرأى الفائل بالرفض والبطلان : قال بهذا الرأى جمهور الفقهاء ، ومنهم الشافعى ومالك وأحمد ، وأسانيده تتلخص في أربعة :

أولها : ورود نص صريح في القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامى <sup>(١)</sup> بمقتضاه يكون ذوو القربات بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بسبب عقد الموالاة ذلك العقد الذى عرف في الجاهلية .

وثانيها ورود نص ثابت في الحديث المصدر الثانى للتشريع ، بمقتضاه يكون ( الولاء لمن أعنت ) وهو يحصر الولاء في نوع واحد هو ولاء العتاقة ، وعلى ذلك يعتبر باطلاً كل ولاء سواه .

وثالثها : أن عقد الموالاة فيه في الواقع وصية بجميع المال ، والوصية بجميع المال ممن لا وارث له غير جائزة ( عند الشافعى ) لأن وارث من لا وارث له هو جماعة المسلمين ، ولا يستطيع المورث أن ييطل حق هذه الجماعة ، تفريعاً على عدم إبطال حق ورثته - في حالة ما إذا كان له ورثة - بالوصية بجميع ماله <sup>(٢)</sup> .

ورابعها : قول الشافعى إن الملك بطريق الورثة لا يثبت ابتداءً ، وإنما يثبت على سبيل الخلافة <sup>(٣)</sup> وإن أسباب الإرث معلومة شرعاً ، لكن عقد الموالاة ليس منها !

٦ — الرأى القائل بالجواز والصحة : وقد قال به عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، وقال به كذلك أبو حنيفة وأصحابه ، وهو الرأى الصحيح والراجح والذى أميل إليه وأسانيده تتلخص في خمسة :

(١) النص هو الآية الكريمة : [ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ] .

(٢) أنظر . الشمس السرخى في « المبسوط » جزء - ص ٤٢ .

(٣) أنظر . المرجع السالف الذكر .

أولها : وجود هذا الولاء باعتباره سبباً للإرث في الجاهلية ، وإقرار الإسلام له حين جاء ، وذلك بنص صريح في المصدر الأول للتشريع <sup>(١)</sup> ، ولا يرد على ذلك بوجود نص صريح آخر في المصدر نفسه ، بمقتضاه يكون ذوو القربات بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بسبب عقد الموالاة ؛ لأن هذا النص الأخير ليس نصاً على الأولوية في الميراث ثم إنه لا يتعارض مع النص الأول ؛ وذلك لأن حق الإرث المقرر لمولى الموالاة لا يثبت له إلا عند عدم وجود ( أولى الأرحام ) ، فترتبته في الإرث متأخرة عن مرتبة هؤلاء ، بل وعن مرتبة مولى العتاقة وعصبته ، وما دام ليس بين النصوص التشريعية من تعارض ما ، فالواجب إعمالها كل فيما يخصه <sup>(٢)</sup> .

وثانيها : أن الحديث القائل بأن الولاء لمن أعتق ، ليس المحصر فيه حقيقة بل إضافياً <sup>(٣)</sup> ولهذا لا يكون هذا الحديث نافياً لاستحقاق الإرث بسبب ولاء الموالاة <sup>(٤)</sup> . وثالثهما : أن ولاء الموالاة متصل بالوصية بجميع المال ، وهي صحيحة بمن لا وارث له ، لأن من لا وارث له ، يصرف ماله إلى بيت مال المسلمين ، ومن حيث إن ( الموصى له ) هو أحد هؤلاء المسلمين يشركهم في دين الله ، ومن حيث إنه قد ترجع بإيجاب الموصى له ، فمن أجل ذلك هو أولى من هذا البيت ، وكذلك الأمر بالنسبة لمن عاقده مولى الموالاة عقد الموالاة <sup>(٥)</sup>

---

(١) هو الآية السريجة . [ والذين عاهدت أيمانكم فآتوهم نصيهم ] ومقتضاها أنه يجب أن أنعموا بحلفاءكم - الذين عاهدتكم وإياهم على النصرة والميراث - نصيهم منه ، لأن ذلك مقتضى للعقد

(٢) أنظر . الشيخ أحمد إبراهيم - المراجع السالف الإشارة إليهما - ٢٧ .

(٣) أي أن الولاء لمن اعتق لا لغيره ممن كان أجنبياً ، وتبيان ذلك أن عائشة رضي الله عنها لما اشترت [ بريرة ] اشترت أهلها الولاء لهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الولاء لمن اعتق » يقصد بذلك أن شرط البائع ولاء العتق له إذا اعتق المشتري منه الرقيق الذي اشتراه ، شرط باطل ، لأن ولاء العتق يثبت للمشتري المعتق أي المالك للمعتق ، وليس للبائع بمال ، فالنصر في الحديث إذن إضافي - أنظر . الشيخ أحمد إبراهيم - ص ٢٧ - وأنظر . الشيخ عبد الله الشرفاوى في « فتح البدي بشرح مختصر الزبيدي » - ٤ ص ٣٦٩ .

(٤) جاء في حديث تميم الداري رضي الله عنه أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله . إن الرجل ليأثني فيسلم على يدي ويواليني ، فقال الرسول : هو أخوك ومولاك فأنت أحق به بحياه ومماته ، والمقصود بحياه في تحمل غل الجرعة عنه ومماته في الارث منه - أنظر . الرخى - السالف - ص ٤٤ .

(٥) المصدر نفسه - ص ٤٣ .

ورابعها : أنه فيما يتعلق بخلافة الوارث الموروث في ماله ، الظاهر أن الإنسان في شأن هذه الخلافة إنما يؤثر قرابته على الأجانب ، ومن أجل ذلك اقتضت حكمة التشريع الخفيف أن يقدم الأقرب على الأبعد فيها ، لأن المورث نفسه يفعل ذلك ويريده في أغلب الأحوال . والمسألة لا تخلو من فرضين : الأول : أن يكون أحد من قرابته ، وفي هذه الحالة يوجد النظر من الشرع له ، ويقع الاستغناء عن نظره لنفسه . والثاني : ألا يكون أحد من قرابته ، وهنا تقع الحاجة إلى نظره لنفسه ، فإذا نظر إليها وعقد عقد موالاة مع شخص ما ، اعتبر ذلك منه تصرفاً صحيحاً في خالص حقه على سبيل النظر منه لنفسه <sup>(١)</sup> .

وخامسها : أن عدم الدليل المقول به في شأن إثبات الخلافة بين الوارث والموروث بطريق العقد عن قصد ، فيه نظر ، لأن إثبات هذه الخلافة بالعقد قصداً مشروع بالاتفاق ، وذلك في عقد النكاح <sup>(٢)</sup> ، إذ المعروف أن الزوجية التي أساسها العقد وتوافق الإرادتين هي سبب لليراث ، ومن أجل هذا ينتفي القول بعدم الدليل في إثبات الخلافة عن طريق عقد الموالاة <sup>(٣)</sup> .

٧ — على أنه يلاحظ أن ثمة شروطاً تشترط في عقد ولاء الموالاة عند الرأي القائل بجوازه وصحته ، وهي أن يكون الموقوف عنه حراً غير عربي ( أعجمياً أسلم مثلاً ) ولا معتقاً لعربي ، وليس له من وارث نسبي ، ولم يعقل عنه بيت المال أو مولى الموالاة آخر ، وكونه مجهول النسب <sup>(٤)</sup> . وعلى هذا لا يرث مولى الموالاة مع أحد من أصحاب الفروض والعصبات النسبية والسببية ، والعصبات النسبية للعصبات السببية ، وذوى الأرحام ، إلا مع أحد الزوجين إن وجد <sup>(٥)</sup> .

أحمد طه السنوسي

( للبحث بقية )

(١) المصدر نفسه - ص ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يلاحظ أن السبب في الميراث في ولاء الموالاة هو [ المتد والاتفاق ] ، وليس السبب فيه في ولاء العتاقة كذلك ، لأن السبب في الولاء الأخير هو [ الإرادة المنفردة ] .

(٤) انظر للمادة ٨٤٤ الفقرة [ السابعة ] من الأصل .

(٥) أنظر : حاشية الفتاوى - والمادة السابعة المذكور من الأصل . وانظر . الشيخ أحمد إبراهيم -

السالف - ص ١٥٢ .

## الفتنة الكبرى على الدكتور حسين

آثر الدكتور طه في السنوات الأخيرة نوعاً فريداً من البحث ، ذلك الهين اللين الذي لا يكلف جهداً أو مشقة ، والذي لا يعالج موضوعاً وإنما هو دائماً على هامشه ، تقرأ له وتمعن في القراءة ثم لا تظفر آخر الامر بحقائق علمية ذات بال ، وإن أفاد الناشئة خيالاً وأسلوباً .

بهذا المنهج في البحث كتب الدكتور د علي هامش السيرة ، وهو بهذا المنهج أيضاً كتب « الفتنة الكبرى » أو إن شئت د علي هامش الفتنة الكبرى ، فطلع علينا أخيراً بكتابه عن « علي » .

وكنت في الحق أعتقد أنه دراسة علمية مستفيضة لابن أبي طالب ، فإذا هو علي هامش هذه الدراسة ، تلخيص لحوادث الفتنة كما رواها رواها<sup>(١)</sup> مع تعليقات يسيرة لا تزال حيرة ولا تروى غلة فضلاً عن مجانبة بعضها للحقيقة ، ولي ملاحظات ومآخذ أحببت أن أناقش فيها المؤلف ، وأن أضعها أو بعضها في الميزان بحثاً وراء الحق ونشداناً له .

وأول هذه المآخذ هي هذه الطريقة العجيبة في البحث ؛ فأنت لا تسكاد تعثر في ثنايا الكتاب على مرجع واحد من المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ، وإنما هو يسوق الكلام سوقاً ويلخص الحوادث تلخيصاً ، دون أن يعنى أبداً - ولو مرة واحدة - بذكر مراجعه

(١) المجلة : وما آفة الاخبار إلا رواها ، ولا سيما إذا آثر مؤلف الروايات الرخيصة ، ولم يتحرر في تاريخ الاسلام تحقيقات أعلام السنة ورجال الحديث .



وأرقام صفحاتها كما تقتضى بذلك أساليب البحث العلمى . ومن الغريب حقاً أن المؤلف يكثر النقل عن « البلاذرى » ، ثم هو لا يرشد القارئ ولا يعرفه بكتاب البلاذرى الذى ينقل منه ، هل هو « الفتوح » ، أو « الانساب » ؟ ولم يذكره فى نهاية الكتاب مما يجعلنا نعتقد أن هذه الفصول التى كتبها المؤلف ، ليس الأصل فيها أن تكون كتاباً يقرأه الناس ، وإنما هى أحاديث تذايع ومحاضرات تافى ، وأكبر الظن أن هذا النوع من الأسلوب لا يستقيم فى كتاب والبحث العلمى المنظم .

وما دنا بصدد التحدث عن المراجع فيؤسفنا كثيراً أن يعتمد المؤلف على مراجع ليست أصيلة فى البحث بل هى ثانوية القيمة تاركاً حتى شرح النهج لابن أبى الحديد<sup>(١)</sup> . وتاريخ ابن واضح اليعقوبى<sup>(٢)</sup> وغيرهما من المصادر « الأبجدية » الأولى لدراسة هذه الفتنة الكبرى .

ويحدثنا الأستاذ ( ص ١٧ ) فيقول :

« وقال ( النبى عليه السلام ) للمسلمين فى طريقه إلى حجة الوداع : من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، . ثم أعاد علينا ذلك القول فى

(١) المجلة : بل إن ابن أبى الحديد هو شريك ابن العلقمى فى الجناية على المشرق والعالم الاسلامى فى فتنة هولاكو . وأما فى الدين فانه على مذهب ابن سبأ فى اليهودية لعلى ، ومن ذلك قول ابن أبى الحديد يخاطب علياً :

تفيلك أخلاق الربوبية التى عذرت بها من شك أنك مريبوب

ومن فلة أدبه وتكذيبه لقول النبى صلى الله عليه وسلم « أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » قوله فى على كرم الله وجهه : ألا إيماناً الاسلام لولا حسامه كمطفة عنز أو قلامة ظافر

ومن وثنيته وسبئته قوله فى على أيضاً :

يجل عن الاعراض والابن واللى ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

إن مصادر الاسلام الأولى فى روايات أهل العدالة والتثبت من علماء الحديث . ومع ذلك فإن كل خبر يجب معرفة أقدار روايته ونزواتهم وأهواؤهم فى أى كتاب وجد .

(٢) المجلة - واليعقوبى ينزع إلى ما يشير إليه الأستاذ صاحب المقال . وإن أعلام السنة وعلماء الحديث هم الذين يرجع إليهم فى تاريخ الصدر الأول ، والذين أوردوا منهم الأخبار بأسانيدهم فقد وكلونا إلى هذه الأسانيد لندرس نزعات رجالها .

( ص ١٩ ) ثم في ( ص ٨٦ ) ما يجعلنا نأسف كثيراً لعدم دراسته للوضع الذي يعالجه دراسة دقيقة .

فهذا الحديث لا يعترف به أهل السنة دليلاً على الخلافة <sup>(١)</sup> . وابن أبي الحديد شارح النهج وهو متشيع ينكر وجود نص من النبي بإمامة أحد من بعده ، ويؤسفنا أن المؤلف لم يطلع على هذا المصدر الهام ، قال ابن أبي الحديد :

« وانصرف عليٌّ إلى منزله ولم يبايع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع ، قلت ( ابن أبي الحديد ) : هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره ؛ لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ، ولم يجر للص ذكر ، وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب ، فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين أو على أبي بكر ، لاحتج به أبو بكر أيضاً على الأنصار ، ولاحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر ، الخ ( شرح النهج مجلد ٢ ص ٥ ) .

فلو صح الاحتجاج للخلافة بهذا الخبر لاحتج به على ما في ذلك شك .  
وأما ما ينسب إليه من قوله معدداً لماخره :

محمد النبي أخى وصهرى وحرزة سيد الشهداء ع  
وبنت محمد بنتى وعرسى منوط لحيها بدمى ولحي

(١) المجلة - ولا أهل البيت أنفسهم يرون فيه هذا المعنى . أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه ( ٤ : ١٦٦ ) عن الحافظ البيهقي حديث فضيل بن مرزوق أن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي ابن أبي طالب سئل فقيل له : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ » فقال : « بلى ، ولكن والله لم يمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الإمارة والسلطان . ولو أراد ذلك لأفصح لهم به ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أنصح للمسلمين . ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولي أسركم والقائم عليكم من بعدى ، فامعوا له وأطيعوا . والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ، ثم ترك علياً أمر الله ورسوله ، لكان علي أول من ترك أمر الله ورسوله » ورواه البيهقي من طرق متعددة في بعضها زيادة وفي بعضها نقصان والمعنى واحد . ورواه أيضاً الإمام أبو نعيم الأصبهاني ونقله عنه علامة الهند شاه عبد العزيز الدهلوي ابن شاه ولي الله الدهلوي في كتاب ( الزئففة الاثني عشرية ) الذي اختصره علامة العراق السيد محمود شكرى الألوسى ( أنظر ص ١٦٠ - ١٦١ ) طبع السلفية .

وسبطا أحمد ولدای منها فأیـکم له سهم کسهمی ؟  
وجعفر الذی یسی ویضحی یطیر مع الملائکة ابن أمی  
سبقتکم إلى الإسلام طفلاً صغيراً ما بلغت أوان حلی  
وأوجب لی الولا حقاً علیکم رسول الله يوم غدیر خم <sup>(١)</sup>

أقول أكبر الظن أن هذه الآیيات لیست لعلی وإن صح إسنادها لابن أبی طالب فالبيت  
الآخر — بیت القصید — منحول علیه ما فی ذلك ریب ، یؤیدنا فی ذلك یاقوت حیث لم  
یرو هذا البيت الآخر فی معجمه — معجم الادباء ( ١٤ ص ٤٨ ) وكذلك فعل ابن کثیر  
( البداية والنهاية ٨ ص ٨ ) .

وكان حقاً علی الدكتور طه ألا یعتمد علی هذا الحديث أو ینتزم الامانة العلمية فیورد  
رأى أهل السنة فیہ ، وقد قال فی حقه العلامة ابن حزم :

« وأما من كنت مولاه فعلى مولاه ، فلا یصح من طریق الثقات أصلاً ، ( الفصل  
٤ ص ١٤٨ ) وقال العلامة ابن خلدون فی أحادیث الشيعة :

« لا یعرفها جماہذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع أو مطعون فی طریقہ  
أو بعيد عن تأریلاتهم الفاسدة <sup>(٢)</sup> ( المقدمة فی ٩٦ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ ) .

وهكذا یتضح جلیاً أن المؤلف لم یعن مع الأسف الشدید بدراسة موضوعه  
دراسة جيدة .

ويقول الدكتور طه ( ص ٣٣ ) :

« فلم یخالف أحد من أصحاب النبی عن أبی بکر إلا ما كان من سعد بن عبادة رحمه الله ،

(١) المجلة — فی مادة [ ودق ] من تاج العروس للرفعی الزییدی أنه لم یصح شعر عن علی  
ابن أبی طالب غیر هذين البيتين :

تلكم قریش تمنانی لتقتلنی فلا وربک ما برأ ولا ظفروا  
فان ملکک فرمن ذمـتی لهم بذات ودقین لا یعفو لها أثر

(٢) فی کتاب « التمهید » لقاضی أبی بکر البانلانی تنمة شیعة لهذا الموضوع [ ص ١٧١ ] وتقوم  
جامعة الأزهر للنشر والتألیف مشكورة بطبع کتاب لنا بعنوان « للمهدية فی الاسلام » یفهم کثیراً من  
هذه الدراسات .

والقارىء يفهم من هذه العبارة أن أحداً لم يعترض على خلافة أبي بكر عدا سعداً ، وليس كذلك فهناك نفر غيره من الصحابة قد امتنعوا على أبي بكر منهم على نفسه ، وأبو سفيان ، وعتبة بن أبي لهب ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، وأبي بن كعب ، والبراء بن عازب ، وعمار بن ياسر ، بيد أن هؤلاء قد عادوا لمبايعة أبي بكر عدا سعداً فإنه لم يبايع أبابكر حياته ولم يبايع عمر من بعده حتى مات بحوران .

ويقول المؤلف ( ص ٦٢ ) :

« ولم يطق عثمان نفسه معارضة أبي ذر فأخرجـه من المدينة واضطره إلى أن يقيم في الرملة حتى مات ، .

والحق أن أبا ذر نفى إلى « الربرة » ، لا إلى « الرملة » ، انظر إن شئت الطبرى ( ح ٥ ص ٦٦ ط الحسينية ) ، واليعقوبى ( ح ٢ ص ١٤٩ ط النجف ) وابن الأثير ( ح ٣ ص ٤٣ ط الحلبي )<sup>(١)</sup> .

والمؤلف يحدثنا ( ص ٦٨ ) عن انحياز عمرو بن العاص إلى معاوية ، وذلك من غير دعوة معاوية له ، وهى رواية الطبرى ولها مكاتبا ، بيد أن هنالك رواية أخرى حدثنا بها اليعقوبى - الذى يتضح أن المؤلف لم يرجع إليه - تقول : إن معاوية هو الذى أرسل إلى عمرو يستنجد به ويضمه إليه ، وكان على المؤلف أن يقدر هذه الرواية قدرها وأن يوازن بين الروایتين ، وأكبر الظن أن معاوية فى دهائه لم يكن ليبتظر - وهو فى هذا المعتكز الذى يتطلب منه العدة والرجال - حتى يلجأ إليه عمرو ، وأكبر الظن أيضاً أن عمرأ فى دهائه ومكاته لم يكن ليقبل أن ينحاز إلى ابن أبي سفيان من غير أن يدعوه هو إلى ذلك ؛ واليعقوبى يحدثنا فيقول : « وبعث معاوية من ليلته إلى عمرو بن العاص أن يأتبه وكتب إليه : أما بعد فإنه قد كان من أمر على وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك ، فقد سقط إلينا مروان

(١) المجلة - الصواب فى أمر أبي ذر ما رواه ابن خلدون فى العبر ( بنية ج ٢ ص ١٣٩ ) أن أبا ذر هو الذى استأذن عثمان فى الخروج من المدينة إلى الربرة وقال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلماً ، فأذن له ونزل الربرة وبني بها مسجداً وأقطعه عثمان صرمة من الابل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقا . وكان يتعاهد للمدينة . وبين المدينة والربرة ثلاثة أميال . قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل فى طريق مكة .

في رافضة أهل البصرة ، وقدم على جرير بن عبد الله في بيعة على ، وحبست نفسه عليك حتى تأتيني فأقدم على بركة الله تعالى .

ثم يروى اليعقوبي أن عمرأ حينما وصلته الرسالة جمع ولديه ليستشيرهما كما جاء في رواية الطبري ، بيد أن ابن واضح يحدثنا أن عمرأ بعد استشارته ولديه أنشأ شعراً قال فيه :

تطاول ليلي للهموم الطوارق وخوف التي تجلو وجوه العوانق  
فإن ابن هند سألني أن أزوره وتلك التي فيها بنات البوانق

إلى آخر ما قال ، انظر اليعقوبي ( ٢٣ ص ١٦١ ) .

ألا يرى الأستاذ معي أن هذه الرواية جديرة بالدرس ؟ وأن إهمالها أو عدم الإلمام بها يشين البحث ويطبعه بطابع « السطحية » ؟  
ويقول المؤلف ( ص ٩٨ ) :

« وأقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبائية وعن ابن السوداء في حرب صفين أن أمر السبائية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفاً منحولاً قد اخترع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية ، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في السكيد لهم والنيل منهم » (١) .

والحق يا سيدي أنك بذلك ظلمت الحقيقة والتاريخ ظلاماً بيناً وكنت مجافياً لأصول البحث الدقيق وقواعده ، أليس عجيباً حقاً أن يكون إعراض المؤرخين عن ذكر ابن السوداء

---

(١) المجلة : مؤلف ( الفتنة الكبرى ) حريص على إنكار شخصيات لا دليل عنده يسوغ إنكارها وللأستاذ المازني مقال لطيف معروف عند الأدباء يتكلم فيه على إنكار الدكتور شخصية مجنون ليلي ، ثم حلا الدكتور أن ينسك شخصية ابن سبأ ، وابن سبأ كان يمثل دوراً في تاريخ الإسلام من لوائمه التخفي والتكتم ، كدأب كل من يرتكب الحيانة الكبرى في بيئة عظيمة . أما دعوى الدكتور الآن بأن خصوم الشيعة دسوا عليهم ابن سبأ فهي تدل على قلة اطلاعه على كتب الشيعة قديمها وحديثها . وقد نقل المامقاني في ترجمة عبد الله بن سبأ من كتابه ( تنقيح المقال في أحوال الرجال ) ج ٢ ص ١٨٤ أن إمامهم الكشي اعترف بأن ابن سبأ هو مخترع عقيدة الوصية لأنه لما كان على يهوديته كان يمتدح في يوشع بن نون أنه وصى موسى فقال في إسلامه في على مثل ذلك « وكان أول من شهر القول بإمامة على وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم ، فمن هنا قال من خالف الشيعة : إن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهود . إن هذا القول هو قول الكشي وهو من كبار أئمة الشيعة ، فكيف يتم الدكتور طه حسين غيرهم بذلك وهم يقولونه في كتبهم .

وجماعته في حرب صفين فقط دليلاً قاطعاً على عدم وجودهم في الحياة ؟ وترى ما هو موقف المؤلف إزاء هؤلاء المؤرخين أنفسهم الذين يذكرون ابن السوداء وجماعته في غير حرب صفين ؟ إن الطبري نفسه ( هيرودوت العرب ) يحدثنا فيقول : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمن عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ... الخ ( الطبري - ص ٥ ص ٩٨ ) والمؤلف الفاضل يعترف بذلك فيقول ( ص ١٠٩ ) :

« والطبري ورواته الذين أخذ عنهم والمؤرخون الذين أخذوا عنه فيما بعد ، يذكرون ابن السوداء وأصحابه » .

إذاً ليس سكوت المؤرخين عن ابن السوداء في فترة معينة دليلاً على أن أمره متكلف منحول قد اخترع بأخرة كما يقول الدكتور ، والشك في وجود ابن السوداء قد رددته في أخريات القرن التاسع عشر بعض المستشرقين ( وقد غاب اسمه عن ذاكرتي ) الذي لم يقرأ نص الطبري ، وأكبر الظن أن المؤلف يردد اليوم هذه المزاعم التي أدهشها وأبطلها البحث العلمي السليم من المستشرقين أنفسهم ، والمؤلف يرى أن خصوم الشيعة من أهل السنة وغيرهم هم الذين وضعوا أمر ابن السوداء وتولوا كبره ليدخلوا في أصول الشيعة عناصر يهودية لإمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم على حد تعبيره ، والحق أن الدكتور قد جانب الصواب أو جانبه الصواب ؛ فأى كيد للشيعة في وجود عناصر يهودية في بعض فرقها ؟ وأهل السنة والشيعة جميعاً يلعنون ابن السوداء ويتبرءون منه ومن جماعته ، وما رأى مؤلفنا في أن مؤرخاً متشيعاً يتحدث عن وجود ابن السوداء وجماعته ، ذلك هو ابن أبي الحديد شارح النهج ( مجلد ١ ص ٤٢٥ ) ؟

الحق يا سيدي أننا كنا نطمح منك في دراسة أدق وأعمق .

ويقول المؤلف ( ص ١٠٩ ) : « والطبري ورواته الذين أخذ عنهم المؤرخون الذين أخذوا عنه فيما بعد ، يذكرون ابن السوداء وأصحابه في أمر الفتنة أيام عثمان وفي العام الأول من أيام علي ثم ينسونه بعد ذلك ، والمحدثون وأصحاب الجدل متفقون مع الطبري وأصحابه فيما ذهبوا إليه ، إلا أن المحدثين وأصحاب الجدل يتفردون من دون الطبري وأصحابه بشيء آخر ، فيزعمون أن ابن السوداء وأتباعه ألّهوا علماً ، وأن علماً حرقهم بالنار ، ولكنك تبحث عن هذا في كتب التاريخ فلا تجد له ذكراً » .

ويقول في موضع آخر (ص ١٨٨) « ثم يغلو خصوم الشيعة فيزعمون أن الذين حرقهم على النار قد ازدادوا تأليها له حين رأوا النار ورأوا أنهم يدفعون إليها ويُلقون فيها ، فقال قائلهم : لاجرم لا يعذب بالنار إلا خالق النار . وكل هذا خلط من الخلط ومرء من المرء ، وتكثر دعا إليه الإغراق في اللجاج والغلو في الخصومة والإسراف في هذا البغض المعقد ، .

أن تأليه ابن السوداء لعلى بن أبى طالب حقيقة لا يدفعها شك وقد رواها رجال أثبات من السنين والشيعة وغيرهما منهم الشهرستاني في الملل ، ( ص ٢٠١ ) وابن حزم في الفصل ، ( ص ٤٠٤ ) ، وعبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ، ( ص ١٤٣ ) والرسمي في مختصر الفرق ، ( ص ١٤ ) والإسفراني في التبصير في الدين ، ( ص ٧١ ) وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ، ( ص ٨٧ ) وابن قيم الجوزية في الطرق الحسكية ( ص ١٩ ) وغيرهم كثيرون ونحن لا نشك أبداً يا سيدي في صدق هؤلاء الرجال الاعلام الاساطين وحقاتق التاريخ لا تؤخذ من كتبه فحسب ، بل : تؤخذ من كل مصدر محترم ، بله مصادر الحديث والفرق . وهؤلاء الرجال أيضاً مؤرخون لا للحوادث السياسية وإنما للحياة العقلية ، ولوقصرنا دراستنا على كتب التاريخ السياسى وحدها لفاتنا دون ريب الشيء الكثير . ثم ما رأى المؤلف في أن اليعقوبي وهو مؤرخ متشيع يحدثنا أن علياً أحرق أناساً بالنار ( ص ٢٠١ ) ؟ وما رأى المؤلف الكبير في ابن عبد ربه ؟ الذي يحدثنا في كتابه « العقد الفريد » - وأكبر الظن أن المؤلف لا ينكر أنه من مصادر التاريخ - فيقول :

« فأما الرافضة فلها غلو شديد في عليّ ، ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح ، وهم السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ عليهم لعنة الله ، وفيهم يقول السيد الحميري (١) :

قومٌ غلوا في علي لا أباً لهم وأجشموا أنفساً في حبه تعباً  
قالوا هو الله ، جل الله خالقنا من أن يكون ابن شيء أو يكون أباً

وقد أحرقهم على رضى الله عنه بالنار ( العقد الفريد - ص ٢٠٥ ط لجنة التأليف )  
أقول مرة أخرى ما رأى المؤلف في ابن عبد ربه هذا وليس من المحدثين الذين لا يأنس الدكتور بكتبهم ولا من أصحاب الجدل الذين يضعون بزعمه الاخبار ويختلفون ؟ ؟

(١) ولا ينكر الدكتور طه أن السيد الحميري شيعي .

ثم ما رأى المؤلف أخيراً فى ابن أبى الحديد وهو ليس مؤرخاً فحسب ولكنه معتزلى متشيع ؟ انه أيضاً يحدثنا ويقص علينا هذه الحادثة فيقول :

« وروى أبو العباس أحمد بن عبيد الله عن عمار الثقفى عن على بن محمد بن سليمان النوفلى عن أبيه وعن غيره من مشيخته أن علياً قال : يهلك فى رجلا ن محب مظهر يضعنى غير موضعى ويمدحنى بما ليس فى (١) ، ومبغضٌ مقتر يرمى بما أنا منه برىء (٢) ، قال أبو العباس : وهذا تأويل الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وآله فيه ، وهو قوله : إن فىك مثلاً من عيسى بن مريم ، أحبه النصارى فرفعته فوق قدره ، وأبغضته اليهود حتى بهت أمه ، قال أبو العباس : وقد كان على عثر على قوم خرجوا من محبته باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربههم وجحدوا ما جاء به نبهم واتخذوه رباً وإلهاً ، وقالوا : أنت خالفنا ورازقنا فاستتابهم وتوعدهم ، فأقاموا على قرهلم ، فحفر لهم حفراً دخن عليهم فيها طمعاً فى رجوعهم فغابوا ، فخرقهم بالنار وقال :

ألا ترون قد حفرت حفراً

أنى إذا رأيت أمراً منكراً أوقدت نارى ودعوت قنبراً  
( انظر شرح النهج ١ مجلد ص ٤٢٥ )

هذا ياسيدى معتزلى متشيع — لم تطلع أنت على كتابه فى أكبر الظن — يقص علينا هذه الحادثة ، فليس لإنكارها من سبيل ، ولا يحق لنا أن نتهم هؤلاء جميعاً بالكذب والاختلاق ، والمستشرقون أنفسهم — الذين تسرون فى ركابهم — يعترفون للقوم — أمثال الشهرستانى وابن حزم وغيرهما — بأقذارهم ومكانتهم (٣) .

ونحن لا يسعنا فى ختام هذا النقد الخالص لوجه الحق إلا أن نأسف لما أصاب الدراسات الإسلامية من عقم فى رجالها ، وأكبر الظن أن الاستاذ الدكتور طه حسين سينصفنا من نفسه ، وسينظر لعملنا هذا نظرة علمية خالصة ؟

سعد محمد حسن

المدرس بوزارة المعارف

(١) المجلة - وقد اختار ابن أبى الحديد لنفسه أن يكون من هؤلاء فى قصائده السبع العلويات وغيرها

(٢) المجلة - وليس فى أهل السنة أحد من هؤلاء وقه الحمد .

(٣) المجلة - ومن الأمثلة على أن المؤلف تعرض فى هذا الكتاب لغير ما يحسنه زعمه أن وحشياً كان عبداً لهند بنت عتبة ، فرأينا الناس يقتاتلون ذلك عنه ويتندرون به .



# الكتاب

## تخريج نصوص أرسططالية

في كتاب الحيوان للجاحظ

للدكتور طه الحاجري - مستخرج من مجلة كلية الآداب : ٢٣ ص قالبين

تراث الثقافة العربية في الإسلام وقبل الإسلام من أزخر موارث الإنسانية وأمتعها وأنفعها ، وقد رزئت الإنسانية عامة والناطقون بالضاد خاصة بفقد أكثرها في نسكة التتار والحروب الصليبية وخروج العرب من الأندلس ، والذي بقي منها يحتاج إلى دراسات وتحقيق وحسن إخراج . ومن زكاة العلم على كل عالم أن يقوم من ذلك بما يستطيعه . والدكتور طه الحاجري قد برهن بحسن إخراج كتاب البخلاء للجاحظ على أنه من يؤدون زكاة العلم راضية نفسه بما يتحمل في سبيل ذلك من مشقة . وقد خدم أخيراً تركة أبي عثمان الجاحظ بتحقيق النصوص التي أوردها في كتاب ( الحيوان ) نفلا عن كتاب الحيوان لأرسطو ، فتعرف مواضعها من هذا الكتاب ، وأخذ في المقارنة بين كل منها في الصورة التي أوردها الجاحظ والصورة التي جاءت في كتاب أرسطو ، على النحو الذي وصل إلينا في هذا العصر .

قال الدكتور الحاجري : « وكان من حق البحث العلمي الرجوع إلى الاصل اليوناني ، ولسكننا لم نجد بداً من الاكتفاء في هذا بالترجمة الفرنسية التي قام بها العلامة ساتلير ، وسنرى أن هذه المقارنة تكشف لنا عن كثير من المسائل الجديرة بالبحث ، وأنها تصحح كثيراً من الأخطاء التي وقعت في النشرتين اللتين بين أيدينا من حيوان الجاحظ ( طبعة الساسي سنة ١٩٢٥ وطبعة الحلبي بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون سنة ١٣٥٦ - ١٣٦٤ ) كما أنها تتضمن فوق هذا ما يفيد الباحث في نص أرسطو ، وما قد يجد فيه أداة جديدة لتحرير عبارته ، والموازنة بين قراءاته المختلفة في النص اليوناني . »

والذي نشره الدكتور الحاجري في هذه الرسالة يقتصر فيه على الجزء الأول من كتاب الجاحظ و ٢١٢ ص من الجزء الثاني ، ووعد بمواصلة المقارنة بين ما في كتاب الجاحظ

وترجمة سانتاير لكتاب أرسطو . وكان الدكتور الحاجرى متحلياً بفضيلة الصبر والبصيرة في هذه المقارنة ، حتى تبين له فروق ما بين طبعى الساسى والحلبى ، وما بين الترجمة العربية التى استعان بها الجاحظ وترجمة سانتاير ، كما تبين له ما طرأ على كتاب الجاحظ من تحريف الناسخين ، ومن أمثله تحريفهم كلمة « قورنية » بكلمة « رومية » وكلمة « لقونية » بكلمة « سلوقية » ، فى ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٤ من كتاب الجاحظ ، وتحريفهم كلمة « تقيها » بكلمة « بعينها » فى ٢ : ٥٠ .

وكثير مما أورده الجاحظ من نصوص أرسطو ولم يقع فيه مسخ من النساخ قد يرجع فيه الخطأ إلى آفات الترجمة ، والترجمة معرضة للكافات فى كل اللغات ، وقد اعتذر الجاحظ عن ذلك بقوله : « إن الترجمان لا يؤدى أبداً ما قاله الحكيم ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذهبه ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده . ولا يقدر أن يوفى حقوقها ، ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ، ويجب على الجرى . وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها ، والإخبار عنها على حقها وصدقها ، إلا أن يكون فى العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريق ألفاظها ، وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه . . ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه فى نفس الترجمة فى وزن علمه فى نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ، حتى يكون فيهما سواء وغاية ، ومتى وجدناه أيضاً قد تسلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما . . وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل ، كان أشد على المترجم ، وأجدر أن يخطئ فيه . ولن تجد البتة مترجماً بى بواحد من هؤلاء العلماء . »

وهذا البيان الدقيق الصادر عن أبى عثمان الجاحظ فى أخطار الترجمة وعظيم مسئولية من يقوم بها قد زاد عليه شاعر البرهمية الأكبر تاغور يوم كان فى زيارة القاهرة قبل نحو ربع قرن وسأله بعض المعجبين بكتبه الأدبية التى كتبها مباشرة باللغة الإنجليزية أن ينقل لهم إلى الإنجليزية كتبه التى كتبها بلغة الهند ، فأجابهم : لافى عاجز عن نقل ما كتبت بلغة الهند إلى لغة الإنجليز ، وإن كان ذلك من تألبنى وأنا صاحب الافكار التى فيه ، لأن ما كتبت به باللغة الهندية لا توافى لغة الإنجليز على نقله إليها ، وسبب ذلك أن لكل لفظة فى لغة من اللغات جوّاً يحيط بها ويتأثر به سامع تلك اللفظة بتلك اللغة ، ولو أمكن أن توجد لكل لفظة فى كتب الهندية لفظة فى لغة الإنجليز قريبة منها فإن الجو الذى لتلك اللفظة فى لغة الهند لا يمكن نقله إلى لغة الإنجليز عند اختيار اللفظة الإنجليزية القريبة من اللفظة الهندية ، فتأتى الترجمة ناقصة ولا تؤدى فى اللغة المنقول إليها الصورة الكاملة التى كانت لها فى اللغة المنقول منها .

وكلام تاغور هذا من تمام البيان الدقيق الذى ذكره الجاحظ عن أخطار الترجمة .  
 فرأينا أن نورده هنا تأييداً لما ذهب إليه القائلون باستحالة ترجمة القرآن ، فالترجمة تكون  
 فى العلوم الطبيعية والرياضية بالشروط التى ذكرها الجاحظ ، وتكون فى التاريخ والسير  
 كالتوراة والإنجيل ، وأما فى الكلام البليغ المعجز فإن ما لاحظته تاغور يؤيد استحالة ترجمة  
 مثل القرآن ، ومن زعم أنه ترجمه فإن عمله ناقص ولا يؤدى صورة الاصل حتى لو كان  
 حسن النية ومستوفياً كل ما اشترطه الجاحظ ، وأين مثل هذا المترجم ؟ إنك لن تجده  
 كما أعلن ذلك أديب العربية عمرو بن بحر قبل أكثر من ألف سنة .  
 هذا ولنا عودة إلى ما قام به الدكتور الحاجرى من تخريج نصوص أرسطو فى كتاب  
 الجاحظ عند ما ينتهى من عمله إن شاء الله .

### نظرة إجمالية فى تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند وبا كستان

للأستاذ مسعود الندوى ، نشرته لجنة الشباب المسلم ، ١٦٠ ص . المطبعة السلفية  
 الكتاب الجيد هو الذى يملأ فراغاً فى مكتبة أمة من الأمم لم يكن يملأه غيره من قبل .  
 وهذه الرسالة ملأت فراغاً فى المكتبة العربية ، وقد أجاد مؤلفها عمله . فالأستاذ مسعود  
 الندوى من أفاضل خريجي ( دار العلوم ) بمدينة لكهنؤ وهى مما أسسته ( ندوة العلماء )  
 فى الهند ، وكل من ينتسب إلى هذه الندوة العظيمة فى الهند يقال له ( ندوى ) ، والأستاذ  
 مسعود من خيرة الندويين ودعاتهم إلى الله ، وأول ما اشتهر به لإصداره بالعربية مجلة  
 ( الضياء ) من سنة ١٣٥١ إلى سنة ١٣٥٤ . قال رئيس تحرير هذه المجلة فى المقدمة التى كتبها  
 لهذه الرسالة : والظاهر إن مجلة الضياء كانت سابقة لاوانها فاضطر السيد مسعود الندوى  
 إلى الانصراف عنها إلى ميادين أخرى لجهاده وكان آخر ذلك تأسيسه ( دار العربية ) عقب  
 الحرب العالمية الثانية ، ومن دار العربية هذه صدرت التراجم العربية لصيحات الحق التى  
 ينادى بها المجاهد فى سبيل إصلاح المجتمع الإسلامى الأستاذ أبو الأعلى المودودى .

ورسالة ( نظرة إجمالية ) آخر ما أصدره الأستاذ مسعود الندوى وفيها تعريف من  
 لا يعرف الهند وبا كستان من أفاضل المسلمين بتاريخ سير الدعوة الإسلامية هناك من بدايتها ،  
 وما طرأ عليها من هبوط واعتلاء ، وما صدر عن شائئها والمؤمنين بها من جهود لتقليص  
 ظلها والفضاء عليها ، أو نشر هدايتها والعمل على بعثها وإحياء سقمها . وفى الرسالة أسرار  
 وحقائق لا يعرفها حتى فى الهند وبا كستان إلا الراستخون فى العلم به ذه الناحية من تاريخ  
 الدعوة الإسلامية وأولياها وأعدائها .

فشكراً للأستاذ السيد مسعود الندوى على أن خص اللغة العربية بهذا الموضوع النافع،  
وشكراً للجنة الشباب المسلم على عنايتها بنشر هذا الكتاب القيم .

## الكاكائية في التاريخ

لمؤرخ العراق الأستاذ عباس العزاوى - ١٤٦ ص قالين ، مكتبة الخانجي بمصر .  
وهذا كتاب آخر هو الاول بموضوعه لا في العربية وحدها بل في لغات البشر .  
حقق فيه مؤلفه بدراساته العلمية والشخصية أصل نخلة ( الكاكائية ) ومعتقداتها وتاريخ  
تطورها واستمدادها من طريقة ( الفتوة ) وآدابها ، وبسط كل ما وصلت اليه اليد  
من حالتها الحاضرة ، وكشف عن صلاتها بفرقة القزلباش ، والشبك ، والمساولية ،  
والعلى اللبية ، والبكتاشية . ووصف قراها وقبائل معتقديها وأعيادهم ومزاراتهم وأدبهم  
وشعرهم وكتبهم .

والكاكائية نخلة أصلها إسلامي ، غلت في الدين على طريقة الحلاج والسهورردية  
من أواخر القرن السابع ، مخالفة في ذلك توجيه القرآن وسنة الإسلام ، فأداهم ذلك إلى التخرج  
من ذكر اسم الله ، وصاروا ينكرون صفاته التي وصف بها نفسه ، واعتقدوا أنه يظهر  
في الأشخاص رافة منه بهم ورحمة ، وقد ظهر في ( أدوار الظهور ) بطريقة حلول الله في أبدان  
البشر ومنهم ( على ) . وعقيدتهم هذه تشبه ( النصيرية ) إلا أنها جاءتهم من طريق التصوف  
والسهورردية أو الصفوية .

ومواطن هذه النحلة في شمال العراق : كركوك ومناطقها وبعض قرى ( خاقين )  
( البندنجين ) و ( لاربل ) . ومنهم جماعات في إيران : طهران وتبريز وهمدان  
وكرمانشاه وكرداخ .

ومع فساد عقيدة هذه النحلة فإن لهم ناحية محمودة في أخلاقهم وعفة ألسنتهم وإيثارهم  
السلام ، ولعل ذلك جاءهم من نظام ( الفتوة ) الذي كان معروفا في بعض أدوار الدولة  
العباسية فانتفعوا به في مجتمعهم وروابطهم فيما بينهم ومع الناس .

إن المؤرخ العلامة الأستاذ عباس العزاوى من أعلام العلم المحققين في هذا العصر ،  
ومؤلفاته الكثيرة تزدان بها الآن مكتبة الامة العربية ، وهو أوسع من نعرفهم اطلاعا على  
تاريخ العرب ولا سيما تفاصيل تاريخ العراق ، ومكتبته الشخصية عامرة بالخطوطات  
والنوادير عن الملل والنحل والطوائف الإسلامية والعراقية . وسنحدث إلى القراء عن كتب  
أخرى له إن شاء الله . ونرجو الله أن يتمتع بالصحة والقوة ليواصل جهاده العلمي حتى النهاية .

## صور ومشاهدات من الحجاز

للأستاذ السيد محي الدين رضا - ٢٥٠ ص ، المطبعة التجارية الحديثة

للأستاذ السيد محي الدين رضا كتب متعددة في التعريف بالحجاز ومعالمه ورجاله ، لانه كثير التردد إلى الحرمين الشريفين وينشر في كل مرة كتاباً مافماً في ذكريات هذه الزيارات المباركة وآخرها هذا الكتاب الحافل بما يود كل مسلم أن يقف عليه من أخبار قبلة المسلمين وأحوالها وتطوراتها وتراجم رجالها . وقد ألحق به رسالته ( رفيق الحاج ) الذى يعلمه كيف يحج ويعتمر ويزور النبي ﷺ ، والادعية التى يدعو بها عند أداء الفسك . فجاء الكتاب نافماً لقرائه في دينهم ودنياهم . جزاه الله خيراً .

المهذب في غريب القرآن

للأستاذ الشيخ أحمد عبد الرازق شاخ - ٤ أقسام ٣٢٠ ص ، مطبعة الجهاد بأسىوط

هو كتاب لطيف في تفسير ألفاظ كتاب الله الحكيم مرتباً على ترتيب المصحف ، ومجزماً إلى أربعة أرباع : الاول من الفاتحة إلى آخر سورة الانعام ، والثانى من سورة الاعراف إلى آخر سورة هود ، والثالث من سورة الكهف إلى آخر سورة فاطر ، والرابع للربع الاخير من كتاب الله عز وجل . وقد التزم فيه المؤلف أن يكون طبق المنهاج المقرر على القسم الثانوى من معاهد الأزهر ، وينتفع به كل من يتوخى فهم ألفاظ القرآن من جميع المسلمين . فتلفت الانظار إليه .

## المجاهدون

للأستاذ محمد فهمى الطماوى ، ١٦٠ ص جابر ، المطبعة السلفية

هو كتاب لطيف نافع في الجهاد ومشروعيته ، وأن الحرب في نظر الإسلام ضرورة اجتماعية ، وفي مشروعية القتال في الإسلام ، وموقف اليهود من الدعوة الإسلامية ، وحرب المسلمين خارج جزيرة العرب وسببه ، ووسائل النصر المعنوية ، والدول الغربية والتعاليم الإسلامية ، وأثر العقيدة الإسلامية في النفوس ، والشجاعة الادبية أو الجهاد باللسان ، ووسائل النصر المادية ، ولإعداد الجيش ، ودور المرأة في الجهاد ، وحرب العصابات أو الفدائية ، والأسلحة وأثرها في المدنيين ، والفتح الإسلامى والغاية منه . وهو كما ترى من الكتب النافعة ، فنحث شباب المسلمين على مطالعته والإفادة منه .

# الأدب والعلم في شهر

## إنشاء اتحاد علمي عربي

في الدور الاول ، و ٤١٠٠ من الناجحين في الدور الثاني ، و ٦٦٠ طلبا بالبريد ، و ٣٣٠ طلبا أعيدت إلى أصحابها لعدم استيفاء الأوراق ، وبذلك يبلغ مجموع طلبات الالتحاق بالجامعات الثلاث المصرية نحو ١٢ ألف طلب .

ولما كان العدد الذي تقرر قبوله في الجامعات الثلاث ٨٥٠٠ فسيكون الباقي من الحاصلين على شهادة التوجيهية هذا العام فقط حوالى ٤٠٠٠ طالب ، فضلا عن الحاصلين على هذه الشهادة قبل هذا العام ، وسيعتبر هؤلاء منتسبين لا منتظمين . . .

## جامعة عرابي بالزقازيق

قرر مجلس مديرية الشرقية بالإجماع تأسيس جامعة ومستشفى في مدينة الزقازيق باسم أحمد عرابي ، وخصص لذلك خمسة عشر قدانا يبلغ ثمنها مائة ألف جنيه . وأن تقوم لجنة ذكرى عرابي بجمع المال اللازم للاتفاق على بناء الجامعة والمستشفى ، وبذلك

أوصت اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية في دورتها التي عقدت في القاهرة بإنشاء اتحاد علمي عربي يهدف لجمع شمل العلماء العرب والهيئات العلمية في البلاد العربية ، وإصدار مجلة علمية مبسطة .

وأن يعقد مؤتمر لتوحيد المصطلحات العلمية العربية ، وهؤتمر علمي عربي ثان في سنة ١٩٥٥ ، مع العناية بدراسة تاريخ العلوم وبخاصة عند العرب ، وترجمة السكتب العلمية إلى اللغة العربية ، وتأليف تلك السكتب ، وإقامة دورات تدريبية في تدريس العلوم ، والاستعانة بالخبراء العرب في المشروعات الإنشائية والفنية . . .

## الالتحاق بالجامعات الثلاث

٨٥٠٠ منتظمون و ٤٠٠٠ منتسبون تلقى مكتب الالتحاق بالجامعات المصرية الثلاث نحو ٦٧٠٠ طلب من ناجحي التوجيهية

دولاباً ، وأرشف من الحديد من ثلاثة أذوار طولها ٤٤ متراً .

وبوجد بهذا القسم فرقة تركية للترجمة ، وفرقة عربية لتلخيص ونسخ الوثائق العربية ، والفرقة التركية هي التي كانت تعمل في دار المحفوظات العمومية مع الوثائق التركية ونقلت مع الوثائق عام ١٩٣٣ إلى قصر ( عابدين ) ، وكانت قد أنشأت في دار المحفوظات العمومية عام ١٩٣٠ - عندما ألغت الحكومة التركية استعمال الحروف العربية في اللغة التركية واستعاضت عنها بالحروف اللاتينية ، واستبدلت كذلك الكثير من الكلمات والاصطلاحات التركية المشهورة بأخرى مهجورة - وخوفاً من أن تصبح لغة هذه الوثائق مع الأيام أشبه بالرموز والالغاز كان إنشاء قسم الترجمة هذا ضرورياً جداً ، وقد بلغ عدد السجلات التي ترجمت بهذا القسم ٣٤٤٠ سجلاً ، وعدد الحواظ ٢٤٦ حافظة - عدد وثائقها يربو على مليون وثيقة تقريباً .

وسيضم هذا القسم إلى وزارة الإرشاد القومي لتبنى عليه ( دار الوثائق ) المنتظرة ، وسوف تكون تلك الدار متصلة بكل الوزارات وبتدار المحفوظات العمومية لتجميع الوثائق التي تحفظ بها . وسيلحق بها مكان لتدريب

مستكون جامعة عرابي في مدينة الزقازيق رابعة الجامعات المصرية فيخفف بها الضغط على كليات القاهرة والاسكندرية ...

### وثائق مصر التاريخية

رأت اللجنة المشكلة لدراسة مشروع إنشاء دار الوثائق وعمل اللائحة الخاصة بها أن قسم الوثائق الموجود بقصر ( عابدين ) يصلح نواة لتلك الدار حتى يستقر نظامها .

ومحفوظات ( عابدين ) بها ثلاثة أقسام : الأول يشمل المحفوظات الخاصة بالديوان الملكي السابق ، وهي تشمل سجلات ووثائق أصلية ، أو صور ووثائق تركية وعربية وفرنجية من عهد محمد علي إلى آخر عهد عباس الثاني . والثاني به صور الوثائق الدبلوماسية الخاصة بدور المحفوظات في فرنسا وإنجلترا وإيطاليا والنمسا وأمريكا والروسيا واليونان وبولونيا . أما القسم الثالث فيشمل المحفوظات التركية والعربية التي نقلت من دار المحفوظات العمومية في عام ١٩٣٣ م .

ومحفوظات القسم الأول والثالث التركية موزعة بالتفصيل في كتاب د ديفيه ، عن الوثائق التركية بالقاهرة ، وهذه الوثائق موضوعة في خمسة مخازن كبيرة ، بها ٢٣١

الجامعات الالتحاق بالدراسات التي سيقراها الأزهر هذا العام ؟ فقال : إننا سننظر في ذلك فيما بعد على أساس توفر الصلاحية فيهم للدراسات فيمن يريدنا .

وقلت لفضيلته : يدعو البعض إلى توحيد التعليم في مرحلته الأولى والثانوية على أن يكون الأزهر جامعة يلتحق بها كل من يريد من أتموا التعليم العام ؟ فقال :

إن الأزهر جامعة عريقة ستظل تنشر نورها وتفيض علومها على العالم كله ، ولها طابعها المميز عن غيرها ، ويمتاز أبنائها وخريجوها بأنهم من بدء دراستهم حتى نهايتها تتميز علومهم ومعارفهم بطابع ديني خاص فتسممهم بسمت ديفية ويكون لانطباعاتها وانعكاساتها أثر طيب كريم في نفوسهم وعقولهم عما يهيمهم لحل الرسالة الدينية الحققة في جدارة وأصالة وصلابة واعتزاز .

### عند شيخ الأزهر

اجتمع عند فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر جميع شيوخ المعاهد الدينية في بلاد الجمهورية المصرية ونذا كروا في وضع الترتيبات اللازمة لبدء العام الدراسي الجديد ، وتوحيد الزى وجوب تنفيذه والالتزام به ، كما بحثوا مسألة توزيع الحصص بين المدرسين .

طلبة معهد الوثائق التابع لجامعة القاهرة لتخريج المشتغلين بالوثائق ، وستكون لها في المستقبل فروع محلية في المديرية تشرف عليها الادارة المركزية للدار بالقاهرة .

كما أنها ستضم ثروة مصر التاريخية وجميع الوثائق الهامة الخاصة بتاريخ مصر من جميع أنحاء العالم ، وذلك لتسد النقص الموجود في جمهورية مصر من هذه الناحية لتيسير البحث العلمي على العلماء والطلبة في مصر والخارج .

### استقبل التعليم الأزهرى

بعلومه وشروط الانتساب إليه

سأل مندوب ( البلاغ ) فضيلة الأستاذ الأكبر : لماذا لا تقبل السكليات الأزهرية حملة التوجيهية للدراسة فيها .

فقال فضيلته : إن من أهم ما تستلزمه الدراسات الدينية واللغوية العليا لإجادة القرآن حفظا ودراسة ، وحملة التوجيهية فاقدون لهذا الشرط . ومن أهم ما نعى به العمل على التحقق من إجادة القرآن حفظا بالنسبة للبلتحقين الجدد والعناية بجميع الدراسات المتعلقة بالقرآن بالنسبة لطلاب جميع المراحل التعليمية المختلفة بالمعاهد والسكليات .

وسأل المندوب فضيلة الأستاذ الأكبر : هل سيباح لغير خريجي الأزهر من خريجي



# العجلاء الإسلامية في شهر

## التحرر من مفاسد الماضي

كما تقرر أن يدرس الفقه في المسجد بصورة عملية مبسطة، مع تفسير الآيات والاحاديث الخاصة بالاحكام والاخلاق والتاريخ الإسلامي والثقافة الاجتماعية والتوجيه السليم إلى الوطنية الصحيحة، ومحاربة العادات الضارة كالنار والتماثم والزار وغيرها، والتحلي بما تقتضيه شريعة الاسلام وآداب الحضارة من شئون النظافة والصحة والعمل للصالح العام.

## الشريعة الإسلامية أساس القوانين

حضر الرئيس اللواء محمد نجيب المناقشة التي دارت في مدرج كلية الحقوق بجامعة القاهرة حول الرسالة الجامعية المقدمة من اليوزباشى حسن النورى وموضوعها (دراسة في عوارض الاهلية في الشريعة الإسلامية) الحصول على درجة الدكتوراه. وبعد الانتهاء من مناقشة الرسالة خطب الرئيس اللواء محمد نجيب فقال: «إن لهذه الرسالة أهمية كبرى في الشريعة الإسلامية الغراء التي قامت على أعدل الأسس وأحسها وأدقها، وهي القرآن الكريم والسنة الشريفة، هذه الشريعة السامية التي تصلح لكل زمان. ومكان وإذا كان الغرب قد طغى

قال الرئيس اللواء محمد نجيب في إذاعته عن ذكرى الهجرة: «علينا اليوم - ونحن نستقبل هذه الذكرى الإنسانية الخالدة على الزمن - أن نستوحى عبرها وعظمتها فنعلم أن الشعب الصالح لا يتكون إلا من لبنات هي الافراد الصالحون. وأن هؤلاء الافراد لا تنضج نفوسهم ولا تكتمل قواهم إلا بالتربية والإعداد زمنياً يتعمدهم خلاله الرعاية والمرشدون بالمثل الصالح والقدوة الكريمة. فالذين يظنون من أبناء أمتنا أننا نستطيع أن نتحرر من الماضي بمفاسده كما يخلع الواحد منا ثوبه، يتطلبون من الأيام ضدطباعها.

## رسالة المساجد

انتهت اللجنة المؤلفة برئاسة الاستاذ محمود عبد اللطيف وكيل وزارة الاوقاف لتحديد رسالة المساجد في العهد الجديد من مهمتها، وقد اتخذت قرارات في هذا الموضوع أهمها تكليف جميع الائمة لإلقاء دروس في مساجدهم لمساكنة الامية أو للثقافة العامة أو لتحفيظ القرآن الكريم، طبقاً لمقتضيات البيئة على أن يوضع برنامج كل مسجد بإشراف قسم المساجد.

تقوم بأى عقد أو اتفاق مع أى جهة إلا بعد أخذ موافقة رئيس مجلس الوزراء عليه ، ولرئيس الوزراء حق الإشراف والهيمنة على جميع أعمال الوزارات ، وله أيضاً أن يطلب أية قضية من أية وزارة لتدقيقها وإصدار تعليمات بشأنها .

### كومنولث اسلمى

من ضيوف مصر الآن السيد لإنعام الله خان سكرتير المؤتمر الإسلامى العالمى . وقد عقد مؤتمراً صحفياً فى دار المركز العام للشبان المسلمين ودعا فيه إلى إنشاء كومنولث يضم الدول الإسلامية فى اتحاد أخوة ومساواة لا تعلق فيه دولة على دولة ويكون القرآن هو السراج الذى يهدى الجميع إلى حياة الجد والنشاط فى ظل السلام للبشرية جميعاً .

### اليونسكو ورى الصحراء الغربية

قامت من الجزائر إلى منطقة تشاد فى أفريقيا الاستوائية بعثة من كبار علماء الحيوان وخبراء التربة والنبات برئاسة الدكتور كولمان تحت إشراف هيئة اليونسكو لدراسة التربة فى الصحراء الغربية الكبرى والسودان ومصر وليبيا وتونس .

قالوا : وستضع على أساس دراساتها مشروعات لرى الصحراء ، ولن نجحت لغيرت شمال إفريقيا تغييراً تاماً .

عليها ووضعها فى صورة الرجعية فهذا وهم وخطأ محض . إن القانون الفرنسى الذى استمدت منه الدول تشريعاتها ظل حتى سنة ١٩٢٧ لا يعرف نظرية ( العيب الخفى ) المعروفة فى الشريعة الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرناً . كما أن القانون الفرنسى استمد معظم نصوصه من مذهب الإمام مالك . والشريعة الإسلامية هى أرقى القوانين ، وفيها المرونة التى تسير جميع الظروف ، وكلما أضاف أحد منا جديداً إلى ذخيرتنا من الشريعة الإسلامية ازدادت جلاء .

إن هذه الشريعة التى تنهم ظلماً بالرجعية قد حفظت حقوق المرأة ، وكلما عنيقنا بتفصيلها وإيضاحها أضفنا أسانيد جديدة لمقاومة الأفكار القائلة بأن الشريعة الإسلامية يخشى تطبيقها ، .

### أول مجلس وزراء

فى المملكة العربية السعودية

صدر مرسوم ملكى فى غرة صفر ١٣٧٣ من الملك عبد العزيز آل سعود بتأليف مجلس وزراء تحت رئاسة ولى العهد الأمير سعود يعقد اجتماعات دورية مرة فى الشهر غير الحالات الاستثنائية ، وقرارات المجلس توضع موضع التنفيذ بعد تصديق الرئيس وموافقة الملك ، ولا يجوز لاية وزارة أن

## فهرس

## الجزء الثانى — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بـ
١٢٩	قوى ضائعة . . . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٣٦	نقعات القرآن . . . . .	» عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
١٤١	السنة : شعب الايمان . . . . .	» طه محمد الساكت . . . . .
١٤٦	إشاعات السوء وموقف الاسلام منها . . . . .	حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر . . . . .
١٤٩	فى ذكرى غزوة بدر . . . . .	الاستاذ أحمد محرم . . . . .
١٥٤	مهمة الفقيه . . . . .	الدكتور محمد يوسف موسى . . . . .
١٥٧	السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى . . . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب . . . . .
١٦٢	دولة الاسلام — بين الدين والسياسة . . . . .	» محمد فتحي محمد عثمان . . . . .
١٦٩	لنـويات . . . . .	» محمد على النجار . . . . .
١٧٣	كوفه صهر والشيخ طاهر الجزايرى . . . . .	التحرير . . . . .
١٧٥	أقسام الواجب . . . . .	الاستاذ عبدالله المراغى . . . . .
١٧٨	الديمقراطية فى الاسلام . . . . .	» سعيد زايد . . . . .
١٨٢	غزوة بدر الكبرى . . . . .	اليوزباشى أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
١٨٩	إعداد القوة وأخذ الأهبة للاعداد . . . . .	الاستاذ محمد محمد أبو شبة . . . . .
١٩٣	نشأة كتب الامالى — أمالى القالى . . . . .	» عبد الوهاب حمودة . . . . .
١٩٨	الاسلام والرقى . . . . .	حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر . . . . .
٢٠٢	من مشكلات أدبنا القديم . . . . .	الاستاذ عز الدين اسماعيل . . . . .
٢٠٨	من مفاخر ديننا الخالد . . . . .	» محمد عبد المنعم خفاجى . . . . .
٢١٣	سالم بن معقل . . . . .	» إبراهيم على أبو الحشب . . . . .
٢١٧	الدعوة لتحديد النسل . . . . .	حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر . . . . .
٢١٩	نقد كتاب خرافة الميتافيزيقا . . . . .	الاستاذ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء
٢٢٣	قصوب لغوى . . . . .	» على المبارى . . . . .
٢٢٥	العزة فى القرآن الكريم . . . . .	» أحمد الشرباصى . . . . .
٢٣٢	عقد للتأمين فى التشريع الاسلامى . . . . .	» أحمد طه السنوسى . . . . .
٢٣٧	نقد — الفتنة الكبرى . . . . .	» سعد محمد حسن . . . . .
٢٤٦	الكتب . . . . .	قلم التحرير
٢٥٢	الأدب والعلوم . . . . .	» »
٢٥٤	العالم الاسلامى فى شهر . . . . .	» »

رئيس التحرير  
عبدالله الخطيب

العنوان  
ادارة اجماع الارزهر بالقاهرة  
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الانوار

مجلة شهرية تبعا لجمعية  
تصدر عن شيخ الازهر في اول كل شهر عربي

الاشتراك السنوي

٥٠ في مصر ولبنان  
٣٠ للطلبة في مصر والسودان  
٦٠ في الخارج  
٤٠ للطلبة في الخارج  
ثمان الجزء ٥

الجزء الثالث - القاهرة في غرة ربيع الاول ١٣٧٣ - ٨ نوفمبر ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جَدِّدْ نَفْسَكَ

ثيابنا تتسخ ، فنزعها عن أبداننا لتغسل وتكوى ، وما تزال تتسخ وتغسل وتكوى حتى تبلى ، فندعها ، ونجدد لأبداننا ثيابا غيرها .

وأبداننا تتسخ ، فتعافها نفوسنا ، ثم نمر عليها بالصابون والماء حتى نرتاح إلى نظافتها ، ونعد ذلك نعمة ونعما .

ومنازلنا التي نسكنها ، وما فيها من أدوات ومرافق ومكتب ، وما وراها من شوارع وميادين وأحياء ودروب ، كل هذه تتسخ ، ولا نكون من أهل الحضارة والأذواق السليمة إلا إذا توصلنا إلى تنظيفها وإزالة ما طرأ عليها مما تنفر منه النفوس وتضيق به المشاعر .

وكما تتسخ الثياب والأبدان والمنازل والمرافق والشوارع والأحياء ، فإن النفوس تتسخ كذلك ، وتحتاج دائماً إلى تنظيف ، وقد تحتاج في بعض الأحيان إلى تجديد ، أكثر مما تحتاج إلى ذلك الثياب والأبدان والمنازل والمرافق .

ينشأ ناشئ الفتيان منا ، فتقذف به دواعي الحياة إلى سلوك طرقها وخوض لججها . ثم تجمعهم جامعة الحياة بمن يصحبهم في الحياة ويجاورهم ويتعاون معهم . فأصحاب النفوس الظليفة يتصاحبون ويتجاورون ويتعاونون على الحق والخير ويكتبون مع أهل الإحسان ،

فتبقى نفوسهم نظيفة ، ويكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه . وأصحاب النفوس الملوثة يتصاحبون بالرياء والتقية ، ويداجى بعضهم بعضا ، ويخالس كل منهم صاحبه ، ويكون لكل منهم مع كل واحد منهم وجه غير وجهه الأخرى . وقد يستيقظ ضمير أحدهم في يوم من الأيام فيرى بعين بصيرته أن هذه الحياة التى يحياها مع أصحابه المداجين إنما هى حياة قدرة ، فيتمنى لو أنه تمكن من تنظيف نفسه كما ينظف الإنسان بدنه وثوبه وبيته ومكتبه ومرافقه .

ويتحدث أحدنا إلى آخر فبأتى فى خلال الحديث ذكر شخص ثالث ، فيذكره أحد الرجلين بما يسوءه لو أنه بلغه ، ويصغى الآخر إلى قالة السوء هذه فلا ينكرها ، أو ينكرها فيشمتز منه صاحبه ، وقد يحدث بينهما ما يئالج به قلب الشيطان . إن هذين الصاحبين كانا قبل هذا اللقاء وهذا الحديث نظائفي النفس من هذه الغيبة وما ربما ترتب عليها من خصومة ، ثم اتسخت بذلك نفس أحدهما أو كليهما فأصبحت فى حاجة إلى تنظيف أو تجديد ، كما يحتاج الثوب والبدن والمنزل والمكتب إلى مثل ذلك .

ونحن الآن فى موسم افتتاح السنة الدراسية ، وإن عشرات الألوف من الطلبة يهرعون إلى معاهد العلم وكنياته ، وسينابرون جميعاً على الاشتغال بالعلم فى كل أيام الدراسة . فن كان منهم على المهمة كريماً على نفسه مزعماً أن تكون له رسالة فى الحياة يؤديها لآمته بما يتفق مع مبادئها فى الماضى وأهدافها فى المستقبل ، فإنه يمشى حريصاً على نظافة نفسه وصيانة معدنها من كل ما يدنسها فيما بينه وبين نفسه وما بينه وبين الله ، ويتوخى أن يكون ما يكتسبه من حقائق العلم وسنن الأخلاق والفضائل غاية يطلبها فى مدة الدراسة وفيما بعدها من المهد إلى اللحد كما كان يقول أسلافنا ، ولا يعتبر ذلك وسيلة للشهادات لتكون الشهادات بعد ذلك وسيلة أخرى لطلب العيش . وأنا أحب لطالب العلم والفضائل - الذى يعتبر العلم والفضائل غاية له فى الحياة - أن يعلم أنه هو طالب العلم حقاً ، وأنه هو الإنسان النظيف ، وأن مالك ابن أنس ، والليث بن سعد ، ومحمد بن إدريس ، وشمس الدين بن القيم ، والحافظ ابن حجر ، وأضرابهم هم الذين ينبغى له أن يتخذهم قدوة له فى طلب العلم لله ، وأن يجدد ليليلهم منزلتهم فى هذه الأمة وتاريخ ثقافتها ، وأن يحرص - مع صيافته نفسه عما يلوثها - على أن يتوسم فى زملائه الطلبة من يراهم من أهل الاستعداد للخير فيبعدم عن قرناء السوء ، ويحسن توجيههم إلى ما اختاره لنفسه من وجهة يبلغ بها مرضاة الله . فهذا الطراز من الطلبة ذوى النفوس النظيفة هم أمة المستقبل المحمود ، وهم الحلقة المتصلة بسلسلة الماضى الذهبية ، وهم الناس ،

وهم تنهض الاوطان . أما الآخرون ممن يتخذون العلم حماراً يركبونه ليأخذوا الورقة التي يتاجرون بها لطلب العيش إلى أن يموتوا ، فسيموتون كما تموت السوائم والمواشي ، لأن لم يتمنوا بعد الموت أن لو كانوا فعلاً من السوائم والمواشي ، لثلا يحاسبوا على نياتهم الرخيصة ، ولأسفاهم بآمالهم وأعمالهم إلى ما لا يحمدون مغبته .

ويكون أحدنا موظفاً في مصلحة من مصالح الحكومة ، ويكون رزقه الذي كتبه الله له ولعِياله من خدمة مواطنيه الذين لهم مصالح تحت يده في وظيفته ، فيأتيه مواطنه لقضاء المصلحة التي له عنده ، ولا يخفى على الموظف أن هذا المواطن قطع في سبيل الوصول إليه مسافات وأضاع لذلك وقتاً كان هو ووطنه في حاجة إليه . وهنا يكون الموظف في موقف الامتحان : فإما أن يكون من ذرى النفوس النظيفه — وما أقل هؤلاء — وحينئذ يبادر إلى قضاء مصلحة الرجل وإنجاز عمله بأيسر ما يستطيع ، وإما أن يكسل عن أن يمد يده إلى ملف هذا المواطن لإجراء ما هو مأجور من خزانة الدولة ومال الامة على أن يتمه له فيتسكأ عن ذلك ويقول له : تعال بعد أسبوع . . وهذه الكلمة لا تصدر إلا عن نفس تحتاج إلى تنظيف ، وإن كان بدن صاحبها وثيابه ومنزله ومكتبه وجميع مرافقه نظيفة .

وقد تكون ثيابنا ومرافقنا ذات ألوان قاتمة ، فإذا أصابها وساخة خفي أمرها حتى على صاحبها وإن أبداننا مستورة بثيابنا ، فلا يكاد يشعر بوساختها إلا أصحابها على قدر ما لهم من شعور . أما النفس الإنسانية فمن صنع الله ، وقد صنعها الله نقية على فطرته فلا تحمل من دنس الانانية والشهوات إلا ما ارتضاه لها صاحبها راغباً مخفراً . وإن لإرادته للطيب أو الخبيث ، وللجيد أو الرديء ، وللحق أو الباطل ، وللخير أو الشر ، هي مناط التكليف ، وبها وبآثارها من العمل — على درجاته — يكافأ المرء أو يعاقب في الدنيا وفي الآخرة .

ومهما تسكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وإذا كان للناس من بصائرهم وتجاريهم ما يميزون به بين النفس النظيفة والنفس المدسنة ، بما يلحونه من آثارهما ، وما في ذلك لأهل الالمية من علامات ، فإن خالق الابصار والبصائر ، المهيمن على الظواهر والعرائر ، عليم بكل ما يحل به الإنسان نفسه من فضائل ومآثر ، أو يدنسها به من صغائر وكبائر .

كل بني آدم خطّامون ، وما منا إلا من هو عرضة لأن تقسخ نفسه بما يعلم أو لا يعلم من أوساخ الحياة وأقذارها . والعصمة لانبيا الله وحدهم فيما بلغوا الناس عن ربهم ،

وفيما يتفق مع جلال رسالتهم . ولذا كنا نعرف كيف نتخلص من أوساخ ثيابنا وأبداننا ومنازلنا ومرافقنا ، فما هو السبيل لتتخلص من أوساخ نفوسنا ؟ !

هذا السؤال طالما خالج نفوس الناس وحدثوا أنفسهم به . وقد طلب إلى أحد شباب المسلمين أن يكون ذلك حديثي مع قرأني في هذا الشهر .

إن أوساخ النفس تعافها وتأنف منها نفس صاحبها ، قبل أن يعافها ويأنف منها الآخرون . ثم هي عبء عليه يتعذب بحملها . ولو أن ضامناً ضمن له رجوع نفسه إلى ما كانت عليه من نقاء الفطرة الإلهية في زمن الطفولة لاغتبط بذلك ، ولاستأنف مع نفسه وربّه ومع الناس حياة جديدة يرضى هو عنها ليرضى الله عنها .

هذه أمنية يشعر بها مرتكب الأخطاء في لمحات من حياته يستيقظ فيها ضميره ، فيشعر بوطأة الذنوب ، ويتمنى لو تخفف منها .

والرجوع إلى نقاء النفس في طفولتها أمنية كل مذنّب وكل خاطئ . ولو كشف لأحدنا الغطاء عن أدنس النفوس وأقذرها — كنفوس الزواني واللصوص والمجرمين والظلمة — لرأينا هذه الأمنية مستقرة في قراراتها ، ومنطوية في أعماق ما تطوى عليه جوانحها من أمانى ، ولو في بعض الأحيان .

إن تنظيف النفس أيسر على صاحبها من تنظيف ثوبه وبدنه ومنزله ومكتبته ومرافقه . كثير من الناس ، وأكثر الفساة بل كلهن ، يتمنون لو يرجعون من سن الكهولة إلى سن الشباب والصبا والطفولة ، ولكن هيات . أما النفوس المثقلة بأوساخها فتستطيع أن ترجع إلى ما كانت عليه من نقاء عند ما كانت في سن الشباب والصبا والطفولة . ويسعى هذا الرجوع بلغة الاسلام : أوبة ، وتوبة . وأول علاماتها الندم الصادق على ما وقع من الانسان من هفوات أدت إلى ما علق بنفسه من أضرار . ويقترن بالندم على ذلك الاقلاع عنه ، والعزم على ألا يعود إلى تلك الهفوات أبداً . وإذا كان ما وقع من الانسان وتدنست به نفسه يتناول حقاً من حقوق الناس المادية كالمال أو ما كان في حكمه ، فلا تتم هذه الأوبة من حالة الدنس إلى حالة النقاء إلا بأن يبرأ من ذلك الحق برده إلى صاحبه واستبراء ذمته منه ، وإذا كان يتناول حقاً من حقوق الناس الأدبية كالغيبية والنيل من الكرامة فعليه أن يعترف بذلك لصاحب هذا الحق ويستحلّه منه ، وإن كان قدفاً ممكنه من إقامة الحد عليه وطلب العفو منه .

كلنا من صنع الله ، وهو مالكنا ، ونحن له . وإن خرج أحدنا عن طاعة سيده

بإقرار الإثم ، والانحراف عن الطريق الذي رسمه له خالقه ، وتدنيسه النفس التي اتصفت به الله عليها وهي نقية طاهرة ، كل ذلك يعد تمرداً منا على موجدنا ومالك أنفاسنا وعصياناً له . فماذا نبنا إلى رشدنا ، وأدركنا خطأنا ، وندمنا عليه ، وأردنا أن نطهر نفوسنا من هذه الأوساخ التي لوثناها بها ، فإنهم هنا الندم ، والاعتراف بالخطأ ، والاقلاع عنه ، والعزم على عدم العودة إليه أبداً ، كفيل بأن يردنا إلى الله بعد أن تمردنا عليه وابتعدنا عنه . وقد أخبرنا الهادي الأعظم حامل آخر رسالات الله وأكملها صلوات الله وسلامه عليه أن الله يفرح بأوبة هذا المذنب إليه ، وإقلاعه عن ذنوبه . وإن بما صح عن نبي الرحمة من حديث خادمه أنس بن مالك الأنصاري أنه ﷺ قال : « الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها » .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » .

لإذن فتتطيف النفس من أوضارها أهون وأيسر من تنظيف الثياب والبدن والمسكن والمرافق . ولا يحتاج هذا التنظيف إلا إلى شيء واحد وهو العزيمة الصادقة التي هي مقياس رجولة الرجل ، فإذا ندم الواحد منا على ما فرط منه ، وعزم على أن يقلع عنه ، وعاهد الله صادقاً على ألا يعود إلى ذلك أبداً ، فبذلك ترجع نفسه إلى ما كانت عليه في عهد طهارتها ونقاها ، بشرط أن يتحمل من حقوق الناس وتبرأ ذمته من كل ما أصاب من أموالهم وكراماتهم . إن هذا ميسور للمسلم في كل سائحة من سوائحه ، لأن الله أقرب إلينا من كل ما يتصل بنا وتتصل به . وقد روى الترمذي من حديث عبد الله بن عمر « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر » . ومعنى ذلك أن الطريق إلى تنظيف النفس مفتوح لصاحبها من ساعة اقترافه الإثم إلى آخر حياته . وقد حض الله عز وجل على ذلك فقال في سورة النور ( ٣١ ) : ( وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ) . وقال في سورة الشورى ( ٢٥ ) ( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ) بل إن في كتاب الله سورة مستقلة باسم التوبة ، أرشد فيها إلى أن من مطهرات النفس الإسلامية الصدقة ،



وقد سميت « الزكاة » زكاة لأنها تطهير للأموال ، فقال عز وجل في الآيات ١٠٣ - ١٠٥ من هذه السورة مخاطباً رسوله الأعظم إلى الإنسانية كلها : ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم . ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم . وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ) .

وكال التوبة وجهالها في أن تكون توبة نصوحا . قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقال مثله أبي بن كعب صاحب رسول الله ﷺ : « التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع » . وقال سعيد بن المسيب : « توبة نصوحا تنصحوون بها أنفسكم » . أي قد نصح فيها التائب ولم يشبهها بغش . ونقل عالم مكة في القرن الحادى عشر محمد بن علان الصديقي عن الإمام شمس الدين بن القيم في كتابه مدارج السالكين أن « النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء : أحدها تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنباً إلا تناولته . والثاني : إجماع العزم والصدق بكليته عليها ، بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار ، بل يجمع عليها كل إرادته وعزمته مبادراً بها : والثالث : تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله تعالى وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده ، لا كمن يتوب لحفظ جاهه أو حرافته أو منصبه أو لحفظ حاله أو ماله أو استدعاء حمد الناس أو الهرب من ذمهم أو نحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله تعالى . فالأول يتعلق بما يتوب منه ، والثالث بما يتوب إليه ، والآخر يتعلق بذات التائب نفسه . ولا ريب أن التوبة الجامعة لما ذكر تستلزم الغفران وتتضمنه ، وتحقق جميع الذنوب ، وهي أكمل ما يكون من التوبة » .

وبعد فما أدرى هل تشعر جماهير الأمة - ولا سيما أهل العلم والثقافة فيها - أننا نستقبل طوراً من أطوار حياتنا العامة غير الطور الذي كنا فيه ، وأنها على مفترق الطرق فيما نأخذ وما ندع ، وأن هذا التطور يترتب عليه حتماً أن ننظف أنفسنا من أوضار الماضى وأوساخه لنستأنف حياة جديدة يحمل رسالتها المدرسون إلى الطلبة ، وقادة الفسكر إلى الشباب المفسكر ، وزعماء الرأى إلى ذوى الرأى ، ورأس ذلك وعموده « تجديد النفس » ، وفي يدك يا أخى أن تجدد نفسك ، فبادر إلى ذلك ، وافتح مع الله صفحة حساب جديدة تكون فيها إن شاء الله

من الراجحين الفالحين .

محّب الربيع الخطيب

# نَهْكَاتُ الْفِرَاقِ

- ٩ -

## الدَّعَاءُ

[ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن  
فقد استمسك بالعروة الوثقى]

في ضوء القرآن وضحت للبصائر معالم الحق ، وأسفر على وجه الدنيا صبح طال ليله ،  
وتوسمت الإنسانية في مشرقها الجديد حياة رشيدة وآمالا صادقة .

وكان من بواكير الغايات التي أبه لها القرآن في تربيته الحديثة للنفوس أن ينتزع المرء  
من وثنيته ، ومن تبعيته للأشخاص ، ويقصره على الصلة بربه ، حتى تكون صلة إيمان  
مخلوق بخالقه : لا تقديس لإنسان لصنم ، ولا سيطرة لإنسان متبوع على إنسان تابع .

وبركيز هذا الأصل نهضت شخصيات كانت قابضة وتوارت عن محيط الجماعة الإسلامية  
تلك السيطرة التي أذلت رقاب مستضعفين لكبراء ، وحبست أناسا على أناس ، حتى تلاشت  
في غمار ذلك حريات الإرادة ، وتعثرت عقليات ربما كانت موهوبة ، والتوت عن الوجهة  
الصالحة أفكار ربما كانت تجددى .

بل طغت تلك السيطرة ، واستسلمت تلك التبعية ، حتى كان المستضعفون يضلون بضلال  
كبرائهم ، ويكفرون بكفرهم ، ثم لم يفتقروا من ورطتهم هذه حتى انطوت بهم الأيام  
ولم يبق لهم غير ذكريات مخزبات على لسان الزمن ، ومأس فاجعات تنتظرهم يوم يعرضون  
على ربهم فيود المستكبرون لو تبرأوا من أتباعهم ، ويعتذر المستضعفون عن أنفسهم ، ثم يستسلم  
الفریقان لما قضى به في شأنهم [لأناكل فيها - النار - إن الله قد حكم بين العباد] .

وإذ كان الإسلام الجديد يأبى على أمته الجديدة أن تحيا تلك الحياة الذليلة ، كان لا بد  
له أن يطلق الأفكار من تقاليد الرثة ، ويستخلص الإنسانية من عوائق الوهمية ، لتسير  
على فطرتها إلى أهدافها السامية .

ورجعة إلى سياسة القرآن في تربيته الصالحة نراه - مع ما شرع من عبادات ، ووضع  
من نظم - عنى بوسيلة توجيهية ، ربما كانت أقوى أثرا في تكوين الشخصية ، وأجلى مظهرا

في سلامة التفكير ، وتركيز الشعور بأن الناس في الإنسانية سواسية كأسنان المشط ، لا يرجح بعضهم على بعض إلا بقدر ما تدعو النظم الاجتماعية في حدود معينة ، تلك الوسيلة هي : اجتذاب الناس إلى ربهم بما شرع لهم من الدعاء ، والرجوع إليه في كل ما يحزبهم من شأن ، وكل ما يروق لهم من أمل .

وقد لا يكون الدعاء مبتدعاً في القرآن ، ولكنه فيه بلغ شأواً أكد وأرحب ، وما أحسب ( إلا أغلف القلب ) من يرى الدعاء حيلة البؤساء ووسيلة المستضعفين ، فإن الدعاء عروة وثقى ، يتعلق بها العبد فيما هو بسبيله من أعمال ، أو فيما هو قادم عليه من أهوال ، فيكون مستأنساً برعاية الله ، مطمئناً إلى معونته ، الذين آمنوا ، وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، ، وليس يستغنى عن حماية الله ورعايته من يعيش تحت سمائه ، وإن غفل عن ذلك الغافلون .

وما أحسب - كذلك - من يظن الدعاء في جانب الآخرة وحدها : لا في جانب الدنيا ، فإن الدنيا نعمة موهوبة من الله ، وفي الدعاء بشأن من شأنها الحلال اعتراف بالنعمة ، ونوع من الشكر يتقدم به العبد إلى ربه ، والله يحب كل أنواع الشكر ، ويزيد سائر الشاكرين من فضله كما تعهد في قوله : « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم » .

وقد بلغ من شأن الدعاء عند الله - كوسيلة من وسائل التربية والنشيف - أن الله يستحسنا عليه في كثير من آياته ، ويستمنحنا إلى عطاءه - في الدنيا : حظاً ورزقاً وتأيداً ، وفي الآخرة : عفواً ورضواناً ومثوبة - حتى يرى الناظر إلى تلك الآيات وكثرتها أن كل دعوة مجابة ، وأن كل رجاء مقبول .

وما دامت هذه التوجهات من جانب الله في كتابه ، مع ما يؤازرها من حديث نبيه الصادق ، فهي وعود حققة ، والله لا يخلف وعده مع من اتجه إليه بخالص الرجاء . ويسهل عليك أن تراجع من الآيات ما يحضرك ليتبين لك ما نحن بسبيله من خطورة الدعاء شأننا في توثيق الصلة بين العبد وربّه ، واستعانت به بالله على الدنيا .

فالله تعالى يقول : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، وهذا إطلاق في التكليف لم يقف به عند نوع خاص من أنواع الدعاء ، فهو يشمل ما يتصل بالآخرة والدنيا جميعاً ، كما يشمل أنواع العبادة المرسومة ، فما هي كذلك إلا دعاء ضمنى ، وتسبيح وتكبير ، وطاعات أخرى تؤول كلها إلى طلب مرضاته والتماس مثوبته ، ثم يقول : « وإذا سألك عبادى عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، وهذا استنهاض قوى إلى الله بذكر قربّه

من عباده ، وأنه يجيب دعوة الداعي إذا وجه نفسه إليه ودعا بما يدعو ، راجيا من فضله ، غير قانط ولا مدخول النية .

وفي مقام التذليل على ألوهيته وحده ، يقول سبحانه : [ أُمّ من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ إله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون ] فهذا امتتان بقبول الدعاء ، وإنما يمتن الله بالشئ ذى البال ، وفيه مواجهة بوصف يعرفه العبد عن نفسه ولكنه ينساه ، وهو أنه يفزع - حينما يتخرج أمره ، ولا تسعفه الحيلة - إلى من بيده الأمر كله فيدعوه ليكشف عنه السوء .

وكذلك يستنهض الله عباده إلى دعائه ، ويعلمهم من أدب الدعاء ما يكفل قبوله ، ويقول في ذلك : [ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ] فالتضرع أدب في خشوع ، والخفية تجرد عن الرياء ومن لم يطب نفساً إلى دعاء ربه أخذأ بهذين الوصفين فهو معتد على مقام الألوهية ، وهو بغيبض إلى الله [ إنه لا يحب المعتدين ] بل تأخذ الآية في توجيه الإنسان إلى سبيل أجدى عليه في الدعاء ، فتنهاه عن الفساد في الأرض : أيا كان نوع الفساد فيها ، ليسكون غير محارب لربه ، وتغريه بالدعاء خوفاً من بأسه وطمعاً في فضله ، والمؤمن الحق يمشي دائماً على الخوف والطمع ، والحذر والرجاء ، ومن كان كذلك فهو المحسن الجدير بما وعد الله أهل الإحسان [ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، وادعوه خوفاً وطمعاً ، إن رحمة الله قريب من المحسنين ] فأنت ترى أن هذه الآية تنزعك انتزاعاً من الركون إلى غير ربك ، وتدفعك دفعاً إلى رحابه الفياضة ، وكان حسبك أن الله يعلم شأنك ، ولكنه يحب نجوى عباده : ضراعة إليه ، ليرفع من شأنهم ، ووقوفاً لديه ، ليجزل من عظائمهم .

وعلى هذا النمط ، تأخذ بنا الآيات إلى مواطن الأمل فيمن عنده أصدق الأمل ، فإذا قدر لنا أن نسلم وجوهنا إليه محسنين ، انجابت الوثنية في كل شكل من أشكالها ، وتقلصت التبعية المقيتة التي هي صورة من صور الوثنية ، وصارت القلوب والجوارح متجهة إلى الله وعاملة على هدى الله [ ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم ] .

ولئن اتضح لنا أن الدعاء - بمشروعيته ، أو بما ورد من آيات التكليف به ، وبما في تلك الآيات من وعود كريمة ، وتهديدات شديدة - سبيل مستقيمة إلى الله ، فقد يزيدنا تأكيداً من هذا البيان أن آيات أخرى جاءت بأنواع من الدعاء ، فهي نماذج واضحة تطابق كل أمل نرتجيه ، وتسائر كل رغبة نعتشقه .

فهناك دعاء بالزوجات والذرية ، ودعاء بالارزاق والاموال ، ودعاء بالنصر على الخصوم ، وعدم شتمة الأعداء ، ودعاء بطول الاجل ، ونجح الأمل ، ودعاء جامع بحسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة ، بل في القرآن أدعية وأدعية ، وكلها جرت على ألسنة الأنبياء والصالحين الأولين . . . وقص الله علينا سيرهم لنحذو حذوهم ، فنَدَعُو بما شئنا ، وبما ورثنا من أدعيتهم ، وكل هذا طيب والله طيب لا يقبل إلا طيباً [ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ] .

أما ما يكون من سفه وبذاء ، ولغو ومجون ، فإنه بغيض إلى الله ، يرده على أهله [ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ، إلا من ظلم ] .

وإذ تبين لك إغراء القرآن بما يطيّب من دعاء الخير فقد أفسح الله لنا في معرضه فجعله مستساغاً في كل وقت من ليل أو نهار ، وعلى أي حال من قيام أو قعود ، وإن كان بعض الأزمّة أفضل من بعض ، وبعض الأمكنة أفضل من بعض ، وبعض الأشخاص أفضل من بعض ، فأوقات السحر ، وساعات الوقوف بين يدي الله ، وأماكن العبادة ، ومواقف الحج أفضل مما عداها ، وكذلك الاتقياء وأهل الإحسان ، والوالدان والرحم الموصولة أقرب دعاء من سواهم ، والنبي ﷺ يقول : إن لله خواص في الأزمّة ، والأمكنة ، والأشخاص .

وبذلك يتاح لمن أراد أن يكون في معية الله ورعايته أن يجعل لسانه رطباً بالدعاء وإن كان قائماً بشأنه ، أو كادحاً في حياته ، أو مهيمناً على الشئون العامة . فإنها صلة القلب - إن المحب عن العزال في صمم - .

وبعد - فهل ترى الدعاء - وذلك شأنه - مجرد وسيلة عني بها القرآن لتربية أفراد من آمنوا به ؟ لو كان كذلك لكان شأنه أهون .

ولكن الله جعل في الأدعية تعاطفاً بين القلوب ، وتجاوباً بين الشعور ، وتناصراً بالالسن ، والتقاء عند الغاية . فإذا رددته الالسن بزفرات الضراعة ، وتصادد هنا وهناك من أفراد المسلمين وجماعاتهم ، كان مظهرًا للوحدة في العقيدة ، وللوحدة في الوسائل والأهداف ، وكانوا كشأنهم في الصلوات ، والمناسك ، وإن أمة تتجمع قلوبها وألسنتها ، وتتحد أو تتقارب غاياتها ، لجديرة أن يستجيب الله لها ، وأن يمكن لها دينها ، ويشهد من أزرها وذلك وعد الله وكم صدق الله وعده وأعز جنده ؟

عبد المظيف السكي

عضو جماعة كبار العلماء

# الحياء النبوي

## الحياء النبوي

درجات الحياء - مكان الحياء النبوي منها - مثل من هذا الحياء  
 قبل الرسالة وبعدها - عظمة هذا الحياء واتساقه مع الفضائل النبوية  
 - حياء العبودية - حياء الإجلال والمعرفة - حياء الكرم - قيس  
 من مكارم النبوة .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا . وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ ، .  
 رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

\* \* \*

العذراء : البكر ، من العذرة ، وهي جلدة البسكرة ؛ والخدر : الستر وزناً ومعنى ،  
 وأخدرت الجارية : لزمت الخدر ، وأخدرها أهلها وخدروها : ستروها وصانوها  
 عن الامتهان والخروج لقضاء حوائجها .

\* \* \*

حاولنا أن نبين في الجزء الماضي مكان الحياء من الإيمان ، ونحاول أن نبين في هذا  
 الجزء مكان الحياء النبوي من الإنسان ، نعني الإنسان الكامل الذي صنعه الله على عينه ،  
 وصاغه بيده الكريمة من مكارم الاخلاق .

ومهما نبأغ الجهد من هذه المحاولة ، فلن نصيب منها إلا بمقدار ما نلم من أخلاق هذا  
 الإنسان الكريم ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، ثم أثنى عليه بقوله الحق : « وإنك لعلی  
 خلق عظیم ، .

من الحياء ما هو غرزي جبلي ، ومنه ما هو تربوي مكتسب . ويقع هذا الثاني على أنحاء ووجوه شتى ، أبانها ابن القيم في « مدارج السالكين » ، عشرة : حياء جنائية ، وحياء تقصير ، وحياء إجلال ، وحياء كرم ، وحياء حشمة ، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها ، وحياء محبة ، وحياء عبودية ، وحياء شرف وعزة ، وحياء المستحي من نفسه .

أجل ابن القيم هذه الوجوه ، ثم أخذ يفصلها تفصيلا (١) .

وسنرى بعد أن نعرض طرفا يسيرا من سيرته صلوات الله وسلامه عليه ، كيف آتاه الله تعالى من الحياء الجبلي أعدل وأجمله ، ومن الحياء المكتسبي - على اختلاف وجوهه - أجزله وأكمله ١٩ وكيف كان حياؤه يهيمن عليه في سره وجهره ، وسائر معاملته : مع ربه ، ونفسه ، وأهله ، وعشيرته ، وصحابته ، وأُمته ، منذ نشأته الأولى ، إلى أن ألحقه الله بالرفيق الأعلى ١٩ ثم كيف كان هذا الحياء النبوي العجيب ، لا ينال من بعيد أو من قريب ، شجاعته وإقدامه ودعوته إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وغضبه لله عز وجل ، وتعظيمه لحرمت الله ، وشدة غيظه على دين الله ، وجهاده للكفار والمنافقين وغلظته عليهم كما أمره الله سبحانه ١٩ .

ولئن صح ما قيل : إن الشجاع لا يكون حياء ، لأن الحياء يمت إلى الجبن بنفس - إن هذا لا ينبغي لمن جملة الله بالمسكارم ، وزينه بالفضائل ، وجعلها فيه - كاملة مكملة - على اتساق وتضافر ، لا ينبغي بعضها على بعض ، ولا تنقص واحدة من صاحبها فتبطل . وما لا موضع للجدال فيه أنه كان صلوات الله وسلامه عليه أعظم الناس شجاعة وإقداما ، مع أنه كان أشدهم حياء ، وأكثرهم عن العورات لإغضاء .

والصواب أن الحياء وسط بين الخجل والوقاحة ، وهو من الفضائل التي تنتظمها العفة - كما قال ابن مسكويه - وليس الجبن منه في شيء ، والخجل : حيرة النفس لفرط الحياء ، والوقاحة : لجأ النفس في تعاطي القبيح . . وأيا ما كان الحياء فإنه محمود ما لم يفض بصاحبه إلى منقصة أو يحول بينه وبين مكرمة . وما كان حياء النبي ﷺ - على شدته - ليحول بينه وبين مكرمة ولا فضيلة ، بل كان على العكس من حياء الناس ، يظاهره على الفضائل ، ويعاونه على المسكارم ، في رفق وأناة ، وعلم وحكمة .

\* \* \*

ها نحن أولاء نقرأ فيما نقرأ من معاملته ﷺ لربه وعبادته له ، أنه كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ؟ فيقال له : يا رسول الله أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ وسم هذا إن شئت حياء العبودية ، وهو مزيج من المحبة والخوف ومشاهدة التقصير في حق العلي الكبير جل ثناؤه ، وإن العبد إن جد في عبادته فهي دون ما ينبغي للجلال وجهه ، سبحانه لا نحصى ثناء عليه ، وإن شئت فسمه حياء الإجلال ، وهو حياء المعرفة ، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه ، لا جرم أنه صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بربه وأعلمهم به وأخشاهم له .

\* \* \*

ونقرأ فيما نقرأ من معاملته للناس ، أنه لم يجابه أحداً قط بما يكره ، حياء وكرم نفس ؛ فإذا أتى أحد ما لا يحب تغيير وجهه وعرف ذلك منه <sup>(١)</sup> . وإذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون كذا أو يقولون كذا ؟ ينهى عن الشيء ولا يسمى فاعله ، دخل عليه رجل به أثر صفرة كرهها ، فلما خرج قال : لو قلم له يغسل هذا ! .

ولم يسكن - لشدة حياؤه - يثبت بصره في وجه أحد ، وكان يسكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره ، وما عرف عنه تصريح بمباشرة النساء قط ، اللهم إلا في حدود الله عز وجل كما في حديث الذي اعترف بالزنى وجاء إليه ليطهره بإقامة الحد ، فقال له : لعلك قبلت أو غيزت أو نظرت ، فلما رآه مصرأ قال : أفعلت كذا ؟ لا يكنى . وسبب هذا التصريح الذي لا مناص منه أنه كان يدرأ الحدود بالشبهات .

وما روى ما إذا رجاه بين أصحابه قط ، وما كان في جده ومزحه فاحشا ولا متفحشا ولا سخائباً بالأسواق ، وما جرى بالسيدة سيئة ، ولكن كان يعفو ويصفح ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها ، وكان يبدأ أصحابه بالسلام والمصافحة ، ولا ينزع يده قبل أن ينزعها من صافحه ، وربما استوقفته الأمة أو العجوز في الطريق وكلمته فلا ينصرف قبل أن تفرغ من حديثها .

(١) لأن وجهه كالقمر ليلة البدر . وما يكرهه كالغيم يبدو عليه .



وما مست يده يد امرأة قط إلا أن تكون زوجا أو محرما ، وما ضرب بيده الشريفة خادماً ولا امرأة ، وخدمه أنس رضى الله عنه عشر سنين - مدة إقامته بالمدينة - فما قال له مرة : أف ! ولا شيء صنعته لم صنعته ؟ ولا شيء تركته لم تركته ؟ وفى هذا دليل على كياسة أنس ونباهته وفطنته وحسن اختيار أمه لرسول الله ﷺ ، فقد قدمت به صبياً يتيماً لا يعدو العاشرة وقالت له هذا خويدمك أنس ، فتقبله ﷺ منها ، ولم يحدثنا التاريخ - ولن يحدثنا - بمنزل ما حدثنا به من أدب هذا الخادم ، ومكارم ذلك المخدم ، ولكن كثيراً ما حدثنا أنه إذا حسنت أخلاق أحدهما سامت أخلاق صاحبه ! .

\* \* \*

وفى قصة زواجه بابنة عمته زينب بنت جحش - كما أمره الله تعالى - مثلان بليغان من شدة حيائه وكرم نفسه صلوات الله وسلامه عليه : أوحى الله إليه أن زيد بن حارثة - وكان يتبناه قبل الرسالة - سيطلق زينب ويتزوجها هو صلى الله عليه وسلم ، ليبطل الله على يده شريعة فاسدة من شرائع الجاهلية ، وهى تحريم نكاح حليمة المتبنى ، وكان زيد كثيراً ما يشكو تعاليها وترفعها عليه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول له : د أمسك عليك زوجك ، ويستحي أن يخبره بما قضى الله فى شأنهما انتظاراً للأمر الفصل من الله عز وجل . وقد عاتبه ربه على شدة هذا الحياء التى جاوزت الأولى به . ولو كان صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي - وحاشاه - لكنتم هذه الآية التى اشتدت فى العتاب عليه شدة لم تبلغها شدة فى القرآن الكريم كله .

وابتلى هذا الحياء النبوى بثلاثة نفر تخلفوا عن القوم الذين طعموا فى ولية زينب ، بعد أن زوجهم الله إياها ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أديانهم إذا قضوا منهم وطراً ، جلس هؤلاء نفر يتحدثون ويسمرون ، والنبي ﷺ يتبهاً للقيام ، ثم يقوم فينصرف القوم إرسالا ، وهؤلاء فى مجلسهم وسمهم لا يتحركون ! حتى تنبهوا آخر الأمر إلى تردده صلى الله عليه وسلم والحياء يكسو وجهه دون أن يخرجهم بكلمة ، وعلى أثر خروجهم نزلت آية الحجاب : د يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، الآية ، ويسمى ابن القيم هذا الضرب من الحياء حياء السكرم .

\* \* \*

وكان صلوات الله وسلامه عليه يستحي من سأل ، حتى ليخيل لمن يراه أن المعطى هو الآخذ ، وهذا حياء الشرف والعزة ، وهو حياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان . . حتى إن بعض الكرام لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياء منه . . وقد بلغ من حياءه هذا أنه ما سئل شيئا قط فقال لا . لما أن يجيب سؤاله أو أكثر منه ، ولما أن يرد سائله بميسور من القول إن لم يكن عنده شيء ، كذلك الذى سأل فقال : ما عندى شيء ولكن ابتع على فإذا جاءنا شيء قضينا . . وكان يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة .

\* \* \*

وأما حياؤه في بيته وخلوته فحسبك أنه ما عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، وما رأى أحدا من نسائه عورته قط ، وهذه عائشة أحب نسائه إليه تقول : ما رأيت منه ولا رأى منى ، وقد طوت العورة وسترتها في تعبيرها هذا ، حياء وأدبا مقتبسين من مكارم النبوة .

\* \* \*

ذلك طرف يسير من أنباء حياته صلى الله عليه وسلم منذ أن شرفه الله تعالى بالنبوة إلى أن ألحقه بالرفيق الأعلى ، وأما حياؤه في النشأة الأولى ، فحسبنا ما حدث به أصحابه قال : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يفعلونه غير مرتين ، والله يحول بيني وبين ما أريد ؛ قلت لغلام كان يرعى معى : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى سمعت عزفا بالدقوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر : فضرب على أذنى فتمت ، فما أيقظنى إلا مس الشمس ، فرجعت ولم أقض شيئا ؛ ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أهد ذلك بسوء حتى أكرمى الله برسالته .

\* \* \*

هذا قليل من كثير مما رواه الثقات الاثبات من أنباء هذا الخلق النبوى العظيم ، ولكن فيه لمن أراد أن يأسى أسوة حسنة وبلاغ .

# ذِي نُوَاجِحَ الدِّمَاءِ

مِنْ دِيَارِ شَاعِرِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حَمْدًا لِلَّهِ  
بِتَغْلِيْقِ أَسْتَاذِ بَرَاهِيْمَ عَبْدِ الْطَيْفِ نَعِيمٍ

عبد الطيف بن محمد

## غزوة السيوف

١٢٩٨ هـ - ١٢٩٧ هـ  
١٩٧٨ م - ١٩٧٧ م

كانت في اليوم الخامس من ذي الحجة في العام الثاني من الهجرة - نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يمس النساء والطيب حتى ينزوي النبي صلى الله عليه وسلم . ثم إنه خرج في مائتي راكب من مشركي قريش ليبر يمينه ، فزل على مسافة بريد من المدينة ، وأتى بني النضير ليلا يريد دار حي بن أخطب فحضر عليه بابه ، فأبى أن يفتح له . فجاء إلى سلام ابن مشكم سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له . واجتمع به ، ثم خرج إلى أصحابه فبعث رجالا منهم إلى المدينة فخرقوا نخلها ، ووجدوا رجلا من الأنصار - قيل أنه معبد بن عمرو - وحليفا لهم ( الأنصار ) فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين .

نفرج النبي صلى الله عليه وسلم يطلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار ، فجعل أبو سفيان وأصحابه يخفون للهرب بإلقاء جرب ( جمع جراب ) السويق . فiaأخذ المسلمون وذهبوا فلم يدركوهم ، والسويق القمع أو الشير يغلي ثم يطحن :

تأن ( ابن حرب ) است في مثلها جلدا	قصارك <sup>(١)</sup> أن ترد حران أو تردى
هي الغارة الحرى ، فإن شئت فاطلق	وإن شئت فاقعد واتخذ مضجعا بردا
جلا السيف في ( بدر ) لعينيك ماجلا	وأبدى لك النصر المؤزر ما أبدى <sup>(٢)</sup>
حلقت : لأن لم تأت ( طيبة ) غازيا	لتجتنين الطايب والخرد الملدا <sup>(٣)</sup>
أنفزو ( رسول الله ) أن هد بأسه	من الكفر سدا ما رأى مثله سدا ؟

(١) القصارى : الجهد والغاية .

(٢) النصر للمؤزر : البالغ الشديد .

(٣) الخرد الإبطار والخفريات من النساء ، والملة : اللانعامات .

كذلك وعد الله لو كنت مؤمناً  
جری طيركم نحساً (يدير) ولن تروا  
أمضك<sup>(١)</sup> وجد متلف من (محمد)  
رويداً هداك الله . إنك لن ترى  
أراك غررت القوم إذ رحمت موجفاً<sup>(٢)</sup>  
ذهبت تقود الجند يالك قائدا  
تحاول نصرا من (حي بن أخطب)  
رددت عن الباب الذي جئت طارقا  
وما نلت خيرا إذ أتيت (ابن مشكم)  
بعثت على النخل الرجال ، فلم تدع  
شبيت بهم نارا ترى لحيها  
فوارس راحوا خيفة في سيوفهم  
يصيدونها شتى الجنى وكأنا  
تولوا سراعا بعد مقتل (معبد)  
عليها من الغر الميامين فتية  
دعاها (الرسول المجتبي) فكأنا  
مضى ومضوا إثر السراحين ترمى  
فلما رأى الجدد استطار ولم يجد  
يصيح بجند السوء : ألقوا بزادكم

لايقت أن الله لا يخلف الوعدا  
لكم ما عبدتم غيره طائرا سعدا  
ولست (أبا سفيان) إن لم نزد وجدا  
له في الوغى إن هجته للوغى ندا  
تخادعهم عن حلقة لم تكن جدا  
ويالآلى سيقوا إلى (يثرب) جندا  
و (صاحبه) هيات زدت المدى بعدا  
فيالك سهما ماملكت له ردا  
وكنت امرء أعنى الهوى ، لا يرى رشدا  
لنفسك عزا تبتغيه ، ولا مجدا  
بعينيك يبكى (الضال) أو يضحك (الزندا)<sup>(٣)</sup>  
فما وجدا سيفاً ، ولا صادفوا غمدا  
يصيبون من أعدائهم معشرا لدا<sup>(٤)</sup>  
و (صاحبه) والخيل تتبعهم جردا<sup>(٥)</sup>  
تبادر ورد الموت ، تلتبس الخلدا  
دعا عاصفاً صعباً يهد القوى هدا  
إلى (شيخها)<sup>(٦)</sup> مدعورة تنقى الاسدا  
من الأرض بهوى في مسارها بدا  
وفروا خفافا ، لا يكن أمركم لدا<sup>(٧)</sup>

(١) مضه الأمر وأمضه . أحزنه حزنا بالغا .

(٢) أوجف الرجل الفرس ونحوه يوجف أى يعدو ويسرع .

(٣) الضال والزند : نوعان من الشجر البرى ، قيل والأول الدر ، وهما ما ينبت فى أرض الحجاز .

(٤) من العدد وهو شدة الخصومة .

(٥) من الجرد وهو قصر الشعر : صفة محمودة فى الخيل .

(٦) أبو سفيان .

(٧) الأد : الداهية ، والأمر المنكر الفظيع .

وطاروا شعاعاً<sup>(١)</sup> (للسويق) وراهم  
 هم رفدوم كارهين ، ولوفـرا  
 اليك ( ابن حرب ) ان للحرب جذوة<sup>(٢)</sup>  
 هي النصر ، أوعاد من الموت واقع  
 فررت تخاف الفقد في حومة الوضى  
 أنى الحق أن لا تعبد الله وحده  
 سبيلان شتى ، أنت لا بد عالم  
 رجعت مغيظاً لم تل وتر هالك  
 قصد ( قرش ) عنك مما كذبتها  
 قل الحق — ما للعالمين سـكينة

ركام<sup>(٣)</sup> الى أعـداء أربابهم يهدى  
 بأيمانهم كانوا لآسياهم رفداً<sup>(٤)</sup>  
 إذا هيجت ذا نجـدة زادها وقداً<sup>(٥)</sup>  
 بكل كفى ، لا مفر ، ولا معدى<sup>(٦)</sup>  
 بأيدي الآلى يستعذبون بها الفقدا  
 وتسجد ( للعزى ) تكون لها عبداً ؟  
 اذا ما استبنت الرشد أيهما أهـدى  
 ولم تشف غيظاً من ذوبك ولا حمدا  
 ومنيتها — يا طول همك لو أجدى  
 على الأرض حتى يعبدوا ( الواحد الفرد )

### ترجمان الشافعى

لما مرض الإمام محمد بن لإدريس الشافعى ( رحمه الله ) مرضه الذى مات فيه ، قال لمن  
 كان عنده :

« إذا أنا مت ، فقولوا لفلان يغسلنى ،

فلما توفى وأبلغوا كلمة الشافعى الى ذلك الرجل قال : اتتوني بتذكرته . فجيء بها فوجد  
 فيها على الشافعى سبعين ألف درهم دينا لفلان وفلان ، فسكرتها الرجل على نفسه وقال :  
 « هذا هو الغسل الذى أرادته » .

(١) متفرقين .

(٢) الركام : الشيء المتراكم يفضه فوق بعض .

(٣) الرفد : المعطاء ، ورفده : أعطاه .

(٤) الجذوة : الفتحة من الجـر لا تنطفئ حتى تصير رماداً .

(٥) مصدر من وقدت النار إذا اشتعلت .

(٦) مصدر ميمي من عدا الأمر إذا جاوزته وانصرف عنه .

## مَوْهَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ السِّيَاسِيَّةُ

في مثل هذا الشهر من العام الماضي <sup>(١)</sup> كتبت مقالا تحت هذا العنوان بينت فيه شيئا عما يدل على سياسة النبي صلى الله عليه وسلم الرشيدة التي ساس بها الناس جميعا أفرادا وجماعات ، أصدقاء وأعداء . وأن هذه السياسة « كان مبعثها الرحمة والرفق ، ومرماها النظر البعيد العميق ، وأساسها المعرفة الشاملة الدقيقة بطبائع النفوس وغرائزها وانفعالاتها » . وما كان لمقال أن يبنى بنواحي هذا البحث المتشعب الذي تناثرت خرزاته هنا وهناك في ثنايا السيرة المحمدية ، وها أنذا أتابع الكتابة فيه حتى ينظم العقد ، وتصبح الحقيقة مجلوة سافرة .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة على تعدد فطرتهم وطبائعهم واختلاف أهوائهم ومشاربهم وتباين أخلاقهم وأفكارهم . ومن وكلت إليه هذه المهمة الشاقة فلا بد أن يتسع عقله لعقول الناس جميعا وطبيعته لطبائع الخلق ، وأخلاقه لما تباين من أخلاق الناس ، ولا عجب إذا كان الله أعطاه من رجحان العقل وسعة القلب ورحابة الأخلاق ما جعله أهلا لأن يسوس أحوال الناس الخاصة والعامة على خير ما تكون سياسة ، وقد أوفى رسول الله في هذا الباب على الغاية واستولى على جوانب الحكمة <sup>(٢)</sup> ، وقد كانت تلك خصيصي لرسول الله لم يبلغ شأره فيها أحد من صفوة صحابته على ما بهم من ذكاء وحدة ذهن ، حتى من كان منهم ملهما محدثا ، روى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ، ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي : ولا أجملت . فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال عليه السلام إنك قلت ما قلت وفي

[ ١ ] عدد ربيع الأول لعام ١٣٧٢ من هذه المجلة الغراء .

[ ٢ ] ذكر القاضي عياض في [ الشفاء ] عن وهب بن منبه وهو من علماء أهل الكتاب « ترات في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأياً » . وفي رواية أخرى : فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط الناس من بدء الدنيا إلى انقضاءها من العقل في جنب عقله إلا كعجة ومل من بين رمال الدنيا » .

نفس أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك . قال : نعم . فلما كان الغد أو العشي جاء فقال : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى ، أكذاك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال عليه السلام : مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفورا ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي ، فإنى أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ، أليس في هذه القصة أكبر دليل على أنه صلى الله عليه وسلم نسيج وحده في سياسة الخلق ، والخبرة بأحوال النفوس والطبائع ؟

وكثيراً ما كان لهذه السياسة الحكيمة أثرها في تأليف الناس واستئثارهم إلى الدخول في الإسلام . روى أن زيد بن سبعة جاء إلى رسول الله قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه ، فحبذ ثوبه عن منسكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال : لانسكم يا بني عبد المطلب قوم مُظَل . فانتهره عمر وشد له في القول ، والنبي ﷺ هادئ يبتسم ، فقال رسول الله لعمر أنا وهو كئنا إلى غير هذا أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضى . ثم قال : لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه . ترى ماذا كانت العاقبة ؟ لقد أسلم الرجل وحسن إسلامه ، وازداد يقيناً بما جاء في وصفه ، وأن ما ساس به النبي ﷺ زبداً لشيء فوق العدل ، فالعدل أن يأخذ حقه إذا حل أجله وأن لا يزيده شيئاً ، وأن يقاد منه ما صنعه بالنبي ﷺ . وليس ترويع عمر له بأعظم من جبذه ثوب النبي وإغلاظه القول له ، ولسكنها سياسة ذى الخلق العظيم .

وفي سرية من المرايا أسر المسلمون ثمانية بن أثال الحنفي من عظام بني حنيفة — وهم لا يعرفونه — وأتوا به إلى رسول الله أسيراً ، فعرفه رسول الله وعامله معاملة كريمة ، وأبقاه عنده ثلاثاً عرض عليه فيها الإسلام عرضاً كريماً ، فأبى ، فأطلق سراحه .

فإذا كان من ثمانية ؟ لقد استرقق هذه المعاملة ، فذهب واغتسل ثم عاد مسلماً مختاراً وقال : يا محمد ، والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى . والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلى من دينك ،

فقد أصبح أحب الدين كله إلى . والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، فقد أصبح أحب البلاد إلى . وقد كان لهذه السياسة الرشيدة مع ثمامة أثرها البعيد في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فقد آلى على نفسه أن لا يرسل لقریش شيئا من حبوب اليمامة حتى يسلموا ، فجهدوا جهداً شديداً ولم يجدوا بداً من الاستغاثة برسول الله ﷺ فعا ملهم بما جبل عليه من رحمة وشفقة ، وكتب إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين ميرتهم ففعل . ولما ارتد أهل اليمامة ثبت ثمامة ومن اتبعه من قومه على الإسلام ، وصار ينهى المرتدين عن اتباع مسيلمة ويقول : « إياكم وأمرأ مظلما لا نور فيه ، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم ، وبلاء على من لم يأخذ به منكم ، ولما لم يجد معهم النصح عزم على مفارقتهم ، وخرج هو ومن تبعه ، وانضموا للعلاء بن الحضرمي مدداً له ، فكان ذلك مما فت في عضد المرتدين .

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يتجمعون لقتاله بقيادة سيدهم الحارث بن أبي ضرار سارع بغزوهم ، فزهمهم في عقر دارهم ، وسبي منهم كثيراً من الرجال والنساء والذرية ، وغنم مالا وفيرا ، وكانت في السبي السيدة جويرية بنت الحارث فوقعت في سهم أحد المسلمين فكانتبه على نفسها فجاءت إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس أو لابن عم له فكانتبه على نفسي ، فحسبك استعينك على كتابتي . هنالك تجلت الحكمة وقوة العارضة ، وفعل رسول الله على البديهة ما لم يفعله غيره بعد اختار الرأي . إن بنى المصطلق من أعز العرب داراً وأكرمها أحساباً ، وأسر نسائهم وذرائعهم بهذه الكثرة مما يشق على النفوس الآلية ويبقى فيها جرحاً لا يندمل ، فإذا يكون الأمر ؟ لقد تفقت العقل الكبير عن عمل بارع رد بسببه على بنى المصطلق سبهم ، واستعادوا به كرامتهم . فقال لها الرسول الذي يستشف ما وراء الحجب : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله ، قد فعلت . وخرج الخبر إلى المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقالوا : أصهار رسول الله نسترقهم ؟ ! لن يكون . فأرسلوا كل ما بأيديهم . قالت عائشة رضي الله عنها . فلقد أعتق رسول الله بتزويجه إياها أهل مائة بيت من بنى المصطلق ، فما رأيت امرأة أعظم بركة على قومها منها . وروى الواقدي عن جويرية أنها قالت : فأعتقني رسول الله وتزوجني . والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون



هم الذين أرسلوهم . وما شذرت إلا تجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر ، فخدمت الله تعالى .  
ويأسر هذا العمل الكريم قلوب بنى المصطلق ، فأسلموا عن بكرة أبيهم ، وأخلصوا  
للإسلام كل الاخلاص .

ومن المثل الرائعة فى باب السياسة المحمدية الفذة التى اشتجرت فيها الآراء وأشكل الأمر ،  
ولم يستتب وجه الحكمة فيها على بعض الصحابة رضوان الله عليهم حتى صاحب الموافقات  
الفاروق الاعظم عمر بن الخطاب رضى الله عنه - ما حدث فى صلح الحديبية . فى السنة  
السادسة من الهجرة خرج رسول الله ﷺ معتمراً ومعه خلق كثير ، وقد ساقوا الهدى  
أمامهم إيذاناً بأنهم لم يريدوا حرباً . فصدم المشركون عن البيت ، وعسكر الرسول وأصحابه  
عند الحديبية ، وجاءت رسل قريش فأبان لهم الرسول عن قصده وأنه جاء معتمراً لا محارباً ،  
فقتضت المشركون بموقفهم ، وبدأت المفاوضات بين الفريقين ، وانتهت بصالح الحديبية  
المشهور ، وكانت شروط الصالح :

(١) وضع الحرب بين المسلمين والقرشيين بضع سنوات .

(٢) وأن من جاء المسلمين من قريش بغير إذن وليه يردونه عليهم ومن جاء  
المشركين من المسلمين لا يردونه عليهم .

(٣) ومن أحب أن يدخل فى عهد النبى ﷺ فليدخل ، ومن أحب أن يدخل  
فى عهد قريش فليدخل .

(٤) وأن يرجع المسلمون من عامهم هذا ، فإذا كان العام القابل دخلوا معتمرين  
وليس معهم من السلاح إلا السيوف فى القرب .

وقد راعى النبى ﷺ فى إنفاذ هذه المعاهدة المساواة ، فقد دعا سيدنا علياً رضى الله عنه  
ليلى عليه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل بن عمرو - مندوب قريش - لا أعرف  
هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم . فأمر علياً أن يكتب كما قال . ولما قال : اكتب هذا  
ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك  
ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فأمر رسول الله علياً أن يحو « رسول الله » ويكتب  
« محمد بن عبد الله » ، فأبى ، فأخذ رسول الله الصحيفة وكتبها ، ومن يدري فلولا هذه المساواة  
لما تم الصلح ، ولما غنم المسلمون هذا الغنم الكبير من هذه المعاهدة .

وقد أغضب بعض المسلمين بعض هذه الشروط ولا سيما الشرط الثالث ، حتى قال الفاروق عمر للصدیق أبی بکر : أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال عمر : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال عمر : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال فلماذا نعطي الدنيا في ديننا ؟ فقال الصدیق الأعظم رضی الله عنه : يا عمر ، الزم غرزك ، فإنی أشهد أنه رسول الله حقاً . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ولم تهدأ نفس عمر - وهو الشديد في الحق - حتى أتى النبي ﷺ فقال له مثل ما قال للصدیق ، فقال له ﷺ : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني .

وقد أفصح رسول الله عن السر الذي سهل له قبول هذا الشرط المجحف في نظر البعض ، فقال : إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فسيجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً ، وصدق رسول الله ، فالإسلام في غنى عن يرتد عليه ، فالاستمساك به ليس من الحكمة في شيء ، إذ سيكون كلا عليه . وأما من رد إلى المشركين وكان مخلصاً في عقيدته فلن يثنيه عنها تهديد أو إغراء ، وهان عليه في سبيلها العذاب والبلاء .

وقد صدقت الأيام والحوادث بعد نظر النبي صلوات الله وسلامه عليه في قبول هذا الشرط الذي غدا وبالا على المشركين ، فقد جاء أبو جندل بن سهيل يحجل في قبوده إلى المسلمين - ومداد صحيفة العهد لم يحف بعد - فأخذ أبوه بتلاييه وهو يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين يقتونني في ديني ؟ فقال له رسول الله : يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً . إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناكم على ذلك وأعطينا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم . وتمر هذه الحادثة ويعود المسلمون إلى المدينة فيأتهم أبو بصير : عتبة بن أبي أسيد الثقة في فأراً بدينه فأرسلت قريش في أثره رجلين يطالبانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أتردني إلى الكفار يقتونني في ديني بعد أن خلصني الله منهم ؟ فقال له : : إن الله جاعل لك وإخوانك فرجاً ومخرجاً . فلم يجد بداً من الرجوع مع صاحبيه . وفي الطريق عند ذى الحليفة تحايل على أحدهما حتى أخذ سيفه فضربه به حتى برد ، وفر الآخر حتى أتى رسول الله وقال : قتل صاحبي وإني لمقتول . لجأ أبو بصير فقال : يانبي الله قد - والله - أو في الله ذمتك وقد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال له : اذهب حيث شئت

ولا تقيم بالمدينة . فخرج حتى أتى سيف البحر حيث تمر تجارة قريش ولم يلبث أن لحق به أبو جندل وغيره ممن أسلم من قريش حتى تكونت منهم عصابة قطعت على قريش تجارتها ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم في التنازل عن هذا الشرط ، وأن من جاءه منهم فهو آمن .

وهكذا تكشف الأيام عن سياسة النبي الحكيمة ، وعلم المتأملون أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعظم بركة من رأيهم ، وأن الله جعل لهؤلاء — كما قال الرسول — فرجا ومخرجا . ولو أن رسول الله سار مع من كانوا يرون أن هذه الشروط مجحفة . ولم يعمل على المساهلة عند كتابة الشروط ، لضاعت على المسلمين ثمار شبيهة هم كانوا أحوج إليها في بناء صرح الإسلام ، ألم يكن في قبول الصلح على هذه الشروط متنفس للدعوة الإسلامية ، فدخل الناس فيها أفواجا من كل فج ، وقد آمنوا على أنفسهم ودينهم وأموالهم ؟ بلى ، وليس أدل على ذلك من أن المسلمين في الحديبية كانوا بضع عشرة مائة ، وفي فتح مكة كانوا عشرة آلاف . ولو أن النبي ﷺ لم يقبل هذا الشرط الذي لم يرض عنه البعض ، فهل يتحدث الناس أن محمداً يرغم من يتردد عن دينه إلى الرجوع إليه ؟ ثم أليس في معاهدة القرشيين للنبي ﷺ اعتراف منهم بالنبي وأصحابه وأنهم أنداد لهم وعدول ، لا قوم يأتون صابرين ؟ واعتراف بكيان الدعوة الإسلامية وسلطانها في الجزيرة ، وبحق المسلمين المشروع في زيارة البيت والتمتع بما حوله ؟ بلى وإن صلح الحديبية كان بعيد المدى في تاريخ الإسلام وما فتح مكة إلا ثمرة من ثماره . ويرحم الله الصديق حيث يقول : ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية ، ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد ورببه والعباد يعجلون والله لا يعجل بعجلة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أرادوا ليس أدل على هذا الفتح من شهادة الحكيم العلام ، فقد أنزل على نبيه ﷺ مرجعه من الحديبية قوله سبحانه وتعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، وقد نال لها صدر النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال : لقد أنزلت على الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » .

هذا ولا يزال في باب السياسة المحمدية الحكيمة فصول عسى أن أعود إليها في مناسبة أخرى إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو سريته

الاستاذ بكلية أصول الدين

# دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ

بين الدين والسياسة

- ٢ -

وسبب آخر كان يدعو البعض إلى الحكم بالفسق أو الكفر ، غير مجرد ترتيب الآثار الشرعية في قبول رواية المحكوم عليه أو رفضها ، وذلك هو الغلو والحماة والحمة التي تأخذ البعض أحياناً .

فقد قالت طائفة من الصحابة : حبط عمل عامر بن الأكوع إذ ضرب نفسه بسيفه في الحرب ، فأكذب النبي ﷺ ذلك . وعمر قد قال : دعني أضرب عنق حاطب فقد نافق ، فأبطل رسول الله ﷺ ذلك . وثبت في الصحيح أن أسيد بن حضير قال لسعد بن عباد : إنك منافق تجادل عن المنافقين . وكذلك ما نقل من تكلم عمار في عثمان إذ قال : لقد كفر عثمان بكفرة صلحاء !! فأنكر الحسن بن علي ذلك ، وكذلك علي نفسه وقال له : يا عمار أتكفر برب آمن به عثمان ؟ ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة : « وقد تبين من ذلك أن الرجل المؤمن الذي هو ولي الله قد يعتقد كفر الرجل المؤمن الذي هو ولي الله ، ويكون مخطئاً في هذا الاعتماد ، ولا يقدح هذا في إيمان واحد منهما وولايته <sup>(١)</sup> » .

فهذا الغلو الذي يأخذ البعض بحسن نية قد ينقل الحكم من الخطئة أو النصيب إلى التكفير أو تدمير الإيمان . وهذا يزيد ويتفاقم عند الكثيرين من لا يتصورون صورة واقعية لل مجتمع المثالي ، وأظل الفضائل عندهم خيالات لا يمكن أن تتحقق إلا في عالم الأحلام ، أو في الملأ الأعلى عند من لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، أو في روضات

(١) (العواصم من النواصم) ص ٦٥ عن (منهاج السنة) ٣ : ١٩٢ - ١٩٣

الجنات حيث لا يسمع الناس لغواً ولا تأثيماً . وقد تتحقق هذه الصور في بعض النماذج البشرية من أولى العزم ، ولكن لا يمكن أن تكون قاعدة مطردة في دنيا : كل بني آدم فيها خطامون ، وخير الخطائين التوابون .

ولقد كان ممن دارت عليهم رحى الفتنة أمثال هؤلاء . قال السيد محب الدين الخطيب في حواشيه التي علقها على كتاب « العواصم من القواصم » للقاضي ابن العربي : « الذين شاركوا في الجناية على الإسلام يوم الدار - أي يوم مصرع عثمان ذى النورين ( رضى الله عنه وجازى بعدله من استباح دمه الطاهر الشريف ) طوائف على مراتب : فيهم الذين غلب عليهم الغلو في الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا في إنكارها الموبقات ، (١) .

والباحث إذا تجنب الغلو فلن ينزلق في مهاوى تكفير المسلمين ، وتجريح العدول الأكرمين . قال ابن حزم : « وأما من أقدم على ما يعتقد حلالة فلم يثم عليه في تحريره حجة فهو معذور مأجور وإن كان مخطئاً ، وأهل الأهواء معتزليهم ومرجئهم وزيدهم وإياضهم بهذه الصفة إلا من أخرجه هواه عن الإسلام الى كفر متفق على أنه كفر ، (٢) كما قال أيضاً ، وكذلك النائب من الكبائر ومن الكفر أيضاً فهو عدل ، وليس هذا من باب ثبوت الحد عليه في شيء ، لأن الملامة ساقطة عن النائب ، والحد عنه غير ساقط ، على حديث ماعز - فإن النبي ﷺ رحمه بعد توبته وأمر بالاستغفار له ونهى عن سبه ، (٣) .

بل إن العدل والإنصاف يقتضى منا ألا نعتبر الحكم بفسق واحد ورد قوله طرداً له من رحمة الله ، فلسنا نعرف كيف كانت خاتمته ، ولا سيما أن أصول الفقه تعتبر التجريح يغلب التعديل لأنه علم زائد عند المجرح لم يكن عند المعدل . فرب شخص نقل عنه ما يجرح وما يعدل ، ولم نستطع تبين أن عدالته لاحقة لجرحه وأنه تاب ، فهو عندنا مردود — في حدود علمنا — وعند الله مقبول . ومن عدله عدل وجرحه عدل فهو ساقط الخبر . . . فلا خلاف في أن كل من جمع عدالة ومعصية فأطاع في قصة وصلى وصام وزكى ، وفسق في أخرى فزنى أو شرب الخمر ، أو أتى كبيرة ، أو جاهر بصغيرة ، فإنه فاسق عند جميع الأمة

(١) العواصم من القواصم - ص ٥٨ هامش .

(٢) الأحكام - ص ١٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٧ .

بلا خلاف ، ولا يقع عليه اسم عدل . ولو لم يفسق إلا من تمحض الشر ولا يعمل شيئاً من الخير لما فسق مسلم أبداً ، لأن توحيدة خير وفضل وإحسان وبر . وفي صحة القول بأن فينا عدولا وفساقا بنص القرآن . ورضاً وغير رضا ، بيان ما قلنا . ولو أخذنا بالتعديل وأسقطنا التجريح لسكتنا قد كذبنا المجرح وذلك غير جائز ، <sup>(١)</sup> .

فأنت ترى أن الحكم على شخص بالفسق يشمل معه للمحكوم عليه الفضل ، فلربما تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض جميعاً لسكتهم ولم يأتنا ذلك ، ولربما غفر له الله ما تقدم من ذنبه ولم نعرف . وصدق ابن حزم : « ولنا في الدنيا غير أحكام الآخرة » ، <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وبين الذين ابتغوا الحكم على عقائد الرجال ليقدروهم حق أقدارهم في أخذ هذا الدين عنهم ، وبين الذين اندفعوا إلى الحكم على عقائد الرجال حمية وغيرة ، اندس فريق ليست لهم مثل هذه النيات الحسنة ، وأوائك هم أهل الأهواء الطائفية كاليهود ، والشعوبية كالفرس ، والعصية كالمعهود من القبائل في تنازعها ، والمذهبية كما حدث بين الفرق .

وهؤلاء زادوا الخرق اتساعاً ، ولم يتقوا الله ولم يخشوا عواقب الكذب والزور والفتنة وإطلاق اللسان بالباطل . ومن هنا جاءتنا كتب التاريخ مشحونة بأقوال المبطلين ، إما ليجمع المؤرخ كل الروايات ويترك الباطل منها يكشف عن نفسه بوهن سنده ومثته : ولما ليلبس المؤرخ على الناس الأمر إذا كان من أهل الأهواء . وتلقف المستشرقون هذه الأباطيل ، وتعجلوا طريق البحث ، ولم يتذوقوا خاصية العلم الإسلامى في الرواية والإسناد - إلا القليل منهم - فاستوى عندهم الحق والباطل ، وأضافوا إلى ذلك دخيلة حقد على الإسلام ودولته وتاريخه في نفوسهم ، ودعوى منهج تحليلي يكذبون به على الحقائق ، ويستنطقون بالسطور بما لا تنطق به ، ويزعمون أن هذا ما وراء السطور ، فأحالوا تاريخ الأمة التي عرفت في جاهليتها بالبساطة والصراحة والشهامة ، وعلمها الإسلام الوضوح في القول والعمل ، والسر والعلن ، والحرب والسلم - أحالوا ذلك التاريخ إلى تاريخ

(١) المصدر نفسه ص ١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه - ٢٨ ص ٨٥ .

مؤامرات ودسائس ، تجعل من خيام العرب في الصحراء ، قصوراً لها من مكاييد البلاط ما عرفته أوربا ١١

ومن هنا كان لابد من ( غربلة ) التراث الإسلامي ، على طريقة من كتبوه بمعرفة السند المعتل من الصحيح ، وتبين الحق من الباطل ، لا على طريقة المستشرقين وتلاميذهم ممن فتنوا بتصنيف أحداث التاريخ على هواهم قبل تصحيح المادة التاريخية نفسها . ويحتاج منا هذا إلى ألا نضيق ( بالدين ) كما حدث أحيانا للسيد رفيق العظم حين شاهد الإسراف في الحكم على الرجال بالكفر أو النفاق أو الفسق ، ولا ننظر إلى تاريخ المسلمين كأنه ( سياسة ) يستباح فيها أى قول وأى حكم ، بل يحتاج هذا منا إلى أن نقف الموقف الوسط العدل الصحيح ونقدر الدين قدره ، ونعرف أن أمانة الدين تدعنا إلى أمانة العلم وهي محمودة مشكورة .

يقول القاضي أبو بكر بن العربي في خاتمة تحقيقه لمواقف الصحابة بعد النبي ﷺ :

« إنما ذكرت لكم هذا لنحترزوا من الخلق ، وخاصة من المفسرين والمؤرخين وأهل الآداب ، فإنهم أهل جهالة بجرمات الدين ، أو على بدعة مصرين . فلا تبالوا بما رووا ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا للمؤرخ كلاما إلا للطبري <sup>(١)</sup> ، وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر ، فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقاق الصحابة والسلف والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم ، وخروج مقاصدهم من الدين إلى الدنيا وعن الحق إلى الهوى .

فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول سلمتم من هذه الحبال ولم تطووا كشحا على هذه الغوائل . ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل ، أو مبتدع محتال . فأما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما في كتاب الإمامة والسياسة إن صح عنه جميع ما فيه <sup>(٢)</sup> ، وكالمبرد في كتابه الأدبي . وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم في أماليه ، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الامة . وأما المبتدع المحتال فالمسعودي ، فإنه يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك ، وأما البدعة فلا شك فيه ...

(١) بالطريقة التي وصفت في مقالة ( تاريخ الأمم والملوك ) في ص ٢١٠ - ٢١٥ من مجلة الأزهر في سنتها الماضية .

(٢) ولم تصح نسبة الإمامة والسياسة إليه وهو من هذا الكتاب برى .

وهذا المأمون كان يتول بخلق القرآن وكذلك الواثق وأظهروا بدعتهم ... وهذا أشد من برودات أصحاب النواريج من أن فلانا الخليفة شرب الخمر أو غى أو فسق أو زنى . فإن هذا القول في القرآن بدعة أو كفر - على اختلاف العلماء فيه - وهذه المعاصي لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها ، فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المغنين والبرّاد من المؤرخين الذين قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصي على الناس ، وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه السكتب وقراءتها لرغبتهم في مثل أفعالهم ، حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وحتى سمحوا للجاحظ أن تقرأ كتبه في المساجد وفيها من الباطل والكذب والمناكير ونسبته الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة كما قال في لاسحق عليه السلام في كتاب الضلال والنضلال ، وكما مكثوا من قراءة كتب الفلاسفة في إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم في ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة ... وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم في دينار بل في درهم إلا عدلا بريثا من النهم سليما من الشهوة ، فكيف تقبلون في أحوال السلف وما جرى بين الأوائل من ليس له مرتبة في الدين فكيف في العدالة <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

التعديل والتجريح ، ثم الحمية والغيرة ... ثم الانترام والهوى ، هذه العوامل الثلاثة في نظري هي التي أدت إلى أن يجد السيد رفيق العظم ما يجد في نفسه وفي السكتب ، ثم يقول ما يقول <sup>(٢)</sup> .

إن تاريخنا الإسلامى يحتاج منا إلى جهد جهيد . . . يحتاج منا إلى نشر مكتبتنا نشرأ جديداً محققاً مفهرساً ، ويحتاج منا إلى مفاتيح منهجية ، تكون كشافاً بين يدي هذا التاريخ في الرواية والرواة ، وفي التعديل والتجريح ، وفي تحديد صورة « الفرد المسلم » و « المجتمع المسلم » و « الدولة المسلمة » حتى يكون ذلك في أيدينا ونحن بصدد تقديم « التفسير الإسلامى

(١) المواسم : ص ٢٤٧ - ٢٥٢ - راجع الحواشى أيضا فان فيها بيان طريقة الطبرى في التأليف وإثبات أن الامامة والسياسة كتاب منحول لم يكتبه ابن قتيبة ، وعلاقة المبرد بالخوارج ، والمسعودى بالشيعة .

(٢) زد على ذلك ان كتبنا كثيرة من كتب الاقدمين لم تطبع إلا بعد تأليفه كتابه ، ولو كانت في متناول اليد يومئذ لا ينتفع بها .



للتاريخ ، فلا نغمط أقدار الرجال أو المجتمعات أو الدول ولا نبخس حظها من الإسلام ، ولا نغلو في هذا الحظ تأثراً بالبريق والدمان . . . وتستطيع أن تقارن بين القلة المؤمنة التي أصابها القرع في أحد ، وبين الكثرة المنتصرة من المنتسبين للإسلام أيام الخلافة العثمانية على أيدي الانكشارية والدلاتية في آسيا وأوربا ، لتعرف كيف يكون الميزان عند أهل الإيمان .

وإن التاريخ اليوم في منهجه الحديث « تاريخ حضارة » . . . وإن تاريخنا بهذه النظرة هو « تاريخ دعوة » لا مجرد « تاريخ دولة » . . . فنحن نحتاج إلى من يتعقب هذا التاريخ في صفوف الشعوب لا في مقاعد الحكم وحدها .

فتصل حلقات الداعين إلى الله على بصيرة منذ ترك محمد صلى الله عليه وسلم هذا المكان العظيم لورثة الانبياء ، على اختلاف الزمان ، واختلاف المكان .

نحن نحتاج إلى الكثير ، حتى لا يخطئ « الكثير » في فهم الإسلام وتاريخه ، وحتى لا يقول البعض ما قاله كتاب وزارة المعارف للسنة الثانية الثانوية « أهم مميزات الدولة الاموية أنها كانت سياسية أكثر منها دينية » ، فكان كثير من خلفائها لا يهتمون كثيراً بالدين بل كان بعضهم غير مكترث بالشعائر الإسلامية يدمنون الخمر ويتلمون بالصيد ، !! بل إن كتاب المعاهد الدينية الثانوية فيه كلام كهذا الكلام .

ويا ليت في هذا الباطل سبة لمسلك فرد ، ولكنه سب لشعب بأمره ، ترك الدين ، وخذل عليا ، وقبل السياسة ، ومكن لمعاوية . !!

فأى شعب هذا الذي قيل عنه هذا ؟ ؟ . إنه ليس شعب الزط أو الغجر أو الهنود الحمر أو زنوج استراليا . إنه شعب الإسلام ، وجيل الصعابة والتابعين ، والامة المثالية التي كافأها الله بنشر دعوة الإسلام تحت راياتها في أنحاء الارض .

فالهم رحماك ، ومغفرتك لما لا نعلمه من حق الذين سبقونا بإحسان ، وحق الإسلام الذي يراد أن يحكم ضده — إذ يحكم ضدهم لأنهم ثمرته ونتيجته ؟

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

# غزوة بدر الكبرى

ميدان الاستراتيجية — والنسكنيك — والفن الحربي

- ٢ -

## تعليمات القائد :

بعد أن عدل النبي ﷺ صفوف المسلمين قال : إن دنا القوم منكم فانضحهم بالنبال ( أى ادفوهم عنكم بالنبل ) واستبقوا نبلكم ( أى لا ترموها على العدو وهو بعيد ) ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم .

وبتحليل هذا الامر نجد النقط المهمة الآتية : —

( ا ) تأخير قذف السهام من النبال حتى يقترب الاعداء .

( ب ) منع استعمال السيوف إلا إذا أصبح العدو قريباً جداً منهم . وقد ناقشنا هذا الامر في بداية بحثنا ، وانتهينا إلى الإعجاب بمحمد رسول الله ﷺ الذى لم يتعلم الحرب ولا درس فيها فى أى مدرسة عسكرية ، ثم يصدر تعليمات حربية تطابق تماماً الاصول الحديثة فى استخدام الاسلحة .

فإن من المبادئ الحديثة فى الدفاع كبت الزيران إلى اللحظة التى يصبح فيها العدو فى المدى المؤثر لهذه الاسلحة ، وهذا ما عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : استبقوا نبلكم ، وذلك ليضمن تماماً ألا يطيش من سهامهم .

أما السلاح الأبيض فهو بطبيعة الحال سلاح القتال بدأ ليد ، والذى لا يلجأ إليه إلا إذا أصبح العدو وسط القوات . وهذا ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم .

## الروح المعنوية :

لما بدأ القتال بين المسلمين وقريش أشفق النبي ﷺ على رجاله الثلاثمائة الذين يقاتلون قرابة الألف من المشركين ، فتوجه إلى ربه داعياً بكل جوارحه ، وظل مقبلاً على

الدعاء حتى أنزل الله قوله تعالى : «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، لأنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون ، .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجاله وقال لهم : «والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، .

ألهب هذا الحديث نفوس المسلمين ، وزادهم قوة في الروح المعنوية وإيماناً فوق إيمانهم . ويجدر بي أن أبين أن هذه الروح المعنوية للمسلمين كانت في أرقى مراتبها ، لأن المسلمين كانوا يقاتلون عن إيمان وعقيدة ، يقاتلون بصدق في سبيل مبدأ آمنوا بسلامته ، وآمنوا بأن له حق الانتشار ، وأدركوا أن عليهم واجباً مقدساً ألا وهو المحافظة عليه من خطر قريش الذين آذوهم بشتى صنوف الإيذاء ، وأخذوا منذ ظهور الإسلام يعذبون كل من أسلم ويبذلون كل ما في وسعهم لمحاربة هذا الدين . هذه الروح المعنوية التي تأتي صادقة عن إيمان بالرسالة هي أرقى مراتب الروح المعنوية .

ولنأخذ مثلاً من الأمثلة العديدة لارتفاع روح المسلمين المعنوية ، فإنه لما سمع حمير بن الحمام قول النبي صلى الله عليه وسلم كان في يده بعض التمر يأكله ، فقال : «أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ وقذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، وما زال يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه . وهناك مثلاً آخر ، فإن قطبة بن عامر رمى حجراً بين الجيش وقال : لا أفر إلا إن فر هذا الحجر . وذلك دليل على عزمه الأكيد على الثبات في محله حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً .

بل هناك ما هو أقوى وأغرب ، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان من المشركين ، وفي ذلك يقول الله تعالى : «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، .

### الخلاصة :

وفي خلال المعركة أمر بعض المسلمين بتوجيه كل همهم لاصطياد زعماء قريش وساداتها من بين صفوف الأعداء واستئصالهم ، وهذا هو كما نعلم صميم عمل الفناصة الذين نعرفهم والذين يوجهون اهتمامهم لاصطياد الأشخاص الرئيسيين في جيش العدو كالضباط وغيرهم ممن تحدث بقتلهم صدمة لجيشهم وارتباك .

ولذا كانت القاعدة الحديثة في اختيار هؤلاء القناصة هي المهاراة في الرماية ودقة الملاحظة ، فإن المسلمين زادوا عن ذلك بأن اختاروا لهذا الواجب من كان بينه وبين أحد زعماء قريش ثار قديم ، أى زادوا ما يمكن أن نسميه الرغبة المصلحية أو الشخصية في القتل ، فقد اختاروا بلالا مثلاً لا صطياد أمية بن خلف وهو من كبار قريش وكان يتفنن في تعذيب بلال بسبب اعتناقه الإسلام في أيام ظهوره ، فكان يأخذه إلى الصحراء في القيظ ويضجعه على ظهره ويضع صخرة عظيمة على صدره ليرجع عن إسلامه ، ولكن بلالا كان يردد قوله المشهورة : « أحد أحد » . وكذلك اختاروا ابن العفراء لقتل أبي جهل لمثل ذلك .

### انتصار جيش الإسلام :

انتهى القتال برجحان كفة المسلمين على قلتهم العددية ، ولكن يرجع السر في النصر إلى الروح المعنوية البالغة أرقى درجاتها ، فقد كان المسلمون يقاتلون عن عقيدة يؤمنون بها أشد الإيمان .

وقد خسرت قريش ٧٠ قتيلًا و ٧٠ أسيرًا ، وولى الباقون الادبار . واستشهد من المسلمين أربعة عشر ولم يؤسر منهم أحد .

### معاملة القتلى والأسرى :

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنقل قتلى قريش من مكان المعركة إلى مكان متسع منخفض يسمى بالقلب ودفنهم فيه ، ولقد كان من المعتاد في هذه الأزمنة أن يمثل المنتصر بجثث عدوه المغلوب بقصد التشفي . ومن طرق التمثيل بالقتلى جدد الأنف وطم الأذن وبقر البطن وغيرها ، ولكن النبي الكريم وضع الأسس السكينة لمعاملة قتلى العدو فأمر بدفنهم ، ولم يفعل ما اعتاد الناس فعله في هذا الزمن .

أما الأسرى فقد استقر رأى المسلمين على أخذ فداء منهم نظير إطلاق سراحهم ، وكان على المسلمين أن يقودوا أسراهم تحت الحراسة إلى المدينة حتى يفتديهم ذروهم ، وقد وضع لنا النبي صلى الله عليه وسلم القواعد السكينة في معاملة الأسرى فقال لأصحابه - بعد أن فرق بينهم الأسرى ليحرسوهم - « استوصوا بهم خيرا ، فنفذ المسلمون تعليماته .

ولفستمع في ذلك إلى أسير من قريش اسمه أبو عزيز بن عير يقول : كنت في رهط

من الانصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله ﷺ إليهم بنا ، ما تمنع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا ففحن بها فأستجبي فأردها على أحدهم فيردها على ما يسرها .

هذه شهادة شاهد منهم تنطق بما لاقاه من حسن المعاملة وهو في الاسر .

### الغنائم :

أخذ المسلمون بعد انتهاء المعركة يتساءلون عن مرضوع الغنائم التي بلغت ١٥٠ من الإبل و ١٠ أفراس ومتاعا وثيابا وطعاما كثيرا كان المشركون قد حملوه للتجارة .

انقسم المسلمون ثلاثة أقسام :

( أ ) قوم جمعوا الغنائم فقالوا : نحن جمعناها فهي لنا .

( ب ) وقوم طاردوا العدو فقالوا : نحن أحق بها ، فلولانا ما جمعتموها .

( ج ) وقوم كانوا يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما أنتم ولا هم أحق بها منا ، وكان لنا أن نقتل العدو ونأخذ المناع .

أمر النبي ﷺ بجمع الغنائم ، وأقام عليها حارساً ، وبدأ يوزعها تنفيذاً لقوله تعالى ( واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ) .

كان المدل النام أساساً للتوزيع ، فلم ينس من استشهد في المعركة ، بل أمر بنصيبه لورثته . وجعل حصّة لمن لم يشهد المعركة من تخلفوا في المدينة والجواسيس ، وأذكر منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد .

وهكذا جعل النبي ﷺ لكل من ساهم في المعركة سواء بالقتال أو بجهود لصالح القتال نصيباً من الغنائم .

ولا يخفى ما لتوزيع الغنيمة من أثر على روح المقاتلين الممنوية . وحبذا لو حدث ذلك في أقرب فرصة ، ولذة النصر لاتزال في أشدها ، كما حدث في هذه الغزوة .

## خاتمة

وبعد فهذه غزوة بدر الكبرى أولى غزوات جيش الإسلام ، وقد نادى فيها محمد ابن عبد الله قائد جيش المسلمين في صحراء العرب بمبادئ وأساليب جديدة بالبحث وقينة بالإعجاب والتقدير .

١ - فقد أبرز أهمية القضاء على قوة العدو الاقتصادية وجعلها لا تقل أهمية عن القضاء على قوته العسكرية وتلك هي الاستراتيجية الصحيحة .

ب - وأبرز مبدأ الشورى ، وأن القائد الحكيم هو الذى يستشير ويستفيد من خبرة الخبراء كما يستفيد من شجاعة الشجعان .

ج - تعليمات القائد بكبت النيران .

د - الروح المعنوية وأرقى مراتبها .

هـ - استخدام الجواسيس والقناصة وقواعد اختيارهم .

و - معاملة القتلى والأسرى من الأعداء .

محمد جمال الدين محفوظ  
يوزبائى أركان حرب



## حكم عربية

• ما نكلمت فى الغضب بكلمة ندمت عليها فى الرضا .

مؤرق العجل

• رب غيظ تجرعه مخافة ما هو أشد منه .

الاحنف بن قيس

• الاعمى من يرى بغير عينه ، والاصم من يسمع بغير أذنه .

شوقي

# نشأة كتب الأمل خصائصها

## أمالى الشهاب الخفاجي

الخفاجي هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر قاضى القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصرى .

وهو يرجع نسبه إلى قبيلة ( خفاجة ) وسكن أبوه سرياقوس قرية من قرى الخانقاه .

وقد ترجم الشهاب نفسه فى آخر كتابه ( ربحانة الالبا ) فقال : كنت فى سن التمييز فى مغرس طيب النبات عزيز ، فى حجر والدى ، ممتعاً بذخائر طريفي ونالدى ، فلما درجت من عشى ، قرأت على خالى سيويوه زمانه علوم العربية ، ثم ترقيت فقرأت المعانى والمنطق وبقية علوم الادب الإثنى عشر ، ونظرت كتب المذهبيين : مذهب أبى حنيفة ، والشافعى .

ومن أجل من أخذت عنه شيخ الإسلام ابن شيوخ الإسلام الشمس الرملى ، قرأت عليه شيئاً من صحيح مسلم ، وأجاز لى بذلك وبجميع مؤلفاته ومريواته بروايته عن شيخ الإسلام القاضى زكريا الانصارى .

ومنهم العلامة خاتمة الحفاظ والمحدثين إبراهيم العلقمى قرأت عليه الشفاء بتمامه . ومنهم العلامة فى سائر الفنون على بن غانم المقدسى الخنفي ، حضرت دروسه وقرأت عليه الحديث وكتب لى إجازة بخطه .

ومن أخذت عنه الادب والشعر شيخنا العلامة أحمد العلقمى ، والعلامة محمد الصالحى الشامى .

ومن أخذت عنه الطب الشيخ داود البصير .

ثم ارتحلت مع والدى الحرمين الشريفين وقرأت ثمة على الشيخ ابن جارا الله العصام وغيره . ثم ارتحلت إلى قسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت منهم وتخرجت عليهم . وأجلهم أستاذى سعد الملة والدين بن حسن أخذ عن خاتمة المفكرين أبى السعود العمارى .

وكان لما وصل إلى الروم فى رحلته الأولى ولّى القضاء ببلاد روم إلى حتى وصل إلى أعلى مناصبها ثم فى زمن السلطان مراد توصل حتى اشتهر بالفضل الباهر ، فولاه السلطان قضاء سلانيك فحصل بها مالا كثيراً ، ثم أعطى بعدها قضاء مصر .

أخذ عنه جماعة اشتهروا بالفضل ، من جملتهم العلامة عبد القادر البغدادى صاحب الخزانة  
أما آثاره العلمية فكثيرة منها :

- ١ — الریحانة واسمها ( ریحانة الالباء ، وزهرة الحياة الدنيا ) يقول فيها : هذه ذخائر  
من خبايا الزوايا ، فيما فى الرجال من البقايا ، وهى تراجم أدبية واسعة لشعراء القرن  
الحادى عشر وأدبائه وعلماؤه فى مصر والشام والین والحجاز والمغرب .  
وقد بنى الخفاجى الریحانة على التراجم ، ولكنه توسع فى تراجم الشعراء فشرح أقوالهم  
ونقد ما يستحق النقد منها - وهو كتاب أدب وتاريخ جليل الفائدة .
- ٢ — شفاء الغليل ، بما فى كلام العرب من الدخيل .

صدره بمقدمة فى التعريب وشروطه ، ثم أورد الكلمات المعربة مرتبة على حروف  
المعجم وبيّن أصلها فى لغاتها الأولى ، وكان يأتى بين هذه الألفاظ بكثير من المحرف والمولد ،  
مع الإشارة إلى أصلهما . غير أن به أوهاماً تدل على عدم معرفة الشهاب باللغات التى أسند  
إليها الألفاظ كالفارسية - والحبشية - والرومية .

- ٣ — شرح درة الغواص ، فى أوهام الخواص . وهو نقد شديد للحربى فى درته  
تعقبه فى كل ما أورده فى درة الغواص ، ورد عليه بحجج وشواهد قوية تدل على سعة  
اطلاعه وغزارة علمه .

٤ — طراز المجالس . وهو كتاب ( الامالى ) الذى سنفصل الحديث عنه .

- ٥ — حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ، سماها د عناية القاضى ، وكفاية الراضى ،  
على تفسير البيضاوى وهى خير كتبه وأخصبها وأظهرها دلالة على فضله وروعة تحقيقاته .
- ٦ — شرح شفاء القاضى عياض ، وسماه د نسيم الرياض ، فى شرح شفاء القاضى عياض .  
وللخفاجى ديوان شعر منه نسخة خطية بخط المؤلف فى الخزانة التيمورية .

توفى رحمه الله تعالى لثنتى عشرة خلت من شهر رمضان سنة تسع وستين وألف ، وقد  
أناف على التسعين ، فرحم الله الشهاب رحمة واسعة كفاء علمه وخصوبة بخته وشمول فضله .  
طراز المجالس :

وهو مجموع مجالس رتبه على خمسين مجلساً ، قال فى مقدمة هذه الامالى : هذه بنات  
فكر زفقتها إليك ، وأمالى مجالس أمليتها عليك ، مما تقر به عين الادب ، ويتحلى بذوقه



لسان العرب . لو رآها ابن الشجرى لقال هذه ثمرات الالباب ، أو ابن الحاجب لقام بين يديها من جملة الحجاب ، أو ثعلب لراغ عما أملاه ، أو الفألى لجر ما أملاه وقلاه . أو دعها مالا يبلى على مرور الحقب ، وهل يصدأ مكنون الذهب .

فأنت ترى من هذه المقدمة أن الشهاب كان معجباً بنفسه مفتخراً بجمده ، وليس أدل على ذلك مما جاء فى خاتمة هذه المجالس حيث قال :

« هذه أبكار معان لم يشعر بها شاعر ، ودرر لم يغص فى بحارها خاطر ، إلا أن بها أمرا حميدا ، ومبدأ ساميا ، وهو إهداؤه لها إلى ساكن طيبة محمد سيد الرسل الكرام صلوات الله عليه فالشهاب لم يقدم أماليه إلى ملك أو أمير ، ولم يرفعها إلى وال أو خليفة ، بل قدمها حسبة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، مما يدل على صدق إيمانه وعظيم تقواه .

ولا عجب فللشهاب قصائد عدة فى مدح الرسول ﷺ . منها مقصودته التى عارض بها مقصورة ابن دريد ، إلا أن ابن دريد كان قالها يمدح بها الشاه بن ميكال ، والشهاب قالها يمدح بها محمد رسول الله ﷺ ، وللشهاب أيضاً ميمية عارض بها ميمية زهير بن أبى سلى . والذى يظهر لى أن هذه المجالس إنما ألفها الشهاب تقليداً للقدماء ، وجرباً على سنن الأئمة السابقين ، ولا أحسب أنه كان يعقد لها مجلساً أو يحدد لها يوماً .

وهو قد تناول فيها مسائل من علم الكلام ، ومسائل من علم الأصول والفقه ، ومطالب فى علوم المعانى والبيان ، ومشاكل فى علم الإعراب والنحو . ثم هى تضم فى ثناياها جملة من الأمثال ومقطوعات من الشعر وشرحا لدقائق من اللغة . وأسلوبه فيها أن يفتتح المجلس بقوله .

سألت أقر الله عينك . أو سألت أكرمك الله ، أو سألت حماك الله . وأحياناً يترك هذه الافتتاحات ويأخذ فى الموضوع من غير هذه الديباجة .

وهى أيضاً تمتاز بالنقل عن كتب نادرة ، مثل كتاب ( النعاقب ) لابن جنى ، و ( الامالى ) لابن الحاجب ، وكتاب ( استطالة الفهم ) للجاحظ .

وهذا أمر يسير متى علمنا أن مكتبة الشهاب قد حوت ما يزيد على عشرة آلاف مجلد .

ومن خير مجالسها المجلس الثانى الذى تكلم فيه على « التضمين » ، والمجلس الخمسون الذى ناقش فيه ابن حزم .

وسنكتفى بأن ننقل صورة لهذا المجلس لخطورته فى الدلالة على قوة عارضة الشهاب وصدق إيمانه وسعة عقله .

### المجلس الخمسون :

طالعت كتب أبى محمد بن حزم ، فوجدته يمشى على غير الجادة ، فيأتى بأمور تأباها الطباع السليمة مع كثرة اطلاعه ، وطول بابه ، وفيها فوائد جلية وعوائد جميلة .  
فن فوائد رحمة الله ما ذكره عن رجل من البصرة يسمى أحمد بن حائط المعتزلى تليذ النظام وتليذه أحمد بن يانوس ، ذكر أن له آراء فاسدة فيها رائحة لنقيصة الانبياء وبعض الصحابة .

ثم ساق الشهاب مناقشة ابن حزم لأقوال ابن حائط .

وقال ابن حزم فى كتاب الملل والنحل :

إن فرقة من المبتدعة تقول إن نبينا ﷺ ليس هو بعد موته بنى ورسول . وهذا قول ذهب إليه الأشعرية وأبو سليمان الباجى ومحمد بن حسن بن فورك الأصهبانى ، وبسببه قتله بالسم محمود بن سبكتكين . وهو قول مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة من ابتداء الإسلام إلى يوم القيامة .

ثم ساق رد ابن حزم على ابن حائط المعتزلى . غير أن الشهاب عقب على قول ابن حزم فقال :

إن فيما ذكره ابن حزم أمورا .

أما ما ذكره من أن رسالة النبي ونبوته باقيان بعد موته فهذا مما لا شبهة فيه ، لكن نسبة ضده للأشعرية غير صحيحة ، لأن السبكي ذكر أنه لم يقل به أحد منهم .

وأما ما نقله عن الباجى وابن فورك فلا يعلم حاله نفياً وإثباتاً ، لأنه كلام يقتضى أنه لم يقل به أحد حتى الكرامية . وتفصيله فى الطبقات .

ومن المجالس التى ظهرت فيها شخصية الشهاب المجلس الحادى والعشرون :

### المجلس الحادى والعشرون :

قوله عز وجل : « فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » .

قال ابن الحاجب في الأمالي ما ملخصه :

فيها إشكالان :

الأول أن قوله ( أن تضل ) وقع تعليلا لاستشهاد ( المرأتين ) ، والظاهر أن العلة التذكير .

والجواب أن العلة في الحقيقة هي التذكير ، لكن عادة بلغاء العرب أنه إذا كان الأمر علة ولعلته علة ، قدموا علة العلة وعطفوها عليها بالغاء لتحصل الدالان بعبارة واحدة نحو ( أعددت الخشبة لأن يميل الحائط فأدعما ) ولو قيل إن الميل والضلال هو السبب لم يبعد على حشد ( قعدت عن الحرب للجن والخوف ) على أن هذا هو الباعث لأعداد الخشبة ولتعدد المرأتين في الشهادة لا على أنه علة غائية .

الإشكال الثاني أنه أتى بالظاهر وهو ( إحداهما ) الثانية والمقام يقتضى الإضمار وأن يقال ( فتذكر الأخرى ) .

والجواب أن أصل الكلام ( أن تذكر إحداهما الأخرى عند ضلالها ) فقدم وأخر لما مر ، واقتضى ذلك أنه لا يقال إلا على ما عليه النظم ، لأنه لو قيل ( أن تضل إحداهما فتذكرها الأخرى ) وجب عود ضمير المفعول على الضالة كقولك ( جاء رجل وضربته ) فالجاء هو المضروب وهو محل بالمعنى ، لأنها قد تكون الآن ضالة في الشهادة ثم تكون ذاكرة في زمن آخر ، والمذكورة هي الضالة . فإذا قيل فتذكرها الأخرى لم يفد ذلك لتعين عود الضمير إلى الضالة . وإذا قيل فتذكر إحداهما الأخرى كان مبهما في كل واحدة منهما ، فلو ضلت إحداهما الآن وذكرتها الأخرى فذكرت كان هذا داخلا في الكلام ، ولو انعكس الأمر والشهادة بعينها في وقت آخر اندرج أيضاً تحته لأن قوله ( فتذكر إحداهما الأخرى ) غير معين .

ولو قال فتذكرها الأخرى لم يستقيم أن يكون مندرجا إلا على التقدير الأول . فعلم أن العلة هي التذكير من إحداهما للأخرى كيفما قدر وإن اختلف ، وهذا لا يفيد إلا ما ذكرناه ، فوجب أن يقال ( فتذكر إحداهما الأخرى ) . وهذا الوجه الثاني هو الذي يصلح أن يكون جاريا على الوجهين المذكورين أولا ، وأنه في التحقيق هو الذي وجب لأجل مجيئهما ظاهرين .

وأما الوجه الذى قبله فلا يستقيم إلا على التقدير الاول ، لأن الثانى جعل الضلال علة ، فلا يستقيم حينئذ أن يقال إن أصله ( أن تذكر إحداها الأخرى بضلالها ) مع أن الضلال هو العلة . فثبت بما ذكرنا وجوب مجيء الآية على ما هى عليه ، ولو غير إلى المضمر اختل المعنى واختص ببعضه . انتهى .

قال الشهاب :

أقول هذا الكلام مع تعقيده فيه ما يكدر موارد الأفهام . وحاصل ما قاله أن «إحدى» الاولى هى الضلالة أى الناسية المعينة ، والثانية غير معينة ليُشمل النظم من يضل فى وقت أو حال أو بعض من المشهود به وتذكر فى غير ذلك فإنه قد يتفق مثله ، وهذا هو المراد . فلو أتى بالضمير لم يفده فليس هذا من وضع الظاهر موضع المضمر ، ولا من التكرار فى شئ .

وعلى هذا فقوله تذكر إحداها الأخرى إحداها فاعل والأخرى مفعول ، وهو يحتمل أيضا أن يكون إحداها فاعلا والأخرى صفة والمفعول مقدر أى تذكرها إلى آخره . ويحتمل أيضا أن إحداها مفعول مقدم والأخرى فاعل وفيه تكلف ، وهو حينئذ من وضع الظاهر موضع المضمر وعلى ما قبله ، والذى اختاره ابن الحاجب ليس كذلك كما مر . ثم إنه يرد على ما فى الأمالى أن لا يكون التفریع صحيحا ، لأنه لا يترتب على ضلال واحدة معينة إلا تذكر أخرى معينة . وأما تذكر واحدة ما لامرأة ما أخرى فلا . وسماجته أظهر من أن تذكر .

والحق عندى أن «إحدى» الاولى هى الخلة بشئ من الشهادة ! والثانية هى المذكرة لها ولهذا وصفت بالأخرى ، والأصل تذكرها إحداها الأخرى ، وعدل عن تذكرها الأخرى مع أنه أوجز وأظهر لاقتضاء الجزالة والمقام له فإنه قد يتوهم أن التقصير فى إحدى الشهاداتين محل بهما وكذا تلقينها للأخرى مما يؤمر ضرره كمتلقين أحد الشاهدين الممنوع شرعا .

وأشار بعنوان المرأة بأنها إحداها إلى أنها مرضية وإن كان هذا ووصفها بالأخرى إشارة إلى مغايرتها الاولى دفعا للبس ومى مع المضلة كشيء واحد فلا يضر تلقينها . ولذا استنبط الفقهاء أعزهم الله أنه لا يفرق بين المرأتين فى الشهادة كالرجلين ، وما أشار إليه ابن الحاجب من الصور داخل فيه .

## طُرُوقُ اللَّحْنِ عَلَى اللَّيْفَةِ

واللحن هنا الخطأ في الإعراب قال ابن أسماء .

وحديث ألدّه هو ممّا تشتهيه النفوس يوزن وزنا  
منطق صائب وتلحن أحيانا وأحلى الحديث ما كان لحنا

د تلحن أحيانا ، فسرّه الجاحظ في كتابه البيان والتبيين د ص ١٤٧ ج ١ ط لجنة  
التأليف والذمّر ، بأنها تخرج على الإعراب في حديثها مسابرة لسليقتها وإرسالا للنفس  
على سجيّتها .

ورده عليه رجال من العلماء باللغة ذاهبين إلى أن معنى اللحن في البيت التورية  
في الكلام ، من لحن له إذا قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره <sup>(١)</sup> فأراد الشاعر أن هذه  
المرأة تارة تنكلم بكلام واضح يفهمه جميع من سمعه ، وأخرى تخرج من التصريح إلى التلويح  
ليفهم من تريد لفهامه وحده د أمالي القالي ج ١ ص ٨ ، سمط اللآلى ج ١ ص ١٧ ، الفائق  
للزحشرى ج ٢ ص ٥٦ ط حلبي ، فهو كقول الفطامي يصف سحر الحديث وأثره في نفوس  
المحبين وما يجري بينهم من اللحاحات الدالة عندهم :

يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه بادي  
فهن يفتذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادي

واللحن بمعنى التورية كثير في كلام العرب <sup>(٢)</sup> من ذلك قول السيد الرسل لسعد  
ابن معاذ وسعد بن عباد ائتيا بني قريظة فإن كانوا على العهد فاعلنا بذلك ، وإن كانوا قد  
تقضوا ما بيننا فالحننا لي لحننا أعرفه ، ولا تفتنا في أعضاء المسلمين د ج ٨ ص ١٩ رغبة الآمل ،  
وبيت مالك بن أسماء يحتمل المعنيين معاً وربما كان ما ذهب إليه الجاحظ أقرب

[١] المجلة - ولما كوشف الجاحظ بذلك اعترف بخطأه ، فقليل له : وهلا صححته ، فقال . كيف  
وقد سارت به البغال إلى أنحاء الأرض .

[٢] وقد ألف فيه ابن دريد صاحب الجهرة كتاباً مستقلاً اسمه [ الملاحن ] طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة

إلى المراد ، لأنه يصف مجلس شراب وغناء ويحمد من الجارية في مغاني اللهو أن تخلط جداً بهزل وتمزج لإعراباً بإعجام وتبعد قليلاً عن لغة الخفض والرفع ، فذلك أشبه بدلها ، وأخرى أن يظهر مواطن الجمال فيها .

والعرب قبل اختلاطها بالاعاجم كانت صحيحة المنطق جارية على طبيعتها من الإعراب ، فلما امتدت الغزوات وكثرت السراري في البيوت وامتزجوا بغيرهم من الأمم فسدت سلاقتهم ودب اللحن في كلامهم وعظم الخطب فيه . وهم يحدثننا أن من البلغاء وأبناء الخلفاء من كان يلحن .

روى المبرد في كامله د ج ١ ص ١٩٦ ، أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فقال : لقد هممت اليوم أن أفنك بالوليد بن عبد الملك . فقال : بئس والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين . فقال : إن خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى فقال له خالد : أنا أكفيك . فدخل خالد على عبد الملك — والوليد عنده — فقال : يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين مرت به خيل ابن عمه فعبث بها وأصغره — وعبد الملك مطرق — فرفع رأسه وقال د إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، فقال خالد د وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ، فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ، فوالله لقد دخل على فما أقام لسانه لحناً . فقال خالد : أفعلى الوليد تقول ؟ فقال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان . فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد فقال الوليد : اسكت يا خالد فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير . فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، فمن العير والنفير غيرى ؟ جدى أبو سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة ابن ربيعة صاحب النفير . ولكن لو قلت : غنيات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان ، لقلنا : صدقت .

هذه المحاوره تعطينا أن رجلين من الامويين أرباب البيان نشأ فى ظل الخلافة وغنيا بلبان الملك كانا يلحنان . والامثلة تتكاثر فى هذا الباب فإن أردت المزيد منها فارجع إلى كتاب البيان والتبيين ولا سيما الجزء الثانى منه فقد عمد الجاحظ بابا للحن وعد فيه كثيراً من اللحنين . من ذلك أن الوليد صلى يوماً الصبح بالناس فقرأ : يا ليتها كانت القاضية ، ( وضم تاء ياليتها ) ، فسمعها عمر بن عبد العزيز فقال : ياليتها واسترحنا منك . ومما

أخذوه على الحجاج قرامته أحب بالرفع في قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » . (الجبلى طبقات ص ٦ ، ابن الانبارى نزهة ص ١٩ ، ياقوت ارشاد ص ٢٩٦ ) .

وذكروا من اللحافين في عصر بنى أمية عبيد الله بن زياد والحسن البصرى وخالد القسرى وابن صفوان<sup>(١)</sup> . وفي الجزء الرابع من رغبة الآمل أن خالد بن صفوان كان يدخل على بلال بن أبى بردة يحدثه فيلحن ، فلما كثر ذلك على بلال قال له : أمتدنى أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقافات ! فكان خالد يأتى المساجد ويتعلم الإعراب ، على أن خالداً هذا كان آية في الفصاحة وكان الحجاج منقطع النظر في البيان العربى وهم يقولون إن أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل الشئى وعبد الملك والحجاج وابن القرية . وظنى أن أخبار لحنهم قد تزيد فيها خصوصهم ليحطروا من أقدارهم فزادت في أخطارهم ، ولولا أن الاحاديث في الوليد بلغت مبلغاً من الكثرة والاختلاف في الرواية لما سوغنا اللحن على الحجاج وأضرابه ممن كانوا يعتبرون أئمة البيان ويتبوءون صدر ديوان المحسنين في اللغة وآدابها ، إلا إذا قلنا : إن اللحن طراً على الطبقات العليا في عصر بنى أمية ، وقد يجوز أن تقع من الحجاج وأمثاله هنوات في لحظة من لحظات السهو والغفلة فنعى الرواة عليهم هذه السقطات لأن لحنه البليغ بقاء مشهورة ، على أن الذى لاشك فيه هو أن اللغة في أواخر هذا العصر طراً عليها وهن أصاب في الصميم مادتها وهدد بالمسخ صورتها .

لقد كان عمر بن الخطاب بعيد النظر ثاقب الذهن نافذ البصيرة حين أمر الغزاة ألا يتخذوا في البلاد المفتوحة دوراً ولا ضياعاً حتى تظل أخلاق العرب ولغتها بعيدة من الاضطراب ، وحتى لا تغرق هذه الفئة في غمرات الاعاجم .

ولكن أكان هناك سبيل إلى عزلة تامة شاملة تكون كهفاً حريزاً للطبائع العربية ولهجاتها ؟ لقد أخبرت الأيام أن هذا في حكم المحال ، وأن هذه الظروف كانت لابد منها ، لأن الرق أكثر من السرارى في بيوت الطبقة الحاكمة فنشأ من الاممات الاعجميات

(١) المجلة - وإنما ذكروا ذلك لغرابة اللحن من مثل هؤلاء ، وكان يقال عن الحجاج والحسن البصرى أنهما أفصح القرويين ( أى المتحضرين ) .

ناشئة تنزع في كلامها إلى لـكـنـات أجمية <sup>(١)</sup> ويصعب عليها أن تقول فتعرب . ولأن هؤلاء الأعاجم دخلوا في دين الله أفراجا ، فلم يمض مائة عام من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى غلب الإسلام في كل بلد دخله الفاتحون ، وهؤلاء المسلمون الجدد يشق عليهم أن يقلدوا أهل البادية في طرائق تعبيرها من غير أن يتعشروا في الطريق ، وأن تنقاد لهم السننهم من غير أن تنزع إلى ما كانت عليه ، وتاريخ اللحن قديم يرجع إلى ما قبل الإسلام إذا سلمنا بما يقوله الرواة ، ووجد في أيام النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الموالى والمتعربين الذين دخلوا في الإسلام ، ولـكـنـه لم يكثر إلا بعد انتشار العرب في الأمصار الأجمية فأحس العقلاء بحاجة ملحة إلى وضع النحو وضبط قواعد اللغة ، ويكادون يجمعون على أن أبا الأسود الدؤلى أول من وضع أصوله بإرشاد الإمام على ، ويذكرون أنه سمع قارئاً يقرأ : « إن الله برىء من المشركين ورسوله ، بالجر فوضع باب العطف ، وأنه سمع أبنته تقول : ما أحسن السماء ( برفع أحسن ) ؟ فقال : نجومها . فقالت . إنما تعجبت . فقال : افتحى فاك . ووضع باب التعجب . ثم جاء من بعده تلميذه عنبسة بن معدان المهرى . ثم ميحدون الأفرع . ثم عبد الله الحضرمى . ثم عيسى بن عمر الجرمى . ثم الخليل بن أحمد الفراهيدى العالم المنقطع النظر في علوم العربية كلها ، وعنه أخذ سيويوه ، فأكمل أصوله وأكثر فروعه واستشهد عليه وألف كتابه في النحو فجاء غاية في الحسن والإحسان ، وإماما مرضيا لا يجد طلاب العربية معدلا عنه ولا يبدلا منه .

على أن النحو وحده وإن عصم من الزيغ في الإعراب لم يعصم من الزيغ في القراءة ، فاضطروا إلى شكل الحروف وإعجام المتشابه منها حفظا لـكـتـاب الله أن يقرأ على غير وجهه . ذلك أن القرآن في عهد الرسول لا خوف عليه من الزلل فيه ، لأن الرسول يرد الشارد إلى الخطيرة ويأخذ بيد الضال إلى الجادة ، كذلك في عهد الراشدين لتوفر عنايتهم على تناقله وضبط ألفاظه ، فضت عهودهم والناس لا يفتقرون في قراءته إلى شكل ولا إعجام . ثم وضع أبو الأسود نقطا لتبين الحركات فالفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة أسفله والضممة بين يديه ، وهذا هو المعبر عنه بالشكل . وكان يكتب بالمداد الأحمر مخالفا للون الخط . وفي دار الكتب المصرية مصحف كوفي مشكول على هذه الصفة وجد في جامع عمرو

(١) الجملة : ومن الأمثلة على ذلك عبيد الله بن زياد ، فقد طرأت الـكـنـة عليه من قبل أمه ، وهي لـكـنـة في مخارج الحروف لا في صحة الإعراب .



وهو من أقدم المصاحف المعروفة ، وكانوا يستحسنون الشكل في القرآن ويستمتعون به في غيره ولم يكن الخواص في حاجة إليه ، وكانوا يقولون : شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه .

فأما الإعجام فهو تمييز الحروف المتشابهة في شكلها كالجيم والحاء والباء والتاء والذاء ، والغرض منه حماية القرآن من التصحيف فيه ، فإن الحجاج لما رأى الناس يقرأون كثيرا من كلمات التنزيل مصحفة فزع إلى كتابه أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة ، ودعا نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر فأدخلوا هذا الإصلاح على الخط العربي بعد معارضة شديدة من بعض معاصريهم ، ولكن سيف الحجاج كان حذراً فاصلاً ، فقبل الناس الإعجام وعمموه ، ونجا الخط العربي من فوضى التشابه ، وحفظ القرآن من التحريف فيه . والفضل في ذلك لأبي الأسود وتلاميذه ، ولخلفاء بني أمية ولولاهم الذين حاربوا اللحن بكل سلاح مستطاع ، وشجعوا العلماء وبذلوا لهم كل نفيس .

وبعض مؤرخي الآداب يرى أن أبا الأسود نقل قواعد النحو من السريانية لفروض افترضها ومشابهات التمسها ، وكلها تعوزها الحجة ويردها النظر الصحيح ، ومهما كان فلاّبي الأسود وتلاميذه الايادى البيضاء على العربية وعلموها ، فجزاهم الله خير ما يجزى به عباده العاملين ؟

عبد الغنى اسماعيل

أستاذ في كلية اللغة

## الأخلاق

قال روزفلت أحد رؤساء الولايات المتحدة : صحيح أن الذكي قد يعمل في بعض الشئون أكثر وأفضل مما يعمل رجل الخلق ، كما أن صاحب القوة الفطرية الذي يدرب قد يتغلب على الضعيف المدرب — مها كانت عزيمة هذا قوية وقلبه قلب أسد — ولكنك لن تجد في أغلب معارك الحياة الكبرى قيمة للذكاء الفطري أو السكال الجسدى توازى قيمة تلك الفضائل الإيجابية أو السلبية التى تسمى : الأخلاق ،

# عقد التأمين

## في التشريع الاسلامي

- ٢ -

٨ - هذا عن ولاء الموالاة في التشريع الإسلامي ، أما عن الأساس القانوني الذي اعتمد عليه في القول بوجود هذا الولاء في المجال التشريعي الحالي ، ووجوب تدخل المشرع للاعتراف به ، والتوفيق بينه وبين التطور القانوني الوضعي الحديث ، فالقول فيه يتلخص في أن عقد ولاء الموالاة هو صورة حية من صور (عقد التأمين Contat d'assurance) الشائع والمعترف به قانوناً هي صورة (التأمين على المسؤولية Assurance de responsabilité) ولهم ذلك يمكن التعرض لبعض الشيء لهذا العقد وهذه الصورة .

٩ - يعرف عقد التأمين بوجه عام بأنه عملية يحصل بها أحد الطرفين ، وهو المستأمن أو المؤمن له L'assuré على تعهد لمصلحته أو لمصلحة غيره في نظير مقابل مالي ، ويتعهد فيها الطرف الآخر وهو المؤمن L'assuré بدفع عوض مالي في حالة تحقق خطر معين ، أى يتحمله تبعه مجموعة من المخاطر<sup>(١)</sup> .

ولعقد التأمين أركان أربعة : أولها : الخطر ويشترط فيه أن يكون حادثاً احتمالاً

(١) انظر : Hémard, Théorie et pratique des assurances terrestres, t. 10, p. 73,74 ودكتور محمد علي عرفه في (شرح القانون المدني الجديد في التأمين والعقود الصغيرة) سنة ١٩٥٠ ص ١٠ وما بعدها - وانظر في عقد التأمين :

Planiol et Ribent, . Traité pratique de droit civil français -t-XI- Clin et Capitant, Cours élémentaire de droit civil français, -t-II q. 737.

هذا وقد عرف القانون المدني للعمرى عقد التأمين في المادة ٧٤٧ منه بقوله : « التأمين عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدي إلى المؤمن له أو إلى المستفيد الذي اشترط التأمين لصالحه مبلغاً من المال أو إيراداً مرتباً أو أى عوض مالي آخر في حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد ، وذلك في نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن » .

incertain مستقبلاً futur ، وليس إرادياً محضاً purement potestatif . وثانيها : المقابل المالى الذى يحصل عليه المؤمن من المستأمن ، ليتحمل الاول تبعه الخطر المؤمن منه ، وهنا يبدو أن عقد التأمين معارضة تنشى ، التزامات متقابلة في ذمة الطرفين . وثالثها : العوض المالى الذى يلتزم المؤمن دفعه عند تحقق الخطر . ورابعها : المصلحة في التأمين أو المصلحة القابلة للتأمين (Intérêt assurable) <sup>(١)</sup> .

١٠ — والتأمين على المسؤولية - وهو ما يهنا هنا - صحيح وجائز قانوناً ، وهو بالطبع أفضل من الإعفاء من المسؤولية ، لأنه فضلاً عن أنه يزيح عن عاتق المسئول عبء المسؤولية فإنه لا يحرم الطرف المضروب من حقه في التعويض ، وهذا النوع من التأمين ميسر وذائع في الحياة العملية بسبب انتشار شركات التأمين .

ويلاحظ في هذا التأمين أنه يجوز للشخص أن يؤمن على مسؤوليته التي ترتب على الخطأ عقدياً كان هذا الخطأ أو تقصيراً ، ولا يهم كون الخطأ التقصيرى مفترضاً أو ثابتاً ، وكون الخطأ الثابت يسيراً أو جسيماً ، بيد أنه يتمتع التأمين على المسؤولية التي تنشأ عن الخطأ العمدى الشخصى ، وعلة ذلك أنه لا يجوز أن ييسر الشخص لنفسه سبيل الغش <sup>(٢)</sup> .

١١ — وقد أسلفت التكييف القانوني لعقد الموالاة في التشريع الإسلامى ، ومنه يتضح أن أركانه تتفق إلى حد كبير وأركان عقد التأمين في صورة التأمين على المسؤولية في التشريع الحديث ، فهو أولاً عقد بين طرفين : أولهما : ( مولى الموالاة ) ويقابل المؤمن L'assureur وهو شركة التأمين Société d'assurance وثانيهما : ( المعقول عنه ) وهو المستأمن أو المؤمن له L'assuré ، وهو يتضمن ثانياً عنصر ( العوض المالى ) الذى يلتزم المؤمن ( وهو مولى الموالاة ) دفعه عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وهو يتمثل

(١) تعتبر غالبية الشراح ركن المصلحة غير لازم في ( التأمين على الأشخاص ) وإن يكن من مستلزمات ( التأمين على الأضرار ) - ويبدو أن الشرع المصرى لم يأخذ بهذه التفرقة ، أى أنه يلزم هذا الركن حتى لانعقاد التأمين على الأشخاص - انظر : دكتور محمد على عرفه - السالف ص ٢٦ ، ٢٥ .

وانظر : المادة ٧٤٩ من التقنين المدنى المصرى السالف الذكر .

(٢) انظر : دكتور عبد الرزاق السنهورى في « الوسيط في شرح القانون المدنى الجديد » سنة ١٩٥٢ - ص ٩٨١ وما بعده .

في الدية أو التعويض عن الجريمة التي تنجم عنها الضرر للغير المستحق له ، كما هو الحال في المسؤولية عن الأضرار الناشئة من ارتكاب جريمة ترتب عليها الغرامة المالية . وهو يتضمن ثالثاً عنصر ( المقابل المالى ) الذى يحصل عليه ( مولى الموالاة المؤمن ) مقابل تحمله تبعة الخطر ، وهو يتمثل في ( مال التركة الموروثة ) إذا توفى عنه ( المدقول عنه المستأمن ) غير مخاف وارثاً مطلقاً باستثناء الحالة التي يوجد فيها مع مولى الموالاة أحد من الزوجين ، فيكون ما يتبقى من مال التركة بعد فرض هذا الزوج حقاً مستحقاً لهذا المولى المؤمن ، أما شرط المصلحة في التأمين فمفهوم كما سلف أنه من مستلزمات صورة التأمين على المسؤولية ، وهي الصورة التي ينطبق عليها عقد ولاء الموالاة .

١٢ — وقد يثور الاعتراض على هذا التوفيق الذى أقول به ؛ وذلك بشأن المقابل المالى الذى يحصل عليه مولى الموالاة المؤمن ، وهو مال التركة من حيث كون عقد الموالاة الذى يحتوى عليه ، فيه تعامل ، في تركة لإنسان على قيد الحياة ، ، والتعامل في التركة المستقبلية - حسب القانون المدنى الجديد - تعامل باطل سواء صدر من الوارث أو من المورث نفسه <sup>(١)</sup> ، وفي الحالين يقع باطلاً بطلاناً مطلقاً ، ولا تلحقه الإجازة ، ويجوز لسلك ذى مصلحة أن يتمسك به ، وللمحكمة أن تقضى به من تلقاء نفسها <sup>(٢)</sup> .

١٣ — وردى على هذا الاعتراض - إن ثار - أن المادة ١٣١ من القانون المدنى في فقرتها الثانية نصت على أن « التعامل في تركة لإنسان على قيد الحياة باطل ، ولو كان برضاه ، إلا في الأحوال التي نص عليها في القانون » ، وقد قصد المشرع بالأحوال المستثناة التي نص عليها القانون حالة قسمة المورث تركته بين الورثة <sup>(٣)</sup> .

وقد اعتمد المشرع المصرى في استثناء هذه الحالة على حكمة التشريع ؛ فالمورث إنما يقصد من تقسيم تركته بين ورثته بالانفاق بينهم حال حياته وفقاً لقواعد الميراث أن يتفادى

(١) انظر : المادة ١٣١ فقرة ٢ من التقنين للمدنى المصرى .

(٢) انظر : المادة ١٤١ فقرة ١ من التقنين نفسه .

وانظر : دكتور أنور سلطان في « شرح البيع والفايضة » سنة ١٩٥٢ - ص ١٤٧ وما بعدها .

(٣) انظر : المادة ٩٠٨ وما بعدها من التقنين السالف الذكر .

ويلاحظ أنه في ظل القانون المدنى المصرى القديم ذكرت حالة القسمة مثالا للأحوال التي لا تنطوى على مخالفة للنظام العام - انظر : دكتور السهنورى ( باشا ) في ( نظرية العقد ) بند ٤٥٦ هامش ٢ .

النزاع بينهم بعد وفاته على هذا التقسيم ، فهنا ولو أنه يوجد تعامل في تركه مستقبلية ، إلا أن هذا التعامل مندوب في حد ذاته ، وليست به أية مخالفة للنظام العام أو الآداب التي هي أساس حظر التعامل في التركات المستقبلية <sup>(١)</sup> .

١٤ — ومن هنا نستطيع أن نقيس على حالة القسمة حالة عقد الموالاة ، وما دام قد تبين اتفاقها مع التشريع الوضعي في اعترافه بنظام التأمين وتنظيمه له بالنصوص القانونية الصريحة ، ولسكن المفهوم أن هذا القياس لا يكون بمجرد القول ؛ لأن الاستثناء لا يتوسع فيه ولا يقاس عليه كما هو معلوم ؛ ولأن النصوص القانونية التي اشتملت على حالات الاستثناء من قاعدة بطلان التعامل في التركات المستقبلية لا نجد فيها بالطبع نصاً يقرر استثناء عقد ولاء الموالاة من هذه القاعدة .

(١) ومثال عدم بطلان الاتفاق المتعلق بالارث للمخالفة لنظام العام أو الآداب : الاتفاق الذي يحصل بين أحد النسابة *général - ogiste* ووارث على أن يكشف النسابة له من نسبه حتى يمكنه الحصول على ميراث يستحقه ، ما دام أنه لم يخدع المتعاقد معه ، وإنما كشف له عن سر حقيق كان خفياً عليه . انظر ذلك : دكتور السنهوري في « الوسيط » - السالف - ص ١٣٤ .

هذا وبهنا أن نقول : إن النضاء المصري قد حكم ببطلان عقدين ، صدر أحدهما من زوج والآخر من زوجته ، يتبرع كل واحد منهما في مقدمه للآخر بجميع أمواله يشملها حال وفاة الآخر قبله ، وقيل إنه تبين أن أياً من الزوجين لم يرد حقيقة الوصية التي هي عبارة عن تملك مضاف لما بعد الموت بطريق التبرع ، إذ أن كلا منهما قد جعل وصيته للآخر سببها وصية صاحبه له ، وقد شبه هذا التصرف بولاء الموالاة ، ولسكن في غير موطنه للمشروع هو فيه ، لأنه ثبت في الواقعة الجزئية أن لكل من المتعاقدين ورثة يمنع وجودهم قيام هذه الموالاة ، وعلى هذا ظهر جلياً أن الغرض من هذا التصرف هو حرمان هؤلاء من حقوقهم الشرعية في الميراث ، فضلاً عن أنه تصرف ينطوي على تبادل منفعة متعلق على الخطر والغرر ، ومن أجل هذا اعتبر هذا التصرف من قبيل الرقبي المحرمة شرعاً ، إذ فيه تحايل على قواعد الميراث - انظر : حكم محكمة النقض المصرية الصادر في ١٤ يونيو سنة ١٩٣٤ - في « مجموعة القواعد القانونية » ج ١ رقم ١٩٩ ص ٤٤٩ وما بعدها - بيد أنه يلاحظ هنا أن ثمة فرقاً كبيراً بين عقد الموالاة وبين مثل هذا التصرف المذكور ، إذ تبين كما سلف أن هذا الولاء إنما يشترط فيه ألا يكون وارث ، حتى لا يكون تحايل على قواعد الميراث وحرمان للورثة الشرعيين من الارث ، كما رأينا أن الوصية بجميع المال صحيحة على الرأي الراجح ، إذ كان صاحبها لا وارث له ، ولم يتعلق بما له حق لأحد ، وذلك على سبيل التفضيل لنظره إلى نفسه على نظر المشرع له !

١٥ - ولذلك نرى أنه يجدر بالمشرع أن يتدخل لينص على هذه الحالة الجديدة باعتبارها استثناءً ثانياً إلى جوار حالة القسمة ، لإقراراً منه للتوفيق بين قواعد الشريعة الفراء وقواعد التشريع الوضعي الحديث ، ما دام قد ثبت أن القواعد الأولى فيها ما يلائم التطور القانوني والاتجاه التشريعي الجديد ، وهذا بعد تعديل يحدث في قانون الميراث الصادر في سنة ١٩٤٣ ، بمقتضاه يذكر ولاء الموالاة ضمن أسباب النورث كما كان الحال في الأصل<sup>(١)</sup> وأن يعدل عن تلك العبارة الركيكة الواردة في مذكرته الإيضاحية والقائلة بأن عدم ذكر هذا الولاء سبباً للميراث في القانون يرجع الى عدم وجود هذا النوع من الولاء منذ زمن بعيد.

### أهم طه السنوسي

المجلة - نشكر الاستاذ الباحث صاحب هذا المقال النفيس على ما فيه من الإحاطة والدقة وحسن المقارنة ، وفتنى أن يكثّر الباحثون في مثل هذه الموضوعات التي لا تزال بكرة . غير أننا نلاحظ على تشبيهه ولاء الموالاة بعقود التأمين التي تعقد بين المستأمن والمؤمن ، بأن هناك عنصراً معنوياً يقوم عليه ولاء الموالاة وهو مفقود في عقد التأمين . ولهذا العنصر المعنوي من عظيم الأهمية ما يجعل ولاء الموالاة غير عقد التأمين إن الولاء في الإسلام - من حيث هو - صلة ولحمة كصلة القرابة ولحمتها . ومولى القوم منهم . وكبار أئمة الإسلام الذين يتصلون ببعض القبائل بصلة الولاء يفتخرون بهذه الصلة حتى بعد زوالها لأنهم يعتبرونها قرابة كقرابة الدم ولحمة كالحمة الرحم . وهذا المعنى الأدبي موجود في ولاء الموالاة لأنه ولاء على كل حال ، والولاء نصرة ، وفيه كل ما في معاني التبنى والإخاء والقرابة . والرجلان اللذان يتعاقدان عقد الموالاة يترابطان برابط القرابة والتناصر الأدنى حتى يكون ذلك هو الأصل في هذا التعاقد ، ثم تكون نتائجه المالية من ثمرات ذلك : أما عقود التأمين فلا حظ فيها لهذا العنصر المعنوي ، وإنما هي تعاقد بين مصالح مالية محضة ، وللخطورة دخل كبير فيها ، وما ينتظره المتعاقد عقد الولاء من معونة صاحبه له في الحياة وأعبائها الأدبية والمادية لا ينتظره المتعاقدان عقد تأمين إلا فيما نص عليه العقد من نتائج مالية محدودة لا مطمع في غيرها ، لأنها في سبيل غير سبيل عقد الموالاة .

١٢ صفر

## عيد الجهاد الإسلامي

في هذه الأيام التي ينفض فيها المسلمون - في كل مكان - عن أنفسهم غبار الخمول والذل والهوان ، ويقفون للبحر الهوج . ينابذون الاستعمار ، ويكافون عوامل الضعف والانحلال ، وفي هذه اللحظات التي تتحفز فيها قوى التحرير للوثوب إلى قمة المجد في وادي النيل ، جدير بالمسلمين أن يذكروا يوماً عظيماً من أيامهم الخالدة ، هو اليوم الذي وضع الله فيه الحجر الاساسي لبناء الحرية الإنسانية ، وصرح القوة العربية . والعزة الإسلامية ، وهو اليوم الذي اتفق جمهور العلماء على أن الله تعالى قد أنزل فيه على الرسول الكريم قوله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير ، فكان ذلك الإذن إعلاناً للجهاد ضد المشركين المعتدين الظالمين للمسلمين ، كما كان ذلك في الواقع استجابة ربانية لرغبات المسلمين الذين كانوا يتحرقون شوقاً إلى مجابهة أعدائهم الذين لا يكفون عن العدوان ، كما كانوا يتبرمون بالموقف السلبي الذي يقفونه منهم ، وكانوا دائماً يقولون للرسول عليه السلام عند كل داع : حتى متى لا نؤمر بقتال ؟ - ولولا إيمان قوى بالله ورسوله ، وثقة مطلقة في وعد الله الذي لن يضيع أوليائه ، لنحول هذا التبرم إلى تمرد . ولكن الله سلم . فأدر كيفهم حكمة الله بتشريعه ، فأذن لهم في قتال المعتدين ، وأباح لهم جهاد عدوهم ، ودفع الظلم عن دينهم وحرثاتهم وشخصهم ؛ وكان هذا الإذن بقتال المشركين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر من السنة الثانية للهجرة ، فحق أن يسمى هذا اليوم - عيد الجهاد الإسلامي ، أو عيد التحرير الأول ، وجدير بالمسلمين أن يحتفلوا به كلها أظلمهم ، فهو يوم من أيام الله - وما أكثر ما يحتفل المسلمون بأيام لاتدانيه مجدداً وشرفاً . على المسلمين أن يكرموا ذكرى هذا اليوم - سنياً وهم اليوم في حالة تشبه في كثير من نواحيها حالة المسلمين الأولين يوم أذن الله لهم بقتال عدوهم ؛ وليستوحوا العبرة من ماضيهم لحاضرهم ، وليتبعوا منهج أسلافهم في مجالبة أعدائهم الذين يتحلبون عليهم من كل مكان ، ولو أنهم فعلوا ما يوعدون به لكان خيراً لهم وأشد ثبتيماً ،

ولقد توالى بعد هذا الإذن الكريم التشريعات الربانية التي نظمت أمور الحرب ، ووسائل القتال وآدابه ، وكل ما يتعلق به من فنون ، وتحركات ، وهجوم ودفاع ، وتحديد علاقات ومسؤوليات ، وما يجب وما لا يجب أن يكون مما يكره بحق أول دستور عسكري واضح الحدود والمعالم في تاريخ المدنية .

ومنذ أعلن الجهاد طبق عمليا ، ولم يقف عند حد النظريات والمنطق . فقد بدأت عمليات القتال فور الإذن به . إذ بعث الرسول عليه السلام السرايا إلى أماكن العدو فقامت بمناوشات كثيرة ، وعمليات كشف واستطلاع ، واقد قصد عليه السلام - على ما أعتد - بهذه السرايا تدريب المسلمين تدريبا عمليا في صورة - مجموعات - على عمليات الميدان ، وكان عليه السلام حكيما ، فأخرج أولا عدة « سرايا » من المهاجرين ليدرهم قبل غيرهم حتى لا يقول المنافقون ، والذين في قلوبهم مرض ، والمرجفون في المدينة : إن محمدا ضن بأهله وعشيرته فجنهم الخطر ، ولأنهم هم الذين احتملوا أذى المشركين وظلمهم في مكة . فهم أرغب في النار منهم ، وأشوق إلى مجادلتهم ، وهذا من جهة ، ومن أخرى : هم أبناء الأرض التي ستشهد هذه العمليات ، فهم أعرف من غيرهم بها وبالأماكن التي يتسللون إليها ، كما أنهم أعرف بأهلها وطبائعهم ، وأقدر على التمييز بين أبناء القبائل التي تحالفهم أو تحالف عدوهم ، ثم هم أجراً على اقتحام أرض قومهم ، والسير فيها ، والإفادة عسكريا من معرفتهم بأرضهم - وأقدر على التصرف بما يضمن سلامتهم فيها عند الخطر .

وإذا لاحظنا أن اتجاه هذه السرايا كان أولا إلى مكة وضواحيها ، وأن أهم أغراضها هو الاستطلاع والاستكشاف ، وأن هذا الغرض لا يمكن أن يقوم بتحقيقه إلا خبير بالأرض وسكانها ، وذو تجربة سابقة فيها ، أدركنا عظم هذا الإجراء العسكري الحكيم الذي يبدو في تخصيص المهاجرين لهذه السرايا الأولى ، وهو إجراء يدلنا على تمام حرص القائد الأكبر على جنده ، وعمله على ضمان سلامتهم من المفاجآت في أرض لا يعرفونها ؛ وحسن اختياره لمن يكلفه بالأمور الهامة ، وكان هذا دستوراً عسكرياً التزمه الخلفاء وكبار الأمراء بعد الرسول عليه السلام . فكانوا لا يلقون بالمسلمين في أرض يجهلونها ، قبل ارتيادها ، وكشف أحوالها ، والتعرف إلى كل ما يتعلق بطبوغرافيتها ، وليس حقا أن نقول : إن الرسول عليه السلام قصد بإخراج المهاجرين أولا لإثارة حمية الانصار ، لأن الانصار في الواقع لم يكونوا أقل من المهاجرين تحرقا إلى قتال المشركين ، وغيره على الدين ، وحباً للرسول الكريم ، الذي يفدونه جميعاً ، ويضعونه فوق الظنون والشبهات ، وليس عندي إلا هذه الاعتبارات التي أساقفها . والتي يقتضيها الفن العسكري الذي وضع أصوله ومثله العليا محمد عليه السلام . ولهذا نجد الرسول عليه السلام يشرك الانصار مع المهاجرين . بعد أن تمرن كثير منهم على أرض المعارك ، وعرف المسلمون عنها كثيرا من المعلومات . على أننا نجد مع هذا أن عنصر المهاجرين ظل غالبا في هذه السرايا ، ولم يكن من المعقول عسكريا أن تخرج إلى أرباض مكة سرية من الانصار وحدهم ، وهو ما لم يحدث .



وإذا كان الغرض من هذه السرايا كما يبدو لنا — هو التدريب العسكرى على عمليات الميدان — فقد قصد بها أيضاً ما يسمى في هذا العصر « حرب الأعصاب » ، إذ أن خروج هذه السرايا المتتابعة إلى طريق تجارة مكة مع الشام . كان يقلقهم ويحطم أعصابهم ، كما أن بعض السرايا هاجمت ضواحي مكة هجوما خاطفياً في خفة وسرعة تحركات الكوماندوس اليوم . وكانت أخبار هذه السرايا ، والانباء عن قوة الفدائيين المسلمين تصل إلى مكة مبالغاً فيها ، فتشيع فيها الخوف والهلع ، وكان أهل مكة وحلفاؤهم في منازلهم التي غشيتها السرايا ، يقيمون في فزع دائم ، واستعداد مستمر للحرب تباغثهم في وقت غير معروف ، وبهذا التكتيك السريع المحكم ، أزهق العدو إرهاباً كبيراً أضعف من معنوياته ، وكان له أثره الفعال في نفوس القوم بعد أشهر معدودة .

وكانت خاتمة هذه السرايا السرية التي قادها ابن عمه الرسول عبد الله بن جحش إلى نخلة - بين مكة والطائف - وهي السرية التي نقلت طابع السرايا العام . من الاستطلاع والكشف وإرهاب العدو ، إلى عملية التحام فعلي ، وقاتل حقيقي ، فكانت بذلك مقدمة للمعركة الخالدة معركة بدر الكبرى يوم ١٧ رمضان من نفس السنة الثانية للهجرة ، أي بعد سبعة أشهر تقريباً من يوم إعلان الجهاد ، وفيها تحقق للمسلمين وعد الله لهم يوم الإذن ، وإن الله على نصرهم لقدير . وإذا كان نصر المسلمين في بدر قد أظهر لهم شخصية قوية . وجعل لهم كيانا ظاهراً . وقوة عزيزة يحسب حسابها ، وعليه انبنى مجد المسلمين وتركزت دولتهم - إذ كان ذلك كذلك - فإن أساس هذا البناء الإسلامى الشاخ هو الإذن بقتال الظالمين الذى فتح أبواب المجد على مصاريعها أمام المسلمين في اليوم الثانى عشر من صفر من السنة الثانية .

فلماذا كرر المسلمون هذا اليوم يوم عيد الجهاد الحقيقى . يوم عيد تحرير الإنسانية بالوسائل العملية يوم لفت الله أنظار المسلمين إلى أن النظريات وحدها لا تقيم دولا وأنه ما لم تطلق عملياً فلا خير فيها . وأن الحق والقوة إلفان . لا بد لكل منهما من الآخر ، فالحق بلا قوة ضياع والقوة بلا حق جبروت ووحشية ، وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل . فتفرق بكم عن سبيله . . . . .

أكتب هذا المذكرى التى تنفع المؤمنين . ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

**محمود فياض**

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين



# الأزهر والتضحية الوطنية

## من الحملة الفرنسية إلى الثورة العربية

مرت مصر خلال هذه الفترة بأحداث مثيرة استدعت بذل ضروب عالية من التضحية ، وقد غاض الأزهر غمار هذه الحوادث ، واستجاب زعماءه لداعى الوطن ، بإذنين ها فى وسعهم من تضحيات فى سبيله ، وسنحاول فى هذا المقال أن نسجل ما قام به علماءنا من التضحيات ، لإحياء لذكراهم ، وتخليداً لتاريخهم العاطر .

العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين .

لم تسكد تستقر الحملة الفرنسية فى القطر المصرى فى صفر ١٢١٣ ( يوليه ١٧٩٨ ) حتى نفر الشعب وزعماءه دفاعا عن كرامة الوطن وحرية ، فقامت الثورات فى جميع أنحاء القطر لطرد المستعمرين من البلاد ، وكانت للقاهرة مركزا لثورتين مهمتين : الأولى فى جمادى الأولى ١٢١٣ ( أكتوبر ١٧٩٨ ) وعلى رأسها الشيخ السادات ، وكان رئيساً لمجلس الثورة . والثانية فى ٢٣ شوال ١٢١٤ ( ٢٠ مارس ١٨٠٠ ) وعلى رأسها زعيم العلماء فى ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الاشراف . وقد استعمل الفرنسيون جميع أنواع القسوة لكبت الشعور القومى والقضاء على المقاومة الاهلية ، ولكنهم لم ينجحوا فى خطتهم ، وانتهى الامر بفوز المقاومة الاهلية ، وجلاء الغاصبين عن أرض الوطن .

وسندكر العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين خلال هاتين الثورتين :

( ١ ) ثورة القاهرة الاولى فى ٩ جمادى الاولى ١٢١٣ ( ٢٠ اكتوبر ١٧٩٨ ) :

بعد انتهاء ثورة القاهرة الاولى وجه نابليون نظره إلى الأزهر ، إذ كان يعلم أنه المعسكر العام للثورة ، فقبض على زعماء الحركة ، وأصدر أمره إلى الجنرال بون قومندان القاهرة بأن يأخذهم ليلا إلى شاطئ النيل - ما بين مصر القديمة وبولاق - حيث يعدمهم ، ثم يلقي بجثثهم فى النهر . وبهذه الطريقة خنى علينا تاريخ كثير من المجاهدين الذين استشهدوا فى هذه الثورة .

أما الذين حوكموا رسمياً من العلماء باعتبارهم من زعماء الثورة فهم :

الشيخ اسمعيل البراوى والشيخ أحمد الشرقاوى وكانا يقومان بالتدريس فى الأزهر ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى وكان يقوم بقراءة كتب الحديث كالبخارى ومسلم فى المشهد الحسينى ، والشيخ يوسف المصلى كان يقوم بالتدريس فى جامع السكرى ، والشيخ سليمان الجوسقى وكان من العلماء المشهورين بشدة السطو والبأس ، وكانت محاضراتهم سرية وقد حكم عليهم بالإعدام فى يوم ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ ( ٣ نوفمبر ١٧٩٨ ) .

وفى الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٨ جمادى الأولى ( ٤ نوفمبر ) أخرجوا من سجنهم إلى القلعة حيث تلى عليهم الحكم ، ثم أعدوا رمياً بالرصاص ، ولم يعلم لهم قبر بعد مقتلهم ، ويروى الجبرتي أن الفرنسيين ألغوا من السور خلف القلعة بعد تنفيذ الحكم .

وقد نشرت صحيفة ( كورييه دليجيت ) بالعدد الصادر فى ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٨ م ( غرة جمادى الآخرة ١٢١٣ هـ ) نبأ بإعدامهم ، وأضافت إلى الاسماء التى ذكرها الجبرتي اسم ( السيد عبد الكريم ) الذى لم نقف له على ترجمة .

وكان الشهداء من العلماء خلال هذه الثورة أكثر من هذا العدد ، إذ قرر الشيخ عبد الله الشرقاوى فى تاريخه ( تحفة الناظرين ) أن الفرنسيين قتلوا ثلاثة عشر عالماً ، ويؤيد ذلك ما رواه المعلم نقولا الترك فى كتابه ( ذكر تملك فرنساوى للديار المصرية ) إذ قرر أن نابليون أمر بإعدام اثنين من العلماء كانا من أعضاء المجلس العالى .

وبالرغم من أن نابليون كان يعلم تمام العلم أن الشيخ السادات كان رئيساً لمجلس الثورة إلا أنه لم يمسسه بسوء نظراً لمكانته فى نفوس المصريين المستمدة من نسبه الشريف ، وقد طلب الجنرال كليبر من نابليون أن يقبض عليه ، فأجابه بأن إعدام مثل هذا الشيخ الجليل لا يفيد الفرنسيين بل يؤدى إلى عواقب وخيمة .

( ب ) ثورة القاهرة الثانية من ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ هـ إلى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٢١٤ هـ ( ٢٠ مارس - ٢١ إبريل سنة ١٨٠٠ م ) :

غادر نابليون القطر المهرى تاركاً قيادة الحملة الفرنسية للجنرال كليبر الذى لم يلبث أن واجه أعنف ثورة قامت بها القاهرة ، ويرجع عنف هذه الثورة إلى أن رأسها المفكر كان

زعيم علماء ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الاشراف ، ولولا خيانة المماليك لسكان هذه الثورة الوطنية الجارفة شأن آخر . أما العلماء الذين تعرضوا للانتقام الفرنسيين بعد إخمادها فهم :

الشيخ مصطفى الصاوى وقد فرضت عليه غرامة ٢٦٠ ألف فرنك .

الشيخ محمد الجوهري وأخوه فتوح وقد فرضت عليهما غرامة قدرها ٢٦٠ ألف فرنك .

تعذيب الشيخ السادات :

كان الشيخ السادات معروفا لدى الجنرال كليبر بوطنيته منذ تزعم الثورة الاولى ، ولكنه لم يتمكن من النيل منه لمعارضة نابليون ، فانتهاز فرصة اشتراكه في هذه الثورة لينسلك به تنكيلا ، إذ فرض عليه غرامة قدرها ثمانمائة ألف فرنك ، وسجن في غرفة قذرة بالقلعة حيث كان ينام على التراب ويتوسد بحجر ، مع ضربه ضربا مبرحا . ثم سمح له بالنزول مخفورا إلى داره ليسعى في سداد الغرامة المفروضة عليه ، لجمع ما في منزله من المال ، وقوم الفرنسيون ما وجدوه من مصاغ وملابس ومتاع فبلغت قيمة ذلك كله ١١٢ ألف فرنك ، ولم يسكتف الفرنسيون بذلك بل جاسوا خلال الدار وحفروا الأرض بحثا عن الخبايا حتى أعيانهم البحث ولم يجدوا شيئا ، ثم نقلوه إلى السجن وصاروا يضربونه خمس عشرة عصا في الصباح ومثلها في الليل ، وجدوا في البحث وراء زوجته وابنه حتى قبضوا أخيرا على تابعه محمد السندوبي الذي عذبه حتى أقر على مكانهما ، فقبضوا عليهما ، وسجنوا زوجته معه ، وصاروا يضربونه أماما زيادة في التعذيب ، فشفع فيها كبار العلماء لنقلها من السجن ، فأصدر الجنرال كليبر أمرا بتاريخ ٢٢ مايو بنقلها إلى منزل الشيخ سليمان الفيومي . وصودرت أملاك الشيخ السادات ومرتباته وأوقاف أسلافه ، وبقي معتقلا حتى أفرج عنه في عهد قيادة الجنرال مينو في ٢٥ صفر سنة ١٢١٥ ( ١٩ يولييه سنة ١٨٠٠ ) وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس ، وألا يركب دون إذن من القيادة الفرنسية . وقد بقي رهن المراقبة في داره حتى اعتقل للمرة الرابعة في أواسط شوال سنة ١٢١٥ ( أوائل مارس سنة ١٨٠١ ) بعد وصول الحملة الانجليزية العثمانية إلى مصر ، وقد اتخذ الفرنسيون هذا الإجراء خوفا من أن يثير عليهم الشيخ السادات الاهالى . ولما توفي ابنه أثناء اعتقاله أذن له بتشجيعه مخفورا ، ولما انتهى ذلك أعيد إلى سجنه بالقلعة .

يقول نابليون في مذكراته تعليقا على اضطهاد الشيخ السادات : إن تعذيبه كان من أهم الأسباب التي أدت إلى مصرع الجنرال كليبر في ٢ صفر سنة ١٢١٦ ( ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠ ) .

السيد عمر مكرم : كان الرأس المفكر لثورة القاهرة الثانية ، وإليه يرجع الفضل في تعبئة القوات الوطنية تعبئة قلما تتوفر في ثورة من الثورات ، ولم يستطع الفرنسيون القبض عليه عقب إخمد الثورة إذ تمكن من الفرار من القاهرة تاركا أملاكه عرضة للنهب والمصادرة ؛ ولم يدخل القاهرة بعد ذلك حتى تم جلاء الفرنسيين عن عاصمة البلاد في ربيع الأول سنة ١٢١٦ ( يوليه سنة ١٨٠١ ) .

بين زعيم العلماء ومحمد علي باشا :

اختارت الزعامة الشعبية ممثلة في السيد عمر مكرم والشيخ عبدالله الشرقاوى محمد علي باشا والياً على مصر بشرط أن يحكم بمشورة وكلاء الشعب . ولكن محمد علي كان يميل إلى الحكم المطلق ، وسرعان ما ضاق ذرعا برقابة وكلاء الشعب خصوصاً السيد عمر مكرم زعيم العلماء الذي أخذ يحاسب محمد علي باشا على جمع الضرائب التي فرضها . وبلغ من حماسه في الدفاع عن حقوق الشعب أن عقد مجلساً عاماً من العلماء في ( أواسط جمادى الأولى سنة ١٢٢٤ أول يوليه سنة ١٨٠٩ ) ، وقد أقسم المجتتمعون على ألا يلينوا حتى يجيب الوالي مطالبهم التي تلخص في عدم فرض ضرائب جديدة وإلغاء الضرائب المستحدثة ، وقد ازدادت العلاقات توتراً حينما رفض السيد عمر مكرم أن يوقع الميزانية السنوية . كما يريد لها محمد علي باشا ، وكان من المعتاد أن يوقع على الميزانية وجوه المصريين قبل إرسالها إلى السلطان العثماني .

تسكر محمد علي باشا للسيد عمر مكرم ، وأخذ يسعى في التخلص منه ، حتى سنحت له الفرصة في رجب ١٢٢٤ ( أغسطس ١٨٠٩ ) فقرر خلعهم من رقابة الإشراف ونفيه إلى دمياط ، وقد تلقى السيد عمر مكرم هذا النبأ بقوله : أما منصب النقابة فإني راغب عنه وزاهد فيه ، وليس فيه إلا التعب ، وأما النفي فهو غاية مطلوب لارتاح من هذه الورطة ، ولكنني أريد أن أكون في بلدة لا تدين لحكم الباشا .

مكث السيد عمر مكرم أربع سنوات في دمياط نقل بعدها إلى طنطا التي استمر بها حتى عام ١٢٣٣ ( ١٨١٨ ) ثم أذن له بالعودة إلى القاهرة ، ولكن استقبال الشعب الرائع

لزعيمه أثار شكوك محمد علي باشا مرة أخرى فأمر بنفيه إلى طنطا عام ١٢٣٧ (١٨٢٢) حيث توفي في نفس العام .

### الاحكام الصادرة ضد العلماء الذين اشتركوا في الثورة العرابية :

قام الأزهر بتأييد القوات الوطنية في جهادها ضد الانجليز ، وأقوى زعماءه في المؤتمر الوطنى المنعقد بتاريخ ٢٢ يولييه عام ١٨٨٢ بمروق الخديو عن الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده غير مبالين بالسلطان العثمانى ، وقام العلماء ببذل مجهود كبير فى سبيل الدفاع عن الوطن سواء بالتطوع أو إعداد الجيش بالمؤن والذخائر أو الدعوة إلى الجهاد ، وبعد انتهاء الثورة العرابية قبض على زعمائها وعلى المشتركين فيها وقدموا جميعاً إلى المحاكمة وقد نشرنا فى مقال سابق <sup>(١)</sup> أسماء العلماء المقبوض عليهم والاحكام التى صدرت عليهم ، وقد حكم على ثلاثة وعشرين عالماً بالتجريد من الرتب وعلامات الشرف والامتيازات مع نفي سبعة منهم خارج القطر المصرى مدداً تتراوح ما بين ثلاث إلى خمس سنوات .

هذه هى صورة موجزة للعلماء الأبطال الذين ضحوا فى سبيل وطنهم فمنهم من استشهد ومنهم من صودرت أملاكه ومنهم من عذب ومنهم من نفي .

فإلى هؤلاء الأبرار الذين نفثوا فى الأمة روح الحماسة فكانوا مثلاً عالياً يقتدى بها كل مواطن صالح ؛ إلى هؤلاء الأبطال الذين أثبتوا أن مصر لم توجد لتفسخ وتؤكل ، ولم تخلق لتذل وتهان ، بل أثبتوا أن فى السكينة رجالاً يضحون فى سبيل الوطن بكل عزيز لديهم . إلى هؤلاء نتقدم بهذه الذكرى المتواضعة أداء لما لم علينا من حقوق ؟

**أحمد عز الدين عبد الله ملف الله**

المدرس بمعهد دسوق

## رأى الاسلام فى شروط من يعينون فى الوظائف

### حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

جرى حديث لمتدوب المصرى مع فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الازهر عن رأى الإسلام فى شروط التوظيف والسن التى يجب توافرها فيمن يلى الوظائف فى الإسلام . فأجاب فضيلته على ذلك بقوله :

ولاية الأمور العامة فى الإسلام يتوخى فيها شرطان أساسيان : أحدهما الكفاية العلمية التى تناسب العمل العام الذى يراد من يتولاه أن يقوم بأعبائه ، والآخر العنصر الخلقى ومناطه الإخلاص .

ومهما تتبع الدارس الشروط والمؤهلات التى يطلبها الإسلام فيمن يلى الأمور العامة ويصف بها ولاية الأمر المثاليين ، وعمال الحكومة الصالحين ، فإنه يجدها لا تخرج عن هذين الشرطين . وانظر ما وصف الله به أنبياءه الذين تولوا شئون أممهم ، كنبى الله يوسف عليه السلام فقد جاء فى كتاب الله عز وجل على لسانه : « قال اجعلنى على خزان الأرض إنى حفيظ عليم ، فذكر العلم ، وفيه الإشارة إلى الكفاية العلمية ، وذكر الحفظ وهو يستلزم العنصر الخلقى المطلوب فى مثل هذا العمل وهو الأمانة والإخلاص .

وقال الله سبحانه مخاطباً داود : يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، فذكر الحكم بين الناس بالحق ولا يكون ذلك إلا بالعلم ومعرفة الأحكام ، وشرط الانتهاء عن اتباع الهوى ، وفى ذلك إشارة إلى العنصر الخلقى ومناطه الإخلاص .

وتاريخ الولاية فى الإسلام يدور فى نصوصه وتطبيقاتها فى أصلح عهده حول هذين الشرطين ، من غير نظر إلى السن والتقدم ، لأن المطلوب فى العمل الكفاية للقيام به والإخلاص فيه ، وهذه هى الأهلية لولاية العمل العام فى الإسلام . وقد ورد فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

إن العلم واسع ومتشعب ولا حدود له ، والمطلوب منه فى ولاية الأمور العامة ما يحتاج إليه فى حسن إدارتها وتوخى المصلحة فى شئونها . فى الأمور العسكرية والحربية يكون العلم المطلوب هو العلم العسكرى وفنون الحرب ، وفى الأمور المسالية علوم الحساب وتدبير المال

وفي الأمور الإدارية أو الهندسية أو الطبية أو القضائية الإمام الكافي بكل واحد منها لمن يتولاه بقدر ما يلزم للإحسان فيه .

ومما يدل على أن المعرفة والإخلاص هما اللذان كان الإسلام يتوخاهما في تولية العمال دون السن أو القدم ما ذكره التاريخ من أن النبي ﷺ لما تم له فتح مكة - وهي يومئذ أعظم أمصار الإسلام - وفيها بيت الله ، وهي وطن مولد النبي ﷺ - اختار للولاية عليها عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وكان عمره حين تولاهما نيفاً وعشرين سنة ، فأحسن الولاية عليها في حياة النبي ﷺ وأقره أبو بكر عليها إلى أن مات يوم مات ، وقد برهن طول مدة ولايته على كمال الكفاية الإدارية والإخلاص لله ، روى عبد الله بن يسار عن عمرو بن أبي عقرب أنه سمع عتاب بن أسيد وهو مسند ظهره إلى بيت الله يقول : « والله ما أصبت في عملي هذا الذي ولاني رسول الله ﷺ إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاى كيسان ، ومن أمثلة ولاية الأكفاء للعمل وإن كانوا حديثى السن تأمير النبي ﷺ أسامة ابن زيد على جيش كان من جنوده أبو بكر وعمر وأمثالهما ، لميزات توفرت لأسامة في ذلك العمل ، وانتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى واختار المسلمون أبا بكر للخلافة عليهم فأقر ولاية أسامة على ذلك الجيش ، وأراد أن يستبقى عمر في المدينة لىكون مستشاره ووزيره ، فلم يأمر أسامة بالتخلي عن عمر بل « استأذنه » في ذلك باعتبار أن أسامة هو الأمر على عمر فلا يجوز - ولا للخليفة - التصرف في أمره إلا بإذن أمره المباشر ، وهي سنة من سنن الإسلام الحكيمة في نظام الحكم سنها ولاية أمور المسلمين في صدر تاريخهم ولم تنوصل إلى مثلها الدول العريقة في تقاليد الحكم إلا بعد دهر طويل .

ومما يدل على التقدم بالكفاية دون السن والقدم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يحضر عبد الله بن عباس وهو شاب حديث السن في جملة كبار المهاجرين والانصار ويستشيرهما لما بدا له من معرفته وإخلاصه .

والكفاية المطلوبة لكل عمل هي التي فيها مصلحة الدولة والامة في مدة العمل . قال القاضي أبو الحسن الماوردى في الأحكام السلطانية : « إذا كان أحد المرشحين للإمامة أعلم والآخر أشجع يراعى في الاختيار ما بوجه حكم الوقت ، فإن كانت الحاجة إلى فضل الشجاعة أدعى لانتشار الثغور وظهور البغاة كان الأشجع أحق ، وإن كانت الحاجة إلى فضل العلم أدعى لسكون الدهماء وظهور أهل البدع كان الأعلم أحق . »



وقال في شروط تقليد الوزارة : « لانه يحتاج فيه إلى شرط زائد على شروط الإمامة ، وهو أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل اليه من أمر الحرب والخراج خبرة بهما ومعرفة بتفصيلهما ، فإنه مباشر لها تارة ومستنيب فيهما أخرى ، فلا يصل إلى استئابة الكفاية إلا أن يكون منهم ، كما لا يقدر على المباشرة إن قصر عنهم ، وعلى هذا الشرط مدار الوزارة وبه تأنظ السياسة . »

وقال في شرط ولاية كاتب الديوان : « المعتمد في صحة ولايته شرطان : العدالة والكفاية ، فأما العدالة فلأنه مؤتمن على حق بيت المال والرعية ، فاقضى أن يكون في العدالة والأمانة على صفات المؤتمنين ، وأما الكفاية فلأنه مباشر لعمل يقتضى أن يكون في القيام به مستقلا بكفاية المباشرين . »

وأنت ترى أن مدار الولاية في الإسلام على الكفاية المثلة في معرفة ما يلزم للعمل الذي يراد تولية العامل عليه ، والعنصر الخلقى ومناطه الإخلاص ، والغرض من ذلك أن يكون العامل جامعا للصفات التى تتحقق بها مصلحة الدولة والأمة في ذلك العمل بحسب ظروفه الزمانية والمكانية .

ومن هنا يقال في تولية ولى الأمر أقاربه ، فإن كانت ظروف العمل ، والصفات التى يتحلى بها أقارب الإمام ، تقتضى توليتهم لما يتوسم فيهم من الحرص على بقاء الدولة ونجاحها والإخلاص في جلب المصالح لها ودرء المفاسد عنها فتكون توليتهم من مقاصد الإسلام وسنته ، واعتبر ذلك بجهد مسلمة بن عبد الملك في خلافة أبيه وإخوته فقد قام الإسلام بما لو حرمت الدولة من قيادته وولايته لكان ذلك خسارة كبيرة على الإسلام ، أما إذا كانت ظروف العمل والصفات التى يتصف بها أقارب الإمام تنافى المصلحة في تعيينهم فيسكون من سنة الإسلام اجتناب ذلك . ولما طعن أمير المؤمنين عمر وأراد أن يجعل الأمر شورى فى الستة الذين سماهم اقترح عليه بعض الصحابة أن يستخلف ابنه عبد الله - وإن ابنه عبد الله من أعلم الصحابة وأكملهم - ومع ذلك فإن عمر رأى الخير في الطريقة التى رسمها ، وأبى أن يستخلف ابنه لأنه كان يتوخى مصلحة السكيان الإسلامى على ما يجب أن يلقى الله عليه . إن سنن الإسلام في تولية العمال قائمة - كما ذكرنا - على عنصرى المعرفة والإخلاص ، ومدار ذلك على ما تتحقق فيه مصلحة الدولة والأمة ، وقد كانت الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية في خير إلى أن خرج الانانيون من الحكم عن هذه السنن ، ولا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

# لغويات

حميدة . حميدون : غَيْرُ . نُحْرُ . عدوة

من المقرر في العربية أن ما كان على زنة فَعِيل في معنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث ، فلا يلحق مؤنثه التاء . فيقال امرأة جريح لاجريحة ، وشاة ذبيح لاذبيحة . فإذا قلت اشتريت ذبيحة فهذا ليس وصفا بل هو اسم ، وهو ما يعد للذبح ، وقع عليه الذبح أو لم يقع ، والتاء فيه للنقل من الوصفية للاسمية وليست للتأنيث ، ومن هذا النطحة والاكيلة .

ومن ثم كان مما أشكل على قولهم في الوصف : رجل حميد وامرأة حميدة ، وفي القاموس : د حمده - كسمعه - حمدا ، ومحمدا ومحمدا ومحمدة ومحمدة ، فهو محمود وحميد ، وهي حميدة .

وأشكل على أيضاً في هذا الباب جمع حميد على حميدين ، وقد تقرر أن الوصف إذا استوى في المذكر والمؤنث لا يجمع جمع التصحيح ، وقد ورد هذا الجمع د حميدون ، في قول غوية بن سلبى يرثى رجلاً من قومه في قطعة في الحماسة :

أصابهم حميدين المنايا فدى عني لمصحبهم وخالى

ولشد ما استرحت وزاح عني ثقل من القلق حين وقفت على أن العرب خرجت بهذه الكلمة عن الوجه في نظائرها ، وحملتها على ما يسوغ فيه هذا التصرف . ذلك أنها حملتها على سعيد أو رشيد مما هو في معنى فاعل ، وانظرت إلى التقارب في المعنى ، فألحقت بحميد التاء لذلك ، وقد تذب علماء العربية لهذا . ففي اللسان : د والائى حميدة . أدخلوا فيها الهاء وإن كان في المعنى مفعولاً تشبيهاً لها برشيده . شبهوا ما هو في معنى مفعول بمعنى فاعل لتقارب المعنيين ، وأصل هذا في كلام سيديوه إذ يقول في السكتاب <sup>(١)</sup> : د وقالوا رجل حميد وامرأة حميدة . يشبه بسعيد وسعيدة ، ورشيد ورشيده : حيث كان نحوهما في المعنى واتفق في البناء .

وهذا زال الإشكال عن جمعهم حميدا على حميدين - كما في قول غوية السابق - إذ صار حميد مما يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بالناء فزال ما كان يحول دون هذا الجمع .

وترى هذا مما يدخل في باب تدريج اللغة . فقد أدخل العرب الناء في حميد ، وتدرجوا من هذا إلى أن جمعوه على حميدين . وهذا الباب أوسع القول فيه ابن جني في كتيبه . وانظر الخصائص طبعة دار الكتب ١ / ٣٤٧ .

ويفضى بنا الكلام إلى عدوّ وعدوة . فهذا أيضا مما يسترعى النظر . ذلك أن فعولا إذا كان في معنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث كصبور وغفور . فما بال عدوة خالفت هذا القياس ؟ . والجواب أن عدوا وعدوة حملا على صديق وصديقة ، فدخلت الناء كما دخلت في صديق وصديقة . وفي اللسان ( عدا ) : قال الفراء : وإنما أدخلوا فيها ( أى في عدوة ) الهاء تشبيها بصديقة ؛ لأن الشيء قد يبنى على ضده .

ويتصل بما سلف أن الأفلام جرت في هذا العصر على جمع الغيور على الغيورين والفتخور على الفتخورين فيقال : نحن غيورون على كل ما يتصل بالعرب ، ونفخورون بالذود عن حياتنا . وهذا من الخطأ الذي يجب تجنبه . والصواب أن يقال : الغيور والفتخور . وقد قال طرفة :

ثم زادوا أنهم في قومهم غفر ذنبهم غير نقر

الحمد لله الذى نبح محمود

يجرى هذا الأسلوب على السنة الناس كثيرا . وهو في ظاهره مجاف للأساليب العربية . وإنما يقال : الحمد لله أن نبح محمود أو إذ نبح أو بفضله أو به أو عنه نبح محمود . وذلك ليتحقق لاسم الموصول إذا جىء به عائده .

وكنيت أظن أن هذا الأسلوب نشأ في العصور المتأخرة التى فشا فيها اللحن ، حتى وقفت على ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ نبه عليه إذ يقول (١) : « تقول : الحمد لله إذ كان كذا وكذا . ولا تقل : الحمد لله الذى كان كذا وكذا حتى تقول : به أو منه أو عنه » . وقد تابعه الحريري في درة الغواص إذ يقول : « ويقولون : الحمد لله الذى كان كذا

وكذا ، فيحذفون الضمير العائد إلى اسم الله الذي به يتم الكلام ، يريد عائد الموصول ، وهو به أو عنه أو له ، كما تقدم في كلام ابن السكيت .

وقد مهد هذا للشهاب الخفاجي شارح الدرة ، أن يحكم بصواب الأسلوب ، وارتكاب حذف العائد للعلم به فقال : « وكأنه لم يسمع قول الناس في المتن : إن العائد يحذف باطراد كثيراً ، وفي الحق أن هذا الموضع ليس من المواطن التي يحذف فيها العائد باطراد ، فذلك نحو شربت بما شربت منه ، فلك أن تحذف منه ، غير أن ظهور المراد يسوغ هذا الحذف مع كثرة الاستعمال .

وقد كان جل همي في إيراد هذا الموضوع أن أبين عن قدم هذا الأسلوب .

لمس . يلمس . يلمس . يلمس

اشتهر على الألسنة يلمس - بفتح الميم - في مضارع لمس - بفتحها - وهذا لا يتفق مع ما قرره الصرفيون في فعل يفعل بفتح العين فهما . فمن شرط هذا أن تكون العين أو اللام حرف حلق ؛ كفتح يفتح ، وسأل يسأل . ولا يخرج عن هذا إلا ما جاء شاذاً أو محمولا على تداخل اللغتين ، كما في أبي يائي ، وقنط يقنط ، وركن يركن ، ولهذا باب نفيس أحسن القول فيه ابن جني في الخصائص .

إن الماضي ( لمس ) بفتح الميم ، لا محالة ، وفي الكتاب العزيز في سورة الأنعام : « ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلسوه بأيديهم لقال الذين الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ، وفي سورة الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا ، وإذا خلص الماضي لفتح العين فلا مجال لفتحها في المضارع ، وإنما فيه الضم أو الكسر ، وقد جاء الوجهان في اللغة ، فيقال : يلمس ويلمس .

وهذا الخطأ قديم نبة عليه العلماء . فيقول الرمل " الفقيه الشافعي " في شرحه للمنهاج في مبحث البيوع المنهي عنها ٥٧ / ٣ : « ( بأن يلمس ) بضم الميم وكسرها . وما اشتهر على الألسنة من الفتح فلا وجه له ؛ لأنها في الماضي مفتوحة وليست حرف حلق . وكتب الشبرا مامسى في حاشيته عليه : « ( قوله : لأنها في الماضي مفتوحة ) نقل الاستوى في باب الأحداث الكسر في الماضي . وعليه فيكون المضارع بالفتح . فلعل الشارح اقتصر على

الاشهر ، . وهذا الذى نقله عن الاسنوى لا يعرف فى كتب اللغة . وكأنه اشتبه عليه لمس  
بمس . وهذه الاخيرة بكسر العين . والله أعلم .

ليس أضر\* بالمرودة من قلة المال . ليس أفضل من على\*

وقع السؤال عن هذا التركيب ، وكيف يقرأ ، أضر ، أبا لرفع أم بالنصب .

والذى يظهر أنه يقرأ بالرفع فيكون اسما للليس ، وخبرها محذوف أى ليس شيء أضر  
بالمرودة من قلة المال موجودا ، وليس عندنا أفضل من على مثلا . وقد ذكر الصبان  
فى كتابته على الاشمونى فى مبحث عدد\* أخوات كان أن ليس يجوز حذف خبرها عند فريق  
من النحويين ، وعزا ذلك إلى التسهيل لابن مالك . ونصه : ذكر فى التسهيل أن ليس تختص  
بجواز الاختصار على اسمها وحذف خبرها . قال الدمامينى : د حكى سيديويه : ليس أحد أى هنا ،  
وذكر الصبان بعد هذا أن جواز حذف خبر ليس مذهب الفراء .

التصميم : الخطة

أرى أن توضع الخطة - بكسر الخاء - لما يعرف فى هذا العصر بالتصميم أو المشروع  
وهو الرسم الذى يقدره المرء لبناء أو عمل آخر . وفى كتابة المدابغى على الخطيب فى مبحث  
الجمعة : د خطة . هى بكسر الخاء أرض خط عليها أعلام للبناء فيها ، .

محمد على النجار

أبدأ بالواجب الذى بين يديك

قال توماس كارلايل : د أبدأ قبل كل شيء بالواجب الذى بين يديك ، أى بالعمل الذى  
تعرف أنه واجب ، فإنك إن فعلت اتضح لك الواجب التالى .

## أحمد بن حنبل

عقبته . منصبه . محنته

نشأ الإمام أحمد في العصر العباسي الأول ، حيث أدرك أئمة الفقه والحديث وأخذ عنهم ، فأخذ الفقه عن الإمام الشافعي ، وأخذ الحديث عن الأئمة الذين نوهت بهم في كُتبي الماضية عن هذا الإمام الكبير . وقد غلب على الإمام أحمد طريقة أهل الحديث ، بل كان إماماً لهم في لزوم التمسك بظواهر الكتاب والسنة وما جاء عن السلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، لا يقبل في شيء منه ملأينة ، ولا يستبيح فيه إدهانا ولا هوادة .

وقد شاء الله سبحانه أن يتمتع هذا الإمام العظيم . كما يتمتع عباده المقربين فسكان ظهوره في عهد ظهرت فيه الفلسفة وعلم الكلام المختلط بها ، وفتن الناس بهذه البحوث ، وتعدى ذلك الأمر إلى الخليفة المأمون ، وقرب أصحاب الكلام من أمثال ابن أبي دؤاد ويحيى بن أكثم وغيره ، وورثه المأمون الخلفاء من بعده ، وقد كانت في الخليفة المأمون نزعات إلى البحث والدرس والتنقيب في مختلف علوم الإسلام والعلوم الحديثة حينذاك . والجديد بطبعه محبوب .

كان المأمون أشد الخلفاء مناصرة للحرية في البحث ، وتشجيعاً لرجال العلم ، وإغراء لهم بالمناظرات ، يعقد لها المجالس في القصور ، ويعقدوها في المساجد ، ويعقدوها في غير ذلك من الأماكن : استخرجوا للحقائق ، واستنبطوا للدقائق . وكان قد أمر يحيى بن أكثم منذ دخل بغداد لجمع له وجوه الفقهاء وأهل الرأي والعلم لذلك . وهذا المعنى — على ما فيه من حسنات جلي — فقد اتصلت به سنة سيئة هي فتنة خلق القرآن ، وقد يكون دعا إليها بحسن نية وحرص على حق يراه ، ولكن فاته أنه تنكب سنة السلف الصالح رضى الله عنهم وإن كره ذلك أصحاب الإمام أحمد لأنهم يرون كفره . وكفر كل من قال بقوله ، وعند الله سبحانه الهداية والتوفيق .

من أجل ذلك نشأت فتنة خلق القرآن التي ابتلى الله بها من شاء من عباده . وكان في بغداد وغيرها من الأمصار معسكران : أما أحدهما فلاصحاب الكلام من المعتزلة الذين

يقولون بخلق القرآن ، ويكفرون من لا يقول به ، لأنهم ينكرون صفة الكلام لله ، ويقولون إن الله سبحانه وتعالى : إذا أراد الكلام خلقه في شجرة أو نحوها . بل لأنهم ينكرون صفات المعاني لله كما تقرر ذلك في علم التوحيد ، لأنه ينبغي عليها تعدد القدماء في رأيهم ، والقول بذلك كفر . ولهم مذهب معروف يرجع في جملة إلى قاعدتين : العدل التي من فروعها مسألة الحسن والقبح وخلق الأفعال . والتوحيد التي من فروعها إنكار صفات الله ، ويتفرع عنها القول بخلق القرآن .

وأما المعسكر الثاني فلاصحاب الحديث الذين يأبون أن يعرفوا غير ما قال السلف الأولون ، ويأبون أن يخوضوا في غير ما كان السلف يخوضون فيه ، وتشدّدوا في ذلك حتى كفروا من قال بخلق القرآن لأنه كلام الله . وكلام الله غير مخلوق لأنه صفة ، وصفات الله قديمة . وقد كان الإمام أحمد يمثل هذا الاستمسك أقوى تمثيل كما قلت لك ، ذكر الثقات أن رجلاً جاءه يوماً فقال : يا أبا عبد الله ، إجماع المسلمين على الإيمان بالقدر خيره وشره ، قال نعم . قال : ولا تكفر أحداً بذنب قال : اسكت اسكت ، من ترك الصلاة فقد كفر ، ومن قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، وقال عبدوس بن مالك القطان سمعت أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه الصحابة ، وترك البدع ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدل ، وليس في السنة قياس ، ولا يضرب لها الامثال . والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنه من الله ليس ببيان منه . وإياك ومناظرة من أحدث فيه ، ومن قال باللفظ وغيره . ومن قال : لا أدري أن مخلوق هو أم غير مخلوق ، وإنما هو كلام الله فهو صاحب بدعة . الخ .

ويظهر لي أن قوله إنه من الله ليس ببيان منه قول من أثار الجدل والخصومة ، نضح عليه من بعض مخالطات اقتضتها ظروف المدارس العلمية ، ولإلا فإن السلف من الصحابة والتابعين فيما أظن لم يتكلموا بمثل ذلك . وكان أحمد يقول : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر .

كان أحمد يرى إذا ما يدل عليه ظاهر الكتاب والسنة ، ويقاوم كل فكرة في الدين مستحدثة . وباليات أمر الخليفة المسامون وقف عند حد حرية الرأي ، والاتساع في البحث ليذهب كل عالم نظار إلى ما يرجحه عنده الدليل ، إذاً لكان خطب أصحاب الحديث ، ولعاشوا

في أمن من هذه النكبات التي سئى صورة منها في الإمام ابن حنبل . ولكن الله ابتلاه وابتلى أهل السنة بطائفة من المعتزلة علماء الكلام ، زينوا للآمون أن يحمل الناس على التوحيد بالمعنى الذى ذهبوا إليه ، وهو يتحقق بنفى الصفات عن الله مع أنه وصف بها نفسه ، ومنها صفة الكلام كما قدمت لك . ثم زعموا للآمون أن مرضاة الله في النهى عن المنكر . وأنه يجب أولاً وقبل كل شيء تجريد عقائد الناس من ذلك ، وحامهم على القول بخلق القرآن ومعاقبة من تظهر منه مخالفة ذلك بما يعاقب به أهل الكفر . ولهم في ذلك أدلة من العقل والنقل ليس فيها عند التحقيق مقنع ، وليس هذا مجال الخوض فيها .

ولعمري لقد صرف هؤلاء الناس عن التوفيق ، وفتحوا في هذه الأمة باباً من الابتداع وثغرة من الجدل والخلاف لم يعرفها السلف الأولون ، ولا يتسع لها دين تبني عقائده على الاتباع وترك الجدل والمراء . ولو فكروا قليلاً لافقوا أنفسهم أنه يسع المسلمين إلى يوم القيامة ما وسع أصحاب محمد ﷺ ، فابعيهم بإحسان . وأنه لا عيب على شخص مهما بلغت مرتبته في العلم والبحث ألا يعلم في الدين ما لا يعلمه محمد وصحبه .

على أن أصحاب الخلاف تغالوا فكفروا من قال بخلق القرآن . ويخيل إلى أنهم أمرؤوا في ذلك بما وسعوا به شقة الخلاف ، نسأل الله العافية .

وقد جاء بعد ذلك علماء فصلوا هذا البحث تفصيلاً علمياً ، فرقوا فيه بين الكلام النفسى والكلام اللفظى ، وعلى رأسهم الإمام أبو الحسن الأشعري ، ثم الإمام الغزالي وغيرهما ، وقد بدأت بوادر هذا البحث في عهد الإمام أحمد نفسه ، ولكنه كان ينفر من ذلك ويأباه كل الإباء .

قال إسماعيل بن الحسن السراج عن قال : القرآن مخلوق . فقال هو كافر . وعن قال : لفظى بالقرآن مخلوق ، فقال هو جهمى .

فهو يرى أن من ذهب إلى أن التلفظ بالقرآن مخلوق مبتدع ، لأنه قال شيئاً جديداً لا يعرف عن الأولين . وربما كان حقاً ولكنه شيء جديد في الدين . على أن من أتباعه من علل كلامه في ذلك تعليلاً فلسفياً فقال إن كلمة ( لفظى ) مشترك بين معنيين : المعنى المصدرى الذى هو ( التلفظ ) وهو مخلوق لا محالة ، وبمجموع التلفظ مع الملفوظ الذى هو القراءة مع المقروء ، وهذا ليس بحادث ، لأن فيه القرآن ، وهو غير حادث .



فلما كان اللفظ مشتركا موهما لخلق القرآن ، منع الإمام أحد ذلك وعده بدعة مما أحدثه جهم بن صفوان . واحتج لأصل مذهبه من أن القرآن كلام الله غير مخلوق بإجماع السلف على أن القرآن كلام الله مع علم المسلمين أن القرآن بلغه جبريل عن الله إلى محمد ﷺ وبلغه رسول الله إلى الخلق ، والكلام إذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه . فهو كلام من قاله مبتدئا ، فالقرآن كلام الله إلى أن تقوم الساعة . وإلى ما شاء الله .

وأنت ترى أن هذا القدر لا يقتضى تكفير من قال بخلق القرآن ( والعياذ بالله من ذلك ) ولكنه مخالف لم يقيم البرهان على كفره .

والحق عندى أن هذه كانت محنة خطيرة فرقت كلمة الجماعة ، وكانت العافية ألا تكون ، ولكنه إذ قضى الله باختلاط العرب بالأجانب ، ولهم ثقافات فلسفية ، وبحوث تشكيكية ، زلت أقدام المعتزلة ومن على مذهبهم فأصابوا من هذه المعارف أو المجهول ما حكموه في عقائد المسلمين ، فووطوا بعضهم باتباعهم ، وبعضا آخر بابتداع ألفاظ وبحوث اضطرم إليها ظرف اختلاف الطائفتين ، ومحاولة انتصار كل منهما على الأخرى ، مع تكفير كل فرقة لمخالفتها ولا حول ولا قوة إلا بالله . حتى إن الإمام أحمد رضى الله عنه حكم بكفر من قال : لا أدرى القرآن مخلوق أم غير مخلوق ، ولو أراد هذا القائل أن يستبرى لدينه ويخرج من مأزق الاضطراب والخلف الحادث في هذه الأمة .

ولقد جاء بعد ذلك من صالحى هذه الأمة من خالف للإمام أحمد كأبي الحسن والغزالي وغيرهما من الفحول ، فتمد فرقوا بين الكلام النفسى والكلام اللفظى كما قدمت لك <sup>(١)</sup> وعندى أن هذه المسائل الدينية جدير بها أن تكون في موضع الحيلة لمن أراد السلامة كما هو طريق أهل الحديث فإن في الألفاظ متسعا في الدلالات ، وجهات من الاحتمالات واستحدثا في الموضوعات ، وفضفضة في الأداء والانفهام .

ومن شاء فليدرس لفظ الحوادث والتقديم والخلق والكلام وغيرها من هذه العبارات التى كانوا يتباحثون بها ، فسرى أن الخطب فيها غير هين . وأن تطرق الاحتمال فيها واقع وواضح ، فليعلم بعد ذلك أن السلامة في نقل ما قال السلف الأولون . أما تكفير بعض الناس بعضا فليس سهلا في دين الإسلام ، ولقد جر كثيرا من الولايات على هذه الأمة .

(١) المجلة - والمشهور عن الامام الاشعري أنه عاد بعد ذلك إلى مذهب السلف الذى كان يذهب إليه الامام أحمد واستقر على ذلك .

## خبر المحنة في خلق القرآن :

كان أول من دس عقيدة القول بخلق القرآن إلى المأمون القاضى أحمد بن أبي دؤاد ، وكان هذا القاضى ممن تضلّعوا بعلم الكلام ، وأخذوه عن هياج بن العلاء السلى صاحب واصل بن عطاء رأس المعتزلة ، وكان معظماً عند المأمون فما زال يحسن هذه العقيدة عنده حتى اعتقدها كل الاعتقاد ، ثم حسن له هو وجماعة أن يدعو الناس إليها تطميراً للعقائد بزعمهم : فأجمع رأيهم في سنة ٢١٨ هـ على الدعاء إليها ، فسكتب إلى نائبه على بغداد إسحاق ابن إبراهيم الخزاعى في امتحان العلماء كتاباً طويلاً ندد فيه بمن ينكرون خلق القرآن وسبهم واحتج عليهم بما تعلم من أهل التوحيد من المعتزلة ، وأمره في آخر الكتاب أن يجمع من بحضرته من الفضاة ، ويقرأ عليهم كتاب الخليفة ، ويعلمهم أنه لا يستعين في عمله بمن لا يقول بخلق القرآن . وأنهم إذا أقرؤا بذلك فليأمرهم ألا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن ، ثم كتب إليه في إشخاص سبعة من أئمة الحديث إلى الخليفة ليمتحنهم بنفسه ، فكلهم أجاب المأمون تقيّة بعد أن توقفوا . ثم ردهم إلى بغداد وأمر إسحاق بن إبراهيم فأحضر الفقهاء ومشايخ الحديث وأخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة فامتنع جماعة من الاعتراف به ، منهم أحمد بن حنبل ، وبشر بن الوليد الكندي ، وأبو حسان الرازى وغيرهم .

فأمره الخليفة بإحضارهم إليه ، فاستدعاهم إسحاق وبلغهم أمر الخليفة وناظرهم قبل أن يتصرف في أمرهم ، فنهى من ورى في قوله ، ومنهم من أصر على امتناعه ، وكان الحديث مع أحمد هكذا :

إسحق — ما تقول يا أحمد ؟

أحمد — كلام الله .

إسحق — أمخلوق هو ؟

أحمد — لا أزيد على هذا .

ثم وجه بأجوبتهم إلى المأمون ورد عليه المأمون بكتاب تناول فيه الجميع بالسب إلا من أقر ، وكان مما قال : « وأما أحمد فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف خوى مقالته ، واستدل على جهله وآفته ، وفي نهاية الكتاب « ومن لم يرجع عن شركه فاحملهم موثوقين إلى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم ، فإن لم يرجعوا حملهم على السيف » . فلما علموا ذلك أجابوا جميعاً

تقية ما عدا أحمد بن حنبل وسجادة والفواريري ومحمد بن نوح ، فأمر بهم إسحق فقيدوا ثم سألهم من الغد وهم في القيود فأجاب سجادة ، ثم عاودهم ثالثاً فأجاب الفواريري ، ووجه بأحمد بن حنبل ومحمد بن نوح إلى طرسوس فلما صاروا إلى الرقة بلغتهم وفاة المأمون ، ومات محمد بن نوح في الطريق ، وكان عديلاً لابن حنبل في المحمل ، فغسله أحمد وصلى عليه ودفنه .

وكان المأمون قد كتب وصية يحرض الخليفة من بعده على حمل الناس ليقولوا بخلق القرآن ، واستقل المعتصم بالخلافة ، فلما صارت الخلافة إليه عمل بوصية المأمون واشتدت المحنة على أهل السنة ، وقد دعا أحمد مرتين في مجلسين يطول شرحهما ، وفي الليلة الثالثة جمع الحشود ، وحشد الجنود ومعهم السياط ثم أمر العلماء بمناظرة الإمام وطالت المناظرات في حضرة المعتصم فلما ضجر المعتصم دعاه وقال : ويحك . أجبني حتى أطلق عنك يدي . فقال له : أعطني شيئاً من كتاب الله . فقال له عليك اللعنة وما زال يسبه . وقال : خذوه واسحبوه واخلعوه . ثم شدت يده في الخشب حتى تخلصت . وهم المعتصم أن يسامحه لما رأى من صلابته وتدينه ، ولكن القاضي أغراه به وقال : إنه كافر ولا يسعك أن تغير سنة المأمون فدعا بالجلادين وجعلوا يتبادلون على الإمام حتى ضرب تسعة عشر سوطاً بغاية الشدة . ثم قال المعتصم : يا أحمد علام تقتل نفسك ، إني والله عليك لشفيق . فجعل جندي ينخسه بسيفه ويقول : أتريد أن تغلب هؤلاء جميعاً ؟ وآخر يقول له : الخليفة على رأسك . وجعل الناس يقولون للخليفة : أنت صائم ، وأنت في الشمس قائم . وهو يقول : أجب يا أحمد : والإمام أحمد يقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله . وما زال على هذه الحال يعذب بألوان العذاب وهو صائم لا يفطر . وصابر لا يتحول عما يعتقده الحق والدين .

رحمك الله يا ابن حنبل ، وجعل للعلماء ورجال الدين فيك الأسوة الصالحة السكرية ، فقد طال تعذيبه وهو صائم طار لا يأكل ولا يشرب ولا يترقه بشيء في سبيل مبدأ يراه الحق ويعتقد فيه الهدى والرشاد . وقد أمر المعتصم به نخلي سبيله ولم يستطع أن يقتله . - على أنه قتل غيره من أئمة الحديث - خوفاً من الرأي العام الذي حفر بالإمام وأيده وأحبه حباً شديداً . وقد جاء في بعض الخبر أن الناس اجتمعوا حول قصر الخليفة وهتفوا بأحمد حتى خاف السلطان .

وهكذا هكذا يجب أن يأخذ المسلمون ورجال الدين العبرة في هذا الإمام الصالح الورع الزاهد الصابر المحتسب ، فإن في هذه الصفات ما جعل في هذا الإمام ومن على شاكلته علماء كأنبياء بنى إسرائيل يتفانى الناس في حبهم . ويفزعون إليهم في مهماتهم ويتخذون منهم الملوك والقادة يلتمسون فيهم خلافة الله في الأرض .

اللهم جنبنا وعلماء هذا الجيل عثرات التذبذب والشكالك على الدنيا ، وهبنا توكلنا عليك وزهداً فيما يشغل عنك . واجعل عصمتنا بك وحدك يا الله يا كريم .

ومات المعتصم سنة ٢٢٧ بعد محنة أحمد بن حنبل بسبع سنوات لم يتعرض له في أثناءها بل تركه وما يدين مقدراً فيه شجاعته وثباته .

وتولى الواثق منذ ذلك أمر المسلمين وكان أوسع ثقافة من سلفه حتى كان يسمى المأمون الأصغر ، وتعصب للقول بخلق القرآن عن درس وبحث ، وجرت في عهده مناظرات ومناوشات . واستدعى أحد الخزاعي وقال له : ما تقول في خلق القرآن ؟ فقال : كلام الله غير مخلوق . فحاول الواثق أن يحمله على أن يقول : إنه مخلوق فأبى . ثم ناظره في مسائل أخرى من علم الكلام . فخالفه . وانتهى الأمر بقتله كما قتل غيره . ولكنه لم يتعرض للإمام أحمد بأكثر من قوله : لا تسأكني في بلد أنا فيه .

وجاء المتوكل بعد ذلك فلم يتعصب للقول بخلق القرآن ، بل نهى عن القول بذلك بعد نحو ستين من خلافته ، فمظمه الناس وبالغوا في الثناء عليه والدعاء له ، وكانت فتنة وفي الله الناس شرها على يد هذا الخليفة رحمه الله وغفر له . ومدحه الشعراء ، ومن أحسن من قال فيه البحترى الذى يقول في بعض قصائده :

يا باني المجد الذى قد كان قوض فاندم  
اسلم لدين محمد فإذا سلمت فقد سلم  
نلت الهدى بعد العمى بك والغنى بعد العدم

وفي عهد المتوكل كانت وفاة الإمام أحمد في سنة ٢٤١ رحمه الله الجميع وغفر لهم

محمود النواوى

## مقدمة الواجب

بعد أن ذكرنا تقاسيم الواجب المشهورة عند الأصوليين ، نرى أن نلم بشيء مما يسمونه مقدمة الواجب ، وإنما يقصد بها ما لا يتم الفعل المطلوب إلا به ، بمعنى أن المسكف إذا أمر بإقامة الصلاة فهل يجب عليه ضمن ذلك تحصيل الوضوء الذي يتوقف عليه الصلاة شرعا ولا تتم حقيقتها الشرعية إلا به .

والذي يتوقف عليه الواجب ينقسم إلى أسباب وشروط . وكل منهما عقلي أو عادى أو شرعى . فالسبب العادى كالنظر الصحيح المرصل إلى العلم بالوجوب ، والسبب الشرعى كالنطق بلفظ العتق الذى يترتب عليه تحرير الرقاب ، والشرط العقلي كترك الضد لآداء الواجب لاستحالة جمع الضدين . والشرط العادى كغسل جزء من الرأس ليتحقق غسل الوجه والشرط الشرعى كالوضوء لصحة الصلاة ، وبيان ذلك أن الأسباب ضرورية لوجود المسببات فلا بد من توجه الخطاب إلى طلبها حين يتوجه إلى طلب مسبباتها إذ هذه لا توجد إلا بوجود تلك ضرورة . فإذا طلب الشارع عتق رقبة فقد أمر بالإتيان باللفظ الذى هو سبب للعتق وإذا طلب العلم فإنما يطلب أن يتوجه إلى النظر الصحيح . فالحقيقة أن المسببات التى توجه إليها الطلب ظاهراً ليست من فعل العبد ، وإنما هى آثار لأسباب هى التى تنالها قدرته ويتناولها كسبه . فالطلب إنما يتوجه إلى هذه الأسباب أولاً .

أما الشروط الشرعية فقد استفيد وجوبها من أوامر خاصة بها كالوضوء وستر العورة والطهارة وهى التى دلت على كونها شروطاً ، وإذا فلا حاجة بها إلى أن تستفاد من الإيجاب ضمن غيرها . وإذا تسكفنا موجبا آخر للشروط الشرعية فإنما يقال إن المسكف مطالب بتحصيل الواجب وهو لا يتحصل إلا بتحصيل شروطه لئتم مطلوب الشارع . وهذا هو الذى نقوله فى بيان أن الشروط العقلية والعادية واجبة التحصيل لئتم تحصيل الواجب المأمور به ، ويختصر تفصيل ما تقدم فى قاعدة قائلة - ما يتوقف عليه الواجب وهو مقدور للمسكف فهو واجب به - وإنما قيدت هذه القاعدة بالمقدور للمسكف ليخرج ما ليس مقدوراً كاليد فى الكتابة والرجل فى المشى ودلوك الشمس لتحقيق المطلوب فى قوله جل شأنه « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » .

الحرمة : هذا هو الثانى من أحكام التكليف . ويقال له التحريم والمحذور والمحرم والمعصية والذنب والمزجور عنه والمتوعد عليه والقيح . وهذه العبارات تتردد على السنة الاصوليين والفقهاء . فالمحذور فى اللغة ما كثرت آفاته ومنه يقال لئن محذور أى كثير الآفة . وقد يطلق بمعنى المنع والقطع ومنه قولهم حظرت عليه كذا أى منعه منه . ومنه الحظيرة للبقعة المنقطعة تأنى اليها المواشى ، والحرام هو ما يفتنض فعله سبباً للذم شرعاً بوجه ما من حيث هو فعل له ، فانتهاض فعله سبباً للذم يميزه عن الواجب والمندوب وسائر الاحكام . وقد يعرف بأنه طلب ترك الشئ طلباً جازماً بحيث يثاب على تركه ويذم على فعله . ولما قد علمنا أن الواجب هو ما طلب فعله ، فوجوب ترك الفعل يكون منافياً لوجوب طلبه وقد اتفق الاصوليون على استحالة الجمع بين الحظر والوجوب فى فعل واحد ، من جهة واحدة . على القول الراجح من عدم جواز التكليف بالحال . ثم اختلفوا فى جواز انقسام النوع الواحد من الافعال إلى واجب وحرام ، كالسجود لله تعالى ، والسجود للصنم ، فأجازه جمهرة الاصوليين والفقهاء ، ومنعه بعض المعتزلة ، استناداً منهم إلى أن السجود نوع واحد وهو مأمور به لله تعالى فلا يكون حراماً ولا منهيًا عنه بالنسبة إلى الصنم من حيث هو سجود وإلا كان الشئ الواحد مأموراً به ومنهيًا عنه وذلك محال . فالمحرم المنهى عنه قصد تعظيم الصنم وهو مغاير للسجود . وكما اختلفت فى الواحد بالنوع بين أهل السنة وبعض المعتزلة اختلفت فى الواحد بالشخص كالصلاة فى الدار المغصوبة فعند الأكثر تصحح إذ لا مانع من ذلك لاختلاف جهتي الوجوب والحرمة ، فإن السكون فى المكان المغصوب وإن كان واحداً بالشخص ، لكنه متعدد باعتبار كونه صلاة وعبادة لله تعالى ، وباعتبار كونه غصبا وتعدى على الغير فيمكن افتراق إحدى الجهتين عن الأخرى . فبالجهة الاولى يكون واجبا وبالجهة الثانية يكون حراما ، نظير ذلك إذا أمر عبده بالحيطة ونهاه عن السفر فسافر وخط فى السفر فإنه مطيع فى الحيطة ، وعاص فى السفر . وهناك مخالفات فيما ذكرنا للفاضى أبى بكر الباقلانى والجبائى وغيرهما . وقد أقاما أدلة لما ذهبوا إليه وقد ضعفت بحيث تعجز عن الوقوف أمام أدلة الجمهور .

والنهي تارة يرجع إلى ذات المنهى عنه فلا يمكن إيجابه ، وتارة يرجع إلى وصف فى المنهى عنه فيجوز إيجابه ، وذلك كوجوب الطواف مع النهى عن إيقاعه مع الحدث

وكشروعية الصوم مع النهى عن إيقاعه يوم النحر . فيقال الصوم من حيث هو صوم مشروع ومن حيث أنه واقع في هذا اليوم غير مشروع ، والطواف مشروع بقوله تعالى « وليطوفوا بالبيت العتيق ، ولكن وقوعه في حالة الحدث مكروه . والبيع من حيث أنه بيع مشروع لكن من حيث وقوعه مقترنا بشرط فاسد مكروه . والطلاق من حيث أنه طلاق مشروع ومن حيث وقوعه في الحيض مكروه ، إلى غير ذلك من التصرفات المقرونة بأوصاف توجب الكراهة دون الفساد .

ويذهب الشافعى إلى أن المحرم بوصفه مضاد لوجوب أصله . وصورة المسألة ما إذا أوجب الصوم وحرم إيقاعه في يوم العيد ، ذاهبا إلى أن المحرم هو الصوم الواقع في هذا اليوم فألحق المحرم بوصفه بالمحرم بأصله ، وجعل تحريمه مضادا لوجوبه ، وذهب أبو حنيفة في هذه الصورة إلى أن المحرم نفس الوقوع لا الواقع ، وهما غيران ، فلا تضاد ، فألحق المحرم باعتبار الوصف بالمحرم باعتبار الغير .

وكما وقع الاختلاف في هذه المسألة وقع الاختلاف في جواز تحريم أمر مبهم من أمرين معينين إذ لا مانع من ورود النهى بقوله لا تسكلم زيدا أو عمرا ، وقد حرمت عليك كلام أحدهما لا بعينه ، ولست أحرم عليك الجميع ولا واحدا بعينه . ولا شك أنه إذا كان كذلك فليس المحرم بمجموع كلاميهما ولا كلام أحدهما على التعيين لتصريحه بنقيضه ، فلم يبق إلا أن يكون المحرم أحدهما لا بعينه . وذهب بعض المعتزلة إلى منع تحريم واحد مبهم من أمرين معينين ويكفى للرد عليهم أنهم خالفوا اللغة فيما ذهبوا إليه .

وإذ قد ذهب الحنفية إلى التفرقة بين الفرض والواجب كما سبق بيانه ، ذهبوا إلى التفرقة في النهى مستنديين إلى أن النهى ينقسم إلى قسمين باعتبار طريق الثبوت .

فالأول ما ثبت قطعا بنص الكتاب والسنة المتواترة والإجماع ، ففاد ذلك التحريم المقابل للفرض .

والثاني ما ثبت ظنا كالثابت بأخبار الآحاد والقياس ، وهذا مقتضاه كراهة التحريم فهو يقابل الواجب . فالمسكروه تحريما منزلة تقرب من الحرام عند أبي حنيفة وأبي يوسف . وقال محمد : كل مكروه حرام ، ولا خلاف بينهم وبين غيرهم من الأصوليين في المعنى ، وهو أن المسكروه معاقب عليه كالحرام ، إلا أن جاحده لا يكفر ، لأن ما طريقة الظن لا يكفر جاحده عند الجميع .

## السيد جمال الدين الأفغاني

### نسبه وحياته :

هو السيد محمد بن صفدر ، وقد ولد في سنة ١٢٥٤ هـ ( سنة ١٨٣٨ م ) في أسعد آباد بمقاطعة كابل بأفغانستان ، من أسرة شريفة يرجع نسبها إلى الحسين بن علي ، ومن أجل هذا كان يدعى بالسيد . وكان على الترمذى المحدث الشهير من أجداده . وتروى بعض المصادر الأخرى أنه ولد في أسد آباد بالقرب من همندان بفارس ، وأنه هو الذي قد تعمد تغيير مسقط رأسه لينجو من الطغيان الفارسي . وعلى أي الأحوال قد أمضى السنين الأولى من حياته بالقرب من كابل في أفغانستان . ولما شب درس الفلسفة والرياضة في تلك الاصقاع بقدر ما كانت المناهج الشرقية تسمح به في ذلك العهد .

وفي سنة ١٢٧٣ هـ ارتحل إلى مكة ليؤدي فريضة الحج . وبعد عودته إلى أفغانستان التحق بخدمة الأمير « دوست محمد خان » ، وعلى أثر موت هذا الأمير قذفت به صداقته مع محمد أعظم شقيق « شیر علی » ، الأمير المتطلع إلى العرش في معمران الاضطرابات التي وقعت بين الأسر المالكة . وبعد أن تم الأمر للأمير الجديد عين جمال الدين وزيرا له ، ولكن حكم هذا الأمير لم يدم طويلا . وعلى أثر سقوطه صمم جمال الدين على أن يهجر أفغانستان فغادرها في سنة ١٢٨٥ هـ إلى الهند ثم إلى القاهرة حيث أقام أربعين يوما انعقدت أثناءها الصلة بينه وبين الدوائر الأزهرية ، وألقى في منزله على بعض الناهضين من الأزهريين محاضرات ودروسا . وفي سنة ١٢٨٧ هـ ارتحل إلى القسطنطينية ، وكانت شهرته قد سبقته إليها ، فاستقبلته البيئات العالية في تركيا استقبالا نغما ، ولم تلبث أن عينته في وزارة المعارف وكلفته بإلقاء محاضرات عامة في مسجد « أياصوفيا » ، وفي جامع السلطان أحمد ، فحسده رجال الدين هناك ، وعلى رأسهم شيخ الإسلام حسن فهمي ، وظلوا يترقبون الفرصة للإيقاع به . وقد قدم إليهم جمال الدين نفسه هذه الفرصة حيث صرح - في محاضرته التي ألقاها في دار الفنون عن فوائد الفن - أن النبوة هي إحدى الوظائف الاجتماعية وأنها فن من الفنون ، ففهم هؤلاء من ذلك أنه يعني أن النبوة مكتسبة .



لم يسكد هذا التصريح يعلن حتى ثارت نائرة شيخ الإسلام ، واتهمه بالمروق عن الدين وفى الحال غادر جمال الدين العاصمة العثمانية واتجه إلى القاهرة ، فاستقبله القائلون بالامر خير استقبال ، واحتفت به البيئات المثقفة أجل احتفاء ، ومنحته الحكومة المصرية اثني عشر ألف قرش سنويا دون أن تسكفه بعمل محدد .

مكنته هذه المعونة من أن يلقى في منزله على الشبان الناهضين المتعطشين إلى العلم محاضرات في الفلسفة والتوحيد وفى إيضاح طريق الإنتاج الادبي . وفى أثناء هذه الدروس كان يتحين الفرص لإيقاظ الشعور الوطنى فى نفوس هذا الشباب الغافل ، فيشوقه إلى الحرية الكاملة والاستقلال التام ، ويحبب إليه الانظمة الدستورية الحرة . ولما كان الشباب المصرى يتشرب تعاليمه فى شغف ويسارع إلى العمل بها فقد ضاقت سياسته الإنجليز فى مصر كما ضاقت تجديدهاته ودروسه الفلسفية البيئات الازهرية يومئذ ، فتذرع الاولون بسخط الاخيرين وأمروا بطرده من مصر ، فارتحل إلى الهند ، وهناك أرغمته السلطات الإنجليزية على أن لا يبرح حيدر آباد ، وفيها ألف رسائله : الرد على الدهريين .

بيد أن تعاليمه لم تنطفئ فى مصر بعد رحيله منها ، بل قد يكون لهذه التعاليم أثر فى الحركة الوطنية التى اشتعل أوارها فى سنة ١٨٨٢ م ، والتى انتهت بضرب الإسكندرية والاحتلال الانجليزى .

وبعد أن تم الامر للانجليز فى مصر ، وأيقنوا بأن أقدامهم قد تثبتت فيها ، وأن الدعاية ضددهم لم تجد لها مجالا ، سمحوا لجمال الدين بمغادرة الهند ، فارتحل إلى أمريكا بذية اعتزام التجسس بالجئسية الامريكية ، ولسكن يظهر أنه لم ينفذ هذه الفكرة ، وفى سنة ١٨٨٣ ارتحل إلى لندن فبقى فيها وقتا قصيرا ، ثم غادرها إلى باريس ، فأقام بها يرافقه صديقه وتلميذه الشيخ محمد عبده ، وهناك نشر فى تفصيل آراءه السياسية التى هاجم فيها بعنف تدخل انجلترا فى مصير الشعوب الإسلامية . وقد فتحت كبريات الصحف وأكثرها تأثيرا صدورهما لمقالاته التى عنيت بها البيئات الممتازة ، والتى كانت تمس سياسة انجلترا وروسيا فى الشرق ، وتعنى بأحوال تركيا ومصر ، والتى كشفت مغزى حركة المهدي فى السودان .

وفى هذا الوقت عينه حدثت مناقشاته مع المسيو رينان بسبب المحاضرة التى ألقاها هذا

الآخر في السوربون عن الإسلام والعلم ، والتي حمل فيها منشئها على الإسلام حملته الجائرة الشهيرة ، فرد عليه السيد جمال الدين بمقال قيم نشر أولا في جريدة « الديبا » ، ثم ترجم إلى اللغة الألمانية ، وبعد زمن قصير ترجم حسن أفندى عاصم محاضرة رينان إلى العربية ، ونشرها مع رد السيد جمال الدين .

غير أن نشاط السيد جمال الدين السياسى والأدبى قد ظهر على الأخص في مجلته : « العروة الوثقى الأسبوعية » . التى كان يصدرها بمؤونة الشيخ محمد عبده ، والتي كانت تطبع على نفقة جمعية إسلامية هندية ، والتي كانت تهاجم في قسوة لا تعرف اللين أعمال الإنجليز في البلاد الإسلامية ، ولا سيما في مصر والهند .

لم يكن العدد الأول من هذه المجلة يظهر في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١ ( ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ ) حتى تعقبها السلطات الإنجليزية في الشرق فتعت دخولها إلى مصر والهند ولم ينجح القائمون بها في إدخالها إلى تلك البلاد إلا بوضعها في أغلفة كأنها رسائل خاصة . لم يطل أجل هذه المجلة إذ لم يظهر منها إلا ثمانية عشر عددا كان آخرها في ٢٦ ذى الحجة سنة ١٣٠١ ( ١٧ أكتوبر سنة ١٨٨٤ ) ولكن تأثيرها كان رغم ذلك عظيما في انتشار روح الحرية وكرهية الإنجليز في البيئات الإسلامية ، ويمكن أن تعتبر طليعة أدبية للحركات الوطنية التي جعلت تنمو منذ ذلك العهد في البلاد الإسلامية المملوكة لإنجلترا ، بل يمكن الاقتناع بأن أهميتها لم تنقص إلى الآن . ومن آيات ذلك أن حسيناً محي الدين الحبال مدير مجلة « أبابيل » ، أعاد طبع « العروة الوثقى » ، في سنة ١٣٢٨ ( سنة ١٩١٠ ) .

على الرغم من هذه الكراهية العلنية التي كان يبديها السيد جمال الدين نحو الإنجليز ، فإن رجال الحكومة الإنجليزية قد دخلوا في مفاوضات شخصية معه ليستعينوا به على إخفات الحركة السودانية في سنة ١٨٨٥ م ، ولكن هذه المفاوضات لم تنتج أية فائدة عملية .

وفي سنة ١٨٨٦ وكان حماسه لا يطاق الشعوب الإسلامية قد جعل ينمو ويمتد - دعى برقيا إلى بلاط الشاه ناصر الدين بطهران فلبى الدعوة ، وهناك استقبل استقبالاً حافلاً وعين في مناصب رفيعة ، ولكن تأثيره وشعبيته لم يلبث أن حملا الشاه على الاحتياط منه ، بل على التبرم به ، فلما رأى هذه الحالة غادر بلاد فارس مدعياً أن ذلك لأسباب صحية ، ثم اتجه

إلى روسيا حيث ألف صلات سياسية هامة ، وأقام بتلك البلاد إلى سنة ١٨٨٩ م . وفي ذلك التاريخ التقى أثناء سفره لزيارته معرض باريس العام بالشاه في مونيخ ، فحمله هذا الأخير على العودة إلى فارس فعاد وحظى بثقته ، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا ، إذ لم يلبث الوزير ميرزا على أصغر خان أمين السلطان أن حسده ورأى في شخصيته خصما له ، فأخذ يدس له حتى نجح في تصديره موضع رتبة السلطان . وقد استعان على هذه الدسيسة بالجنديد الذى كان السيد جمال الدين يريد إدخاله على التشريع ، فأحس بالخطر الذى يتهده ، فالتجأ إلى مسجد السلطان عبد العظيم بالقرب من طهران ، والذى من دخله كان آمنا ، وظل فيه سبعة شهور يحوطه عدد من المعجبين به ، الذين كانوا يتلقون في مخف نظرياته عن التجديد السياسى ، فى البلاد المضطربة ، ولكن ذلك الوزير أخذ يضاعف دسائسه له عند الشاه ويبين له الاخطار الناجمة عن تعامله حتى دفعه إلى الاعتداء على حرمة ذلك الملجأ فبعث إليه خمسمائة فارس أحضروهم مكبلا فى الحديد ، رغم سوء حالته الصحية ، واقتادوه فى هذه الاغلال إلى الحدود الفارسية التركية ، وكان ذلك فى أوائل سنة ١٨٩١ م فاتجه إلى البصرة وأقام فيها وقتا قصيرا ثم ارتحل إلى إنجلترا حيث قام - فى مقالانه ومحاضراته - بحملة عنيفة ضد الفزع السائد فى فارس . وفوق ذلك فإن طرده من تلك البلاد قد ساعد كل أنصار التجديد فيها على الظهور لا سيما وأنه كان على اتصال دائم بهم يشجعهم فى رسائله على السير فى طريقهم .

ولما منحت الحكومة الفارسية إحدى الشركات المالية الإنجليزية امتياز احتكار التبغ وظهرت نتائج هذا التصرف السيئة التى سلبت البلاد جانبا عظيما من ثروتها ، اتخذ السيد جمال الدين هذا الحادث وقودا لنار حملته . وفى أثناء ذلك بعث إلى ميرزا حسن الشيرازى - وكان أول مجتهدى سامرا - إذ ذاك - رسالة مشتملة على حملة عنيفة على الحكومة انهما فيها بالسفه ، وبالتنذير فى المال العام لمصلحة أعداء الإسلام . وبما جاء فى هذه الرسالة قوله : إن الأوربيين قد منحوا قبل ذلك عدة امتيازات هامة ، جعلتهم فى الصف الأول من صفوف الاقتصاد . والآل سيئتهى امتياز احتكارهم التبغ بتسليمهم بلاد فارس نهائيا .

لم يقتصر السيد جمال الدين على إبلاغ ميرزا حسن هذه التهمة ، بل أبان له بعض المظالم الأخرى التى ترتكبها الحكومة ، وعلى الخصوص قسوة أعضائها ، وعلى رأسهم ميرزا على أصغر خان . وقد أراد بذلك كله أن يوقظ السلطات الدينية والشخصيات المنقفة من نومها العميق ليدفعها إلى عمل عظيم باسم الدين .

كانت النتيجة الاولى لهذه الرسالة أن أصدر المجتهد فتوى حرم فيها استعمال التبغ على جميع المؤمنين حتى تلغى الحكومة عقد الاحتسكار . وعلى أثر ذلك اضطرت الحكومة إلى الإذعان فألغت العقد ودفعت تعويضا ماليا كبيرا للشركة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن تأليب جمال الدين للشعب ضد الشاه أخذ ينمو حتى تحول إلى حركة تجديدية عنيفة لم تلبث أن انفجرت بمساعدة رجال الدين وانتهت بقتل الشاه في ١١ مارس سنة ١٨٩٦ بيد ميرزا محمد رضا أحد أنصار جمال الدين .

وفي أثناء مقام السيد جمال الدين في انجلترا تسلم رسالة من السلطان عبد الحميد يطلب إليه فيها أن يذهب إل القسطنطينية فينزل ضيفاً على السلطان ، فلم يتردد في السفر ، وعند وصوله إلى تلك المدينة منحه السلطان خمسة وسبعين جنياً تركياً في الشهر ، ومنزلاً جميلاً على تل د نشان طاش ، بالقرب من قصر يلدز حيث استطاع أن يعيش عيشة الأمراء ، فأمضى هناك الأعوام الخمسة الأخيرة من حياته ، وقد وصف أحد الرحالة الألمان حالته في ذلك العهد فصرح بأنه كان في سنة ١٨٩٦ يتأرجح بين نعم السلطان عبد الحميد ، ودسائس أتباعه التي لا تدرج تحت حصر ، وأنه طلب عدة مرات السماح له بالسفر فلم يؤذن له في ذلك ، ومعنى هذا أنه كان يحيا في هذا المنزل الجليل الموضوع تحت تصرفه حياة من يعيش في أسر مذهب .

وبعد قتل الشاه جمات حالة جمال الدين تتمتع شياً فشيئاً ، إذ أذاع أعداؤه في بلاد فارس أنه هو الذي يدبر — وهو في القسطنطينية — المؤامرة ضد الشاه ، وأنه هو الذي دفع القاتل ، وهو من أنصاره المخلصين ، إلى ارتكاب جريمته ، وبالرغم من أن السلطان عبد الحميد قد أبى أن يسلمه إلى الفرس ، فإن تهمته قد أخذت تنمو وتنتشر في مختلف الأوساط ، ولما كان من بين خصومه الخطيرين أبو الهدى ، وهو أكثر رجال الدين تأثيراً في البلاط إذ ذاك ، فقد اتهم بدس السم له في ٩ مارس سنة ١٨٩٧ ، ولكن ذلك غير صحيح ، إذ أن السيد جمال الدين قد توفي بالسرطان ودفن في مقبرة د نشان طاش .

#### محتاجاته :

أما محتاجاته فأكثرها محاضرات متفرقة ، ودروس منتشرة ، لأنه - رغم هذا العلم الغزير - لم يترك كثيراً من المؤلفات ، ومن أهم ما سجل من محتاجاته : (١) رسالته في الرد على الدهريين

وقد كتبت باللغة الفارسية ، وترجمها الشيخ محمد عبده إلى العربية بعنوان : « رسالة في إبطال مذهب الدهريين ، وبيان مفسادهم وإثبات أن الدين أساس المدنية ، والكفر فساد العمران » ، وطبعت للمرة الأولى في بيروت في سنة ١٣٠٣ هـ ، وللمرة الثانية في القاهرة في سنة ١٣١٢ هـ ، وترجمت كذلك إلى اللغة الأوردية ( ب ) « تنمة البيان » ، وهو موجز في تاريخ أفغانستان ، وله صورة فوتوغرافية أخذت في القاهرة . ( ج ) مقال عن الباب في دائرة معارف البستاني . ( د ) رده على رينان ، وقد نشره حسن أفندي عاصم بالعربية . ( هـ ) مقالانه في مجلة العروة الوثقى . ( و ) مقالانه في مجلة ضياء الخافقين ، وهي مجلة شهرية باللغتين العربية والإنجليزية ، كان السيد جمال الدين أحد مؤسسيها ومحرريها ، وكان يكتب فيها بتوقيع السيد أو السيد الحسيني أعنف المقالات هجوما على الشاه . ( ز ) محاضرتان في التربية والمهن ، وقد نشرتا في مجلة « مصر » ، في ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٦ هـ . ( ح ) مقالان سياسيان عنوانهما : في الحكومات الاستبدادية ، نشر في المجلد الثالث من المنار .

الدكتور محمد غنم

## سبب تأخر المسلمين

قال الأستاذ هنري لاوست : من القرن الخامس عشر الميلادي بدأ الانحطاط في العالم الإسلامي . وللمسلمين اهتمام شديد في البحث عن أسباب هذا الانحطاط : فمنهم من يرى أنه ناشئ عن عدول المسلمين عما كان عليه سلفهم في العصر الأول . وبعض الأوربيين يرى أن سبب تأخر المسلمين عدوهم عن البحث في فلسفة أرسطو . والذين يقدمون آلات الميكانيكية في الغرب يرون أن سبب تأخر المسلمين تقصيرهم في الأخذ بأسباب الصناعة ومجاراة الأمم فيها . وفي الواقع أن المسلمين لم يقتبسوا الطباعة إلا في أزمان متأخرة ولو بكررا في ذلك لكان له الأثر الطيب . ويعد في جملة أسباب تأخر المسلمين ما كان من تعصب الترك على القومية العربية حتى قصرت عن بلوغ ما تستطيعه .

## كمال الايمان

روى أبو داود عن أبي أمامة رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان » .

في هذا الحديث الشريف يحلى لنا رسول الله ﷺ أربعة أمور يقوم عليها نظام الحياة ، وتتوثق بها روابط الجماعة ، وتتضافر لنا أسباب العزة ، في خلوص من الشوائب ، ونقاوة من الأكدار ، وترفع عن الزاني ، وسمو بالغرض النبيل .

ذلك أن علاقات الأفراد والجماعات تتجاذبها عوامل الحب والبغض ، وأن تعامل الأفراد والجماعات يتردد بين الإعطاء والمنع ، ولا بد من أساس يقوم عليه هذا التعامل وتركز به تلك العلاقات .

فالحب لله عزة وسمو ، والبغض لله تنمية وتركية ، والإعطاء لله وصلة صادقة لا تبلى ، والمنع لله تأديب بالغ ، وزجر مشكور .

ولا يحب من أحب الله إلا محبواً مذهب النفس ، كريم الشئائل ، طاهر اليد ، عف اللسان ، طيب السيرة ، محمود السريرة ، يحبه الله لأن له صفات يحبها الله .

وفي ذلك ربط وثيق بين المتحابين ، وتدعيم لهذه الأسس الكريمة التي يحفظها الله ويباركها الله ، أما أن يكون الحب لغاية رخيصة في متعة زائلة ، من مال ، أو جاه ، أو منصب ، فلن يدوم هذا الحب ، ولن يسلم من عوامل الكراهية والبغضاء ، وهو بعد ، لا يخلص لله أبداً ، ولا يبلغ الغاية أبداً .

روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

والحب في الله يستتبع الإجلال والإكبار لمن أحب ، والتفاني فيه ، والذود عنه ، والنصح له . كل ذلك في إخلاص لا يشوبه رياء ، وولاء لا يلبسه ملق ، وتقدير وتوقير

لكرامة النفس ، ونبالة الأخلاق . فالولاء للحاكم العادل حب لله ، وتقدير الجندى الباسل المجاهد حب لله ، واحترام الموظف الأمين حب لله ، وتشجيع العامل الوفي حب لله ، والإقبال على التاجر الصادق حب لله ، لأننا أحببنا في هؤلاء عدالتهم ، وبسالتهن ، وأمانتهن ، ووفاءهم ، وصدقهم . وكلها صفات كريمة يحبها الله . ويأمرنا بها ، ويحفظنا على أن نهيء مكانها في أعماق النفوس وبين طيات الجوانح ، فإذا اجتمعنا على هذا الحب من أجل هذه المكرمات ، فإن فضل الله يغمرنا ، ونوره يغشانا ، ونصره يلاحقنا في أمن ويمن ولعزاز ، روى أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله ، قالوا : يا رسول الله فتخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور ، ولهم لعل نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ، وقرأ هذه الآية : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وروى الحاكم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الشرك أخنى من ديب الذر على الصفا في الليلة الظلماء . وأدناه أن تحب على شيء من الجور : وتبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب والبغض ؟ »

وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلم في ظلى ، يوم لا ظل إلا ظلى . » . وكما يكون الحب لله من كمال الإيمان ، يكون البغض لله كذلك من كمال الإيمان .

فبغض الحاكم الظالم المستبد بغض لله ، وبغض الجندى المتبلد الذى لا يقوم بواجبه بغض لله وبغض الموظف المترأخى بغض لله ، وبغض العامل الحامل بغض لله ، وبغض التاجر الخائن بغض لله .

والبغض لله يستتبع القضاء على تلك المفساد ، وإزالة هذه الشرور ، فإننا حين نبغض لله إنما نبغض ظلم الحاكم ، وبلادة الجندى ، وتراخى الموظف ، وخول العامل ، وخيانة التاجر وتلك لعمر الحق آثام ومناكر يبغضها الله ، فوجب أن نبغضها لله فنسارع لإهدارها والإنكار عليها ، وتطهير المجتمع منها ليقوم مجتمع صالح . ويسود شعب نظيف . ومن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان . كما حدث بذلك الرسول الحكيم صلى الله عليه وسلم .

أما الإعطاء لله ، فهو البذل من غير كمن ولا أذى ، لسد حاجة السائل والمحروم ، وهو إنما يكون لله ، إذا وقع فى شغف بالبذل ، وفرح بالإيتاء . والمعطى من ماله كالمعطى ذات نفسه ، وكالمعطى من جاهه ، فى كل عطاء . فمن ضاق به ماله فليبذل من نفسه طلاقة وجه ، وبشاشة لقاء ، وليبذل من لسانه دلالة على الخير وهداية إلى البر ، وليبذل من قوته وفتوته مقاومة للمستعمر ومدافعة عن حى الوطن ، وليبذل من تفكيره ونضج عقله صواب الرأى وجمال التوجيه . فى الحديث « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والصدقة خفيا تطفى غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر ، وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة ، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة ، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف . »

فالحديث الكريم يبين أن كل معروف صدقة ، وليست الصدقة قاصرة على بذل المال . فابذلوا - أيها الناس - من مالكم . وجاهكم ، وقوتكم ، وتفكيركم لنفع البلاد . ونفع العباد ، فى ذلك كله إعطاء لله ، وما أجمل قول الشاعر :

إذا ملكت كفى منالا ولم أنل      فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى  
على الله لإخلاف الذى قد بذلته      فلا متلفى بذلى ولا مسعدى بخلى  
أرونى بخيلا طال عمرا بيخله      وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

والمنع لله هو الإحجام عن إنالة كل ما يساعد على الإثم والفسوق والعصيان . وهو كذلك يتناول قبض اليد عن البذل فيما يجر ضررا . والكف عن معاونة الأعداء ، والتضييق عليهم ، وحصارهم حتى تضيق عليهم الأرض بما رحبت ، وتضييق عليهم أنفسهم ، وكل منع وإعنات ، وتضييق فى هذا السبيل ، فهو منع لله . . .

وبعد فهذه يا معشر الناس ، هى الباقية المازدهرة العطرة ، التى قدمها لكم سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لتجدوا من نفعها النبوى ، ونورها المحمدى ، وتماسكها القوى ، وروحها وريحانها ، نروح فى ظله ، ونعقب من ريحه ، فتؤدى واجب النفس ، وواجب الغير . وواجب الوطن . لتسود أمتنا ، وتظفر نهضتنا ، ونسعد فى ديننا ودنيانا .

والسلام على من اتبع الهدى

محمد عبد النواب

أستاذ بكلية الشريعة



# نِداءُ الأستاذ الأكبر إلى الطِّلابِ

بمناسبة افتتاح العام الدراسي بالأزهر

في يوم السبت ٢٢ صفر بدأت الدراسة في الأزهر ، ومعاهده ، وكلياته . وقد وجه يومئذ صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الحضر حسين شيخ الجامع الأزهر هذا النداء :

أبنائي طلاب الأزهر والمعاهد الدينية

سلام الله عليكم ورحمته

أما بعد فإنكم اليوم تستقبلون عاما جديدا من حياتكم الدراسية الميمونة ، وإنه ليطيب لي ولاسانتكم أن نتلقاكم بالابتهاج والترحيب ، وأن نؤازركم فيما تبغون من خير ، وتنشدون من آمال ، وأن أبذل لكم النصيح ، راجيا لكم التوفيق والسداد .  
أبنائي :

إنكم تعدون لغاية نبيلة ، ومقصد عظيم ، يتقاضاكم أن تزودوا من العلم ، وأن تتحلوا بأحسن الاخلاق ، وتكملوا بأداب الإسلام . فارصدوا لذلك أوقاتكم ، وقفوا له جهودكم واصرفوا فيه مواهبكم مخلصين صادقين .

فبإخلاصكم ومثابرتكم تبلغون آمالكم ، وتبنون مجدكم ، ومجد الامة التي تحوطكم بقلوبها ، وتعلق عليكم آمالها . فإن العلم أهدى سبيل إلى المجد : وأقوى دعامة لحضارة الامم ورقبها . وقد نهضت الامة إلى المجد واطرحت حياة البطالة واللهم ، فاستشعروا الواجب عليكم لدينكم ولآمتكم ، وكونوا في طليعة العاملين ، وفقكم الله ، وعصمكم من بواعث الشر ، ونفعكم بالعلم ونفع بكم ...  
والسلام عليكم ورحمة الله .

## نظرة في شأهده

قال الشاعر :

قد ثكلت أمه من كنت د واحده ، وبات مفتشياً في برثن الاسد

هذا البيت منسوب إلى حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ ، وهو من شواهد النحو ، استشهد به ابن عقيل في شرحه لألفية ابن مالك على جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر من التقديم ، موافقة لرأى الناظم ابن مالك في هذا الرأي . وقد شرح شراح الشواهد هذا البيت على الصورة التي هو عليها في أول هذا الكلام قائلين : إن حسان بن ثابت رضى الله عنه مدح به أحد شجران المخاريب بأن من د يجده ، هذا الشجاع في الحرب تفقده أمه ، ويبيت بعد قتله منتشبا — أى معلماً — في كف الاسد يأكله بعد موته .

وظاهر من هذا الشرح أن كلمة د واحده ، بالخاء مصحفة عن كلمة د واجده ، بالجيم وهى موجودة كذلك بالجيم في النسخة الخطية من شرح ابن عقيل . وقد شرح هذا الشاهد أحد أسانيدنا المعاصرين وأثبت كلمة د واحده ، بالخاء ولم يتعرض لشرحها ، وتسكلم عما عداها من الكلمات ، ولم يهتد تبعاً لذلك إلى شرح معنى البيت الإجمالى كما ينبغي .

ولكن بعد الرجوع إلى ديوان حسان رضى الله عنه تبين لى أن الشراح القدامى ومعهم أسانيدنا المعاصرين لم يعنوا أنفسهم بالرجوع إلى ديوان الشاعر حتى يعرفوا المناسبة التى قيلت فيها القصيدة التى منها البيت ، وحتى يعرفوا إن كان هذا البيت مصحفاً أو غير مصحف ، وأن المعنى الذى استفطوه منه يطابق المعنى الذى قصده الشاعر أو لا يطابقه والحق أن المناسبة التى قيلت فيها القصيدة والمعنى الذى قصده الشاعر ، يناهيان منافاة تامة ما فهمه الشراح القدامى والمحدثون .

وليبيان ذلك أقول : إن لهذا البيت وقصيدته قصة ، تلك أن حسان بن ثابت رضى الله عنه كان ممن تسكلموا فى حادثة الإفك ، وكانت صفوان بن المعطل السلمى ممن اتهموا فى تلك الحادثة ، خلف لىضرب حسان رضى الله عنه ضربة بسيفه ، وجعل ينهز الفرصة لذلك حتى أنزل الله البراءة فى قوله تعالى ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم

لا تحسبوه ثمراً لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم . والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأوأنك عند الله هم الكاذبون ) فعند ذلك بر صفوان بقسمه ، وضرب حسان ضربة بسيفه لم تتمله ، ولكنها جرحته . فأخذ رهط حسان - صفوان فأوثقوه واحتبسوه عندهم حتى يقتص منه ، فبلغ الخبر صحابة رسول الله ﷺ ، فذهب سعد بن عبادة رضى الله عنه إلى القوم وطلب أن يذهبوا بصفوان إلى رسول الله ﷺ ، فذهبوا به ، فلما مثل صفوان وحسان بين يدي الرسول الكريم استوب صفوان حسان جرحه ، أى طلب من حسان أن يعفو عن حقه عنده بسبب جرحه ، فوافق حسان ووهبه جرحه ، فكافأه النبي ﷺ على ذلك بأن وهبه جاريته سيرين أخت مارية القبطية وزوجه ، فأصبح حسان سلف رسول الله ﷺ أى زوج أخت زوجه ، فقال حسان بعد ذلك قصيدة يعتر فيها برهطه ، ويلوم قبيلة مزينة التى آذته وهددته بإخراجه من المدينة ويقول لها : لا تحسبى أننى ليس لى رهط يدافع عنى . فإزال قومى بحمد الله أحياء لم تشكلم أهمهم ولم تأكلهم السباع . وإلى القارىء ثلاثة أبيات من القصيدة التى فيها بيت الشاهد ، وسيرى من ذلك بعد المعنى الذى فهمه شراح الشواهد عن المعنى الذى قصده حسان . قال حسان :

جاءت مزينة من عمق لتخرجنى	لأخسى مزين وفى أعناقكم قددى
يرمون بالقول سراً فى مهادة	يهدى إلى كأتى لست من أحد
قد ثكلت أمه من كنت صاحبه	أو كان منتشياً فى برثن الاسد

وظاهر من هذه الأبيات أن حسان يقول : كيف تهددنى مزينة بإخراجى ، وكيف تجرؤ على إيذائى غير هيابة ، كأتى لست من أحد — أى من قوم — يقدررون على الدفاع عنى ، أو كأن قومى ثكلتهم أمهاتهم فساتو أو أكلتهم السباع ، فليس البيت مدحاً لأحد الشجعان كما فهم الشراح وإنما هو اعتزاز من حسان برهطه وبف نفسه .

بقى بعد ذلك محل الشاهد فى البيت وهو أن « من » هنا مبتدأ مؤخر وهو اسم موصول صلته جملة « كنت صاحبه » ، و « قد ثكلت أمه » خبره المقدم وهو جملة ، وفى ثكلت ضمير محذوف مفعولها تقديره ثكلته . ولا يجوز اعتبار « من » مفعولاً لثكلت لأن ذلك يقتضى

عرد الهاء في أمه على متأخر لفظاً ورتبة وهو ممنوع إلا في مواضع ليس هذا الموضع منها .  
لأنه إذا جعلت د من ، مفعولاً لا تكون رتبته التأخير فيعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة  
أما إذا اعتبرت مبتدأ فرتبتها حينئذ التقديم ، فيعود الضمير على متأخر لفظاً متقدماً رتبة ،  
وهو جائز غير ممتنع .

وأورد فأقول : إن الأمانة العلمية تقتضي الباحث إذا لم يهتد إلى المعنى الذي يطمئن إليه  
أن يرجع إلى أصول بحثه فينقب فيها على يهتدى إلى الصواب ، فإذا لم يجد ما يهديه أثبت  
عدم اطمئنانه إلى فهمه حتى يكون قد أدى الأمانة العلمية ، وخرج من التبعة ، وحتى يحمل  
غيره من العلماء على البحث ورام بحثه فربما وصلوا إلى ما لم يصل إليه ، وليس عيباً أن يقول  
المرء لا أعلم أو يقول بحثت فلم أهتد ، وإنما العيب أن يقعد عن البحث ويفسر بغير  
ما يطمئن إليه ؟

طه الزبيني

علمية من درجة أستاذ في النحو والصرف

## المروءة

قال سلام بن عبد الله الباهلي : « أسباب المروءة مرتبطة بشرف النفس وعلو الهمة -  
إذا اجتمعا ولم يفترقا - فإن من علت همته وتواضعت نفسه طلب ما لا يستوجب ، وتعدى  
إلى ما لا يستحقه فلا تتم له المروءة . ومن صغرت همته وكبرت نفسه قصر عما يستحقه ،  
وترك ما يستوجب ، فنقصت مروءته . فإن لسكل وجه من هاتين الحالتين حظاً من الذم ،  
ونصيهاً من اللوم . ومن تعلق به لوم ، أو نيط به ذم فليس بداخل في حال من أحوال المروءة -

# المغرب في حل المغرب

لابن سعيد



سلام على الاندلس .

سلام عليه يوم فتحه العرب .

وسلام عليه يوم زال منه ملك العرب .

سلام على الأبطال ، وسلام على الأجداد ، وسلام على المسلمين .

الاندلس ، ذلك اللفظ الذى يثير الحواطر ، ويبعث الحنين ، وينشر فى الجو شذى ينه النفوس ، ويحيى القلوب . ويبعث الآمال .

الاندلس ، تلك الواحة التى تشهد للعرب بمجد تليد ، وعز مكين ، تدل عليه آثارهم ، وينطق به ما خلفوه من تراث شاخ ، يتخطى السنين ، ويعبر الأجيال ، ويظل ثابت الأركان ، يدعو أهله إليه ، وهم عنه لاهون .

الاندلس ، هو ذلك الركن الضخم من تراثنا القديم ، والرقعة القاصية من الإمبراطورية الإسلامية ، التى لم نولها العناية الكافية ، ولم نكف عليها دارسين متعبين كما عكفنا على المشرق ، وبعثناه فى نفوسنا متميز المعالم ، واضح القسمات .

لم يكن الاندلس أهون شأننا من العراق ، وليست حضارة الاندلس أقل خصبا من حضارة الشام ، بل ربما كان شأن الاندلس أخطر ، وحضارته أثرى وأخصب . ففيه التقي المشرق والمغرب ، وفيه تمثلت للعقلية العربية فى أقصى معاذنها وأوضح ميزاتنا ، بل فيه تمثل الروح العربى فى شتى مظاهره الفكرية والنفسية والمادية .

ولقد كانت صلتنا بالاندلس حتى عهد قريب صلة الذكرى ، وصلة الحنين . تتطلع إليه أرواحنا ، وتهفو نفوسنا ، ولكنتنا لم نكن نعرف عنه الشيء الكثير ، بل كانت معرفتنا به قاصرة ، وكان تصورنا له ناقصا ، وتمثلنا له بعيداً عن حقيقته . وقد أدركنا منذ عهد قريب هذا القصور ، وذلك النقص ، فبدأ الدارسون يميلون براحتهم مع الشمس الغاربة نحو المغرب ، وراحوا يتطلعون إلى أفقه الوردى الجليل . حتى إذا ما استقر بهم المقام فى مجرى أنشأوا

مهبطاً للدراسات الإسلامية ، وقفوا فيه حياتهم على بعث التراث الإسلامى فى الاندلس ، وتصويره حيا نابضا فى نفوس المسلمين تصويراً يمتاز بالصدق ، كما يمتاز بدقة العلماء .

ولم يكن العلماء فى الشرق أقل حرصا على الاهتمام بالاندلس وبعث تراثه الذى يصوره تصويراً دقيقا . ولعل أبناء الاندلس أنفسهم كانوا قد أدركوا مآل دولتهم ، وأنها ستزول يوما ما ، فدفعهم حرصهم على حضارتهم إلى أن يصوروها فى المؤلفات الضخمة التى جمعوا فيها فأوعوا وكان أن دالت دولتهم ، وورثنا عنهم فيما ورثنا هذه المؤلفات الضخمة ، ولستنا بكل أسف لم نقرأها إلا بالأمس ، حين كونت الجامعة لجنة « الذخيرة » ، وهى « ذخيرة » ابن بسام . وكان هذه اللجنة - شأن كل اللجان عندنا - قد فترت عزميتها ، فلم تنابع السير ، ولم تدأب على العمل . وأصبح العمل الفردى أكثر جدوى وأكثر إنجازا .

فلقد ندب الأستاذ الدكتور شوقى ضيف نفسه لإخراج مؤلف من أعظم المؤلفات التى خلفها لنا الاندلسيون عن دولتهم إن لم يكن هو أعظمها . ندب نفسه لإخراجها إلى النور بعد أن سئم حياة الظلام ، وأن يجمع شتانه ، بعد أن فرقت يد الزمن بين أجزاء منه وأجزاء ، وطوحت بها فى البلدان ، وأغنى كتاب « المغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد . ذلك الكتاب الذى يقع فى خمسة عشر سفرا ضخما ، تروى لنا فى إسهاب قصة مصر ، وقصة المغرب ، وقصة أندلس .

ولقد كان الإحساس بالحاجة اللازمة إلى دراسة الاندلس والتتقيب عنه هى التى جعلت الأستاذ المحقق يصرف جهده كله إلى تحقيق ذلك الجزء الذى صور فيه ابن سعيد بلاد الاندلس . وقد بدأ يعمل منذ عدة سنوات عملا دأباً لا يعرف السكال . ولم تكن الصعوبات التى صادفها لتثنيه عن المضى فى سبيل تحقيق هذا النص القيم ، فأخرج لنا من تلك الأوراق « الدشت » ، التى تعبت بها « العتة » فى مخازن دار الكتب ، صورة منظمة مستوية واضحة . ولم تسكن كل مهمته أن يعيد تنظيم هذه الأوراق على ما يكلف ذلك وحده من جهد يستنفده متابعة السياق فى كل ورقة وفى غيرها من الأوراق ، بل إنه كشف نقصاً فى مجموعة الأجزاء التى تتناول الاندلس ، وكان جزءا قد ضاع من الكتاب وليس إلى العثور عليه من سبيل . ولكن يد الزمن كانت رحيمة حين طوحت بهذا الجزء إلى بلصفورة فى سوهاج ؛ فهناك وجد المحقق ضالته ، واستوت بين يديه الأوراق كاملة لا خرم فيها .

وفى سبيل إخراج صورة واضحة لهذا النص لم يكن بد من أن يرجع المحقق إلى الأصول التى استمد منها الكتاب والفروع التى أخذت عنه . وهنا يكتشف أول أهمية لهذا الكتاب ؛

فهو « يصلح كثيراً مما فسد واضطرب في أصوله وفروعه المطبوعة ... إذ يصحح خطأها ويداوى سقمها » ،

والحق أن هذا المؤلف الذى اشتهر لابن سعيد قد اشترك في تأليفه معه خمسة آخرون تعاقبوا عليه خلفاً عن سلف ، وكان ابن سعيد هو أوضح حلقة في هذه السلسلة التى صنفته بالموارثة في مائة وخمس عشرة سنة ، وأفرادها هم أبو محمد الحجارى ، وهو أول من وضع فكرة الكتاب حين وفد على عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد بالقرب من غرناطة سنة ٥٣٠ هـ ، وسأله ابن سعيد أن يصنف له كتاباً في أدباء الأندلس فصنف له كتاباً سماه « المسهب في غرائب المغرب » ، وهو الكتاب الذى عكف عليه ابن سعيد بعده وتناوله بالتهذيب ، فأضاف إليه حيناً ، واختصر منه حيناً آخر . وخلفه عليه ابنه أحمد ومحمد إلى أن استقر عند موسى بن محمد فأضاف إليه بدوره ، وورثه عنه ابنه على ، وهو الذى أعطاه صورته النهائية .

ومعنى هذا أن هؤلاء الستة قد أودعوا الكتاب كل معرفتهم ، فهو خلاصة معارف كثيرة ، ربما كان أكثرهم حظاً منها موسى بن محمد « وكان أشفقهم بالتاريخ وأعلمهم به » . والواقع أن المادة التى بالكتاب ليست مادة تاريخية فحسب ، بل إن به بجانب ذلك مادة جغرافية وأدبية . وقد كان مؤلفوه يستمدون معرفتهم الجغرافية من المشاهدة ، فهم أبناء البلاد يذرعونها جيئة وروحة ، يصفون مشاهدتها ، ويمثلون ظواهرها الطبيعية ويسجلونها ، وهم إلى جانب ذلك يطلعون على ما ألف في الجغرافيا فيقرأون ويفيدون .

وهم في معرفتهم التاريخية يعتمدون على مؤلفات ابن حيان والريق القيروانى وابن حزم وغيرهم ، ثم هم يأخذون مادة وفيرة عن كتب التراجم ، ويستوعبون هذه الكتب حتى إننا نجدهم لا يقصرون اطلاعهم على الكتب المغربية منها ، بل يفيدون كذلك من كتب المشاركة التى ترجمت للأندلسيين كتيمة الدهر للعلابى وغيرها .

أما فيما يختص بالمادة الأدبية فهى مادة غزيرة كانوا يروون الكثير منها ، ويتناقلونها شفاهاً ؛ كانوا يستمعون إلى معاصريهم من الأدباء والشعراء ويحفظون لهم أو يدوبون ، ولكن هذه المادة تعرف في جزء منها مصادر أخرى هى تلك المؤلفات الأدبية الأندلسية الخاصة . فكأن هذا الكتاب خلاصة معارف مفرقة وكثيرة ، تمثلت في الأندلس في القرون الرابع والخامس والسادس والسابع للهجرة .

والواقع أن هذا الكتاب بجانب ما فيه من تراجم قيمة ، أحصى فيه مصنفوه حتى كأنهم لم يتركوا شخصاً يستحق أن يترجم له إلا أعطوه حقه ومكانه ، فإننا نجد فيه من المعلومات الأدبية ما هو كفيل أن يدفع المؤرخين للشمر الأندلسي ، إلى أن يعيدوا النظر في تاريخهم وما نثروه من أحكام فيه ، فيعدلوا في هذه الأحكام تارة ويلغوها ويثبتوا موضعها أحكاماً جديدة تارة أخرى . ومعنى ذلك أنه يحمل كثيراً من الحقائق الأدبية التى كنا نجهلها عن الأنداسيين وحياتهم الفنية ، وما أكثر ما نجهل عنهم ! .

ويروعننا المنهج الذى اختطه وسار عليه مصنفو هذا الكتاب الثمين ، فهو منهج معقد ولكنه المنهج الذى يضمّنون به سلامة الإحصاء والاستقصاء . وهو منهج يقوم على البلاد ومرتب بحسبها . فإذا ما تكلم عن الأندلس بعامة راح يقسمها إلى غرب وموسطة وشرق وأفرد لكل قسم كتاباً ، ثم يعطف على كل قسم يقسمه إلى ممالك ثم يقسم كل مملكة إلى كورها المختلفة ، وهكذا . وهو فى كل ذلك يحدثنا عن طبقات الناس : الأمراء والرؤساء والعلماء والشعراء واللفيف .

ولن أضيف هنا جديداً فى وصف منهج الكتاب فقد وصفه الاستاذ المحقق وصفاً دقيقاً فى تقديمه للكتاب ، وهو يعد أول من خبره وعاناه ، وبذل فيه من الجهد ما يرضى به الكثيرون من القادرين .

هذا الكتاب إذن موسوعة أدبية ، استمد منها منذ القدم كثير من المصنفين والمؤلفين ، ولكن نقولهم عنها لم تكن نقولاً وافية ولا منظمة . وحديث ابن خلدون عن الزجل والزجالين ليس إلا استلهاماً لما ورد فى المغرب عن هذا اللون الطريف من الأدب الذى شهرت به الأندلس . ولا شك أننا إلى عهد قريب كانت معرفتنا بهذا النوع الأدبي قاصرة . أما وقد نشر د ونى الطرس فى حلى جزيرة الأندلس ، ، وهو الاسم الذى أطلقه المصنفون على القسم الخاص بالأندلس من كتاب « المغرب » فقد أصبحت المادة الأصلية متوافرة أمام أبصارنا . وقبل مثل ذلك عن غير الزجل . فتحقيق هذا الكتاب ونشره إذن يقفنا على المورد الأصل والمنهل الصافى الذى استقى منه كثير من القدماء ، والذى يستطيع أن يمدنا بالمعرفة الصحيحة ، ويصور لنا الأندلس صورة صادقة .

لقد أسدى الاستاذ الدكتور شوق ضيف إلى الأدب والعلم خدمة جلى بتحقيقه ونشره هذا الكتاب ، وما زلنا نطمع فى علمه وثبته ، وننتظر على يديه الخير الكثير .



## خرافة الميتافيزيقا

— ٢ —

بيننا في المجال السابق ما قاله كرناب وآير ، والاستاذ زكى نجيب محمود في قوانين المنطق ، ومنها قانون التناقض ، وتلونا قول الأستاذ آير — إن قوانين المنطق يستحيل أن تتعارض مع الواقع ، لأنها في ذاتها لا تقول شيئاً عن الواقع ، وقوله إنه ليس ثمت ما يلزمنا بالأنا نقبل التناقض ، إنما هو اتفاق بيننا نشأ عن اتفاقنا على طريقة معينة نستخدم بها لغة التفاهم ، إننا اتفقنا على أن يكون لاداة اللفظ " لا ، معنى معين بحيث إذا قلنا عبارة كهذه — ق ولا ق — جاءت عبارة بغير معنى ، أى لم نجد لها مدلولاً في عالم الأشياء ، وليس ذلك لأن في طبيعة العالم نفسه ما يأتى ذلك ، بل لأننا نحن الذين صنعنا لغتنا على نحو يجعل ضمن القضية إلى تقييدها لا يفيد وصفاً لشيء ، وتلونا قول كارناب : إن قواعد المنطق صادقة بمعنى أننا اتفقنا عليها حين اتفقنا على رموز اللغة ، وطريقة استخدامها ، فقواعد المنطق مختارة منا اتفاقاً ، وصدقها اتفاقاً .

لأننا اصطلاحنا بحكم القواعد التى تواضعنا عليها في اللغة واستعملناها ، على أن كلمة اللفظ — لم — إذا وجدت في جملة كان معناها أن الجملة تصبح متناقضة مع نفس الجملة إذا خلت منها ، بحيث يستحيل صدقهما معاً أو كذبهما معاً .

وقد ردنا على ذلك لإجمالاً ، واليوم نريد أن نتناول الرد بشيء من التفصيل ، ونبين الخيال الذى تراهى لهم فأوقعهم في هذا الغلط .

لا يجتمع في الواقع : سقراط وجد ، سقراط لم يوجد ، ولا يجتمع : الإسكندر إنسان ، الإسكندر ليس بإنسان ، وأمثالهما مما هو لإثبات شيء ونفيه عنه في آن واحد ، ومكان واحد ، هذا في الواقع والوجود الخارجى ، وإن لم توجد لغة ولم يوجد إنسان .

وقد لاحظ العقل ذلك فاستخرج هذا القانون الكلى وهو أن النقيضين لا يجتمعان ؛ هذا في العقل ولو استطاع الإنسان أن يفكر بدون لغة لكان الأمر كذلك أيضاً عند العقل وهو أن النقيضين لا يجتمعان ، لأنه حكم متزع من الواقع ، ولولم توجد لغة ، وتواضع واصطلاح . وقد وضع الإنسان اللغة واصطلاح عليها وعلى دلالة ألفاظها على معانيها ، ومن ذلك الكلمات والأدوات التى تستعمل في القضايا ، مثل سقراط وجد ، سقراط لم يوجد ، فقد اصطلاح على معنى كلمة — لم — وهو اللفظ ، وعلى معنى المقدرات سقراط ، ووجد ويوجد ، فهذا اصطلاح في الدلالة ما في ذلك شك ، وكان يمكن أن يجعل لكلمة — لم — معنى غير اللفظ ، ولكن ينبغى أن

نفرق بين التواضع على دلالة الالفاظ وعلى القانون الذى بينا أنه منتزع من الخارج ، ولولم توجد لغة ولم يوجد تواضع واصطلاح ، ولم يدرك الاستاذ ان كارناب وآير الفرق بينهما فحكما بأن قانون التناقض مواضعة واصطلاح تواضعنا عليه عندما تواضعنا على معانى الالفاظ ، وبعبارة أخرى يفغى أن نفرق بين شيئين ، بين دلالة الالفاظ على معانيها ، وبين قانون التناقض الذى بينا أنه منتزع من الخارج ولولم توجد لغة ولم يوجد تواضع واصطلاح ، فليس لإثبات المواضعة فى دلالة الالفاظ على معانيها هو لإثبات المواضعة لقانون التناقض ولا مستلزماله . وهما مسألة فنية نحب أن ننبه عليها ، لقد مثل الاستاذان آير وكارناب للتناقض برمزى ق ولواق وهما رمزان إلى تصورين لا إلى قضيتين ، والتناقض إنما هو فى التصديقات لا فى التصورات ، لأن النقيضين هما الامران المتعاندان اللذان يتناقضان ، فلا يجتمعان ولا يرتفعان . ولا تعاند فى التصورات فإنسان ولا إنسان يجتمعان فى الخارج وفى التصور ، إن إنسان أفرادة : خالد وإبراهيم وعلى وحسين ، ولا إنسان أفرادة : النبات والحجر والجل والطاوس من كل حيوان غير إنسان ، وهى موجودة فى الخارج كلها وهى موجودة فى التصور ، فلا تعاند ولا تنافى بين التصورات إنما التعاند بين التصديقات ، فإذا نسب التصور إلى شىء ثم نفى عنه بذاته كان التناقض كقولنا إبراهيم إنسان ، إبراهيم ليس بإنسان ، فلا يمكن أن يجتمع فى الخارج أن يكون هو إنسانا ولا إنسان ، وإذا كان إنسانا لم يكن لا إنسان وإذا كان لا إنسان لم يكن إنسانا .

ولعل قائل يقول : كيف تقرر أن التصورات لا نقائص لها ، وقد عقد المناطقة بابا لبيان النسبة بين السكليين ، وأثبتوا فيه نقائص للتصورات حيث قالوا . نقيضا السكليين المتساويين متساويان .

قلنا هذا مع اصطلاح آخر فى النقيضين ، وقد عرفوهما عليه بأنهما الامران المتباينان اللذان بينهما غاية الخلاف ، ولم يعرفوهما بالتمريف الاول ، وهو الامران المتماثلان اللذان لا يوجدان معاً ولا ينفكيان معاً ، بل إن وجد أحدهما اتفى الآخر ، وإذا اتفى أحدهما ثبت الآخر ، أو إثبات النقيض لها باعتبار حملها على شىء فتؤول حينئذ إلى التصديقات ، فإنسان ولا إنسان نقيضان باعتبار نسبتهم إلى شىء واحد وهو شخص خالد مثلاً . وإنما دافعنا عن قانون التناقض بحرارة وقوة لأننا نعتقد أن قانون التناقض هو ميزة النوع البشرى الذى امتاز به على سائر الحيوان ، وبه أدرك هذه المعارف الجملة ، وكانت له الخلافة فى الأرض

وحكم الحيوانات الأخرى التي هي أضخم أجساما ، وأمضى أسلحة طبيعية ، وأعظم قوى ، وهو الهادى في بيداء المجبولات والمؤدى إلى واحة المعرفة .

انظر إلى القاضى الذى يستمع إلى شهادة شاهد فيراه يثبت الشيء ونقيضه . ألا تراه يعلم بذلك كذبه لأن النقيضين لا يجتمعان ؛ وانظر إليه حين يسمع دفاع المحامى فيراه يترك نفي التهمة وينفى شيئا آخر مما يمكن أن يجتمع مع إثبات التهمة لأنهما ليسا نقيضين ألا تراه يبادر برفض الدفاع .

وانظر إلى الباحث حين يستدل من إثبات شيء على نفي نقيضه أو من نفي شيء على إثبات نقيضه ، ألا ترى ذلك مبنياً على قانون التناقض ، وهو أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان . بل إن الشكل الأول الذى يكاد يكون بديهى الإنتاج ، وهو قريب من الطبع جداً ، ذاك لأنه مبنى على قانون التناقض ، ولو لاحظ المرء حركات فكره حين يتسكّر أو يستتج لرأى قانونى التناقض كعَلَمَين فى طريق موحش يهديانه إلى الجادة ، وينكبانها كل مهلكة فهما شعاع مشرق ونور هاد ، هما من نور الله الذى هو كشكاة فيها مصباح ، المصباح فزجاجة ، الزجاجه كأنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولولم تمسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء .

ونحن نشكر الأستاذ زكى نجيب محمود إذ أتاح لنا أن تناقش أعلاما من أعلام الغرب مشهوداً لهم بالعلم والفلسفة ، فى مسألة عقلية يسهل إدراكها ، ووجه الحق فيها ، فتكون فرصة طيبة لإعادة الثقة بالعقل الشرقى فى نفوس الشرقيين ، إذ يرون أن الصواب ليس بجانب الغرب دائماً ، وأن الضعف والانحطاط ليسا ملازمين للشرق ، بل فى استطاعة الشرق أن ينزل الغربيين فى العلوم العقلية ، ويستعين بما ورثه عن آبائه الصيد الأماجد ، من علوم ومعرفة على الفوز والفلاح . وليس بقليل أن نعيد للشرقيين الثقة بعقولهم وعلومهم ، فليس أفسد للأمم وأدعى إلى فنور العلم من فقدان الثقة بالنفس ، وليس أدعى للتسامى والجد من الثقة بالنفس والإيمان بالقدرة والمقدرة . كما نشكره على أن أتاح لنا أن تناقش مسألة من المنطق أمام القراء ، فلعل ذلك يكون حافزاً لدرس هذا الفن والاشتغال به ، وهو كسب عظيم أيضاً ، لأن المنطق ميزان الفكر ومعيار العلم ، وقد أنتج اليونان هذه الثروة العظيمة فى العلم حين علموا قوانين الفكر . وكذلك العرب . وهذه الحضارة وليدة اشتغال الغرب بعلوم المنطق وبحثها ونقدها ، وإنى أرى أن نهضتنا العلمية فى بلاد الشرق تنقصها العناية بالمنطق ومعرفته على وجهه وهذا يكون بتعاون الأزهر والجامعة تعاننا عليها ؟

محمد عرف

عضو جماعة كبار العلماء

## ليس في الإسلام موسيقى دينية ولا رقص ديني

سألت زائر أجنبي أثناء زيارته للمكتبة الأزهرية وتقصى فنونها : هل عندكم بالمكتبة كتب للموسيقى الدينية ؟ ويقصد بالموسيقى الدينية الموسيقى التي تصاحب بعض الشعائر في الأديان الأخرى . فدهشت لهذا السؤال ، وكادت أنهم الزائر في تفكيره وثقافته . وعجبت أن تكون هناك موسيقى دينية إسلامية وتخفى على ، وأنا من رجال الدين الإسلامي ، وقلت له : ليس عندنا كتب من هذا النوع ، وليس هناك موسيقى دينية إسلامية كما يوجد في بعض الأديان الأخرى ، لأن الإسلام يكره أن يشغل المتعب نفسه بما يفرق قلبه ، ويشغل جوارحه عن تمام التوجه إلى الله ، والإقبال عليه ، واستحضار جلاله وعظمته . ولهذا كره للصلى أن يغمض عينه ، أو يلتفت يمينا أو يسارا ، أو يفرقع أصابعه ، أو يعبث بثوبه وبدنه ، أو يتشمم طيباً ، أو يستمع إلى موسيقى ، ونحو ذلك مما يشغل البال ، ويخل بالخشوع . وطلب إليه أن يلتفت إلى موضع سجوده يستجمع قلبه وجوارحه في مناجاة ربه . والموسيقى التي تشير إليها تناهض روح الإسلام ، وتناقض تعاليمه ، فلا يجيزها الإسلام ولا يترخص فيها أثناء الصلاة .

شغلني سؤال الزائر وأخذت أعمل الفكر وأبحث عما أوحى إليه به ، حتى عثرت عليه وبدأ لي وجه العذر فيه . فهناك بعض الطوائف الإسلامية تقوم بنوبات الذكر على توقيع الموسيقى ، بطريقة تثير دهش الفنانين وإعجابهم ، ويحرص كثير من السائحين على مشاهدتها . ومن هنا كان مبعث الظن في أن للإسلام موسيقى دينية ، وأن لها كتباً تدرس إلى جانب العلوم الدينية ليتمكن أداء العبادات على وجهها الكامل .

وقد أذكرني هذا الحادث بحادث قرأته في الصحف أثار عاصفة من استنكار الرأي العام الإسلامي ، فقد نشرت بعض الصحف الأجنبية صورة لجماعة من الراقصين كتب أسفلها تعليقاً عليها : « صورة من الرقص الديني الإسلامي » ، وكان مبعث هذه الفكرة أيضاً أن بعض الطوائف الإسلامية في القرى وفي القاهرة تقوم أثناء الذكر بحركات تشبه حركات الراقصين بل هو الرقص في صورته الدقيقة ، ويحرص غواة الرقص على مشاهدة

هذه الحفلات للثقة والترويح ، فيظن بعض من يشاهدها من أبناء الأديان الأخرى ومن جهلاء المسلمين أن هناك رقصة دينيا إسلاميا يصاحب الذكر الإسلامي ، كما أن هناك موسيقى دينية إسلامية . وهنا موضع الخطر ، إذ تلتصق بالإسلام وعباداته أعمال يبرأ منها ويغض مبتدعها ، وقد استعيرت هذه الأعمال على غفلة من هذه الطوائف وجعلت من شعائرها ، وظن في خطأ أنها بعض شعائر الإسلام .

وقد نبه العلماء إلى موضع الخطأ والخطر فيها ، ولسكنها مع ذلك ظلت قائمة ، وظل أهلها حريصين عليها متميزين بها لا ييغون عنها حولا ، وليس لنا بعد ذلك إلا أن نلجأ إلى أولى الأمر في درء ذلك الخطر . وأولو الأمر الآن من أعرف الناس بتعاليم الإسلام ومكان الخطأ فيه وأقدرهم على إصلاحه ، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

إن روح الإسلام هي البساطة في عقائده وعباداته ، وبذلك امتاز عن غيره من الأديان ، وكل ما يطلبه من المسلم أن يخلص القصد في عبادته لله ، ويحلى نفسه من كل شيء سواه ، وأن يلتزم الرسوم التي رسمها في العقائد والعبادات والمعاملات . ألا وإن أشياء كثيرة غير ما ذكرنا قد أدخلت في الإسلام على غفلة من سوء آثارها ، أو بتأويل خاطئ . فمن يظن أنه أهل للتأويل ، وقد اتخذها أعداء الإسلام ذريعة لتشويه الإسلام والزراية بأهله ، وعلى رجال الطرق الصوفية أن يتعاونوا مع العلماء في تبيان أخطارها ، وبعدها عن جوهر الإسلام الكريم ، وهؤلاء وأولئك يحفظون قول الرسول الكريم :

« من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد » .

أبو الوفا المراكشي

## مولود ربيع

من ذا الذي حملت تلك البتول ومن	قامت لمقدمه الدنيا على قدم
نور من الله سواه وصوره	خلقا وزكاه بالآداب والحكم
في ليلة لم تر الدنيا لها مثلا	فيما تقضى من الاجيال والامم

الشيخ محمد عبد المطلب

# اللَّهُ أَكْبَرُ يَا مُحَمَّدُ

طافت بأسماع الزمان بشائره      ففها له قلب الزمان وخاطره  
وتعلقت عين الحياة بداره      منة ، تناجى ليلها ونسائه  
فإذا مهاد أشرقت جنباته      وزكت بأعطار السماء ستائره  
وإذا ملائك حوله ، يتبشرو      ن به ، وجبريل الأمين يسامره  
وإذا بنار الفرس تخمد جفاته      ولسانها المشبوب يسكن ثائره ١١  
وإذا بذعر يأخذ الإيوان ، فاه      تزت به شرفاته ومقاصره ١١  
وإذا بليل الجاهلية يخفى      وتذوب في النور السنى دياجره  
وإذا بماضى الكون يستر وجهه      خجلا ليحتل الصدارة حاضره  
وإذا يبعث دافق يفساب في      بادى الوجود فتستقيه حواضره  
وإذا لسان الدهر يسأل حائراً      هذا السنأ الاخاذ : أين منائره ؟  
وإذا مجيب في السماء ، محمد ،      هو وحده وحى السنأ ومصادره

\* \* \*

الله أكبر يا محمد أنت أج      فأن الهدى وفؤاده ومشاعره  
والمجد أنت ، فنك أول بدنه      وإليك يرجع يا محمد آخره  
وإذا تضرع فى الورى حسب وطأ      ب ، فنك وحدك طيبه ومجاره

\* \* \*

أما البيان : فأنت ناظم عقده      وإليك يفسب دره وجواهره  
لك من جوامعه ومن آياته      ما أعوزت أشباهه ونظائره  
ولك البدائع تفتن الفصحى ويحسد      فنها السحر البديع وساحره  
يكفيك أن ، الجذع ، حن حنيته      لما استبان إليه أنك هاجره

ما لاذ مسكين بجودك مرة إلا وقد غمرت منك غوامره  
وكأنتى بالجود ود لو أنه مسكين كُثِّفك بالعطاء تبادره

\* \* \*

أما عن الخلق العظيم : فأنت من بستانه ، أعطاره وأزاهره  
تكفيك فيه شهادة القرآن أنه لك صاحب الخلق العظيم وناسره

\* \* \*

أما الشجاعة : فهي طبعك خالطت دمك الزكي خيث سار تسيره  
يكفيك أنك أنت ذو العزم الذى بتر السيوف المشرفية بازره  
ما كنت تعباً بالخطوب ، ولا تخا ف الموت تلعب بالرقاب أظافره  
ولكم لقيت الموقف الصعب الخطير ببسمة : فهيبتك مخاطره

\* \* \*

مولاي : مولدك المبارك مولد بهرت عيون السكائنات مناظره  
هو مولد العدل الذى قد أعوزت أفق الوجود الجاهلى مظاهره  
هو مولد الحرية انبثقت : فمزّز بها الأسير ، وهان منها أسرته  
هو مولد الإنسان تسمو نفسه الدّنيا ، وتصفو روحه وسرائره  
هو مولد الإسلام : تهدى للعلو والخير والخلق الرفيع شعائره  
هو مولد بعث الضمائر حيّة فى عالم لم تحي قبل ضمائره  
هو مولد لا تفتى أجماده أو تنقض آثاره ومآثره  
صلى عليك الله ما طلع الصبا ح ، وما صفا أفق وغرد طائره

ابراهيم على بربوى

من علماء الأزهر

# المِلاديسُ الأجنبيَّة

## لمناسبة ما ذكر عنصراً في لجنة الدستور

نشرت لي مجلة الأزهر في عددها الثامن للسنة الماضية بتاريخ رجب سنة ١٣٧٢ هـ مقالة بعنوان : « الغزو العسكري للبلاد الإسلامية بعد فشل الغزو العسكري الصليبي ، وقد أوردت في تلك المقالة الوثائق التي تدل على أن الهدف المقصود من إنشاء المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين والعرب ، إنما هو التبشير الديني المسيحي ، ومحاربة العقيدة الإسلامية بالسعي لتنصير المسلمين ، وتوطيد دعائم الاستعمار الأجنبي ، وخدمة أغراضه ومطامعه ، في بلاد الشرق العربي والإسلامي . وحذرت ولادة أمور المسلمين من ذلك الغزو الثقافي الأجنبي ، وأكدت أنه لا يقل خطراً عن الغزو العسكري ، وطالبت بمقاومته بكل الوسائل الممكنة .

وقد دعاني للعودة إلى الكتابة في هذا الموضوع أني اطلعت أخيراً على مقال نشرته مجلة روز اليوسف في عددها ١٣٢٤ الصادر في ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٣ بعنوان : « الدفاع عن الكنيسة القبطية » ، قالت المجلة فيه مانصه : « أثار الدكتور طه حسين عند مناقشة نظم التعليم في لجنة الحريات والحقوق العامة بلجنة الدستور ، مسألة المدارس الأجنبية ونظمها ، وذكر أن هدفها الأول هو التبشير الديني ، حتى خلقت من الاقباط المصريين ثلاث طوائف هي : الكاثوليكية والبروتستنتية والارثوذكسية ، وقال إنه في الوقت الذي تتجه فيه التربية القومية إلى محو كل ما يتصل بالتعصب الديني نرى أن هذه المدارس « الأجنبية » تثير التفرقة بين أبناء الدين الواحد ، وقال الدكتور طه في كلامه : إن الهدف المقصود من التبشير الأميركي والانجليزى والفرنسى هو هدم الكنيسة القبطية ، مع أن هذه الكنيسة جزء هام من تراث الدولة يجب المحافظة عليه .

ولما لنشكر للدكتور طه حسين دفاعه عن مواطنينا الأقباط ، ومطالبته بحمايتهم ، وحماية كنيستهم من خطر التفرقة التي تثيرها بينهم المدارس الأجنبية ، حرصاً على الوحدة القومية بين المصريين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم .



وكم يسرنا لو أن الدكتور طه حسين وهو وزير سابق للمعارف المصرية، عرف حقيقة مقاصد المدارس الأجنبية، وأغراضها التبشيرية والاستعمارية الخطيرة، قد عنى إلى جانب دفاعه عن الكنيسة القبطية بالدفاع أيضا عن قومه المسلمين الذين هم أكثرية شعب مصر، وليت الدكتور طه ذكر لنا كم طائفه خلقت المدارس الأجنبية من مسلمى مصر وغيرها من بلاد الشرق، وكم خلقت فيهم من ملحدن وإنجليز وفرنسيين وأمريكيين وصهيونيين طبعهم المعلمون الأجانب بالطابع الغربى وأبعدوهم عن كل ما هو شرقى، وجردوهم من أخلاقهم وفضائلهم وتقاليدهم الإسلامية والعربية الحميدة، وأوجدوا بينهم فريقا عاقا مذبذبا كان وما زال حربا على أمته ووطنه، عونا للعدو المحتل منفذا لسياسته وخططه. وفات الدكتور طه أن يذكر للجنة الدستور أن الهدف الأول للمدارس الأجنبية العمل على هدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجعل أوطانه وأقطاره فريسة للاستعمار الأجنبى، وما ذكره الدكتور طه حسين من خطر المدارس الأجنبية على نصارى مصر وتفرقتهم قد سبق أن شعر بمثله نفر من أحرار نصارى لبنان وأدبائهم.

وفى عام ١٩٤٧ نشر الأديب اللبناني الشاعر رشيد سليم الخورى كلمة شديدة فى مجلة العصبة الاندلسية أعرب فيها عن ألمه للضرر الذى أصاب مواطنيه المسيحيين فى لبنان من الإرساليات التبشيرية عامة والبروتستانتية خاصة فقال : أما من الناحية الدينية فإن لإقامتى الدليل على عدم نزاهتهم لا تقتضى أن أكون بارعا فى الجدل أو عالما بالتاريخ . إن طوائفنا العديدة قد زيدت بفضل تعرفنا على الرسالة الأمريكية طائفة جديدة اسمها الطائفة الإنجيلية البروتستانتية ، وكم أنفق رجالها لسكى يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه كأننا أشد افتقاراً إلى فضائل المسيحية من الأمريكيين أنفسهم ،

وجدير بالذكر هنا أن المبشرين لم يخفوا مقاصدهم وأغراضهم فهم يعلمون على رءوس الأشهاد أنهم إنما يريدون من مدارسهم وكنياتهم وجامعاتهم فى بلاد المسلمين محاربة الإسلام والسعى لإخراج المسلمين من دينهم ، فهذا المستر بزوز الرئيس الحالى للجامعة الأمريكية فى بيروت يقول فى كلمة له ما نصه : إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا فى هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات ، إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة ،

ثم يقول مستر بزوز ، ولقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتبشير سوريا ولبنان (١) .

وفي رأى المبشرين أن تؤسس الكليات في المراكز الإسلامية ، ولذلك لم يكتبوا في بيروت ، بل أرادوا أن يكون ثمت كلية في القاهرة نفسها إلى جانب الجامع الأزهر (٢) وهكذا أصبح للمبشرين الأمريكيين الكلية الأميركية في القاهرة بعد كلية روبرت في استانبول . وإنا نرجو أن تسفر أبحاث لجنة الحريات والحقوق العامة بلجنة الدستور عن إعداد قانون بتوحيد نظم التعليم العصري في جميع البلاد المصرية ينص على منع فتح مدارس أجنبية جديدة ، ووجوب تعليم الدين في جميع مراحل التعليم ، وإلزام المدارس الأجنبية بذلك ، وإنشاء مساجد في كل المدارس المصرية والأجنبية ، ليؤدي فيها الطلبة والطالبات من المسلمين صلواتهم وشعائهم الدينية في أوقاتها .

ويفغى أن ينص في القانون بصراحة على جميع الضمانات التي تمنع كيد المبشرين ومفاسد مدارسهم الأجنبية ، وتكفل للشعب المصري وحدته القومية ، وتوصون دينه وعقائده وفضائله من العبث ، ويقرر منع المدارس الأجنبية من التبشير الديني ، ومن تدريس كل كتاب أو بحث يخالف الروح الدينية والوطنية والنظام العام .

وقد تفهمت حكومة الجمهورية السورية إلى خطر المدارس الأجنبية وما تسببه في بلادها من مشا كل وتفرقة فعالجت ذلك علاجا حاسما ، فقررت بالمرسوم التشريعي الصادر في ١٧ / ٣ / ١٩٥٢ نظام المدارس الخاصة ، وهو يتألف من ٥٧ مادة نصت المادة الثانية منه على أنه لا يسمح مطلقاً بتأسيس مدارس خاصة أجنبية في الجمهورية السورية ، أما المدارس الأجنبية القائمة فتطبق عليها الأحكام الانتقالية الواردة في هذا المرسوم التشريعي . ونصت المادة الثالثة على أنه يجب أن يهدف التعليم في جميع المدارس الخاصة إلى ما يهدف اليه التعليم الرسمي وفقاً لما تنص عليه قوانين المعارف وأنظمتها ، ونصت المادة السابعة منه على أنه يحظر على جميع المدارس الخاصة أن تقوم بتدريس أو تلقين ما من شأنه أن يؤدي إلى فساد الأخلاق أو إضعاف الروح الوطنية ، أو التفرقة الطائفية ، والشقاق بين المواطنين أو مس كرامة الشعب السوري والأمة العربية .

(١) كتاب التبشير والاستعمار - المطبعة العلمية - بيروت ١٩٥٣ ص ٤١

(٢) Milligan 124 f. من كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٧٧

ونصت المادة الثامنة على أنه لا يسمح مطلقا بفتح مدارس خاصة لغايات تبشيرية .  
وجاء في المادة ١٣ أن لوزارة المعارف أن تمنع تدريس كل كتاب في المدارس الخاصة  
يخالف الروح الوطنية أو النظام العام أو ينافي الآداب أو يمس أحد الأديان .

وفي المادة ١٥ أنه لا يجوز للدرسة الخاصة أن تسمح لطلابها بحضور دروس وطقوس  
دين غير دينهم ، ولا أن يحملوا أو يستعملوا شارات تنافي عقائدهم ، ونصت المادة ١٩ منه  
على أنه لا يجوز للدارس الخاصة قبول إعانات نقدية أو عينية من مصدر أجنبي أو دولي  
إلا بموافقة خطية من وزارة المعارف . ونصت المادة ٢٠ على أن كل مدرسة أجنبية لا تطبق  
القانون المذكور تعتبر ملغاة .

هذه خلاصة موجزة للنظام السوري الذي تخضع المدارس الأجنبية في سوريا لنصوصه  
وأحكامه ، وإلا فهي عرضة للغلق والمنع . وإن بإمكان لجنة الدستور أن تستأنس بذلك  
القانون لتنسج على منواله ما يلائم حاجة مصر ويتفق مع مصلحتها العامة وسيادتها .

ولم يأت على فقه بأن قادة الثورة المصرية يعلمون الكثير عن ضرر المدارس الأجنبية  
وخطرها وما تقوم به من التبشير والتضليل ، وخدمة المطامع الاستعمارية تحت ستار الدين ،  
وأن ما تعانيه قضية السودان من كيد بعثات التبشير وما تبثه بين إخواننا السودانيين  
من عوامل التفرقة والفساد في سبيل توطيد الاحتلال الإنجليزي ، والتسكين له لما يحفز  
على العمل السريع لاستئصال هذا الشر الأجنبي من جذوره ومعالجة الموضوع من أساسه ،  
ولعل فيما عملته سوريا الشقيقة في هذا الشأن ما يدعو للبادرة إلى سن قانون يمنع فتح  
مدارس أجنبية جديدة وتوحيد نظم التعليم العصري في البلاد المصرية جميعها وجعل الدين  
والتربية الدينية مادة أساسية فيه ، وإلزام المدارس الأجنبية بتطبيقه وتنفيذ ذلك بالحزم ،  
ولإغلاق كل مدرسة أجنبية تخرج على ذلك النظام ، حرصا على دين الأمة وكيانها ووحدتها  
القومية . وإنهم لعاملون إن شاء الله . وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .  
والله الموفق ، ومنه العون .

محمد صبرى عابدين

من علماء الأزهر الشريف

# الملاح النبوية

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله

هذه هي الكلمات الأولى في العقيدة الإسلامية ، وفيها يقرن اسم محمد بن عبد الله باسم الله العلي العظيم ، خالق الأرض والسماوات - والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يكررون هذه الشهادة في الصلوات الخمس ، وفي غير الصلوات الخمس ، فهي كلمة تقال في اليوم الواحد مئات الملايين ، وكفى بذلك غزراً وامتداداً .

ولكن الشعراء وقد ملأت نفوسهم محبة الرسول ، واخناط الإيمان بدمائهم ، أرادوا أن ينالوا شرف المثل بيباه ، والقلوب إذا امتلأت فاضت على الألسنة ، والصدور إذا غلبها الشوق ألقته على الصحائف ، وقد علم الشعراء أن نبيهم ﷺ ليس كغيره من أعيان الرجال ، وكبار الساسة ، وعظماء المصلحين ، أو أئمة الذين يرفع المديح من أقدارهم ، ويعلى من مكانتهم ، بل هو أعلى في الشرف مكاناً ؛ فقد رفع الله ذكره ، وفضله على العالمين ، فساه حاجة إلى شعر الشعراء ، ونثر الكاتبتين ، علواً ذلك ، ولكنهم أرادوا أن يتمسحوا بالاعتاب وأن يقفوا بالباب ، وأن يرجوا حسن الثواب ، كما قال أمير الشعراء :-

لزمت باب أمير الانبياء ومن يمسك بفتحاح باب الله يغتنم

علقت من مدحه حبلاً أعز به في يوم لا عز بالانساب والشحم

مدح الله رسوله الكريم بقوله : ( وإنك لعل خلق عظيم ) ، وامتن عليه بما من فقال ( وكان فضل الله عليك عظيماً ) ، فهاذا يصنع الشعراء ، وأي سبب يتعلقون به حتى يصلوا أو يقاربوا .

غاية المدح في علاك ابتداء ليت شعري ، ما يصنع الشعراء

لأنهم أحسوا أنهم كالنافلة ، بينها وبين الفرض بون بعيد ، وعرفوا مكانهم الحق ، فقال عمر بن الفارض :

أرى كل مدح في النبي مقصراً وإن بالغ المثنى عليه وأكثر

إذا الله أتى بالذي هو أهله عليه ، فما مقدار ما يصنع الوري ؟

وقال الإمام البوصيرى :

إن من معجزاتك العجز عن وصفك ، إذ لا يحصده إحصاء  
ويعجبني جد العجب ما يقوله هذا الإمام الجليل ، وهو غاية في المدح والثناء ، والإعلان  
عن الوقوف دون الشأو :

فبلغ القول فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم  
كما يعجبني قول التقي الصالح عبد الرحيم البرعى :

صفوه بما شئت فو الله ما انطوى على مثله في الكون أم ولا أب  
والباحث يجد كثيراً من الشعر في مدح الرسول يكاد يعي الباحث ، وفي مجموعة  
واحدة ، هي مجموعة البهائي . عشرون ألف بيت ، مع أن صاحبها لم يدون كل ما قيل ،  
ولا جزءاً من عشرة أجزاء منه .

وقد كان للرسول في حياته شعراء يمدحونه ، ويمجّون خصومه ، ويدافعون بألسنتهم  
عن الدين ، وكان من أشدهم على المشركين حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وقد دعا  
الرسول لحسان فقال : اللهم أيد به روح القدس . ومن مدائح القدامى المشهورة ، مدحة  
كعب بن زهير ، ومدحة الغابغة الجعدي ، ومدحة أعشى بكر ، وكانوا يمدحون النبي ﷺ  
بحسن الخلق ، والصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، والعفو عند المقدرة ، وما أشبه  
ذلك من الصفات النفسية ، فلما كانت العصور المتأخرة توسع الشعراء في المديح ، وجعلوا  
يضيفون إلى ذلك كل ما يتصل بالسيرة النبوية ، فيذكرون معجزاته ، وإرهاصات نبوته ،  
ومولده ورضاعه ، وغزواته ، وهكذا ، وكان لإمام المداحين غير منازع ، الإمام شرف الدين  
محمد بن سعيد البوصيرى ، وهو شاعر مصرى ، مات في نهاية القرن السابع الهجرى ، وقبره  
بمدينة الإسكندرية بجوار قبر أستاذه التقي الورع أبي العباس المرسى ، وقد أكثر البوصيرى  
من مدح الرسول ، وقصيدته البردة مشهورة محفوظة ، وقد كان لها ولبقية شعره أكبر تأثير  
فيمن أتى بعده من الشعراء ، ويكفي أن البردة خمسها أكثر من تسعين شاعراً ، ومن عارضها  
محمود سامى البارودى وأحمد شوقى ، وسبب لإنشائها أن شرف الدين أصابه فالج ، فعملها  
واستشفع بها إلى الله تعالى أن يعافيه ، فرأى النبي ﷺ في المنام ، فمسح بيده السكرية على  
جنبه ، وألقى عليه بردة فقام من نومه كأنما نشط من عقال .

ولا شك أن البوصيرى أحدث تحولا في الشعر العربي بمدائحه في الرسول ، فقد اقتدى به كثير من العلماء والشعراء . يقول شوقي :

المادحون وأرباب الهوى تبع لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم  
مديحه فيك حب خالص وهوى وصادق الحب يملئ صادق السكلم  
والرجل يمتاز حقاً بالإخلاص ، وفيه روحانية قلما نجد لها في شعر غيره من الشعراء ،  
نعم يهز النفس أمثال ابن الفارض ، والبرعي ، والشهاب محمود ، ولكن البوصيرى في هذا  
المعنى إمام الركب .

وقد يسأل متسائل : ما بال كبار الشعراء أمثال المتنبي والبحتري وأبي تمام لم يقولوا  
في مدح الرسول ؟ وقد أجاب بعض الكتّابين عن ذلك بأن مدح الرسول من جملة الطاعات ،  
وهؤلاء لم يوفقوا لهذه الطاعة . كما أن كثيراً من الأغنياء لا يحجون ولا يزكون ،  
ولا يتصدقون ، ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أن أغراض الشعر العربي لم تكتمل كلها  
دفعة واحدة بل ظلت تتمر وتدرج ، فيخفيف كل عصر إليها غرضاً أو أكثر ، فشعر  
السياسة — مثلاً — نشأ في العصر الأموي ، وشعر الوعظ والزهد نشأ في العصر العباسي ،  
وشعر المدائح جاء في العصر المملوكي ... وهكذا .

ولم يكن مدح الرسول أو آل بيته غرضاً مستقلاً في الشعر كما كان ذلك في العصر  
المملوكي ، ومهما يكن من شيء فقد أفاض المتأخرون في مدح الرسول ، وبعضهم نظم في هذا  
الغرض دواوين بأكملها ، ونجد هذا الانحياز الطيب في شعراء السودان الذين عاشوا في أول  
هذا القرن . فما مهم إلا من مدح الرسول ، وبعضهم له ديوان كامل في المديح ، وبعض  
هذه الدواوين باللغة العامية وما زال ديون ( أبي شريعة ) منها يردده كل من أراد المديح  
من أصحاب هذه الصنعة الراجحة في السودان .

وشعراء المديح وإن لم يكوّتوا كلهم من الشعراء المبرزين ، فقد أغناهم سمو الغرض ،  
وذاات الممدوح عن بلوغ الذروة في البلاغة ، والنفس المؤمنة تجد في هذا الشعر غذاءها  
الروحي ، وإن لم تجد فيه البلاغة العالية ، والأللوب الرصين .

وشعراء المديح منذ عهد كعب بن زهير يتخذون الغزل مفتاحاً لمدايحهم ، وهذه عادة  
عربية قديمة ، يبتدئون أكثر قصائدهم بالغزل ، وقد هجرت هذه العادة في بعض العصور ،

عند بعض الشعراء ، ولكنها بقيت ملازمة المدائح النبوية ، ولذلك قل أن تجد مدحة — لا سيما المطولات — ابتدئت بغير الغزل . وغزل أمير الشعراء في نهج البردة ، وغزل البوصيري في برده . معروفان مشهوران ، ولكن غزل شعراء المدح أكثره مهذب مؤدب ، وقد رسم ابن حجة الحموي صورة لهذا الغزل فقال : « وهنا فائدة ، وهو أن الغزل الذي يصدر بالمدح النبوي يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضام ، ويتشبه مطربا يذكر سلع ورامة وسفح العقيق ، والعذيب والغوير ولعلع ، واكتاف حاجر . » وقد كفانا ابن حجة مثونة القول في غزل المداحين ، ونسوق مثالا من غزلهم ، يقول الشهاب محمود الحلبي المتوفى سنة ٧٧٥ هـ .

رأى الركائب تحدى فأنثى كلفا      صب بكي أسفا ، والبين قد أزا  
مغرى بحب الحى تهفو جوانحه      إن يرقه لاح أو قسريه هتفا  
يكاد يقضى عليه فرط لوعته      إذا تذكر عهداً بالحي سلفا

ومن غزل أمير الشعراء في نهج البردة :

لما رنا حدثنى النفس قائلة      يسا ويح قلبك بالسهم المصيب رى  
جحدتها وكتمت الحب فى كبدى      جرح الاحبة عندى غير ذى ألم  
يا لائى فى الهوى العذرى معذرة      لو شئتك الوجد لم تعذل ولم تلم  
يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبدا      أسهرت مضناك فى حفظ الهوى فم

وربما ابتدأوا بغير الغزل كما فى مدحة للبوصيري :

أمدائح لى فيك أم تسبيح      لولاك ما غفر الذنوب مديح  
نبئت أن مدائحي فى المصطفى      كفارة لى ، والحديث صحيح  
أربح بمن أهدى إليه ثنائه      إن الكريم لربح لربح مروح

والمدائح النبوية ديوان كامل للسيرة المحمدية ، فلم يترك الشعراء صغيرة ولا كبيرة إلا ذكروها ، مرة بإسهاب ، وأخرى باختصار ، كما نجد فيها ذكر الأماكن الحجازية ، والتشويق إلى زيارة بيت الله ، والحنين إلى مشاهدة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها ذكر الصحابة ، ومحاسن الشريعة ، ومقارنتها بالديانات الأخرى . وتسكاد تكون المدائح أكثر الأشعار اشتمالا على الحكم والمواعظ ، وهى مواعظ مؤثرة غاية التأثير ، فإنها تواجه

النفس وهى فى جو صفاء روحانى ، فتمكن منها ، وتدفعا إلى الطاعات ، وكثيرا ما يتخذ المدايح من معاتبة نفسه ومحاسبتها عظة للآخرين يقول البرعى :

متى يستقيم الظل والعود أعوج وهل ذهب صرف يساريه مرج  
هى النفس والدنيا وإبليس والهوى بطاعتهم عن طاعة الله أزعج  
أريد مقام الصالحين وليس لى كنهجهم فى الدين دين ومنهج  
إذا حضر الإخوان للذكر والبكى حضرت كأنى لاعب متفرج

وللولد النبوى مكان ملحوظ فى أشعار المديح ، فهو أول ما يبتدئون به بعد الغزل ، ثم يذكرون رضاعه ﷺ ، وما ظهر فيه من بينات ، فهذه المرضعات تفدن إلى مكة ، تطلب كل واحدة منهن طفلا ترضعه لتنال من ورائه خيرا ، وقد أبت المرضعات أن يأخذن هذا الطفل لأنه يتيم ، وماذا تجد امرأة فقيرة من طفل يتيم ، ثم يدفع سادات مكة أطفالهم إلى مرضعات البادية ، ولكن واحدا منهم لم يقبل أن يدفع طفله حليلة السعدية لأنها امرأة فقيرة لا يجد الطفل فى بيتها غناء ، فترضى حليلة باليتيم ، لا امر يريده الله ، وتأخذ فتأخذ معها اليمين والبركة والسعادة ، فيخصب عيشها ، ويجرى اللبن فى ضرع شاتها العجفاء ، ويفيض الله عليها النعمة ، وتقال شهرة الأبد .

وبدت فى رضاعه معجزات	ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبت له ليمنه مرضعات	قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأنته من آل سعد فتاة	قد أبتا لفقرها الرضعا
أرضعته لبانها فسقنها	وبذها ألبانهن الشاء
أخصب العيش عندها بعد محل	إذ غدا للبنى منها غداء
وإذا سخر الإله أناسا	لسعيد فإنهم سعداء

وقد أكثروا فى هذه المدايح من الحنين إلى الحجاز ، وإظهار الرغبة فى زيارة الرسول ، وأشهر من عرف بذلك عبد الرحيم البرعى ، والشهاب محمود ، ولهم فى هذه المعانى قصائد تسهتف الدموع من العيون .

ونسأل والدار تدنو بنا	عن القرب فى كل يوم مرارا
وما ذاك أنا سئما العرى	ولكن دنونا فزدنا انتظارا

على محمد صه العمارى  
من علماء الأزهر



في ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ :

## شخصية الاسلام والمسلمين

قال رسول الله ﷺ : اتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ، ولو أن أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتم ، وورد في رواية السؤال عن من كان قبلكم : اليهود والنصارى ؟ قال ﷺ : فن إذا ؟ .

قال العزبي في شرح هذا الحديث : هذا الخبر معناه النهي عن اتباعهم فيما نهى الله تعالى عنه صراحة أو ضمناً ، والمقصود أن هذه الامة تتشبه بأهل الكتاب في كل ما يفعلونه حتى لو فعلوا هذا الذي يخشى منه الضرر اليين لا تبعوهم . و تتمه مراد الحديث : فإذا فعلتم ذلك فعليكم بالتوبة ، فهي الملجأ . وقد ورد : لو أخطأتم حتى تباغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم .

وبعد - فكثير من مسلمي اليوم يعيشون على التقليد والاتباع لمن كان قبلهم كما ورد في الحديث ، وهو من أعلام النبوة : يعيشون على ذلك التقليد الأعمى الأصم الاغلف في الامور التي لا تؤدي إلا إلى فساد وضلال ، يحيون على الاتباع لجماعات من الناس كل ما يقال فيهم أنهم بشر ...

لا تكاد ترى لأكثر الناس وضعاً من الأوضاع ، أو نظاماً من النظم ، أو طريقاً في العلم والمعرفة ، أو أسلوباً في الحياة والعيش ، أو سبلاً في اختيار الطعام واللباس ، أو مناهج في التفكير والقول وغير ذلك ، لا تكاد ترى لهم شيئاً مما ذكرنا إلا وهي نتيجة التقليد الأعمى والاتباع الاغلف الذي أشير إليه في الحديث النبوي .

ولإليك أيها الاخ القارئ نموذجين موجزين تقيس عليهما الكثير :

١ — ينظر هؤلاء إلى دينهم كما ينظر إليه أولئك ، على أنه رابطة بين الله والقلب ، وعلاقة بين الروح والخالق ، وعبادة تقف عند باب البيعة (مثلاً) ولا تتجاوزها إلى الشارع والمعمل والمدرسة والحياة ، مع أن طبيعة الإسلام تختلف عن طبيعة غيره ، ووظيفته تختلف عن وظيفة الدعوات الأخرى ، فبينما غير الإسلام تنحصر رسالته في العقيدة والعبادة وبعض نواحي الاخلاق ، أتى الإسلام ليشرع حياة جديدة في المسجد والشارع والبيت والمعمل

والمدرسة والحياة ، حياة جديدة تستوحى الرشد والنجاح من الله تعالى في كل مسألة وحالة ، حياة جديدة لا تعترف ببطيخة كعلماء روجيين ورجال دين فقط ، لأن قوام الإسلام الروح والمادة ، والدنيا والدين ، وأفراده جميعاً مطالبون بأن يكونوا علماء بفروضه وأركانه لقول الرسول ﷺ : **طلب العلم فريضة على كل مسلم** ، ، وإن كان لا مناص من التفاوت بين أفراده في زيادة الإمام بالاصول والفروع أو الاجتهاد والتقليد مثلاً .

ينظر هؤلاء إلى دينهم كما ينظر إليه أولئك ، دون أن يكلفوا أنفسهم البحث عن حقيقة الإسلام ووظيفته ، ويؤلفون ( مثلاً ) قوانين لتسيير مصالح المسلمين ، ويشرعون نظماً في العقوبات والعقود ويرونها - وهي من صنع من - بتمهم - خيراً لا متهم من حكم الله جل وعلا ويعرضون جهلاً واستهتاراً عن وعيد الله تعالى فيمن يترك الحكم بشرعه ، ليطلب العدل في سواء . قال الله تعالى ( فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ) . وقال : ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ) .

٢ — ينظر هؤلاء إلى دينهم كما ينظر إليها أولئك ، فالعلم ( مثلاً ) يطلبونه لما يطلبه أولئك له ، لا ديناً يربى النفس ويؤدب القالب ويفسر الرخاء ويزيد الحب والتعاون الأدبي بين الناس ، ولأنهم يتعلمونه لا ليرفوا به الجمال عن أنفسهم ، ولا ليرفوا طريق الله ، وغاية العيش ، مع أن من تحقير العلم والتصغير من شأنه قلب طبيعته باستخدامه والتقصير في خدمته ومن إضاعة العلم العمل به في غير ما أمر الله تعالى ، ولكن هؤلاء أيضاً يصنعون هذا ... تقليداً واتباعاً لمن كان قباهم .

وأسلوب الحياة والعيش قد جاروهم فيه وماشوم عليه ، فجعلوا من الحياة الدنيا غاية والمعيشة المادية هدفاً ، رعوا فيها ورتعوا ، نسوا كغيرهم من سبقهم وظيفتهم في هذه الدنيا وهدفهم من هاته المعيشة ، فمكثوا حتى يعيشون ليأكلوا ولا يأكلون ليعيشوا . نسوا أن هذه الحياة الدنيا هو واجب وغرور وسراب وتمويه وخداع ، وأن الآخرة بالعمل الصالح لى الحيوان فوجها وهم إلى هذه الحياة المادية واطمأنوا إليها ، ركنوا إلى باطلها ونسوا يوماً هو آت لا بد منه ( يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ) ولا بد لأجل ذلك اليوم من إيمان وطاعة وعبادة وخلق وبر وإحسان وحب وإيثار .

ويتجاهل هؤلاء أيضاً أن الله تعالى قد جعل للإسلام والمسلمين شخصية وعلامة تميزهم عن غير أهل ملتهم ، وحدد للإسلام ذاتيته ومقوماته حتى لا يشقبه بدعوة أخرى .

ومن مظاهر ذلك أن الصلاة في الإسلام قد شرعت غير مشابهة لعبادة في دعوة ما لجعلها الله شاملة لعمل الروح والجسد . وأعد لها ، أنشودة سماوية — في الأذان — ولحناً قديماً تتجاوب به الآفاق ، الله أكبر الله أكبر ، وجعلها غير مقبولة إلا بالاتجاه فيها إلى عين الكعبة المشرفة أو جهتها دون المسجد الأقصى أو غيره ، وشرط لها شروطاً من طهارة الجسد والنية وستر العورة ، مما لا يجتمع في عبادة لدعوة ما ، ومثل الصلاة غيرها من العبادات والطاعات ، تتألف منها جميعاً شخصية مستقلة للإسلام لا تشبهها أو ترقى إليها دعوة أخرى . واعتبر المسلمين هيئة خاصة لها شخصيتها ، يجب على أفرادها أن يحققوها في أنفسهم إذا أرادوا السكال لإسلامهم .

فهذا رسول الله ﷺ ينهى عن التشبه بغيرهم فيما نهى الله تعالى عنه صراحة أو ضمناً فيقول : من تشبه بقوم فهو منهم ، رواه أبو داود وصححه ابن حبان . ويقول : ليس منا من تشبه بغيرنا . وتفصيل ذلك قد ألف فيه أئمة الإسلام الكتب ومنها كتاب ( اقتضاء الصراط المستقيم ) للإمام ابن تيمية .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين يوجه قائداً إلى ميادين الجهاد والفتح يأمره بجعل لباس المسلمين مخالفاً للباس أهل البلاد حتى لا يشقبه بالمسلم غيره ، وحين يرى رضى الله عنه امرأة مجوسية قد تسرت كملبات زمانه يزيح عنها الستر ويقول لها : أنتشبهين بالحرائر يا لكاع !

وحين يكون للإسلام في أهله سلطان على قلوب أتباعه ، نرى العلماء الصادقين يحرمون على المسلمين لبس ما هو خاص بغيرهم مستوحين ذلك من روح الإسلام وشخصيته المستقلة لاذيرون — كما يرى الأغيار أيضاً — أن هذا التقليد مدرجة الاتباع ، وقد يؤدي ذلك إلى الرضا بدين الغير وعقده فسكون الكفر بعد الإيمان وخسران الدنيا والآخرة !

هذا الإمام الشافعى رحمه الله تعالى حين يقرأ على الناس حديثاً ويسأله أحد المستمعين : هل يعمل هو بهذا الحديث فيقول له الإمام الشافعى : « رأيتني نصرانيا ، رأيت على وسطى زناراً ، رأيتني خارجاً من الكنيسة ؟ » ، وهؤلاء بقية الأئمة الأربعة وغيرهم يرون تشبه المسلمين بغيرهم فيما هو خاص بهم محرماً ، إلا على مضطر وصاحب عذر .

وهذا القاضى البضاوى يقول فى تفسير قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » . يقول « ولما عد لبس الغيار ( وهو شأن أهل الذمة يومئذ ) وشد الزنار كفراً لأنها تدل على التكذيب ، فإن من صدق الرسول لا يجترئ عليها ، لا لأنها كفر بنفسها ، بل استعمالها فى ظاهر الشريعة كذلك » .

وهذا الكتاب الأوربى الذى أسلم منذ سنوات قليلة « محمد أسد الله ، يقول فى كتابه ( الإسلام على مفرق الطرق ) عند بحث التقليد :

« إذا حاكى المسلم أوربة فى لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه ينكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوربية مهما كانت دعواه التى يعلنها ، ولأنه من المستحيل عملياً أن تقلد مدنية أجنبية فى مقاصدها العقلية والبديعية من غير إعجاب بروحها ، ولأنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الدينى وتبقى مع ذلك مسلماً صحيحاً » .

والآن ليستعرض القارئ الكريم الإسلام فى عقيدة أولئك الناس وعلمهم ، ما نصيب الإسلام عندهم فى شخصيته واستقلاله عن غيره ؟ وما نصيبهم هم من شخصية الملة الإسلامية وذاتيتها ؟ إن من يستعرض ذلك فسيرى عجباً عجيباً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . اللهم إنا نسألك فى يوم مولد رسولك محمد صلى الله عليه وسلم أن تهب لنا من العزم والقوة ما نبرز به شخصية الإسلام والمسلمين مرة أخرى صريحة قوية صادقة أمام الناس جميعاً ، وأن ندع هذا التقليد الضار الذى شوه لإسلامك ويكاد يذلنا جميعاً ويجعلنا عبيداً للناس لا لك يا الله !

نسألك فى يوم مولد رسولك عليه صلواتك وبركاتك ، أن تمد لنا عزتنا وعظمتنا وشخصيتنا ، فنعمل ونجاهد لنكون مرة أخرى قدرة صالحة للناس ، لا مقتدين بأشباه الناس ومرشدين للحق لا مسترشدين بالهوى ، ونوراً للعالم يبدد الظلمات لا قطيعاً يقبع عبيد الشهوات ، اللهم إنك أردت لنا أن نكون « خير أمة أخرجت للناس » نأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، فيسر لنا اللهم ذلك لنا ، حتى نكون كما أردت لنا أن نكون . اللهم قد سألناك فى يوم مولد رسولك فاستجب لنا يا أرحم الراحمين .

وهي سلامه الألباني

مجاز فى القضاء من الأزهر الشريف

# الكتاب

## مختصر التحفة الاثني عشرية

للسيد محمود شكري الألوسي ، ٣٥٠ ص قالبين ، المطبعة السلفية بمصر

أصل هذا الكتاب النفيس من تأليف شاه عبد العزيز الدهلوي ( ١١٥٩ - ١٢٣٩ ) ابن مؤلف ( حجة الله البالغة ) الامام المجدد شاه ولي الله الدهلوي ( ١١١٤ - ١١٧٦ ) وهو أكبر أبناءه ووارث علمه ويكاد يكون أعلم مسلمي عصره بمذاهب الشيعة وأغراضهم ، وأكثرهم إحاطة بنصوصهم ومعرفة برجالهم . وقد قام بتأليف هذا الكتاب عند ما استفحل طغيان هذه الدعوة في الهند ، فاضطر إلى تأليفه دفاعاً عن رسالة الإسلام ، ولإثباتاً للحقيقة الجليلة وهي أن أهل السنة هم محبو آل البيت ، وأن آل البيت هم حملة السنة كما يعرفها أهل السنة ، وأن علياً كان أخاً حبيباً لآبي بكر وعمر ، وأنه طالما شكك شيعته وتبرأ منهم ، وكذلك كان موقف بنيه وسائر الأئمة الاثني عشر . ولأنما سماه التحفة الاثني عشرية لأنه ألفه في سنة ١٢٠٠ ، وكان قد جعله في ١٢ باباً ، ولأنه دافع فيه عن الأئمة الاثني عشر وبين أنهم في صف أهل السنة . وأن أهل السنة هم الذين يحبونهم ويكرمونهم .

وكان تأليف أصل هذا الكتاب باللغة الفارسية في أكثر من ألف صفحة ، والتمزم مؤلفه ألا ينظر الشيعة وقيم عليهم الحجج إلا من كتبهم وبنصوصهم والقضايا المسلمة عندهم ، ولذلك انتشر كتابه في البلاد يومئذ وتناقلت الأقلام نسخه المخطوطة . وبعد ربع قرن شعر أفاضل مسلمي الهند بالحاجة إلى نقله للعربية ، وأول من اقترح ذلك الحافظ محمد حيدر من كبار رجال طريقة المجدد الهرندي ، فكاشف في ذلك الامير محمد عبد الغفار خان بهادر ثابت جنك ابن محمد علي خان واختاروا لترجمته عالماً جمع بين التضلع بمعرفة مذاهب الشيعة والاطلاع على كتبهم وبين التمكن من اللغة الفارسية ، إلا أنه غير بليغ في العربية وهو معذور في ذلك ، وهذا المترجم هو الحافظ غلام محمد بن يحيى الدين بن عمر الاسلمى ، فقام بما طلب منه أحسن قيام ، وانتهى من ترجمة التحفة الاثني عشرية في شهر شعبان سنة ١٢٢٧ بمدينة مدراس بالهند . وفي سنة ١٣٠٠ تجدد الطغيان مرة أخرى فشعر مسلمو العراق بالحاجة إلى كتاب التحفة الاثني عشرية ، لكنهم وجدوه مطولاً وفي ترجمته للعربية

ضعف ، فطلبوا من عالم بغداد وإمامها السيد محمود شكري الألوسي أن يختصره ويهذهبه ويخرج منه كتابا ينفع الناس ويضع حداً للدغالات والبغى على خير من أنجبتهم الانسانية وهم أصحاب محمد ﷺ ونابعوهم والتابعون لهم باحسان ، وليقضى على الخرافة السخيفة ، وهي أن عليا خصم لإخوانه وأن لإخوانه خصوم له ، وأن آل البيت في غير الصف الذي فيه أهل سنة جدهم صلوات الله عليه ، فقام السيد محمود شكري الألوسي بهذه المهمة والله الحمد ، وكان من نتيجة عمله الصالح ظهور هذا المختصر النفيس لكتاب التحفة الاثني عشرية .

وفي سنة ١٣١٥ قامت لإحدى مطابع بومباي الهند بطبعه على الحجر ، ولكنها كانت طبعة كثيرة الاخطاء لصعوبة المواصلات يومئذ بين الهند والعراق فلم يتمكن السيد الألوسي من تصحيح ملازم الطبع قبل طبعها ، ومع ذلك فقد انتشرت تلك الطبعة في الآفاق ، وتزاحمت عليها الأيدي ، فنقدت نسخها منذ نحو خمسين سنة ، ثم كاد أهل السنة ينسون هذا الكتاب ، إلى أن ذكرهم به مؤلفو كتب الزهراء ، والسقيفة ، والرد على رد السقيفة وأمثال هذه الذشرات المليئة بما أشرنا إليه ، وحينئذ اقترح وجيه الحجاز العالم الجليل الشيخ محمد نصيف على رئيس تحرير مجلة الأزهر أن يحقق هذا المختصر ويعلق عليه ويخرج منه طبعة جديدة تجلو الخفايا وتبين الأمور من أصولها ، فقام بذلك على قدر ما اتسع له الوقت . ولما شعر في خلال العمل بالحاجة إلى الوقوف على أصل الكتاب أرسل إليه حضرة الشيخ محمد نصيف نسخة مخطوطة من الأصل المترجم بالعربية وهي في أكثر من ألف ومائة صفحة . وقد تم في هذين اليومين طبع المختصر مصدراً بمقدمة ومختوماً بخاتمة كلناهما من قلم رئيس تحرير هذه المجلة . وقد اقتصر السيد الألوسي على تسعة أبواب من الأصل :

الباب الأول في ذكر فرق الشيعة ، وكيفية حدوثها ، والباب الثاني في أقسام الحديث عند الشيعة ، وأحوال رجال أسانيدهم ، وطبقات أسلافهم . والباب الثالث في مواطن خلافهم مع المسلمين في الإلهيات ، وتحقيق البحث عن معرفة الله بالوجوب العقلي أو الشرعي ، وإثبات مخالفة الشيعة لكتاب الله وللنصوص الثابتة عن العترة سلام الله عليهم . والباب الرابع في مواطن خلافهم مع المسلمين في النبوة ، واعتقادهم أن بعث الأنبياء واجب على الله ، وأن علياً أفضل من الأنبياء والرسل غير أولى العزم ، وقولهم ان الأئمة أزيد من الأنبياء علماً فيكونون أفضل منهم رتبة . والباب الخامس في الإمامة ، وأن المسلمين يوجبون على الأمة نصب الإمام ، بينما الشيعة يوجبونه على الله ، وبيان نتائج ذلك . والباب السادس في بعض عقائد الشيعة المخالفة لعقائد المسلمين كاعتقادهم

وجوب البعث على الله ، وقولهم بخرافة الرجعة قبل يوم القيامة ، وأن حب على وسيلة النجاة ولذلك فإن محبيه لا يمدبون في صغيرة ولا كبيرة لمجرد هذا الحب المزعوم . والباب السابع في الأحكام الفقهية التي انفرد بها صناديدهم ومنها العجب العجيب ، وفي هذا الباب بيان أن أحد كبار أعلامهم - وهو أحمد بن إسحاق الأحوص القمي - اخترع لهم قبل أكثر من ألف سنة ( عيد بابا شجاع الدين ) وبابا شجاع الدين هذا هو عدو الله أبو لؤؤة المجوسى قاتل أمير المؤمنين عمر . وفي الباب الثامن استعراض مطاعنهم على الخلفاء الراشدين والصحاب الكرام وأم المؤمنين عائشة الصديقة والرد عليهم . وفي الباب التاسع ذكر ما اختص به الشيعة كإنكارهم كرامات الأولياء ، وإقامتهم حفلات الجاهلية في المحرم ، واعتقادهم عصمة الأئمة ، وزعمهم أن من في قلبه حبة على يدخل الجنة ولو كان مشركا ، وتسميتهم أمة محمد ﷺ ، الأمة الملعونة ، وتفضيلهم لعن عمر على ذكر الله وسائر العبادات ، وقولهم ان أبا بكر وعمر وعثمان منافقون ، إلى غير ذلك .

ومن العجيب أن مجتهدهم وآيتهم - الذى كانت كبرى هيئاتنا الإسلامية في مصر تحتفل به وتكرمه لما تظاهر لهم به من عشقه للاتحاد - هو القائل في صفحة ٦٣ من الجزء الأول من كتابه إحياء الشريعة في مذهب الشيعة : « من قال أجمعت الأمة على نصب أبى بكر ، قلنا : لاحق لهم أن يجمعوا ، وهو القائل « ولو كان هناك إجماع فما الدليل على حجتيه ، والقائل « إن في آية الغار إشعاراً تتخرج عن ذكره لأننا لا نريد الطعن على أبى بكر » . فإذا كان هذا داعية الاتحاد والمتجرب إلى السعوديين في الحجاز هذا العام ، وللمصريين في مصر أخيرا ، فإذا يقال في مقترى الزهراء ، والسقيفة ، والرد على رد السقيفة ، ومخترعى كتاب المراجعات كما تخترع القصص والروايات ؟ وباليتمهم يسكتون فترضى منهم بالسكوت !

### المهدية في الاسلام

للأستاذ سعد محمد حسن ، ٣٢ ص قالبين . نشرته جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر هو كتاب أهداه مؤلفه لوجه الحق وحده ، وقدم له الدكتور عبد الحليم النجار الأستاذ بجامعة القاهرة . ومؤلفه من الذين جمعوا بين ثقافتى الشرق والغرب ، وكتابه حافل بدراسة حسنة لموضوعه على قدر ما واثته المراجع الكثيرة التى وقف عليها . وقد اختص الفصل الأول منه بالإمامة عند مختلف الفرق ، والفصل الثانى للسلام على الرجعة وتسربها . من اليهود إلى الشيعة ، والفصل الثالث المهديّة . مستنداتها وتأليه الأئمة عند غلاة الشيعة ، والفصل الرابع لمذاهب فرق الشيعة إزاء هذا المعتقد ، والفصل الخامس لشعر الشعراء في المهديّة ،

والفصل السادس للمهدية عند بقية الفرق الإسلامية وآثار عقيدة المهدي في المجتمع الإسلامي ،  
والفصل السابع للمهدية في العصر الحديث ونشأة الشيعة والباكية والبهائية والقاديانية .  
وكنا نتمنى لو أن المؤلف توسع في مصادره ، ونعتقد أنه سيفعل ذلك في نشاطه العلمي  
الذي يلي هذا الكتاب ، لأن هذه البحوث لا تزال بكرا في خارج محيط الشيعة ، وكلما زادها  
المنقفون من رجالنا دراسة ستفتق لهم عن -قائق تستحق التدوين والعرض . وهي جهود  
مشكورة نأمل مواصلها .

## دراسات إسلامية

الأستاذ سيد قطب ، ٢٧٠ ص جابر ، المطبعة السلفية بمصر

الأستاذ سيد قطب كاتب إسلامي موهوب ، وقد عرفه قراء العربية بكتبه وفصوله  
المنتهبة في المجلات والصحف . وأنفس ما كتبه فصول إسلامية أملاها عليه جو الطغيان  
في آخر العهد البائد ، ثم جو التحرير لما أراد الله لعهد الطغيان أن يتحطم ويخزي . وهذه  
الفصول جمعت في كتاب عنوانه ( دراسات إسلامية ) افتتحه سيد قطب بفصل عنوانه  
( محطم الطواغيت ) ، وهل حطم الطواغيت كلها إنسان مؤيد من الله كما حطمها محمد  
ابن عبد الله ؟ فالفصل الافتتاحي من الكتاب في التعريف بمحمد بن عبد الله من ناحية  
تخطيطه للطواغيت ، وبعده فصل عنوانه ( انتصار محمد بن عبد الله ) وفصل عنوانه ( طبيعة  
الفتح الإسلامي ) ثم ( التكافل الاجتماعي في الإسلام ) و ( كيف ندعو الناس إلى الإسلام )  
و ( نحن ندعو إلى عالم أفضل ) و ( خذوا الإسلام جملة أو دعوه ) و ( تحت راية الإسلام )  
و ( مصر أولا . . نعم ، ولكن ! ) ثم ( إلى النائمين في العالم الإسلامي ) و ( ضريبة الذل )  
و ( العبيد ) . . . إلى غير ذلك من أمثال هذه الفصول النفيسة التي دعى رئيس تحرير مجلة الأزهر  
إلى أن يكتب مقدمة لها فكتب مقدمة يتأسف فيها لأنه ليس في سن الشباب حتى يلب  
قراءه بمقدمة متقدمة كاتقاد هذه الفصول ، وأعلن أن كتاب ( دراسات إسلامية ) هو كتاب هذه  
السنة في أدب القوة ، وتتمنى لو أن سيد قطب متع شباب الجيل بمثل هذا الكتاب في كل سنة .

## رحلة المذنب البغدادي

نقلها من الفارسية الأستاذ عباس العزاوي ، ١٢٨ ص كبيرة ، مكتبة الخانجي

المذنب البغدادي هو محمد آغا الفارسي وهو إيراني كان من موظفي المقيمية البريطانية



بغداد إلى سنة ١٢٣٥ ( ١٨٢٠ م ) وقام بهذه الرحلة أيام ولاية داود باشا على العراق<sup>(١)</sup> بصحبة كلاديوس جس ريتش المقيم البريطاني في بغداد . وكتب رحلته بالفارسية . وتناولت الرحلة ديار الكرد ( شهرزور ، وسنة ، وسقز ، وكركوك ، وأنون كوبري ، وإربل ) والموصل وأنحاء أخرى ، ورافق المقيم البريطاني في التفقيص في خرائب نينوى .  
والباب الأول في الرحلة يتناول ما وقع بين داود باشا والمقيم البريطاني من اختلاف أدى إلى خروج المقيم البريطاني من بغداد . والباب الثاني في ذكر بغداد وأحوال عشائر العرب وطوائف الأكراد فيها وفي قراها ونواحيها . والباب الثالث في المنازل من بغداد إلى كرمانشاه وذكر الآثار القديمة التي في الطريق . والباب الرابع في المنازل بين بغداد والسليمانية وكردستان وأحوال تلك الجهات . والباب الخامس في طريق بغداد إلى كركوك ومنها إلى السليمانية وبين السليمانية وكوي سنجق . والباب السادس في الذهاب من السليمانية إلى همدان من طريق شهرزور . والباب السابع في طريق السليمانية إلى سنة من طريق زربار وأحوال مقاطعة سنة . والباب الثامن من سنة إلى تبريز ومراغة وكرمانشاه . والباب التاسع في طريق السليمانية إلى السكبرى وإربل والموصل ، وشرح أحوال الموصل ونينوى وطريق دجلة بين الموصل وبغداد . والباب العاشر في وصف البلاد والاصماع بين بغداد والبصرة .

والمؤلف الإيراني لهذه الرحلة البريطانية يسمى نفسه بأنه السيد محمد بن السيد أحمد الحسيني وينعت نفسه بأنه المندبى البغدادي ، وقد علمنا أنه إيراني أقام في بغداد عدة سنوات في خدمة السياسة البريطانية ، ثم لما أجلى داود باشا المقيم البريطاني مستر ريتش عن بغداد اختار خادماً سياسته محمد آغا الفارسي الإقامة تحت جناح الهراييل ألفنستين حاكم بومباي وأهدى إليه في سنة ١٢٣٧ ( ١٨٢٢ ) هذه الرحلة التي عني مؤرخ العراق الاستاذ عباس العزاوي بنقلها من الفارسية إلى العربية بأمانة وعناية وتحقيق اقتشفيد الامة العربية بهض ما ينقصها من دغائل السياسة البريطانية في العراق يومئذ . وقد ألحق بها ستة فهارس للدواضيع والكتب والأشخاص والامكنة والقبائل والنحل والالفاظ الاصطلاحية . فجاء الكتاب نفيساً ممتاً كسائر مؤلفات الاستاذ العزاوي وأعماله العلمية .

(١) انظر لتاريخ ولاية داود باشا على العراق تاريخ ابن سند المسمى ( مطالع السعود ) طبع المطبعة السلفية .

## محاضرات في تفسير سورة الأنفال

للأستاذ مصطفى زيد - ١٩١ ص كبيرة - مطبعة العلوم

هي محاضرات نفيسة ألفها الأستاذ المؤلف على تلاميذه طلبة السنة الثانية بكلية دارالعلوم في الموسم الدراسي المنصرم ، ثم أخرجها للناس في كتاب ليعم النفع بها . ويقول في مقدمتها إن سورة الأنفال - على قصرها - هي إحدى سور قليلة جمعت إلى مبادئ القتال مبادئ السلام ، وإلى صفات المؤمنين الكاملين صفات الكفار والمنافقين وضعاف الإيمان ... وهي السورة التي وصفت موقعة بدر وتحدثت عن النصر الأول في الإسلام ، ثم هي السورة التي نزلت بالمدينة والمسلمون حديثو عهد بالهجرة من مكة ، فشكادت بهذا الاعتبار تبدأ عهداً جديداً في القرآن ، كما ختمت بدر في تاريخ الإسلام عهداً ليبدأ بعده عهد آخر . قال المؤلف : ثم شاء الله أن تلقى هذه المحاضرات في عام بدأ به المصريون في تاريخهم عهداً جديداً . إن القرآن دستور المسلمين أفراداً وجماعات وحكومات ، وسورة الأنفال زخرة بالمبادئ الكثيرة التي يجب على المسلمين وجماعاتهم وحكوماتهم أن يتدبروها ليعلموا ما يحب الله لهم أن يكونوا عليه ، ومن هذه الوجهة كان الأستاذ مصطفى زيد يحاضر تلاميذه في دار العلوم في تدبر آيات هذه السورة ومعرفة مبادئ الإسلام في الحرب والسلام والمجتمع . ولما انتهى من ذلك لخص هذه الحقائق كلها واستخرج من السورة ما يقرر مبدءاً ، أو يدعو إلى حق ، أو يأمر بخير . وحينما لو واصل الأستاذ مصطفى زيد هذه الطريقة في تدبر آيات الكتاب الحكيم سورة سورة ، لا في محاضراته التي يلقها على تلاميذه طلبة دار العلوم وحسب ، فإن ذلك يطول أمره ، بل كلما وانه الوقت وأسعفته الظروف ، فإن شباب المسلمين في حاجة ماسة إلى تيسير فهم كتاب الله عليهم ، كما فعل المؤلف في سورة الأنفال . فشكراً له ، وبارك الله له في وقته وجهده .

## تجريد التوحيد المفيد - للمقرئ

بتعليقات الأستاذ الشيخ طه الزيني - ٧١ ص جابر - المطبعة المنيرية

هذه الرسالة لتقى الدين أحمد بن علي المقرئ من أنفس ما ألف في التوحيد وعقائد الإسلام ، ودعوة جمهور المسلمين إلى الوقوف عند حدود الله واتباع سنة رسوله . وقد سبق طبع هذه الرسالة ولا يزال الناس في حاجة إلى أمثالها ليرجعوا في دينهم إلى أصوله . وقد قام فضيلة الأستاذ الشيخ طه محمد الزيني من علماء الأزهر بتصحيح أصولها والتعليق عليها بما نرجو الله له المثوبة عليه .

## خالد بن الوليد

الأستاذ صادق عرجون ، ٣٥٠ ص قالبين ، مطبعة عيسى الحلبي

التاريخ الإسلامي في حاجة إلى إعادة دراسته من جديد تحت ضوء الحقائق الإنسانية التي توصل بها المؤرخون في هذا العصر إلى إضفاف عظماء الرجال وكبريات الأحداث ووزنهما بموازنها .

وقد سبق لفضيحة الأستاذ الشيخ صادق عرجون شيخ معهد أسبوط الديني لإخراج كتاب نفيس عن أمير المؤمنين عثمان كان موضع التقدير من المؤلفين والقارئين ، والآن يتقدم إلى المكتبة الإسلامية بهدية جديدة عن حياة سيف الله المجاهد الفاتح خالد بن الوليد والدور الذي مثله في التاريخ بنشر رسالة الإسلام ومقاومته طغيان الظلم السياسي والظلمات الأدبية . وأول شروط من يؤلف في تاريخ الإسلام أن يعرف الإسلام ويكون كأنه قد عاش مع رجاله الذين يؤرخ لهم ويحسن تقدير القيم للأعمال الصادرة عنهم . وإن توفر هذه الشروط في فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون على أتم ما ينتظر من المؤرخ المسلم قد جعل كتابه ( خالد بن الوليد ) في طليعة ما ينبغي لكل مسلم مثقف — ولا سيما شباب هذه الأمة من الجامعيين والأزهريين — أن يكرروا قراءته ، وأن ينظروا إلى تاريخ الإسلام من هذه الزوايا السليمة التي ينظر إليه منها مؤلف هذا الكتاب ، والأمل فيه أن يواصل عمله في التأليف وأن يكون أول ما يطالعنا به كتاب عن فاتح مصر أبي عبد الله عمرو بن العاص والانقلاب الذي جرى على يده بمصر في مجتمعها وبيانها ، وأثر الإسلام في نفوسها وكرامتها ومستوى أخلاقها ، ولأنه فاعل إن شاء الله .

## التفسير الواضح

الأستاذ محمد محمود حجازي ، الأجزاء ١٢ - ١٥ ، مطابع دار الكتاب العربي

سبق لنا التنويه بهذا التفسير النافع في ص ١١٨ و ص ١٠١٦ من السنة الماضية . وقد أهدى إلينا فضيلة مؤلفه الأستاذ الشيخ محمد محمود حجازي أربعة أجزاء أخرى من الثاني عشر إلى الخامس عشر أي من سورة هود إلى سورة الكهف ، وبذلك تم تفسير نصف كتاب الله لأن المؤلف ألزم أن يفسر كل جزء من الأجزاء الثلاثين القرآنية بحزم من تفسيره ، وكان موفقاً بتسميته ( التفسير الواضح ) فجاء أمماً صادقاً على مسماه . وإننا نكرر الثناء عليه . ونرجو له من الله التوفيق في إتمامه .

# الأدب والعمل في شهر

## رسالة العلم

وأول ما نتمناه أن يفهم الناس أن أستاذ الجامعة لا ينظر إلى عقل الطالب وحده ، فعقل الطالب جزء خطير من شخصيته ، وأما باقي الشخصية ففي قلبه وجسمه ، والجامعة خلقت لتوجد التوازن بين هذه العناصر الثلاثة ، لتخرج للناس علماء يقوون على تكاليف البحث ، ويحملون متاعبه ، ويؤمنون في الوقت نفسه بعقيدة تجعل منهم مواطنين صالحين ، وأفرادا في الجماعة الإنسانية نافعين .

وقد كنا نعيش في الماضي بلا عقيدة ملهمة حافزة ، أما اليوم فقد بانث لحياتنا أهداف مرسومة أجملناها في شعارنا المثلث « الاتحاد والنظام والعمل » . ولكن أساتذة التاريخ والاجتماع والفلسفة وغيرهم من العلماء يعرفون كيف يفصلون هذا الإجمال ، حتى يثبت في يقين كل شاب أن لمصر - التي كانت ثقافتها أم الثقافات الحديثة - رسالة إنسانية إذا تحررت أدتها على الوجه المكريم الذي أدت عليه تلك الرسالة في الماضي .

ولا أحسب أن أستاذ الجامعة قادر على أن ينمي شخصية الطالب إذا اقتصر علاقتة

دعا رئيس الجمهورية المصرية شيخ الأزهر وشيوخ الكليات والمعاهد الأزهرية ومدبري الجامعات المصرية وعمداء كلياتها إلى تناول الشاي معه ومع إخوانه ضباط مجلس قيادة الثورة والوزراء في نادي الضباط ، وكان سيادته في استقبالهم والترحيب بهم . وبعد تناول الشاي ألقى خطبة فياضة عن العلم ورسالته في عيد التحرر . وما قاله فيها :

لقد امتحنت الجامعة وتقاليدها في الماضي القريب ، كما امتحن كل شيء عظيم في هذا البلد الأمين . ولكننا لا نحب أن نعيش في الماضي ولا أن نحصى الأخطاء والزلات ولذلك أسألكم أن تتجهوا بقلوبكم وبكل ما فيها من أمل ورجاء إلى المستقبل المنشود الذي نودعه في ثقة وحسن ظن بين أيديكم . وقد يكون من نافلة القول أن أحدث عن التقاليد التي تودرن ، والتي أود ، أن تقوم عليها جامعاتنا . ولكن قد يكون من الخير مع ذلك أن نتناجى فيما بيننا بما يحبه كل منا ويتمناه .

وهذه الفترة فترة جهاد بمعنى السكامة ،  
فهى تتطلب منا تركيز جميع ما نملك من قوة  
معنوية ومادية ، وتوجيهها نحو الهدف حتى  
ننتصر ، وإن يكون هذا إلا بتضافر الجهود ،  
والتعاون الوثيق بين جميع أفراد الأمة كبيرها  
وصغيرها عالمهم وغير العالم ، جندبها وتاجرها  
وصانعها ، ويقتضى من كل فرد الشعور  
بالواجب وتقدير المسؤولية ، وأن يتفانى كل  
فرد فى أداء الواجب منسكراً ذاته ، متجرداً  
عن كل مصلحة شخصية ، مقدماً عليها الصالح  
العام ، وبعبارة أخرى نحتاج فى هذه الفترة  
إلى إبراز أسمى معانى شعار حركتنا والنسك  
بها ، وهى : الاتحاد والنظام والعمل ، كما  
نحتاج إلى الصبر والصلابة والجلد والتقصف  
والاقتصاد ، والتمسك بمكارم الاخلاق  
ومبادئ الرجولة الحقة .

والعدو من جانبه يترصد بنا ، ويسعى  
ما وسعه الجهد من سعى ليجد ثغرة ينفذ بها  
إلى صفوفنا .

ولسكنه لن يفوز بطائل ما دمنا متيقظين ،  
وما دمنا نعرف واجبتنا فتؤديه ، وما دمنا  
لا نتخلى عن أقوى سلاح فى أيدينا ، وهو  
الاتحاد المتين ، والعمل الدائب المتواصل فى  
سياج من النظام الحسن فنحن أصحاب حق .  
لقد ألبوا علينا إسرائيل - طفلهم المدلل -  
ولسكن شكراً لإسرائيل فهى فى جسم العروبة

بتلاميذه على ساعة الدرس وحدها ، فأنها  
أضيق من أن تسمح له بالتعرف عليهم ،  
وتبين الفوارق بين ذواتهم وميولهم . وقد  
نشأت فى مصر أقدم جامعة فى العصر الحديث  
وهى ( جامعة الأزهر ) التى وضعت التقليد  
الرفيع الذى كان التلاميذ فى ظله أصدقاء  
لأسانذتهم يأخذون عنهم العلم ، ويتأثرون بهم  
فى الحياة ، ويستفتونهم فى مشاكل العيش .

ونحن ننتظر - فى صبر نافذ - الوقت الذى  
يبعث فيه هذا التقليد الجليل ، فيصبح لكل  
أستاذ من أسانذتنا أبناء يحبون العلم من أجله  
ويحبونه من أجل العلم ، وقد يسرع بتحقيق  
هذا الأمل الجميل أن نخلق الجو العلمى السليم  
الصادق فى الجامعة ، فيتفرغ أسانذتنا بعد  
إلقاء دروس المنهج المقرر للبحوث الكبرى ،  
فيفشرونها فى كتب ورسائل يرجع إليها  
الطلاب الراغبون فى مزيد من العلم ، وينتفع  
بها العلماء الزعماء .

أيها السادة : إننا نجتاز فترة من أدق مراحل  
حياتنا ، وقد تحالفت قوى الشر والاستعمار  
عندنا تحاول أن توهن من عزيمتنا ، أو تنال  
من تصميمنا على تحقيق أهداف ثورتنا العظيمة  
وغايتها السامية ، وهى تحرير مصر والسودان  
من رجس الاحتلال ، ليمتع أبناء وادى النيل  
جميعاً ، وعلى قدم المساواة ، بالحربة ليعيشوا  
أعزة ، كراماً فى بلادهم .

الإسلامي وتيسير وسائله للراغبين فيه . ولما كان بعض الراغبين في العلم والثقافة الإسلامية تحول ظروفهم الخاصة دون مواصلة التعليم ، أو لا تمكنهم من الاستمرار في الدراسة والمواظبة عليها ، رأينا من المصلحة عدم إحصاء الباب في وجوههم ولإباحة التقدم للامتحان من الخارج لأي شهادة من الشهادات الأزهر بالشروط التي ستوضع في هذا الشأن كي يصبحوا رجالا نافعين لدينهم ووطنهم . والأزهر يسره أن يكون عدد خريجيه أضعاف ما هم عليه ، وإن التوجيه الديني هو الضمان الوحيد لتوجيه الشعب والنشء توجيهها صالحا يحميه من الميول الفاسدة والاتجاهات المعوجة ، وأيضاً فإن البلاد الإسلامية تطلب مدرسين من الأزهر للتعليم فيها ونشر ثقافة الإسلام هناك ، وفي هذا إلى جانب نشر العلم توثيق للروابط وتوحيد الأفكار التي تقرب بين أفراد الأمة الإسلامية .

وهناك حقيقة يجب ألا تغيب عن البال وهي أن الثقافة - دينية أو مدنية - أمر مشكور في حد ذاته ، ويجب أن ننظر إلى التعليم والثقافة على أنهما مقصد لاعلى أنهما وسيلة للتوظيف في الحكومة ، فحق كانت الوظائف مقصداً لذىمة ، وغرضاً لمجنه ؟ ونلاحظ أن العهد الجديد يوجه النشء إلى التحرر من الفكرة التي كانت مهيمنة عليه وهي أنه يتعلم للوظيفة .

سرطان يؤلم ذلك الجسم باستمرار ، فبينه باستمرار إلى الخطر الداهم .

أنى باسم جمهورية مصر ، وحكومة مصر ، وباسم العهد الجديد ، أعلن أن كل قائد ، وكل وزير ، وكل عامل في هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا يضع يده في أيديكم ، ويشد عليها في حرارة وصدق ، متمنيا لكم النجاح في كفاحكم الشريف ومهمتكم الخطيرة . مؤملاً أن تخلفوا من أبنائنا علماء فضجت عقولهم ، واستوت شخصياتهم ، وكلت عواطفهم ، لا يراهم أحد حقاً يقول : هذا مصرى قوى ، خرج من جامعة مصرية متينة البناء ، على أيدي أساتذة يؤمنون بالله والوطن .

### الدراسات العليا في الأزهر

قررت مشيخة الأزهر استئناف الدراسات العليا باللكليات الثلاث ، وأباحت الالتحاق بها هذا العام ، بعد أن كانت معطلة منذ إحدى عشرة سنة ، وكتبت بذلك لللكليات الثلاث للاستعداد لهذه الدراسات .

### النقدم لشهادات الأزهر من الخارج

وجه مندوب جريدة المصرى سؤالا إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن البواعث التي حملت الأزهر على لإباحة التقدم للشهادات الأزهرية للخارج ، فأجاب : « إن مهمة الأزهر الأولى هي نشر التعليم

### تلميذ المدارس الابتدائية في مصر

يؤخذ من الإحصاءات أن عدد الذين قبلوا بالمدارس الابتدائية في عام ١٩٥٢/٥١ هو ١٧٠١٤٦ ارتفع في عام ١٩٥٣/٥٢ إلى ٢١٣٣٦٣ وفي هذا العام (١٩٥٤/٥٣) إلى ٢٦٩٧٣٤ ، هذا مع أن إحصاء سنة ١٩٥١ يشمل ٧٠٧٢٨ تلميذا وتلميذة قبلوا بالمدارس الابتدائية القديمة وكانوا قبل ذلك برياض الأطفال أو بالمدارس الأولية ، وقد اعتبروا في سنة ١٩٥١ مستجدين ، أما هذا العام فقد اعتبر أمثالهم منقولين من السنة الثانية إلى السنة الثالثة الابتدائية في النظام القديم فلم يدخلوا في الإحصاء .

ومعنى هذا أن عدد المستجدين الذين قبلوا بالمرحلة الابتدائية سنة ١٩٥١ هو ١٠٠ ألف طفل ووصل في هذا العام إلى ٢٧٠ ألف طفل وهذا بالرغم من ظروف الميزانية ، وبالرغم من أن مؤسسة أبنية التعليم لم تتمكن من إنشاء المدارس الثلاثمائة التي كان مقررا لإنشاؤها فوعدت بتسليم ستائة مدرسة للعام القادم يمكن أن تستوعب نحو ٣٠٠ ألف تلميذ باعتبار أن المدرسة الواحدة تستوعب نحو ٥٠٠ تلميذ . ولا شك أنه كلما زادت الاعتمادات المالية المخصصة لوزارة المعارف كلما زاد التوسع في نشر العلم وتعميم التعليم ، لأن من مبادئ العهد الجديد تعليم المصريين أجمعين .

### مكتبة أديب كبير

تهديها أسرته إلى الأزهر

تقدم أخيراً الأستاذ حفي الهياوى إلى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر راغباً في إهداء مكتبة والده الأديب الشاعر محمد الهياوى رحمه الله إلى الأزهر .

وقد تقبل الأستاذ الأكبر هذه الهدية وكلف مدير مكتبة الأزهر بتسلم المكتبة المهداة ونقل مجلداتها إلى المكتبة الأزهرية .

### مهر رينى بالملايو

أرسلت إدارة (معهد محمود) في الملايو مذكرة إلى الأزهر تتضمن تفاصيل شئون الدراسة في المعهد وتحمل رغبة المشرفين عليه في أن يتولى الأزهر امتحان طلبة المعهد بالمراسلة . ويرى الأزهر إيفاد مندوب إلى الملايو لتحرى حالة المعهد تمهيداً لانتخاذ الوسائل الكفيلة بتوثيق العلاقات الثقافية بين الأزهر ومسلمى الملايو

### التحان

٣٥٠٨ بمعاهد الأزهر

وافق مجلس الأزهر الأعلى على قبول ٣٥٠٨ من الطلبة الجدد بمعاهد الأزهر في القاهرة والإقليم . منهم ٢٨٩٩ للمعاهد النظامية وعددها ١٦ معهداً والباقي للمعاهد الحرة وعددها ١١ معهداً .

# العجل إلى الإسلام في شهر رمضان

## فترة حرب منظمة

يشنها الاستعمار على العرب

خطب الرئيس اللوام محمد نجيب في جماعة من أبناء الدول العربية فقال :

نحن في فترة حرب منظمة يشنها الاستعمار على العرب ، ولا يمكن للعرب أن يصلوا إلى شيء إلا بالاتحاد ، وواجب كل عربي أن يضع يده في يد أخيه ناسين أنفسنا ومصلحتنا الشخصية ومطامعنا الخاصة ، وأن نترك الداء الذي يتفشى فينا وهو ( حب الظهور ) الذي يقصم الظهور . إن الاستعمار لم يحكمنا إلا بشيء واحد وهو ( فرق تسد ) وقد تزامننا على المناصب والجاه والسلطان وتمكن المستعمرون من أن يكره بعضهم البعض الآخر . ولكننا لو رجعنا إلى سيرة الرسول والخلفاء الراشدين لعلنا كيف كانوا يتعاونون في الجهاد لاءلاء كلمة الدين ، وكانوا يتعاونون بقلب سليم ، وضربوا أعظم الأمثلة لانكار الذات .

فيجب على العرب أن يتنهوا ويكونوا يقطين لهذه الفترة التي تمر بهم .

## باكستان ، جمهورية إسلامية :

قررت الجمعية التأسيسية الباكستانية في الدستور الجديد أن تكون باكستان جمهورية ، وسيكون اسمها ( جمهورية باكستان الإسلامية ) ولم يعارض أحد هذا القرار .

وكان قد عرض على الجمعية التأسيسية اقتراح من بعض أعضائها بأن يكون النص هكذا : « باكستان جمهورية إسلامية خارج نطاق مجموعة دول الكومنولث ، ولكن الاكثرية لم توافق على هذه الإضافة .

## تبصير المسلمين بالإسلام :

ووافقت الجمعية التأسيسية كذلك على إثبات مادة في الدستور الباكستاني تنص على تكوين هيئة تعمل على تبصير الشعب الباكستاني بتعاليم الإسلام ، وأن ينحصر الاتفاق على هذه الهيئة من المسلمين .

## مزارعهم ابره

عن انتخابات السودان

تورط مستر ايدن وزير خارجية إنجلترا فأعلن اتهام مصر بالتدخل في انتخابات السودان . ولما وقف رئيس الجمهورية المصرية يخطب في الحفلة التي أقامها بنسادی الضباط لرجال الازهر والجامعات المصرية استطرد لهذا الموضوع وقال :

بالأمس ألقي ايدن كلمة في البرلمان الانجليزي فجاءت ضغتنا على ابالة ، ولكننا حشرة الموت وعقيلة فئة من غلاة المستعمرين فهو إذ يتهمننا بالتدخل في انتخابات السودان ، نسي أنه لا يوجد مصري في السودان له أي نفوذ يمكنه التأثير في الانتخابات ، وغاب عنه أن



شيء ما دهننا مؤمنين بحقنا ، مصممين على الوصول اليه ، وسنصل اليه ان شاء الله .

### اللغة العربية

#### لغة أجنبية في الجزائر

لمناسبة قيام لجنة حقوق الإنسان يبحث مشكلة الجزائر وضعت جامعة الدول العربية تقريراً قالت فيه : إن فرنسا تعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر . واستشهدت على ذلك بقرار رسمي أصدره مسيو شوتان أحد المقيمين الفرنسيين الذين تولوا حكم الجزائر باسم دولهم .

### تعاون العرب

تبرعت الحكومة السعودية بعشرين ألف دينار لإعادة بناء قرية القبية التي أصابها البغي من اليهود . وهذه القرية واقعة في منطقة الاردن على حدود إسرائيل . وسبق للحكومة السعودية أن قدمت للحكومة الاردنية ٨٥٠٠ دينار لتسليح الحرس الوطني الاردني .

### البترول تحت مياه الخليج الفارسي

تألفت أخيراً شركة رأسها مليون جنيه لتتولى تنفيذ المشروعات الخاصة باستخراج البترول من المستودعات الكامنة على طول ساحل قطر في الخليج الفارسي . وتشرف على هذه العمليات شركة شل التي نالت هذا الامتياز في العام الماضي من حاكم قطر على أساس تقسيم الأرباح مناصفة . ومن المرجح أن تنشأ أول بئر تحت الماء في العام القادم .

تحت أيدينا مستندات دامغة لإثبات هذه التصرفات ، ولستنا التزاما منا لجانب الحيدة التامة امتنعنا حتى عن إذاعة هذه الأمور حتى لا نقول إلى أنها دعاية مثل دعاياتهم التي يذيعها ركن السودان في محطة الشرق الاوسط أو غيره . ونسوا أنى أجلت حتى رحلتى إلى بلاد النوبة أكثر من أسبوعين عامداً متعمداً وجعلت مداها بلدة - ادندان - آخر الحدود المصرية مع أن عندي برقيات كثيرة من اخواننا في حلفا وفي السودان يطلبون منى زيارتهم وهي أمنية من أعز أمانى .

نسوا كل هذا ورمثا بريطانيا بدائها وانسلت ، ولكن ردى على هذه الافتراءات هو أن المستعمرين - كما قال زميلي الصاغ أركان الحرب صلاح سالم - قد أزغجهم سير الانتخابات نحو الحرية والحق فكشفوا عنها كما أنها مناورة يشغلون بها الرأى العام البريطانى الذى أقلقه تعثر المفاوضات الخاصة بالقناة ، ونسوا ما نوهت عنه منذ أكثر من شهرين من أن سياسة الاستعمار يعتمدون تأجيل المفاوضات إلى انتهاء انتخابات السودان خوفاً من أن يؤثر فوز مصر فيها على الانتخابات فيشتد ساعد أنصار الاتحاديين ، وهو ما صرح به وأغرى به الكشيريون من سياسة البريطانيين وصحافتهم أخيراً .

ولكنهم نسوا أن السودانيين يطلبون حرية بلادهم كما نطلبها ، ولن يقف في سبيل الحرية

قضية لا اعتبارها هذا العمل جريمة يعاقب عليها القانون . وفى المحكمة وجه القاضى إلى المتهم السؤال الآتى :

هل تعلم أن قيامك بإدخال مطبوعات عربية وترويجها مخالف للقانون رقم ٢٩٣ لسنة ١٩٢٧ ، كما أن فيه ضرراً معنوياً بالشعب فأجاب المتهم بشجاعة :

ليس هناك أى ضرر من هذه الكتب مادامت محتوياتها لا تمس الآداب العامة أو العقيدة السياسية ، وكان الأذى أن يوجه مثل الانهام إلى أصحاب المكتبات الافرنجية فى حى بير ( الحى الافرنجى فى استنبول ) الذين يستوردون كتباً ومجلات من باريس تفيض خلاعة ومجوناً .

وهنا وقعت ضجة فى قاعة المحكمة ، فرفع القاضى الجلسة ، وأجل القضية لموعد آخر .

### مصادرة مجلة الأزهر بتونس

كتب إلينا من تونس أن الساطة الفرنسية صادرت جزء شهر المحرم من هذه المجلة ، ويستطيع القراء أن يفهموا من مثل هذا الحادث الصغير روح الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقيا ، وإيمانه بضعفه ، وتوقعه الخطر على مصيره حتى من مثل مجلة الأزهر فى اعتدالها ووزانها واقتصارها على البحوث العلمية والحقائق الإنسانية .

### مقوق الزوجية ونظام الأسرة فى الإسلام

تلقى الأزهر مشروعاً وضعته الهيئة التشريعية فى بورما لتنظيم حقوق السيدات المسلمات هناك ، وأرفق به السكرتير العام للمؤتمر الإسلامى فى عاصمة بورما رسالة عما تعانيه السيدات المسلمات فى تلك البلاد من معاملة الأزواج بما لا يتفق وآداب الإسلام .

وطلب السكرتير أن يبدى الأزهر رأيه فى حقوق المرأة المسلمة ، على أن يرسل الرد والمشروع إلى مركز المؤتمر فى ( رانجون ) . وقد أحال الأستاذ الأكبر هذا الطلب إلى الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر السابق بوصفه عضواً بجماعة كبار العلماء فوضع مشروع قانون يتضمن حقوق الزوجية ونظام الأسرة فى الإسلام وترجم إلى اللغة الانجليزية وأرسل إلى بورما عن طريق وزارة الخارجية .

### شلل الأمم المتحدة

أعلن الدكتور سيريل كاربيت ( أسقف يورك ) أن أصوات يهود نيويورك هى السبب فى شلل أعمال الأمم المتحدة فيما يتعلق بالشئون العربية .

### تحريم الكتب العربية فى تركيا :

استورد الأستاذ حكمت أو زالك كتباً عربية إسلامية إلى تركيا ، فرفعت عليه النيابة هناك

## فهرس

## الجزء الثالث — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بقة
٢٥٧	جدد نفسك . . . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢٦٣	نفحات القرآن . . . . .	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٢٦٧	السنة : الحياه النبوى . . . . .	» طه محمد الساكت . . . . .
٢٧٢	ديوان مجد الاسلام — غزوة السوق . . . . .	» أحمد محرم . . . . .
٢٧٥	موهبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية . . . . .	» محمد محمد أبو شهبه . . . . .
٢٨١	دولة الاسلام — بين الدين والسياسة . . . . .	» محمد فتحى محمد عثمان . . . . .
٢٨٧	غزوة بدر الكبرى . . . . .	اليوزباشى أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
٢٩٢	نشأة كتب الامالى — أمالى الزهراء الخفاجى . . . . .	الاستاذ عبد الوهاب حودة . . . . .
٢٩٨	طروء اللحن على اللغة . . . . .	» عبد الفنى اسماعيل . . . . .
٣٠٣	عقد التامين فى التشريع الاسلامى . . . . .	» أحمد طه السنوسى . . . . .
٣٠٨	١٢ صفر — عيد الجهاد الاسلامى . . . . .	» محمود فياض . . . . .
٣١١	الأزهر والتضحية الوطنية . . . . .	» احمد عز الدين خلف الله . . . . .
٣١٦	رأى الاسلام فى شروط من يمينون فى الوظائف	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر . . . . .
٣١٩	لنـويات . . . . .	الاستاذ محمد على النجار . . . . .
٣٢٣	أحمد بن حنبل . . . . .	» محمود النواوى . . . . .
٣٣٠	مقدمة الواجب . . . . .	» عبد الله المراغى . . . . .
٣٣٣	السيد جمال الدين الأفغانى . . . . .	الدكتور محمد غلاب . . . . .
٣٣٩	كمال الايمان . . . . .	الاستاذ محمد عبد التواب . . . . .
٣٤٢	نداء الأستاذ الأكبر الى الطلاب . . . . .	. . . . .
٣٤٣	نظرة فى شامد . . . . .	الاستاذ طه الزينى . . . . .
٣٦٤	المغرب فى حلى المغرب . . . . .	» عز الدين إسماعيل . . . . .
٣٥٠	خرافة الميتافيزيقا . . . . .	» محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء
٣٥٣	ليس فى الاسلام موسيقى دينية . . . . .	» أبو الوفا المراغى . . . . .
٣٥٥	الله أكبر يا محمد . . . . .	» ابراهيم على بدوي . . . . .
٣٥٧	للمدارس الأجنبية . . . . .	» محمد صبرى طهدين . . . . .
٣٦١	للدأخ النبوية . . . . .	» على محمد حسن الهامى . . . . .
٣٦٦	شخصية الاسلام والمسلمين . . . . .	» وهى سليمان الألبانى . . . . .
٣٧٠	السكرت . . . . .	قلم التحرير
٣٧٧	الادب والعلوم . . . . .	» »
٣٨١	العالم الاسلامى فى شهر . . . . .	» »

الاشتراك السنوي

٥٠ - في مصر ولبنان  
٣٠ - للطباعة في مصر والسودان  
٦٠ - في الخارج  
٤٠ - للطباعة في الخارج  
٥ - ثمن الجزء

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَهْرَةِ تَبَايَعَتِ

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير  
عبد الله بن عبد الحليم

العنوان  
ادارة اجماع الأزهر بالقاهرة  
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٣ - ٨ ديسمبر ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صُورُ لَطَّابِ الْعِلْمِ :

يَتِيمٌ مِنْ مَصْرَ الْعَتِيقَةِ

... وكان الطفل يوم مات عنه أبوه في رجب ٧٧٧ هـ لم يكمل السنة الرابعة من عمره ، وكانت مصر العتيقة - التي ولد فيها الطفل ونشأ بين بيوتها - كأنها الشمس بعد غروبها ، لأن العبيدين جنوا على الفسطاط - في أول عهدهم - بانصرافهم عنه إلى القاهرة سنة ٣٥٨ ليسدلوا سبج الإهمال والفسيان على البقعة التي حمل إليها أصحاب رسول الله ﷺ نور الهدى ودين الحق فسطعت أشعته وانتشرت من وادي النيل إلى إفريقية جبال الأطلس حتى استنارت بها لجج بحر الظلمات . واجتاز قيس منها مضيق الزقاق إلى أوروبا ، فتبلج في آفاق الأندلس أبهج أضوائها . ولولا خدعة من خدع الأراجيف صدرت عن جواسيس شارل مارتل لجازت على الإبطال المجاهدين تحت ألوية عبد الرحمن الغافقي لكانت العربية لغة فرنسا وأوروبا الآن ، ولكان نظام الإسلام - العادل الرحيم هو نظام الأوروبيين والأمريكيين جميعاً . كل ذلك بفضل أشعة النور الأولى التي انتشرت من هذا الفسطاط الأعظم الذي تحول منه العبيدون إلى القاهرة في عهدهم الأول ، ثم ختموا في عهدهم الأخير جنابهم على هذه البقعة المباركة بإحراقها سنة ٦٦٤ ، فاستمرت السنة المحرق تلثم من عيرانها

ومن معالم الإسلام فيها مدة أربعة وخمسين يوما بلياليها ، إلى أن ذهبت النيران بما لا يمكن أن تتصوره العقول من مساجد ومدارس ومؤلفات قديمة نفيسة في علوم الشريعة والعربية والأدب والتاريخ والتراجم وسائر فنون العرب والإسلام بما لا متسع للتحدث عنه في هذا المقال . ومن بعد هذا الحريق الرهيب تسربت أطلال الفسطاط بسرايل السكابة والحزن ، ثم أفاقت من غشيتها بعد عشرات السنين ، فأخذت تسترجع وعيها ، وتقيم على ذكريات العزة والمجد منازل متواضعة حول أول مسجد أقيم للإسلام تحت سماء مصر ، فهاد العمران الحزين يطل بأعناق مرة أخرى فيما بين النيل وتلول عين الصيرة ممتداً نحو الشمال ، حتى إذا انطوى بعد هذه المفاجعة قرن آخر من تاريخ الإسلام في مصر صارت عروس الفسطاط ، الأولى تعرف عند الناس في شيخوختها باسم مصر العتيقة ، وفيها ولد هذا اليتيم الذي أحبت أن أتحدث عنه إلى طلاب العلم في موسم افتتاح الدراسة هذا العام ، لتكون لهم في سيرته أسوة ، وليكون لهم من الطريق الذي سلكه إلى أهدافه طريق يسلكه خيارهم ونجباؤهم إلى أهدافهم ، بل لتكون لهم من حياته صورة مشرقة تجيب إلى كل ذى نفس غالية عليه من طلبة هذا العام أن يحاول بعزيمة صادقة ونفس راضية السير في طريق يقيم مصر العتيقة . ولا أذيع سرا إذا قلت لهم إن هذا اليتيم كان يدعى : أحمد ابن حجر العسقلاني ( ٧٧٣ - ٨٥٢ ) .

قلت في صدر هذا المقال إن أحمد فقد جناح رحمة الابوة ، ففدا يتيما من سنة ٧٧٧ ولما يكمل السنة الرابعة من عمره . فلما مر على موت أبيه الحول الأول حضر إلى بيته وصيه الشيخ زكي الدين الخروبي فأخذ بيده وذهب به إلى الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ كتاب الله . وكان الشيخ زكي الدين يتعمده - مع الزمن - بمجمل الوصايا ، ومنها أن يحب العلم لله ليحبه الله ، وأن يكون صادق العزيمة في حفظ كتاب الله الحكيم ، وقد حدثه بما لذلك من عظيم المثوبة عند الله في الدنيا والآخرة ، ولا سيما إذا أخلص نيته في ذلك لله عز وجل . وقد نصح له بأن يوجه مداركه كلها إلى ما تصل إليه يده من زاد الحكمة ونعمة العلم ليكون عما قريب رجلا وجهها عند الله وعند الناس . وما كاد أحمد يتقن القراءة والكتابة وتفتح مواهبه للحق والخير حتى عاهد ربه على كل ما كان ينصح له به وصيه الشيخ زكي الدين الخروبي . وروى المؤرخون الذين زينوا كتبهم بباقات عطرة من زهور سيرته أنه حفظ سورة مريم - وهي ثمان وتسعون آية - في يوم واحد . ولما بلغ التاسعة من عمره

( سنة ٧٨١ ) كان قد أتم حفظ كتاب الله وبعض متون الشريعة وقواعد العربية وغيرها منها العمدة في أحاديث الأحكام للحافظ عبد الغنى المقدسى ، والحاوى الصغير في فقه الشافعية للنجم القزوينى ، ومختصر ابن الحاجب فى أصول الفقه ، ومأجدة الإعراب للحريرى مثنى المقامات ، وغير ذلك . وفى أواخر سنة ٧٨٤ بدا له أن يقصد بيت الله الحرام ليحج فى موسم الحج وليلبث بعده بجواراً فى مكة فيتلقى العلم عن علمائها . وبالفعل استمر فى مكة سنة ٧٨٥ وبعض سنة ٧٨٦ وشرع فى تلقى الحديث النبوى فسمع صحيح الإمام البخارى من عفيف الدين عبد الله بن محمد النشاورى ( ٧٠٥ — ٧٩٠ ) وأخذ عن عالم الحجاز محمد بن عبد الله ابن ظهيرة المخزومى ( ٧٥٠ — ٨١٧ ) ، وأدى فى مكة امتحاناً عملياً فى حفظ كتاب الله فصلى به التراوح من أوله إلى آخره ليالى شهر رمضان سنة ٧٨٥ تجاه الكعبة المشرفة . وعاد فى سنة ٧٨٦ إلى مصر ليواصل طلب العلم على شيوخها بالهمة العالية التى وطن عليها نفسه وظهرت للناس آثارها حتى ذلك الحين ولما يبلغ الحلم .

وما هو ذا الآن فى يده بمصر العتيقة ، وقد بلغ الرابعة عشرة من عمره . لقد وجد نفسه واقفا على مفترق الطرق يسترجع بذاكرته ما مر عليه فى الحجاز ، وما تلقاه عن علمائها من معارف لم يكن له عهد بها ، وما اكتسبه قبل ذلك من أشياخ طفولته وصباه ، وما كان ينصح له به محبوه من نصائح بدا له صدقها وعظيم نفعها فى تجارب سنواته القليلة التى تذوق فيها حلاوة العلم ، وتمتع فى خلالها بمراقبة أخلاق العلماء المنقطعين للعلم والذين يبتغون به وجه الله وحده .

إن قليلا من التفكير السليم فى مثل هذه السن الطاهرة التى بلغها أحمد بن حجر ، سيهديه - بلا شك - إلى طريق السلامة والعافية والسعادة ، ليكون إن شاء الله من أهل الخلود .

لقد عول فتانا على أن تكون مهمته فى الحياة الإسلام بتركة الإسلام التى توارثتها ثمانية قرون مضت ، فرسم خطته للاتصال بكل من أظلمتهم سماء مصر من العلماء والأدباء والإخصائيين ، ليأخذ عنهم خير ما عندهم ، وليروى عنهم كل ما تفردوا بإتقانه من علومهم وما ورثوه عن شيوخهم من أمهات كتب الشريعة واللغة والأدب والتاريخ . حتى إذا استوفى ذلك وأتى منه على أقصى ما تستريح إليه نفسه ، فإنه سيقوم بعد ذلك برحلات علمية إلى الأفطار الإسلاميه ليستكمل ما عند أئمتها وأعلامها . لذلك رأيناه بعد أوبته

من الحجاز يغشى أبواب المدارس المصرية التي اشتهرت بنضوج علمائها ونشاط تلاميذها ، ويتنقل بين حلقات الدروس في المساجد الكبيرة ، ويلتزم كبار العلماء وأساطين المعرفة لينظر إلى أهدافه بهيولهم ، ويسدد خطواته في طريقه على نور هداهم وتجاربهم . قال معاصره الحافظ ابن فهد المكي ( ٧٨٧ - ٨٧١ ) : « أول ما كان نظره في الأدب والتاريخ ففاق في فنونهما ، وقال الشعر الحسن ، وطارح الأدباء » . ثم أخذ الحديث عن الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ( ٧٢٥ - ٨٠٦ ) وشهد له بأنه أعلم أصحابه في الحديث . وتفقه على جماعة منهم شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ( ٧٢٤ - ٨٠٥ ) وهو أول من أذن له بالإفتاء والتدريس . وتلمذ للشيخ سراج الدين عمر بن علي بن الملقن ( ٧٢٣ - ٨٠٤ ) . وأخذ الأصول عن العز بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن جماعة الكنتاني ، كما أخذ اللغة عن صاحب القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ( ٧٢٩ - ٨١٧ ) .

وفي تمام سنة ٨٠٠ ازداد شعوره بحاجة إلى وقته ، وكان يضيع عليه منه شطر ثمين في كل يوم بالانتقال فيما بين مصر العتيقة والقاهرة ، فتحول إلى مزدحم أقدام الطلاب ، تاركاً وراءه في خطط الفسطاط ذكريات صباه وشبابه ، وذكريات صبا الإسلام وشبابه في مصر ، واتخذ لنفسه منزلاً في القاهرة ليكون على مقربة من حلقات المدرس وخزان السكتب ومعاهد العلم والعلماء .

وفي سنة ٨٠٢ — وكان قد ناهز الثلاثين — رأيناه قائماً برحلة في ديار الشام ، فأدرك في دمشق بقية من تلاميذ محدث الشام الطبيب المؤرخ العالم القاسم بن مظفر ابن عساكر ( ٦٢٩ — ٧٢٣ ) ، وتلمذ هناك للعلامة زين الدين عمر بن محمد البالي ( ٧٣٢ — ٨٠٣ ) ، ولفاطمة بنت علي بن محمد بن المنجا التنوخية ، وقد نوه بها في كتبه وقال إنه أكثر الأخذ عنها ، ومع أنها شيخته عاشت بعده بضعا وعشرين سنة . وأخذ كذلك في دمشق عن فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية ( ٧٢٢ — ٨٠٣ ) ، وقد أدركها قبل وفاتها بسنة واحدة ، وقال : قرأت عليها الكثير من السكتب والأجزاء صالحة في دمشق بسفح قاسيون ونعم الشیخة كانت ، وأخذ عن أختها محدثة دمشق عائشة ( ٧٢٣ — ٨١٦ ) وقرأ عليها كتباً عديدة ، وقال عنها : إنها تفردت بالسماع من الحافظ

الحجاز ، وكانوا يسمونه « مسند الآفاق » ، ولبت ابن حجر بدمشق في تلك الرحلة سبعين يوماً يستفيد في كل يوم بل في كل ساعة من علمائها ويفيد شبابها وطلابها ، حتى قيل إنه قرأ في تلك المدة الوجيزة قريباً من مائة مجلس أو أزيد ، ورحل أيضاً إلى بيت المقدس فأخذ فيها عن شمس الدين القلقشندي وبدر الدين بن مكي ومحمد المنجي ومحمد بن عمر بن موسى ، وزار الخليل وأخذ فيها عن صالح بن خليل بن سالم ، ومر بالرملة فتلقى فيها عن عالمها أحمد ابن محمد الأيكي ، وقصد غزة ليروي عن أحمد بن محمد الخليلي ، ولعل وصوله إلى هذه المدن الفلسطينية كان وهو في طريق رحلته إلى دمشق ، أو عند هودته منها . ثم تعددت رحلاته إلى الحجاز ، وبلغ في بعض ذلك إلى اليمن ، ولاغرض له فيها إلا لقاء العلماء والاخذ عنهم وربط صلته بشيوخهم وأسلافهم والاطلاع على ما لم يكن اطلع عليه من المصنفات المهمة والتادرة . وقد سجل روابطه بشيوخه وعلماء عصره في مصر وسائر الاقطار بكتب ألفها وكانوا يسمونها « المعاجم » ، و « الفهارس » ، ثم صارت تسمى « الاثبات » . وهذا من آثار عناية السلف بالرواية ، وبيان مصدر كل فقرة من فقرات العلم ، وتسمية الشيخ الذي وصلت منه إلى تليذه . وذلك لأن العلم في الإسلام أغل على أهله من المال ، وكأ أن قاعدة « أنى لك هذا ؟ » يهتم لها البشر في أمر المال ، فإن هذه القاعدة نفسها يهتم لها علماء المسلمين في أمر العلم ، والعلم عندهم عبادة ودين ، وبهذه الطريقة يفتضح الكذبة الذين يأتون بالعلم المزيف ، والتاريخ الممّؤر ، والحديث الموضوع ، لأنهم مطالبون بأن يردوه إلى مصادره المحترمة والموثوق بها ، فإن لم تكن لهم هذه المصادر المحترمة بان للعلماء عوار بضاعتهم ، وتحاماهم الناس ، واشتهرت في سوق العلم بالتقوية والغش والتزييف . والرواية عند علماء المسلمين ولاسيما عند علماء الحديث كالانساب للناس ، وكأ أن في الاطفال لفظاً لا يعرف الناس آباءهم ، فكذلك في أخبار التاريخ ومرويات الحديث ومسائل العلم أخبار ومرويات ومسائل لا يعرف أصلها ، أو تلتصق كذبا بأصول لاصلة لها بها ، وذلك من صنع الكذبة الوضاعين أصحاب الاغراض والاهواء والمذاهب الفاسدة . ولكن علماء الإسلام وأعلامه من ورائهم يفضحون أغراضهم ويميزون الطيب من الخبيث بقواعد وقوانين ودراسات في النقد دونوها وألفوا فيها الكتب . ولذلك صار كل عالم حريصاً على أن يسمى شيوخه ، ويبين مصادر علمه . ومن خواتيم هذه العناية الكتب التي ذكرناها ويسمونها المعاجم والفهارس والاثبات . وللعافظ ابن حجر كتب يذكر فيها شيوخه أحدها كتاب ( المجمع المؤسس ، بالمعجم



(المفهرس) وهو في مجلدين وتوجد مسودته بخط ابن حجر في مكتبة الجامع الأزهر ، وفي مكتبة الأزهر كتاب آخر له في مجلدين أيضا ، والظاهر أنه غير الأول واسمه ( المعجم المفهرس ) ، وله غيرهما ( فهرس المرويات ) وكان هذا الكتاب معروفا عند معاصريه والذين جاءوا من بعدهم .

ومن الأخلاق التي عرفت عن الحافظ ابن حجر في سنوات طلبه للعلم ، وقد ذكرها معاصره الحافظ ابن فهد المسكي ، أنه « كان في حالة طلبه للعلم مفيداً في زى مستفيد ، إلى أن انفرد في شبابه بين علماء زمانه بمعرفة فنون الحديث لا سيما رجاله وما يتعلق بهم » . وهذا الخلق في طالب العلم - أى أن يكون مفيداً في زى مستفيد - هو من أخص آداب طلب العلم في الإسلام ، وقد علوا بالتجربة أن « من تواضع لله رفعه » ، والكبرياء لا تجتمع مع العلم في نفس واحدة . فإذا لقيت العالم وأنت لا تعرف منزلته في العلم فانظر إلى تواضعه وكبريائه ، فكما كان أكثر تواضعاً كان أكثر علماً ، وكلما كان صاحب كبرياء كان ذلك دليلاً على فقره في العلم . ولأن علماء المسلمين نشأوا على التواضع بآرك الله لهم في جهودهم وفي أوقانهم ونفع الناس بمؤلفاتهم وعلومهم واستطاع الواحد منهم أن يؤلف عشرات الكتب ، وإن من علمائنا مئات ومئات تجاوز عدد مؤلفات الواحد منهم المائة بل المئات ، وهذا يتيم مصر العتيقة الذى نستعرض هذه الصورة الجميلة من حياته استطاع بالتواضع والمثابرة والصبر أن يكون نابغة مصر والعالم الإسلامى ، ولم يفارق هذه الحياة الدنيا إلا بعد أن زاد عدد مؤلفاته على مائة وخمسين ، والكتاب الواحد منها قد يكون في بضعة عشر مجلداً وقد يكون في بضع مجلدات وقد يكون في مجلد ضخم . هذا مع ولايته القضاء أكثر من عشرين سنة ، ومع رحلاته المتعددة إلى سوريا وفلسطين والحجاز واليمن ، ومع إلقائه الدروس اليومية على الطلبة الذين صاروا علماء ، ثم على الذين صاروا علماء من بعدهم ، حتى قيل إن من تلاميذه الجد والاب والحفيد . ومر زمان بعد وفاة الحافظ ابن حجر لا يكاد الإنسان يجد فيه منتسباً إلى العلم في مصر إلا وهو من تلاميذ يتيم مصر العتيقة أو من تلاميذ تلاميذه . فتنى ياترى وجد هذا الرجل الوقت الكافى لتأليف مائة وخمسين كتاباً مليئة بالأحاديث المنصوصة بأسانيدھا ، وبالأقوال المعزوة إلى الأئمة والعلماء ، وبالتحقيقات النفيسة التى هى نتيجة علم وتفكير ، فضلاً عن الزاجم المحررة عن الرواة

والعلماء والحفاظ ، وكل كلمة فيها تحتاج إلى مراجعة وتنقيب وثبت ؟ إن وقت أمثال الحافظ ابن حجر قد برك الله فيه ، لأن صاحبه كان متخلفاً بأخلاق يرضى الله عنها ، ولذلكمكنه من جمع هذه الثروة العلمية لامة بعث الله فيها رسوله بالعلم والهدى .

وبعد أن اجتازنا مع الحافظ ابن حجر هذه المرحلة من حياته نلقاه الآن وهو يناهز الأربعين ، والأربعون هي سن النضوج والحكمة ، فلا غرو إذا رأيناه مشمراً عن ساعد الجدد لتركه الإسلام والإحاطة بكنوزها ، وأثنى كنوزها ما حفظه سلفنا من أقوال باني هذه الامة وهاديا إلى الحق والخير صلوات الله وسلامه عليه وما صح عنه من أعمال . وابن حجر بدأ صلته بالحديث النبوي من رحلته الأولى إلى الحجاز سنة ٧٨٤ وكان لا يزال في الثانية عشرة من عمره . فلما بلغ أشده واستوى اتصل بالحافظ زين الدين العراقي الذي شهد له بأنه أعلم أصحابه في الحديث . ويقول الجلال السيوطي إن ابن حجر كان يحفظ ما يزيد على عشرين ألف حديث . ويقول مترجمو الحافظ ابن حجر إنه تولى تدريس الحديث في خانقاه بيبرس نحواً من عشرين سنة وأملى ما يزيد على ألف مجلس في الحديث من حفظه ، ونيط به التدريس في المدرسة الجمالية ، وفي دار الحديث الكاملية بين القصرين ، ودرس التفسير في المدرسة الحسينية ، وفقه الإمام محمد بن إدريس الشافعي في المدرسة الخروبية البدرية ، ودرس مختلف العلوم في القبة المنصورية ، وفي المحمودية ، والشريفية الفخرية ، وفي الشيخونية ، والصالحية النجمية ، والمؤيدية ، وفي الصلاحية المجاورة لإمامه الشافعي رحمه الله ورضي عنه . وهذه المدارس كانت يومئذ أعظم عناية بالعلم وتحقيقه والتعمق فيه من أرقى كليات هذا العصر . وسبب ذلك أنهم كانوا يطلبون العلم للعلم ولمرضاة الله عز وجل وعلى أنه عبادة ، أما في زماننا المادى فالغالب على طلاب العلم أن يطلبوا به الدنيا ، وهم يشتغلون منه بما له سوق رائجة . وشتان ما بين القصدين ، وبين الثرتين . ومن الحكم التي تعزى إلى السيد المسيح سلام الله عليه قوله : من ثمارهم تعرفونهم . ولم يكتف ابن حجر بالقضاء والتدريس بل إنه تولى الإفتاء أيضاً بدار العدل ، ونولى الخطابة بالجامع الأزهر ثم بجامع حامل رسالة الإسلام إلى مصر سيدنا عمرو بن العاص رضوان الله وسلامه عليه . ولحبة ابن حجر للمكتب ورغبته في مجاورتها تولى - في جملة ما تولاه - خزن الكتب في المدرسة المحمودية . فكانت مكتبتها الكبيرة الثمينة كأنها مكتبته الخاصة يطالع فيها ويراجع ويؤلف ما شاء الله له أن يؤلف .

ولو لم يرقم الحافظ ابن حجر بخدمة الإسلام غير تأليفه كتاب (فتح الباري) لكان ذلك كافياً لتخليده . وما كاد يتم تأليفه حتى تراحم أعلام العلماء ونجباء الطلبة على استنساخه واقتنائه ، وبيعت النسخة منه في حياة مؤلفه بثلاثمائة دينار ذهباً . وذهب المثل يومئذ بين علماء الحديث بأنه « لا هجرة بعد الفتح » ، لأن فتح الباري يغني متدبره عن الانتقال عنه إلى غيره . وقد بلغ هذا الكتاب في طبعاته المتعددة ثلاثة عشر مجلداً ، وكان الأقدمون يجوزونه في ضعف هذا العدد ، ولو أنه طبع طبعة دراسة وتحقيق وعناية ومقارنة لخرج في أربعين مجلداً وأكثر .

ولفتح الباري مقدمة في مجلد كبير اسمها (هدى السارى) جمع فيها الحافظ ابن حجر جميع مقاصد فتح الباري .

أما الأحاديث النبوية التي هي من أدلة الأحكام في التشريع الإسلامي فكان بين أيدي أهل العلم منها في طفولة يتيم مصر العتيقة كتابان متداولان أحدهما مختصر صغير للحافظ وهو (العمدة) للحافظ عبد الغنى المقدسى وقد تقدم في هذا المقال أن الحافظ ابن حجر كان يحفظه من طفولته . والكتاب الآخر مطول للدراسة وهو (المنتقى من أحاديث الأحكام) للإمام مجد الدين بن تيمية جد شيخ الإسلام تقي الدين . وقد رأى الحافظ ابن حجر أن يجمع في أحاديث الأحكام كتاباً وسطاً بينهما حتى إذا حفظه الطلبة كانت مادتهم في أحاديث الأحكام أغزر ، ولذلك ألف كتابه الشهير (بلوغ المرام) . وإن الإنصاف العلمي والمذهبي الذي كان يغلب على أخلاق الحافظ ابن حجر في فتح الباري وغيره من مؤلفاته كان مما أثر في بعض نواحي علماء اليمن في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ونرى أثر ذلك في شرح السيد محمد بن اسماعيل الصنعاني (١٠٥٩ - ١١٤٢) لكتاب بلوغ المرام ، كما نجد مثل هذا الأثر في شرح القاضي الشوكاني (١١٧٢ - ١٢٥٠) لكتاب المنتقى من أدلة الأحكام ، حتى لا يكاد قارئ الكتابين يشعر بأن مؤلفي الشرحين من كبار علماء الزيدية مع أن مؤلفي المتنين من كبار أئمة أهل السنة . وبمثل هذه الأخلاق ، ولا سيما خلق الإنصاف ، مضافاً إلى خلق الإخلاص ، يكون التقريب المعقول بين أهل المذاهب ، لأن الإنصاف والإخلاص يجمعانهم جميعاً على احترام ما صح من سنة رسول الله ﷺ وإجلال حفظتها من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان .

وهذا ما توافر في كتاب ( سبل السلام ) للسيد محمد بن اسماعيل الصنعاني وكتاب ( نيل الاوطار ) للقاضي الشوكاني . أما أن يأتي رجال ينكرون السنة الصحيحة ويروجون الاحاديث المكذوبة ، ويغضون الصالحين من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيه وصادق الرواة عنهم ، ويدافعون عن شائهم والذين يفترون الكذب عليهم ، ثم يدعون الناس إلى التقريب ، فأى تقريب هذا بين الطيب والخبيث ، وبين الحق والباطل ، وبين الإسلام وضده 1٩ ومن كتب الحافظ ابن حجر في الحديث ( تسديد القوس ، في مختصر مسند الفردوس ) يوجد الجزء الاول منه في مكتبة الازهر بخط الحافظ .

ومن أوائل كتبه في الحديث ( تعليق التعليق ) ، وقد عني فيه بوصل ما ذكره الإمام محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه معلقا ، ويوجد من هذا الكتاب في المكتبة الازهرية مخطوطة في ستة أجزاء بمجلد واحد وعليها خط المؤلف . وقد اختصره المؤلف بكتاب سماه ( التشويق ) ، ثم اختصر هذا المختصر بكتاب ( التوفيق بتعليق التعليق ) .

ومن خدمته للحديث تأليفه كتاب ( إتحاف المهرة بأطراف العشرة ) وهو فهرس للأحاديث المدونة في الكتب المشهورة ، وله فهرس خاص بمسند الإمام أحمد سماه ( المسند المعلق بأطراف المسند الحنبلي ) .

ومن كتبه في الحديث ( المطالب العالية ، في الزوائد الثمانية ) ، و ( تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ) ، و ( تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ) .

وقد عني بتخريج أحاديث الكتب المشهورة ككتابه ( تخريج أحاديث الأربعين النووية ) ، و ( تخريج أحاديث كتاب الأذكار للنووي ) ، وله ( تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب في الأصول ) وهو في مجلدين ، و ( تخريج أحاديث الهداية في فقه الحنفية ) الذي ألف فيه الزيلعي كتاب نصب الراية ، ومن هذا الباب كتابه ( التخليص الحبير في تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعي الكبير ) في فقه الشافعية .

وله في مصطلح الحديث ( نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ) وشرحه ( نزهة الفكر في توضيح نخبة الفكر ) .

وكتبه في تراجم رواة الحديث من أنفس الكتب وأعظمها ، منها ( تهذيب التهذيب ) طبع في حيدر آباد الدكن بالهند في ١٢ مجلداً . وقد هذب به كتاب تهذيب الكمال في أسماء

الرجال ، لمحدث الشام الحافظ المزى . ثم لخصه في ( نهاية التقریب ) ، واختصره بعد ذلك في ( تقریب النهذب ) ، وكل منها نافع في بابهِ وضروري للشتغلين بعلم السنة .

ومن تمام التعريف برواة الحديث العناية بالمطعون فيهم من الرواة ، وكان الحافظ الذهبي قد ألف في ذلك ( ميزان الاعتدال ) في ثلاثة مجلدات ، فنقحه الحافظ ابن حجر وزاد عليه وأخرج من ذلك كتابه ( لسان الميزان ) في ستة مجلدات ، وقد طبع في حيدر آباد المدكن بالهند .

وكما وفي الرواة حقهم ، فإنه قام بمثل ذلك لائمة الرواة ورؤسهم وطلعتهم الاولى وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، فبعد أن كان المتداول قبله في هذا الباب كتاب ( الاستيعاب ) لحافظ الاندلس ابن عبد البر وكتاب ( أسد الغابة ) لابن الاثير الجزري ، أخرج الحافظ ابن حجر كتابه الوافي الحافل وهو ( الإصابة ) في أربعة مجلدات كبيرة فأصبح هو العمدة في هذا الباب .

ولانه كان قاضى قضاة مصر ترجم لأسلافه من قضاة مصر في كتاب ( رفع الإصر ) وهو من أنفس الكتب .

وترجم لأهل القرن الثامن الذى عاش فيه ، وذلك في كتابه ( الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة ) وقد طبع في حيدر آباد المدكن في أربعة مجلدات .

وترجم لأقرانه ولداته في كتاب استمر على تأليفه إلى سنة ٨٥٠ ، وهو كتاب ( إنباء الغمر ، بأبناء العمر ) ، ومسودته بخط الحافظ ابن حجر في دار السكتب الظاهرية بدمشق ، وكانت هذه المسودة إلى وقت طفولتي ضائعة في دشت مهممل بتلك المسكتب ، حتى قام شيخنا الشيخ طاهر الجزائرى رحمه الله في رمضان سنة ١٣٢٠ ( على ما أذكر ) بتنظيم و زكائب ، ذلك الدشت واستخرج منها مخطوطات أثرية قيمة ومنها مسودة الحافظ ابن حجر لهذا السكتب ، وهى الآن معروضة للبطالة والمراجعة في مكتبة العاصمة السورية .

إن الحافظ ابن حجر كان يتوقع - قبل أن يستبحر علمه في الحديث النبوى ومعرفة رواته وتراجهم وطبقاتهم - أن يكون أدبيا بليغاً ينظم الشعر ويتفنن في منشور القول وتدييح الرسائل . غير أن إيمانه بضرورة جرد تركة الإسلام وتنظيم نصوصه وتيسير فهمها وتمييز صحيحها من مريضها ، أنساه الشعر والادب وبلاغة الترسل . إلا أن ملسكه البيان بقيت

متأصلة فيه ، فكان إذا سبحت له سوانح المعاني صاغها عنواً في لطائف من الشعر تؤثر عنه ويتناقلها الناس . وأكثني - بعد أن طال هذا المقال - بمثال واحد لهذه الناحية من مواهب هذا الرجل العظيم :

في أواخر سنة ٨٢٠ مالت منارة جامع المؤيد التي بنيت على البرج الشمالى بباب زويلة وكادت تسقط ، واشتد خوف الناس من سقوطها ، فتحولوا من حوالها ، وكان المهندس الذى بناها يسمى ابن البرجى ، فأمر الملك المؤيد بأن تقض ، فنقضت بالرفق إلى أن أمنوا شرها ، فنظم الحافظ ابن حجر فى هذه الواقعة هذين البيتين :

لجامع مولانا المؤيد رونق      منارته بالحسن تزهو وبالزين  
تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا      فليس على جسمى أضر من العين

وبلغ ذلك معاصره الشيخ بدر الدين العيني ، فظن أن ابن حجر عرض به ، فاستعان بالنواجى الأبرص - وكان شاعراً - فنظم له بيتين معرضاً بـ ابن حجر ونسبهما العيني لنفسه وهما :

منارة كهروس الحسن إذ جليت      وهدمها بقضاء الله والقدر  
قالوا أصيبت بعين ، قلت ذا غلط      ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر

وبلغت الكلمتان مسامع تقي الدين ابن حجة فقال :

على البرج من باني زويلة أنشئت      منارة بيت الله والمعبد المنجى  
فأخنى بها البرج الخبيث أمالها      ألا صرحوا يا قوم باللعن للبرجى

والبرجى هو الذى كان قائماً على عمارة المنارة قبل أن تميل . ومثل هذه المطارحات كانت من اللطائف التى يتبادلها العلماء والأدباء على سبيل الفكاهة ، ويكون لها جميل الوقع فى المجالس والسهرات فى تلك الأيام التى لم يكن فيها للناس صحف يتحدثون بما يرد فيها .

وبعد فإن الإمام بأعمال يقيم مصر العتيقة ، وما اتسعت له حياته المباركة من درس ، ومطالعة ، وتفكير ، وتأليف ، وتدريس ، ورحلة فى الأقطار - مضافاً ذلك كله إلى ولايته القضاء الأعلى فى القاهرة ، والقضاء يومئذ واحد يشمل قضاياء القطر - ليس مما تتسع له هذه الصفحات . وقد حاول تلميذه محمد بن عبد الرحمن السخاوى صاحب الضوء اللامع فى تراجم أعيان القرن التاسع أن يفرد ترجمة شيخه ، الحافظ ابن حجر فى كتاب مستقل لجاءت فى مجلدين اثنين ، ولو شاء رجل من أهل عصرنا أن يدون ما فى كتاب السخاوى بأسلوب يستوفى به

ظروف الوقائع ويجلوها لقرائه حتى يكونوا كأنهم معاصرون لها ومشاهدون لتطوراتها ، لجاء من ذلك كتاب أوسع وأبسط من كتاب السخاوى ، لأن ترجمة رجل كالحافظ ابن حجر هي تاريخ لعصره في سياسته وثقافته وأخلاق عظمائه وآداب مجتمعه ومستوى طبقاته وأمانى الناس فيه وآمالهم ونواحي قوتهم ومواطن ضعفهم ، ولا بد لامتنا أن نتعرف إلى رجالها في العلم والسياسة والحرب والمسال والأدب - من صدر الإسلام حتى الآن - على هذه الطريقة ، ليكون كل عصر من عصور تاريخنا الإسلامى نابضاً بحيويته أمام أنظارنا ، معلنا لفضائله ونقائصه بأصولها ونتائجها ، لتتم لنا العبرة بذلك ، ونعرف كيف وبماذا كنا من أهل الخير ، وبماذا ضاع منا ذلك الخير ، فصرنا ضعافا حتى سهل على المستعمرين الاستيلاء علينا ، والنصرف فى أوطاننا وعقولنا وقلوبنا وأذواقنا وأخلاقنا ، إلى أن صرنا كما أرادوا لنا أن نكون ، لا كما أراد لنا قائدنا الأعظم عليه السلام أن نكون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ولو أن هذا اليتيم كان فى طفولته وصدر شبابه ضعيف العزيمة متوسط المهمة ، أو كان يطلب العلم ليعيش منه ، لذهب فى قافلة الموتى خاملا منسيا ، ولا ضمحت صورته فى ظلام الماضى كما تضمحل صور الموتى الخاملين فى كل يوم وفى كل ساعة ثم لا يذكروهم أحد بخير . بينما الرجل العظيم الذى يستعمل حياته القصيرة فى هذه الدنيا بما ينفع أمته ، ويوفر لها أسباب عظمتها فى الأخلاق وحسن التوجيه حتى تكون عزيمة بفضائلها وثرواتها الأدبية والمادية فإنه يبقى حيا مع الاجيال الآتية بعده كما كان حيا مع جيله ، ويذكره الناس بالخير ، ماتمتعوا بما خلف لهم من مآثر الخير .

أيها الطالب الفجيب :

ها أنت الآن فى بداية سنة جديدة من حياتك فى طلب العلم ، فإما أن تكون نفسك عزيزة عليك فتقف جهودك كلها على طلب العلم للعلم وحده ، ولوجه الله وحده ، كما كان يفعل يقيم مصر العتيقة منذ كان يتيمًا إلى أن صار فتى وشابا ورجلا وشيخا جليلا ترفرف القلوب من حوله بحبته وإجلاله ، وحينئذ ستجد نفسك سائرا فى طريق مفخرة الزمان ، زين الحفاظ قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، وأحسبني قد أخذت بيدك منذ ساعة فدمرت بك من ورائه خطوة خطوة ، حتى عرفته من بداية أمره يوم ولد فى سنة ٧٧٣ إلى أن ختم الله له بالحسنى بعد ثمانين سنة قمرية ، وأزبدك الآن أن مصر كلها

سارت في مشهده يوم روعت بخبر موته ، فلم يبق فيها عالم ولا عظيم ولا أمير إلا سار في هذا المشهد الرهيب ، وكان السلطان الملك الظاهر جقمق يتناوب مع العظام حمل نعشه . ولما أرادوا الصلاة عليه قدم السلطان الخليفة العباسي لذلك ، فأذن الخليفة لعلم الدين البلقيني بأن يؤمهم في وداعه الأخير ، وكان الجميع ساعثن من ورائه يذكرون عظمة هذا العالم الإسلامي الكبير فيقولون مع إمامهم : الله أكبر ، ، المرة بعد المرة بعد المرة بعد المرة ، وكان ذلك في يوم السبت ٢٨ من ذى الحجة سنة ٨٥٢ . وكما كان وصيه الشيخ زكي الدين الخروبي هو الموجه له في طفولته لتسكون نيته في أعماله خالصة لله ، وكما كانت المدرسة الخروبية إحدى المدارس التي عاش فيها شطراً من عمره متعلماً وعالمياً ، فقد اختير لدفعه تربة بنى الخروبي في القرافة الصغرى تجاه الجامع الديلمي على مقربة من قبر إمامه محمد بن إدريس الشافعي رحمهما الله ورضى عنهما وجعلنا في قافلتها مع الصالحين الدائبين العاملين من أئمة هذه الأمة وعلمائها ومجاهديها إلى يوم الدين .

محج الربيع الخطيب

## طلاب الوظائف

قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة :

« يا عبد الرحمن . لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها . وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير ، وكفر عن يمينك . »



# نَفْحَاتُ الْفَرَّانِ

- ١٠ -

## سِحْرُ هَارُونَ وَمَارُوتَ

[وما يعلمان من أحد حتى يقولوا : إنما نحن فتنة فلا تسكفر]

١ - تمهيد - من القضايا التي اتسعت لها جوانب القرآن ، وتناولها سياقه في غير موضع : قضية السحر والسحرة .

وما كان القرآن ليغفل ظاهرة عليية - كظاهرة السحر - أخذت مجراها على مسرح الحياة ، حتى اتصلت بالعقيدة ، وكانت مثار الجدل ، بل مبعث اللجاج بين فريقين يختصمان حول الحق والباطل ، وينقسمان حول الدعوة الدينية في بعض أزمنة النبوة .

والمتصلون بالقرآن يعلمون ما شجر من خلف صاحب بين فرعون وسحرته وبين موسى عليه السلام ، ويعلمون ما كان للسحر على فرعون وبطانته من تأثير ، ثم ما كان لموسى عليهم من الغلب : إذ بطل السحر ، وألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، فكان من نفحات القرآن أن يبصرنا بتلك الظاهرة التي باتت مزلة للعقيدة ، وفن بها خلق كثيرون .

ولكن . . من أي ناحية يعرض القرآن للسحر ، وله جوانب عدة ؟ ؟  
عمدنا بالقرآن أن يعنى بجانب الموعظة والإرشاد ، ويسوق من الآيات ما يتصل بهدفه ، وينير الحججة لاتباعه ، ويقم الحججة على مخالفه .

أما ما بعد ذلك من غايات أخرى - كتاريخ السحر ، ووسائله ، وتطوراته ، وأنواعه ، وتفصيل آثاره - فقد لا يذكرها القرآن ، أو لا يذكر بعضها إلا عرضاً ولتمام الفائدة . . وهو يدعو لبعدها عن مقصوده الأول - العظة - أو لأنها غير محدودة : فهي تختلف باختلاف الأزمنة ، وتتفاوت في تقديرها القول .

وحديث القرآن عن السحر يتصل بموسى ، ويتصل بسليمان بن داود عليهم السلام ، ويتصل كذلك بهاروت وماروت من الملائكة المكرمين .

وقد ارتضيت أن أختار - سحر هاروت وماروت - مطلعاً للحديث لأن زمنهما أسبق من زمن موسى ، ومن زمن سليمان ، إذ كانا في زمن إدريس ، وزمن إدريس قبل الطوفان ، وأما موسى وسليمان فهما من ذرية إبراهيم ، وبديهي أن إبراهيم وبنيه بعد الطوفان ، وسلام الله عليهم أجمعين .

ونظرة إلى الآيات « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - إلى قوله تعالى عظماء على ما ذكر - وما أنزل على الملوكين ييا بل : هاروت وماروت ، توهم أن زمن سليمان أسبق تاريخاً لتقدمه في الذكر ، وذلك في بادىء الرأى يخالف ما أسلفت .

ويدفع هذا الوهم أن العطف بالواو - بين قضية سليمان وقضية هاروت وماروت - لا يفيد ترتيباً في الزمن ، وإنما هو لمطلق الجمع في السياق ، ولو كان المعطوف أسبق حدوثاً من المعطوف عليه - وذلك شأن مفروغ منه ، سيما أن القرآن الكريم لا يتقيد برعاية التاريخ ، فذلك غير ما يعنيه ، وما كان يفض من روعة القصة أن تكون على ترتيب الزمن فيبدأ فيها بذكر هاروت وماروت على ذكر سليمان .. ولكن الشأن فيما يبدو لنا يقضى بورودها على النمط الذي جاءت به . لأن سليمان رسول .. وقد لصق به السحرة من الأباطيل ما فيه كفر ، والله يغار على رسله من سفه أعدائه ، وأعدائهم ، وأعداء الحق .

فكانت الحكمة السامية أن تبادر الآيات إلى تبرئة سليمان عليه السلام مما عزى إليه « وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا » .

ولنا بعد هذا التمهيد أن نواجه الموضوع .

٣ - من تدبير الله في مأسكه أن يفضى إلى الملائكة بما كان غيباً ثم حان وقته فلم يعد غيباً ، وللملائكة فيما بينهم مناجاة بما ألقى إليهم من شئون كونية ، وكانت للشياطين جولات علوية تمسكنهم أن يسترقوا السمع مما يدور بين الملائكة ، ثم تنهط الشياطين بما تلقفته ، وتخلط حقاً بباطل ، فتضيف إلى ما سمعت كثيراً من الأكاذيب الشيطانية ... وينتهون بذلك كله إلى أناس من الأشرار نصبوا أنفسهم للضلال ، واتخذوا الشياطين

أولياءهم ، فأصبح شياطين الجن وشياطين الإنس أعوان فتنه ودعاة لإفساد ، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ، ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون .

ثم ظهرت موالاة أناس للجن بشكل واضح في عهد إدريس عليه السلام ، وكان علم السحر فاشيا حينئذ بين الناس ، فاستطاع السحرة أن يستعينوا بما يأخذون عن الشياطين : « شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، وكانت وسيلة هؤلاء المفسدين إلى السحر تجارب ودعت لهم ، وصيغا حفظوها من كتب لا ندرى مصدرها ، كما كانت المنكرات وسيلتهم في التقرب إلى الشياطين ، فهم يرددون ما يوسوس إليهم مرده الجن ، ويفعلون من الكفريات ما يعجبهم ، ويستعينون بما لا يقدم عليه إلا من خبثت نفسه ، وفسدت طويته وطاب له أن يمعن في الشر قولا ، وعملا ، وعقيدة ليرضى شهوته وشيطانه .

راجت أباطيل السحرة بأرض بابل - بالعراق - فجرف الناس تيار السحر ، وقتنتهم تخيلاتهم ، حتى التبس عليهم الحق بالباطل وزعموا أوزعم كثير منهم ، جواز الأخذ به على الإطلاق في غير حرج ، وترعزت عقيدة الناس في كثير من الحقائق الديفية ، فظنوا أن السحرة يعلمون الغيب ، ويخبرون بالمستقبل ، وأن مقام السحرة أشبه بمقام الانبياء ، وهكذا .

وكان من مرحمة المولى بخلقه من أهل تلك الديار أن يبعث إليهم من ملائكة السماء - هاروت ، وماروت - ليعلموا الناس أن الشائع بينهم سحر ، بل ليعلمهم نفس السحر ، حتى يتبينوا أنه صناعة تكسب بالتعلم ، وليس علما سماويا ، وأنه يستعان فيه بالوسائل المادية كالعزائم ، والرقى ، وأن محاولات السحر - وهي عمل إنساني - قد تصح ، وقد لا تصح . وليس كذلك ما يكون من علم السماء .

إذا عرف الناس ذلك فقهوا وفطنوا إلى الصواب ، واهتدى من فيه صلاحية الهداية ، وكان من أمانة الملاكين - كما عهد الله إليهما - أن ينصحا كل أحد من الناس قبل تعليمه ، فيقول له [ إنما نحن فتنه - ابتلاء - فلا تكفر ] فلا تغتر بتملك السحر ولا تعتقد حله ، فتستبج به المحظور .

وبهذا يتضح سبيل الرشده من سبيل الغي ، فمن انتصح واجتنب السحر من أولئك عقيدة وعملا - فهو المؤمن الثابت . ومن تطوع للشيطان فهو غوى من الغاوين ، فسكان تعليم هاروت وماروت امتحان من الله لعباده ، ليتبين لهم ما لا يعرفون من خبايا أنفسهم ، والله سبحانه - أن يختبر خلقه بما يشاء ، حتى ينفي الخبث عن دينه ، ويبعد الزيف عن خالصاته [ أحسب الناس أن يتركوا : أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم ] .

ومع تحذير المسلمين لمن ينصحانه لم تكن النفوس كلها خيرة : ففريقا هدى ، وفريقا حقت عليهم الضلالة ، واتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، وأصبح السحر لديهم مفسدة مستباحة ، يلحقون به الأذى بمن شاموا ، ويغفون به من يركن إليهم ، ويفرقون به بين الصاحب وصاحبه ، بل بين المرء وزوجه . وبقي السحر ظاهرة فاشية ، يتوارثها من الخبيثين خلف عن سلف ، والشياطين يتعمدونهم بالإمداد من أكاذيبهم ، ولإغوائهم ، إلى أن جاء عهد سليمان عليه السلام .

٣ — وهنا يرد على الخاطر سؤال : هو أن الطوفان فصل بين سابق ولاحق ، وذهب بالاشقياء ، ونجى الله منه نوحا ومن آمن معه ، فن أين جاء الأشرار الذين يستحوذ عليهم الشياطين ، ويجددون على أيديهم بواعث الفساد حتى يصلوا إلى عهد سليمان من بعد ؟ والجواب الذى نحاوله : هو أن الطوفان كان عقوبة لأولئك الذين أسرفوا في كفرهم حتى تمردوا على نوح عليه السلام ، ولم تتحول به الدنيا إلى جنة مطهرة من الخبث والخبائث بل هى الدنيا على حقيقتها ، والشياطين فيها إلى أن يقضى الله فيها قضاؤه .

ومعقول جداً : أن يكون في الناجين مع نوح من يكون عالما بالسحر لا يستخدمه في الفساد فإذا تجددت الحياة ، واستأنف الناس فيها مذاهبهم ، ووجد فيهم من يتعلم السحر حديثاً فسيعود فيهم طراز من غواة الفساد ، ولو من ذرية نوح نفسه ، ومن ذرية المؤمنين به .

وما دام الشياطين على ما ألفنا منهم ، والمفسدون على ما عهدنا فيهم ، والدنيا دار امتحان وبلاء ، فلا غرابة أن تكون للسحر وللسحرة نشوة أخرى في عهد سليمان ، وأن يعود الفساد سيرته الأولى . وهذه سنة الله في دنياه ، وتعالى حكمته عن الريبة .

٤ — كانت معجزات سليمان عليه السلام : أن يركب الريح ، وأن تجرى بأمره ، وأن يتحكم في الجن ، ويستخدمها في الأعمال على اختلافها ، ويحضرها ، ويصرفها ، ويطلق

بعضها ، ويقيد بعضها ، وأن يجمع الطير إذا شاء ، ويرسلها إذا ما أحب ، وهكذا بما طلبه وأجيب إليه ، وحدثنا عنه الآيات في قوله سبحانه ، قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الاصفاد ، هذا عطاؤنا ، فامنن ، أو أمسك ، بغير حساب ، وفى قوله تعالى : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ، وكذا فى قوله : « وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد ، أم كان من الغائبين ، لأعذبه عذابا شديدا ، أو لأذبحنه ، أو ليأتينى بسلطان مبين . . الآيات .

فى ضوء من هذه المعجزات نشط السحر ، وكثرت إباطيله ، ودأب الساحرون على إفكهم ليقارموا هذه المعجزات ويسكذبوها فى اعتبار الناس ، ويصوروا لهم أن سليمان لا يأتى بمعجز ، ولا يختص بتأييد من الله ، حتى تأثر بذلك جمهرة من البسطاء ، وحسبوا أنه لا فرق بين ما يصدر عن دعاة السحر وما يأتى به سليمان ، وأدى بهم ذلك إلى أن يزعموا للناس أن كتبهم التى يعتمدون عليها فى التعاويذ ، والرقى ، والأبخرة ، واستخدام الجن ، هى نفسها من كتب سليمان ، وكأنهم نجحوا أو كادوا فى إقناع أفراد من القوم بأن الكفر الذى يجرونهم إليه هو من دعوة سليمان التى جاء بها .

وغنى عن الإيضاح أن هذا نقض للرسالة من أصلها ، وأنه غاية ما يصدر عن المخالفين من خيانة لله ، وكيد خبيث لرسله ، والله لا يهدى كيد الخائنين . وإنما يتلى بعض عباده .

« ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا ، فيجعله فى جهنم ، أولئك هم الخاسرون . .

• — ونحن الآن فى نقاش مع اليهود ، وما أكثر النقاش معهم !!

فكتبناهم التوراة جاءهم بالحق من عند الله ، وكشف لهم من أمور الغيب ما يجب الإيمان به : من أحداث ، وأحكام ، ونبوات متجددة ، وليس فى كتبهم ، ولا فيما توارثوه عن أنبيائهم ، ولا فيما حدثهم به أحبارهم الامناء . أن كتبناهم آخر الكتب ، ولا أن النبوة تنتهى فيهم .

بل فيه تبشير بأن لله أنبياء منتظرين من غير بنى إسرائيل ، وفيه تهديد للقرآن ،

ولنبي العربي الذي انتهى به الرسالات . . فكان سهلاً عليهم أن يطمئئوا ، ويعتقدوا في غير ريبه ، وألا يجعلوا للأناثية سبيلاً إلى المعتقدات الدينية .

ولكن مع استقرار أنباء التوراة في وعيهم ، كلما حان الخبر من أخبار السماء أن يتحقق سارع أخبارهم إلى التكذيب ، وحفزتهم نزعة الاثرة إلى التبديل في التوراة ، ونفضوا أيديهم من سابق علمهم الحق ، وركنوا إلى عمالة الجهل المصطنع ( فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ) .

فكان من شأنهم مع المسيح بن مريم - عليه السلام - ما لا يطيب لذي عقل وحساسية أن يقول به في إنسان من جمرة الناس : فضلاً عن نبي مؤيد بكتاب مقدس من عند الله .

ولما جاء محمد - صلوات الله عليه - ووجدوا كتابه مصدقاً لأنباء التوراة عن نبي العرب ورسالته زادهم حقناً والتواء ، حتى أنكروا ما عرفوا ، وتجهموا للتوراة فيما حدثتهم به ونبؤوا الأخذ بها فيما تطابق عليه القرآن والتوراة ( ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب - كتاب الله وراء ظهورهم : كأنهم لا يعلمون ) ويكفي في ترك التوراة أن يتركوا بعضها ، إذ الإيمان لا يتجزأ .

وبعد نبذهم للتوراة . اعتاضوا عنها - وواضح أن تارك الحق لا يجد عوضاً عنه إلا يباطل ، ضرورة أن الحق لا يتعدد . ( فإذا بعد الحق إلا الضلال ) ؟؟

كذلك كان - اعتاض المارقون من التوراة بالسحر ، فانخذوه علماً وعملاً وشعاراً ، ووجدوا في ضروب السحر وآثاره مشتهام من السيطرة على الاوهام ومن جمع الاموال ، وإفساد العلائق ، وكل ما تبغيه نفوس منهومة لا تعرف التريث في سبيل غاياتها وإن جمحت أو تجاوزت الجوح .

وإذ كان السحر بالغاً أشده في عهد سليمان ، ومن قبله في عهد إدريس مفسوباً إلى المسلمين لمز القرآن اليهود بإعراضهم عن الحق الصراح ، ولجؤهم إلى الباطل البواح ، فقال الله تعالى [ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - على عهده - وما كفر سليمان - بعمل السحر - ولكن الشياطين كفروا : يعلمون الناس السحر - وما أنزل على المسلمين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يةولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منها

ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه - اختاره علما وعملا - ماله في الآخرة من خلاق [ من نصيب . فاليهود هم الآخذون بالسحر الموروث عن عهد سليمان ، وعن الملوك من قبل ، التاركون للقرآن . وقد ظل السحر إلى يومنا هذا بابا من أبواب الشر ، ووسيلة من وسائل الضلال ، حتى ليتخذ بعض الغاوين وسيلة عيشهم ، ومديلا إلى مخادعة الناس عن الدين وتعاليمه الحقة ، ويضاف إلى ذلك أن أغلب مدعيه جملة بوسائله ، فهم يخوضون في المنسكر عن معرفة بأساليبه المردولة مرة ، وعن جمل بها مرات .

بل يبلغ من تبذلم وسفهم أن يموهوا على الناس بأنه آيات من القرآن ، وصيغ مشروعة ، وقد يصادف أن يتحقق شيء مما يعملون له فتتأصل الفتنة ، ويتركز الضلال [ وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ] .

وبعد — فإن الله حكمة بالغية في أن يكون بنو إسرائيل أصحاب الموقف البارز في كل فتنة ثائرة ، وأصحاب محاولات ماكرة في الفرار من الحق ، واللياذ بالباطل ، حتى لو لم يجدوه لاختلقوه ، فإذا وهن موقفهم ، ولم تسعفهم المعاذير نشطوا في المراوغات كما كانوا ينشطون إلى قتل أنبيائهم : مبالغة في تجافى الهداية ، وتأنيبهم السمع والطاعة ، ولئن كان لهم نشاط في عمارة الدنيا ، وإنهاض بعض الصناعات ، فإن ذلك وأضعاف ذلك لا يغير من نفسيتهم ، ولا يرفع من خيبتهم ، بل كلما برزوا في الميدان الاقتصادي بانث لهم ضرور كانت مكبوتة وابتدعوا رذائل كانت مجهولة ؛ فإن أفادوا في جانب فهم يضرون في جوانب ، ولعل الضرر منهم يرجع على نفعهم ، فإن شرف الأفراد والجماعات إنما ينهض على القيم الأدبية ، ويقاس بالمعنويات : أكثر مما ينهض على القيم المادية ، أو يقاس بالثروات .

وليت شعري !! لو لم يكن من صنع الله أن تكون يهود كما عهدناها .. أكانت دعوات الانبياء تتعثر بمثل ما تعثرت بهم ، أو كانت الجماعة الإنسانية تتصدع بمثل ما يصيبها على أيديهم ؟؟ ولكن الله أراد ...

عبد اللطيف السبكي  
عضو جماعة كبار العلماء

# الْبَيْتُ

## خُصُومَةُ الْأَكَابِرِ

الخصومة من طبيعة البشر - موقف الإسلام من الخصومة - أنبل خصومة عرفها التاريخ - شذرة من مناقب العمرين - فضل الصديق على الفاروق - درس نبوى عظيم - درس إلهى أجل وأعظم - شعار الخيرين بعد الدرسين .

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : كنت جالساً عند النبی ﷺ إذ أقبل أبو بكرٍ آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ؛ فقال النبی ﷺ : أئما صاحبُكم فقد غامر . فسلم وقال : يا رسول الله ، إنه كان بينى وبين ابن الخطأب شيء ، فأمرعتُ إليه ثم ندمتُ ! فسألته أن يغفرَ لى فأبى على ! فأقبلتُ إليك . فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر ! ثلاثاً . ثم إنَّ عمرَ ندم فأتى منزلَ أبى بكرٍ فسأل : أأنتم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبی ﷺ فسلم عليه ، فجعل وجهُ النبی ﷺ يتمعر ! حتى أشفق أبو بكرٍ فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله ، أنا كنت أظلم ! مرتين . فقال النبی ﷺ : إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كذبت ! وقال أبو بكر : صدق ! وواسأنى بنفسه وماله ؛ فهل أنتم تاركوا لى صاحبي ؟ مرتين . فما أودى بعدها .  
رواه البخارى .

\*\*\*

غامر : دخل فى غمرة الخصومة ، والمغامر : هو الذى يرمى بنفسه فى الامر العظيم ، وأصل الغمرة : الماء الكثير .

يتمعر : يتغير وتذهب نصارته من أجل الغضب ، والظاهر أنه من قولهم : مكان أمعر إذا لم يكن به خصب ؛ وفى نسخة : يتمعر : أى يحمر ، كأنه صبغ بالمغرة .



واساني، وفي رواية: آساني بالهمز، وهي الاصل، وعليها يقتصر بعض أهل اللغة، والحديث حجة عليه: والمواساة: المعاونة.

تاركولي صاحبي، بحذف نون الإضافة، وفي رواية بإنبائها وهي الاصل، ولذا قال أبو البقاء إن الحذف من خطأ الرواة، أفلا يبلغ رواية البخاري عنده مبلغ رواية النحاة ١٩ مع أن لمثل هذا الحذف بين المضافين في العربية وجهها وجيها وشاهدا.

\* \* \*

الخصومة من طبيعة البشر في هذه الحياة الدنيا، لا معدى لهم عنها ولا محيص لهم منها، ما داموا يختلفون ويتجادلون، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم، . وكان الإنسان أكثر شيء جدلا،،

يبد أنها تختلف قوة وضعفا، ورفقا وعنفا، وقصدا وسرقا، تبعا لاختلاف الطبائع والميول، والآراء والعقول، وكبر النفوس وصغرها، وعلو الهمم وسفلها.

ولا يؤاخذ الإسلام أحدا باختلاف أو خصومة في سبيل الحق والجهاد فيه والعمل له ما دام سليم القصد حسن الطوية، نزاعا إلى الخير، ولو أخطأ في بعض أحيانه قصد السبيل، بل ربما يدعو الإسلام إلى الهجرة - وهي توم الخصومة - إذا كانت سبيلا إلى التربية والتأديب. وفي هجرته ﷺ نسائه شهراً أبلى حجة وأبين دليل.

كما لا يؤاخذ الإسلام أحدا كذلك بالنزعة ينزعها الشيطان في خصامته لآخيه، إذا استغفره أو استغفر الله له، معترفا بذنبه، عاتذاً من الشيطان بربه، غير مصر على ما فعل، ولا مجادل في الحق بعد ما تبين.

\* \* \*

على هذا النحو من النبل في الخصومة - إن لم يكن بد منها - كانت خصومة أصحاب رسول الله ﷺ فيما شجر بينهم، وعليه تكون خصومة الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم، .

وفي هذا الحديث مثل من أروع الأمثال في شرف الخصومة ونبلها، يضربه لنا الصديق والفاروق بين يدي الرسول الأكرم ﷺ فنرى فيه من أعاجيب الفضل والنبل والسود

ثم من أساليب التربية والتزكية والتعليم ، ثم من الاعتراف بالجليل لاهله ، ما يحل عن وصف الواصفين .

\* \* \*

كان بين الصاحبين الكريمين رضوان الله عليهما محاورة ومعاتبه ، أسرع فيها الصديق إلى الفاروق فأغضبه . . انصرف عمر غضبان أسفاً ! واتبعه أبو بكر نادماً معتذراً ! يسأله أن يتقبل عذره فلم يقبل ، ويتوسل إليه أن يغفر له فلم يفعل ، بل تحرز بعد الفرار منه بداره ، وأغلق بابه في وجهه ! إنما الكبيرة ، وسابقة جد خطيرة ، ليس لها أن ترفع ، إلا إلى الشفيع المشفع صلوات الله عليه وسلامه ...

أقبل رضوان الله عليه ، والرسول ﷺ ينظر إليه ، وقد كشف عن ركبته ، وأخذ من ثوبه بحاشيته ، حتى سلم وجلس ، وقص ما كان بينه وبين صاحبه لم يظلم منه شيئاً ، وما إن فرغ من شكاياته ، حتى طمأنه الرسول الكريم بدعوته : أن يغفر الله له ، ثلاث مرار يكررها ...

\* \* \*

كان الفاروق رضى الله عنه في هذه الأثناء راجع نفسه فندم على ما كان منه لأحب الناس إليه بعد رسول الله ﷺ ، فليسرع إذاً إلى بيته ليغفر له ويتقبل معذرتة ، بل ليستغفره ويعتذر له ! فلما لم يجده بمنزله أسرع إلى النبي ﷺ . . ومن خير المربين تلقى درساً شديداً قاسياً ، غير أنه كان عظيم النفع ، حميد العاقبة .

لم يكن درساً لعمر وحده ، بل كان درساً للأمة كلها في شخص عمر ، ذلك الذي أعز الله به الإسلام ، وفرق به بين الحق والباطل ، وأعدده لامر عظيم هو أحق به وأهله ، بعد أفضل الناس وأحبهم إلى رسوله وأولاهم به ، ذلكم ثاني اثنين الله ثالثهما ، ذلكم الصديق أبو بكر رضى الله عنه .

فليجلس عمر إذاً من الرسول ﷺ مجلس التليذ من معلمه ، ولا بأس إذاً بأن يعرض عنه صلوات الله وسلامه عليه مراراً ، لأنه كان صاحب حق فأضاعه وصار مديناً ، وليذكر - إن كان نسي - من هو أبو بكر ؟ صاحب الأيادي البيضاء التي ذكرها أعرف الناس للصنيعة وأذكرهم لها صلوات الله عليه وسلامه ، فقال فيما قال من فضائله التي لم يشرك فيها

أحداً غيره : إن من أمنّ الناس علىّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر <sup>(١)</sup> وقال : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعى مال أحد قط ما نفعى مال أبي بكر .

\* \* \*

وبينا النبي ﷺ يؤذّب عمر ويعتب عليه أن لم يقبل عذر أبي بكر ولم يغفر له بعد أن استغفره ، وكان الظن به ألا يحوجه إلى اعتذار أو استغفار - أشفق أبو بكر على عمر أن يناله من رسول الله ﷺ ما يكره ، فيبرك على ركبتيه معتذراً أسفاً ، ويقسم للنبي ﷺ مرتين أنه كان أظلم ، لانه هو الذي بدأ صاحبه بالإساءة ! وهنا يكف النبي ﷺ عن تأنيب عمر وتوبيخه ، ثم يذكر بعض ماثر أبي بكر ومناقبه وسبقه إلى التصديق برسالاته ، ومؤاساته له بنفسه وماله ، ثم يختم حديثه عن أولى الناس به من صحابته بهذه الكلمة المدوية الجامعة : « فهل أنتم تاركولي صاحبي ؟ » ويكررها مرتين أو ثلاثاً كما في بعض الروايات ، تلك الكلمة التي كانت فصل الخطاب ، في فضل مقدم الاحباب ، فلم ينله من الصحابة رضوان الله عليهم مكرهه بعدها .

\* \* \*

وإذا أثمرت هذه الخصومة السكرية بين العمرين ذلك الدرس النبوي العظيم ، فتمت درس إلهي أجل وأعظم ، لا يعنيننا أن كان لاحقاً أو سابقاً ، ولكن يعنيننا أنه تأديب رباني للناس كافة ، ولأولى الأمر منهم خاصة ، وفي مقدمتهم الإمامان الخيران : أبو بكر وعمر .

ففي صحيح البخاري وغيره أنه لما قدم على النبي ﷺ ركب من بني تميم قال له أبو بكر رضي الله عنه . أَسْرَ عليهم القمقاع بن معبد ؛ وقال عمر رضي الله عنه : بل أَسْرَ الاقرع ابن حابس : فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، وقال عمر : ما أردت خلافاً . فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، ونزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، إلى قوله » عظيم ، فما كانا يكلمان رسول الله ﷺ بعد ذلك إلا سرارا .

اختصا في الخير والمصلحة للأمة ، وليكنهما افتاتاً على رسول الله ﷺ ، إذ لم يكن

استشارهما ، ثم عزب تنهما أن يجلسه أجل وأرفع من أن يكون فيه تنازع أو صخب ، وهما  
الأسوة الحسنة بعد رسول الله ﷺ ، فكان في هذه الآيات التأديب الإلهي الرائع ، الذي  
يملا النفوس إجلالا وكباراً للرسول الأكرم ، ويبقى المراجعة أو المجادلة مما يشوبها من  
كدر الخصومة ولجأها .

وكذلك كان هذا الأدب الرفيع شعارهما فيما يختلفان فيه بعد انتقال الرسول ﷺ  
إلى الرفيق الأعلى وهما يقبلان وجوه الرأي ، لا وجهة لها إلا الخير والمصلحة ، وسرعان  
ما يتفقان على ما هو أهدى سبيلا ، ومن ذلك اختلافهما في قتال مانعي الزكاة وكان رأى  
أبي بكر أن يأخذهم بالسيوف حتى يودوها كاملة ، ورأى عمر مسالمهم وتألفهم خشية أن  
يكون القتال نكبة على الإسلام والمسلمين ! ولكن عزم الصديق وهو الرفيق اللين ، غلب  
سلم الفاروق وهو المقدم الصنديد ! ومن ذلك اختلافهما في جمع القرآن كما أشار عمر وتخرج  
أبي بكر أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ، فلم يزل يراجع حتى شرح الله صدر  
أبي بكر للذي شرح له صدر عمر

\* \* \*

هذا مثل من أمثال كثيرة في خصومة أولى الفضل والتبلي ينادينا ألا تلغوا ولا تخاصموا  
فإن لم يكن بد من لغوا أو خصام ، فحسبكم أن تمرؤا عليه مرور الكرام .

طه محمد السالك

## الهدم والبناء

قيل للخليل بن أحمد : استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو . فقال : نعم ، كما  
أن تحريق الثوب أهون من نسجه .



# مَوْلِدُ رَسُولِ مَوْلِدِ رَسَالَةٍ

## حَدِيثُ لَفْضِيَّةِ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

أذاع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر الكلمة الآتية في صباح يوم ١٢ ربيع الأول من دار الإذاعة المصرية :

يحتفل المسلمون الآن بمولد خير الخلق، المبعوث بالهدى ودين الحق .

إنه مولد الإنسان الكامل ، الذي ولدت بمولده رسالة الإنسانية الكاملة .

والإنسان الكامل الذي نحتفل بذكرى مولده ، قد تمكن - في ثلاث وعشرين سنة هلالية قضاهما في حياته النبوية على الأرض - من أن يقدم للتاريخ أنموذجا للأمة المثالية يعرضه على الأجيال منذ نحو أربعة عشر قرنا ، لتقوم حجة الله على الناس فيما ينبغي لهم أن يأخذوا به ، وما ينبغي لهم أن يتخرجوا منه ، فيسكنوا هم أيضاً صورة أخرى من صور الأمة الكاملة التي صنعها الله بيده حامل أكمل رسالته ، فإن فعلوا كانوا من أهل الهدى ودين الحق ، وفتح الله لهم كنوز السعادة ينعمون فيها بنعمة الطمأنينة والرضا ، إلى أن يلقوا الله راضياً عنهم وهم راضون عنه .

إن هذا المولود الكامل صلوات الله وسلامه عليه لم يكن في زمن مضى ولا في زماننا هذا بحاجة من الإنسانية إلى تخليد ذكره ، فإن الله قد رفع له ذكره ، منذ شرح صدره للهدى والحق ، وقرن اسمه إلى اسمه عز وجل في شهادة الملايين له آنا الليل وأطراف النهار بأنه أدى رسالة الله كاملة ، واعترفت له الأمم على اختلاف العصور بأنه صنع من أمته أمة لا يعرف تاريخ الإنسانية أمة بلغت شأوها في فضائلها وأقدار ساداتها وعظمتها .

إن هذا المولود العظيم صلوات الله وسلامه عليه ليس في حاجة إلى إحياء ذكره وتخليدها ، فإن الدهر يفي ولا تغنى ذكره الطيبة الخالدة . ولسكننا نحن معاشر المسلمين المنتسبين إليه ، المعتبطين بأننا من أهل الإجابة لدعوته ، في أشد الحاجة لأن يذكر بعضنا بعضاً بأن سعادتنا وهناءنا وكرامتنا وقوتنا وصدق انتسابنا إلى صاحب هذه الذكرى - كل ذلك موقوف

على أن نعود إلى الاخذ برسالته وأنظمها : في أنفسنا وبيوتنا وأسواقنا ، ومجتمعاتنا ، ومحاكمنا ودور حكمتنا ، في كل ما اشتملت عليه هذه الرسالة الكاملة من أغراض ومبادئ وأخلاق وأحكام ومقاصد .

علينا أن نحتفل اليوم بإحياء ذكرى ( رسالة الإسلام ) في عمومها وشملها . وأول المظاهر في إحياء هذه الذكرى أن نتخذ الأسباب للعمل بها ، وأول العمل بها أن يعمل بها كل مسلم في ذات نفسه ، وفيما بسط الله عليه سلطان مسئوليته وولايته من أهل وولد ، أو أمة وبلد .

إن الرسالة التي بعث الله بها صاحب هذه الذكرى - سلام الله ورحمته عليه - تنحصر في كلمتين اثنتين هما : « الحق » و « الخير » ، وإن وراء هاتين الكلمتين من مدلولات المعاني والأمانى ما لا آخر له ، وبمجموع ذلك هو الإسلام الذي بعث الله به صاحب هذه الذكرى ﷺ . ولا نعرف أحداً يخاف الحق والخير أو يمتنع منهما ويعارض في إقامتهما وظهورهما ، إلا أن يكون مبطلاً أو شريكاً . ولذلك كانت رسالة الإسلام عامة إلى جميع الأمم في كل زمان ومكان . وجدير بكل من يحب الحق والخير أن يتدبر رسالة الإسلام وما اشتملت عليه منهما ليعمل بما انطوت عليه من حق وخير بقدر ما يرى فيها من موافاة الحق والخير ، وأن يصلي ويسلم عند ذلك على صاحب هذه الرسالة لأنها رسالة الإنسانية الكاملة ، والإنسان - من حيث هو إنسان - جدير به أن يؤمن بها ، وأن يكون من أوليائها ، وأن يحجي عليها إلى أن يموت عليها .

أيها المسلمون ، إذا كان الإنسان - من حيث هو إنسان - جديرأ به أن يتدبر الرسالة التي ولدت بمولد هذا الرسول الكريم ، وأن يعمل بها ، وأن يصلي ويسلم من أعماق قلبه على المختار من الله لحملها والدعوة إليها وطبع أمم الأرض بطابعها ، فأنتم أجدر الناس بأن تعاهدوا الله في هذه الذكرى المباركة بأن تجعلوا تدبر رسالة الإسلام أعظم أعمالكم ، وأن تؤمنوا بكل ما انطوت عليه من حق وخير ، وأن تعيدوا إليها جمالها بما يراه الناس من ذلك في أعمالكم . وهذا العهد أو فق اليهود لذلك ، ولا سيما في ذكرى مولد خير الخلق ، المبعوث من الله بالهدى والحق ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وكل من عمل برسالته . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 مِنْ بَلَدِ شَاعِرِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حَمْدُ اللَّهِ  
 بِتَعْلِيلِ الْأَسْتَاذِ الْبَاهِيَةِ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

## غَزْوَةُ أَحُدَ

كانت في شوال من السنة الثالثة ، وأحد جبل من جبال المدينة - لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية إلى أبي سفيان ، وإلى من كان له تجارة في العير التي كانت سبباً للوقعة ، وكانت لا تزال موقوفة في دار الندوة ، يحرضون على الحرب ، وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش . فقال أبو سفيان : أنا أول من يفعل ، وبنو عبد المناف معي ، ورضى القوم ، وكان الربح خمسين ألف دينار ، وقيل خمسة وعشرين ألفاً ، وفي ذلك نزلت : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فيستنفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغفلون » .

\*\*\*

أدأبك أن تريد المستجيلاً ؟ تأمل أيها المولى قليلاً  
 لبثت تعالج الداء الدخيلاً وتضمر في جوانحك الغليلاً  
 وما يجديك لا يجده فتيلاً  
 أما تنفك تذكر ( يوم بدر ) وما عانيت من قتل وأسر  
 ورايك إنها الأقدار تجري بنهر ( للنبي ) وراء نصر  
 وكان الله بالحسنى كفيلاً

( أبا سفيان ) دع ( صفوان ) يبكى و ( عكرمة ) يطيل من التشكى  
 وقيل للقوم في بر ونسك نهيت النفس عن كفر وشرك  
 وآثرت المحجة والسبيل

أراك أطمعهم وأبيت إلا سبيل السوء تسلكه مدلاً<sup>(١)</sup>  
 تريد (محمداً) وأراه بسلاً رويدك يا (أبا سفيان) هلاً<sup>٢</sup>  
 أردت لقومك الحسن الجميلاً ؟

(قریش) لم تزل صرعى هواها و (عير الشؤم) لم تحلل عراها  
 أجل عينيك وانظر ما عساها تسوق من الجنود إلى وعاها ؟  
 فقد حملت لكم أسفاً طويلاً

دعا (صفوان) شاعره<sup>(٣)</sup> فلبى وكان يسومه شططاً فيأبى  
 أحل له الهجاء ، وكان خبا<sup>(٤)</sup> أحب من الخيانة ما أحبا  
 يريد العيش محترماً ذليلاً

يذم (محمداً) ويقول نكرا ولولا لؤمه لم يأل شكرا  
 تعتمد حقه<sup>(٥)</sup> وجزاه شرا وأمسى عمده كذبا وغدرا  
 ولأن له لمنقلباً ويلاً<sup>(٥)</sup>

ألم يمين عليه إذ الأسارى تمكاد نفوسها تهوى حذارا ؟  
 تطوف به موهبة حيارى تود لو انها ملكت فراراً  
 وهل يعطى عدو الله سولا ؟

(١) للدله الواثق بنفسه وبمالديه .

(٢) قال صفوان لأبي عزة : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، ولك على إن رجعت أن اغنيك ، وإن أصبت أجمل بناتك مع بناتي . قال : إني طامدت محمداً حين أطلتني فيمن أطلق من أسارى بدر ألا أظاهر عليه أحداً . فقال صفوان : بل أعنا بلسانك يا أبا عزة . فخرج هو ومسافح يستغفران الناس .

(٣) الحب : الخداع .

(٤) تعتمد حقه : أنكره وأصل المعنى ستر الشيء وإخفاؤه .

(٥) ظفربه النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة حراء الأسد فاصم حاصم بن ثابت بقتله ، وحمل رأسه إلى المدينة .



( جبير<sup>(١)</sup> ) أكان عمك حين أودى ( كعم محمد ) شرفاً ومجدا ؟  
 أ ( حمزة ) أم ( طعيمة ) كان أهدى ؟ رويدك يا ( جبير ) أتيت إذا  
 وإن قضاء ربك لن يحولا  
 أراد فما ( لوحشى ) محيد ولا لك مصرف عما يريد  
 أليس ( لحمة ) البأس الشديد ؟ فما يغنى فتاك ، وما يفيد ؟  
 تبارك ربنا رباً جليلاً  
 تولوا بالسكتائب والصرايا<sup>(٢)</sup> وساروا بالحرائر والبغايا<sup>(٣)</sup>  
 منايا قومهم جلبت منايا فسيرى في سيالك يا مطايا  
 ولا تدعى الرسم ولا الذميلا<sup>(٤)</sup>  
 وياخيل اركضى بالقوم ركضا وجوبى للوغى أرضاً فأرضا  
 لعمل الناقم الموتور يرضى نشدتك ، فانفضى البيداء نفضا  
 ووالى فى جوانبها الصميلا  
 ويا ( هند<sup>(٥)</sup> ) اندبى القتلى ونوحى وزبدي ما بقومك من جروح  
 ورامك كل منصلت<sup>(٦)</sup> طموح تسيج بأسمه ريج الفتوح  
 ورامك فتية تأبى النكولا<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) جبير بن مطعم بن هدى دعا غلامه وحشيا ، وقال له : اخرج بمررتك مع الناس ، فانك إن قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى ( وكان قتله حمزة رضى الله عنه فى وقعة بدر ) فأنت عتيق .  
 (٢) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل .  
 (٣) خرجت النساء مع المشركين بالدخوف ، ويقول ابن الجوزى : وساروا بالفيان والدخوف وللمازف والخجور والبغايا .  
 (٤) الرسم والقديل نوعان من سير الابل ، والاول أسرع .  
 (٥) هند زوج أبى سفيان كانت ممن خرج مع الجيش من النساء يكيبن قتلى بدر ويمرضن على القتال وترك الفرار .  
 (٦) المنصلت هنا : اللصاحى فى الامور .  
 (٧) النكول : النكوص والجبن .

وراءك نسوة للحرب تزجي ترج دفوفها الإبطال رجا  
وتلك نخور عسكري المرجى وكان الغى بالجهلاء أحجى<sup>(١)</sup>

كذلك يطمس الجهل العقولا

رأيت الرأى شؤماً أى شؤم وما تدرى يمينك أين ترى  
لعمرك إنه لرئيس هم<sup>(٢)</sup> تغفل منك بين دم ولحم  
فيما (ابنة عتبة) اجتنبى الفضولا

أعن جسد الرضية (بنت وهب) يشق القبر يا امرأة (ابن حرب) ؟  
ويقطع بالمدى فى غير ذنب ؟ ليفدى كل مأسور يارب  
فيأعجبا لقول منك قيسلا<sup>(٣)</sup>

هى الهيجاء ليس لها مرد فن يك هازلا فالأمر جد  
لبأس الله يا هند أشد له جند ، وللكفار جند  
وإن لجنده البطش المهولا

سيوف (محمد) أمضى السيوف وأجلب للمعاطب والحتوف  
لذا هوت الصفوف على الصفوف وأعرض كل جبار مخوف  
مضت ملء الوغى عرضاً وطولا

أرى (السعدين)<sup>(٤)</sup> قد دلفا وهذا (على) بالحسام العضب لاذا

(١) أحجى بمعنى أخلق .

(٢) رئيس المهم وغيره ما يثبت منه .

(٣) لما بلغ للمشركون الألباء أشارت هند عليهم بنيش قبر أم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذ جثمانها ، قالت : فإن أمر منكم أحد فديتم كل أسير يارب من آرابها [ الأرب الجزء ] ، فأبوا ، خيفة أن ينيش بنو بكر قبور موتاهم .

(٤) سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

و ( حمزة ) جد متمزما ، فإذا ومن للقوم إن أمسوا جذاذا (١)  
وطار حسانهم فمضوا فلولاً

وفي الابطال (٢) فتيان رفاق بأنفسهم إلى الهيجا اشتياق  
لهم في الناهضين لها انطلاق دعا داعي الجهاد فما أطاقوا  
بدار السلم مشوى أو مقيلاً

أعادهم ( النبي ) إلى العرين شبولاً سوف تصلب بعد لين  
يضمن بها إلى أجل وحين رعاك الله من سمح ضنين  
يسوس الامر يكره أن يعولاً (٣)

وقيل ( لرافع ) نعم الغلام إذا انطلقت لغايتها السهام  
تقدم أيها الراعى المهام إذا الهيجا شب لها ضرام  
فأمطرها سهامك والنصولاً (٤)

ونادى ( سمرة ) أيرد مثلى ويقبل صاحبي ، وأنا المجلى ؟ (٥)  
أصارع ، فإن أغلب فسؤلى وكيف أذاذ عن حق وعدل ؟  
وأمنع أن أصول وأن أجولاً ؟

(١) صار الشيء جذاذا أى قطعاً .

(٢) عرض النبي جيشه بعد أن عسكر بالشيخين - جيلان أو أطان - فوجد فيه جمعا من الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة ، وقيل الرابعة عشرة ، فردهم وأجاز رافع بن خديج من دونهم ، لما قيل له إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه : أيقبل رافع وأرد ، وأنا أصرعه ؟ فبالت مقاتله النبي فقال : تصارعا ، فصرع سمرة صاحبه فأجازه .

(٣) عال فى الحكم جار ومال عن الحق ، وعاله الامر : شق عليه وقتل .

(٤) فصل السهم : حديثه ، والنصول جمع .

(٥) المجلى : الاول من خيل السباق .

وصارعه ، فكان أشد أسراً<sup>(١)</sup> وأكثر في المجال الضنك صبرا  
وقبل له : صدقت ، فأنت أخرى بأن ترد الوغى فتشال نصرا  
ألا أقبل ، فقد نلت القبولاً

(أعبد الله) مالك من خلاق<sup>(٢)</sup> فعد بالناكفين ذوى النفاق  
كفالك من المخافة ما تلاقى ومالك من قضاء الله واق  
وأن أمسيت للشعري نزىلاً

أبيت على (ابن عمرو)<sup>(٣)</sup> ما أراذا وشر القوم من يأبى الرشادا  
نهارك ، فلم تزد إلا عنادا ألم يسمع فريقك حين نادى  
أطيعوا الله واتبعوا الرسول ؟

يقول : نشدتكم ، لا تخذلوهم وموثق قومكم لا تنقضوه  
(رسول الله) إلا تنصروه فإن الحق ينصره ذووه  
ألا بعداً لمن يبغى الغلولا<sup>(٤)</sup>

تجلى نور ربك ذى الجلال وهز الشعب صوت من (بلال)  
بلال الخير أذن في الرجال فهو للصلاة من الرجال  
وقاموا خلف (سيدهم) مثولا<sup>(٥)</sup>

(١) الأسر : الخلق ببناء مفتوحة ، وشدة الأسر من صفات القوة .

(٢) عبد الله بن أبي [ ابن سول ] رجع ومن معه من المنافقين ، وكانوا ثلثمائة رجل ، وهو يقول :  
عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأى له ، سيطم . لا ندرى علام نقتل أنفسنا ؟ ارجعوا أيها الناس -  
الخلق : النصيب الوافر من الخير ، وقيل ما يكسب الانسان هذا النصيب من أفعاله الممدوحة .

(٣) عبد الله بن عمرو بن حرام والله جابر رضى الله عنهما ، انطلق في أثر المنافقين يريد ردهم  
ويقول لهم : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم وثنيكم . فلم يعطيهموه . فقال أبعادكم الله ، سيفنى الله تعالى  
عنكم نبيه . (٤) الغلول : الخيانة .

(٥) مضى صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فصف المسلمين . وحانت صلاة الصبح  
والمسلمون يرون للشركين فأذن بلال رضى الله عنه للصلاة ، وصلى النبي بأصحابه - الرجال جمع رجل وهو  
هنا بمعنى للنوى ، أو للنزل ، أو ما يكون مع الرجل من الاثاث ، ومنول : جمع مائل أى قائم .

علا صوت الاذنين فأى معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسنى ؟  
إله الناس فرد لا يثنى تأمل خلقه إنساً وجناً

فل تجد الشريك ولا الميثلا

أجل الله أكبر لا مرأ فهل سمع الآلى كفرُوا النداء ؟  
أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضاً تطيق ولا سماء

جلال الحق أورثهم ذهولا

سرى الصوت المردد فى الصباح فضج الكون - حى على الفلاح -  
تلقى صيحة الحق الصراح فقام يصبح من كل النواحي

يسبح ربه غب (١) ارتياح وبحمده بالسنة فصاح  
تعطفت الجبال على البطاح وكبرت المدائن والضواحي

وأوبت (٢) البحار مع الرياح وصفق كل طير بالجناح  
كتاب الحق ، ما للحق ماح يرقل فى الغدو وفى الرواح

فقل للناس من ثمل وصاح شريعة ربكم ما من براح  
فن منكم يريد بها بديلا ؟

ألا طابت صلاتك إذ تقام وطاب القوم إذ أنت الإمام  
أقمها يا (محمد) فهى لام (٣) تساقط حولها الجن العظام (٤)

بها يتخطف الجيش اللهم وليس كمثلهما جيش يرام  
قضاءها الله ، فهى له ذمام وذاك نظامها ، نعم النظام

بوطد من انى ، وهى الدعاء ويصعد بالذرى وهى السنام

(١) غب : بمعنى بعد .

(٢) التأويب هنا : ترجيع الصوت [ يا جبال أوبى معه ] .

(٣) اللام [ جمع لامة ] : وهى الدرع .

(٤) الجن [ جمع جنة ] : وهى هنا ما يتقى به من السلاح .

نهضت لها ، وما هب النيام وبادرها الميامين الكرام  
مقام ما يطاوله مقام ودين من شعائره السلام  
يصون لواءه جيلا فجيلا

(هدى الاجيال) يخطب في الهداة ويأمر بالجهاد وبالصلاة (١)  
وبالاخلاق غرا طيبات ملقى الوحي والإلهام هات  
وصف للناس آداب الحياة وكيف تكون دنيا الصالحات  
وخذهم بالنصائح والعظات مضيئات للعالم مشرقات  
شعوب الارض من ماض وآت عيالك ، فاهدكم سبل النجاة  
إذا ضلت دهاقين (٢) الثقات وأمسى الناس أسرى الترهات  
وخف ذوو الحلوم الراسيات فأصبحت الممالك راجفات  
أقت الارض تسكره أن تمبلا

ألا برز (الزبير) فأى وصف (حوارى الرسول) يفي ويكفى؟  
برزت (الحالد) حثفاً لحتف تصد قواه عن كر وزحف  
وتدفعه إذا انبعث الرعيلا (٣)

ألم تره و (عكرمة) استعدا؟ فإما جدت الهيجاء جدا

(١) خطب صلى الله عليه وسلم أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة ، ومن قوله في هذه الخطبة : « ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقرّبكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطل عنها ، فاتقوا الله ربكم ، وأجلوا في طلب الرزق ، لا يحملنكم استبطاؤه أن تغلبوه بمعصية الله ، وللمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتدّ تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

(٢) الدهاقين : الذين لهم قوة التصرف من كبار الرجال .

(٣) أقبل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل في طليعة خيل المشركين ، فامر الزبير بن العوام أن يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بازائه ، وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا في جانب آخر وقال : لا تبرحوا حتى أؤذنكم ، ولا يقاتلن أحد منكم حتى أمره بالقتال . والرعييل : القطعة من الخيل .

بنى لها ( رسول الله ) سدا ومثلك يعجز الإبطال هذا

ويترك كل ممتنع مهيلا <sup>(١)</sup>

لمن يرث الممالك ، لا سواء أعد ( القائد الأعلى ) قواه  
وبث الجيش أحسن ما يراه تمالى الله ، ليس لنا إله

سواء ، فواله ودع الجهولا

( رماة النبل ) ما أمر ( النبي ) فذلك ، لا يكن منكم عصي <sup>(٢)</sup>

إذا ما زالت الشم الجثي <sup>(٣)</sup> وكان لها انطلاق أو مضى

فكفونا في أما كنكم - لولا

( رماة النبل ) ردوا الخيل عنا وإن نهلت سيوف القوم منا

فلا تنزحزحوا ، فإذا أذنا فذلك ، أن للهيجام فنا

تلقنه الجهابذة الفحول <sup>(٤)</sup>

تلق ( أبا دجاجة ) بأنهم حسامك من يد ( الهادي الأمين ) <sup>(٥)</sup>

(١) الليل من الرمل ونحوه : ما انهال .

(٢) كان الرماة خمسين رجلا ، أمر النبي عليهم عبد الله بن جبير ، وقال له : انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا ، وفي رواية - إن رأيتونا تنخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتونا فقتل فلا تعينونا ، ارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل . إنا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم ، اللهم إني أشهدك عليهم .

(٣) الجبال الرواسي كأنها في صورة من يجشو أى يجلس على ركبته أو يقوم على أطراف أصابعه .

(٤) الجهابذة [ جمع جهند ] : وهو الناقد البصير .

(٥) أخرج النبي صلى الله عليه وسلم سيفا مكتوبا في إحدى صفحتيه :

في الجبن عار ، وفي الإقبال مكرمة وللرء بالجن لا ينجو من القدر

ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحته ، فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، وكان من جملتهم علي بن أبي طالب قام ليأخذه فقال : اجلس ، وعمر فأعرض عنه ، والزبير [ وطلبه ثلاث مرات ] فكذلك ، وقام أبو دجاجة فقال : ما حقه يا رسول الله ، قال : تضرب به في وجه العدو حتى ينحني ، قال : أنا آخذه بحقه ، فدفعه إليه .

وخذته بحقه في غير لين لتتصر في الكريهة خير دين  
يرف على الدنا ظلا ظليلا

نصيبك ثلته من فضل رب قضاء لصادق التجيدات ضرب (١)  
تخطى القوم من آل وصحب فكان عليك عضباً فوق غضب  
تبخر ، وامن مسونا صقيلا (٢)

( أبا سفيان ) لا يقتلك هما ولا يذهب بحملك أن تذما (٣)  
أحين بعثتها شرا وشؤما أردت هواده ، وطلبت سلما ؟  
مكانك ، لا تكن مذلا (٤) ملولا

من الداعي يصيح على البعير : أمالى في الفوارس من نظير ؟ (٥)  
أروني همة البطل المغير إلى فدا بمثل من تكبير (٦)  
أنا الأسد الذي يحمي الشبولا

تحده ( الزبير ) وفي يديه قضاء خف عاجله إليه  
رى ظهر البعير بمنكبيه وجرعه منيته عليه  
فأسلم نفسه وهوى قتيلا

[١] الضرب من الرجال : الماضي في الأمور .

[٢] كان أبو دجانة يختال عند الحرب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد رآه بين الصفين :  
إنها لمشيئة يفيضها الله إلا في مثل هذا اللوطن .

[٣] فادى أبو سفيان عند اصطفاق القوم : يامعشر الأوس والخزرج ، خلوا بيننا وبين بني عينا  
وتنصرف عنكم ، فشتوه أشد الشتم .

[٤] المذل : التلق الضجور .

[٥] خرج رجل من المشركين على بعير يدعو للبراز فأحجم عنه الناس ، وقام إليه الزبير فوثب  
حتى استوى معه على البعير ، ثم طاقه فانتلا فوق ظهره ، فوقع المشرك وقع عليه الزبير فذبحه ، فأثنى  
عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : لئلا نبي حوارى ، وإن حوارى الزبير ، وقال : لو لم يبرز إليه  
الزبير لبرزت إليه .

[٦] نكرو الرجل الآخر تكبيراً : جهله ولم يعرفه .



ألا بعداً (طلحة<sup>(١)</sup>) حين يهذى      فيأخذه (على) شر أخذ  
أصيب بقسورى الأس فند      يعدد لكل طاغى النفس مؤذ  
يعالج داه حتى يزولا

أمن فقد إلى فقد جديد ؟      لقد أضى اللواء بلا عميد  
بصارم (حمزة) البطل النجيد      هوى (عثمان) لآثر أخ فقيد<sup>(٢)</sup>  
وأم الكفر ما برحت ثكولا

أبى شر الثلاثة<sup>(٣)</sup> أن يريعا<sup>(٤)</sup>      نخر على يدى (سعد) صريعا  
ثلاثة إخوة هلكوا جميعاً      وراح (مسافع<sup>(٥)</sup>) لهم تبيعا  
رمت يد (عاصم) سما نقيعا      تورد<sup>(٦)</sup> جوفه جفري نجيماً<sup>(٧)</sup>  
وجاه (أخوه<sup>(٨)</sup>) يلتمس القريعا      فأورد نفسه ورداً فظيماً  
أ (عاصم) أنت أحسنت الصنيعا      فعند الله أجرك لن يضييعا

وإن لربك الفضل الجزيل

(١) طلحة بن أبي طلحة - من بنى عبد الدار - حامل لواء المشركين ، طلب المبارزة وجعل يهذى بكلام منه : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلائنا إلى النار ، وفي رواية - إنكم تزعمون أن الله يجعلنا بسيفكم إلى النار ، ويجعلكم بسيفنا إلى الجنة ، فهل أحد منكم يجعلنى بسيفه إلى النار ، أو يجعله بسيفى إلى الجنة ؟ كذبتم والآلات والعزى - خرج إليه على بن أبى طالب فقتله .

(٢) لما سقط لواء المشركين بعد قتل طلحة أخذه أخوه عثمان فحمل عليه حمزة فقطع يده وكشفه حتى انتهى إلى مؤثره .

(٣) لما قتل عثمان بن أبى طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبى طلحة ، فرماه سعد ابن أبى وقاص فأصاب حجزته فقتله .

(٤) يريع : بمعنى يرجع .

(٥) مسافع بن أبى طلحة القدى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه - أخذ اللواء بعد أبى سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فقتله .

(٦) تورده : بمعنى ورده .

(٧) النجيع : ما كان إلى السواد من الدم ، أو هو دم الجوف .

(٨) أخو مسافع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم فقتله . والفرع هنا المقارع .

دميتهما فظلا يزحفان يحران الجراح وينزفان <sup>(١)</sup>  
 وخلفهما من الدم آيتان هما للكفر عنوان الهوان  
 ترى الرأسين مما يحملان على الحجر المذمم يرضعان  
 أمن ئيدي (سلافة) يرضعان ؟ تقول وقلها حران عان  
 على الجود بالمائة الهجان <sup>(٢)</sup> لمن يأتي بهامة من رمان  
 فواظمأى إلى بنت الدنان تدار بها على فودعاني  
 وموتا ، إن للقتلى ذحولا <sup>(٣)</sup>

دعاة (اللات والعزى) أنيبوا فليس لصائح منكم مجيب  
 وليس لكم من الحسنى نصيب لرب الناس داع لا يخيب  
 ودين الحق يعرفه اللبيب وما يخنى الصواب ولا يغيب  
 رويدأ إن موعدكم قريب وكيف بمن يصاب ولا يصيب ؟  
 سليب النفس يتبعه سليب أما يفنى الطعين ولا الضريب ؟  
 لواء ليس يحمله (عسيب) <sup>(٤)</sup> عليه من مناياكم رقيب  
 كفاكم ، ياله حملا ثفيلًا

رمى بالنبل كل فتى عليم فرد الخيـل دامية الشـكيم <sup>(٥)</sup>  
 بنضح مثل شؤبوب الحميم يهـب على فراعنة الجـحيم

[١] كان كل واحد من مسافع والحارث بمدآن رماء حاصم يأتي أمه سلافة ويضع رأسه في حجرها  
 فتقول : يا بني من أصابك ، فيقول سمعت رجلا يقول : خذها وأنا ابن الادلج ، فنذرت إن أمكنها أقه  
 من رأس حاصم أن تشرب فيه الخمر ، وجعلت لمن يجيئ به مائة من الابل

[٢] الهجان : الخالصة .

[٣] جمع ذحل : وهو النار .

[٤] اسم جبل ، وقد تتابع القتل في حملة الـواء ، فتمزق المشركون .

[٥] حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات وهى تنضح بالنبل فترجع مغلولة ، وحمل المسلمون

عليهم فحمى القتال - الشكيم ( جمع شكيمة ) : وهى حديدة اللجام فى فم الفرس .

وصاحت (هند<sup>(١)</sup>) في الجمع الاثيم      تحرض كل شيطان رجيم  
 ألا بطل يذب عن الحرمين ؟      ويضرب بالمهز في الصميم ؟  
 فهاجت كل ذات حشى كريم      تبث الشجر في الهذر الذميم  
 وتذكر (طارقا) دأب المليم      يسمى ويدعى<sup>(٢)</sup> لاب كريم  
 وأين مكانهن من النعيم ؟      ومن جرثومة الحصب القديم ؟  
 زعنن الشرك كالدين القويم      لهن الويل من خطب عميم  
 رى الابناء وانتظم البعولا

من البطل المعصب<sup>(٣)</sup> يختلبها<sup>(٤)</sup>      رقابا ما يمل الضرب فيها ؟  
 بأبيض تنقيه ، ويعترها      وتكره أن تراه ويشتهها  
 لها من جده وال يلها      وتنزع الحكومة من ذوها

[١] قامت هند زوج أبي سفيان في النسوة اللاتي معها لما حيت الحرب فأخذن الدفوف يضرن  
 خلف الرجال ويقنن :

وبها بنى عبد الدار • وبها حماة الادبار • ضربا بكل بشار  
 ثم يندن :

نحن بنات طارق • نمشي على النمارق • مشى الفط النوازق  
 وللك في للفاروق • والهر في الهائق • إن تقبلوا فعايق  
 ونفرش النمارق • أو تدبروا نفارق • فراق غير وابق

وكان النبي إذا سمع ذلك يقول : « اقم بك أحول ، وبك أصول ، وفيك أقاتل » .  
 حسبي الله ونعم الوكيل .

[٢] ينتسب .

[٣] أبو دجانة كان له عصابة حمراء يعصب بها رأسه في الحرب فسميت [ عصابة لاوت ] جبل لا يلقى  
 احداً إلا قتله بالسيف القدي أخذته من رسول الله ، وكان يشحذه بالحجارة كلها ، فما زال يضرب به  
 حتى انحنى وصار كأنه للنجل .

[٤] يجزما أو ينزعها ، تنبها لها بالحل الرطب إذا فعل به ذلك .

بررت (أبادجاة) إذ تربها وحى الموت<sup>(١)</sup> قطعته كرهها  
 صددت عن (السفهة)<sup>(٢)</sup> تودرها وتكرم سيفك العف الزهبا  
 تولول للنية تقبها فأبها يابنة الهيجاء إليها  
 نجوت ولو رآك له شبها مضى العصب المشطب يفتضها  
 حياة مناجز ما يبتغيها إذا شهد الكريمة يصطلها  
 فأرسلها دماً ، وهوى تليلاً<sup>(٣)</sup>

## أصدق وصف للمرأة

في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة :  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستقيم لك المرأة على خليفة واحدة ، وإن  
 تركها تستمتع بها وفيها عوج » .

[١] الوحي : السريع

[٢] هند سمها أبو دجاة تحرض على القتال أشد التعريض فعمل عليها بيفه يظنها رجلاً فولدت  
 فأعرض عنها ، إكراماً لسيف رسول الله .

[٣] التليل الصريع .

# نَظَرِيَّةُ الدَّفَاعِ الْهِجْرِيَّةِ

بِعَدَانَةِ الصَّالِحِينَ فِي بَدْرٍ

كانت هزيمة قريش في بدر ضربة شديدة لكبريائها وعظمتها ، فكان من الطبيعي أن تفكر في الثأر ، وهذا أبو سفيان كبير قريش ، ينذر بعد بدر ألا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً . . .

وما كان ذلك ليخفى على محمد رسول الله ﷺ قائد جيش المسلمين ، فلم ياهم النصر عن التفكير في عواقبه ، وكان في تفكيره بصيرا واعيا . . .

فقريش تلك الأمة العربية القديمة ، كانت تعيش — في جاهليتها — عيشة ترضاهما كانت قوية الشوكة ، كبيرة المقام بشيوخها وزعمائها ، وبسواعد رجالها الشبان الذين كانوا يردون عنها كل عادية ، ويصدون عنها كل غارة ، ويدفعون عنها كل شر . وكانت سعيدة ترفل في رغد من العيش ، وبسطة من الرزق : تجارتها العظيمة في الشام تأتي لها كل عام بالوفير من موارد الخير ووسائل الحياة ، ثم يجيء رجل منهم من أوساطهم يدعى نبوة ، ويحمل رسالة ، فيقوم بأداء واجبه بالدعوة سرا ثم جهرا ، ويعيب عليهم ما يعبدون من أصنام ، فيقاومونه بشتى وسائل التعذيب فلا يفتنى ، ولا يزداد إلا إيمانا بدعوته ، ويصدر عنه عن سييله بكل ما أوتوا من قوة فلا يرجع ، ولا يزداد إلا إمعانا في رسالته ، حتى إذا ما فشلت محاولاتهم يناصبونه العداء ، ويعبتون رجالهم عليه ويقاومونه في بدر ، فتكون الدائرة عليهم ، وتنزل بهم الهزيمة على الرغم من قلة رجاله ، وضعف عدته ، بل ويهلك في ذلك خير زعمائهم ، وصفوة رجالهم .

ولم يغفل الرسول أمر يهود المدينة ، فقد كان هذا حالهم أيضا ، وهم قد كانوا من قبل يناهضون المسلمين ، وزادت أحقادهم حين رأوا هذا الاجنبي الذي جاءهم من مكة منذ عامين ، يزداد سلطانا وبأسا حتى ليسكاد يكون صاحب الكلمة في أهل المدينة جميعا ، ولولا أنهم عاهدوه ألا يحاربوه لحدث بين اليهود والمسلمين قتال وحوادث جسام .

وهكذا خلاص محمد من تفكيره ذاك إلى أن موقفه من عداء قريش واليهود أصبح يقتضيه الحذر المستمر ، واليقظة الدائمة ، وأنه من الواجب أن يكون على تمام الاهبة وكامل الاستعداد للقتال في أية لحظة وفي أى مكان .

والامر الجدير بالملاحظة والتقدير هنا أن محمدا لم يقنع بالوقوف موقف المدافع الذى ينتظر حتى يغير عليه أعداؤه ، فيقوم لدفعهم ، بل استن خطة بارعة في الدفاع ، بأن يخرج للقاء أعدائه فور علمه بهم لهم ، وبذلك يتسنى له القضاء عليهم في عقر دارهم ولما يكمل استعدادهم .

هذه الخطة الحكيمة طبقها النبي ﷺ عدة مرات في الغزوات القصيرة التى حدثت في الفترة بين بدر وأحد مثل غزوة بنى سليم ، وغزوة بنى قينقاع ، وغزوة السويق ، وغزوة غطفان ، وغزوة بحران . . .

وهذه الخطة الحكيمة الى وضع أصولها وطبقها قائد جيش الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا هى بعينها نظرية الدفاع الهجومي ، وهى نظرية حديثة تتبعها اليوم جيوش العالم ويلتزمها رجالها في المعاهد العسكرية .

فإن النصر في الحروب إنما يأتي نتيجة للأعمال الهجومية ، وهى وحدها التى تقرر مصير أحد الفريقين ، وليس الدفاع إلا وسيلة مؤقتة قد يضطر الطرفان لاتباعها لغرض كسب الوقت حتى يتسنى لكل منهما أن يعد عدنه لاستئناف الهجوم .

ونظرية الدفاع الهجومي هذه تلخص في أن المدافع الذى يضطر لاتخاذ وضع الدفاع يجب عليه ألا يستكين في مواقفه الدفاعية انتظارا لهجوم عدوه عليه ، بل عليه أن يقوم بحركات هجومية تنصف بروح العدوان تسمى في العرف العسكري بالأعمال التعرضية ، ومنها إرسال دوريات القتال عبر الارض الحرام الواقعة بينه وبين عدوه لمناوشته أو لإزعاجه أو قتل بعض رجاله ، أو أخذ بعض أعدائه أسرى أو تدمير شيء من تجهيزاته .

ونظرية الدفاع الهجومي المزايا الآتية :

١ — إحباط خطط العدو في مهبها .

٢ — حرمان العدو من ميزة المفاجأة وحرية العمل أو المبادأة كما يطلق عليها

في العرف العسكري وترجمتها ( Initiative )

٣ — رفع الروح المعنوية للجنود المدافعين ، لأن الانتظار يورث في النفوس الملل والضعف ، وتسوء حالة الجند المعنوية بمرور الأيام ، وتقل بذلك رغبتهم في القتال ، والروح المعنوية في الدفاع معناها الرغبة في القتال التي لا تتولد إلا باتباع نظرية الدفاع العدواني ، وبدون الروح المعنوية قد تفشل أحسن الخطط الدفاعية التي يضعها أكبر القادة حكمة وبراعة .

وهكذا أثبت لنا الرسول الكريم ﷺ أنه قائد عسكري غير منازع ، ولا أدل على ذلك من أنه خرج لغزوة بني سليم ولما بعث عليه في المدينة بعد بدر إلا سبع ليال !

وفي هذه الغزوة خرج بعد أن استعمل سباع بن عرفطة الغفاري على المدينة ، وسار حتى بلغ بئراً تسمى الكدر ، فأقام هناك ثلاث ليال ، ولم يخرج أحد لقتاله لأن بني سليم لما علموا بخروجه هربوا وتركوا وراهم خمسمائة بعير غنمها المسلمون وعادوا بها إلى المدينة .

وكانت غزوة السويق بعد شهرين من عودة المسلمين من بدر ، فإن أبا سفيان أراد أن يبر يمينه الذي أقسم فيه أن يغزو محمداً وألایمس النساء والطيب حتى يبر بقسمه ، فجمع من قريش مائتي رجل راكبين ، وغادر مكة وسار حتى وصل إلى جبل يقال له ( ثيب ) بالقرب من المدينة فتوقف وعزم على المبيت في هذا المكان .

وفي جوف الليل ترك رجاله وسار صوب المدينة حتى دخل حياً من أحياء اليهود لبني النضير ، وقصد إلى بيت حبي بن أخطب وهو من رؤساء بني النضير فأوجس حي من زيارته خيفة فلم يفتح له ، فأنصرف وجاء إلى سلام بن مشكم وهو سيد بني النضير فطرق بابه ففتح له وأكرمه . ثم سأله أبو سفيان عن أخبار المسلمين وسرهم فأجابه .

ورجع أبو سفيان إلى أصحابه بالجبل ، فبعث بعضاً منهم إلى المدينة فخرقوا نخلاً كثيراً في ناحية منها تسمى العريض ، ووجدوا رجلاً من الأنصار هو معبد بن عمرو ورجلاً آخر حليفاً للأنصار فقتلوهما ثم قفلوا راجعين إلى الجبل .

وسرعان ما ذاع الخبر في سائر المدينة وبلغ رسول الله ﷺ فجمع مائتين من المهاجرين والأنصار وخرج على رأسهم ، وكان ذلك في الخامس من ذي الحجة قاصداً أبا سفيان . .

ولما أحس أبو سفيان بخروج المسلمين لاذ بالفرار بعد أن خفف من أحماله حتى يمكنه

الفرار بسرعة . وكان أكثر ما تركه طعاما يسمى السويق <sup>(١)</sup> وبذلك سميت الغزوة ( غزوة السويق ) ، أما المسلمون فقد غنموا ما ترك أبو سفيان وعادوا إلى المدينة .

وفي الثاني عشر من ربيع الاول سنة ثلاث من الهجرة علم الرسول ﷺ أن بنى ثعلبة ومحارب اتفقوا على الإغارة عليه بقيادة غورث بن الحارث ، فجمع من المسلمين ٤٥٠ رجلا وخرج إليهم ، فلما سمعوا بمجيئه هربوا في رهوس الجبال . . . فعاد الرسول وكانت تلك الغزوة غزوة عطفان .

وفي السادس من جمادى الاولى من نفس السنة اتفق جمع من بنى سليم على شن غارة على المدينة ، فاجتمعوا في بجران لهذا الغرض ، فبلغ ذلك الرسول عليه السلام فجمع ثلاثمائة من أصحابه ، وسار مسرعا حتى بلغ بجران ، وكان قبل وصوله إليها لقي رجلا منهم وأخبره أن القوم قد تفرقوا فخبسه النبي حتى يتبين صحة قوله ، فلما وصل إلى بجران وجدهم قد تفرقوا لما شعروا بخروجه فأطلق الرجل ، وعاد إلى المدينة في السادس عشر من نفس الشهر ، وسميت تلك الغزوة غزوة بجران .

هذه الغزوات ، وإن كانت صغيرة ولم يحدث فيها قتال ، إلا أنها دلائل واضحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مستعدا في كل لحظة للخروج للقتال ، وهو في هذه الغزوات قد خرج فعلا ، أما أنه لم يقاتل أحداً فلان من خرج لقتالهم هربوا .

تلك نظرية الدفاع الهجومي بأجلى معانيها ، فلا يسلم المدافع بحرية التصرف والمفاجأة لعدوه ، وإنما يخرج له ، ويفسد خطته وهي في المهد ، وبذلك يحافظ على هيئته ويرفع الروح المعنوية لرجاله المدافعين .

محمد جمال الدين محفوظ  
يوزباشى أركان حرب

[١] السويق . هو أن تحمص الحنطة أو الشعير ثم تطحن ، وتؤخذ في السفر وعند استعمالها تمزج بالبن والملح والسمن أو الماء وهي تشبه ما نسميه [ الفريك ] .



# العالم في ظلال المذاهب البشرية



تدخلت الأديان السماوية في كل شأن من شئون الفرد لذاته ، وباعتباره عضوا في الجماعة الإنسانية ، وفي كل شأن من شئون الدنيا والآخرة ، كما تدخلت في شئون الجماعات ونظمت هذا التدخل في صورة شرائع من عقائد وعبادات ومعاملات وآداب وأخلاق ، ولاحظت استعداد الجماعات لهذه الشرائع فتدرجت بها في التكليف كما يتدرج المربي الماهر في تربية الناشئة وتأديبهم وأخذهم في كل مرحلة بما يطبقون ، وتوافقت جميع الأديان على ذلك ، فلم يتمتع رسول من الرسل أمته بما يعلو عن مداركها ، ويخفى على عقولها وجه الحكمة والرشاد فيه ، وإذا تعرضت الأديان لما لا بد من التعرض له مما يعجز العقل عن استكناحه والوصول إلى حقيقته تجلى فيها الرفق والرحمة بهذا العقل الضعيف ، فإذا عرضت للآخرة والجنة والنار والحساب ، وحال الموتى في قبورهم وكيفية البعث وما إلى ذلك طلبت إلينا أن نصدق بذلك إجمالا وأعفتنا عن التفاصيل ، فالعقل البشري أعجز من أن يستبطن أسرارها ويدرك أغوارها ، وإذا اقتحم ذلك عرض له الشك والإنكار ، وتاه في عباب من الحقائق لا يصل إلى شاطئ السلامة فيه .

ذلك شأن الأديان عامة مع بني الإنسان ، وما يجده الإنسان أحيانا من معميات وطمسات وطقوس في العقائد والعبادات يباهى بمعرفتها طائفة من الناس ، فليس ذلك من حقائق الأديان في شيء ، بل هي أصداء تراكت فوقها على مر العصور ، وفي غفلة من أولى الأمر لأغراض دنيوية زائلة سيتولى الله جزاء مقترفها كما قال تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون . »

وكان خاتمة الأديان الدين الإسلامي ، فقد أكمل الله به الأديان السابقة ، واستوفى حاجات البشرية عامة ونظم شئون الأفراد والجماعات وعلاقاتهم بالله وبالناس تنظيما دقيقا واضحاً يكفل لهم الاستقرار والرضا والطمأنينة والسعادة ما استقاموا عليه ولم يكلمهم إلى أنفسهم ، فمن وكل إلى نفسه تضافرت عليه عوامل الهم والقلق والعذاب النفسي ، فيضطرب

عقله ويختل تفكيره ويضعف إنتاجه ، وتضطرب لذلك شئون الجماعة وتسودها الفوضى ، ولا تستطيع أن تصل إلى غاية من غايات الإنسانية الرشيدة .

ولقد جاءت الأديان بأصول العقائد والآداب والأخلاق والعبادات لتطهر النفوس وتربط الأفراد بعضهم ببعض ، وتربط الجماعات كذلك ، وإن اختلفت أديانهم بأسباب المحبة والتعاون ، فلا يطمع قوى في ضعيف ، ولا يبغي حاكم على محكوم ، ولا يفضل جنس جنسا ، يسير الجميع في ظلال هذه التعاليم إلى غايتهم ، فالأديان مستقر السكينة ومهبط العلمانية ، وهى القوانين الصالحة لسياسة الجماعات تعصمها من الزيف والضلال .

وقد عاشت أكثر الأمم في ظلال الأديان السامرية قرونا طويلة رخية العيش ناعمة البال تسعى إلى شئون الحياة في قناعة ورضا ، يرضى أفرادها بما قدر لهم من رزق ، ويقنع كل بما يسر له فيشكر الغنى وبرضى الفقير .

فالأديان وبخاصة الدين الإسلامى تقوى في الفرد نوازع الخير والحق والعدل والفضيلة والقيام بالواجب ومراقبة النفس واحترام حقوق الغير والتضحية والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وتحول بينه وبين الارتكاس فى الآثام والمنكرات ، وتشدد فيه عزيمة التضحية والدفاع عن الوطن ، وتصرفه عن حياة العبث والمجون إلى حياة الجد والوقار .

وظلت الأديان قوانين الأمم المقدسة ودساتيرها المحترمة : يزن الأشخاص أعمالهم بموازينها ، ولا يعترفون بغيرها ولا يرون السعادة إلا فى ظلها ، وظلت علاقات الأفراد بعضهم ببعض وعلاقات الجماعات علاقة سلم وتواد واحترام ، لا علاقة تحاسد وتباغض وانتقام . وكانت حياة الأمم فى ظلال الأديان حياة سهلة رتيبة فى كل شأن من شئونها السياسية والقضائية والإدارية والاجتماعية والمعاشية ، ولم يكن فيها هذه الإدارات المتعددة ولا هذه القوانين المتلاحمة المتزاخرة التى لاتكاد تصدر حتى يلاحقها النسخ والتعديل والتفسيق والتحويل ، فقد كان يقوم مقام ذلك الضمير الحى الطاهر الذى يزع النفوس عن مزالق المطامع والأهواء ، ويعصمها عن مهاوى الفسق والفجور والظلم . وإذا استيقظ فى الإنسان ضميره وصفت نفسه فلن يصدر عنه إلا ما هو خير لنفسه ولجماعته .

وفى أواخر القرن التاسع عشر وطوال هذه الحقبة من القرن العشرين وتحت تأثير

عوامل مختلفة من الثقافة والاقتصاد واشتداد الظلم والاضطهاد في بعض البلاد اشتدت الدعوة إلى التحلل من الأديان بدعوى أنها عوائق في طريق تقدم الرقي الإنساني ، وأنها كانت دعوات إصلاحية مؤقتة استنفدت أغراضها ، وأنها لم تعد تلائم العصر ولا تساعد على التقدم الذي تشهده البشرية . والنفس البشرية أماراة بالسوء ، والتكاليف الدينية قيود لها ، سرعان ما تحاول التغلب منها إن دعا إلى ذلك داعي الهوى والشيطان . وقد استجاب لهذه الدعوة ذوو النفوس الضميمة وتهافوا عليها كما يتهاف الفراش على النار .

وقد كان القائمون على تلك الدعوات ذوي مكر ودهاء : فنشطوا فيها ، وتسليحوا لها بأخطر الأسلحة ، وتوسلوا إليها بوسائل تتصل بعواطف الناس وأطاعهم ، وزخرفوها بأغشية براقة خلافة ، فجعلت تلك الدعوات تشتد ويكثر أشياعها حتى اكتسحت العالم ونجحت في بعض الشعوب نجاحا كاملا ، كما نجحت في الشعوب الأخرى بنسب مختلفة ، وما زالت تجد وتجد حتى زحزحت القيم الدينية عن منزلة القداسة في نفوس الناس إلى الموضع الذي أرادوه لها ، وأحالوهم في مجموعهم إلى أنواع من الجماعات لها صور الاناسى وسماتهم وليس لها نفوسهم وعقولهم ، ينظرون إلى الأمور بعين الهوى والمصلحة واللذة العاجلة ، وما الفاصل بين الإنسان والحيوان إلا ما يمتاز به من القيم الروحية والأخلاقية .

وإن من المغالطة والتغاضى عن الواقع أن يزعم زاعم أن الشعوب ما تزال على شيء من التدين إن لم يبلغ حد السكالم فهو تدين على كل حال ، لأن الواقع أن كثيرا من شعوب العالم قد كفرت بالأديان وبتعاليمها ، وظل بعضها مستمسكا ببراسم الأديان ومظاهرها دون حقائقها وجواهرها ، ومن التسامح أن يسمى ذلك تدينا ، فليس التدين رسوما ومظاهر وإنما هو إيمان يخاطب النفوس وتبدو آثاره في الواقع أعمالا نافعة ، وفضائل حميدة ، ومراقبة لله في كل شأن من الشئون .

تلك هي المرحلة الأولى التي قطعها دعاة الإلحاد ، أما المرحلة الثانية ، فهي أنهم حاولوا أن يسدوا الفراغ الذي أحدثوه بنجاحهم في الدعوة إلى التحلل من الأديان ، فأرادوا أن يضعوا نظما تقوم مقام الأديان ، والأديان مجموعة من النظم والقوانين الإلهية سياسية واقتصادية وإدارية وقضائية وغيرها ساس الله بها البشر ، وأنقذهم من أواصر الاوهام والخرافات ، وحمل تبليغها عن الله ، ملائكة أصفياء ورسلا أوفياء ، فبلغوها من حضرم ، ووصلت إلى من بعدهم بالطرق الموثوق بها من العلماء - وكان الفراغ كبيرا فاعترضوا

عقولهم في وضع القوانين التي تحمل محل الأديان في النواحي التي أشرنا إليها ، وتقود العالم إلى السكال ، وتفرقوا شعباً وأحزاباً : فجاعة شيوعية ، وثانية اشتراكية ، وثالثة ديمقراطية ، ورابعة نازية ، وخامسة وسادسة إلى جماعات كثيرة مما نعرف وما لا نعرف ، هدف الجميع واحد هو إسهاد البشرية وإن اختلفت وسائلهم ، وتركز اهتمامهم في الناحية الاقتصادية ظناً منهم أن المادة هي سبيل السعادة ، وأن ارتفاع مستوى المعيشة وإلغاء الفوارق بين الطبقات كفيل بالقضاء على أسباب الشر والقلق في العالم .

وقد وضعوا النظم والقوانين التي حسبوها تصد الفراغ الذي أحدثوه برفضهم للقوانين الدينية : وضعوا نظماً اقتصادية واجتماعية وسياسية إقليمية وعالمية ، فأسفر التطبيق عن الفرق بين قوانين الخالق وقوانين الخلق ، أسفر التطبيق عن فشل هذه القوانين في الوصول إلى الغايات التي قدروها ، فبعد قرابة نحو قرن في تجارب القوانين البشرية ، نرى العالم قد استحال حاله ، وخابت في قاداته آماله ، ومل العيش به نساؤه ورجاله . ونرى السعادة التي كانت تسوده في ظلال الأديان قد خبا نورها وذابت بهجتها ، وأصبحت الحياة كالحلة عابسة تنقبض لها الصدور ، وتضيق بها النفوس ، وعمت الشكوى وتفاقت البلوى ، وأنى توجهت ألفت نيراناً مستعرة ، ومشاكل مستعصية ، ومظالم ليس لها من دافع ، وحقوقاً مضیعة ليس لها من ولى ولا ناصر ، وساد قانون القوة كل شيء ، وفن العالم بالمادة فصارت معبوده المطاع ، يخضع لسلطانها في سائر شئونه ، وكفر بالاخلاق والآداب والمثل العليا للإنسانية الراشدة ، وأفلس كل ما وضع من قوانين لإصلاح العالم كما زعموا وقدروا .

أفلست قوانين السياسة تفقدت الثقة بين الأمم ، واستحكم فيها سوء الظن ، وتربصت كل بالأخرى ، وانصرف نشاط الأمم واقتصادها إلى الإعداد للحرب ، واستنفدت ميزانيات الحروب أكثر ميزانياتها ، وانكشفت أبواب المشروعات الإنتاجية والإصلاحية ، وانخفض مستوى المعيشة ، وثقلت الحياة على الأفراد في كثير من الأمم ، وتجاوبت أصداء الشكوى في بقاع العالم ، وأفلست قوانين الاقتصاد ، وعم الكساد ، وأدرك الناس زمان صار الغذاء فيه بالآوقيات والدرهم ، وتهددت المجاعات شعوباً بالفناء رغم أن الناحية الاقتصادية هي التي تركزت فيها جهود العلماء وأفكار المصلحين . وأفلست قوانين القضاء والإدارة فكثرت الجرائم وافتن المجرمون فيها وأصبحوا لا يبالون بقانون ولا يرهبون العقاب ، وطمع الناس بعضهم في بعض واعتدى بعضهم على حقوق الآخرين ، وغصت المحاكم بالقضايا

والمتناقضين والمدافعين ، وتعددت جماعات الشرط وتنوعت اختصاصاتها وما أغنى ذلك شيئاً وما وقى من شر وما دفع من ضر . فقد أوقع الناس بالخصومات إذا اضطربت أعصابهم وضائق بهم سبل العيش حتى هانت عليهم نفوسهم وشاع الانتحار فيهم . وأفلست قوانين الأخلاق . وإن أشد ما يعانیه العالم اليوم هو الفوضى الخلقية التي فشت في جميع النواحي فقد تمزقت أثواب الحياء والعفة في النساء والرجال ، وبدت عوراتهم الخلقية كما بدت عوراتهم الجسمية تؤذي العيون وتصلك الأسماع ، وتردى كثير من الأمم فيما يشبه الإباحية الحيوانية ، وقد ألبست هذه الإباحية أثواباً براقة من المدنية والرفق والذوق واللباقة وما إلى ذلك من الفاظ ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، وفسدت الذمم والضمائر ، وغاض الوفاء وفاض الغدر وانفجرت مسافة الخلف بين القول والعمل ، فلا اعتداد بين الناس بالعهود والمواثيق إلا أن يساقوا إلى ذلك بسياط القانون والقوة ، وأوقع الناس بالمال يجمعونه من وجوهه المشروعة وغير المشروعة ، وأصبح الغش في الصناعة والتجارة مهارة ، والصدق والأمانة خيبة وخسارة . ويضيق المقام عن الاسترسال في تصوير ما يعانیه العالم من بؤس وشقاء وبلاء وعناء ، ونكتفي بهذه الصورة الموجزة ، ولإننا لصورة قائمة الظلال كالحلة الألوان ، قد يتهمني بعض الناس بالغلو في تصويرها والخطأ في اختيار ألوانها ، ولكنها فيما أرى صورة صادقة افترعت ألوانها من واقع الأمور في الشعوب ، يراها المنصف بالعين المجردة دون معاناة أو تعب ، وما هي ذى صحف العالم ومذباته . وكلاهما مرآة الأمم في هذا العصر - فليقرأها وليستمع إليها من شاء ، ولن يقرأ ولن يسمع في جميع أنحاء العالم إلا أحاديث عن مشا كل يأخذ بعضها برقاب بعض ، وكلما عولجت مشكلة بدت أخرى أشد استعصاء على الحل من سابقتها حتى كاد زعماء العلماء يستيئسون من الإصلاح والعلاج .

وبالأمس القريب خطب زعيم من أكبر زعماء العالم ، فقال : إن العالم يعيش الآن في حالة من الارتباك المزعج ، ومن الصعب أن تجد في أي جزء من العالم جماعة من الأقوام لا تحاول العمل على مناوأة جماعة أخرى ، ولقد فكر جماعة من ساسة العالم وقادته في أن يصلحوا من شئون العالم وينتشلوه من هدمته وينهضوه من كبوته ويعيدوا إليه ما فقدته من أمن وطمأنينة ، واجتمعت آراؤهم على تأليف جماعة دولية تنظر في مشا كله وتصف ما تراه من علاج ، فألفت جماعة ثم جماعة تعلقت بهما آمال العالم ، وأضاءوا الشموع لمولدها

ولسكنها قضت نحبها قبل أن تنقضى هذه الشموع ، وكان الحزن في ساعة الموت أضعاف السرور في ساعة الميلاد ، وإنما فشلت هذه الجماعات لأن نجاحها كان يستدعى عنصرين مهمين : هما الإخلاص ، والتطبيق العملي من القائمين عليها ، ولم يتوافر لها ذلك ، وظل العالم على حالة من القلق والازعاج تتزايد يوما فيوما وعاما فعاما . كالغريق تتقاذفه الأمواج في سواه البحر ، وتنقطع به أسباب الرجاء ولا منقذ ولا مجير .

قد يعجب بعض الناس للحالة التي صار إليها العالم ويقول : كيف ذلك والعلم يطير إلى السكال بجناحين حتى سمي عصرنا عصر العلم والسرعة ولا تسكاد تنقضى للعلم دهشة من مخترع عجيب حتى تفجأ دهشة أخرى تسكاد تذهله عن وجوده ، فلماذا لم يحقق العلم للعالم أحلامه في الأمن والرخاء والسلام ، وقد ينقض عجبنا إذا علم أن العالم قد تقدم بالعلم حقيقة ، ولكن في الناحية التي تتصل بغرائز الإنسان الحيوانية ، وهي غرائز البطش والقوة والمتاع الحسى ، تقدم في صناعة الدبابات والطائرات وصناعة السينما والراديو والكهرباء والتلفزيون ، واكتشف للناس أنواعا لا تحصى من الأدوية تقي الناس شرور الأمراض وتعالجهم منها واكتشف لهم الخصائص الزراعية المختلفة إلى مكتشفات كثيرة تتصل بشئون حياتهم المادية ، وما زال العلم يجد ويدأب ويظفر في كل يوم بجديد مفيد ، إلا أن العلم مع اهتمامه بالناحية المادية أهمل الناحية الإنسانية والمعنوية في الإنسان كالإيثار والرحمة والتعاون والتضحية واحترام الحقوق ولم يعرها اهتمامه فرجع العالم فيها القهقري ، وأصبح الإنسان قاسي القلب غليظ الوجدان ، وتحكمت المادة في كل تصرف من تصرفاته خوف الفقر والخذر من المستقبل فتضاعفت عليه همومه وتنغصت حياته مع توافر أسباب السعادة المادية من حوله .

لقد كان تقدم العلوم في الناحية المادية ، وجهودها في النواحي الخلقية والروحية سبباً من أسباب الشقاء الذي يعانيه العالم ، إذ فتح عليه تقدمه في الناحية المادية أبواباً من الشر يحاول جاهداً أن يتفادها ، وأصبح أبغض شيء إلى نفوس الناس هذا النوع من العلم الذي يرناع لذكر تفاصيله وآثاره حين تدعو ضروره الحرب إلى تطبيقه واستعماله ، والعلم الذي كان مناط الرجاء في إصلاح العالم وإسعاده غداً من أهم أسباب الشقاء الذي يعانيه ، والعالم الآن يعاني ألواناً من الآلام الجسمية والنفسية لا عهد له بمثلها في عصور التاريخ .

لقد تحدث أحد علماء الذرة فقال : « إن العالم يحتاز طريقاً قد يؤدي إلى القضاء على المدنية ، والكوكب الذي نعيش عليه قد يصبح قريباً جزءاً من الجحيم ، مالم نتخير الطريقة

المؤدية إلى الحياة فيه ، وإننى واثق أننا لنصل بعد إلى هذا الحد . ثم قال : إن فى تناول البشرية الآن وسائل الاستئصال الجنس البشرى .

لقد أفلس المذاهب البشرية لذن فى تخفيف آلام العالم وطمأنينته وقيادته إلى ذرى العز والمجد والسعادة ، ووصل العالم بهذه المذاهب إلى ما وصفنا ، وقد شغل ذلك قادمه وزعماءه ومفكره . ورأى كثير منهم أن لاسبيل إلى ما ينشد العالم من استقرار واطمئنان إلا أن يستهدى بهداية الأديان ، فالأديان وحدها هى التى استكملت المقومات الضرورية لسعادة العالم وصلاحه وأمنه واطمئنانه ، وهى التى قدرت نواحي النفس الإنسانية العقلية والوجدانية ، والعاطفية والمادية فوضعت لكل ناحية مقتضياتها من المبادئ والتعاليم ، وما أفلس المذاهب البشرية إلا لعنايتها ببعض ذلك دون بعض .

لقد نشطت الدعوة إلى الأديان فى كثير من الشعوب ، وتجاوبت أصداء الدعاة إليها من رجال الدين والسياسة والاجتماع ، وأخذ اعتقادهم يزداد شيئاً فشيئاً بأنه لا صلاح للعالم ولا علاج له من علله التى ألحت عليه إلا بتعاليم الدين ، ولم تقتصر هذه الدعوة على هؤلاء بل نشطت فى البيئات الفنية والأدبية ، حتى ما كان يظن أنها أبعد الناس عن الأديان وأزهدهم فيها ، فقد اتجهت الروايات السينمائية إلى الموضوعات الدينية وأخذت تستلهمها فى كثير من موضوعاتها ، وقد أغرى نجاح الروايات الدينية مؤلفى تلك الروايات إلى العناية بالموضوعات الدينية وازدياد الاقتباس منها وأخذ المتتبع لتلك الحركة يشعر بحسن أثر ذلك الانجاء وحسن نتائجه فى أخلاق العامة وسلوكهم ، وأخذ كثير من الأدباء ممن كادت تفقهم المدينيات المعاصرة وتوقعهم فى مزالق الشكوك والريب يؤمن بضرورة دعوة الشعوب إلى الأديان كوسيلة من وسائل الإصلاح فنشطوا إلى التأليف فى الحوادث الدينية التاريخية التى كان لها أثر فى تاريخ الشعوب وفى سير أبطالها ، ولاقت مؤلفاتهم رواجاً زاد من نشاطهم وبجوداتهم . والمتتبع للحركات الفكرية فى العالم بوجه عام يلاحظ اهتماماً بالأديان والمباحث الدينية وانتعاش الروح الدينية فى كثير من الأمم ، وإذا قدر لهذه الحركات أن تسير قدماً فى طريقها فستصل الشعوب إلى غايتها المنشودة فى الاستقرار والرخاء والسلام . فالأديان بما انطوت عليه من أسباب ذلك سبيل السعادة ، ولن تسعد الشعوب إلا إذا استنارت بنورها

فى ظلمات الحياة ؟

أبو الوفا مصطفى المراغى  
مدير المكتبة الأزهرية



# الرِّبَاطُ فِي الْأَسْلَاحَةِ

١ — مناسبة البحث :

نحن في عصر مكافح مجاهد ، تنأى علينا فيه قوى الشر والبغى من كل جهة ، ونحتاج فيه إلى إعداد ما يستطيع لرد العدوان والخلاص من الطغيان ؛ والعدة قد تكون حسية كالمدفع والطائرة ، وقد تكون معنوية كالإيمان والشجاعة ؛ ومن أقوى الأسلحة المعنوية وأمضاها ، لإحياء روح الجهاد والتضحية في نفوس الجماهير ، والتذكير بمبادئ الثبات والإقدام ، وعرض الصور الرائعة للبطولات الخالدة ، والتففيه على الأصول الحية التي تتكون منها العقيدة الثابتة ، والتي لها اتصال بناحية الحرية وإبهاء الضيم والتحرير على الاستجابة لكريم التعاليم والتوجيهات التي تحت على الإعداد والاستعداد ، بالعدد والاعداد .

ولمحاولة المشاركة في هذا المقصد فنحدث عن الرباط في التنزيل المجيد ، مصورين ما هو الرباط أولاً ، وعارضين مواطن استعمال القرآن الكريم لكلمة الرباط ، ثانياً ، ومشيرين إلى المعنى العام المشترك لهذا الاستعمال ثالثاً .

٢ — الرباط في اللغة :

ونبدأ أولاً باستيفاء اللغة عن الرباط ، : ما هي مادته ؟ وما معناه ؟ وما هي ألوان الحقيقة والمجاز فيه ؟ تكلم القاموس المحيط عن مادة ( ربط ) فذكر وجوها من معانيها واستعمالاتها ، ومما قاله : « ربطه يربطه ويربطه شدة فهو مربوط وربط ، والرباط ما ربط به جمعه ربط ، والفؤاد ، والمواظبة على الأمر ، وملازمة ثغر العدو كالمرابطة . والخيل أو الخرس منها فما فوقها ، وواحد الرباطات المبذبة ، أو المرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة ، وكل معد لصاحبه ، فسمى المقام في الثغر رباطاً . والربط الراهب والزاهد والحكيم ، ظلف نفسه عن الدنيا كالرباط في الثلاث ، » (١) .

(١) والربيط أيضاً لقب الغوث بن مرين طابخنة ، لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت أن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ، ولتجملته وربط السكبة ، فماش ففعلت وجعلته خادماً للبيت حتى بلغ فتزعمته ، فلقب الربيط [ القاموس ] وهناك ربيط بنى إسرائيل الذي قال : زين الحكيم الصمت ، وهو زاهدهم وحكيمهم الذي ربط نفسه عن الدنيا أى شدها ومنعها [ النهاية ] .



وجاء الزمخشري في (أساس البلاغة) فيين الأصل في المراقبة فقال : « ورباط الجيش أقام في الثغر ، والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم ، ثم سمي الإقامة في الثغر مرباطة ورباطا ، والغزاة في مرباطهم ومرباطاتهم وهي موضع المراقبة ، ووقف ماله على المراقبة وهي الجماعة التي رابطت ، ومنهم : اللهم انصر جيوش المسلمين ومرباطاتهم ، ومن المجاز ربط الله على قلبه : صبره . »

وقسر النوى في (تهذيب الاسماء واللغات) رباطة الجأش فقال : « وفلان رابط الجأش وربط الجأش أى شديد القلب ، قال الجوهري : كأنه يربط نفسه عن الفرار . »

وتعرض ابن الأثير في (النهاية) للبادة ، وأراد أن يبين العلاقة بين استعمالها اللغوي واستعمالها النبوي حينما سئل الرسول عن أفضل الأعمال فقال : « إسباغ الوضوء على المسكاره وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط . » الرباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها ، فشبه به ما ذكر من الأفعال الصالحة والعبادة . أى أن المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة كالجهاد في سبيل الله ؛ فيكون الرباط مصدر رابطت أى لازمتم .

وقيل : الرباط ها هنا اسم لما يربط به الشيء أى يشد ، يعنى أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم .

وتعرض الأصفهاني في (مفردات القرآن) للرباطة بلونها الحسى والمعنوى فقال : « . . . فالمرابطة ضربان : مرابطة في ثغور المسلمين ، وهي كمرابطة النفس البدن ، فإنها كمن أقیم في ثغر ، وفوض إليه مراعاته ، فيحتاج أن يراعيه غير مغل به ، وذلك كالمجاهدة ، وقد قال عليه السلام : « من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ وفلان رابط الجأش إذا قوى قلبه . »

### ٣ - فضل الرباط في الحديث النبوي :

وردت أحاديث كثيرة في فضل الرباط والحث عليه ، وإذا تذكرنا أن الرباط لون من ألوان الجهاد عرفنا أن كل تمجيد للجهاد في السنة يعد تمجيداً للرباط ، وقد استفادت السنة المحمدية بأحاديث الجهاد مما يحتاج إلى مؤلفات لا مقالات ؛ ومن أحاديث الرباط الحديث المتفق عليه : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وهو وضع سوط

أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها . والروحة يروحها العبد أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها . وعن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : د رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل . وعن سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : د رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتنة ، ( الشيطان ) . وعن عثمان بن عفان قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : د حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة بقيام ليالها وصيام نهارها . وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : د عينان لا تمسهما النار ، عين بسكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله . وعن فضالة بن عبيد أن الرسول قال : د كل ميت يختم على عمله إلا المرباط في سبيل الله ، فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان القبر .

٤ — الرباط عند الفقهاء :

تطلق كلمة الرباط - كما فهمنا - عند علماء الإسلام على إقامة المجاهدين على الحدود وفي ثغور البلاد ومدخلها ، لحراستها والدفاع عنها ، وهم أثناء ذلك يقومون بربط خيرولهم وخدمتها ، ويسمون بالمرباطين ، وهذا الرباط فرض كفاية ، إذا قام به البعض وكفوا سقط عن الباقي فرضا ، وإن استحسنته الإسلام وحث عليه في كل زمن قدرة ، ولكن إذا هاجم العدو أرض المسلمين وتعرضت كلمة الإسلام للخطر وجب التنفيذ العام على كل مستطيع . وتحديد وقته ومدته يخضع للظروف والملايسات .

وجاء في كتاب ( المغني ) لابن قدامة <sup>(١)</sup> : د فإن الرباط يقل ويكثر ، فكل مدة أقامها بنية الرباط فهو رباط ، قل أو كثر ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( رباط يوم ، ورباط ليلة ) . قال أحمد : يوم رباط ، وليلة رباط ، وساعة رباط . وقال عن أبي هريرة : ومن رباط يوما في سبيل الله كتب له أجر الصائم القائم ، ومن زاد زاده الله . وروى سعيد بن منصور بإسناده عن عطاء الخراساني عن أبي هريرة : رباط يوم في سبيل الله أحب إلى من أن أوافق ليلة القدر في أحد المسجدين ، مسجد الحرام أو مسجد رسول الله

[١] المجلة - الامام موفق الدين ابن قدامة من كبار علماء فلسطين زمن الحروب الصليبية . هاجر إلى دمشق هو وأسرته ، واشترك في محاربة الصليبيين هو وأخوه الأكبر الشيخ أبو عمر وتلاميذهم وكان لهم خيام في معسكر صلاح الدين في حملات الحروب الصليبية وفتح بيت المقدس ومعركة حطين .

صلى الله عليه وسلم ، ومن رابط أربعين يوما فقد استكمل الرباط ، وتمام الرباط أربعون يوما ، روى ذلك عن أبي هريرة وابن عمر ، وقد ذكرنا خبر أبي هريرة . وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تمام الرباط أربعون يوما . وروى عن نافع عن ابن عمر أنه قدم على عمر بن الخطاب من الرباط ، فقال له : كم رابطت ؟ قال : ثلاثين يوما . قال : عزمت عليك إلا رجعت حتى تتمها أربعين يوما ؛ وإن رابط أكثر فله أجره كما قال أبو هريرة : « ومن زاد زاده الله ، » (١) هـ .

#### هـ - الرباط في القرآن الكريم :

وقد ذكر الرباط ، و الربط ، في التنزيل المجيد في خمسة مواضع ، اثنان منها وردت فيهما المادة بصيغة الأمر وهما قوله تعالى في سورة آل عمران . « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » آية ٢٠٠ . وقوله في سورة الانفصال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، آية ٦٥ .

والثلاثة الباقية وردت فيها المادة بصيغة الإخبار وبمعنى الشد والتثبيت ، وهى قوله تعالى في سورة الانفصال : « وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ، ١١ . وقوله في سورة البكهف « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض ، آية ١٤ . وقوله في سورة القصص : « إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، آية ١٠ .

ويلاحظ مع التأمل وشيء من التعميم المعنوى أن استعمالات القرآن الكريم للمادة الربط ، يشملها معنى واحد عام ، هو ما يفيد الشد والتماسك ، سواء أكان هذا التماسك ملموساً محساً كما في الأشياء المادية الظاهرة ، أم كان معقولا مدركا كما في الأمور العقلية المعنوية ؛ ففي الآية الأولى نسمع الحق تبارك وتعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والمعنى : يا من صدقوا الله ورسوله وابتغوا بهما وبأمرهما ، اصبروا على التكاليف ، واحتملوا المصائب والمتاعب ، وصابروا على طاعة الله والزموها ، وصابروا عن معاصيه وابتعدوا منها ، وصابروا أى جاهدوا أعداءكم وصابروا فى جهادهم كما يصبرون فى جهادكم وعداوتكم ، ورابطوا الكفار فى سبيل الله ، بأن تعدوا لهم من رباط الخيل ما يكون كغناء ما أعدوا لكم ورابطوا .

وعبارة الزخشرى في كشافه : « (اصبروا على الدين وتكليفه) (وصابروا) أعداء الله في الجهاد ، أى غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب ، ولا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً ، والمصابرة باب من الصبر ، وذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصاً لشدته وصعوبته (ورابطوا) وأقيموا في الثغور مرابطين خيلكم فيها ، مترصدين مستعدين للغزو ، .

وهذه الآية شاملة جامعة لأنواع الاوامر تكليفا ونهيا ، لأن الصبر يشمل لزوم الفرائض والعبادات ، مع اجتناب المنهيات والمحرمات ، والمصابرة تشمل مجاهدة الغير من الإنس والجن والنفس ، والرباط يدخل فيه الجهاد في سبيل الله والدفاع عن وطن الإسلام وجماعته والدفاع عن الملة ، ثم تأتى تفوى الله فتفيد تعميم الانتهاء عن جميع المناكر والانتهاز بجميع الاوامر ، فيكون من وراء ذلك كله النجاح والفلاح <sup>(١)</sup> .

والمرابطة هنا تفيد المعنى العام للمادة وهو الشد والتماسك ، لأن المسلمين لا يستطيعون مجاهدة أعدائهم متفرقين ، ولا يستطيعونها مترخين أو مستقنين ، بل لا بد لهم من أن يشدوا شدة القوى ، وأن يتماسكوا تماسك المجتمعين المتعاونين ... ولذلك جاء في التنزيل : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، « واجعل لى وزيراً من أهلى ، هارون أخى ، اشده أزرى ، ، « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ، ، « حتى إذا انخسفهم ففسدوا الوثاق ، ، « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى لى ركن شديد ، ، « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، ... الخ . وجاء أيضاً : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ، « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ، « ومن يسلم وجهه لى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ، « فاستمسك بالذى أوحى لىك ، الخ .

وفى الآية الثانية نسمعه سبحانه يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لآعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف لىكم وأنتم لا تظلمون ، .

فالله يأمر عباده فى الآية الكريمة بأن يهيئوا جميع الوسائل والأسباب التى تجعلهم فى قوة ومنعة وشدة ، وأن يبذلوا فى سبيل ذلك كل ممكن وكل مستطاع ، وأن يحرسوا حدودهم

ومداخلهم وثغورهم بقوات الفرسان المدرية الفتية الشديدة ، حتى تكون تلك القوات جيشاً مستعداً دائماً للدفاع وصد هجمات الأعداء ؛ وما أبلغ الآية حين تستعمل كلمة « القوة » ، الشاملة لأنواع من السلاح وألوان من العناد والإعداد ؛ وما أبلغها حين تشير إلى الأعداء المعلومين لله وللناس ، والأعداء المجهولة من الناس المعلومه من الله ... إذن فالاستعداد يجب أن يكون على غايته ، وفي كل وقت ومكان ، وبكل حيلة ووسيلة ، لأن الأعداء ظاهرون وباطنون ، ومعلومون ومجهولون ، وحاضرون وغائبون ؛ « ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

ومن الجلي الواضح أن هذا الإعداد وتلك الألوان من القوى والأسلحة لا تنهياً ولا تدوم إلا إذا كانت في المسلمين قوة وشدة ، وكان في جمهم تماسك وتكاتف وتساعد ؛ كما أنه قد يكون من الواجب أن نشير إلى أن « المراقبة » لا تقتصر على ذات الخيل ، وإن ذكرتها الآية لمناسبة ما كان موجوداً ، بل علينا أن نرابط الأعداء بمثل عدتهم وأسلحتهم ووسائلهم .

والآية الثالثة تقول : « إذ يغشيكُم النعاس أمنةً منه » ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

وقد نزلت هذه الآية ضمن الآيات التي نزلت في غزوة بدر ؛ وهنا يتحدث الحق تبارك وتعالى عن النعم التي أنعم بها على المجاهدين الأولين ، فقد كانوا قلة وأعداؤهم كثرة ، وهذا يثير الخوف في القلة ، والخائف لا يتام وإن رغب في النوم ، فأنزل الله النعاس على المسلمين تطميناً منه وتأميناً وإذهاباً للخوف عنهم ، ولإراحة لهم حتى يستعدوا للمهركة القادمة ، وكذلك أنزل الله عليهم ماء في وقت جاف ومكان مجذب وساعات كلها ظمأ وحاجة إلى النظهر والاعتسال ... فطهروا وأزالوا وسوسة الخناس عن نفوسهم ، وثبت الله أقدامهم بهذا الغيث إذ صارت الأرض الرملية اللينة صلبة متماسكة ، لا تلين فيها الأقدام ، بل تقوى وتشد .

والقلوب إذا ارتبطت قويت واشتدت وجروئت ، كما أن الأقدام لا تثبت إلا على أرض متماسكة صلبة ، فكأن الربط على القلوب هنا - وإن كان معنوياً - يفيد الشدة والتماسك أيضاً .

والآية الرابعة تقول : « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض إن ندعو من دونه إلها ، لقد قلنا إذن شططا » . وقد نزلت في فتية الكهف الذين كفروا

بالوئمة والاصنام ، وآمنوا بالله الخالق للسموات والارضين ، والله يحدث عباده في قرآنه عن نعمته على هؤلاء الفتية حين قواهم باليقين والصبر ، وشد قلوبهم وجعلها متماسكة لا تزعزع ، بل تقوى على هجر الارطان والتعيم ، والفرار بالدين إلى الكهف ، وتقوى على مجاهرة الضاغين والجبارين ومصارحتهم بكلمة الحق ، ولو لاقوا في سبيلها الأذى والعنت ؛ فقد قاموا بين يدي الجبار ( دقيانوس ) دون خوف أو مبالاة ، وأظهروا إيمانهم ، وأصرروا على هجر عبادة الاصنام ، لأن عبادة غير الله إفراط في الظلم والضلال .

والقلوب الضعيفة تكون خائرة متداعية تطير شعاعا عند كل صيحة ، وأما القلوب المؤمنة المرتبطة بأسباب الله ، المترابطة في سبيل الله ، فإنها تكون شديدة في حقها وصدقها ، متماسكة في إقبالها على دعوتها ومجاهدتها لأعدائها .

والآية الأخيرة تقول : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ، إن كادت لتبدي به ، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » . وقد نزلت هذه الآية في شأن أم موسى عليه السلام ، حين صنعت له التابوت ، وألقته في اليم ليلتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، وقد خافت أم موسى على وليدها ووحيدها خوفا شديدا ، حتى تناهت قلبها المخاوف والهواجس فأصبح فارغا متبددا ، وقاربت أن تكشف سرها وتعلن سرها ، وليكن الحق جل جلاله ربط ، على قلبها ، فجمع منه ما كان مشتتا ، وشد منه ما كان متداعيا ، فصار في امتلاء واشتداد واستمسك .

وهكذا نرى أن الاستعمال القرآني للكريم لمادة « الرباط » ، والربط ، يشعر بالشدة والتماسك ، والشدة قوة لا تكون إلا ببذل الجهود لتحقيق المقصود ، والتماسك لا يكون إلا بالتسكتل والتجمع والتعاون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

٦ - إلهام :

يا بني الإسلام ... إن « الرباط » ، في سبيل الله شعيرة من شعائر الملة ، وفريضة من فرائض الكتاب ، وسنة لا يقطعها إلا جاحد أو جاهل ، وقد كتب الله الجهاد والقتال كما كتب الصيام والصلاة ، « ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين » ، « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

أحمد الشرباصي

من علماء الأزهر الشريف

# ليس للمرأة شرعاً أن تمارس السياسة

لأنه دَرَأُ الفاسدِ الشرِّبِ عَلَى لَكَ نُفْسُكَ عَلَى نَافِيَةِ مَصَالِحِ

## حَدِيثُ فَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

قال مندوب د. الأهرام ، .

كان فضيلة الأستاذ الأكبر أمس عاكفاً على دراسة طائفة من المراجع الفقهية التي تحدثت في استفاضة وإبانة عن حقيقة موقف المرأة في نظر الشريعة الإسلامية ، وقد ذكر لي فضيلته أنه سوف يضع مذكرة مدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي لا تدع مجالاً لفائل بأن للمرأة أن تمارس شأناً من شئون السياسة العامة ، وسوف يفرغ من هذا البحث في خلال أيام قليلة .

### الإسلام دين الفطرة :

ومضى الأستاذ الأكبر فقال : لست أريد بهذا البحث أن أدخل في جدل حول موقف المرأة نفسها ، ولكنني سأحدث عن حكم الشريعة الإسلامية بوجه عام . ومن الحقائق الدائرة على الألسنة ، المقررة بين علماء الإسلام ، أن الإسلام دين الفطرة وكان ذلك من أسباب سرعة انتشاره ، واستمرار حيويته ، وازدياد الإقبال عليه في كل العصور ، ولو أتيح له أن يعرف كما هو ، لكان هو نظام الإنسانية كلها .

ومن مظاهر كون الإسلام دين الفطرة أنك مهما استقصيت أوامره ، لا تجده يأمر إلا بما فيه مصلحة عامة ، ومهما أحصيت نواهيه ، لا تجده ينهى إلا عما فيه مفسدة ، والإسلام يترك غير المسلمين يتحاکون إلى أهل ملتهم ، وإذا تحاکوا لدى القاضى المسلم حكم بينهم أو بينهم وبين المسلمين بالعدل ، فإن العدل تابع للتحاكم لا للإسلام ، وذلك شأن دين الفطرة وقد توصل علماء الإسلام إلى أن يستخرجوا من مجموع نصوص الشريعة وأحكامها قواعد عامة . كاستخراجهم قاعدة — الضرر يزال — من مثل قوله ﷺ ، لا ضرر ولا ضرار ، ويتفرع على ذلك أحكام لا تخص في الفقه والقضاء .

ثم قال : إن القواعد شأنها أن تؤخذ من موارد متعددة في الشريعة ، ولهذا كانت في نفسها قطعية ، وإنما الظن القوي في تطبيقها ، وذلك كاف في حق المجتهد .

وقد يرى واضح القانون الضرر الصغير في الواقعة فيمنعه ، ويبيحه الشارع لانه وقاية من ضرر كبير ، ومن هنا نشأت قاعدة ارتكاب أخف الضررين ، ومن أصولها قول الله عز وجل : أما السفينة فكأنتم لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، فإن عيب السفينة ضرر ، لكنه أخف من أخذها غصبا .

وينظر بعضهم إلى مصلحة تظهر من شيء ، ولا تقع أنظارهم على المفسد التي تنجم عنه ، فيظهر لهم أنه أحكم من منعه نظرا إلى مفاسده ، ومن هنا نشأت في الشريعة قاعدة : درء المفسد مقدم على جلب المصالح ، ومن ذلك ما يدعيه القائلون بإعطاء المرأة حقوق الرجل السياسية ، فإنهم نظروا إلى ما في المرأة من مزايا ، وغفلوا أو تغافلوا عما يترتب على ذلك من مضار تشاهد في كل مكان ، فدفع المضار مقدم على ما يذكر من المزايا .

ثم تحدث الأستاذ الأكبر مبينا ما في الشريعة الإسلامية من النصوص والبراهين المؤيدة لهذا فقال :

من قواعد التشريع الإسلامي قاعدة : العادة محكمة ، أي أنها تجمل حكما في إثبات الأحكام إذا لم يعارضها نص ، وابتنى عليها قولهم : الممتنع عادة كالممتنع حقيقة ، وقولهم : المعروف عرفا كالمشروط شرطا ، وقولهم : التعيين بالعرف كالتمييز بالنص ، وقولهم : لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان ، أي أن الأحكام التي كانت مبنية على عرف طرا عليه التغير تتغير بتغير ذلك العرف ، فتبنى دائما على العرف الذي لا يخالفه نص .

ثم قال : إن القواعد كما قلنا مأخوذة من النصوص ، والنصوص لا تأتي إلا للمصلحة العامة ، والمصلحة العامة تتمشى دائما مع الفطرة الإنسانية وسعادتها ، فإذا لم تجز الشريعة للمرأة أن تمارس حقا من حقوق السياسة فإنما قصدت بذلك الخير الشامل للمجتمع الإنساني ، فإن وظيفة المرأة الأولى أن تكون أما ، وأن تكون ربة بيت ، وقد أبيع لها أن تمارس الوظائف التي تتمشى مع طبيعتها ، فإذا هي أرادت أن تعسفا فإنما تكون قد خرجت عن الطريق التي رسمت لها والتي تتفق مع طبيعة تكوينها ، وفي هذا مضرة بها ، ومضرة بالمجتمع ، وشر بالإنسانية جمعاء يجب أن نتكاتف على دفعه ، والله الموفق .



# الرَّقُّ وَآثَارُهُ

## فِي السِّيَرِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْمِصْرِيِّ

١ - كاد إجماع الأمة في الفقه الإسلامي يكون منعقداً على أن الرق من موانع الإرث ، حتى لقد حكى الإجماع على ذلك في أكثر المصادر المعتبرة لهذا الفقه <sup>(١)</sup> . وقد كان مشروع قانون الميراث ( ٧٧ لسنة ١٩٤٣ ) - كما قدمته لجنة الأحوال الشخصية - مشتملاً على النص على الرق باعتباره مانعاً من الإرث ، بيد أنه رُؤي حذف هذا النص ، بسبب الحظر القانوني للرق وزوال نظامه ؛ إذ أنه من الجرائم المعاقب عليها منذ ستين عاماً ، ومن أجل ذلك قضى بأنه ليس ثمة فائدة من الناحية العملية من جراء إيراد نص في قانون الميراث يعتبر الرق مانعاً من موانع الإرث <sup>(٢)</sup> . وصدر قانون الميراث ، وقد خص موانع الإرث بالمادتين ٥ ، ٦ منه ، وذكر فيهما ثلاثة موانع هي : القتل ، واختلاف الدين ، واختلاف الدارين في حالة خاصة ، ولم ينص على الرق مانعاً من الميراث <sup>(٣)</sup> .

٢ - بيد أن المادة الخامسة صيغت بحيث تشعر بأن ما ورد فيها من موانع ، ليس على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل ؛ إذ ابتدأت عبارتها بالقول « من موانع الإرث ... » وهذا تعديل أجرته عليها ( لجنة الشؤون التشريعية بمجلس النواب ) وأكدت في تقريرها عن مشروع قانون الميراث ، أن السبب في ذلك هو جعل المادة المذكورة بحيث تكون أوضح في الدلالة على أن النص وارد على سبيل التمثيل لا الحصر <sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : الأستاذ أحمد إبراهيم ( بك ) في « الموارث علماً وعملاً » سنة ١٩٤٢ - ص ٧٢

(٢) انظر : المذكرة الإيضاحية لقانون الميراث في ( مجموعة القوانين ، الوقف والوصية والميراث )

جمع وترتيب محمد الغريب - الطبعة الثانية - ص ١٤٤ .

(٣) انظر : المادة ٨٥ من الأصل ( كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية ) لقدري

باشا ، إذ نصت على أن موانع الإرث الأول هو ( الرق وافرأ كان كالفن والمكاتب أو ناقصاً كالدبر وأم الولد ؛ لأن الرق ينافي أملية الإرث لأنها بأهلية الملك وربة ) .

(٤) انظر : المذكرة الإيضاحية لقانون الميراث في ( السالف ) - ص ١٣٨

٣ — وأوردت المذكرة الإيضاحية في تعليقتها على نص م ه السبب في جعل هذه المادة غير دالة على حصر موانع الإرث بقولها :

« حتى لا يظن أنه قصد بالحذف تغيير حكم شرعى أجمع عليه المسلمون ، »<sup>(١)</sup> .

٤ — وتعديل لجنة الشئون التشريعية لنص م ه لم يكن له لزوم في نظرى ، بالرغم من السبب الذى أوردته المذكرة الإيضاحية ؛ إذ يترتب على جعل موانع الإرث فى القانون واردة على سبيل التثليل لإباحة إدخال موانع أخرى ، لم يكن المشرع يقصد بحال إدخالها ، ولقد كان الأصل - الذى كان معمولاً به قبل صدور قانون الميراث - موفقاً لإدخال حصر موانع الإرث بشكل لا يدع مجالاً لإمكان دخول غيرها من الموانع المختلف فيها<sup>(٢)</sup> .

٥ — ثم إن المعروف هو أن القواعد المتعلقة بالتوريث وأحكامه المعتبرة شرعاً ، ومن هذه القواعد والأحكام موانع الإرث - هى من النظام العام *L'ordre public* ، وقد قررت ذلك أحكام القضاء ؛ إذ قيل بأن أحكام الإرث من كون الإنسان وارثاً أو غير وارث وكونه يستقل بالميراث أو يشارك فيه سواء إلى غير ذلك من الأحكام ، وكذلك الأحكام المتعلقة بتعيين الورثة وانتقال الحقوق فى التركات عن طريق الوراثة للمستحقين شرعاً ، مخالفة كل هذا باطلة لمخالفتها للنظام العام ، يحكم بطلانها القاضى من تلقاء نفسه فى أية حالة عليها الدعوى ولا تصححها إجازة من أحد<sup>(٣)</sup> .

٦ — ومن هذا يفهم أن كل شخص قابل للإرث ، إذا توافرت فيه شروط التوريث ، وانطبقت عليه أحكام الباب الثانى من قانون الميراث الخاصة بأسباب الميراث ، ولم يكن فى

(١) انظر : المرجع السابق - ص ١٤٤

(٢) انظر : الواد من ٥٨٥ - ٥٨٨ من الأصل ( كتاب الأحكام الشرعية ) السالف الذكر .

(٣) انظر : حكم القضية رقم ٢ سنة ٤ قضائية فى ( مجموعة القواعد القانونية ) - ١ ص ٤٤٩ ، وجاء فيه أنه باطل كل اتفاق قبل وفاة شخص ما على شيء يحس حق الإرث عنه ، لأن مثل هذا الاتفاق مخالف لنظام العام - وانظر كذلك حكم محكمة استئناف مصر ( ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦ ) فى ( المحاماة ) ص ٣٠ من ٧٥٢ رقم ٣٧٣ ، إذ يستفاد منه أن قواعد التوريث وأحكامه من النظام العام والتعايل عليها ممنعت لذلك .

حالة حجب مما هو منصوص عليه في الباب الثالث ، إلا أن يكون ممنوعاً من الإرث ، فهذا المنع إذن من قبيل الاستثناء ، وفتح باب المادة الخاصة به ( م ٥ ) لدخول موانع جديدة ليست معروفة لدينا خاصة بعد إلغاء الرق قانوناً وحذفه باعتباره مانعاً من الإرث ، وبعد ثبوت أن ليس في القانون المصري الوضعي على وجه العموم مانع من الإرث غير الموانع الثلاثة المذكورة في قانون الميراث ، أقول إن هذا الفتح يعتبر من قبيل اللغو الذي كنا ننزه الشارع عن الوقوع فيه من الناحية الشكلية <sup>(١)</sup> .

٧ — أما السبب الذي أوردته المذكرة الإيضاحية ، فلست أفهم بصدد ما وجه الظن بتغيير حكم شرعي أجمع عليه المسلمون ، مادام الرق قد ألغى في مصر ولم يعد موجوداً ١٩٠٤ ، بل إن ( الرق ) في حد ذاته كان في الإسلام نظاماً اقتضته ظروف مؤقتة خاصة به ، يدل على ذلك عدم تسجيل القرآن الكريم له ، وإنما يحل العتق ووسع في أسبابه حتى يتسنى إلغاؤه والقضاء عليه ، حتى لقد قيل : إن أسباب العتق التي وضعتها القرآن ، لو نفذت كلها ، فإنه لا يبقى رقيق في دار الإسلام أكثر من عام واحد <sup>(٢)</sup> .

٨ — على أن دعوى الإجماع التي استندت إليها المذكرة مردودة وغير صحيحة على

[١] قد تتصور فكرة دخول موانع أخرى للميراث في المادة ٥ ، إذا لاحظنا أن ثمة عدداً وافراً من هذه الموانع موجود عند الفقهاء على اختلاف ، ومثال هذه الموانع ، مانع الرنا ومانع العمان ومانع التبرؤ من الولد ومانع عدم الاستئلال ومانع النك في الموت ومانع استغراق التركة بالدين ومانع الفقد ومانع الزواج المنقطع [ المنعة ] عند الشيعة الامامية إلا إذا اشترط أحد المتناكحين للميراث . الخ راجع في هذه الموانع ، أحمد إبراهيم - السالف - ص ٩١ وما بعدها .

[٢] انظر . الاستاذ محمد أبو زهرة في بحث [ شرعية القرآن دليل على أنه من عند الله ] - في [ المسلمون ] ص ١ ص ٣٥ بند ١٠ - ومما هو جدير بالذكر أنه على الرغم من اعتراف الاسلام بشرعية الرق ، فإنه كان يبيح للعبد أن يسلم مع بقائه عبداً ، ويقول البعض بأنه لو حدث يوماً ما أن كان كل الناس مسلمين فإن مصدر الرق ما كان ليبقى له وجود نتيجة لذلك ، ويوضحون ذلك بأن وضع العبد في المجتمع الاسلامي كان في العادة حسناً جداً ، وإعتاقه من سيده كان باباً مفتوحاً لهذا الأخير ، يستطيع عن طريقه أن يكفر عن المعاصي والسيئات التي وقعت منه في مواجهة الديانة الاسلامية ، وبصرف النظر عن هذا الفرض الخاص من الرق وهو التكفير ، فالعق في حد ذاته كان مندوباً ومطلوباً من الاسياد - انظر .

إطلاقها<sup>(١)</sup> ؛ وذلك لوجود خلاف ليس قليل الأهمية ، في شأن الرق واعتباره مانعاً ؛ إذ وجد فقهاء كثيرون قالوا باعتباره غير مانع من الإرث<sup>(٢)</sup> .

٩ — ومن أجل كل هذا لا أرى معنى للتحفظ والخوف من الظن بتغيير حكم شرعي أجمع عليه المسلمون ؛ لأن هذا الظن وهم وخيال من جهة ، ومن جهة أخرى لأن هذا الإجماع المردود من المسلمين ، ليس عيباً خروج المشرع المصري الحديث عليه ، مادام بشأن مسألة خاصة ، رأينا أنها سلمت في التشريع الإسلامي لوجود محلها الذي هو انتشار الرق في بدء نشوئها ، ثم ما كان من محاربة هذا التشريع القضاء عليه ، بحشّه على العتق ، وإبراده للأسباب الكثيرة لتشجيع هذا الأخير .

١٠ — ويلاحظ أن قانون الميراث لم يتخلص البتة من آثار الرق ، يتبين ذلك من اعتباره ( العصوبة السببية ) سبباً ثالثاً للإرث بعد الزوجية والقرابة ( م ٧ ) ، ويقصد بهذه العصوبة الميراث بولاء العتاقة وفق هذا القانون<sup>(٣)</sup> ، وصورة ولاء العتاقة هذا أن

[١] انظر . أحمد إبراهيم - السالف - هامش ص ٥٧

[٢] راجع في ذلك . [ القواعد ومفتاح الكرامة ] و [ حاشية الفنارى ] و [ ابن حزم ] و [ الروضة الندية وشرحها لشوكاني وصديق خان ] و [ الأهلية وعوارضها ] و [ نظام النفقات ] لأحمد إبراهيم - عن : أحمد إبراهيم في - السالف - ص ٧٢ وما بعدها

(٣) عرف الرومان ولاء العتاقة والتوريث على أساسه ، إذ كان لديهم نظام العتق ، وكان العتق بمقتضاء يكتسب صفة الحرية والصفة الوطنية معا ، ولكنه لا يصير حراً على إطلاق ، إذ وضع القانون الروماني عدة قيود تحد من حريته كي يعتبر في مرتبة أدنى من مرتبة الأحرار الأصليين ، وخاصة ما يتعلق من هذه القيود بالحقوق المالية Bona ، وبهنا هنا من هذه الحقوق : الحق القدي كان يخول للسيد إذا أعتق ، والقدي بمقتضاء يرث عتيقه إذا مات من غير وراث وبدون أن يترك وصية - انظر . الدكتور محمد عبد النعم بدر والدكتور عبد النعم البدر في ( القانون الروماني ) ص ١٥٢ ، ومفهوم أن القانون الروماني قد عرف الرق واعتبره مانعاً من الإرث - انظر . السالف ص ١٤٣ ، كما عرف نظام الموت المدني Capitis Deminutis انظر بيانا موجزا عن هذا النظام وتاريخه في موجز القانون الروماني لجيفار - طبعة ١٩٣٤ - ص ١٠٩ - ٣١١ . وجاء هذا النظام La mort ciuil إلى القانون الفرنسي ونص عليه في ق سنة ١٨٠٤ - ثم ألغى بقانون سنة ١٨٥٤ انظر في ذلك Code Civil annoté d'après la doctrine et la jurisprudence, par, H. Bourdeaux, p. 33, وانظر Prof. Gaston Stefani, Les successions ab intestat et testamentaire en droit français comparé au dr. égyptien, Rev. Al-Ianoun Wal Iqtisad, xx1 eannée, No 1, p. 47.

يعتق الرجل عبداً أو أمة له ، فيترتب على ذلك أن يصبح العتيق مفسوباً إلى المعتق بالولاء ، ومن أجل هذا أطلق على هذا الولاء ( ولاء النعمة ) ، وبمقتضاه يرث المعتق من العتيق دون العكس ، وسواء في ذلك أحدث العتيق من المعتق لوجه الله تعالى أم لوجه الحاكم أو السلطان ، وسواء أعتقه سائبة أم شرط ألا ولاء عليه ، كما أنه يستوى العتيق بجعل أو بغير جعل أو بطريق الكتابة (١) .

١١ — والرأى الذى أخذ به القانون فى شأن ولاء العتيق هو رأى الجمهور ، فهم الذين يعتبرونه سبباً من أسباب الإرث ، ويستندون فى ذلك إلى حجج يمكن تلخيصها فى سنيين : أولهما : سند قرآنى : إذ قال تعالى : «ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون» وقد فسروا «الموالى» فى الآية على أنها العصبات ، ومولى العتاقة يعتبر عصبه ، ومن أجل ذلك يرث . ويرد على ذلك بأمرين :

(الاول) أن كلمة الموالى فسر أيضاً على أنها الورثة ، وبذلك تفتقر إلى دليل يدل على أن مولى العتاقة من هؤلاء .

(والثانى) أن المتوفى ليس والداً ولا قريباً لمولاه المعتق ، وهنا يتبين أن مولى العتاقة خارج عن الصورة الواردة فى الآية (٢) .

وثانيهما : سند نبوى : ويتفرع فرعين :

(الاول) خاص بقول الرسول ﷺ إن «الولاء لمة» (٣) كلجمة النسب لا يباع ولا يوهب ، إذ يدل هذا الحديث فى نظرهم على أن الولاء كالنسب ( القرابة ) سبب الإرث . وهذا القول مردود كذلك لاعتبارات ، منها أن هذا الحديث معلول (٤) ، ومنها أن الولاء إن كان كالنسب ، فليس كل نسب سبباً فى الإرث عند من يقول بعدم تورث ذوى الأرحام ، ومنها أن وجه الشبه الوارد فى الحديث بين الولاء والنسب هو الخاص بالبيع والهبة فقط لا المتعلقة

(١) انظر : شمس الدين السرخسى فى [ المبسوط ] ٣ - ٣٨ .

(٢) انظر . أحكام القرآن لأبى بكر الرازى الجصاص - وأحمد إبراهيم - السالف . ص ٣١ .

(٣) المراد باللمة . الرابطة التى تربط شيئين أحدهما بالآخر .

(٤) أعله البيهقى .

بالإرث ، وكذلك لا دليل على توريث الجمهور للمعتق من العتيق دون إجازة العكس <sup>(١)</sup> .  
والثاني خاص بتلك الرواية التي تتلخص في أن النبي ﷺ - لما مات مولى لبنت حمزة  
تاركا ابنته ومولاه ابنة حمزة - أعطى الابنة نصف مال المتوفى والنصف الآخر أعطاه  
لبنت حمزة ، وهذا يدل على توريث النبي ﷺ للمعتق من العتيق ، ولكن الواقع أن هذه  
الرواية مضطربة الإسناد كل الاضطراب ، والأحكام الشرعية لا تثبت بروايات فيها مثل  
هذا الاضطراب <sup>(٢)</sup> .

١٢ - وعلى خلاف رأى الجمهور وجد رأى آخر ، هو رأى ( الإباضية ) <sup>(٣)</sup> ،  
يقول : إن ثبوت الإرث لا يكون إلا بدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، وليس  
في حالتنا هذه شيء من ذلك ، لأن أسباب الإرث الثابتة في الكتاب والسنة هي القرابة  
والزوجية ، وأما عن الإجماع ، فإنه يروى أن قد مات مولى لابن عمر ، فبقي إليه بما ترك  
فرفض أخذه قائلا : لو كان لي لأخذته ، كما أنه يروى أن مولى لرسول الله ﷺ مات ،  
فدعى النبي من حضر من أهل أرضه ، وأعظام مال الرجل ، ولم يدع لنفسه إرثه  
بسبب الولاء <sup>(٤)</sup> .

١٣ - والواقع أنه لا مجال للرأى بعد أن نص قانون الميراث على هذا الولاء واعتباره

[ ١ ] انظر . أحمد إبراهيم - السالف - ص ٣٢ - ويلاحظ أن بعض الفقهاء يرون التوارث بين  
المعتق والعتيق . بيد أن الجمهور لم يميزوا ذلك .

[ ٢ ] انظر : أحمد إبراهيم - السالف - ص ٣٣ - على أن بعض الفقهاء حاول الجمع بين مختلف  
الروايات في هذا الشأن [ نيل الأوطار ] ولكن هذا لا ينفي ما ذكر في المتن

[ ٣ ] هم أتباع عبد الله بن إباض التميمي ، وهم فرقة من الخوارج ، يتميزون عن سواهم من فرق  
الخوارج بأنهم لم يفلوا في الحكم على مخالفهم ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة ظروف نشأتهم  
إذ أن صاحبهم السالف الذكر لم يخرج إلا في أيام مروان بن محمد بعد أن قضى الأمويون على الخوارج  
أو كادوا وبعد أن تحول نضال الأحزاب بعد تأسيسهم حول الحكم إلى مذاهب علمية بحثية - انظر : دكتور  
حسن إبراهيم حسن في [ تاريخ الإسلام السياسي ] - ١ سنة ١٩٣٥ ص ٤٦٩ وهامشها - هذا ولاعتدال  
هذه الفرقة بقي منها ناس إلى اليوم ، انظر : محمد أبو زهرة في [ أحكام التركات والمواثيق ] هامش ص ٩٢

[ ٤ ] انظر : شرح النيل ( من كتب الإباضية ) ونيل الأوطار [ لشوكاني ] - وأحمد إبراهيم -

سبباً للتوريث ، وقد أخره عن توريث ذوى الأرحام وعن الرد على الزوجين ، وهو فى ذلك يعمل بمذهب الإباضية إذا كان ذو أرحام أو أصحاب فروض ، ويأخذ برأى الجمهور حين لا يكون أحد من الأقارب قط ؛ إذ يقرر هذا الجمهور أن التوريث الثابت بالولاء على أنه عصبية سببية يعقب ذلك المتعلقة بالعصبية النسبية ، ويسبق الرد على جميع أصحاب الفروض وكذلك ذوى الأرحام <sup>(١)</sup> .

١٤ — غير أنه بالرغم من هذا الاهتمام الذى أبداه المشرع المصرى بمسألة مولى العتاقة وتوريثه من عتيقه ، ونصه على ذلك فى المادة السابعة من قانون الميراث ، وإيراده مادتين خاصتين بأحكام توريثه ( م ٣٩ ، ٤٠ ) والتعب الذى لاقاه فى سبيل ترجيح رأى الجمهور ، يضيق نطاق تطبيق ما جاء به فى هذا الشأن كل الضيق ؛ وذلك نظراً لأن الرق قد انتهى كما أسلفت منذ زمن بعيد ، ويعد من الجرائم المعاقب عليها من عشرات السنين <sup>(٢)</sup> .

١٥ — ويلاحظ بعد هذا أن الحجة العملية المعقولة التى يمكن تسليمها فى شأن توريث المولى الذى أعتق من عتيقه هى التى تقول بأن تقرير ذلك التوريث إنما يشجع على العتق ؛ لأن المعتق يقدم على الإعتاق إذا علم أن علاقته بعتيقه سوف لا تنقطع وأنه سيكون وارثه فيما يخلفه من مال بعد موته <sup>(٣)</sup> ، بيد أنها حجة لا مجال للأخذ بها هنا فى قانون الميراث ؛

[١] انظر محمد أبو زهرة - فى السالف - ص ٢٣٦ - وقد بين القانون أحكام الارث بالعصوبة السببية فى الباب السادس - راجع نص المادتين ٣٩ - ٤٠ وتعليق المذكرة الايضاحية عليها فى - [مجموعة القوانين] - السالف - ص ١٥٨ .

[٢] الظاهر أن اعتبار المشرع المصرى لولاء العتاقة سبباً للارث يرجع إلى وجود فئة [الأغوات] وهم شريحة من العتقاء عاشوا فى النصوص الملكية المندثرة ، ويمكن التعليق على ذلك بأن نظام هؤلاء القوم نظام خاص ، واهتمام المشرع بإدراج هذه النصوص فى قانون الميراث خاصة بتوريث المولى منهم وضع منتهج لاعتبارات لا تخفى على فاحس ، ولئن صح أن هذه الفئة من المخلوقات هى التى ينطبق عليها وحدها قانون الميراث فى شأن مولى العتاقة باعتبار أنها من العتقاء الذين يرثهم مواليتهم إذا ماتوا من غير وارث إذا صح ذلك - وفى علمى أنها الفئة الوحيدة فى هذا الصدد - فإنه يمكن تصور مبلغ الضيق فى نطاق تطبيق قواعد الارث فيما يتعلق بولاء العتاقة ، ولئن صح هذا كذلك فلا محل لأعمال هذه القواعد بعد انقلاب الحكم فى مصر وزوال الملكية وقيام الجمهورية . . . !

(٣) انظر : محمد أبو زهرة - فى السالف - ص ٢٤٢ .

إذ كيف تندب العتق بتقرير توريث مولى العتاقة ، وأساس العتق الذى هو الرق ملغى  
لا وجود له (١) ١٩

أحمد طه السوسى

(١) يلاحظ أن ولاء العتاقة هو أحد نوعين للولاء ، يعرف ثانيهما بولاء للموالاتة ولم يتعرض له  
المشرع ، وهو عبارة عن عقد بين عربى وأعجمى أسلم مثلاً بمقتضاه يلتزم العربى دفع الفدية عن الأعجمى  
إذا أجرم هذا الأخير ، ويرثه إذا توفى وليس له وارث قط ، ومن المفيد بيان التفرقة بين الولايتين  
من الوجهة القانونية والعلمية ، وهذه التفرقة تتلخص فى ثلاثة أمور :

الأول : أنه فى ولاء العتاقة يرث الأعلى وهو مولى العتاقة من الأسفل وهو العتيق دون العكس ،  
على حين أنه فى ولاء الموالاتة يكون التوريث على مقتضى الاتفاق بين الطرفين ، وبناءً على ذلك أن ولاء  
العتاقة إنما سبب التوريث فيه الاعتراف وهو يوجد من الأعلى فى حق الأسفل دون العكس ، بينما السبب  
فى ولاء الموالاتة هو العقد والشرط ، والحكم يثبت على الوجه الذى يوجد عليه الشرط والعقد .

والثانى : أن ولاء العتق لا يحتمل النقص والفسخ على حين يحتمل ولاء الموالاتة ذلك ، وعلة هذا  
مفهومة ، وهى أن سبب الأول وهو الاعتراف لا يحتمل النقص بعد ثبوته ، والمعروف أن ثبوت الحكم  
يكون على وفق السبب ، وهذا على خلاف الحال فى ولاء للموالاتة ، إذ السبب فيه الإيجاب بطريق التبرع  
وهو يحتمل النقص ، وتظهر القدرة على الفسخ فى التفرقة بين الحال بعد العقل وقبله ، وتنضج فى حالات  
أولها : أن الموجب ينفرد بالفسخ ما لم يعقل عن الطرف الآخر ، ولكنه لا ينفرد به بعد ما يعقل عنه  
جنايته ، والسبب فى ذلك أنه قبل عقل الجناية العقد تبرع بالنسبة له ، والمتبرع له الفسخ قبل حصول  
المقصود بغير رضا الطرف الآخر ، على عكس الحال إذا تحمل عنه جريرته ، فالعقد هنا يصير معاوضة ،  
ولا يتحدث الفسخ فى المعاوضة من جانب واحد بل لابد من رضا الطرفين . وثانيهما : أن الموجب ما دام  
يملك فسخ العقد قبل العقل ، فهو يملك التحول بولاية الى سواه ، وذلك بأن يتعاقد مع غيره معاودة  
ولاء ، فيفسخ العقد عندئذ بينه وبين المتعاقد الأول بذلك العقد اللاحق ، أما إذا عقل الجناية ، فهو  
لا يملك مثل هذا التحول ، وثالثها : أن من لم يوال أحداً لا يستطيع أن يعقد عقد مراعاة مع أحد ،  
فى حالة ما إذا جنى وعقل بيت المال جنايته ، وذلك لأن ولاءه صار لبيت المال ، وتأكد هذا بعقل  
الجناية : فلا يستطيع من بعد إبطال هذا الولاء ، وهذا على خلاف الحال قبل عقل بيت المال جناية  
الجاني ، إذ يستطيع عقد الولاء مع آخر باتفاق معه ،

والثالث : أن مولى العتاقة مقدم فى [ المذهب الحنفى ] على ذوى الأرحام ، على حين أن مولى  
الموالاتة مؤخر عنهم ، والسبب فى ذلك ثبوت العصبية لمولى العتاقة بالشرع ، أما فى حالة ولاء للموالاتة ،  
فالقول هو الذى أوجب صلة التوريث بالعقد ، وعلى هذا يكون بمنزلة الوصية بجميع المال ، وهى متمتع  
هنا لحق ذوى الأرحام وحق المصبات ، وشأنها فى ذلك شأن الميراث ، وعلى هذا لا ينال مولى للموالاتة  
شيئاً إن كان نعمة أحد من ذوى الأرحام . انظر فى هذا : شمس الدين السرخسى - السالف - ج ٣ ص ٤٥ .



# انتكاس الإنسانية والحضارة

## بانتصار شارل مارتل على "عبد الرحمن الغافقي"

في معركة تور Tours يوم السبت ٨ شعبان سنة ١١٤ (أكتوبر ٧٣٢)

في افتتاحية هذا الجزء من (مجلة الأزهر) إشارة إلى قبس النور الذي سطع من فسطاط مصر فتبلغ في آفاق الاندلس، وكادت تستضيء به فرنسا وأوروبا فتكون العربية لغة فرنسا الآن، ويكون نظام الإسلام العادل الرحيم هو نظام الأوروبيين والأمريكيين جميعاً، لولا خدعة من خدع (الاراجيف) صدرت عن جواسيس شارل مارتل تجاوزت على الإبطال المجاهدين تحت أوية الأمير القائد المجاهد عبد الرحمن الغافقي، فتغير بذلك اتجاه التاريخ، وتحولت به زعامة التمدن من ذات اليمين إلى ذات الشمال، فكان ذلك نكبة على الإنسانية والحضارة.

وقد شعرنا بعد مشول المقال الافتتاحي للطبع، أن هذا الموقف يحتاج إلى بيان تكمل به الفائدة من تلك الإشارة الحاطقة، فاخترنا نقل النصوص الأجنبية الآتية:

### شهادة مسيو كلود فارير :

لما ترجم أحد أساتذة مدرسة اللغات الشرقية في باريس رواية (العباسة أخت الرشيد) لجرجي زيدان من العربية إلى الفرنسية طلب إلى أديب الفرنسية الأشهر مسيو (كلود فارير) أن يكتب لهذا الكتاب مقدمة، فلبى طلبه، وبما جاء في تلك المقدمة ما يأتي :

د في سنة ٧٣٢ م (١١٤ هـ) حدثت فاجعة ربما كانت من أشأم الفجائع التي انقضت على الإنسانية في القرون الوسطى، وكان منها أن غمرت العالم الغربي — مدة سبعة قرون أو ثمانية إن لم نقل أكثر — في طبقة عميقة من التوحش لم تبدأ بالتبدل إلا على عهد النهضة (رونسانس) وكاد عهد الإصلاح يعيدها إلى اكتشافها. هذه (الفاجعة) هي التي أريد أن أمقت حتى ذكرها، وأعني بها الانتصار البغيض الذي ظفر به على مقربة من بوابته (١) أولئك البرابرة المحاربون من الأفرنج بقيادة السكارولنجي شارل مارتل على كتائب العرب

(١) بقعة من الأرض الفرنسية قريبة من بلدة (تور) في مقاطعة شماليا.

المسلمين الذين لم يحسن عبد الرحمن الغافقي جمعهم على ما ينبغي من الكثرة فانهمزوا راجعين أدراجهم .

في ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون إلى الوراء . ويكفي المرء أن يطوف في حدائق الاندلس ، أو بين الآثار العربية التي لا تزال تأخذ بالابصار مما يبدو من عواصم السحر والخيال ( إشبيلية ، وغرناطة ، وقرطبة ، وطليلطة ) ليشاهد — والالم الغريب آخذ منه — ما عساها أن تكون بلادنا الفرنسية لو أنقذها الإسلام العمراني الفاسفي السلي المتساح — لأن الإسلام بجمرة كل هذا — نخلصها من الهاويل التي لا أسماء لها . وكان من ذلك أن نتج خراب غاليا القديمة التي استعبدتها أولا لصوص أوسترازيا ، ثم اقتطع جزءا منها قرصان النورمانديين ، ثم تجزأت وتمزقت وغرقت في دماء ودموع ، وفرغت من الرجال بما انبعث في أرجائها من الدعوة للحروب الصليبية ، ثم انتفخت بالاشلاء والجثث بما دهمها من الحروب الخارجية والاهلية الكثيرة العدد .

حدث ذلك في حين كان العالم الإسلامي — من نهر الوادي الكبير في أوروبا إلى نهر السند في قلب آسيا — يزدهر كل الازدهار في ظل الإسلام ، تحت أعلام أربع دول معيدة : الاموية ، فالعباسية ، والسلاجوقية ، فالعثمانية .

ليس ما أكتبه فصلا من التاريخ الرسمي <sup>(١)</sup> ، بل هو التاريخ الحقيقي الذي يتعلمه المرء بنفسه ، مما يجتازه من بحار ، ويقطعه من فياف وآفاق ، ويقبله من خزائن الكتب الأجنبية . وليس هذا بعزير على حياة سائح يريد أن يفضح — عقب رحلة له — ما كان يلبسه بأطراف بنانه من تلك الأكاذيب الكبرى السفهة التي أراد معلونا — ولا يزالون يريدون — وضعها أمام أعيننا كأنها حقيقة ، بل هي الحقيقة ... ، .

إن هذه الشهادة من أديب فرنسا الأكبر مسيو كلود فارير للحضارة الإسلامية تنادي بأنه كان من الخير لفرنسا لو انتصر عبد الرحمن الغافقي على شارل مارتل ، ليكون نصيب

(١) وما أكذب التاريخ الرسمي ، لأن الأقوياء يملونه على المنافقين والمفرضين والكذبة بوسيلق الترغيب والترهيب . ثم يحتاج إلى تصحيح ، كما شعرنا الآن بالحاجة إلى تصحيح تاريخ الأسرة العلوية بمصر ، وكما يشعر علماء المسلمين بالحاجة إلى تصحيح تاريخ الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، وكما يعلن كلود فارير حاجة أوروبا إلى تصحيح تاريخها الرسمي الذي يتهم به . [ المجلة ]

الفرنسيين في لغتهم وثقافتهم كمنصيب أهالي قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة ، يوم كان العرب المسلمون يقيمون فيهن معالم الحق والحضارة والحكمة والعمران .

### شهادة هنري دى شامبون :

واليك شهادة ثانية من فرنسى آخر هو المسيو هنرى دى شامبون مدير مجلة ( ريفو پارلمنتير ) قال :

« لولا انتصار جيش ( شارل مارتل ) الهمجي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ، ولما كابدت المذابح الالهية الناشئة عن التعصب الدينى والمذهبي . ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب لنجت إسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون .

لنا مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا : في العلم ، والفن ، والصناعة . مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة في الفضائل . وحسبها أنها مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية . وإذ لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى ، .

### وصف تاريخى للمعركة :

وكأنى بك بعد هذا وذاك تريد أن تعرف شيئاً عن تلك المعركة التى تغير بها سير التاريخ ، وتسألنى : وكيف كان ذلك ؟ فأحيلك — فى تفصيل ما سألت — على الاستاذ حنا خباز من أدباء الشام وورخيها ، قال :

« نشأت الدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة بالحجاز ، وأتمت إخضاع العرب فى حياة منشئها العظيم ، ومن ثم شرعت فى نشر سطوتها فى العالم .

وليس فى تاريخ العالم أغرب من سرعة انتشار الدعوة الإسلامية فى سنين قلائل : فى سوريا ، والعراق ، وكردستان ، وأرمينيا ، وقوقاسيا ، والعجم ، والتتار ، ومصر ، وطرابلس الغرب ، وتونس ، والجزائر ، ومرآ كش . ولم تقف عند هذا الحد ، بل تخطته إلى ما هو أبعد مكاناً وأعظم مغزى : فهاجمت أوروبا أولاً من ناحية قسطنطينية ، وإذ امتنعت

عليها دارت بها من ناحية إسبانيا ، ودخلتها عن طريق جبل طارق ، ومساعدتها الاقدار على استعمار إسبانيا وسمتها الاندلس .

ولست أرى هنا إلى شرح تاريخ الدعوة الإسلامية في الاندلس ، ولا إلى إيراد فتوحاتها المجيدة في بلاد الفندال والفرزيغوت ، بل أقول : إنها امتدت شمالا إلى جبال بيرنيه وعبرتها إلى فرنسا . وشنت الغارة على فرنسا بقيادة ( عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ) سنة ١١٤ هـ ( ٧٣٢ م ) ، وكان هذا قائداً خبيراً بفنون القتال ، دمث الاخلاق ، محبوباً من جميع جنوده . فاجتاح ( غسقونيا ) وكل ( وادي غارون ) ، وقهر السكونت ( لميدو ) وهزمه ، وكانت على نهر غارون مذبحه هائلة نشرت الرعب في قلوب جميع سكان أوروبا . ثم تقدم عبد الرحمن بجيشه اللجب إلى ( وادي اللوار ) ولم يقف في سبيله حاجز حتى وصل نواحي مدينة ( تور ) وهو يفتح ويغنم ويحرق .

( ميدان المعركة ) : في رحاب شمبانيا الشاسعة — بين پواتيه وتور — المؤلفه من مروج خصبة وافرة المرعى غنية الحاصلات ، تنساب فيها جداول الشار والسكروز والفيان والسكلارين والاندري ، وكل هذه الجداول فروع من نهر لوار العظيم . وترقط تلك الرحاب هضبات وأنشاز امتازت بنضارتها وجنتاتها ، تخترق بمض أقسامها حراج وغابات تفصل بين مروجها الخضراء ، فهي جنتات تجرى من تحتها الانهار ، وتفرد على ميلاء أفنانها صادحات الاطيار ، ويهب في غاباتها النسيم عليلا ، وينساب لجين مائها على در حصباتها فراتا سلسيلا . وقد ازدان تاريخ تلك الرحاب — أو تشوه — بأخبار معارك عديدة شبت فيها في مختلف الازمان ، بين الغزاة الفاتحين والوطنيين المدافعين في مختلف الامم والاحوال ، وأهم ما سطر في صفحات تاريخها أخبار المعركة الفاصلة بين ( شارل مارتل ) و ( عبد الرحمن الغافقي ) أو بين العرب والجرمانيين ، بل بين الساميين والآريين ، بين آسيا وأوروبا ، بين الشرق والغرب .

هنا لك كانت نقطة التحول والانقلاب في مجار كثيرة هي : الفتح العربي ، الامتداد الإسلامي ، الطموح الشرقي ، النهضة الآسيوية . ومن ثم نسكست هذه المجارى راجعة من جوار باريس إلى ما وراء جبال بيرنيه ، ثم برحت أوروبا إلى العالم القديم ، فساد أوروبا التمدن المسيحي والام الجرمانية .

( جيوش المعركة ) : نشر الإسلام رواقه على شمال إفريقيا وغرب آسيا . وتعمق في هذه إلى ما وراء دجلة ، فاكنتسح بلاد الفرس والتتار وما فيها من جبال ووهاد ، وأغوار وأنجاد ، وبحيرات وأنهار ، ومدائن وأمصار ، وأمم وأسباط ، فسكان ( جيش عبد الرحمن الغافقي ) خليطا من كل تلك الأمم من بدو وحضر وعرب وبربر ، وفيه من الفزيغوت والفندال من شعوب إسبانيا والبرتغال . واختلف المؤرخون في عدده بين ٨٠ ألفا و ٧٠٠ ألف (١) . وأثبت أحد مؤرخي الأجيال الوسطى خسارة العرب في معركة تور ٣٥٠ ألفا . ولا سبيل لنا إلى تحقيق ذلك ، والأرجح أن فيه مبالغة كبيرة . على أنا إذا فحصنا الأمور بنور الحقائق تجلت لنا القواعد التي تؤيد أهمية المعركة ووفرة جنودها . قال أحد مؤرخي الأديار : « حل الإسلام لإسبانيا بخيله ورجله ، وجاءها المسلمون بأبنائهم وأزواجهم ، وشكلوا الممالك ، ونشروا التمدن العربي والفنون الشرقية ، وحشدوا جيوشهم في تلك الاصقاع ، وجمعوا أسلحتهم وذخائرهم ، وعبروا بكل هذه الأشياء إلى فرنسا ، فاكنتظت بها الأقدام ، وغمرتها الجحافل والاعلام ، .

أما ( جيش شارل مارتل ) فسكان فيه الجرمانيون ولا سيما التيوتون الذين سكنوا غرب نهر الرين ونبذوا عنهم عيشة البداوة الحشنة واعتنق بعضهم النصرانية ، ولكن أكثرهم ما زال إلى ذلك الحين على الجاهلية . وكان زعمائهم في نزاع مستديم على التفوق . وأخيراً قبض كلوفيس على أزمة الأمور سنة ٥٨٩ ، وهذا أساس الدولة الفرنسية ، ومن ذريته ( شارل مارتل ) بطل معركة تور ، وهو دوق الفرنج الاوستراسيين ، وهم أشجع الجرمانيين . وكانت تحت لوائه جموع كثيرة من الغالين والنورمنديين والسكسونيين والنورنجميين والغيرسانيين والبافارين والإيطاليين والايستروغوثيين .

( أوصاف المعركة ) : كتب العرب تاريخ هذه المعركة ، وترجم ذلك إلى اللغة الإسبانية الدون خوسيه أنطونيو كوندو في ( تاريخ الممالك العربية في إسبانيا ) وقد طبع هذا الكتاب في مدريد سنة ١٨٢٠ وعنه أخذ المؤلف الإنجليزي إدورد كريسي سنة ١٨٥١ في كتابه ( ١٥ معركة فاصلة ) وهذه ترجمته :

[١] ويتمنى مسيوكلود فاربر لو أن الجيش العربي كان أكبر من ذلك ليم له سحق جيش شارل مارتل ويستولى على فرنسا لتأخذ بثقافة العرب وحضارتهم وأدبهم ويكون لها ما لهم وعليها ما عليهم .

«... لجمع السكونت جموعه ، وحارب وهو على غير يقين بالفوز . فساقهم عبد الرحمن أمامه ، وطاردهم جنوده بما في نفوسهم من الحماسة الناشئة عن انتصاراتهم الماضية وثقنهم التامة بالفوز . فضرب المسلمون أعداءهم ضربات حاطمة ، واجتازوا نهر غارون فدمروا البلاد ، وأخذوا الأسرى بدون عدد ولا إحصاء ، وسارت جيوش عبد الرحمن في عرض البلاد الفرنسية سير العواصف السكاسية لا تبق ولا تذر . وتمادت الجيوش الإسلامية في الرخاء والغنائم ، ودفع عبدُ الرحمن السكونتَ عن ضفاف النهر فارتد إلى حصونه ، فخاربه المسلمون وقهروه وانتزعوا منه حصونه وذبحوه بحد السيف وفازوا بخطف الأرواح . فارتفعت قبائل الإفرنج من هول الجيوش العربية وارتجفوا ، وذهبوا إلى ملكهم (كالدوس) وقصوا عليه الروح الذي ألقاه فرسان المسلمين في نفوسهم ، وأنهم اجتاحتوا بلاد نريون وتولوز وبوردو وأصبحوا أحرارا في البلاد ، وأخبروه بموت السكونت قائدهم ، فطيب كالدوس قلوبهم ووعدهم بالنجدة .

وامتطى كالدوس صهوة جواده سنة ٧٣٢ م (سنة ١١٤ هـ) وقاد جيشاً لا يحصى عددا ونزلوا لقتال المسلمين ، فأدركهم في نواحي مدينة تور العظيمة . ورأى عبد الرحمن وغيره من الزعماء انتفاض حبل النظام بين الجنود الإسلامية لاشتغالهم بالغنائم والأسلاب ، ولم يتجاسروا أن يغيظوهم بشيء . ووثق عبد الرحمن ببسالة جنوده ، ويمن الطالع الذي رافقه . ولكن انحطاط الروح الحربية في الجيش هو على الدوام آفة الآفات ، فهاجم عبد الرحمن وجيوشه مدينة تور ليغنموا الغنائم وحاربوها ببسالة قبلما أدركتها النجدة ، وكان صياح المجاهدين المسلمين كهياج النور لدى فرائسها . ولكن الله أهملهم لتوغلهم في الملاذ والاطاع الدنيوية ، فالتقى الجيشان قرب نهر (لوار) وهما مختلفان في اللغة والدين والصفة المدنية ( وكان ذلك يوم الجمعة ٧ شعبان سنة ١١٤ - ٢ أكتوبر سنة ٧٣٢ ) . وبدأ عبد الرحمن وجنوده الحرب بقلوب ملؤها الغضب والكبر ، وهجمت فرسان المسلمين على صفوف الفرنج فثبت هؤلاء لهم ثبات الأبطال ، وتكدست جثث القتلى إلى الجانبين ، وظلوا في كر وفر إلى غروب الشمس ، وفصل ظلام الليل بين الجيشين .

واستأنف المسلمون القتال عند ضوء الفجر ، واخترق فرسانهم طريقاً إلى قلب الجبهة النصرانية ، ولكن قلوب كثيرين من المسلمين كانت مشغولة بالغنائم التي جمعوها في خيامهم .

وذاع في صفوفهم نداء كاذب : إن الاعداء بغتوا المحلة ( أى ساحة خيام المعسكر ) ونهبوها . فبادر بعض فرسانهم للدفاع عنها وطرد الاعداء ، فظن لإخوانهم أنهم انهزموا من الميدان ، فاضطربت جيوش المسلمين . وفيما كان عبد الرحمن يهدمهم ويسكن روعهم ليردهم إلى الميدان ، أحاط به محاربو الفرنج واخترقت صدره حراهم نحر صريعاً ، فهرب جنوده أمام الاعداء ومات منهم خلق كثير .

ويقول المؤلف الإنجليزي كريسي ( تعليقا على ما نقله دون خوسيه انطونيو كوندو الإسباني عن مؤرخي العرب ) : ونذر أن نجد إنصافا كهذا في تاريخ الحروب القديمة ، وصراحة كالصراحة التي يصف بها العرب انكسارهم في تور<sup>(١)</sup> . ولكن مؤرخي النصاري يخالفونهم في بعض التفاصيل ، ولا خلاف بين الفريقين في نتيجة المعركة ، وهي انسحاب العرب من فرنسا إلى ما وراء جبال بيرنه ، فانفرد شارل مارتل ثم ابنه خفيده شارلمان بالحكم في فرنسا ، وهم ملوك الدولة الماروفنجية الشهيرة ، فتأسست على أنقاض معركة تور ( الإمبراطورية الرومانية الغربية ) ، وتوج البابا شارلمان إمبراطوراً على فرنسا وألمانيا وإيطاليا سنة ٨٠٠ ( ١٨٤ هـ في زمن أمير المؤمنين هارون ) وبذلك بدأ التمدن المسيحي .

### ( آراء كتاب أوروبا في معركة تور ) :

من غرائب الأمور أن المعركة التي احتدم أوارها تحت سماء فرنسا قلما أعارها قدماء الكتاب الفرنسيين حقها من الاعتبار ، ولكن ما فاتهم لم يفت كتاب الإنجائز والألمان والعرب ، فوفوها حقها من الأهمية ، وكشف بعضهم صفاتها الفلسفية والاجتماعية . ولما ورد هنا أقوال بعضهم على مسئولية كتابها :

١ — قال ( جيون ) المؤرخ الإنجليزي الشهير : « إنها المعركة التي بها نجا آباؤنا البريطانيون وجيراننا الغاليون ( أى الفرنسيون ) من أبناء العرب والإسلام » . وقال

[١] المجلة - ونحن لا نرى أنه كان انكساراً ، فالفرنج خرجوا من المعركة خائري الفؤى وطاجرين عن تعقب المجاهدين المسلمين ، وقد جاء ذلك عتب يأسهم من النجاة لولا تلك الخدعة التي صرفت فرسان العرب إلى خيامهم للمحافظة على ما فيها ، واعتقاد بعض الكتاب أن الذين انصرفوا للمحافظة على المعسكر قد انهزموا . أضف إلى ذلك وقوع البطل الأعظم الأمير عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي شهيدا في ساحة الجهاد

في المجلد الثاني من تاريخه ص ٧ : « لولم يصد ذلك الهجوم لسكانت العربية تدرس اليوم في جامعات إنجلترا وألمانيا »<sup>(١)</sup> .

٢ — وقال ( شليف ) في ( تاريخ الفلاسفة ) ص ٣٢١ : « ذلك النصر العظيم الذي أحرزه شارل مارتل ، وبه نجا التمدن المسيحي في غرب أوروبا » .

٣ — وقال ( ف . ل . برانك ) في ( تاريخ جرمانيا ) المجلد الأول ص ٥ : « إن حادثة القرن الثامن هي من أهم حوادث التاريخ كافة ، وبها وقفت الدعوة الإسلامية في جانب والمسيحية في جانب ، وكانت غالبا ( أى فرنسا ) وإيطاليا بين نارين : العرب من الجنوب والجرمانيون الوثنيون من الشمال الشرقي . وقد قيس الفوز للتمدن المسيحي بيد الفتى الجرمانى الاصيل ( شارل مارتل ) الذى قاد البلاد إلى طريق النجاة » .

٤ — وقال ( أنرولد ) في ( تاريخ الإمبراطورية الرومانية ) المجلد الثانى ص ٣١٧ : « إن فوز شارل مارتل أعظم كثير آمن فوز أرميفيوس ، وكانت له نتائج أرسخ في حياة الجنس البشرى » .

٥ — وقال ( درابر ) : « قد وصل طرف الهلال العربى الواحد إلى البوسفور ، ووصل طرفه الثانى إلى إسبانيا ، وامتد إلى فرنسا ، وكان يهدد أوروبا ببلوغ البدر التمام فيمحو التمدن اللاتينى العتيق من الوجود ويغمر أوروبا » .

٦ — وقال ( إدورد كريسى ) : « كلباتذوقنا أهمية معركة تور زاد تقديرنا لأهميتها ، وبها نرى أنقاض الإمبراطورية الرومانية تتنازعها قوتان هما القبائل الجرمانية والجيوش العربية ، وكانت هاتان القوتان تتنازعان تراث أعظم إمبراطورية ظهرت في التاريخ . وأخيرا اشتبكت القوتان في تور . وقد وصف المؤرخ ( جبون ) الإنجليزى المعركة كوصف ( هوميروس ) معارك طروادة » .

### كلمة شاعر مسيحي :

وأخيرا بعد هذه الإمامة بتاريخ الوقعة كما دونها الأستاذ حنا خياز ، نورد القطعة الشعرية التالية بقلم شاعر من أباع مسيحي لبنان وهو الأستاذ شبلى ملاط ، لما فيها من الروح العربية العالية ، قال :

[ ١ ] المجلة — العربية تدرس اليوم في جامعات إنجلترا وألمانيا ، ولم يرد ( جبون ) مجرد تدريسها ، وإنما أراد أن العربية كانت تكون لغة التدريس في جامعات أوروبا ، ولغة الحديث والتأليف والنشر في أوروبا كلها ، لو أن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي بقى يومئذ حيا إلى أن يكسب المعركة ويبسط نفوذ العقل العربى على أوروبا .



من الزمان بمثل فضل محمد  
رفع الرسول عماد أمة يعرب  
غشت الفتوح وصفقت راياتها  
وتغلغلت في الغرب طائفة على  
لولا تجلده شرل مرقل خيمت  
ولسكان صار الغرب أندلساً به  
حى الجزيرة فى مسارحها وما  
واسمع فديتك نبرة مضرية  
واستشهد القرآن قوماً جودوا  
واقراً به فصحن اللغات مدلة  
أخذت قريش بجزلها وبكت بها  
لولا يد الإسلام لم تسلم بما  
ولو ارعوى من صد عنها زاهداً  
من لم يصن لغة الجود فليس من

وعدالة كعدالة الخطاب  
وأعزها بالآل والأصحاب  
فى الشرق فوق أباطح وهضاب  
أكتاف صقر جارج وعقاب  
فى قلبه بسرادق وقباب  
شوقى يقول سواحراً وسوابى  
فى الريف من رى ومن إخصاب  
عربية فى منطق خلاب  
منه نأى فى النفوس عذاب  
فى المشرقين بجوهر الاحساب  
غرناطة فى رقعة وعتاب  
ففى من الاخلاق والآداب  
متعللاً بعناكب الاسباب  
قومىة تنميه فى الانساب

### كلمة المفيلسوف نيتشه :

ونحنم هذا الفصل بكلمة إن لم يرد فيها ذكر معركة عبد الرحمن الغافقى وشارتل مارتل فقد ورد فيها ذكر الصدام الذى وقع بين حضارة الإسلام العربية الرحيمة ، وحضارة الغرب المادية القائمة على الجشع المنظم ، والحتل المسلح بالجهل ثم بالعلم والثقافة الواسعة . وهذه الكلمة مما عربه الاستاذ سلامة موسى من كلام الفيلسوف الاشهر ( نيتشه ) ، وذلك فى العدد ٣ من مجلة ( المستقبل ) لسنتم الاول الصادر فى ٢٤ مايو سنة ١٩١٤ . قال الفيلسوف :

« لقد حرمتنا المسيحية من ميراث العبقريّة القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الإسلام . لقد ديس بالاقدام تلك المدنية العظيمة ، مدنية الاندلس المغربية . ولماذا ؟ لانها نشأت من أصول رفيعة ، ومن غرائز شريفة . نعم من غرائز رجال . إن تلك المدنية الإسلامية لم تسكر الحياة ، بل أجابتها بالإيجاب ، وفتحت لها صدرها . ولقد قاتل الصليبيون تلك المدنية بعد ذلك ، وكان أولى بهم أن يسجدوا لها على التراب ويعبدوها . وما مدينتنا فى هذا القرن التاسع عشر إلا فقيرة وانية بجانب مدنية الإسلام فى ذلك الوقت . »

## طُغْيَانُ الاستعمار وخطر الشيوعية

ما نأخذ من نظم الغرب وما ندع

قالت جريدة القاهرة :

استقبل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الحضر حسين شيخ الجامع الأزهر صحفياً ألمانياً يمثل صحفاً ثمانية ، وهو انو بونجراثش الذى قدم إلى مصر وسيسافر إلى سوريا ليوافي صحفه بمشاهداته في الأقطار الإسلامية .

وقد سأل الصحفي فضيلته عن رحلته في ألمانيا فقال فضيلته : كانت هذه الرحلة في أيام الحرب الكبرى ، وكنت مع الأسرى الإفريقيين أتردد عليهم وأعود إلى برلين . وقد زرت ألمانيا مرتين : أولاها استغرقت تسعة أشهر ، والثانية سبعة أشهر . ثم سأل الصحفي الأستاذ الأكبر عن أهم مشكلة في نظر المسلمين .

فقال فضيلته : إننا نعمل على التخلص من طغيان الاستعمار على حقوق الأوطان الإسلامية والعربية .

وسأل : إذا كانت روسيا من الدول الاستعمارية فما هو خطرها على العالم الإسلامى ؟ فأجاب فضيلته : إن الشيوعية نظام يخالف الإسلام ، والمبادئ الشيوعية يقف الإسلام في وجهها . ولن تروج عندنا ، ولالأزهر وعاظه في أنحاء القطر ومهمتهم نشر الفضائل الإسلامية ومقاومة التطرف في أى صورة من صوره ، ولن تروج الشيوعية إلا عند أفراد لا يتخذون منها مذهباً أو عقيدة ، وإنما يحملونها مغنياً مالياً .

وسأل الصحفي الألماني عن رأى الإسلام والمسلمين في طرق الحياة الغربية عامة . فأجاب شيخ الأزهر : في نظم الغرب ما يوافق الإسلام . وهناك نظم وتقاليدها يجرى عليها الغرب لا يقرها الإسلام . والذي يدعو إلى تقليد الغرب في كل شئ مغالط . ونحن نخالف هؤلاء الدعاة فيما يخالف تقاليدنا الإسلامية ، مثل إعطاء المرأة الحرية المطلقة .

قال الصحفي : هل تقصد فضيلتكم أن تبقى المرأة على النظام القديم ؟ فأجاب : أعنى أنها لا تختلط بالرجال الأجانب عنها .

وسأل الصحفي الألماني : هل على المرأة أن تطيع زوجها ؟  
فأجاب : عليها الطاعة فيما هو الحق والمصلحة . وقص فضيلته معنى ما روى عن عمر ابن الخطاب : كنا معاشر قريش نغلب نساءنا ، فحُتْنَا الانصار وهم قوم تغلبهم نساؤهم ، فأخذ نساؤنا بأدب الانصار . وكلمت زوجتى فراجعتنى فى القول فأنكرت عليها ، فقالت : نساء النبي يراجعنه فى القول .

فنحن نريد زوجة تطيع فيما هو حق ، ولها أن تراجع زوجها متى كان الحق فى جانبها .  
فلما قال الصحفي : ومن يحكم بين الزوجين فى الخلاف ؟  
أجابه الأستاذ الاكبر : المدار على خلق الزوج . وإذا كان الخلاف كبيراً فالمرجع إلى القاضى ، مثل الخلافات المسالية إذا عجز الأهل والأقارب عن حلها .  
وهل يبيح الإسلام أن تشكو المرأة زوجها ؟  
نعم ، لها أن تذهب إلى القاضى .  
وانتقل الصحفي إلى أنه كان مع درية شفيق ، وأنها تحتج على رأى الأستاذ الاكبر بالنسبة لتعدد الزوجات .

وهنا ابتسم فضيلة الأستاذ الاكبر وقال : تحتج على رأى الإسلام ؟ ... و .. الإسلام أباح تعدد الزوجات ، وليس للزوج أن يتعدى ما حددته الشريعة .

لقد اشترطت الشريعة العدل والإنفاق ورخصت للقادر أن يتزوج من أربع ، وإذا خشى عدم القدرة على الإنفاق كان عليه أن يقتصر على زوجة واحدة ، والحكمة فى تعدد الزوجات ظاهرة ، لأن الزوجة قد تكون مريضة وقد تكون عقيماً ، والزوج يريد إنجاب الأولاد .

وكثيراً ما ترضى الزوجة أن تظل مع زوجها وتسمح له بالزواج من غيرها .  
والرجل ممنوع شرعاً من مباشرة غير زوجته ، فإذا لم يبيح الإسلام له الزواج ربما ضاعت عفته .

ولما قال الصحفي : إن التعدد يشاهد كثيراً بين أفراد الطبقة الفقيرة ؟

أجاب الاستاذ الأكبر بأن الإسلام اشترط العدل في الإنفاق والمبيت . . . ( فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ) - والعرب كانوا يكثر من الزوجات ، فخارب الإسلام هذا الإكثار ونظمه وحدده .

واستفسر الصحفي عن معنى ( الرجال قوامون على النساء ) - وهل يدل ذلك على أن طبقات الرجال أعلى من طبقات النساء ؟

فقال فضيلة الشيخ . إن عقول الرجال أوسع من عقول النساء ، وفي النساء من هن أرجح عقلاً . والقوامة للرجال من جهة المال والإنفاق على النساء ، والزوجة ذات المال غير مسئولة عن نفقتها ولا نفقة أولادها إلا إذا تبرعت بمساعدة الزوج أو الأولاد .

ومهمتها في البيت مهمة عظيمة ، والإسلام لا يمنعها من التعلم والثقيف ، على أن تباعد بينها وبين الاختلاط بالرجال الأجانب عنها .

والإسلام يرفع صالح المرأة ويحرص على كيان الأسرة لإنشاء المجتمع القوي في الحياة .

### استفتاء لغوى

لفضيلة الاستاذ الكبير محب الدين الخطيب أدام الله نفعه ، وأطال عمره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد - فإنني ممن يتابع قراءة مجلة الأزهر القيمة ، ولى شغف بتلك اللغويات التي يحبرها قلم الاستاذ المدقق محمد على النجار .

وقد أشكلت على كلمة أجدها كثيراً في الصحف ، وأسمعها في الإذاعة ، ولم أجدها في القاموس المحيط ، ولا في الأساس ، ولا في مختار الصحاح . مما بين يدي من كتب اللغة ، وهي كلمة « بعثة » ، يقولون ذهبت بعثة مصرية إلى إيطاليا ، وجاءت « بعثات » أوربية فيجمعونها على « بعثات » ، ويريدون بها الجماعة المبعوثة ، والذي فهمته من كتب اللغة أن الجماعة المبعوثة يقال لها : « بعث » ، والجمع « بعوث » ، و « البعثة » ، للمرة ، يقال بعثته بعثة أى مرة ، فهل هذا التعبير الشائع صحيح ؟ هذا ما أردت السؤال عنه ، وأرجو من الاستاذ النجار التفضل بالجواب على صفحات المجلة المحبوبة ، وله منى الشكر ، ولكم مزيد التحية والاحترام .

أحمد نصيب المحاميد

١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٣

دمشق

## جَدَّدَ نَفْسَكَ

جددتُ بالأسِ نَفْسِي، وهى صافيةٌ  
والمُنَى الشَّعْرَ، فاهتزت خمائله  
وعدتُ أوقظُ في دُنْيَايَ أَحْلَامِي  
وفاضَ في موكبِ الاطْيَارِ إلهامِي  
فكمْ بعثتُ بِهِ في الشرقِ أقوامِي  
ويوقظُ أقواماً ويبعثهمْ

\* \* \*

مشيتُ على (الفتح) أحداثٌ مؤرَّقةٌ  
وعشتُ يغمرنى نورٌ، ويرفعنِي  
وكنْتُ أودعته سرى وآلامي  
(أبو قصي) ... فكانتُ خيرَ أيامي  
فانسأبَ شعري، وغشي في الربا جامي  
فألروضُ ما بين مياسٍ وبسَامِ  
وفي رحابِ الهدى جددتُ بيعتنا  
وصافحَ الليلَ ... هذا الشاعرُ الظامِي

\* \* \*

دعائمُ الحقِ أرساها عباقرةٌ  
فموكبُ النيلِ يحدوه ملائكةٌ  
وطهروا الروضَ من رجسٍ وآثامِ  
والقومُ ما بين أطهارٍ وأعلامِ  
من المسكارمِ ... قد جددتُ أنفامِي  
فجددِ النفسَ : واباغِ ما تشاءُ بنا

صابر علي رمضان الجويني

الزقازيق

# المعاهدات في الدول الإسلامية

## حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

كتب مندوب ، الأهرام ، يقول :

آثر الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يستريح طيلة يوم أول أمس في منزله ، وقد رأيت أن أقضى في صحبته بعض الوقت ، وطاب له أن يعطى مع زائريه مختلف الأحاديث في عديد من الشؤون العامة الهامة . وقد رأيت أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لأقف على رأى الإسلام حيال « المعاهدات » الدولية التى يرميها الأقوياء مع الضعفاء ، وحيال المعاملة التى يصح أن يعامل بها المسلمون ضيوفهم من « الأجانب » الذين يقيمون بين ظهرانينا ، وقد تفضل فضيلته فاستهل حديثه بقوله :

العهود بين الدول :

لا شك أن العهود بين الدول فى أزمان السلم والحرب هى مناط الثقة فى الحضارة الإنسانية ، وعليها يتوقف الأمن الدولى العام ، والاستقرار الاقتصادى ، إذا قامت على أسس من العدل والإخلاص فى الوفاء .

الدس الخفى :

غير أن مما لا ينسكركه أحد أن أكبر العقول فى كل دولة تتجه عند تدوين المعاهدات إلى الدس الخفى . ليكون حجة فى التأويل عند الحاجة إلى ادعاء ما لم يكن واضحاً منه فى وقت التدوين . وإذا كانت المعاهدات والعقود الدولية بين قوى وضعيف ، أو بين غالب ومن قضت عليه الظروف أن يكون مغلوباً ، فقد لا يبالى القوى بأن يتحمل عناء التأويل . وإن الإنسانية لا تنسى فى الحريين العالميتين تسمية الأقوياء للمعاهدات . بأنها « قصاصات ورق » ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا النوع من المعاهدات . وفى طليعتها صك الانتداب على فلسطين الذى تعهد فيه أصحابه تعهداً رسمياً صريحاً بدمد المساس بحقوق العرب ، وقد رأيت ما انتهى إليه ذلك الصك من الظلم الصارخ على أصحاب البلاد الذين سلبت منهم أوطانهم وأملأهم وحقوقهم سلباً وقذف بهم فى العراء تحت الأمطار والمواصف .

### المعاهدة الملقاة :

بل إن معاهدة سنة ١٩٣٦ التي فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال منصوص فيها على أنه لا يسمح للإنجليز بأن يكون لهم في منطقة القناة إلا عشرة آلاف جندي . وخلافاً لذلك التعمد ضاعفوا عدد تلك القوة إلى ثمانية أضعاف ما تعهدوا به ووقعوا عليه .

### المثل العليا :

واستطرد فضيلته فقال :

إن المعاني الإنسانية العليا ، ومدلولات الحق والعدل ، هي آخر ما يحظر على البال عند الدول الحديثة عند ما يجلسون إلى الموائد الخضراء ليكتبوا صيغ المعاهدات ونصوصها أما الإسلام فقد كان في نصوصه وتطبيقاتها العملية دلائل قائمة على أن المعاني الإنسانية لها شأن كبير في العمود التي يعقدها المسلمون مع غيرهم في حالات السلم والحرب . وأظهر ما تمتاز به هذه العمود إذا صدرت عن المسلمين أن تكون صريحة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام . وكثيراً ما يراعى فيها المقابلة بالمثل بصرف النظر عن قوة أحد الطرفين وضعف الطرف الآخر .  
الوفاء بالعهد :

ويرى فقهاء المسلمين أن المسلم إذا كان أسيراً في يد العدو وأطلقوه بشرط أن يبعث إليهم ما لا ، وإن عجز عن إحضار المال عاد إليهم ، لزمه الوفاء لهم عملاً بقول الله عز وجل « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، وقول نبيه ﷺ : « المسلمون على شروطهم » .

وفي منح الأمان للعدو من المعاني الإنسانية في الشرع الإسلامي ما لا يوجد في أي تشريع آخر قديم أو حديث . ومن المعقول أن يمنح الحاكم الأعلى أماناً للأعداء جميعاً ، ومن المعقول أيضاً أن يمنح قائد جيش أماناً للجيش المقابل له ، ولكن بما لا يعرف إلا في التشريع الإسلامي أن يصدر عن جندي عادي في جيش إسلامي لجندى من جنود العدو . أو لبضعة جنود ، أو لقاطلة كاملة ، ثم يصبح الجيش الإسلامي كله ملزماً بقبول هذا الأمان والعمل به . إن هذا لا يعرف في تاريخ الأمم إلا عند المسلمين وفي تشريعهم ، وإلى هذا يشير الحديث النبوي « ويسعى بذمتهم أدناهم ، وقد أمضى النبي ﷺ تأمين أم هانئ بنت أبي طالب لرجل من الأعداء وقال لها النبي ﷺ : « قد أجرت يا أم هانئ » ، وهذا الخبر في صحيح البخاري .

ومن عجائب التشريع الإسلامى والمعاني الإنسانية العليا التى يرمى إليها أن الجيش الإسلامى إذا كان محاصراً الحصن أو بلد ، وتقدم له من الحصن أو البلد من يتطوع بفتح الحصن فى مقابل إعطائه الأمان ، ثم بعد فتح الحصن اشتبه أمره واختلط بغيره ، كان على الجيش الإسلامى أن يمتنع عن قتل الجميع والتعرض لحريتهم . لأن القاعدة الشرعية أن المباح إذا اشتبه بالمحرم وجب تغليب التحريم ، وفى الحالات التى يترتب فيها على ذلك ضرر حربى عام يؤخذ من أهل الحصن أى واحد بالقرعة ويعطى الأمان الذى كان موعوداً به ذلك الشخص المتطوع بفتح الحصن . وفى كل الأحوال ينبغى للمسلمين إذا وعدوا بوعده أن يفوا بوعدهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

وفى مذهب المالكية أن الوعد إذا كان مسيئاً ووقع السبب وجب الوفاء به . أما إذا لم يكن مسيئاً فالوفاء به من مكارم الأخلاق .

وإذا تلبثت للجيش الإسلامى قرائن واضحة على أن العدو المعاهد يريد خيانة العهد ، فلا يجوز للمسلمين المبادرة إلى نقض العهد السابق بيته وبينهم اعتماداً على تلك القرائن مهما كانت قوية بل يفيدون إليهم عهدهم علانية ، وهذا منتهى النبل فى آداب الحرب بين الأمم .  
ما يجب على المسلمين نحو الأجانب :

إن المخالفين للمسلمين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : محاربين ، ومعاهدين ، وذميين . فالمحاربون هم الذين حدثناك ببعض أحكام الإسلام المتعلقة بهم . والمعاهدون تقوم عهودنا معهم على أنبل الأسس الإنسانية ، وأقلها مراعاة قاعدة المعاملة بالمثل . والذميون ضمن لهم الإسلام أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . وواجب على الحكومة الإسلامية حفظهم ، ومنع الغير من أذاهم . واستنقاذ من أسر منهم . والبلاد التى فتحها المسلمون فى زمن الصحابة كان فى إمكان الفاتحين أن ياغروا الأنظمة الدينية التى وجدوها فى البلاد ، ولكنهم لم يتعرضوا لها وأقروا رؤساء الأديان على ما كانوا عليه ، بل أحسنوا معاملتهم أكثر مما كان يعاملهم به الحكام السابقون الذين كانوا من أهل دينهم ، وأباحوا من الشعائر والطقوس والأحكام مالا ينبغى الدول الأخرى غير الإسلامية حتى فى زماننا هذا . والمنصفون من المؤرخين وغيرهم يعترفون بهذه الحقائق ، ولا سيما عند المقارنة بين الأنظمة والتشريعات . وكلما كان المواطنون - على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم - أكثر إخلاصاً لأوطانهم ومواطنيهم كانت السعادة أشمل لهم جميعاً وعاشوا مع مواطنيهم فى تعاون وتراحم وتبادل للحقوق على أحسن الوجوه وأسعدها . وإلى هنا رأيت أن الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية فى وضوح ، فاستأذنت فضيلته فى نشر هذه الآراء الطيبة فأذن مشكوراً مقدوراً .



# الترجمة العربية لكتاب إيساغوجي

إيساغوجي  
لفرغوريوس الصوري ، قتل أبي عثمان العمشقي  
لدكتور أحمد فؤاد الأهواني  
أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول  
القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م

نشر هذا الكتاب الزميل المحترم ، وأراد من نشره له أن يكون عوناً على فهم كلام ابن سينا في مدخله في أول كتاب الشفاء ، لأن ابن سينا ، كما يقول : « لا ينفك يرجع إلى صاحب إيساغوجي ، أخذاً عنه تارة ، ناقداً لإياه تارة أخرى ، قادحاً فيه وذاماً تارة ثالثة ، وقد قدم الناشر لكتابه بمقدمة ضافية عن حياة فرغوريوس وفلسفته لا نريد أن نتعرض لها لأن الذي يهمنا هو نص إيساغوجي كما نشره الناشر ، وذلك لإبداء ما لنا من ملاحظات على ضبط النص ولا سيما أنه نص هام ، فهو كما يقول الناشر ، قد قصد به أن يكون معيناً على فهم كتاب المقولات لارسطو ومدخله ، ولذلك كان ضبط النص المنشور لا يقل أهمية عن الغرض من نشره ، ومن جهة أخرى نريد من نقدنا هذا أن نصح عمل الأستاذ الزميل تحقيقاً للفائدة الكاملة من كل بحث يوضع في متناول المثقفين .

وقد اعتمد الزميل في نشرته على صورة شمسية مأخوذة عن النسخة الوحيدة العربية لكتاب الأورجانون ، وهذا الجزء من المخطوط العربي واضح إلى حد كبير وسهل القراءة .

أما ما نلاحظه بوجه عام ، فهو قلة تدقيق الناشر في ترقيم النص ، وسقوط كثير من الكلمات ، وسقوط جمل بأكملها أحياناً ، وذكر بعض الكلمات في الهامش على أنها في الأصل مخالفة لما هي عليه ، وكتابة كلمات على غير وجهها ، وقد نشأ عن هذا كله تغيير في الصورة الدقيقة للفكرة أو تحريف في المعنى . وهذا كله وليد السرعة .

وستكون ملاحظاتنا مقصورة على نص إيساغوجي فقط من الناحية الفنية ، تاركين

الشروح التي جعلها الناشر في آخر الكتاب - وكان يحسن أن تكون مع النصوص الخاصة بها - لأنه ترك كثيراً من الشروح ، وتاركين أيضاً الكثير من الملاحظات المتعلقة بطريقته في كتابة أسماء الاعلام باللغة العربية التي منها اسم فرفوربوس نفسه ، فالناشر يكتبه فرفوربوس مع أنه موجود في المخطوط في أكثر من موضع على الصورة الصحيحة التي يجعله أقرب إلى أداء نطقه باللغات الأخرى .

ص ٦٨ س ٣ - ٤ : نص الناشر : و يقال جنس جماعة قوم لهم نسبة بوجه من الوجوه إلى واحد أو لبعضهم إلى بعض ، . ويقول الناشر في الهامش ، إن عبارة : أو لبعضهم ، يقابلها في الأصل : ول بعضهم وبدلاً من أن يتابع الأصل اختار تعديله وجعله : أو لبعضهم . والنص الأصلي أصح ؛ ذلك لأن الجنس يطلق على جماعة ينتسبون إلى أصل واحد ، فيبينهم وبينه نسبة وينهم نسبة بعضهم لبعض ، وهي مستمدة من النسبة الأولى ، وكلمة : أو ، ربما تفيد الانفصال بين النسبتين ، على حين أن النسبتين مرتبطتان ارتباطاً ضرورياً . والمنفصود هو أن فكرة الجنس تتضمن النسبتين معاً .

وبمراجعة الترجمة الفرنسية والألمانية لإيساغوجي نجد في كل منهما حرف العطف البسيط الدال على الجمع بين المعطوفين والنسبتين ، وهو كلمة et و und . ولا يبقى أي شك بعد مراجعة الأصل اليوناني ، حيث نجد حرف العطف لا يقبل الترجمة بحرف آخر .

ص ٧٠ س ٣ - ٤ : نص الناشر : فالأجناس تخالف الأشياء التي تحمل على شيء واحد فقط مما توصف به من أنها تحمل على كثيرين ، . والمعنى فاسد بسبب الخطأ في النقل عن الأصل المخطوط ، ففيه : ... مما توصف به من أنها ... ، ووجه صحة الأصل هو أن الأجناس تختلف عن الأشياء التي تطلق على شيء واحد بأنها تحمل على أشياء كثيرة ، وتتفق الترجمات الفرنسية والألمانية في ترجمة هذه الكلمة بما يعادل الترجمة العربية بلفظ : بما ، ويعادل الأصل اليوناني أيضاً .

ص ٧١ س ٧ - ٨ : نص الناشر : و فاما النوع فقد يقال على صورة كل واحد بمنزلة ما قيل : أما أولاً فصورته مستحقة لذلك ، .

وفي المخطوط الذي اعتمد عليه الناشر ، وهو الصواب أيضاً ، نجد الشطر الأخير من النص هكذا : ... بمنزلة ما قيل : د أما أولاً فصورته مستحقة لذلك ، .

ومن الغريب أن الناشر كما يدل عليه كلامه في الهامش قد رأى تعليق تريكو (Tricot) ، مترجم إيساغوجي إلى الفرنسية ، على هذه العبارة المنسوبة إلى أورينيديس (أو : أوريفيدس بوجه أدق) . ويترجمها تريكو جاعلاً بدل كلمة الصورة كلمة بمعنى الجمال .

ويقول الناشر في الهامش : إن العبارة بيت شعر لأورينيديس ، والصورة بمعنى الجمال ، وفي هامش المخطوط العربي : « فصورته أى نوعه ، وعلق تريكو ( المترجم الفرنسى ) على هذا النص بما يفيد هذا رأى . ولا يمكن معرفة هذا رأى الذى يقصده الناشر ؛ فإن كان يتعلق بأن الصورة بمعنى الجمال . فن المعلوم أن الكلمة اليونانية وهى المقابلة لكلمة الصورة تدل إلى جانب دلالتها على النوع المقابل للجنس فى المنطق ، على الصورة عند أرسطو وعلى المثال الأفلاطونى ، وتدل أيضاً على صورة الخلقة ومظهر الإنسان وعلى الجمال والشمال الإنسانية بوجه عام .

أما ما يتول الناشر عنه لأنه موجود فى هامش المخطوط العربى فغير موجود فى الهامش وإنما توجد فى المتن فوق كلمة : فصورته . كلمة : أى نوعه ، وذلك على سبيل الشرح لكلمة صورة . أما الذى فى الهامش فهو هذه العبارة المفيدة التى لم يذكرها الناشر لا فى مكانها ولا فى التعليقات التى جمعها فى آخر كتابه ، وهى فى أعلى الاصل العربى إلى الشمال ، فهى : « هذا قاله بعض الشعراء فى أغاممن لما رآه ، ويقال إنه أودسارس ، ويقال إنه أوريفيدس » . أما الشرح الذى فرق كلمة « فصورته » ، فهو غير موفق فى هذا المعنى الذى تستعمل فيه كلمة صورة . لأنها بمعنى صورة الخلقة وإلا كان النوع كله مستحقاً للملك ، وهذا مستحيل . فإذا كان تعليق تريكو المترجم الفرنسى خاصاً بدلالة الصورة على النوع فى هذا المفهوم فلا شك أنه تعليق خطأ أيضاً . وصاحب إيساغوجى بصرح بالمعنى فيقول : « صورة كل واحد » ، بما يؤكد قصده بوضوح .

س ٩ : يقول الناشر : إن عبارة : وصفنا يقابلها فى الترجمة الفرنسية : وضعنا ، ولكن هذا غير صحيح لأن معنى العبارة الفرنسية هو : الجنس المذكور أو المبين أو ما أشبه ذلك ، وخصوصاً أن الكلام قد تقدم عن الجنس قبل ذلك .

ونجد فى الاصل اليونانى ما يمكن ترجمته بقولنا الجنس المذكور أو المتقدم ذكره . ص ٧٢ س ١ - ٤ : نص الناشر : « وقد يصفونه ( أى النوع ) أيضاً على هذه الجهة : النوع هو المحمول على كثيرين مختلفين بالعدد من طريق ما هو . ولكن هذه الصفة أيضاً هى لنوع الأنواع ، ولما هو نوع فقط » .

وفي المخطوط الاصلى : « ... ولكن هذه الصفة إنما هي لنوع الانواع ولما هو نوع فقط » .

واستعمال كلمة « أيضا » ، بدلا من كلمة « إنما » ، أفسد المعنى ، خصوصا لأن الكلام التالى مباشرة يؤيد استعمال كلمة « إنما » ، وتدل الترجمات الاجنبية لإيساغوجى على صحة الاصل العربى المخطوط ، فليس فيها ما يقابل كلمة أيضا ، وليس فى الاصل اليونانى ما يقابلها بل نجد فى هذا الاصل كلمة تدل على التأكيد البسيط .

ص ٧٥ س ١٢ - ١٣ : نص الناشر : « فأما النوع فليس يحمل إلا على الجنس القريب منه ، ولا على الاجناس التى فوق ذلك الجنس ، لأنها لا تنعكس » . وفى المخطوط الاصلى نجد النص هكذا : « ... فأما النوع فليس يحمل لا على الجنس القريب منه ولا على الاجناس التى فوق ذلك . ومن الواضح أنه بمراعاة المخطوط الاصلى يزول التناقض الموجود فى الكلام السابق واللاحق كما نشره الناشر .

ص ٧٦ س ١٤ - ١٧ : نص الناشر : « فالنوع إذن يحوى الأشخاص ، والجنس يحوى النوع ؛ لأن الجنس كل ما ، والشخص جزء ، والنوع كل وجزء ، غير أنه جزء لشيء آخر ، وليس هو كل لآخر ، لكنه كل فى أجزاء ، ذلك أن الشكل فى الأجزاء » . وجاء فى المخطوط الاصلى ما يلى : « غير أنه جزء لشيء آخر ، وليس هو كل لآخر ، لكنه كل فى آخر ، وذلك أن الشكل فى الأجزاء » .

والمعنى بحسب المخطوط الاصلى أصح وخال من التكرار الذى لا قيمة له ، وهو مطابق للأصل اليونانى ومتفق تمام الاتفاق مع الترجمتين الالمانية والفرنسية .

ص ٧٩ س ١٧ - ص ٨٠ س ١ : « وقد يحدثون هذه الفصول ويقولون : إن الفصل هو الذى به يفضل النوع على الجنس . وذلك أن الإنسان له شيء يفضل به على الحى ، وهو الناطق والمائت ؛ لأن الحى ليس هو واحداً من هذين ، وإلا فنأين اقتنت الانواع فصولاً ؟ ولا الفصول أيضاً المتقابلة بأجمعها له ، ولا صارت الفصول المتقابلة لشيء واحد بعينه معاً » . والخطأ فى هذا النص فى الشطر الأخير منه ، حيث قرأ كلمة « وإلا » ، على أنها : ولا .

وبذلك ضاعت معالم التقابل المنطقى فى الكلام وأصبح كأنه بلا نتيجة فيجب تصحيح النص هكذا : « ولا الفصول أيضاً المتقابلة بأجمعها له ، وإلا صارت الفصول المتقابلة لشيء واحد بعينه معاً » . وربما كان يكون من الخير ولاجل مصلحة القارئ أن توضع الجملة المعترضة الاولى بين شرطين ، لئلى يمكن إدراك تسلسل الفكرة .

ولما كان صاحب إيساغوجي يقول في هذا الموضع : إن النوع يفضل على الجنس ويقول بعد ذلك ( ص ٨٦ س ٨ ) إن الجنس يفضل على النوع ، فقد كان من الخير التعليق على هذين الموضعين بما يسهل على القارئ الفهم ، ولا سيما أن نص الترجمات الأوربية لإيساغوجي ، سواء منها الفرنسية أو الألمانية ، يشتمل على ما يبين أن فضل النوع على الجنس من حيث المفهوم لأن معنى الإنسان مثلاً أغنى مضمونا من معنى حيوان .

ص ٨٧ س ١٢ — ١٣ : هذا الجزء داخل في القطعة المخرومة من الأصل العربي ، وقد ترجمها الناشر عن الفرنسية . وهذه الترجمة ليست دقيقة تماماً ، لكن المهم هو أن بعض أجزائها بعيد جداً عن التعبير عن معنى النص الفرنسي

نص الناشر : « وأيضا فإن الخاصة تحمل على الشيء الذي هي خاصة له ، فأما الجنس فلا ينعكس » .

وهذه العبارة ندخل ضمن بيان الاختلاف بين الجنس والخاصة : فالجنس يحمل على أنواع كثيرة ، ولكن ليس بينه وبينها تبادل في الحمل . فلو قلنا مثلاً إن الإنسان حيوان فإننا لا نستطيع أن نقول : الحيوان إنسان ، وليس بينهما تلازم في الوجود ، فلا يتحتم إذا وجد الحيوان أن يوجد الإنسان ، أما الخاصة فهي تحمل على أشياء هي خاصة لها ، ثم إن بينها وبين ما تحمل عليه تبادلاً تاماً في الحمل وتلازماً تاماً في الوجود ؛ فنستطيع أن نقول الإنسان ضحاك ، وأن نقول في نفس الوقت الضحاك إنسان . وإذا كان الإنسان موجوداً فالضحاك موجود والعكس . والترجمة العربية الصحيحة للترجمة الفرنسية ينبغي أن تكون هكذا . « وأيضا فإن الخاصة تحل في الحمل محل ما هي خاصة له ، على حين أن الجنس لا ينعكس بته » .

ومن الواضح أن ترجمة الناشر لا تبين الفرق المقصود ببيانه ، مع أن الكلام التالي يعين في الترجمة الصحيحة وفي ترجمة فرنسية أخرى نجد العبارة تصير بالعربية هكذا : « وأيضا فإن الخاصة ذات حمل متبادل مع الشيء الذي هي خاصة له ، فأما الجنس فليس له هذا الحمل بته » .

والترجمة الألمانية أوضح وإذا نقلت إلى العربية تصير هكذا : « والخاصة وما هي خاصة له يقال أحدهما على الآخر بالتبادل ؛ وليس الجنس كذلك » أما النص اليوناني فإن ترجمته هي : والخاصة تبادل الحمل ما هي خاصة له ، أما الجنس فلا يبادل الحمل (= الخاصة تنعكس في الحمل على ما هي خاصة له . أما الجنس فلا ينعكس =) والخاصة متكافئة في الحمل ما هي خاصة له ، أما الجنس فلا يكافئ

على أن في ثنايا النص العربي لإيساغوجي ما يدل على الفكرة تمام الدلالة .

فنجده ( ص ٩١ س ٨ - ٩ ) : « فأما الخواص فإنها تكافؤ في الحمل الأشياء التي هي لها خواص ، من قبل أنها تنعكس عليها ، » ( ص ٩٤ س ٣ - ٤ ) : « وذلك أن الخاصة قد تكافؤ في الحمل الشيء الذي توجد له ، » .

ونجد ( ص ٩٢ س ٨ ) : « ويعم النوع والخاصة أن أحدهما يكافؤ الآخر في الحمل ، وذلك أن الإنسان إذا كان موجوداً ، فالضاحك موجود ، والضاحك إذا كان موجوداً فالإنسان موجود . »

وليس من شك في أنه يمكن مع العناية بقتبع نص لإيساغوجي أن يترجم الجزء المخروم ترجمة دقيقة من حيث الماى وحتى من حيث الالفاظ ، فلا تكاد توجد في إيساغوجى عبارة أو فكرة إلا تكرر .

ص ٩١ س ١٣ : نص الناشر : « ويعم الفصل والأعراض غير المفارقة أنهما يوجدان فيه دائماً ، وجميعه ، . والمعنى مبهور لأن الأصل المخطوط هو هذا :

« ويعم الفصل والأعراض غير المفارقة أنهما يوجدان لما يوجدان فيه دائماً وجميعه ، . ص ٩٤ س ٢ - ٣ نص الناشر : « ... فليس (السواد) يوجد للزنجى وحده ، بل قد يوجد أيضاً للقراى ، والفحمة ، والابنوس ، ولاشياء غير متنفسة ، والنص في المخطوط هكذا أيضاً . غير أن عبارة « غير متنفسة » تستلقت النظر ، لأن الكلام عن السواد ، باعتباره عرضاً غير مفارق بالنسبة للزنجى ، يوجد لاشياء أخرى ، فاما معنى ذكر الاشياء غير المتنفسة في سياق عام لاشياء ليس لها حدود . »

وقد تبين بمراجعة الترجمة الفرنسية لاكثر من مترجم ، ومراجعة الترجمة الألمانية ، أن الذى يقابل عبارة غير متنفسة ، هو مامعناه : أشياء أخرى . ولا شك أن كلمة : غير متنفسة العربية تحريف عن كلمة : غير متعينة ، وبهذا يتفق النص العربي لإيساغوجى مع الترجمات الأخرى انفاقا أقرب .

وفي الأصل اليونانى نجد في هذا الموضع ما يعيد « ولاشياء أخرى غير معينة ، وإذا نظرنا في كلمة الأصل اليونانى في هذا الموضع تبين لنا أن الترجمة العربية لإيساغوجى قد بلغت منتهى الدقة . »

وتم ملاحظات أخرى أقل شأنًا مما تقدم وهي تتصل بكلمات أو جمل سقطت من الناشر، أو كلمات حُرِفت أو زِيدت. وكانت الدقة تحتم النقل عن المخطوط كما هو <sup>(١)</sup>.

هذه أهم ملاحظتنا على نص لإساعوجي كما نشره الزميل. وإنما أحببنا أن نكتب هذا النقد ليستفيد به من يقرأ لإساعوجي.

وتركنا أخطاء قليلة الأهمية كما تركنا أخطاء أخرى كثيرة في ضبط الشروح التي انتزعها الناشر من مكانها وجعلها في آخر الكتاب بميدة عن موضعها الذي يمكن من الاستفادة منها فيما هي شرح له.

ولا يمكن أن يستفيد أحد الفائدة الحقيقية من نشر الزميل لإساعوجي إلا بعد تصحيحها على النشرة القيمة الصحيحة التي أكمل بها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي المجلد الثالث من منطق أرسطو، مزوداً بالشروح والتعليقات راجعاً في تحقيق الترجمة العربية العتيدة إلى الأصل اليوناني.

ولولا أننا أردنا أن نحقق بعض المواضع في نشر الزميل الأستاذ الأهواني بالرجوع إلى المخطوط الذي اعتمد عليه وبالرجوع إلى الترجمات المختلفة لكان في الإحالة على نشره الأستاذ بدوي ما يغني عن كل ما قلناه.

وبعد فإننا نرجو أن نكون قد حففنا بجهود زميلنا الأستاذ الأهواني على النحو الذي يرضى الباحث عن الحقيقة ويحقق الخير للقراء.

الدكتور

محمد عبير الهادي أبو ريرة

(١) المجلة - وقد أورد الكاتب كثيراً من هذه التصويبات، ولأنها لا ينتفع بها إلا من عنده نسخة من الكتاب اقتصرنا على نشر ما تقدم. وقد أطلع الدكتور أحمد فؤاد الأهواني على ملاحظات زميله فكتب إلينا الفصل الآتي.

## في أصول النشر

اطلعت على التصويبات التي ذكرها الزميل الدكتور عبد الهادي أبو ريدة لكتاب «إيساغوجي» لفرغوريوس الصوري، نقل أبي عثمان الدمشقي، وإني أشكر له عناؤه في تعقب النص والرجوع إلى الأصل المخطوط.

غير أن معظم تصويباته ترجع إلى اتخاذ أصولاً للنشر تختلف عن الأصول التي نعتمد عليها. ذلك أن «إيساغوجي» مترجم عن السريانية، لا عن اليونانية، كما يتضح من تعليقات الحسن بن سوار الذي يشير إلى النقول السريانية الموجودة في زمانه. والنص السرياني مفقود، وبذلك تتعذر الموازنة بين الترجمة العربية وبين النقل السرياني. ولهذا السبب كنت أرجع إلى الأصل اليوناني في ترجمته الفرنسية على سبيل الاستئناس، لأعلى سبيل تقويم النص العربي، لأن تغييره يعد تغييراً في النص لانتملكه. وقد نهت إلى بعض هذه الاختلافات في الهامش، وأبقيت النص العربي على حاله. ولكن الدكتور أبو ريدة يذهب مذهباً آخر هو الاعتماد على النص اليوناني، مما يخرج نشر المخطوط العربي عن حاله.

مثال ذلك لفظة «وصفنا» ص ٧١ التي وردت في هذه العبارة «وقد يقال نوع أيضاً للرتب تحت الجنس الذي وصفنا». وهي في الأصل اليوناني والترجمة الفرنسية عنه «وضعنا» وكنت أستطيع تغيير النص العربي، ولكنني لم أفعل حفظاً للأصل، ولأن الناقل العربي، وهو أبو عثمان الدمشقي، جرى على استعمال لفظة الوصف دون الوضع خلال الكتاب بأسره. وسبب ثالث هو انتلاف لفظة الوصف مع اللسان العربي، هذا إلى أنها تفيد المعنى ولا تبعد عنه كثيراً. يضاف إلى ذلك أن الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي امتدح نشرته، أبقاها كما هي ولم يعلق عليها.

ومثال آخر جره إليه تمسكه بالأصل اليوناني، هو قراءة لفظة «متفلسة» هكذا «متعينة»، وهي في المخطوط كما قرأتها، وكذلك قرأها الدكتور عبد الرحمن بدوي، وهي



تستقيم مع السياق العربى لاذ العبارة كما يأتى «... السواد، فليس بوجوده للزنجى وحده، بل قد يوجد أيضاً للغراب، والفحمة، والابنوس، ولاشياء غير متفلسة». فالمتصود بالاشياء غير المتفلسة هى كالفحمة والابنوس، وغير متعينة، التى يقترح زميلنا الدكتور أبو ريدة قراءتها لا تستقيم فى اللسان العربى ولو أراد الناقل هذا المعنى لقال «وما أشبه».

وما دمننا بصدد الحديث عن الترجمة، وذلك فيما يختص بالصفحة المفقودة من الاصل العربى والى نقلتها، فإنى أخالف الدكتور أبو ريدة فى الترجمة التى يقترحها لهذه العبارة «وأيضاً فإن الخاصة تحمل على الشيء الذى هى خاصة له، فأما الجنس فلا ينعكس». ذلك أن اقتراحه «تبادل الحمل، اقتراح لا يمكن أن يؤخذ به، لاذ ينبغى أن نلتزم روح المترجم العربى الذى جرى عليه، ولم نسمع أن منطقة العرب قالوا بتبادل الحمل».

وقد تعجب الدكتور أبو ريدة من رسم «فروريوس»، هكذا بدون الواو التى تفصل بين الفاء والراء، كما جاء فى المخطوط. وقد فعلت ذلك عن قصد، سواء فى المقدمة التى كتبها عن حياة فروريوس، أو فى المخطوط، وذلك لأن المنطقة فيما بعد تخففوا من الواو لأن الضمة تكفى بدلا عنها. أما قوله إن هذا الرسم أقرب إلى اليونانية، فأقرب منه إذا شاء التزام اللغة اليونانية أن يرسمها برفوريوس، فالفاء الاولى ليست فاء، واسكتها باء ثقيلة، استنقلها العرب فنطقةوها من الشفة فاء.

وهناك أصول أخرى تختص بقراءة النص المخطوط. ويرجع هذا الاصل إلى طريقة الكتابة فى العصور المختلفة. فلكل نوع من الخط قاعدة وطريقة، ولكل ناسخ أسلوب ولوازم. ومن جملة تلك اللوازم كتابة «واو، العطف فى أول الكلمة بحيث تشتبك مع الكلمة نفسها، والواو تشبه فى كثير من الاحيان حرف الفاء، ولذلك تشبهه القراءتان ويرجحهما المعنى والسياق. وقد جرى الدكتور أبو ريدة على قراءة الواو التى أقرؤها فاء، وعلى قراءة الفاء واو، فإذا أثبت «وكما، قرأها «فكما، وهكذا. وهذا ذوق فى القراءة أعتقد أنه لا يأتى إلا من معاناة الفشر والاطلاع على أساليب النساخ. وهذه التغييرات لا قيمة لها. ومن هذا القبيل أن قدماء النساخ ما كانوا ينقطون الحروف بل يتركونها معجمة، وكذلك لا يضعون شرطة الكاف بحيث تلتبس مع اللام، ومن

أجل ذلك يتحير الناشر في قراءة ، كذلك ، أمي ، لذلك ، والتصويبات التي من هذا القبيل ترجع إلى اللبس المذكور ، وهي لا تغير المعنى كثيراً ، إذ في بعض الأحيان لا تكون ، لذلك ، نتيجة عن مقدمات ويستوى معها استعمال ، كذلك ، .

وننتقل إلى قراءات يرجحها المعنى ، من ذلك ما ذهب إليه الدكتور أبو ريدة مخالفاً لماي في قراءة واو العطف ، التي نهت عليها في الهامش أنها كذلك وصحتها في المتن وجعلتها ، أو ، . والوجه الذي أثبتته هو عندى أليق ، دون حاجة إلى بيان الفرق اللغوي بين أو والواو وكذلك اعتراضه على شكل بعض الألفاظ . ولست أدري كيف يريد أن يضبطها ؟ أما رجوعه إلى الأصل اليوناني أو إلى الترجمة الفرنسية فلا يفيد شيئاً في ضبط الكلمة ، وكنا نود أن نرى الوجه الذي يقترحه هو .

فهذه عدة أصول في فن النشر تختص بالكتب المترجمة قديماً الخصها فيما يلي :

أولاً : الاعتماد على النص العربي مع الاستئناس بالأصل اليوناني بالإضافة إلى تراجمه الفرنسية والإنجليزية ، مع العلم أن العبارة اليونانية تفهم على أوجه كثيرة ، ولذلك تعددت التراجم الأجنبية في اللغة الواحدة لاختلاف المترجمين في فهم الأصل اليوناني .

ثانياً : معرفة قاعدة رسم النسخ للكتابة العربية عموماً . وقاعدة النسخ الذي ترجع إليه ، وهذا شيء لا يكتسب إلا مع طول الخبرة والممارسة .

ثالثاً : التزام الذوق العربي في كتابة الألفاظ الأجنبية ، وفي ترجيح العبارات .

رابعاً : معرفة موضوع العلم الذي ينشر معرفة تامة حتى يدرك المقصود .

وإنى أكرر الشكر للزميل الذي أتاح لي فرصة الحديث عن النشر وأصوله وطرقه . ولعلني أفصل هذا الحديث مرة أخرى بناء على ما اكتسبته من خبرة بعد طول النظر في المخطوطات المختلفة والتي نشرتها في الفلسفة ؟

أحمد فؤاد الأهواني

# لغويات

تجنبوا الفوضى والاضطراب - أمر القوم شتى

يرى القارئ استعمال ( الفوضى ) فى الكتابة والحديث كما فى الاستعمال المدون . والفوضى فيه بمعنى الحدث . ويعنى بها مخالفة النظام وتجنب المنهج السوى . وهذا الاستعمال لا يقف عليه الناظر فى الكلام العربى . وإنما ترد ( الفوضى ) مورد الوصف ، ويعنى الباحث أن يجد ما يساوق الاستعمال العصرى . ويذكر اللغويون للفوضى الموارد الآتية :

١ - فيقال : قوم فوضى أى متسارون لا رئيس لهم . ومن هذا قول الأفوه الأودى من قدماء شعراء الجاهلية وحكايمهم فى قصيدته (١) الحكمة الاجتماعية :

لا يصالح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالم سادوا

ومن هذا قول الزمخشري فى المفضل فى مبحث الحرف حين ذكر حروف الإضافة أى حروف الجر : « سميت بذلك لأن وضعها على أن تفضى بمعانى الأفعال إلى الأسماء . وهى فوضى فى ذلك ، وإن اختلفت بها وجوه الإفضاء ، ويقول ابن يعيش فى شرحه (٢) له : « وهى متساوية فى إيصال الأفعال إلى ما بعدها وعمل الخفض ، وإن اختلفت معانيها فى أنفسها . ولذلك قال : هى فوضى فى ذلك أى متساوية ؛ يقال : قوم فوضى أى سادة لا رئيس لهم . وأكبر الظن أن الذى بعث الزمخشري على إثبات ( الفوضى ) فى هذا الموطن الرغبة فى التجنيس مع « تفضى » و « الإفضاء » .

٢ - ويقال : قوم فوضى : مختلطون ، ونعام فوضى : مختلط بعضه ببعض . ويقال : جاء القوم فوضى أى مختلطين ، والمسال فوضى بين القوم أى مختلط : من أراد منهم شيئاً

(١) توجد كلمة مع غيرها مما عثر عليه من شعره فى الفرائد الأدبية من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر .

أخذه . ومن هذا ما جاء : كانت خيبر فوضى أى مشتركة بين الصحابة غير مقسومة ؛ كما فى المصباح .

٣ - ويقال : الوحش فوضى فى الفلاة ، أى متفرق يتردد ويحول فيها . وهذا قريب من المعنى السابق . ومنه قول أبى العلاء المعرى من قصيدة (١) له فى سقط الزند :

دع الطير فوضى إنما هى كلها طوالب رزق لا نجى بمفظع

يقول هذا فى النهى عن زجر الطير وترقب حركاتها ليتعرف منها - كما كانوا يزعمون - عاقبة أمرهم . فهو يقول : دع الطير يتردد فى بحاله ، ولا تمرض له للاستنباء من حركاته عما سيكون ، فإنما يتردد لطلب الرزق ، ولا صلة لحركاته بما يخشى من الأمور .

وترى أن أكثر موارد ( الفوضى ) أن تقع من وصف الجمع . وقد تقع من وصف المفرد كما رأيت فى قولهم : المال فوضى بين القوم ، وفى التخصيص ١٥ / ١٨٥ : د ويقال : متاعهم فوضى بينهم إذا كانوا فيه شركاء . وترى أن استعمالها فى معنى الحدث كما تستعمل فى هذه الأيام لم يأت فى . واردة فى اللغوية .

وقد بدا وجه من تصحيح الاستعمال المشهور : أن يقدر موصوف محذوف . فإذا قيل : وقع الناس فى الفوضى فالتقدير : فى الأمور الفوضى أى الأمور والشئون المختلفة المتفرقة ، وكذلك إذا قيل : وقعت الفوضى فعناء : الشئون الفوضى . ويضعف من هذا الوجه أن التقدير لا يخطر ببال المتكلمين بهذا الأسلوب ، ومن الخير أن يعدل الكتاب عنه إلى السنن القويم والنهج الواضح .

ويبقى بعد هذا فضل بحث فى ( الفوضى ) من جهة بنائها ، ومن أى ضرب هى من ضروب الأسماء ؛ فهل هى مفرد أو جمع ؟ وإلى أى مادة لغوية يرجع كيانها ؟

وأقدم ما نلفيه فى الكلام عليها نجده فى كتاب (٢) سيبويه إذ يقول : د فأما فـ فعلى فعلى الأصل فى الواو والياء . وذلك قولهم : فوضى وعيى ، يريد أن ما جاء على وزن فعلى - بفتح الفاء - وكانت عينه واوا أو ياء فإنهما يصحان ولا يعلن . وعيى مؤنث عيشان من العيث أى الإفساد . فعيشان : مُفسد ، وعيى : مفسدة . وهذا كما يقال سكران وسكرى .

(١) انظر شروح سقط الزند ص ١٥٣٠

(٢) ص ٣٧١ ج ٣

وترى أن سبويه لم يُبين عن أمرها : أم مفرد هي أم جمع ؟

ويجب تن هذا الأزهرى في التهذيب إذ يقول : « صار الناس فوضى أى متفرقين . وهو جماعة الفائض . ولا يفرد كما يفرد الواحد من المتفرقين ، فالفوضى عنده واحدها الفائض . » (الفائض) هذا من فاض يفوض لأن فاض يفيض حتى يتسق مع الفوضى التي عينها واو . ويذكر الأزهرى أن هذا الوصف المفرد لم يستعمل ، إذ لم يستعمل فعله ، فلم يرد فاض يفوض ، وإنما ورد من الأفعال المزيد ، يقال : « فوضت أمرى إلى الله ، . وإذا فالوارد من هذه الصيغة الجمع فقط .

والقارىء بعد هذا له أن يعقب على كلام الأزهرى وغيره بهذين السؤالين !

١ — إذا كان ( الفوضى ) جمعا فما باله جاء للمفرد على ما تقدم ؟

٢ — وما بال الفعل ( فاض يفوض ) لم يستعمل هو ولا وصفه المفرد ( فائض ) ؟

وإنى أعرض تخريجا لى فى هذا المقام على بساط البحث والنظر .

فالاصل مادة الفض . وهو يكون للكسر والدق . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للعباس : لا يفيض الله فاك أى لا يكسر أسنانك ، والفم هنا الأسنان ؛ كما يقال : سقط فوه أى أسنانه وكذلك دعا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء للناطقة الجعدى حين أنشده قصيدة استحسناها عليه الصلاة والسلام . ويقال من هذا : فض الجماعة : فرقها ، لما كان الكسر يفضا عنه التفريق . وقد تفرع عن هذا الفيض فى قولهم : فاض النهر إذا جاوز الماء مجراه ، فإن ذلك فيه تفرق وعدم الثام .

ومن الفض يقال : الفضيض أى المفرق ، وهو فعيل فى معنى مفعول ، وهذا إذا أشعر بنقص أو عيب بجمع على فعلى ، كجريح وجرحى وأسير وأسرى . فكان القياس فى جمع الفضيض أن يقال : الفضى ، ويظهر أنهم استعملوا هذا لما فيه من التضعيف الذى قد يتجنبه العرب ، فقالوا فيه : الفوضى ، بإبدال أول المثلين حرف لين .

وصار الاصل فى معنى « الفوضى ، المتفرقين . ولما كان المتساوون الذين لا رئيس لهم يجمع شملهم ويوحد كلمتهم فى معنى المتفرقين أطلق الفوضى على هؤلاء ، ودخل الكلمة معنى التساوى من هذا الباب ، فقيل : المتاع فوضى بين القوم أى هم شركاء فيه متساوون ، ويدخل هذا فى باب التدرج اللغوى .

وقد يسأل سائل . هلا أبدلوا من التضعيف ياء فقالوا : فيضى ؟ والجواب أن العرب تستحسن في حشو الكلمة الواو وتستكثر منها . وترى الصرفيين يحكمون للألف التي هي عين الكلمة إذا جهل أصلها أنها مقبولة عن الواو : كما قالوا في اللصاب ، يصغرونه على صريب لا صليب . وعلى أنه ورد ( الفيضى ) كما في التاج .

ويبقى بعد هذا السؤال الآتي : إذا كان الفوضى جمعا فكيف جاء للمفرد على ما تقدم ؟ . والجواب أنه من باب التوسع في العربية . ويدخل هذا في فروع كثيرة حتى عقد له ابن جنى في الخصائص بابا سماه « شجاعة العربية » ، وذكر فيه ما هو أبعد من هذا .

ومبنى هذا استعمال وصف الجمع في المفرد<sup>(١)</sup> . ويذكر من هذا قولهم : ذهب به الدينار الحمر والدرهم البيض ، وقول مزاحم العميلي :

ولو بذات أنسا لأعصم عاقل برأس الشرى قد طرّده المخاوف  
أظل رهينا خاشع الطرف حطه تخلب جدوى والكلام الطرائف

فتراه وصف ( الكلام ) بالطرائف .

وقد وجدت للفوضى في هذا نظيرا في وزنها ومعناها ، وهو ( شتى ) فشئى جمع شئيت . ويقول أبو حيان في البحر المحیط ٢٤٤/٦ : « شت الأمر شتا وشتانا : تفرق . وأمر شت متفرق . وشتى : فعلى من الشئت ، وألفه للتأنيث ، جمع شئيت كمرىض ومرضى ، ومعناه : متفرقة » . يقول السعدى في شرحه للتلخيص عند قول الخطيب : « وله ملابسات شتى » : « أى مختلفة : جمع شئيت كمرىض ومرضى » .

ومع هذا ورد ( شتى ) وصفاً للمفرد . وفي اللسان : « وقعوا في أمرشت وشتى » . جاء في الآية ٥٣ من سورة طه . « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » ، ويقول أبو حيان : « والاجود أن يكون ( شتى ) في موضع نصب نعتاً لقوله : ( أزواجا ) لأنها المحدث عنها . وقال الزمخشري : يجوز أن يكون صفة للنبات ، والنبات مصدر سمي به الثابت كما سمي بالثبث ، فاستوى فيه الواحد والجمع » . وما رأينا المصدر المفرد إذا سمي به الجنس أو إذا لم يسم به يطارد وصفه بوصف الجمع ، فليس من المستساغ أن يقال : الثبث القويات أو الكشيرات ، ولكن هذا توسع أجرته العرب في ( شتى ) .

وجاء من هذا أيضاً قوله تعالى في الآية ٤ من سورة الليل : « إن سعيكم لشتى » .  
وترى أبا حيان يقول : « أى مساعيتكم ، وهذا ليسوع وصف المفرد بالجمع . ولكن لو قيل  
إن سعيكم تحاسبون عليها أو عليهن أفكان ذلك يسوع في الكلام ؟ وعندى أن هذا توسع  
ترتكبه العرب في بعض كلامها ، ولا يكون منهجاً مطرداً .

وجاء ( شتى ) وصفا للثنتين . ولأنى أسوق إليك في هذا الموطن القصة <sup>(١)</sup> الآتية :

روى أبو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني الذي قدم الأندلس من المشرق سنة ٤٠٦  
أن ابن الأعرابي الإمام اللغوي الكوفي المتوفى سنة ٣٣٠ رأى في مجلسه رجلين يتحادثان . فقال  
لأحدهما : من أين أنت ؟ فقال : من أسديجاب <sup>(٢)</sup> . وقال للآخر : من أين أنت ؟ فقال :  
من الأندلس . فتمعجب ابن الأعرابي ، وأنشد :

نزلت على قيسية يمنية	لها نسب في الصالحين هجيان
فقلت - وأرخت جانب السردوتنا	لآية أرض أم من الرجلان ؟
فقلت لها : أما رفيقي فقومه	تميم وأما أسرتي فيمان
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا	وقد يلتقي الشتي فيألتفان

فترى قوله : « رفيقان شتى » كيف جاء ( شتى ) وصفا للثنتين . وعندى أن الفوضى سرت  
في هذا السيليل . والله الهادي إلى سواء السبيل ؟

محمد علي النجار

(١) انظر جذوة المقتبس ١٧٣ ، ومعجم الأدباء ( طبعة الحلبي ) ٧ / ١٤٧

(٢) اسم بلدة كبيرة من بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان . ووردت في معجم البلدان : أسفيجاب

## طرائف لغوية وأدبية :

### نظرة في شأهنا

يستشهد النحويون والبلاغيون بهذا البيت :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

الأولون يستشهدون به على جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر من التقديم ، فقد تقدمت جملة الخبر وهي « ما أمه من محارب » على المبتدأ وهو « أبوه » ، وجاز عود الضمير الذي في أمه على الأب مع تأخره لفظاً لأنه متقدم في الرتبة ، فالمبتدأ رتبته التقدم على الخبر . والآخرون يستشهدون به على التحقيد اللفظي بسبب التقديم والتأخير الذي لا يفهم معه المعنى إلا بعد تأمل وإعمال فسكر .

والبيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ويستجديه لقومه وقد أصابهم قحط ، ومطلع القصيدة :

كم من مناد والشريفيان<sup>(١)</sup> دونه إلى الله تُشكى والوليد مفاقره  
ينادى أمير المؤمنين ودونه ملا<sup>(٢)</sup> تتمطى بالمهاري ظهائره  
إلى أن قال :

رأوني فسادون أسوق مطبقي بأصوات هلاك سغاب حرائره<sup>(٣)</sup>

(١) الشريفيان : جبلان يسمى أحدهما ( شريف ) بصيغة التصغير ، وهو أعلى جبل في بلاد العرب . ويقول مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس إنه صعدته . ويجوز أنه جبل آخر يسمى ( شرف ) بوزن قر ، فقلب الفرزدق اسم الجبل الأول وجعل الثانية له .

(٢) الملا : الصحراء .

(٣) الهلاك : جمع هالك ، وهو الميت . واستعمل الفرزدق الهلاك بمعنى الميت في الضعيف الهزيل على سبيل الاستعارة . والفرقة قوله « بأصوات » لأن الهالك ليس له صوت . والسغاب : جمع ساقب وسغبان وسغب كفرح ، ومعناه الجائع أو الجائع المتعب .



فقالوا أغتتا إن بلغت بدعوة لنا عند خير الناس إنك زائر  
فقلت لهم إن يبلغ الله ناقتي وإياي أنبي بالذي أنا خابره  
ثم يأتي بيت الشاهد بعد ذلك بأبيات ، ولكنه ليس كما رواه النحاة والبلاغيون ،  
ولنما يختلف عن روايتهم اختلافا يترتب عليه اختلاف معناه واختلاف الشاهد فيه ،  
وتأتى بعده أبيات تؤكد خطأ رواية النحويين والبلاغيين ، وإلى القارئ الشاهد وما بعده  
كما ورد في ديوان الفرزدق في النسخة المطبوعة في أوروبا وهي معجمة وواضحة :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوها ولا كانت كليب تصاهره  
ولكن أبوها من رواحة ترتقي بأيامه قيس على من تفاخره  
زهير ومروان الحجاز كلاهما أبوها لها أيامه ومفاخره  
هم تخفض الأذيال بعد ارتفاعها من الفزع الساعي نهرا حرائره

وهنا يظهر عدم ائتلاف بيت الشاهد على الرواية الأولى مع الابيات بعده من جهة  
اللفظ ، إذ كيف يقول الشاعر إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ، ثم يقول بعد ذلك ،  
ولكن أبوها من رواحة ، ثم يقول كلاهما أبوها ، والمعنى يختلف أيضا على هذه الرواية عنه  
على الرواية السابقة . إذ معناه على الأولى أبو هذا الملك ليست أمه من قبيلة محارب وتقدير  
السلام حينئذ إلى ملك أبوه ما أمه من محارب .

والمعنى على الرواية الأخيرة ، أبو أم هذا الملك ليس من قبيلة محارب ، إذ تقدير  
السلام حينئذ إلى ملك ما أمه أبوها من محارب ، كما تقول محمد ما أبوه حاضر ويترتب  
على ذلك تغير الخبر ، فهو على الرواية الأولى جملة ما أمه من محارب ، وعلى الثانية شبه  
جملة وهو الجار والمجرور اللذان هما من محارب ، ولا يجوز تقدم المبتدأ وهو أبوها على  
لفظ الأم لأن المبتدأ حينئذ جزء من جملة خبرها ، إذا عملت عمل ليس وجزء من جملة خبر  
المبتدأ الذي هو أمه إذا أهملت ما ، وفيه ضمير يعود على اسم ما أو على المبتدأ الأول على  
الاعتبارين السابقين ، فإذا تقدم (أبوها) على (أمه) لزم عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة  
لأن المبتدأ الثاني رتبته التأخر عن المبتدأ الأول ، وكذلك خبر ما رتبته التأخر عن اسمها  
وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة لا يجوز إلا في مسائل ليست هذه المسألة منها .

أما على الرواية الأولى فقد سبق بيان جواز تقدم لفظ الاب على الأم وعدمه ، ويختلف الاستشهاد بالبیت عند النحويين ، فبعد أن كان يستشهد به على جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ أصبح يستشهد به على جواز تقدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ إذ يجوز أن يقال « ما أمه من محارب أبوها ، أو وما أمه أبوها من محارب » .

والغريب أن جميع شراح الشواهد كالعيني والجرجاوى والشيخ قطة العدوى وغيرهم رووا هذا الشاهد على الرواية الأولى وشرحوه على المعنى الأول واستشهدوا به على ما فيه من جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر ، وهذا يخالف للواقع ولما قاله الشاعر وأراد ، حتى المحدثون الذين شرحوا شواهد ابن عقيل وغيره ، نهجوا نهج القدامى ، ولم يفكر أحد من السابقين أو اللاحقين فى الرجوع إلى ديوان الفرزدق ، ولو رجعوا إليه لتبين لهم خطأ الرواية الأولى واختلاف معناها عن الواقع وعن كلام الشاعر ومراده .  
وأعجب من ذلك أن شارحاً حديثاً روى هذا البيت :

رأونى فنادونى أسوق مطيتى بأصوات هلاك سغاب حرائره

رواه هكذا :

رأونى فنادونى أسوق مطيتى بأصوات هلال صغاب جرائره

ولم يشرحه مع أنه يشرح كل بيت يأتي به تبعاً لأحد أبيات الشواهد .

ولعل الذى حمله على ذلك أنه لم يستطع معرفة مرجع الضمير فى قول الشاعر « سغاب حرائره ، فغيره من عند نفسه إلى ما رأى حتى يعود الضمير فى « جرائره ، على كلمة « هلال ، ولو قرأ القصيدة كلها بإمعان وتدبر لظهر له مرجع الضمير واضحاً .

والعلى بذلك بينت خطأ وقع فيه القدماء والمحدثون من العلماء لأخذهم ما يعرض لهم من الشواهد من غير أن يفحصوا فيه أو يبحثوا وراءه ، وكان الصواب قيد شعرة منهم لو تنبهوا إليه ، ولكن لهم مع ذلك عذراً فى تصديق من روى لهم إذا كان عن يوثق به ، أما أن يؤخذ النص من كتاب دون بحثه والتنقيب على ما خلفه فهذا ما لا يرضى عنه العلم ، ولا تقبله الأمانة العلمية ، وما ينبغي أن يتزده عنه رجال الأزهر على وجه الخصوص .

طه الزينى

أستاذية فى النحو والصرف

## الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

تفسير القرآن الكريم من العلوم الشرعية التي عنيت بها الامة الإسلامية عناية فائقة ، إذ عليه يتوقف فهم الكتاب العزيز ، ومعرفة ما فيه من حكم وأحكام وآداب ومواعظ ، وللكشف عما فيه من هداية وإرشاد ، وأسرار في التشريع والاعجاز . وقد حث الله عز شأنه على تدبر القرآن وتفهيمه فقال ( أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ) وقال ( كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ) وقد كان النبي ﷺ يبين لأصحابه معاني القرآن كما يبين لهم ألفاظه ، قال تعالى ( وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ) . وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . وهذا هو السر في أنهم كانوا يبقون مدة في حفظ السورة ، وأن الرجل منهم كان يحل في أعين أصحابه بمقدار ما يحفظ من القرآن .

وقد روى مالك في الموطأ أن ابن عمر أقام على حفظ البقرة ثمانين سنين . وقال أنس رضي الله عنه : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا . فالصحابة قد تلقوا تفسير القرآن وبيانه عن النبي صلوات الله وسلامه عليه وأضافوا إليه ما أدركوه بصفاة فطرتهم وذكاء قريحتهم ومعرفة التامة باللغة وأساليب البيان وما فهموه من الظروف والملايسات التي كانت عند نزول الوحي . والخلاف بين الصحابة فيما صح عنهم من التفسير قليل ، وأغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا التضاد ، ثم تلقى التابعون عن الصحابة تفسير القرآن كما تلقوا علم السنة ، وإن كانوا يتكلمون في بعض التفسير بالاستنباط والاستدلال كما يتكلمون في بعض السنة بهما أيضاً <sup>(١)</sup> ، وأضاف التابعون إلى ما سمعوه ما تلقوه عن أهل الكتاب من المعارف وفسروا القرآن ببعضها ، ومن هنا دخل البلاء على الإسلام كما سألين ذلك فيما بعد . وقد كان الاختلاف بين التابعين أكثر منه بين الصحابة ، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين ، وهكذا حتى دونت الكتب في شتى العلوم والفنون ، ومنها كتب التفسير .

وقد ألفت كتب في التفسير بالمأثور كما ألفت كتب في التفسير بالرأى والاجتهاد، وكتب هذا النوع الثاني لا تخلو من التفسير بالمأثور أيا كان منهاها، ذلك أن التفسير بالاجتهاد لا يكون منوطا بالقبول إلا إذا اعتمد فيه على ما صح من المنقول، ولا سيما فيما لا يعلم إلا من طريق النقل كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقصاص ونحوها، فهذا النوع من التفسير قل أن ينفرد عن النوع الأول كما قال ابن خلدون، والتفسير بالمأثور أسبق في الوجود من التفسير بالرأى والاجتهاد، وهو يعتبر جزءاً من الحديث، والذين ألفوا في الحديث لم تخل كتبهم منه. وقد عقد الإمام البخارى في صحيحه كتاباً في التفسير، وقد استفد ذلك جزءاً من صحيحه لا يستهان به، وكذا فعل مسلم وغيره من أصحاب السكتب المعتمدة، ولم يقتصروا فيما ذكروه على المرفوع، بل ذكروا ما ورد عن الصحابة والتابعين. وهذا الصنيع يدل على الصلة الوثيقة بين الحديث والتفسير بالمأثور.

والحق أن الحديث بالنسبة لغالب العلوم بمنزلة الام، وعليه معول كثير من المؤلفين، فالمفسر والفقهاء والمؤرخ كلهم في حاجة إليه.

والذين ألفوا في التفسير بالمأثور في القديم ذكروا ما روى عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين وصيغره بالصيغة الحديثية من ذكر للسند ونقد للرجال وتصحيح المتن أو تضعيفه، إلى أن جاء ابن جرير الطبرى فزاد توجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض وذكر الاعارب والاستنباط، ثم ألفت من بعد كتب التفسير بالاجتهاد، ولم يسر مؤلفوها في الغالب - فيما اشتملت عليه كتبهم من مأثور - على سنن السابقين الاولين، فخذفوا الاسانيد، واختصروا الاقوال، ولم ينسبوا لها نالها. وصار من يسهل له قول يورده، ومن يحى بعده ينقله ظاناً أن له أصلاً، ولم يكلف نفسه مؤونة البحث عن أصل الرواية ولا من يرجع إليه هذا القول، فاختلط الصحيح بالسقيم والمتبول بالمردود<sup>(١)</sup>.

ولما كان الحديث قد دخله الوضع فلا جرم أن دخل التفسير بالمأثور الوضع أيضاً، ومن ثم اشتملت كتب التفسير - سواء منها ما كان مختصاً بالمأثور أو شاملاً له وللتفسير بالاجتهاد - على قطعة كبيرة من الموضوعات والإسرائيليات والآراء الزائفة التي لا تستند إلى نقل صحيح ولا يؤيدها عقل سليم. وكان لذلك أسباب عدة نجتزئ بذكر بعضها:

فمن طريق الزنادقة دخل الكثير من الموضوع ونسبوه إلى النبي ﷺ حينئذ ، وإلى الصحابة والتابعين حينئذ آخر . وكذلك كان للمصنعة المذهبية ضلع كبير في التزبد : فالشيعة نسبوا إلى سيدنا على ما هو براء منه ، والمزلفون لبني العباس نسبوا إلى ابن عباس ما لم يقله تقربا إليهم ، وهذا هو السر في تضخم التفسير المنسوب إليهما دون غيرهما من الصحابة الذين قصدوا للعلم والرواية . وهناك سبب آخر مهم وهو النقل عن مسلمة أهل الكتاب ، والاختذ عنهم فيما لا تعلق له بأصول الدين وأحكام الشريعة ، كالقصص وأخبار الأمم الماضية ، وإلى ذلك أشار العلامة ابن خلدون في مقدمته في أثناء تكلمه على التفسير بالمأثور فقال : وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود . والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والامية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية في أسباب الكائنات وبدء الخليفة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها ، مثل أخبار بدء الخليفة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم ، وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم ، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب العمل بها . ويتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات (١) .

وقد أخذ عن مسلمة أهل الكتاب في هذه الأغراض السابقة الكثير من التابعين وبعض أجلة الصحابة كابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص قد أصاب زاماتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث بما فيها بما فهمه من الإذن في حديث « بلغوا عني ولو آية » وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، رواه البخاري .

ثم إن هذه الإباحة فيما لم يعلم كذبه ، أما ما علم كذبه فيحرم التحديث به ، ولا تجوز روايته إلا مشفوعاً ببيان كذبه . وعلى هذا يحمل ما ورد من النهى عن التحديث عنهم . وذلك أن أخبار بنى إسرائيل على أقسام ثلاثة :

١ — ما علمنا صحته بما بأيدينا بما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح ، ونحن في غنية عنه بما عندنا ، ولا مانع من التحديث به .

٢ — ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه ، فهذا يجب تكذيبه .

٣ — ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا ولا من ذاك ، فلا تؤمن به ولا تنكذه . وغالب ذلك مما لا فائدة فيه ، وكثيراً ما يختلف علماء أهل الكتاب فيه ، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف ، واسم الغلام الذى قتله الخضر <sup>(١)</sup> ومقدار سفينة نوح ونحو ذلك .

ولو أن هذه الاسرائيليات ولا سيما المكذوب منها وقف بها عند قائليها لكان الامر محتملاً ولكن الشناعة وكبر الإثم أن ترفع بعض هذه الاسرائيليات إلى المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، وهنا يكون الضرر الفاحش ، فقد وجد أعداء الدين فى ذلك ثغرة ينفذون منها إلى القول على الإسلام وعلى نبي الإسلام بما هو برىء منه ، وبعض هذه الاسرائيليات جاء موقوفاً على الصحابة فظن من لا علم له بحقيقة الامر أنها متلقاة عن النبي ﷺ لأنها مما لا مجال للرأى فيها فاما حكم المرفوع . ولكن جهابذة الحديث ونقادهم كانوا أبعد غوراً وأدق نظراً حينما قالوا : إن كلام الصحابي فيما لا مجال للرأى فيه له حكم المرفوع بشرط أن لا يكون الصحابي معروفاً بالاختصاص من أهل الكتاب ، ولا من يعرف بذكر الاسرائيليات وبذلك يجد الباحث المنتصف مخرجاً من هذه الروايات الموقوفة بأنها اسرائيليات تقبلت بحسن نية ، إن لم تكن مدسوسة على هؤلاء الاثمة دسها عليهم الزنادقة .

وقد تذهب بعض الصحابة إلى ما فى رواية أهل الكتاب من المغالط والكذب وإن لم يكن عن تعدد : روى البخارى فى صحيحه عن معاوية رضى الله عنه أنه ذكر كعب الاحبار فقال : « إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون من أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب ، وإذا كانت مقالة السيد معاوية فى كعب كما ترى وهو من أصدقهم —

(١) انظر تفسير ابن كثير جزء أول ص ٨ ط المنار ومقدمة التفسير لابن تيمية ص ١٨ ط السلفية .

فما بالك بغيره ممن لم يصل إلى درجة صدقه . وقد حسن العلماء الظن بكعب فقال ابن حبان  
 « أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به ، ولم يرد أنه كان كذابا ، وقال ابن الجوزي  
 « أى أن بعض ما يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب ، <sup>(١)</sup>  
 ومع مرافقتي للإمامين على ما رأياه فلما أرى أن ذلك لا يقلل من خطر مثل هذه الرويات .  
 وقد تنبه العلماء المحدثون وأئمة الدين إلى ما دخل التفسير بالمأثور من موضوعات  
 وإسرائيليات زائفة مما روى مرفوعا أو موقوفا على الصحابة والتابعين ، فنقدوه ، وبينوا  
 الحق من الباطل والصحيح من السقيم . وقد صح عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال : « إنه  
 لم يثبت عن ابن عباس إلا شبيه بمائة حديث ، وقالوا : أصح الطرق عن ابن عباس طريق  
 علي بن أبي طلحة عنه ، وهي التي قال فيها الإمام أحمد « إن بمصر صحيفة يرويها علي بن أبي  
 طلحة عن ابن عباس لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كسيرا عليه .  
 وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس . وطريق ابن جريج  
 تحتاج إلى بحث وتدقيق ، لأنه جمع في كل آية من الصحيح والسقيم ، كما قالوا : أوهى الطرق  
 طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . فاذا انضم إليها محمد بن مروان السدي الصغير  
 فهي سلسلة الكذب . وكثيرا ما يخرج عنها الواحدى والثعلبي . وكذلك نقدوا ما روى  
 في التفسير عن علي وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم وبينوا الطرق الصحيحة من غيرها <sup>(٢)</sup>  
 كما نقدوا ما روى في التفسير عن أئمة التابعين وبينوا منزلة كل منهم في الرواية ، وهكذا نجد  
 غير قليل من النقد التفصيلي لرواة التفسير بالمأثور كما نجد النقد الإجمالي لهذه الرويات .  
 فالإمام أحمد له الكلمة المعروفة « ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازي ، وقد  
 حمل الخطيب هذه المقالة على كتب مخصوصة في هذه المعاني فأشهرها كتابان للكلبي  
 ومقاتل بن سليمان . وقال غيره : لأن الغالب عليها المراسيل ، وبحق أصحابه . على أن مراده  
 أن الغالب ليس لها أسانيد صحيحة متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير ، . وقد عقب السيوطي  
 على هذا القول فقال : « الذى صح من ذلك قليل جدا بل أصل المرفوع في غاية القلة ، وقد سرد  
 ما صح من ذلك في آخر الإتيان . والحق أن ما صح من المرفوع إذا ما ضم إلى ما صح من  
 الموقوف على الصحابة والتابعين فإنه يصفو لنا من ذلك شيء غير قليل »

( يتبع ) محمد محمد أبو شربة

الاستاذ بكلية أصول الدين

(١) فتح الباري جزء ١٣ ص ٢٨٤ ط الأزهرية

(٢) الاتقان في علوم القرآن ص ١٨٨ ، ١٨٩ جزء ٢

# الحساب الفلكي

## واعتماده لتحديد أوقات الصلوات الخمس

نشر الشيخ محمد رحيم أحد شيوخ طرابلس الشام في الاقطار العربية الشقيقة ، كتيباً ، أسماه « وقت الظهر » ، وأرسل نسخة منه إلى مشيخة الازهر سابقاً لاستطلاع رأيها ، ذكر فيه دعاوى ...

منها : « لا يعتمد الحساب الفلكي في بيان الاوقات الشرعية ، وهي كما ترى » مجرد دعوى فقط ، إذ لم يستند بها إلى دليل ، غير أنه نقلها كما هي عن « ابن عابدين » ، الحنفى الذى عزاها هو أيضاً إلى « ابن دقيق العيد » ، الشافى .

ولا يخفى ما قاله علماء « البحث والمناظرة » ، من أن ناقل الدعوى مجردة عن السند لا يناظر فيها إلا بالمنع المجرد أيضاً عن السند بأن يقال له مثلاً ، أنا أنعم تلك الدعوى ، ثم تقطع المناظرة ... إلا إذا التزم هذا الناقل تصحيحها ، وقد كان . فإن الشيخ رحيم قد انقاد لمعناها وعمل بمقتضاها إذ يقول فى كتيبه أيضاً : « إنه حين اطلع عليها فى حاشية ابن عابدين على الدر المختار عمد إلى قياس الظل لتحديد أوقات الصلوات . ولذلك صحت مناظرته فيها وحينئذ نسائله : —

« أولاً ، عما أراده بالحساب الذى لم يعتمد عليه ، فإن أراد به « الحساب التقريبي » كحساب المنازل وبعض القواعد القديمة القريبة ، سلمنا له ذلك ؛ إذ ورد فى كتب الفقه منع الاعتماد عليه من العلماء المحققين حتى قال بعضهم : إن من أذن لوقت الفجر على حساب المنازل أدب وعوقب لأنها تقريبية ، وإنما شرعت المنازل ليعلم قرب الصبح فقط فيكف الصائم ويتأهب المصل حتى إذا تبين التفجر الصادق صلى ...

وإن أراد الشيخ رحيم « الحساب الفلكي » ، مطابقاً أى ولو كان تحقيقاً منتجاً لما لو تأمله الحس لا دركه ، لا نسلم له ذلك ، وقلنا :

إن الحكم الذى شملته هذه الدعوى معارض بما عليه إجماع الأمة ، من العمل بالجداول



الحسابية ، والنتائج السنوية المضبوطة ، وتقدير الزمن بالمازول والأرباع الدستورية وغيرها ، وبالساعات الميكانيكية المنظمة جيئية أو حائطية ، من أول نشأة الحساب إلى الآن . وإن تمسكه بما لم تلتفت إليه الأمة ، وانقياده لمعنى هذه الدعوى مع خلوها عن الدليل يعد شذوذاً منه وخروجاً على الإجماع ...

على أن سائر علماء الشافعية وغيرهم من المحققين والحرصاء في كل بلد وأوان نراهم يهرعون إلى الصلاة على حساب الساعات الفلسكية وتقدير الجداول السنوية ، ولم نسمع أن اثنين منهم قد انفقا على ترك ذلك إلى قياس الظل في أى عهد من العهود المتقدمة ...

ثم ، ثانياً ، فنقض عموم الحكم في هذه الدعوى ، إذ يعم البلاد التى ينعدم فيها علامة وقت العشاء أو غيرها في بعض أيام السنة ومقتضاه أنه لا يعتمد فيها على الحساب ، . كيف وأن إجماع السادة الشافعية ومنهم ، ابن دقيق العيد ، على وجوب الصلوات الخمس في تلك البلاد وتقدير أوقاتها بالساعات الفلسكية بحسب أقرب البلاد أو الأيام المعتدلة مع أنه لا غروب ولا شروق للشمس ولا للشفق ولا بلوغ لظل شئ مثله أو مثليه في هذه الاوقات هنالك في بعض أيام السنة ولا بد لهذا التقدير من الحساب ...

ووافقهم على ذلك علماء السادة المالكية وكذا المحققون من الحنفية كالسكال بن الهمام وغيره وحجتهم على ذلك قوية كما سيأتى :

#### البلاد التى ينعدم فيها بعض علامات الاوقات :

أما البلاد التى ينعدم فيها في بعض أيام السنة علامات الاوقات الشرعية ، فنها ، ما عرضه (٤٩) درجة فأكثر إلى (٦٦) درجة كبلاد الإنجليز ، والبايجيك وهولاندة ، وبولاندة وشمال فرنسا وألمانيا وجنوب فنلندة وجنوب السويد والنرويج وجنوب كندا وأواسط روسيا ، فإن في هذه البلاد ينعدم في بعض أيام السنة أعنى حول (٢١) يونية علامة وقت العشاء فيدور الشفق من نقطة غروب الشمس إلى نقطة شروقها حول آفاقها من جهة الشمال دون أن يختفى في الأفق ثم يصعد في السماء حتى تطلع الشمس ، ومعناه بقاء علامة المغرب إلى أن توجد علامة وقت الصبح وتنعدم علامة وقت العشاء أصلاً وهى غياب الشفق في الأفق الغربى .. انظر الرسم رقم (١) .





فالشارع وإن علق وجوب الصلوات بأوقات يغلب وجود علاماتها الحسية كما في غالب الجزء المعمور من الأرض ، لكنه لم يحمل حكم غير الغالب ، فقد أخرج مسلم في صحيحه من رواية ابن يونس بن سمعان من حديث الدجال وفيه : قلنا يا رسول الله : فذلك اليوم الذي كسنة ؛ أتكفيينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له ، وكذلك عدة أحاديث غيره في هذا المعنى .

ولا يلزم أن يكون كل الناس عارفين بهذه العلامات التي تدل على الاوقات ، بل من لم يعرف يعرف من يعرف ( فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ) كما لا يلزم امتناع التعريف بغير الغالب كالآلات الدقيقة والحساب الصحيح والساعات المضبوطة والاوراد والحرف والصناعات إلى غير ذلك ...

وبالجملة فإذا قبل العلماء المحققون التقدير بالاوراد والصناعات ، أفلا يقبل التقدير بالساعات المحررة وجداول الحساب المضبوطة ، وقد أجمعت الأمم كلها على ضبط مواعيدهم في أعمالهم وصناعاتهم وزراعاتهم وتجاراتهم وبرقياتهم وسفرهم وبريدهم إلى غير ذلك بالساعات والحساب . وعلمائنا أول الواضعين لها كما يعلم من تواريخ الحساب الفلكي والساعات ، أقصد الحساب المبني على براهين هندسية وقوانين جبرية وحساب مثلثات مستوية وكروية ، ومن الكتب المتداولة في الأيدي كتاب : طيب النفس ، لادريس باشا راغب وكتاب : رياض المختار ، لمختار باشا الغازي وكتاب : الدرر البهية ، لاسماعيل باشا الفلكي وكتاب : الفلك العملي ، لحسن مصطفى بك العبادي وغيرهم من أرباب الكتب الحديثة في الفلك .

أما الكتب المعتمدة القديمة في كتاب : الدر المنثور ، للشيخ عبد الله المسارديني وكتاب : حاوي المختصرات ، لسبطه محمد بن المسارديني وكتاب : جامع المبادئ والغايات ، لابن الحسن المراكشي وكتاب : النفع العام ، لابن الشاطر . فإن كل ما حوته هذه الكتب من القواعد الفلكية مطرد الإنتاج لكل ما لو تأمله الحس لادرکه من العلامات للأوقات الشرعية دون خطأ أو مخالفة لا بقتائها على براهين وقوانين معقولة .

وقفنا الله جميعاً لحمدمة العلم والدين

محمد أبو العلاء البنا

مدرس الفلك بالآزهر

# كُنُوزُ بِلَادِ سِدْرٍ مَرَّةٍ

خطرها على الشرق

[ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ]

، سورة الحجر ،

ورد في سورة الحجر عن بلاد قوم لوط : « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ، إن في ذلك لآيات للمتوسمين ، . والتوسم هو التأمل والتفكر والاعتبار . هكذا إجماع التفاسير . ولم تذكر هذه الكلمة في القرآن الكريم جميعه إلا في هذا المقام . وظلت هذه المنطقة لا يعرف الناس عنها إلا الشيء القليل ، إلى أن ظهرت الآلات الحديثة ، فاكشفت ما فيها ، فأظهرت إعجاز القرآن في هذه الآية . وإليك ما قرره علماء الجيولوجيا وطبقات الأرض .

تبين أن بحيرة لوط تنخفض عن سطح البحر ( ٤٠٠ متر ) ، وأن هذا العمق نتج عنه ارتفاع درجة الحرارة في البحيرة حتى أصبحت تبلغ مثل درجة حرارة خط الاستواء ، وقدرها ما يتبخر من مياهها يومياً بستة ملايين طن . ومع أن المياه المتبخرة يعوض معظمها من مياه الشمال التي تنصب في البحيرة فإنه لكثرة التبخر يتناقص ماء البحيرة على مر الاحقاب وقد امتدت ملوحة مائها وكثف بالنسبة إلى باقي البحار ، وبهذا فقدت الحياة من البحيرة فلا يوجد فيها أسماك ولا يغرق الساج فيها ، ولهذا أطلق عليها اسم « البحر الميت » . وقد قرر العلم أيضاً أن البحر الميت والاعوار المجاورة له إنما حدثت نتيجة لاضطرابات أرضية ( أى خسف ) قبل ألوف السنين . ولم يقف العلم عند هذا الحد ، بل حلل المياه فوجد فيها مواد كيميائية كثيرة منها البوتاس والصودا البكاوية والصودا العادية ( القلويات ) والمغنسيوم والاورانيوم الذي تصنع منه القنبلة الذرية .

لهذه الثروات وغيرها من الاسباب تأمر اليهود والإنكايز والأمريكيون فلم يكذبوا

الجنرال اللنبي يفتح القدس سنة ١٩١٧م حتى استقدم تلوك المهندس والحبير البريطانى الكبير  
فكتب تقريراً اضافياً عن كنوز البحر الميت رفعه اللنبي إلى الوزارة البريطانية ، وقد جاء فيه :  
أن المواد الكيماوية فيه تقدر بـ ١٣٠٠ مليون طن ، وتقدر قيمتها بـ ٢٤٠ ألف مليون جنيه .  
وأن قوة انحدار النهر تقدر بمليون حصان .

بهذه المطامع يفتح اليهود الامير كان والانكليز بضروة الاستيلاء على المملكة الاردنية  
فلم يسكد يمان الانتداب على فلسطين حتى أخذت شركة يهودية امتيازاً لاستخراج المواد  
الكيماوية من هذا البحر باسم شركة البوتاس ، وقد حصلوا على امتياز آخر للاستفادة  
من قوة انحدار النهر سموه « مشروع روتبرغ » ، وهذا المشروع أصبح ينير ويدير المدن  
والمستعمرات والمعامل في أكثر بقاع فلسطين . أما العرب فلم يستفيدوا من ذلك حتى الآن  
إلا ملح الطعام . يضاف إلى هذا خيرات الاغوار فإن خصوبة أراضيها مضرب المثل ،  
ولسرعة نضوج مزروعات الغور أطلق عليه اسم « طباخ » . وفيه تزرع وتنمو مزروعات  
وأشجار المناطق الحارة كالنخيل والموز والقطن والبقول السوداني والارز وقصب السكر  
وغیره مما يزرع الآن وما جرب قبلاً ، وهو يزرع ثلاث مرات في السنة إذا توفرت له المياه .  
هذه الكنوز الكيماوية والمنافع الموجودة في وادي الاردن والبحر الميت هي التي يود  
اليهود تحويل الاردن لأجلها ليسهل عليهم تهجير البحر الميت . أما الاراضى فيستفاد من  
الجداول والروافد لإروائها .

إن هذا العدوان الوحشى الذى يقوم به اليهود ويغطى عليه أنصارهم وأعوانهم ومؤيدوهم  
هو لأجل إيقاع الرعب والفرع في قلوب سكان هذه الديار - وقد ضربوهم بالإفلاس -  
ليهاجروا ويتركوا البلاد خراباً يباباً كي يحتلها اليهود باسم المحافظة على الأمن والعمران .  
هذه حقائق لا ريب فيها وإن الامر ليس أمر حدود . ولقد كنا قبل الحرب نذير  
بالخطر على فلسطين ، وها نحن الآن نذير بالخطر على المملكة الاردنية .

فهل آن لنا أن نستيقظ ؟ نابلس إحصاء النمر

تصحیح

وقع في الجزء الماضى ص ٣٦٧ س ١٠ خطأ صوابه ( إلى اقه والرسول )

# الكتيب

## نظام السلم والحرب في الاسلام

للأستاذ السيد مصطفى السباعي \* ٤٨ صفحة جيب \* مطابع الكشف في بيروت

الأستاذ السيد مصطفى السباعي من نوابغ خريجي الأزهر ، ومن حملة الدكتوراه في التشريع الإسلامي ، وقد ألهته مواهبه لقيادة الرأي العام الإسلامي في الديار الشامية ، وله جهاد بالسلاح في فلسطين بكجاهده بالبيان لتوضيح رسالات الله كما جاء بها الإسلام . وهذا الكتيب اللطيف بداية سلسلة وعد بإصدارها تحت عنوان « هذا هو الإسلام » تبحث عن الفكرة الإسلامية الحديثة من مختلف النواحي . وقد تكلم في هذه الرسالة الأولى من تلك السلسلة عن موقف المسيحية من السلم والحرب . وموقف الإسلام ، ومبادئ السلام في الإسلام ، ونظام السلم الداخلي ، ونظام السلم الخارجي ، وواقع الحروب الإسلامية في التاريخ . وكل ما يكتبه الأستاذ السباعي جدير بشباب الإسلام في كل مكان أن يستفيدوا منه .

## أسس الحكم في الاسلام

للأستاذ محمد عبد الله السمان \* ٨٠ صفحة جيب \* مطابع دار الكتاب العربي .

هذه الرسالة هي الحلقة الرابعة من سلسلة رسائل الفكرة الإسلامية للأستاذ السمان ، بدأها بعد المقدمة بتمهيد عن الحكم في الإسلام ، وعن الحكم والاستقرار . ثم انتقل إلى موضوع « الاعتراف بالإسلام » فتحدث عن الذين يرتجفون من الدعوة إليه وعن الدستور الإسلامي والقانون الإسلامي والنظام الإسلامي ومرونة التشريع وختمه بالإشارة إلى خطوة إيجابية . ثم انتقل إلى موضوع « الاعتراف بالشعب » فتكلم فيه عن البيعة ، وعن براءة الإسلام من الحكم الوراثي ، وعن موقف أهل الحل والعقد من الإمام إذا جار وظهر غشه . وخطط المؤلف بعد ذلك بين نظام الإسلام والأنظمة الأجنبية عنه مع أن الإسلام لا يحكم العامة بالخاصة ولا يعرف الشورى إلا في أهل الحل والعقد . وبعد أن ضرب الأمثلة انتقل إلى موضوع « الحكومة المستقيمة » فتكلم على استقامة الحاكم وبشريته وعفته وعن تحقيق العدالة والمسؤولية الشاملة وعن الشعوب المغلوبة . ووعده بأن تكون الرسالة القادمة عن الدعوة الإسلامية

# الأدب والعلم في شهر

## فرائض السلب العراقية

يقول الأستاذ فؤاد جميل في ( إذاعة باكستان ) إن في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ١٠٢٠٠ كتاب منها أكثر من ثلاثة آلاف مخطوط . وهذه المكتبة جمعت من مكتبات مساجد بغداد قبل نحو ربع قرن ، ويقومون الآن بتنظيم فهرس لها على غرار فهرس دار الكتب المصرية . ومن مخطوطاتها كتاب « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة كتب في مدينة واسط سنة ٤٧٢ .

وفي مكتبة المتحف العراقي خزانة كتب مهمة لكل ما يتعلق بالعراق والبلاد العربية والشرقية ولا سيما في تاريخها القديم مما تسهل معه المقارنة بين الحضارات القديمة في مختلف الاماكن كالحند والصين واليونان والرومان فضلا عن الامم التي سكنت العراق . وفي هذه المكتبة نسخة من كتاب العين للخليل ابن أحمد بخط السماوي منقولة عن نسخة قديمة يقال إنها في الكاظمية . وفيها بعض أجزاء من وفيات الاعيان قيل إنه بخط القاضي ابن خلكان .

أما مدينة الموصل فإن ما فيها من خزائن الكتب قد وصفها الدكتور داود الجلي في كتابه المشهور ( مخطوطات الموصل ) ولوزارة المعارف العراقية مكتبات عامة في مقاطعات العراق الأربع عشرة وفي مناطق أخرى ثانوية . ومبلغ مجموع ما فيها من الكتب مضافا إلى مكتبة مديرية الآثار حسب آخر تقرير لوزارة المعارف ١٩٧٠م ١١١ كتابا

## جامعة القاهرة

أعدت إدارة جامعة القاهرة لإحصاء عن هيئة التدريس في الكليات والمعاهد المختلفة ، وعدد الطلبة والطالبات في الجامعة ، وبعض البيانات الخاصة بهم . وفيما يلي أهم ما يتضمنه الإحصاء :

يوجد في الكليات والمعاهد التابعة للجامعة ١٦١ أستاذا و ٢٣٠ أستاذا مساعدا و ٣٠٣ مدرسين و ١٠٠ مدرس مساعد و ٣٦٦ معيدا و ٧ أسانذة غير متفرغين و ٧ أسانذة زائرين و ٤٨ مدرسا خارجيين عن هيئة التدريس ، وبذا تكون هيئة التدريس مكونة من ١٢٢٢ من الاساتذة والمدرسين .



واضطرت هذه اللجان إلى كتابة كثير من إقرارات التسليم والتسليم باللغات التركية والألمانية والفرنسية ليستطيع سكان القصور والمساكن الذين لا يعرفون العربية قراءة هذه الإقرارات والتوقيع عليها .

### هوة سميحة

أعلن الدكتور محمد طلعت عميد كلية الطب بجامعة الإسكندرية في حديث له أن هوة سميحة قد نشأت بين البعض من الأطباء وبين من لهم العليا ، وهم يتسابقون إلى المسادة في عالم مضطرب . ثم أورد من تفاصيل ذلك أن الإخصائي الاستشاري يفحص أى مريض يستطيع دفع الأجر ، وهو يتقاضاه أجراً مضاعفاً إذا تقدم إليه دون واسطة الطبيب المعالج . وإخصائيو المستشفيات العامة والتعليمية يعملون على اجتذاب المرضى إلى عياداتهم الخاصة ، وهم في ذلك يلتحقون أو يتطوعون للعمل في أكبر عدد من المستشفيات فيحرمون زملاء لهم من العمل ، وربما اضطرت حاجة هؤلاء إلى النزول بالمستوى الاجتماعي للهيئة . وقد أدى هذا التكالب بأحد الجراحين الإخصائيين إلى أن يعلن عن استعداده أن يدفع عوناً مالياً لمستشفى يتطوع فيه . وفي إحدى العيادات الخارجية التي أعرفها شخصياً اعتادت الممرضة أن تنصح من يدل لباسه على شيء من اليسر بأن الأوفى

وتضم الكليات والمعاهد هذا العام ٢٠٥٤٠ طالبا و ١٨٩٩ طالبة ، ومن بين هذا العدد ٣٥٧ طالبا سودانيا ، و ٩٦٣ طالبا من مختلف الدول العربية الشقيقة ، علاوة على ٨٥ طالبا من الطلبة المغاربة ، و ٦٦٥ طالبا من الأفطار الشرقية ، و ٩٨ طالبا من جنسيات مختلفة .

### مخطوطات أثرية بالقدس

انتهت بمئة اللوحة الثقافية للجامعة العربية من البحث عن المخطوطات العربية ذات القيمة التاريخية وتصويرها بعد أن قضت في بلاد الأردن نحو أسبوعين لإنجازها . وقد صرح أحد أعضائها بأن البعثة عثرت في القدس على مخطوطات ذات أهمية أثرية وتاريخية لا مثيل لها في العالم ، وستزور دمشق وبيروت للغاية ذاتها .

### لا يعرفون العربية

لاحظ أعضاء لجان حصر ممتلكات أفراد أسرة محمد على أن معظم هؤلاء الأفراد لا يعرفون اللغة العربية ولا يتكلمون بها في قصورهم مع أنهم مضى عليهم مائة وخمسون سنة وهم يتناسلون في مصر . وهم يتكلمون - مع التركية - الفرنسية والألمانية والإيطالية . وسأل أحد أعضاء اللجان سيدة من أفراد هذه الأسرة : ألا تعرفين اللغة العربية ( ليكلما بلغة البلاد ) فردت قائلة : لا أعرفها .

وبدل التخصص ... وكانت هذه العلاوات كلها رشوة . وإنى لأربأ بالمتعلمين في هذا العهد أن يتقبلوا على أنفسهم هذا الوضع . إننا لن نحاي طبقة على حساب طبقة ، ولكننا سنمضى بالوطن - كجموعة - نحو الحياة القوية . أرجو أن نعرف هذا ونفهمه ، فإن الوطن لا يكون قوياً بوفرة الحياة لنصف مليون متعلم ... إننا نريد أن يأكل ويلبس ويعالج ويسكن كل المواطنين . وأنتم تعلمون أن العهود الماضية تركت لنا مواطنين لا يجدون ما ياباً كلون ، ولا ما يلبسون ، ولا مأوى يأرون إليه .

### محكمة المياه العربية

ما زالت قائمة في إسبانيا

كان مما لفت نظر مندوبي غرفة الاسكندرية التجارية في أثناء زيارتهما الاخيرة لإسبانيا ، محكمة المياه ، التي ما زالت قائمة في إسبانيا منذ العهد العربي . وهي تقوم بحسم كل خلاف بين الزراع في منطقة بلنسية على رى أراضيهم فتتصف المغبون وتوقع العقوبة المناسبة على من يحور على حقوق غيره ولو كان من قضائها وهذه المحكمة المؤلفة من الاهالى تتمثل فيها العدالة العربية في بساطة إجراءاتها وشعبية نظامها ودقة أحكامها التي لا تنقيد بأى قانون وضعى بل تستند إلى التقاليد المرعية والعرف الذي توارثه قضاتها عن العرب . وهي تتمتع باحترام عميق في نفوس الإسبان شعباً وحكومة لا يقل عن احترامهم لأكبر هيئته قضائية في بلادهم .

لمصلحته استشارة الطبيب في عيادته الخاصة وفى كثير من الأحيان تكون كلمة السر لدخول المستشفى زيارة سابقة بأجر معلوم للطبيب فى العيادة التخصصية ... الخ .

### خطر الارتجال

فى الخطاب العظيم الذى ألقاه الرئيس محمد نجيب فى هيئة التحرير بأسبوط قال :  
« إننى أحذركم من الوقوع فى براثن مرض فتك بأعمالنا فى الماضى وهو الارتجال ، فكم من مشروع قضى عليه فى المهد لأنه لم يدرس ولم يعرف القائمون به الصعاب التى تترصده والثغرات التى تعميه ؛ فضاغ وضاعت معه الجهود التى بذلت فيه والأموال التى جمعت له . فاتعظوا بهذا الماضى ، وادرسوا مشاكل المجتمع الذى تعيشون فيه ، واجمعوا الإحصائيات ، وقيسوا جهودكم على الأعمال المطلوبة منكم . فإذا فرغتم من الدرس والبحث فنفذوا مشروعاتكم معتمدين على الله وعلى ثقة مواطنيكم بكم . »

### ملح الطبقة المتعلمة

ألقى البكباشى جمال عبد الناصر نائب رئيس الوزراء خطبة فى منيا القمح قال فيها :  
« إن الطبقة المتعلمة طالما تملقت العهود الماضية على حساب باقى المواطنين . وكانت الحكومات ترى أن الطبقة المتعلمة ذات ألسنة طوال تستطيع أن تمتد إلى الحكومة لتقول لها مثلاً :  
إنك لا تسيرين فى الطريق المستقيم . . فتبادر الحكومة بصرف العلاوات ، وبدل التفرغ ،

# الجمال الأسير المحب في شهبز

## قوة العرب أجمعين

خطب الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى فى المؤتمر السياسى بمدينة الإسكندرية فقال : لقد وكل إلى هذه الأمة المصرية أمر قيادة شعوب العرب فى أهم منطقة من العالم . ولكن بكل أسف لم تقيم مصر فى الماضى بما يجب أن يبذل فى هذا المضمار حتى تتمكن من السير - بقوة العرب أجمعين - إلى مجد العرب أجمعين ، مجد العرب وعزتهم أجمعين يجب أن نفهم أن وطننا ليس مقتصر على مصر فقط ، إن هناك ملايين عديدة تقف إلى جوارنا وتنتظر منا أن نقودها إلى مجدها السابق . إننا لن ننجح فى هذه الناحية إلا إذا تبصرنا جيداً هذه الأمور واضعين نصب أعيننا أن الوطن هو منطقة العروبة جمعاء .

أعمالنا ونوحد خطتنا وأغراضنا وأهدافنا . وإلى مطالب وأوجه هذه الكلمة لكم لنجد صداقتنا فى نفوس العرب فى كل مكان . إلى مطالب - كمستول فى هذه الأمة - أن أدبر اجتماعات شعبية تمثل العرب فى كل مكان . وليكن هذا الاجتماع فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ، يحضره ممثلو الشعوب لا الحكومات ، يتدارسون ويتباحثون ويتناجون ويدرسون الخطط التى توصل إلى تحطيم الظلم والإرهاب والاستعمار . بهذه القوة البشرية الهائلة ، وهذه الموارد الهائلة التى بين أيدينا ، وبهذه المنطقة الحيوية ، وبسواعدنا وتماسكنا ، وبتوحيد خططنا ، نستطيع أن نستغنى عن العالم أجمع ، وأن ننبذ إلى الأبد فكرة العون من الغرب أو من الشرق

## موقف مصر من الاستعمار

ألقى الرئيس اللواء أركان الحرب محمد نجيب خطاباً فى مدينة أسيوط قبل عودته إلى القاهرة تحدث فيه عن أهداف هيئة التحرير ، وعن زعامة الشباب ، كما تحدث عن فكرة الحرس الوطنى والإنجليز والخدمة العسكرية . وفى

لقد سمعتم من أخى جمال منذ شهر مضى أنه اقترح عقد اجتماع لقيادة العرب كل شهرين أو ثلاثة ، وليكن هذا الاجتماع فى مكة المكرمة ، تناقش فيه أمور دينانا وننسق

ختم خطابه وجه لدول الغرب إنذاراً حاسماً  
قويا ، وكان مما قاله :

إن الاستعمار أفقرنا ، وأجاعنا ، وفرض  
علينا المرض .. فالقتال من أجل الحرية  
سيجمعنا فى ظل الشدة ، وسيجعل كلامنا  
رفيقاً وزليلاً لأخيه المصرى من غير أن  
يسأل ابن من هو .

### الكهرباء بالمدينة

وضع الملك سعود بن عبد العزيز أثناء زيارته  
للمدينة المنورة الحجر الأساسى لمحطة توليد  
الكهرباء .

### الاتحاد الإسلامى

وجه مندوب جريدة (القاهرة) إلى حاكم  
الباكستان السؤال التالى :

س - ما رأيكم فى قيام اتحاد إسلامى بين  
الدول الإسلامية على نمط الكومنولث ؟

فأجابه : أرى أن التكتل بين الدول يزيد  
من قوتها ، وكلما اتجهت الدول الإسلامية  
نحو التكتل زادت قوتها وقوى نفوذها ،  
ولاشك أن الدول الإسلامية لو توحدت  
فى نظام يجمعها لأصبحت قوتها الدولية لا  
تقل عن قوة كل من الكتلتين الشرقية والغربية  
ولست وحدى الذى يحبذ هذا المشروع ،  
بل إن سلفى السيد محمد على جنة - الحاكم العام  
السابق لباكستان - طالما نادى بهذا رأى  
وإن بعث هذه الفكرة ليس سابقاً لأوانه .

ولتعلم دول الغرب هذه الحقائق ولنفسكر  
فيها جيداً ، لأن النار التى يودون إشعالها فى  
الشرق العربى ستحرقهم قبل أن تحرقنا . بل  
ستحرقهم دون أن تحرقنا ، وسنبقى أقوياء  
ظافرين ، لأننا على حق وهم معتدون .

لما صداقة أساسها حريتنا الكاملة ، ولما  
عداوة ستقف إلى جوارنا فى حربها  
شعوب العرب .

إنى أقرر بإيمان أن الحرس الوطنى سيكشف  
هن مواهب أبناء الشعب السكينة فيه ، وأنه  
حينما تدق ساعة الجهاد سيهرون العالم .

### مساهمات هذه الدول

قال وزير الإرشاد القومى الصاغ صلاح  
سالم : « إننا إذا كنا سنظل نأمل فى مساعدة  
هذه الدول فلن فصل إلى شئ . ولتعللوا أنه  
لا توجد أية دولة مستعدة لمجاملتنا ، فكل دولة  
تنظر إلى مصلحتها وإلى مصلحتها فقط . ولن  
نحصل على شئ . إلا إذا انتزعناه بسواعدنا .

## الى الاتحاد الاسلامى

صرح الرئيس اللواء محمد نجيب بأن وحدة وادى النيل مقدمة لتأليف اتحاد إسلامى واسع النطاق . فقد قال فى الخطاب الذى ألقاه فى جامعة القاهرة : « لو بحثتم عن السر فى تمسك بريطانيا بالتفريق بين شطرى الوادى لعرفتم أن وراء إتمام وحدة وادى النيل هدفا أعظم ، هو أن يصبح وادى النيل المتحد العمود الفقرى لاتحاد إسلامى عظيم يمتد من شمال إفريقيا إلى الملايو شرقا ، ومن شمال البحر الأبيض المتوسط حتى جنوب إفريقيا .

## المؤتمر الإسلامى فى القدس

استقبلت مدينة القدس فى الأسبوع الأخير من شهر ربيع الأول الماضى وفود الاقطار الإسلامية لعقد مؤتمر ينظر فى القضية الفلسطينية على ضوء الاحداث التى وقعت إلى الآن ، وما ينبغى أن يكون موقف العالم الإسلامى منها . وفى صباح يوم الخميس ٢٦ من ربيع الأول الذى افتتح فيه هذا المؤتمر نشرت « الاهرام » البيان الآتى من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قال :

ينعقد المؤتمر الإسلامى فى القدس اليوم للنظر فى موقف المسلمين من أعظم كارثة ارتكبتها الإنسانية فى هذا العصر ، وهى

إخراج أمة من بيوتها وحقوقها ووطنها ، وإلغاؤها بنسائها وشيوخها وأطفالها فى خارج الحدود ، لنحل فى محلها أمة أخرى غريبة عن البلاد .

وإذا كان المهيمنون على القوة البشرية قد ارتضوا لأنفسهم أن يقفوا موقف المتفرج بل موقف المؤيد لهذه الفاجعة ، وما سيتلوها من بغي على الأماكن المقدسة ، وتبييت للعدوان على جهات أخرى - فإن هنالك خمسمائة مليون مسلم عاصروا مراحل هذا الحادث الإنسانى العجيب ، وراقبوه من مرحلة لإعلان صك الانتداب على فلسطين ، إلى تنظيم الهجرة اليهودية المتواصلة ، إلى ابتكار فكرة تقسيم فلسطين ، إلى المصارحة بإقامة دولة إسرائيل ، إلى التمتع بسماع أنين الإنسانية والفضائل حزنا على فك القوات الشريرة بالضعفاء والمضطهدين من سلالة أصحاب فلسطين ومالكها من قبل أن يخلق إسرائيل بآلاف السنين .

لقد دعيت للاشتراك فى هذا المؤتمر ، استنكاراً لأبشع بغي وقع فى تاريخ الإنسانية خالط الظروف بينى وبين أن أكون مع الذين اشتركوا فيه .

ولكن قلبى وقلوب خمسمائة مليون مسلم تضطرب باشمزاز وسخط غضباً على التشكيل بالآبرياء جهرة على سماع القوة وبصرها ، وإنى

إن ما قيل من أن أمريكا ستمنحنا قروضاً لتنفيذ مشروعاتنا الإنتاجية ، والاجتماعية والثقافية لم يكن إلا خداعاً ، وبهتاناً . فها نحن بعد أربعة عشر شهراً من قيام الثورة لم نر شيئاً ، ولم نصدق شيئاً .

لا بد من الاعتماد على أنفسنا .

إن أمريكا مرتبطة تمام الارتباط بحليفاتها إنجلترا . وللافتين عدو مشترك هو روسيا . وأمريكا لا ترضينا لتغضب إنجلترا .

لا تصدقوا أن أمريكا ستساعدنا ، فإنها وحليفها إنجلترا خطتهما واحدة . .

### الخطر على روحانية الصحراء

من اتساع الرغاء المادى

عرضت مجلة (إيكونومست) لموضوع مهم يتعلق بالبترول فى صحارى بلاد العرب ، والروحانية التى كانت تتجلى على تلك الصحارى قبل الشراء الطارىء ، وما يخشى على تلك الروحانية من خطر ينشأ عن اتساع الرغاء المادى الطارىء عليها بسبب استغلال آبار البترول .

ولما وقع نظرنا على ملاحظة هذه المجلة الأجنبية تذكرنا حديث عمرو بن عوف فى

وكل مسلم على وجه الأرض مشتركون فى كل ما يقرره المؤتمر الإسلامى فى القدس لإزالة هذه السبة عن الإنسانية التى وقعت كارثة فلسطين تحت سمعها وبصرها .

إن هذا بغى ، والبغى مصرعه وخيم ، وعلى الباغى تدور الدوائر ، وإن الله بالمرصاد للظالمين .

وإنى لأهيب بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجودوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل إنقاذ المشردين الجائعين من أهل فلسطين ، فإن فى إنقاذهم محواً لعاريهدد كيان البشرية بأسرها ، وإنقاذاً لكرامة المسلمين أمام العالم ، والله يوفقنا ويهدينا سواء السبيل .

### أقيوم

استطاع البكباشى جمال عبد الناصر فى خطبة له أن يصور حقيقة الموقف السياسى بوضوح ، ودقة ، وإيجاز ، قال :

إن ما يزعمه د العالم الحر ، من مساعدة الشعوب الصغيرة ليس إلا د أفيونا ، لتخدير هذه الشعوب كى تنام ، ويظل هذا د العالم الحر ، مسيطراً عليها .

لأنهم يعتبروننا أسواقاً لترويج منتجاتهم ، ولأنهم يهبون أرزاقنا ويسرقونها ويقدمونها لأهلهم ، ويعطوننا بدلاً منها وعوداً كاذبة .

السودان عن مصر بأن تقيم دولة مستقلة صورية قبل انتهاء عام ١٩٥٣. ثم تعقد هذه الدولة مع بريطانيا مثل معاهدة ليبيا مثلاً... وربما كنا أطلقنا نحن المصريين في ذلك الوقت على السودان اسم «دولة السودان المزعومة». وكان ذلك كله قبل حركة الجيش بشهور قليلة. ولذلك حرصنا عندما قمنا بالحركة على أن نتصل بالسودانيين أنفسهم لنتعرف على رغباتهم التي هي رغباتنا. فهم يريدون إجلاء المستعمر كما نريد نحن. وقد واجهنا الحقائق بشجاعة ففرقنا مناورات ومؤامرات المستعمرين.

### أسوان بين أمهرها وعمرها

خطب السيد رئيس الجمهورية في أهل أسوان عند زيارته لهم في الشهر الماضي، فكان مما قاله لهم:

«كان جهد الحكام في العهد المنقرض يقف بهم عند المديرية القريية من القاهرة. أما أنتم فأبعد ما تكونون عنهم. لقد كانت مديرياتكم وعواصمها ومراكزها منفي لا يبعث اليه إلا بكل مغضوب عليه مطرود من رحمة الله ولا يشارككم مشاق العيش إلا من لفظته الحكومة. مع أن مديرية أسوان هي صلة الوصل بين شقي الوادي، والشريان الذي يصل الرأس بالجسد. وان هذه المنطقة وما حوالها

صحيح البخاري الذي يرويه عنه المسور بن مخرمة وهو قول رسول الله ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وهذا الحديث من اعلام النبوة».

والمال في نفسه ليس خطراً على فرد ولا على جماعة، ولكن الخطر ينشأ عن وضعه في غير مواضعه، وعن استعماله في المهم دون الأهم، والاستجابة فيه لوجي الساعة فلا نصغي إلى نداء المستقبل.

### انقاذ السودان

كشف الصاغ صلاح سالم عن سر خطير يذاع للمرة الأولى، فقد أوضح في الخطاب الذي ألقاه في جامعة القاهرة كيف أن الاستعمار البريطاني كان قد أعد خطة لفصل السودان عن مصر قبل انتهاء عام ١٩٥٣، قال:

«في ابريل عام ١٩٥٢ قدم الحاكم العام للسودان الذي كانت له السلطة الأولى مذكرة لمصر تتضمن الملاحظات على دستور الحكم الثنائي. وكانت أهم نقطة في هذا الدستور تقول: «يحق للسودان أن يقرر مصيره في عام ١٩٥٣ إذا أراد». ومعنى ذلك أنه كان من الممكن أن تمضي بريطانيا في سياستها لفصل

### الزراعة فى الواحات

وزعت وزارة الزراعة على أهالى الواحات الداخلة والخارجة عشرة آلاف شجرة من الزيتون والمواالح والعنب والرمان والمشمش بالمجان ، كما وزعت عليهم أشجاراً خشبية لاستعمالها كسياج لمقاومة سفو الرمال على مزارعهم . وذلك رغبة فى توفير ما يكفى حاجة البلاد من المواالح والفاكهة والتصدير منها .

### موقف مصر الاقتصادية

أتى الدكتور عبد الجليل العمري وزير المالية والاقتصاد محاضرة فى قاعة يورت موضوعها « ما نريده فى شئوننا الاقتصادية ، وما قاله فيها :

لاشك أن مستوى المعيشة منخفض فى مصر وهذه حقيقة تحز فى نفوسنا ، ومرجع هذا إلى تزايد عدد السكان . وقد تناول الباحثون هذه الناحية بإسهاب ، وأظهر هذه المشكلة بحللاء بمقارنة الزيادة المطردة فى السكان بالزيادة فى موارد الإنتاج على اختلاف أنواعها من أراض ومصانع ومصادر للقوى المحركة وما إلى ذلك ، وأهم ما يسترعى النظر فى هذا الصدد هو أنه بالرغم من نمو الاستثمار الصناعى فإن عدد المشتغلين بالصناعة فى آخر

هى التى شهدت فى الماضى مولد مجد مصر وحضارة مصر ، وهى التى قام بها خزان أسوان واحتملت فى سبيل إقامته - المرة بعد المرة - ما لم تحتمله مديرية أخرى .

وقد كان خزان أسوان - ولا يزال - الجهاز المحكم فى صدر حياتنا ، أعنى النيل العظيم ، وسيكون فى الغد القريب بإذن الله مصدراً لرزق جديد . فسنولد منه الكهرباء فينبق نورها يضيء ، وتطلق حرارتها تخلق صناعات كبيرة كصناعة السباد والحديد .

إن التاريخ يعيد نفسه ، فلقد خرجت الحضارة من بلادكم ، وستساهم بلادكم فى وضع أساس الصناعة المصرية الفخمة التى تؤمن إيماناً عميقاً بأنها الوسيلة الناجعة للقضاء على الفقر الذى نكابه ، والمرضى الذى يفنك بأولادنا فتكا ذريعاً . وعندما تقوم هذه الصناعات الفخمة ستفتح المصانع الكبيرة أبوابها لأولادكم ليتعلموا فيها ولينتجوا مصنوعات تزيد من دخلنا وتعيننا على أن ننشئ ما نحتاج إليه من مدارس ومستشفيات ، ونشق ما يلزمنا من مصارف وطرق ، ونستصلح ما ينتظر الإصلاح من أراضينا الزراعية ، ونروى ما يحتاج إلى الرى من مناطقنا الصحراوية .

إنى لا أداعبكم بالأمانى إن أنا قلت لكم : إن اسم أسوان سيظهر فى الآفاق وسيكون على لسان كل إنسان فى عالم الصناعة ، .



ولقد خصصت للحكومة اعتمادات كبيرة في الميزانية الإنتاجية للسنة الحالية والسنوات المقبلة لاستصلاح منطقة تقرب من ربع مليون فدان في مختلف أنحاء البلاد ، كما أنها تسير بخطوات موفقة لاستكمال أبحاث السبد العالي وإعداد وسائل تمويله مما ينتظر معه زيادة المساحة المنزرعة بنحو مليون و ٢٠٠ ألف فدان خلال ١٥ عاما .

ونريد إلى جانب ذلك زيادة الاستثمار الصناعى زيادة مطردة بحيث تستوعب جانباً من الزيادة في عدد السكان ، فإن عدد القادرين على العمل يزداد سنوياً بنحو ١٥٠ ألف نسمة ونريد أن يتحول من هؤلاء إلى الصناعة قرابة ٥٠ ألف نسمة .

ويجب أن نسمى أيضاً لاستغلال الصناعات الحالية إلى أقصى حد ، لاجتناب استيراد ما يماثل منتجاتها ، كما نريد ألا يقتصر تفكيرنا على الصناعات الضخمة ، وليكن الهدف الذى نسعى إليه هو اقتراف أثر اليابان فى الاهتمام بالصناعات الصغيرة إلى جانب الصناعات الكبيرة .

تعداد سنة ١٩٤٧ لم يتجاوز المليون مقابل ثلاثة أرباع المليون فى سنة ١٩٢٧ ، ولم يزد نصيب الصناعة فى الدخل القومى زيادة تذكر ، بينما زاد عدد المشتغلين فى الزراعة من ثلاثة ملايين ونصف مليون فى عام ١٩٢٧ إلى سبعة ملايين ونصف مليون فى عام ١٩٤٧ بينما الأراضى الزراعية تراوحت تقديراتها بين ٥٩ ٥ و ٦ ملايين من الأفدنة مما أدى إلى ازدحام الريف وتناقص إنتاج العامل وقصور الأراضى المزروعة عن تزويدهم بالغذاء الكافى . ولهذا يجب أن نعمل على زيادة الإنتاج من الرقعة الحالية وهو ما نسعى إليه فى الوقت الحاضر عن طريق التقاوى المتقدمة ، وإبادة الحشرات ، واستعمال الأسمدة العضوية والكيميائية ، والآلات الزراعية ، مع تحسين وسائل الري والصرف الحالية .

وتقترن بتحسين طرائق الإنتاج زيادة الرقعة المنزرعة ، وهذا هو أساس إحداث زيادة ملحوظة فى الدخل الأهلى تساعد على زيادة طلب الكثرة على مختلف السلع مما يسهل قيام التصنيع وازدهاره .

ونريد فى السنوات القادمة أن يسير استصلاح الأراضى بنسبة تقرب من نسبة زيادة عدد السكان أو تربو عليها .

## الحياة النيابية فى مصر

من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٥٢

قال الدكتور محمد حسين هيكل فى شهادته بقضية أحمد عبد الغفار : « كان عندنا نقص فى الدستور من حيث أننا مركزون كل السلطة فى القاهرة ، والمالك كان فى يده السلطة والبرلمان والوزارة . أما الهيئات النيابية فى الأرياف فليس لها سلطة مطلقاً ، والشعب ما فىش فى يده سلطة . فكان بطبيعة الحال يضطر أن يجارى السلطة القائمة . وفى مدة الحياة النيابية من سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٥٢ تغيرت فى مصر أكثر من عشرين وزارة ، والمجلس إلى ما يرخص الملك كان يحصل ، والوزارة التى ما تعجبش الملك كانت تقال . »

## الأزهر يستولى على مبنى

من أوقاف عبد العال

طلب الأزهر إلى وزارة الأوقاف ، اتخاذ مبنى الملجأ المنشأ حديثاً من وقف عبد العال مقراً لدراسة الفصول الزائدة من طلاب معهد سمود الدينى .

وقد استجابت الوزارة لهذا الطلب وأحالت أوراق هذا المبنى إلى المحكمة الشرعية للبت فى الموضوع .

## مبادأمر ونيسيا

أعلن السيد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا فى خطبة ألقاها بمدينة (سورا كارنا) أن بلاده ستقف على الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية .

## الانقلاب فى إيران

قال الدكتور مصدق رئيس وزارة إيران السابق فى أثناء محاكمته فى طهران : إن إيران كانت مرتعاً للخيانة ، وإن حكومته لم تكن تتخذ أى قرار سرى حتى تعرفه لندن فوراً . وإن الأجانب هم الذين دبروا انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ ، لا الشعب ، ولا الشاه الذى فرض عليه هذا الانقلاب من الدول الأجنبية .

## محمد على

بمشفق جد الأستاذ سليمان حافظ

صرح السيد سليمان حافظ ، أن محمد على عندما كان يطارد المماليك إلى أقصى الصعيد ، كان يخنار أربعة من زعماء القبائل فى كل بلد ، ويعدمهم بقصد الإرهاب .

وقال السيد سليمان حافظ : إن أحد أجدادى كان من هؤلاء الضحايا فى بلاد النوبة ، وقد شق فى قلعة ابريم .

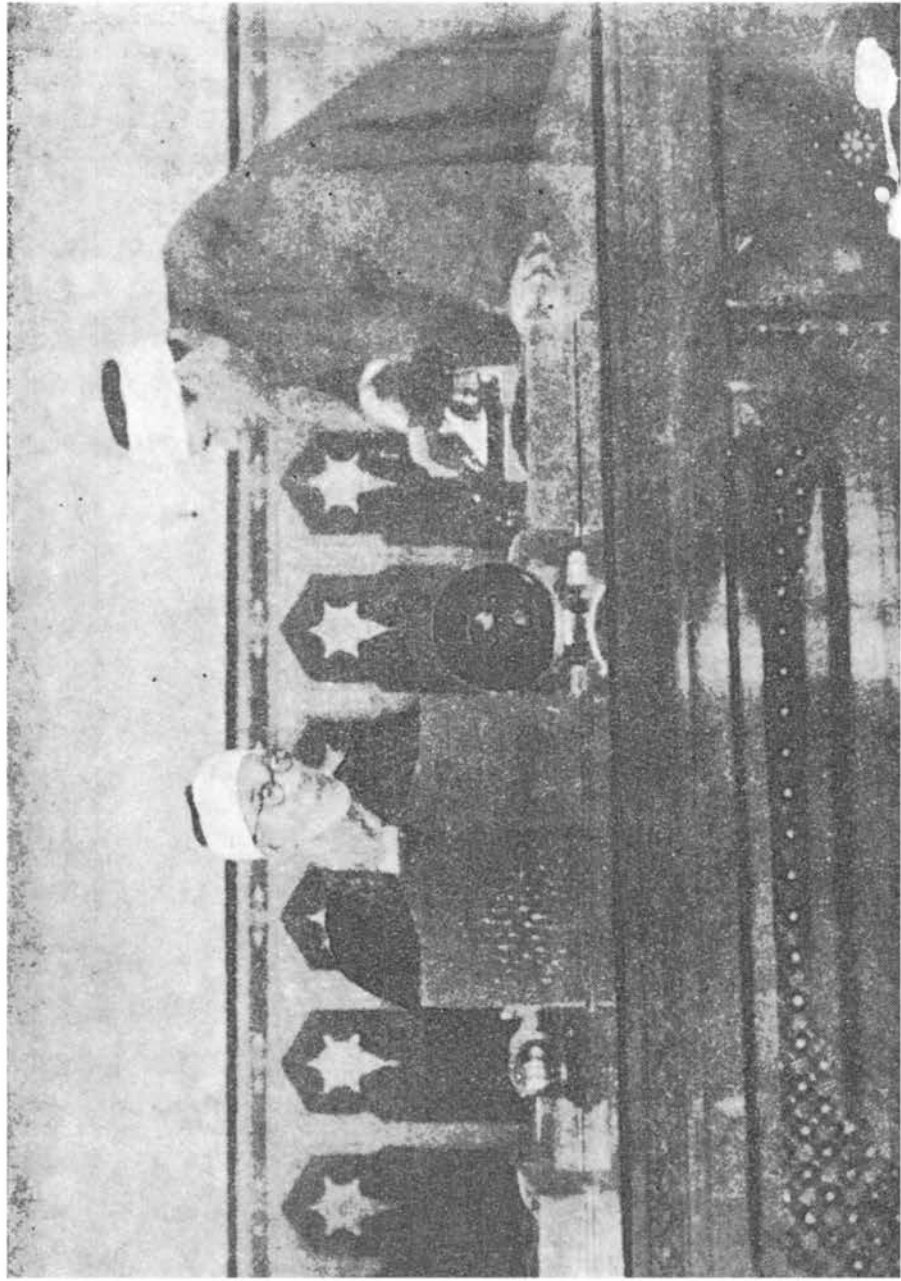
# فهرس

الجزء الرابع — المجلد الخامس والعشرون



صفحة	الموضوع	بـقـم
٣٨٥	يقيم من مصر المتينة . . . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٣٩٨	نفحات القرآن : سحر هاروت وماروت . . .	» عبد الطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٤٠٥	السنة : خصومة الأكاير . . . . .	» طه محمد الساكت المفتش بالأزهر .
٤١٠	مولد رسول ومولد رسالة . . . . .	صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر . . .
٤١٢	ديوان مجد الاسلام — غزوة أحد . . . .	الشاعر الكبير الاستاذ أحمد محرم . . .
٤٢٦	نظرية الدفاع الهجومي بعد انتصار المسلمين في بدر	اليوزباشي أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
٤٣٠	العالم في ظلال المذاهب البشرية . . . . .	الاستاذ أبو الوفا الراغب . . . . .
٤٣٧	الرابط في الاسلام . . . . .	» أحمد الشرباصي . . . . .
٤٤٤	ليس للمرأة شرطا أن تمارس السياسة . . .	صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر . . .
٤٤٦	الرق وآثاره في التفرغ الاسلامي . . . . .	الاستاذ أحمد طه السنوسي . . . . .
٤٥٤	انتكاس الانسانية والحضارة بانتصار شارل مارتل	على عبد الرحمن النافقي . . . . .
٤٦٣	طفيان الاستعمار وخطر الشيوعية : مانأخذ من	صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر . . .
	نظم الغرب وما ندع . . . . .	
٤٦٦	جدد نفسك ( شعر ) . . . . .	الاستاذ صابر على رمضان الجوشنى . . .
٤٦٧	المعاهدات في الدول الاسلامية . . . . .	صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر . . .
٤٧٠	الترجمة العربية لكتاب إيساغوجي ( نقد ) .	الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده . . .
٤٧٧	في أصول النشر . . . . .	الاستاذ أحمد فؤاد الاهوائى . . . . .
٤٨٠	لغويات . . . . .	» محمد على النجار . . . . .
٤٨٥	نظرة في شامه . . . . .	» طه الزينى . . . . .
٤٨٨	الدخيل وكتب التفسير . . . . .	» محمد محمد أبو شهبه . . . . .
٤٩٣	الحساب الفلكي . . . . .	» محمد أبو العلا البنا . . . . .
٤٩٨	كنوز بلاد سدوم . . . . .	» إحسان النمر . . . . .
٥٠٠	الكتب . . . . .	قلم التحرير
٥٠١	الادب والعلوم في شهر . . . . .	» »
٥٠٤	العالم الاسلامي في شهر . . . . .	» »

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر





## مشيخة الأزهر الشريف

تعيين صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج

قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة يوم الخميس ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ (٧ يناير سنة ١٩٥٤) الموافقة على قبول الاستقالة المقدمة من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر ، واختار لهذا المنصب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج عضو جماعة كبار العلماء وأستاذ الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة إبراهيم وعضو لجنة وضع مشروع الدستور . وفي يوم السبت ٤ جمادى الأولى (٩ يناير) صدر قرار مجلس الوزراء الخاص بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخاً للأزهر ، وقد أبلغته السكرتيرية العامة لمجلس الوزراء إلى فضيلته .

وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج مولود بمدينة أسبوط سنة ١٣١٤ (١٨٩٦) ونال شهادة العالمية بالمرتبة الأولى سنة ١٣٤١ (١٩٢٣) وشهادة التخصص بالمرتبة الأولى أيضاً سنة ١٣٤٥ (١٩٢٦) وعين بعد تخرجه مدرسا بمعهد أسبوط الديني ثم نقل إلى المعهد الأزهرى سنة ١٩٣١ ثم اختير أستاذا بكلية الشريعة سنة ١٣٥٢ (١٩٣٣) . وفي سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦) اختير عضواً في أول بعثة الأزهر إلى أوروبا ومكث في فرنسا سبع سنوات وثلاثة أشهر . ونال الدكتوراه من جامعة السوربون ، وعاد من فرنسا سنة ١٣٦٢ (١٩٤٣) فاختير للتدريس في قسم تخصص القضاء الشرعى ، ثم عين مفتشاً للعلوم الدينية والعربية بالمعاهد الأزهرية ، وعين شيخاً لمعهد الزقازيق الدينى ، ثم شيخاً للقسم العام والبحوث الإسلامية بالأزهر ، وعضواً دائماً وسكرتيراً فنياً للجنة الفتوى بالأزهر وقد كان في عضوية هذه اللجنة منذ إنشائها في سنة ١٩٣٥ ، واختير أستاذاً للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق في جامعة إبراهيم ، وحصل على عضوية جماعة كبار العلماء سنة ١٣٧٠ (١٩٥١) وكان موضوع رسالته السياسة الشرعية والفقه الإسلامى . واختير عضواً في لجنة وضع مشروع الدستور الجديد عند تسكيوبها في العام الماضى .

وفي صباح يوم الاثنين ١١ يناير توجه فضيلة الأستاذ الأكبر إلى إدارة المعاهد الدينية حيث تسلم مهام منصبه الجديد ، وكانت في استقبال فضيلته جموع حاشدة من أساتذة الأزهر وطلابه ، وتمالت المآتات بحياة فضيلته وحياة رجال الثورة الأحرار .

وقد أقبل أعضاء جماعة كبار العلماء وأساتذة الكليات والمعاهد الدينية والموظفون الإداريون على مكتب فضيلته مهنئين . وبعد أن استمع فضيلته لكتاباتهم أطل على جموع الأزهريين المحترسين أمام مبنى الإدارة وارتجل الكلمة الآتية :

« أشكر لكم هذه الحفارة البالغة وهذا الاستقبال الرائع . وإنى أرجو أن يوفقني الله لأن أتقدم بالأزهر إلى المكانة العالية التي كان يتبوؤها من قبل

وإنى أبشركم بأن بوادر هذا المستقبل الزاهر المرجو للأزهر قد لمستها في جلسات قصيرة خفيفة مع رجال هذا العهد السعيد . فقد لمست فيهم إيماناً خالصاً وضراعة إلى الله تعالى أن يعينهم على ما فيه خير الأزهر .

والذي أرجوه أن ينصرف كل منا إلى واجبه وأن يحافظ على النظام ، ولا أطيل عليكم ، وسأجل برنامجي في كلمة قصيرة وهي :

انى سأعمل على أن يكون العدل بين جميع الأزهريين رائدى ، وعلى أن يحافظ كل منا - وأنا أولكم - على أداء واجبه . فليحافظ كل منا على أداء هذا الواجب ، وسينال كل حقه كاملاً إن شاء الله ، واهل المستعان ، ويده الحول والطول ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وفي اليوم نفسه زار الأستاذ السيد فتحى رضوان وزير الدولة مكتب صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر في إدارة المعاهد الدينية .

وتوجه فضيلة الأستاذ الأكبر والأستاذ الشيخ صالح موسى شرف السكرتير العام للأزهر إلى قصر الجمهورية وقيدا اسميهما في سجل الزيارات لمناسبة تعيينهما في منصبيهما .

فنضرح إلى الله عز وجل أن يجعل عهده عهد إصلاح وحيوية وتجديد للجامع الأزهر وكلياته ومعاهده ليتجدد به شباب الإسلام ، ويعود المسلمون إلى طريقهم نحو السعادة والرضا الإلهي .

رئيس التحرير  
عبد الله بن الخطاب  
العنوان  
ادارة اجمع الزهر بالقاهرة  
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الزهر

مجلة شهرية بجامعية

تصدر عن شيخ الزهر في اول كل شهر عن

الاشترار السنوي  
٥٠ في مصر ولبنان  
٣٠ للطلبة في مصر والسودان  
٦٠ في الخارج  
٤٠ للطلبة في الخارج  
٥ ثمن الجزء

الجزء الخامس - القاهرة في غرة جمادى الاولى ١٣٧٣ - ٦ يناير ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## وسائل... وغايات...

إن الاستعمار يعالج الآن سكرات الموت ...

وبعد أن كان التاريخ واقفاً منذ ثلاثمائة سنة يشاهد انسياب هذا الاخطبوط نحو الاوطان الإسلامية - وطن بعد آخر - ليفشب فيها أرجله المصاصة ، ليفرض عليها وصايته - بل عبوديته - في معاشها وحقوقها وأسواقها وصناعاتها وأذواقها وثقافتها وأبنائها وغزو عقائدهم بترويج مبادئ تخالفها وإدارة بلادها بما لا يتفق مع مصالح أهلها والقضاء بينهم في حقوقهم ودمائهم بأحكام غير أحكامهم ؛ رأيناه بعد الحربين العالميتين واقفاً يشهد قصة انسحاب هذا الحيوان المفترس : فرغت هولاندا قبضتها الحديدية عن إندونيسيا بعد أن تحكمت فيها أكثر من ثلاثمائة سنة ، وانكش الاستعمار البريطاني من باكستان والهند بعد أن استغل كل ما فيهما من مدر وجر وشجر وبشر مدة مائة سنة استغلالاً سافراً ومدة خمسين سنة أخرى قبل ذلك باسم الضيافة والتجارة وصيانة المصالح ، وتحورت البلاد الشامية من الانتداب الفرنسي السمج بعد أن عانت منه الامرين فيما بين الحربين ، وانقلابت إيطاليا من ليبيا وأريتريا فقبعت في حذاء وطنها المغمور في البحر لتستيقظ فيه من أحلام موسوليني بتجديد سطوة الرومان وجبروتهم على الأرض . وها نحن الآن نرى السودان مقبلاً على



عهد جديد من حياته العامة تتولاه وزارة من أبنائه الاحرار بإشراف مجلسيه النيابيين عليها ،  
وسيسجل التاريخ عما قريب خروج آخر جندي أجنبي من منطقة القنال في مصر ، ثم من  
فلسطين ، وشمال إفريقيا ، ومن كل بقعة أخرى في دنيا المسلمين .

إن هذه الاحداث من أعظم أحداث التاريخ ، وما بقى منها أيسر مما أتم الله به نعمته  
علينا حتى الآن . وإن عظمة هذه الاحداث في عواقبها أهم وأغزر بركة من بوادرها ،  
بشرط نحتم لا مناص منه وهو أن يضع المسلمون حداً لحياة الارتجال ، وأن يفتخوا إلى رأى  
حكيم فيما ينبغي لهم أن يأخذوا وما ينبغي لهم أن يدعوا ، وأن يرسموا طريقهم السوى إلى  
مستقبلهم الذى هم ماضون إليه .

هذه العملية ، عملية تكوين الرأى الحكيم فيما نأخذ وما ندع ، وعملية رسم الطريق  
إلى المستقبل ، هما شطر العمل العظيم الذى نحن مقبلون عليه وهو إقامة كياننا الكريم  
في الخلافة على الأرض ، أو في الخلافة الصالحة على أرضنا وشعوبنا فى الاقل .

الاساس يجب أن يكون متناسباً مع البناء الذى سيقوم عليه . فاذا أراد الفراش أن  
يقم سرادقا لحفلة تنتهى فى ليلة ثم يقوض سرادقه فإنه لا يحتاج إلى إقامة أساس للسرادق .  
وأنا لما بنيت بيتى فى روضة القسطنطين رأى المهندس أن متراً واحداً تحت الأرض يكفى  
لإقامة الأساس الصالح للبيت . ولكنهم لما أرادوا أن يقيموا فى ميدان التحرير هذا البناء  
المجمع الذى لا تقل مرافقه عن مرافق بلدة من ضواحي القاهرة احتاجوا إلى أن يبذلوا  
من العناية فى أساسه المتوارى تحت الأرض ما لا يقل عن عنايتهم بإقامة هذا الصرح الجسيم  
الذى لا يضارعه بناء آخر حتى الآن فى بلاد الجمهورية المصرية . إن كل أساس يجب أن  
يكون متناسباً مع كل بناء يراد إقامته عليه ، وقد يما قالوا «على قدر أهل العزم تأتي العزائم» .  
رأينا كثيرين ممن يشتغلون بالامور العامة يتساحون فى البدايات على أمل أن يتلافوا  
ذلك فيما بعد . ومثل هؤلاء كمثل المهندس الذى يريد أن يقيم بناء كالبناء المجمع فيتساح فى  
أساسه على أمل أن تكون العناية مبذولة بعد ذلك فى تقوية البناء الذى سيقوم فوق الأساس .  
إن هذا التساح عظيم الخطر ، وهو عمل من يبنى ليومه ، ولا يبالي بما يؤول إليه بغيانه فى غده .  
هو عمل الفراش الذى يقيم السرادق لاجل ليلة واحدة ، لا عمل المهندس الذى أشرف على  
تشيد البناء المجمع لبقى كما هو بعد دهر طويل .

نحن مقبلون على تشييد بناثنا الاعظم وتكوين كياناتنا الخالد ، وكما نفعل هنا سيفعل أمثال لنا في الشام والعراق والمملكة السعودية واليمن ، وإخوان لنا في الباكستان واندونيسيا وفي كل بقعة من دنيا المسلمين . كل ناحية من هذه النواحي تنظر إلى نظائرها في النواحي الأخرى لتقتبس منها ولتنقل عنها ولتسير على موطئ أقدامها وآثار خطواتها . يقول مكون كياناتنا الأول ، باني ببيان النظام الإسلامى الخالد صلوات الله وسلامه عليه : « أيها الناس ، إن لكم معالم ... فانتبهوا إلى معالمكم ! » .

ومعنى هذا أن القافلة إذا أوغلت في الصحراء ، حيث تتشابه الجبال والفيافي والأودية ، فإنه ينبغي أن تكون لها معالم تسترشد بها في تعيين طريقها بين مصدرها ومورها ، بين بداية سيرها ونهايته ، وأول معالم كل وحدة من وحدات المجتمع الإنسانى الاعظم هو أن تعلم هذه الوحدة من هي لتعرف بعد ذلك من هم أولياؤها ومن هم شانتوها ، وأن تعرف ما هي أهدافها لتعرف بعد ذلك هل هي تدنو من تلك الأهداف أم تباعد عنها ، وهل ماتهم أن تأخذ به يبسر لها الوصول إلى ما تريد أم يحول بينها وبين ذلك ؟

ولا نستطيع — وقد وصلنا إلى هذا الموقف — إلا أن نعود فنذكر الاسئلة الخطيرة التى وجهها وزير خارجيتنا الاستاذ محمود فوزى إلى أمته ، ولا تزال إلى الآن بلا جواب قطعى يقرن القول فيه بالعمل ، وهذه الاسئلة هى : من نحن ؟ أين نحن ؟ ماذا نريد ؟ ما هى وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟

لإنها أسئلة حكيم ، وقد أضعنا نحو سفتين من حياة الأمة منذ وجهت إلينا هذه الاسئلة . ولو أننا انتهينا فيها إلى نتيجة قطعية لكانت هذه النتيجة صالحة لتكون أساساً يقوم عليه ببيان كياناتنا المنشود .

لقد خرجنا من حياة الاستعمار ، ونريد أن ندخل في حياة التحرير . وها نحن أولاء نحاول أن نتحرر من كثير من عوائق الحرية والاستقلال التى يمكن لها الاستعمار في بلادنا إن لم يكن هو الذى أقامها بعناية قد أجهد رجاله في بذلها ، وسهر على رسم خططها وتنفيذها في جملتها وتفصيلها .

قرأت للكبائى أركان حرب حسين الشافعى فى « رأى » له سديد أعلنه فى العدد الرابع من « الجمهورية » هذه الكلمة البعيدة الغور ، العريقة فى الحكمة :

ولا يمكن القضاء على الاستعمار إلا إذا تعرفنا على وسائله وأسلحته المختلفة ، وحددنا - في نفس الوقت - الأسلحة المضادة التي يمكن مقابلته بها . فقد يستخدم الاستعمار ( المبادئ ) ليغزو بها ( العقيدة ) ، فيجب أن نتسلح بمبادئ وعقيدة تمنع هذا السلاح الخطير الذي يتسلل إلى عقول أبنائنا فيجد لنفسه العون في أبناء الأمة التي يريد غزوها . ولنا في مبادئ ديننا خير العون على مقابلة سلاحه بسلاح أقوى وأمنع .

وعجيب أن يقبته لهذه الحقيقة العظيمة أحد دعاة الثورة وأعلامها ، وبغفل عنها مديرو الجامعات وعمداء السكليات وأساتذتها وقادة الفكر وأهل الرأي .

نعم ، كما أن هناك استعماراً عسكرياً ، واستعماراً سياسياً ، واستعماراً اقتصادياً ، فإن هناك استعماراً عقلياً أيضاً . هنالك استعمار من أسلحته ( المبادئ ) وهو يغزو بها ( العقيدة ) . وكما ينتظر أن يحاربنا الاستعمار بهذا السلاح فإن مما ينبغي لنا أن ندرسه ما سهر الاستعمار على دسه في تربة أوطاننا وعقول متقفينا وقلوب جماهيرنا من قنابل هذا السلاح عندما كان الاستعمار يفرض علينا وصايته - بل عبوديته - في معاشنا وحقوقنا وأسواقنا وصناعاتنا وأذواقنا وثقافتنا وأبنائنا وغزو عقائدهم بترويج مبادئ تخالفها وإدارة بلادنا بما لا يتفق مع مصالح أهلها والقضاء بينهم في حقوقهم ودمائهم بأحكام غير أحكامهم . وأنا أقول عن إيمان واقتناع : إن الاستعمار العسكري لم تطب نفسه بالهزيمة التي منى بها في أوطان المسلمين إلا بعد اطمئنانه إلى أنه قد خلف وراءه في دنيا المسلمين استعماراً عقلياً لعمله أعز عليه من الاستعمار العسكري الذي وطن نفسه على الرضا بما قضى الله عليه به من هزيمة وإفلاس .

إن الاستعمار العقلي شر على الأمم الإسلامية من الاستعمار العسكري : لأن الاستعمار العسكري يستعبد الأجسام والمرافق ، أما الاستعمار العقلي فيستعبد النفوس والقلوب والعقول . ولأن الاستعمار العسكري يدافع عن نفسه برجاله ، أما الاستعمار العقلي فيدافع عنه رجال منا . ولأن الاستعمار العسكري يشترك في الزهرة منه ويساهم في مناصبته العداة خاصة الأمة وعامتها ، أما الاستعمار العقلي فلا يشعر به عامة الناس ، وكثيراً ما يلتبس أمره على خاصتهم فيحسبون ما فيه من سم دسماً ، بل رأينا ألوفاً من المثقفين يمجّدونه ويدافعون عنه ويسمونونه تقدماً وارتقاء . لذلك كان التخلص من الاستعمار العقلي أصعب من التخلص من الاستعمار العسكري ، لأنه مما تختلط فيه الوسائل بالغايات ، وقد يباح في الوسائل ما لا يباح في الغايات .

لما كانت اليابان تحاول في أواخر القرن التاسع عشر ما نحاوله نحن الآن في أواسط القرن العشرين من الأخذ عن الغرب للنهوض بالشرق زار البارون كيتارو كانيكو الياباني الفيلسوف الأشهر هربرت سبنسر العالم البريطاني ، وطلب منه النصيحة لوطنه في أسئلة وجهها إليه ، فكان مما أجابه به الفيلسوف سبنسر :

« إن سياسة اليابان يجب أن تكون لإبعاد الأمريكيين والاوربيين عنها ولو قيد ذراع فإن موقفكم حرج ، والخطر محقق بكم من مزمن لوجود أمم أخرى أقوى منكم . فابدلوا أقصى جهدم في منع الأجانب من أن يتمكنوا في بلادكم ، ويظهر لي أن المعاملات التي تفيدكم ولا تضر بكم إنما هي المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الطبيعية وغير الطبيعية من صادرات وواردات ، فلا تمنحوا امتيازات لأمم أجنبية ، وخصوصاً الأمم التي هي أقوى منكم إلا ما كان لازماً لهذه المعاملات ، فإني أرى أنكم تريدون من تنقيح المعاهدة التي بينكم وبين دول أوربا وأمريكا أن تفتحوا بلادكم كلها للأجانب ولا موالحم ، فساءت هذه السياسة لأنها الضربة القاضية عليكم ، فإذا أردتم أن تعلموا ماسيحل بكم فاقروا تاريخ الهند : أنيلوا إحدى الدول القوية موطن قدم في بلادكم ومستنداً تستند إليه فتتحول إلى الاعتداء عليكم بعد زمن ، ويفضى الأمر إلى النزاع بينها وبينكم ، فتشيع عنكم أن ذلك النزاع إنما هو اعتداء منكم عليها فيجب أن تنأثر لنفسها منكم ، فتضع يدها على قسم من بلادكم وتستعمره بأبنائها وتتخذة قاعدة تحمل منها عليكم لإخضاع سائر البلاد اليابانية . نعم إنكم ستجدون المصاعب في تجنب هذا الخطر ، ولكن إذا منحتم الأجانب امتيازات غير التي ذكرتها سهلتم عليهم ما يسعون إليه . »

والذي نصح به سبنسر لليابانيين يتناول شئون الاستعمار الاقتصادي والسياسي والعسكري . وأفطع منه ما يتعلق بشئون الاستعمار العقلي ، فإن مخازيه أبقى ، وعواقبه أطول ، وأضراره تستعصى على من يعالجونها بعد أحقاب .

إن هذه الحضارة الغربية اندفعت على الدنيا بتيارها الرهيب . والمسلمون منها على ثلاثة مذاهب : أولها مذهب كان يمثله الإمام يحيى باليمن ، وهو أن يسد الباب في وجهها فلا يقبل منها خيراً ولا شراً . والمذهب الثاني يمثله أحد المؤلفين المصريين في الثقافة ، وهو يذهب في كتابه إلى أن حضارة الغرب كل لا يتجزأ ، وعلينا أن نقبلها بخيرها وشرها ، وما فيها من محاسن وفواحش . والمذهب الثالث هو الذي يقول أصحابه بأن هناك وسائل وغايات .

وهو ما أراد أن يوقظنا إليه البسكباشي أركان حرب حسين الشافعي في « رأى ، نشرته له « الجمهورية » ، بعددها الرابع . وهو الذى كان يحول فى ذهن الأستاذ محمود فوزى يوم وقف يسأل : من نحن ، أين نحن ، ما ذا نريد ، ما هى وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟ وقد أدت الكلام حول هذه الأسئلة فى الجزء الرابع من السنة الماضية لمجلة الأزهر .

والآن نوجه هذا السؤال الصريح إلى كل مفكر فى دنيا المسلمين مهما كان مذهبه واقتناعه : هل يرجو أن يخرج المسلمون عن دينهم فيتنكروا له ويتحولوا إلى غيره ؟ أنا أزعم أنه لا يرجو ذلك إلا من فقد عقله وارتضى أن يعيش فى عالم الخيال . وما دام المسلمون سيبقون مسلمين حتما ، فمن الصواب لكل من يواطنهم ويعاملهم وينوئ أن يستمر فى عشرتهم أن يجيب بصراحة وشجاعة على السؤال الأول من أسئلة الأستاذ محمود فوزى فيقول بلا تقية ولا تردد : نحن مسلمون . وإذن فلماذا لا نبني كياننا الذى نفشده على أساس أننا مسلمون ؟ ولماذا لا نمضى فى كل تجديد نستحدثه فى معارفنا ومدارسنا وثقافتنا وآدابنا وفنوننا على أن يكون هذا التجديد إسلاميا ؟ ولماذا لا تفتح جامعاتنا صدورنا للدراسات والبحوث الإسلامية باعتبار أنها دراسات قومية ، وبحوث فى صميم الكيان الذى ننسب إليه ؟ أنا أعلم أن الكثيرين منا يشتمزون من هذا التوجيه ، ويظنون أنه ليس فى مصلحة هذه الأمة . ولكننى مع على بنزعهم أزعم أن روح الاشتزاز هذه من بقايا الاستعمار العقلى ، وأن الاستعمار قد غرسها فى النفوس بعناية ورعاية وطول تفكير وتصميم ، وأن أول ما يجب علينا ونحن فى صدد التجديد والتحرير أن نتحرر من الاستعمار العقلى الذى يريد أن يشكك المسلمين فى إسلامهم ، ويهاجم بين كل فترة وأخرى ناحية من نواحي هذا الكيان الإسلامى ، وإذا غلب الاستعمار العقلى على أمره ووقف من الإسلام وجها لوجه فاضطر إلى الاعتراف به يحاول أن يؤمن ببعضه ويكفر ببعضه ، داعياً إلى الحكم على الإسلام بالحبس بين جدران المساجد فيقتصره على عنصر واحد من عناصره وهو العبادات . أما حياة المسلمين العامة فيريد أن يبسط عليها ظله الاستعماري قاتلا إن حضارة الغرب كل لا يتجزأ . . .

لا يا سيدى ، ولا كرامة . إن حضارة الغرب أصبحت بلاء على الغرب نفسه ، وهويث منها . ومن مظاهر أنينه منها شكوى نيتشه الفيلسوف الألماني التى نشرناها فى الجزء الماضى ( ص ٤٦٢ ) من أن الغرب كان سىء الحظ يوم حرم من اعتناق حضارة

الإسلام . وشكوى كلود فارير ( التي نشرناها في ص ٤٥٤ - ٤٥٥ ) من أن الإنسانية تأخرت في حضارتها ثمانية قرون يوم تغير اتجاه التاريخ بخروج قيادة الحضارة من أيدي المسلمين . ومثل ذلك كلمة هنري دى شامبون صاحب مجلة ريفو پارلمنتير التي اطلع عليها القراء في ص ٤٥٦ من الجزء الماضى

إن حضارة الغرب لم تسكن في يوم من الايام كلا لا يتجزأ ، وقلما يوجد في السكون كل لا يتجزأ ، والذرة التي كان الفلاسفة والطبيعيون يعتقدون من ألوف السنين أنها جزء لا يتجزأ شاهدنا في عصرنا حادثة تحطيمها وتجزئتها فكان ذلك من أعظم أحداث التاريخ . وحضارة الغرب التي يريدون منا أن نقبلها على أنها كل لا يتجزأ - هي في الواقع مكونة من شطرين مختلفين : أحدهما وسائل ، وعماده هذه العلوم المحضة ونتائجها في الصناعات والتنظيم ، وهي مما تعاقبت الأمم والعصور على المساهمة في إيجاده وتنميته والتقدم فيه ، وكان للغرب والمسلمين حظ في ذلك عظيم ، إلى أن وصلت هذه العلوم وثمراتها إلى الغرب ، وهو معترف بأنها علوم عالمية لا تستأثر بها أمة دون غيرها ، ولا يدعى الفضل فيها شعب على سائر الشعوب . وهذه العلوم - من رياضية وطبيعية ، وما أثمرته من صناعات وتنظيم - نعدها وسائل ، ونحرص على الأخذ بها ، والمساهمة في إنهاضها واستثمارها إلى أبعد غايات التقدم والاستثمار . أما الشطر الثاني من الحضارة فهو الشطر الثقافي وما يتعلق منه بالمقومات الأدبية والفكرية والاجتماعية والأغراض الإنسانية ، فهذا مما لا يرى المسلمون أن الإنسانية عرفت منه ما يضارع الذي جاء به الإسلام وجنح إليه المسلمون يوم كانوا مسلمين . ولذلك يعتبره المسلمون من صميم « الغايات » التي لا يرضون بها بديلا ، ويرون أن ما طرأ عليها من تصرف يخالفها في معاهد تعليمنا ومرافق دولتنا وأذواق شعوبنا إنما كان بما دسه علينا الاستعمار من حيث لا نشعر ، أو فرضه علينا بسلطانه العسكري والسياسي ليكون من دعائم استعمار العقل الذي يرجو أن يستخلفه علينا يوم ينكمش استعمارهم العسكري والسياسي عن أوطاننا . ومن تمام تحررنا من الاستعمار أن نتحرر من هذا الاستعمار العقلي بعناية وبصيرة وخطط نرسمها للخلاص منه كالخطط التي رسمها الاستعمار لفرضه علينا وترويجه في مجتمعاتنا وبثه في كياناتنا حتى نستغنى به عن إسلامنا ونتخذ منه « غايات » نكتفي بها عن غاياتنا .

« الوسائل » هي التي نحن في حاجة إليها في نهضتنا وصناعاتنا وأسباب قوتنا . و « الغايات » هي « المعالم » التي أرشدنا مكون كياناتنا محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى أهميتها ، وأمرنا

بأن تنتهى إليها ، وأن نجعلها على مرأى منا ، مادمننا سائرین بقاقلتنا فى فیانى الحیاة . وكل ما نقرط به من « غاياتنا » فهو كسب الاستعمار یقیم فى موضعه احتلالا من استعمار العقل یزحزحنا به عن قلاعنا ومعاقلنا لنفسلخ عن كیاننا الذى لاجل المحافظة علیه نقاوم الاستعمار وإن لم نحافظ علیه بمقاومة الاستعمار العقلی تكمن مقاومتنا للاستعمار العسكرى والسیاسى لهوا ولعبا .

أيها المسلمون ، إن لكم معالما ... فاتموا إلى معالكم !

### محج المرین الخطیب

#### مؤسس « الاستعمار العقلی » فى مصر

كان حسین نخرى باشا یتولى فى وزارة فعمى باشا الثانية وزارتی المعارف والاشغال معا ، وكانت شئون الاشغال كلها فى ید مستشارها مستر جارستن ، وكانت شئون المعارف كلها فى ید مستشارها القسیس دانلوب مؤسس « الاستعمار العقلی » فى مصر . ولیس الحسین نخرى باشا فى كلتا الوزارتین غیر التوقیع والختم . وبعد أن دامت هذه الحال عشر سنین أعطیت وزارة المعارف لسعد زغلول وانفرد حسین نخرى بنختم وزارة الاشغال . وعلى أثر ذلك نشرت ( المؤید ) رجزا بلیغا یقال إنه من شعر شوقى ، وهو هذا :

تعریقى لئذی الوزارتین	تعزیه الشیعة فى الحسین
قد كان یعطى الختم بالیدین	فصار یعطیه لجارستین
مطبعة فى مثل حجم العین	یدیرها الکاتب دورتین
فیظفر الرئی	بملیونین

\* \* \*

زین الوزارات وأى زین      قد استرحت بعد طول الاین  
وكننت متعبا بالاثنتین      كتعب الزوج بضرتین  
فراق دانلوب ، كسد الدین      فلا تعد تلقاه بعد بین  
لا یلدغ المؤمن مرتین

# نَفَحَاتُ الْفَلَّاحِ

- ١١ -

## لَقْمَانُ الْحَكِيمِ

ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن اشكر الله ومن يشكر  
فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غنى حميد

هبة من الله ، تفضل بها على عبده لقمان ، فعاشت ذكراه بين الذكريات الحية ،  
وصارت له نفحة أريجة بين تلك النفحات العلوية التي يتضوع بها القرآن .

فإن يكن لقمان واحداً منا فقد جعله الله مثلاً طيباً في الأولين والآخرين .. وإن يكن  
عبداً أنعم عليه ربه كما ينعم علينا ؛ فقد آتاه الله الحكمة [ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
خيراً كثيراً ] .

فمن - يا ترى - لقمان المذكور في كتاب الله ؟؟ وما الحكمة التي امتدحه بها مولاه ؟؟  
١ - أما هو - فقد حاول أسلافنا أن يحددوا نسبه ، ووطنه .. بل ولونه ، وطول  
قامته .. دون أن يتوفر لهم دليل ثابت على شيء من ذلك ، فاضطرب لديهم القول ، دون حاجة  
إلى هذا الاضطراب ، ثم خرطه بعضهم في عقد النبوة اجتهداً منهم .. وكأنهم استكثروا  
أن يشيد القرآن بغير التبيين ، فهل علينا من سبيل أن ندفع هذا التحرى ولا نخوض فيه ..  
وحسبنا أنه عبد كريم على ربه : أضفى عليه من فضله ما نستمد منه علماً واسعاً ، وهدياً  
نافعاً .. وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ؟؟

٢ - وأما الحكمة التي أوتىها فليست - بالإجماع - ما نعهد من طب وعلاج  
للأمراض الحسية .. وهي بعد ذلك مجال ذهب فيها المفسرون مذاهب شتى .

وإذ كان القرآن أطلقها عن التقييد ، فما بالناس نحصرها في معنى دون آخر ؟؟ لكن



القرآن يريد بها شاملة لكل ما ينطوى تحتها من مواهب ، ولو قصرناها على موهبة دون أخرى لكان هذا تحجيرا لها . . وإشادة القرآن بها تأبى ذلك التحجير .

فليقل ابن عباس - رضى الله عنهما - عن حكمة لقمان : إنها العقل ، والفهم ، والفطنة . وليقل غير ابن عباس : إنها العقل ، والفقه ، والإصابة . أو إنها إتقان الشيء علما وعملا . . . أو هي كمال حاصل باستكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية ، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها . . . فكل ذلك صحيح ، وكل ذلك هو الحكمة ، وليس من سبب للتضييق ، وبجانب ما يبدون من إطلاق القرآن . . . ولعل فيما يغمرنا به العلباء من شواهد الحكمة عن لقمان ما يزيدنا ارتياحا إلى إفراح معناها . . فقد رووا أنه صحب داود - عليه السلام - شهورا ، وداود يسرد الدرع - يصنعها - فلم يسأله لقمان عما يصنع ، فلما لبسها داود وقال : نعم لبوس الحرب أنت ! عرف لقمان فائدتها دون أن يسأل ، وقال : الصمت حكم - حكمة - وقليل فاعله .

وروا أن داود أمره يوما أن يأتيه بأطيب مضغتين من الشاة ، فأناه بالقلب واللسان ، ثم أمره يوما آخر بأخبث مضغتين من الشاة ، فأناه بالقلب واللسان ، فسأله داود ليعرف ما عنده ، فقال لقمان : هما أطيب شيء إذا طبأا . وأخبث شيء إذا خبئا . وهو طبعا لا يقصد مذاقهما أكلا ، وإنما يقصد عملهما ، وذلك يتمثل في الحديث النبوى : المرة بأصغريه : قلبه ولسانه .

وروا كذلك من حكمه : يا بنى . لا تأكل على شبع ، فإن إلقاءك إياه للكلب خير من أن تأكله . يا بنى : لا تكن حلوا قتلبع ، ولا مرا فتلفظ . يا بنى : ذقت المرار فلم أر شيئا هو أمر من الفقر . وحملت كل شيء ثقيل ، فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء .

وهكذا من ماثور حكمه الوفيرة التي عرفت عنه ، ثم صارت أمثالا موروثه على التاريخ وكان من أروعها بهجة ، وأخلدها أثرا ما يرويه القرآن ، ويتخذ من حكايته وسيلة في التهذيب . فإن القرآن كعهدنا به يسوق من قصص الأولين ما يقرب العظة به إلى النفوس ، ويغريها بالقبول ، مستأنسة بمدح من سلف ، فإن التقليد من نوازع الفطرة ، وإذا عرف الإنسان شيئا مدح في غيره هان عليه أن يأخذ به . كما أنه إذا عرف شيئا عيب على غيره رغب عنه وتحاشاه ولو ظاهراً ، ولأن القرآن في هذا وفي غيره أولى بمسيرة الفطرة ، وتوجيه العقول من مسالكها الهينة ، كثر فيه القصص والتمثيل .

وقد اهتدى المربون إلى ضرب الامثال ، حتى ليخترعونها على ألسنة الحيوان ، توصلا إلى بث المعارف المرغوبة ، وتلقيح الفسك بما يراد تزويدها به مصورة في صورة الواقع المحكى .

فيكان من منهج الكتاب العزيز أن يطالعنا بشيء من أدبه محكما عن لقمان في وصيته لابنه : وإذ كان لقمان حريصا أبلغ الحرص على تزويد ابنه بكل خير يرتجيه له في دينه ودنياه كان مأخوذا برحمة الابوة ، مترفقا معه في ألين أسلوب ، حتى ليدعوه في وصيته بلهجة الوالد الواله : يا بني . يا بني . يا بني .

دعوات ثلاث . هتف فيها لقمان بابنه ليستيقظه من غفلته ، ويستحثه على الخير بجمرا في ثلاث غايات : في توحيد الله ، وعمل صالح ؛ وأخلاق حسان .

ويجمل بنا أن نترى مع القارىء في عرض هذه الثلاث المستوضح من خلالها مبلغ الحكمة ، ونقبس من هديها نورا ، نرجو إلى الله أن يدوم .

الغاية الاولى — التوحيد :

١ — يا بني ! لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم ،

بدأ لقمان يغرس في ولده عقيدة التوحيد ، ويطبعه على الثقة بالله وحده ، ويشعره في قوة بأن الاتجاه إلى غير موله شرك ، والشرك ظلم تجفل منه النفوس الطيبة : بل هو الظلم العظيم .

٢ — ثم يركز لقمان هذه العقيدة في قلب ولده فيناديه ثانيا . . يا بني ! ! إنما إنك متقال حبة من خردل ، فتسكن في صخرة ، أو في السموات ، أو في الأرض ، يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير .

يبين لقمان لابنه : أن من خصائص الوحدانية التفرد بالعالم الشامل ، ويؤكد له أن ذلك حق في جانب الله وحده ، وأنها — أى شئون الناس عامة — وجميع حسناتهم ، وسيئاتهم معلومة كلها لله ، وأنه سيأتى بها ويجزى عليها ، مهما غابت عن أذهان خلقه ، أو زعموها ضئيلة كحبة من خردل ، أو حسبوها مع هذه الدقة مستكنة في صخرة ، أو سابحة في السموات أو مقدوفة في مجاهل الأرض — إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء — وقته تعالى من لطفه ، ودقة علمه ، ما يعرف به السر وأخفى . . كما له من عظيم خبرته وكال قدرته ما يدبر به ملكوته ، ويكشف به عن حكمته ، ويحقق به عدالاته .

بهذا الإيجاز الذى جمعه لقمان فى وصف الله باللطف وبالخبرة يوجه ولده إلى صدق الإيمان بالله، والإخلاص فى توحيده، حتى يكون قدر الله تعالى حق قدره كما هو شأن المؤمنين .

٣ — وإنما تكرر نداء لقمان لابنه مرتين فى جانب العقيدة : لأنها الأساس فى تكوين الصلة بالله ، وعليها تبنى الأعمال المقبولة ، وتنهض الأخلاق المنشودة ؛ فـ كل شيء بعدها متفرع عنها ، ومظهر لها . . .

٤ — وبين النداء الأول والثانى من كلام لقمان نرى إضافة جديدة ليست محمية عن لقمان ، وإنما هى خبر من جانب الله سبحانه بأنه شرع طاعة الولد لوالديه قديما ، وألزمه الوصية بهما ، كفاء فضلهما عليه ، ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين ، : أن اشكرلى ، ولوالديك ، إلى المصير . . الخ ، حملته ضعفا يزيد بعد ضعف ، وعانت فى رضاعه حتى فطمته بعد عامين .

وهذه الإضافة — التى يسمونها اعتراضا بين كلام لقمان — مقصودة لتعزيز قضيته مع ابنه ، ومؤازرته فى دعوته إياه إلى الإيمان ، وما بعده من إرشاد . . . فكأن هذه الإضافة تقول : إذا كان من مقتضيات الآبوة أن يبذل الأب لولده إرشاده ، ويبتغى كلا الوالدين لولدهما كل خير ، فقد حق على الولد أن يطيعهما فى ذلك ، ضرورة أن فضلهما سابق عليه ، واننا وصينا قديما بمراعاة حقهما ، وبرهما والمبادرة إلى ترضيتهما فى جنب الله ، حتى ولو كانا على شيء من الشدوذ ، فليصاحبهما فى الدنيا معروفا .

وفى ذلك توجيه شامل نحو حق الوالدين ، يكشف ويؤكد الغرض من حكاية وصية لقمان ، ويكشف ويؤكد أن الوصية بالوالدين مما شرعه الله من فجر التاريخ ، وعززها القرآن فى تعاليمه .

٢ — الغاية الثانية فى وصية لقمان - العمل الصالح .

[ يا بنى ! أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف : الآية ] .

٣ — الغاية الثالثة — الأخلاق الحسان .

[ ولا تصغر خدك للناس : الآية ] .

ونحن نرى : أنه أهاب بابنه مرة ثالثة ، وأنه جمع فى حوزة هذا النداء الثالث كل ما قصد إليه من عبادة وأخلاق ، بعد أن فرغ من دعوته إلى العقيدة وأيدها بالدليل .

وكأنه لم يفرق بين ما يعتبر من رسوم العبادات ، وما يعتبر من الاخلاق : فالصلاة ، والامر بالمعروف ، والقصد في المشي ، وعدم تصغير الخد للناس : كل ذلك من قبيل واحد في وصية لقمان ، باعتبار أنها مظهر العقيدة الصحيحة ، وأنها لا تتوفر إلا عند من توفر فيه إيمان صادق ، فإن يكن للعبادات شأنها الراجح ، وعليها ثوابها المقدور . فكذا ذلك للأخلاق السكرية شأنها الراجح ، وعليها ثوابها المقدور . .

وإن تسكن بين العبادات والاخلاق فروق أخرى : فالدين ينظر إلى الاخلاق نظرة لكبار ، ويعول عليها في قيام الحياة المنشودة كالعبادة ، حتى ليطلبها من أهله مع غير أهله . وقد نعلم من أحكام الشريعة أن الله يحبط عبادة عابد لسوء خلقه ، وأن الله قد يتسامح في حقه مع عبد من عباده لطيب أخلاقه . وما مدح الله عبده ورسوله محمداً - ﷺ - بأصرح مما مدحه في قوله [ وإنك لعلی خلق عظیم ] . وسنة الرسول حافلة بالتوجيه نحو كرم الخلق ، ومنها : أقربكم مني مجلساً يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، الخ . .

١ — [ يا بني . . أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور ] . فهذه أمور أربعة : ما بين صلاة ، وصفات أخرى يغلب عليها الطابع الديني ، وواضح أنها تكشف عن عقيدة سليمة قوية ، فإنه لا يقيم الصلاة ، ولا يأمر بالمعروف حقاً إلا من كان مطمئناً قلبه بالإيمان .

ولا ينهى عن المنكر في إخلاص مشكور إلا من كان متحاشياً لفعل المنكر . ولا يصبر على مصابه راضياً محتسباً إلا من هانت عليه نفسه ، ورخصت عنده الدنيا طمعاً في مثوبة الله ، وثقة بوعده للصابرين .

فتلك أهداف قصد إليها لقمان ، وعلم ابنه أن الآخذ بها آخذ بأكبر وأقوى ما عزم الله به ، وطلبه إلى عباده ، وهي في ذاتها من مقومات النفوس ، ومن بواعث الإجلال ، وأسباب القدوة الحيدة .

ومن هذا لم تسكن هيئة يطيقها ذو همة فاترة ، وإنما هي عظام ، ينهض بها من تسامى عن الهوان ، وتعشق الكمال - إن ذلك من عزم الأمور -

٢ — [ ولا تصغر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ] .

من أمراض الإبل دام يعرف بالصعر ، إذا أصاب البعير لوى عنقه فيصير مائلا ، . .  
 وحينما يبتلى المرء بآفة الغرور ظانا في نفسه ميزة على غيره ، قد يأخذة الإعجاب بنفسه حتى  
 يباهى بتصغير خده ولى عنقه ، على نحو ما نرى فيمن يحدر طربوشه إلى أحد صدغيه ،  
 أو يكفأ عمامته على جبهته ، رغبة في المباهاة ، وحسبانا أن ذلك مما يبرز بهاء الشكل وحسن  
 الهندام . . نرى هذه الظاهرة بادية في رجل انتفخت أوداجه ، تظاهرا بالقوة ، أو الجاه ،  
 أو نحوهما مما يفتن به صغار النفوس ، ونرى مثل ذلك في امرأة زعمت في نفسها ما ليس  
 لغيرها من النساء ، ويقوم مقام هذا النظار أحاديث الغرور التي تساق للتمدح ، والإعلان  
 عن النفس . . فكل ذلك بمقوت ، ولا يرفع من قدر صاحبه .

وقد اعتبره القرآن حكاية عن لقمان مرضا مشوها للخليفة الطبيعية ، وهو مرض الصعر  
 المعروف في الإبل . . وكفى بهذا التشبيه تنفيراً من الكبر والمتكبرين ، وتحقيراً لما يقع  
 من الخدوعين ، فكل غرور مبعثه الغلو في تزكية الإنسان لنفسه ، وحامل له على الاختيال  
 والتبختر يعتبر من الخيلاء وتصغير الخد ، ولو لم يكن هناك تصغير خد .

والمرح - ظهور الإنسان في مظهر الطيش والتمدح بما ليس من ذاتياته ، ككثرة ماله ،  
 أو بسطة نفوذه ، أو بعدد ولده وأهله ، أو امتداد صيته ، واتساع شهرته ، ونحو ذلك  
 من العوارض التي يستغلها المأفون في التمدح ، والافتخار بين الناس .

كل ذلك مسخوط عند الله تعالى : وغير محبب إلى القلوب ، وهو مناف لما يدعو إليه  
 القرآن من التجميل بمكارم الأخلاق ، والتلطف في استرضاء الغير ، وتوثيق المحبة ، وقد  
 أذر الله بكراهيته أصحاب الاختيال - وهم الصنف الأول ، وأصحاب الفخر - وهم الصنف  
 الثاني ، إن الله لا يحب كل مختال فخور . . وإذا كانت كراهية الله لا حقة بمن يلتفت  
 بالخيلاء والفخر الصارفين عن السكال ، فماذا بقي للمختال أو الفخور من حظ ؟؟

٣ - [ واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ] .

عند التجميل يكون البدن بإزالة الأوساخ ، ثم يثنى بالملبس الجميل ، وهذا ما يسميه  
 العلماء - تخلية ، وتخلية - وقد جرت وصية لقمان في هذه الآية على التخلية ثم التخلية ، فهي  
 تطلب عدم تصغير الخد ، وعدم المشى مرحا في الأرض ، ثم تأمر بالقصد في المشى وهو  
 الاعتدال : فلا تبخر ، ولا هوج ، ولا شذوذ عن السمت المألوف ، وهو التوسط المقبول .

وقد كانت مشية الرسول صلوات الله عليه بين السريع والبطيء ، وروى عنه عليه السلام أنه قال : سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن ، وذلك أنها تدل على الخفة .

وقد يتباطأ بعض الناس في مشيته تظاهرا بالتقوى ، ويحاولون أن يكسبوا ثقة الناس فيهم ، وهذا أيضا من الرياء والخيلاء ، وقد رأى عمر رجلا مطأطأ الرأس في مشيته فقال له : ارفع رأسك ، فإن الإسلام ليس بمريض . . . ورأت عائشة - رضى الله عنها - رجلا كاد يموت في مشيته ويتخافت في حديثه ، فقالت : ما لهذا ؟ فقيل لها : إنه من القراء ، فقالت : كان عمر - رضى الله عنه - سيد القراء ، وكان إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع .

والغض من الصوت : الخفض منه والتهديته ، وذلك أوفر للراحة ، وأحب إلى النفوس وأخف على المسامع . وربما كان الجهر بالصوت وسيلة من وسائل الخيلاء تظاهرا بالسلطان ولفتنا للأنظار ، وإعلانا بالرهبة .

وقد جاء تشبيهه بصوت الخير غاية في استهجانه ، وتأكيده لقبحه ، والتنفير منه ، ومفهوم أن القصد في المشى والغض من الصوت مطلوب في ذاته : إذ لم يدع داع إلى شيء منهما ، وعند الداعي لا يكون حرج . والضرورة تقدر بقدرها .

وإلى هنا تكون وصية لقمان حكمة من حكمه الجامعة ، جمعت من الخير قسطا غير قليل : ففيها التوحيد ، وفيها فروعه ، وفيها أدب الدين والدنيا .

ورب قائل : إذا كانت الحكمة دية من الله تفضل بها على لقمان ، فأى فضل للقمان فيها حتى يمتدح من أجلها ؟

والجواب - أن الخير كله من جانب الله تعالى . . وليس هناك جهة أخرى يستمد منها العطاء ، ولكن الله يعطي تكمرا ، ثم يشكر تفضلا . فن تمام نعمائه أن يحمده لعبده كيف تلقى نعمته ، وكيف تصرف فيها على وجهها الحق . إذ يكون العبد برهن على أن الله وضع نعمته موضعا ، والعمل ذلك هو الوجه في أن المولى سبحانه يحب أن يرى آثار نعمته على عبده ، كما في الحديث .

وقل مثل ذلك في كل نعمة تكرم الله بها على عبده : من علم ، أو مال ، أو قدرة ، أو جاه وسلطان ، ( إن الله لذر فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ) .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

# السيرة

## خصوصية الأكابر



خصوصية من طراز آخر — شذرة من تاريخ الصديقة — أبرز صفاتها — شذرة من حياة ابن الزبير — هجرة الأكابر للتأديب — حسنات الأبرار — ألطف الخيل في إصلاح ذات البين — ابن بار وأم حنون — خصوصية الخير والبركة .

عن عروة بن الزبير قال : كان عبد الله بن الزبير أحبَّ البَشَر إلى عائشة رضي الله عنها ، بعد النبي ﷺ وأبي بكر ، وكان أبرز الناس بها ؛ وكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله تصدّقت<sup>١</sup> ! فقال ابن الزبير : ينبغي أن يؤخذ على يديها !! فقالت : أيؤخذ على يدي ؟ على نذر إن كلمته ! فاستشفع إليها رجال من قريش ، وبأحوال رسول الله ﷺ خاصة ، فامتنعت ؛ فقال له الزهريون أحوال النبي ﷺ — منهم عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، والمسور بن مخرمة — : إذا استأذنا فاعتقم الحجاب ، ففعل ، فأرسل إليها بعشر رقاب ، فأعتقهم . ثم لم تزل تعتقم حتى بلغت أربعين ، فقالت : وددت أني جعلت حين حلفت عملاً أعمله فأفرغ منه . رواه البخاري<sup>(١)</sup>

\* \* \*

سقنا حديث الجزء الماضي — مكتفين به — شاهداً عدلاً على أنبل خصوصية عرفها التاريخ . ثم بدا لنا في آخر الأمر أن نسوق حديث هذا الجزء شاهداً آخر من طراز آخر ، يختلف عنه سابقه بأنه مس رابطة الصحبة وجلالها ، ويختلف هو عن سابقه بأنه أثار عاطفة

(١) في باب مناقب قريش من أوائل كتاب المناقب ، ورواه مطولاً في باب الهجرة من أواسط كتاب الأدب ، وفي الرواية المطولة تفصيل لكثير مما أجل في هذه الرواية المختصرة ، استعنا به في الشرح .

الرحم ودلالها ؛ ثم يختص هذا بالطف الحيل وأشرف الوسائل إلى بلوغ المثل الأعلى في صلة الرحم ، وترضية الأم ، على حين يتفق الشاهدان كلاهما في أصالة النبل والفضل ، وجلالة العبر والذكرى !

\* \* \*

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ودوداً كريماً ، وفيماً أبيعاً ، فطناً ذكياً ، لا يبلغ أحد مبلغه من مكارم الاخلاق ، حاشا من بعث ليعتمها صلوات الله وسلامه عليه ؛ وكان إلى ذلك مرهف الوجدان ، رقيق الحس ، ومن هنا كانت تعتريه - إذا مس أحد عقيدته أو مروءته - حدة ربما غلبت على حزمه وعزمه ، وهما من نفسه الآية في حصن حصين ؛ وقد لخص ترجمته ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله عنهما في كلمة جامعة فقال : « كان أبو بكر خيراً كله على حدة كانت فيه ، وإيم الله إنها فورة الحق ، وغضبة الإيمان والصدق وإنها لفضيلة من فضائله ، وإن عابها هو من نفسه الكريمة رضوان الله عليه ، وكذلك كانت ابنته الصديقة رضى الله عنها .

ورثت عنه كثيراً من مكارمه ، كما ورثت عنه حدته التي كانت تعتريه ، إلى جانب ما ورثت من مكارم النبوة من شمائل وفضائل جعلتها بالمنزلة التي لا تسامى عند خاتم النبيين . ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه يغفر لها حدتها ، ويحییها من أبيها إذا هم بها ، وقد بدرت منها بادرة تستوجب المؤاخذه والتأنيب .

\* \* \*

وكان من أبرز صفاتها رضى الله عنها كرم وجود ، وإففاق في سبيل الله والرحم لا يبق على شيء ، وحسبك أنها ابنة الصديق أجود الناس بعد زوجها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وكان عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهما أحد العبادلة ، وأحد الشجعان من الصحابة ، وأحد من ولى الخلافة - أحب الناس قاطبة إلى خالته عائشة بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر رضى الله عنه ، كانت أشد حباً له من أبويه وأقرب الناس إليه ، ومن آيات هذا الحب أنه لما أخذ من وسط الفتى يوم الجمل وفيه يضع وأربعون جراحة ، أدت إلى البشير الذى بشرها بأنه لم يمت عشرة آلاف ! .



وأساس هذا الحب أن عبد الله أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة ، وكانت يهود تقول : قد سحرناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد ، فكبر الصحابة حين ولد وفرحوا به فرحاً شديداً ، ثم جاءت به أمه أسماء إلى رسول الله ﷺ ووضعته في حجره ، فبرك عليه ، وتفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم قال لعائشة : هو عبد الله ، وأنت أم عبد الله ، فما زالت تكنى به وما ولدت قط ، ثم لأنها استوهبته من أبيه فكان في حجرها يدعوها أمأ ، هذا إلى ما لها عليه من حق التريبة ، ثم حق الامومة العامة الذي كتبه الله لامهات المؤمنين على جميع المؤمنين .

\* \* \*

ليس عجيباً بعد الذي قدمنا أن تغضب هذه الام الروم على ابنها العاق غضبة الحق ، وتعترم قطيعته وهجرانه فلا تسلمه أبداً حتى يفرق بينهما الموت ! ثم تؤكد الهجرة ودوامها بنذر عظيم لربها العظيم ، يتفق — إن هي كلمته — مع فطاعة المقرق وبشاعة الجرم <sup>(١)</sup> . وأى عقوق في شرعة الابوة الرحيمة ، والامومة البرة السكرية ، أشد من تسفيه رأيهما والحجر في الخير عليهما ؟ وهل ذنب أم عبد الله أم المؤمنين عند ابنها هذا الذي سخط عليها بيع دارها ، حتى قال لتنتهين عائشة أو لا تحجرين عليها ، إلا أنها طبعت على إغاثة الملهوف ، وصنائع المعروف ، وألا تدع شيئاً عندها من رزق الله إلا تصدقت به ؟ إن أقل عقوبة لهذه الجريمة هي الهجرة حتى الموت ... وكذلك أجمعت أمرها ، ووطنت عزماً ، فلا تردد ولا شفاعة .

\* \* \*

ومن ذا الذي يؤاخذ أم المؤمنين أو يعيب عليها هذه الهجرة ، وهي الفقيه في دين الله ، المتأدبة فيما تدع وتأخذ بأدب رسول الله عليه صلاة الله وسلامه ؟ وأقل ما تنقسم به مثل هذه الهجرة لإباحتها إن لم ينهض دليل على وجوبها .

ولقد هجر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أمهات المؤمنين - للتأديب - شهراً ، وهجر بعضهم أربعين يوماً ؛ وهجر كعب بن مالك وصاحبيه : مُرارة بن ربيعة ، وهلال

(١) نذرهما معلق بدليل إن الشرطية ، واستدلنا على عظمتها بأمرين : معنوى وهو إيهامه ، وحسى وهو إهانتها في كفارة نذرهما أربعين ربة وظنها بمد ذلك أنها لم توفه كما ينبغي له .

ابن أمية ، وأمر أصحابه بهجرتهم — خمسين يوما ، ولولا أن تاب الله عليهم وأنزل توبتهم بعد ما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ما كلوهم أبدا ۱۱

ولقد رأى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه رجلا يضحك في جنازة فقال له مسفها : تضحك مع الجنازة ؟ لا أكلك أبدا . وكان لانس بن مالك رضى الله عنه امرأة في خلقها سوء ، فكان يهجرها السنة والأشهر وهي تتعلق بثوبه وتقول أنشدك بالله يابن مالك ! أنشدك بالله يابن مالك ! فما يكلمها . والنهى عن الهجران فوق ثلاث ليال إنما هو رخصة لحظ النفس ورغبتها ، فأما إذا كان لحوف مضرة أو أذى في الدين أو الدنيا فإنه لا حد له .

وبعد هذا كله فإنه يستعظم من صاحب الشأن في رحم أو قرابة أو علم ودين مالا يستعظم من غيره ، ورب حسنة من صغير تعد سيئة من كبير ؛ ولذلك لم يمنع النبي ﷺ كلام من تخلف من المنافقين في غزوة تبوك كما منع كلام الثلاثة ، ولم يؤاخذهم مؤاخذتهم ازدراء للمنافقين وتحقيرا ، وإعظاما للصادقين وتقديرا .

ومن هذا القبيل كانت عقوبة أم المؤمنين لأحب الناس إليها وأبرهم بها .

\* \* \*

طالت هجرة أم المؤمنين على عبد الله ! ونقصه الله بهجرتها في أمره كله ، ولم يستطع على تلك الحال صبرا ! فأخذ يستشفع إليها بكل جدير أن يشفع ، وهي تقسم بالله لا تشفع فيه أحدا . ولا تخفت في نذرها أبدا ، ولقد بالغت في الرد ، حتى إن الزهريين أخوال النبي ﷺ وذوى قرابته لم ينالوا من الشفاعة لديها مأربا .

ازدادت قسوة الأم على ابنها ، واشتد خوف الابن من هجرها ، فلم يكن بد من إعمال الحيلة ، وتخفيفها في نذرها بكل وسيلة ، رحمة بعبد الله وشفقة عليه ، وليقض الله أمرا كان مفعولا .

كانت أم المؤمنين لا تدخل أحدا في بيتها إلا بإذنها ، ومن دخل قبينه وبينها حجاب ، إلا ذوى محارمها ، ومع هذا فلا يدخلون عليها - حجابها إلا بإذن . وكانت حيلة الزهريين التي بيتوها أن يقبل المسور وعبد الرحمن بعبد الله مشتملين عليه بأردئتهما ، فيستأذنا على أمهما ويقولوا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أندخل ؟ فتقول : ادخلوا ، فيقولوا : كلنا ؟ فتقول : نعم ادخلوا كلكم ، وهي لا تعلم أن معهما ابن الزبير . وكذلك نجحت الحيلة النبيلة في مصالحة أم المؤمنين ... فأنعم بها ! .

دخلوا ، واقنعم عبد الله الحجاب فاعتق أمه ! وطفق يناشدها ويبكي ! وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه ، ويقولان : إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة ، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال .

فلما أكثروا على أم المؤمنين من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي ، وتقول لاني نذرت ! والنذر شديد ! فلم يزالا بها حتى كلبت ابها ، وكفرت عن نذرها . ولا يعلم إلا الله مدى ما اشتمل عليه من فرح الأوبة ، وقبول التوبة . وعردة الابن البار إلى أمه الحنون !!!

وأرسل إليها عبد الله عشر رقاب فأعتقهم جميعاً ، ثم لم تكتف بهم كفارة لنذرها ؛ بل بعثت إلى الين بمال تتباع به رقاباً فلم تزل تعتق منهم حتى بلغ ما أعتقته في نذرها هذا أربعين رقبة مؤمنة .

وهكذا كانت خصومتها خيراً وبركة ، وفتح باب فسيح لتحرير هؤلاء المساكين ؛ ولم لآل أبي بكر من بركات وخير كثير .

ثم كانت بعد ذلك تذكر نذرها وتبكي حتى تبلّ دموعها خمارها وتقول وددت أني جعلت حين حلفت عملاً أعمله فأفرغ منه . . ودعت والله أعلم لو حددت نذرها ، حتى تكون على بينة من الأمر حين تكفر عنه إذا حنث فيه ، لكن هذا النذر المبهم المجهول لا أحد لكفارته إلا أن يطمئن قلبها ، وها هي ذى تعتق أربعين رقبة كاملة ثم تخشى ألا تكون قد وفّت بحق نذرها وأدت إلى الله ما عليها !

وبعد ، فإذا كان في الحديث الأول أنبل خصومة عرفناها بين الإخوان والاصدقاء فإن في هذا الحديث الثاني أجمل مصالحة عرفناها بين الأبناء والآباء ؛ فإن يرد الله أن يعززهما بثالث فإننا نرجو بتوفيقه ومعاونته ، أن يكون في الإصلاح بين السادة الكبراء ، وموعدنا الجزء التالي إن شاء الله ، والله المستعان .

طه محمد الساكت

# الفرع الثمينة في الإسلام

شاهد بأنه من صنع الله لا من انعكاس البيئة

لأستاذ الكبير سيد قطب ، نظرة تحليلية موفقة في أن النظام الإسلامى موحى به من (أعلى) ، وليس نتيجة للفكر البشرى المعاصر . (أسفل) . فهو يقول إن آية ذلك أن النظام الإسلامى عبر القرون ليسير الاتجاه العالمى الآن نحو الاشتراكية مع تميز وأصالة ، فى حين أنه نزل فى عصر الرق . وهذه طفرة لا تتأتى إلا لنظام ربانى !!

والحقيقة أن الدارس للبيئة العربية ، بل للفكر المتداول فى العالم المعروف وقت الجاهلية ، يجد أن الأفكار الإسلامية لا يمكن أن تكون نتيجة الظروف الاجتماعية والفكرية القائمة وقتذاك .

ونحن نستطرد على هامش تلك الحقيقة التى قررها الأستاذ فى تحليله ، لنثبت الفكرة ، ونسوق المثل والأدلة .

## عالمية وإنسانية :

فالامة العربية عاشت فى جاهليتها على العصبية التى تفرق بين الشمال والجنوب ، بل بين القبيلة والقبيلة ، بل بين الانفاذ والبطون فى القبيلة الواحدة . والعالم فى ذلك الوقت كان حديث عهد بالاطوان الصغيرة والنزعات المحلية والآفاق الضيقة ، وكان توسيع الرقعة وتكوين الإمبراطورية لا يذيب شخصية البلدان المقهورة والشعوب المغلوبة بحال من الاحوال .

وفى هذه الظروف يأتى الإسلام ليجعل وطنه فى جميع العالم ، ويجعل أمتة مشاعة بين كل الاجناس . فباستثناء أمتار مربعة من الأرض فى مكة هى البيت الحرام ، وأمتار أخرى فى المدينة هى المسجد والروضة النبوية المطهرة ، وأمتار فى ثالث الحرمين فى المسجد الأقصى باستثناء هذه المواضع الثلاثة كل الأرض سواء وجميع الاوطان سواء . والأرض كلها جعلت مسجداً وطهوراً .

والدنيا بتخومها الجغرافية وحدودها السياسية لا تصلح لأن تكون سبباً للنزاع، وأساساً للعواطف الموضعية المحدودة ، فكلها تشترك في صفة « الأرض » ، لذلك ترد هذه الكلمة كثيراً في سياق القرآن لنذكر الناس بحقيقة الوضع « يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون » ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ، « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . وهكذا تصبح الأرض مسرحاً للنشاط البشرى كوحدة ، تتداول عليها الاجيال دون أن تتعقد النفوس حول تضاريس الطبيعة وفواصل السياسة .

وأبناء الإسلام في حركة قد تدعوهم إلى الهجرة ، فالأرض كلها أرض « ومن يهاجر في سبيل الله يجمد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة » ، فلا يصح أن تحتجز المسلم أرض عن أرض ، ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، ١٩ وفي الحج تدريب عملي إجباري على تغيير الأرض وهجرة الوطن ، إلى أرض لا ترغب في سياحة أو نزهة أو متعة ، حتى لا يكون المسلم أسير إلف ولا عادة « قل إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

والقانون الدولي في الإسلام لا يعرف التقاسيم الجغرافية والسياسية ، إنما يعرف أن الأرض كلها سواء ، وهى محكومة بحكم العقيدة التى تنفسح لكل أرض وتنفسح لها كل أرض ، فهى إما دار حرب أو دار لإسلام ، إلا ما حكمته العهود والعقود حكماً خاصاً .

ورسول الإسلام ﷺ غرس هذه العالمية بسيرته ، فهاجر إلى المدينة رغم نشأته في مكة وحبها لها ، وقد أرسل الوفود لكل حاكم معروف في وقته . وحين هزم المسلمون في أحد ، لم يشأ رسول الله ﷺ أن يدع هؤلاء المسلمين للحدق والضعينة والطيرة ولو بالنسبة لشبر من الأرض فقال « إن أحداً يحبنا ونحبه » .

ومن مقتضيات العالمية « الإنسانية » ...

والإسلام كان إنسانياً لأنه لم يقدس جنساً ليسود على سواء كما لم يقدس أرضاً إلا في أضيق نطاق « كلهم لآدم وآدم من تراب » ، واختلاف الشعوب والقبائل من أجل التعارف والتعاون والتكامل « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

وحلقة الإسلام الأولى «عصبة أمم» ، ففيها عرب من أنساب وقبائل مختلفة ... وفيها صهيب الرومي وبلال الحبشي و سلمان الفارسي ، وما أكثر الأحاديث في فضل هؤلاء من غير العرب .

وإذا كان الإسلام قد ضرب نطقاً حول الجيل الأول من المؤمنين المشهود لهم بحسن البلاء والمبشرين بحسن الجزاء حتى لا ينال منهم عيب اللسان ، فهذا الجيل الأول ممن صحبوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فيهم مختلف الاجناس والالوان .

وإذا كان الله قد اختار العرب ليكونوا حملة رسالته ، فإن هذا يقطع بأفضليتهم لهذا العبء والتشريف ، ولكنه لا يعين أن تكون هذه «الميزة التاريخية» ضربة لازب في كل حال وفي كل حين .

وإذا كان الله قد اختار العربية لتكون لسان دينه الأخير ، فقد فتح الباب لتعلمها على مصراعيه ، حتى تصبح العروبة لوناً ثقافياً ، لا عصبية دموية .

ولقد كان انتصار الإسلام ، انتصاراً للحق المطبق الذي قامت به السموات والأرض في كل زمان ومكان ، لا انتصاراً لأرض على أرض ، ولا لشعب على شعب .

وعمر بن الخطاب الذي أوصى واليه عمرو بن العاص بسكان مصر ، لم يكن عمر العربي الذي لا يابيه بما يناله عمرو العربي ما دام يكسبه من غير العرب ، وما دام يحكم قطراً غير جزيرة العرب .

هذه عالمية ، وهذه إنسانية ، ليس في وسع عقل أن يلحقها بالفكر البشري في وقتها ، وقد كان لا يعرف إلا العصبية .

إنها تقدمية تسير القرن العشرين الذي يبشر فيه بالعالم الواحد والاسرة الإنسانية ، مع فارق واحد ، هو الفارق بين الحق والباطل ، وبين الإخلاص والخذاع .

فالعالمية ، والإنسانية ، قامت في الإسلام في ظل عقيدة تنير الضمير وتكون الضمان ، والعالمية والإنسانية الآن صيحتان لتبرير الاحتلال والاستعمار ، حتى ننسى المظالم ونفرق في العالمية ، والعالميون قولاً يخدمون أوطانهم فعلاً ونحن عليهم متفرجون ، بل من أنفكارهم مقتبسون .

### الحرية لا الرق :

والامة العربية عاشت في جاهليتها وهي تهر الرق في أوضاعها الاجتماعية ، حتى قامت عليه حياتها الاقتصادية ، والعالم كله جرى على الاسترقاق في الحروب إبان ذلك الوقت .

والإسلام يأتي ليقول إن الحرية أصل والرق عرض ، ويجعل النص الصريح في معاملة الأسرى المن أو الفداء ، ويجيز الاسترقاق على قاعدة المعاملة بالمثل ، لأن هذا كان هو الوضع العالمي وقتذاك . . . وهو يضيق مصادر الرق حتى يقهرها على الأسر في حرب شرعية ، ولا يجيز النخاسة والخطف ، وهو كذلك يوسع مصارف الرق فيجعلها من واجب الحكومة في حصيلة الزكاة ، وفي الرقاب ، ويجعلها شريعة على المحكومين في الكفارات والقربات ، فضلاً عن اتفاق الرقيق مع صاحبه على أن يعتقه ويدفع له مالا ويسمى هذا بالمسكينة ، والإمام أحمد في رواية أنها واجبة متى دعا الرقيق سيده إليها على قدر قيمته أو أكثر ، وللرقيق الاتجار ليدفع للسيد الاقساط ، وعلى السيد أن يتركه يشتغل أين شاء وفيما شاء ، والمالكية تجبره على السكسب ليتحرر ما دام قادراً عليه إذا لم يكن معه مال ، والحنفية تجبره على أداء مال المسكينة إذا امتنع عن السداد وكان معه مال . ويشترط الفقهاء أن يراعى في عقد المسكينة حال الرقيق ، كما يرون أن أقل وعد من السيد أو أقل احتمال للوعد بالتحريض يجعل التحرير ضرورياً (١) .

وما يتبقى بعد ذلك من رقيق « شكلا » فإن الإسلام يلغى رقمهم موضوعاً ، إذ يمنع من إرهابهم بالعمل ، ويأمر بمعاونتهم فيما يغلبهم ، وينهى عن إيذائهم حتى بكلمة عبد أو أمة ، ويجعل لهم لباساً وطعاماً كطعام السيد ولباسه ، حتى يصبح الرق مغرملاً لا مغنياً . وإيذاء المملوك بعد ذلك كفارته العتق وحده دون أى شيء آخر .

وحاشى للإسلام وقد ضمن للرقيق هذا العيش الرغيد وضيق الحدود على الاسترقاق أن يجيز الرق كمبدأ وكقاعدة ، واستمع معى إلى علماء المسلمين يقررون ذلك .

يقول النسفي في تفسير قوله تعالى « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » : « قيل لما أخرج نفسك مؤمنة من جملة الأحياء ، لزمه أن يدخل نفسه مثلها في جملة الأحرار ،

(١) الإسلام دين الفطرة - عبد العزيز جويش .

لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها ، من قبل أن الرقيق ملحق بالاموات ، إذ الرق أثر من آثار الكفر ، والكفر موت حكماً ، أو من كان ميتاً فأحييناه ، (١) ١. ١. هـ

ويقول الأستاذ الشيخ أحمد إبراهيم في حكم الوقف : « قال أبو يوسف يزول ملك الوقف بمجرد القول قياساً على الإعتاق بجامع إسقاط المال في كل . وقال محمد لا يلزم الوقف إلا بالتسليم إلى المتولى قياساً على الصدقة المنفذة بجامع التبرع في كل ... ولا وجه لقياسه على الإعتاق لأن الإعتاق لإنلاف للمالية ولإرجاع للشيء إلى أصله ، إذ الأصل في بني آدم الحرية ، وأما الأموال فإنها خلقت لتلك وينفع بها ، (٢) ١. ١. هـ

واتفق الأئمة على أنه لو كان في يد إنسان غلام بالغ عاقل ، وادعى عليه أحد أنه عبده فكذب الغلام ، فالقول للغلام مع يمينه أنه حر . وبتطبيق القاعدة المشهورة « البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر » نجد أن الشرع قد اعتبر أن حرية الإنسان هي الأصل وأن الرق أمر عارض ، فكلف من ادعاه بالبيئة واكتفى من أنكر باليمين . أضف إلى ذلك لإجماع الفقهاء على أنه إذا التقط شخصان لقيطاً فادعى مسلم أنه عبده ، وادعى كافر أنه ابنه ، فإنه يقضى ببذوته للكافر حتى يكون حراً ، ولا يقضى للمسلم حتى لا يكون رقيقاً (٣) ١١١

فهل يمكن أن يكون هذا التشريع من نتاج عقول البشر في عصر الرق ؟  
ألا إن فلسفة العصر كانت تنقسم الجنس البشري إلى « حر بالطبع ، و « رقيق بالطبع » ، فما أبعد الفرق ثم ما أبعد الفرق !

فإذا انتهت طريقة الإسلام التشريعية في التدرج بالإنسانية إلى أن يقل الرقيق بتضييق موارده ، ويزيد العتق بفتح أبوابه ، وإذا تغيرت القاعدة الدولية في الإسترقاق تطبق هذه القاعدة الشرعية المقررة في اعتبار الرق أمراً عارضاً ، وتعامل دولة الإسلام مع غيرها على أساس المقابلة بالمثل بعد أن زال عرف الاسترقاق في الحروب . وفي هذا الضوء يفهم الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر وصححه السيوطي في الجامع الصغير « شر المال في آخر الزمان المماليك » .

(١) - ١ ص ١٨٩ - طبعة الحسينية . (٢) المعاملات الشرعية المالية ص ٣١٤ .

(٣) الإسلام دين الفطرة ص ٦٢ والنظم الإسلامية ص ٣٦٥ .



### التكافل الاجتماعى ... لا الفردية والطبقية :

وفى عصر الرق ، يتخطى الإسلام العصر ويتخطى عصر الإقطاع وعصر الرأسمالية من بعده ليسير الاتجاه الاشتراكى فهو يعتبر الملكية وظيفة اجتماعية وليست تسلطاً وتجبراً . يقول تعالى فى سورة الانعام : « وهو الذى جعل لكم خلافت الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات لئبلوكم فيما آتاكم » . فالتة حين مايز بين الناس فى درجاتهم ، فإنما كان هذا من أجل ابتلائهم واختبارهم ، لا من أجل تأييد التفرقة بينهم ، وإقامة الفوارق الجائرة الجامدة بين طبقاتهم . فمن أوتى مالا فهو مطالب بأن يؤدى واجبه لإزائه ، ومن حرم المال فهو مطالب بأن يطالب بحقه ويبتغى من فضل الله . وبذلك تتساند القوى فى إقامة صرح الحياة ، ويتعاون رأس المال مع العمل على أساس من الاشتراك فى الغنم والغرم ، فيندفع تيار الحياة الاجتماعية وتستمر حركة تداول الثروة ، كما يسير التيار الكهربى بين الموجب والسالب . وصدق الله العظيم . « كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم » :

أما أن تتحكم طائفة فى احتجاز الثروة ، وتستهلك طائفة فى الحرمان ، فإن معنى هذا مخالفة خطيرة لمقصد الشارع من تبين درجات الناس ، وتجميد للطبقات القائمة ، وتضييق مجال التداول والنشاط الاقتصادى . فينقسم المجتمع قسمين : أحدهما قسم موجب مكتنظ الخزائن ، والآخر سالب معروق الابدان ، دون أن يتصل التيار الاجتماعى بينهما بما يحقق التوازن وينير الحياة . وفى هذا الضوء يصدق ما قاله الاستاذ الدكتور محمد صالح رحمه الله « ... التكاليف التى فرضت على المالك تجعل من الملكية وظيفة اجتماعية إن لم يضطلع بها المالك على هذا الوجه زالت ملكيته » (١) .

والتكافل الاجتماعى له سنده الإسلامى فيما يتعلق بمرافق الإنتاج وبحاجيات الاستهلاك فمن ذلك ما رواه أحمد وأبو داود عن الرسول ﷺ ، المسلمون شركاء فى ثلاثة : الماء ، والكلا ، والنار ، وروى البخارى عن جابر ورافع « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمسكها فإن أبى فليمسك أرضه » (٢) ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبى سعيد الخدرى

(١) مجلة « المسلمون » — السنة الأولى .

(٢) روى مثله مسلم عن أبى هريرة وأورد أحاديث فى هذا المعنى أبو داود والنسائى وهذه حجة قعبدأ القى يقول : الأرض لمن زرعها .

« من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل مال فليعد به على من لا مال له - فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل » .

وأخرج الطبري عن حبيب بن أبي وائل : قال عمر بن الخطاب « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لآخذت فضول أموال الأغنياء فتقسمتها على فقراء المهاجرين » . كما قرر عمر ابن الخطاب فيما أخرجه الطبري عن السائب بن يزيد أنه ما من أحد إلا وله في مال الدولة حق يتقاضاه وفقا للقرآن والسنة ، « فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وغناؤه (كفايته) ، والرجل وحاجته » .

ومن كلام عمر يظهر أن الدولة الإسلامية كانت هي التي تلتزم لإقرار التكافل الاجتماعي باعتبارها نائبة عن المجموع ، لذلك جرّد أبو بكر الصديق الجيوش الجارية في أدق ظروف الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ دفاعاً عن الزكاة حق الفقير .

وإلى القارىء كيف فهم فقيه القرن الخامس الهجري نصوص الإسلام هذا الفهم النقدي العظيم - يقول الإمام ابن حزم في كتابه « المحلى » : -

« وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا في سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » ا . هـ

وهو يستعرض نصوص القرآن ، ثم يستعرض نصوص الحديث ويعلق عليها بما يدعم به هذا الرأي فيروى بالسند الصحيح « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » ثم يقول : « ومن كان على فضلا ورأى المسلم أخاه جائعاً عريان ضائعاً فلم يغثه ، فسا رحمه بلا شك » .

ويروى أيضاً بالسند الصحيح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق « ان أصحاب العفة كانوا ناساً فقراء ، وان رسول الله ﷺ قال : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

ويروى كذلك « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » ، ثم يقول : « من تركه يحسوه ويعرى - وهو قادر على إطعامه وكسوته - فقد أسلمه » .

إلى أن يقول ابن حزم : والنصوص من القرآن والأحاديث تسكثر جدا .  
ثم ينقل ابن حزم عبارة عمر د لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ... الخ ، ويقول  
عن إسنادها : وهذا إسناد في غاية الصحة والجلالة .

وينقل عن علي بن أبي طالب بسنده د إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر  
ما يكتفي فقراءهم ، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء ، وحق على الله تعالى أن  
يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه .

وعن ابن عمر د في مالك حتى سوى الزكاة . وعن عائشة والحسن بن علي وابن عمر  
أنهم قالوا كلهم لمن سألهم : د إن كنت تسأل في دم موبع ، أو غرم مفضع ، أو فقر مدقع ،  
فقد وجب حقك ، وصح عن أبي عبيدة وثلاثمائة من الصحابة أن زادهم في فأمرهم أبو عبيدة  
بجمعوا أزوادهم في مزودين ، وجعل يقوتهم إياها على السواء .

إلى أن يقول ابن حزم : فهذا لإجماع مقطوع به من الصحابة رضى الله عنهم ، لا يخالف  
لهم منهم .

ثم ينقل ابن حزم بعد الاستدلال بالقرآن والسنة ثم أقوال الصحابة ، إلى من يلونهم  
فيقول : د وصح عن الشعبي ومجاهد وطارس وغيرهم ، كلهم يقول : في المال حق  
سوى الزكاة .

ثم يختم ابن حزم كلامه بقذيفة - ق مدوية :

د ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاماً فيه فضل عن  
صاحبه لمسلم أو لذى ، لأن فرضاً على صاحب الطعام لإطعام الجائع ، فإذا كان كذلك  
فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير . وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل فعلى قاتله  
القود ، وإن قتل المانع فألى لعنة الله لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية . قال تعالى د فإن  
بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفي إلى أمر الله ، ومانع الحق باغ على  
أخيه الذي له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق مانع الزكاة ، (١) .

وهكذا يقرر ابن حزم بالنسبة لحق الفقير قوتين تسهران على استنقاذه وحمايته :  
الإلزام الحكومى ، والسكافاح الشعبى .

ترى فى القرن الخامس الهجرى كان يعيش ابن حزم ، بل كان يعيش الصحابة والتابعون  
 الذين استند إلى أقوالهم وأعمالهم ، أم فى القرن الرابع عشر الهجرى الذى نعيش فيه ؟

لقد علق محقق كتاب المحلى الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر على هذه النصوص فقال :

« من هذا ومن أمثاله فى الشريعة الإسلامية يرى المنصف أن التشريع الإسلامى  
 فى الذروة العليا من الحكمة والعدل . وليت إخواننا الذين غرتهم القوانين الوضعية وأشربتها  
 نفوسهم يطلعون على هذه الدقائق ويتفقهونها ، ليروا أن دينهم جاءهم بأعلى أنواع التشريع  
 فى الأرض : تشريع يشيع القلب والروح ، ويطبق فى كل مكان وكل زمان ، إن هو إلا وحى  
 بوحى . ولو فقه المسلمون أحكام دينهم ، ورجعوا إلى استنباطها من المنبع الصافى والمورد  
 العذب : الكتاب والسنة ، وعملوا بما يأمرهم به ربهم فى خاصة أنفسهم وفى أمورهم العامة  
 وفى أحوال اجتماعهم - لو عملوا هذا لكانوا سادة الأمم . وهل قامت الثورات المخربة  
 المهادمة ، والفتن المهلكة إلا من ظلم الغنى للفقير ، ومن استثناه بخير الدنيا وبجواره أخوه  
 يموت جوعاً وعرياً . والمثل كثيرة ، ولو فقه الأغنياء لعلوا أن أول ما يحفظ عليهم أموالهم  
 لإسداء المعروف للفقراء ، بل القيام نحوهم بما أوجبه الله على الأغنياء . فليفقهوا أو ليعلموا  
 أو يعملوا ، فقد جاءتهم النذر . هداانا الله جميعاً ، ا . ه »

\* \* \*

### العلم ... لا الامية :

نزل القرآن فى بيئة تفسو فيها الامية ، وصدع بتبليغه نبى أمى ، فكان انعكاس البيئة هنا  
 أن تمجد الامية ، أو يفلسف الامر الواقع .

ولكن القرآن افتتح خطابه للبشرية بالدعوة إلى القراءة والعلم « اقرأ باسم ربك الذى  
 خلق ، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ،  
 والقرآن ملىء بالآوامر بالتدبر والتفكير والعلم ، وبتكريم العلماء وأولى الالباب .

وهو يشير لإشارات دقيقة إلى كتاب الكون ، تستثير البصائر والابصار ، وتحفز الهمم للبحث والكشف ، ثم الإبداع والاختراع . ، سبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، .

وكثير من الباحثين ألمع في إجمال أو تفصيل إلى ما ورد في القرآن من إشارات تتعلق بمباحث علم الفلك ، أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار . وكل في فلك يسبحون ، ، وإشارات تتعلق بموضوع علم النبات ، وأرسلنا الرياح لواقح ، ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ، وإشارات لها صلة بعلم طبقات الأرض ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، ، أو بعلم المناخ ، ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله . وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار . يقاب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ، ، كذلك يلع القرآن إلى علم الاجنة ، يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ، ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفةعلقة ، فخلقناعلقة مضغة ، فخلقنا المصغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فبارك الله أحسن الخالقين ، والآيات في ذلك كثيرة ، حتى استلهم الكتاب من بعضها انقسام الذرة حين ترد عبارة ، مثقال ذرة ، ثم يرد من بعدها ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ، وهكذا .

هذا الاستنفاذ للعلم لم يترك الإسلام لحب الاستطلاع وحده ، بل جعله فريضة لازمة فطلب العلم فريضة كما ورد في روايات كثيرة ومن طرق كثيرة صحيحة . وفي غزوة بدر كان في الأسرى المشركين من يكتب ، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة ، وكان منهم من لا مال له ، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلي سبيله . قال عامر الشعبي : كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين ، فكان زيد بن ثابت ممن علم وأخرج الإمام أحمد عن حديث عكرمة عن ابن عباس حديثا يتضمن هذه الواقعة (١) .

والعلم إذا قصد به وجه الله وامثال فرضه كان عبادة قدسية ، فيها تسبيح للخالق الصانع المبدع بكشف الغطاء عن إتيان الصنعة وإحكام الخلق ، وفيها حمد لله بنشر نعمه وآلائه المودعة في خلقه والمطمورة عن أعين الناس ، وفيها إفادة من قوى السكون التي سخرها فطره للإنسان ، إنما يخشى الله من عباده العلماء .

وفي الشرع ما يسمى بالواجب الكفائي ، وهو ما لو قام به البعض فقد أدى الواجب وسقط الإثم والحرَج عن باقي الأمة ، وإذا لم يقم به أى فرد من المكلفين أثموا جميعاً بإهمال هذا الواجب . ومن ذلك ما يحتاج إليه الناس من مهن وصناعات وحرف ، ومنها الطب والهندسة والطيران والصناعات المختلفة من آلية وكهربية وكبائية وغير ذلك . وليس من سبيل لرفع الإثم عن الأمة جميعها ، وأداء هذا الواجب الكفائي غير التعلم . يقول الإمام ابن حزم في كتابه ، الإحكام في أصول الأحكام ، :

( قال الله تعالى : وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، فبين الله في هذه الآية وجه التفقه كله ، وأنه ينقسم قسمين : أحدهما يخص المرء في نفسه وذلك مبين في قوله تعالى ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، فهذا معناه تعليم أهل العلم لمن جهل حكم ما يلزمه . والثاني تفقه من أراد وجه الله تعالى بأن يكون منذراً لقومه وطبقة ، قال تعالى ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، - ففرض على كل أحد طلب ما يلزمه على حسب ما يقدر عليه من الاجتهاد لنفسه في تعرف ما ألزمه الله تعالى إياه ) .

وقد حدد ابن حزم حداً أدنى للثقافة يلزم غمار العامة ، وجعل الحاكم ملزماً بجعل هذا

القدر من التعليم إجبارياً فقال :

إن كل مسلم عاقل بالغ من ذكر أو أنثى ، حر أو عبد يلزمه الطهارة والصلاة والصيام فرضاً بلا خلاف من أحد من المسلمين ، وتلزم الطهارة والصلاة المرضى والاصحاء ، وفرض على كل من ذكرنا أن يعرف فرائض صلاته وصيامه وطهارته وكيف يؤدي كل ذلك .

وكذلك يلزم كل من ذكرنا أن يعرف ما يحل له ويحرم عليه من المأكل والمشرب والملابس والفروج والدعاء والأقوال والأعمال .

فهذا كله لا يسع جهله أحدا من الناس : ذكورهم وإناثهم ، أحرارهم وعبيدهم وإمائهم .  
وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون ، أو من حين  
يسلمون بعد بلوغهم الحلم ، ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم  
ما ذكرنا ، إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لفاء من يعلمهم ، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس  
بذلك ، وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال ، . ١٠ هـ .

وبعد هذا القدر المشترك ، يعدد ابن حزم ما فرض على كل طائفة تخصصت في عمل  
بعينه من العلم ، فيقول :

... ثم فرض على كل ذى مال تعلم حكم ما يلزمه من الزكاة ، وسواء الرجال والنساء  
والعبيد والأحرار ، فمن لم يكن له مال أصلا فليس تعلم أحكام الزكاة عليه فرضا .

ثم من لزمه فرض الحج ففرض عليه تعلم أعمال الحج والعمرة ، ولا يلزم ذلك  
من لاصحة لجسمه ولا مال له .

ثم فرض على قواد العساكر معرفة السير ، وأحكام الجهاد ، وقسم الغنائم والفيء .  
ثم فرض على الأسراء والقضاة تعلم الأحكام والأفضية والحدود ، وليس تعلم ذلك  
فرضا على غيرهم .

ثم فرض على التجار وكل من يبيع غلته تعلم أحكام البيوع وما يحل منها وما يحرم ،  
وليس ذلك فرضا على من لا يبيع ولا يشتري .

ثم فرض على كل جماعة مجتمعة في قرية أو مدينة أو دسكرة - وهي المجشرة عندنا -  
أو حلة أعراب أو حصن أن يتدب منهم لطلب جميع أحكام الديانة أولها عن آخرها ، .  
فهل تكون هذه الدعوة الحارة للعلم ، إلا بمن د علم بالقلم ؛ علم الإنسان ما لم يعلم ، .

محمد فتحي محمد عثمان

يتبع

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

# جمال الأسلوب القرآني

نقلنا في ص ٢٤٧ من الجزء الثاني لهذه السنة من مجلة الأزهر قول أبي عثمان الجاحظ عن المترجم إذا أراد أن يترجم كتاباً الحكيم من الحكماء : « إنه لا يؤدي ما قاله الحكيم على خصائص معانيه وخفيات حدوده ، إلا أن يكون في العلم بمعانيها وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه . ومتى وجدناه قد تكلم بمسائين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما وكلا كان الباب من العلم أعسر والطاء به أقل كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه » .

ونقلنا هناك قول تاغور الفيلسوف البرهمي الذين اقترحوا عليه في مصر ترجمة كتبه بالهندوستانية باللغة الانجليزية التي يجيدها كأهلها ، فأجابهم : « إن لكل لفظة في لغة من اللغات جواً يحيط بها ويتأثر به سامع تلك اللفظة بتلك اللفظة ولو أمكن أن توجد لكل لفظة في كتبي الهندية لفظة في لغة الانجيز قريبة منها فإن الجواب القوي لتلك اللفظة في لغة الهند لا يمكن نقله إلى لغة الانجيز ، فتأتي الترجمة ناقصة ، ولا تؤدي في اللغة المنقول إليها الصورة الكاملة التي كانت لها في اللغة المنقول منها » .

ثم قلنا يومئذ : إن الترجمة تكون في العلوم الطبيعية والرياضية بالشرط التي ذكرها الجاحظ ، وتكون في التاريخ والسيرة كالتوراة والانجيل . أما في الكلام البليغ المعجز فإن ما ذكره تاغور يؤيد ( استعالة ) ترجمة مثل القرآن . ومن زعم أنه ترجمه فإن عمله ناقص ولا يؤدي صورة الأصل حق لو كان حسن النية ومستوفياً كل ما اشترطه الجاحظ .

والآن لمناسبة نشر المقال التالي نمود إلى التذكير بهذه الحقائق .

## المهم

ليس هدفي في هذا المقال أن أعود إلى إثارة مشكلة ترجمة القرآن من جديد ؛ هل تجوز أم لا تجوز ، ولكن المشكلة التي أردت أن أواجهها الآن هي البحث في الفضية العامة ، قضية الترجمة ، من الناحية الادبية الفنية .

والقضية في صورتها العامة نذهب إلى أن الجمال القرآني يضيع عندما تترجم الآيات إلى لغة غير اللغة العربية . ولكن ما هو هذا الجمال ؟ وكيف يضيع ؟ هذه مشكلتنا الآن . وكثيرون



أولئك الذين يتحدثون عن جمال القرآن ، ولكن من منهم وضع إصبعه على موطن الجمال خفله إلى عناصره ، وبين لنا ما يفقد من هذه العناصر في أثناء عملية الترجمة ، وكيف يفقد ؟ .

وسنبينا إلى بحث هذه المشكلة أن نلجأ إلى المقارنة ، فهى الوسيلة الوحيدة التى نستطيع أن نلص من خلالها تلك الفروق بين النص العربى للقرآن والنص فى الترجمة . وقد يُظن عندما نجد فرقا بين الترجمة والأصل أن الترجمة ليست دقيقة ، وأن العيب إنما يرجع إلى ضعف المترجم ، وأنه إذا وجد المترجم الدقيق فإنه يستطيع أن يقدم إلينا ترجمة كاملة تنقل إلينا ما فى القرآن من جمال ؛ فليست المشكلة فى الواقع مشكلة دقة فى فهم المترجم وفى ترجمته ، فالذين ترجموا القرآن أولوه من العناية والدقة ما لم يولوا به عملا آخر ، ثم إننا إذا كنا نتحدث عن الدقة فليست الدقة هى الجمال ، بمعنى أن الترجمة عندما تكون دقيقة تكون جميلة ؛ فإنه رغم الدقة التى اتصف بها بعض المترجمين لم يخرج نص الترجمة شاملا لكل عناصر الجمال التى يتضمنها الأصل . والسر فى ذلك أن الدقة تهتم بالمعنى ، والترجمة الدقيقة هى التى تحافظ على المعنى المنقول فتحاول أن تنقله كاملا دون زيادة أو نقصان .

وليس القرآن مجموعة من المعانى غسب ، وإلا فإن الترجمة الدقيقة ستنقله نقلا كاملا أميناً ، ولكن هذه المعانى مغلفة بعناصر أخرى تسكبها جمالا ، وهى عناصر لا يمكن ضبطها بالنسبة للشرقى بله الغربى ، ولكنها عناصر تحس وتعمل فى خفاء ، وقد نستطيع أن ننبه إليها ، ولكننا فى الغالب لا نستطيع حصرها وتحديدتها .

ويحسن بنا أن نعرض الآن لآية من الآيات ندرسها دراسة عملية ، ونفارق الأصل بالترجمة ، ونحاول كشف العناصر الجمالية التى فى الأصل وكيف هى تضيع فى أثناء عملية الترجمة .

وقد قلت إن ترجمات القرآن كثيرة جدا ، وسأكتفى فى هذه الحالة بمجموعة منها فقط لقصد المقارنة .

وأقدم ترجمة بين يدي الآن هى ترجمة انجليزية بعنوان : <sup>(١)</sup> The Alcoran of Mahomet

(١) نحب أن نلفت النظر هنا إلى تلك النسبة التى نجدها فى بعض الترجمات ، فليس هو « قرآن محمد » إلا أن يكون المعنى « القرآن الذى أنزل على محمد » صلى الله عليه وسلم .

وهي منقولة عن ترجمة فرنسية قام بها Du Reyer ، وقد ظهرت الترجمة الإنجليزية في لندن سنة ١٦٤٩ .

فإذا أخذنا آية مثل قوله تعالى : « والضحي ، والليل إذا سبحي ، ما ودعك ربك وما قلى ، فإننا نجد في الآية واو القسم وواو العطف وإذا الظرفية في قوله : « والضحي والليل إذا سبحي » . ويبقى بعد عناصر الربط هذه : الضحي والليل ، وهما كما نعلم ظاهرتان كونيتان خالدتان يعرفهما كل الناس في كل زمان ومكان . ووراء لفظي الضحي والليل من ألوان الاحساس ما يشعر به كل إنسان ، فكلاهما - الضحي والليل - مستودع لإحساسات لا يمكن حصرها لأنها تختلف من فرد إلى آخر في قليل أو كثير . ولست أريد أن يجرني السياق إلى الحديث في موضوع آخر هو موضوع العناصر الكونية في الصور القرآنية . فإذا انتقلنا إلى لفظة « سبحا » ، وربطنا بينها وبين الليل ، وجدنا أن هذه الإحساسات الغامرة التي يحسها الناس في الليل على اختلاف أنواعها ودرجاتها قد أخذت تتحدد في نفوسهم ، فلا يتسرب إليهم منها سوى تلك الإحساسات التي يحسونها في الليل إذا سبحا . وكأن كلمة سبحا هنا قد ولدت هذه الإحساسات لأن معناها « سكن » ، فليس السكون وحده هو ما تشعه كلمة « سبحا » ، ولسكنك تحس منها السكون والهدوء ، كما يتمثل لك الامتداد والطول الذي تصوره لك الالام الممدودة في آخر الفعل ، فكأنها تمتد إلى غير نهاية أو إلى غاية بعيدة . ويستطيع كل منا أن يحس أن كلمة سبحا لا يمكن أن يكتب في معناها أو دلالتها بالسكون . ولو أن الآية كانت : « والضحي والليل إذا سكن » ، لفهمنا فيها معنى « افتقدنا جمالا » ، ذلك الجمال هو الذي امتازت به لفظة « سبحا » ، على « سكن » ، وهذا بغض النظر عما في لفظة سبحا من قيمة إيقاعية فلهذا إذا ما وقفنا عند نهاية كل آية من آيات السورة .

وعندما حاول المترجمون أن يترجموا هذه الآية فإنهم أفقدوا اللفظة جمالها الذي نجده واكتفوا منها بالدلالة على السكون ، وفي الترجمة التي سبق أن أشرت إليها ضاعت كلمة سبحا نهائيا . ويحسن بنا أن نقرأ النص . يقول في عنوان السورة : " The Chapter of the Sun rising " وطبيعي أن « الضحي » هنا قد انتقلت إلى معنى الشروق ، ثم يقول في ترجمة السورة :

" I swear by the brightness of the rising of the Sun, and by the darkness of night, that the Lord has not forsaken thee " .

فهنا نجد أنه قد نقل القسم إلى هذا المعنى : . . . وأقسم بظلام الليل . ، وطبيعي أن القرآن يقسم بالليل إذا سجا لا بظلام الليل .

ولننص الآن في استعراض ترجمات مختلفة لهذه الآية ، لنلبس مدى الفشل في نقل جمالها من النص العربي إلى الصورة الأجنبية .

يقول مارماديوك بكثول M. Pickthall في ترجمته لمعاني القرآن .

“ The Meaning of the Glorious Koran ” (١) :

By the morning hours

And by the night when it is stillest . . . etc.

فهو هنا يجعل الضحى ساعات الصباح ، ثم هو يقسم بالليل في أشد حالات سكونه . وإذن فكلمة ، سجا ، تعني ، سكن ، وحسب .

وهو إذا كان قد ذكر لنا أنه إنما يترجم معاني القرآن لا نص القرآن فإنه ضمناً يكون قد اعترف بأنه إن ينقل إلينا ذلك الجمال الذي نجده في النص العربي للقرآن . ولـكننا نستطيع أن نلاحظ أن الذين أخذوا على عاتقهم ترجمة القرآن لا ترجمة معانيه لم يخرجوا في ترجمتهم عن هذا النطاق وهو نقلهم كلمة سجا بمعنى سكن ، وهنا يستوى الذين يترجمون المعنى والذين يترجمون النص ، لأنهم جميعاً في الحقيقة - إنما يترجمون المعنى ، ولا يستطيعون إلا أن يترجموا المعنى أو بعضه .

ولننظر في ترجمة جورج سيل G. Sale ( ط ٥ سنة ١٨٦٨ ) ص ٤٩٢ فسنجده يقول :

“ By the brightness of the morning, and by the night, when it groweth dark, . . . etc ”.

وهو يقسم بالليل عند ما يظلم . وكأن الليل عند ما يظلم تتساوى مع الليل إذا سجا . والحق أنها قد تتساوى من حيث المعنى من بعض الوجوه ، ولكنها لا تتساوى مطابقة من حيث الدلالة الفنية .

وحتى الآن يكون هناك ترجمتان لكلمة سجا : ١ - سكن ، ب - أظلم .

ويقول كازيميرسكى في ترجمته ، “ Le Koran ” , par M. Kasimirski ,

( Paris 1869 ) ، ص ٥١٢ :

( ١ ) أحسن هذا المترجم إذ نص على أنه إنما يترجم معاني للقرآن .

"J'en jure par la matinée.

Par la nuit, quand ses ténèbres s'épaississent, . . . etc".

أى أقسم بالليل عند ما يتكاثف الظلام . وكأن سبحا قد دلت عنده على تكاثف الظلام في الليل .

ولمحمد على اللاهورى ترجمة مشهورة للقرآن عنوانها : " The Holy Qur'an " ، يقول فى ترجمته لهذه الآية ، ط ٢ سنة ١٩٢٠ ) ص ١١٩٨ :

"Consider the early hours of the day.

And the night when it covers with darkness .etc."

فهو هنا يقسم بالليل عندما يغطيه أو يشمله الظلام . وكأن سبحا الليل ، هى د غطى أو شمل الظلام الليل ، . وعلى كل فهذا معنى من المعانى التى انتبه إليها المترجم غير المعانى التى سبق أن رأينا فى الترجمات التى عرضناها .

وهناك ترجمة فرنسية أحدث من هذه الترجمة لادوار منتيه E. Montet بعنوان : " Le Coran " ( ط باريس ١٩٢٩ ) ، يقول فيها فى ترجمة الآية ، ص ٨٤٧ :

" (Je le jure ) par la matinée. Et par la nuit, quand l'obscurité vient " . .

فقد أقسم بالليل عندما يأتى الظلام - وكأن سبحا الليل ، هى : د أتى الليل ، .

ولست أحب أن أتعرض لترجمات أكثر من ذلك ، فليس هناك سبيل إلى حصر هذه الترجمات ، فضلا عن أن قضيتنا لا تحتاج إلى أكثر من هذه الشواهد .

والذى نلاحظه الآن بصفة عامة هو أن لفظة سبحا لم تترجم ترجمة واحدة مشتركة متفقا عليها عند مختلف المترجمين ؛ فبعضهم ترجمها بمعنى سَكَنَ ، وآخر ترجمها بمعنى أظلم ، وغيره ترجمها بمعنى تكاثف ، وغيره ترجمها بمعنى غطى أو شمل ، ومنتيه ترجمها بكل بساطة بمعنى أتى وإذا نحن وضعنا أى لفظة من تلك الالفاظ مكان لفظة سبحا فى النص العربى لقلت قيمته الفنية إن لم تتلاش نهائيا . ومعنى هذا أن كل هذه الترجمات لم تنقل اللفظة بكل إمكانياتها الفنية ، ولكنها وقفت فقط عن بعض دلالاتها المنضبطة المحددة .

والذى أنصوّر أنه حدث أو يحدث عادة فى مثل هذه الحال هو أن المترجم يقف أمام كلمة سبحا عاجزا فى فهمها فيذهب لتوّه إلى معجم من معاجم اللغة وليكن لسان العرب لابن

منظور مثلاً ، وهناك يقرأ في معاني الكلمة : « سجا معناه سكن ودام ، وقال الفراء : إذا أظلم وركد في طوله ، كما يقال بحر ساج وليل ساج إذا ركذ وأظلم ، ومعنى ركذ سكن . ابن الأعرابي : سجا امتد بظلامه ... الخ »<sup>(١)</sup> وهنا يجد المترجم ضالته ، فيختار أحد هذه المعاني<sup>(٢)</sup> ، ويبحث بدوره عن اللفظ المقابل في اللغة التي ينقل إليها ، ثم يثبت في نص الترجمة .

في هذه العملية التي تتم على أكثر من مرحلة يموت اللفظ ويفقد كل حيويته ، أو لنقل يفقد كل العناصر الفنية التي استودعها فيه أصحابه ؛ لأن اللفظ في النص الأدبي لا يؤخذ معناه من المعجم ، فالمعجم لا يعطي كل إichاءات اللفظة التي يعتمد عليها المتفني في صورته الأدبية كل الاعتماد . ولذلك نلاحظ أن كلمة سجا بمعانيها المختلفة في المعجم هي التي تمثلت أو تمثل بعضها في الترجمات التي عرضناها . ومن هنا يأتي العيب ، وهو أن هذه الترجمات قد نقلت المعاني المتجمدة المنحجرة في المعجم للفظ ، في حين أن الآية لم تهتم بهذه المعاني بقدر اهتمامها بموقع لفظ « سجا » من العبارة ، وما يمكن أن يكون لها من قدرة على إichاء هذه المعاني وأكثر منها في نفس السامع .

ومن كل ذلك نفتهى إلى أن أى ترجمة لا يمكن أن تحافظ على جمال الاصل ، وإن نقلت المعنى نقلاً دقيقاً ، وأن جمال القرآن يضيع في خلال عملية الترجمة التي يدخل فيها المعجم ، فلا تخرج منه الالفاظ إلا وقد فقدت حيويتها وفنيها ، أو إن شئت فقدت جمالها .

عز المربع اسماعيل

(١) اللسان - ١٩ ، ص ٩٩

(٢) قد يرجع المترجم إلى الشروح ، ومراجعة الشروح عادة لا تقطى أكثر مما في اللسان - راجع الكشف - ٢ ص ١٦١٥ ، والطبري - ٣٠ ص ١٤٧

## حافظ الصنجا أبو هريرة والطائغون في

ظهر في هذا الشهر الجزء الثاني عشر من مسند الإمام أحمد بتحقيق الاستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر، وبهذا الجزء تبدأ مرويات أبي هريرة رضى الله عنه من أحاديث رسول الله ﷺ وقد صدرها الاستاذ الشيخ أحمد شاكر بكلمة قيمة عن أبي هريرة جاء فيها ما يأتى :

هو حافظ الصحابة، وأكثروا رواية عن رسول الله ﷺ. روى له الإمام أحمد في هذا المسند ٣٨٤٨ حديثاً وفيها مكرر كثير، باللفظ أو بالمعنى، كعادة المسند في تكرار الحديث. ويصفوه له منها - بعد حذف المكرر - خير كثير، وهو أكثر الصحابة رواية على كل حال. وقد لُجج أعداء السنة، أعداء الإسلام، في عصرنا، وشغفوا بالطعن في أبي هريرة، وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته. وما إلى ذلك أرادوا، وإنما أرادوا أن يصلوا - زعموا - إلى تشكيك الناس في الإسلام، تبعاً لسادتهم المبشرين. وإن تظاهروا بالقصد إلى الاختصار على الأخذ بالقرآن، أو الأخذ بما صح من الحديث - في رأيهم. وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم وما يتبعون من شعائر أوربة وشرائعها. وإن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن، ليوافق تأويلهم هوهم وما إليه يقصدون !

وما كانوا بأول من حارب الإسلام من هذا الباب، ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديماً. والإسلام يسير في طريقه قدماً، وهم يصيحون ما شاءوا (١)، لا يكاد الإسلام يسمعهم، بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم، وإما يدمرهم تدميراً.

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون، يكاد يرجع في أصوله ومعناه إلى مقال أولئك الأقدمون، بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين - زائعين كانوا أم ملحدين - كانوا علماء مطلعين، أكثرهم ممن أضله الله على علم !

أما هؤلاء المعاصرون، فليس إلا الجهل والجرأة، وامتضاغ ألفاظ لا يحسنونها، يقلدون في الكفر، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم.

ولقد رأيت الحاكم أبا عبد الله ( المتوفى سنة ٤٠٥ ) حكى في كتابه المستدرک

(١) المجلة - وآخر هؤلاء شيخ من سلالتهم اختص أبا هريرة رضى الله عنه بكتاب مستقل طبع في صيدا سنة ١٣٦٥

( ٥١٣ : ٣ ) كلام شيخ شيوخه ، إمام الأئمة ، أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة ( المتوفى سنة ٣١١ ) في الرد على من تكلم في أبي هريرة ، فكمأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء . وهذا نص كلامه :

« وإنما يتكلم في أبي هريرة ، لدفع أخباره ، من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار :

« إماما معطل جهمي ، يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم - الذي هو كفر - فيشتمون أبا هريرة ، ويرمون به الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويهاً على الرعاء والسفلى ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة .

« وإمام خارجي ، يرى السيف على أمة محمد ﷺ ، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي ﷺ ، خلاف مذهبهم - الذي هو ضلال - لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الواقعة في أبي هريرة .

« أو قدرى ، اعتزل الإسلام وأهله ، وكفر أهل الإسلام ، الذين يتبشرون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة ، التي رواها عن النبي ﷺ في إثبات القدر - لم يجد حجة تؤيد صحة مقالته التي هي كفر وشرك ، كانت حجته عند نفسه : أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !

« أو جاهل ، يتعاطى الفقه ويطلبه في غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتنب مذهب واختاره ، تقليداً بلا حجة ولا برهان - تكلم في أبي هريرة ، ودفع أخباره التي تخالف مذهب ، ويحتج بأخباره على مخالفه إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه !

« وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها ، أنا ذا كر بعضها بمشيئة الله عز وجل ، ( ثم ذكر على سبيل المثال بعض تلك الأخبار وأجاب عنها بما يغني عن إيراد الرجوع إلى أصله ) .

( المجلة ) : والحقيقة التي توصلنا إليها بعد طول المراقبة والتأمل والاستقصاء أن هناك طوائف انتسبت إلى الإسلام لتقوم بأفساده وتمطيل رسالته وتغيير اتجاهه رأت أن أبا هريرة رضى الله عنه قد أنعم الله عليه بنعمة الحفظ ، وساعدته ظروفه على ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم والحرس على حفظ كل ما يصدر عنه من قول أو عمل كما رزق رواة عنه حفظاً في طليعتهم سعيد بن المسيب فتم بذلك للمسلمين صيانة هذه الأمانة العظمى على أيديهم . فرأت تلك الطوائف المدسوسة على الإسلام أنها بهدم أبي هريرة تتوصل إلى هدم ركن ركين من أركان الإسلام وتابعتها على ذلك ملاحدة هذا العصر وجهلهم ، فكانوا جميعاً : كمناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

## البدن في نظر الإسلام

تعنى كل أمة ناهضة بتدعيم أسس الرياضة البدنية بين أبنائها ، وخاصة بين شبابها ، وذلك لإيمانها بأن الرياضة تقويم وتعليم ، وبأن العقل السليم فى الجسم السليم ، وقد حشدت كل أمة لتلك الناحية من مالها ووقتها وجهدها وتوجيهها الشيء الكثير .

ولا يزال يوجد مع الأسف — من يعتقد أن تلك العناية البادية بالرياضة لا تتواءم مع تعاليم الدين ، لأن الدين فى نظر أولئك الزاعمين يحصر رسالته فى إيقاظ الجوانب الروحية فقط ، ولو ضحى فى سبيل ذلك بسلامة الأبدان .

وهذا زعم صاحب باع طويل فى مجال الوهم والخطأ ، وخطأه ذو شعبتين ، الشعبة الأولى لأن الرياضة البدنية كما رسم منهاجها المربون ليست مقصورة على تقوية الأجسام دون الأفهام ، والشعبة الثانية لأن العناية بالبدن أمر ليس غريباً على الدين فهو واجب شرعاً كما هو واجب عقلاً ، وصدق رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يوم قال : « إن لبدنك عليك حقاً » .

إن هذا الجسم بنائة الله ، وحسب البدن تشريفاً أن يكون بناء الرحمن ، الذى لا يعتدى عليه إنسان ، وإلا استوجب لعنة الديان ، فلا يتصرف فى هذا الجسم أصلاً إلا بانيه ، حتى صاحبه نفسه لا يملك التصرف فيه بما يسوءه أو يرديه ؛ ولذلك حرمت الأديان من قبل كما حرمت القوانين من بعد إتلاف البدن ولو من صاحبه بالانتحار أو الاعتداء أو الإهمال .

والقرآن الكريم — دستور الإسلام الأقدس — قد كرم الإنسان فى جسمه وصورته ، واعتبر ذلك نعمة كبرى من نعم الله ، يمن بها ويلفت إليها وينبه عليها ، فيقول القرآن المجيد فى مفتتح سورة التين : « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » .

فهذا التقويم البالغ غاية الحسن فى تكوين خلق الإنسان وتهذيب صورته ، مظهر من مظاهر العناية الإلهية الصمدية ببدن الإنسان ، وإن كان التقويم يشمل غير البدن . ويقول القرآن الكريم : يأياها الإنسان ما عرك ربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك ، فهذه الأدوار المتلاحقة من الخلق والتسوية والتعديل واختيار الصورة بيان أى بيان عن قيمة البدن فى الإنسان .



بل إن الله تبارك وتعالى قد جعل قوة الجسم يوماً ما سبباً من أسباب الاصطفاء والإيحاء... ألم تستمع إلى القرآن المجيد حيث يقول : « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء ، والله واسع عليم . »

فنحن نرى في الآية السكرية أن الحق سبحانه قد فضل بسطة العلم والجسم على شرف النسب وعلوه ، لأنهم قالوا : « ونحن أحق بالملك منه ، لأنهم ورثته ، وفضل بسطة العلم والجسم على المال والثروة ، لأنهم قالوا : « ولم يؤت سعة من المال ، وهم عندهم المال ، وعندهم النسب من قبل ، ولكن بسطة النسب وبسطة المال انهزمتا أمام بسطة العلم وبسطة الجسم ؛ وقد قرن الله بسطة العلم ببسطة الجسم ، وجمع بينهما ، وبالله من تمجيد ليس وراءه تمجيد .

ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام قد قيل في وصفه - كما في حديث ابن أبي هالة - « إنه بادن متماسك ، . والبادن هو الممتلئ ، فليس هزلاً ، والمناسك هو الذى يمسك بعض أعضائه بعضاً ، فليس إذن مترهلاً ولا متخذاً ، بل هو معتدل الخلق قوة ومنظراً . والرسول عنوان الرسالة وقدوة الاتباع العليا ، فهو مثلهم السامى فى كل ناحية من نواحي الحياة .

ولقد اهتم الرسول صلوات الله عليه بالرياضة البدنية ، فأنشأ أول ساحة رياضية فى الإسلام ، وكانت خارج المدينة المنورة ، وكان يدرّب فيها الشباب على الجرى والرمى وفنون المبارزة ؛ واعتبر الرسول فى بعض أحاديثه هذه الساحة قطعة من الجنة ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يخلّمون نعالهم عندهما ، فلا يطأونها إلا حفاة الأقدام ؛ لإظهاراً للاحتفال والإكرام ...

ولقد مارس محمد ﷺ الرياضى الأول فى الإسلام فنونا من الرياضة ، فسابق أعز الناس عليه وهى عاتشة ، فسبقته مرة وسبقها أخرى ، وقال لها : هذه بتلك . وصارع ركانة الذى كان مضرب المثل عند العرب فى المصارعة والقوة ، صارعه فصّره مرات ، وكان ذلك سبباً فى دخول ركانة الإسلام ؛ ورمى بالقوس ، وسابق بين الخيل ، ونظم هذه المسابقات بين ذوات الخف والنصل والخافر ، وجعل ميدان السباق من الحفياء إلى ثنية الوداع ، وبينهما نحو سبعة أميال ؛ ووضع للمسابقات نظاماً دقيقاً ينزهها عن الخداع والمؤثرات الخارجية ، فهو مثلاً يقول عن السباق : « لا جلب ولا جنب فى الرهان ، والجلب

أن يأتي المتسابق برجل يحمل على فرسه ، أى يصيح عليه حتى يسبق ، والجانب أن يجعل المتسابق فرسا بجانب فرسه ، حتى إذا تعب المركوب تركه وركب المجنوب .  
واشترط الرسول التكافؤ أو التقارب بين الجياد ، بحيث لا يكون النصر مؤكدا للجانب فقال : « من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فلا بأس ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وهو آمن أن يسبق فهو قار » .

وكان الرسول يعلم علما طريقة التنظيم في السباق والإشراف عليه ، ففي حديث على : « فصف الخيل ، ثم ناد هل من مصلح للجوام ، أو حامل لعلام ، أو طارح لجل ، فإذا لم يجبك أحد فكبر ثلاثا ، ثم خلها عند الثالثة يسعد الله بسبقه من شاء من خلقه » . وكان على يقعد عند منتهى الغاية ، ويخط خطا ، ويقيم رجلين متقابلين عند طرف الخط ، طرفه بين لمهامي أرجلهم ، وتمر الخيل بين الرجلين ، ويقول : إذا خرج أحد الفرسين على صاحبه بطرف أذنيه أو أذن أو عذار فاجعلوا السبق له ، فإن شككتما فاجعلا سبقهما نصفين » .

ولقد مر الرسول ﷺ على بنى إسماعيل وهم يترامون ، فقال : ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بنى فلان . فأمسكوا فقال : مالكم لا ترمون ؟ فقالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم كلكم . فكان ذلك درسا في تشجيع الرياضة وتأييد الرياضيين على شريعة سواء .

وكان للرسول ناقة تسمى ( العضباء ) ، وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابي على قعود فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وجعلوا يقولون : سبقت العضباء سبقت العضباء . فقال الرسول : « إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه » . فكان ذلك درسا في التحريض على الرضا والصبر والثبات ، وعدم الزلزال عند الانهزام .

وحينما لعب الاحباش بحراهم وسيوفهم في مسجد الرسول ، وتطلع إليهم الرسول وزوجته عائشة ، أفهمونا ضمنا أن الرياضة ليست لهوا ، وليست عملا دنيويا محضا ، وإنما هي قوة للدين والدنيا معا ، فتكتسب من هنا معنى العبادة بمعناها العام ، لأن كل عمل طيب أريد به وجه الله يكون عبادة .

ولقد تلا رسول الله ﷺ يوماً قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . ثم قال : ألا إن القوة الرمي ( ثلاثا ) . والرمي كان محصورا يومئذ في الرمي بالسهم ، ولكدتنا لو أخذنا الكلمة بمعناها العام المطلق لشملت كل لون من ألوان الرياضة ، فالقوة

هى الرمى ، والرمى هو محور الرياضة وأساسها ... قذف كرة القدم رمى ، ودفع اليدين للكرة الطائرة رمى ، ودفع الساعدين للنقل الحديدى إلى أعلى رمى ، وضرب المضرب لكره المضددة رمى ، وتصويب كرة السلة نحو الهدف رمى ، والجري من الاشخاص أو من الجياد رمى ، لان الجرى اندفاع إلى الامام ، فكأن الإنسان يقذف بجسمه فى حركة وسرعة إلى الامام ...

وإذن يمكن أن نقول : إن القوة هى الرمى ، والرمى يشمل كل ألوان الرياضة ، فكأننا مطالبون شرعا بكل هذه الألوان ، حتى نعد لاعدائنا كل قوة مستطاعة !! ...

\* \* \*

لكن هذه المنزلة العالية للبدن وتقويته فى نظر الدين مشروطة بشرط ، هو أن يكون من وراء أجسام العالقة أخلاق الفضلاء وعقول الحكماء ، وإلا كان طغيان البدن وبالا ونكالا .  
إن الله تبارك وتعالى يقول فى صفة المجرمين من الكافرين :

« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . »

إذا تطلعت إليهم رأيت الأجسام الفارعة ، وإذا نطقوا راعتك الأصوات الجهورية القارعة ؛ ولكن لا شئ وراء ذلك ... لا عقل ولا خلق ولا روح ، وإذن فلا ثبات ولا يقين : « كأنهم خشب مسندة » .. ولذلك يفزعون ويهلعون عند كل صرخة ، على الرغم من ضخامة الجسم وجهازة الصوت ، فيحاولون الفرار من كل صيحة ، والتناثى عن كل صراخ ، حتى ولو كانت الصيحة على سواهم ، وحتى لو كان الصراخ على غيرهم ، يحسبون كل صيحة عليهم . . . فليست عندهم أخلاق تحكمهم ، أو أرواح تزهمهم ، فهم هواء وهم للدسلين أعداء : « هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، !! »

\* \* \*

فيا شبيبة الإسلام ، كرموا أجسامكم ، ففى وديعة ربكم عندهم ، كرموها بصياتها وتقويتها ، واعمروا هذه الأجسام بصياتها وسنائها ، اعمروها بمكارم الاخلام ...

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

# الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

- ٢ -

أفقد اشتملت كتب التفسير - مما لم يصح - على شيء كثير ، ومن ذلك جزء غير قليل من الموضوعات ، قال الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية : « وكما أن على الحديث أدلة يعلم بها أنه صدق وقد يقطع بذلك فعليه أدلة يعلم بها أنه كذب ويقطع بذلك مثل ما يقطع بكذب ما يرويه الوضاعون من أهل البدع والغلو في الفضائل ، مثل حديث يوم عاشوراء وأمثاله مما فيه أن من صلى ركعتين كان له كأجر كذا وكذا نبييا . وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدى والزحشرى في فضائل سور القرآن سورة سورة . فإنه موضوع باتفاق أهل العلم . والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع . والواحدى صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف . والبغوى تفسيره مختصر من الثعلبي لكن صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة ، والموضوعات في كتب التفسير كثيرة ومنها الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة ، وحديث على الطويل في تصدقه بخاتمته في الصلاة فإنه موضوع باتفاق أهل العلم . ومثل ما روى في قوله ( ولكل قوم هاد ) أنه على . ( وتعبها أذن واعية ) أذنك يا على (١) . »

وفي الحق أن كتب التفسير اشتملت على زيف كثير في فضائل السور ، وفي أسباب النزول ، وفيما يتعلق بتبيين مبهم ، أو تفصيل مجمل ، أو بأحوال الأمم السابقة ، وقصص الأنبياء ، وأحوال المعاد ، وبدء الوجود ، وأسرار السكائنات ، فقد دخل ذلك كله دخيل من خرافات بني إسرائيل وأباطيلهم التي لا تتفق هي وشريعتنا ويجب تكذيبها .

وكتب التفسير من عهد ابن مردويه وابن جرير الطبري إلى اليوم لا تخلو تفسير منها من موضوعات إذا استثنينا تفسير ابن كثير والالوسي والمنار وبعض التفاسير المستحدثة ،

وتفسير ابن جرير على جلالة قدره قد ذكر بعضا منها إلا أنه قليل جدا بالنسبة لما فيه من الروايات المأثورة . ومن حسنات ابن جرير أنه يذكر السند مما يساعد المطلع إن كان من أهل الحديث أو كان ممن ينشد البحث الصحيح على أن يميز الحق من الباطل ، والمقبول من المردود . ويظهر أنه ممن يرى أن في ذكر السند خروجا من العهدة ولا يلزمه البيان ، وعلى نهج ذكر السند والعزو إلى من خرج الرواية سار الإمام السيوطي في تفسيره « الدر المنثور » وقد جمع فيه من الروايات ما الله أعلم بصحته ، وفيه من الموضوعات ما حكم جمع من الحفاظ ببطلانه ، بل في تفسيره هذا ما وافق هو على وضعه في كتبه الأخرى كاللآلى المصنوعة في الأحاديث الموضوعية ، ولعله اكتفى بذكر السند والتخريج عن التنصيص على الوضع ، وأن ذلك كان سهوا . وكتاب الثعلبي مليء بالموضوعات والقصص الإسرائيلية . ومن العجيب أنه ذكر في مقدمة كتابه أن الله رزقه ما عرف به الحق من الباطل ويميز به الصحيح من السقيم وعاب من جمع بين الغث والسمين . وتفسير الزمخشري وهو « الكشف » مع خلوه غالبا من القصص الإسرائيلية قد ذكر بعض الموضوعات في الفضائل والقراءات وأسباب النزول ونحوها . وتفسير الذنبي تابع لتفسير الكشف غالبا في كل ما ذكره ، إلا أنه لم يذكر الحديث المروى في الفضائل إلا نادرا مثل ما ذكره في آخر سورة يوسف وطه ، وتفسير الخازن أكثر من ذكر القصص الإسرائيلية وأخبار الأمم الماضية وذكر بعض الموضوعات في أسباب النزول ، إلا أنه مما يذكر له أنه يكر على بعضها بالإبطال وذكر أقوال المحققين ، مثل ما فعل في قصة هاروت وماروت والغرائق وقصة داود وسليمان على ما يروها القصاص ، وقد يغفل عن بعض الموضوعات مما لا يدركه إلا جهابذة الحديث وأئمة الرواية وتفسير الفخر الرازي وتفسير أبي السعود قد تنبه مؤلفاهما إلى بعض الروايات الباطلة ورداها ، وبخاصة من جهة العقل والنظر ، إلا أنهما خفيت عليهما بعض الموضوعات مما لا يدركه إلا أئمة الحديث . ولهما في الرد جولات ، ووفقة ، ولا سيما ما يطعن في عصمة الأنبياء والملائكة منها . ومما ينبغى أن يعلم أن بعض المفسرين كان لهم جهاد مشكور في رد المفتريات والتفنيه عليها كالأئمة ابن كثير والالوسي ومحمد عبده في تفسيره الذي نشره صاحب المنار . وفارس هذه الحلبة هو الحافظ ابن كثير فقد جاء تفسيره مصفى من الموضوعات والإسرائيليات ، وكان له فضل التنصيص على بطلانها وبيان كيف أمرت إلى الإسلام ومن أين أنت . ولا عجب فهو حافظ وخريج مدرسة عرفت بأصالة النقد .

ولو أن المفسرين جميعهم رزقوا هذه المالكة لما دخلت عليهم هذه الأباطيل ، ولنفوا هذا الخبث من كتبهم ، فقد صار جواباً على فهم القرآن فهماً صحيحاً ، واغتر به من لا يعلم حقيقة الأمر فأذاعه ، كما كان مثاراً للظعن في الإسلام ونبينا عليه الصلاة والسلام من أعداء الدين ، وقديماً شهر بعض العلماء المحدثين بالنقص الذي يوجد في كتب التفسير من ذكر الأحاديث بلا سند ولا عزو فألف الحافظ الزيلعي تخریجاً لأحاديث الكشف<sup>(١)</sup> . وقد اختصره الحافظ ابن حجر في كتاب سماه «الكاف الشاف من تخریج أحاديث الكشف» . وقد أحسننا بهذا العمل الجليل صنعة إذ ميزنا المقبول من المردود ، وما أحوج كتب التفسير إلى مثل هذا التخریج . وبحسبنا الآن أن نذكر بعض ما في كتب التفسير من موضوع وإسرائيليات مع بيان مواقعها من الكتب المشهورة على قدر الاستطاعة لتكون نبراساً يهتدى به القارىء في هذه التفاسير .

#### أحاديث فضائل السور والآيات :

فمن ذلك الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب مرفوعاً في فضائل السور سورة سورة ، فقد بحث مؤمل بن اسماعيل حتى وصل إلى من اعترف بوضعه ، قال مؤمل حدثني شيخ بهذا الحديث فقلت له : من حدثك بهذا ؟ قال : رجل بالمدائن وهو حى ، فسرت إليه فقلت : من حدثك بهذا ؟ فقال : حدثني شيخ بواسط ، فسرت إليه فقال : حدثني شيخ بالبصرة ، فسرت إليه فقال : حدثني شيخ بعبادان ، فسرت إليه فأخذ يبدى فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المنتصوفة ومعهم شيخ ، فقلت : يا شيخ من حدثك ؟ فقال : لم يحدثني أحد ، ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن<sup>(٢)</sup> . وقد خطأ المحدثون من ذكر هذه الأكاذيب من المفسرين في كتبهم كالتعلي والواحدى والزحشرى والبيضاوى وأبى السعود ، لكن من أبرز سنده كالأوين فهو أبسط لعذره ، إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده وإن كان لا يجوز له السكوت عليه ، وأما

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٢) هذا وأمثاله من الوضاعين كآبى عممة نوح بن أبى مریم يضعون الأحاديث في الفضائل احتساباً فيما زعموا ، وبئس ما فعلوا ، وهم مخطئون وآثمون وداخلون تحت قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على معتمداً فليقبوا متعمداً من النار » ، وهم أعظم أصفاف الوضاعين ضرراً لا غرر بعض الناس بما أظهروه من صلاح مزيف . وقد قبض الله لهم من أئمة الحديث من كشف عوارهم ورد كتبهم

من لم يبرز سنده وأورده بصيغة الجزم كالأخرين فخطؤه أخش . والتعلي يذكّر هذا الحديث المزعوم في صدر السور ، أما الزخشرى ومن تابعه فيذكرونه في آخر السور . ومن أمثلة ذلك ما ذكره في آخر سورة آل عمران ، من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم . وما ذكره في آخر المسائدة ، من قرأ سورة المسائدة أعطى من الاجر عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى ، وكل ما ذكره فهو على هذا النمط .

وقد يذكر بعض المفسرين في فضائل بعض السور أحاديث موضوعة عن غير أبى بن كعب ، وذلك مثل ما ذكره الزخشرى ومتابعوه في فضائل الفاتحة . وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله قال : إن القوم ليبحثن الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب : الحمد لله رب العالمين ، فيرفع الله عنهم العذاب أربعين سنة ، قال فيه ولى الدين العراقى : في سنده الجوىبارى ومأمون الهروى كذابان ، فهو من وضع أحدهما (١) .

وقد يذكر المفسرون في فضائل الآيات ما لا أصل له وما لا يعرفه المحدثون المشهود لهم بالحفظ والاطلاع وما هو منكّر جداً ، وذلك مثل الحديث الذى ذكره أبو السعود في تفسيره في فضل آية الكرسي ، من قرأها بعث الله تعالى ملكاً يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة ، فهو لا أصل له (٢) ، ومثل ما ذكره الزخشرى والفنسى وأبو السعود في تفاسيرهم في فضل آية الكرسي من حديث : ما قرئت في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة ، وكذا حديث : إن الصحابة تذاكروا فضل ما فى القرآن ، فقال على كرم الله وجهه : أين أنتم من آية الكرسي قال له رسول الله ﷺ يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد وسيد الجبال الطور وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي ، فقد قال الحافظ في تخریجه لم أجدهما .

ولا يتوهم من متوهم أن جميع ما ذكره الزخشرى ومن تابعه في الفضائل موضوع وكيف ؟ وقد ذكر أحاديث في غاية الصحة مثل ما ذكره الزخشرى في تفسيره في خواتيم سورة البقرة . من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ، فهو متفق عليه ، ومثل حديث

(١) عن كتاب محاسن المور في الكشف عن أحاديث السور « مخطوط » .

(٢) تفسير الألوسى جزء ٣ ص ١١ ط منير

« أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤت من قبلي ، فقد أخرج أحدهم والنسائي ، ومثل ما ذكره في فضائل الفاتحة حيث قال : « وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لآبي : ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلاً قلت : بلى . قال : فاتحة الكتاب ، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ، أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي والحاكم وصححه على شرط مسلم ، ومثل الحديث الذي ذكره في آخر سورة البقرة وهو : السورة التي يذكر فيها البقرة فسقاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ، فقد رواه الإمام أحمد .

وتفسير الحافظ ابن كثير أجل ما يعتمد عليه في باب الفضائل ، وكثيراً ما ينبه على ما فيه ضعف شديد أو نكارة وما هو محتق موضوع . والسور التي صحت في فضائلها الأحاديث الفاتحة والزهران - البقرة وآل عمران - والأنعام والسبع الطوال بحجة ، والكهف وياسين والدخان والملك والزلزلة والنصر والكافرون والإخلاص والمعوذتان - وما عداها لم يصح فيها شيء . وأصح ما ورد في فضائل السور هو ما ورد في سورة الإخلاص . وكذلك ورد في الفضائل أحاديث حسان وضعاف لم تصل إلى حد الوضع . وقد سرد الثابت في فضائل السور الإمام السيوطي في إتحافه على ترتيب السور (١) وكذلك ذكر الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما ما صح على شرطهما في الفضائل ، والإمام أحمد في مسنده ذكر الكثير منها .

وقصارى القول أن الأحاديث المذكورة في كتب التفسير في الفضائل منها ما هو موضوع قطعاً ، ومنها ما هو ضعيف ، ومنها ما هو صحيح أو حسن ، فليكن القارئ فيها على بينة من ذلك ، ولا يروى حديثاً منها إلا بعد التأكد من معرفة درجته من الصحة أو الحسن ، ومعرفة ما إذا كان مقبولاً أو مردوداً ، وليس بعسير على أهل العلم والمتصدين للتعليم والوعظ الوقوف على درجة الأحاديث من مظانها ، وكل ساعة تنفق في ذلك فهي لله وفي سبيل الحق .

أما بيان الدخيل في غير الفضائل من أسباب النزول والقصص وأحوال الأمم الماضية وما فيه الطعن في عصمة الأنبياء والملائكة فوعدنا به المقالات الآتية إن شاء الله .

محمد محمد أبو شهبه  
الاستاذ بكلية أصول الدين



# لغويات

## في مصر علامون . وفيها رجال مدركات لما جلّ ودق

برد علامة في مبالغة علام ، وهو مبالغة في عالم . وكذلك مُدْرِكَة يأتي في مبالغة مُدْرِك . وقد وقع البحث في جمع هذا الضرب من الاوصاف المختومة بتاء المبالغة . والجمع المطرد في الاوصاف - كما هو مقرر في موضعه - جمع التصحيح ، أي جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم .

وعلى هذا فأى الجمعين أولى بهذا الضرب من الاوصاف وآثر به ؟

إن المعروف أن ما كان مخنوماً بالتاء لا يجمع جمع المذكر السالم ، أيا كانت التاء . فيستوى في ذلك تاء التانيث وتاء المبالغة . وفي الحق أن تاء المبالغة فيها معنى التانيث ، فقد قيل في توجيه المبالغة بها الذهاب بالوصف إلى معنى الداهية أو الغاية والنهاية ، وقيل غير ذلك مما يرجع إلى هذا . ومن ثم يقول صاحب التوضيح في الحديث عن جمع المذكر السالم : « ويشترط في كل ما يجمع هذا الجمع ثلاثة شروط : أحدها الخلو من تاء التانيث . فلا يجمع نحو طلحة وعلامة ، وقال الشيخ خالد في شرحه التصريح : « لئلا يجتمع فيهما علامتا التانيث والتذكير . ولو حذفنا التاء التيسر بالمجرد منها ، فترى أن التاء في علامة أدرجت في تاء التانيث . وعلى هذا فلا يقال في جمع علامة : علامون ، ولا في جمع مدركة : مدركون .

ومع هذا فقد ورد في طبقات ابن سعد <sup>(١)</sup> : « عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد ، ثم يمسك ويقول : كذب النسابون . قال الله - عز وجل - : « وقرؤنا بين ذلك كثيراً ، والمعروف في واحد النسابين هو النسابة . ومن قبيل ما جاء في الحديث ما جاء في كلام ابن جني في التنويه بالكوفيين من النحويين والموازنة بينهم وبين البصريين إذ يقول : « الكوفيون علامون بأشعار العرب مطلعون عليها فوق البصريين . والبصريون أجود قياساً ، وقد أورد هذا النص عن ابن جني السيوطي في الاقتراح في المسألة السادسة عشرة من الكتاب السادس .

وقد عقب ابن علان شارح الاقتراح فقال : « علامون جمع علام بغير هاء ، مبالغة

في عالم ؛ كعلام الغيوب . وليس جمع علامة بالهاء ؛ لأن شرط ما يجمع هذا الجمع من أوصاف المذكر تجرده من هاء التأنيث ؛ كما قرروه . وهذا أولى من قوله في الشرح ؛ إنه شاذ ؛ بناء على أنه جمع علامة .

وفي الحق أن ما وقع من ابن جنى إن لم يرد عن العرب وكان مخالفا للقياس كان خطأ من القول لاشاذا ؛ إذ الشاذ لا يقبل إلا إذا ورد عن العرب .  
ويؤخذ من كلام ابن علان الجواب عن ، النسابين ، فيقدر أن واحده نساب لا نسبة وقد ورد الوصفان كلاهما .

على أنه عرف عن الكوفيين أنهم يميزون جمع نحو طلحة على ، طلحين ، ويوافقهم ابن كيسان من البصريين ، غير أنه يفتح اللام فيقول : طلحنون . ويقول صاحب<sup>(١)</sup> الإنصاف : ذهب الكوفيون إلى أن الاسم الذي في آخره تاء التأنيث إذا سميت به رجلا يجوز أن يجمع بالواو والنون . وذلك نحو طلحة وطلحنون . وإليه ذهب أبو الحسن بن كيسان ؛ إلا أنه يفتح اللام فيقول : الطلحنون ؛ كما قالوا : أرضون ، حملا على أرضات . وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز .

ولا ينبغي أن يفهم من كلام الإنصاف أن هذا الحكم خاص بالاسم إذا سمي به ، كما هو ظاهر كلامه . فالوصف مثل العلم لا يختلف عنه في شيء ؛ وإنما عني صاحب الإنصاف بهذا التقييد في جانب الاسم لأنه لا يسوغ جمعه هذا الجمع إلا بعد التسمية به وتصديره علما . فأما الوصف فلا كلام فيه . ومما يؤيد هذا أن الناقلين عن الكوفيين أطلقوا القول في العلم والوصف . يؤخذ ذلك من كلام الشيخ آيس في حاشيته على القطر ، وقد ذكر من جمع الوصف عندهم رُبعين في جمع رُبعة . وفي اللسان : قال الفراء : من العرب من يقول : امرأة ربعة ونسوة ربعات . وكذلك رجل ربعة ورجال ربعون .

ومع هذا فصاحب الإنصاف في سياق حجج البصريين يقول : ؛ إذا وصفوا المذكر بال مؤنث فقالوا : رجل ربعة جمعه بلا خلاف فقالوا : ربعات ، ولم يقولوا : ربعون ، وترى هذا يخالف ما سبق عن الفراء في اللسان ، وإطلاق النحويين .  
وأرى أن في جمع نحو علامة على علامين سعة من قبل مذهب الكوفيين إذا فهمناه على الإطلاق في العلم والوصف .

وبعد فقد عرفت من هذا أن جمع هذا الضرب بالواو والنون غير مستقيم المنهج عند الجميع ، فإن البصريين ينسكرونه .

والجمع المطرد فيه هو جمع المؤنث السالم . فيقال : رجال علامات ومدركات وراويات للأخبار . وقال الفاكهي في شرحه للقطر : « والذي يجمع بألف وتاء قياسا مطردا خمسة أنواع : ذو التاء مطلقا ، فقال الشيخ يس في كتابته عليه : « ذو التاء مطلقا أى تاء التأنيث المبدلة في الوقف هاء ؛ كتمره ، والساكن ما قبلها ؛ كبنت وأخت : وكذا كيت وذيت لوسمى بهما ، ولو مذكرا . وشمل قوله : ( مطلقا ) العلم ، واسم الجنس ، والمدلول فيه بالتاء على تأنيث أو مبالغة ، كنساءات » .

ويقول صاحب اللسان ( نسب ) : « وتقول : عندي ثلاثة نساءات وعلامات . تريد ثلاثة رجال ، ثم جئت بنساءات نعنا لهم » . وفيه أيضا ( نكح ) : « قال أبو زيد : يقال إنه نكح من قوم نكحات » ونكحة التاء فيه للمبالغة ؛ كما هو معروف .

ويقول أبو جعفر النحاس فيما نقله عنه صاحب الخزانة : « وعلى هذا تقول : عندي عشرة نساءات ؛ لأنك تريد الرجال ، وإنما نساءات نعت » .

## كفى كلاما !

كفى شغلا بالمسال ونأيا عن المعاني السامية !

يكثر هذا الأسلوب في الحديث والخطاب ، يكثر الكلام في مجلس عن عمل الخير وتبدير الخطط الناجحة ورسم المنهج القويم ، فنقول : كفى كلاما ، وعليكم بالفعل وحسبكم القول . وقد جرى بحث في هذا التركيب وموافقه لقواعد العربية . وموضع البحث فاعل « كفى ، ما هو ؟

ويبدو أن التأليف صحيح ، وأن فاعل كفى محذوف مقدر أو ضمير أى كفى ما أنتم عليه أو الحال التي ترونها ، و « كلاما ، تمييز .

وقد قرئ في أواخر سورة البقرة قوله تعالى . « وإن كان ذا عسرة » <sup>(١)</sup> قرأ بذلك أبي وابن مسعود وعثمان وابن عباس ، أى إن كان المدين . قال الفراء <sup>(٢)</sup> : « إذا نصبت أضمرت في كان اسما ، كقول الشاعر :

لله قـومى أى قوم لحرّة إذا كان يوما ذا كواكب أشعما  
وقال آخر :

أعنى هلا تبكيان عفاقا إذا كان طعنا بينهم وعناقا  
فقوله إذا كان يوما أى إذا كان اليوم يوما ، وقوله : إذا كان طعنا أى إذا كان القتال  
أو الجلاّد طعنا .

ويقول سيـبويه فى السـكتاب (٢) : وقال عمرو بن شأس :

بنى أسد هل تعلبون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشعما  
أضمر لعلم المخاطب بما يعنى ، وهو اليوم ، ويقول الأعم : أى إذا كان اليوم يوما  
وأضمر لعلم المخاطب . ومعناه إذا كان اليوم الذى يقع فيه القتال ، .  
ومن هذا قول الشاعر :

فإن كان لا يرضيك حتى تردنى إلى قطرى لا إخالك راضيا

قال ابن يعيش فى شرح المفصل (٣) : والمراد : فإن كان لا يرضيك ما جرى فى الحال  
التي نحن عليها . ويقولون : إذا كان غدا فأتى أى إذا كان ما نحن عليه غدا ، كما ذكره  
فى المفصل . وقرئ فى سورة الانعام قوله تعالى : لقد تقطع بينكم ، بفتح النون فى (بينكم)  
خمل على أن المراد : تقطع الأمر أو العقد أو الود بينكم . وهذا بعض ما قيل فيها .  
ومالم يذكر الفاعل فيه قول الراجز :

يكفيك من سوداء واعتجانها وكرك الطرف إلى بنائها  
ناتئة الجبهة فى مسكانها صلعاء لو يطرح فى ميزانها  
رطل حديد شال من رجحانها

وسوداء اسم امرأة . واعتجانها : الغمز إليها . فتراه أضمر الفاعل فى يكفيك ، أى يكفيك  
ما أتيت به . ولا يفغى أن يقال : إن « من » حرف جر زائد والمجرور هو الفاعل ؛ لأن « من »  
لا تزاد فى الإثبات ، ولا حين يكون المجرور معرفة . وقد ورد هذا الرجز فى اللسان (عجن) .

محمد على النجار

# أَبُو دَهْبَلِ الْجُمَحِيِّ

شاعر أموى ، جال في نواح من الشعر يسكن فيها الغزل والفسيب ، على أنه يمثل لك في شعره الغزلى - مع ما يتصل به من أخباره - العصمة والعفاف ، والبعد عن السفساف . ويمثل لك من حام حول الحمى وعصمه الله فلم يواقه . ويصور لك من طلبته ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين . ومن حفظ نفسه من الزلل برغم المغريات التى تصبى الحليم ، وتستوى الكريم ، فتعرف ما يصنع الدين بمن لجأ إلى كنفه والتس العيش الطيب في بحبوخته . إنه ليقم على صاحبه رقيباً أميناً منه ، وضميراً حياً يحول دون المسكروه والإثم . ويجعل فيه كرامة تسعد حياته ، وتقوم خاقه ، وتحفظ جسمه ، وتحظ دنياه ، وتؤمن أخراه ، على أن للشعر هنوات يغفرها الله لمن يحتنبون كبار الإثم والفواحش إلا اللهم ، إن ربك واسع المغفرة .

شهد هذا الشاعر من عصور الخلفاء عصر على بن أبى طالب كرم الله وجهه فما بعده حتى عصر هشام بن عبد الملك من ملوك بنى أمية . وقال الشعر في آخر عهد على كما قالوا ، واسكننا لم نرو له شعراً قبل عهد معاوية مما سرى بعضه . وقد كان الشعر لتلك العهود التى شهدا أبو دهبل غصاً فطرياً لم يتعقد بالصناعة ، ولم يثقل بالتكلفات البديعية البعيدة عن المقصود ، كان شعراً كالنثر ينظمه قائله لآلىء في عقد فيحفظه من التفرق ، ويسره للتحفظ ، ويدنيه من النفوس بما يعبر عن خلجاتها ويلبس نزعاتها . ولا سيما في شعر العاطفة والحكم الخالدة .

هذا الشاعر ( أبو دهبل ) وهو وهب بن زلفة ، كان شاعراً خلا لا يبلغ فيما نرى أمثال جرير والفرزدق والاختل بمن اتخذوا الشعر حرفة وصناعة . ووفروا أنفسهم له ينافسون به وفيه ، ويحاولون المجادة من تعاطيه ، على أنه لم يكن كهؤلاء ، متمياً إلى حزب قوى علوى أو أموى ، ولكن ظروفها قضت أن يكون زبيرياً وأن يخدم في دولة الزبير حتى كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال البين . ولو قد أتبع له أن يكون من أنصار بنى أمية وشعرائها لكان فيما نظن أقوى وأشهر مما هو الآن . على أننى قد قلت لك إنه خل في الشعر وإن كان غير مشهور . وفي أخباره ما يجعله أشعر الناس عند بعض الناس .

ذكر صاحب الاغانى بسنده أن قوما مروا براهب فقالوا له : ياراهب ، من أشعر الناس ؟ فقال : مكانكم حتى أنظر في كتاب عندي ، فنظر في رق له عتيق ، ثم قال : وهب ابن وهيب من جمع أو جمعين . وإذا شاء معلق أن يعلن على هذا الخبر فسيقول إنه غريب إن صححت روايته ، وإن فيه دلالة على شيء من القصور الذهني والعقلي . فما كان من عمل الراهب أن يحكم في الشعر ، ولا سيما بعد أن قضى الإسلام على خرافات التمكن وأحكام الرهبان . وأنت ترى في صورة هذا الحكم أنه استمد من رق له عتيق ، وليس ذلك سبيلا في القضاء ، ولا طريقاً في الفصل بين الشعراء .

وقد كانت لهذا الشاعر حوافز من عصره الذي عاش فيه ، وقومه بنى جمع المعربين في العروبة ، واستعداده الصادق الحبيب مما جعله يبلغ منزلة رفيعة في الشعر ، في ألفاظ جزلة مصقولة إلى حد ، بما أضفاه أدب الإسلام وتهذيبه للغة العربية في شتى نواحيها ، ومعان تؤثر المبح والإشارة ، وعدم الإغراق والتوغل ، وترضى بالميسور من الخيال من مثل ما تجدد في قوله وهو يفتخر بقومه :

قومي بنو جمع قوم إذا انحدرت      شهباء تبصر في حافاتها الزغفا  
أهل الخلافة والموفون إن وعدوا      والشاهدو الروع لا عزلا ولا كشفاً<sup>(١)</sup>

على أن له معاني نفحة ، يزيد في روعتها تخيير ألفاظها وصحة الطبع فيها من روح الشاعر وقوة طاقته . وعمله من ذلك قوله يمدح عبد الله بن عبد الرحمن المبروف بابن الأزرق عامل عبد الله بن الزبير على اليمن :

اعلم بأني لمن عاداك مضطغن      ضباً ، وأنى عليك اليوم محسود<sup>(٢)</sup>  
إن تغد من منقلى نجران مرتحلا      برحل من اليمن المعروف والجود

وهذه المعاني وإن كانت مسلوكة فإن ذلك في النادر القليل ، على أن العرض يزيد في قوتها كما قلت من قبل .

ومما أستحسن من معانيه قوله :

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها      إذا وليت حـكما على تجور  
أأترك ليسلى ليس يفتى وبينها      سوى لـيلة ، إني إذاً لـصبور

[١] الشهباء - السكتبية الكثيرة العدد والمدد . والزغف : الهدوء . والأكشف : للتميز ، جمعه كشف .  
[٢] الضب : النبط والحقد .

فأما أغراض الشعر في شعر أبي دهل فإنه - كما قلت - نواح أكثر ما رأيتاه منها  
النسيب والغزل ، وقد مدح وهجا ، واقتخر ورتنا ، وذكر أهله وحن إليهم في بعض أسفاره ،  
ولو أتيح لنا أن نرى الكثير من شعره لاستطعنا الاستقصاء في الحكم عليه ، ولسكننا نوالى  
البحث إن شاء الله ، عسى أن نظفر بغير ما ذكرنا من أغراض شعره .  
غزله :

والآن أستطيع أن أحدث معك في بعض ما جاء من شعره في الغزل ، وأخباره مع  
من تغزل معهم من النساء فإنه أكثر ما رأينا من شعره ، وأخباره فيه كريمة شريفة  
غير مسفة كغيره ، وإن كان هناك أيضاً غزل عذرى لأمثال جميل والمجنون ولكن الأمر  
فيهم مشهور معروف .

تغزل أبو دهل في غير واحدة من كرائم العقائل ، فلم تكن واحدة فيهن ساقطة  
ولا نازلة .

وكان في غزله أديباً مهذباً لا يهجر ولا يفحش ، ولكنه يصف الهيام بالوصف العام ،  
ويشكو الجوى والصبابة ، والسهد والكآبة ، ويرمى بالواشين والوشاية . . ويشفق من الفراق  
ويضيق ذرعا بالهجر وعدم التلاق ، ويألم من الوعد والمنى دون استجابة ، ويتوجع لسكبه  
المتصدعة من جفوة الحبيب وما إلى ذلك في أنماط وكسسا لطيفة غير مستهجنة .

واشتهر أبو دهل بحب فتاة تسمى عمرة من قومه ، وكانت امرأة جزلة <sup>(١)</sup> يجتمع إليها  
الرجال والنساء للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار فتتيم أبو دهل بها ، وكان لا يفارق  
مجالسها مع كل من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً تحبه وتألفه وكان حباً شريفاً قيل إنه انتهى  
بالزواج بينهما . وكان أبرز ما هاج شجوه . وألهم في عمرة شعره ، أن عمرة كانت تحرص  
على كتمان ما بينهما وتوصيه بذلك ، ولكن زوج أبي دهل اطلمت على الأمر فدمت إليها  
عجوزاً أوهمتها في لباقة أن حديث الحب بينهما شاع حتى تحدثت به أشراف قريش في مجالسها  
وسوقة أهل الحجاز في أسواقها ، والسقاة في مواردها ، فما يتدافع اثنان أنه يهاوك وتوينه  
فوئبت عمرة من مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير إليها ، وجاء أبو دهل  
على عادته فحجبت وأرسلت إليه بما كره ، ففي ذلك يقول :

تطاول هذا الليل ما يتبلج وأعيت غواشى عبرى ما تفرج  
وبت كئيباً ما أنام كأنما خلال ضلوعى جمرة تنوهج  
فطوراً أمني النفس من عمرة المنى وطوراً إذا ما لجى الحزن أنشج<sup>(١)</sup>  
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يوصل الجبل أحوج  
رأوا غرة فاستقبلوها بألبهم<sup>(٢)</sup> فراحوا على ما لا نحب وأدلجوا  
وكانوا أناساً كنت آمن غيهم فلم ينهم حلى ولم يتخرجوا  
فليت كوانيناً من أهلى وأهلها بأجمعهم فى قعر دجلة لججوا<sup>(٣)</sup>  
ومن المعانى اللطيفة والطريقة فيها قوله :

ولو تركونا لا هدى الله سعيهم ولم يلحموا قولاً من الشر ينسج  
لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج  
وهذا نسج قوى وأسلوب جليل . ثم قال :

وقلت لعباد وجاء كتابها : لهذا وربى كانت العين تخلج  
ولمى لمحزون عشية جثتها وكنت إذا ما جثتها لا أعرج  
أخطط فى ظهر الحصير كأننى أسير يخاف القتل ولهان مفلج<sup>(٤)</sup>  
فلما التقينا للجلج فى حديثها ومن آية الصرم الحديث المملجلج  
ومن المعانى الاولى فيها قوله :

وأشفق قلبى من فراق خليله لها نسب فى فرع فهر متوج  
وكف كهدهاب الدمقس لطيفة بها دوس حناء حديث مفرج  
يجول وشاحاها ويغصن حجلها ويشيع منها وقف عاج ودماج<sup>(٥)</sup>  
ومن قوله فى عمرة :

يا عمر حم فراقكم عمرا وعزمت منا النأى والهجرة  
إن كان هذا السحر منك فلا ترعى على وجهدى السحرا<sup>(٦)</sup>

(١) النشيج : صوت معه توجع وبكاء . (٢) يجمعهم .

(٣) الكوانين : القفلاء . (٤) المفلج : الفزع .

(٥) يغصن : يمتلى . والوقف : سوار من طاج . (٦) الارطاء : الابقاء .



إحدى بنى أود كلفت بها حملت بلا وتر لنا و ترا  
وترى لها دلا إذا نطقت تركت بنات فؤاده صعرا  
كتساقط الرطب الجنى من ال أفنان لا بشرأ ولا نورا  
أقسمت ما أحببت حبكم لا ثيبأ خلقت ولا بكرا  
ومقالة فيكم عركت لها جنبي أريد بهالك العذرا  
ومريد سركم عدلت به فيما يحاول مركبأ وعرا

وهذا الشعر في جملته كأنه أسلس من سابقه أسلوبا، وإن كانت في سابقه معان أعمق إلى حد، على أنك إن تعجب فقد ساق صرف الدهر أبا دهبيل الجمحي فرأى عاتكة بنت معاوية وهى فى فريضة الحج، فعلقها فؤاده وتغزل بها، وسار بمسيرها هاجرا الأهل والوطن، فلولا لطف الله وحلم معاوية وخشية القالة لكان فى ذلك حينه. ولكن الله سلم، فنجاه وهب وهو التقي الورع المحفوف برعاية الله ولطفه. لعمر أبيه لقد كان يأوى إلى ركن شديد من ربه فغفر له وآمن خوفه. إنه لم يخف بطش الخليفة، ولا جبروت يزيد أخيها. ولعله كان فى باطن نفسه لا يؤمن بخلافة بنى أمية كما أثرت لك من قبل أو لا يستجيب. وحدث أبى دهبيل مع عاتكة بنت معاوية ظريف وعجيب نذكره ليجد القارى فيه بعض السلى، وليرى فيه بعض العبر، وليتصور فيه شيئا من أدب أبى دهبيل الغزلى.

تحدث أبو الفرج الاصبهاني فى إسناد ذكره قال :

حجت عاتكة بنت معاوية بن أبى سفيان فنزلت من مكة بذى طوى، فبينما هى جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق، إذ أمرت جواربها فرفعن الست وهى جالسة فى مجلسها عليها شفوف لها تنظر إلى الطريق، إذ مر بها أبو دهبيل الجمحي وكان من أجل الناس وأحسنهم منظرا، فوقف طويلا ينظر إليها وإلى جمالها وهى غافلة. فلما فطنت له سترت وجهها، وأمرت بطرح الست وشمته، فقال أبو دهبيل :

إنى دعانى الحـين فاقتادى حتى رأيت الظبي بالبـاب  
يا حسنه إذ مـبنى مدبرا مستترا عنى بجلباب  
سبحان من وقفها حـسرة صبت على القلب بأوصاب  
يذود عنها إن تطلبها أب لها ليس بوهاب  
أحلبها قصرا منيع الذرى يحمى بأبواب وحجاب

يغفر الله لك يا أبا دهبيل ، فما كان أخرى بمثلك - وأنت التقي الورع الطاهر كما تحدث  
عنه الرواة وسارت الأخبار - أن تسكرم نفسك عن تلك المواقف الفاتنة ، وألا تقتادك  
تلك النظرات الحاطمة . ولقد أرشدك الدين الشريف ، وذلك المنطق السليم ، أن النظر مبدأ  
الحوادث ، والشرر مبعث الحرائق ومذهب المخاطر :

وكننت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر  
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

ولكن ماذا نقول وللشباب جمالة لا منجاة منها لغير المعصوم ، وللشاعرية انزلاقها  
وتدفعها المحتوم ، وللقدر حكمه اللازم المقسوم ، وللشرع الشريف تجاوزه لمن لم يندفع  
في تيار الشر ولمن طلب ما أحله الشرع مثلك كما يترجم عن ذلك ما يتمناه قولك :

يذود عنها إن تطلبها أب لها ليس بوهاب

ثم تقول الرواية : وسمع هذه الآيات بعض الناس فشاعت بمكة وشهرت وغنى بها  
المغنون حتى سمعتها عائكة لإنشادا وغناء فضحكت وأعجبها وبعثت إليه بكسوة . وجرت  
الرسل بينهما ، فلما صدرت من مكة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها فكانت تعاهده  
بالبر واللفظ حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقائه وبعد من أن يراها ومرض  
بدمشق مرضاً شديداً فقال شعراً منه :

طال ليلى وبنت كالحزون وملكت المقام في جيرون<sup>(١)</sup>  
وأطلت المقام بالشام حتى ظن أهلي مرجعات الظنون  
إلى أن يقول :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغو اص ميزت من جوهر مكنون  
وإذا ما نسبها لم تجدها في سناء من المسكارم دون

قال المبرد في الكامل : والذي كأنه إجماع الناس أن هذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان  
في بنت معاوية . على أن لصاحب الاغانى رواية أخرى تقول إنه لعبد الرحمن في أخت  
هوية . ومهما يكن فإن صاحب الاغانى يطرد في حديثه هنا فيقول : إن هذا الشعر شاع

حتى بلغ معاوية فأمسك عنه حتى إذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبيل ، فلما انصرف الناس استدناه ثم خلا به فقال له : ما كنت أظن أن في قریش أشعر منك حيث تقول :

ولقد قلت إن تقاصر نومي وتقلب ليلتي في قنوت  
ليت شعري أمن هوى طار نومي أم براني البارى قصير الجفون <sup>(١)</sup>

غير أنك قلت ، ومعى زهراء ، البيتين السابقين . والله إن فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت ، وأى شيء زدت في قدرها ؟ ولقد أسأت في قولك :

ثم خاصرتها إلى القبة الحظراء تمشي في مرمر مسنوف

ثم هدده بيزيد وجبروته وأمره بالخروج من الشام . ثم خرج أبو دهبيل إلى مكة وقال أشعارا شاعت في عاتكه ، وبلغ بعضها معاوية وبلغ بعضها يزيد . وانتهت القصة بأن معاوية زوجه إحدى بنات عمه وأفاض عليه من ماله وحمله حتى أمسك عن عاتكه تائبا على يد هذا الداهية الحليم . ولكنها صروف الدهر لم تهان أبا دهبيل فقد جر عليه قلب الأيام هوى وهوى .

وقد عشقته في طريقه إلى الغزو سيدة في بيت عريق واحتالت عليه حتى تزوجها وأقام عندها هاجرا أهله وولده حتى ظنوه قد فنى وهو حى في متعة ولهو حلال . ثم استأذنها وعاد إلى وطنه وقال في ذلك شعرا حن فيه إلى أيامه مع عشيقته الحلال وبصف بعض نعيمها وعلاقته بشعر منه قوله :

وقباب قد أسرجت ويوت نظمت بالريحان والزرجون  
قبة في الشتاء قد ضربوها عند حد الشتاء في قيطون  
ثم فارقتها على خير ما كان قرين مفارقا لقرين

رحمك الله أبا دهبيل قد طال الحديث عن غزلك حتى خفت ملل القارىء .

محمود النراوى

(١) الحق أن المعنى في هذا البيت لطيف .

## فَرْ الْحَصْلُ فِي غَزْوَةِ بَنِي قَيْنِقَاعَ

تحدثت في المقال السابق عن نظرية الدفاع الهجومى التى طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد جيش الإسلام بعد بدر ، وتجلى هذا التطبيق فى الغزوات القصيرة التى جرت فى الفترة ما بين بدر وأحد ، وقد تحدثت عن هذه الغزوات كلها تقريباً إلا واحدة هى غزوة بنى قينقاع ، فقد رغبت فى أن أفرد لها مقالاً خاصاً لأنها كانت غزوة من نوع فريد ، جاءت بشئ جديد وفن جديد من فنون الحرب ظهر لأول مرة وهو فن الحصار ...

فى هذه الغزوة لم يلق محمد أعداءه فى الميدان ، بل أثر أن يحاصروهم فى دورهم حتى تضيق بهم الحياة فيعلنوا التسليم ، ووجه العظيمة فى تلك الحطة الحكيمة التى اتخذها النبي ﷺ أنها كانت الحطة المثالية التى تناسب طبيعة الأعداء ، فكانت هى الوسيلة الفعالة فى القضاء عليهم .

وأحسن الخطط ما وضع على أساس من الدراسة التحليلية لطبيعة الأعداء ، والقائد المحنك هو الذى يعرف نقط الضعف عند أعدائه ، حتى إذا ما وجه ضربته كان واثقاً من نتيجة الفاضية .

إن الغرض النهائى من القتال أمر واحد هو القضاء على قوة العدو ، ولكن وسائل تحقيقه قد تعدد ، وإحدى هذه الوسائل الحصار .

ولكن ما الذى يدفع القائد إلى اتخاذ خطة الحصار بالذات ؟ وما الذى يدعو به إلى تفضيله عن لقاء عدوه فى الميدان مثلاً ؟ ذلك هو الأمر الجدير بالذكر والملاحظة ..

هناك شرطان أساسيان لا ينجح الحصار بدونهما فى القضاء على العدو هما : —

١ — انعدام الاكتفاء الذاتى لدى العدو "Self Sufficiency" ، والاكتفاء الذاتى ، اصطلاح معروف عند العسكريين يعبر عن توفر المؤن والذخائر ووسائل العيش دون الحاجة إلى موارد أو مساعدات خارجية ، فإذا انعدمت الكفاية الذاتية عند العدو

المحاصر وقطعت عنه وسائل الاتصال بالخارج فسوف لا يمكنه تحمل الحصار لمدة طويلة وسوف يضطر مرغما على التسليم . .

وقد رأينا في الحروب الحديثة كيف تحاول الدول المحاربة تموين جيوشها المحاصرة وتزويدها باللوازم من مؤن وأسلحة وذخائر ومهمات طبية وذلك عن طريق الجو، فترسل طائراتها فوقهم ثم تسقط لهم هذه اللوازم، وفي سنبل ذلك تتحمل تضحيات جسيمة وخسارة كبيرة لأن عدوها لن يتركها دون تدخل منه .

٢ — ضعف الروح المعنوية للعدو المحاصر . . فالروح المعنوية عامل له قيمته في الحرب وبدونه تهزم أحسن الجيوش تسليحا، وأضعفها عددا. ويحدثنا التاريخ عن جيوش حوصرت في أحوال سيئة ولكن روحها المعنوية كانت عالية، فصمدت وتحملت الحصار مددا طويلة نذكر منها القوات الانجليزية في طبرق في الحرب العالمية الثانية فقد صمدت ثمانية أشهر، وكذا القوات المصرية في الفالوجة في حملة فلسطين سنة ١٩٤٨ فقد كانت مثالا رائعا وآية معبرة أصدق تعبير عن مدى تأثير الروح المعنوية على الجيوش في الميدان .

وغير هذين الشرطين، هناك اعتبارات أخرى لها قيمتها مثل قوة تحصينات المدافعين وغيرها، غير أني اكتفيت بهما في مقام الحديث عن غزوة بني قينقاع لكفائتهما في هذا المقام .

وبنو قينقاع هم أشهر قوم من اليهود، كانوا مثال الشجاعة فيهم، وكانوا صاغة، فجاءت إلى سوقهم امرأة من العرب المسلمين كانت زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو فجلست إلى صائغ منهم، فاجتمع حولها جماعة من اليهود يغرونها أن تكشف عن وجهها فأبت، فما كان من أحدهم إلا أن غافلها وعقد طرف ثوبها إلى ظهرها بشوكة دون أن تشعر، فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا منها ساخرين، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، ولكن اليهود لحقوا به فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتواثبوا من كل ناحية، فبلغ الخبر النبي ﷺ فقال : يا معشر يهود، احذروا من الله ما نزل بقريش من النعمة - يعني في بدر - وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى إليكم به، فقالوا : يا محمد، إنك ترى أنا قومك

(أى تظننا مثل قومك) ولا يفرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنك لم تقاثل مثلنا ..

وبذلك كان بنو قينقاع أول من نقض العهد من اليهود ، ولم يكن بد من قتالهم ، فولى النبي على المدينة بشير بن عبد المنذر ، وخرج إليهم في الخامس عشر من شوال وكان حمزة حامل اللواء ، فتحصنوا في دورهم ، فحاصرهم المسلمون وكان عدد اليهود ثلاثمائة رجل مسلحين بالدرع ، وأربعمائة غير مسلحين ، واستمر الحصار خمسة عشر يوما متتابعة لا يخرج منهم أحد ، ولا يدخل عليهم بطعام أحد ، ولما اشتد بهم الحال ، وكادوا يهلكون ، أعلنوا التسليم ...

من هذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد انتهج خطة الحصار ، فكانت ناجحة كل النجاح ، وكانت عملا بارعا آية في الدلالة على الفطنة والحكمة ...

فإذا رجعنا إلى الشروط التي ذكرتها للحصار الناجح نجد أنها تنطبق تمام الانطباق على حالة يهود بنى قينقاع :

#### أولا : انعدام الاكتفاء الذاتي :

فلم يكن لبنى قينقاع نخيل أو زرع يعيشون من خيراته ، فلقد كانوا صاغة يعيشون مما يصوغون من حلى وغيرها ، وبذلك كانوا يعتمدون على غيرهم في الطعام ، وهكذا كان حصارهم وقطع الصلة بينهم وبين غيرهم أنجع وسيلة لقهرهم ، لأنهم كانوا لن يطيقوا الصبر على الحرمان من ألزم مقومات الحياة ..

#### ثانياً : ضعف الروح المعنوية :

كانت الروح المعنوية عند بنى قينقاع ضعيفة ، وكانت هناك لهذا الضعف أسباب قوية وهي :

١ — لم يكن لهم أنصار قريبون منهم لأن سائر اليهود المنتسبين إلى المدينة كانوا يقيمون بعيداً عنها بخير وما أشبهها ، ولا شك أن شعورهم ببعد النصير عنهم في وقت هم فيه محاطون بأعدائهم لما يضعف روحهم المعنوية تماماً ..

٢ - سبب هذا الحصار وانقطاع أسباب اتصالهم بالخارج ، كساد الحالة التجارية لهم ، وبالنظر إلى غريزة حب المال المطبوعة في هذه الطائفة إلى درجة العبادة . نجد أن انقطاع ورود المال إلى أيديهم ، واختفاء بريقه عن عيونهم من أقوى أسباب انخفاض روحهم المعنوية ، فلم يكن من المستغرب أن يضيقوا ذرعاً بتلك الحال وأن يسرعوا إلى التسليم . .

ثم إن هناك اعتباراً آخر جعل النبي ﷺ يفضل حصار بني قينقاع على قتالهم وهو أنهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم مالا ، فرأى أنه إذا قاتلهم في الميدان ربما يفر منهم بعضهم ليستعدوا للجمع له والإغارة عليه ، فوجد أن الخلاص منهم جميعاً مرة واحدة أحسن وذلك بحصارهم وأسرمهم .

وقد قرر النبي ﷺ - بعد أن استشار أصحابه - قتلهم جميعاً ليستريح من شرهم ، فلم يرض بذلك عبد الله بن أبي ( ابن سلول ) وكان حليفاً لليهود وللسلبيين ، فألح على الرسول قائلاً : يا محمد أحسن في موالي . .

فأعرض عنه النبي ، فأدخل يده في جيب درع النبي من خلفه ؛ فقال له غاضباً ( ويحك أرسلني ) وكررها مرتين ، فقال : والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فإنهم أعزت ولاني والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال النبي ﷺ : خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم ، خذهم لا بارك الله لك فيهم . .

وأمر صلى الله عليه وسلم بإجلاء اليهود عن المدينة وكلف عبادة بن الصامت رضي الله عنه بهذا الأمر ، فأمهلهم ثلاثة أيام ليستعدوا فيها للجلاء ، وكان ذلك سهلاً فلم تكن لهم بالمدينة كما ذكرت أراض زراعية أو نخيل . ورحلوا عن المدينة تاركين وراءهم السلاح وأدوات الذهب الذي كانوا يصوغون وساروا إلى أذرعات بالشام .

ولقد كان لإجلاء اليهود عن المدينة تصرفاً سياسياً آتياً في الدلالة على الحكمة وبعد النظر فلم يكن أضر على وحدة المدينة من تنازع الطوائف فيها ، فكان لإجلاء اليهود مقدمة لم يكن منها بد للأثار السياسية التي ترتبت بعد ذلك على خطط الإسلام ؟

محمد جمال الدين محفوظ

بوزباشي أركان الحرب

مِنْ نَوَادِرِ الْمَنَظُومَاتِ

## إِنْبَاءُ الْغَمْرِ بِإِنْبَاءِ الْعُمَرِ

أشار الأستاذ السيد محب الدين الخطيب في ترجمته الوافية لابن حجر في الجزء الماضي من مجلة الأزهر إلى مؤلفات ابن حجر القيمة في الفنون المختلفة وعد منها كتاب «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس» الذي ترجم فيه لشيخه ، وعد منها كتاب «إنباء الغمر بأبناء العمر» . وقد تحدثنا إلى القراء في كلفة سابقة بهذه المجلة عن كتاب المجمع المؤسس الذي توجد مسودته بمكتبة الأزهر ، ونحدث إليهم اليوم بمناسبة كلفة السيد محب الدين عن كتابه «إنباء الغمر بأبناء العمر» . وأول ما نلاحظه على الكتاب أن بعنوانه غرابة على بعض القراء ، فكلمة «الغمر» بضم الغين بمعنى قليل الخبرة والتجربة تخفى على كثير منهم وإن كانت متداولة في بعض قرى الصعيد بهذا المعنى . وخلاصة عنوان الكتاب أنه إخبار للغافلين بأخبار علماء عصره وعظماء وأعيانه ، كما يلاحظ أيضاً التجنيس فيه بين إنباء وأبناء والغمر والعمر ، والتجنيس في عناوين الكتب ظاهرة شائعة قديماً وحديثاً . وقد جمع ابن حجر في كتابه هذا حوادث الزمان ووفيات الأعيان وبخاصة أعيان رجال الحديث الذين أخذ عنهم وتلقى منهم ، واعتمد في مادة الكتاب على مشاهدته أو نقله عن وثق بهم من الأشخاص والكتب ، وعدد بعض هؤلاء الأشخاص في خطبة الكتاب كما يأتي . واستحسن ابن حجر أن يعتبر هذا الكتاب - من حيث الحوادث - ذيلًا على تاريخ ابن كثير ، فإنه انتهى في ذيل تاريخه إلى هذه السنة ، وأن يكون ذيلًا على الوفيات لتقى الدين بن رافع من حيث وفيات الأشخاص فإن كلا منهما انتهى في تاريخه إلى السنة التي ابتدأ فيها ابن حجر بتأليف كتابه سنة ٧٧٣ هـ .

والكتاب يصور عصر ابن حجر تصويراً دقيقاً ، خصوصاً من ناحية النظم الإدارية ورقابة الحكومة للحالة الاقتصادية وعلاقتها بالتجار ، كما يصور علاقة أهل الأديان بعضهم ببعض ، ويروى في ذلك نوادر غاية في الطرافة .

وإلى القارئ تعريف الكتاب كما جاء في خطبته :

أما بعد : فيقول العبد الضعيف أحمد بن علي بن محمد بن علي ... .. ابن حجر العسقلاني الأصل المصري المولد القاهري الدار : هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان



الذى أدر كته منذ مولدى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وهلم جرا ، مفصلا فى كل سنة عن وفيات الأعيان ، مستوعبا رواة الحديث ، خصوصا من لقيته وأجاز لى . وغالب ما أورد فيه ما شاهدته أو تلقفته من أرجع إليه ، أو وجدته بخط من أثق به من مشايخى ورفقتى ، كالنارخ السكبر للشيوخ ناصر الدين بن الفرات ، وقد سمعت عليه جملة من الحديث . ولصارم الدين بن دقاق ، وقد اجتمعت به كثيرا ، وغالب ما أنقله من خطه ومن خط ابن الفرات عنه . وللحافظ العلامة شهاب الدين أحمد بن علاء الدين حجبى الدمشقى ، وقد سمعت منه وسمع منى والفاضل البارع المفتى تقي الدين أحمد بن على المقرئى . والحافظ العالم شيخ الحرم تقي الدين محمد بن أحمد بن على القاسى القاضى المسالكى بمكة . والحافظ صلاح الدين خليل ابن محمد بن محمد الأفهى وغيرهم ، وطالعت عليه نارخ القاضى بدر الدين بن محمود العينى وذكر أن الحافظ عماد الدين بن كثير عمدته فى تاريخه وهو كما قال ، لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقاق حتى كان يكتب منه الورقة الكاملة متوالية ، وربما قلده فيما يسم فى حق اللحن الظاهر . وأعجب منه أن ابن دقاق يذكر فى بعض الأحداث ما يدل على أنه شاهدها فيكتب البدر كلامه بعينه بما تضمنه وتسكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعد فى عتاق<sup>(١)</sup> ولم أتشاغل بتتبع عثراته بل كتبت منه ما ليس عندى مما أظن أنه اطلع عليه من الأمور التى كنا نغيب عنها ، وسميته « إنباء الغمر بأبناء العمر » ، والله أسأل أن يختم لنا بخير ، وهذا الكتاب يحسن - من حيث الحوادث - أن يكون ذيل على تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير ، فإنه انتهى فى ذيل تاريخه إلى هذه السنة ، ومن حيث الوفيات أن يكون ذيل على الوفيات التى جمعها الحافظ تقي الدين بن رافع فإنها انتهت إلى أوائل هذه السنة وعلى الله أعتمد ... ثم قدر الله سبحانه لى الوصول إلى حلب حرصها الله تعالى فى شهر رمضان سنة ست وثلاثين وطالعت تاريخها الذى جمعه الحاكم بها العلامة الاوحد الحافظ علاء الدين ذيل على تاريخها لابن العديم وقد بيض أوائله ، فطالعت كنه من المبيضة ثم من المسودة وألحقت فيه أشياء كثيرة وسمعت منه أيضا وسمع منى ... .

[ ١ ] المجلة : وكان جرجى زيدان يقع فى مثل هذا الخطأ . ومن ذلك أنه فى الطبعة الأولى من كتابه تاريخ مصر زعم أنه رأى جهة باب زويلة قبل أن يحدث فيها التعديل والتغيير ، مع أن التغيير الحادث كان أقدم من زمن جرجى زيدان . ثم نبه العلامة المحقق أحمد تيمور باشا إلى أن جرجى زيدان نقل عبارة مؤرخ فرنسى ذكر تيمور باشا اسمه ، وذلك المؤرخ الفرنسى هو الذى رأى ما نقله عنه جرجى زيدان دون أن يمزوه إليه .

والكتاب بالمكتبة الازهرية ، وهو من نواذرهما في فن التاريخ ، ويقع في مجلدين كبيرين عدد أوراقهما ٢٢٧ و ٣١٨ ورقة وسطور الاول مختلفة بين ٢٣ و ٢٥ والثاني بين ٢٥ و ٢٨ سطرا وكتبات السطور مختلفة بين ١٧ و ٢٢ كلة ، وهما بخط علي بن داود الخطيب وكان الفراغ منه في رمضان سنة ٨٧٩ كما ذكر في آخره أى بعد وفاة المؤلف بنحو ربع قرن فقد توفي الحافظ بن حجر سنة ٨٥٢ هـ .

وبظاهر الصفحة الاولى من المجلد الاول مذهب مستطيل بأعلاها في وسطه د الجزء الاول ، وبوسط الصفحة ثمن به د لشيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين بن حجر ، وبأسفلها مستطيل مذهب به اسم الكتاب د لبناء الغمر بأبناء العمر ، وبعض أوراقه ترقيع ذهب ببعض الكلمات كما أن به خرما ، وعلى هامشه تعليقات واستدراكات وتكملات تاريخية قيمة بمخطوط مختلفة تخالف خط الاصل ، وبه تمليكات متعددة تدل على أن الكتاب تداوله بالمطالعة مؤرخون لبعضهم تضلع في علم التاريخ يبدو ذلك في التصويب والتكميل . فإذا أهمل ابن حجر بعض مؤلفات من يترجم له استدرك بعض المطالعين ذلك على هامشه فأكمله ، وإذا أخطأ في حادثة تاريخية صوبها ، والكتاب بهذه الهوامش قد استوفى عناصر التحقيق العلمى الصحيح . ويعيب هذه النسخة ما فيها من خرم وترقيع ، وربما أمكن لإخراج نسخة كاملة منها ومن المسودة التى ذكر الاستاذ محب الدين أنها بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهى بخط المؤلف .

وقد فرغ ابن حجر من كتابه هذا بعد كتاب د المجمع المؤسس ، فقد فرغ من المجمع سنة ٨٢٩ هـ ، لذلك تكررت بعض تراجم رجاله وبخاصة تراجم شيوخه ، وقد أشار إلى ذلك بعض المعلقين على هوامش النسخة في مواضع كثيرة .

وبعد — فإن الحافظ ابن حجر شخصية دينية تاريخية خصبه جدرة بأن تدرس وتعرض وتنشر صحائف مجدها العلمى لتسكون أسوة يقتفى أثرها شباب الإسلام ويستقنرون بأضوائها إلى أهدافهم العلمية .

غفر الله له وأفسح له فى جناته وأسبغ عليه سحاب الرضوان

أبر الوفا المرافى

مدير المكتبة الازهرية

# اِخْتِلَافُ الدَّارَيْنِ فِي التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْقَانُونِ الْمِصْرِيِّ

- ١ -

١ - من موانع الإرث في التشريع الإسلامي مانع يتعلق بالمركز القانوني للأجانب بمقتضاه يتمتع الميراث بين غير المسلم (الذمي) الذي يعيش على إقليم تنبسط عليه السيادة الإسلامية، وبين غير المسلم الخارج عن نطاق هذا الإقليم أى الموجود في بلد ليس خاضعاً للسيادة الإسلامية، وهذا المانع ليس بمجما عليه من جميع فقهاء الشريعة الغراء؛ إذ يقول به الحنفية والشافعية فقط، ولا يراه الإمامان مالك وأحمد مانعاً<sup>(١)</sup>.

٢ - ويتضح معنى الإقليم الذي تنبسط عليه السيادة الإسلامية من سواء، من القول بأن التشريع الإسلامي يقسم العالم إلى دارين: أولها دار الإسلام، وهى الإقليم الإسلامي أو مكان الإسلام<sup>(٢)</sup> وهذه الدار تسكنها ثلاث طوائف من الناس، الأولى طائفة المسلمين والثانية طائفة الذميين، والثالثة طائفة المستأمنين، ويعتبر أهل الكتاب<sup>(٣)</sup> من الذميين، ومثاهم المسيحيون واليهود والصابئة - وثانيتها دار الحرب وهى بلاد الحرب<sup>(٤)</sup> وتشمل كل البلاد التى لا تدين بالإسلام، ولا تجرى عليها أحكامه، ولا يأمن من فيها بأمان المسلمين<sup>(٥)</sup>، ويستوى في ذلك أن تقوم دولة واحدة بحكم هذه البلاد أو أن تقوم بحكمها دول كثيرة، ولا يهم أن يكون بعض السكان القاطنين بها يعتقدون الإسلام مادامت قوانين الإسلام وأحكام الشرع غير ظاهرة فيها، وما دام المسلمون لا يستطيعون إلى إظهار

(١) تعرضت لهذا المانع المادة ٥٨٨ من [كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية لقدرى «بأنا» بقولها: «اختلاف الدارين في حق المستأمن والذمي في دار الإسلام، وفي حق الحريين والمستأمنين من دارين مختلفين، وفي حق الذمي والحربي...».

(٢) Le Locus de l'Islam انظر بحثنا للاستاذ أحمد رشيد في «مجموعة أكاديمية القانون الدولي» سنة ١٩٣٧ تحت عنوان: L'Islam et le droit des gens. t. 60 p. 415.

(٣) «Gens du Livre» (٤) Le Locus de la guerre.

(٥) انظر: الشيخ عبد الوهاب خلاف في «السياسة الشرعية» سنة ١٣٥٠ هـ للطبعة السلفية

أحكام وقوانين دينهم فيها من سبيل ، فالديانات والعقائد التي لا تخضع للإسلام هي التي يكون معتقوها في الواقع إقليم الحرب أو دار الحرب <sup>(١)</sup> .

٣ — ولنفهم هذا المانع القائم على أساس اختلاف الدارين لدى الحنفية ، نقول إن الميراث في المذهب الحنفي يبنى على أساس العصمة والولاية فيما بين الأفراد ، سواء أكان هؤلاء الاخيريون مسلمين أم كانوا غير مسلمين : ذميين أو مستأمنين أو حربيين <sup>(٢)</sup> ، واختلاف الدار يعني تميز البلد وانفصاله في عسكره ونظام حكمه وأحكام قوانينه ، وهذا التميز والاختلاف إنما ينشأ عنه انقطاع العصمة والولاية بين الأفراد ، ومن أجل ذلك يتمتع الميراث ، ويعتبر هذا الاختلاف في الدار مانعاً من الإرث بين التابعين لدولة معينة والتابعين لدولة أخرى .

٤ — واختلاف الدار قد يكون اختلافاً حقيقياً ، وقد يكون اختلافاً حكماً ، والاختلاف الحقيقي مثاله الاختلاف الواقع بالنسبة للحربي من جهة والذمي من جهة أخرى ، وفيه يتمتع ميراث أي منهما من الآخر ، فلا توارث بينهما إذا مات الحربي مثلاً في دار الحرب وله أب أو ابن ذمي في دار الإسلام ، أو إذا مات الذمي في دار الإسلام وله أب أو ابن في دار الحرب .

والعلة في ذلك واضحة ، وهي اختلاف الدارين بالنسبة إليهما ؛ إذ ثمة تباين بين دار الذمي ودار الحربي ؛ فدار الأول هي دار الإسلام ، ودار الثاني هي دار الحرب ، وهذا الاختلاف

(١) انظر : "La conception et la pratique du dr. inter. privé dans l'Islam" (Etude juridique et historique) par Choucri Cardahi, Recueil des Cours, op. cit, p. 518.

وانظر بحثنا لنا تحت عنوان "La conception de la nationalité et l'Etat des étrangers, " dans la legislation islamique "

(٢) يعيش الذميون في دار الاسلام بناء على « عقد القمة » وهو عقد مؤبد عقده معهم المسلمون حين امتد سلطانهم إلى مختلف البلدان التي فيها ثبت بعض الأهالي على عقيدتهم الأولى كالمسيحية واليهودية ولم يدخلوا في دين الاسلام ، وبمقتضاه يترك هؤلاء وما يدينون به ، ويماملون معاملة طيبة ، ويأمنون في دار الاسلام على أنفسهم وأموالهم وإلى جوار هذا العقد المؤبد عرف عقد آخر هو [ عقد الامان ] وهو خاص بتأمين الحربيين الذين يقدون إلى دار الاسلام ، ولكنه عقد مؤقت بعام ، لأن الحربيين هم من الأجانب عن المسلمين ، فهم من دار الحرب التي تعتبر دار عداء بالنسبة لدار الاسلام وبالنسبة للمسلمين فيها . انظر : دكتور محمد عبد المنعم رياض ( بك ) في « مبادئ القانون الدولي الخاص »

يقطع الولاية فيما بينهما ، ومن شأن انقطاع الولاية امتناع التوريث القائم على أساسها ، وذلك بالرغم من اتحاد الملة بين هذين الشخصين <sup>(١)</sup> .

٥ — والاختلاف الحكمي مثاله الاختلاف الحاصل بين المستأمن <sup>(٢)</sup> من جهة ، والذي من جهة أخرى ، وتوضيح هذا الاختلاف أن المستأمن هو من أهل دار الحرب ، ولكنه أنى دار الإسلام <sup>(٣)</sup> وأمنه المسلمون بأمان مؤقت خاص ، فهو ليس أصيلاً في دار الإسلام ولا مستطيلاً أن يملك فيها أكثر من وقت معين ، وإن فعل دخل في زمرة الذميين وطبقت عليه أحكام الإسلام في شأن هؤلاء الآخرين ، وهو ليس أصيلاً في دار الإسلام ، بمعنى أنه يستطيع أن يغادرها ويؤوب إلى بلاده أو إلى غير بلاده خارج نطاق بلاد المسلمين ، ولذلك فوضعه مع الذي في دار واحدة هي دار الإسلام لا يعنى اختلاف الدار بالنسبة إليهما حقيقة ، وإنما يعنى اختلافهما حكماً ، بالرغم من أن الواقع المشاهد هو أنهما في الحقيقة موجودان في دار واحدة .

على أنه لا فرق في الميراث بين حكم اختلاف الدار حكماً وحكم اختلافها حقيقة ، بمعنى أن اختلاف الدار حكماً يمنع التوارث بين المستأمن والذي تماماً كما يمنع اختلافها حقيقة الوراثة بين الحربى والذي .

٦ — وقد استقى المشرع المصرى الحديث أحكام التشريع الإسلامى في مادة الموارث

(١) انظر : الشيخ عبد الله مصطفى المراغى في « التشريع الإسلامى لغير المسلمين » ص ١٠٥

(٢) المستأمن هو حربى في الأصل ، ولكن سمح له بدخول دار الاسلام بأمان خاص ، يصير بمقتضاه آمناً على نفسه وماله فيها ، وبغير هذا الأمان لا تصعب نفسه ولا ماله في هذه الدار ، فيعتبران فيثاً للمسلمين ، ويمرض لقتلهم وأسرهم إياه ما لم ينتفق الهداية الاسلامية ، وقد يطيل المقام في دار الاسلام ، وحينئذ يأمره المسلمون بالخروج منها فإن بقى بعد هذا الأمر سنة كاملة فرضت عليه الجزية وصار ذمياً ، وكذلك يعتبر ذمياً بطريق ضعى إذا حدث منه ما يدل على أنه قد أزمع التوطن والعيش في هذه الدار كشرائه لأرض خراج وزراعتها والتزامه الخراج — انظر في هذا الصدد : الفاضى أبابوسف في « الخراج » طبعة السلفية سنة ١٣٥٢ ص ١٨٧ وما بعدها .

(٣) يأتى المستأمن إلى دار الاسلام لاغراض شتى ، منها التجارة ، ومنها الزيارة .

وأصدر قانوناً خاصاً بذلك هو القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣<sup>(١)</sup>، بيد أن المشرع المذكور لم يأخذ في هذا القانون بمناخ اختلاف الدارين على إطلاقه . ولفهم ما ورد فيه خاصاً بهذا المناخ ، نقول إن الامر الآن وفقاً لهذا القانون يتلخص في ثلاثة فروض رئيسية :

أولها خاص باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين المسلمين وغير المسلمين .

وثانيها خاص باختلاف الدارين بالنسبة للمسلمين .

وثالثها خاص باختلاف الدارين بالنسبة لغير المسلمين .

٧ — الفرض الأول : وهو المتعلق باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين المسلمين

وغير المسلمين :

يلاحظ بشأنه أنه لا توارث بين المسلمين وغيرهم على الإطلاق ، وهذا حظر شرعى قرره التشريع الإسلامى ، ولا أهمية ولا اعتبار لاختلاف الدارين فيه ، وحظر هذا التوارث هو نفسه مانع من الإرث ، مما نفضل معه أن نبجسه في بحث مستقل قادم إن شاء الله .

(١) يمكن القول من وجهة نظر [ القانون المقارن ] الآن إن مانع اختلاف الدارين في التشريع الإسلامى والقانون المصرى يشابهه ذلك المناخ المتعلق بالمركز القانونى للأجانب القدى عرفه القانون الفرنسى ، إذ نصت المجموعة المدنية الفرنسية الصادرة في سنة ١٨٠٤ على حرمان الأجنبي من ميراث الأموال التى يملكها أبوه في إقليم المملكة الفرنسية [ سواء أ كان هذا الأب فرنسياً أم كان أجنبياً ( Voir l'art. 126 de Code C. F. ) ] بيد أن هذا المنع لم يمتك أكثر من أربعة عشر عاماً ، إذ صدر في فرنسا بتاريخ ١٤ يوليو سنة ١٨١٩ قانون بمقتضاه يكون للأجانب حق الارث والتصرف من الفرنسيين ، كما لهؤلاء الأخيرين أن يرثوا منهم ويتصرفوا إليهم تماماً في جميع أرجاء فرنسا . هذا وقد جاء هذا القانون بتقرير حق خاص أطلق عليه Le droit de prélevement وفيه ما يدل على تمسك بالمساواة بين الوارثين الفرنسيين والوارثين الأجانب إذا كانوا مشتركين في تركه واحدة ، إذ بمقتضى هذا الحق يستطيع الوارث الفرنسى الموجود بالخارج في مثل الفرض السالف إذا كان القانون الأجنبى يجعله مستحقاً لأموال واقعة في الخارج أن يحصل من الأموال الموجودة في فرنسا على قيمة معادلة لتلك الأموال ، ما دام الفرض أن التركة تضم أموالاً ليست كلها في فرنسا بل يوجد بعضها في خارج حدودها .

انظر : Prof. Gaston Stefani, Les successions abintestat et testamentaire en droit français conporé au droit égyptien, Rev. Al-Qanoun wal Iqtisad, XXI<sup>e</sup> année, No I p. 47.

٨ — الفرض الثاني : وهو المتعلق باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين المسلمين :

المتفق عليه بغير خلاف هو أن اختلاف الدار ليس مانعاً من الميراث بين المسلمين ،  
أى أن المسلم يرث المسلم مهما اختلفت دولة كل منهم ، وهنا فلاحظ صورتين :

٩ — الاولى : إذا كان التوارث بين مسلم مصرى ومسلم غير مصرى قاطن  
في إحدى البلاد الإسلامية ، وهنا يتضح تماماً أن اختلاف الجنسية حسب القوانين الوضعية  
الحديثة لا يمنع التوارث بين هذين المسلمين ، إذا قام سببه ؛ لأن التوارث يتعلق في الإسلام  
بالجنسية المعتبرة فيه لا بالجنسية الوضعية ، والجنسية المعتبرة فيه هي الجنسية الإسلامية التي  
يتمتع بها أبناء دار الإسلام ، وما دام طرفا الميراث : المورث والوارث في هذه الصورة ،  
هما من دار الإسلام ؛ إذ أن كلاهما يقع بلداً إسلامياً ، فالتوارث بينهما واقع ، لأن العبرة  
في وقوعه هي بالجنسية الإسلامية العامة في دار الإسلام ، وليست العبرة بجنسية كل منهما بحسب  
القانون الوضعي في البلدين اللذين يتبعان لهما : وتطبيقاً لذلك يحدث التوارث بين المسلمين  
في مصر والمسلمين في أى بلد من البلاد العربية كسوريا ولبنان وليبيا والمملكة العربية  
السعودية والكويت والبحرين واليمن ، وكذلك المسلمون في البلاد الإسلامية كأندونيسيا  
والبالكستان ؛ لأن كل هذه البلاد تجمعها دار الإسلام .

١٠ — الثانية : إذا كان التوارث بين مسلم مصرى ومسلم غير مصرى قاطن في أى بلد  
من بلاد العالم غير البلاد الإسلامية أو متجنس بجنسيته ، وهنا يحدث التوارث بينهما ، وذلك  
متفق عليه بغير خلاف ، والعلة فيه أن ولاية المسلم في الميراث هي الإسلام مهما اختلفت الدار  
التي يتبعها ومهما اختلفت الجنسية الوضعية التي يتجنس بها ، أى أننا في هذه الصورة لا نحتاج  
إلى التقسيم الثنائي للعالم إلى دار إسلام ودار حرب ؛ لأن الدار غير معتبرة هنا في التوريث ،  
وتطبيقاً لذلك يقع التوارث بين المسلم المصرى والمسلم الروسى أو الألماني أو النمساوى  
أو الفرنسى أو البلجيكى أو الاسبانى أو الإنجليزى أو الأمريكى ... الخ .

أحمد طه السنوسى

# دَوْلَةُ الشَّعْرِ

مهداة إلى شعراء العربية وأدبائها في مصر والشرق العربي

« فلسفة العالم فلسفة كاذبة ،

« ما أبعد فجر هذا العالم وما أروع ظلمته ،

يا دولة الشعر ثورى	حسب العروبة هجرا
فما لورقك نشوى	وما لغيدك أسرى ١٩
فالنيل فى مصر يجرى	أما للأبنك مسرى ١٩
بلا بل النيل .. ثورى	وأرسلى الشعر بكرا
ملاّت سمعى همسا	وصحت فى الشرق دهرا
وصغت زهر القوافى	من الفردايس درا
فهل طوى الشعر .. ايل	وكم طوى الليل شعرا ١
مثلت بالامس دورا	فثنلى اليوم .. دورا

\*\*\*

« يا دولة الشعر .. ثورى	فالمكون حولى .. يثور
والارض بالناس تجرى	طورا ، وطورا تدور
والنيل صاح .. فصاحت	فى المشرقين الدهور
فدك صرح ودالت	للمالكين ... عصور ...
وروع الدهر وارتا	عت فى الرواى الطيور
ففى العرين أسود	وفى الفضاء نسور ..
وفى الخائل .. عرس	وفى الودائف .. نور
وموكب النصر يمشى	والدهر فيه يسير

\*\*\*

يادولة الشعر ثورى	قد ضاق هذا الفضاء
فالغرب ثار وجئت	ساسانه ... الادعياء



والغرب تعصف فيه رياحه ... الحقاء ...  
وتصرخ الجنب في لا بقيه ... والظلماء ...  
سلى (فرنسا) أفى ( تو نس ) تراق الدماء ؟  
ففى ( الجزائر ) نار وفى البوادي .. عواء !!  
و ( الدار ) ولول فيها وفى الدياجى الفناء (١)  
فما على الارض حب وما بها ... رحماء  
فنحن فى الجرح والبلو فى الحياة .. سواء  
شعب على الحب يحيا وأمة ... عزلاء  
فأين فى الارض تلك الشرائع ... الوضاء ؟  
هزوا قلوب الليالى بأبها .. الشعراء  
فالشعر وحى ، وذكرى وحكمة ... وغناء

\* \* \*

يا دولة الشعر ثورى طال النوى واللقاء  
يا شرق .. يا مهبط الوحى ضجعت د الخضراء ، (٢)  
فهمذ الارض ضاقت فهل تضيق السماء ١٩  
أين السلام ؟ وأين الحرية الحمرام ؟  
وأين تلك الحضارات أيها ... الدخلاء ؟  
شريعة الكون حب ورحمة .. ولأخاء ..  
سلى د فرنسا ، أ للظلم دولة .. وبقاء ؟  
عوت شياطينها والمها بد ... الخرساء !!  
يا دولة العلم والفلسفا ت أين .. الحياء ١٩  
دارت عليك الليالى وناحت .. النكباء  
د شريعة الغاب ، ماتت ومال هذا البناء ..  
مهد الحضارات .. أين القضاة ، والحكام  
فالحب فيك جفاء والجور فيك قضاء ..

(١) هى الدار البيضاء من ثور المغرب الاقصى .

(٢) هى تونس التى يقوم الفرنسيون فيها بتهذيب الاحرار المجاهدين .

شباب الزمان وضلت سبيلها .. العلماء ..  
فأين يا أم دفر .. جنا توك الفيحاء ؟  
وأين علم الليالي والشعر والشعراء ؟  
يا دولة الشعر ثوري \* \* وأيقظي .. الثورة اما  
هذا شرايك يجرى فأرسلني الانعاما  
وودعي الامس ، وامضي واستقبلي الاياما  
جددت بالامس نفسي فجددى (الإسلاما)  
وشيءي الظلم والظا لمين .. والاورهاما  
فصر قد شيعتها والدهر كان غلاما  
نادى (نجيب) فتورى وحطى .. الاصلاما  
فالبعى أدعى قلوباً والجور أدعى عظاما  
فابنى مع الدهر صرحاً يُشيبُ : . : الانهراما ،  
نمتك مصر ، ومصر تُكرّم .. الاعلاما  
فكرى اليوم (شعباً) وأمة و (لهاما) (١)  
وحطى القيد وامضى وجردى الاقلاما  
تلك الجحافل تمشى فألهبى الافهاما  
وأرسلنى الشعر ناراً وأرسله سهاما  
فالشعر يبنى شعوباً ويلهم الاقواما ..  
خذى (الكتاب) دليلاً وهادياً ... وإماما  
فنحن قوم .. عرفنا مع الحياة النظاما  
ولا نخاف الليالي ولا نهاب الحماما  
ولم نكرنا بعثنا ها الجثة ... وضراما  
ولم نسج الليل كننا حرباً ، وكنا سلاما  
أجنادنا خالداً تشيب الاعواما

[١] الاهتمام بضم اللام : الجيش العظيم ، كأنه يلتم كل شئ .

الأرض صارت جحيمًا      والكون أمسى ظلامًا  
فإن سهونا ضللنا      سبيلنا ، والمقاما  
وإن مشينا بلغنا      مع الجهاد المراما ..  
صاح (الهزبر) فهزت      صيحاته .. الآجاما  
وزلزلت في الليالي      صرحا على الظلم قاما  
فصيرته يبابًا      وصيرته خطاما  
فأيقظ في الروابي      الدوح والأكماما  
ومزق الحجب ، وامضى      وحقق .. الاحلاما

يا دولة الشعر ثورى \* \* \*  
فالنيل للشعر روض \*  
ضاق الفضاء فتورى \*  
الشرق قد كبته \*  
ففي المدائن هول \*  
وفي ( فلسطين ) صرعى \*  
وفي البطاح كماء \*  
بينى ، وبينك ههد \*

يا دولة الشعر ثورى \* \* \*  
وداعب النيل فجر \*  
وهادن الدهر مصرأ \*  
وألف الله شعبأ \*  
صحبت في الدهر جيلا \*  
فأين ، شوقي ، وجيل \*  
أرى على الشط نورأ \*  
مصر الفتية .. ثارت \*

صابر على رمضان  
المجوشى

الزقازيق

# الاضطرابات العقلية

## في أمراض الشخصية

عند العلامة ريبو (١)

يقول وودورث : إننا إذا اعتبرنا الشخص دائماً وحدة مستقلة فإنه يحتاج إلى ما يملكه هذه الوحدة ، فإن ميوله الطبيعية المختلفة ورغباته لا تعمل مجتمعة دواماً ، بل إن بعضها يناقض - بالضرورة - البعض الآخر ؛ حتى إننا أحياناً نقول عن الشخص الذي يسلك سلوكاً مخالفاً لسلوكه العادى . إنه شخص آخر ، وقد نصف شخصاً بالكمال ، ونريد بذلك عدم تغيره وارتباط ميوله المختلفة ارتباطاً محكماً بحيث أصبحت تعمل مجتمعة ؛ ونقول عن آخر إنه غير كامل ، وإنه قلق لا يثبت على حال ... ،

والذى يهمنا من كلام العلامة وودورث أن الشخصية تنقسم وتعدد وتسير في أكثر من طريق واحد ، فيكون للإنسان شخصيتان أو أكثر : شخصية له في عمله ، وأخرى في منزله ، وقد تكون الغرائز والميول والرغبات المسيطرة على الإنسان مختلفة في كل جهة عنها في الأخرى . فما هو السبب في ذلك ؟ إن الإجابة على هذا السؤال تلمس عند العلامة ريبو .

فقد أفرد ريبو كتاباً خاصاً لأمراض الشخصية ، وهو يقسمها إلى اضطرابات عضوية واضطرابات عاطفية واضطرابات عقلية ؛ ثم تكلم عن انحلال الشخصية ، وأوضح بعد ذلك النتائج التى حصل عليها من تجاربه . ويعطينا هنا ما قاله عن الاضطرابات العقلية .

١ - يبدأ ريبو الفصل الخاص بالاضطرابات العقلية متسائلاً عن مهمة الحواس الخمس ، وعن الدور الذى تلعبه في الشخصية ؛ وعما يحدث للشخصية لو قصرت إحدى الحواس أو بعضها في أداء وظيفتها ، ويجب على ذلك بأن الشخصية لا تتأثر بذلك . وفقدان الحواس قد يكون وراثياً وقد يكون مكتسباً . وبالرغم من شدة تأثيره في الحالة الأولى عنه في الثانية إلا أن ، فقدان حاسة أو عدة حواس ، فطرياً كان ذلك أم مكتسباً ، لا يجر على الشخصية أية حالة مرضية . والتربية كفيلة بإصلاح أى أثر يحدث . فالحواس تحدد الشخصية ولكنها لا تكونها .

وأعراض الحواس عديدة ، ولكل حاسة أمراض تختلف شدة وضعفها ، وباجتماع بعض هذه الأمراض تخلق عناصر شخصية جديدة ، وتصدق العبارة المشهورة « لقد فقدت شعورى بوجودى ، ولم أعد أنا نفسى » ، بل قد يستفحل الأمر فتزدوج الشخصية ويشعر المريض بأن لديه شخصية تفكر ، وأخرى تنفذ . غير أن « الأنا » الجديد لا يستطيع الظهور فى كل حالة بل إنه سرعان ما يزول بعد تكونه ولا يستطيع أن يحل محل « الأنا » الاصلى . ويرى الدكتور مورتن برنس أن الشخصية الجديدة قد تراث الأولى علماً وعملاً وقد لا تراثها فى شئ مطلقاً أى يصبح الفرد كأنه طفل حديث الولادة لا يدرك عن الحياة شيئاً .

وتؤثر بنية الشخص وتركيبه الجسدى فى الشخصية ، ويصعب مع هذا التمييز فى الحياة العادية بين الخصال العقلية والجسدية وإن أمكن ذلك فمن الناحية النظرية فقط ، فحجم الإنسان يؤثر على العلاقات بينه وبين الناس ؛ فالضخم يستولى على غيره بسهولة لضخامة جسمه ، ولهذا يميل إلى البشاشة ، بينما الصغير الحجم يميل إلى الغيرة وإلى إظهار السلطة الذاتية ؛ كما أن للنمو العضلى وملاحح الوجه أثراً وأى أثر .

٢ — ويحدثنا ريبو بعد ذلك عن « الهلوسة » ويقول إنها تؤثر أحياناً فى حس واحد وأحياناً فى أكثر من حس ؛ وأنه ليس هناك مرض أصيل للشخصية بل هى اضطرابات ثانوية ظاهرية . وازدواج الشخصية الناتج عن الهلوسة متنوع متعدد ، فهناك ازدواج بصرى وازدواج سمعى ... الخ ؛ ومن الازدواج البصرى أن يرى الشخص شخصيته الثانية ويحدثها أو يستخرج منها مثلاً . وقد تزدوج الشخصية البصرية والسمعية ، كما يروى ذلك المسيو بال عن أحد الأمريكين الذى كان يسمع شخصاً يحببه كل صباح ومع ذلك كان لا يرى إلا نصفه الأعلى ... واستمر الحال هكذا حتى أمره بأن يلقى بساعته وجريدته فى الأرض ، وبأن يلقى بنفسه آخر الأمر من النافذة ، وعلى كل حال فليست الهلوسة دائماً ذات آثار خطيرة حادة .

ولقد ثبت أن تضافر النصفين السكرويين فى المخ ينتج انتظام الروح وينتج من اختلافهما اضطرابات مختلفة ، ولقد كان لاكتشاف الأستاذ بروكا Broca فى الأفازيا قيمة كبيرة ، فقد افترض آخر الأمر أن النصف السكروى الأيسر هو المركز الرئيسى للذكاء والإرادة ، وأن النصف الأيمن مركز للحياة الدامية . وعلى أساس هذا التقسيم يفسر ريبو الحالات المتضادة المتأنية ، فقد يفرح الإنسان ويغضب فى وقت واحد ، وهذا يدل على أن ناحيتين مختلفتين

في الشخص تعملان في وقت واحد ، وعلى أن كلا من النصفين الكرويين مستقل أحدهما عن الآخر استقلالاً نسبياً يؤدي أحياناً إلى اثنيّية تامة وبذلك ينتج ازدواج الشخصية ، بل قد تقتثل الشخصية كما روى عن أحد القسس الذي كان يرى كل شيء ثلاثة ، وكان يطلب عند جلوسه على المائدة ثلاثة أطباق وثلاث فوط وثلاث ملاعق لاعتقاده أنه ثلاثة أشخاص .

هذا التضارب في الشخصية ليس تضارباً في الهواء ، وإنما هو كما يقول الأستاذ لوس Lawes « أوضاع متتابعة للأنا » . ويذكر لنا وود ورث في كتابه مثالا عن الدكتور مورتن برنس . فقد أحضر هذا الأخير فتاة وجعلها تنقل من حالتها الطبيعية إلى الحالة الشاذة وذلك بطريقة تشبه طريقة التتويم المغناطيسي ، وأخبرها أثناء نومها أنها مكلفة بحل مسائل حسابية معينة ولم يرها الأعداد الحقيقية في الجواب ؛ ولما رجعت إلى حالتها الأولى أراها الأعداد لمدة وجيزة من الزمن ثم نومها مرة ثانية وسألها عن الأجوبة ، فقالت : إن الأجوبة كانت حاضرة لديها وكانت تنتظر لإعلانها بفروغ صبر ، ثم أجابت إجابة صحيحة ... وهذا مثال يذكره مورتن لمن يشك في وجود شخصية ثانية .

ونحب أن نذكر أخيراً أن ريبو لم يجب على السؤال الآتي : هل توجد حالتان شعوريتان في وقت واحد ، أم أنهما تتابعان سريعاً فتظهران متباينتين ؟ فقد تركه ريبو للبحث والتفكير

(٣) والذاكرة لها صلة وثيقة بموضوع الشخصية فالشخصية ليست ظاهرة وليكنها تطور ، حدث وقى ؛ هي تاريخ حاضر وماض . والذاكرة التي تهمننا هنا ليست الذاكرة العقلية أي الإحساسات والتصورات والمعارف المخزونة فينا ، فكل هذا يمكن اختفاؤه جزئياً أو كلياً تبعاً لأمراض الذاكرة ؛ بل المهم هي الذاكرة الذاتية أي ذاكرة حياتنا الفيزيولوجية والإحساسات والمشاعر التي ترافقها . فهل توجد مثل هذه الذاكرة ؟ الواقع أن كل شيء يتغير ، فنحن عندما نرى شيئاً لأول مرة ثم نراه مرة ثانية فإننا لانحس نفس الإحساسات التي أحسنا بها في المرة الأولى ، وهذا التغير يتقابل في ثلاث صور هامة تختص بالذاكرة : فقد تظل الشخصية الجديدة وحدها بعد فترة تحول قصيرة أو طويلة وقد تفتى الأولى وإن كان هذا نادراً إذ لابد من بقاء آثار لها . تبقى الذاكرة العضوية القديمة على الرغم من التحول العضوى الجديد ، وتظهر من وقت إلى آخر في الشعور كما تظهر ذكريات الطفولة التي لم يثرها التكرار . أما في حالات التغير فإن لكل ذاكرة حالات عضوية وأنهما يتناوبان

الظهور ... وهذه الحالات تجعلنا نتساءل عما إذا كان من الممكن وجود ذاكرتين لإحدهما سليمة والاخرى مريضة ، وبذلك يصبح عندنا حالتان متميزتان للتكوين العضوى ؟

٤ — بقى أن ننظر فى هذا العامل الجديد أثناء عمله ونبين ما ينتجه بنفسه وبمفرده . فهناك حالات يضطرب فيها التكوين العضوى والعاطفى والحسى ، فيرى المريض فى حالة غير حالته الطبيعية ، ويشعر شعوراً مختلفاً ويبدى آراء تخالف آراءه ، وهو فى حالته الطبيعية الأولى ، ويقوم بأعمال غريبة آلية قد تعد فوق الطاقة البشرية العادية تحت سيطرة العقل الباطن ، وقد يفكر فى أشياء لا وجود لها مطلقاً ، وقد يتكلم فى أمور بعيدة عن العقل والمنطق ، وقد يعتقد أن له جسمين ينامان فى سريرين مختلفين ؛ وفى حالة الذهول والنوبة العصبية يشعر بعض المرضى أحياناً بفقد أسنانهم أو فقد أمعائهم وما إلى ذلك من أعضاء . وأوضح مثل للتحويل هو اعتقاد الرجل بأنه تحول إلى امرأة واعتقاد المرأة أنها تحولت إلى رجل دون أن يكون هناك حالات جنسية تؤيد هذا التحول . وفى بعض حالات الانجذاب لا تمحى العناصر العضوية والعاطفية والعقلية للشخصية الحقيقية بل تكون فى حالة كمن أى موجودة بالقوة ، فلو حدث ما يخرجها إلى الوجود الفعلى عادت الشخصية السليمة . وهناك حالات اختفاء الشخصية حيث يشعر بعض المتصوفة أنهم فى حالة فناء تام .

صغير زابر

## على لسان إبليس

قال إبليس :

إن ابن آدم الترابى أضحى شعلة من نار ! ضعيف الروح ، سمين البدن ، جميل اللباس . قلبه بحال النزاع ، وعقله ناضج ومحتال !

إن ما قصت شريعة المشرق بأنه رجس ، أفتى فقهاء المغرب بطهارته !

ألا تعلم أن حور الجنة قد باتت حزينة لخراب فردوسها ؟

إن أرباب السياسة اليوم هم ( أبالسة ) الامم ، فلم يعد لبقائى من ضرورة تحت السماوات .

محمد إقبال

## نَظَرٌ فِي شَاهِدٍ

قال الشاعر :

سرينا ونجم قد أضاء فذ بدا      محياك أخفى ضوءه كل شارق  
يستشهد النحويون بهذا البيت على جواز وقوع النكرة مبتدأ إذا وقعت بعد واو الحال .  
فقد وقعت كلمة « نجم » بعد واو الحال فساغ الابتداء بها . قال الشيخ الحضري في حاشيته  
على ابن عقيل : ليس ضرورياً أن تقع النكرة بعد واو الحال ، ولكن المسوغ للابتداء بها  
وقوعها في أول الجملة الحالية ، سواء كانت الواو سابقة عليها أو كانت الجملة خالية من الواو  
مربوطة برابط آخر كما في قول الشاعر :

تركت ضائي تود الذئب راعيا      وأنها لا تراني آخر الابد  
الذئب يطرقها في الدهر واحدة      وكل يوم تراني مدية يدي  
فدية مبتدأ سوغ الابتداء بها وقوعها في أول الجملة الحالية التي هي « مدية يدي »  
ولم تربط بالواو وإنما ربطت بالضمير الذي هو الياء في « يدي » ، العائدة على صاحب الحال  
الذي هو الياء في « تراني » .

غير أن سؤالا يتردد في النفس ، ما الذي يسوغ الابتداء بالنكرة الواقعة في أول الجملة  
الحالية ؟ مع أن السبب العام لتسويغ الابتداء بالنكرة أن تكون مفيدة حتى تضارع المعرفة  
في إفادة معنى خاص يصح الحكم عليه بالخبر ، وأى معنى خاص أفادته النكرة بوقوعها  
في أول الجملة الحالية ؟

وجواباً على ذلك أقول : إن كون جملة الحال قيداً فيما قبلها أى في عاملها وهو متقدم  
عليها في الغالب يقلل شياع النكرة حتى يجعلها خاصة هي وخبرها بصاحب الحال فنحصل  
الفائدة المرجوة ، ففي قوله « ونجم قد أضاء » ليس النجم عاماً عموماً مطلقاً وإنما هو النجم  
الخاص الذي أضاء وقت سرى الشاعر وصحبه ، وفي قوله « مدية يدي » ليست المدية عامة



عموما مطلقا وإنما هي المدية الخاصة بالشاعر التي تراها غنمه كل يوم في يده . فلذلك كانت النكرة هنا كالمعرفة ، ومثلها كل نكرة وقعت في أول الجملة الحالية . وفهم خصوصية النكرة في كل جملة على حدة ليس بالأمر العسير .

ثم إن لي بعد ذلك ملحوظات على شراح الشواهد والمعرّبين في شرحهم لهذا الشاهد وإعراهم له :

أولا : فسروا كلمة « نجم » على أنها مطلقة على المفرد ، ولكن الذي يقرأ البيت بإمعان يظهر له أنها مطلقة على عدد من النجوم كثير ، بدليل قول الشاعر « أخفى ضوءه كل شارق » فهو يقول : سرنا ليلا وقد أضأت نجوم كثيرة في السماء ، فلما أشرق وجه حبيبه أخفى ضوءه كل نجم طالع ، واستعمال النجم في النجوم ليس غريبا على اللغة العربية ، فقد ورد في القرآن الكريم استعمال النجم في النجوم ، قال تعالى في سورة النحل « وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بك » وأنهارا وسبلا لعلمكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أى يهتدون بالنجوم ليلا إلى الطرق والقبلة والوقت ، ولم يكن العرب يهتدون بنجم واحد وإنما كانوا يهتدون بنجوم كثيرة معروفة الاسماء والمواقع بعضها شرقي وبعضها غربي وشمالي وجنوبي ، يضاف إلى ذلك أن الشاعر يريد تشبيهه بحبوبته بالشمس ، والشمس يختفي عند ظهورها جميع النجوم .

ثانيا : قال الشيخ عوض الجرجاوى في شرحه لهذا الشاهد : إن الفاء في قوله « فذبدا » زائدة لتحسين اللفظ . وهذا قول غير مستساغ لأن معنى العطف فيها ظاهر ، وهي في الواقع ليست داخلية على « مذ » ، وإنما هي داخلية على « أخفى » ، والتقدير : سرينا وقد أضأت نجوم فأخفى ضوءه بحياك مذبدا كل شارق . فقد عطف الفاء جملة « أخفى ضوءه » على جملة « سرينا » وتخرج الحرف على التأسيس أولى من تخريجه على الزيادة .

ثالثا : أعرب بعض الشراح كلمة « مذ » مبتدأ ولم يذكر خبره ، وربما يفهم أن خبره جملة « بدا بحياك » وليس الأمر كذلك لأن « مذ » ، إذا وقع بعدها مرفوع أو جملة اسمية فكل منهما خبرها ، أما إذا وليها جملة فعلية فخبرها حينئذ اسم زمان مضاف إلى الجملة الفعلية ، فالتقدير في قوله « مذبدا بحياك » مذ وقت أر زمان بدا بحياك برفع وقت وزمان على أنهما خبر « مذ » ، وهما مضافان إلى الجملة بعدهما . هذا من ناحية عدم التنبيه على الخبر ، وأما من ناحية

إعراب د مذ ، مبتدأ قبل الجملة الفعلية فهو ضعيف ، والقول المشهور أنها ظرف زمان مضاف إلى الجملة بعده ، والتقدير : فأخى ضربه بحياك مذبدا ضربه كل شارق ، فالعامل في د مذ ، الفعل د أخنى ، لأن الإخفاء واقع في وقت ظهور وجه المحبوب ، والظرف ينصب بالواقع فيه .  
رابعاً : فهم بعض الشراح من قول ابن مالك :

ومذ ومنذ اسمان حيث رفعاً أو أوليا الفعل كجئت مذدعا  
أن مذ ومنذ إذا وقعت بعدهما جملة فعلية فهما ظرفان لا غير ، ولكن الواقع أنه يجوز كونهما مبتدئين خبرهما زمان مضاف إلى الجملة الفعلية كما سبق ذلك في الملحوظة السابقة .  
خامساً : قال بعض الشراح : ويجوز أن يكون مثل بيت الشاهد قول الشاعر :  
عندى اضطبار وشكوى عند فانتقى فهل بأعجب من هذا امرؤ سمعا  
فإن الواو في قوله د وشكوى عند فانتقى ، يجوز أن تكون واو الحال وشكوى مبتدأ وهو نكرة وعند ظرف متعلق بحذف خبر المبتدأ ، فإذا أعربناه على هذا الوجه كان مثل بيت الشاهد تماماً .

وأقول : أعرب الشراح هذا البيت على وجهين ، أحدهما أن الواو عاطفة لا حالة والتقدير : عندى اضطبار ولى شكوى عند فانتقى فتكون شكوى مبتدأ مؤخرًا وسوغ الابتداء بها تقدم الخبر عليها أو وصفها بالظرف بعدها ، والوجه الثاني أن الواو للحال وشكوى مبتدأ نكرة وسوغ الابتداء به وقوعه في أول جملة الحال .

ولكن هناك وجه ثالث لم يتنبه له الشراح : ذلك أن الياء في د شكوى ، ليست هي الألف المقصورة المكتوبة ياءً ، وإنما هي ياء المتكلم والواو قبلها مكسورة ، والشكوى بوزن شمس معناه العلة والمرض فيكون المعنى عندى اضطبار وعلتى عند فانتقى وتكون الواو للحال والمبتدأ معرفة لأنه مضاف إلى ياء المتكلم ، أو تكون الواو للعطف ، كأنه يقول : عندى اضطبار وعلتى عند فانتقى فهل سمع أحد بأمر أعجب من ذلك . ويكون هذا الوجه أقوى إعراباً من الوجهين السابقين لأن المبتدأ فيه معرفة وفيهما نكرة والأصل في المبتدأ أن يكون معرفة فإذا جاء نكرة احتاج إلى مسوغ وما كان على الأصل ولا يحتاج إلى مسوغ أولى من غير الأصل المحتاج إلى المسوغ ، والمعنى عليه أحسن وأجل .

طه الزبيني

أستاذية في النحو والصرف

# مِشَاكِلُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

## هَلْ تَحَلَّاهَا الْمُؤْتَمِرَاتُ؟

يبحث الإسلام في صميم دعوته ، ولب رسالته ، على العزة والكرامة والقوة ، ويدعو المسلمين دائماً أن يكونوا أعزة على أعدائهم ، أقوياء في نفوسهم لا يستسلمون لضعف ، ولا يخضعون لهوان وذلة . تحل بهم النعمة فلا يطغيهم بريقها ، ولا ييطرهم رونقها ؛ بل يحترسون منها أشد من احتراسهم من النعمة . وتطوف بهم الشدائد ، وتنزل بساحتهم المحن فلا تنال منهم ، ولا يستقر لديهم أثرها إلا بمقدار ما يقتبسون منها العبرة الحسنة ، والموعظة البالغة ، ذلك أن عدتهم في الملمات ، وسلاحهم في الأحداث هو كإرسمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله : « إني لا أعد للحادث الذى يحدث سوى طاعة الله ورسوله ، وهى عدتنا التى بلغنا بها ما بلغنا ، وبهذا كان المسلمون أقوى الناس حين كان المسلم يستشعر سلطان ربه على نفسه ، ورقابته على أفعاله وتصرفاته ، لا تستهويه شهوة ، ولا تفتنه لذة ، ولا يظهر للناس بمسوح الرهبان ، وأردية العباد ، وبين جنبيه ذئاب عاوية ، وكلاب نابحة ، لا تعيش إلا فى ظلال الإثم ، وتحت جنح المعصية .

كان للمسلم ظاهر يشوق الأنظار ، ويستهوى الانفس ، وباطن طاهر نظيف يحمده من يطلع عليه ، ويلبس أثره ، وكلاهما يستوريان فى الصدق والصراحة والنجدة والفناء فى الجماعة - قد يختلف الأخ مع أخيه فى رأى ، أو يفترق فى الوجهة ، ولكنهم كانوا يقابلون العدو صفاً مرصوفاً ، لا ثغرة فيه ، ولا ضعف يعتريه - كانوا يؤمنون إيماناً صادقاً أن ما وهبهم الله من عزة بالدين ، وقوة فى اليقين ، هو شارة المجد ، ودليل السيادة ، وأنهم بذلك خلفاء فى الأرض ، ينفشون الفضيلة ، ويمكنون للعدالة ، ويرفعون لواء الأمن والاستقرار ، وبهذه العقيدة القوية التى خامرت القلوب ، وسكنت فى أعماق النفوس ، وبهذا الإيمان الراسخ استطاع أفراد قلائل أن يثبوا على ملك كسرى ودولة قيصر صاحبين بدعوة الحق والعدل ، مرددين من أعماقهم شعار الإسلام وكلية : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ووقف التاريخ يسجل فى دهشة ، والعالم يرنو فى إعجاب ، والمشفقون يتطلعون إلى الفاتحين ،

وقد وضعوا أيديهم على جنات وعيون ، وزروع وكنوز ومقام كريم . ولكن الدنيا كانت لا تزن في نفوس هؤلاء المؤمنين جناح بعوضة ، والشيطان كان أضعف من أن يفتنهم بأعراض زائلة جعلوها تحت أقدامهم ، حتى لقد بكى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أتى إليه بتاج كسرى وعليه من الجواهر والياواقيت ما لم تقع عليه عين عربى قط ، وقال : اللهم إنك قد منعت هذا نبيك ورسولك ، وكان أحب إليك منى وأكرم ، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك منى وأكرم ؛ فأعوذ بك أن تكون أعطينتيه لتفكر به ، وما زال يبكى حتى رحمه من حوله .

تلك حال المسلمين الأولين الصالحين الذين فتحوا الدنيا ، وعمرُوا الأرض ، وأقاموا ميزان العدل ، وجعلوا الناس كما أمر الله سواسية كأسنان المشط .

ثم دالت على المسلمين أحداث ؛ وتعاورتهم خطوب أضعفت نفوسهم ، وأرخت صلواتهم برهبهم ، وجلبت القسوة والنسيان إلى قلوبهم ؛ فاغتروا بما تهبأ لهم من زهرة الدنيا وزينتها واستسلموا للشهوات الطاغية ، وخضعوا للأهواء القائلة ، وعكف كل على هواه ، وانطوى على رغباته لا يعنيه سوى أن يأكل ويتمتع ، ويحطب من كل ناحية ويجمع ، وإن قتل أخوه جوعاً ، وقضى جاره محضاً ، ومن هنا طمع فيهم العدو ، وتمكن منهم الدخيل ؛ فاغتصب حقوقهم ، وامتنص دماءهم ، واستلب أموالهم ، واحتل ديارهم ، وسلط جماعة على جماعة ، وأغرى فريقاً بفريق .

ها هي ذى بلاد المسلمين ودرلهم أصبحت نهبا للطامعين ولقمة سائفة للنهازين المستغلين ، كل بلد قدفت فيها الاستعمار ، وأنتك قواها العدوان ، ودب فيها ديب الفرقة والشقاق ، وخذعها الغاصب بالأكاذيب والأضاليل ؛ حتى زعزع إيمان الناس ، وأضعف عقائدهم ، وجعل غايتهم المنفعة وهدفهم أن يعيشوا على موائد الطامعين .

كل دولة قد استغلت مرافقها ، واستبيحت أرضها وديارها ، وزروعها ومنتجاتها للأجنبي الذى يحاول دائماً أن ينسبها مقوماتها ، ويقضى على تراثها ، ويهدم مقدساتها ، ويجعل أفرادها عبيداً يخرجون له من الأرض ذهباً ، ويجعلون له فى الهواء سبياً ، ورضى المسلمون بهذا ، وأقاموا آماداً لا تمر بهم السفوف والأعوام إلا لتزيدهم بلادة وانتكاساً ، وظلمة على القلوب وقسوة فى النفوس .

ولكن شعاعاً من الإيمان كان يضىء لهم بين حين وآخر وصونا مجاهلاً من أعماق التاريخ

كان يهتف بهم أحيانا ، ليوظهم من غفلتهم ، ويحركهم من ركودهم ، فكان يثور الثائرون ويتمرد المتمردون محاولين القضاء على ما أصابهم من بغى أو لحقهم من ضيم ، ولكنهم لا يلبثون أن يلقوا أشد أنواع العذاب وأقسى ضروب النكال ، وتنتهى حياتهم بالسجن أو القسريد والموت الذى لا رحمة فيه .

قد يرضى الراضون طمعا فى غنى آثم ومكسب حرام ، وقد يتعلق المتعلقون فيكسوم العدو الحرير ، ويجعل تراب الأرض من تحتهم تبرا ، ولكن ذلك ليس حبا فيهم ، ولا إيثارا لهم ، بل ليفتن المؤمنين ويزرع عقائد المجاهدين حتى لقد بلغ الأمر أن رأينا بعض ضعاف الإيمان صغار النفوس يحملون سلاحهم على إخوانهم تأييدا للاستعمار ، وتثبيتا لأقدامه . أليس هذا من الفساد الذى يدمى القلوب ويفتت الأكباد ؟ أليس هذا من تحلل العقيدة ، وفساد الضمائر ؟

لقد شرب المسلمون المر من خصومهم ، وهم أشدها قساة القلوب غلاظ الأكباد ، ولو أتيح لى أن أنشر بعض ما أعرف من الوسائل البربرية ، والطرائق الهمجية التى يعذب بها المسلمون ، ويفتنون عن دينهم ، ويحاربون فى عقائدهم ومشاعرهم ، ويكرهون على نسيان مقوماتهم ومقدساتهم ، وحتى أسمائهم — لو أتيح لنا هذا لعرف الناس ما ينزل بإخوانهم من ألوان الفجائع التى تقشع منها الابدان ، وتشيب لهاولها الولدان .

ونحن نخضع أشد الخديعة حين نفهم أن لونا من ألوان الاستعمار أخف من لون ، أو أن عدوا أهون من عدو ، أو بعض هذه الدول المعتدية المستغلة أكثر رفقاً وأشد عطفا على المسلمين من بعضها الآخر . كلا إن الغاية واحدة هى القضاء على الإسلام حتى يعبد الشيطان فى الأرض من دون الله ، والهدف واحد هو كسر هذه الشوكة التى تخز جنوبهم ، وتفت فى أعضادهم وإن تعددت الوسائل وتنوعت الأسباب .

ها هم أولاء المسلمون فى إفريقيا شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، وفى آسيا وأوربا ، يتسلط عليهم أعداء لا يرقبون فيهم ضميرا ، ولا يراعون أقل واجبات الإنسانية ؛ فإذا أقيمت بعيدا عنا أستار حديدية تحجب صيحة الصائحين ، وآهة المتألمين فقريب منا ألوان بشعة من الفتنة والاضطهاد يستمع إليها الضمير العالمى دون أن يستنخى وأن ينجعل ، ومن غير أن يحس بعاطفة رحمة ، أو خالجة لإنسانية .

ماذا صنع المسلمون للذود عن حمام ، والدفاع عن ديارهم وأنفسهم ؟ ماذا قدموا من جهاد وتضحيات ؟ ماذا بذلوا من أرواح وأموال ؟ أى خطوة إيجابية رمقتها العيون أو سمعت بها

الأذان ؟ نسمع كل آن بمحاولات للعلاج في شكل مؤتمرات تعقد ، وتسكث وتعدد ، ويخف المؤتمرون ويتسابق المتسابقون إلى حضور المؤتمرات ، وتنميق الخطب ، وتدييح البيانات ، ويحاول كل خطيب أن يكون جدير الصوت ، رائع العبارة ، واضح الإشارة ، بليغ الأسلوب ، رابط الجأش ، يهز المنبر بما يستطيع من نصاعة الحججة ، وقوة الدليل ، وحسن سوق الفكرة ، وتضييع الاهداف الحققة وتبدد الاغراض المشتركة في زحمة الإعجاب بالبلاغة والإنصات للسحر البياني ينساب من أفواه الخطباء . وتحفل الموائد بالاطعمة التي تسابق الخطابة في الإتقان والجودة ، ثم ينفذ المؤتمرون وقد سطوروا على الصحائف بضعة قرارات لا يلبث الزمن أن يطمس آثارها ، ويمحو معالمها فلا يبقى في النفوس منها شيء .

لقد عقدت مؤتمرات كثيرة ، وسجلت محاضرها ومناقشتها آراء واقترحات تمخضت عنها عقول ، وتفتتت بها دراسات . فماذا بقي لنا منها بعد ذلك ؟ أى فكرة تحققت ، وأى ثمرة قطقت ؟ ماذا كسب المسلمون المشتتون داخل صفوف الأعداء وهم يرقبون الفرج وينظرون ساعة الخلاص ؟ لقد أوشك صبرهم أن ينفد وكاد أملمهم أن يتبدد ، والناس لا يزالون في حى المؤتمرات قائمين .

أنا لا أحارب هذه المؤتمرات ، ولا أكره انعقادها ؛ بل أدعو إليها وأجندها ؛ ولكنى أريد أن تؤمن بما نتخذه من قرارات ، وأن تنفذ ما تنفق عليه من آراء ، وأن تكافح ونجاهد في سبيل ما نعتقد من رأى ، وما ندين به من فكرة ؛ أما أن نقول وننسى ، ونخطب ثم تذهب الخطب أدراج الرياح فذلك مالا يتفق وما نشكوه من داء ، أو يساورنا من أمراض . يجب أن نحاسب أنفسنا في كل مؤتمر عما نفذناه من قرارات المؤتمر الماضى ، ليعرف الجميع أننا نسير إلى هدف ونتجه إلى غاية .

وبعد - فهل لى أن أنوجه إلى السادة المجاهدين الذين تملأ الغيرة قلوبهم ويسكن الإخلاص نفوسهم برجاء أن تتسكون في عواصم البلاد الإسلامية جمعيات قوية لإعداد المساكين من كل لون وجنسية وتسلحهم بالاخلاق والعزائم والإيمان بالاهداف حتى إذا تم تدريبهم وآمنوا برسالة الإسلام فى أبعد غاياتها انطلقوا فوراً إلى بلادهم ، يوقظون النائم ، وينبهون الغافل ، ويحملون راية الجهاد حتى يرتفع لواء الإسلام ، وتعلو كلمة الله . وإن لنا لعودة إن شاء الله إلى بيان الوسائل التي ينهض بها المسلمون واقه المستعان .

عبد الحميد محمود المصاوت

المدرس فى كلية اللغة العربية

ذِكْرُ الْأَنْجَمِ الْإِسْلَامِيِّ  
 مِنْ بِلَاحِ إِشَاعَةِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حُرِّمَ حَرَمُ اللَّهِ  
 بَعْلِيٍّ لَا سِتَّاءَ بَرَاهِيْمَ عَبْدًا لِلطَّيْفِ نَعِيمٍ

## السُّمَّةُ ، قَاتِلَةُ

لَمَّا قَتَلَ أَصْحَابُ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ انْهَزَمُوا وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَضْعُونَ فِيهِمُ السِّلَاحَ ، وَيَنْتَهَبُونَ الْغَنَائِمَ ، فَأَلْقَى نِسَاؤُهُمُ الدَّفُوفَ ، وَذَهَبَ إِلَى الْجَبَلِ صَارِخَاتٌ مَوْلُولَاتٌ ، فَفَارَقَ الرَّمَاةَ أَمَّا كُنْهَمُ ، وَنَهَامُ أَمِيرِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَتَرَكُوهُ وَانْطَلَقُوا يَبْتَدِرُونَ الْغَنَائِمَ إِلَّا فَرِيقًا مِنْهُمْ دُونَ الْعَشْرَةِ ثَبَتُوا مَعَهُ فِي أَمَا كُنْهَمُ . وَنَظَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى قَلْعَةٍ مِنْ بَقِيٍّ فِي الْجَبَلِ مِنَ الرَّمَاةِ فَفَكَّرَ بِالْخَيْلِ وَمَعَهُ عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ خَمَلُوا عَلَى هَذِهِ الْبَقِيَّةِ فَقَتَلُوهَا ، وَمَثَلُوا بِأَمْرِهَا ، وَخَرَجَتْ أَحْشَاؤُهُ لِكَثْرَتِهَا مَا طَعَنَ بِالرَّمَاكِ :

أَنْ تَوَلَّتْ جُنُودُ الشَّرِكِ مَدْبِرَةٌ	خَفَ الرَّمَاةُ وَظَنُوا الْأَمْرَ قَدْ وَجَبَا ؟
كَأَنَّهُمْ وَالرَّعَانُ الشَّمُ (١) تَقَذَّفَهُمْ	سَبِيلُ تَدَفَّقَ فِي شَوْبُوهِ صَبِيَا
يَخْلُفُهُمْ مِنْ يَرَاهُمْ سَاعَةً انْطَلَقُوا	سَهَامُهُمْ حِينَ جَاشَ الْبَاسُ فَالْتَبَا
رَدُّوا عَلَى (ابْنِ جَبْرِ) رَأْيَهُ وَنَضُّوا	إِلَّا فَرِيقًا رَأَى مَا لَمْ يَرَوْا فَأَبَى
أَصَابَهَا (خَالِدُ) مِنْهُمْ (وَعَكْرَمَةُ)	أُمْنِيَّةٌ لَمْ تَقْصَبْ مِنْ ذِي هَوًى سَبِيَا
فَاسْتَنْفَرَا الْخَيْلَ وَالْأَبْطَالَ وَانْطَلَقَا	فِي هُبُوءِ تَزْدَهِي الْأَرْمَاحُ وَالْقَضْبَا

(١) الرَّمَانُ : أَنْوْفُ الْجِبَالِ ، وَالْجِبَالُ بِجَمَلَتِهَا ، وَالشَّمُ الطَّوَالُ .

هم خلفوا رمم القتلى مطرحة  
 طاروا إلى جبل راس على جبل  
 قال (الرسول) فأعطاه مقاتله  
 توزعوه ، فلو أبصرت مصرعه  
 طعن وضرب يعاف البأس عندهما  
 سلوا حشاه فظلت من أسفهم  
 تنابع القتل يحتاج إلى معه  
 تلك الدماء التي سالت على (أحد)  
 ظلمتها ما لشيء مثل رتبها  
 لم يبق سهم ولا رام يسدده  
 وكرت الخيل تردى<sup>(١)</sup> في فوارسها  
 المسلمون حيارى ، كيف يأخذهم  
 حلوا الصفوف وجالوا في مغائهم  
 تنكرت صور الهيجاء واتخذت  
 خرساء صماء ، تعمي عن معالمها

وغادروا الجند جند الله والسلبا  
 ما هتزم مقام من ضعف ولا اضطربا  
 وما سوى نفسه أعطى ولا وهبا  
 أبصرت في الله منه منظراً عجبا  
 سلاح من طعن الأبطال أو ضربا  
 تموج في الدم يجرى حولها سربا  
 لولا المناقب لم يترك لهم عقبا  
 لو أنبت الدم شيئاً أنبتت ذهباً  
 وإن تخطى المدى ، أو جاوز الرقبا  
 تغيب الوابل الهطال واحتجبا  
 بعد الفرار فأمسى الأمر قد حزبا<sup>(٢)</sup>  
 بأس العدو ، أما ردوه فأنقلبا ؟<sup>(٣)</sup>  
 ما ظن عسكريهم شرا ولا حسبا  
 من الأعاجيب أثوابا لها قسما  
 عين البصير ، وتعي الحاذق الدربا

(١) ردت الفرس : رجعت الأرض بحوافرها .

(٢) حزب الأمر : اشقد ، وهو يتعدى فيقال حزبه الأمر .

(٣) أحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالنهب والأمر ووضعوا السيوف فيهم ففترقوا في كل وجه ، وانتفضت صفوفهم ، فاخذلوا وصار يضرب بعضهم بعضا وهم لا يعلمون ، وقيل إن مناديا منهم قال : يا عباد الله أخراكم ، يريد احتزوا من جهة أخراكم فعمقوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون ، وذهبت طائفة منهم إلى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت فأنزل الله تعالى . « إن الذين تولوا منكم يوم التي الجمان إنما استلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم » .

وثبت النبي صلى الله عليه وسلم لما تفرق أصحابه وصار يقول . ( إلى يا فلان ، إلى يا فلان ، أنا رسول الله ، والنبل يأتيه من كل ناحية ، والله يصرفه عنه ، وثبت معه جماعة من أصحابه ، واستمر أبوطلحة بن يديه - وكان راميا مجيدا - ينثر كسائته ويقول : نفسى لنفسك القداء ، ووجهى لوجهك الوقاء وما زال صلى الله عليه وسلم يرى عن قوسه السكتوم (التي لا يسمع لها صوت) حتى صارت شظايا .



مغبرة الجو ما زال الخفاء بها ترى الليوث وإن كانوا ذوى رحم  
يعدو على مهجة الضرغام صاحبه هذا البلاء لقوم مال غافلهم  
قال : اثبتوا فتولوا ما عصى أحد أمر من الله مرجو عواقبه  
إن (النبي) ليضئ الأمر في وضوح مسدد الرأي ، ماتهمو الظنون به  
للسلم والحرب منه حازم يقظ إن الذي زين الدنيا بطلعته  
حتى تقنع فيها الموت وانتقبا لا يتقى بعضهم بعضا إذا وثبا  
ولا يجاوزه إن ظفروه نشبا عن رأى (سيدهم) إذ يحكم الأرباب<sup>(١)</sup>  
منهم ، ولكن قضاء واقع غلبا يقضيه تبصرة للقوم أو أدبا  
من حكمة الله يجلو نوره الريا الخير ما اختار ، والمسكره ما اجتنبها  
يعي الدهاة ويردى الجحفل اللجبا حابي<sup>(٢)</sup> العروبة فيه واصطفى العربا

\* \* \*

## زيادة بن عمارة

رضى الله عنه

كان من أعظم أبطال هذه الغزوة ، ثبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى السهام  
دونه ، ويدافع القوم عنه ، حتى أنقلته الجراح فسقط ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه  
وقال : أدنوه مني ، فأفرشه قدمه الشريفة ، فمات وخده عليها : —

\* \* \*

أكان يزيد بأسك إذ تصاب ؟ (زيادة) ذلك العجب العجيب  
تسكاثرت الجراح وأنت صلب يهابك في الوغى من لا يهاب  
قوى تنصب معنة حثائا وللام في مواقعها انصباب  
ترد الهندوانيات ظمأى يخادعها عن الرى الشراب

(١) جمع أربة وهي المقدمة التي لا تتحل حتى تمحل .

(٢) حابه نصره واخصه ومال إليه .

تريد ( محمداً ) والله واق  
 ( زيادة ) دونه سور عليه  
 وما ( بمحمد ) خوف المنايا  
 ولكن جبل منزلة وقدرأ  
 هوى البطل المغامر واضمحلت  
 ففى صدقت مشاهدة فظلت  
 وهى منه الاديم ، فلا أديم  
 تمزقت الصحائف من كتاب  
 تلقاه برحمته وروت  
 أبادى الله يحملها ثوابا  
 أهاب ( محمد ) : أدنوه منى ،  
 على قدمى ضموا ليث رأسا  
 ففاضت نفسه نورأ عليها  
 عباب تنطوى الآفاق فيه  
 مضى صعدا عليه من الدرارى  
 تلقته الملائك بالتحايا  
 وزخرفت الجنان ، وقيل هذا  
 فترجع ، وهى محقة غضاب  
 من النفر الالى احتضنوه باب  
 ولا فى سيفه خلق يعاب  
 فبر رجاله ، ووفى الصحاب  
 قواه ، وخارت لهمم الصلاب  
 تعاوره القواضب والحراب  
 وأعوزه الإهاب فلا إهاب  
 طواه فى صحائفه ( الكتاب )<sup>(١)</sup>  
 غليل جراحه ( السور ) العذاب  
 لكل مجاهد ، نعم الثواب  
 فذلك صاحبى المحض اللباب  
 أحاذر أن يعفره التراب  
 وماج الجو ، وامتد العباب  
 ويفرق فى جوانبه السحاب  
 ومن بركات خالقه حباب<sup>(٢)</sup>  
 منضرة تحب وتستطاب  
 مآبك — إنه نعم المآب

### مصعب بن عمير رضى الله عنه

قاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه قتالا شديداً فى هذه الغزوة ، وصنع الاعاجيب بين  
 يدى رسول الله ﷺ ، يدافع عنه ويقيه بنفسه ، ولما قطعت يده اليمنى فسقط اللواء وهو  
 يجاهد المشركين ، أخذه بيده اليسرى وبقي يعمل بين يدى الله ورسوله ، فلما قطعت يده  
 اليسرى وسقط اللواء ، جثا عليه ، وضمه بعضديه إلى صدره ، ثم دأب على القتال حتى قتله

(١) القرآن الكريم .

(٢) حباب الماء : معظمه أو طرائفه ، أو فقايقه التى تنطو عليه .

عبد الله بن قيسمة يظنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى المشركين يقول : قتلت محمداً ، وذلك بعد أن أقبل على المسلمين وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجنا ، وفي رواية أن قاتل مصعب هو أبي بن خلف : —

\* \* \*

هو مرتضى الإبطال ، مالك دونه  
ولقد صبرت تخوض من أهواله  
ترى بنفسك دون نفس ( محمد )  
تبغى الفداء ، وتلك سنة من يرى  
دعاً من بعض على الحياة ، فإنه  
ما اختار نصرته دينه أو رأيه  
ما هذه المثل التي لا تنتهى ؟  
طاح الجهاد به شهيداً صادقاً  
إيمان حر ما يبالي كلما  
يرسو وأهوال الوقائع عصف  
إن يضربوه بفارس ذو نجدة  
كم هارب يخشى بواذر بأسه  
الموت في وثباته يجرى دماً  
سقطت يداه وما يزال لواؤه  
لو يستطيع لمدة من أهوابه  
يمناه أم يسراه أعظم حرمة  
جارى منيته فكل يرتى  
حتى دعاه الله برحم نفسه  
إن كان ذلك من أعاجيب الوغى  
إن امرأ كره الجهاد ، فلم يفز

متزحزح ، فاصبر له يا ( مصعب )  
ما لا يخوض الفارس المتقلب (١)  
وتقيه من بأس العدى ما ترهب  
أن الفداء هو الذمام الأوجب  
غاور بضلل ، أو دعى يكذب  
من لا يرى أن الفداء المذهب  
هذا هو المثل الأبر الاطيب  
أو فى بعهد لآله يتقرب  
ركب العظام أن يهول المركب  
تذرو الفوارس ، والمنيا وثب  
ما انفك يطن فى النحور ويضرب  
ويخاف منه مشيئاً ما يهرب  
والموت فى نظراته يتلمس  
فى صدره ، يحنو عليه ويحذب  
سبياً يشد به إليه ويحذب  
أم ساعده وصدره والمنسكب ؟  
فى شأنه جللا ، وكل يدأب  
فأجاب يلتمس القرار ويطلب  
فالبخل بالدم فى المحارم أعجب  
بالموت فى غمراته الخيب

(١) تلب الرجل للحرب . تحزم وتشم .

# كَلِمَتَانِ عَنِ كِتَابَيْنِ

## ١ - كِتَاب ( المَضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ )

مَكْذُوبٌ عَلَى حِجَّةِ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِي

اطلعت على عدد صفر لمجلة الأزهر فرأيت مقالا لفضيلة الاستاذ الشيخ أبو الوفا المراغي وقد تعرض في هذا المقال لكتاب الغزالي وخص بالذكر كتاباً في الأصول، وود لو طبع لينتفع به الجمهور. والاستاذ صاحب المقالة في غنى عن التقرُّظ والإشادة، فهو يقرظ نفسه بأدبه وعلمه، بيد أننا رأينا في غضون هذا المقال ذكر كتاب ( المَضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ) ونسبه للغزالي، وليس الاستاذ وحده هو الذي ذكر هذا بل كثير من المؤرخين ينسبونه إليه، ولكن رأينا في شرح الإحياء للسيد مرتضى الزبيدي الجزء الأول صفحة ٤٤ ما نصه : اعلم أنه قد عزي إلى الشيخ كتب، منها ( المَضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ )، قال ابن السبكي : ذكر ابن الصلاح أنه منسوب إليه وقال : معاذ الله أن يكون له. وبين سبب كونه مختلفاً عليه، والأمر كما قال. وقد اشتمل هذا الكتاب المكذوب على الغزالي على التصريح بقدم العالم. ونفي علم القديم بالجزئيات، وكل واحد من هذا يكفر الغزالي قائله هو وأهل السنة أجمعون، فكيف يتصور أنه يقول ذلك، وفي المسامرة لمحي الدين بن عربي أن هذا الكتاب من تأليف علي بن خليل السبتي. وكذا صرح صاحب تحفة الإرشاد بأنه موضوع عليه. وقد صنف أبو بكر محمد بن عبدالله المالقي كتاباً في رده وتوفي سنة ٧٥٠ هـ. وكذا النفخ والتسوية منسوب إليه. وقد نسب إليه أيضاً قصيدة :

قل لإخوان رأوني ميتاً أنا ذاك الميت والله أنا

وهي قصيدة طريفة. وقد ذكرها العلامة الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله في كتابه سبيل السعادة واغتنبط بها وروى لها حكاية : أنه قبل موت الدزالي تطيب واغتسل ثم مات، فوجد عند رأسه هذه القصيدة وساقها بنامها في الكتاب المذكور. وهذه القصيدة نبه عليها أيضاً الشيخ محي الدين بن عربي في كتابه المسامرة، ونص على أنها منسوبة للغزالي

وليست له وإنما هي لعلى بن خليل . ثم قال : وقد رأيت بسبته ، فدل على أنه معاصر لابن عربي ، وابن عربي توفي سنة ٦٣٦ هـ أى بعد الغزالي ، فإن الغزالي توفي سنة ٥٥٥ هـ والقصيدة لو أمعن الناظر فيها لجزم بأنها ليست للغزالي ، ففسبتها إليه تشوه أمثاله وهو حجة الإسلام ، ولنا عودة في تحقيق الغزالي القديم والغزالي الجديد ولمن له هذه السكتب الكثيرة .

## ٢ — عبقرية محمد

### والاستاذ العقاد

رأينا في صفحة ١٤٤ من هذا السكتاب حديثا وهو امرؤ القيس حامل لواء الشعر وقائدهم إلى النار ، واطمأن العقاد إلى أنه حديث ، وقد نبه عليه المحدثون بأنه غير صحيح ، فإن هذا الشاعر جاهلي من أهل الفترة ، وأهل الفترة ناجون ، ومبحث نجاة أهل الفترة أو عدم نجاتهم فيه نزاع طويل بين العلماء قديما ، فلو صح هذا الحديث لكان دليلا لمن قال بعدم نجاتهم ، والآية الكريمة صريحة في نجاتهم وهي قوله تعالى « وما كنا بمعدين حتى نبعث رسولا » وهذا هو المعول عليه عند أهل التحقيق من العلماء الاعلام الذين لهم القدح المعلى في فهم الشريعة والاتساع فيها ، فجاء هذا الحديث عرضا في هذا السكتاب ولم ينتبه المؤلف إلى ما حوله من نزاع ملأ الصحف والسكتب قديما ، وقد ألفنا كتابا سميناه المباحث المحررة في نجات أهل الفترة طبع منذ عشرين سنة . ولنا ملاحظة على المؤلف في تسميته كتابه بعبقرية محمد سنشرها بعد ، فإننا لا نستسيغ هذا ، فإن العبقرى نسبة إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب ، فهذا أولى بأن ينسب إلى الزعماء والابطال ، أما من تولى الله أمره وأدبه واصطفاه فليس في أمره عجب ولا يطلق عليه بأنه عجيب ، فإنه إذا ظهر السبب بطل العجب ، وليس عجيبا أن يختاره الله للأمم والشعوب بل أمره أكبر من هذا ، فإنه وإن كان منا أى من أنفسنا — إلا أنه صار بتوجه الله إليه شيئا آخر .

وإن تفق الانام وأنت منهم فإن المسك بمض دم الغزال

فهذه النسبة — أى العبقرية — ينبغي إطلاقها على الزعماء والابطال لرفع من قيمتهم والإعجاب بهم ، ولكن إنسانا كرمه الله بالرسالة والالقب السامية لا ينبغي أن نصفه بوصف الرجال الذين نبغوا ، ولو اقتصر الاستاذ في ذلك على النبي الكريم لتساهدا ، ولكنه جاء

بعد وقال : عبقرية عمر ، فسوى بين النبي ﷺ وعمر ، وما يدرينا فعله يحىء بعد ويقول عبقرية الحاكم وقد جاء الأستاذ العقاد في جريدة أخبار اليوم وعبر عن جيتى فقال انجحت إلى عبقرية جيتى وتاريخ الاخبار ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٣ فقد سوى بين الشعراء والأنبياء ومن يعرف الذوق في الأساليب والألقاب يسلم لنا نقدنا ، ومن ليس بدقيق يتساهل ، والذوق شيء ليس في المكتب ، فمن نازعنا فليتهم ذوقه ، والمسألة مسألة ذوق لا أكثر ولا أقل . وأنا شخصيا أجد هذه النسبة وأصفه كما وصفه ربه : النبي ، رسول الله ، خاتم الأنبياء . وقليل من الناس من يفرق بين أسلوب وأسلوب وفهم وفهم ، ففرق بين قولك لآخر : ليس ذمك الناس من عادتك ، وبين : ليس ذم الناس من عادتك ، فمن حرم الذوق أجازته . على أن هذا باب واسع أغلق مصراعه لم يفتح منه شيء ولعلنا نتعرض بعد للكلام في هذا الصدد .

ولقد ألف كارليل صاحب كتاب الإبطال وذكر النبي ﷺ في ضمن الإبطال ، وهذا غربي لا يتوجه إليه ملام ، وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم بمدائح عظيمة ، ووصفه بأوصاف جميلة وأروع الأساليب ، ولكنه قد ضيع كل هذا بعبارة ما أسخفها وما أكذبها وسنورها بعد لتتق فالسم في القدسم ، فمدح ليتوصل إلى غرس كلمة شيطانية تروج عند المسلمين الذين لم يتأسس دينهم على المعرفة واليقين بل هم مسلمون جغرافيا ؟

سبح على الطرمجى

حكم

- \* من أحب الحمد أحسن السيرة .
- \* الملل من كواذب الاخلاق .
- \* الاختيار دليل العقل .
- \* إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا .
- \* من أجذب انتجع .
- \* الهوى مفتاح السيئات .
- \* شرار الناس الذين يكرمون انتقاء شرهم .

## خرافة الميتافيزيقا

كتاب للأديب الفاضل الدكتور زكي نجيب محمود - مدرس الفلسفة في (جامعة القاهرة) بسط فيه آراء باحثي الغرب الواقعيين في (الميتافيزيقيا) أو ما يسمى ما وراء الطبيعة . وقد انتصب لبقده أحد أفاضل علماء الأزهر في عددى صفر وربيع الأول سنة ١٣٧٣ من (مجلة الأزهر) فعرض لمسألة نافهة مما أنكر على المنطق ، وهى مسألة تقابل النفي والإثبات فى شيء واحد ورمز لها بـ (ق) و (لا . ق) وجمع همته للرد على منكريها وذكر أنه يدافع بذلك عن تراث العقل البشرى ، ثم حمد نفسه وحمد المؤلف إذ أتاح له فرصة الرد على علماء الغرب ومناضلاتهم . ولو علم الشيخ الفاضل الناقد أن فى المنطق خيالات فاسدة أقعدت المشتغلين به فلم يقدموا أى نفع للبشرية ولو لإبرة خياطة - بله ما ازدهر على أيدي رافضى المنطق من صناعات البخار والكهرباء وتحليل مركبات المادة وتركيب بسائطها - لما وصفه بأنه تراث العقل البشرى . ولو علم الشيخ الفاضل أن علماء الإسلام يبنوا فسادهم وإفسادهم للعقول ولغة ولدين ، وأخص منهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذى كتب الكتب وألف الرسائل فى تهافتهم وفسادهم وإفسادهم للعقول والأديان ، وظهر له فى عالم المطبوعات ردان أحدهما مطول طبع فى بيجى (الهند) بمطبعة آل شرف الدين ، والثانى مختصر طبع فى مصر ، وقد فصل القول فى بطلان قضاياه وخرج بذهبية فيه هى أن أكثره باطل فاسد والقليل منه صحيح يستغنى عنه الأذكىاء ولا يفيد الأغبياء . وإنى أهيب بناقده كتاب (خرافة الميتافيزيقيا) أن يرجع إلى أحد الردين المذكورين أو كليهما - ولا تخلو منهما المكتبتان العامة - فإذا سمع الشيخ الناقد وحفزه همته إلى مطالعتهما أو أحدهما فإننى أعتقد بأننا سنتفق رأياً فنجتمع لدفن رمم هذا العلم ، - هذه الرمم المنتنة التى أذت البشرية أحقاباً طويلة وأخرت جماعات عن ركب الحضارة والاختراع والعمل الصالح .

هذا وقد سمعت أن أبواق الإلحاد وكاتبنا يتظارف بالدعوة إلى ترك الدين فرح بهذا الكتاب وتنى أن فى استطاعته شراء نسخ منه بعدد طلاب (كلية دار العلوم) ليوزعها

عليهم بجانا ، لظنه أنه يهاجم الاخلاق ويهدم أركانها . ونحن نسوق إلى هذا البوق ما يزيده غيظا ويحرق كبده ، هو أن الكتاب لا يمس الدين في قليل ولا كثير ، والدين هو أساس الاخلاق — ولكن هذا الكتاب يهدم خيالات أفلاطون وأرسطو ومن قلدهما من متفلسفة العرب — من المجردات التي لا وجود لها إلا في خيال من تخيلها . وأضرب لذلك أمثلة يتبين منها سلامة الدين وأصوله وأركانه — بينما تتقوض دعاوى من زعم أو تخيل أن في الوجود ما لا يمكن أن يحس أو يرى أو يلمس .

المثال الأول : الروح - أو النفس الناطقة - يقول عنها أفلاطون وأرسطو ومن قلدهما : إنها جوهر مجرد عن المادة لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا حيز لها ولا زمان ولا مكان ، ولا طول ولا عرض ، ولا ، ولا ، مما يحمل العقلاء جميعاً أن يقولوا إن ذلك شيء لا يعقل ولا يتصوره إلا المبرسمون . أما الدين فيقول عن الروح : إنها في البدن صاحبها ، ولإنها نفخت فيه ، ولإنها تخرج من البدن حين النزاع (فلولا إذا بلغت الحلقوم) ، (والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم) . وفي الحديث لا تؤمن يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنيتك ، وإن أمسكت روحي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين .

المثال الثاني : زعم فلاسفة اليونان أفلاطون وتلميذه أرسطو ومن قلدهما من بعدهما أن هناك مجردات مثل أفلاطو وعمول عشرة ونفوس فلسكية تسعة وأنها مجردة عن المادة لا داخل العالم ولا خارجه ولا طول ولا عرض ، ولا تحس ولا ترى ولا تلمس ولا ولا . مما لا يمكن وصف المستحيل بأبلغ مما وصفوها به . وظن بعض المتفلسفة أنها المرادة بالملائكة عند أهل الأديان ، وشتان بين خرافة هذه المجردات وبين الملائكة عند أهل الأديان ، فالأولى أمر لا يعقله إلا متهوسو المتفلسفة ، وحق للواقعيين من بني آدم أن يعدوا ذلك خرافة وتفاهة ولا معنى له . أما الملائكة عند المؤمنين بها من أهل الأديان فهم - كما جاء في الكتاب السماوية أولو أجنحة مثني وثلاث ورباع ، وتمثل أحدهم وهو جبريل لمريم بشراً سوياً ، وتمثل كثير بصورة أعرابي يسأل رسول الله ﷺ ويراها ويسمعه الصحابة ، وتمثل الملائكة ضيوفاً لإبراهيم حتى قدم لهم عجلاً حنيذاً ، وتمثلوا للوط وقومه شباناً جميلي الصور ، ويصعدون إلى السماء وينزلون إلى الأرض - إلى آخر ما جاء في وصفهم في الكتاب السماوية - فلا تنالهم خرافة الميثافيزيقيا بسوء ولا تعرض لهم في قبيل ولا دبير .



المثال الثالث : خالق السموات والأرض رب العالمين ، يقول عنه المتفلسفة إنه علة العلل والعقل الأول وإنه واحد من كل وجه ، وإنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا ولا . من السلوب التي تجعله هو والعدم سواء ، فلو قيل لهم صفوا العدم أو المستحيل لما وصفوه بأكثر مما وصفوا به رب العالمين . أما المسلمون - بل واليهود والنصارى - فيؤمنون أن رب العالمين فوق العرش وأنه يرى في الآخرة ويتكلم بكلام يسمعه من شاء من خلقه كهموسى ومحمد ، وأنه عرج إليه النبي ﷺ ليلة المعراج وسمع كلامه ، ورآه أو رأى نوره ، وأنه تشرق الأرض بنوره يوم القيامة ، وأنه يحىء والملك صفاً صفاً لفصل الحساب ، وأن له يدين مبسوطتين ، ويده الميزان يخفضه ويرفعه ، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، إلى آخر ما جاء في وصفه في القرآن والحديث والتوراة والإنجيل - وآمن به المسلمون واليهود والنصارى الذين لم يمرضوا بمرض الفلسفة والتعطيل كمن قلدوا متهوسى اليونان الذين بدأوا طفولة تفكيرهم في عصرهم الجاهلى الوثنى وقدم في هذه الآراء الصيبانية والخيالات البدائية في التفكير مرضى الفلسفة من العرب كالفارابى وابن سينا وابن رشد والرازى - بله الجهمية والمعتزلة .

هذا وإننا نحب انتشار هذا الكتاب وأمثاله آمنين على جانب الدين منه حتى يشفى به مرضى المجردات الخيالية المسماة عندهم بالعقول العشرة والنفوس الفلسفية التسعة والنفوس الناطقة - إلى آخره - ولسنا نخاف على الدين وأصوله وأركانه أن يصدم بمخالفة تفكير صحيح من عقلاء بنى آدم ، ولو أن المؤلف الذى لخص بحوث عقلاء الغرب رفع رأسه قليلا إلى تراث علمائنا المحققين - كؤلفات شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ونليذه شمس الدين ابن القيم ، وأسلافنا من الأئمة المقتدى بهم لرأى فيها ما يشلج صدره من إنكار الميتافيزيقيا عقلا وتقلا ، وأن مجردات الفلاسفة لا وجود لها إلا فى أذهان متخيلها ، ولا وجود لها فى الواقع وخارج الأذهان ، ولرأى أن ما لخصه من تحقيق علماء الغرب إنما استفادوه من تحقيق علمائنا الأعلام ، حرص عليه الغرب وارتشف علماءه من رحيق أزهاره وقدموه لنا عسلا ظنتاه من صنع أيديهم وليس الأمر كذلك ، وإنما مثلهم فى ذلك كمثلهم فى (خامات) الشرق يأخذونها عنه ثم يعيدونها إليه مصنوعات براءة مدهشة تعشى بصر من يراها بمن لا يعرف الحقيقة ، والعيب عيبتنا نحن ، عندنا (خامات) لم نحسن أن نلتفع بها وأدوية لم نتعالج

بها . فنحن مرضى والدواء فى دارنا ، وجياع وخيرات الدنيا بين أيدينا ، وجهال لم ننتفع بما كتب محققونا .

ولعل المؤلف الفاضل ترتفع همته إلى مطالعة تراثا الشرق فيجمع بينه وبين ما يعرف عن الغرب فيخرج لنا كتابا يجمع مشرق شمس الحقيقة ومغربها - فيجيب شبائنا فى مراجعة تراث أسلافهم فيستفيدوا الحق من القديم والحديث ، ومن لا قديم له لا جديد له .

هذه العجالة حفزنى إلى كتابتها ما قرأته فى مقدمة كتاب ( خرافة الميتافيزيقيا ) ولما أت على الكتاب بتمامه ، وخصوصا باب الخير والشر فقد رأيت من بعض الاحباب اشتمازا منه ، فلعل الفرصة تواتى لاستيعاب الكتاب فأكتب عنه ما أرى فيه من حسنات وغيرها — فإلى مقال آخر والسلام ؟

محمد عبد الرزاق حمزة

## وصية أحمد محرم إلى صديق له

يا حارس الإسلام حسبك أن ترى	من كيد كل مناجز محروسا
فاطرد دعاة سوء عنه ولا تدع	فى المؤمنين الصادقين دسيسة
اعمل لربك لا يركع مضلل	يحفوا الإله ويصطنى إبليس
سبحان ربك لن يغادر عدله	بين البرية عاملا مبخوسا

## مَنْ هُمُ الْعَبِيدُونَ ؟ ولماذا أحرقوا مَدِينَةَ الْفُسْطَاطِ ؟

كتب إلينا السيد محمود محمد عيد وكيل إدارة التوريدات والمخازن بوزارة الشؤون الاجتماعية يقول :

« قرأت مقالكم الأخير في جزء ربيع الآخر من ( مجلة الأزهر ) بعنوان ( يتيم من مصر العتيقة ) وقد جاءت في ثاباه كلمات عابرة عن ( العبيديين ) وتعهدهم لإحراق مدينة الفسطاط . فن هم العبيديون ، وما هي حقيقة هذا الحريق ؟

ولما كان هذا الموضوع قد كثر فيه القول من ألف سنة إلى الآن ، ثم جدت فيه مراجع ونصوص وتحقيقات لم تكن معروفة قبل عصرنا هذا ، رأينا من المفيد أن نجيب على سؤال السائل بما يأتي ، موجزين فيه القول بقدر ما يحتمله المقام .

### العبيديون :

هم سلالة ( عبيد الله المهدي ) ، وهو عراقي ، ولد في الكوفة سنة ٢٦٠ هـ واختبأ في بلدة سلمية بؤرة الاسماعيليين الباطنية في شمال الشام ، وكان من ولادته إلى أن استقر في سلمية يعرف باسم سعيد بن أحمد بن حسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح . وفي منطقة سلمية ومصيف من بلاد الشام مات الحفيد الرابع لاسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو علي ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل <sup>(١)</sup> ، فرسم دعاة الباطنية بعد موته خطة جديدة لدعوتهم قرروا فيها نقل الإمامة من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق إلى ابنهم بالنكاح

(١) اسماعيلية الشام وهم جماعة أغا خان أقاموا مزارات سرية لهذا وغيره من أئمة الاسماعيليين في سلمية ومصيف . وتجدد صور هذه المزارات وكلامها عنها وعن الاسماعيلية في الكتاب الرسمي لنحلة أغا خان ، وهو باللغة الأوردية عنوانه ( نور مبین جبل اقمه المثلین ) تأليف علي محمد جان محمد جنارا أحمد عبيد أغا خان . وهو مطبوع في بومبي الهند بنحو ٦٧٠ صفحة كبيرة غير عشرات الصور المضافة إليه والمطبوعة على الورق الصقيل .

الروحي وهو سعيد بن أحمد القداح ، وقرروا تغيير اسمه الحقيقي ( سعيد بن أحمد ) باسم ( عبيد الله المهدي ) ، وناطوا الدعوة إليه برجلين أحدهما أرسلوه إلى اليمن واشتهر باسم ( منصور اليمن ) واسمه الحقيقي حسن بن فرح بن حوشب بن زاذان الكوفي (١) ، وأرسلوا الداعية الآخر إلى شمال إفريقيا واشتهر فيها باسم أبي عبد الله الشيعي . وقد نجح أبو عبد الله الشيعي في شمال إفريقيا بما لم ينجح بمثله ابن حوشب في اليمن . وبعد أن اطمأنوا إلى نجاحهم نقلوا القداح ( أي عبيد الله المهدي ) إلى شمال إفريقيا ، وبعد فوات الفرصة وخروج الأمر من يد حكومة المغرب يومئذ وهي حكومة بني الأغلب انتبھت لهذا الفساد الذي استشرى في غفلة منها فقبضت على عبيد الله المهدي وحبسته فتمكن داعيته أبو عبد الله الشيعي من مهاجمة السجن بالثوار من أهل نخلته وأخرج عبيد الله وصارت له بجاعته قوة لا تغلب ، وكان أول أعماله قتل داعيته أبي عبد الله الشيعي فلقى في الدنيا جزاء عمله . ولما أصبح الأمر في القيروان والبلاد التونسية إلى عبيد الله المهدي احتل مدينة رقادة ، وطردها عنها بني الأغلب في ربيع الأول سنة ٢٩٧ واستقر بها ملكه ، فقال في ذلك أحد شعرائه مشيراً إلى عقيدتهم في الحلول :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذو البرايا وكل شيء سواه ريج

ثم بنوا له على اسمه بلدة ( المهديّة ) وبقي الحاكم فيها إلى أن مات سنة ٣٢٢ ، خلفه على هذه الدعوة ابنه القائم نزار ( ٢٨٠ - ٣٣٤ ) ، وتولى بعد القائم ابنه المنصور إسماعيل العبيدي ( ٣٠٢ - ٣٤٩ ) وهو والد المعز معد ( ٣١٩ - ٣٦٥ ) الذي استولى على مصر مسلماً بجيش على رأسه عبده جوهر الصقلي ، وبنيت له القاهرة المعزية .

### اعتراف الإسماعيليين بأنه المهدي صفة ذرية القداح :

هذا هو أصل العبيديين ، وقد علمت أن نسبهم إلى عبيد الله المهدي ، وأن شخصيته الحقيقية ونسبه الصحيح : سعيد بن أحمد بن حسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح ، والعبيديون لما مات آخر أئمتهم علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل انتقلوا عن ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق إلى سعيد بن أحمد من ذرية ميمون القداح زاعمين أنه ابن السلسلة الإسماعيلية ، وخالفهم في ذلك جميع المسلمين في المغرب نفسها وفي كل مكان ، وفي طليعة

(١) هو معاصر للمهداني مؤلف ( الاكلیل ) و ( صفة جزيرة العرب ) ، وقد أشار في الكتاب

الماشر من الاكلیل ص ١٨٢ - ١٨٥ الى بعض نشاط ابن حوشب هناك .

الذين أنكروا ذلك عليهم الاشراف العلويون ، وسنشير إلى طرف من حوادث هذا الخلاف في هذا المقال . إلا أننا نبادر الآن بالإشارة إلى مصادر إسماعيلية وباطنية لم يكن يعرفها أسلافنا لأنها من كتب الاسماعيليين السرية ، فلما ظهرت الآن زال الغموض حول هذه النقطة ، وتبينت حقيقة نسب العبيديين ومذهبهم هم في ذلك ، فمن تلك الكتب كتاب ديني إسماعيلي يسمى ( غاية المواليد ) ألفه الخطاط بن الحسن بن أبي الحفاظ الهمداني المتوفى سنة ٥٣٣ هـ وهو من علماء الإسماعيليين ودعاتهم ، يقول فيه :

... وذلك ما روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تسليمه الأمر إلى ولده إسماعيل عليه السلام وغيبة إسماعيل <sup>(١)</sup> — وولده محمد بن إسماعيل في حد الطفولة ، ولم تكن الإمامة ترجع القهقري منه كما لم ترجع من غيره — فأودع حجته المنصوبة بين يدي (ميمون القداح) مقامه لولده ، وأقامه سترأ عليه وقدمه بين يديه ، واستكفله إياه إلى بلوغه أشده . ولما بلغ أشده تسلم وديعته . ثم جرى الأمر في عقبه خلفا عن سلف ، حتى انتهى الأمر إلى علي ابن الحسين بن أحمد بن إسماعيل <sup>(٢)</sup> ... وكان على يديه طلوع الشمس ، وذلك أنه لما ظهر النور بأسقا باليمن وبلاد المغرب <sup>(٣)</sup> سار ولي الله في أرضه على بن الحسين يريد بلاد المغرب حتى كان في بعض طريقه إلى الشام وأظهر الغيبة <sup>(٤)</sup> واستخاف حجته (سعيد الخير الملقب بالمهدي) عليهم السلام ، فبث قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدهما بسجامة من العمال بالمغرب ما جرى <sup>(٥)</sup> ووقى الله بوليّه كيدَهُ .

وهذا النص نقله الدكتور برنارد لويس B. Lewis أستاذ تاريخ الشرق الأدنى والوسط

(١) يعبر الاسماعيليون عن موت أئمتهم بلفظ (الغيبه) لأنهم يزعمون أن أئمتهم يفييون ولا يموتون وهذا متفرع عن اعتقادهم حلول الألوميه في أولئك الأئمة .

(٢) هكذا وردت السلسلة الاسماعيلية في كتابهم الهدى ( غاية المواليد ) وكتب أخرى . أما كتاب آغا خان الرسمى فانه في ص ١١٩ يورد سلسلة النسب هكذا : عبدالله بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل وإن اضطرابات الاسماعيليين أنفسهم في إيراد الاسماء الأولى من النسب يدل على مجافاتهم الحقيقة حق في هذا الأمر اللهم الا قدى تقوم عليه دعواهم من أولها الى اخرها .

(٣) اى على يدي الداعيتين ابن حوشب باليمن وأبي عبد الله الشيعي في المغرب .

(٤) أى مات . وهذا التعبير يشير بأن موته باختباره لا كما نموت نحن . ومثله عند الاثنى عشرية مجاء في أوتق كتبهم عندهم وهو (الكافي) ص ٦٢ طبعه سنة ١٢٧٨ هـ « باب أن الأئمة يطمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم » .

(٥) يشير إلى حبس سعيد بن أحمد القداحي للنتحل اسم عبيد الله المهدي .

بجامعة لندن في كتابه ( أصول الإسماعيلية ) ص ١٢٨ - ١٢٩ وقد استفدنا منه اعتراف الإسماعيليين بثلاث حقائق : الأولى الاعتراف بميمون القداح والدور الذي مثله في صدر هذه النحلة بعد الأساس الذي أقامه لهم أبو الخطاب . والحقيقة الثانية أن عبيد الله المهدي هو سعيد ابن أحمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح ( . والثالثة - وهي النتيجة المحتمة - هي أن العبيديين الذين يسمون أنفسهم الفاطميين هم من سلالة القداح لا من سلالة محمد ابن إسماعيل بن جعفر ، إلا أن يكونوا غير صادقين في أن القائم نزارا هو ابن لعبيد الله المهدي . ويقول الدكتور برنارد لويس في ص ١٢٩ : وقد أخبرني صديقي الاستاذ الأعظمي <sup>(١)</sup> بأن أمثال هذه العبارة واردة في كتب إسماعيلية باطنية أخرى يملكها ، وتضيف بعض العبارات إلى العبارة السابقة أن سعيداً نفسه من ولد القداح .

وهناك وثيقة باطنية أخرى وهي رسالة ( تقسيم العلوم ) <sup>(٢)</sup> خلط فيها نسب القداح بالفلسب الإسماعيلي - على قاعدة التبنّي الروحي أو النكاح الروحي التي سيأتى الكلام عليها - فقد قيل في هذه الوثيقة الباطنية عن نسب سعيد القداح : إنه ابن د أحمد بن الحسين بن محمد ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل ، فأسماء د أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله ، لسلالة قداحية ، وما بعدها وهي أسماء د أحمد بن محمد بن إسماعيل ، لسلالة علوية ( وانظر لذلك ص ١٦٣ من كتاب د أصول الإسماعيلية ، للدكتور برنارد لويس ) وقد قال قبل ذلك في ص ١٦٩ : د ما زالت سلسلة الأئمة بين ( محمد بن إسماعيل ) و ( سعيد - المهدي ) مشكلة من أعقد المشاكل في التاريخ الإسلامي ، فالمؤرخون من أهل السنة يروون لها روايات عديدة مختلفة ، والإسماعيليون لا يبدو أنهم متفقون فيما بينهم عليها . وقد بحث كثير من القدماء هذه المشكلة وناقشها نقاشاً دقيقاً ، وحقّقها دى خويه M. J. De Goeje <sup>(٣)</sup> وبلوشيه من المحدثين ، ثم قال : د والظاهر أننا نستطيع أن نتلمس مفتاح المشكلة في عقيدتي د التبنّي الروحي ، و د الإمامة المستودعة .

(١) هو إسماعيل هندي من المعاصرين معروف كثيراً في مصر . وهو منسوب إلى مدينة [ أعظم كر ] ومن أهلها سنيون وإسماعيليون ونسبتهم جيما [ أعظمي ] . أما في العراق فالأعظمي من ينسب إلى حي في بغداد يقوم فيه مسجد الامام الأعظم أبي حنيفة ومدفنه .

(٢) مخطوط رقم ١٤١٥ ورقة ١١٧ وما بعدها . عن دى ساسي ٢ : ٥٧٨ .

(٣) كان أستاذ العربية بجامعة ليدن بهولندا ، وهو الناشر الأول والمحقق الدقيق لتاريخ الامام ابن جرير الطبري في القرن للماضي ، وله خدمة واسعة النطاق جداً للعلوم الإسلامية .

## ما هو التبنى الرومى ؟

يتقدم الأستاذ لويس ماسنيون برأى خاص فى مشكلة النسب فى الإمامة فيقول (١) :  
إن القرامطة اعتبروا حق العلويين الشرعى فى الخلافة كوسيلة لا غاية ، فالإمامة ليست ميزة  
محتسكة تورث فى عائلة ، وإنما هى ميزة فكرية وتولية إلهية وتفويض ( أى من حامل  
أسطورة الحلول الإلهى ) إلى حامل اللقب على أثر التنوير الذى يشرق فيه مما يجعله الخلف  
أورد ابن الرواحى ، لسلفه . ولهذا لم يعبا عبيد الله المهدي ببيان نسبه لأنه لم يكن مهما بالنسبة  
لأتباعه ، إذ كانوا يريدون قبل كل شئ أن يكون حاصلا على التفويض الإلهى والمستوى  
الذهنى الخاص ، سواء أكان علويا أم لم يكن . فهو هنا يؤكد فكرة د النسب الرواحى ،  
فى الإمامة .

ثم جاء فى مقدمة أصول الإسماعيلية ( ص ٣١ ) تلخيصا لنتيجة بحث الدكتور برنارد  
لويس فى هذا الباب : د فى حياة الصادق كـثـون أبو الخطاب - بالتعاون مع إسماعيل بن جعفر  
الصادق كما يظهر - مذهبا كان أساس المذهب الإسماعيلى فيما بعد ، واشتغلوا لتكوين فرقة  
شيعة ثورية تجمع كل الفرق الشيعية الصغيرة حول إمامة إسماعيل وأولاده . وبعد وفاة  
أبى الخطاب وإسماعيل وجعفر انقسمت فرقهم إلى عدة شعب متنازعة فى المبادئ والزعامه  
ثم اجتمع هؤلاء حول محمد بن إسماعيل الذى نجح — بمعونة بعض الأنصار وخاصة المبارك  
حول إسماعيل وعبد الله بن ميمون القداح — فى أن يجمع بحركة واحدة أكثر أتباع  
إسماعيل ومعظم الخطائية الذين أخذ مذهبهم مع بعض التعديل .

## أبو الخطاب والإسماعيلية :

وأبو الخطاب الذى يتردد ذكره فى تاريخ تأسيس النحلة الإسماعيلية هو ( محمد بن مقلص  
ابن أبى زينب السكونى الاجدع ) ، كان من أصحاب جعفر الصادق وكان متظاهراً بالاستقامة  
فى أول أمره . ثم صار ينسب إلى جعفر الصادق علم الغيب ، ثم جمع طائفة من الملتفين  
حول جعفر الصادق وقام بمظاهرة فى الكوفة هتفوا فيها : ليك جعفر ليك ! ، ثم صار

[١] عن مقدمة أصول الإسماعيلية ص ٢٤ بقلم الدكتور عبد العزيز الدورى أستاذ التاريخ  
الإسلامى فى دار المعلمين العالية ببغداد .

أتباع أبي الخطاب يزعمون أنه أفضل من رسول الله ، بل ادعى لنفسه وادعوا له أنه رسول الله وتروى الشيعة الاثنا عشرية عن عنبسة بن مصعب أن جعفراً الصادق سأله : أى شيء سمعته من أبي الخطاب ؟ قال عنبسة : سمعته يقول : إنك وضعت يدك على صدره وقلت له : « ع ، ولا تنس ، ، وإنك تعلم الغيب ، وإنك قلت عنه « هو عبية علمنا وموضع سرنا ، أمين على أحيائنا وأمواتنا ، فقال جعفر : لا والله ما مس شيء من جسدى جسده إلا يده . وأما قوله : « إنى قلت أعلم الغيب فوالله الذى لا إله إلا هو لا أعلم الغيب »<sup>(١)</sup> ولا آجرنى الله فى أمواتى ولا بارك لى فى أحيائى إن كنت قلت له ( وكانت أمام جعفر جويرة سوداء تدرج ، فقال ) لقد كان منى إلى أم هذه - أو إلى هذه - بخطه القلم ، فأنتنى هذه ، ولو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتبنى . ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطاً - أى بستافاً - بينى وبينه فأصابه السهل والشرب وأصابنى الجبل ، فلو كنت أعلم الغيب لأصابنى السهل والشرب وأصابه الجبل . وأما قوله : « إنى قلت له « هو عبية علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا ، فلا آجرنى الله فى أمواتى ولا بارك فى أحيائى إن كنت قلت له شيئاً من هذا قط »<sup>(٢)</sup> . وقال عمار بن أبي عتبة هلكت بنت لابی الخطاب فلما دفنها اطلع يونس بن ظبيان فى قبرها فقال : السلام عليك يا بنت رسول الله . ولما انكشف عن أبي الخطاب ستار كفره قال جعفر الصادق : اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوفنى قائماً وقاعداً وعلى فراشى ، اللهم أذقه حر الحديد . والانباء مستفيضة عن اتصال أبي الخطاب بإسماعيل بن جعفر الصادق وتعاونهما على إقامة كيان دينى جديد باسم إسماعيل بن جعفر على الاسس التى يدعوا إليها أبو الخطاب . وشعرت الدولة العباسية بهذا النشاط فأرسل عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله ابن عباس - وكان عامل المنصور على الكوفة - من قتل أبا الخطاب وطائفة من رجاله وهم فى المسجد ، لأنهم كانوا يلزمون أساطين المسجد ليرى الناس أنهم من أهل الدين والعبادة ، فقتلهم عند هذه الأساطين التى كانوا يلزمونهم . ولما بلغ جعفراً الصادق خبر قتلهم قال

(١) ومع أن الاثنى عشرية هم الذين يروون هذا التسم للفظ عن لسان جعفر الصادق بأنه لا يلم الغيب فإن أوثق كتبهم وهو ( الكافي ) الذى يعتبرونه كصحيح البخارى عندنا قد جاء فى ص ٦٤ منه « باب أن الائمة يعلمون علم ما كان ، وما يكون ، وأنه لا يخفى عليهم شيء » .

(٢) عن ترجمة أبي الخطاب فى ( تنقيح المقال ) للهاقانى ٣ : ١٩٠ وهو أحفل كتب المجرح والتعديل عند الاثنى عشرية الآن .



- فيما سمعه منه عمران بن علي الحلبي - : لعن الله أبا الخطاب ، ولعن من قتل معه ، ولعن من بقي منهم ، ولعن من دخل قلبه رحمة لهم . وروى سدير بن حكيم الصيرفي من أصحاب الباقر والصادق قال : كنت جالسا عند جعفر وميسر عنده ونحن في سنة ١٨٨ فقال له ميسر : جعلت فداك ، عجبت لقوم كانوا يأتون معنا لهذا الموضع فانهضت آثارهم وفنيت آجالهم . فقال جعفر : ومن هم ؟ قال : أبو الخطاب وأصحابه - وكان جعفر متكئا فجلس ورفع إصبعه إلى السماء ثم قال : على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب غدواً وعشيا .

أما إسماعيل بن جعفر الصادق المتعاون مع أبي الخطاب هذا فكان أكبر إخوته ، وكان أبوه شديد المحبة له والبر به ، ومات في حياة أبيه بالعريض - بعد انتقالهم من العراق إلى المدينة - فحمل نعشه من العريض إلى المدينة على رقاب الرجال حتى دفن بالقيع . ونقل المامقاني في تنقيح المقال ( ١ : ١٣٢ ) أن الصادق قال في حق ابنه إسماعيل : عاص ، عاص ، لا يشبهني ولا يشبه أحدا من آبائي ، وقال الوحيد ( من علماء الشيعة ) : وفي الصحيح عنه : والله ما يشبهني ، وفي حديث عنه أنه نهى عن إعطاء ماله شارب الخمر فلم يفته فتلّف . وفي ( السكافي ) في باب النص على الرضا : لو كانت الإمامة بالمحبة لكان إسماعيل أحب إلى أبيك منك . ورووا في كتاب ( الخزانج ) أسطورة أذاعها الوليد بن صبيح الكوفي ( من رجال جعفر الصادق ) قال : جاءني رجل فقال لي : تعال حتى أريك ابن إلهك . فذهبت معه فجاؤا بي إلى قوم يشربون ( أى الخمر ) فيهم إسماعيل بن جعفر عليه السلام ، فخرجت مغموما ، فحُتّت إلى الحجر فإذا إسماعيل بن جعفر متعلق بالبيت قد بل أستار الكعبة بدموعه فرجعت أشد فإذا إسماعيل جالس مع القوم ، فرجعت فإذا هو أخذ بأستار الكعبة قد بلها بدموعه . قال : فذكرت ذلك لأبي عبد الله جعفر الصادق فقال : لقد ابتلى ابني بشيطان يتمثل بصورته ( عن تنقيح المقال للمامقاني : في ذلك الموضع ) .

أما ميمون القداح وابنه عبد الله فقد سقط بينهما محمد بن إسماعيل ، وفي هذه البؤرة تطورت الإسماعيلية ، ونظمت على أساس تغيير دين الإسلام عما كان يعرفه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، إلى ما صار معروفا بعد ذلك في سيرة الباطنيين والإسماعيليين في ألف سنة ، والركن الأول في ذلك هو التنكر لأصحاب رسول الله ﷺ ، ولكل ما فهمه الصحابة من دين الإسلام ، ومحاولة تأويل القرآن بغير ما كان معروفا في عصر تنزيله لتسكون منه رسالة أخرى غير الرسالة المحمدية .

## الفسطاط قبل العبيديين

ودولة العبيديين تأسست في القيروان وبلاد المغرب منذ أسس عبيد الله المهدي (٢٦٠ - ٣٢٢) بلدة المهديّة هناك ، ولما مات سنة ٣٢٢ تولى بعده ابنه القائم نزار (٢٨٠ - ٣٣٤) ، ثم حفيده المنصور اسماعيل (٣٠٢ - ٣٤١) والد المعز باقى القاهرة ومؤسس دولتهم في مصر ، وفيما بين عبيد الله المهدي والمعز كانوا يستعدون بالمال والرجال للاستيلاء على مصر ، وحاولوا ذلك مرتين قبل المدة الأخيرة التي استفادوا فيها من اختلال أمر مصر بموت كافور الإخشيدي (١٠ جمادى الأولى ٣٥٧) ، فاستطاع قائدهم جوهر أن يستولى على مصر مسلماً بلا حرب ولا دفاع ، وكان قيام جوهر من القيروان (تونس) يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨ ووصل إلى مصر في شعبان من تلك السنة ، وتم له في يوم ١٧ شعبان الاستيلاء على السلطة المطلقة في وادي النيل ، وكانت العاصمة المصرية — من بدء دخول الإسلام مصر إلى يوم دخول جوهر — هي مدينة الفسطاط (مصر العتيقة الآن) وكانت من أعمر الأمصار الإسلامية وأغناها وأسعدها ، وقد وصف القاضي محمد بن سلامة القضاعي (المتوفى سنة ٤٥٤) ما كانت عليه مدينة الفسطاط قبل أن تبنى القاهرة ، فقال : كان فيها من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد ، ومن الحمامات ألف ومائة وسبعون حماما ، ومن الشوارع المسلوكة ثمانية آلاف شارع ، وكانت أسواقها عامرة بكل شيء من أنفس البضائع إلى أكل الكماليات ، وضرب المثل لذلك بأن قطر الندى بفت خمارويه بن أحمد بن طولون احتاجت إلى ألف تسكة من التي تساوى الواحدة منها عشرة دنانير ذهباً فجاء رسلها إلى سوق الفسطاط بعشرة آلاف دينار فوجدوا ما طلبوه ميسورا بأسرع وقت وأهون سعى ، وكانت الفسطاط عامرة بالمنازل الشاهقة ، وكثير منها بخمس طبقات وست وسبع ، وكان بعض المنازل من السعة وكثرة المرافق بحيث يتسع المنزل الواحد لمائتين من الناس ، وكان في الفسطاط دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لساكنيها في كل يوم أربعمائة راوية ماء ، وفي داخل هذه الدار خمسة مساجد واسعة وحمامان كالحمامان العامة وعدة أفران كاملة العدة يخبز بها عجيين أهلها . أما بضاعة العلم في الفسطاط فكانت أغلى البضائع وأنفسها وأكثرها رواجاً ، وفضلاً عن الأسواق التي كانت للكاتب ، فقد كانت صناعة الفسخ واسعة النطاق يعيش منها آلاف من المشتغلين

بالعلم ، لأن المكتبة كانت زينة المنزل في كل أسرة مثقفة ، وحلقات العلم تعقد في المساجد التي بلغ عددها ستة وثلاثين ألف مسجد ، وكان جامع عمرو الذي يسمى تاج الجوامع مباءة التحديث والتدريس من زمان الصحابة رضوان الله عليهم إلى زمن الأئمة الليث بن سعد ومحمد بن إدريس الشافعي وأضرابهما ، وحتى في سنة ٧٤٩ كانت حلقات الدرس الدائمة كل يوم بلا انقطاع في جامع عمرو لا تقل عن بضع وأربعين حلقة كما ذكر ذلك الجلال السيوطي في حسن المحاضرة ( ٢ : ١٣٦ ) فما بالك بما كانت عليه الحال قبل الإعراض عن الفسطاط واتخاذ القاهرة عاصمة للبلاد .

هذه هي الفسطاط التي جاء جوهر حاملا أوامر مولاه المعز بأن يعرض عنها ، وأن يفشي عاصمة أخرى غيرها للبلاد ، فأنشأ جوهر في شمالى الفسطاط مدينة سماها في بادئ الأمر ( المنصورية ) نسبة إلى المنصور إسماعيل ( ٣٠٢ - ٣٤١ ) وهو والد المعز العبيدي

### مجيء المعز الى مصر

وفي أوائل رمضان سنة ٣٦٢ وصل المعز من المغرب ، فخرج أعيان الفسطاط وأشرفاها وعلماؤها لاستقباله في الجيزة ، واستعدت الفسطاط لاستقباله فزينوها له أجمل زينة ، فلما سار موكبها من الجيزة وجاز النيل إلى الشاطئ الشرقى أبى أن يدخل الفسطاط وجعلها خلف ظهره بما فيها من زينات واستعداد لم يسبق له نظير ، وأمر موكبها بالاتجاه إلى المنصورية التي صدر أمره في ذلك الحين بأن تسمى ( القاهرة المعزية ) .

وفي أثناء سير الموكب أراد أشرف الفسطاط من العلويين أن يعلموا درجة قرباتهم من ابن عمهم الجديد ، فتقدم إليه ثلاثة منهم - وهم الشريف أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسيني الرسى وأحد أبناء الشريف أبي محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط - فسألوه : إلى من ينتسب مولانا ؟ فقال المعز : سنعقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا . فلما اجتاز المباني الجديدة في المنصورية - التي صار اسمها القاهرة ، وكانت خالية خاوية وعلى غير استعداد لاستقباله للاعتقاد السائد بأنه سيقابل المصريين في بلدهم الفسطاط - وصل موكبها إلى القصر الذي بنى له ، فلما استقر به المقام جمع الناس في مجلس عام ، وقال للأشرف : هل بقي من رؤسائكم أحد ؟ فقالوا : لم يبق معتبر . فسل

عند ذلك نصف سيفه<sup>(١)</sup> وقال : « هذا نسي » ، ونثر عليهم ذهباً كثيراً ، وقال : « هذا حسي » ، ففهموا من ذلك أن الرجل من معدن آخر غير معدنهم ، واكتشفوا بهذا الجواب عن السؤال الذي كان يحيك في نفوسهم ولا يجدون جواباً عليه .

### ولاية ابنه العزيز

وفي السنة الثالثة من دخول المعز مصر ، مات ( وكانت ولادته بالمهدية ووفاته سنة ٣٦٥ ) فتولى ابنه الأصغر العزيز نزار ( وكان قد ولد بالمهدية سنة ٣٤٤ ثم أدركته منيته في بلبس سنة ٣٨٦ ) وفي بداية ولايته صعد المنبر في يوم الجمعة فوجد في أعلى درجاته رقعة فيها هذه الآيات :

إننا سمعنا نسباً منكراً	يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعى صادقاً	فاذكر أباً بعد الأب الرابع <sup>(٢)</sup>
وإن ترد تحقيق ما قلناه	فانصب لنا نفسك كالطائغ <sup>(٣)</sup>
أو لا دع الانساب مستورة	وادخل بنا في النسب الواسع <sup>(٤)</sup>
فإن أنساب بني هاشم	يقصر عنها طمع الطامع

والعزيز العبيدي هذا بلغ به الغرور في السنة الأولى من ولايته أن كتب إلى الخليفة الأموي بالاندلس - وهو الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر - كتاباً يسبه فيه ويهجو من غير مناسبة ولا داع إلى ذلك ، ومعلوم أن الحكم المستنصر من كبار علماء قریش في عصره ، ومن أكثر فضلاء المسلمين إلماماً بالأدب والتاريخ واضطلاعاً بمعرفة الانساب ،

[ ١ ] وقد أخطأ مؤلف الكتاب الرسمى لأغا خان فرسم صورة للمعز في هذه الحادثة ، وجعل السيف مسلولا كله بيده ، وذلك تجاه الصفحة ٢٣٠ من كتاب [ نور مبین ] .

[ ٢ ] الأب الرابع هو عبيد الله المهدي الذي شوخوا حقيقةته بإخفاء اسمه الحقيقي ، ولو أن العزيز ابن المعز قبل تمديد فاعلم الآيات لاضطر إلى ذكر أحمد القدامى فيفتضح أمره .

[ ٣ ] الطائغ هو الخليفة العباسي في بغداد المعاصر للعزيز العبيدي ، ونسب الطائغ إلى عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب صريح نظيف واضح لا يختلف فيه ولي ولا شاني .

[ ٤ ] أي النسب الذي يجمع بني آدم .

فاكتفى الحكم بأن كتب إلى العبيدي أربع كلمات جواباً على كتابه أصابت منه مقتلاً ، لأنها وافقت الحقيقة التي أراد العبيديون أن يغالطوا بها التاريخ وأهله . وهذا هو جواب الحكم المستنصر :

« عرفتنا فمجوتنا ، ولو عرفناك لاجبنناك . »

ومعلوم أن المذهب الباطني الذي كان العبيديون يقومون على حراسته واشهره وتأيسد دعوته ، يقضى لهم بالحلول وعلم الغيب ، وهذا هو الأساس الأول الذي أسسه لهم أبو الخطاب محمد بن مقلص بن أبي زينب من أيام جعفر الصادق ، واستحق عليه اللعنة من الصادق ، وسفك الدم من أمير المؤمنين المنصور على يد عامله العباسي على السكوفة . فلما أخذ العزيز يدس هذه العقيدة على أيدي دعاة ودعاة ، لم يكن المصريون ليسكتوا له هلى هذه الحماقة ، فذكر القاضي ابن خلكان أن العزيز العبيدي صعد المنبر يوماً فرأى فيه رقعة كتب له فيها :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقة  
إن كنت أعطيت علم غيب فاذكر لنا كاتب البطاقة

### إمامهم الثالث :

وإمامهم الثالث بعد المعز والعزيز هو الحاكم العبيدي (٣٧٥ - ٤١١) ابن العزيز الذي أشرنا إلى طرف من أخباره ، تولى وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ثم نكبت مصر بأحكامه أكثر من ربع قرن ، وكانت له شخصيتان مختلفتان : إحداهما شخصيته الصريحة التي يصدر فيها عما اعتقده أهل بيته من أيام أبي الخطاب في زمن جعفر الصادق وابنه اسماعيل . والشخصية الأخرى هي التي يمثل فيها دور صاحب السلطان إذا راعى ظروف سلطانه ، فن شخصيته الصريحة التي صدر فيها عن عقيدة أهل بيته أنه أمر الناس وهو في الثامنة عشرة من عمره ( سنة ٣٩٣ ) بالسجود إذا ذكر اسمه في الخطبة <sup>(١)</sup> ، وفي سنة ٤٠٨ أى بعد خمس عشرة سنة نهى عن تقبيل الأرض له وعن الصلاة عليه ، واكتفى بأن يقال في خطبة الجمعة السلام على أمير المؤمنين <sup>(٢)</sup> ، وأصدر أمره وهو في العشرين من عمره ( سنة ٣٩٥ ) بأن يكتبوا على

[١] حسن المحاضرة للجلال السيوطي [ ٢ : ١٥٠ ] .

[٢] ابن خلكان [ في ترجمة الحاكم ] .

جدران المساجد والمدافن والشوارع سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب المراسيم الرسمية إلى جميع ولاء الدولة وعما لها يأمرهم بتعميم هذا السب ، وما زال مستمراً في بغية هذا على دين الله ورسوله سنتين كاملتين ، ثم عاودته شخصيته الثانية - أو أيقظه لها بعض من يخافون على هذه الأسرة أن ينقلب بغيتها عليها - فأصدر أوامره في سنة ٣٩٧ بالعدل عن هذه الزندقة . وفي سنة ٤٠٠ م بنى داراً زعم أنها للعلم ، وأنه أباح فيها ذكر مناقب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه عاد بعد ثلاث سنوات فهدم الدار وسفك دماء خلق ممن كانت فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والفيانة ، ذكر ذلك الجلال السيوطي في حسن المحاضرة .

وفي سنة ٤٠٢ م كتب في بغداد محضر تاريخي في إنكار نسب العبيدين وقع عليه جماعة من الاشراف والقضاة والعلماء والفقهاء والمعدلين والصالحين - سنين واثني عشرية - فمن العلويين المرتضى وأخوه الرضى وابن البطحاوي العلوي وابن الأزرق الموسوي العلوي والزكي أبو يعلى عمر بن محمد وأبو طاهر بن أبي الطيب ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبي يعلى . ومن القضاة والعلماء ابن الاكفاني وأبو القاسم الحريري وابن السيوري وأبو العباس الأبيوردي وابن الحرزي ، ومن الفقهاء أبو حامد الاسفرايني والقُدوري والصيمري والبيضاوي وأبو الفضل النسوي وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم ، شهدوا جميعاً أن الناجم بمصر - وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبور والدمار والحزى والنكال والاستئصال ، ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله ، فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي ، ومن تقدم من سلفه ... أدعياء خوارج ولا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ، ولا يتعلقون منه بسبب ، وأنه منزّه عن باطلهم ، وأن الذي ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون أن أحداً من بيوت الطالبيين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء ، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين ، وفي أول أمرهم بالمغرب ، منتشراً انتشاراً يمنع من أن يدلس على أحد كذبهم أو يذهب وهم إلى تصديقهم ، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه ... معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولما ذهب المنوية والمجوسية معتقدون .. لعنوا السلف وادعوا الربوبية . وكتب في ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة .

## أيام الظاهر العبيدي :

وبعد الحاكم ذى الشخصيتين تولى ابنه الظاهر العبيدي ( ٣٩٥ - ٤٢٧ ) . وفي أيامه بدأت الشام تتحرر من الحكم الإسماعيلي ، وتدفع عن آفاقها العقيدة الباطنية وما تفرضه على الناس من تسكر للإسلام وأهله الأولين . وفي السنة الثالثة من أيام حكمه تقدم في موسم حج سنة ٤١٣ رجل طويل جسم أحمر أشقر من موالى والد الظاهر العبيدي متظاهراً بأنه يريد تقبيل الحجر الأسود - وكان ذلك يوم النفر الأول - فلما وصل إلى ركن السكبة ضرب الحجر الأسود بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات ونادى : إلى متى يعبد هذا الحجر ، ولا محمد ولا على فيمنعني مما أفعله ، فلأنى أهدم اليوم هذا البيت ! وكان تخلف عنه عند باب الحرم جماعة من الفرسان ليحجموه ولينعوه بمن يريده بسوء . وما لبث أن تقدم له رجل من أهل اليمن في منطقته خنجر « جنيدية » كعادة أهل اليمن ، فوجأ به وتكأثر عليه الناس فقطعوه قطعاً . ولم يستطع الفرسان أن يحجموه لتكأثر الناس إلا أن الناس لما علموا بأن الفرسان من أصحاب هذا الملحد طاردوه وقتلوا منهم جماعة . وسقط من الحجر ثلاث فلق مثل الاظفار ، فأخذ بنوشيه ( سدة السكبة ) تلك الفلق فعجنوها بالمسك واللح وحقوا بها تلك الشقوق التي بدت . قال الإمام السيوطي ( في حسن المحاضرة ) بعد الإلماع إلى ما تقدم : وذلك ظاهر فيه - أى في الحجر الأسود - إلى الآن .

## المستنصر :

وتولى بعد الظاهر العبيدي المستنصر ( ٤٢٠ - ٤٨٧ ) ويزعم أغاخان وأئمة البهرة أنهم من ذرية هذا الرجل ، أما أغاخان فيقول إنه من ذرية نزار بن المستنصر ، وأما البهرة فيقولون إن أئمتهم أمن ذرية أخيه المستعلي بن المستنصر ومن المفارقات العجيبة أن تتعلق فرق الإسماعيلية بهذين الأخوين حتى الآن ، مع أنهما كانا عدوين ، حتى أن المستعلي بنى جداراً دفن وراءه أخاه نزاراً وهو حي حتى مات خنقاً وجوعاً . وفي أيام المستنصر انتشر لإلحاد الإسماعيلية في اليمن على يد علي بن محمد الصليحي ( الذي اغتيل سنة ٤٧٣ هـ <sup>(١)</sup> ) ولما كان الباطنيون حريصين على كتمان إلحادهم إلا عن الذين أوقعوهم في حبائلهم ، فقد

[١] الذي أفسد عقيدة علي بن محمد الصليحي وهو صغير رجل اسمه طامر بن عبد الله الرواحي ، ولم يسكتف بتلقيه إلحاد وهو حدث حتى ترك له كتباً أوصى إليه بها بعد موته تبييناً لكفره .

قيض الله عالماً من علماء اليمن وهو محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادى اليمنى فاندس بين الصليحيين ملتحقاً بهم - إما مخدوعاً أو على سبيل الاختبار - وأوهمهم أنه صار منهم إلى أن صرحوا له بمقائدهم فاكتشف باطنهم وقارنه بظواهرهم وألف في ذلك كتاباً سماه (كشف أسرار الباطنية) وقد طبع في مصر سنة ١٣٥٧ وتصح لكل مسلم بالاطلاع عليه ليعرف حقيقة مذهب العبيديين ومن والاهم . وفي مدة المستنصر هذا أيضاً قام المعز ابن باديس أمير المغرب بإزالة ذكر طغاة العبيديين من منابر المسلمين في القيروان وغيرها فطهرها الله من ذلك . قال أبو المحاسن في النجوم الزاهرة ( ٥ : ٥٣ ) وفي سنة ٤٤٤ - أى في ولاية المستنصر - برز محضر من ديوان الخليفة العباسى القائم بأمر الله بالقدرح في أنساب العبيديين وأنهم ديصانية خارجون عن الإسلام ، وهومن جنس المحضر الذى برز في أيام القادر بالله سنة ٤٠٢ وأخذ فيه خطوط القضاة والأشراف .

### المستعلى وابنه الأمر

وتولى بعد المستنصر ابنه المستعلى ( ٤٦٩ - ٤٩٥ ) الذى ذكرنا أنه بنى جداراً على أخيه نزار ( الذى تنتسب إليه جماعة أغا خان ) . وكانت بيت المقدس تابعة لدولته ، فانتزعها منه الصليبيون وقتلوا فيها ما يزيد على سبعين ألفاً ، وانزعج المسلمون بسبب ذلك في جميع بلاد الإسلام إلى أن استردها بطل الإسلام حامى حمى السنة والجماعة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رضى الله عنه . وكانت بيت المقدس في أيدي الأمراء بنى أرتق قبل تغلب العبيديين عليها . قال القاضى ابن خلكان في ترجمة المستعلى : ولو بقى بيت المقدس في يد الارمنية لكان أصلح للمسلمين . ثم استولى الافرنج على كثير من بلاد الساحل الفلسطينى في أيام المستعلى هذا .

وتولى بعد المستعلى ابنه الأمر ( ٤٩٠ - ٥٢٤ ) وكان عند ولايته في الخامسة من عمره لا يعقل شيئاً . قال القاضى ابن خلكان : ولما اشتد وفطن لنفسه قتل وزير أبيه الأفضل ابن أمير الجيوش واستوزر محمد بن فاتك البطائحي فاستولى هذا الوزير عليه وقبح سمعته وأساء سيرته ، ولما كثر ذلك منه قبض عليه واستصنى أمواله وقتله وصلبه بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من إخوته . قال ابن خلكان : وكان الأمر سيئ الرأى جائر السيرة مستهتراً متظاهراً بالهوى واللعب . وفي أيامه أخذ الفرنج مدينة عكا وطرابلس الشام وعرقه



وبانياس وصور وبيروت وحيدا . ووصل بردويل الفرنجي إلى الفرما من الديار المصرية وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها وهو مريض فمك في الطريق قبل وصوله إلى العريش . أما الأمر العبيدي فكانت عاقبته أن قتله بعض المصريين على الجسر القائم بين الفسطاط وجزيرة الروضة . قال القاضي ابن خلكان : وكان قبيح السيرة ظالما للناس يأخذ أموالهم ويسفك دماءهم وارتكب المحظورات واستحسن القبايح فابتج الناس بقتله .

### الحافظ عبد المجير :

وانتقل ملك العبيدين من الأمر إلى ابن عمه الحافظ عبد المجيد ( ٤٦٧ - ٥٤٣ ) وكان أحمد بن الأفضل أمير الجيوش محبوساً في حبس الأمر منذ قتل الأمر وزير أبيه الأفضل . فلما تولى الحافظ العبيدي هجم الجند على السجن وأخرجوا أحمد بن الأفضل وولوه الوزارة للحافظ . وكان أول أعمال الوزير أحمد بن الأفضل أن رفض إمامة هذه الأسرة العبيدية جميعاً . قال أبو المحاسن في النجوم الزاهرة ( ٥ : ٢٣٩ ) : « ثم أهمل خلفاء بني عبيد والدعاء لهم ، فإنه كان سنياً كآبىه ، . ولما كان من الصعب إرجاع الدولة إلى أحضان السنة المحمدية والجماعة لكثرة أنصار العبيدين ورجال المناصب منهم ، رأى الوزير أن يعالج الموقف بحالة وسطى يتخلص بها من سلالة العبيدين فأظهر مذهب الاثنى عشرية ، وأعلن أن الإمام هو المهدي المنتظر الغائب في السرداب ، وأمر بأن يدعى له على المنابر ، وكتب اسمه على السكة . ولم يكن الإسماعيليون ودعاتهم وأصحاب مفاصهم ليسكتوا على هذه الإهانة فتربصوا له بتدبير الحافظ ، ووئب عليه مملوك أفرنجي من مماليسكم ( كالذي أرسلوه إلى مكة ليكسر الحجر الأسود ويهدم الكعبة ) وكان ذلك في البستان الكبير في ظاهر القاهرة عند خروج الوزير إلى لعب السكره ، وكان ذلك في العشرين من المحرم سنة ٥٢٦ فقتله ، وبادر الجند بإخراج الحافظ عبد المجيد العبيدي وبايعوه ، وأعادوا الدعاء له على المنابر بدلا من الغائب في السرداب . وفي مدته تأمر عليه ابنه حسن وكتب الأمرام وكتبوه ثم خافوا فأفشوا سره لأبيه . وسكت عنه أبوه ، غافوا أن يفتك الابن بهم فتجمعوا وطلبوا تسليم الابن إليهم ليقتلوه . ولما أبى الحافظ هددوه بالخلع وأحضروا الخطب والثيران لتحريق القصر . ورأى الحافظ أن يخرج من الورطة بأن يقتل ابنه بالسهم ، واستعان على ذلك بطيبيه اليهودي ابن قرقة . وبعد موت ابن الحافظ بالسهم وثبت الأمرام من ذلك بطعنه طعنات

متعددة انتقم الإمام العبيدى من طيبيه اليهودى ابن قرفة فرماه فى خزانة البنود وصادر أملاكه وموجوده .

وفى سنة موت الحافظ العبيدى (٥٤٣) تمكن السلطان المجاهد نور الدين محمود بن زنكى رضى الله عنه من منع عمال العبيدين عن الاستمرار فى سب أصحاب رسول الله ﷺ فى حلب ، وأزال من صيغة الأذان فيها جملة «حى على خير العمل» ، وأعلن أن من استمر فى سب الصحابة رضوان الله عليهم فجزاؤه القتل . قال أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة (٥ : ٢٨٢) فلم يعد أحد إلى ذلك .

### العشرون سنة الأئمة من ملك العبيدين :

وتولى بعد الحافظ العبيدى أصغر أبنائه واسمه إسماعيل (٥٢٧ - ٥٤٩) وتلقب (الظافر) وكان ابن سبع عشرة سنة وأشهر . قال سبط ابن الجوزى فى (مرآة الزمان) : وكانت أيامه مضطربة لحدائثه واشتغاله باللهو . وكان ينادم ابن وزيره عباس الصنهاجى ويعاشره ويبيت فى دار الغلام فى السيوفية متخفياً ويسكر عنده ، فكثير لفظ الناس فى ذلك فأمر الوزير ابنه أن يقتل الظافر العبيدى إذا بات عنده ليرحض عن نفسه قالة السوء ، فقام ابن الوزير بالمهمة وقتل إمامه العبيدى وألقاه فى بئر . قال سبط ابن الجوزى : فأخذ عباس (الوزير) وابنه ما قدرا عليه من المال والجواهر وهربا إلى الشام . فبلغ الفرنج ذلك من كتابة وردت إليهم من أخت الظافر ووعدتهم بمال جزيل إذا خرجوا عليه وأخذوه ، فخرجوا إليه بالقرب من عسقلان وغزة وقتلوا الوزير وأسروا ابنه ، ثم قتل الابن فى السنة التالية . وكان قتل الإمام العبيدى الماسجن فى سلخ المحرم سنة ٥٤٩ . قال ابن خلكان : وكان من أحسن الناس وجهاً .

وتولى بعده ابنه عيسى الفائز (٥٤٤ - ٥٥٥) وكان فى الخامسة من عمره ، ومدة ولايته ٦ سنين و ٦ أشهر وتوفى وهو ابن ١١ سنة . وكان وزيره طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح .

وتولى بعد الفائز عبد الله بن يوسف بن الحافظ (٥٤٦ - ٥٦٧) ولقب بالعاقد وفى زمنه عهد الله شجرة هذا البيت . وكان وزير دولته شاور ، وفى زمنه استعان العبيدون

على المسلمين بالصليبيين غير مرة ، وفي زمنه كان حريق الفسطاط ، وكان الله أرحم بهصر وأعدل في خلقه من أن يملئ للعبيدين بأكثر مما أملى لهم . وقبل أن يزيلهم من الوجود تدارك كئناته برجال يخلفهم الله لإنقاذ هذا الدين وأهله على حين فترة من الزمان . فكان ذلك والله الحمد والمنة على أيدي الملك المجاهد نور الدين محمود بن زنكي ، ورجل دولته أسد الدين شيركوه ، وابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . ولما أيقن العاضد العبيدي بعدل الله وقضائه الصارم ، وأن مثل هذه النحلة الإسماعيلية لا يمكن أن تتحكم بالوطن الإسلامي أكثر مما تحمكت ، عهد حينئذ إلى خاتم كان في يده له فص مسموم فامتصه ومات ، وماتت بموته هذه الدولة إلى الأبد . وجلس صلاح الدين في عزائه ، ومشى في جنازته ، وتولى غسله وتكفينه ودفنه عند أهله ، واستولى السلطان صلاح الدين على ما في القصر من الأموال والذخائر والتحف والجواهر والعبيد والخدم والخيل والمتاع وغيره مما لم يكن مثله عند خليفة ولا ملك .

### لماذا أهرقت مذبحة الفسطاط ؟

في سنة ٥٥٨ هـ وهي السنة الثالثة من ولاية العاضد كان يتنازع السلطة في دولة العبيدين ثلاثة من رجال دولتهم وهم شاور السعدي وضرغام صاحب الباب والعاذل بن رزيك . وكانت الغلبة أولاً لشاور ، فلما استبد بالإمرة حمده ضرغام وجمع جموعاً كثيرة وغلب شاوراً على الوزارة في شهر رمضان سنة ٥٥٨ هـ ، فسار شاور إلى الشام مستنجداً بملكها المجاهد السلطان نور الدين محمود بن زنكي . وكانت لنور الدين خطة سياسية بعيدة المدى ترمي إلى إنقاذ مصر من إلحاد ملوكها العبيدين وفسادهم ، وإلى قطع الخطة على الصليبيين لئلا يستولوا على مصر أو يتمكنوا منها برضا العبيدين أو بغير رضاهم . فلما استنجد شاور بنور الدين كان نور الدين يعلم أن شاور لا يستحق النجدة والمعونة ، إلا أن مصر تستحق التحرير من العبيدين وقطع الطريق على الصليبيين . وبناء على ذلك عقد نور الدين اتفاقاً مع شاور على أن يكون لنور الدين إذا عاد شاور إلى الوزارة ثلث خراج مصر بعد إقطاعات العساكر ، وأن يبقى أسد الدين شيركوه ( عم صلاح الدين ) بعساكره في مصر ، وأن يكون التصرف في أمور البلد بأمر نور الدين . وبعد الاتفاق على ذلك وتسجيله أصدر نور الدين أمره في جمادى الأولى سنة ٥٥٩ هـ بإعداد جيش قوى عقد لواءه للأمير أسد الدين شيركوه

وجعل ابن أخيه صلاح الدين من قواد هذا الجيش . ولما دنا جيش أسد الدين من الأرض المصرية خرج له ضرغام عائداً إلى القاهرة وعاد فنظم قواته للدفاع عنها مصمماً على منع جيش نور الدين من أن يستولى على العاصمة . ووقعت معارك بأرض الطيالة والمقس ( ميدان باب الحديد الآن ) ثم دخل أسد الدين الفسطاط واستولى عليها وعسكر بباب اللوق وانتهى الأمر بقتل ضرغام في سلخ جمادى الآخرة سنة ٥٥٩ هـ . وقدم أسد الدين شاورا ليتولى الوزارة حسب اتفاقه مع نور الدين . وما كاد شاور يتولى أمور الدولة العبيدية حتى عاودته سياستها وأخلاقها لخنخ إلى جانب الخيانة وأخلف عهوده مع الملك نور الدين محمود بن زنكي ومنع الغلال والأرزاق عن جيش أسد الدين ، فأرسل أسد الدين ابن أخيه صلاح الدين إلى بلبيس ليجمع له الغلال وغيرها من الأموال للإنفاق على الجيش . وبلغت القمحة بالوزير العبيدي شاور أن حشد قوة قاتل بها أسد الدين وجيشه في وقائع احترق فيها وجه الخليج خارج القاهرة بأسره واحترقت قطعة من حارة زويلة . ولم يكتف شاور بذلك بل بعث رسله إلى عسقلان وفلسطين يستنجد بالصليبيين على أسد الدين وصلاح الدين وجيشهما ، فخرج ملكهم أمرى من عسقلان بمجموعه . ولما علم أسد الدين بذلك انسحب إلى بلبيس لينسج الصليبيين من دخول مصر ، وفي بلبيس اتحدت قوات العبيديين بقيادة شاور وقوات الصليبيين بقيادة أمرى وحاصروا أسد الدين في داخل بلبيس وكانت إذ ذاك حصينة ذات أسوار ، وبقي أسد الدين محصوراً يقاتل من داخل بلبيس ثلاثة أشهر إلى أن جيش نور الدين جيوشه وقام بغارات شديدة على البلاد الفلسطينية المحتلة بالفرنجة وأخذها من أيديهم ، وبذلك اضطروهم إلى الإخلاء عن أسد الدين شيركوه وتمسكته من العودة إلى الشام . وكان ذلك في ذى الحجة سنة ٥٥٩ هـ .

وفي سلفى ٥٦٠ و ٥٦١ أخذ نور الدين أهبة لتأديب العاضد ووزيره شاور على ما ارتكبت حكومتها من نقض العهد ، وعلى خيانتها لله ورسوله باستدعاء الصليبيين لحرب الجيش الإسلامى الذى يقوده أسد الدين . وفي النصف من ربيع الأول سنة ٥٦٢ هـ سار جيش جديد من دمشق بقيادة أسد الدين وابن أخيه صلاح ، وتجنب في طريقه البلاد المحتلة بالصليبيين فاختر طريق الرمل في شرق الأردن ووصل إلى أطفح في سادس ربيع الآخر ، وعبر منها إلى الجانب الغربى وأناخ بالجيزة محاذة للفسطاط ، فأقام هناك نيفاً وخمسين يوماً . وفي خلال

ذلك عاد العبيديون إلى الاستعانة بالصليبيين فاستدعوه إلى مصر ورتبوا لهم سوقا بالقاهرة وانتشرت قوات الفرنج من بلاد مديرية الشرقية إلى بلاد مديرية الغربية . وسار إليهم أسد الدين فالتقوا في موضع يسمى البانين ، ونشبت معركة بين جيش أسد الدين وجيش الافرنج ومن انضم إليهم من قوات العبيديين ، وكتب الله النصر لجيش أسد الدين وقتلوا من الفرنج والعبيديين ألوفا ، ووقع بيده سبعون بارونا من فرسان الصليبيين ( الشفالية ) . ورأى أسد الدين أن يتوجه بعد هذا الانتصار نحو الإسكندرية فاستقبله أهلها بالتأييد والمساعدة من صميم قلوبهم ، لأنهم كآهل الفسطاط والصعيد كان هوام مع أهل السنة على العبيديين ولا سيما بعد أن خان العبيديون الملة باستدعاء الصليبيين مرتين ، وأراد أهل الإسكندرية أن يحصنوا ثغرم وأن يقنعوا أسد الدين بالانضواء بقوانه إليهم ومحاربة من يقصدهم من العبيديين أو الفرنج ، ولكن أسد الدين قال لهم : أنا لا يمكنني أن أحصر نفسي ، وأخذ عسكره وسار به نحو بلاد الصعيد فأحسن استقباله واستولى عليها وجبى خراجها ، وترك صلاح الدين بالإسكندرية ليتعاون مع أهلها . فسار شاور والفرنج إلى الإسكندرية وحاصروها أربعة أشهر ، وصدق أهل الإسكندرية القتال مع صلاح الدين ، وقوى أسد الدين في قوص وسائر الصعيد ، فاستنفض أهل الصعيد للانضمام إليه وقصد الإسكندرية لرفع الحصار عن ابن أخيه صلاح الدين ، وقبل أن يصل إلى الإسكندرية رفع الفرنج الحصار عنها وانسحبوا . وكان شاور قد استال عنصر التركان الذي كان في جيش أسد الدين وأغرام بالذهب فالوا معه ، وحينئذ رأى أسد الدين أن يجيب العبيديين إلى المهادنة بشرط أن يدفعوا له خمسين ألف دينار في مقابل ما غرمه فبدلوا ذلك له . وعاد إلى دمشق فوصلها في ١٨ ذي القعدة سنة ٥٦٢ .

وقد تبين لشاور والعبيديين من هذه الحوادث أن استمرار الحكم العبيدي في مصر من مائتي سنة لم يضعف من سلطان عقيدة أهل السنة والجماعة على المصريين ، وأن الفسطاط على الخصوص وكذلك الإسكندرية وبلاد الصعيد كلها صادقة الميل نحو نور الدين وصلاح الدين لما يمثلانه من العقيدة الإسلامية السليمة . وكان ظاهرا لهم أن دولتهم أشرفت على الزوال ، فقرر دعائهم أن ينتقموا لهن يمتهم بإحراق الفسطاط — مدينة الذكريات الإسلامية — ليزيلوها من الوجود ، وليبدوا ما فيها من ملايين المصنفات الإسلامية المخطوطة التي كانت تزداد وتنمو في أكثر من خمسمائة سنة . وكما أغرقت في دجلة ثروة

الإسلام العلية بخيانة ابن العلقمي ومستشاره العلي بن أبي الحديد شارح نهج البلاغة ، كذلك أحرقت ثروة الإسلام العلية في الفسطاط بخيانة شارو ومستشاريه من دعاة العبيديين زاعمين لأهل الفسطاط عندما أمرهم بالخروج السريع من بيوتهم ليحرقوا البلد أنهم مضطرون إلى إحراقها خوفاً عليها من استيلاء الفرنج ، مع أنهم كانوا حلفاء الفرنج وهم الذين كانوا يستدعونهم المرة بعد المرة ، والفرنج لا تهمهم الفسطاط بقدر ما تهمهم القاهرة ، وكان المعقول أن يحرق العبيديون القاهرة لا الفسطاط . ولكن الفسطاط كان يمثل تراث أصحاب رسول الله والأئمة المقتدين بهم ، والقاهرة كانت تمثل إسماعيلية العبيديين والدعاة الملتفين حولهم . ولهذا وحده أحرقت الفسطاط في سنة ٥٦٤ هـ حريقاً مكتسماً جارفاً لهم الأخضر واليابس ، وابتلع ألوف الشوارع وما يتفرع منها من دروب وأزقة وحارات ، وما يقوم بينها من عشرات ألوف المساجد وعشرات ألوف المكتبات الحافلة بأنفس المخطوطات في العلوم الإسلامية ، وقد أعجلوا الناس عن نقل شيء من مدخرات هذه المدينة الإسلامية التي حفلت بتراث نحو ستة قرون كان يتوارث فيها الأبناء عن آباءهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم كل ما تعز به أمة إسلامية من مصاحف وكتب ومبان أثرية وزخارف يضن الزمان بمثلها . ولو أن زلزالاً عنيفاً وقع في الفسطاط بدلا من النار لبقيت هذه المدخرات تحت الردم ولا يمكن للباحثين فيما بعد أن يستخرجوها ، لكنه حريق وأى حريق ، استمر أربعة وخمسين يوماً بلياليها ، وإن مصر لا تزال كلما ذكرت الفسطاط وحريقه يتجدد بها الهم والحزن وهي إلى هذه الساعة تبكي على ما أهمل المسلمون في مصر العتيقة من أمجادها وذكرياتهما ؟

حج الدين الخطيب

تصحيح

وقع في السطر الأخير من الصفحة الأولى من الجزء الماضي رقم ٦٦٤ خطأ وصوابه ( ٥٦٤ ) .

# الأدب والعمل في شهر رمضان

## نفقات البعوث الاسلمية

في ميزانية الازهر

قرر مجلس الوزراء فتح اعتماد إضافي قدره ٣٤٠٤٠٠ جنيهاً في ميزانية الجامع الازهر والمعاهد الدينية للسنة المالية ١٩٥٣ - ١٩٥٤ لتكتملة نفقات المبعوثين من الازهر إلى العالم الإسلامى لنشر الثقافة الإسلامية ، وطلاب البعثات الوافدة إلى الازهر من مختلف الاقطار.

## الازهر أبحر الجامعات :

ألقي الأستاذ فتحى رضوان وزير الدولة الكلمة الآتية في مؤتمر كليات الازهر بهيئة التحرير :

الازهر عندى هو أبو الجامعات : لا فى مصر وحدها ، بل فى العالم بأسره ، فقد نيف على الآلاف وليس فى الجامعات الحية جامعة بلغت هذا العمر أو داته .

وقد سميت المعاهد العليا باسم الجامعة اشتقاقاً من الجامع الازهر وقد نسجت على منواله ونهجت نهجه تلك المعاهد ككمبريدج واكسفورد والسوربون ، فقد كان أساس التعليم الازهرى أن يختار التلاميذ أستاذهم ،

فيجلس الاساتذة كل منهم إلى عمود ويتعلق الطلاب من حولهم حلقات يستمعون إليهم مختارين فى أدب ، ثم يناقشونهم فى شجاعة .

وقد أنتجت هذه الاسس الحرة نتاجها الحتمى ، فازدهر العلم فى الازهر وضرب علماء المسلمين بسهم فى كل فن حتى فى الرياضيات وفى الطبيعيات .

ثم حفظ الازهر لنا تراث آباءنا ... بل تراث الحضارة كلها ، ومن هنا أدرك الاستعمار خطر الازهر فى استمساك المصريين بقوميتهم وفى تقدمهم الحضارى ، فأراد أن يقوضه ، فأخذ يضرب فيه بمعاوله . وأول معاولة صرف العلماء عن علمهم . وقد نجح بعض الذى أراده ، ولكنه لم ينجح فيه كله ، فقد بقى الازهر علماً ، لا على حضارة مصر وحدها ، بل على تلك الحضارة التى أنتجها العرب والمسلمون فى بلادهم وفى المشارق والمغرب .

وقال أيضاً :

إن نكبتنا جامات فى الماضى من إزاحة الازهر عن تبوء مكانته العظمى . وإننا نرجو أن يعود الازهر إلى استعادة مجده الأول إن العهد الجديد - الذى يقوم على الصدق

عليه الحكومة مائة جنيه في السنة من دم الفلاح وعرقه ليحضر إلى المعامل ويستمع إلى المحاضرات لينال مجرد شهادة ، يخرج بعدها وقد ترك وراءه ١٤ مليوناً من الفلاحين هم في أشد الحاجة إلى علمه ومعرفته وجهده . هذه الملايين من الفلاحين من الذي يعالج مشاكلهم ويأخذ بأيديهم ، ويرشدهم في عملهم ؟ أمى الحكومة بموظفيها الممسودين في وزارة الزراعة ، ولا يزال من بينهم المتربص بإخوانه والطامع في ترقية !

أقولها بصراحة : إذا اعتمدنا في حل مشاكلنا الزراعية على هذا الجهد الحكومي فقط ، فلن نحقق شيئاً ، أما إذا انتهز طالب الزراعة فرصة عطلة الأسبوعية وذهب إلى الريف وترك اللب في المدينة واجتمع بأهله فأرشد الفلاحين إلى وسائل الإنتاج الصحيح ودخل في بيوتهم وأفهمهم وسائل النهوض بإنتاجهم - إنه لو فعل ذلك لانتفع الفلاح بذلك وظل يذكر له هذا الفضل ولأدى لبلده كل الخير .

### « أمركة » التعليم :

نقلت ( الجمهورية ) عن مجلة ( حول العالم ) التي تصدر في عمان :

« ان هناك خطة مرسومة لأمركة التعليم في الأردن عن طريق وزارة المعارف وتحت

والامانة ومصارحة الوطنيين بما يستطيع وبالذي لا يستطيع - لا حرص ما يكون على إعطاء الأزهر فرصته الكبرى حتى ينهض مع الأمة التي تتعاون كل عناصرها الصالحة في الوصول بها إلى مكانتها اللائقة بها بين الأمم .

### الصورة

جزء متم لمنهج الدين في المدارس طلبت الإدارة العامة للتعليم الحر بوزارة المعارف إلى جميع المدارس الحرة إنشاء معلى في كل منها ليتمكن التلاميذ من أداء فريضة الصلاة واعتبارها جزءاً متماً لمنهج الدين ، فضلاً عن أثرها النفسى في تقويم أخلاقهم وتوجيههم توجيهاً سليماً .

### الأزهر في مؤتمر نيروبي

مثل الأزهر في المؤتمر الإسلامى بمدينة نيروبي عاصمة شرق إفريقيا الأستاذ الشيخ محمد الدهان مبعوث الأزهر في زنجبار .

### واجب العلماء والمثقفين :

خطب الصاغ صلاح سالم في نادى التجارة بالإسكندرية فكان مما قاله : « لئن أتحدث الآن إلى رجال العلم والمعرفة ، وأرجو أن تسمحوا لى أن أقول في صراحة : إن العلماء لا يقومون بواجبهم الاكل وحينما أذكر العلماء أنذكر طلبتهم ، فطالب الزراعة الذى تنفق



أول شعب أدخل زراعة الذرة في أواسط إفريقيا وجنوبها .

وقد خصص البرفسور جفريز - وهو قاض سابق في نيجريا - معظم وقته في بحث تاريخ العرب ودراسته ، وهو من القائلين بأن العرب هم الذين اكتشفوا أمريكا قبل خرستوف كولومب .

### متحف لعلم الحيوان :

أصبح في حكم المقرر تحويل قصر الامير السابق يوسف كمال إلى متحف لعلم الحيوان وسيضم إلى المتحف كل مجموعات الطيور والحيوانات الموجودة بمتاحف القطر المصري كلها ، ليصبح المتحف المصري في مركز المتاحف العالمية .

إنشاء ١٥٧ مدرسة ابتدائية :

و ٢٦٩٢ فصلا في العهد الجديد

أعدت وزارة المعارف تقريراً عن المشروعات التي قامت بها في العهد الجديد تنفيذاً لسياسة التوسع في التعليم جاء فيها أنه تم إنشاء ٧٠ مدرسة ابتدائية للبنين والبنات منها مدرسة نموذجية للعميان و ١٢٠٠ فصل بالمدارس الابتدائية و ٧ فصول بمعاهد النور وسبعة بمعاهد الصم وتسعة بمدارس تحفيظ القرآن وجاء فيه أن الوزارة في سبيل إنشاء ٨٧ مدرسة ابتدائية و ١٦ مدرسة للحضانة هذا

إشرافها : لقد كان مدير كلية المعلمين في عمان خريج جامعة لندن ، فنجى عن عمله وعين أحد خريجي الجامعة الأمريكية في مصر مديراً لها وتشرف على إدارة مدرسة المعلمين في بلدة (رام الله) إحدى خريجات المعاهد الأمريكية ويشرف على إدارة مدرسة المعلمين الريفية في بيت حنينا أحد خريجي المعاهد الأمريكية ترى ... أجرى الأمر صدقة ؟ أم أن وزارة المعارف تخضع في ذلك لشروط النقطة الرابعة التي ساهمت في نفقات بناء هذه المدارس ؟ .

(مجلة الأزهر) لا تخلص القومية العربية ولا الجامعة الإسلامية من الاستعمار العقلي ، وهو شر من الاستعمار العسكري والاستعمار السياسي إلا إذا رسمت خطط التحرير الثقافي على ما تقتضيه حيوية العروبة والإسلام وأهدافها ، كما أشرنا إلى ذلك في افتتاحية هذا العدد . أما إذا استمر الحال على أن يكون تثقيف الجيل وتكوين كيانه القومي بأيدي عملاء أمريكا وإنجلترا وفرنسا فن السكذب أن ندعى أننا عاملون للتحرر من الاستعمار ..

### العرب اكتشفوا أمريكا :

يقول الأستاذ جفريز (أحد العلماء المعروفين في مادة تاريخ الجنس البشري بجامعة وتاترساند في الترنسفال) : إن العرب كانوا

وقد قررت السفارة الإسبانية أن تعمل على إيفاد قسم اللغة الإسبانية بالمدرسة إلى إسبانيا في رحلة علمية لزيارة معالمها التاريخية .

### فرنسا والبعوث الأزهرية

يحول الاستعمار الفرنسي في أفريقيا الغربية دون إيفاد الطلبة الذين يرغبون في تلقى العلم في مصر .

وقد استقبل الأزهر ثلاثة عشر طالبا وفدوا من (داكار) عاصمة السنغال عن طريق بعض التجار الذين ساعدوهم في التنقل من مقاطعة إلى مقاطعة ، وقد ألحقوا بالفصول المناسبة لمستواهم ، فقامت إدارة الحسابات بتدبير المال المناسب لإعاتهم وأجر سكنهم .

### لصوص الأعراض

وافق مجلس الوزراء على قرار هذا نصه :  
« يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سبعة أيام كل من تعرض لانتق على وجه يخدش حياته بالقول أو بالفعل في طريق عام أو مكان مطروق . فإذا عاد الجاني إلى ارتكاب جريمة من نوع الجريمة المنصوص عليها في الفقرة السابقة مرة أخرى في خلال سنة من تاريخ الحكم عليه في الجريمة الأولى تكون العقوبة الحبس لمدة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة لا تزيد على خمسين جنيا ، .

العام وكذلك لإنشاء ١٤٩٢ فصلا بالمدارس الابتدائية و ١٥٣ فصلا بالتعليم الحر و ٨ فصول بمعاهد النور و ٨ مدارس ابتدائية راقية ذات صبغة تجارية وصناعية و ٩ مدارس ابتدائية راقية ريفية للبنين و ٩ مدارس راقية لتحفيظ القرآن و ١١ مدرسة راقية للبنات .  
أما في المرحلة الثانوية فقد أنشأت الوزارة ٤٥٠ فصلا في العام الماضي و ١٢٥ فصلا في العام الحالي . كما أنشأت ٣ مدارس معلمين عامة و ٥٠ فصلا معلمين خاصة و ريفية و ٦٩ فصلا للمعلمات العامة والخاصة .

### مدرسة اللسان

تفشيء قسما للغة الإسبانية

افتتحت مدرسة اللسان قسم اللغة الإسبانية فيها ، وقد حضر حفل الافتتاح سفير إسبانيا في مصر ، يصحبه الملحق الثقافي الإسباني وبعض رجال السفارة .

وألقي عميد المدرسة الدكتور مراد كامل كلمة أشاد فيها باللغة الإسبانية وما كان لها من وثيق الصلات بماضيها العربي العريق في الاندلس .  
وألقي السفير كلمة قيمة عبر فيها عن تمنياته للمدرسة وطلاتها لكي تؤدى رسالتها الحيوية في سبيل النهوض الثقافي في عصر جديد جدير بمصر أن تأخذ فيه بالثقافات المختلفة ومقائدها هي اللغات .

# العجلة الإسلامية في شهرها

## د. ستراد فلسطين

فيجب عليها أن تنفذ سياستها الحالية ، وهي أسس الكوارث التي حلت بالعرب في الجيل الحاضر .

ثم قال : « إن المملكة السعودية تبسط يدها لكل حكومة عربية ترغب في العمل معها لتحقيق أهداف العرب . ولأنى أقولها كلمة صريحة : « إننا نحن الملوك والقادة إذا لم نتبادل وجهات النظر على أساس غاية في الصراحة فإننا لن نضع أقدامنا على بداية الطريق الذي يؤدي إلى تحرير فلسطين المحتلة »

## علماء جامع القرويين

يقولون « لا ،

طلب الفرنسيون وأذناهم في حكومة المغرب من علماء جامع القرويين بمدينة فاس أن يصدروا فتوى شرعية يقولون فيها إن الفدائيين المغاربة الذين يقاومون الاستعمار الفرنسي يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، وأن حكم الإسلام فهم هو الإعدام . ولكن علماء جامع القرويين أبوا أن يصدروا هذه الفتوى ، وقالوا إن الإسلام لا يحكم بذلك على من يحاربون الاستعمار .

أذاعت شركة برقيات ( أسوسياتد پرس ) لأمريكية برقية من الرياض قالت فيها : إن الملك سعود عاهل الدولة السعودية العربية أدلى بحديث إلى فريق من الصحفيين الاردنيين قال فيه : « إن السبيل الوحيد الذي يتحتم على الدول العربية أن تسلكه حيال إسرائيل هو أن ( تستأصلها ) كما يستأصل السرطان . فلم لا نضحي بعشرة ملايين من رجالنا البالغين خمسين مليوناً لنعيش ونحن محتفظون بكرماننا واحترام أنفسنا . إن الدول العربية لن تجرى مباحثات مباشرة مع إسرائيل لأننا لن نعرف بها . ولقد خسر العرب فلسطين في سنة ١٩٤٨ لأنهم لم يكونوا متحدين ولم يكونوا مخلصين في أعمالهم وجهودهم . إن إسرائيل جرح خطر في جسم العالم العربي ولن نطيق الألم من هذا الجرح إلى الأبد . ونحن لن نصبر على أن تظل إسرائيل قائمة وتحتل جانباً من فلسطين زمناً طويلاً . وإذا أرادت الدول العربية أن تحقق أمانها في الحرية والوحدة

ولما أصر هؤلاء العلماء الأبرار على أن  
يقبلوا ، لا ، ، بادر الجنرال جيوم إلى  
القبض على ٢٤ عالماً من أفاضلهم وكبارهم  
وزج بهم في السجون ، وقد أضرب الطلبة  
احتجاجاً على هذا البغي الذمير .

## حدود الحرم المكي

فقلت (الجمهورية) في العدد ٢٣ عن مقال  
الجريدة (التيمس) اللندنية الفقرات الآتية :  
« يتقدم الإسلام بخطى سريعة في غرب  
أفريقية ، حتى أن بعثات التبشير والاوربيين  
على السواء ليبدون قلقاً شديداً بما قد يترتب  
على انتشار الإسلام في المنطقة كلها .

وكان الاعتقاد قديماً أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء ، وقد يتقدم إلى الحضرة ، وما كان أحد يصدق أنه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى الجنوب كما حدث في ( سيراليون ) و ( ساحل العاج ) و ( ساحل الذهب ) و ( داهومي ) .

ويخشى رجال الإدارة على الأخص من أن انتشار الإسلام في هذه البقاع يتبعه اتصالات بالقاهرة ، وبالعالم العربى .

ويختلف المفكرون الغربيون في اتجاههم  
الفكري نحو مستقبل الإسلام في إفريقيا :  
فن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح  
الاستثمارية ما دام يسير في ( الخطوط التي  
رسمها له المستعمر ) بينما يرى آخرون ضرورة

٥ - تكوين صندوق إسلامي عام لقضية فلسطين وتدير الأموال اللازمة له ليتولى وسائل الإنعاش الاقتصادي ومساعدة المشروعات الاقتصادية في المملكة الأردنية عامة وفي القدس خاصة وللقيام بكل ما يلزم في قضية السكافاح العام وتنظيم لجان لتدبير هذا المال .

٦ - إنذار الدول المستعمرة التي أقامت إسرائيل وما تزال تسندها بعداء الشعوب الإسلامية كافة إذا لم تكف عن موقفها الجائر في قضية فلسطين وتوجيه الشعوب إلى حمل حكوماتها لتقف موقف العداء كذلك من تلك الدول .

٧ - اتخاذ يوم ٢٧ رجب يوم فلسطين ويكل المؤتمر إلى المكتب الدائم اتخاذ التدابير اللازمة لتنظيم ما يلزم عمله في ذلك اليوم وإذاعته بين المسلمين في أنحاء العالم .

### اليهود في بلاد العرب

اكتشفت السلطات العسكرية العراقية في كنيس لليهود بمدينة البصرة ستة مدافع رشاشة صغيرة و١٣ صندوقاً للذخيرة وعدداً من القنابل اليدوية وكية من المواد المتفجرة ومع هذه الأسلحة علم إسرائيلي وكتاب عن الفن الحربي مكتوب باللغة العبرية .

### قرارات المؤتمر الإسلامي بالقدس

انتهت يوم ٣ ربيع الآخر جلسات المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بالقدس واستمر سبعة أيام وحضره مندوبون من مختلف الأقطار العربية والإسلامية ، وقد أصدر المؤتمر قرارات هامة هي :

١ - اضطلاع الشعوب الإسلامية بقضية فلسطين واعتبارها قضية كل مسلم ، واعتبار الدفاع عن الأرض المقدسة فرض عين على جميع المسلمين لا يعفيهم منه إلا القيام بأدائه فوراً كل بما يستطيع .

٢ - إعلان بطلان الوضع الذي أحدثه اليهود في فلسطين بما يشتمل عليه من تقسيم واحتلال ، واعتبار كل ذلك وما نشأ عنه من تشريد للمواطنين وغصب لحقوقهم اعتداء على حقوق المسلمين جميعاً .

٣ - اعتبار الصالح مع إسرائيل أو التعامل معها خيانة ينتقم لها واعتبار التفكيك في تدويل القدس مؤامرة يقف العالم الإسلامي في وجهها .

٤ - طرح وسائل الاستخذاء والسلبية التي أثبتت فشلها وإعداد العدة وتعبئة القوى الشعبية للكفاح الإيجابي وتمكين اللاجئين من استرداد ديارهم وأموالهم وإلى أن يتم ذلك يجب تحسين أحوال اللاجئين المادية وتربيتهم وتعليمهم بكافة الوسائل .

## الحرس العربى بالاردن

تلقت حكومة الاردن ٢٠٠ ألف جنيه من مصر و ٥٧١٤٢ دولاراً من الحكومة العراقية و ٢٥١٧٤ دولاراً من جامعة الدول العربية و ٢٣٥٧١ دولاراً من الحكومة السعودية لتقوية الحرس العربى ، وقد سبق أن قررت جامعة الدول العربية أنها ستقدم مليونين من الجنيهات لهذا الغرض

## البترول السعودى

أعلنت شركة الزيت العربية الأمريكية أن إنتاج زيت البترول الخام فى الاراضى السعودية خلال شهر نوفمبر الماضى بلغ ٢٤ مليوناً و ٦٧٧ و ٣٥٢ برميلاً بمعدل ٨١١٠٧٥٦ برميلاً فى اليوم . وبلغ مقدار زيت البترول الخام الذى كثر فى معمل تكرير الشركة فى (التورة) خمسة ملايين و ٩٦٠ و ٢١٠ برميلاً بمعدل ١٧٣٦٧٣ برميلاً فى اليوم .

## الانجليز فى كينيا

تحدث صحفى انجليزى مع أحد سكان كينيا ، وهو أحد الذين تنصروا على أيدي المبشرين ، فقال الرجل للصحفى :

« لما جاء الانجليز إلى بلادنا كنا نملك الارض ، وكانوا هم يحملون الإنجيل . أما الآن فإنهم صاروا يملكون الارض ونحن نعمل الإنجيل ! » .

## التماثيل

فى محاكمة مصدق بطهران وجه رئيس المحكمة سؤالاً إلى مصدق بشأن الاوامر التى كان أصدرها بعدم التعرض للذين حطموا تماثيل شاه إيران ، فأجاب مصدق :

« إن الإسلام يحرم إقامة التماثيل ، وأنا مسلم وأحترم دينى ولذلك أكره التماثيل . وأنا أتحدكم أن تجدوا لى بنبدأ فى قانوننا الجنائى يحمى التماثيل ويعاقب الذين يكرهونها مثل ، . »

## تحسين أحوال العمال

نتيجة لزيادة الإنتاج وتحسينه

قدم مصر أخيراً مستر مورس مدير مكتب العمل الدولى ، وبعد جولة دراسة واختبار قام بها من الإسكندرية إلى أسوان تحدث عن رأيه فى نهضة مصر الاقتصادية فقال : « إن الإنتاج يجب أن يسبق كل شئ . . وليس هذا أوان تحسين أحوال الموظفين أو العمال ، بل يجب أولاً مواصلة العمل لزيادة الإنتاج ، وبعد ذلك تزيد الثروة ، ويتبعها تحسين أحوال العمال . »

ومدير مكتب العمل الدولى كان وزيراً للعمال فى أمريكا واشتغل طوال حياته فى مسائل العمل والعمال .

## فهرس

## الجزء الخامس — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بـ
٥١٣	وسائل ... وغايات . . . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٥٢٠	مؤسس الاستعمار العقلى فى مصر . . . . .	عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٥٢١	نفحات القرآن : لقمان الحكيم . . . . .	طه محمد السالك المفتش بالأزهر .
٥٢٨	السنة : خصومة الأكابر . . . . .	محمد فتحى محمد عثمان . . . . .
٥٣٣	الروح التقدمية فى الاسلام . . . . .	عز الدين اسماعيل . . . . .
٥٤٥	جال الاسلوب القرآنى . . . . .	أحمد الشرباصى . . . . .
٥٥١	حافظ الصحابة أبو هريرة والطاعنون فيه . . . . .	محمد محمد أبو شهبه . . . . .
٥٥٣	البدن فى نظر الاسلام . . . . .	محمد على النجار . . . . .
٥٥٧	الدخيل وكعب التفسير — ٢ . . . . .	محمود النواوى . . . . .
٥٦٢	لغويات . . . . .	اليوزباشى أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
٥٦٦	أبو دهبى الجمعى . . . . .	الاستاذ أبو الوفا المرافى . . . . .
٥٧٣	فن الحصار فى غزوة بنى قينقاع . . . . .	أحمد طه السنوسى . . . . .
٥٧٧	من نوادر المخطوطات : إنباء النمر لابن حجر	صابر على رمضان الجوشى . . . . .
٥٨٠	اختلاف الدارين فى الاسلام والمانون للمصرى	سعيد زايد . . . . .
٥٨٥	دولة التمر . . . . .	طه الزينى . . . . .
٥٨٩	الاضطرابات العقلية فى أمراض الشخصية عند ريبو	عبد الحميد محمود السلوت . . . . .
٥٩٣	نظرة فى شلهد . . . . .	أحمد محرم . . . . .
٥٩٦	مشاكل العالم الاسلامى . . . . .	سيد على الطوبجى . . . . .
٦٠٠	ديوان مجد الاسلام . . . . .	محمد عبد الرزاق حمزة . . . . .
٦٠٥	كلمات عن كتمانين . . . . .	محب الدين الخطيب . . . . .
٦٠٨	خرافة الميتافيزيقا . . . . .	قلم التحرير
٦١٢	من هم المبيديون . . . . .	»
٦٣٢	الادب والعلوم فى شهر . . . . .	
٦٣٦	العالم الاسلامى فى شهر . . . . .	

مدير المجلة  
عبد اللطيف السبكي  
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان  
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة  
تليفون ٤٦٤١٤

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية بجامعة  
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير  
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

٥٠ في مصر والسودان  
٣٠ للاطلاع في مصر والسودان  
٦٠ في الخارج  
٤٠ للاطلاع في الخارج  
٥٠ تحت الطلب

الجزء السادس - القاهرة في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٣ - ٥ فبراير ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الجيل المثالي

من أيام افلاطون ( ٤٣٠ - ٣٤٨ ق م ) وكتابه الجمهورية .

ثم من عصر أبي نصر الفارابي ( ٢٦٠ - ٣٣٩ م ) وكتابه المدينة الفاضلة .

إلى زمن السرتوماس مور Tomas More ( ١٤٧٨ - ١٥٣٥ م ) وكتابه

يوتوبيا ، Utopia .

من تلك العصور والازمان - إلى يوم الناس هذا - والإنسانية تحمل بالجيل المثالي الذي  
يود البشر لو يظفرون به فيتخذونه قدوة لهم في السلم والحرب ، والمشط والمكره ، في مختلف  
أطوار الحياة ، ليكون لهم من كاله الإمكاني ، المثل المقتدى به في كالمه الإنساني .

هي أمنية من أمانى الشعوب والأمم ، من أقدم الأزمان إلى الآن ، تحدث عنها الحكماء ،  
ولغنى بها الشعراء ، وترنم بها رخم أصوات الهاتفين ، وهمس بها صفوة الصارعين والمناجين ،  
من كل صاوح أو باغم .

بل إن « الجيل المثالي » هو الذي دعا إلى تكوينه وعمل على تحقيقه الأنبياء من أولى



العزم ، وهو الذى تمناه الحكماء وأهل العلم ، وهو الذى كانت الإنسانية ولا تزال تنزو إلى شبهه المرجى فى أحلام يقظاتها وفترات غفواتها .

تريث موسى بقومه فى آفاق العريش وبرية سيناء وصحارى النقب وحوالى بئر سبع أربعين حولاً يلتحف معهم سحاب السماء ويفترش أديم الغبراء ، وهو يحاول أن يربى منهم جيلاً مثالياً يستن بسنن الله ، ويتخاق بأخلاق الرفق والحزم والتضحية والاستقامة والاعتدال فيرضى بها عن ربه ويرضى ربه عنه ، ثم مات موسى ولما يبلغ من أمته هذه الأمنية...

ونبع فى الصين حكيمها الأعظم كونغ فوتس الذى عرفناه من طريق الافرنج باسم كونفوشيوس ( ٥٥٠ - ٤٧٩ ق . م ) ، ولا شك أنه كان من أصدق الدعاة إلى أن يتعامل الناس بالمرومة ، ولكنه لم يرتفع بدعوته إلى تخليص الصين من عبوديتها لابن السماء ( الامبراطور ) ولما فى السماء من شمس وقر وكواكب وسحاب ورعود وصواعق وأمطار ، ولا إلى تخليصها من عبادة الأرض وما فى الأرض من جبال وبحار وأنهار ، ولا من أرواح الآباء وما تقيمه فى سبيلهم من حدود وسدود وقيود . وقد أخفق كونغ فوتس ( كونفوشيوس ) فى كل ما قام به من دعوة فى أرجاء الصين ، فعاد إلى بلده يؤلف الصحائف فى الدعوة إلى المرومة ، وقد رأينا تفصيل ذلك فى كتابه ( الحوار <sup>(١)</sup> ) . ثم مات كونفوشيوس وليس له من المتأثرين بدعوته إلا عدد قليل من تلاميذه ، وبقيت الصين هى الصين من ذلك الحين إلى الآن ...

وأعلن حكماء اليونان مذاهبهم فى الحكمة وتهذيب النفس ، فصنفوا فى ذلك المصنفات ، وألقوا به الخطب . وقد اشتطوا فى كثير مما صنفوا وخطبوا . وكتاب « الجمهورية » لافلاطون من أبرز الأمثلة على هذا الشطط . ثم انقضى زمن حكماء اليونان وحكمتهم ، دون أن تعمل شعوبهم بما دعواها إليه ، لأن الدعوة والمدعويين للعمل بها لم يكونا أهلاً لذلك ...

وعالج المسيح فى فلسطين عمول مواطنيه من العامة والخاصة ، بمن كانوا يقصدون هيكلا

(١) نقله إلى العربية السيد محمد مكي الصبني عن اللغة الصينية مباشرة باقتراح رئيس تحرير هذه المجلة ونشرته المطبعة السلفية .

أورشليم ، أو يتسلقون جبل الزيتون ، أو يترددون على شواطئ بحيرة طبريا وحقول أرض الجليل وحدائقها ، فلم يستجب لدعوته إلا عدد ضئيل لا يكاد يسمى جماعة ، فضلا عن أن يكون أمة .

إن الإنسانية من أقدم أزمانها ، وفي مختلف أوطانها ، لم تشهد « الجيل المثالي » ، إلا مرة واحدة حين فوجئت بإقباله عليها من صحارى أرض العرب يدعو إلى الحق والخير بالقوة والرحمة ، فكان ذلك مفاجأة عجيبة لكل من شهد هذا الحادث التاريخي الفذ من روم وفرنس وآراميين وكنعانيين وعبريين ومصريين وليبيين وبربر وفاندال ولاتين وتوتون وسكسونيين وصقليين وغيرهم .

كانت المفاجأة عجيبة — بمصدرها ، وكيفيتها ، وأطوارها — ثم كانت عجيبة العجائب بفنائجها التي لا تزال إلى اليوم من معجزات التاريخ .

أين كان هؤلاء ؟ وكيف تكونوا على حين غفلة من الأمم ؟ وما هذه الرسالة التي يحملونها ؟ وكيف نجحت ؟ وما هي وسائل نجاحها ؟

سلسلة من الاسئلة لا يكاد الناس يتساءلون بأولها حتى يفاجأوا بما ينسبهم تاليه أوله ، إلى أن رأوا من صفات هذه الأمة المثالية ما أيقنوا به أنها تحمل إلى الإنسانية رسالة الحق والخير ، وأنها تترجم عن رسالتها بأخلاقها وسيرتها وأعمالها ، وأن الذى اعتقدته وتخلقت به ودعت الأمم إليه هو الحق الذى قامت به السماوات والأرض .

وكما تسأل الناس عن هذه العجائب فى زمن وقوعها ، ثم أنساهم بعضها بعضاً ، كذلك نحن نقسمال اليوم عن كثير من أسرارها . وبالرغم من ضياع العدد الأكبر من المراجع القديمة فيما احترق مع بيوت الفسباط ومدارسها وجوامعها مدة أربعة وخمسين يوماً ، وفيما غرق بمياه دجلة أيام ابن العلقمى ومستشاره ابن أبى الحديد ، وفيما خسرتاه بضائع الاندلس وكوارث الحروب الصليبية ، وفيما فرطنا به فى أزمان الجهل والخطاط — بالرغم من كل هذا — فإن النفوس استيقظت الآن لدراسة أحوال « الجيل المثالي » ، الفذ الذى عرفته الدنيا ، ولقد اصيل والدخيل من أخباره ، وتحليل عناصر الخير التى انطوى عليها ، ومعرفة الأسباب التى صار بها جيلا مثالياً ، لتستفيد الإنسانية من الاقتداء به ، والتأسي بسننه وأخلاقه وتصرفاته .

وأول ما نعلمه ونؤمن به من أسباب الكمال في هذا الجيل المثالي أنه تلقى تربيته على يد معلم الناس الخير خاتم رسل الله المبعوث بأكمل رسالات الله ﷺ . إن هذا السبب في طليعة أسباب الكمال لهذا الجيل المثالي ، لا يشك في ذلك عاقل فضلا عن مؤمن . ولكن يحق لنا أن نتساءل : ألم يكن موسى أحد المبعوثين برسالات الله ؟ ألم يتح لموسى أن يعاشر قومه في الحل والترحال معايشة تربية ودعوة أكثر من أربعين سنة ؟ ومع ذلك فقد جاء في سفر العدد ، من التوراة الموجودة الآن في أيدي قومه ( ١٤ : ٢٦ - ٢٧ ) ما نصه : « وكلم الرب موسى وهارون قائلا : حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليّ ؟ » ٢٩ « في هذا القفر تسقط جثثكم جميعاً ، المعدودين منكم حسب عددكم ، من ابن عشرين فصاعدا الذين تذكروا عليّ » .

أين — من أصحاب موسى هؤلاء — أصحاب محمد عليهما صلاة الله وسلامه يوم سار بهم إلى بدر وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ليناجزوا ثلاثة أضعافهم من أهل الرجولة والحماة والبأس ، فلما بلغ النبي ﷺ بهذه القلة القليلة من أصحابه وادى ذفران أراد أن يختبر إيمانهم فأخبرهم عن قريش واستشارهم في الموقف ، فقام الصديق الأعظم أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الإسلام فقال وأحسن ، ثم قام فارسهم المقداد بن عمرو ( الاسود ) السكندى فقال : « يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعاه . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا عليّ أيها الناس » . فقال له سعد بن معاذ سيد الخزرج وأقوى زعيم في الأنصار : « والله لسكانك تريدنا يا رسول الله ؟ » قال : « أجل » . قال سعد : « فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك . فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله » . وقد كان عملهم أبين من قولهم وأصدق .

هكذا كانوا في مواقف البأس وعند الشدائد . ورأيانهم في تحريم الحقوق وإذعانهم للإلصاف والعدل في حياتهم السلمية كما تحدث عنهم أم سلمة رضى الله عنها — فيما رواه عنها الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه — قالت : « جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث فقد درست ليس بينهما بينة ، فقال لهما رسول الله ﷺ إنكم تختصمون إلي ، وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها اسطاما في عنقه يوم القيامة . فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما حق لاخي ! فقال لهما رسول الله ﷺ أما إذا قلتما ذلك فاذهبا ، فاقتهما ، ثم توخيا الحق ، ثم استهما ( أى اعملا قرعة على القسمين بعد قسمهما ) ، ثم ليحل كل واحد منكما صاحبه ، وهذان الرجلان المثاليان في الإيمان بالحق لا نزال إلى الآن نجعل اسميهما لأنهما من عامة الصحابة لا من خواصهم الممتازين بالفضائل الإنسانية النادرة المثال كالعشرة المبشرين بالجنة وطبقتهم من اختصاصهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمكانة والمناقب . وهذه الطريقة في تربية محمد ﷺ لأصحابه على محبة الحق واستجابة أصحابه له فيما أحب ﷺ أن يكونوا عليه ، قد أشاعت هذا الخلق في الخاصة والعامة من أبناء ذلك الجيل المثالي ، فلما كانت خلافة الصديق الأعظم رضوان الله وسلامه عليه ناط منصب القضاء برمز العدالة في الإنسانية — وهو عمر بن الخطاب — فكانت تمر على عمر الأشهر ولا يأتيه اثنان يتقاضيان عنده ، وأى حاجة بهذه الامة المثالية إلى القضاء والمحاكم وهى أمة الحق ، ومن أخلاقها أن تتحرى الحق بنفسها فلا تحتاج إلى تحكيم القضاء فيه .

بل إن الطبقة الدنيا في هذا الجيل ( وأحوالها وأخلاقها معروفة في كل جيل وقبيل ) وهم ممن يستطيع الشيطان في العادة أن يغلبهم على إرادتهم في بعض الاحيان فيقعون في زلة يستوجبون عليها الحد الشرعى ، فإن من أعجب ما وقع في تاريخ البشر أن يأتي من يقع في شيء من تلك الزلة من أهل تلك الطبقة إلى رسول الله ﷺ فيعترف له بزلته ، ويلج بلجاجة وإصرار على طلب إقامة الحد عليه ( وفي ذلك حقه ) ليتطهر مما دنسه به الشيطان . وكان نبي الرحمة إذا رأى هذا الإيمان العجيب في هذه الطبقة من أصحابه الطيبين يحاول جهده أن يدرأ الحد عنهم بكل ما يجيزه الشرع ، فيأبون إلا أن يتعجلوا عقوبة الدنيا ليتقوا بها عقوبة الآخرة .

وهذه الملاحظة - عن هذه الطبقة بالذات - قد سبق إلى التنويه بها والتحدث عنها إمام كبير من أئمة أهل البيت من زيدية الين ، وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان ابن حمزة ( المتوفى ببليدة كوكبان بالين سنة ٦١٤ ) نقل ذلك عنه عالم الزيدية في القرن التاسع السيد محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى الوزير ( ٧٧٥ - ٨٤٠ ) في كتابه الروض الباسم ( ١ : ٥٥ - ٥٦ ) فذكر تلك الطبقة وقال : « إن أكثرهم تساهلا في أمر الدين بمن يتجاسر على الإقدام على الكبائر ، لا سيما معصية الزنا .. وذلك دليل خفة الأمانة ونقصان الديانة ، لكننا نظرنا في حالهم فوجدناهم فعلوا ما لا يفعله من المتأخرين إلا أهل الورع الشحيح ، والخوف العظيم ، ومن يضرب بصلاحه المثل ، ويتقرب بحبه إلى الله عز وجل . وذلك أنهم بذلوا أرواحهم في مرضاة رب العالمين ، وليس يفعل ذلك إلا من يحق له منصب الإمامة في أهل التقوى والدين . . أى أن طبقة الدهماء في ذلك الجيل المثالي - بمن قد يقعون في الكبائر - كان لهم من صدق الإيمان والاستقامة على الحق ما يرفعهم إلى مرتبة من يحق له منصب الإمامة في أمة من أهل التقوى والدين ، فكيف بخاصة الصحابة الذين نزههم الله عز وجل عن أصغر المفوات ، ورفعهم إلى أعلى الدرجات . ولولا أن النبوة ختمت بمريمهم وهاديهم إلى الحق ﷺ لما كان مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أقل من الأنبياء الذين سلفوا في الأمم الأخرى . وإن هذا الذي يتكلم عن الزناة من دهماء الصحابة واستحقاقهم لمنصب الإمامة لإمام من أئمة أهل البيت يعنى ما يقول ، ويعلم معنى أقواله . لكننا رأى هذه الطبقة في ذلك « الجيل المثالي ، قد صدر عنها من صدق الإيمان ما لم تر أمة من أمم الأرض مثله ، فحكم بعلمه ، وكان منصفاً لنفسه ، وللحق ، ولدعوة الإسلام وآثارها في أهلها الأولين .

وقد علق على كلام الإمام المنصور بالله علامة الزيدية السيد محمد بن إبراهيم الوزير ( ١ : ٥٦ - ٥٧ من الروض الباسم ) قائلا يخاطب قارىء كتابه : « فأخبرني على الإنصاف : من في زماننا - وقبل زماننا - من أهل الديانة سار إلى الموت نشيطاً ، وأتى إلى ولاية الأمر مقراً بذنبه مشتاقاً إلى لقاء ربه ، بأذلا في رضا الله لروحه ، بمكناً للولاية أو القضاء من الحكم بقتله ١٩ وهذه الأشياء تغيب الغافل ، وتقوى بصيرة العاقل . وإلا ففي قول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، كفاية وغنية ، مع ما عضدها من شهادة المصطفى عليه السلام « بأنهم خير القرون » ، وبأن غيرهم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، إلى أمثال ذلك من مناقبهم الشريفة ومراتبهم المنيفة » .

ونعود إلى المقارنة الأولى بين أمة محمد ﷺ وأمة موسى عليه السلام — وكلاهما من الأنبياء أولى العزم — وموسى أتبع له من الوقت لتربية أمته ضعف الوقت الذى أتبع لمحمد ﷺ في تربية أمته ، فكيف نالت أمة محمد ﷺ هذه المسكرمة فكانت ، الجيل المثالى ، الذى خلده الله عز وجل فى القرآن بقوله فى سورة آل عمران ١١٠ : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، بينما الجيل الذى كان مع موسى استحق أن يدمغ بما ورد فى سفر العدد ( ١٤ : ٢٦ - ٢٧ و ٢٩ ) كما نقلناه آنفاً عن التوراة التى يطبع منها فى كل سنة ملايين النسخ بكل اللغات ؟

أنا فكرت فى هذا الأمر كثيراً من خمسين سنة إلى الآن ، ومن ذلك الحين وأنا أراقب كل ما يقع عليه نظرى من تحقيقات العلماء وخطرات أفسكارهم لأصل إلى حكمة الله فى هذا الامتياز الذى اختص به أصحاب رسول الله ﷺ فجعلهم ، الجيل المثالى ، الوحيد الذى عرفه تاريخ الإنسانية .

فكرت فى معادن الأمم ، ومواهبها ، وسجاياها ، فراقبتها جميعاً وهى فى بداوتها ( أى فى مادتها الخام ) قبل أن تطرأ عليها الحضارات والعلوم المكتسبة والصناعات والأنظمة الاجتماعية التى هى من صنع التشريع البشرى ، فتبين لى أن الأمة التى منها ، الجيل المثالى ، فى الإسلام امتازت فى بداوتها على كل أمة أخرى فى بداوتها بسعة المدارك ونضوج العقل ودقة المشاعر وجودة الاخلاق ، وأنها امتازت فى بداوتها بلغة هى أرقى على الإطلاق من كل لغة أخرى للبشر فى طورهم البدوى . وكل رقى لآى لغة أخرى غير اللغة العربية هو من أثر الحضارة واتساعها الحادث فى الصناعات والعمران والفنون والثروة ، ولو أن عالماً من علماء اللغات أمسك بيده قلماً بالمداد الأحمر وشطب به كل لفظة فى المعجم الالمانى أو الإنجليزى أو الفرنسى يرى أنها من الالفاظ التى حدثت بعد التقدم الصناعى أو العلمى أو الاقتصادى أو الفنى ، ولم تكن للألمان أو الإنجليز أو الفرنسيين فى بداوتهم ، لما بقى لهذه الأمم فى أكبر معاجمها اللغوية إلا ما يعادل نصف جزء من أجزاء لسان العرب العشرين إن لم يكن أقل من ذلك ، والعرب لما استفحل ملكهم وصارت لهم جيوش عظيمة واصطلاحات عسكرية وإدارية وفلسفية وعلمية وصناعية أبى علماءهم أن يتحتموا على معاجمهم وأصل لغتهم هذه الاصطلاحات الطارئة ، فألفوا كتباً مستقلة للاصطلاحات ، وبقيت معاجم اللغة تمثل أصل اللغة بشواهدا من شعر العرب وحكمتهم وأمثالهم فى أيام بداوتهم ، فهى برهان حسى قائم

أمام الأنظار على ما امتازت به العربية بين جميع اللغات التي نطق بها البشر . وما امتازت به الأمة التي ظهر منها الجليل المثالي ، إنسانيتها العليا في معاملة الغير وإكرامه بالأمن والقرى وإذا استثنينا ما يكون في حالة الحرب بين القبيلة وغيرها من العرب ، فإن جزيرة العرب من أقدم أزمانها إلى هذه الساعة أعظم بلاد الله أمنا على الإطلاق ، يقتل فيها من شاء حيث شاء فيجد لنفسه فندقا مجانيا عند كل بصيص ضوء يعشو إليه في الليل ، أو أى خباء يلوح له في النهار ، وله ( حق ) الضيافة ثلاثة أيام بلا من عليه ولا فضل لمضيفيه . ومن آداب الضيافة عندهم أن لا يسألوا ضيفهم حتى عن اسمه ، وكان عندهم نظام الأشهر الحرم يتمتع فيها القتال بين المتحاربين ، وكان عندهم الأمن المطلق حتى للبهائم والظباء وسائر الصيد في داخل أعلام الحرم في جميع أيام السنة ، ولولق الرجل قاتل أبيه في أرض الحرم ما كان له أن يروعه أو يزعجه . أنا مقتنع بأنه كما اختار الله محمدًا ﷺ لأكمل رسالته وآخرها ، اختار كذلك العربية لكتابه الحكيم لأنها أكمل اللغات وأغناها ، واختار أيضاً لرسوله أصدق الأمم وأكرمها معدنا وأجمعها للصفات التي تسكفل نجاح هذه الدعوة وتقوى بها على حمل هذه الأمانة ، فكانت بها خير أمة أخرجت للناس ، وقد دعت إلى الإسلام بسيرتها وأخلاقها وتصرفاتها ، فتعرفت الأمم إلى الرسالة المحمدية بما رأت العيون من سيرة أصحابه أكثر مما سمعته الأذان من بيانهم . وأصحاب رسول الله ﷺ لما استجابوا لهذه الدعوة وتشرفوا بالدخول في الإسلام كانوا متفاوتين في مبلغهم من سجايا أمتهم : فبعضهم كان أسرع إدراكا من بعض ، وإذا امتاز أحدهم على أخيه بفاعلية من نواحي الخير كان لأخيه ناحية أخرى من الخير يمتاز بها كان أبو بكر أسبق من عمر إلى إدراك الحق في دعوة الإسلام ، لكن عمر حتى في أشد عصبية على الإسلام يوم بلغه إسلام أخته وابن عمه وجاء ليبطش بهما طرقت سمعه صيحة من صيحات الحق التي يهتف بها الإسلام ، فبردت عصبية ، وتغلب نزوعه للحق على نزوعه لنصرة الإلف ، فكان — في خلال دقيقتين اثنتين — من أكرم أنصار الحق على الله ، ومن أسرع البشر إلى الاستجابة لنداء الحق . وخالد بن الوليد كان شابا من أبناء الأعيان من رؤساء قریش سكر بخمرة الزهر على المسلمين في أحد ، وعاد إلى مكة نشوان بها ، لكن الحق الذي كان الإسلام يهتف به كان يطرق مسامع خالد ، فتأمل فيه فوجده حقاً ، فترك ثروة أبيه وجاهه ومربط خيله الواسع في مكة وخرج قاصداً المدينة ليدخل في دين الذين حاربهم وانتصر عليهم فلقى في طريقه عمرو بن العاص وحامل مفتاح السكبة وعلم أنها مثله قد تبين لهما الحق وخرجا



في طلبه والالتحاق بأهله والجهاد في سبيله ، فقال النبي ﷺ فيهم عند بلوغهم المدينة : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها .

مثل هذه الاخلاق كثيرة جداً في الجيل المثالي ، الذي صنع منه محمد ﷺ أصحابه . ولكننا قلنا نجد ذلك شائعا في الامم الاخرى . نعم إن الخير موجود في كل الامم ، ولكن لا إلى الحد الذي يقوم به الجيل المثالي ، ولذلك كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري في صحيحه ( الكتاب ٦١ - الباب الاول ) من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » . وما لا شك فيه أن العرب كانوا على وثنية ، ولكن من من الامم لم يكن عند ظهور الإسلام من أهل الوثنية بمختلف معانيها ؟ إلا أن العرب كانوا أحدث الامم في وثنتهم ، لأنها طرأت عليهم قبيل الإسلام بمئات قليلة من السنين على يد عمرو بن لحي الخزاعي في خبر طويل لا يتسع المقام للإفاضة فيه . وكانت العرب قبل ذلك من أهل الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل ، وبنو إسماعيل انتشروا من مكة وتوطنوا في جميع البقاع الشمالية من جزيرة العرب إلى أسوار مدينة دمشق . ومن العرب من كانوا على دين شعيب وقد ترك التاريخ لنا نصوصا في هذا المعنى . وهذه الوثنية الطارئة على العرب لم يكن لها عندهم من الهياكل والسدنة والتهاويل ما يضارع الذي لها عند غيرهم ، فكانوا أقرب أمم الارض إلى دين الفطرة ، وبذلك استحقوا ثناء الله عليهم فيما جاء بسورة البقرة ١٤٣ « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع إيمانكم ، إن الله بالناس لرؤوف رحيم » ، وما جاء في سورة الانفال ٦٤ : « يأياها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، وما جاء في سورة التوبة ١٠٠ « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » .

نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة ( ٣ : ٢ طبعة السلطان عبد الحفيظ ) عن الزبير بن بكار « أن رجلا قال لعمر بن العاص : ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك ؟



قال : إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم ( يعنى أباه ومن هو فى طبقته ) وكانوا بمن نوازى حلومهم الجبال . فلما بعث النبي ﷺ فأنكروا عليه ، قلدناهم ، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا ، فإذا حق بين ، فوقع فى قلبى الإسلام ، فمرفت قریش ذلك منى ، من إبطائى عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه ، فبعثوا إلى فتى منهم فناظرنى فى ذلك ، فقلت أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك : أنحن أهدى أم فارس والروم ؟ قال : نحن أهدى ( يعنى الصدق والعدالة والأمانة والتعاون المحمود ) . قلت : فنحن أوسع عيشا أم هم ؟ قال : هم . قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا فى الدنيا وهم أعظم منا فيها أمرا فى كل شئ ؟ وقد وقع فى نفسى أن الذى يقوله محمد - من أن البعث بعد الموت ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته - حق ، ولا خير فى التنادى فى الباطل ، .

إن المسلمين - بل الإنسانية كلها - أشد ما كانوا اليوم حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وكرم معدنهم وأثر تربية رسول الله ﷺ فيهم ، وما كانوا عليه من علو المنزلة التى صاروا بها د الجيل المثالى ، الفذ فى تاريخ البشر . وشباب الإسلام معذور لماذا لم يحسن التأسي بالجيل المثالى فى الإسلام لأن أخبار أولئك الاخيار قد طرأ عليها من التحريف والاغراض والبتر والزيادة وسوء التأويل من قلوب شحنت بالغل على المؤمنين الاولين فأنكرت عليهم حتى نعمة الإيمان ، وقد أصبح من المفروض الدينى والقومى والوطنى على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات وأن يبادر له ويجتهد فيه ما استطاع ، إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ويجددون عهده ويصلحون سيرتهم بإصلاح سيرته .

وهذه المعانى تحتاج إلى دراسات علمية عميقة ، ليتبين لنا سر الله فى تكوين هذا الجيل المثالى ، على يد حامل أكمل رسالات الله . وإن مقالا فى مجلة أضيق من أن يلم - ولو بإشارات قصيرة ولحات سريعة - لمثل هذه المعانى التى تخطر على البال فى أثناء المطالعات والتفكير ، ونحن نسكتق بتسجيلها ليتخذ منها أذكىاء الطلبة الأزهريين والشبان الجامعيين مواضيع للدراسة والتحصيل . والله الموفق .

محج الدين الخطيب

# نفحات القرآن

- ١٢ -

## طالوت.....وجالوت

طالوت في قلة مؤمنة ... وجالوت في كثرة غير مؤمنة

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، نحن وقراءونا على بينة من قبل بأن كتاب الله تعالى يعنى من القصص بجانب العبرة التي يحتويها البيان ، ويمتزج بها السياق : تبصيراً لنا بوجوه السداد ، وتربية لنا في ضوء الواقع الذي مر بأسلافنا ، وإقناعاً بأن سنة الله في خلقه لا تتبدل ، فالدنيا هي الدنيا وإن تعاقب أهلها ، وأعمال الناس فيها متشابهة في الخير أو الشر ، فالخير للخيرين ، والشر للآخرين ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من وعظ بنفسه .

وموقفنا أمام قصة طالوت وجالوت موقف الآخذ لنفسه ما يجديها ، ويصلح من شأنها غير ظانين ما يظنه آخرون من أنها أحداث كانت لغيرنا ، وفي زمن سابق على زمننا ، فليس للقرآن قصد في ذكر قضاياها لمجرد العلم بأنها كانت ، أو للتذكير بتاريخها فحسب .

ونحن بعد هذا التقديم أمام قصة تناولتها الآيات عن بني إسرائيل .

وكم عرض القرآن لشأن هؤلاء في ذكريات بعضها أغرب من بعض ، وأمعن في الضلال وما لنا بد من الإسلام بما يعرضه القرآن عن بني إسرائيل أو سواهم حتى تستبين عبره لمن شاء الهداية لنفسه من أفراد وأمم .

والقصة الحاضرة ذات مراحل متتابعة .. ونحن نستقيها من القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مسترشدين بما وعاه المفسرون .

١ — المرحلة الأولى : - أن بني إسرائيل - وكان مقامهم على حدود مصر الشرقية - طابت لهم الحياة حتى غمرهم الترف في زمن ما ، فوهنت قواهم عن الكفاح ، وتحللت قوميتهم ، وكان من تغافلهم عن دعم حياتهم بما يدرأ عنها أسباب الانهيار أن طمع فيهم الوثنيون من أهل فلسطين ، وواجهوهم بحروب لا طاقة لهم بها حتى غلبوهم على نواح من وطنهم

وأخرجوهم منها، وفرقوا بينهم وبين بنينهم بالتشريد، وأخذوا منهم التابوت الذى يعتزون به من عهد موسى عليه السلام .

والتابوت صندوق صنعه موسى على صفة خاصة كما أمره الله وكان وعاء توضع فيه بعض الوثائق الدينية من التوراة ، ومن تقاليدهم يومئذ أن يضعوه فى إبان الحرب أمام صفوفهم فيكون وجوده من أسباب انتصارهم ، وكأنه يبارك جهادهم ، ويحفزهم على المقاومة ، ويعتق فيهم النشاط وحب التضحية ذوداً عن دينهم ، ووطنهم ، وأرواحهم ، ولكنه ضاع من أيديهم بسبب إخلالهم بواجبهم الدينى ، وتقاعدهم عن صيانة الوطن .

٢- المرحلة الثانية - أن رمقا من الغيرة جاش بنفس الإسرائيليين بعد أمد من الزمن، وأن ذكريات الماضى بعثت فى نسلهم أخيراً شيئاً من الحنين إلى استعادة مجدهم واسترداد ماضع منهم ... وكان ذلك على عهد نبيهم شمويل - صموئيل - وهو الزمن الذى ظهر فيه داود عليه السلام ولم يكن نبياً الآن .

نهض المملأ منهم - وهم أشرافهم - وطلبوا إلى نبيهم أن يختار منهم والياً عليهم فى الملك ، ليتولى قيادتهم فى حرب أعدائهم الفلسطينيين ، وكانت أمورهم لا توكل إلى ملوك من قبل ، بل كانت إلى الأنبياء وأهل العلم . ولأنه اتجه من المملأ إلى نظام غير معهود لم يكن شمويل مطواعاً لهم ، وهو فوق ذلك على علم بوهن عزائهم ، وغير ناس لما مر من أسلافهم طوال الزمن ، وهؤلاء ورثتهم ... والعصا من العصية .

فكان طبيعياً ألا يستجيب لهم فى هواده ، حتى ألحوا عليه ، صارحهم بما يتوقعه من خذلانهم ، فهم يرددون عليه قولهم ( ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله ) وهو يقول ( هل عسىتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟ ) يريد : هل أتوقع منكم نكوصاً عن القتال وتحلفاً عن العهد كما عهد فى أسلافكم ؟

فكان تشكيكه فيهم ، وارتياحه فى وفائهم لإغراء لهم بتوكيد العهد ، والتبرى مما يخالجه فى شأنهم ، ( قالوا : وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ) ؟ ؟ وكان لابد أن ينتهى الجدل إلى قبول منه ، وانتظار منهم لما يأتهم به النبى بعد .

وفى هذا الموطن وقبل الدخول فى المرحلة الثالثة تواجهنا آية تتعلق بالطرف الاخير من القصة ، ومكانها الواقعى يكون فى النهاية لا فى البدء ، وهى قوله سبحانه : فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ، وهذا لإخبار بنكوص أكثرهم

ولم يكونوا أمروا بالجهاد بعد... وحكمة ذلك التقدير أن الله يعلم من أمرهم أنهم سيثذون ،  
وتلك عادات معهودة في بني إسرائيل ، والله - سبحانه - يعجل بإفادتنا لما كان من شأنهم  
أخيرا ليريح الفأري\* والسامع من التطلع إلى النتيجة ولو على سبيل الإجمال .

وفي التعجيل إجمالا حافز على الاسترسال في تعرف التفاصيل ، وبذلك تستقر القضية  
في النفس ، ويتنبه الذهن إلى أن المنتظر منهم لا يبعد عن المسألوف عنهم من نكث العهود  
والتعامل بالمعاذير ، وشيء من هذا لا ينبغي أن يحدث من يزعمون الطاعة ويمتصون إلى دين ...  
فالتعجيل بالفائدة كشف عما يخفى على الفأري\* إلى نهاية التلاوة ، وذلك غاية في التشجيع  
أو التنفير من حسن الظن بهم ولو زمنًا قليلًا ريثما يقرأ إلى النهاية .

٣ - المرحلة الثالثة - أن الله تعالى أذن لنبيه أن يختار طالوت ملكا عليهم ، لما يعلمه الله  
من صلاحيته وتوفر صفات فيه لم تسكن في غيره منهم ( إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا )  
وكان مفروضا وهم حريصون على مطلبهم أن يتلقوا نبأ ذلك بالترحيب ، وأن يعتبروه مكرمة  
من ربهم ، ولكن ما كاد شمويل يطالعهم بهذه البشرية حتى ابتدروا بالإنكار ونزعوا إلى  
الانانية ( قالوا : أنى يكون له الملك علينا .. ونحن أحق بالملك منه .. ولم يؤت سعة من المال ؟ ) .

فهم يأبون الاعتراف بطلوت ، ويستبعدون اختياره للملك ، وينكرون صواب هذا  
الاختيار ، وإن كان من عند الله كما أخبرهم نبيهم ، لأنه ليس من بيت يساوى بيوتهم ،  
وليس ذا مال بينهم ، فلم يكن للجانب الإلهي اعتبار في حسابهم .. وكذلك تقدير العوام غالبا  
في أنهم لا يخضعون إلا لمن كان على شاكلتهم ، وينسون ما هنالك من المواهب الشخصية التي  
تنهض بصاحبها إلى مصاف الأكابر ، ومقاليد الحكم .. نعم .. إذا تهيأ لإنسان أن يكون  
راجح القسب وأن تكون له المميزات على غيره من الناحية الشخصية كان أجدر بالأطمئنان  
إليه ، ولكن الأمر في الزعامات منوط بالجانب الذاتي ، أكثر من نوطه بالوراثة كما زعموا ،  
وكان حسبهم أنه غير مغموز في بيئته ... لذلك قرع شمويل أسماع قومه بذكر صفات أربع  
ليست في واحد منهم ، وكان ينبغي أن يراعوها في طالوت .

١ - ( إن الله اصطفاه عليكم - فضله - ٢ - وزاده بسطة في العلم - ٣ - والجسم ...  
٤ - والله يؤتي ملكه من يشاء ) فاستداده ، وعلمه ، وفراة جسمه ووجاهته ، واختيار الله له  
لذلك كافية لاقتناعهم لو كانوا ينصفون .

وكان من تمام الاحتجاج عليهم أن يلقنهم إلى أن ذلك كله من شأن الله وحده فهو - سبحانه - يقضى في شئون عباده على ما يرى ويعلم وعلى مقتضى علمه الواسع ، وحكمته السامية ( والله واسع عليم ) .

ويبدو أن نفوس القوم لم تسكن إلى هذا التوجيه ، وظلت تساورهم الحيرة والريبة فأنهم شمول بحجة أخرى تزيدهم ركونا واطمئنانا ، فلا يتمادون في المسكبة ، وساق لهم في ذلك بشرى جديدة بانزعج الانانية من نفوسهم ، وهى عود التابوت إليهم قبل أن يتكلفوا لها حربا لعدوهم ( وقال لهم نبيهم : إن آية ملكة أن يأتاكم التابوت ، فيه سكينه من ربكم ، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، تحمله الملائكة ، إن في ذلك لآية لکم إن كنتم مؤمنين ) . ونحن ما نسينا أن أخذ التابوت من أيدي أسلافهم كان من أفدح الخطوب عليهم ، فضلا عما أصابهم من ويلات الحرب ، وإخراجهم من ديارهم وأبنائهم .

فإذا أكد لهم النبي أن الامارة الصادقة على تولية طالوت وتأييد الله له أن يعود إليهم التابوت ، وفيه ما كان فيه من آيات الله التي تسكن بها النفوس ، ويزداد الإيمان ، وفيه كذلك ما كان فيه من آثار موسى وهارون ، وأنه سيأتي إليهم وهم في ديارهم . . إذا أكد لهم ذلك ثم صدق خبره لجاء التابوت وجب أن تزايلهم الشكوك ، ووجب أن يكونوا عند عدهم الاول فيستجيروا للملك إذا دعاهم ، ويتابعوه إذا خرج بهم للقاء عدوهم واسترداد ما ضاع من ملك أو متاع .

فهل جاء التابوت ؟ وهل صدقوا ما عاهدوا النبي عليه ؟ ؟

نعم جاء التابوت ، وكما صرحت الآية : كانت تحمله الملائكة . . وتفسير هذا على ما نقله العلماء : أنه جاء على عربة يجريها بقرنان ، وليس مع العربة سائق ، وإنما كانت تسير بتوجيه الله ، وفي كفالة الملائكة حتى وصلت إلى بني إسرائيل كما وعدهم نبيهم . .

والسبب في رد التابوت أن الوثنيين من أهل فلسطين أيقنوا أن التابوت كان شؤما عليهم منذ اغتصبوه ، فأصابتهم الامراض ، وأكلت زروعهم الآفات ، ولم يكن فيه نفع لهم كما توقعوا ، وكما كان يمنا وبركة على بني إسرائيل .

فلم يروا بدا من حمله على عربة ، وإطلاقها تأخذ طريقها إلى مقام الإسرائيليين في وطنهم وهذه أفاعيل القدر الإلهي ، ولا يبعد على الله شيء وإن تعاضمت العقول .

فإذا صنع بنو إسرائيل هذا مبدءا للمرحلة الرابعة . . وسنعود إليها إن شاء الله .

عبد اللطيف السبكي  
عضو جماعة كبار العلماء





# الْبَيْئَةُ

## الإصلاح بين الأكابر

حاجتنا إلى هذا الإصلاح - من ذا الذي يضطلع به؟ - إياكم والحالقة -  
لابد للأمم الناهضة من سياسة الحسن وكياسة معاوية - من نبيل السادة  
نبذ الخصومة عند الشدائد - دعوة السادة إلى زكاة السيادة.

عن أبي بكر رضي الله عنه يقول : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ، والحسن  
ابن علي إلى جنبه ، وهو يُقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : « إن ابن هذا سيد ، ولعل  
الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . رواه البخاري .

\* \* \*

في أول جزء من المجلد الثامن عشر من شرحنا حديث الصحيحين ، ليس الكذاب الذي يصلح  
بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً . . ، وبيننا هنالك فضل الإصلاح بين الناس عامة ،  
وإلى أي مدى دعا الإسلام إليه ، وأعد لآله من الأجر العظيم والخير العميم . . ثم قلنا  
في خاتمة الشرح : إن الإصلاح بين الناس جزء من شرائع الأنبياء والمرسلين ، بل إنه عماد  
دهوتهم وأساس رسالاتهم ؛ وما أحوج البشر — وقد اصطخبت بينهم المعارك ، واشتعلت  
فيهم نيران الخصومة — إلى من ينهج في إصلاحهم منهج النبيين ، ويستار فيهم سيرة  
الصادقين المخلصين ، وما ذلك على الله بعزيز .

ونريد أن نقصر القول في هذا الحديث ، على صنف خاص من هذا الإصلاح العام  
نرى أن أمنا الإسلامية — التي كانت في أوج مجدها أمة واحدة — أحوج ما تكون إليه  
ونعني به الإصلاح بين سادة كل أمة وكبرائها وأولى العلم والأمر فيها ، ثم الإصلاح

بين أكابر الأمم وساداتهم ، فإنهم الذين إذا صلحوا صلح الناس جميعاً ، وإذا فسدوا فسد الناس جميعاً .

وليس هذا الإصلاح الخاص الذى نعينه ، وتدعو إلى الاضطلاع بعينه ، ونمهد له منذ زمن بعيد - ليس بالأمر اليسير الهين ، الذى يضطلع به كل فاضل خير ؛ ولكنه أمر عظيم جد عظيم ، لا يضطلع بخضره من السادة النجب ، إلا من أخذ من النبيل والفضل ، والهدى والتقى ، والحزم والعزم ، بحظ عظيم .

\* \* \*

ولئن كان الحسن بن على رضى الله عنهما نسيج وحده فى السادة المصلحين ، إن من بعده قلة تهج منهجه سداداً ورشداً ، وتدعو بدعوته حقاً وصدقاً ، حقناً للدماء ، وصوناً للأعراض والأموال ، وحرصاً على ذات البين أن تفسد ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة . بهذه القلة الكريمة المباركة يرجى للأمم صلاحها ورشادها ، وإلى هذه القلة الكريمة المباركة تتوجه - أول ما تتوجه - ببيان هذه المنقبة العظمى : منقبة الإصلاح بين الأكابر التى بشر بها النبي ﷺ علماً من أعلام بيته ، فانتدب لها ، وكان أحق بها وأهلها ، بل كان إمام الأئمة الذين جاءوا من بعده من الهداة المصلحين .

\* \* \*

كل الناس يعلم من هو الحسن ؟ وكل الناس يعلم مكانه من رسول الله ﷺ وكثير منهم يود لو يتخلق بخلق الحسن رضى الله عنه ويقتدى به وبجده صلوات الله عليه وسلامه . ولكن القليل النادر هو الذى يقدر هذه الاخلاق النبوية قدرها ؛ وأقل من هذا القليل النادر من يحتملها ، ويصبر عليها ويوفيقها حقها . ومن ذا الذى يستطيع أن يرفض الملك ، والملك يسعى إليه ؟ أو يعرض عن الدنيا ، والدنيا مقبلة عليه ، إلا الحسن وأمثاله ١٩ من هذه الفئة القليلة النادرة ، التى يصطفى الله الواحد بعد الواحد منها ، فيجده به للامة أمر دينها ويجمع به شملها ، ويحييها بعد موتها ، من الآلى يهبون الدنيا على خصاصة وخبرة ، ويرجون الآخرة على بينة وعبرة ، ويدعون إلى الله على هدى وبصيرة .

\* \* \*

وإذا آمنا إيماناً لا ريب فيه بما بشر به النبي ﷺ أمته ، من سيادة سبطه الحسن ، وتحقيق منقبة الإصلاح الكبرى على يديه ، ثم آمنا أن هذه البشارة العظمى ووقوعها علم

من أعلام النبوة - فلتؤمن كذلك إيماناً لا شك فيه بتحقيق بشارته صلوات الله وسلامه عليه لمعاوية رضي الله عنه ودعائه له إذ قال اللهم اجعله هادياً مهدياً واهدي به ، اللهم عليه الكتاب والحساب وقه العذاب ، وقد استجاب الله لنبية ﷺ فحدثنا التاريخ المنصف الصدوق أنه كان بهديه وحله ورفقه وسياسته وكياسته ، أجدر الناس بالخلافة والملك طول ولايته ، وأرعاهم للأمة وأعظمهم بلاء في دين الله ، وأكبرهم شأنًا وسلطاناً في أعين عدو الله وها هو ذا ملك الروم يزحف إلى حدود الدولة الإسلامية بجند عظيم ، ومعاوية في معمرة القتال مع علي بصفين ، فيكتب إليه معاوية منذراً فيقول : والله لئن لم تنقه وترجع إلى بلادك لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ، ولا أخرجك من جميع بلادك ، ولا ضيقن عليك الأرض بما رحبت . فيخاف ملك الروم وينكف .

وإن تمكن له أخطايبا لغ فيها ويجسمها من لا يبالي أن ينال من أصحاب رسول الله ﷺ فأنه يغفرها له بجانب ما قدم للإسلام والمسلمين من جهاد وفتح ، وإعزاز وقوة .

وما لنا نؤمن ببشارة النبي ﷺ للحسن بما أجرى الله على يديه من هدى وإصلاح ، ولا نؤمن ببشارته ﷺ لمعاوية وقد مهد لهذا الإصلاح نفسه وكان شريكاً للحسن فيه ؟ فقد حدثنا التاريخ أنه لما تهيات الفئتان العظيمتان للقتال أو كادتا ، أسف معاوية أسفاً شديداً وخاف على المسلمين الهلاك ، وقال فيما قال : من لذراري المسلمين ونسائهم وضعفائهم ! ثم أرسل رسولين من قريش من ذوى الشأن والرغبة في الإصلاح ، وفوض إليهما الأمر في كل ما يريان وفي كل ما يطلب الحسن من مال ، لترضية الثائرين ، وتعويض الغارمين ، وتسكين فتن كقطع الليل المظلم ، حتى لقد روى المؤرخون أن معاوية أرسل رسوليه ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها ، وكتب إليه أن اكتب إلى في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها بما شئت فهو لك . وما ذاك إلا لشقيقته على المسلمين ، ورحمة بهم ، وحقنا لدعاتهم ، وقد تواتر أنه رضي الله عنه ما كان يضع سيفاً حيث يغنى عنه سوط ، وما كان يضع سوطاً حيث تغنى عنه كلمة ، لا جرم أنه لا يقاتل حتى لا يجد من القتال بدأ .

وها هو ذا البخارى يحدثنا بسنده حديث هذا الصلح فيقول :

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال حدثنا سفيان عن أبي موسى ، قال سمعت الحسن [ البصرى ] يقول : استقبل - والله - الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص والله إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ؛ فقال له معاوية - وكان واقه خير الرجلين - أى عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء !.. منى بأموال الناس ١٩ من لى بنسائهم ١٩ من لى



بضيعتهم ١٢ فبعث إليه رجلين من قریش ، من بنى عبد شمس : عبد الرحمن بن سمرة ، وعبد الله ابن عامر بن كثرين ؛ فقال اذهبا إلى هذا الرجل ، فاعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا إليه . فأنياء قد خلا عليه ، فتكلما وقالاه فطلبا إليه ؛ فقال لهما الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عانت في دمائها<sup>(١)</sup> . قالوا فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك . قال : فمن لى بهذا ؟ قالوا : نحن لك به ، فساألهما شيئا إلا قالوا : نحن لك به ، فصالحه . فقال الحسن [ البصرى ] ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ... الخ الحديث .

هذا نص رواية البخارى في كتاب الصلح ؛ ورواها في كتاب الفتن مختصرة<sup>(٢)</sup> وكلتا الروايتين — وناهيك بهما صحة وقوة ووثوقا — شاهدة على صدق رغبة الحسن ومعاوية ورسوليه في الإصلاح بين الطائفتين ، وأن اشتراكم جميعا في هذه المحمدة التى تعاونوا عليها من أجل المحامد التى تدخر فى صحائف المصلحين ، وتسجل بمسدد من النور والشرف فى سجلات الخالدين .

ولما سلم الحسن لمعاوية الأمر بايعه على إقامة كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ، ودخل معاوية الكوفة ، وبايعه الناس أفواجا ، وسمى عام هذه البيعة عام الجماعة ؛ لاجتماع المسلمين بعد الفرقة واتلافهم بعد النفرة ، وسل سيفهم لحماية الدعوة الإسلامية ، بعد أن عطلها قتلة ذى النورين رضى الله عنه بضع سنين . وبايع معاوية كل من كان معتزلا للقتال ، من أمثال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم . وأجاز معاوية الحسن بثلاثمائة ألف ، وألف ثوب ، وثلاثين عبدا ، ومائة جمل . ولما تنازل الحسن لمعاوية رجع إلى المدينة ؛ وولى معاوية الكوفة المغيرة بن شعبة ، والبصرة عبد الله بن عامر ، وهو أحد رسوليه إلى الحسن ، ورجع هو إلى دمشق .

ولم يبال الحسن رضى الله عنه أن يجترأ عليه بعض السفهاء من دعاة الفتنة ، فيقول له وقد تم الصلح : يا عار المؤمنين ! فيجيبه بحواب من قبس النبوة : العار خير من النار . .

(١) فيحتاج إرضاؤها فى دمائها إلى مال كثير ، وكان رضى الله عنه جوادا كريما لا يدخر شيئا وقد راعى هذا اللكرم معاوية عند الصلح .

(٢) وروى الحديث مقصورا على سيادة الحسن وإصلاح الله به فى علامات النبوة ، وفى فضل الحسن . والمناسبات فى هذه المواضع الأربعة ظاهرة .

ولئن كان لم<sup>١</sup> الشمّل ، وجمع الكلمة ، عاراً عند السفهاء ، إننا لترحّب بهذا العار ونقرّ به عينا ، ونطيب به نفساً .

\* \* \*

أما بعد ، فليس من شأنا في هذا المقام أن نطيل بذكر الأحداث التي جرت في ذلك العهد ولا أن نرجح بعض الروايات المتضاربة فيها على بعض ، ولا أن نفاضل بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما في أمر الخلافة أو الملك ، ثم نقضى لاحدهما بأنه أجدر به من صاحبه وأحق ؛ فما إلى شيء من ذلك قصدنا . . وإنما الشأن كل الشأن أنهما اشتركا في الصالح بين المسلمين وتعاونوا عليه ، حقناً للدماء ، وصوناً للحرّمات ، وقصداً إلى السداد والرشاد<sup>(١)</sup> .

وإذا كان من سيادة الحسن ، وعظيم ورعه ، ورغبته فيما عند الله عز وجل ، أن يدع الأمر لصاحبه وهو أحق به منه ، بعد أن بايعه أربعون ألفاً على الموت - فن سياسة معاوية وكياسته وجدارته باضطلاع هذا الأمر ألا يعرض جيشه ، وهو أطوع له من جيش الحسن له ، للمعركة يسيل فيها دم ، أو تقطع فيها رحم ، أو يشمت بالإسلام فيها خصم . ولكل منهما مقام معلوم ، لا يمارى فيه من كان على حق . ولولا كتاب من الله سبق باستشهاد الحسين رضي الله عنه ، لاستمع للناصحين له بالألا يخرج ، وعلى رأس نصحائه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ، ولنهّج منهج أخيه الحسن في الأخذ بالحيلة ، ولمعان التبصر في العاقبة ! ولكن أبي الله إلا أن يكون الحسن في الرعيّل الأول من سادة الحكماء ، وأن يكون الحسين في الصف الأول من سادة الشهداء .

\* \* \*

وفصل الخطاب فيما ندعو إليه سادتنا وكبرامنا ، وأولى الفضل والنبيل منا - وهم من وصفنا بالقلة الكريمة المباركة - أن يؤدّوا زكاة السيادة كما أداها الحسن كاملة ، بالإصلاح النقي الجلي ، وبالشفاعة الحسنة الخالصة ، وبالدعوة الجادة الصادقة إليهما ، ما استطاعوا إلى الجد والصدق سيّلا .

طه محمد الساكت

(١) من أهم مراجعتنا في شرح هذا الحديث : كتاب العواصم من القواصم ، في تحقيق مواقف الصحابة . للقاضي أبي بكر بن العربي ، بتحقيق السيد محب الدين الخطيب .

# ابن سيرين

المتوفى سنة ١١٠

ذلك إمام جليل من أئمة التابعين يشبهه إماما جليلا من أئمة التابعين سبق تناولى له على صفحات هذه المجلة الغراء ( سعيد بن المسيب ) ، بينهما مشابهة طيبة الشكول فى نواح عدة . هلى أنه إن فات ابن سيرين أن يكون أفضل التابعين أو سيدهم كما قالوا عن سعيد بن المسيب ، لقد أجمعوا على أنه أروع التابعين ، وأبعدهم عن شبهة الحرام . وقالوا لأنه أصدق من رأوا وحدثوا لهم . وإن فات ابن سيرين أنه كان يرجع إليه صحابى جليل هو عبد الله بن عمر فى فتاوى عمر كسعيد بن المسيب فذلك لأن ابن سيرين لم يعاصر عمر وإنما عاصره سعيد وعكف على نقل أخباره وأحكامه حتى كاد يسمى راوية عمر ولم يزاحه أحد من التابعين فى ذلك فيما نعلم .

هما يشتركان بعد فى أكثر المعانى التى تتوفر فى رجال العلم والدين : تتلذذ كل منهما لكثير من الصحابة ، واختص ابن سيرين بمولاه أنس العالم الحافظ الراوية ، كما اختص ابن المسيب بصهره أبى هريرة العالم الحافظ الراوية وأخذ كل منهما عن صاحبه علما جما ، مع الاستعداد الخصب العجيب . على أن كلا منهما تتلذذ لامتاز الآخر وأخذ عنه بعد ذلك الاختصاص والملازمة . كان كل منهما يعبر الرؤيا تعبيراً خارقاً عجبياً عبقرى ، وقد طعن الامتاز أحمد أمين فى براعة ابن سيرين فى ذلك أو نفى دلالة المصادر عليها ، وسترى مناقشته أثناء البحث .

وجمع كل منهما بين الحديث والفقه والورع والعبادة والزهد والتعفف عما فى أيدي الناس والتماس الرزق فى التجارة وفى تجارة الزيت . ثم كانا متعاصرين يسبق ميلاد أحدهما - وهو سعيد - بما يقرب من تسع عشرة سنة ، فقد ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ثم توفى سنة ٩٤ فى خلافة الوليد بن عبد الملك . وأما ابن سيرين فقد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وتوفى سنة ١١٠ فى عهد هشام بن عبد الملك عن إحدى وثمانين سنة . ومهما يكن من أمر فقد كان كل منهما مثال المسلم الفاتزم خيار العالمين فى خيار القرون .

كان سيرين والد محمد بن سيرين عبداً لانس بن مالك الصحابي الكريم ، أخذه من سبي عين التمر الذين ظفر بهم خالد بن الوليد أثناء توغله في الفتح في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ففرقهم في الناس فكان سيرين حظ أنس .

قال ابن خلسكان وهو يترجم ابن سيرين : وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق طيبها ثلاث من أزواج النبي ﷺ ودعون لها ، وحضر لإملاكها ثمانية عشر بدرياً فيهم أبي ابن كعب يدعو وهم يؤمنون .

وإذا فقد كان من الموالى الذين نبهوا في أحضان حملة لواء الإسلام من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فصهر نفسه في بوتقة الدين ، وغرس شخصه في تربة العلم الصحيح ، وهو غراس كريم صالح ، لا يفتش إلا العلم والدين . لقد كان ابن سيرين غريباً لا نسب له إلا التقوى ، ومتواضعاً يرفعه ما يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم ، ولم يزل التواضع أساس العلم والهدى ، والسبيل حرب للسكان العالى . ذلك في التحقيق — مع الاستعداد الخصب — هو الذى جعل من الموالى حملة لواء العلم والادب في المسلمين . ثم إذا شئت أن تتبع في التاريخ صفات ابن سيرين لتتخذ منه أسوة صالحة ، ومثلاً مهنياً ، ودراسة واعظة ، فستقف له على خصال ومزايا أهمها ما أسوق لك :

### (١) الفقه في الدين :

وقد كان رضى الله عنه فقيها بكل ما تحتمله الكلمة من معنى . وكان إماماً في الأحكام ومرجعاً إذا أشكلت المسائل ، يفتى على غرار ما أخذ عن أئمة العلم ومبلغيه من الصحابة والتابعين المعاصرين ، أخذ عن أنس مولاة كما علمت ، وأخذ عن أبي هريرة في حلقاته مع ابن المسيب وأبي سلمة والأعرج وأبي صالح وطاوس ، وأخذ عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين ، وانقطع لشريح القاضي من التابعين ، ومن شريح ؟ لقد كان مضرب المثل في الذكاء ، والفقه والقضاء ، استقضاء عمر بن الخطاب ، ومن عمر بن الخطاب ؟ وظل في القضاء على ما قالوا خمسا وسبعين سنة لم يتعطل إلا ثلاث سنين منذ فتنة ابن الزبير ، ولا فطيل في هاته الناحية ، وإنما نجعل واسطة عقدها شهادة الإمام الشعبي المعاصر : عليكم بهذا الأصم . وأشار إلى ابن سيرين وكان في أذنه صمم .

## (٢) تعبير الرؤيا :

وهي ناحية مستفيضة عن ابن سيرين شهر بها كثير من الكتّابين الثقات عنه كالحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ، ونقل ذلك عن الثقات ، وأبي نعيم في الحلية ، وزكاه بذكر غرائب عنه . وقد عرف ذلك السيد المرصفي في كتابه رغبة الأمل وقال : إنه علامة في التعبير . فما ذكره الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام<sup>(١)</sup> من قوله : وقد اشتهر فيما بعد بتفسير الأحلام وزيف عليه كتاب في ذلك ، ولكننا لا نجد أثراً لشهرته في كتب المتقدمين أمثال طبقات ابن سعد ، وهذا الذي ذكره الأستاذ لا ينبغي ما شهد به الأوائل وما رووه عنه من الغرائب بالأسانيد . نعم أنا أعتقد أن الكتاب مزيف عليه ، ولكن ذلك على الأستاذ لا له لأن التزييف للترويح ، والترويح إنما يكون بالمألف المعروف . فهل نستطيع أن نقول للأستاذ : إننا وجدنا لك أثراً في كتب المتقدمين يؤيد شهرة ابن سيرين بالتعبير . فأما ما ذكره أبو نعيم في الحلية من غرائب تعبيرات ابن سيرين فإننا نكتفي بإيراد بعضه واثمين من نقل هذا الحافظ في مثل ذلك .

١ — روى أبو نعيم بسنده إلى خالد بن دينار قال : كنت عند ابن سيرين فأتاه رجل فقال : يا أبا بكر رأيت في المنام كأنني أشرب من بلبلة لها مئتمان ، فوجدت أحدهما عذبا والآخر ملحا . قال ابن سيرين : اتق الله ، لك امرأة وأنت تخالف إلى أختها .

٢ — أن رجلا قال لابن سيرين : رأيت كأنني أبول دما قال : تأتي امرأتك وهي حائض ؟ قال : نعم . قال : اتق الله ولا تعد .

٣ — أن رجلا رأى في النوم كأن في حجره صبي يصيح ، فقص رؤياه على ابن سيرين فقال : اتق الله ولا تقرب العود .

٤ — أن امرأة رأت في المنام أنها تحلب حية فقصت على ابن سيرين فقال : اللبن فطرة ، والحية عدو وليست من الفطرة . هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء .

٥ — رأى الحجاج بن يوسف في منامه كأن حوراوين<sup>(٢)</sup> أتياه فأخذ أحدهما وفاته الأخرى ، فكتب إلى عبد الملك فقال : أبشريا أبا محمد هنيئا . فبلغ ذلك ابن سيرين فقال : أخطأت استه الحفرة . إنما هما فتنتان يدرك إحدهما وتفوته الأخرى ، قال : فأدرك الجماع وفاته الأخرى .

٦ — جاء رجل لابن سيرين فقال له : رأيت كأنى ألقى عسلا من جام من جوهره . فقال : اتق الله وعاود القرآن فإنك رجل قرأت القرآن ونسيته .

٧ — قال رجل لابن سيرين : رأيت كأنى أحرث أرضاً لا تنبت . قال : أنت رجل تعزل عن امرأتك .

٨ — قال له رجل : رأيت كأنى أغسل ثوبى وهو لا يبتقى . فقال : أنت رجل مصارم لاختيك .

٩ — قال له رجل : رأيت كأنى أطير بين السماء والأرض . فقال : أنت رجل تكثر المني .

١٠ — قال رجل : إني رأيت كأن على رأسى تاجاً من ذهب . فقال له ابن سيرين : اتق الله ، فإن أباك فى أرض غربة ، وقد ذهب بصره ، وهو يريد أن تأتبه . فما راده الرجل الكلام حتى أدخل يده فى حجزته فأخرج كتاباً من أيه يذكر فيه ذهاب بصره وأنه فى أرض غربة ويأمره أن يأتبه .

وهذه عجائب كانت يعين عليها سلامة الفطرة وحدة الذكاء ومعرفة الكنايات والنقاط الدلالات .

### ( ٣ ) الذكاء :

كان فى هذا الرجل ذكاء عجيب ، قد رأيت بعض صورته فى تعبير الرؤيا . ومن يتبع أخبار هذا الإمام وفتاويه وأقواله ومحاوراته للناس على اختلافهم يتجلى له ما أوتي به ذلك الإمام من ذكاء . لقد كان ذكاء فطرياً ، وذكاء مكتسباً ، وذكاء روحياً رياضياً . تجتمعت هذه كلها لذلك الإمام فكان نمطاً عجيباً فى بابه .

ليس عجيباً أن يكون فيه وفى أمثاله الموالى الذكاء الفطرى ، فإنهم عناصر نفاذة دراكه متممكة بالفطرة ، وذلك مع مدنيته مما جعلهم يتفرغون لنقل العلم والتصرف فيه بالتأليف والتصنيف والتوليد العجيب .

وليس عجيباً أن يكون لابن سيرين ذكاء عقلى كسبى وهو الرجل الممتاز فى حرصه واجتهاده وصحبته لأئمة العلم والدين ، ومن كانوا فى الذكاء من المعرقين ولا سيما شريح .

ولم يكن عجيباً أن يكون في ابن سيرين ذكاء رياضي روحى يجيء من إشرافات التقوى ،  
والزهد في الدنيا ، والإقبال على الله .

ومن أخلص لله أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، فساظنك  
بمن وهب نفسه لله واحتمل في ذاته كل بلاء ( واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ) .  
وأذكر أن الفقهاء يشترطون التقوى في الاجتهاد الفقهي لأن من المشاكل ما لا يحل  
إلا بالإلهام والتوفيق الإلهي الذي خصه بالمتقين ، ولأن الاجتهاد لإمامة وهى أمانة ودين .  
ولقد تعاونت هذه الناحية مع الورع الذي سأحدثك عنه في ابن سيرين ، فكان شفاء ورحمة  
للمؤمنين ، ومن مفاتيح الخير والفرج للصادقين ، وكان سلاماً على الناس ، وما أحسن العلم  
والدين إذا اجتمعا ، وأقبح أن ينفرد أحدهما كما قال على كرم الله وجهه : قصم ظهري  
رجلان ، جاهل متنسك ، وعالم مهتك .

أما صور الذكاء من أخبار ابن سيرين فتجلى في حضور البديهة وسلوك المذاهب  
الكلامية المفحمة كما ترى في هذه الجزئيات :

سئل عمن يسمع القرآن فيصعق . فأجاب بقوله : ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا  
على حائط فيقرأ عليهم القرآن كله فإن سقطوا فهم كما يقولون . وهذا الكلام يحتمل المناقشة  
ولكنه رضى الله عنه علم أن الكثرة من هؤلاء مرادون مبتدعون يفعلون ما لم ينقل عن  
أئمة الدين من الصحابة والتابعين . والمرأى بمثل ذلك يفهم .

وكان مسلم بن قتيبة يزور الإمام على بردون ، ثم أتاه يوماً راجلاً ، فقال له : ما فعل  
بردونك ؟ قال : بعته : قال : ولم ؟ قال : لمؤونته . فقال : أترأى خلف رزقه عندك ؟  
وهذا جواب طريف جداً لجمعه مع وجازته بين الإخسام وقوة الإيمان ، والتوكل مع  
الفسحة المخرجة .

وادعى عليه رجل درهمين فأنكر ، فقال الرجل : تحلف ؟ قال : نعم . فقيل له : يا أبا بكر  
من أجل درهمين ؟ قال : لا أطعمه حراماً وأنا أعلم . وعكس ذلك ما روى عن عثمان رضى  
الله عنه أنه افتدى نفسه من يمين في مثل ذلك ، فخطب في ذلك فقال : أخاف أن أبتلى  
بيلية فيقول الناس : ذلك ليمينه الفاجرة ، ولكل وجهة . على أن ما فعل ذو النورين يشبه مذهبه  
في الحياء . وما فعل ابن سيرين يشبه مذهبه في الورع والدقة . ولقد حق ما قال عثمان  
من البلاء فصدقت فراسته وسلم رضى الله عنه .

وروى أبو نعيم في الحلية بالسند إلى السري بن يحيى أنه قال لابن سيرين : إني قد اغتبتك فاجعلني في حل ، فقال : إني أكره أن أحل شيئاً حرمه الله . لم يكن رحمه الله يحل أن من أحل مسيئاً وصفح عن مذنب فلا حرج ، بل ذلك أعون لآخيه المؤمن على الخلاص من زلته ، ولكنه رضى الله عنه رأى أن ذلك أيضاً أعون على تهذيب أخيه حتى لا يعود ، وهو أخرى ألا تشيع مساواة الإساءة ، وهى وجهة كريمة تدل على فطنة كريمة .

ترى ابن سيرين يوصى بالوصاة فى وقتها المناسب ذات أثر بين فى الإفادة وذات أثر بالغ فى العظة ، لأنه يتوخى ذلك من أقرب سبله ، فيقول للمسافر فى التجارة : اتق الله واطلب ما قدر لك من الحلال ، فإنك إن تطلبه فى غير ذلك لم تصب أكثر مما قدر لك . ويقول لمن يسمعه يسب الحجاج : مه أيها الرجل ، فإنك لو قد وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج ، واعلم أن الله تعالى حكم عدل ، إن أخذ من الحجاج لمن ظلمه فسوف يأخذ للحجاج من ظلمه ، فلا تشغلن نفسك بسب أحد . هو لا يبقى على الحجاج ولا شخص بعينه ، ولكن هذه دقة الإمام وفطنته وحسن توجيهه بالجديد من المعانى فى الأغراض المعروفة ، وإلا فإنه يحتقر الحجاج فى نفسه ويدل على ذلك قوله آخر العبارة : لا تشغلن نفسك بسب أحد من الناس .

ويقول لمن هو بصدد أن يستقبل أخاه ويتعرض لوفوده عليه : لا تكرم أخاك بما يشق عليك .

وترى ابن سيرين يعلم الناس حسن التصرف ويفسح لهم مجال الترخص إذا ألجأت مناسبة أو عرضت عارضة ؛ فيقول : الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف . ترى أن لك أن تنظر وتداعب مع الاحتفاظ بالصدق ، وذلك أن تسلك مسلك التعريض والسكناية .

ويقول لمن سأله عن يقبج الجنائز حياء من صاحبها : أله أجر ؟ قال ابن سيرين : أجر واحد ؟ بل له أجران : أجر للصلاة على أخيه وأجر لصلته الحى . لله دره فقيها لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يسد أمامهم باب خير ، وكذلك تكون الفطنة والذكاء فى الآئمة العلماء . قال الفضيل بن عياض قال الحسن : إنما هى طاعة الله أو النار . وقال ابن سيرين : إنما هى رحمة الله أو النار .

كان ابن سيرين يدعى إلى الوليمة فيلتزم أن يجيب ولكنه كثيراً ما يعتذر عن الطعام



بمانع ما ولديه المعارض فإنه لم يكن يأكل طعام كل الناس ، على أنه كان إذا شاء أن يأكل بدأ بيته فتناول فيه شيئاً من الحساء لئلا يحمل حر جوعه على طعام الناس . وهذا تصرف العالم الكريم الورع اللبق .

#### ( ٤ ) الورع والتحرى :

وقد تمت لك في صدر هذا المقال أن ذلك مما أجمع الناس عليه لابن سيرين . كان هذا الإمام يكلف نفسه في سبيل التورع ما لا يطيقه الناس ، وعرف ذلك فيه عرفانا بيئنا .

قال أبو قلابة وذكر عنده محمد بن سيرين : وأينا يطيق ما يطيقه ؟ إنه يركب مثل حد السنان . وما ظنك بسفيان الثوري <sup>(١)</sup> ذى التاريخ الناصع ومحى السنة في عهده ومن أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته ، إنه يعترف له فيقول : لم يكن بصرى ولا كوفى في مثل ورع ابن سيرين . ومؤرق العجلى يقول : ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه ولا أورع في فقهِه من محمد بن سيرين . والمزنى يقول : من سره أن ينظر إلى أورع أهل زمانه فليتنظر إلى محمد بن سيرين ، فوالله ما أدركنا من هو أورع منه . وهشام بن حسان يقول : ترك محمد بن سيرين أن يفتى في شيء ما يرون به بأساً ، وكان يتجر فإذا ارتاب في شيء من تجارته تركه حتى ترك التجارة .

هكذا كان ذلك الإمام ، وكذلك يكون أو يقارب من يتخذ في الصالحين الأسوة الحسنة ، فقل للمتجرين على اختلافهم وللفعاشين في معاملاتهم : هلم إلى مائدة الورع التي هي خير لكم وأجدى عليكم ، والله هو الرزاق ، لقد حبس ابن سيرين في الدين لأنه لم يستطع أن يسير في التجارة لكثرة ما أخذ به نفسه من الورع والحيلة ، فكانت كلها خسرانا عليه ، ولكنه ربح سعادة الاحدوثة والثوبة التي لا تعد لها مثوبة ، اشترى بأربعين ألف درهم زيتا فوجد في زق منه فأرة فتوهم أن الفأرة كانت في المعصرة التي أخذ منها الزيت فيكون الزيت كله نجسا فصب الزيت كله . ؟

(١) الامام المجتهد سفيان بن سعيد الذي كان يشبه بعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس . راجع

ابن خلكان ص ٢٦٣ ج ١ .

وقال هشام : إن ابن سيرين اشترى بيعاً فأشرف منه على ثمانين ألفاً فعرض في قلبه منه شيء فتركه . قال هشام : ما هو برّيا . هكذا ظلت حال ابن سيرين حتى ترك التجارة وافتقر وركبته الديون ودخل السجن فلزمه ورعه وصدقه ، وإيمانه وصبره . قال له السجن : إذا كان الليل فاذهب إلى بيتك فإذا جاء الصباح فعد إلى السجن . فرفض ذلك لئلا يعينه على خيانة السلطان ويكون شريكاً في الإثم . وتوفي أنس مولاه رضى الله عنه وهو في السجن ، وكان أوصى أن يصلى عليه ابن سيرين ، فلما أخبر بذلك قال : أنا في السجن ، فقيل له : إن الوالى رضى بخروجك ، فقال إن الوالى لم يسجنى إنما سجننى صاحب الحق ، فراجعوا إليه فأذن بخروجه فصلى على مولاه ثم عاد . يا لها نفساً ، ويا له ديناً . وكان في ذلك السجن رفع لقدر هذا الإمام ، وظهور لكثير من مزاياه ، وتأس بالصالحين من الأنبياء وأولياء الله . وكان رضى الله عنه يقول : إني لأعرف بم سجن ذلك السجن : إني أذنبت ذنباً ، قلت لرجل يوماً : إنك مفلس . وقد حدث بذلك أبو سليمان الداراني الصوفي الجليل فقال : قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون وكثرت ذنوبي وذنوبك فلم ندر من أين تؤتى .

وقد مر ابن سيرين يوماً ببعض أصدقائه فقال له : لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة ، فلم يزل بي البلاء حتى أخذ بلحيتي فأقت على المصطبة ، فقيل هذا ابن سيرين يأكل أموال الناس .

ولقد كان ابن سيرين يكون في أصحابه كواحد منهم ، فإذا سئل عن شيء من الفقه الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان . وهذا تقدير للمسئولية وعرقان لقدر ما يحمل من عبء . فهل لي ولمشايعي وإخواني أن نأخذ من هذا الورع وخوف الله في هؤلاء دروساً وعبرة .

وكان ابن سيرين لا يجيز رواية الحديث بالمعنى ، ويرى المحافظة على لفظه لحق الأمانة ولخشية التبديل . ولو ذهبت أتبع لك صوراً من ذلك لأعياني القلم ولأعياك النظر فحسبي وحسبك .

#### (٥) النسك والعبادة :

كان لهذا الإمام ( رحمه الله ، وجعل لنا في سيرته عظة كريمة ) نواح من الإقبال على الله ملأت نفسه بالإيمان والتوكل والمراقبة ، وطهرت قلبه من كل رجس من رياء أو نفاق

أو ملق أو مداراة لظالم أو تدليس في قول ، وعرف بذلك برغم محاولة إخفاء نفسه حتى كان إذا روى في السوق ذكر الناس الله برؤيته ، على أنه أحياناً كان يعلن بذكر الله اتباعاً للسنّة المحمدية التي تحث على ذكر الله بين الغافلين . قالوا إنه كان يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله تعالى ، فقال له رجل يوماً : يا أبا بكر في هذه الساعة : قال : إنها ساعة غفلة .

وقال زهير الاقطع : كان ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدة . وكان يجلس في أصحابه يتمثل الشعر ويذكر الشيء يضحك حتى إذا جاء الحديث من السنّة كلح وانضم بعضه إلى بعض . فأما أخوه أنس بن سيرين فإنه يحدث عنه فيقول : كان لمحمد ابن سيرين سبعة أورد يقرؤها بالليل ، فإذا فاتته شيء قرأه من النهار ، وكان الضيف ينزل عنده فيسمع بكاءه الليل ، ثم يسمع ضحكك بالنهار . هذا لأن هؤلاء القوم مع الله حالا من الخشوع والفتوت والخشية وحالا مع الناس من الإيناس والسرور والبهجة ، ولذلك عرف هذا الإمام بالدعابة والقبسط والضحك المشروع يرضى به المجتمع ويحملهم على ما يطيقون ويحتال لنفعهم ويرفه عن نفسه معهم حتى تحمله وتسايهه ، ولقد نضح عليه ذلك النفس والإقبال على الله أنه كان يخشع للسلطان فما يبالي ما يصيبه بقدر ما يلين للناس ويتواضع لهم لأنه لا يخشى أحداً إلا الله . وقد جرى أن ابن هبيرة وإلى العراقيين بعث إليه وإلى الحسن والشعبي فدخلوا عليه فقال لابن سيرين : ماذا رأيت منذ قربت من بابنا ؟ قال : ظلما فاشيا ، فغمزه ابن أخيه بمنكبه فالتفت إليه ابن سيرين فقال : إنك لست تسأل ، إنما أنا أسأل ، فأرسل الوالي إلى الحسن بأربعة آلاف وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف وإلى الشعبي بألفين ، فأما ابن سيرين فلم يأخذها .

وفي ابن سيرين نواح من الكرم والسخاء ، ونواح من البر والوفاء ، ونواح من اللطف والدعابة ، ونواح من النسكت المستطابة . وهي منشورة فيما بين يديك من كتب الأدب والتاريخ ، أخشى أن أطيل عليك في وصفها وتحليلها ، فحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق ، وعند الله سبحانه التوفيق والهداية .

محمود النواوي

# الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

— ٣ —

الموضوع في أسباب النزول : —

من ذلك ما روى في سبب نزول قوله تعالى : « ولذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا والآية » <sup>(١)</sup> فقد روى عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه حين التقوا ذات يوم بنهر من الصحابة ، فقال ابن أبي : انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ، فأخذ بيد الصديق فقال : مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وثاني رسول الله في الغار . وأخذ بيد عمر فقال : مرحبا بالفاروق سيد بنى عدى الباذل نفسه وماله لرسول الله . ثم أخذ بيد علي فقال : مرحبا بابن عم النبي وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ، ثم افترقوا فقال لأصحابه : انظروا كيف أرد هؤلاء ، فإذا قابلتموهم فافعلوا معهم مثل ما فعلت ، وهو من رواية السدي عن الكلبي عن أبي صالح . قال ابن حجر في تخریج أحاديث الكشاف : « هو سلسلة الكذب ، وآثار الوضع لائحة عليه ، وسورة البقرة نزلت في أوائل الهجرة وتزوج على بفاطمة كان في السنة الثانية <sup>(٢)</sup> ، وقد ذكر هذا السبب الثعلبي والواحدى والزحشرى وأبو السعود ، وذكره السيوطى في الدر المنثور إلا أنه قال : بسندواه ، فنبه على سقطه .

\* \* \*

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » الآية <sup>(٣)</sup> . فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن خباب . قال : جاء الأقرب بن حابس وعيينة بن حصن فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في أناس من الضعفاء ، فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا مجلسا يعرف به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن نرانا العرب مع هؤلاء الأعداء ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عاوا إذا نحن فرغنا فاقعد معهم .

(١) سورة البقرة الآية ١٤ . (٢) في هذا وغيره دلالة على أن المحدثين كانوا يعتمدون

في تزييف الموضوع على قد المتيقن كما يعتمدون على فقد السند . (٣) سورة الانعام الآية ٥٢ .

قال: نعم. قالوا: اكتب لنا كتاباً بذلك، فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب، فنزل جبريل على النبي بهذه الآية.

وهذا غير صحيح، وهو من الغلط الذي يلحق بالوضع، فإن الآية مكية بل قد ورد أن سورة الانعام أنزلت كلها جملة واحدة، والافرع بن حابس وعيينة إنما أسلبا بعد الفتح، وهما من المؤلفة قلوبهم، فكيف يعقل نزول الآية في ذلك؟ والصحيح أن القائل هم المشركون وهو الذي رواه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما<sup>(١)</sup> وليس في السبب الصحيح أن النبي ﷺ وافقهم على مقالهم، ولا أنه دعا بالصحيفة والكاتب إلى غير ذلك من التزييدات التي نزه مقام النبوة عنها. وقد ذكر هذا السبب المزيف بعض المفسرين ولم ينبه على ما فيه من دخل، إلا العلامة ابن كثير في تفسيره. والإمام الألوسي وهو من المفسرين المتأخرين الذين عتوا برد الموضوعات والتنبيه عليها، ذكره ولم يعقب عليه بشيء. ولعل هذا السبب هو ما عناه ابن تيمية بقوله في المنهاج<sup>(٢)</sup>. «وكتقولهم إن آية: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي نزلت في أهل الصفة، فإن هذا الكذب مما لا يخفى على غير أهل الحديث». ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين كالزحاشي والنسفي والحاازن وغيرهم في سبب نزول قوله تعالى «إنما أولئك هم رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» من أنها نزلت في علي حين مر به سائل وهو في الصلاة فطرح له خاتمه، وقد حكم عليه بالوضع ابن الجوزي وابن تيمية. وأثر التعصب الشيعي ظاهر عليه وجميع أسانيده لا تخلو من ضعف وجهالة، والمعمود من الصحابة أنهم ما كانوا يشتغلون في الصلاة بغيرها بل كانوا في غاية الخشوع والخضوع.

\*\*\*

#### قصة الغرائيق:

ومن الموضوعات ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، الآية». قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر من طريق إسند صحيح - كما زعم - عن سعيد بن جبير قال: قرأ النبي ﷺ بمكة «والنجم»، فلما بلغ قوله تعالى «أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى»، ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن

[١] أسباب النزول للسيوطي على هامش تفسير الجلالين ج ١ ص ١٥٨ ط الحبي.

[٢] منهاج السنة جزء ٤ ص ١١٥ ط بلاق.

لترتجى ، فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجدوا وسجد فنزلت . وأخرجه البزار وابن مردويه بوجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه <sup>(١)</sup> . وقال : لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد . وبعد أن ذكر له طرقاً كثيرة قال : وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأولى ، وهذا الطريق وطريقان آخران عند ابن جرير هي معتمد المثبتين للقصة كابن حجر والسيوطي .

وهذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ولا من جهة العقل والنظر .

أما من جهة النقل فقد طعن فيها كثير من المحققين والمحدثين . قال البيهقي — وهو من كبار رجالات السنة — « هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وقال القاضى عياض فى الشفاء « إن هذا حديث لم يخرج له أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم . ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين لم يسندوها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية الخ ما قال <sup>(٢)</sup> » ، وكذا أنكر القصة القاضى أبو بكر بن العربى وطعن فيها من جهة النقل . وسئل الإمام محمد بن إسحق بن خزيمة عن هذه القصة فقال : إنها من وضع الزنادقة ، وصنف فى ذلك كتاباً . وأنكرها أيضاً الإمام أبو منصور الماترىدى حيث قال « الصواب أن قوله تلك الغرائيق العلا من جملة إيهام الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا فى صحة الدين » .

ومما يقلل الثقة بالحديث المزعوم اضطراب الروايات اضطراباً فاحشاً ، ففائل يقول : إنه كان فى الصلاة ، وآخر يقول : كان فى نادى قومه ، وثالث يقول : قالها وقد أصابته سنة ، ورابع يقول : بل حدث نفسه فسمى ، ومن قائل إن الشيطان قالها على لسان النبى ، ومن قائل أعلمهم الشيطان أن النبى قرأها . كما رويت « تلك الغرائيق العلا ، على أنحاء مختلفة ، وكل هذا الاضطراب مما يذهب الثقة بالرواية ويوهنها ، والحق أبلج والباطل الجلاج .

[١] الشك فى وصل الحديث وهو يقلل الثقة به .

[٢] الشفاء جزء ٢ ص ١١٧ وما بعدها ط عثمانية .

ولماني لاجيب على ما ذكره الحافظ بن حجر في فتح الباري <sup>(١)</sup> من جعله لهذه القصة أصلاً والاحتجاج بالمرسل فيها بما يأتي :-

١ - أن جمهور المحدثين لم يمتنعوا بالمرسل وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي وحيفئذ يحتمل أن يكون ثقة وأن يكون غير ثقة ، فلا يؤمن أن يكون كذاباً . والإمام مسلم قال في مقدمة صحيحه : والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة ، وذكر نحواً من ذلك ابن الصلاح في مقدمته <sup>(٢)</sup> بشرطه .

٢ - الاحتجاج بالمرسل إنما هو في الفرعيات التي يكفى فيها الظن ، أما الاحتجاج به على إثبات شيء يصادم العقيدة فغير مسلم .

٣ - ما أضعف هذا التأويل الذي ارتضاه الحافظ عند النظر والتأمل فهو يوقع متأوله فيما فر منه ، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات ، والحق أن نسج القصة مهما تأول فيها المتأولون فهو مهمل متداع لا يثبت أمام البحث ، وإن أغلب البلاء دخل على الإسلام من المراسيل والمنقطعات .

مصادمة القصة للقرآن : ما أفادته الروايات المرسلة والمهملة في هذه القصة مخالف لقوله تعالى « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » ، وأى أحد أحق بهذه العبودية من الانبياء بله رسول الله ، وقال تعالى « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » . وأى بشر أصدق إيماناً وأشدّ تكلاً على الله من الانبياء ولا سيما خاتمهم ، وقد أقر الشيطان بأنه لا سلطان له على عباد الله المخلصين ، فقال كما حكاه الله عنه في قوله عز وجل « قال فبهزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » ، ومن أحق من الانبياء بالاصطفاء ؟ أو من أشدّ إخلاصاً منهم ؟ فمؤلاؤ الزنادقة الحاقدون نسبوا إلى الشيطان ما أقر هو بأنه لا قبل له به ووضعوا هذه الروايات الباطلة التي تصادم نص القرآن الذي لا ريب فيه .

وأما بطلان القصة من جهة العقل والنظر فقد قام الدليل القطعى وأجمعت الأمة على عصمته عليه الصلاة والسلام ، وكل ما جاءت به الروايات الباطلة ممتنع في حقه أن يقوله من قبل نفسه عمداً أو سهواً لمكان العصمة . قال القاضى عياض : وقد قررنا بالبراهين والإجماع

(١) فتح الباري جزء ٨ ص ٣٥٤ ط الأزهرية (٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٥٨ ط الطيبة بمجلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ: هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ  
وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ: أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ  
عِنْدِهِ، أَوْ يَأْخُذَ بِنَا؛ فَتَرَبَّصُوا. إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ،  
(من سورة التوبة) صدق الله العظيم





عصمته ﷺ من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يشبهه عليه ما يلقبه الملك مما يلقبه الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه ، قال الله تعالى ، ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية ، وقال تعالى ، إذا لا ذنبا لك ضعف الحياة وضعف المئات الآية <sup>(١)</sup> ، ولو جوزنا شيئا من ذلك لذهب الثقة بالأنبياء ووجد المارقون سبيلا للتشكيك في الأدیان .

ووجه آخر لفساد هذه القصة وهو أن الله تعالى ذم الأصنام في سورة النجم وأنكر على عابديها وجعلها أسماء لامسمى لها . وما التمسك بعبادتها إلا أوهام وظنون ، فلو أن القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها ، ولما كان النظم مفككا ، والكلام متناقضا . وكيف يطمئن إلى هذا التناقض السامعون ، وهم أهل اللسن والفصاحة وأصحاب عقول لا يخفى عليها مثل هذا ، ولا سيما وفيهم أعداؤه الذين يتلصسون له العثرات والزلات ، فلو أن ما روى كان واقعا لشغب المعادون ، وارتد الضعفاء من المؤمنين ، ولثارت ثائرة مكة ، ولا تخذ منه اليهود بعد الحجرة متكأ يستندون إليه في الطعن على النبي ﷺ وعصمته ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن .

ووجه ثالث وهو أن بعض الروايات ذكرت أن فيها نزل قوله تعالى ، وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ، الآيتين <sup>(٢)</sup> وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه ، لأن الله ذكر أنهم كادوا يفتنونه ولولا أن ثبت له كاد أن يركن إليهم ومفاده أن الله عصمه وثبته حتى لم يكدر يركن إليهم فقد اتقى قرب الركون فضلا عن الركون ، فالأسلوب القرآني ، جاء على أبلغ ما يسكون في تنزيه ساحته صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون بل افترى بمدح آلهم وهذا ضد مفهوم الآية ، وهو توهين للخبر لو صح فكيف ولا صحة له ، ولقد طالبت به ﷺ ثقيف وقرش إذا مر بآلهم أن يقبل بوجهه إليها ووعده الإيمان به إن فعل ، فما فعل ، وما كان ليفعل ، وإذا كانت القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وهي مخالفة للقرآن ولما قام عليه الدليل العقلي ، فلا جرم أن التحقيق يدعونا إلى أن نصدع بأن حديث الغرائق مكذوب ، اختلقه الزنادقة الذين يريدون لإفساد الدين . وإذا قد انتهينا إلى هذه النتيجة الممحصاة ، فما معنى الآية إذا ؟ والإجابة على ذلك أقول :

(١) كتاب الشفاء ص ١١٩ .

(٢) سورة الاسراء آية ٧٣ ، ٧٤ .

إن التنى المراد به تشهى حصول الامر المرغوب فيه ، والامنية من هذا المعنى ، ومامن نبي أو رسول إلا و غاية مقصوده وجل أمانيه أن يؤمن قومه . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك فى المقام الأعلى ، قال تعالى : فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ، وقال : وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ، وعلى ذلك يكون معنى الآية : وما أرسلنا من قبلك رسولا بشرع جديد كإبراهيم وموسى وعيسى أو نبيا مجددا لشرع جاء به رسول قبله ، كأنبيا بنى إسرائيل إلا إذا تمنى هداية قومه وإيمانهم ، ألقى الشيطان فى سبيل أمنيته هذه العقبات ، ووسوس فى صدور الناس فثاروا فى وجهه وجادلوه حيناً ، وحاربوه حيناً آخر ، حتى إذا ما أراد الله هدايتهم ، أزال تلك الوسوس التى ألقاها الشيطان فى نفوسهم ووفقهم لإدراك الحق وإجابة داعى الله ، وبذلك ينسخ الله ما ألقى الشيطان من الشبهات ، ويحكم آياته بنصر الحق وأهله على الباطل وحزبه ، وينشئ من ضعف أنصاره قوة ، ومن ذلهم عزة ، وتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، ليجعل ما يلقى الشيطان فى سبيل دعوات الانبياء فتنة للضعفاء ، وليعلم الذين أتوا العلم أن ما جاء به الرسل هو الحق ، فتخبت لهم قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ؟

محمد محمد أبو شهير

الاستاذ بكلية أصول الدين

## اتصال الثقافة

مما لاحظته فقيده الاستشراق الإيطالى الأستاذ نلينو على المؤلفين والمترجمين فى الرياضة والفلسفة عندنا ، أنهم لا يستعملون الالفاظ والاصطلاحات التى استعملها العرب قديما فى هذين الموضوعين . قال : وكان يحسن بالمترجمين والمؤلفين ، أن يعملوا لاتصال الثقافة ، بأن يراعوا الحدود العالمية والفلسفية التى وضعها العرب أيام العباسيين .

# الفرح التقيدي في الإسلام

شاهد بأنه من صنع الله ، لا من انعكاس البيئة

- ٢ -

مكانة المرأة ... تقرير وتقدير ، لا وأد وتحقير :

ثم ما مكان المرأة في ذلك النظام الإسلامى البديع ؟  
إن الإسلام يأتي في البيئة التي كان يحدث فيها أحيانا أن تؤاد البنت ، وكان يحدث أن تعضل ، أو تورث كرها ، أو تزوج قمرا ، أو تحرم الإرث ...

إن الإسلام يأتي في هذه البيئة لينصف المرأة من جهة الجنس ، ومن جهة الحقوق الشخصية ، ومن جهة الحقوق المدنية والاجتماعية .

فأما من جهة الجنس ، فالمرأة من الرجل ، فلا تطاول ولا تحقير ، يأبى الناس انقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، ، فاستجاب لهم ربهم ، أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض ، . وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها ، والبخاري عن أنس رضى الله عنه حديث رسول الله ﷺ : إنما النساء شقائق الرجال ، ، وصحح السيوطى في جامعه هذا الحديث .

وقد قدّم القرآن الكريم في قصصه نماذج رفيعة لنساء كريمات ، مثل أم موسى ، وامرأة عمران ، ومريم ابنة عمران ، ، وحضر الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون .

وقد قدم تاريخ الدعوة الإسلامية نماذج ممتازة من إيمان النساء ، فدور خديجة زوج رسول الله في أول رسالته ، وبطولة سمية زوجة ياسر ، وأول شهيدة في الإسلام ، من خير الشواهد على ذلك . ولا يذنب التاريخ بذل عائشة ، وزينب بنت جحش ، وعاتكة بنت

يزيد بن معاوية . ومغازى رسول الله ﷺ تضم فى ثناياها أسماء لامعة لنساء مؤمنات ، مثل عائشة ، وأم سليم ، وأم عطية ، فضلا عن أم عمارة .

وكفاح الجور يشهد لأسماء بذت أبى بكر وأم عبد الله بن الزبير بموقفها من الحجاج .

والمرأة حين تبذل فى الإسلام ما تبذل ، فهى إنما تفعل ذلك عن عقيدة فى دين أنصفها ورعى حقها . فقد ر لها رأيها فى اختيار زوجها ، وفى إدارة بيتها ، وفى تربية أولادها . فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما . وحفظ حقها أثناء الزواج وعند وفاة الزوج ، وعند الطلاق .

والمرأة فى شريعة الإسلام لها نصيبها المقرر فى الميراث ، ولها حقها فى أن تتولى أمورها المالية ولها استقلالها الاقتصادى عن زوجها .

والإسلام قد حفظ للمرأة حقوقها الاجتماعية ، كما حفظ لها حقوقها الشخصية والمدنية . فلها حق التعلم ، بل هو واجب عليها فى الوقت نفسه . روى أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى فى السنن عن أنس ، أن النساء أتين يوماً إلى رسول الله ﷺ يشكون من غلبة الرجال على مجالسه ويطلبن وقتاً خاصاً ، ليتعلمن أحكام دينهن ، فأجابهن إلى ذلك .

والمرأة تستطيع أن تفعل الخير للناس على قدر طاقتها وفى حدود الشرع ، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . ولأن جهود امرأة عمر مع المرأة الفقيرة التى جاءها الخاض ، تنوّج نشاط المرأة فى ميدان الخدمة الاجتماعية . ولزبيدة زوجة الرشيد مأثرتها المذكورة المشكورة فى إمالة عين يشرب منها الحجاج فى الحجاز ، ولقد أمت بالفنيين وفتحت لهم الخزائن ، وقالت لمدير ذلك الأمر ، أو مدير ذلك المشروع ، اعمل ، ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً ، ١١

ولقد قال الإمام ابن حزم الأندلسى فى تعليم المرأة ، ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم ما ذكرنا ، إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم ، ١٠ هـ . وقد ناقش فى موضع آخر مسؤوليات المرأة المختلفة فقال :

« فإن قالوا : فأوجبوا الجهاد فرضاً على النساء ، قيل لهم وبالله تعالى التوفيق :

لولا قول رسول الله ﷺ لعائشة - إذ استأذنته في الجهاد - «لكن أفضل الجهاد حج مبرور، لكان الجهاد عليهن فرضاً، لكن به» هذا الحديث علمنا أن الجهاد على النساء ندب لا فرض، لأنه عليه السلام لم ينهها عن ذلك، ولكن أخبرها أن الحج لهن أفضل منه ... فإن قالوا: فأوجبوا عليهن النفار للنفقة في الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قلنا وبالله تعالى التوفيق: نعم هذا واجب عليهن كوجوبه على الرجال، وفرض على كل امرأة النفقة في كل ما يخصها، كما أن ذلك فرض الرجال. ففرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة، وفرض عليهن كل من معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم، وما يحل وما يحرم من المأكل والمشرب والملابس، وغير ذلك كالرجال، ولا فرق. ولو تفقهن امرأة في علوم الديانة للزمنا قبول نذارتها، وقد كان ذلك.

فؤلاء أزواج النبي ﷺ وصواحيبه، قد نقل عنهم أحكام الدين، وقامت الحجة بنقلهم، ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا في ذلك، فمن سوى أزواجه عليه السلام: أم سليم، وأم حرام، وأم عطية، وأم كرز، وأم شريك، وأم الدرداء، وأم خالد، وأسماء بنت أبي بكر، وفاطمة بنت قيس، وبسرة، وغيرهن. ثم في التابعين عمرة، وأم الحسن، والرباب، وفاطمة بنت المنذر، وهند الفراسية [ ويقال القرشية وهي هند بنت الحارث صاحبة أم سلمة وروت عنها ] وحبيبة بنت ميسرة، وحفصة بنت سيرين وغيرهن، (١).

وحسب الفقه الإسلامي دليلاً على أنه لم يتعصب ضد المرأة كجنس، أن «مذهب الطبري والمذهب الظاهري، جوزا للمرأة أن تكون قاضياً على الإطلاق في كل شيء، خلافاً لابن حنيفة الذي لم يجوز لها ذلك إلا في قضايا الأموال، وخلافاً لباقي الفقهاء الذين أبوا عليها ذلك الحق مطلقاً» (٢). ونحن لسنا هنا بصدد إقرار هذا الرأي أو رفضه، ولكن بصدد الدلالة على خلو الفقه الإسلامي من كل أثر للتعصب ضد المرأة كجنس، والنظر كل النظر

في حجية الدلائل الشرعية دون متابعة الأهواء.

(١) الأحكام ج ٣ ص ٨١ - ٨٢.

(٢) فلسفة التشريع في الإسلام - محمادي ص ٥٢ وأشار في حواشيه إلى بداية المجتهد ج ٧ وإلى المحلى ج ٩.

يقول ابن رشد في كتاب الاقضية : الباب الاول : فيمن يجوز قضاؤه : —

« وكذلك اختلفوا في اشتراط الذكورة ، فقال الجمهور هي شرط صحة الحكم . وقال أبو حنيفة يجوز أن تكون المرأة قاضياً في الاموال . قال الطبري يجوز أن تكون المرأة حاكماً على الإطلاق في كل شيء .

فمن رد قضاء المرأة شبهه بقضاء الإمامة الكبرى ... ومن أجاز حكمها في الاموال فتشبيها بجواز شهادتها في الاموال . ومن رأى حكمها نافذا في كل شيء قال : إن الأصل هو أن كل من يتأتى منه الفصل بين الناس لحكمه جائز ، إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى ، (١) . ١ . هـ

فهل تكون هذه الروح التي ألهمت أصحاب هذا الرأي ما قالوه - صواباً كانت النتيجة الفقهية أم خطأ - إلا من هداية رب الأرض والسماء ، الذي لا يحابي الرجال ، ولا يتعامل على النساء ؟ ؟

مع غير المسلمين ... سماحة وعدالة ، لا عداوة وعدوان :

وقد يقال أخيراً : إن الإسلام قد حارب الامواء العصبية والطبقية كي يقيم بين الناس حروباً دينية .

والإسلام يرى مما يرى به فإن الإسلام لا يحارب اختلاف الأديان ، وإنما يحارب البغى والعدوان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبرؤم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوك في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، .

والإسلام حين يأمر بقتال الباغين المعتدين من غير المسلمين ، يقاتل الباغين المعتدين من المسلمين أيضاً « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، .

وحين تكون المسألة هي أساس المعاملة ، يعطى الإسلام غير المسلمين من دخلوا في ذمته واستأمنوا في دولته من الحقوق مثل ما للمسلمين ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإن كان لا يلزمهم بما يلزم به المسلمين من واجبات في العقيدة ، والعبادة ، والأحوال الشخصية .

واختلاف العقيدة لا يبرر القطيعة ، ليس عليك هدام ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، وقد نقل ابن كثير عن ابن عباس بسنده : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فرخص لهم فنزلت هذه الآية ، ، والصلوات الاجتماعية موصولة ببقية . وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات . والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب . .

أما الجزية فهي بدل نقدي عن الخدمة العسكرية ، فما كان الإسلام ليكلف مخالفيه شططا : إذ يلزمهم بذل دماهم في سبيل دولة تقوم على عقيدة لا يعتقونها . فالجهاد في الإسلام هو في سبيل الله ، ، والدولة في الإسلام تحكم بالقرآن ، فهل هناك أسمح من أن يعفى غير المسلمين من حرج القتال في سبيل ما لا يؤمنون به ، ويكتفى منهم بهذا البدل النقدي اليسير ؟

لقد كتب خالد بن الوليد حين وصل الفرات لصلو بن نسطونا : إني عاهدتكم على الجزية والمنعة ، فلك الذمة والمنعة ، وما منعناكم فلنا الجزية والإفلا . . وتسكرر مثل هذا المعنى فيما كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر لمزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان ، وما كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر لاهل أذربيجان ، وما كتبه سراقه عامل عمر لشهربراز وسكان أرمينية . وقد صالح الجراجمة على جبل اللكام أبا عبيدة على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح وألا يؤخذوا بالجزية . وحين اضطر أبو عبيدة لضرورات عسكرية ، أن يفسح من حصص أثناء فتح الشام رد لأهلها جزيتهم ، لعدم استطاعته الوفاء بشرطها وهو الحماية والمنعة ، وكذلك فعل في دمشق حين كان يتجهز للبرموك . ولقد كان فرض ضريبة الجزية مقصوراً على الأشداء الأقوياء الذين كانوا يستطيعون الخدمة في الجيش ، فهي لا تؤخذ من الشيخ الفاني ، أو المرأة ، أو الطفل ، وهذا مما يتضامن مع القول بأنها بدل نقدي عن الخدمة العسكرية .



ولو كان المسلمون قوما تستعز في صدورهم العصبية الدينية ، لما رضوا من غيرهم بغير اعتناق دينهم بعد أن ذاقوا حلاوة النصر ، ليشعروا بذشوة الظفر معنويا ، ويجبوا الزكاة بأقسامها المختلفة وهي تربو على قيمة الجزية ماديا . ولو فعلوا لتناقضوا مع أصلهم الشرعى الذى يقول : لا إكراه فى الدين ، ومع أصلهم الاعتقادى النفسى الذى يجعل العبرة بما وقر فى القلب ، لا بما يتلفظ به اللسان ١١١ وإن الناظر إلى ما يفرض على الأمم المغلوبة اليوم من تعويضات والتزامات ليجد المدى واسعا بين المعاملة هنا وهناك .

فالإسلام لا يقتلع العصبية والطبقية والجهل واضطهاد المرأة ، ليشير الطائفية والمذهبية . والتطبيق التاريخى خير شاهد ودليل . فبلاد الحبشة اختلفت فى ديانتها عن المسلمين ، ولكن لم يمنع هذا الاختلاف من أن يفر المسلمون بدينهم إلى تلك البلاد . يرجون عند مخالفتهم فى العقيدة الحماة والأمان ١١١١ ولقد قويت دولة المسلمين بعد ذلك واستطالت سلطتهم ، حتى نالت من امبراطوريات القياصرة والاكاسرة ، ومع ذلك لم تقذف بهم الشهوة إلى المساس ببلاد الحبشة ، وهى التى تخالفهم فى الدين ، وكان يتأجج فى قلوبهم عليها أحقاد قومية دينية منذ حادث الفيل فى الجاهلية ١١١

وفلسطين قد عاش فيها اليهود منذ حكم الخلفاء الراشدين إلى نهاية الدولة العثمانية فى ظل حكم إسلامى — ولو من ناحية الشكل فى آخر الأمر — وما اتجهت دولة الإسلام مرة واحدة أثناء تلك القرون الطوال ، إلى صرف هؤلاء اليهود عن دينهم أو اضطهادهم فى هاشمهم ، وهم المسكرومون قومياً واجتماعياً بل وديفياً ، فهم قساة القلوب ، غلاظ الرقاب ، حرفوا السكلم عن مواضعه ، وجعلوا كتاب الله قراطيس ١١١١ وعندما برزت مطامع الصهيونية كان للمسلمين والمسيحيين موقف أملتته اعتبارات ليس بينها بحال مجرد الاختلاف فى الدين ١١

لقد حاولت الدولة العثمانية يوما أن تسير فى مشروع إجبار غير المسلمين على الإسلام ، فأفتى شيخ الإسلام للسُلطان بأن هذا حرام ثم حرام ١١١

فهل تكون هذه أحكام دين تمليه أهواء البشر ، أم هى من مصدر يعلو عن الارض ويسمو عن الإنسان ؟؟؟

محمد فتى محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

( يتبع )

# المؤمنون حقاً

## كما وصفهم القرآن الكريم

من السنن التي جرى عليها القرآن الكريم ، أن يفرق الحديث عن بعض الأغراض ، فأنت تراه يتحدث عن معنى من المعاني ، أو يقصد إلى غرض من الأغراض ، فيمر به مرأ خفيفاً في بعض الأحيان ، ويطيل فيه بعض الإطالة أحياناً أخرى ، ثم يعاود الحديث عنه مرات عندما تعرض المناسبة ، فإذا تدبعت هذه الآيات المتفرقة ، ورتبت ما تضمنته من المعاني ، استوت لك صورة واضحة لهذا المعنى الذي قصد القرآن أن يسجله . وإذا تأملت هذه الصورة ، تبين لك أن القرآن استقصى جميع ما يتصل بها ، بحيث لا تستطيع أن تقول إنها ينقصها شيء ، قل أو كثر .

تحدث القرآن عن طوائف من الناس ، وأبان في كل طائفة عن نواحي الخير أو الشر فيها ، وقد شاع فيه الحديث عن المؤمنين الصادقين ، وعن الكافرين المعاندين ، وعن المنافقين المخادعين ، وجاء الحديث عن هذه الطوائف الثلاث في أول سورة البقرة ، وهي السورة التي نزلت في الطريق بين مكة والمدينة ، فذكر شيئاً من أوصاف المؤمنين ، أتبعه ببعض الآيات عن المشركين ، ثم أطل في وصف المنافقين ، حتى جاوزت تلك الآيات في أوصافهم الثمانين .

ونحن إنما قصدنا في هذا البحث أن نجتمع الآيات التي تحدثت عن المؤمنين حقاً ، كما وصفتهم آيات الانفال ، أو ( عباد الرحمن ) كما وصفتهم آيات الفرقان ، أو ( المتقين ) كما ذكروا في آيات البقرة وآل عمران .

قال الله تعالى في سورة الانفال : ( إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ورزق كريم . )

تضمنت هذه الآيات أوصافاً كثيرة ، فبدأت بوصف هؤلاء المؤمنين ، بأنهم يخافون

عند ذكر الله ، ثم ثنت بأن آيات الله إذا تليت عليهم تزيدهم إيماناً ، ثم وصفتهم بالتوكل على الله وحده ، وبأنهم يقيمون الصلاة ، وينفقون مما رزقهم الله .

وقد ذكر المفسرون فيما يتعلق بالوصف الاول ، أن المؤمن إذا ذكر الله فزع قلبه ، استعظاما لشأنه الجليل ، وتهيبا منه جل وعلا ، ثم قالوا : والاطمئنان المذكور في قوله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، لا يتنافى الوجع والخوف ، لأنه عبارة عن تلج الفؤاد ، وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد ، وهو يجامع الخوف ، وقال بعضهم : إن الذكر في إحداهما ذكر رحمة ، وفي الأخرى ذكر عقوبة ، فلا منافاة بينهما . وقال السدي : هو الرجل يريد أن يظلم ، أو يهيم بمهصية ، فيقال له : اتق الله تعالى فيوجل قلبه ، وهذا بخلاف المتكبر المشار إليه في قوله تعالى : ( ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ) . ( وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ) أى ثبتت قلوبهم ، وقوت يقينهم . وذلك لما يصلون إليه حين يتأملون هذه الآيات من معان خفية ، وما يجدونه في أنفسهم لها من أثر عميق .

وقد جاء وصف حال المؤمنين عند تلاوة القرآن في غير موضع من القرآن . فجاء في سورة السجدة قوله تعالى : « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً ، وسبحوا بحمد ربهم ، وهم لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ومما رزقناهم ينفقون » . فهم يستمعون لهذه الآيات ، ويخرون على وجوههم سجداً عند سماعها ، ويطيعون أوامر الله ، ويحتجبون نواهيها فيها ، ولا تأخذهم الكبرياء عن الطاعة والانقياد ، كما يفعله الجمل ، وكيف ؟ والله تعالى يقول : ( إن الذين يستكبرون عن عبادتي ، سيدخلون جهنم داخرين ) .

وجاء في سورة الزمر قوله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ، مثاني ، تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلتين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ، ومن يضلل الله فماله من هاد » .

ومعنى ( مثاني ) — كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما — أن القرآن يشبه بعضه بعضاً . أما اقشعرار جلودهم ، فذلك ناتج مما يفهمون من القرآن ، من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد ، فإذا رجوا ما عند الله من الرحمة واللفظ لانت جلودهم ، وهكذا

كان شأن المؤمنين الصادقين من السابقين حين يسمعون القرآن ، تضطرب فرائصهم ، وتفيض دموعهم ، ويعلمون نحيبهم ، وربما مر أحدهم بالآية من كتاب الله ، وهو في أول الليل ، فلا يزال يرددها حتى يصبح ، يصحب ذلك خوف شديد ، وبكاء حار . حدث رجل قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز ، قرأ ذات يوم : « وما تكون في شأن ، وما تنلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل ، إلا كنا عليكم شهودا ، إذ تفيضون فيه ، فبكى بكاء شديداً حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة زوجته ، فجلست تبكي لبيكاته ، ويبكى أهل الدار لبيكاته ، فجاء عبد الملك ابنه ، فدخل عليهم ، وهم على تلك الحال يبكون ، فقال : يا أبت ، ما يبكيك ؟ قال : خير ، يا بني ، وذو أبوك أنه لم يعرف الدنيا ، ولم تعرفه . والله ، يا بني ، لقد خشيت أن أهلك ، والله يا بني ، لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

وروى أن محمد بن المنسكدر بكى ليلة حتى فزع أهله ، وأبى أن يخبرهم فجاءوه بأبي حازم ، فقال : يا أخى ما أبكاك ؟ قد روعت أهلك ! قال : ذكرت آية من كتاب الله « وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » فبكى أبو حازم معه ، واشتد بكاهما ، فقال بعض أهله لأبي حازم : جئنا بك لتفرج عنه ، فزدته ، فأخبرهم .

وهذا الذى حدث لسيدنا عمر ، ولمحمد بن المنسكدر ، ولأبي حازم . حدث لكثير غيرهم من عباد الله المؤمنين . وهؤلاء المؤمنون الذين تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ، يستمعون إلى القرآن بانتباه شديد ، ولا يشغلهم عن آياته شاغل ، ويفقهون معانيها ، ولا يعرضون عنها . وهذا معنى قوله تعالى في سورة الفرقان في وصف عباد الرحمن « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم ، لم يخروا عليها صما وعميانا ، كما أنهم يلتزمون جانب الأدب عند سماع الآيات ، فلا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم ، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك .

وهم كذلك تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، وهذه صفة من أنبل صفات المؤمنين ، فهم يقومون الليل ، ويهجرون النوم ، لا يلدبوا شأننا من شئون الدنيا ، ولا ليبكوا على ما فاتهم مما تنصعد النفوس الضعيفة له ، وإنما ليعبدوا الله ، ويناجوه ويحاسبوا أنفسهم على ما فرطت في جنب الله ، ويتفكروا في يوم العرض والحساب . وفي الحديث الكريم أن النبي ﷺ قال لبعض أصحابه : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تكَفِّرُ الخطيئة ، وقيام العبد في جوف الليل ، ثم تلا هذه

الآية : تتجافى جنوبهم عن المضاجع . . الآية ، وفي حديث آخر : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم ، من أولى بالسكرم ، ثم يرجع فينادى ، ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، فيقومون ، وهم قليل . وقد وصفهم الحسن البصرى فقال : « أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم ، يفرشون خدودهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم في فكك رقابهم ، إذا عملوا حسنة سرتهم ، وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم ، وسألوا الله أن يغفرها لهم .  
ومما وصف به المؤمنون في آيات الانفال التوكل على الله ، فهم يعتمدون على الله وحده لا يشركون به شيئاً ، ولا يرغبون إلى غيره . فقلوبهم خالية مما سوى الله ، فلا سلطان ، ولا جاه ، ولا مال ، ولا حاكم ، ولا رئيس ، ولا أحد ، ولا شيء له موضع في قلوبهم ، رهبة أو رغبة ، وإنما اعتمادهم كله على الله وحده ، هو الخالق وهو الرزاق ، وهو المحي وهو المميت ، لا يملك غيره ضراً ولا نفعاً ، فهموا ذلك أنهم الفهم ، فشغلوا أنفسهم بالاتجاه إليه تعالى ، ولم يشغلوها برجاء مخلوق .

وقد سمع بعض العلماء في تفسير قوله تعالى : ( إلا من أتى الله بقلب سليم ) أن العبد يأتي ربه وليس في قلبه أحد غيره ، فقال هذا العالم : منذ ثلاثين سنة ما سمعت تفسيراً خيراً من هذا التفسير . وكان أولئك المؤمنون - لهذا - يأنفون أن يطلبوا من أحد غير الله شيئاً . روى أن أبا حازم الأعرج دخل على بعض خلفاء بني أمية فقال له : يا أبا حازم ، ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ما عندك فلا تضعه إلا في حقه ، وإلى ما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه . قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين ، قال : ما مالك ؟ قال : مالان ؛ الثقة بما عند الله ، واليأس مما في أيدي الناس . قال الخليفة : ارفع إلينا حوائجك ، قال : هيات ، رفعتها إلى من لا تختزل الحوائج دونه ، فإن أعطاني منها شيئاً قبلت ، وإن زوى عني شيئاً رضيت .

وقيل لرابعة القيسية : لو كلمنا رجال عشرينك فاشتروا لك خادماً تكفيك مؤونة بيتك ، فقالت : والله ، إني لاستحي أن أطلب الدنيا ممن يملك الدنيا ، فكيف أسألهما من لا يملكهما . والمؤمنون يجدون في هذا التوكل سلامة نفوسهم ، ونقاوة دينهم ، وضمآن أرزاقهم . فهم يؤمنون أشد الإيمان وأقواه بقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » . وهم يفقهون كل الفقه المعنى الحقيقي للتوكل ، فليس من دأبهم أن

يناموا في بيوتهم ، أو يعتكفوا في مساجدهم ، ثم لا عمل . ولكنهم توكلوا وعملوا ، فكان من أسلافهم الخواص والحرّاز والبزاز ، ولهم كلمات رائعة في الحث على العمل ، والحض على كسب الرزق بعرق الجبين .

أما هذا التواكل الذي نراه في بعض المدعين والغافلين ، فذلك ما ينهى عنه الدين أشدّ النهي .

### على العماري

المدرس بالآزهر

### تفسير يديت من شعر جاهلي

أرجو أن تفسح المجلة صدرها لهذا التعقيب الذي جاء بعد أوانه ، فقد وقع في يدي متأخراً جزء جمادى الأولى ١٣٧١ وفيه مقال للأستاذ عن الدين لإسماعيل عن الشعر الحماسي في العصر الجاهلي ، وقد جاء في صفحة ٤٥٥ منه ما يأتي : —

« إن الدم لا يشفيه إلا الدم ، ولذلك كان الأخذ بالثأر أكرم عند العربي من قبول الدية ، واستشهد على ذلك بقول كبشة أخت عمرو بن معد يكرب على لسان أخيها عبد الله :  
فإن أنتم لم تتأروا واتديتم فمشوا بأذان النعام المصلم  
وفسره بقوله : « أي أنكم إن لم تتأروا وقبلتم الدية ، فستمشون كما يمشى النعام المقطوع الأذن ، لا تسمعون ما يقال فيكم من العار . »

ولم يصب الأستاذ التوفيق في هذا التفسير إذ جعل قول كبشة « فمشوا ، من « المشى » والصواب أنه من « المش » بمعنى المسح ومنه « المشوش » أي المندبل الذي يسمح به . والبيت أورده أبو علي الفارسي في أماليه ( ٢ : ٣٢٦ طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٦ ) .

وقد كانت العرب تسمح أيديها بأعراف الخيل كقول امرئ القيس :

نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قتنا عن شواء مضهب

وكبشة تقول للذين يقبلون الدية بدلا من دم قتلهم : اتخذوا من أذان النعام مشوشاً بدلا من أعراف الخيل لأنكم لستم من فرسانها . وقد سأل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان جاساه يوما : أي المناديل أفضل ؟ فذكروا له مناديل مصر كأنها غرقى البيض ، ومناديل اليمن كأنها زهر الربيع ، فقال لهم : بل مناديل عبدة بن الطيب في قوله :

ثمت قتنا إلى جرد مسومة أعرافهم لا يديننا مناديل

### محمد بروي المختوم

المدرس بالجيزة الثانوية للبنات

## في فلسفة الحياة

### حواريون

« شابت ناصية الليل ، ومن وراء تلك الآزال ،  
« ينبعث من أعماق الكون هذا الصوت ، وينساب ،  
« هذا اللحن ، فيسبح حواريو الإسلام بحمد ربهم ، وينادى ،  
« داعى السماء حتى على الصلاة . . . . . »

حواريون ، إن نُودوا وصاح مؤذن . . الفجر  
وجلجل في الدجى صوت يثير . . غوافى . . الدهر  
وسار الركب في صمت وجد الليل في السير

\* \* \*

حواريون . . يحممهم صفاء الروح والفكر  
وأقباس ، وأضواء بأفاق المدى تجرى

\* \* \*

حواريون . . قد عبروا صراط النور والطهر  
وطافوا حول كعبتهم كأسراب من الطير  
وأبقت وجدهم صوت من الفردوس كالسحر  
ونادى بعضهم بعضاً وكبر موكب . . الشعر  
وصلت ورقه شكرأ وغنى ساجع . . النجر

\* \* \*

## موت الأمام

لماذا ضاع فى أمة (دينها) وساد بها الفاجر الجاهل  
فقد ضاع فى الأرض سلطانها ومات بها الحاكم .. العادل  
وناخت على مجدها النائمات ، وشيمها الزمن المازل

## رحلة الكون

ولست أبالى حين أعلم أنى وللجهل أوزار ، وللعلم مثلها  
ونحن بهذا الجهل والعلم نُقتل  
لأعلم أنا بعد لآى سرحل  
وراءك يا شعرى ، وهل أنت تفعل؟  
سيمضى ، وماذا أنت بالعلم تفعل؟  
وما أنت إلا خائف .. يتعجل !!  
وتلك لعمري .. رحلة .. طال ليها

## أسرار الخلود

ليلاى ... ماذا فى ضمير  
عبروا إليه شواطئ الما  
فموت فلاسفة الزما  
ليلاى ... ما هذا الخلود  
فى هاتفت الروض آ  
فى الصخر ، والينبوع .. يا  
فى عالم الأرواح ، والا  
الدوح من سر الخلود ؟  
ضى ، وطافوا بالوجود ..  
ن ، وضل فى الوادى قصيدى  
د ؟ فى الربا ؟ أم فى النجود ؟  
يات .. وفى ممس الورود  
ليلى ، وفى نجوى الوليد  
نسام ... د أسرار الخلود ،



# الحصار الاقتصادي لقرش

في سرية زيد بن حارثة إلى القردة

تحدثت في المقال الفائت عن الحصار الحربي الذي جاءتنا به غزوة بني قينقاع ، وبينت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتخذ خطة الحصار الحربي ، حيث كانت تقضى الحكمة والبراعة العسكرية .

واليوم أتحدث عن نوع آخر من الحصار ، سمع عنه العالم في العصر الحديث فقط ، وأخذ به قادة الحروب الحديثة ، وآمنوا به وعدوه من أقوى أسلحة الحرب فنكا بالعدو ، ذلك هو الحصار الاقتصادي .

وفي هذا جاءت النظرية العسكرية الحديثة التي تقول بأن القضاء على قوة العدو الاقتصادية لا يقل أهمية عن القضاء على قوته العسكرية ، وأصبحنا نسمع اصطلاحات عسكرية لم تكن معروفة من قبل ، مثل الحرب الاقتصادية - الحصار الاقتصادي - المال عصب الحرب ... الخ والدول العربية - منذ وقف القتال على أرض فلسطين - مثلاً تحارل ما وسعها ذلك ضرب نوع من الحصار الاقتصادي على إسرائيل لتحرمها مما يفيدها عسكرياً : فتفتش السفن المارة بموانئها قاصدة إسرائيل ، وتصادر المواد التي يمكن أن تستخدم أو تفيد في المجهود الحربي كالمعدات والأجهزة والخامات بل والأغذية ، وهي علاوة على ذلك تفرض رقابة شديدة على صادراتها للخارج للتأكد من الجهات المرسلة إليها حتى لا تصل إلى إسرائيل ، بل وتمتنع عن التعامل مع الشركات والمؤسسات التي تتعامل معها ، إلى غير ذلك من الوسائل التي يطلق عليها - على العموم - الحصار الاقتصادي ، بقصد حرمانها مما يساعد على تقويتها من الناحية العسكرية ،

ولا شك أن هذا الحصار قد ضايق إسرائيل كل المضايقة ، فإن الانعاش الاقتصادي في ذاته متوقف على فتح أسواق الدول العربية - وهي المجاورة لها - لمنتجاتها . وهذا ما جعلها تجأ بالشكوى في المحافل الدولية .

وكلنا قد سمع عن ذلك الحصار الاقتصادي الذي كانت الدول المتحالفة تفرضه على ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية ، وقد كان هذا الحصار عنيفا استخدمت فيه الأساطيل والغواصات وغيرها للتضاء على القوافل البحرية .

هذا الحصار الاقتصادي عرفه العالم في العصر الحديث ، أما قائد جيش الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فقد عرفه ونادى به منذ ثلاثة عشر قرنا ، وطبقه على أحسن ما يكون التطبيق ، ووضع لذلك خطة كانت في غاية الإحكام .

كان ذلك في سرية زيد بن حارثة إلى القردة في جمادى الآخرة من السنة الثالثة الهجرية . فإنه على إثر غزوة بدر ، وما كان من أمر قافلة أبي سفيان ، أصبح طريق القوافل من الحجاز إلى الشام مهددا مخفوقا بالأخطار ، وخاصة بعد أن تعاهد المسلمون مع كثير من القبائل التي تقطن على هذا الطريق .

خشيت قريش إذا هي عاودت إرسال القوافل في هذا الطريق ، أن ينالها سوء من المسلمين . وأخذت تفكر في مخرج من هذا المأزق ، فوقف صفوان بن أمية يوما في قريش وقال لهم : « إن محمدا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسكن . وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رموس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف ، وإلى الحبشة في الشتاء » .

فقال له الأسود بن المطلب : « تسكب الطريق على الساحل ، وخذ طريق العراق » .

وهكذا قر قرارهم على اتخاذ طريق العراق وهو طريق طويل مقفر ، واختاروا فرات ابن حيان ليدلهم عليه . وقد قال لهم : « طريق العراق ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد ، فإنما هي أرض نجد وفياف » .

ولم تضيق قريش وقتا بل جهزت قافلة من الفضة والبضائع ، وخسرج فيها مع صفوان أبو سفيان بن حرب ، وحويطب بن عبد العزى ، وسارت القافلة في طريق العراق .

لكن خبر هذه القافلة بلغ رسول الله ، فأرسل على الفور زيد بن حارثة في مائة راكب فلقبها عند القردة وهي بئر قرية من نجد ، وكانت مفاجأة مفزعة لرجال القافلة ، فهربوا



# أَحَادِيثُ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

١ - حديثه إلى مراسل النيويورك تايمس

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن ناج شيخ الأزهر بمسكته إلى مراسل النيويورك تايمس في الشرق الأوسط مستر روبرت روني .

وقد وجه الصحفي إلى فضيلته أسئلة عن النزعة الدينية في الشرق الأوسط ، ثم تطرق إلى السؤال عن رسالة الإسلام .

فأجاب الأستاذ الأكبر بأن الإسلام دين السلام ، وأجل فضيلته المبادئ الإسلامية السامية ، وأنه الدين الذي به وعليه صلاح البشرية .

ولما سأل الصحفي عن أسباب الانحلال في بعض الأفراد ، قال فضيلته : ليس ذلك راجعاً إلى الدين ، وإنما يرجع إلى التأثير بالمبادئ المادية ، ثم شرح جانب القوة في الإسلام ، والمعاني التي تقوم الشعوب ، وتعلو بالأفراد والجماعات .

## مركز المرأة الشرقية :

وسأل الصحفي عن مركز المرأة الشرقية ، والفرق بينها وبين المرأة الغربية في الزواج ، والطلاق ، والميراث ، والحياة العامة .

فأجاب فضيلته بأن المرأة الشرقية في الزواج : متى كانت راشدة عاقلة ، فلا سلطان لأحد على تزويجها دون إرادتها .

أما في الميراث ، فالمرأة لها نصف ما للرجل ، لأن الرجل عليه تبعات ، وله عليها القوامة . وتبعاتها واجبة على الرجل .

أما من حيث الطلاق ، فمعروف أن ناحية العاطفة فيها أقوى ، ولو سلم لها زمام الطلاق ، فإنه يخشى من انحرافها وراء العاطفة . على أن الإسلام لم يحرمها حق طلب الطلاق عند المضارة .

### المرأة والتعليم :

أما في الحياة العامة ، فالإسلام أباح لها التعليم بل أوجبه عليها ، ونساء الصدر الأول كن عالمات بتعاليم الإسلام . بل إن بعض الرجال من ذاك العصر كانوا يأخذون عن بعضهم العلم .

### التصرفات المالية :

وقال فضيلته : والإسلام أعطى المرأة حرية التصرفات المالية . لها أن تبيع ، وتشترى وترهن ، ولا حرج عليها في التصرف المالي .

### الإسلام يمنع الفتنة :

والشيء الذي منعه الإسلام ، هو أن تظهر المرأة بمظهر يفتنها أو يفتن الرجال بها . وهكذا مضى فضيلة الاستاذ الأكبر ، يتحدث الصحفي عن معاني الإسلام ورسالاته الخالدة . وفي النهاية شكر الصحفي لفضيلته حسن استقباله له ، وهناه بتقلده منصبه ، وقدم فضيلة الاستاذ الأكبر للصحفي مطبوعاً ، عن تاريخ الأزهر باللغة الانجليزية .

## ٢ - حديثه إلى جريدة المصرى عن أزمة الزواج

قال مندوب جريدة ( المصرى ) :

في زحمة الأعباء وجدت فضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الجديد ، فلما ألقيت إليه بأسئلتى حاول أن يعتذر وقال : إن تبعات المنصب لا تترك لى فرصة من الوقت . قلت : ولكن هذا المنصب يفرض عليك أيضاً أن تجيب فقال :

### أزمة الزواج :

ترجع أزمة الزواج إلى عوامل كثيرة :

الأول - المغالاة في المهور سبب في إعراض كثير من الفتيان عن الزواج ، لعدم استطاعتهم

القيام بهذا الواجب الذى يحتمه آباء الفتيات ، فلو كان يقتصد فى هذه الناحية ، ويقتصر على تخيير الزوج الصالح الذى يهيمه أن يبنى حياة زوجية يرمى بها إلى التعاون والقيام بتكوين أسرة نافعة ، لما صعب أمر الزواج ولما كانت أزمة .

ومن الأسباب أن كثيرين من الناس يفهمون أن نظام الزواج ليس إلا مجرد قضاء الحاجة الجنسية ، مع أن المقصود منه التناسل والتوالد الذى ينشئ رجالا يعملون فى هذه الحياة ليجنوا ثمراتها ، فإذا كان ما يرمى إليه بعض الشبان هو مجرد قضاء الحاجة الجنسية فإن ذلك يكون من أكبر الصوارف عن الزواج الذى هو نواة تكوين الأسر ، ولذلك يستتبع بعض الفتيان أن يصرح بأن الزواج فيه حجب على الحرية فى الاستمتاع الجفسى بمن يشاء من غير تحمل الواجبات التى يفرضها نظام الإسلام وتعاليمه فى الزواج .

وإذا أخذ بهذه الفكرة المخطئة الخاطئة فإن أمر الامة يصير إلى التفكك والانحلال واختلاط الانساب الشائن ، فيغشأ الناس فى همجية وفوضى أسوأ حالا من فوضى سائر الحيوان .

وبعض الفتيان إذا أراد أن يتزوج فإنه يعمل على أن يصاهر رجلا صاحب جاه أو نفوذ أو ثروة ، ولا يقصد من الزواج تلك المعانى السامية التى يبغيها الإسلام بنظام الزواج ، ومن أجل ذلك تراه لا يلبث طويلا على حياة الزوجية إذا زال جاه من صاهره أو ضاعت ثروته ، فتظهر فور ذلك مظاهر التكد والتفريط فى هذه الحياة ، وتكون النتيجة أن يطلق امرأته بزوال كل ما كان يرمى إليه من هذا الزواج . وقد يحاول بعد ذلك أن يدخل فى تجربة أخرى من هذا النوع فلا يصيب فيها خيرا مما أصابه فى التجربة الأولى ، وبذلك يغاضب شريعة الزواج ويحمل عليها ، ويرى أن الزواج مشكلة مستعصية الحل ، وأن الإنسان لا ينال منه فى أغلب الاحوال إلا الشر والتكد والعناء ، فينصرف لذلك عن الزواج ، ويكتفى بأن ينال مما تقضى به طبيعة النوع فى الإنسان ما حرم الله .

فلو أننا كنا نراعى مبادئ الإسلام وما يقصد إليه من الزواج وترفع عن تلك الاغراض النازلة الهابطة التى لا ترمى إلى فضيلة ولا عفة ولا تكوين أسرة . فلا شك أن تستقيم بذلك أمور الزواج وتكون حياة الزوجية هنيئة سعيدة مثمرة ثمرتها الصالحة .

إن الزواج لا يصرف الطالب عن درسه ، ولا العامل عن أن يعمل ، ولا التاجر عن تجارته ، وإنه يكون من المستطاع ومن اليسير على كل من يريد عفة نفسه من الوقوع في الفجور والمحافظة على كرامته وشرفه ، وعلى التمسك بمبادئ دينه أن يتزوج ، ففي الزواج عون له على القيام بواجبه الذي يكدر في الحياة من أجله ، لأن الزوجة يد تعمل معه على تيسير أسباب هذه الحياة .

### السكت الجنسي :

والسكت الجنسي له مضار كبيرة يقررها الأطباء : فهو ضار بجسم الإنسان وعقله وقلبه ، فقلبا تجد واحدا من هؤلاء الذين يضطرون إلى هذا السكت صحيح البنية سليما معافى من الأمراض المتنوعة التي هي أثر من آثار هذا السكت ، ولا شك أن الإنسان إذا ضعفت بنيته واضطرب تفكيره وضعف قلبه فإنه لا يستطيع أن يقوم بعمل نافع قوى ، فإن الضعف لا ينتج إلا ضعفا ، والمرض لا يكسب قوة ، وبذلك تضعف الأمة في كثير من نواحي الحياة وأساليبها .

وكذلك يقرر الأطباء أيضا أن السكت الجنسي يسبب الوسواس والهوس .

### الاختلاط المحرم :

ليس هناك في الإجابة عن هذا النداء الجنسي ما يبيح الاختلاط المحرم ، الزنا ، فإن مساوئ هذا الاختلاط كثيرة من ناحية الصحة ، ومن ناحية ما يصلح للمجتمع ، ومن ناحية الدين ، ولا يشك في هذا إنسان . والذي يضعف قوة هذه النزعات الجنسية هو انصراف الشخص إلى ما يزاوله من عمل انصرافا كاملا يستطيع به الوصول إلى غايته من طريق قريب ، وعدم مطاوعة النفس بالتفكير في الاختلاط الجنسي .

وعوامل تخفيف السكت كثيرة : منها انصراف الشخص إلى ما فيه من عمل دراسي أو صناعي أو تجاري انصرافا كاملا ، وعدم التطلع إلى النساء وزينات النساء مما يثير فيه المعنى الجنسي . ولقد قال رسول الله ﷺ : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ( واجبات الزوجية ) فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء .

ولا يبيح الإسلام أبداً بأى حال البغاء سواء كان رسمياً أم غير رسمي .

### الحيانات الزوجية :

قد يكون من أسباب هذه الحيانات عدم الاحتياط والتحرى في تخير أحد الزوجين للآخر بسبب أن بعض الناس لا يقصدون بالحياة الزوجية ما يقصده الإسلام - فقد يندفع الزوج بأسباب الإغراء المادية التي ترجع كما قلنا إلى الطمع في الانتفاع بجاه أو مال ، ثم لا يصل هذا الطامع إلى غايته من ذلك ، فتتسكد الحياة الزوجية وينصرف أحد الزوجين أو كلاهما إلى الاتصال غير المشروع ، وقد يكون سبب هذه الحيانات أن الزوجين كانا أو أحدهما قبل الزواج على اتصال غير شريف ، والشخص الذى ليست عنده مناعة وحصانة من الدين لا يقنع بامرأة واحدة ، بل يكون شأنه دائماً التطلع إلى نساء أخريات .

ومن أكبر أسباب هذه الحيانات الزوجية ظهور النساء للرجال الأجانب بمظاهر الفتنة ، والاختلاط بين النساء والرجال في المجمع والمنتديات والحفلات الراقصة وغير الراقصة ، والواقع الملموس يشهد بأن هذا الاختلاط من أقوى دواعى الفجور ، قال الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءهن أو أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » . فإن الاختلاط لا يتم بين الرجل والمرأة لجأة بل يتم بمقدمات .



## اختلاف الدارين في التشريع الإسلامى والقانون المصرى

- ٢ -

١١ - الفرض الثالث : وهو المتعلق باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين غير المسلمين :

ونفرد بشأنه بين صورتين :

١٢ - الصورة الاولى : صورة ما إذا كان التوارث بين غير مسلم مصرى طرفاً أولاً - وغير مسلم من دار الإسلام - طرفاً ثانياً -

وفيها يجرى التوارث بصرف النظر عما إذا كان القانون الوضعى للدولة الإسلامية التى يتبعها غير المسلم الطرف الثانى فى التوارث ، يحيز توريث الأجنبي عنها أولاً يبيحه ، وعلى هذا يرث المسيحي الإيراني من المسيحي المصرى إذا وجد سبب التوريث بينهما ، وكذلك الأمر بالنسبة لتوارث بين المسيحي الأندونيسى ، والمسيحي المصرى ، وبالجملة يقع التوارث بين غير المسلم المصرى وغير المسلم التابع لدولة إسلامية ، وهذا هو المقرر فى مذهب الحنفية ، ولم يخرج عليه قانون الميراث المصرى ، إذ لم ينص على ما يخالفه .

١٣ - والصورة الثانية : صورة التوارث بين غير المسلم المصرى . وغير المسلم التابع لبلد من دار الحرب ، وفى هذه الصورة حالتان :

أولاهما : حالة ما إذا كان التوارث بين غير مسلم مصرى ، وغير مسلم فى بلد من دار الحرب لا تمنع شريعته الوضعية من توريث الأجنبي عنها ، وهو فى هذه الصورة المصرى غير المسلم من يموتون من رعاياها ، فهنا يحصل التوارث ، ولا يعد اختلاف الدار مانعاً من التوارث .

١٤ - وقد استقى القانون حكم هذه الحالة من المذهب المالكي والمذهب الحنبلى ، أما المذهب الحنفى - الذى لم يؤخذ به فى هذه الصورة - فقد كان يقول بأنه لا توارث

بين أهل دار الحرب إذا اختلفت الدول التي يتبعون إليها ، بالمنفعة والسلطان ، ولم يكن بين دولة المورث ودولة الوارث تعاون وتناصر على أعدائهما ، وترتيباً على ذلك إذا وجد مستأمنان في بلاد الإسلام : أحدهما ياباني ، والآخر صيني ، ومات أحدهما وكان بالآخر سبب للإرث منه ، فإنه لا يقع التوارث بينهما في حالتين : الأولى حال ما إذا كانت حرب فعلية بين الصين واليابان ، والثانية حال ما إذا لم تكن حرب بالفعل دائرة رحاها بين الدولتين ، ولكن ليس يقوم بينهما تناصر وتعاون على أعدائهما ، ويستند هذا المذهب في تقرير ذلك إلى أن الموالاة والمناصرة هي سند الوراثة ، فإذا انتفت امتنع الميراث ، لأن مال الشخص لا يعطى لأعدائه أو أعداء قومه<sup>(١)</sup> . بيد أن القانون المصري كما سلف لم يأخذ بهذا المذهب وتبنى مذهب المالكية والحنابلة ؛ لأنه يحقق التسوية بين المسلمين وغيرهم في حالة اختلاف الدار في مجال التوريث<sup>(٢)</sup> . وهنا نجد المشرع قد استند في تقريره لحكم هذه الصورة إلى أساس ( المعاملة بالمثل ) وهو أساس معروف بين الدول المتمدينة تأخذ به في صدد تنظيم علاقات أبنائها بأبناء غيرها في مجال القانون الدولي .

١٥ — وثانيتها : حالة ما إذا كان التوارث بين غير مسلم مصري ، وغير مسلم من بلد من دار الحرب تمنع شريعته الوضعية توريث الأجنبي عنها عن يموتون من رعاياها ، وهذه الحالة هي الحالة التي يعتبر اختلاف الدار فيها مانعاً من الإرث ، وقد استقى القانون حكمها من المذهب الحنفي الذي يعد اختلاف الدارين مانعاً من الميراث في جميع الحالات<sup>١</sup> . والظاهر أن اختلاف الدار المانع من الإرث في هذه الحال ، المعتبر فيه هو الاختلاف الحكي ، أي اختلاف الجنسية ، أو الرعوية . وليس مجرد الاختلاف في الإقامة لأنه لا عبرة باتحاد الإقامة ، ما دام ثمة اختلاف في الرعوية<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : الأستاذ أحمد إبراهيم ( بك ) في « المواثيق علما وعملا » سنة ١٩٤٢ - ص ٨٨

(٢) انظر للمذكرة الإيضاحية لقانون الميراث المصري في « مجموعة القوانين : الوقف والوصية والميراث » جمع وترتيب محمد الغريب . الطبعة الثانية - ص ١٤٥ - هذا وقد ورد نص م ٦ من قانون للميراث خاصاً بمناهي اختلاف الدين والدارين ، وتقول المادة في فقرتها الثانية ( ويتوارث غير المسلمين بعضهم من بعض ، واختلاف الدارين لا يمنع من الارث بين المسلمين ، ولا يمنع بين غير المسلمين إلا إذا كانت شريعة الدار الأجنبية تمنع من توريث الأجنبي عنها ) .

(٣) انظر الشيخ محمد أبو زهرة في « أحكام التركات والمواثيق » - ص ١١٥ .

١٦ — وهنا يمكن التعرض لصورة غير المسلم الحربى الذى أتى إلى مصر بقصد التجارة أو الزيارة مثلاً، ونقصد به «المستأمن» ، إذ مات فى مصر وله ورثة فى بلده التى هى فى دار الحرب، نقول : إن المذهب الحنفى، يرى فى هذه الحالة وجوب وقف مال «المستأمن» ، إذ مات فى دار الإسلام - ومنها القطر المصرى - لورثته الذين فى دار الحرب <sup>(١)</sup> ، والتكليف القانونى لذلك ، هو أن حكم الأمان يبقى فى مال المستأمن حتى بعد وفاته ؛ لأنه متعلق بحقه الذى اكتسبه من عقد الأمان ، وهذا الأخير يرتب للمستأمن جملة حقوق يعتبر واحداً منها وجوب إيصال مال المستأمن لورثته إذا أتته المنية فى دار الإسلام <sup>(٢)</sup>

١٧ — ويمكن الأخذ بهذا الحكم الخاص بميراث المستأمن فى ظل قانون الميراث إذ أنه يترتب على القول بأن عقد الأمان الذى يقدّمه المسلمون مع المستأمن فى دار الإسلام ، يترتب عليه التزام المسلمين إيصال ماله بعد وفاته لورثته الذين فى دار الحرب ، وهذا الالتزام ينشأ من احترام الحرمة التى لهذا العقد ولسائر العقود فى الشريعة الغراء ، ولا ينشأ من احترام ملكية المقيمين بدار الحرب .

نقول إنه يترتب على هذا القول عدم تعليق حق الخزانة العامة أى بيت المال باعتبارها مستودع الضوائع التى لا يعرف لها مالك ، بمال المستأمن المتوفى فى دار الإسلام والخلف ورثة فى دار الحرب ؛ إذ يتبين من التكليف السابق ، أن مال المستأمن ليس مالا ضائعاً لسبيين . أُولها : أن له ماله فى دار الحرب .

وثانيهما : أنه مال محترم تولد احترامه من عقد الأمان نفسه ، وهذا هو السبب أيضاً فى أن المستأمن إذا أوصى بكل أمواله لشخص فى دار الإسلام ، استحق هذا الشخص هذه الأموال بصرف النظر عن حقوق الورثة ؛ إذ أن إرادته المنفردة فى مصير أمواله ، هى المعتمدة عند المسلمين الذين عقدوا معه عقداً الأمان ؛ ذلك العقد الذى ترتب عليه وجوب صيانة أمواله <sup>(٣)</sup> .

[١] قبدت المادة ٥٨٨ من كتاب [الأحوال الشخصية] وقف مال «المستأمن» فى دار الحرب لورثته الذين فى دار الحرب باتحاد دارها ، ولستنا نفهم من ذلك إلا أن يخرج عن حكم هذه المادة صورة ما إذا كان ورثة المستأمن ليسوا فى دار الحرب بل فى دار الإسلام ، لأن المعروف أن ما خرج عن مجال هذه الدار الأخيرة هو دار حرب ، ودار الحرب هى دار المستأمن الأصلية لأنه من أهلها ، ومقامه مؤقت فى دار الإسلام ، فلا مبرر لشرط اتحاد الدارين بين المستأمن وورثته إلا خروج الصورة التى أسلفناها .

[٢] انظر : عبد الله مصطفى المراغى فى السالف — ص ١٠٥ .

[٣] انظر : محمد أبو زهرة فى السالف — ص ٩١ .

١٨ — ولسنا نستند في الأخذ بهذا الحكم ، إلى التكييف الشرعى والقانونى السالف حسب ، وإنما نعتد كذلك على نص فى القانون المدنى المصرى <sup>(١)</sup> ، مقتضاه أن « يسرى على الميراث والوصية وسائر التصرفات المضافة إلى ما بعد الموت ، قانون المورث أو الموصى أو من صدر منه التصرف وقت موته . ، فالأموال التى تكون ميراث المستأمن — فضلاً عن احترامها بموجب عقد الأمان والتزام إيصالها لورثته — تخضع كذلك لقانون المورث الذى هو هنا المستأمن ، أى قانون البلد الذى يتبع إليه هذا الشخص فى دار الحرب ، ويدخل فى ذلك تعيين هذا القانون لورثته ، ففى كان له ورثة فى دار الحرب أو بالأحرى فى البلد الذى يطبق فيه هذا القانون بحسب التمييز والتحديد الوارد فيه ، صارت مهمة الحق الذى خول لهذا الشخص بمقتضى عقد الأمان أن توصل أمواله إليهم !

\* \* \*

١٩ — بقيت مسألة أخيرة فى هذا المجال ، خاصة بحق الخزانة العامة <sup>(٢)</sup> - وهى بيت مال المسلمين - باعتبارها مستودع الضوائع التى لا يعرف لها مالك ، فيما يتعلق باختلاف الدارين ، ولنفهم ذلك يمكن التعرض لهذه المسألة فى حالتين :

٢٠ — الحالة الأولى : حالة ما إذا مات شخص فى مصر وهى بلد من دار الإسلام

وله تركه ، وليس له ورثة مطلقاً : وفى هذه الحالة نجد فرضين :

٢١ — الأول : أن يكون هذا الشخص مسلماً مصرياً ، وهنا بصريح نص القانون <sup>(٣)</sup> .

يؤول ماله إلى الخزانة العامة .

٢٢ — والثانى : أن يكون هذا الشخص ذمياً مصرياً .أوله جنسية إحدى الدول

الإسلامية فى دار الإسلام ، وهنا أيضاً تستحق الخزانة العامة تركته التى خلفها ، وينطبق هذا كذلك على الفرض الذى يكون فيه الذمى أحد رعايا دولة إسلامية غير مصر فى دار

[١] هو نص الفقرة الأولى من المادة ١٧ من القانون المدنى الجديد الصادر به القانون

رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ .

[٢] وزارة المالية ،

[٣] انظر : الفقرة الأخيرة من م ، من قانون الميراث ، ونصها : « فإذا لم يوجد أحد من

هؤلاء ، آلت التركة أو ما بقى منها إلى الخزانة العامة » .

الإسلام ، فحينئذ تكون الخزانة العامة لحكومة تلك الدولة هي التي يؤول إليها مال هذا الشخص بعد وفاته من غير وارث .

٢٣ - والحكم في هذه الحالة مأخوذ من المذهب الحنفي ، الذي يقسم بيت المال إلى أقسام ، من بينها قسم خاص بأموال الضوائع ، وأساس استحقاق الخزانة العامة لمال من لا وارث له في هذا المذهب ، لا يستند إلى أنها وارثة للمتوفى ، مسلماً كان ، أم ذمياً ، وإنما يستند إلى اعتبارها موئل الضوائع التي ليس لها مالك ، وهذا مفهوم في فرض المتوفى المسلم الذي لا وارث له ، أما في فرض المتوفى الذمي ، فيتضح هذا الأساس من القول : بأن الخزانة العامة هي بيت مال جماعة المسلمين ، ولو قررنا حكم استحقاقها على أساس أنها وارثة للمتوفى الذمي ، اظهر التناقض في أحكام التشريع الإسلامي في شأن الميراث ؛ لأن هذا التشريع قد أجمع فيه على أن اتحاد الدين شرط للورثة بين المورث والوارث ، وأن اختلافه مانع من موانعها ، ومن أجل هذا لا يكون صحيحاً تكليف استحقاق الخزانة على أنها وارثة للذمي لأن هذا الأخير غير مسلم ؛ ولأنها تمثل جماعة المسلمين ، ولا توارث بين مسلمين وغير مسلمين .<sup>(١)</sup>

٢٤ - ويؤيد هذا التكليف ، أن الخزانة العامة إذا وضعت يدها على تركه المتوفى فهي إنما تستولى على مال ضائع ، فإذا ادعى شخص بعد ذلك ملكيته لهذا المال وأحقيقته له بأن أقام الدليل على أنه الوارث لهذا المال دون سواه ، انتفت عن المال صفة الضوائع ، ووجب على الخزانة العامة أن تسلمه لهذا الشخص ، لأنه مالكه ؛ ولأنها ليست ذات أحقية في الاستيلاء عليه ، ومثل الخزانة في ذلك مثل الشخص الذي يحدد شيئاً ضائعاً فيعرف عنه ، ثم يجد من يدعى ملكيته له ويقيم الامارات المثبتة لهذه الملكية ، فعندئذ يصير واجباً على الملتقط أن يسلم إليه ماله الذي فقده .<sup>(٢)</sup>

٢٥ - وهذا التكليف أخذه القضاء المصري بالفعل<sup>(٣)</sup> ، وأوجب الأخذ به في القانون المصري بعض الفقهاء المحدثين<sup>(٤)</sup> ، ويشارك المذهب الحنفي في القول به ، المذهب

[١] انظر : الأستاذ محمد زيد الأبياني في «شرح الأحكام الشرعية ، في الاحوال الشخصية» ٣ ص ٢٦٠ .

[٢] انظر : محمد أبو ذهرة في السالف - ص ٩٠ :

[٣] انظر : « مجموعة القواعد القانونية » لمحمود عمر س ١ ص ١٠٨ حكم محكمة النقض المصرية في ٢٦ مايو سنة ١٩٣٢ - وانظر : مجلة التشريع والقضاء س ٥٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٥ استئناف مختلط ٣٠ ابريل سنة ١٩٤٠ .

[٤] انظر : دكتور عز الدين عبد الله في « القانون الدولي الخاص المصري » ج ٢ في « تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدوليين » سنة ١٩٥٣ - ص ٢٧١ .

الحنبل وبعض المالكية كذلك ، وخالفه بعض الشافعية ، الذين اعتبروا الأساس في استحقاق الخزانة العامة للتركات الضوائع ، هى أنها وارثة من لا وارث له ، إذ أنها تمثل جماعة المسلمين وهؤلاء يستحقون الأموال التى يخلفها من يموت دون وارث ، كما أنهم يعقلون عن جناية من لا عاقلة له ، فالترامهم هذا العقل الذى يوجب كونه الموقوف عنه لا عاقلة له ، يقابله حقهم فى أن يرثوا مال من لا وارث له <sup>(١)</sup> .

٢٦ — غير أنه يلاحظ أن قيمة هذا الخلاف فى تكييف استحقاق الخزانة العامة ضئيلة الشأن من الناحية العملية ، ما دام أن النتيجة العملية لكل من المذهبين واحدة ؛ إذ تتمثل فى استحقاق بيت المال لمال المتوفى من غير وارث ، وتقتصر قيمته على الناحية النظرية ، وهى مهمة فى هذا المجال من حيث التناقض الذى يظهر من رأى القائل باعتبار بيت المال وارثاً ، مع أن شرط الميراث اتحاد الدين ، ولا اتحاد فى الدين بين المورث إذا كان ذمياً ، وبين جماعة المسلمين ، وهم من يمثلهم بيت المال <sup>(٢)</sup> .

٢٧ — على أننا نستطيع أن نؤكد أن القانون المصرى فى عموميه ، قد تبنى تكييف المذهب الحنفى القائل باستحقاق الخزانة العامة لتركه من لا وارث له ، لا على اعتبار أن هذا حق من حقوق الإرث مخول لها ، بل على اعتبار أنها مستودع الضوائع ، والدليل على ذلك نص ورد فى قانون المرافعات المدنية والتجارية المصرية <sup>(٣)</sup> ، إذ جاء فيه <sup>(٤)</sup> أن :

« على الوصى أن يثبت حالة التركة بمحضر جرد ، ولا يمكنه أن يبيع المنقولات إلا بالأوضاع المبينة فى هذا القانون لبيع الأشياء المحجوز عليها .

[١] هذا فضلاً عن أن السنة جاء فيها : [أنا وارث من لا وارث له] انظر : شرح المراجعة للسيد الشريف ص ١٧ وانظر : أحمد ابراهيم فى بحث له بمجلة القانون والاقتصاد ص ٤ ص ٥١ .

(٢) أخذت بعض التشريعات الأجنبية كالتشريع المدنى الألمانى [ فى م ١٩٣٦ ] والتشريع المدنى السويسرى [ فى م ٤٦٦ ] بفكرة اعتبار الدولة وارثة لمن يموت خلفاً تركه لا وارث لها ، انظر فى ذلك وفيما يؤدى إليه تكييف حق الدولة فى تركه من لا وارث له على أنه من حقوق الارث ؛ دكتور محمد عبد المنعم رياض فى السالف ص ٤٦٦ — أما التشريعات التى لم تنص صراحة على تكييف حق الدولة فى أخذ تركه من لا وارث له كالتشريع الفرنسى ، فقها تعددت الآراء وتباينت ، انظر فى ذلك ؛ دكتور حامد سلطان فى تطبيق أحكام الموارث — مجلة الحقوق سنة ١٩٤٣ ص ١٣٤ .

(٣) الصادر به القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٩ .

(٤) الفقرات الأخيرة من المادة ٩١٨ من القانون السالف الذكر .

وإذا عين غير مصلحة الاملاك وصياً على التركة وجب عليه أن يبلغ تلك المصلحة خبر تعيينه في عشرة أيام ، وعلى المصلحة المذكورة أن تبشر في بلد المتوفى الاصلى التحريات اللازمة لمعرفة ما إذا كان هناك ورثة .

فإذا لم يظهر أى وارث في خلال سنة من تاريخ التبليغ المشار إليه في الفقرة السابقة ، وجب على الوصى أن يسلم التركة باعتبارها تركة بلا وارث إلى مصلحة الاملاك . .

٢٨ — الحالة الثانية : حالة ما إذا مات شخص غير مسلم في مصر ( أو في دار الإسلام ) ،

وكان هذا الشخص قد استؤمن بأمان المسلمين ، أى صار أجنبياً مستأمناً ، وكان له تركة لم يخلف لها وارثاً :

هنا في هذه الحالة ، يجب إعمال القاعدة العامة وتطبيقها ، وعلى ذلك نجد أن تركته تؤول إلى بيت المال كذلك باعتباره خزانة المال الذى لا مالك له .

٢٩ — غير أن البحث يثور فيما يتعلق بالقانون الواجب الاخذ به فيمن يعتبر وارثاً لهذا المستأمن ، أهو قانون دولته التى ينتمى إليها ومنها أتى ( وهى من دار الحرب ) أم هو قانون الدولة الإسلامية ( مصر ) التى توفى فيها ، أى قانون افتتاح التركة ١٩

٣٠ — ونرى في هذا المجال أن القانون المعتبر في هذه الحال ، هو قانون الدولة الاجنبية التى يتبعها المستأمن ، وذلك تفريعاً على القول بأن مال المستأمن يوقف حال موته في مصر أو في البلد من دار الإسلام ويسلم لورثته في بلاده ؛ لأن ذلك ما يوجبه عقد الاستئمان ، وعلى ذلك إذا اعتبر شخص بحسب قوانين الدولة الاجنبية وارثاً للمستأمن ، كان له ماله الذى توصله إليه الدولة الإسلامية التى توفى فيها هذا الأخير ، وكذلك إذا لم يوجد من يعتبر بحسب قوانين تلك الدولة الاجنبية وارثاً له ، صار مال المستأمن مالا ضائعاً لا مالك له تأخذه الخزنة العامة للدولة المصرية التى أسلم روحه فيها ، إذ لم يكن قانون دولته ينص على مآل تركه رعاياها الذين يموتون من غير وارث في خارجها ، فإذا كان هذا القانون يعتبر خزانة دولته هى الوارثة في هذه الحالة ، كان المعتبر هو حكم القانون الاجنبى ، وذلك تطبيقاً لنص الفقرة الاولى من المادة السابعة عشرة من القانون المدنى المصرى الذى يقرر أنه :

« يسرى على الميراث والوصية وسائر التصرفات المضافة إلى ما بعد الموت ، قانون المورث أو الموصى أو من صدر منه التصرف وقت موته » .

# مِينَاءُ الْعُقْبَةِ

لقد كثر تردد ذكر العقبة ، منذ قام الملك على مقام والده في جدة ، واستمرت حوادثها وأسباب ذكرها حتى أيامنا هذه . والقلائل من القراء من يعرفون ما فيها وموقعها ومستقبلها وخطرها ، فأحببت أن أكتب هذه الكلمة للذكرى والبيان ، مشفوعة بكلمة عن تاريخها . في رأس البحر الأحمر ( وهو بحر القلزم ) خليجان يكونان من البحر كأذني الأرنب ، يعرف الشرقي منهما قديماً باسم ( خليج أيلة ) ويسمى ( خليج العقبة ) في القرون الأخيرة . وفي سنة ١٣٤٠ هـ ( ١٩٢١ م ) زرت العقبة لأن أخى رحمه الله كان موظفاً فيها ، وأقمت في ربوعها أربعين يوماً ، فعرفت موقعها ، وتبعت حوادثها قديماً وحديثاً . إن رأس الخليج في الشمال قليل العرض بحيث لا يزيد عن كيلو متر ، وعلى مسافة نحو بضعة كيلو مترات من زاويته الشمالية الغربية إلى الجنوب يقع رأس مراخ الذي يكون ميناءً طبيعياً هادئاً فيصبح في نهايته كأنه بركة ماء كبيرة .

وفي الشمال الغربي من رأس الخليج تقع خرائب أيلة ، وفي الشمال الشرقي تقع بلدة العقبة ، ويقع ما بينهما وادى العرابة ، وهو يتصل بالغور والبحر الميت الذي تسكمت عن كنوزه في جزء سابق لهذه المجلة . وتقع أيلة ( أيلات ) اليوم ضمن الثقب وحدود إسرائيل ، وتقع العقبة ضمن المملكة الأردنية ، وما بينهما في قم وادى العرابة تنزل القوات البريطانية ، وعلى بعد كيلو مترات من أيلة تقع طابة وهي الحد المصري ، وعلى مسافة مرحلة يقع الحد السعودي ويبدأ ببلدة ضبا ، ففي هذه المساحة الضيقة حول رأس الخليج تقع أربع دول ، وتربط خمسة جيوش ؛ ووراءها أربعة أقطار : الحجاز ، والأردن ، وفلسطين ، ومصر . ومن موانئها يمكن الاتصال بسائر موانئ البحر الأحمر ، ومنه يمكن الخروج إلى البحر الأبيض شمالاً وإلى باب المندب والبحر العربي والمحيط الهندي جنوباً .

إن اليهود يطمعون في إنشاء ميناء على خليج العقبة لتصدير المعادن والأملاح بل الكنوز التي يستخرجونها من البحر الميت والثقب ، ولاستيراد خيرات الشرقيين الأقصى والوسط . ويطمع الانكليز في التركز بها إذا انسحبوا من فايد ليتخذوها مركزاً حريياً وتجارياً ،



يتصلون منه بالشرق الأدنى شمالاً ، وبالشرقين الأوسط والاقصى جنوباً وشرقاً ، ويطمعون في موقعها الاستراتيجي الخطير الذي يمكن السيطرة منه على سيناء وفلسطين والأردن والمملكة السعودية ، ويمكن أن يرسو أسطول فيه فيهدد جميع سواحل البحر الأحمر .

\* \* \*

وأهمية العقبة معروفة لمملكة الأردن والمملكة العربية السعودية ، وكادت تقع الحرب بينهما بسببها عقب انتهاء الحرب الحجازية النجدية سنة ( ١٣٤٣ هـ ، ١٩٢٤ م ) إلا أن الأمر توقف بهدنة مدتها سبع سنين ، ثم استطاعت الأردن أن تقنع المملكة السعودية بترك الحال على ما هي عليه . فلما ضاعت سواحل فلسطين وأصبحت الأردن تلاقى صعوبات في نقل البضائع من ميناء بيروت عادت تفكر في ميناء العقبة ، وبهذا أصبحت موضع اهتمام الأردن أيضاً ، وشعرت مصر وشعرت المملكة السعودية بأن وجود ميناء معاد لهما في نهاية الخليج خطر على البلاد وسواحلها فاستيقظوا ، وبهذا تحول الاهتمام إلى خليج العقبة ، ويزداد هذا الاهتمام فيما بعد متى خرج الانكليز من فايد واحتاج اليهود إلى تضدير معادن وأملاح وكنوز البحر الميت والنقب ، فيشتد الضغط على الأردن وتضطرم مصر والمملكة السعودية باليهودية المعادية وبالانكليز ، وتصبح العقبة ( تريسته العرب ) .

إن ميناء العقبة بموقعها الاستراتيجي واتصالاتها بالشمال والجنوب تنبئ بمستقبل عظيم ، وفي نفس الوقت تنذر بشر مستطير يتصل اتصالاً وثيقاً بالشور التي تنجم عن كنوز البحر الميت والنقب ، وعلى الأمم العربية أن تستعد لهذه المواقف من الآن .

## تاريخ العقبة وقلعتها

لا نعرف اسم « العقبة » إلا في القرون الأخيرة ، إذ كانت الشهرة في العهد الأول لآلة التي تقع تجاهها في أول النقب ، وهي القرية التي كان أهلها يعدون في السبت ، ويتوارث اليهود أنهم قد مسحوا قردة وخنازير ، وهي في العبرانية ( أيلات ) . وكانت تتصل بغزة وفلسطين وبمصر والشام والعراق والحجاز . ولم يرد لها ذكر في الفتوح الإسلامية إلا مرة واحدة حينما وفد صاحبها على الرسول ﷺ في تبوك ، وقد دفع الجزية وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم عهداً كما ذكر الشهاب القسطلاني .

وفي الحرب الصليبية استولى عليها صاحب السكرك المعروف عند العرب بالبرنس رينود

أورنيال (ريجنيلد عند الافرنج) وأنشأ فيها أسطولا هاجم به سواحل عيذاب، وهاجم قوافل السفن التي تقل الحجاج، وقد هاجم الحجاز وبلغ جيشه نقطة تبعد يومين عن المدينة المنورة، فرده أشراف ينبع بقيادة الشريف قتادة، وأسره الشريف وقتلهم جميعاً، فكان هذا سبباً لتولى الشريف قتادة وبنيه إمارة مكة، وهم أشراف الطبقة الرابعة من حكام مكة.

ثم أنشأت الحكومة المصرية أسطولا فقصت به على الأسطول الصليبي، وأنشأت بلدة العقبة تجاه عقبة طريق معان، وأصبحت إحدى منازل الحج الساحلية، وقد بنيت فيها قلعة في عهد قنصوه الغوري آخر ملوك المماليك الشراكسة كما قرأت على باب قلعتها من الداخل. وبقيت العقبة ذات شأن بمرور الركبين الشامي (ومركزه نابلس) والمصري (ومركزه غزة) وكان أمراء الركبين من المماليك الفقاريين آل فروخ في نابلس وآل رضوان في غزة، فكانا يلتقيان في السكرك ومنها يسيران إلى العقبة. ولما انقرض الفقاريون وأصبح آل العظم ولاية دمشق أمراء للركب الشامي أصبح الركب يسير من الداخل فيأتي إلى معان حيث يلتقي بالركب الشامي ويسيران معا إلى العلا فالمدينة المنورة، وبذلك أهمل شأن العقبة، وظلت كذلك إلى أن احتل الانكليز مصر، وثار اليمن وعسير سنة ١٩٠٥ وأصبحت الدولة العثمانية مضطرة إلى سوق الجيوش إلى اليمن فاتخذت دمشق مركزاً داخليا لحركات الجيش، والعقبة ميناء بحرياً لذلك.

وفي السنة التالية أي سنة ١٩٠٦ حاول الانكليز الاستيلاء على العقبة باسم تصحيح الحدود، فحشد السلطان عبد الحميد فيها أربعين طابوراً، وقد هيأ له معتمده في مصر أحمد مختار باشا الخرائط اللازمة، فتظاهر بمحاولة الهجوم على مصر، فقنع الانكليز بالحد الحاضر وهو (طابة) في الجهة الغربية على الخليج، وهي ترى من العقبة، وظلت العقبة مركزاً لسوق الجيوش العثمانية إلى موانئ الحجاز واليمن.

ولما وقعت حرب طرابلس الغرب سنة ١٩١١ م ضرب الأسطول الإيطالي القلعة فدمرها، فلم يبق منها سوى الباب وبعض السور والأبراج. ولما وصل الخط الحجازي إلى المدينة المنورة أهملت العقبة، إلا أنها عادت واستردت مكانتها السابقة بعد أن اتخذها الأمير (الملك) فيصل والخلفاء مركزاً لقيادة الجيش الشمالي في الحرب العالمية الأولى وأنشئ فيها ميناء ومدامر، وأصبحت تعج بالجيوش والمتطوعين والبدو والذخائر.

ثم أملت العقبة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وأصبحت كالمعلقة بين الحجاز والشام : فالمداخِر لفِصَل ، والإدارة لوالده ، وقد ذاق أخى الشيخ <sup>(١)</sup> أحمد نجيب النمر بوصفه ( مدير المدخر ) مشقات إلى حد المخاطرة بنفسه للمحافظة على المدخر من شيوخ البدو والإشراف الطامعين فيه ، إلى أن بلغ الأمر جلالة الحسين بن علي فأرسل باخرتين شحنتا ما فيه من سلاح وعتاد وذخائر وكافاً أخى ورقاه .

وقد عنى الملك حسين بالعقبة عناية كبيرة لجعلها قائممقامية ( أى بدرجة مركز ، فى الإدارة المصرية ) وعين فيها رؤساء دوائر المالية والبرق والبريد والجمرک ولها قاض شرعى وقيادة درك وقيادة شرطة وجنود شرطة ودرك وهجانة ولاسلكى للمخابرة ، ونقل إليها عدداً من المسکين وغيرهم لينمى سكانها ، وهم خليط من الصعايدة والمعانيين وغيرهم . وكان ينفق على إدارتها ثمانية آلاف جنيه ذهباً ، وقد رفع له أخى تقريراً بالاكتفاء لإدارتها باثنين من الموظفين وأن تكون نفقاتها نحو ألف جنيه فلم يقبل . وقد لجأ إليها الملك حسين بعد تنازله لابنه على عن الملك ومنها تسلمته المدمرة الانكليزية التى نقلته إلى قبرص . والملك على بن الحسين هو الذى تنازل عن معان إلى الأردن لما كان فى جدة ، وقد أقيمت مؤقتاً لسبع سنين فى حوزة الأردن بموافقة السعوديين كما أشرت إلى ذلك آنفاً ، ثم بقيت كلياً على ما هى عليه . وبعد هذا يبضع سنين جرفت السيول نصفها فهاجر أهلها إلى معان وعُمان وغيرهما . وبعد كارثة فلسطين نزح إليها كثير من اللاجئين ، منهم بحارة من ثغر يافا ، ورابطت فيها قوات انكليزية وأردنية للحيولة دون تقدم اليهود ، وأصبحت الأردن تعمل لإصلاحها وإنشاء ميناء فيها للشحن والتفريغ ، وقد عنيت بها فرفعتها مؤخراً من ( ناحية ) إلى ( قائممقامية ) ، إلا أن سير العمل بطيء جداً رغم زيارات وزراء المواصلات المتكررة . والمأمول بل الواجب أن تعمل الأردن ومصر والمملكة السعودية لعمران رأس الخليج فتحول دون تحصن غير العرب فيه ولا مجال للتريث ؟

( نابلس )

أهسانه النمر

[ ١ ] كانت حكومة الحجاز تلقب جميع موظفيها بالشيخ .

# النَّارُ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ

## غرض البحث :

موضوع هذا البحث هو النار في نظر الشريعة الإسلامية، ونريد منه أن نعرف ما كان عليه النار قبل الإسلام، وما صار إليه بعد مجيء ذلك الدين الحنيف، ولمن يكون اختصاص النار في الإسلام؛ أيكون للأفراد أم للدول والحكومات؟

ولعل من الاستئناس بمجوّ هذا البحث، أن نتعرف إلى الالفاظ المستعملة في هذا المقام، سواء أكان الاستعمال لغوياً، أم عرفياً، أم إسلامياً، فقد يكون في تحديد التعبير عون على سلامة التفكير واستقامة التصوير.

هناك ألفاظ ثلاثة تستعمل غالباً في هذا المجال، هي: النار، والقتل، والقصاص؛ فلتتعرّف إلى معانيها الأصلية والاستعمالية في اختصار وإيجاز.

## كلمة النار :

النار ويسمى الذّحل أيضاً<sup>(١)</sup> هو كما جاء في لسان العرب<sup>(٢)</sup> والقاموس المحيط وغيرهما: الدم، أو الطلب بالدم، وقيل النار قاتل حميمك، والنار هو الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك نأره؛ وتقول يا ثارات فلان، أى يا قتلة فلان؛ ومنه قولهم قديماً: يا ثارات عثمان، أى يا أهل ثاراته، ويا أيها المطالبون بدمه؛ وقال الجوهري<sup>(٣)</sup>: يقال: يا ثارات فلان، أى يا قتلة فلان؛ فعلى الأول يكون قد نادى طالبى النار ليعينوه على استيفائه وأخذه، وعلى التقدير الثانى يكون قد نادى القتلة تعريفاً لهم وتقريعاً، وتفظيهاً للأمر عليهم، حتى يجمع لهم عند الأخذ بالنار بين القتل وبين تعريف الجرم وتسميته، وقرع أسماعهم به ليصدع قلوبهم فيكون أنكى فيهم، وأشنى للنفس.

[١] في القاموس المحيط: «الذّحل النار، أو طلب مكافأةً بجنابة جتيت عليك، أو عداوة أتيت إليك، أو هو العداوة والحقد، جمعه أذحال وذحول.

[٢] انظر ج ٥ ص ١٦٥

[٣] النهاية لابن الأثير ج ١ ص ١٢٤.

وقال الرعمشري في أساس البلاغة : د وُجِعَ الثَّارُ الذي هو معنى فليل : يا لثارات الحسين ، أريد : تعالين يا ثارانه ، أى يا ذلوله ، فهو أوان طلبكن ؛ قال حسان :

لأى لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا حتى المات ، وما سميت حسانا  
لتسمعن وشيكا فى دياركم : الله أكبر ، يا ثارات عثمان ١ (١)

وقال الأصهبانى فى ( مفردات القرآن ) : د وثارَت الحَصبة ثوراً تشبيهاً بانتشار الغبار ، وثور شراً كذلك ، وثار ثائرُه كناية عن انتشار غضبه ، وثاروره واثبه ، والثور البقر الذى يثار به الأرض .. (٢) ، .

ونلاحظ فى الاستعمالات الغالبة للمادة د الثَّار ، أنها تذكر بمعانى اللقد والعداوة ، وطلب الدم وإسائه ، وتحريك الغير للاشتراك فى الثوران للاشتفاء والاستيفاء ، وانتشار الغضب كما ينتشر الغبار بلا ضابط ، أو كما يقبل الثور الأرض ظهراً لبطن .

وكل هذه المعانى المستفادة من المادة ، تدل على الاندفاع والإسراع فى الشر ؛ ولذلك كانت المادة شعار العرب فى الجاهلية ، حين كانوا يشنون الغارات الشعواء فيمتفنون : بالثارات كلمة القتل :

والكلمة الثانية د القتل ، لأنها كما تطلق على القتل الأول الابتدائى ، تطلق على القتل الثانى الذى يكون عقاباً للأول ، ومن هنا قال العرب : د القتل أنفى للقتل ، .

وأصل القتل - كما يقول الأصهبانى فى مفرداته (٣) - هو إزالة الروح عن الجسد كالموت ، لكن إذا اعتبر بفعل المتولى لذلك ، يقال قَتَلَ ، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال مَات .

وفى لسان العرب (٤) - باختصار - : قتله إذا أماته بضرب ، أو حجر ، أو سم ، أو علة ؛ ومن معانى القتل اللعن والطرء من الرحمة ، كقوله تعالى : د قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وقوله د قتل الإنسان ما أكفره . وفى الحديث : قاتل الله اليهود ، أى قتلهم ، وقيل لعنهم ، وقيل عاداهم .

ونحن نرى المادة فى أصلها تدل على إزهاق الروح ، وإن استعملت فى الدلالة على عقاب جريمة القتل ، فإنما تستعمل على سبيل المشاكلة المعروفة فى علم البديع ، وكذلك تدل المادة على اللعن والطرء والإبعاد .

[١] أساس البلاغة ص ٨٨ طبعة دار الكتب . [٢] أساس البلاغة ص ٨٢ .

[٣] المفردات ص ٤٠١ . [٤] اللسان ج ١٤ ص ٦٤ .

كلمة القصاص :

والكلمة الثالثة هي القصاص ، <sup>(١)</sup> ومعناها الأصلية المساواة <sup>(٢)</sup> ؛ والقصاص بمعنى عقوبة الجاني بمثل ما جنى يتضمن هذه المساواة ، لأن الإنسان يفعل مثل ما فعل القاتل .  
وفي اللسان أن القصاص هو القود ، وهو القتل بالقتل ، أو الجرح بالجرح ، والنقص يفيد معنى التناصف في القصاص <sup>(٣)</sup> ...

وسمى « المقص » مقداً لتعادل جانبيه ، وسميت « القصة » قصة لأن الحكاية تساوى المحكى ؛ ومن هذا نرى أن المعنى الأصلي لكلمة « القصاص » هو المساواة والتعادل ؛ ولذلك كانت هذه الكلمة أنسب الكلمات للاستعمال في موضوعنا ؛ فلا يحسن أن نقول « النار » لأن النار يذكر بالدم والعداوة والاحقاد والإسراف ، ولا يحسن أن نقول « القتل » ، لأنه أيضاً يذكر بإزهاق الروح والطرد واللعن ؛ بل نقول « القصاص » ، لأنه عدل ومساواة وإنصاف ...

ويلوح أن هذا هو السبب في أن القرآن الكريم - دستور الإسلام وكتاب العربية الأقدس - لم يذكر كلمة « النار » ، في آية من آياته ، لا في موطن القصاص ، ولا في غيره ؛ وكذلك لم يرتض القرآن المجيد استعمال كلمة « القتل » ، في الدلالة على عقوبة القاتل المتعمد ، وإن جاز ذلك على وجه في العربية كما سبق ؛ وإنما استعمل القرآن كلمة « القصاص » ، العادلة المنصفة ، فكأنه ينفر من البغي والظفیان في هذا المجال ، وينفر من ذلك حتى في التعبير ،

---

(١) ومرادفه : القود ، وفي القاموس : القود القصاص ، وأقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

(٢) في مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي : « والقصاص والمعاوضة والمقاصة والمبادلة نظائر ، يقال قص أثره أي تلاه شيئاً بعد شيء ، ومنه القصاص ، لأنه يتلو أصل الجناية ويتبعه ، وقيل : هو أن يفعل بالثاني ما فعله هو بالأول مع مراعاة المماثلة ، ومنه أخذ القصص ، كأنه يتبع آثارهم شيئاً بعد شيء » ج ١ ص ٢٦٤ .

(٣) انظر اللسان ج ٨ ص ٣٤١ . وسمى القصاص قوداً لأن المقتص منه يقاد في الغالب بشيء .  
حين قتله ، وفي النهاية لابن الأثير : « وفي حديث عمر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ، يقال أقصه الحاكم يقصه ، إذا أمكنه من أخذ القصاص ، وهو أن يفعل به مثل فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح » ج ٣ ص ٢٥٩ .

ولا يرتضى هنا إلا القصاص ، المساوى العادل ، المؤدى إلى الردع المناسب ، والتأديب المطلوب ، يرتضيه تعبيراً ويرتضيه عملاً وتطبيقاً ...

### لفظ القصاص في القرآن :

فلنستمع إلى القرآن الكريم يتحدث عن « القصاص » في القرآن فيقول :  
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والآثى بالآثى ، فمن عفى له من أخيه شيء ، فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » . البقرة - ١٧٨ و ١٧٩ .

ويقول : « الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص <sup>(١)</sup> ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين » . البقرة - ١٩٤ .

ويقول : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسِّن بالسِّن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » . المائدة - ٤٥ .

نرى في هذه الآيات أن الله سبحانه قد كتب ( القصاص ) أى فرضه عند موجباته والمطالبة به ، ليرتدع الآثم عن عزمه على الجناية ، ولينال المجرم عقابه المؤدب الرادع من جريمته ، وليتعض غيره بحاله وعقابه ، فلا يقترب مثل ما اقترف ؛ ولذلك جعل القرآن الكريم القصاص حياة ، لأن تنفيذه في فرد ينهى عن قتل أفراد فيبقون أحياء ، ولأن تشريعه يخيف الهامين بالقتل فلا ينفذونه ؛ وما أجمل هذا التعبير الذى يجعل القصاص مصدراً للحياة <sup>(٢)</sup> ...

(١) الحرمات جمع حرمة ، وهى ما يجب حفظه ويحرم منهك .

(٢) أفاض السابقون والمتأخرون في تبیان ما ينطوى عليه قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » من وجوه البلاغة والابحاز والایجاز ، ويراجع ذلك في التفسير للبسطة ، وفي كتاب الاتقان لجلال الدين السيوطي وغيره .

ونرى في الآيات الكريمة نصاً على أن يقف العقاب المؤدب عند حد المثل والتساوى ،  
ففي الآية الأولى نجد : « فن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . وفي الثانية نجد : « فاعتدوا  
عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . وفي الثالثة نجد المقابلة بين الأجزاء وهي تشير بوضوح  
إلى التساوى : « والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن » .

ونرى في الآيات إشارة إلى العفو الذي يحسن أن يمن به صاحب القصاص على الجاني ،  
ففي الآية الأولى نجد : « فن عفى له من أخيه شيء ، فاتباع بالمعروف ، وأداء إليه بإحسان »  
وفي الثالثة نجد : « فن تصدق به فهو كفارة له » .

ولئن لم يذكر العفو في الآية الوسطى التي أولها : « الشهر الحرام بالشهر الحرام »  
لأنها نزلت في قتال المسلمين للمشركين المنتهكين حرمة الأشهر الحرم المتطاولين بينهم  
على المسلمين ، وهذا لا يناسب ذكر العفو ، وإلا دخل الضعف على كسبية الإسلام  
إبان الجهاد ...

وإذا كانت هذه الآية الوسطى لم يذكر فيها العفو ، فقد ذكر فيها أمر آخر اشتركت  
فيه مع بقية الآيات ، وهو التذكير بالتقوى ، وإذا ذكر الإنسان ربه حين القصاص ،  
وتدبر بشعار التقوى ، ودثار الحشية ، لم يكن منه في القصاص إسراف أو اعتساف .

إننا نجد عقب الآية الأولى قوله : « لعلكم تتقون » ، وفي الآية الوسطى : « واثقوا الله  
واعلموا أن الله مع المتقين » ، وفي الآية الثالثة ذكرت التقوى ضمناً ، لأن الله أعاد العادلين  
قد حكم على من يخرج عن عدله وقسطاسه بالظلم ، وإذا لم يلتزم المرء التقوى ، فقد ظلم نفسه ،  
وظلم غيره ؛ تقول الآية : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

وكل هذا تأكيد من القرآن الكريم ، لالتزام العدالة ، والقسطاس حين القصاص .

« يتبع »

أحمد الصرباصي

من علماء الأزهر الشريف



# الفتاوى

- ١ -

## حكم إجارة البساتين

جاء إلى لجنة الفتوى ما يلي :

ما قول علماء الإسلام ، نفع الله بعلمهم الانام ، فيما يقع كثيراً من إجارة الحوايط المشتمة على نخل مشمر ، وقد يكون معه شجر قليل ، بوزن معلوم ، وصنف معروف ، يدفع وقت الجذاذ . ويسمى هذا في عرف العامة « قبالة » ، وفي عرف المؤثمين « إجارة » ، يعنون أنها إجارة للأرض . والحال أن الأرض المسماة لها الأجرة ، لا تغل شيئاً لأنها ليست ببياض وإنما هي مغمورة بظل النخل ومحتاجة لتنقيتها من الحشيش المضر بعروق النخل . أفيدونا مأجورين والله جزيل الثواب .

يوسف بن راشد المبارك

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن المفهوم من المذاهب الأربعة منع هذه الإجارة ، لأن عقد الإجارة إنما يرد على المنافع ، لا على الأعيان ، ويرى ابن القيم كما جاء في كتاب زاد المعاد ، أن عقد الإجارة يرد على المنافع ، ويرد أيضاً على الأعيان التي تستوفي ثمرتها مع بقاء أصلها ، كاستئجار الشجر لأخذ الثمر ، والظئر للرضاع ، والأرض للزرع . وإنما المنوع هو استئجار عين تستهلك بالانتفاع ولا يبقى بها أصل ، كاستئجار الخبز للأكل . واستدل على ذلك بأدلة كثيرة : منها إجارة الظئر للرضاع الثابتة بقوله تعالى - ( فإن أرضعن

لكم فأتوهن أجورهن ) وهى عقد على اللبن وهو عين من الأعيان . ومنها ما فعله عمر رضى الله عنه ، من أنه قضى بأخذ حديقة أسيد بن حضير مدة معلومة ودفع الاجرة فى دين عليه ، وهذه إجارة للحائط مدة معلومة ، بأجر معلوم ، وهو مقدار الدين الذى عليه . قال ابن القيم : ولا يعلم من الصحابة مخالف لعمر فى هذا ، وأطنب ابن القيم فى هذا وقال : إن دعوى أن عقد الإجارة إنما يرد على المنافع لا على الأعيان ، لا أصل لها من الدين .

وبناء على ذلك - يجوز استئجار الشجر بمقدار معلوم من الثمر مدة معلومة كما هو وارد فى السؤال ، إنما لا يصح اشتراط أن يكون الاجر من نفس الشجر المؤجر . لاحتمال أنه لا يخرج منه المقدار المشروط وذلك غرر يدخل فيما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . واللجنة لا ترى مانعاً من الأخذ بهذا رأى الأخير ، تيسيراً على الناس ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

\* \* \*

- ٢ -

### استغلال الأطيان المرتفعة

زيد ارتهن قطعة أرض من عبيد قيمة فدان نظير ٥٠ جنياً ، فراح زيد يأخذ خيرات الأرض مدة ١٥ سنة ويضع يده على الأرض وإيجارة الفدان . وعند سداد المبلغ وهو ٥٠ جنياً أخذها كلها من عبيد ولم يترك شيئاً أبداً . فنرجو الإفادة .

عبد الله عبد العزيز الجعفرى

### الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن هذه المعاملة محظورة شرعاً لما فيها من الربا المحرم . فلا يجوز للدائن أن يأخذ أكثر من رأس ماله ، وهو مبلغ الخمسين جنياً ، فعليه أن يرد إلى المدين ما أخذه زيادة على ذلك ، وهو أجرة مثل الفدان فى المدة المذكورة ، والله أعلم .

- ٣ -

## استعمال مكبرات الصوت في المساجد

١ - يستعمل أحد الأئمة ( ميكروفونا ) في إذاعة خطبة الجمعة ، فهل عمل الإمام صحيح تبعاً للشرعية الإسلامية ؟ .

٢ - هل يجوز استعمال مكبرات الصوت في المساجد للأغراض التالية : -

١ - الخطب . ب - الصلاة . ( خمس مرات في اليوم ) . ج - التراويح

د - الوعظ . وغير ذلك من الاجتماعات الدينية . فزجرو الإفادة .

ناظم متولى جامع شولا - رانجون

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال جاز شرعاً استعمال مكبر الصوت في المسجد ، لإسماع من لا يسمع من المصلين ، سواء في ذلك الخطبة والصلاة والوعظ وغير ذلك من الاجتماعات الدينية . وليس هذا من البدعة المذهومة شرعاً ، بل هو من أعمال البر والخير ، لما يترتب عليه من سماع من لا يسمع واتعاظه ، والله أعلم .

- ٤ -

## حجر السيد البدوى وقدم الرسول ﷺ

زرت مقام السيد البدوى ( رحمه الله ) فراغنى ما رأيته ، والحق أقول ، انه بمث في نفسى أشد الاسى والحزن .

يجد الزائر في زاوية من المقام قاعدة تلفت الانظار ، وموضوع فوقها حجر من الجرانيت

مطبوع عليه أثر قدم قيل : لأنه قدم رسول الله ﷺ ، والناس يتزاحمون عليه للتبرك بلمسه ، ووضع اليدين فوق الوجه بعد اللبس . وهنا تنسأل : هل يوجد بجزيرة العرب أحجار من الجرانيت . أم حضر إلى مصر سيد الخلق صلوات الله عليه ، وهل من الجائز شرعاً ما يعمل الزائرون ؟ .  
محمد محمد سلطان

## الجواب

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن هذا الحجر المذكور لم يضع رسول الله ﷺ قدمه عليه . ووضعته للتبرك به ولمسه وتقبيله وإيمام العامة أنه مما يتبرك به ويتقرب إلى الله بلمسه أو تقبيله ضلال مبين . وفاعل ذلك ضال مضل . كما أن تقبيله ولمسه تقرباً إلى الله من قبيل العبادة بغير ما شرع الله . وهذا كله غير جائز بإجماع المسلمين ، ومعلوم حظره وعدم جوازه من الدين بالضرورة . ويجب على كل من يقدر على محو هذا الضلال وإزالة هذا المنكر محوه وإزالته والله أعلم ؟  
رئيس لجنة الفتوى

## التقليد في الزندقة

قال الجاحظ في رسالة ( أخلاق الكتاب ) : « وقد قال أهل الفطن : إن محض العمى التقليد في الزندقة ، لأنها إذا رسخت في قلب امرئ تقليداً أطالت جرائته ، واستغلق على أهل الجدل إقهامه » .

# لغويات

## أرسل الأزهر بعثته إلى العراق

تطلق البعثة - بفتح الباء - في هذا العصر على من يبعث ليقوم بأمر على أو غيره . وقد يكون هذا واحداً ، وقد يكون فوق الواحد ، وقد كتب <sup>(١)</sup> إلى إدارة مجلة الأزهر الأستاذ الفاضل أحمد نصيب المحاميد من دمشق يذكر أن الوارد في المعاجم لتأدية هذا المعنى هو البعث ، ويجمع على البعوث ، وأن البعثة لم تعرف إلا اسماً للمرة من البعث .

والذى ذكره الأستاذ الفاضل صحيح وحق ، ولما نحمد له بحثه وزكاته ، وتهديه للصواب ؛ غير أن للبعثة في معنى البعث - وإن لم يرد هذا في المعاجم - وجها يسوغها ، وينأى بها عن الرد والإنكار .

ذلك أن إطلاق البعث على المبعوث ، الذى ورد في اللغة ، هو استعمال جاء بطريق التوسع والتجوز ، وهو من قبيل إطلاق المصدر على الوصف ؛ كما في ضرب الأمير ، وخلق الله ، ونسج الين . ويجعل البيانون هذا مجازاً مرسلًا علاقته التعلق الاشتقاقى . والتجوز لا حجر فيه ، وبابه واسع ، فلا ضير أن يستعمل اسم المرة في الوصف تجوزاً ؛ كما يستعمل المصدر العام فيه . والوحدة مراعاة في الوصف المراد باسم المرة ؛ كما في اللفظة ، يراد بها الملفوظ مرة ، وأصلها اسم المرة ؛ كما لا يخفى . فالبعثة يراد بها من يبعث مع قصد وحدة في شأنها من جهة الغرض أو من جهة أخرى ، فمن ثم أوثر لفظها على لفظ البعث .

وإذا كان الأمر يذكر بالامر فإنى أذكر هنا أن المتداول على الالسنه في البعثة كسر الباء ، وقلنا كننا نسمع « بعثة الرسل » ، إلا بكسر الباء ، وقد اهتدى الناس في العصر الأخير إلى الصواب ، وهو فتح الباء ، ومع هذا فقد وقفنى صديق الأستاذ الجليل عبد السلام هارون على نص في اللسان والقاموس فيه ضبط البعثة بكسر الباء ، وذلك بضبط القلم ، فقد

(١) نشر هذا الكتاب في جزء ربيع الآخر ١٣٧٣ .

جاء في مادة « برهم » ، فهما ما يأتي : « والبراهمة قوم لا يجوزون على الله تعالى بعثة الرسل ، والظاهر أن هذا الضبط من النسخ على حسب ما تعودوا ، ولم يثلوا فيه إلى علم وثيق . ومن البعيد أن يراد هنا اسم الهيئة ، فالبراهمة يشكرون أصل البعث ، ولا يختص الإنكار بهيئته .

وأظن الآن ظناً يتأخم اليقين أن الاستاذ محمد عبد الرسول الذي كان في دار المكتبة المصرية - عليه رحمة الله - أخبرني أن في مقدمة الأدب للمخشري النص على البعثة بكسر الباء . ولم أقف على هذا ، وقد يقف عليه غيري من الباحثين .

\*\*\*

ما الذي أبطأ بك حتى سبقك الناس ! أهو كسلك ! أهو عزوفك عن المجد

يجرى هذا الأسلوب على أقلام الكتاب في هذا العصر . وقد جاء في جريدة المصرى في يوم ٢٧/٤/١٩٥٢ في مقال « لماذا يدبر حفى باشا المقال ، ما يأتي : « وبقي أن نجيب على سؤال الجميع : لماذا يحب حفى باشا أن يفكر في تدبير المقال ، وأن يحكم ذلك التدبير وأن يوقع فيها أعز الاعزاء ؟ أهى رغبة الباشا في السخرية بالحياة والاحياء ؟ أهو شغف الباشا أن يتشفي في إحراج الناس ؟ أهو الميل إلى التفرج على المتناقضات التى تؤدى إليها مقالبه ؟ أهو الولع بإظهار القوة واللعب بالعقول والقلوب من وراء ستار ، .

وقد جرى بحث في عربية هذا الأسلوب ، وموطن الشبهة فيه أنه وقع السؤال فيه أولاً بالهمزة ، ولم يكرر السؤال مع أم ، والمعهود أن يكون تكرير السؤال بعد الاستفهام بالهمزة مقروناً بأم . تقول : أتسافر غدا أم بعد غد ، أنجح على أم أخفق ؟ . ولا تقول : أنجح على ، أخفق ؟ وبالقياص على هذا كان الواجب في المثال المصدر به البحث أن يقال : ما الذى أبطأ بك ! أهو كسلك ، أم هو عزوفك عن المجد .

وقد بدا لى أن الأسلوب الذى هو موضع البحث صحيح . وذلك على استئناف الاستفهام وأن كل استفهام مستقل عن سابقه ؛ ألا ترى أنه قيل : ما الذى أبطأ بك ، أهو كسلك أم هو عزوفك ، ولولا هذا لقليل : ما الذى أبطأ بك أكسلك أم عزوفك ، ويكون كسلك ، بدلا من « ما الذى أبطأ بك ، والاستفهام كله في قوة استئناف واحد .

وقريب من هذا قول النحاة إن أم الداخلة على الجملة تكون منقطعة غير معادلة للهمزة .  
ففي المثال المصدر ثلاث جل استفهامية ، كل جملة قائمة برأسها ، ولا عليك أن تعقد بينها ارتباطا  
يكلفك أن تأتى فيه بأم بعد الهمزة . ويقرب مما نحن فيه من استثناف الاستفهام أن يقول  
من يعد محاسنه وآثاره وفضله على سامعه : ألم أنقذك من الهلكة ؛ ألم أجنبك السوء ؛  
ألم أغمرك بإحسانى ! وهذا وإن كان للتقرير أصله للاستفهام ؛ كما هو معروف .

وقد يشهد لصحة الأسلوب ما جاء فى الحديث <sup>(١)</sup> أن يهوديا رضى رأس جارية بين  
حجرين ، فقيل لها - وهى تجود بنفسها - : من فعل هذا بك ؟ أفلان ؟ أفلان ؟ حتى سمى  
اليهودى ، فأولمأت برأسها ، فأخذ اليهودى فاعترف ، فأمر به النبي ﷺ ، فرض رأسه  
بين حجرين . ألا تراه كرر الاستفهام دون أم . وسبيله ما ذكرت من استثناف السؤال .

\*\*\*

### الموسيقى

المشهور على الألسنة ضبط الموسيقى ، بفتح القاف . وقد جاء ذكرها عرضا فى القاموس  
فى ترجمة « رب » . وفى هذه المسادة : « ومدود بن عبد الله الواسطى الربابى يضرب به المثل  
فى معرفة الموسيقى بالرباب ، وكتب الشيخ نصر الهورينى مصحح القاموس : « قوله :  
الموسيقى هكذا فى النسخ بكسر القاف . وهو اشتباه سببه رسم الكلمة بالياء . وصوابه فتح  
القاف ، كما هو فى اللغة الرومية ، ويريد باللغة الرومية اللاتينية . ويبدو أن الكلمة مأخوذة  
عن اليونانية ، فالسكلمة تأصلت فيها ، ثم انتقلت إلى الرومية . وأصل السكلمة فى اليونانية  
هى (Muses) موز وهى الأرواح التى تلهم الانغام واللحن وما إلى ذلك من الشعر والخيال  
وكان مقرها فى الأولمب فى اليونان ، ويعبد بعض الشعراء عندهم هذه الأرواح تسعا .  
والسكلمة فى الإغريقية بكسر الكاف أو القاف ، كما أخبرنى بذلك من له بصير بها . ويبدو  
من هذا أن ضبط القاموس ليس بخطأ ، وأن كتابة الياء فى الموسيقى لمد الكسرة ، لا أنها  
ألف ، فإن السكلمة الأعجمية ترسم فيها الألف ألفاً ولو زادت على ثلاثة الأحرف ؛ إلا ما شذ  
كبخارى وكسرى ؛ ألا ترى أنا نكتب أمريكا بالالف لا بالياء .

(١) انظر صحيح البخارى فى « ما يذكر فى الأشخاص ، والخصومة بين المسلم واليهود » .

ووردت الموسيقى في قرينة للارتباطي - وهو فن الحساب عند اليونان - ويبدو أن الارتباطي أيضاً بكسر القاف . وذلك في رسالة الصاحب بن عباد في نقد المتنبي ص ٢٠ إذ يقول في قصائد المتنبي : « تحبير الافهام ، وتفوت الاوهام ، وتجمع من الحسنات ما لا يدرك إلا بالارتباطي ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى » .

ووردت الكلمة في صورة أخرى ، وهي « الموسيقى » بتقديم الياء على السين في شرح الشيخ خالد لأزهرية . وكتب الشيخ حسن العطار في حاشيته عليه : « قوله : الموسيقى ضبطه شيخنا بكسر السين بلا ياء بعدها . كلمة يونانية ، معناها الانغام والالحن » .

\*\*\*

### هذا المظروف فيه أوراق كثيرة ، والصواب : هذا الظرف ....

يستعمل المظروف هذه الأيام في معنى الظرف الذي هو الوعاء أو ما يحوى غيره ويضمه . وفي جريدة المصرى في يوم ٢١ / ٢ / ٥٣ : « وقد لوحظ في المطار أمس أن الدكتور محمود فوزى حضر ويده مظروف أخرج منه أوراقا » .

وهذا الاستعمال لا وجه له يصححه . ولم أقف على فعل من الظرف متعد ، فلا يقال : ظرفه أى وضعه في الظرف ، حتى يقال : إن الأصل مظروف فيه ، فتوسع فيه بالحذف والإيصال ، كما قيل : هذا الأمر مشترك أى مشترك فيه .

ويفسر النحويون الظرفية الحقيقية في مباحث حرف الجر ويحدونها بأن يكون للظرف احتواء والمظروف تحيز ، فترام يستعملون المظروف ، وهذا عندى خروج على اللغة وإحداث ما لا يجيزه أصولها .

محمد علي النجار

الأستاذ في كلية اللغة العربية



## مشروع تقييد تعدد الزوجات

نشرت صحيفة الجمهورية الغراء مشروع قانون تقييد تعدد الزوجات ، وتنظيم حق الطلاق تحت اسم قانون حماية الأسرة ، ونشرت معه بعض أسماء أعضاء مجلس الخدمات العامة الذي أقر المشروع .

وحتى يتفضل السادة أهل الشرع والفقه بنقد هذا المشروع من الناحية الشرعية الصرفة يحل كاتب هذا المقال لنفسه أن ينقده كما أحل السادة أعضاء المجلس لأنفسهم أن يضعوه وليس بينهم عالم متخصص في الدين ، بل وفيهم من ليس من المسلمين وهم المقصودون بهذا المشروع .

ومن القليل المنشور مع المشروع من مذكرته الإيضاحية يتبين أن المجلس صاحب المشروع يرى أن الشريعة الغراء لم تبسح تعدد الزوجات إلا للحكمة تبرر هذا التعدد ، وأنها لم تبسح إلا في ظروف خاصة وحيث لا يخشى الجور ، وأن لولى الأمر أن يتدخل فيقيده من أجل مصلحة عامة طبقا لما تمليه مقتضياتها .

أما أن الشريعة الإسلامية لم تبسح تعدد الزوجات إلا للحكمة فصحيح ، لكنها لم تنص على تلك الحكمة وتركها لاتساعها قيد البحث والتنقيب . فهل بحث عنها مجلس الخدمات العامة حتى تبينها ؟ وهل بينها ووضوحها في مذكرته الإيضاحية ؟ كان من الواجب أن يبين المجلس للناس حكمة إباحة الإسلام تعدد الزوجات ليطمئنون إلى أن المجلس قد أحاط بها علما وأن مشروعه قد راعى جوانب تلك الحكمة فلم يخالف جانبها منها .

وأكبر الظن أن الحكمة في رأى المجلس ليست إلا مراعاة تلك الظروف الخاصة التي يقول : إن الشريعة الإسلامية لم تبسح التعدد إلا فيها ، فهل تناول المجلس في مذكرته تلك الظروف بالتبيين ، وهل ساق الدليل على أن الشريعة قد قصرت التعدد على تلك الظروف فيكون في غيرها غير مباح ؟

إن مجلس الخدمات العامة يدعى هنا دعوى لا علاقة لها بالرأى الشخصى لأعضائه .  
لأنه يدعى على الشريعة دعوى يجب عليه لإثباتها قبل أن يستقيم له وللناس أن مشروعته يتفق  
مع الشريعة الغراء ، فهل أثبت دعواه بنص من الكتاب ، أو بسنة عن النبي ، أو بإجماع  
أو شبه إجماع ، أو حتى بأغلبية من علماء المسلمين في عصر من العصور ، أو بقياس صحيح  
إن لم يكن دليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع ؟

إذا كان المجلس قد قام يبحث الموضوع بحثاً فقهياً أصولياً فليفشر بحثه على الناس لينقده  
منهم أهل الاختصاص . أما إذا كان لم يزد على أن أخذ برأى أعضائه فيما ظنوا أنه يحفظ  
مصلحة الأسرة فله رأيه ، لكن لا يحل له ولا يجوز أن ينسب هذا الرأى إلى الشريعة  
إلا بهرمان .

إن الناظر في كتاب الله لا يجد من آية في التعدد إلا آيتين في سورة النساء . والذين  
يضاهئون قول الغرب في تعدد الزوجات كثيراً ما ينظمون من بعض الآيتين قياساً مقدماته  
« فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، » « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، »  
ولم يكن وراء هاتين المقدمتين شيء في الآيتين يدل على مراد الله سبحانه لكانت النتيجة  
المنطقية الحتمية ألا تعدد في الزوجات قط مهما كانت الظروف ، فكيف إذن وجد التعدد  
في الإسلام مطلقاً من لدن عهد النبي ﷺ إلى يوم الناس هذا إذا كان الأمر كما زعموا  
وصحح لهم في القرآن هذا القياس ؟

لكن القياس كما نظموه غير موجود في القرآن اللهم إلا على نمط « فويل للمسلمين ،  
و لا تقرّبوا الصلاة ، ! إن خصوم التعدد حين يريدون دليلاً قرآنياً على مذهبهم  
يغفلون بقية الآية الثانية ، وفيها حكم الله الذي ينقض ما ذهبوا إليه . فالآية هي : « ولن تستطيعوا  
أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، » وهذا صريح في أن  
الله سبحانه أباح التعدد حتى مع بعض الميل والجور . فما ذعبت إليه المذكرة الإيضاحية  
من أن الشريعة أباحت التعدد حيث لا يخشى الجور هو إذن غير صحيح ، لأن قوله تعالى  
« فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، » هو في موضعه من الآية إباحة لا تحريم - إباحة حتى  
مع الجور ما دام الجور لم يبلغ المبلغ الذي يترك الزوجة لا هي بالمتزوجة المحصنة ، ولا هي  
حرة يمكن أن تزوج . وهذا وحده دليل واضح أن الله سبحانه شرع التعدد اتقاء أضرار

اجتماعية ، هي شر من ذلك الجور المحدود الذى يصيب ثمانية الزوجتين - أو رابعة الزوجات - من أن إلى آن .

فإذا كان أعضاء مجلس الخدمات العامة لا يعرفون تلك الأضرار التى وقى الله المجتمع شرها بإباحة تعدد الزوجات إلى أربع مطلقاً غير مقيد إلا بمقدار ما يكون عند الزوج من تقوى تحمله على مراجعة العدل بينهما قدر الإمكان كما يدل عليه تمام الآية الثانية الكريمة فى موضعها من سورة النساء - إذا كانوا لا يعرفون أضرار منع التعدد أو تقييده فإن عليهم أن يبحثوا عنها من ناحية ، وأن يشرعوا ما يزيد من تقوى الله فى قلوب الأزواج والزوجات من ناحية أخرى ، حتى يحسموا استعمال الحقوق التى وهبهم الله وشرع لهم .

أما أن يتركوا الناس ينشأون على جهل بالدين وقلة من تقوى الله ثم يتخذوا من آثار ذلك سبيلاً إلى سلبهم تلك الحقوق أو تقييدهم فيها بمحض رأى فذلك ليس لهم ، إذ ليس لأحد كائناً من كان أن يحمل الناس بقوة القانون على ما يخالف نص الكتاب وعمل النبي وإجماع المسلمين من لدن عهده ﷺ إلى اليوم .

\* \*

إن حكمة تعدد الزوجات فى الإسلام غير مقصورة على حالات مرض الزوجة أو عقمها أو ما شابه ذلك مما يريد أصدقاء التعدد أن يقصروه عليه . إذ ماذا يقول أصحاب المشروع مثلاً فى حالات زيادة عدد النساء على عدد الرجال بحيث لو تزوج كل رجل لبقى من النساء عدد كبير محروماً من الزواج ؟

إن الإحصاء يثبت وجود هذه الزيادة الكبيرة فى مصر وفى غيرها من بلاد الله . وهى زيادة تزداد تضخماً واستفحالاً بإعراض الشباب عن الزواج ؛ فإذا يكون مصير ذلك العدد الضخم من النساء اللاتى يفقدن كل فرصة فى الزواج إذا أغلق التشريع الوضعى أمامهن أو ضيق المنفذ الوحيد الذى فتحه الله لهن ، منفذ تعدد الزوجات ؟

والمشروع يوجب استئذان القاضى قبل التعدد ، فكيف يمكن القاضى أن يحكم أو يتصرف ليتلافى هذا الاحتمال أو ليحل إشكال زيادة عدد النساء على الرجال ، وهى زيادة ماثلة فى الأمة غير محصورة فى مكان ؟

والمشروع يحتم على القاضى مراعاة المقدرة المالية للزوج ، ولكن من أدرى القاضى وأدرى أصحاب المشروع أن المرأة لا تفضل أن تشارك الزوج الفقير لقمته على أن تعيش بلا زوج ؟

وبأى حق يحرمون على المرأة أن تختار لنفسها أى الامرين تشاء ما دام التعدد حين يكون إنما يكون برضى الطرفين ؟ أليظن أصحاب المشروع أن فى طبيعة المرأة أن ترضى بزواج متزوج وهى تجد بعلا خالصا لها فى الرجال ؟ لو أن أصحاب المشروع بدلا من التفكير فى سد هذا المنتفس فكروا فى مشروع يلزم الشباب بالزواج فلا يعيش الشباب فى رهبانية ولا مخادنة ، ولا يؤخر الزواج إلى أن يتقدم به العمر ؛ ولو أنهم فكروا فى تشريع يستوثق للمرأة بحرية الاختيار عند الزواج ويقها شر كذب الرجل عند الخطبة فلا يزعم لها ولاهها أنه وحيد وهو متزوج ، أو أنه غنى وهو فقير ، أو فقير وهو مدقع ، أو قليل الذرية وهو كثيرها ، أو مستقيم وهو فاسد ، إذن لعملا فى غير إضرار بالمرأة وبالمجتمع كل ما يمكن عمله تشريعا للحد من تعدد الزوجات .

\* \* \*

إن الإسلام دين الفطرة ، وتشريع تعدد الزوجات فى الإسلام فيه مرونة الفطرة : سيتسع من نفسه ويضيق حسب الحاجة إليه ، لأنه إنما يقع ويتحقق برضا المرأة المخطوبة وموافقتها وهى أدرى بمصلحتها . وهذه نقطة يغفل عنها كل الذين يرون فى التعدد إهدارا لكرامة المرأة وظلما لها ، ويظنون أنهم ينصفون المرأة حين يسلبونها حق الاختيار فيه فلا تزوج إلا بإذن القاضى ! . فلو أن كل امرأة وكل فتاة وجدت زوجها خالصا لها لانعدم التعدد من نفسه . أما إذا فقدت الأمل فى ذلك لسبب من الأسباب فإنها ترضى من الأزواج بالمتزوج فلماذا يريد أصحاب المشروع أن يتدخلوا فى الفطرة البشرية وما شرع الله لها فى الإسلام دين الفطرة ؟ ألم يقرأوا قوله تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فهل من مصلحة الأسرة والمجتمع أن يخرجوا بالناس عن مرونة التشريع الإلهى الملائم للفطرة فى مظاهرها وتقلباتها المختلفة فى الناس إلى جمود التشريع الوضعى الذى يعامل الناس كأنهم سواسية فى الطباع والميول والغرائز والظروف ؟

لقد جرب ذلك مرة فى تقييد سن الزواج فكانت النتيجة أن لجأ الناس إلى الكذب والتزوير ليخرجوا من ذلك القيد الوضعى الذى لم يقيدهم به الله ، والذى إن لامم بيته فى وقت ما فإن يلائم جميع البيئات فى جميع الاوقات ، حتى اضطر المشرع أن يعود فيبيع سماع الدعوى ممن خالفوا قيد السن إذا هم بلغوها بعد الزواج . والمشروع الجديد يمنع من سماع الدعوى عند تعدد الزواج من غير الطريق الذى يريد أن يقيد به الناس ، فهو يعترف بصحة الزواج اعترافا بشرعية الذلل فيما يبدو ، لكنه يضار الفصل وأبو . بعدم سماع

دعواهما عند الخلاف . فهل مثل هذا التشريع من الحق والصواب أو من مصلحة الفرد والمجتمع في شيء ؟ هل في الدين أو في العقل أن ينشأ بين بعض الأفراد في أمة خلاف من غير أن يتسع نظام القضاء فيها للنظر فيه ؟ .

إن الذى لولى الامر فى الإسلام أن يمنع أى قاض من سماع أى نوع من الدعاوى ليولها غيره ممن هو أقضى منه فيها ، وليس له أن يمنع جميع القضاة من السماع ، إذ يجب فى الدين والعقل أن يكون هناك لكل دعوى قاض يسمعها ويفصل فيها بين المتخاصمين حتى لا يكون المسلمون فوضى عند الخلاف فى أمر من الأمور .

وأحق الدعاوى بالسماع هى دعاوى الخلاف بين الزوجين ما دام الزواج قد تم برضاها طبق كتاب الله وسنة الرسول .

إن الإنسانية لم تبلغ فى العلوم الاجتماعية عشر معشار ما بلغت فى العلوم الطبيعية . وقد شرع الله سبحانه الإسلام ليسكنى الإنسانية شر جهلها بسنن الله فى الاجتماع ، وشر خطئها فى تطبيق ما قد تهتدى إليه من تلك السنن . فليس لأحد بالغاً ما بلغ أن يجعل الدين رأياً ، ولا أن يحاول أن يحمل الناس بحكم القانون على رأى يخالف ما شرع الله . فإذا ادعى أن رأيه يطابق شرع الله فليأت على ذلك بالبرهان ؟

محمد أحمد النمرأوى

## أخلاق أمراء الصحابة

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين فى فتح الشام وبين أحد قواد الروم ، جاءه أمير الروم بطعام فاخر وقال له : — هذا طعام الأمير فقال له أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟ . قال : لم يتيسر مثله للجند .

فقال أبو عبيدة : لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدها من ألوان الطعام . وبشئ المرء أبو عبيدة إن صحب جنداً من بلادهم أهرقوا دماهم دونه أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه . لا والله لا نأكل إلا مما يأكلون .

## قلنا وقالوا!

قال بعض الغيورين على كرامة المرأة وأخلاقها وصوالحها والفاهمين لطبيعتها وغرائزها : إن للمرأة وظائف خاصة ينبغي أن تقصر عليها وتغنى بها وإن في ذلك خيراً لها ولائها ، وليس من الخير مطلقاً أن تستجيب المرأة لدعوة المنطرفات من جماعاتها والمنطرفين من أنصارها إلى أمور تقضى بنا ولا شك إلى الاضطراب والفوضى .

ومن الخطأ أن تجارى المرأة المصرية المرأة فى أم لا تشابه أحوالنا أحوالهم ولا تقاليدنا تقاليدهم ، ولا تشابه شئونهم الاقتصادية شئوننا ، فقد يكون لاشتراك المرأة مع الرجال فى الأعمال هناك دوافع اقتصادية لا وجود لها بيننا ، فنحن فى وفرة من القوة العاملة من الرجال حتى بدأنا نشعر بشيء من التعطل والبطالة بينهم .

قلنا ذلك فثار علينا الثائرون من أنصارها ، ونبزونا بالتأخر والرجعية ، وقالوا : إننا دعاة إلى حرمان الأمة من جهود المرأة فى ميادين العمل ، وبتعبير آخر دعاة إلى حرمان الأمة من نصف قواها ممثلة فى المرأة ، وهذه جريمة فى حق الوطن لا يدعو إليها إلا جاهلون أو خائنون .  
وقلنا : إن المرأة بطبيعتها عاطفية تستجيب لنداء العاطفة فهى تارة إلى اليقين وتارة إلى الشك ، لا تثبت على رأى ولا يدوم على حال لها شأن ، فلا تصلح لحكومة ، ولا تفلح فى ولاية . فقالوا : أنا نبون مصلحون ، وحاسدون مبغضون .

وقلنا : إن المرأة من طبيعتها حب الظهور وحب السبق على اللدات فى هذا الميدان دون مبالاة بالوسائل والنتائج ، ولا تبخل فى هذا السبيل بوقت أو مال ، فقالوا : مغالون وكاذبون .  
وقلنا : إن للرجل فضل قوة وعقل يقوى بهما على تحمل الآلام وتذليل الصعاب وإن المرأة تحس من نفسها الضعف والخور والحاجة الدائمة إلى رجل تعيش فى كنفه وتلوذ بحماه ، ولذلك تفرح بإنجاب الذكور أضعاف فرحها بإنجاب الإناث . فقالوا : هذه دعوى يعوزها البرهان .

وقلنا : إن واجبات الأسرة وتدبير المنزل ورعاية الأطفال وتربيتهم تقتضى أن تكون المرأة فى المنزل ترفع شئون الأسرة المالية والخلقية ، ومحال أن تستغنى الأسرة بالخدم

عن مديرة المنزل مهما كانت خبرتهم وأمانتهم ، على أن مستوى الخدم الخاق كما نعرفه وتلبسه من سوء وانحطاط . فقالوا : إن ذلك رق واستعباد لا ترضاه المرأة ولا يرضاه لها أنصارها ، وإن عهود الرق والاستعباد قد انقضى زمانها ودال سلطانها ، وإن الدعوة إليه رجوع بالمرأة إلى عهد بالية عتيقة .

وقلنا : إن الإسراف في اختلاط النساء بالرجال في معاهد التعليم والمنتديات غير مضمون العواقب ولا محمود النتائج . فقالوا : إن ذلك سوء ظن بالفتاة واتهام لها في أخلاقها وكرامتها وتشويه لسمعة الأمة في المحيط العالمى المتعدين .

وقلنا : إن تربيتنا الدينية والمنزلية وعاداتنا الشرقية تجعل الفتاة تؤثر العزلة وتفر من الاختلاط ضنا بسمعتها واحتفاظاً بكرامتها ، ولأن ذلك من صالحها في مستقبلها ، فكثرة العرض تغرى بالزهد فيها والرغبة عنها ، فقالوا : ذلك حديث عن المرأة في القرون الماضية لا حديث عن الفتاة في القرن العشرين .

قلنا كل ما ذكرنا وأكثر منه ، وأقننا على صحته من البراهين ماصح في الدين ، ووضحت دلالاته في نظار العقل وواقع الحال ، ولكن حال دون الاقتناع به التعصب للرأى ، والمكابرة للهوى ، وقديما قيل : حبك الشيء يعمى ويصم . وقد عميت عيون عن الحق ، وصمت آذان عن سماعه ، واستنتت نفوس في طريق الضلال والغواية ، ولكن يأبى القدر إلا أن يمد أنصار الحق على تطاول الأزمان بما يعضده من الأدلة ويمكنه ، عسى أن يستفيق له الجاحدون الغافلون .

ولقد ساق إلينا القدر في يومين متتالين جملة من الأدلة الواقعية على ما دعونا إليه وكررنا الحديث فيه : وهو أن البرأة وظائف خاصة تكفى أن تشغلها وتستنفد جهدها ووقتها ، فيبغى أن تقصر نفسها عليها وتنشط في تأديتها ولا تقحم نفسها فيما لا طاقة لها عليه ولا تفلاح فيه ولا تحسنه ، وما لا فائدة منه لنفسها ولا لامتها . ووظيفة المرأة هى رعاية المنزل وتبوير شئونه والقوامة على أطفالها بالرعاية والنهذيب ، وإن من حقها أن تتعلم من وسائل ذلك ما يمكنها من إتقانه وحسن أدائه . أما أن تتدخل في الشئون العامة وتزاحم في ميدانها وتعرض نفسها لمصاعبها وآلامها وتدنس أردانها بما يثار فيها من غبار وأوضار أو تلى من وظائف الدولة ما يتطلب من المؤهلات الطبيعية والكسبية ما هى محرومة منه

طبيعة وكسباً فذلك مالا نرضاه لها بل نكرهه ونعارضه ، لا بغضاً فيها ولا تجنّباً عليها ، ولكن لما نعتقده من آثاره ووخيم عواقبه .

لقد ذكرت بعض الصحف قريباً أن جمعية نسائية تتكون من ثلاثين عضواً أرادت انتخاب واحدة منهن لمنصب شرفي فيها ، فتقدم للترشيح لذلك المنصب ثمانى عشرة امرأة منهن ، فقلنا حين قرأنا ذلك الخبر : يا سبحان الله ، إننا لو أعطينا المرأة حق الترشيح لعضوية مجلس النواب لكان لنا عن كل دائرة بها مائة امرأة صالحة للترشيح نحو سبعين مرشحة في هذه الدائرة ، قياساً على ما حدث في هذه الجمعية ، وكيف يكون الحال لو كان في الدائرة ألف امرأة لها حق الترشيح

وأجرت بعض الصحف استفتاء من طالبات فصل في كلية من الكليات عن رأيهن في الاختلاط بالكلية ، فكان رأيهن عدم الموافقة على الاختلاط بما يشبه الإجماع . وسأل مندوب الصحيفة عميد هذه الكلية عن رأيه في نتيجة الاختلاط في الجامعة فقال : إن الاختلاط في الجامعة لا يسير على ما يرام ، ولهذا أسباب : أولها فساد البيئة التي يتربى فيها شبابنا من جهة ، وعدم وجود تربية أخلاقية ضمن برامجنا التعليمية من جهة أخرى ، فينشأ أبناءنا مجردين من مثل أخلاقى يسرون على هداه .

ومن أخبار الخارج : أن مؤتمر العمال بسويسرا قرر أخيراً تحريم تشغيل النساء في العمل الليلي ، كما قرر تحريم تشغيلهن في أعمال المناجم .

تلك هى بعض الاخبار التى قرأتها فى الصحف فى يومين متتاليين تتعلق بقضية المرأة وحقوقها المزعومة وهى تدحض بقوة وفى بيان واضح وشهادة المرأة نفسها من نصرفاتها وشهادة ذوى الخبرة والمعرفة ما يدعيه أنصار مساواتها بالرجل على الإطلاق .

إن الأيام والحوادث ستكون فى جانبنا نحن الرجعيين<sup>(١)</sup> وتكشف عن سواء السبيل فيما ندعوا إليه المرأة من التنازل عن الحقوق السياسية المزعومة والاقتصاد فى التبرج وعدم الاختلاط فى معاهد التعليم ، والاستقرار فى المنزل لتدريش ثمنونه ، وتشرف على تربية أطفالها ، وستبين الأيام أننا أغير على المرأة وأحرص على كرامتها ، وأينا أجدر بوصف الخصومة لها ، وأحق بالمدح والثناء . وإننا لنلمح فى الأفق بروقا من الأمل فى نجاح دعوتنا ونرجو ألا يكون برقنا خلباً .

**أبو الوفا المرافعى**

(١) المجلة - الرجوع الى الحق فضيلة ، ورجوع المسلمين إلى سنن دينهم وآدابه هو سبيل قوتهم وسعادتهم .



# تعليقات

- ١ -

## الغيرة على الأزهر

تطالعنا الصحف من حين إلى حين بما يكتبه بعض الراغبين في إصلاح الأزهر ، وليس من شك في أن تجاوب الرغبات ، وترادف الدعوات إلى النهوض ، من أقوى الأسباب في تركيز الفكرة الإصلاحية ، وإيقاظ الهمم الوانية ، وتعميل الفكرة المرجوة ، فإن كل فكرة تتصل بالإصلاح تعتبر تحصينا للأمة من آفة النداعى ، وبخاصة إذا كان الإصلاح المطموع فيه على أساس الدين ، ومن طريق الثقافة الإسلامية التي يتعهد بها الأزهر .

وكان الداعين إلى إصلاح الأزهر يدركون حقا أن الثقافة الإسلامية - وهي نظام إلهي - كفيلة بكل ما يرتجى من الخير كما كانت في نشأتها الأولى ، وقبل أن تتراكم في سبيلها المعوقات .

ثم هم يرونها اليوم بحاجة إلى نشاط موصول في إبرازها للناس في صورتها الصحيحة ، وهي كفيلة بعد ذلك بإقناع المترددين في الاعتماد عليها في التربية ، وهي مع كفايتها الذاتية لاتأبى أن تحتضن كل ما يؤازرها في التنقيف من أفسكار رشيدة .

هذا والأزهر وأهله يصغون في وعى إلى تلك الصيحات السكرية ، ويتهافتون عن رغبة تخامرهم في تلبية هذه الأمنية المشكورة .

بل يصبون منذ آماد بعيدة أن تكون الصبغة الإسلامية غالبية على دور العلم في كل واد . وما وفي الأزهر ، ولا تراث أهله قليلا إلا لتكاتف المقاومين له ، وانصراف السلطات إلى النواحي التي تغذت من مواردها ، واستأثرت بها السياسة ، وآزرها التوجيه الاستعماري زمناً ما ... فكان للأزهر عذره ، وكان عذره مفهوماً عند المنصفين : وقليل ما هم .

ولعل يوماً كان ينشده الأزهر قد أصبح مشرقاً في عهد النهضة الموقفة ... ولعل أملاً يتعلق به الأزهر في سيطرة الآداب الإسلامية على المجتمع أصبح دانياً .

هذا - ويلحظ الأزهر والواعون لما يجري حوله أن صيحات الصائحين به من الكتاب

كثيراً ما تحمل في طيها تهجاً قاسياً عليه ، وانقصاصاً من قدره ، وتنقيراً من النقة فيه ، وإسرافاً في النيل من سمعة رجاله وبنيه . وهذا التجريح والتعامل مما يشكك في نيات الصائحين ، ويكشف عن مقاصد مريبة ، ويعدنا عن تصديقهم في الحذب على الازهر ، أو رغبتهم في موازنة الثقافة الدينية .

ولإزاء ما نراه من تنقلهم بهذه النعمة المسمومة من جريدة إلى جريدة لا يكون بالغاً من أيمن في دعوة هؤلاء الصائحين أنها خداع ، وأنها نفثات مصدور . فإن ظاهرها ليس فيه رفق ، وما خفي لديهم فهو شر وأفسك .

وهم بدافع الحق على الازهر ، أو مبالغة في ترضية جهات معادية ، يسرها أن تطفئ نوره - بله نور الإسلام - يظنون أن خداعهم محجوب عن الأفهام ، وفاتهم أن ثوب الرياء يشف عما تحته .

وهم بدأبهم على هذه الجفوة سيظلون أشبه بالآثم الذي يفر من وجه العدالة ، ويتماهى في غبه ظاناً أنه على صواب ، والخطأ يغمره وليس دارياً .

فهل لنا أن نلتقي معهم على الهدى ، ونسمع منهم دعوات بريئة ، ونلصق إخلاصاً غير مريب ، لنصفي إلى هتافهم في رحابة صدر ، ونرفع لهم أصواتنا شاكرين ؟؟

( المجلة )

## - ٢ -

### التشكيك في إيمان أبي بكر وعمر

ونسبة الإلحاد إلى مجلة الازهر

وصلت إلى لجنة الإفتاء بالازهر نشرة صادرة عن الشيخ محمد بن محمد مهدي الخالصي من مجتهدى الشيعة في العراق ينسب فيها الإلحاد إلى هذه المجلة ، وقد وصل مثل هذه الفشرة إلى جهات أخرى متعددة .

والبريد الذي حمل إلى مصر من العراق هذه الفشرة العجيبة حمل معها عدد ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ من رصيفتنا جريدة ( السجل ) اليومية التي يصدرها في بغداد المجاهد الشهيد

السيد محمد طه فياض العاني ، وفيها دفاع كريم بعنوان ( الخالصي يهت الأزهري بالإلحاد ) وما جاء بمقال جريدة ( السجل ) الغراء الفقرات التالية :

« تقول القاعدة الإسلامية : إذا اتهم شخص شخصاً بالكفر بآء أحدهما بالوزير . والعلامة الخالصي لا يتورع عن اتهام المخالفين له والمقاومين لخطته بالإلحاد والكفر والزندقة . ولو رجع إلى نفسه لعلم أنه هو الذي يهت بهذه المآثم ، وإلا فكيف يفترى على رجل يحرق مجلة تنطق بلسان الأزهر ، ويحرق فيها جماعة كبيرة من أفاضل العلماء ، بغض النظر عن مذاهبهم ومشاربهم » .

« ولو كان الخالصي من الصادقين في قوله لنشر نماذج مما تنشره مجلة الأزهر من الدعوة إلى الإلحاد ، ولجعل الناس يصدقون قوله واتهاماته . فإن هذه المجلة يقرأها في العراق ألوف من المسلمين ، فليدنا سماحة الخالصي على بحث واحد يشتم منه رائحة الإلحاد ، فإن فعل كان من الصادقين ، وإن أحرنجم كان من ال . . . »

« إن هذه الصفيعة - في نظر الخالصي - أفنت حياتها في الذود عن حياض الإسلام ، ونشرت مجلة الفتح ومجلة الزهراء زهاء نصف قرن ، وكانت ميداناً فسيحاً لعلماء المسلمين سفهم وشيعهم وخارجهم ، وقد كتب على مقدمتها : « الفتح لاهل القبله جميعاً » ، ثم يأتي الخالصي يهت هذا الرجل بأنه صفيعة الإلحاد ، فرحى مرحى للمجهت الأكبر . »

ومقال رصيفتنا جريدة ( السجل ) لليومية الغراء التي تصدر في بغداد مقال فياض ، اقتصرنا منه على هذه الفقرات القليلة على سبيل المثال . ونحن نطمئن الرصيف الكريم بأن الأمر بالنسبة إلينا أهون من ذلك بكثير . لأن قلم الخالصي الذي نسب الإلحاد إلى رئيس تحرير مجلة الأزهر قد سجل على نفسه نفي نعمة الإيمان عن الشيخين صاحبي رسول الله ﷺ وخليفته على أمته أبي بكر وعمر . وإذا كان أبو بكر وعمر غير مؤمنين في نظر الخالصي فأين يكون رئيس تحرير هذه المجلة وكل ما يود مثله أن ينال من الله الخطوة بأن يحشر يوم القيامة في ركاب أبي بكر وعمر ؟

يقول الخالصي في الجزء الأول من أكبر مؤلفاته وهو ( إحياء الشريعة في مذهب الشيعة ) ص ٦٣ - ٦٤ ما نصه :

« وإن قالوا : إن أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم في القرآن (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قلنا : لو أنه قال « لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة » أو « عن الذين يبايعوك » ، لكان في الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع ، لكن لما قال (لقد رضى الله عن المؤمنين ، إذ يبايعونك) فلا دلالة فيه إلا على الرضا عن محض الإيمان . »

فالقلم الذى استباح نبي رئيس تحرير مجلة الأزهر بأنه ضيعة الملحدين ، قد استباح قبل ذلك إنكار حتى نعمة الإيمان ، على أبي بكر وعمر اللذين لولا أن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ لما كانا أقل من كثير من الأنبياء السابقين منزلة في إقامة الحق على الأرض وتوحي رضا الله عز وجل .

لقد تواتر عن أمير المؤمنين على - كرم الله وجهه - أنه كان يقول على منبر الكوفة : « خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر » ، روى هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهاً ، ورواه البخارى وغيره ، ولا يوجد تاريخ في الدنيا صحت أخباره كصحة صدور هذا القول - من الوجهة العلمية التاريخية - عن على بن أبي طالب . وكان كرم الله وجهه يقول : « لا أوتى بأحد يفضلى على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفترى » ، فإذا انتقلت الإحثة والضعفنة على أصحاب رسول الله ﷺ من موضوع المفاضلة إلى موضوع إنكار الإيمان ، على أعظم المؤمنين إيماناً في الإسلام ، أصبح من الفخر لرئيس تحرير مجلة الأزهر أن يسجل عنه بعد موته أن الخالصي اتهمه بالإلحاد ، لأن للإلحاد والإيمان مدلولاً عند الخالصي غير مدلولهما الذى كان يعرفه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى المبشرون من خاتم رسل الله بأنهم معه في الجنة .

نحن لا نرى لنا سبيلاً على الخالصي من ناحية اعتقاده في إيمان أبي بكر وعمر - فضلاً عن رأيه في إيمان رئيس تحرير هذه المجلة - فإن في البشر ملايين لا يعتقدون حتى بإيمان خاتم رسل الله محمد بن عبد الله ، بل فيهم من لا يعتقد بالله . فليقل الخالصي وغير الخالصي ما شاء في إيمان أبي بكر وعمر وغيرهما ، وما نحن بمسيطرين على عقائد الناس . ولكن الذى نعجب له أن تكون للخالصي دعوى طويلة عريضة في توحيد المسلمين

والتقريب بين طوائفهم ، وأن يتقدم بهذه الدعوى إلى أهل الحجاز ونجد في حجته الأخيرة ، وأن تقام له الحفلات في الجمعيات الإسلامية بصر لأجل هذه الدعوى ، ثم يكون أبو بكر وعمر غير مؤمنين في اعتقاده ، ويسجل ذلك في أكبر مؤلفاته ( إحياء الشريعة في مذهب الشيعة ) ، وهل الاتحاد والتقارب يقومان إلا على أساس الأصل الأول ، وهو تعديل الرجال الذين تلقينا عنهم القرآن وسنن الإسلام ؟

وإذا كان هؤلاء غير عدول ، ولا مؤمنين ، ولا مرضيا عنهم من الله ، فأى ثقة لنا بالإسلام الذى تلقيناه عنهم ، وعلى أى إسلام غير الذى عرفناه منهم تتحد ونتقارب ؟ اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا ووفقنا لاجتنابه يا أرحم الراحمين . ( المجلة )

### - ٣ -

## نحو مجد الأزهر

سعت إلى الاستاذ الجليل مدير مجلة الأزهر لأنهى إليه أملى فيه رجلا غيوراً على مجد الأزهر ، متوثباً إلى نهضته الكريمة ، وقد كنت ولا أزال على يقين من أن مجلة الأزهر تستطيع لو توفرت لها عناصر الحرية والحياة أن تسهم فى خلق أمل جديد ، وبناء مجد منشود للأزهر ، بعد أن تعاضدت عوامل الخمول على تعويق ركبته ، واثبات خطاه .

وقد عرفت المدير الجديد لهذه المجلة ناقداً بصيراً لشئون الأزهر ، وذكرت له من قريب محاضراته التى ألقاها فى القاعة الكبرى للمحاضرات متوخياً بعث الهمم ، واستيقاظ العزائم وحشد الجهود للقيام برسالة الأزهر التى طرحنا جانباً منها عن كواهلنا ، أو حملناه مثاقيل . وحدثنى أحمد الزملاء أن رئيس تحرير هذه المجلة رجل لا يحرص على بلاغة المقال قدر ما يحرص على إخلاص صاحبه ، وإيمانه العميق بما يدعو إليه .

قلت لنفسى : فالفائزون على شئون هذا المنبر الضخم حريون بأن يُسمعوا صوت الأزهر ويستمعوا إليه ، وأن يمدوا فى هذا الصوت حتى يبلغ آذان الجاحدين والمكابرين ، وأن يعرضوا شئوناً جمة للأزهر فى معرض النقد والبحث والتحصيل ، لنأخذ بأسباب الكمال فى كل أمر يتعلق به ، ولست من المدعين للأزهر براءته من العيب ، ولا نقاه من الهنات ، فاعتقاد الكمال المطلق ، وادعاء الصلاح - وإن عزت أسبابه - عصبية جاهلة ، بها يتفاقم الداء ، ويستعصى الدواء .

ومن ذا الذى ترضى بجايه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معاياه

لقد تعرض الأزهر لحملة ظالمة من الكتاب ، وغلا فريق من الناس فى لومه ، والتسكّر له والتسخط عليه . بل ذهب بعض العاقين من أبنائه إلى أن الأزهر نقص كله ، ففيه النفاق الشائع ، والفتوى المأجورة ، والشرعية المشوهة ، بل هو « مقبرة حسا ومعنى » .

إن فى الأزهر الآن وعياً يقظاً ، وشعوراً ساهراً متوثباً نحو حياة ماجدة ، متطلعاً إلى أفق جديد ، وفى كل يوم صيحة مدوية من أبنائه وشبابه الاغيار يدعون إلى اقتحام ميادين الكشف ليزودا عن الدين بأسلوب مجدد كريم ، وإلى تنقيح البرامج الدراسية تنقيحاً يجمع إلى العمق والدرس وضوح الفكرة ، وإشراق الأسلوب ، وإبراز الجوهر ، وإلى إعادة النظر فى مناهج الأزهر ، لتساير الحياة المتجددة ، والعقول المنحرة . والحكومة مستجيبة لهذه الصيحة ، وإدارة الأزهر ماضية فى هذه السبيل ، تدعو إليها على بصيرة .

هذا الهجوم المقذع الخبيث من خصوم الأزهر وأعدائه اللد يقتضى من مجلة الأزهر أن تفسح صدرها للرد النزيه ، والبحث الممحص ، وعرض ما فى أفق الأزهر مما هو طيب أو غير طيب ، كريم أو غير كريم ، لهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيا عن بينة ، ولا بأس بأن يزحف بنقده إلى مجلة الأزهر الغيورون ولو من غير أبنائه ، حتى يكون هذا الصيال محصاً لفكرة قوية ، أو مينا لاساس رشيد ، ومن ثم نهي للأزهر ما هو أهل له من النهوض والمستوى الرفيع ، أما ترك هؤلاء المسارقين ينهشون الاعراض ، ويلغون فى الكرامات ، وينفثون السموم ، ويصورون الأزهر بهذه الصورة الشوهاء ، فى تجن وظلم وافتراء ، فذلك تلبد لا يليق أن ينسب لآبناء الأزهر عامة ، ولا بالحراص على كرامته خاصة .

على أن شيئاً لا يمنع أن يكون فى بعض هذه الأقلام ما يفيد توجيهها ونصحاً ، ولا ضير على الأزهر أن يتألف ذلك من كل لسان ، ولا عليه أن يأخذ الحكمة من أى فم خرجت .

وهذه الآمال الثائرة فى شباب الأزهر ، المتقدة فى صدره ، الحافلة بالحب والوفاء له ليس لها أرحب صدرأ من هذه المجلة ، تحمل آلامه وآماله ، ومتى حفلت بهذه وبذلك أشرفت حياة الأزهر ، واهتزت جنباته واتجهت إلى المجد والعزة غاياته ، وأصبح عسيراً على أعدائه أن ينالوا منه .

أنا مؤمن بأن فرداً واحداً لا يصلح الازهر مهما عز شأنه وسمت عبقريته ، ولكن اجتماع الجهود ، واحتشاد الفكر ، يدعم أسس الإصلاح ، وينير إليها السبيل ، ولقد كان في الماضى اختلاف المذاهب ، واضطراب العصبية ، مما يباعد بين القلوب ، فأما اليوم فالناس على كلمة سواء ، يسعى بذمتهم أدناهم .

على أن للإخلاص سمناً ، وللبناة الإصلاح روحاً لا يكذب ، ومنطقاً لا يضطرب ، ومتى أقامت المجلة من ضميرها وبقطنها رقيقاً على تحرير هذه الصفحة نفت عنها الخبيث والدخيل وصاحب الهوى ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون .

إن مجلة الازهر — فى انهام بعض الناس — تحيا حياة رتيبة لا تلوين فيها . ولانى لازم أن كثير أ من القراء — والازهرين — سئموا ما تردده بنغمة واحدة من بحث على أو أدبى مهما سبق من عقل الفحول وبحشم ، فإذا صاحب ذلك انبعثت العزائم نحو الإصلاح ، واهتزاز القرائح بالرأى يألف حيناً ، ويختلف حيناً ، فذلك تنفيق لسوق المجلة ، واجتذاب لعقول القراء وقلوبهم ، ودعوة لكل صاحب رأى مؤمن أن يدلى به . فلتقم هذه المجلة بهذه المثابة مقام لجان سياسة التعليم والمجالس العليا له فى غير الازهر . ولن يسكون ذلك لو تم إلا حسنة للازهرين ، وفضلاً يعزى للقائمين على أموره ، يذكر به بين المنحرفين .

هذه أمنية تخالج نفسى ، وتمازج شعورى ، وحتى أن تكون مجلة الازهر صوت الإصلاح الجهير ، وعينه الساهرة اليقظى ، ومؤتمره الواعى المتبصر .

أسوق هذه الامنية للازهرين الناهضين ، ولرعاة المجلة النابهين ، مستغنياً بهذه الامنية عن كل تحية ، فيوم توثى أكلها سيعجز رعاتها عن شكر التحيات المتدفقة ، منبعثة من الاعماق والله ولى المحسنين .

محمد طامل الفقى

مدرس فى كلية اللغة العربية

# التكرار في الكلام

التكرار ظاهرة واضحة في أسلوب القرآن الكريم ، وهي كذلك ظاهرة في حياة الأعراب أنفسهم . ولذلك قد يكون من خير الدراسات التي يفيدنا بها دارسو الإثنوجغرافيا أن يدرسوا لنا خصائص البيئة العربية في شبه الجزيرة ، ويربطوا بينها وبين الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها ، ثم يربطوا بين كل ذلك وبين الحياة اللغوية والأدبية التي كانت سائدة . وقد حاول بعض الدارسين منذ أوائل القرن العشرين ( راجع مس سامبل Simple في كتابها القيم : مؤثرات البيئة الجغرافية ... etc. Influences of Geographical Environment ) أن يقوموا بهذا العبء ؛ ولكننا لا نكاد نجدهم يتحدثون إلينا مرة واحدة عن شبه الجزيرة العربية ، ولا عن المناطق الجغرافية المشابهة لها . ولذلك فإن أي كاتب معاصر يريد أن يدرس ظاهرة فنية عامة عند العرب لن يستطيع أن يحكم حكما يستمع له ما لم تنوافر لنا تلك الدراسة . حاول البعض أن يعلل ظاهرة التكرار من واقع البيئة العربية والروح السائد فيها ، ولكننا محاولات اجتهادية محضة ، تعجب القارئ وتأسره إليها ، ولكننا لا تستند على أساس مدروس .

وأمام القصور الذي ما زلنا نعاني منه في مجال هذه الدراسات لا يسع الإنسان إلا أن يقف عند المفهومات العامة التي شاعت من قديم ، والتي ما تزال شائعة ليرى منها على أي نحو تصور القديما المشكلة ، وعلى أي نحو يتصورها المحدثون .

والظاهرة العامة التي تسود الدراسات القديمة هي أنها كانت تفصل المشكلة المراد بحثها عن كل ما عداها من المشكلات : وتتصورها منفصلة عن كل شيء . ثم تعالجها في هذا الوضع من الانفصال . ومن هنا لن نجد ناقدأ عربيا ( إلا في النادر ) يربط لنا بين ظاهرة لغوية أو أدبية وبين البيئة التي ظهرت فيها . وهكذا كان موقفهم من ظاهرة التكرار .

فابن رشيق يحدثنا عن التكرار فيقول : وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه . وهكذا يتحدث ابن رشيق عن التكرار فيتمثله



في بعض النصوص فإذا به يرتاح له حيناً ، وينفر منه حيناً ، فيسجل لنا هذه النتيجة ؛ أن التكرار يحسن أحياناً ويقبح أحياناً . ولكن ما هو السر في ظهور التكرار في الأدب واللغة ، وما براعته ؟ هذا سؤال لا نعث له على جواب .

وقد يقدم إلينا ابن رشيق صوراً للتكرار حين يقبح ، وصوراً له حين يجمل فيقول :  
فأما قول محمد بن منذر البصري في معنى التشكير :

كم وكم ، كم كم وكم ، كم كم وكم قال لي أنجز حر ما وعد

فقد زاد على الواجب ، وتجاوز الحد . ومن المعجز في هذا النوع قول الله تعالى في سورة الرحمن : « فبأى آلاء ربكما تكذبان ، كلما عدد منة أو ذكر بنعمة كرر هذا .

والآن لماذا يرتاح العربي للتكرار الذي في الآية ولا يرتاح له في البيت ؟

قد يبدو هذا السؤال غريباً ، لأن نفس الإنسان ترتاح لهذا ولا ترتاح لذلك . هذه هي المسألة ؛ فسكان المسألة مسألة نفسية صرفة ، ولكن ذلك فيما يبدو حل سريع ، وهو لا يكفي . ذلك أن الارتياح النفسى أو عدم الارتياح ليس قاصراً على ظاهرة التكرار في صورها المختلفة كما نواجهها ، بل إن ذلك يتمثل حين نواجه ظاهرة التكرار وغيرها من الظواهر ، فنأخذ منها أحد الموقفين . وعلى ذلك ينبغي البحث عن الصلة التي بين التكرار بالذات وبين روح الحياة السكّانة في البيئة العربية والتي كان العربي يحسها إحساساً عميقاً ومباشراً .

ويترك القداحى هذا المبحث ويتحدثون إلينا عن فوائد التكرار في الكلام . وهذا بطبيعة الحال كان يتمشى مع مهمتهم الأولى والأساسية ، وهى أن يعلموا الناس الأساليب ، متى تحسن ومتى تقبح ، وفي أى المجالات ، ولأى الأغراض ، وعلى أى نحو تستخدم .

والسيوطى يلخص لنا هذه الفوائد التي للتكرار فيقول : وله فوائد منها التقرير . وقد قيل : الكلام إذا تكرّر تقرر .

وقد نبه تعالى على السبب الذى لاجله كرر الإقاصيص والإنذار في القرآن بقوله : « وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ، ومنها التأكيد ، ومنها زيادة التنبيه على ما ينبغي النعمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول ؛ ومنه : « وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، فإنه كرر فيه النداء لذلك . ومنها

إذا طال الكلام ، وخشى تناسي الأول ، أعيد ثانياً بطريقة له ، وتجديداً لعهده ؛ ومنه : « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها ... الآية . ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها ... الآية . ولما جاءهم كتاب من عند الله - إلى قوله : فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به . لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب . إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ، ومنها التعظيم والتحويل نحو : الحاقة ما الحاقة - القارعة ما القارعة - وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ... ومنه التريديد كقوله : الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاج كزجاجه كأنها كوكب دري ... وقع فيها التريديد أربع مرات ، وجعل منه قوله : فبأى آلاء ربك تكذبان ؛ فإنها وإن تكررت نيافاً وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها ، ولذلك زادت على ثلاثة ، ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة ، لأن التأكيـد لا يزيد عليها ، قاله ابن عبد السلام وغيره . وإن كان بعضه ليس بنعمة فذكر النعمة التحذير نعمة . وقد سئل أى نعمة في قوله : كل من عليها فان ، فأجيب بأجوبة أحسنها : النقل من دار الهموم إلى دار السرور ، وإراحة المؤمن والبار من الفاجر . وكذا قوله : ويل يومئذ للمكذبين في سورة المرسلات ، لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، فسكانه قال عقب كل قصة : ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة . وكذا قوله في سورة الشعراء : « إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم ، كررت ثمانى مرات كل مرة عقب كل قصة . فالإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر .

وكذا قوله في سورة القمر : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ، قال الزمخشري : كرر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها اتعاضاً وتنبيهاً ، وأن كلا من تلك الانباء يستحق لاعتبار يختص به ، وأن يتنبهوا كي لا يغلبهم السرور والغفلة . ويستمر السيوطي ينقل إلينا عن سابقه تفسيراتهم للتكرار الذى صادفوه في بعض الآيات بالذات .

ولاشك أن البحث عن الفوائد النفسية التى يقدمها التكرار أمر لا يكاد يفتنى ، لأن صورة التكرار في أى نص من النصوص إنما هى حالة فردية بحتة ، بمعنى أن كل تكرار يكاد يكون له دلالة خاصة ويهدف إلى منحى نفسى ما يختلف في كل نص عنه في الآخر . فقد يكون

التكرار إذن للاستعطف كما في قول إبراهيم عليه السلام وتكراره « يا أبت... » ، وقد يكون إلى ذلك لاستدراة الرحمة كما في تكرار « اللهم » في الدعاء .

وهكذا نستطيع أن نجد ما لا يحصى من المعاني أو الفوائد التي للتكرار . ولكن هذا الإحصاء لا يحل الإشكال فيما يبدو ، لأن كل هذه المعاني كان من الممكن تأديتها بصور لغوية لا تكرار فيها . هنا يقول قائل : ولكنها عندئذ لن تكون بالقوة التي هي عليها في حالة استخدام أسلوب التكرار . وهنا نسأل : ما هي هذه القوة ؟ ولماذا يكون التكرار أكثر قوة ؟

والمحدثون حين يقفون أمام ظاهرة التكرار هذه يفسرونها تفسيراً نفسياً ، ذلك أن الدراسة النفسية قد وجدت طريقها إلى دراسة اللغة والأدب بما هو مظهر من مظاهر النشاط الروحي ، ووجدت بعض المحاولات التي أخذت على عاتقها تفسير الأدب والظواهر الأدبية تفسيراً نفسياً محضاً . وهنا يأخذ المحدثون من هذا الأساس النفسي وسيلة للكشف عن السر في قوة الأساليب ومن بينها التكرار . وهذه المحاولات طريفة ولا شك ، ولكنني أريد أن أؤكد للقائمين بها أنهم لا يمسون المشكلة في أعماقها ، ويكفي أن أقدم هنا صورة تثبت ذلك . فمن الممكن أن يكون للتكرار أصل نفساني أو بيولوجي كامن في الإنسان ( الشيق والزفير مثلا عملية متكررة ) ، وهو حينما يلتقي في الخارج بصورة من صور التكرار فإن هذا التكرار يحدث مع نفسه توازناً ، ويكون الإعجاب بالتكرار هنا نتيجة لالتقاء طبيعي بين الخارج والداخل . وهنا يمكن أن نوجه هذا الاعتراض : أليس الشيق والزفير قسمة بين جميع الناس ؟ فلماذا إذن يغلب التكرار على لغة بذاتها أو يفشو في أدب بذاته ، حتى يكون ظاهرة واضحة فيه ولا يكون كذلك في أدب آخر ؟ ولماذا يرتاح الناس في هذه الامة إلى التكرار ولا يرتاح إليه الناس في أمة أخرى ؟

مرة أخرى أؤكد أن جواب ذلك كامن في بحث الروح العام السائد في كل أمة تعيش في بيئة بذاتها ، وأن هذا العمل هو موضوع الدراسات الانثوجغرافية أولاً وقبل كل شيء ، وهي التي تدرس لنا أثر البيئة على الإنسان ، ومدى ما بينهما من تفاعل . وحين تنصب هذه الدراسة على شبه جزيرة العرب فإنها عندئذ ستمطينا المفاتيح التي تفتح لنا تلك المغاليق ، وتجيب لنا على تلك الاسئلة الكثيرة التي أسلفنا ، دون أن نجد لها الجواب العلمي الكافي . وعندئذ سيتحقق لنا أن التكرار ليس إلا نتيجة لظروف بعينها ، وأن انفعال العربي به كان نتيجة غير مباشرة لتفاعله مع بيئته .

# صَانِعُ الْقَوْلَانِ

من ذلك الذى لفه جنح الليل الرهيب ، وماجت بين عينيه آفاق الظلام المهيّب ، وجثمت حوله قن الصخور الشاخسة كعزيمته ، المتحدية كهيمته ؟

من ذلك الذى تخترق غياهب الماضى نظراته ، وتنفذ حسرة على الحاضر عبراته ، وتتحفز لتسبق فجر المستقبل وثباته ؟

من ذلك الذى تطارده المؤامرات وهو لاثذ بإيمانه ، وتغفر فاما عليه الملمات وهو عائد بقرآنه ، وتتقاتل عليه أغوال الشر وهو معتصم بمولاه ، وتداعى عليه الاحقاد وهو مدرع بعناية الله ؟ .

إنه محمد بن عبد الله ، إنه معجزة الحياة ، إنه محارب الأرباب ، إنه صانع الانقلاب ، إنه قاهر العزى ومناة ، ومن عفروا من ثراها الجباه ، إنه أعلن الحرب على العقيدة التى تغلخت فى الدماء ، وتوارثها الابناء عن الآباء وآباء الآباء ، إنه يناضل الشيطان الذى تجسم فى هذه الاوثان ، إنه يصارع الطغيان الذى تمثل فى كل إنسان ، إنه ينظر إلى بناء العروبة وقد نسجت عليه العناكب ، ويتطلع إلى دعائه فإذا هى رخوة الجوانب ، فوحدها متراخية الاسباب ، مزعزة الاطئاب ، لا تمسكها وشيجة ولا تربطها آصرة ، والناس كلهم بين مجروم عليه وجارم ، ومحرور من لقمة العيش وحارم .

فأنى لقوة بانية أن تجعل من هذه الهاوية صروحا سامية ؟ ألا إنها قوة المهجرات التى تصنع الآيات .

وقف محمد على باب الغار يودع مدارج طفولته ومعارج صباه ، ويذكر حرب قومه لدعوته ، وتعذيبهم لمن والاه . ثم انطلق من قيود الحنين والوفاء التى أقعدته أعواما بين مرارة الإيذاء ، ومرارة البلاء ، وانفلتت معه الدعوة من ضيق هذه الحدود ، وأغلال ذلك الجحود .

وهاجرت الحياة من مكة الجذباء إلى المدينة الغراء ؟ هاجرت الحياة إلى من يؤمنون بطهارة الحياة . وإلى المدينة تطلع الوجود ، لينظر إلى محمد كيف يصنع الخلود .

إن محمداً عليه السلام يؤمن بأن خلق الهمة قبل بناء الامة ، وبأن نكران الذات قبل قيادة الجماعات ، وبأن التغلب على هوى النفس قبل خوض معارك البأس ، وبأن الاخلاق المسكخة خير من خير الاسلحة .

بهذا وبكثير غير هذا راح محمد عليه السلام يصنع في المدينة قادة ، وبين جوانب مسجده أنشأ مصنع القيادة : مصنع القيادة الذى يعد كل مسلم ليسكون ماجداً ، وليسكون حينما كان قائداً .

مصنع القيادة الذى يصنع الارواح ليهيئها ليوم الكفاح ، ويعبئ القلوب قبل أن تنزل إلى معامع الحروب .

مصنع القيادة الذى يصنع القائد الفاتح وادعا إذا ملك ، ويجعل المؤمن الصالح قائداً بما امتلك .

مصنع القيادة الذى يثقف الهداة كما يثقف الغزاة ، يصنعهم كتاب الله ، وتصلحهم سنة رسول الله ، بل لقد أنشأ بين جوانب مسجده مدرسة الثورة ... مدرسة الثورة على الأصنام التى عنت لها الهامات ، وسيقت لها القرابين ، ونحرت زانى لها الذبايح .

مدرسة الثورة على العادات المتوارثة ، والاخلاق العابثة ، لأنها مدرسة الثورة على الحياة الجاهلية كلها لتخلق حياة جديدة كلها .

وما انتضى عام حتى زلزلت قواعد اللات والعزى ، وانخلعت القلوب التى عاشت بينها الشياطين ، حينما رأت قريش على مياه بدر القوة المؤمنة تطحن ما عبأت مكة طحنا ، وتسوم العداة شجما وطمنا .

رأت قريش المؤمنين يكررون فى قوة دافقة ، وقلوب بحب الموت فى سبيل الله خافقة يستعذبون مرارة الجهاد ، ويضعرون بحرارة الجلال : ففروسمهم من مادة جديدة ، لا تعرف

الحور ، كأنما حملتها يد العناية من طباع البشر ، وهنا ذابت قريش على الصحراء أمام حرارة الإيمان كما يذوب البرد .

وانقطعت بعد ثمانية أعوام صيحات الوعيد والتهديد التي كانت ترسلها قريش ، حينما دخل القائد الأعظم مكة فاتحاً فخطم الأرباب ، وقضى بقواد المدينة ومؤمنى العرب على الوثنية التي طرأت من أيام عمرو بن لحي على العرب ، وقد شهدت المدينة أفواجا من الفدائيين تخرجوا في أعظم معهد عرفه تاريخ النضحيات ، وأنجهم أقوى مصنع خلق الرجال ، وكلهم القائد الذي لا تقل له قناة ، والغازي الذي تخر أمامه جباه العتاة .

بل كلهم الهادي الذي امتلأ من هدى النبوة قلبه ، وكان لله ولرسول الله وبجماعة المسلمين عمله وجهه .

إن صانع القواد صنع المسلمين كلهم قواداً ، فإذا حمل اللواء أحدهم سار الجميع خلفه أجناداً .

وإذا أمر رسول الله زيدا فإنما يهدف من وراء ذلك إلى أن الإمارة ليست وقفاً على السابقين من المهاجرين ، ولا على الذين آووه وآزروه من الانصار ، ولا وقفاً على العرب الماجدين ، بل إن كل المسلمين قادة وإن كلا يصلح للقيادة .

ولحق صانع القواد بالرفيق الأعلى وقد ترك وراءه مئات الآلاف من القواد ينشدون الدعوة ، ويفتحون لها البلاد ، وقد فتحوا لهذا الدين أقطارا استعصت على كل مغوار ، وأخضعوا حصوناً لم تدن أسوارها قبل لاي جبار ، وحق للإسلام وأولئك حماه ألا تصده الحدود ، أو تكبله عن الانطلاق في أرض الله القيود .

وهكذا صنع العرب المعجزات لأنهم من صنع مدرسة محمد عليه السلام : تعلموا فيها كيف تنفاني ذواتهم في خير أمتهم ، وتعلم كل كيف يعمل لأمته قبل أن يعمل لأسرته ، وتعلم كيف يسائل نفسه إذا أمسى ماذا صنع لدعوته وماذا قدم لدولته .

فما انقضت عشرة أعوام على الهجرة حتى اقتلعت قوة الإسلام جذور الوثنية من جزيرة العرب ، وحتى تبدل بطش الجبابة رقعة وادعة ، أمام حقوق الضعفاء ، وقوة رادعة أمام الصلف والكبرياء .

ودارت عجلة التاريخ عشرين عاما أخرى ، فإذا مئات الآلاف من القواد الذين صنعهم محمد عليه السلام يبهرون الدنيا بأعمالهم ، وإذا الوجود يقف مشدوها أمام أولئك الذين زحفوا من الصحراء شمالا فلكوا ملك فارس الواسع ، وانطلقوا غربا فلكوا ملك الروم الشاسع .

ثلاثون عاما مضت على هجرة الرسالة إلى المدينة غيرت وجه التاريخ .

ثلاثون عاما قصيرة في عمر النهضة ، ولكنها خلقت للتاريخ ما تعجز عن خلقه القرون .

ثلاثون عاما بنى فيها كل مسلم بدمه وعقله وإيمانه وساعده وبكل حيويته مجد الأمة الإسلامية .

وبهذا خلفوا للإسلام ترانا عظيما ، وملكا عزيزا لم تغب عنه الشمس ، فهل حماء بعدهم المسلمون ؟ وهل صانت عزته كثرتهم التي تضيق بها الآن رحاب الاقطار ؟ .

اللهم إنا نقف أمام هذا المجد الذي بناه أسلافنا منكسى الرؤوس ، اللهم إنا نقف أمام صفحات هذا التاريخ جرحى النفوس ، فحتى متى نقف ويطول بنا الوقوف ، ونجمد ويطول بنا الجمود ؟

أيها المسلمون .

إن جميع بلادكم أصبحت مرآة للاستعمار السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي ، وليس ثمة بين بلاد المسلمين بلد لم تستعبد قواه أو يستنزف دمه أو تستغل أرضه أو يحرم أهله من خيره أو تربى على غير التربية الإسلامية عقليته .

فأين قادة الإسلام ليمملوا ؟ فلم يعد في الزمن ما يتسع للخطب والمؤتمرات .

إن مئات الملايين من المسلمين تعركهم في بلادهم رحي الاضطهاد ، وتسفع نواصيمهم سياط الاستعباد ، وتنتهك حرماهم وتستباح أعراضهم ، فالجناح المبيض جناحهم ، والسلاح المفلول سلاحهم ، والكفاح المائع كفاحهم .

أيها المسلمون .

إن المصنع الذي صنع فيه محمد عليه السلام قادة اعترت بهم القيادة، وجعلت لهم السيادة لم يزل حياً في الصدور ، وفي السطور : كتاب الله وسنة رسول الله ، وليكنكم تسمعون ولا تعون ، وتحفظون ولا تعقلون ، فغيروا ما بأنفسكم يغير الله لكم وجه التاريخ قبل أن تصبحوا عبرة التاريخ .

أيها المسلمون .

لا تستجدوا العزة من لا يحبونكم أعزة ، ولا تطلبوا السلطان من يحبون لكم الهوان ، ولا تنتظروا الوعود من ينقضون العهود ، وماذا تناله الخطب والأسفار في عصر الحديد والتار .

إن روح التضحيات والفداء هي التي صنعت ذلك المجد الغابر ، فهل حرص المسلمين على الحياة والدعة هو الذي جعلهم عبرة الحاضر ؟

لا . لا . أيها المسلمون : استمدوا من مصنع المعجزات قواكم ، وانقضوا لتشقوا إلى العزة السبيل أو انفضوا .

أما أنتم يا من تقدمتم الشعوب وتبوأتم مراكز قيادتها ، وارقتيم إلى مرقى سادتها ، فاصهروا أنفسكم في مصهر البطولة الذي صهر خالداً ، ثم اصنعوا بعد للإسلام تاريخاً خالداً ، واذكروا بسالة ابن الوليد وكفاحه المجيد ، ثم اذكروه واذكروه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة فيتميز حسرة وقصطك أنيابه أسفاً ، لأنه لم يفز بالاستشهاد بين أهوال الجهاد ، وفي جسده أثر لمساته طعنة قاتلة لم يثل بها الشهادة ، ومن ثم يموت في بيته مردداً : ه أأموت على سريري كما تموت النساء !! لا نامت أعين الجبناء .

اذكروه أيها الفدائيون لعل ذكراهم تصنع لنا مجداً ، ولعل فيكم من يكتب بدمه في صفحات الوجود خلداً ؟

محمد طليقة

المدرس بالأزهر



## كيف ينحصر المسلمون !

بم يسترد المسلمون ما سلف من مجدهم الغابر ، ومضى من عزهم التليد ؟ وكيف يسترجعون تلك المكانة السامية التي اقتعدوها في ذروة التاريخ ؟ بم يعودون كما كانوا قادة الدنيا وهداة العالم ، يحملون في أيمنهم مشاعل العلم والحق والعدل ، لا يضعفون ولا يتخلفون ؟ وكيف تعود هذه الرقعة الإسلامية زاخرة بالقوة المستنيرة المبصرة ، حافلة بالعزائم الفتيية ، والهيم القوية التي تمتدح الخطوب ، وتزرى بالحن ؟

تلك أسئلة تطوف بالفكر ، وتتردد على الذهن ، حين يستسلم المرء لتصوراته وتأملاته ، وتسرح خواطره خلال الأحقاب التاريخية ، تستعرض أجداد المسلمين ، وتقرأ صحائفهم الناضرة اللامعة ، وهي أمنيات مثيرة ملحة تداعب المرء حين يستبد به التفكير ، ويمسكه الالاسى ، ويتأمل فيما غشى الأمة من أحداث ، ومر بها من خطوب . على أن العوارض التي تعرض للأمم ، والآفات التي تلحقها ، فتؤخر وثباتها ، وتشل نهضاتها ، وتقلب أوضاعها ، وتنكس تاريخها ، كالعلل التي تعترى الأفراد فتتال من أجسامهم ، وتسلب من قواهم ، وتضعف من عزائمهم ، ثم لا تلبث أن تتلاشى أعراضها ، وتزول آثارها حين يحرص المرء على أن يأخذ بوسائل الطب وأسباب العلاج . كذلك الأمم والشعوب إذا حاول المصلحون أن يصلحوا أوضاعها ، ويعالجوا عيوبها وأمراضها ، ويهيئوا لها أسباب الحياة السعيدة ، ولازمهم الإخلاص فيما التمسوا من طب ، واتجهوا إليه من علاج . فلا بد أن تزول أسباب الضعف ، وتنمحي آثار العلل والآفات .

... قد تختلف الأنظار وتباين الوجهات فيما يلتبس من دواء ، أو يرسم من سبل ، ولكن لابد من الوصول إلى الغاية المنشودة ، والهدف المأمول ، مادام الناس يأخذون أنفسهم بما اتجهوا إليه من وجهة ، أو ارتبطوا به من سلوك ، وليس هناك أخطر على الأمة وأدعى إلى شيوع الداء واستشراء العلة من أن نبسط الآراء ، ونقترح الوسائل ، ثم لا تأخذ أنفسنا بوضع ، ولا نحملها على سلوك ، وقد حذرنا رب العالمين جل شأنه من هذه الخلائق

التي لا تحمل في طياتها إلا الضعف والانحلال . . يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون  
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ، .

فإذا أردنا أن نعود إلى القوة الإسلامية الهادية البانية العادلة ، وإذا أردنا أن نعود  
إلى سيادتنا الرحيمة القويمة ، فما علينا إلا أن نتجلى بالشئال التي خلقت هذه القوة ، وأنشأت  
تلك السيادة ؛ فإن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صالح به أولها ، ما علينا إلا أن نتجمل  
بأخلاق أسلافنا ، ونتذرع بالأسباب والوسائل التي سلكوها إلى أهدافهم وغاياتهم ،  
والوسائل التي مكنت لهذا الدين ، وهيات لتلك الأمة مديكها الواسع ومجدها العريض ، هي  
الوسائل الطبيعية التي شرعها الله لقيام الجماعات ، ونهوض الدعوات ، ونجاح الرسالات ،  
هي الوسائل التي لا تضل بها الآراء ، ولا تفشل فيها القوى والجهود .

ونحن نعلم من تاريخ ديننا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه نهض بدعوته ، وقام  
برسالته بين جماعة استبد بهم ظلام العقل ، وتمسكت منهم قسوة القلب ، ولفهم الجهل بأغشية  
سميكة ، ولم يكن مع الرسول سلاح يحارب به ، ولا ذخيرة تحمل الناس على الخضوع له ،  
والإذعان لرسالته ، إلا قوة العقيدة والفناء في الدعوة . كان يحمل بين جنبيه أنفذ سلاح وأمضى  
عدة . كان يحمل الإيمان الراسخ الذي لا يهن ، والعزم المصمم الذي لا يتردد ، والسيرة الناصعة  
التي لم تدنس برية ، والسلوك القويم الذي يحمل الناس في قوة وروعة على الانقياد والتسليم ،  
ثم لم تلبث بشاشة الإيمان أن خالطت قلوبها شرحها الله للهداية ، ومازجت صددورها أضاءها  
الحق ، وزينتها الطاعة الصادقة ؛ فجاهدت في الله حق جهاده ، حتى صارت كلمة الله هي العليا ،  
وكلمة الذين كفروا السفلى ، وما هي إلا فترة وجيزة ولحمة عابرة من حساب الدنيا حتى تلفت  
التاريخ في دهشة حائرة يطل على امبراطورية ممتدة الأطراف ، مقسعة الرقعة ، زاهرة بالقوة  
المهادرة والنضج الإنساني ، أقام دعائمها وأسس بناءها أولئك الذين لم يشهروا بمدنية ، ولم  
يعرفوا بمحضارة ، ولم تهم لهم قبل ذلك دولة منظمة ، ولا سلطان مخيف .

ما الذي جعل هذا الملك يمتد في فترة أدهشت العقلاء والمفكرين إلى الهند والصين شرقاً ،  
وإلى بلاد الأندلس غرباً ، وإلى سيبيريا شمالاً ، والسرودان جنوباً ، ما الذي جمع هذه الأشلاء  
المبعثرة ، وضم تلك القوى المتناثرة ؟ ما الذي ألف هذه القلوب المتنافرة ، وجمع تلك النفوس  
المتباغضة المتحاسدة ؟

ما الذى قهر الاعداء وأرغم الخصوم ، وأذل القوى الجبارة التى تنحكم فى العالم وتتنازع سيادته لهذه القوى الفتية النابضة الناهضة ؟

إنه الإيمان وحده ، الإيمان الذى يخالط القلب ، ويمتزج باللحم والدم ، ويسرى فى جميع أنحاء النفس ، فلا يترك فيها مجالا لحقد مدمر ، ولا موضعا لغل مهلك ، وطمع ذنى خبيث ، ولا أثرا لشهوة فانية وأثر زائل .

إنه الإيمان الذى تسترخص فى ظلاله المميج والارواح ، ويضحى من أجله بالاهوال والأولاد . وبمقدار ما يقوى الإيمان فى الصدور ، وتمكن العقيدة من النفوس ، تعظم قوة المسلمين ، وتشمخ عزتهم ، ويمتد سلطانهم ، ويرهب الاعداء جانبهم ، فإذا فتر الإيمان ، الإيمان بالله ، الإيمان بقوة الأمة ورسالتها ووضعها فى الحياة ، وتحللت العقيدة التى توحى باقتحام الاهوال ومغالبة الاحداث والانتصار على قوى الاعداء .

إذا استسلم الناس لما يساورهم من الوسوس الخاطئة والاهوام الضالة ، والشك فى رسالتهم فى الحياة ، فلا بد أن يتحلال سلطانهم ويتضاءل نفوذهم ، وتسقط هيبتهم من نفوس أعدائهم ، ولقد صدق الرسول الأكرم حين صور هذه الحالة أصدق تصوير بقوله : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصاعها . فقال قائل : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ، .

إن أعنى عدو للمسلمين ، وأشد خصومهم جبروتا وطغيانا لن يتمكن منهم ولن يستطيع أن يفرق جمعهم ويشنت صفوفهم ووحدتهم ، ويستذلهم أقبح الذلة ، إلا إذا تمكن أولا من قلوبهم ، فلاها بحب الدنيا وشهواتها الآثمة ، ونزواتها الظالمة ، وجعلها تحرص أشد الحرص على السلامة والعافية ، فلا تسلك فى جسم ، ولا تؤذى فى نفس ، ولا توتر فى مال . ومق دُب الحرص والوجل فى الأمم فقد تمكنت منها الاستكانة والرضى بما ينزل من هوان .

ماذا نقول الآن حين ننظر والآسى يملأ نفوسنا إلى هذه الرقعة الإسلامية التى كانت تزخر بالقوة ، وتنبض بالمجد ، وتتوذب بالسلطان ، فرى أن أيدي الاعداء قد عبثت بجمعها ، وأطماع المستعمرين قد مزقتها شرمزق ؟

ماذا نقول حين نجد الهداة قد أصابهم العمى ، وشر العمى عى القلوب ، ونجد العلماء قد ران على قلوبهم الجهل ، فتخلفوا عن الركب وأصبحوا يلتمسون من يحدد لهم الوجهة ويوضح أمامهم الغاية ؟

ماذا نقول حين نرى هذه القوى تسكدح وتستخرج كنوز الارض وطيبات الرزق ؛ ليستمتع بها الاعداء ، ويستأثر بها المستعمرون . ؟

لا نقول إلا أن الإيمان قد خبا في القلوب نوره ، وضعف على الافة تأثيره ، فاستسلم المسلمون لسلطان المخلوق بعد أن هربوا من سلطان الخالق ، وعكفوا على عبادة الظالم بعد أن فروا من عبادة الواحد القهار . ومن تمرد على الله وكله الله إلى الناس .

هذه بلادكم أيها المسلمون قد غدت نهبا للطامعين ، ولقمة سائفة للمستعمرين . ما من دولة فيها إلا حاولوا أن يسيطروا على منافذها ومواردها ، وأن يمسخوا في النفوس إيمانها وعقائدها ، وقد طال إلفنا لما ران علينا من ذل ، وتحكم فينا من ضعف ، مع أن الله تعالى يدعونا دائما إلى مواصلة الجهاد ، ويحثنا على مناهضة الاعداء بقوله : ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليا حكيما .

يجب أن يعود المسلمون إلى ربهم ، وإلى الإيمان الذي غاب عن قلوبهم ، وأن يشعر كل مسلم بأنه رقيب على نفسه ، يحاسبها إذا أخطأت ، ويقومها إذا اعوجت ، ويهديها إذا ضلت . وبهذا يتيسر لنا أن نهض ، ويتبأ لنا أن نقوى وأن نأخذ وضعنا ونؤدى رسالتنا في الحياة ؟

عبد الحميد محمود المسالوت

المدرس في كلية اللغة العربية

## شَاعِرُ نَفْعَةٍ ثَانِيَةٍ مِنَ الْإِسْلَامِ

كان أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ من الشعراء الجاهليين الذين تفكروا في هذا السكون ، وعرفوا بعقولهم أن مصيره للزوال ، وأنه لا بد له من خالق تجب عبادته ، كما يجب له وحده البقاء ، وأن ما يأتيه معاصروهم وإخوانهم في بلادهم من المفاسد كشرب الخمر ولعب الميسر ومقارفة الفواحش وغير ذلك نقص يفتن للرجل العاقل اجتنابه والابتعاد عنه ، حتى لا يخالف إرادة خالق هذا السكون . ومن هؤلاء الشعراء النابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى وغيرهما . وكان أُمِيَّةُ عالماً بتاريخ الأمم السابقة وما حدث لها من انتقام من الله ، بسبب عصيانها له ، لأنه قرأ التوراة والإنجيل وكتب التاريخ ، وفي شعره كثير من الإلهيات ، ووصف لبعض الحوادث التي قص القرآن قصصها ، وكانت قد وردت في الكتب القديمة ، من ذلك قوله يذكر قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون وإرسال الله تعالى لهما إليه :

وأنت الذي من فضل سيب ونعمة	بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقال أغنى يابن أمى فإنتى . . .	كثير به يارب صل لي جناحيا
وقلت لهارون اذهبا فتظاهرا	على المرء فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له هل أنت سويت هذه	بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له هل أنت رفعت هذه	بلا عمد أرفق إذن بك بانيا
وقولا له هل أنت سويت وسطها	منيرا إذا ما جنته الليل ساريا
وقولا له من أخرج الشمس بكرة	فأصبح مامست من الأرض ضاحيا
وقولا له من أنبت الحب في الثرى	فأصبح منه البقل يهتز رايبا
فأصبح منه حبه في رؤوسه	ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

ومن ذلك قوله يصف عرض الناس على الله وعلى النار كما ورد في القرآن :

عند ذى العرش يعرضون عليه	يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم	إنه كان وعده مأثيا
يوم نأتيه مثل ما قال فرداً	لم يذر فيه راشداً وغويا

أسعِد سعادة أنا أرجو أم مهان بما كسبت شقيا  
رب كلا حتمته وارد النسا ركتاباً حتمته مقضيا

ومن ذلك قوله في خالق الكون ، وفناء الخلق ، وعاقبة الناس مجرمين ومتقين :

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال  
بناها وابتنى سبعا شدادا بلا عمد يرين ولا حبال  
وسواها وزينها بنور من الشمس المضيئة والهلال  
وشق الأرض فانبجست عيونا وأنهاراً من العذب الزلال  
وبارك في نواحيها وزكى بها ما كان من حرث ومال  
فكل معمّر لا بد يوما وذى دنيا يصير إلى زوال  
ويبقى بعد جدته ويبنى سوى الباقي المقدس ذى الجلال  
وسيق المجردون وهم عراة إلى ذات المقامع والنسكال  
فنادوا ويلنا ويلنا طويلا وعجوا في سلاسلها الطوال  
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحر النار صالى  
وحل المتقون بأرض صدق وعيش ناعم تحت الظلال  
لهم ما يشتهون وما تمنوا من الافراح فيها والسكال

وكان يعلم أن نبياً سيخرج من العرب ، فأعمل أن يكون هو ذلك النبي المبعوث من العرب ، فتذسك وحرم على نفسه الملاحى والمحرمات التى كان يتمتع بها قومه ، وكان يذهب إلى الرهبان يسألهم عن موعد ظهور النبي الجديد ، وعن صفاته ليطبقها على نفسه ، فإذا أخبره أحدهم بأوصاف ينطبق بعضها عليه زاد أمله في النبوة ، وإذا أخبره أحدهم بأوصاف لا تنطبق عليه اكفر وجهه واغبر ، وربما سكنت مدة طويلة لا يتسكلم ، وكان يسافر إلى بلاد الشام ليسأل الرهبان في الطريق إليها وفي حواضرها ، فكانت إجاباتهم تسبب له هما ناصبا وحزنا شديدا ، لأنها تقطع رجاءه في النبوة ، وتباعد بينه وبين أمله العذب وحلمه الجميل .

ولما بعث الرسول ﷺ ذهب أمية إليه ليراه وليعرف خبره ، فجلس بين يديه يسمع كلام الله المنزل على عبده الذى اصطفاه ، ومعجزته الخالدة التى طاولت الزمن ، وحر فيها العرب والعجم ، وتلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : يوم يجمعكم ليوم

الجمع ذلك يوم التغابن ، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ، فبنت أمية وأخذته رعدة جعلته يضطرب اضطرابا عنيقا ، وأراد أن يؤمن ، ولكنه فتح فمه وهمهم مهمة غريبة ثم أقفله ، وحاور نفسه ، أهذا سحر ؟ ، لو كان سحرا لعرفه ، فقد رأى السحرة وخالطهم ، وما هذا بقولهم ، أهو شعر ؟ ؛ إنه الشاعر الذي نظم هذه المعاني في شعره إذ يقول :

ويوم موعدهم أن يحشروا زمراً      يوم التغابن إذ لا ينفع الحذر  
وأبرزوا بصعيد مستو جرز      وأنزل العرش والميزان والزبر  
وحوسبوا بالذي لم يحصه أحد      منهم وفي مثل ذاك اليوم معتبر  
فمنهم فرح راض بمبعثه      وآخرون عصوا مأواهم سقر

ولكن لم يكن لقوله مثل ما لهذا القول من سحر ، ولا لجرسه وقع يسبب الرعدة ، وما يشيع من الخضوع والاطمئنان في النفس ، وخرج أمية من عند النبي صلى الله عليه وسلم مذهولاً لا يدري أين يذهب ولا ماذا يفعل ، ولقيه أحد الصحابة فسأله : هل لقيت محمداً ؟ فقال : أجل ، قال له : وهل أعجبك حديثه ؟ قال نعم ، وإن له لشأنا . قال : فهلا آمنت به ! قال : حتى أنظر . وانطلق يفسر الشائعات السكاذبة عن دين محمد الجديد وما فيه من إفساد لحياة الناس ، وتبديل لما تعلقوا به منذ نعومة أظفارهم ، فهو يدعو إلى المساواة بين الناس : فلا سيد ولا مسود ، وكل الناس عبيد الله ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . ثم كانت بدر الكبرى ، وقتل فيها شيوخ قریش وساداتها ، وفيهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ابنا خاله ، فرثاهما بقصيدته التي نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن روايتها ، وفيها يمدح القتلى بأنهم أهل المحامد والكرم إلى غير ذلك من الصفات التي تقدسها الجاهلية ، ولم يطق البقاء بالجزيرة العربية ، فهرب هو وأولاده إلى اليمن ، ثم لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رجع إلى الطائف .

وعاش إلى أن شاخ وعقه أولاده ، ومات على الكفر ، بعد أن كان داعية إلى الإسلام . ولما حضرته الوفاة دبت في نفسه الحسرة ، وأخذته اللوعة على انقضاء حياته الطويلة هباء دون أن يبلغ مأربه أو يقارب أميته .

وكان مما أنشده عند ذلك قوله :

كل شيء وإن تطاول دهرأ صائر أمره إلى أن يزولا  
ليتقى كشت قبل ما قد بدالى فى رؤوس الجبال أرمى الوعولا

\* \* \*

هذا أمية بن أبى الصلت الشاعر الذى آمن لسانه ولم يؤمن قلبه ، كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى عرف الحق فغلبته أنانيته عن إظهاره ، وعقلت لسانه عن التلطف به فهمهم بكلام غير مفهوم عند ما همت نفسه بالإيمان ، وأكل الحقد قلبه ، فشن الغارة على الإسلام ، لأن الله لم يختره نبياً للإسلام ، يريد أن تجرى الأمور على ما قدره هو وأراده لا على ما قدره الله وأراده ، فكان عاقبة أمره خسرأ .

نسأل الله أن يواعد بيتنا وبين الحقد ، وأن ينزع من قلوبنا الغل ، وأن يبغضنا فى الانانية ويجعلنا إخوانا فى دينه ومحبه . إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

طه الزينى

أستاذية فى النحو والصرف

## الأستاذ محمد فريد وجدى

انتقل إلى سعة عفو الله ومغفرته العالم الجليل الأستاذ محمد فريد وجدى ، رئيس التحرير السابق لهذه المجلة ، عن نحو ثمانين عاما قضاه من بداية نشأته فى العلم والبحوث العقلية والفلسفية والإسلامية ، فألف الكتب ، وأصدر جريدة الدستور اليومية ، ومجلة الحياة ، ثم قام بتحرير مجلة الأزهر وإدارتها من أواخر سنة ١٣٥٢ هـ إلى أواخر سنة ١٣٧١ هـ وله من المؤلفات دائرة معارف القرن الرابع عشر ، وتفسير صفوة العرفان ومقدمته ، وكتاب الإسلام فى عصر العلم ، وكتاب المرأة المسلمة فى الرد على كتاب المرأة الجديدة لقاسم أمين ، وكتاب الحديقة العسكرية لإثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية . ومن آخر مؤلفاته كتابه : الإسلام دين عام خالد . ومن الحقائق الملموسة فى سلسلة مؤلفاته وكتاباته الكثيرة أن آراءه فى الحقائق الكبرى دينية واجتماعية قطورت كثيراً مع الزمن ، ولا يتسع المجال هنا لدراسة هذا التطور ، فنكتفى بنعيه لقراء مجلة أشرف على تحريرها أكثر من ثمانية عشر عاماً ، منوهين بما قدمه للعلم من بحوث ، وما ألفه من كتب ، طالبين له من الله عز وجل الرحمة والمغفرة .



## حول الفن القصصى فى القرآن

فى الكلمة التى نشرتها صفحة الجامعة فى الأهرام لمدرس بكلية الآداب حول ما سماه بحث الفن القصصى فى القرآن الكريم أخطاء كان ينبغى ألا يقع فيها جامعى مسلم . فقد زعم أن صاحب الفن القصصى أستاذ جامعى ، فى حين أنه لم يصل فى الجامعة إلى درجة مدرس .

وزعم أن البحث نشر منذ أكثر من سنتين فلم ير الناس فيه كفراً ولا إلحاداً ، وهى دعوى على الناس تحتاج إلى دليل ، فقد يكون سكوت الناس عنه راجعاً إلى أنه لم يقرأه منهم إلا القليل ممن على شاكله صاحب الكتاب ، أو ممن لم يجد سبيلاً إلى إظهار الناس على ما فيه . وكاتب هذه الأسطر لم يسمع بنشر البحث كتاباً إلا عن طريق الكلمة المنقودة ، ولم يطلع عليه إلا ليستوثق من خطأ صاحب الكلمة فيما ادعاه .

وقد عجب كاتب الكلمة من أن صدور الجامعيين ضاقت بما زعم فى الكتاب من تفكير على ، مع أن الذين أسقطوا ذلك البحث من الجامعيين كانوا من الأساتذة المعروفين بدقة النظر ، وسعة الصدر ، مثل أحمد الشايب ، وأحمد أمين .

وكل من تعود البحث العلمى ، وعرف ما القرآن ، واطلع على كتاب الفن القصصى ، لا يشك فى أنه بعيد كل البعد عن التفكير العلمى ، لما فيه من خبط وخطأ كثير . جرى فيه صاحبه خلف قساوسة المستشرقين مثل ردويل ومرجليوث ، حتى لقد بلغ الأمر به أنه لم يدرك ما هنالك من تناقض بين نسبة القرآن إلى الحق سبحانه والحكم على قصص القرآن الكريم أن أكثره غير صحيح .

وإذا كان عميد كلية الآداب بالنيابة لا يرى فى هذا الحكم كفراً ولا شبه كفر ، فلعله يرى على الأقل أن تفكيراً يودى إلى جواز الجهل والكذب على الله لا يمكن بوجه من الوجوه أن يمت بسبب إلى التفكير الصحيح . إنه تفكير لا يستقيم إلا على فرض أن القرآن من عند محمد لا من عند الله كما يقول قساوسة المستشرقين . وإذا كانت الجامعة فى عهد الإصلاح الجديد تحتاج إلى معونة مثل صاحب هذا التفكير ، فعلى الإصلاح العلمى والخلقى فى الجامعة العفاء ؟ .

محمد أحمد النمرى

الأستاذ السابق بجامعة القاهرة

( المجلة ) كان اللائق بهذه الكلمة أن تنشر فى باب ( التعليقات ) لولا أنها وردت بعد انتهاء طبع ذلك الباب .

# الكتاب

تاريخ العرب قبل الاسلام

للدكتور جواد علي

الجزء الثالث - ٤٦٤ ص - نشره المجمع العلمي العراقي

أهنيء إلىنا المجمع العلمي العراقي الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الإسلام للفاضل المحقق الدكتور جواد علي ، وهو كتاب نفيس حافل بما توصل إليه المستشرقون من بحوث عن ماضي الامة العربية وبلادها ، وما أضاف إلى ذلك مؤلف الكتاب بما وقف عليه في المراجع العربية .

ويشتمل هذا الجزء الثالث على تاريخ مملكة النبط ( المظنون أنهم من ذرية نابت ابن إسماعيل ) وهذه المملكة قامت قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب وقد عاصروا بطالسة الاسكندرية وكانت بينهما وقائع وحروب . وكان رئيس تحرير هذه المجلة قد اقترح قبل نحو ثلاثين سنة في رسالته ( اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب ) أن يرسم اسم هذه الدولة العربية بالهاء لانه مشتق من اسم نابت بن إسماعيل ، وبذلك يتميز هؤلاء عن الانباط المتوطنين في البطائح بين العراقيين ، ومتى دخل تاريخ العرب في دور التنقيح فإن هذا الموطن منه جدير بأن يتناوله النظر والتحقيق .

وبلى تاريخ مملكة النبط تاريخ مملكة تدمر ، وهي دولة عربية قامت قبل الميلاد في الشمال الشرقي من الديار الشامية وكانت واقعة على ملتقى طرق التجارة بين سلطتي الرومان والفرس خافضت على حيادها أمداً طويلاً ثم دخلت تحت نفوذ الرومان وبلغت في الثروة والعمران مبلغاً عظيماً .

وبعد أن انتهى الدكتور جواد على من استيفاء النصوص التي وصل إليها المستشرقون والعرب عن هاتين المملكتين انتقل في الفصل الثالث إلى عرض ما أبقاه الدهر من نصوص وأخبار عن سبأ ذي ريدان وحضر موت واليمن . والقول عن هذه الحقبة من ماضى العرب ذو سعة ، وإن كان التاريخ في أشد الحاجة إلى بحوث أثرية في تلك الجهات لتمحيص ماضيها وإرسال الاضواء إلى المواطن التي لا تزال مجهولة من هذا الماضى .

وفي الفصل الرابع عرض المؤلف للمملكة كندة .

وفي الفصل الخامس والسادس تكلم عن العرب واليونان والرومان ، فأشار إلى ما دونه سترابون وديودورس الصقلي وبلينيوس عن العرب وعما لكهم وأوطانهم وقبائلهم ، وعرض لكتاب ( الطواف حول البحر الأريتري ) لمؤلف مجهول معاصر لبلينيوس وهو يتضمن وصف البحر الأحمر في القرن الأول لليلاد وثغور الحجاز واليمن وإفريقيا ثم تكلم عن علاقة خلفاء الاسكندر والبطالسة بالبلاد العربية وما دونوه في كتبهم عنها وما ترجمه العرب منها في أيام العباسيين . وفي هذا الفصل تحقيق مهم عن مدلولات أسماء الاعلام التي وردت في كتب اليونان والرومان على أنها أعلام عربية وما ذكره المستشرقون وغيرهم في تحقيق مواضعها وأسمائها .

والفصل السابع وهو الأخير عن العرب الشماليين وما اكتشف من كتاباتهم وما عرف من أخبارهم .

والأجزاء الثلاثة التي صدرت للدكتور جواد على عن تاريخ العرب قبل الاسلام خاصة بالتاريخ السياسى ، وقد وعد بأن يصدر أجزاء أخرى في بقية التاريخ السياسى للعرب قبل الإسلام ثم في تاريخهم الدينى والثقافى وتاريخ الفن العربى قبل الاسلام ، فشكراً له ولللمجمع العلمى العراقى على هذه الخدمة العظيمة للعلم ، ولا تزال نرجو منهم المزيد .

## معجم ألفاظ القرآن الكريم

الجزء الاول : إلى آخر الثاء — ١٨٥ ص — نشره مجمع اللغة العربية

هذا المعجم وضعت قواعد العمل لتأليفه في سنة ١٣٦٠ ( ١٩٤١ ) ، وألفت لجنة لوضع المنهج العلمى لإنشائه في محرم ١٣٦٣ ( يناير ١٩٤٤ ) . ثم قسمت مواد القرآن الكريم

على لجان فرعية كل لجنة مكونة من أحد أعضاء المجمع وأستاذ منتدب يساعده . والطريقة التي اتبعت في وضع المعجم هي أنه إذا كانت الكلمة القرآنية ترد في القرآن بمعنى واحد تشرح أولاً شرحاً لغوياً ، فإن كانت فعلاً ذكر بابها ومصدره ، وما ورد استعماله في القرآن من مشتقاته ، وإن كانت اسماً اكتفى بمعناه ، وإن كانت مصدراً ذكر معناه وفعله . وإذا كانت للكلمة القرآنية معانٍ لغوية مختلفة ينص على المعاني اللغوية كلها ويبين نوع الفعل والمصدر وتذكر المشتقات التي وردت من هذه المادة . ويؤخذ أولاً أكثر المعاني دوراً في القرآن . ثم تذكر المعاني الأخرى .

وقد كتب فضيلة مدير المجلة إلى المجمع اللغوي ينبهه إلى غلطة في نص القرآن وردت في آخر العمود الثاني من الصفحة الأولى من المعجم وهي قوله تعالى : حتى تؤمنوا بالله وحده ، فقد وردت في المعجم : حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

ولاحظ بعضهم أن الآيات القرآنية كلها غير مضبوطة بالشكل ، مع أن المعجم مطبوع بالمطبعة الأميرية ، وفيها الاستعداد التام لمثل هذا الأمر الضروري في مثل هذا المعجم . بل كان ينبغي شكل المشكل من كل كلمة ولا سيما عين الفعل .

ولعل لإبطاء المجمع عشر سنوات في إصدار الجزء الأول من هذا المعجم لا يسرى على الأجزاء التالية ، فلا يمضي زمن يسير حتى يكون المعجم كاملاً في أيدي الناس إن شاء الله .

## سبل الاسلام

للأستاذ أحمد مظهر العظمة — ٨٥ ص — نشرته جمعية التمدن الإسلامي بدمشق

هي ثمانى كلمات في معانٍ إسلامية أذاعها الأستاذ أحمد مظهر العظمة من دار الإذاعة السورية في دمشق وجمعها في هذا الكتاب . والكلمات المذاعة هي : صدق عقائدنا ، سمو عباداتنا ، ثقافتنا الراشدة ، مكارم أخلاقنا ، استقامة معاملتنا ، تربيتنا الإنسانية ، شمول نظمنا ، كيف يعود مجدها .

والمؤلف من أفاضل المفكرين المسلمين الذين جمعوا بين ثقافة الغرب ومعرفة سنن الإسلام ، وقد سبق لنا التعريف بكتاب آخر له كهذا الكتاب عنوانه (مذاعات في الإسلام) ، فنرجو الله أن ينفع بهما قراءهما كما نفع المستمعين إلى المؤلف عند إذاعتها .

## حول حقوق المرأة السياسية

للأستاذين : حسن وهدان . وأحمد فهمى أبو سنة - ٩٦ ص - نشرته جبهة علماء الأزهر . أحسنت جبهة علماء الأزهر بنشرها هذا المكتب النافع ، وهو ينطوى على محاضرة كان فضيلة الأستاذ الشيخ حسن وهدان ألقاها بالمركز العام لهيئة التحرير وأفاض فيها القول عن إنصاف الإسلام للمرأة ، وأنه ليس من مصلحة المرأة والمجتمع ، ولا من اتجاه التشريع الإسلامى لإقحامها فى ميادين الحكم وادعاء أن لها حقوقاً سياسية . وناقش المحاضر معارضيه بالبراهين ، ومنها اعتراف بعضهم بالحقائق فى مناسبات سابقة .

أما بحث فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد فهمى أبو سنة فقد ألقاه فى دار الشبان المسلمين ، وتكلم فيه عن التكييف الفقہى فى مسائل الخلاف حول الحقوق السياسية المزعومة للمرأة والشبه المعارضة للمثبتين . ثم أفاض القول على ذلك من الناحية الاجتماعية . وختم بحثه بدعوة الباحثين إلى أن لا يتعرضوا للكلام فى الفقه إلا إذا كانوا من أهله ، ليكون قولهم فيه عن علم وحينئذ يكون مقبولا ومفيدا .

## عبد الباقي العمرى

للأستاذ محمود الملاح - ٣٢ ص - دار منشورات البصرى بالبصرة

أهدت إلينا دار منشورات البصرى بالبصرة هذه الرسالة اللطيفة ، وهى سياحة فكرية فى ديوان شاعر العراق عبد الباقي العمرى ( ١٢٠٤ - ١٢٧٨ ) قام بها الكاتب الالمى المجاهد الأستاذ محمود الملاح فبعث بها الحيوية فى المجتمع العراقى فى القرن الثالث عشر بما تناوله من نقد وتنوير لشعر هذا الشاعر ، وما فيه من حسنات أو نواحي ضعف انعكست عليه من مظاهر ضعف المجتمع فى ذلك الحين والتوجيه الذى كانت تقوم به الدولة العثمانية للشعوب التى كانت تحت أمانتها .

ولو أن كل شاعر انعكست أحوال عصره فى مرآة شعره قيض الله له ناقدًا ، يستعرض شعره ويقوم باستجلاء حسناته ونواحي ضعفه ، كما فعل الأستاذ محمود الملاح فى شعر شاعر العراق فى القرن الماضى السيد عبد الباقي العمرى ، لكان ذلك من أعظم مظاهر الخدمة للأدب والتاريخ .

## النيل في ضوء القرآن

للأستاذ الشرباصى — ١٢٥ ص — مطابع دار الكتاب العربى

فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى من أفاضل علماء الأزهر ، وله حركة نشاط فى كل باب من أبواب الحيوية الإسلامية فى مصر ، وقد امتاز ببحوثه الممتعة فى هذه المجلة وغيرها من المجلات العربية والإسلامية ، وبؤلفاته وخطبه المتواصلة . وكتابه الجديد ( النيل فى ضوء القرآن ) تكلم فيه أولاً عن النيل فى اللغة وفى التاريخ وفى الشعر العصرى ، ثم عن النيل فى الحديث النبوى ، وفى القرآن الحكيم ، وأن من تمام ملك مصر أن يشمل النيل المعتد الموحد ، ونقل عن القلقشندى أن مصر سميت مصرًا لالتقاء الشرق فيها بالغرب ، لأن المصر فى أصل اللغة الحد بين الأرضين ، وما زال المؤلف يستعرض ما فى القرآن عن النيل وعن مصر ويحسن عرضه بفهم ثاقب حتى وصل إلى نتائج البحث مما يجب على المصرى لمصر وأن أساس الوحدة الإسلام . وأنت ترى أن الكتاب طريف فى بحوثه كسائر ما يكتبه الأستاذ الشرباصى ، فشكراً له .

Mohammad the Prophet of Islam

للأستاذ عبد السميع المصرى — ١٣٠ ص مكتبة النهضة بالقاهرة

يشعر المتصلون بالغربيين من شباب مصر والعالم الإسلامى بالحاجة إلى رسائل باللغات الغربية فى التعريف بالإسلام وحامل رسالته ﷺ . ومن حاول سد هذا الفراغ الأستاذ عبد السميع المصرى نائب وكيل بنك مصر فى أسبوط فألف هذه الرسالة اللطيفة باللغة الانجليزية لخص فيها سيرة خاتم النبيين ﷺ من ولادته إلى أن اختاره الله عز وجل للرفيق الأعلى .

وقد راعى المؤلف فى وضع كتابه أن يكون بلغة سهلة وأسلوب مبسط تعريفاً للناطقين بالانجليزية عامتهم وخاصتهم بحقيقة السيرة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فشكراً له وجزاه الله خيراً .

## الموسيقى العربية في عهد المغول والتركمان

للأستاذ عباس العزاوى — ١٣٩ ص — شركة الطباعة المحدودة ببغداد

نوهنا في أجزاء سابقة بمؤلفات قيمة للدورخ المحقق الأستاذ عباس العزاوى المحامى ، وأما هنا الآن كتاب آخر له عن تاريخ الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان ( من سنة ٦٥٦ إلى سنة ٩٤١ هـ ) وبيان ما حدث فيها من تطور في العراق . وقد أثر المؤلف هذه الحقبة لأن تاريخ الموسيقى العربية فيها غامض ، أما ما قبل ذلك حتى أواخر الدولة العباسية فالعلماء أشبعوا هذا الفن تحصييا ووضعوا له قواعد ثابتة من ناحية الصنعة . ثم جاء المغول بموسيقى خاصة بهم ، ولهم آلات تختلف بأسمائها ، ولا تعرف كتب خاصة بها ، فأراد الأستاذ السيد عباس العزاوى أن يسد هذا النقص فألف هذا الكتاب ، وذكر فيه نواحي الموسيقى العراقيين في عهد المغول وفي طليعتهم صفى الدين الارموى ( المتوفى سنة ٦٩٣ ) ، ولحظ المغنية المعاصرة له ، وزين الدين الموصلى ، والشهربانى ، وشرف الدين السهروردى والتوربى ، والسلاطون أبو سعيد وغيرهم . ثم ذكر الموسيقى المغولية وما تتفق به أو تفرق عن الموسيقى العربية وما تأثرت به منها موسيقى العراق وما أثرت به عليها .

وانتقل إلى الموسيقى العربية في أيام التركمان فذكر رجالها ومؤلفاتهم وتكلم عن الموسيقى في أيام الصفويين ( لأنهم يعدون من التركمان ) فذكر رجالها ومؤلفاتهم . ثم عقد فصلا لأثر الموسيقى في الاقطار ، وآخر لآلات الموسيقى ، وفصلا لمصطلحات الموسيقى في العهدين . وبعد أن استوفى بحوثه في ٧٢ صفحة ألحق بها ( كتاب الملاحى وأسمائها من قبل الموسيقى ) للفضل بن سلمة النحوى المتوفى سنة ٢٩٠ هـ نقلا عن مخطوطة مكتبة سراى طوبقوبو في القسطنطينية وهى بخط ياقوت المستعصمى .

وأتبعها ببذنة في اللهور والملاحى لابن خرداذبة منقولة عن مروج الذهب للسعودى . تليهما ( أرجوزة الانغام ) لبدر الدين محمد بن على الخطيب الإربلى وقد نظمها سنة ٧٢٩ هـ وختم الكتاب بسبعة فهارس : أولها للدواضيع ، ثم للكتب ، فالامكنة والباق ، فالاشخاص ، فالشعوب والقبائل والبيوت والنحل ، فالمصطلحات ، فالالفاظ . فجاء الكتاب بذلك على أتم ما يرجى له من استيفاء البحث وبذل العناية والتحقيق والتجويد ، كدأب الأستاذ العزاوى في مؤلفاته الكثيرة النفيسة .

# الأدب والعمل في شهر

## لجنة مراجعة آثار السلف

قررت جماعة كبار العلماء في جلستها المنعقدة في يوم الخميس ٣٠ من جمادى الأولى (٤ من فبراير) تأليف لجنة لنشر وتصحيح ومراجعة آثار السلف في الحديث والفقه والتاريخ الإسلامى والأدب العربى وسائر مواد الدراسة فى الأزهر . ولورد على ما ينشر فى الداخل والخارج من المفتريات والأخطاء الماسة بالعقيدة الإسلامية أو المنافية لتاريخ الإسلام .

وهذه اللجنة برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف وعضوية أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون ، والشيخ الحسينى سلطان والشيخ محمد عبد الله دراز والشيخ محمد عبد اللطيف السبكى ، والشيخ محمد عرفة . وقد عين صباح يوم الأحد ١٤ من فبراير لاجتماعها فى إدارة المشيخة بالرواق العباسى لتوزيع العمل على الاعضاء وتحديد موعد وأيام الاجتماع لمباشرة كل فريق عمله .

## لجنة الفتوى بالأزهر

قررت جماعة كبار العلماء فى جلستها المنعقدة

فى ٣٠ من جمادى الأولى (٤ من فبراير) أن يكون تأليف لجنة الفتوى فى الأزهر من حضرات أصحاب الفضيلة الاساتذة الشيخ حسين محمد مخلوف ورئيسا (حنفى) والشيخ محمود شلتوت (حنفى) والشيخ عيسى منون (شافعى) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكى (حنبل) والشيخ محمد الطنيجى (مالكى) . على أن تباشر تنظيم عملها وتحديد موعد وأيام اجتماعها فى صباح يوم الاثنين ١٥ فبراير .

## مخرجو الأزهر

### والترقية للدارس الثانوية

أصدر وزير المعارف قراراً لخريجي كليات الشريعة وأصول الدين الحاصلين على الشهادة العالية أو العالية وإجازة التدريس ولم يحصلوا على دبلوم معهد الدراسات العليا ويستحقون الترقية من المدارس الإعدادية إلى المدارس الثانوية أن يعاملوا كما لو كانوا قد رقوا فعلا إلى المدارس الثانوية ، وإذا ما حصلوا على دبلوم معهد الدراسات العليا فى مدى ثلاث سنوات من تاريخ وجودهم فى جهة يستطيعون



الطيران من شراء عدد من طائرات التعليم ، مع تقديم جميع المساعدات والتسهيلات اللازمة لها للحصول على الأدوات ووسائل التعليم النظرى .

### الصور المنافية للآداب

عندما حضر السيد الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب إلى دار الرياسة ذات مساء بادر مندوبى الصحف بقوله : « انه فى الوقت الذى تعمل فيه الحكومة على حماية الفضيلة ومقاومة الرذيلة - لأن الامم بالاخلاق - لا تزال الصحف تنشر صوراً تتنافى كل المنافاة مع الآداب والاخلاق » . ورجا العدول عن نشر مثل هذه الصور بالطريقة الحسنى بدلا من اتخاذ إجراءات قانونية .

### الإساءة إلى الإسلام فى كتاب مدرسى

احتج المسلمون فى سنغافورة على فقرات فى كتاب للمطالعة باللغة الانجليزية أسىء بها إلى الإسلام بعبارات مغرضة شوه بها المؤلف بعض نواح من السيرة النبوية .

وكان المسلمون قد احتجوا قبل ذلك على صورة للنبي ﷺ وردت فى هذا الكتاب نفسه ورأوا أنه من غير اللائق وجودها فيه .

ففى الالتحاق بهذا المعهد يمنحون أقدمية اعتبارية كمدرسين بالتعليم الثانوى من تاريخ تطبيق هذا القرار عليهم .

### عناية الأزهر بالسودان

للأزهر فى معهد أم درمان ٦ مدرسين ، و٥ بمعهد حلفا ، و٣ بمعهد جوبا ، و٣ بمعهد الملاك ، ومدرس بمعهد شجرة غردون . ويدور البحث حول لإنشاء معهد الخرطوم الذى رصد لإنشائه عشرة آلاف جنيه لتكون نواة لتأسيسه .

ورصد أربعة آلاف جنيه لإعداد مبنى شارع البرموني ليكون مقراً لدراسة طلاب البعث السودانية .

### تشجيع تعليم الطيران

وافق مجلس الوزراء على مذكرة لمصلحة الطيران المدنى المصرى بشأن تشجيع الطيران وذلك بأن تنحمل مصلحة الطيران نصف الاجور لساعات التعليم لسكل من يعمل على إجازة طيران خاصة أو تجارية ، وأن يكفل قانون تنظيم التطوع فى الطيران الحربى رفع بقية الاجور لمن تقبله وزارة الحربية من الطيارين .

### شراء طائرات تعليم

وافق مجلس الوزراء على تمكين معاهد

للقاضي الأمريكي ريتشارد أوستن ألفاه في اجتماع القضاة بمدينة شيكاغو ، أنه هاجم قضاء المرأة ، وقال إنها تحكم (عواطفها) ولا تحكم (عقلها) . وروى أنه لما كان قاضياً عرضت عليه قضية ضبط فيها البوليس اثنين من الاشتقياء ، متلبسين بخطف تاجرين . وبعد سماع الادعاء والدفاع طلب القاضي من المحلفات - وقد اتفق أنهن كن في تلك القضية كلن من النساء - أن يدرسن القضية ثم يعلن رأيهن فيها . وبعد ١٥ دقيقة أعلن في الجلسة أنهن بمجمعات على برائة الشقيين اللذين كانا متلبسين بجريمة الخطف ، ودهش القاضي عند ما سأل المحلفات عن مبرر واحد يؤدي إلى هذه البرائة فعجزن عن الرد .

### العربية لغة دولية للسياحة

تلقت وزارة الخارجية المصرية من الأكاديمية الدولية للسياحة أنه تقرر إضافة اللغة العربية إلى اللغات المعترف بها في القانون الدولي للسياحة . وقد أبلغت وزارة الخارجية هذا القرار إلى مصلحة السياحة لتتخذ ما ينبغي من إجراءات لترجمة المصطلحات المقررة في السياحة إلى اللغة العربية ليتيسر التعامل بها .

### مستشفى تعليمي جامعي في أسيوط

لمناسبة لإنشاء كلية طب بجامعة أسيوط ، اتجهت النية إلى إقامة مستشفى تعليمي جامعي هناك ، يكون على غرار المستشفيات الجامعية المختلفة .

### مكتبات المدارس

ثروة تربوية معطلة

روت الجمهورية أن النية في وزارة المعارف متجهة إلى إخراج المكتبات المدرسية من دائرة اختصاص المخازن كي تؤدي رسالتها كمرقق أساسي للنشاط التربوي بالمدارس .

وقد لوحظ أخيراً أن نظام المكتبات الحالي يجعل الكتب فيها مادة غير مستهلكة بحيث يحاسب أمين المكتبة على كل كتاب فيها عند فقده أو تلفه ، الأمر الذي يجعل هذه المكتبات ثروة تربوية معطلة لا يستفيد منها التلاميذ .

### آثار مأرب وسبأ

ستوفد الحكومات العربية بعثة من خبراء الآثار العربية إلى اليمن للتنقيب فيها عن آثار مأرب وسبأ ودول اليمن القديمة .

### قضاء المرأة

نقلت جريدة (الاخبار) عن خطاب

# انباء العالم الاسلامي

## كسوة الكعبة الشريفة

في العهد الجديد

طلبت وزارة الاوقاف بواسطة وزارة الخارجية موافقة الحكومة السعودية على صيغة ما سيكتب على كسوة الكعبة في العهد الجديد وهذا نصها : تتم صنع هذه الكسوة في عهد جمهورية مصر برئاسة اللواء أركان الحرب محمد نجيب وأهديت إلى الكعبة الشريفة في عهد خادم الحرمين الشريفين سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

## الاستطول المصري

في زيارة باكستان والهند

تقوم قطع من السفن الحربية المصرية معقودة اللواء للقائمقام محمد عبد الفتاح إبراهيم برحلة إلى مياه باكستان والهند للمرة الأولى في تاريخ البحرية المصرية . وهي مؤلفة من المدرعات طارق ودمياط ورشيد . وقد قصد بهذه الرحلة توثيق الروابط بين البحرية المصرية والبحرية الهندية والباكستانية ، علاوة على تدريب الطلبة الممتازين الذين يتدربون على الباخرة دمياط .

وقد اختار القائد العام للقوات المسلحة بعثة من ستة ضباط : ثلاثة منهم من الجيش وثلاثة من سلاح الطيران ، لمرافقة هذه الوحدات البحرية في رحلتها .

وعند مرورها ببور سودان حضر لاستقبالها السيد خلف الله خالد وزير الدفاع السوداني .

## عمران بهار العرب

عادت من الحجاز البعثة الجامعية المصرية التي يرأسها الدكتور أحمد زكي مدير الجامعة ، وقد روى الدكتور أحمد زكي كلمة حكيمة سمعها من أحد الأمراء السعوديين وهي قوله : إن الزيت جاء من عند الله وجاءت معه الثروة ، ولكنها نعمة لا تدرى كم تدوم ، والرزق الدائم لا يثبت إلا من الأرض زروعا أو خامات ، فعلينا عمار الأرض وعمارها سريعا وحيثما وجدنا لتعميرها سبيلا .

## المملكة السعودية والأردن

أذيع بيان رسمي بأن ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية اتفقا

تحت إشراف مصر ٢٠٤ آلاف، وفي شرق فلسطين وشرق الأردن ٤٧٠ ألفاً وهم تحت إشراف حكومة شرق الأردن، وفي لبنان ولا سيما جنوبيه المتاخمة لشمال فلسطين الغربى ١٠٤ آلاف، وفي سوريا ولا سيما في جنوبيها المتاخمة لشمال فلسطين الشرقى ٨٤ ألفاً، وفي العراق ٥ آلاف، وهناك ١٩ ألفاً مشردون في المناطق المحتلة بالاستعمار اليهودى الاجنبى . ولعل الحكومات العربية الاخرى التى لجأ إليها طوائف من عرب فلسطين تقوم لهم بمثل ما قامت لهم مصر بقطار الرحمة وبما تنويه لهم من خير .

### الانجليز والمحميات :

يقول السيد على المؤيد وزير البين المفوض في مصر إن الانجليز يحاولون تكوين حكومة جديدة من « المحميات » لتسكون لهم السيطرة عليها وتسييرها بأهوائهم . ولأنها إلى الآن لم تتمكن من موافقة أكثر رؤساء المحميات على التعاون معها . ولذلك فإن تأليف الحكومة الجديدة قد توقف أو تأخر . قال : وإن الانجليز يعلمون أن منطقة شبو النينة فيها آبار بترول يمكن اكتشافها بجهد قليل فارادوا ضمها إليهم للاستفادة من بترولها ومن وضعها الاستراتيجى .

### الحزب الاسلامى بأندونيسيا

كتب إلى ( أخبار اليوم ) من مدينة

فرصة اجتماعهما في ( بدنة ) يوم ٢٠ جمادى الاولى ١٣٧٣ فمقدا جلسة خاصة استعرضا فيها مصالح البلدين ، كما بحثا عامة القضايا العربية ، وتبادلا وجهات النظر فيها ، مما أظهر اتفاق الرأى بينهما وحسن التفاهم ، حسب الخطط المتفق عليها ضمن الجامعة العربية وتبادلا عبارات الود والتأييد على المضى في العمل لتوثيق الصلات بين البلدين خاصة وتحقيق الامانى العربية العامة ، بالتضامن مع الدول العربية في كل ما فيه الخير والفلاح للامة العربية .

### تبرع للحرس الوطنى الاردنى

لمناسبة اجتماع الملك سعود الاول ملك المملكة العربية السعودية بالملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية في ( عرعر ) على الحدود بين المملكتين تبرع الملك سعود بخمسين ألف دينار من جيبه الخاص لمساعدة الحرس الوطنى الاردنى .

### باكستان وفلسطين

تبرعت حكومة باكستان بنحو أربعة آلاف جنيه استرلىنى للاستعانة بهما في إعادة بناء قرية ( قبية ) التى اعتدى عليها اليهود بوحشية في شهر اكتوبر الماضى .

### لاجئو فلسطين :

اللاجئون من عرب فلسطين يبلغ عددهم حوالى ٨٨٠ ألفاً ، يوجد منهم في قطاع غزة

### الإسلام في ملايو وسيام

تلقت (الجمهورية) رسالة من سنغافورة فيها بيانات محزنة عن تعصب الاستعمار على الإسلام والمسلمين في الملايو وسيام. ويقول السيد هارون الحبشي عضو مجلس سنغافورة البلدي: «لا مثل الجريمة أمريكا في توطين اليهود في فلسطين إلا جريمة إنجلترا في توطين الصينيين في الملايو». وجاء في تلك الرسالة أن نسبة ما ينفق على العبادة البوذية إلى ما يصرف للعبادة الإسلامية في سيام ٩٦ إلى واحد، بالرغم من أن نسبة المسلمين لعدد السكان في سيام هو ١: ١٨. وفي بورما يعادل المسلمون ١٠٪. والبوذيون ٧٥٪. ونصيب المسلمين من عناية الحكومة دون تعدادهم بكثير مع أنهم على قلتهم لهم نشاط ديني كبير، ومساجدهم في رانجون وحدها ٣٦٥ مسجداً، ولهم ٥٠٠ مدرسة ابتدائية إسلامية ومدرسة ثانوية ومدرسة للبنات، ويتفق على ذلك من أوقافهم الأهلية وحدها.

### تفسير مصر

وافق مجلس الوزراء على تخصيص عشرين ألف جنيه هذا العام للبدء في تنفيذ مشروع إنشاء المشاتل لمشروع التشجير، على أن يخصم هذا المبلغ من الاعتماد المدرج بميزانية المجلس الدائم وقدره ٢٢٠.٠٠٠ جنيه لتتمية الانتاج القومي لمشروع التوسع في زراعة الفاكهة والاشجار الخشبية.

جاكرتا في أندونيسيا أن الوزارة الأندونيسية الحاضرة يقل مستوى السكفاية بين أعضائها عن المتوسط. وأن كثيرين من أعضائها يخضعون كثيرًا للنفوذ الشيوعي، ويعتبرون آلات تحركها أيدي الحزب الشيوعي الأندونيسي

والذي يقف موقف المعارضة في أندونيسيا هو (الحزب الإسلامي) وهو أكبر الأحزاب الأندونيسية وأقواها وأرسخها تقليداً. وتزداد محبة الجماهير له باستمرار. ويؤيده في سياسته الاشتراكيون المعتدلون والحزب الديمقراطي والأحزاب المسيحية والكاثوليكية.

وقد رفض الحزب الإسلامي الاشتراك في الوزارة لأنه كان يعلم سلفاً أنها ستكون واقعة تحت تأثير الحزب الشيوعي.

وهناك حركتان إسلاميتان إحداهما في غرب جاوة والأخرى في جزائر سيليبس. فالتى في غرب جاوة هي جماعة دارول الإسلامية ويرأسها كرتو سواريجو، وهي تفسر نظم الحكم الحالية في أندونيسيا بأنها تبعد عن الفسكرة الإسلامية الصحيحة، وأنها تهبط بالإيمان إلى الدرجة المسكلة ولا تعتبره بالدرجة الأساسية. وقد تشكلت هذه الجماعة في جاوة عام ١٩٥٠. أما جماعة جزائر سيليبس فيرأسها السيد عبد القهار مذكر من خريجي دارالعلوم بالقاهرة وقد تأسست سنة ١٩٥١ ويبلغ عدد أعضائها عدة آلاف من الميليشيا.

## مياه جوفية بوادى النظرون

اكتشف فى وادى النظرون مجرى جوفى للبياه التى تتسرب من النيل فى باطن الأرض وتنساب بين طبقات الصحارى مارة تحت أرض الوادى على عمق لا يزيد على متر واحد من تحت أقدام السكان الذين كانوا يشكون الفاقة والتعطل وكانوا على وشك أن يرحلوا عن أرضهم . وقد تمكن المشرفون على تعمير هذا الوادى من أن يشقوا سطح الأرض لمسافة طويلة تبلغ عدة كيلومترات ليكشفوا هذا المجرى العميق للبياه التى ستمكفى لرى عشرات الألوف من الأفدنة بواسطة آلات المطر الصناعى . وبالفعل بدأ سكان وادى النظرون فى زراعة أرضهم بشجر الزيتون والمواالح والجوافة والأشجار الخشبية ، فضلا عن محاصيل الفول السوداني والشعير والبرسيم . ويجرى البحث الآن فى إنشاء مصنع للورق هناك من نبات البردى . وبعد أن زالت مشكلة العمال العاطلين التى كانت تقلق الأفكار فى وادى النظرون نشأت مشكلة الحاجة إلى الأيدى العاملة هناك .

## الأمراض المتوطنة فى مصر

### وخسائر الإنتاج

ورد فى تقرير حافل رفعه وزير الصحة فى هذا الشهر إلى مجلس قيادة الثورة ومجلس

الوزراء والإنتاج أن ٢١ مليوناً من المصريين مصابون بالبلهارسيا ، وأن البلاد تخسر سنوياً ٨٠ مليون جنيه بسبب ضعف انتاجهم .

وان وزارة الصحة تبذل جهوداً شاقة لمقاومة ذلك حتى انخفضت نسبة الإصابات بالبلهارسيا من ٦٥ ٪ عام ١٩٣٢ إلى ٤٦ ٪ عام ١٩٥٢ ، كما انخفضت نسبة الانكلستوما فى هذه المدة من ٤٢ ٪ إلى ١٤ ٪ .

وكان الدكتور على توفيق شوشه قد أصدر منذ عهد قريب بياناً نوه فيه بأن الفقر يقشأ عنه المرض ، والمرضى يؤدى إلى الفقر ، وكلاهما يعوقان الناس عن العمل المنتقم ، ويصييان الدولة بالفقر بما يكبدانها من نفقات باهظة وما يسلبانها من إنتاج .

ويضرب المثل لذلك بمرض البلهارسيا فى مصر فإنه يتحيف ٣٣ فى المائة من قدرتها الإنتاجية . وهذا المرض وحده مسؤول — على الأرجح — عن الخسارة التى أعلنها وزير الصحة الآن وقدرها ٨٠ مليون جنيه مصرى تذهب سدى كل عام فيما تنكبه البلاد من مصروفات مباشرة ، وفيما تخسره من إنتاج زراعى .

ويقول الدكتور على توفيق شوشه : والمalaria مرض آخر ينكب الزراعة ويعوق إنتاجها ، ولا مفر من مكافئته والسيطرة

أكثر من نصف العجز السنوى ، والمتنظر أن تكون سنة ١٩٥٤ خيراً من التى قبلها فيتلاشى العجز كله إن شاء الله .

### محكمة عدل عربية

وافقت الحكومات العربية على مشروع إنشاء محكمة عدل عربية يكون مقرها القاهرة وتؤلف من سبعة قضاة عرب تجدد عضويتهم كل ثلاث سنوات .

وتختص هذه المحكمة بفض المنازعات التى تنشأ بين دولة عربية وأخرى .

### مصر والدراسات العربية

فى نوفمبر عام ١٩٥٣ افتتحت جامعة الدول العربية معهداً فى القاهرة لتدريس المواد والحقائق العلمية التى يتخرج بها شباب مؤمن بالفكرة العربية . والتحق به هذا العام ١٤٤ طالباً من جميع الاوطان العربية . وهو مقسم إلى شعبة للأدب وأخرى للقانون وثالثة للاقتصاد والاجتماع وشعبة للتاريخ والجغرافيا . ويحاضر فيه الآن خمسون أستاذاً وبلغت ميزانية المعهد ٢٢ ألف جنيه ، ومدة الدراسة فيه عامان يمنح الطالب بعدها درجة الماجستير فى الدراسات العربية العالية بعد تقديم رسالة مبدئية .

عليه إذا صح العزم على استثمار المساحات الشاسعة من الاراضى الصالحة للزراعة . ولا يعلم إلا الله مقدار الخسارة من السل فى هذا الإقليم .

وربما كانت وفيات الاطفال أفدح خسائرننا ، والعمى يستنزف اقتصادياتنا ، وقد دلت الابحاث على أن ٨٠ فى المائة من حالات العمى تنشأ عن عدوى يمكن تفاديها أو شفاؤها إذا كوفئت فى المراحل المبكرة للرض .

والواقع أن ( الوقاية ) هى مفتاح المستقبل وهى أيضاً مسألة اقتصادية ، فقد قدرت نفقات برنامج الطب الوقائى المحض فى البلاد المتقدمة فى المدنية بما يوازى ١ فى المائة من دخلها القومى ، بينما قدرت نفقات الطب العلاجى بعشرة أمثال هذا المقدار .

### الميزان التجارى فى مصر

بلغت جملة الواردات إلى مصر فى العام الماضى ١٧٤ مليوناً و ٦٣٨ و ٦٩٦ ج ، وجملة الصادرات ١٣٥ مليوناً و ١٢٢ و ٨٦٣ ج والبضائع المعاد تصديرها مليوناً و ١٠٩ و ٨٢٢ ج وبذلك يكون العجز فى الميزان التجارى فى العام الماضى ٣٧ مليوناً و ٤٠٧ و ٣٥١ ج بينما كان فى سنة ١٩٥٢ قد بلغ ٧١ مليوناً و ٧١١ و ٨٦٥ ج وهو تحسن استهلك فيه

## إلى حضرات القراء

السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد :—

فيسر مجلة الأزهر إذ توجه إلى حضراتكم أطيب تحياتها أن تستقبل معكم فترة طويلة مباركة من حياتها العلمية في عهد ميمون الطلعة إن شاء الله باختيار الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخاً للجامع الأزهر .

وإن المجلة لنصارحكم بما تشعر أنه يخالج حضراتكم من رغبة في مضاعفة نشاطها والاختد في التحسين والدأب على محاولة السكال .

وهي إذ تحرص على مسايرة هذه الرغبات المشكورة لكم ، لتأمل في توفيق الله تعالى أن يتيح لها من توجيه الشيخ الأكبر ومن مؤازرتكم لها أسباب الظفر بما تصبو وأصبون إليه ، حتى تكون عند رغباتكم ، وتظفر بمزيد ارتياحكم إليها ورضاكم عنها ، وعند ذلك تطمئن كثيراً إلى أنها أدت واجبها نحو الأزهر في نشر ثقافته الإسلامية ، وفي توثيق الصلة العلمية بينه وبين قرائها الأفاضل في مختلف الأقطار الشرقية .

هذا وتود المجلة إلى حضرات الكتاب ، وهم عماد المجلة في نهضتها ، أن يتكرموا بمراعاة ما يأتي :

١ — إرسال المقالات إلى المجلة في النصف الأول من كل شهر عربي ، ليكون لدى القائمين على الطبع وقت متسع لإظهار العدد في غرة الشهر التالي ، وهو الموعد المحدد ، فضلاً عما في تخلف المقالات أحياناً من فوات لفرصة النشر .

٢ — عدم الإطالة في الكتابة حتى يتسع العدد لأكثر ما يرد إليها .  
وحتى لا نعرض القارئ للسآمة من التطويل ، مع بيان عنوان الكاتب بالكامل .  
٣ — ترحب المجلة بما يرد إليها من توجيهات القراء نحو الإصلاح وبلوغ المجلة مبلغها المنشود .

ونسأل الله أن يكون عوناً لنا ، وهو ولي التوفيق .

( المجلة )



## فهرس

## الجزء السادس — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بقي
٦٤١	الجيل للنالي . . . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٦٥١	فجعات القرآن : طالوت وجالوت . . . . .	» عبد الطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٦٥٥	السنة : الاصلاح بين الاكابر . . . . .	» طه محمد الساكت المفتش بالأزهر . . . . .
٦٦٠	ابن سيرين . . . . .	» محمود النواوى المفتش بالأزهر . . . . .
٦٦٩	الدخيل وكعب التفسير — ٣ . . . . .	» محمد محمد أبو شمبة . . . . .
٦٧٥	الروح التقديمية في الاسلام . . . . .	» محمد فتحي محمد عثمان . . . . .
٦٨١	المؤمنون حقا . . . . .	» على المبارى . . . . .
٦٨٥	تفسير بيت من شعر جاهلى . . . . .	» محمد بدوى الختخون . . . . .
٦٨٦	حواريون ( شعر ) . . . . .	» صابر على رمضان الجوشنى . . . . .
٦٨٨	الحصار الاقتصادي لقريش . . . . .	الصاغ أركان الحرب محمد جمال الدين محفوظ
٦٩١	أحاديث الاستاذ الأكبر . . . . .	. . . . .
٦٩٦	اختلاف الدارين في الاسلام والفانون المصرى	الاستاذ أحمد طه السنوسى . . . . .
٧٠٣	ميناء العقبة . . . . .	» إحسان النمر . . . . .
٧٠٨	النار في نظر الاسلام . . . . .	» أحمد الشرباصى . . . . .
٧١٢	الفتاوى . . . . .	لجنة الفتوى . . . . .
٧١٦	لفويات . . . . .	» محمد على النجار . . . . .
٧٢٠	مشروع تقييد تعدد الزوجات . . . . .	» محمد أحمد النمراوى . . . . .
٧٢٥	قلنا وقالوا . . . . .	» أبو الوفا المرافى . . . . .
٧٢٨	الفيرة على الأزهر . . . . .	المجلة
٧٢٩	التشكيك في إيمان أبي بكر وعمر	»
٧٣٢	نحو محمد الأزهر . . . . .	» محمد كامل الفتى . . . . .
٧٣٥	التكرار في السلام . . . . .	» عز الدين اسماعيل . . . . .
٧٣٩	صانع القواد . . . . .	» محمد خليفة . . . . .
٧٤٤	كيف ينهض المسلمون . . . . .	» عبد الحميد محمود السلوت . . . . .
٧٤٨	شاعر منعه أنا فيته من الاسلام . . . . .	» طه الزينى . . . . .
٧٥٤	حول الفن القصصى في القرآن . . . . .	» محمد أحمد النمراوى . . . . .
٧٥٣	السكتب . . . . .	قلم التحرير
٧٥٩	الادب والعلوم في شهر . . . . .	»
٧٦٢	أنباء العالم الاسلامى . . . . .	»
٧٦٧	إلى حضرات القراء . . . . .	» المجلة

# زيارة الرئيس للاستاذ الأكبر

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ( ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ )  
زار سيادة الرئيس اللواء أركان الحرب، محمد نجيب، فضيلة الاستاذ الاكبر  
شيخ الجامع الازهر في مكتبه بالإدارة العامة .

## كلمة فضيلة الشيخ السبكي

وقد ارتجل بين يديه ، فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة  
كبار العلماء ، الكلمة الآتية :

إن الامة المصرية لتنظر إلى شخصكم وإلى أصحابكم من أبطال الثورة ، نظرتها إلى الامل  
الباسم ، والخط الميمون ... وإن الشعب كله ليرقبكم أينما سرتهم أو حلتهم ليبادلكم حباً بحب ،  
وليروى بمطلعكم عاطفة شوقه إليكم .. وإن الازهر ليعتبر نفسه في طليعة الامة من هذه  
المعاني الكريمة .

وإذا كانت معادل الجيش رمزاً للقوة المادية التي هي سياج الامة ، ومظهر سيادتها ، فإن  
الازهر ، هو معقل القوة الروحية ، ومصدر الثقافة الدينية التي تحياها الامة حياة مجيدة ،  
وإذا كانت النهضة الحقة تقوم على الدين والقوة جميعاً ، فإن الدين هو القاعدة الاولى .

وقد نهض الإسلام أول نشأته على المبادئ الدينية ، ثم على الجيش : فأزاد الدين ،  
واهتدى به في شق طريقه إلى الاهداف المنشودة ، وعاش في ضوئه مجاهداً مظفراً .

لذلك : يعتبر الازهر نفسه أنه العضد القوي للجيش ، وأنهما معاً عماد النهضة المرجوة  
على أيديكم .

والازهر مطمئن إلى تقدير الجيش له ، وحرصه على توثيق اتصاله بالدين من طريق  
الازهر ، ليظل مؤيداً بتوفيق الله .

والامل أن يكون عطفكم دائماً على الازهر بما يليق بماضيه ، وينهض بحاضره ،  
ويحفظ عليه مستقبله .

وإذا تهافت بعض الصحف ، أو الافراد على الغمز في الازهر ، فإنما هي نزغات يذوقها  
إلها حق شخصي ، أو طمع في نفع مادي ، أو رغبة في تمزيق الوحدة بين القوتين ،  
الروحية والمادية ، وهذا نقص في الوطنية ، فوق أنه وهن في الدين . وسيظل الازهر  
حامل لواء الدعوة الإسلامية ، كما هو من قديم مبعث الصيحة الإصلاحية .

ونرجو الله تعالى .. أن يتولى جيشنا بالعون والرعاية ، وأن يطيل حياتكم ، ويحفظ عليكم العافية .

### كلمة سيادة الرئيس

أعتبرها فرصة سعيدة لتسرفي بزيارة الأزهر مرة أخرى في هذا العهد الجديد ، عهد هذا الشيخ الذي تعرفون عنه كل الفضائل ، وأرجو المَعذرة إذا لم أستطع أن أعبر عن شعوري نحو الأزهر ، الذي هو معقل الإسلام ، ومنه النور الذي يشع على العالم أجمع ، وإذا كان الشيخ السبكي ، قد قال : إن الأزهر مع الجيش فإنني أقول : إن الجيش مع الأزهر ، لأنني أقدم العلم على القوة ، والإسلام وإن كان بني على العلم والقوة ، فإن العلم هو الركن الأول في بناء الأمم ، والإسلام جعل الأولوية للعلم ، ونور القرآن .

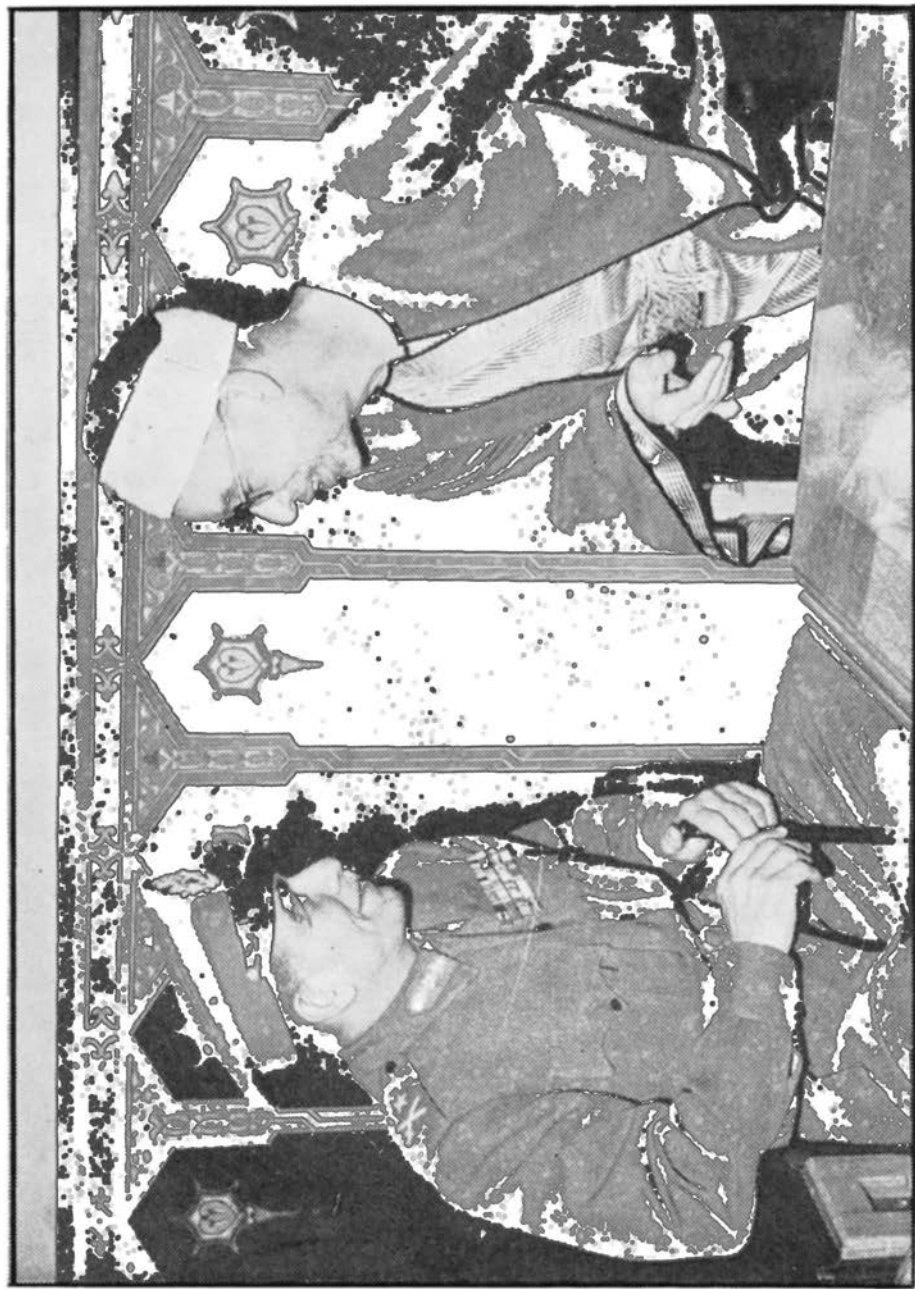
أسأل الله أن يساعدنا على النهوض ، والتخلص من آثار العهود السابقة ، من إذلال للنفوس ، وزلني ، وعدم تقدير للعلم ، وخصوصاً إذا صدر ذلك من رجل عالم ، ولا أسمى عالماً من يقبل يد شخص آخر .

فالدين الإسلامي هو الناحية العملية التي توحى بالكرامة التي يجب أن يسعى إليها كل مسلم ، فيجب أن نعمل به حتى نصل إلى المكانة السامية ، ولا سلاح لنا إلا العمل على ربط القلوب ، وتطهيرها من الحقد والحسد والجري وراء أعراض الدنيا الزائلة ، وبهذا تتخلص من الاستعمار ، ويجب أن لا نفرس أى عمل قبل تمحيصه ومعرفة حقيقته ، فالحكم عليه قبل ذلك يؤدي إلى خطأ كبير ، وأرجو أن نعمل بالحكمة القائلة ( أحسن الناس أعذرهم للناس ) . إن آمال جميع المسلمين معقودة على الأزهر ، فهو السكينة المشرفة كما قال مولانا في حديثه أمس ، إن الأزهر هو السكينة الثانية التي يشع منها على العالم الإسلامي نور العلم والمعرفة والقوة ، ويجب أن ننسى كل ما نريد لأنفسنا من مطالب شخصية ، وأن نفرس كل هذه المبادئ في نفوس الطلاب وأبنائنا جميعاً ، وإذا كان في الماضي أخطاء تحتاج إلى إصلاح فلنتذرع بالصبر والمنابرة ، ونعمل على تلافيها ولنعطها حقها من الوقت . نسأل الله التوفيق والسداد للأزهر في أداء رسالته .

\*\*\*

وقد قدم فضيلة الأستاذ الأكبر د المصطف الشريف ، هدية لسيادته قائلاً : وهذا هو ذخيرتنا ودستورنا الدائم الخالد ، وهو أساس ديننا الباقي الذي يقول الله فيه جل شأنه : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » . فتقبله الرئيس شاكرًا وقال : هذا هو الذي سيقصم ظهر الاستعمار .

الاستاذ الاكبر بمسكنه بإدارة الأزهر بحب بالسيد رئيس الجمهورية





مدير المجلة  
عبد اللطيف السبكي  
عضو جماعة كبار العلماء

الاعنول  
إدارة إجماع الأزهر بالقاهرة  
تليفون ٤٦٤١٤

# مجلة الأزهري

مجلة شهرية بجامعة  
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

بسم التمجيد  
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

في مصر والسودان ٥٠  
للطبعة في مصر والسودان ٣٠  
في الخارج ٦٠  
للطبعة في الخارج ٤٠  
عن الجزر ٥

الجزء السابع - القاهرة في غرة رجب ١٣٧٣ - ٦ مارس ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تأريخنا

وقبل أن نتحدث عن تاريخنا، ينبغي لنا أن نعرف من نحن، ليتسنى لنا القول - على هدى - في ما ضينا الذي تمخض عن حاضرتنا فكان امتداداً له وحلقة في سلسلته ...

نحن جزء من موجودات هذا الكون الأعظم، وإن المعارف التي ترشدنا إلى تاريخ الكون الأعظم، والاطوار التي تدرج بها حتى صار إلى ما هو عليه الآن، هي من تاريخنا ...

ونحن بشر، والحقائق التي توصل إليها البشر عن ماضي الإنسانية على الأرض، وعن تطور جماعاتها وشعوبها ودولها حتى صارت على ما هي عليه الآن، هي من تاريخنا ...

ونحن مسلمون، نشترك مع مئات الملايين من المسلمين في اقتناعات والتزامات وأذواق وأنظمة ومشارب وواجبات ونزعات وميول وأمانى. ول هؤلاء المسلمين - منذ كانوا مسلمين -

كيان مرت عليه أحداث، وله أبحاد، وأخطاء، ومزاي، وزلات، وخدمة متواصلة للعلم، وإخلاص للفضائل الإنسانية والحضارة البشرية، وقد يكون لهذا الكيان انحراف عن بعض ذلك في بعض الأحيان. وإن لهذه الأمور تاريخاً نحن مساهمون فيه، وقد دخل نصيبنا منه في ميزانية أرباحنا وخسائرنا. ومن مصلحتنا، بل من خاصة شئوننا، أن نقوم

بدراسته وتمحيصه وتحديد المسؤوليات فيه ، وتعيين المسؤولين عنها بأمانة وإخلاص ، والاعتراف بأجداد هذا الماضي وفضائله لأصحابها ، وقبول ذلك كله على أنه من تاريخنا ... أنا أكتب هذه الحقائق الآن بالعربية على أنها لغتي ولغة أمتي من بضعة عشر قرناً على الأقل ، وليس لنا لغة قومية غيرها . والجمهور الأعظم من قراء هذا المقال - في العراق والديار المصرية والمملكة العربية السعودية واليمن ، وفي السودان وبلاد المغرب وسائر الأوطان العربية - يقرأون هذا الذي أكتبه بالعربية وهم على بينة من أنها لغتهم ولغة أوطانهم منذ عصور كثيرة وليس لهم لغة قومية غيرها . فنحن إذن عرب ، عربون في عربيتنا وعروبتنا ، بل نحن أعرق فيهما من تركيا في تركيتها ، ومن جرمانيا في جرمانيتها . وقد شامت لنا الحظوظ والأقدار أن نكون ورثة هذه اللغة ، وأن نكون أهلها ، لا ينازعنا في ذلك منازع . فنحن أصحاب الميراث التاريخي في كل محمود وممدوح من تراث العربية والعروبة وثروتهما القومية وكنوزهما الأدبية والعلمية . وعلينا اليوم - في مقابل هذه الملكية الضخمة والميراث العظيم - مسؤولية ما وقع فيه التقصير من واجبات الناطقين بالضاد في هذا العصر نحو لغتهم وثقافتها . ولن نتلافى هذا التقصير إلا إذا آمنا بعروبتنا ، ووضعنا أيدينا بالفعل على كنوزها ، وتفرغنا لدراسة تاريخها على أنه تاريخنا ، إلى أن نبعث في العروبة حيويتها التي كانت لها في أيام السيادة والخلافة على الأرض ، واتخذنا من ذلك أساساً للامتداد الذي نقيم على دعائمها ، وبذلك يتم لها - ويتم لنا بها - البعث ، فتبوأ هي المستوى اللائق بها بين اللغات والقوميات ، وتبوأ نحن المستوى اللائق بنا بين الأمم .

وأنا أكتب هذه الحقائق في هدأة من الليل ، بين مجرى النيل الأعظم عند احتكاك لججه بشواطئه الجيزة وهي تحيي تربتها الطيبة بقبلات الإجلال والتكريم ، وبين فرع النيل الذي تطل عليه أرض القسطاط فتطل منها عليه ظلال أجداد وهدايات يفنى الدهر ولا تفنى . إن هذه الشواطئ وما وراءها من تربة وآفاق ، وهذه اللجج وما تحمله من ذكريات وعظات ، وما مررت وستمر عليه من مشاهد وبقاع ، هي مصر العزيرة التي شهدت طفولة الإنسانية وصباها ورجولتها ، وشاركت في عبثها واضطرابها واتزانها ، وفي جاهليتها وحيرتها وهدايتها . هي مصر التي اختصها الله بنعمته الدائمة التي لا تزول : نعمة النيل في ضمان رزقها لمعاشها ، ونعمة الإسلام - آخر رسالات الله وأكملها - في ضمان استقامتها على الطريق السوي إلى سعادتها . وإن من شكرنا لله على هاتين النعمتين الباقيتين أن نعرف أقدارهما ، وآية ذلك

أن نقوم لهذا النيل ولهذا الإسلام بما ينبغي لنا أن نقوم به لها من جهود وجهاد لتكون مصر بهما عروس البلاد وأسعدهما .

وقد شاء الله لنا أن نكون امتداداً لمصر الإسلامية ، فلتكن مشيئته التي لا يكون في السكون غيرها ، ولنقم لذلك بما يجب علينا من تكوين كياننا الحاضر على أنه متمم لكياننا المتصل به ، ولنرسم طريقنا إلى المستقبل على ضوء ما اقتنعنا بصلاحيته من تجارب مصر في بضعة عشر قرناً ، مزودين بما ورثناه عنها من موارث أدبية خالطت أرواحنا ، وتأصلت في قلوبنا ، وجرى الاقتناع بها مع دماثنا في شراييننا وأوردتنا ، وليكن من وفائنا لأنفسنا ولموارثنا عن أسلافنا تمحيص تاريخ مصر الإسلامية وتنقيحه وتنظيمه ، لنجد فيه القدوة بمن يحسن الاقتداء به من عظماء رجاله الصالحين ، ولنجد فيه العظة والاعتبار بمن ينبغي لنا الاعتبار بأخطائه وزلاته من المتغلبين والمنحرفين .

وإن من حكمة الله في وقوع هذا الانقلاب الأخير على مرأى منا ومسمع أن نعلم كيف أن الحقائق كانت تحرف ، وأن التاريخ كان عرضة للتشويه بتسمية الماسجن صالحاً ، والعظيم في نفسه تافهاً ، وتلقين الأجيال أباطيل تفرض عليهم باسم العلم والثقافة فرضاً ، ثم لا يجدون السبيل إلى العلم بغيرها ، فجاء هذا الانقلاب لحكم كثيرة أرادها الله ، ومنها كشف الحجاب عما يصيب التاريخ من تشويه وتضليل لأغراض يتصورها الأقوياء ، فيفرضون على الأمم جمود الحق وأهله ، وتمجيد الباطل وأهله . وكما آمنا الآن بضرورة تصحيح التاريخ في حقبة الأخيرة من ثورة عرابي إلى الآن ، بل من ولاية محمد علي إلى الآن ، كذلك ينبغي لنا أن نؤمن بحاجة مصر إلى تصحيح تاريخها وتمحيصه من زمن العبيديين وقبلهم وبعدهم ، بل من الحادث الإنساني الأعظم وهو دخول مصر في الإسلام ، وكيف كان ذلك ، وما ترتب عليه من نتائج ، ومن ذا الذي ساهم في تحقيق نتائج الخير التي ترتبت على دخول مصر في الإسلام ، ومن ذا الذي عمل على تحويلها - قليلاً أو كثيراً - عن المضي في ذلك الطريق . وهي مهمة نحتاج إليها الآن في تنقيح ثقافتنا وتفكيرنا ومناهجنا ، لأنها أساس لما يقوم عليها من بناء ثقافي . وعلى الأزهر أن يساهم بذلك في مناهجه ودراساته ، كما أن على جامعاتنا أن تقوم بنصيبها من ذلك في مناهجها ودراساتها .

إن من أعظم المفارقات في تاريخنا أن نكون أغنى الأمم بالنصوص السليمة التي نستطيع أن نصحح بها تاريخنا فنبنيه على أساس قويم من الحقائق العلمية التي لا يتطرق الشك إليها ،



وأن نكون - مع ذلك - أشد أمم الأرض إهمالا للإفادة من ذلك حتى بقى تاريخنا مضطرباً كما أراده له الذين دسوا فيه ما ليس منه ، وشوهوا من جماله ما جعل المسلمين يسيئون الظن بأجد صفحات ماضيهم ، ويجهلون أن الجيل المثالي الوحيد الذى عرفته الإنسانية فى تاريخها منذ وجد الناس فى الأرض إلى الآن هو الجيل الذى شوه المغرضون جمال سيرته بما دسوه فيها من باطل ، وما اختزلوه من حق ، فكان من نتيجة ذلك أن رأينا فى أفاضل الناس وعلماهم من يتنكر لأعظم الرجال الذين كانت لهم اليد الكريمة علينا فى إسلامنا وفى أجدادنا وفى أئمن ما كان ينبغى لنا أن نعز به من موارثنا .

إن تاريخ مصر الإسلامية فى حاجة إلى التمهيص والتنقيح والتصحيح .

وإن تاريخ العرب قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام فى حاجة إلى البعث والكتابة من جديد .

وإن تاريخ المسلمين والإسلام أجدر تاريخ فى الإنسانية بأن يرجع به إلى نصوصه السليمة التى عرف رواتها بالصدق والدين والمعرفة الوثيقة .

ولا يقوم بهذه المهمة لتاريخ مصر والعرب والإسلام إلا المحققون وأهل الالتماع من أوفياء المصريين والعرب والمسلمين لمصيرتهم وعروبهم وإسلامهم .

إن سليمان بن داود لما تقاضت إليه امرأتان فى طفل ادعت كل منهما أنه ابنها ، وليس لإحدهما بينة راجحة على بينة خصيمتها ، قضى بأن يقسم الطفل بالسيف قطعتين يعطى لكل منهما قطعة من الطفل . فقالت إحدهما حينئذ : إنه ليس بابنى فلا تقطعه ، وأعطه للمرأة الأخرى . فعلم سليمان أن شفقة الأمومة هى التى حملتها على ذلك ، وحكم لها بأنه ابنها . وتاريخ مصر والعرب والإسلام فى حاجة إلى أمه الحقيقية الرفيقة به المشفقة على حقائقه وأجداده ، فهل ترى أن هذه الأم هى الأزهر ، أم ترى أنها جامعة من الجامعات المصرية ، أم ترى أن هذه الأم ستظهر من بغداد أو دمشق أو غيرها ؟ إن تاريخنا الآن أشبه باليتيم ، بل قد أهمله أهله أكثر مما يهمل اليتيم ، حتى أشفق عليه أعداؤه من المستشرقين وأمثالهم ، وحتى صار بعضنا عالة عليهم ، فبعد أن كان تاريخ العرب والإسلام فى مصر وسائر الأقطار ينوء بما شوه به أصحاب الأغراض من الأقدمين ، أصيب فى عصرنا بمن يزيد تشويها من أصحاب الأغراض المعاصرين .

لقد فشلت في السنين الاخيرة بدعة جديدة فيمن يكتبون التاريخ من أذكيائنا ، فوضعوا على أعينهم نظارات سوداء يرون بها الابيض أسود لئلا يتهموا بالتمصّب للإسلامهم ولعروبهم . بل رأيت فيمن لقيتهم من يظن أن المصرية شيء والعروبة شيء آخر ، ومن يظن أن الوفاء للعروبة ينافي الوفاء للإسلام ، وأن الاهتمام بأجداد العروبة وموارثها ينافي الاهتمام بأجداد الإسلام وموارثه .

بل رأيت فيمن لقيتهم من يمتنع لدعوة الجليل إلى الوفاء للإسلام ، ويرى أن ذلك يخل بالزعة الإنسانية ، أو يغني عنه التعاقب بالوطنية الجغرافية .

هذا كله خطأ . وكما أن وفاء أبناء مديرية الشرقية لإقليمهم ، وفاء أهل أسيوط وقنا لمناطقهم ، لا يخل بمحبتهم لمصر ووفائهم لها ، كذلك الوفاء لمصر في مصر ، أو للعراق في العراق ، وكذلك وفاء أبناء كل قطر عربي لقطرهم لا يخل بمحبتهم لعروبهم ووفائهم لها ، وفاء العرب لعروبهم والافغانيين لافغانيتهم والاندونيسيين لاندونيسيتهم لا يخل بأخوة الإسلام والوفاء لجامعته .

إذا ألقيت حصاة في بركة ماء رأيت حول موقع الحصاة من الماء دوائر ضيقة في القرب من ذلك الموقع ، ثم تتسع فيما وراء ذلك . إن موقع الحصاة من الماء هو بلد الإنسان الذي ولد فيه ، والدائرة التي تلي ذلك هي المركز الذي يتبعه ذلك البلد ، والدائرة التي بعدها هي المديرية ، والتي أكبر منها هي الإقليم الجغرافي ، وفيما وراء ذلك الجامعة القومية وهي عندنا جامعة العربية والعروبة ، وأكبر منها أخوة الإسلام الجامعة بين المسلمين ، ثم الإنسانية ، فالكون الأعظم . وأنت إذا أردت أن تكون وفيًا لبلدك فإن وفاءك له لا ينافي وفاءك لمديرتك أو لإقليمك الجغرافي . ووفاءك لإقليمك - وهو مصر - يعد جزءاً من وفاءك لقوميتك العربية التي لا شك أن مصر عضو فيها وركن من أركانها بل قطب دائرة ثقافتها وأدبها ، ووفاءك لعربيتك وعروبتك عنصر من عناصر وفاءك للإسلام ، لأن العرب مادة الإسلام كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

يقول (ول ديورانت) في مقدمة كتابه ( قصة الحضارة ) : إن السيادة الأوروبية تسرع الآن نحو الانهيار ، وإن من أعظم أخطاء الغرب تجاهله فضل الشرق ، واندفاعه بالتمصّب الإقليمي إلى غيط الشرق في فضائله وحيويته وانتعاشه ، وإصراره على كتابته التقليدية للتاريخ بأن يبدأ قصة الحضارة من اليونان ويكتفي بالحديث عن آسيا كلها في سطر واحد .

ومن العجيب أن المئات من الأساتذة والمدرسين الجامعيين عندنا قرأوا هذا الاعتراف من هذا المحقق المنصف ثم لا يزالون رابطين مناهجنا بمجلة هؤلاء الذين شكوا ديورانت من تعصبهم الذي سيؤدى بهم وبسيادتهم إلى الانهيار .

وفي المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية الذى انعقد من ١٤ إلى ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ بمدينة أوسلو من بلاد النرويج حاضر الاستاذ بيرن فى موضوع ( الفتوحات الإسلامية وبداية العصور الوسطى ) فسكرر دعوته التى أعلنها فى المؤتمر الدولى الخامس إلى اعتبار ظهور الإسلام هو خاتمة العصور القديمة وبداية لإيقاظ الإنسانية فى أول عصورها المتوسطة ، لأن احتكاك الغرب بالإسلام هو الحد الفاصل بين شطرى التاريخ القديم والمتوسط ، وحيثبدأت أوروبا الغربية تسكون مدينة جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث هو بداية العصر المتوسط .

وفى ذلك المؤتمر التاريخى نفسه حاضر الاستاذ دوبرى فى : نشأة الاستكشافات الجغرافية والأسباب الباعثة عليها ، فأعلن أن احتكاك الصليبيين بالمسلمين واستيلاء المسلمين على مفاتيح التجارة الشرقية هما السبب المباشر لبداية عصر الاستكشاف ، الذى يعتبر بداية العصر الحديث . إذن فإن ظهور الإسلام باعتراف الاستاذ بيرن هو الشرارة الأولى التى انتهت بها العصور القديمة وأشرف بها على الإنسانية نور جديد ، واحتكاك أوروبا بالمسلمين هو الذى انتهت به عصور أوروبا المتوسطة وبداية تاريخها الحديث .

إن تعصب الأوروبيين - على ما اعترف به ( ديورانت ) فى « قصة الحضارة » - حملهم على كتمان كثير من الحقائق المتعلقة بالشرق والإسلام ، ومن النادر أن نسمع شيئاً من هذه الحقائق على ألسنة المنصفين منهم ، ولكن هل ستبقى جامعاتنا ومؤلفونا مرتبطين بعجلة الغرب فى تقرير الاتجاه لتاريخنا ، وهل سيبقى تعليمه مبتوراً ومشوها لآبناء الجيل من الجامعيين ؟

وهل سيبقى مخدوعين بالدسائس التى دستها الطوائف القديمة وصناديد الشعوبية وأعداء الإسلام من الذين تظاهروا بالانتماء إليه ، فشوهوا بها تاريخنا ، مع أن فى نصوص علمائنا وأعلامنا ما يصححها ويزيل الغشاوة عن أعيننا فنرى جمال تاريخنا كما كان ينبغى لنا أن نراه ؟

إن العبرة التي أتاحها الله لنا فيما ظهر من حقائق عن تاريخ مصر الحديث جديدة بأن تحملنا على إعادة النظر إلى تاريخنا فنكتبه من جديد معتمدين على النصوص الصحيحة المعقولة التي خلفها لنا أئمتنا وأعلامنا من المحدثين ومؤلفي كتب التراجم . وسنرى حينئذ أن أسلافنا حملوا إلى الإنسانية أكل رسالات الله ، وأنهم ضربوا أصدق الأمثلة من سيرتهم للعظمة التي تنشدها الأمم لنجد فيها الأسوة والقدرة وتفسير على نورها إلى غايتها من الحياة السعيدة .

### حب الدين الخطيب

## منكم تعلمنا

في حفلة أقامتها الجالية السورية بين الحربين العالميتين في مدينة ( ديترويت ) بأمريكا خطب القاضي الأمريكي أرثر لايسى فقال :

« يرجع الناس بأصول مدنيتنا إلى المدينتين اليونانية والرومانية ، مع أن آثارهما كانت في زوايا النسيان زمن العصور المظلمة ، ولو لم يقدر لهما أن تتناولهما أبدى العرب لأصابعهما الوهن والاضمحلال .

إن إسبانيا العربية هي مدرسة أوروبا التي علمتها الآداب والفلسفة والعلوم . ومنكم تعلمنا الكسور العشرية وحساب النفاضل والمقابلة ، ومنكم تعلمنا القول بكروية الأرض . وإن الكرة الفضية التي أهدها الشريف الإدريسي الجغرافي العربي إلى روجر الثاني أمير نابولي في منتصف القرن الثاني عشر ( القرن السادس الهجري ) خير شاهد على ما أقول . وكان ذلك قبل رحلات كولمبوس بخمسمائة سنة . وقد حسب محيط الأرض بأربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة ميل . وشعركم وآدابكم كانت منها استقى منه أدباء الفرنسيين والإيطاليين والانجليز ، ومنه جاء دور البعث والتجديد إلى أوروبا .

وأنا بالنيابة عن أبناء جنسي الانجلو سكسون أعترف بفضلكم وأشكركم شكراً وافراً .

# نفحات القرآن

- ١٣ -

## ٢ - طالوت.....وجالوت

طالوت في قلة مؤمنة ، وجالوت في كثرة غير مؤمنة

« ولما برزوا لجالوت وجنوده - قالوا : ربنا  
أفرغ علينا صبراً . وثبت أقدامنا . وانصرنا  
على القوم الكافرين ، »

تجاوزنا بك في هذه القصة ثلاث مراحل :

الأولى — أن المسلم من بني إسرائيل طلبوا من نبيهم - شمويل - أن يختار لهم ملكاً يجمع شملهم ، ويؤلف جيشهم ، وينهض بهم إلى حرب عدوهم من جبابرة فلسطين .

الثانية — أن الله حقق رجاءهم ، واستجاب لدعوة نبيه ، واختار من بينهم طالوت ملكاً على قومه هؤلاء .. ولكنهم لم يذعنوا في هودة كما أظهروا ، بل أخذوا في اللجاج مع نبيهم ، وأنكروا أن يتولى عليهم من لم يبالغ مبلغهم في السيادة والمال ، وظل نبيهم - شمويل - يدحض كلامهم ، ويحبط نكيرهم ، ويوجههم إلى أن الله اصطفى عليهم طالوت ، لما يمتاز به من بسطة في العلم ، وفي الجسم ، وأن الله يوثق ملكه من يشاء ، بمن يعلمه أليق من سواه ، وأوفق لحال الأمة .

الثالثة — أن شمويل أقام لهم أمانة على حقبة الملك لطالوت ، وأن اختياره من عند الله ، وهي أن يعيد إليهم التابوت من أيدي الجبابرة من غير محاولة ، وقد صدق الله وعده نبيه ، وجاء التابوت على نحو ما حدثناك آنفاً ...

فإذا كان شأن بنى إسرائيل وقد قامت عليهم الحجة ؟

هذه هى المرحلة الرابعة التى نتحدث عنها اليوم .

أصبح طالوت فى عرفهم ملوكاً ولا محالة ، وأصبحت غايته الاولى أن يعي جيشه ويواجه به عدواً جباراً فى ملكه ، معادياً لبنى إسرائيل ، ومتمرداً على دينهم وأنبياهم .. فالأمر بحاجة قصوى إلى مؤازرة القوم للملكهم الذى تمنوه من قبل ، وتمنوا أن يجاهدوا فى سبيل الله تحت إمرته .

فهل هم على الولاء جميعاً لطلوت ؟؟ وهل يجدهم سواء فى صدق النية والحفاظ على العهد ؟؟

لم تزل نزعة الخبث كامنة فيهم ، ولم يزل تخليهم عن دعوة الحق من طبائعهم .. وكأنهم حسبوا أن تظاهروهم بالتسليم لطلوت سيكفى للاطمئنان إلى صدقهم ، وأنهم سوف لا يختبرون بعد ذلك فى إيمانهم ، وأن أمرهم سيظل مستورا فلا يستبين الجاد من الهازل .

وفاتهم أن الله سنة مقضية فى عباده ، يميز بها الخبيث من الطيب ، ويمحص بها المخلصين من المرائين ، وهى أن يبتليهم فيما آفاهم ، ويمتحنهم بما لم يكن فى حسابهم من خير ، أو شر ، وعند ذلك تركز إلى الحق نفوس ، وتثبت على الصبر أقدام ، وتنحرف عن الحق نفوس ، ويزل عن الرشد أقوام .. هذه سنته فى خلقه أزلا .. وجدد القرآن ذكرها لنا فى قوله سبحانه : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ، أى سنختبركم حتى يتبين منكم ما نعلمه فيكم قبل أن تعرفوه عن أنفسكم . وكذا فى قوله : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ، وفى قوله : « أحسب الناس أن يتركوا : أن يقولوا آمنا ، وهم لا يفتنون ؟؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلنن الله الذين صدقوا ، وليعلنن الكاذبين ، أى .. فليبينن الله علمه بالصادق وبالكاذب .

وكان البلاء لبنى إسرائيل فى موقفهم مع طالوت إذ تهبأوا للخروج معه : أن أوحى إلى شعوب أمر يفضى به إلى طالوت ليتحدث به إلى جيشه بعد ... ليسكون فى إعلانه من طالوت إشعار بأنه مؤيد من عند الله ، فيكون فى ذلك مسرة للقلوب العامرة ، ورجفة للنفوس الهازلة .. وليسكون فى إعلانه كذلك لفئة قوية إلى أن أمر طالوت هذا ليس هيناً ، وليست سياسته فيهم ألوية .. وإنما هى جد لا هودة فيه .

وكذلك تكون مواقف الحرب وقد تمنوها .. وهكذا تكون الجندي ، وقد سعوا إليها ... فليكونوا كما تظاهروا من قبل - وهم حينئذ أباة ضم .. وأبطال حرب .. وعشاق مجد .. وطلاب سؤدد .

أو ليكونوا كما عرفهم التاريخ وهم لا يذكرون : قوالين لا يفعلون .. ومتهافتين وهم قاعدون ، ومتعاهدين ولكنهم كذابون ..

هذا أو ذاك ما يكشف عنه البلاء ، وإنه لقريب من بنى إسرائيل ، ثم قد حان اليوم الذى خرج فيه طالوت بالجيش إلى لقاء عدوه ، وأعلنهم بما سيمتحنهم به الله ... ( فلما فصل طالوت بالجنود ، قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنه منى ) .

ومعنى ذلك - أنهم سيمرون فى الطريق بنهر ، والمسافر غالباً على ظمأ .. فن ترفق بنفسه وشرب : فذلك عبد نفسه ، لا يؤتمن على الجهاد ، ولا يحتمل لأواء الحرب فى سبيل الله مع طالوت ...

ومن تجشم احتمال الظمأ : إشاراً لطاعة القائد ، واطمئناناً إلى سياسته وتوجيهه ، واستبسل معه فى الجهاد : فذلك العون الصادق ، والمغوار الجلد ، والجندى الوفى لقائده ، ووطنه ، ودينه ، ولا بد من يسر بعد عسر ..

ولكن هناك فريقاً ثالثاً : قد لا يشرب إلى أن يروى حتى يكون من المبعدين ، وقد لا يمتنع إلى الحرمان حتى يكون من المقربين ، بل يרטبون أكبادهم بالقليل من ماء النهر .. فهم بين البين كما نقول .

وقد تجاوز الله لهؤلاء عن غرفة باليد الواحدة ، واعتبرهم حكاماً من المستجيبين ، واستثناهم من الشاربين المبعدين بقوله سبحانه ( إلا من اغترف غرفة بيده ) .. يعنى فهؤلاء كذلك منى ، ومعنى .. كمن لم يطعمه ولم يذقه .

ومن سنة الله فى معاملة خلقه : أن المسمى قليلاً - كهؤلاء المغترفين باليد الواحدة - أقرب إلى مرضاته .. وأولى بالقبول من المسرف : ضرورة أن التريث فى الخطيئة ، والاقتصاد فى المعصية ، نزوع إلى الخشية ، وجانب من التقوى .. والله - عز شأنه - يضاعف الحسنة ، وإن كانت مثقال ذرة ...

ثم ماذا ؟؟ ثم كان البلاء كاشفاً للخبيء من شأن القوم حينما وردوا ماء النهر ( فشرّبوا منه ، إلا قليلا منهم ) فافتضح أمرهم .. وكانوا يخالون أن سيظل مستورا إلى النهاية .. ولكن المكر السيء يحق بأهله .. وإذا مكروا فالله خير الماكرين .

وإلى هنا ندخل بك في المرحلة الخامسة فنستقبل جملتين متعارضتين في سياق القصة .

إحدهما — قوله تعالى : ( فلما جاوزه - النهر - هو والذين آمنوا معه ) . فهذه ظاهرة في أن الشاربين من النهر تخلفوا عنده ، ولم يجتازوه مع طالوت ... وإنما اجتازه معه المؤمنون فحسب ..

والجملّة الثانية .. ( قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ) فهذه كما ترى : تردد في الإقدام على العدو .. وهو لا يتفق مع ما ثبت من صدق إيمانهم ، والوفاء بعهدهم .. وفوق ذلك .. هو مستبعد بعد نجاحهم في الابتلاء بالنهر على ظمأ من وعشاء السفر في الغلوات ، وبعد أن اجتازوه غير هيايين ... فإذا نفهم ؟؟

يقول بعض المفسرين - وهو الأرجح - : إن الجميع اجتازوا النهر مع طالوت .. غير أن الآية صارحتنا بأن الذين جاوزوا النهر مع طالوت ، هم المؤمنون دون ذكر الشاربين .. لأن المؤمنين على صدق في متابعتهم ، فلم يترشوا في السير ، ولم يقفوا للشرب ، فكان سيرهم متصلا ، وكانت مجاوزتهم للنهر وسيلة جدية للحرب .

ومن أجل ذلك استحقوا التتويج بالإفصاح عنهم .. وكان سواهم لم يجتازوا النهر ، لتخلفهم أولا .. ولأن مجاوزتهم كانت هزلا ورياء ، ولم تكن وسيلة إلى غاية مفروضة ، فأهمل الله ذكرهم : تغاضيا وتحقيرا .

وفي هذا التوجيه ضوء يكشف الغموض عن الجملة الثانية : إذ تبين لنا في وضوح : أن الشاربين من النهر لحقوا بسابقيهم ، وحينما رأوا جالوت العدو في جيش لجب ؛ خارت قواهم أكثر ، وغلبت عليهم الرهبة لعدم تحصنهم بإيمان و ( قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ) وولوا أذيبارهم .. وهذه رجعية إلى معاذيرهم المألوفة ، وانتهاء منهم إلى الارتكاس المتوقع ( كذلك حققت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ) .



ولمى موقفهم هذا سبقت الآية بالخبر عنهم أول القصة ، كما نبهناك آنفاً عند قوله تعالى ( فلما كتب عليهم القتال - أصبح لزاما - تولوا : إلا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين ) .. وذلك القليل منهم : هم الذين لاذوا بربهم ، وعولوا على نصره لهم ، واستمدوا أملهم من قوة إيمانهم ، وقالوا : ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .. ) وبذلك التصوير لما أفهمه من محاولات الأشياخ لا غموض في سياق المجملتين ، وحسبنا هذا من تقديرات أخرى .. فعلى أى الفروض لم يقاتل مع طالوت غير النخبة من خيار أتباعه بعد أن تولى عنه من تولوا ، سواء أكان تخلف بعضهم قبل النهر ، أم بعده .

وحينما أصبحت القلة المؤمنة في وجه الكثرة غير المؤمنة ، فزعت إلى الدعاء تستمد به رعاية الله ، وتغالب به الكثرة في عددها وعتادها ( ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ) .

وتلك دعوات ثلاث : فيها غناء عن كثرة مضاعفة : فالصبر وسيلة أولى في دفع الأوهام التي تنازع النفس عند لقاء عدو أكثر .

وثبات الأقدام : احتمال النوازل ، وذلك مبعث الرهبة عند الخصم ، وإيأس له من الظفر ، وإشعاره بأن الأمر أمر عزائم قبل أن يكون أمر كتاب .

والنصر : هو الغاية المرجوة ، ووعد الله الحق لمن نصر دينه ، على من حارب الله ورسوله .

المرحلة السادسة والأخيرة - أن جالوت برز من صفوف جيشه ، معتزا بجبروته ، وطلب من ينازله ، فكانت له أثاره من رهبة .. واسكن طالوت ترفع عن منازلته ، ونفخ من شجاعته في جنده ، ووعد أن يزوج بنته لمن يقتله ، وأن يشركه معه في تدبير الملك .

وكان في القوم غلام لم يتعود حمل السلاح ، ولم يسير على الغنم ، ويحمل المقلاع والأحجار فنهض بمقلاعه ، وقذف جالوت بحجر أصاب رأسه ، وصرعه ، ففر جيشه الزاخر ، وصدق الله وعده ، وأعز جنده ، وكفى الله المؤمنين القتال .

أما ذلك الغلام الراعى ، فهو داود بن يس ، وقد أخذ رأس جالوت ، وذهب بها غفور إلى الملك طالوت ، فأنجز له وعده وأصبح داود ذا شأن خطير ، وظهرت لله حكمة كانت

مكنونة فاجتمع لداود ملك طالوت ، واختاره الله للنبوة بعد شمويل ، وعلمه صنعة الدروع للحرب ، وأقام به ديناً ودولة ، وهو أول من كانت له نبوة وملك - وكان ذلك تلبية الدعوات الثلاث . . كما حدثتنا آيات ثلاث هي ( فهزمهم بإذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآناه الله الملك والحكمة ، وعلمه مما يشاء ) .

وقد يخطر بالبال سؤال عما وراء هذا التدبير الكوني : لم ينهض بنو إسرائيل يوماً ، وينكمشون آخر ٩٩ وينصرون مرة ، وتشرق فيهم هناءة العيش . . . وينهزمون أخرى ويأفل نجمهم في الحياة ٩٩ أفى ذلك حكمة لمن أبدع السكون ليعمره بالخير ، ويجعله أمانة على وجوده ٩٩

ونفحات القرآن تنبه الغافل ، وترشد الحيران ، فالدنيا لا تقرر إلا بالأحياء ، ومظهر الحياة فيها صعود وهبوط ، ووثوب وتراجع ، وبناء وهدم ، وأخذ وعطاء . .  
فن سنة الإبداع أن يكون في السكون خير وشر ، وتعمير وإفساد .

ودعاة الشر شياطين يهدمون ، وأهل الخير رحماء يبنون ، فإذا فهمنا في دنيانا ، أن نظامها في تناوب أحداثها ، وأن صلاحها في تطاحن أهلها ، فقد ظهرت لنا حكمته ، ووضحت لنا آيته ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ) .

ومع التسليم بذلك فالملطوب إلينا أن نكون رحماء مصلحين ، لا شياطين مفسدين ، وعسى أن يهدينا الله إلى صواب يرتضيه . ويكفلنا بتوفيق نرتجيه ، فلا نكون كبنى إسرائيل على إيمان مكذوب . . وفي حظ مسلوب ، فهو الهادى إلى خير سبيل ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

# الشفاعة

## أَشْفَعُوا تُوجَرُوا

الشفاعة الحسنة - ضروب من الشفاعة - الشفاعة في الحدود - أعجب الشفاعات وأحبها - شفاعة الملائكة - موقف كريم لأم سلمة - شفاعات نبوية - الشفاعة والمشيئة - آثار الشفاعة الحسنة في الأمة - حاجة الحاكم والمحكوم إليها .

عن أبي موسى رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان إذا أتاه السائل ، أو صاحب الحاجة قال : اشفعوا فلتعـؤجروا ، وليقض الله على لسان رسوله ما شاء ، رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى في كتاب الأدب (\*) .

\* \* \*

في خاتمة الحديث الماضى أهبنا - وما زلنا نهب - بالكبراء والسادة ، أن يؤدوا زكاة السيادة ، بالإصلاح النقي الجلى ، وبالشفاعة الحسنة الخالصة ، وبال دعوة الجادة الصادقة إليهما ، ما استطاعوا إلى الجدد والصدق سبيلا .

وفي هذا الحديث نرجو أن نولى الشفاعة الحسنة بعض ما أولاهها الإسلام ، ورسول السلام ، صلوات الله وسلامه عليه ، من رفيع الذكر ، وعظيم الأجر ، وبلغ العناية . . شأنه في تربية الفضائل ، وتنمية المكارم ، ودعم خصال العفو والصفح والإحسان

(\*) في باب قول الله تعالى : من يشفع شفاعا حسنة يكن له نصيب منها .

ومد ظلال المروءة والفضل والرضوان ، وتهيئة حياة طيبة مباركة ، للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .

\* \* \*

والشفاعة الحسنة التي يأمر بها الشافع المشفع أمته صلوات الله وسلامه عليه ، هي نفسها التي يدعو الله إليها عباده في محكم كتابه إذ يقول جل ثناؤه : « من يشفع شفاعته حسنة يكن له نصيب منها » .

وأجمع ما يقال في بيانها أنها التوسط ابتغاء وجه الله تعالى في جلب نفع للناس ، أو دفع ضرر عنهم ، في غير معصية لله تعالى ولا حد من حدوده بعد أن يبلغ الإمام .

فأما الوساطة في حد الله بعد بلوغ الإمام ، أو في معصية من معاصيه ، أو مع رشوة أو هدية ، فهي الشفاعة السيئة التي نهى الله ورسوله عنها ، وحمل صاحبها كفلا منها ! لأنها تجرى الناس على انتهاك المحارم ، وافتحام المآثم ، والتلاعب بدين الله تعالى . وقد اشتد غضب النبي ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وهو حبه وابن حبه ، لما كلفه في شأن فاطمة بنت الأسود المخزومي أن يرفع عنها الحد ، وكانت قد سرت حليا في غزوة الفتح . . فأمر قريشا شأنها ، أشرفها وخيفة الفضيحة عليها . . ثم اختاروا أسامة شفعيا لها عند رسول الله ﷺ ، وقالوا : ومن يجترئ عليه إلا حبه وابن حبه ! فلما كلفه أسامة فيها تلون وجهه ﷺ وأنكر عليه ، وقال : أتشفع في حد من حدود الله ! فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله . . فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاخطب على عادته في الأمر الجلل ! فأننى على الله بما هو أهله ثم قال : أيها الناس ، إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطعن يدها ! ثم أمر بها فقطعت (١) وقد تاب رضي الله عنها فأحسن توبتها ، وكانت تأتي أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها فترفع حاجتها إلى النبي ﷺ .

\* \* \*

(١) شرح الشيخ الجزيري رحمه الله حديث المرأة المخزومية شرعا مبسوطا في الجزأين : الأول والثاني من المجلد التاسع ، بين فيه الحكمة في الحدود الشرعية ومدى الشفاعة فيها . . .

وما شرع الله الحدود إلا لكسر شوكة الظالمين ، والقضاء على الفساد والمفسدين ، لا جرم أن الشفاعة فيها عند الحاكم عون لهذا الفساد والظلم ، ولا جرم أن قبول الحاكم الشفاعة حينئذ إضعاف لهيبته ، وإهدار لسلطته ، بل لسلطان الله في الأرض ، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

أما الشفاعة في العقوبة التي لم تبلغ الحد ، أو في الحد قبل أن يبلغ الحاكم ، ولا سيما الشفاعة لأرباب المروءة والحياء ، الذين لم يستمرثوا العيوب ، ولم يصروا على الذنوب ، فإنها تدخل في ستر العورات ، وإقالة العثرات ، والإصلاح بين الناس ، وتلك من مكارم الأخلاق . وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حد فقد وجب ؛ ولقي الزبير رضي الله عنه سارقا فشفع فيه ، فقبل له : حتى يبلغ الإمام ، فقال : إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع .

وكل ما جاء عن المعصوم ﷺ من فضائل الذب عن المسلم والستر عليه والإغضاء عنه وما إلى ذلك من نجدة ومروءة ودفاع - فوضعه ولا ريب في غير حدود الله إذا بلغت الإمام ، أو نائبه من الحكام . ولقد كان النبي ﷺ أشد الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات إغضاءً ، وما كان بخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها .

\*\*\*

ومن أعظم الجرائم التي تسوى الشفاعة الحسنة وتبطل أجرها ، أن تباع وتشترى بهدية أو رشوة أو عرض من الدنيا . والشافع والمشفع كلاهما يقرئان بذلك أمراً جسيماً ، إلى ما يجتلبان من حقارة ودناءة ، ويستوجبان من لعنة الله والناس في الدنيا والآخرة .

\*\*\*

وتتنظم الشفاعة الحسنة التحريض على الصدقات للفقراء والمساكين ، وتفريج الكربات عن المسكروبين ، وقضاء الحاجات لأصحابها ولا سيما العاجزين . ومن ذلك التوسط في الإقالة من بيع المضطر ، والإنظار إلى ميسرة في دين على معسر ؛ وأما التوسط في تخفيف الدين

عن المدين ، أو إبرائه منه ، أو تأديته عنه من غير من ولا أذى - فذلك من كرائم الشفاعات وعظائم المروءات .

ومن ذلك التوسط في إغاثة اللاجئين ، وإجارة المستجيرين ، وينبغي لهذين الصنفين من الشفاعة حديث خاص .

\* \* \*

ومن أعجب الشفاعات الحسنة وأروعها ، وأحبها إلى الله ورسوله ، وأرجاها في القبول - شفاعة الأخ المسلم لأخيه في الغيب ، وما نفع أخ أخاه بمثل شفاعة أو دعوة يدعو له بها في ظهر الغيب . تلك خلة من خلال الملائكة المقربين ، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . . . . .

ومن شدة فرح الملائكة بدعاء المسلم لإخوانه في ظهر الغيب ، أنها تؤمن على دعائه ، وتدعو له بمثله . ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقول : « دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » .

\* \* \*

ومن عيون الشفاعات في ظهر الغيب شفاعة أم سلمة رضي الله عنها لأصحاب رسول الله ﷺ في صلح الحديبية ، فقد دخل عليها مغضباً مهموماً وهو يقول : هلك المسلمون ، أمرتهم بالأمر فلم يفعلوا ! ! فقالت : يا رسول الله لا تلهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بخير فتح ، فأخرج إليهم يا رسول الله ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنِكَ وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه . . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً . . وجلا الله عنهم السكب الذي كاد يقتلهم وسلمهم منه بأمر المؤمنين أم سلمة .

ولا يتنبه لهذه الشفاعة العجيبة الرائعة إلا الأخيار الأبرار ، ممن لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة . . فقد ضرب صلوات الله وسلامه عليه أعلى الأمثال في الشفاعة لأمتة والدعاء لهم بظهر الغيب في أشد أوقاته وأحرجها ، وأولاها بالتشفي والانتقام ! !

ناداه ملك الجبال فسلم عليه ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني إليك ربك لتأمرني بأمرك ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين<sup>(١)</sup> . فقلت . فقال ﷺ : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له » .

ولما كسرت رباعيته وشج وجهه الشريف يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه شقاً شديداً وقالوا له : لو دعوت عليهم ا فقال : « لاني لم أبعث لعانا ، ولكن بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

وقد أعطى الله كل نبي دعوة دعا بها في الدنيا فاستجيب ، واختبأ النبي ﷺ دعوته شفاعاة لآمته يوم القيامة .

\* \* \*

ومن اللطائف التي يجدر بنا أن نقف عندها ونأملها مليا ، ما يشير إليه بعض شراح الحديث ، من أنه صلوات الله وسلامه عليه يأمر أصحابه بالشفاعة عنده مع علمهم بأنه مستغن عنها ، لأن عنده شافعا من نفسه ، وباعثا من كرمه وراقته ورحمته ، فما ظنك بالشفاعة عند غيره ، ممن يحتاج إلى بعث على الخير وتحريك للهمة ؟ لا جرم أنه صلوات الله عليه متخلق بأخلاق ربه ، إذ يقول له وهو ساجد يوم الفزع الأكبر : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع ...

لم يكتف صلوات الله عليه وسلامه بالاكتفال بالشفاعة الحسنة والدعوة إليها وتقبلها قبولا حسنا ، دون أن يشفع هو نفسه لدى أصحابه كلما دعا داعي الإنسانية المثلى ، والمروءة الفضلى ، واستجابت لاهلها مكارم الاخلاق . وحسبنا - ونحن نخاف السامة كما كان يخافها صلى الله عليه وسلم على أصحابه - أن نشير لإشارة خاطفة إلى مثلين اثنين :

(١) ما جيلامكة : أبو قبيس ، ومتابله قبيعان . وكان ذلك في أثناء عودته من الطائف مهموما حزينا .

بعد ليل من غزوة الطائف ، قدم عليه صلوات الله عليه وسلامه وفد هوازن (١) مستشفعين به أن يرد إليهم نساءهم وأبنائهم ، فقال لهم : « أما مالي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، ثم شفع لهم عند أصحابه أن يردوا عليهم سبيهم ، فقبل شفاعته المهاجرون والأنصار وقالوا : ما كان لنا فهو لله ورسوله . وامتنع جماعة من الأعراب ، فقال ﷺ : « من تمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه ، ففرحوا واستجابوا .

وأعجب من هذه شفاعته في بريرة ، وهى أمة كانت تخدم أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها ، وكانت عائشة تعينها على تحريرها من الرق فلما عتقت وهى تحت زوجها مغيث ، وكان عبداً لآل المغيرة من بنى مخزوم - أضحي لها الخيار ، بحكم دين الحرية والسماحة ، أن تفارقه . وقد فعلت .. فكان مغيث يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته .. حتى قال ﷺ لعمة العباس : « ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ! ثم قال ﷺ لها : لو راجعته ! قالت : يا رسول الله تأمرنى ؟ قال : إنما أنا أشفع . قالت : لا حاجة لى فيه ... ، ونقف هنا ملياً ساكتين خاشعين ، ثم نردد قوله تعالى « لقد من الله على المؤمنين ... » .

ولم يفت المربي الأعظم ﷺ وهو يدعو أمته إلى الشفاعة الحسنة بأبلغ عبارة وأجزها - أن ينههم على أمرين خطيرين كثيراً ما يحول أحدهما أو كلاهما دون الشفاعة : خوفهم ألا تقبل ، واحتجاجهم بقضاء الله الباقد ، وفق مشيئته المحجبة - ليعلمهم أن من أتى الشفاعة من بابها فله أجرها كاملاً غير منقوص ، وافقت قضاء الله على لسان رسوله المعصوم صلى الله عليه وسلم ، أو خالفت ، وأن الغيب لله وحده ، لا ينبغي لأحد أن يتكلم عليه ، ولا أن يحتج به ... وأخيراً ليعلم الأمة والأئمة جميعاً خطر الشفاعة الحسنة وعظيم منزلتها ، حتى لا يجبن الأفراد والجماعات أن يتقدموا بها ، ولا يتعاضم الولاة والحكام أن يستمعوا إليها ، وحتى يكونوا جميعاً بنياناً قوياً يشد بعضه بعضاً ، وجسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر السهر والحى ! وما أحوج الحاكم والمحكوم إلى أن يكون بعضهم لبعض ناصرًا وظهيراً ؟ طه محمد الساكت

(١) فى شرح المواهب الهدنية عن الوائدى أنهم كانوا أربعة وعشرين بيتاً قدموا مسلمين وجاءوا بإسلام من وراءهم من قومهم .



# الفتاوى

## ١ - التعاون مع الأعداء

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد : فما هو حكم الإسلام في زعيم قبيلة أو كبير عشيرة مسلم ، يتعاون مع حاكم غير مسلم يكيد لوطنه وقبيلته وعشيرته ؟ وما هو واجب المسلمين من بنى وطنه وعشيرته في معاملتهم لذلك الزعيم الذى انحرف عن جادة الحق ، وتشكر لوطنه وبنى وطنه المسلمين .

أفئونا في ذلك ، دام فضلكم .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

المخلص

توفيق أحمد البكرى

المشرف على ركن السودان بالإذاعة المصرية

## الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد - فقد ورد إلينا كتاب يسأل فيه صاحبه عن حكم الإسلام في رجل مسلم يتزعم طائفة من المسلمين ، فيتصل بأعداء الإسلام : يوالىهم ، ويمكن لهم في وطنه ، ويسهل لهم السيطرة والتسلط على قومه .

وإنا نبين حكم الإسلام في ذلك مأخوذاً من القرآن الحكيم ، وسنة النبي العظيم .  
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .  
قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان . ومن يتولهم منهم ، فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

« الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتنعون عندكم العزة ، فإن العزة لله جميعا » .

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير » .  
وهذه الحالة المستثناة التي يتق فيها شر الكافر هي حالة الضرورة القاهرة ، وليست الموالاة فيها موالاة حقيقية قلبية ، وإنما هي مسالمة ظاهرية ، على حد قوله تعالى :  
« إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » .

بهذه الآيات البينات ، نهى الله المسلمين عن موالاة الكافرين وموادتهم ، مبيناً أنه لا يجتمع الإيمان بالله وموالاة أعداء الله في قلب واحد ، وأن العزة التي تبغى عند الكافرين هي ذلة يأبأها الإسلام لأبنائه المؤمنين ، وأن الأموال والمنافع التي تجرى من أيدي الكافرين إلى أيدي الذين في قلوبهم مرض ممن يعدون في المسلمين ، هي أوزار وأحمال ثقال تحبط الإيمان ، وتجر إلى الهوان .

والمسلم الذى يرضى لنفسه هذا الوضع الأليم - فيصافى عدو الله وعدوه ، ويتخذ له وحيه ، يبذل له المعونة ، ويمكن له من السيطرة على مواطنيه وإذلالهم - خارج عن صف المسلمين ، داخل فى زمرة الفاجرين الخاسرين ، يجب على عامة المسلمين أن يقاطعوه ، ولو كان من الآباء أو من الأبناء ، لأنه قطع الصلة التى بينه وبينهم ، ووصل نفسه بأعداء دينهم ، ولا صلة أقوى من صلة الدين ، فإذا انفصلت فقد انفصلت عروة القربى والنسب . وقد قسم الله رحم القربى بين نوح عليه السلام وابنه الذى خالفه وخرج على أمره حين قال له : يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين - قطع الله صلته به فقال تعالى : يا نوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح .

ولما تخلف نفر من أصحاب رسول الله ﷺ عن الجهاد فى غزوة تبوك ، أمر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه بمقاطعتهم ونبذهم إلى أن تابوا وقبل الله توبتهم ، وأنزل فى شأنهم قرآنا يتلى ليعتبر بهم غيرهم .

فإذا كان المتخلف عن ركب الجماعة ، قد حكم الشارع بنبذ ومقاطعته ، فما بالكم بمن يخرج عن صفوف المسلمين ، ويقف فى صف أعداء الدين .

ولا سيما إذا كان زعيما أو كبير عشيرة ، له تأثير على أتباعه الضعاف ، فيعمل على تقويض مجدهم ، وتفريق كلمتهم ، وتمكين العدو من ديارهم ، وتهديدكم فى عقائدكم وتقاليدهم !! لا شك أنه يكون أشد إضرارا بالمسلمين من عدوهم الظاهر الذى اتخذوه أحبولة مكره وكيد وخداعه . ويجب على المسلمين مقاطعته ومكافئته ، وصدده عن عدوانه بكل وسيلة ، وفى كل سبيل ، لأنه ولى أمر عشيرته نخافها ، وعمل على إضعاف شوكتها ، وفهم عرى وحدتها ، والله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم ، وأنتم تعلمون ، ويقول الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .

وهذا يتبين حكم الإسلام على الزعيم المسلم الذى يتعاون مع غير المسلم ضد أبناء دينه ، وكذلك حكم الإسلام على معاونيه وأتباعه .

نسأل الله العافية للمسلمين فى الدنيا والدين . والله الهادى إلى سواء السبيل .

شيخ الجامع الأزهر

## ٢ - شهادة الزور للوصول إلى الحق

وجاء إلى لجنة الفتوى ما يلي : —

رفعت دعوى على شخص أطلبه بحق ، فطلبت منى المحكمة إحضار الشهود ، ولما كان لا يعلم بصحة دعواى إلا شخص واحد .

فهل يجوز لى أن أحضر شاهد زور (بحسب الظاهر) لتكميل نصاب الشهادة فى سبيل وصولى إلى الحق .

عبد المجيد حامد

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن إقامة شاهد زور لتكميل نصاب الشهادة ، حتى يصل من أقامه إلى ما يريد ، لا تجوز بحال من الأحوال ، ولا يبررها أن مقيم هذا الشاهد صاحب حق فى الواقع ونفس الامر ، والله أعلم .

\* \* \*

## ٣ - حمل المصحف الشريف

رجل يحمل المصحف الشريف فى جيبه ، فى غدواته وروحاته ، ولا يفارقه .

فهل إذا دخل به المراض حرام مع تحفظه الشديد بوضعه داخل قطعة قماش نظيفة .

سليم السباعى

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه لا يجوز على مذهب الحنفية أن يدخل الشخص المرحاض معه المصحف الشريف . ولكن نص المالكية على جواز هذا الدخول ، إذا كان حامل المصحف قد اتخذ حُرْزاً له ، أو خاف ضياعه لو تركه في الخارج ، بشرط أن يكون المصحف بساتر يصونه عن وصول القذر إليه . والظاهر موافقة باقي الأئمة للمالكية في جواز دخول بيت الخلاء بالمصحف ، إذا خيف عليه الضياع بالشرط المذكور . فهذه الصورة تكون حثيثاً مستثناة عند الحنفية من إطلاق قولهم بتحريم ذلك ، والله أعلم

\* \* \*

## ٤ - هل على السجين زكاة

هل على السجين زكاة ، وإذا وجبت فمن الذي يخرجها ، وفي أي مكان تخرج ؟ أرجو الإجابة .  
فؤاد عبد الرحمن

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن السجين لا يمنع من وجوب الزكاة ، متى توافرت شروط وجوبها على شخص وجبت ، وعليه أن يؤديها بنفسه أو بوكيل عنه لأهل بلده ، وإذا أداها لغيرهم من الفقراء جاز ، ولكن الأفضل أن يصرفها لفقراء المسكان الذي فيه المال ، ولا ينقلها منه إلا لقريب أو أحوج أو أصلح أو أنفع في غير بلد المال .

أما صدقة الفطر فالظاهر أن الأفضل للسجين أن يصرفها لأهل بلده . والله أعلم .

## ٥ - صلاة الجمعة بدون خطبة

اعتماداً على استماعها في المذياع

جرت عادتنا أن نحضر الراديو ، بالمسجد يوم الجمعة ، لسماع الخطبة التي نذاع به عادة ، ثم نصلي الجمعة بدون خطبة .

وقد أنكر علينا ذلك بعض أهل العلم ، مدعياً أنه لا بد أن يخطب فينا خطيب خاص .  
نرجو الإفادة .

إبراهيم على إبراهيم

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن ما قاله بعض العلماء المشار إليه في السؤال من أن صلاة الجمعة بدون خطبة في نفس المكان الذي فيه الصلاة اعتياداً على سماع خطبة في مكان آخر بطريق المذياع باطلة ، وتجب إعادتها - ما قاله هذا البعض هو الصحيح الموافق للشرع ، ويجب على من فعل ذلك ألا يعود إليه . والله أعلم .

\* \* \*

## ٦ - تعدد الجمعة في بلد واحد

رجل يصلي الجمعة خلف الإمام بمسجد صغير ، وبمجرد خروج الإمام من الصلاة يقيم جماعة لصلاة الظهر ، ويزعم أنه شافعي ، وأن الجمعة لمن سبق ، ولا بد له من صلاة الظهر بتلك الهيئة التي نفوت وتضيع على المصلين سماع الموعظة من الإمام ، وختم الصلاة والاستغفار وغير ذلك . نرجو الإفادة .

محمود مرزوق

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه إذا تعددت الجمعة في بلد واحد وكانت الحاجة ماسة إلى هذا التعدد ، لضيق بعض مساجد البلدة عن أن يتسع لأهلها ، فإنها تكون صحيحة في كل مساجد البلدة ، سواء السابق منها واللاحق ، ولا تجب إعادتها ظهراً حتى على مذهب الإمام الشافعي ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم ؟

\* \* \*

## ٧ - حكم التبني

عثر أجنبي مسيحي على طفل حديث الولادة ، ومعه ورقة مكتوب بها اسم إسلامي وبعد الإجراءات المعتادة أقر هذا الرجل على نفسه أمام قنصليته أنه تبني هذا الغلام ، ومنحه اسم عائلته ، وجرده من اسمه الأصلي ، فأصبح الغلام مسيحي الديانة . ثم مرت الأعوام وتكرر الرجل للغلام - فما حكم هذا التبني - وهل يجوز رفع دعوى حسمه بهذا الشأن ؟

سيد بغدادى المحامى

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن التبني على الوجه المفهوم من السؤال ، لا يجوز في نظر الإسلام ، ولا تثبت به بنوة الولد المتبني لمن تبناه ، بل لا يزال هذا الولد أجنبياً منه ، ليس عليه ما يجب على الولد لأبيه من الحقوق ، وليس له على من تبناه شيء من حقوق الأبناء على الآباء . قال الله تعالى : : وما جعل أديانكم أبناءكم ذلكم قولكم

بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل، ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين، أى فهم لإخوانكم في الدين، فادعوهم لإخواناً ما دام لم يعرف لهم آباء . والولد في نظر الإسلام مسلم من حيث نشأته ، وعليه أن يتقدم إلى المحكمة الشرعية ليسجل لإسلامه في سجلاتها ، حتى لا يكون لمن تبناه سلطان عليه .

ويجب على المسيحي الذى تبناه أن يبين الحقيقة بالنسبة لهذا الولد ، ويخلى سبيله ليسجل إسلامه كما قلنا . وأما رفع قضية حسبة في هذا الموضوع فهو أمر يرجع فيه إلى نظام القضاء الشرعى . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

### تهنئة للأستاذ الأكبر

بمناسبة اختيار فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخنا للجامع الأزهر ، أرسل إلينا الأستاذ محمد طاهر حسين اللبان المدرس بمعهد دمياط قصيدة عشاء ، نقطف منها ما يلي :

حزت العلوم قديمها وحديثها	ولانت نحر الباحثين الأكبر
نرجو الحياة قوية وعزيزة	لا ترتضى ضعفا يذل ويقهر
نرجو لأزهرنا صلاحاً شاملاً	حتى يعود له الصباح المسفر
فاسلك بنا النهج السديد لغاية	يسمو إليها سابق ومظفر



# موقف الاسلام من التغيرات

التي يمر بها العالم

## حديث فضيلة الاستاذ الاكبر

حضر إلى إدارة الأزهر لمقابلة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر، شيخ الجامع الأزهر الاساتذة: هاني المان . فرنسيس ج . جولدنج . الكونت جيرارد رنسون . الهر هانز جورج جارتز ، من جماعة التسلمح الخلقى العالمية .

وطلبوا من فضيلته أن يحدثهم عن مبادئ الإسلام وموقف تعاليم الإسلام والمسلمين إزاء التغيرات التي يمر بها العالم اليوم ، وما يلاحظ من التحول عن الناحية المسادية إلى الاتجاه الروحي والخالق ، ويبنوا أن في شعوبهم اتجاهها لهذه الناحية .

حدثهم فضيلة الاستاذ الاكبر عن الإسلام حديثاً مستفيضاً ، شرح به مبادئ الإسلام القومية ، وتعاليمه السامية ، وبدأ حديثه بقوله :

« أنا شاكر لكم هذه الزيارة الكريمة ، ومسروور بها كل السرور ، لأنها تدل على أنه لا يزال في الناس من يعنى بتأكيد الروابط بين الأمم وبين مصر وعلى الخصوص الأزهر ، كجامعة ثقافية عالمية ، تنشى أبناء المسلمين على مبادئ الإسلام السليمة والثقافة العلمية الصحيحة .

ومن ناحية واجب الأزهر ودراساته الدينية ومباني تأثيره بالنواحي الخلقية : فالإسلام جاء بأمرين عظيمين :

الاول الأساس فيه عبادة الله وحده ، وتقديسه وحده ، وألا يعترف بكائن من كان بالاشتراك فيما يستحقه من هذا التقديس .

فالمسلم لا يعبد إلا الإله الواحد ، ولا يقدر إلا الإله الواحد ، ولا يجوز لإنسان أن يذل لإنسان آخر ، لأنه مثله في الإنسانية ، ولا يحق لأحد أن يقدر أحداً آخر ، لا أميراً ولا ملكاً ، ولا رئيساً ، فإن الله هو الخالق ، والتقديس واجب له وحده .

هذا الأساس وهو أساس التوحيد الصحيح إلى جانبه جاءت مبادئ تنظيم علاقة الإنسان بالله الذي يستحق وحده هذه العبادة وهذا التقديس ، وإلى جانبه مبادئ أخرى لا تقبل التغيير ولا التبديل ، وهي المبادئ الخلقية : من الصدق ، ومعاونة الضعيف ، والوفاء بالوعد ، وحب العمل النافع المنتج ، والحث على النظام والتعاون والمواخاة ، والعمل على استئثار الأمن والسلام في جميع أنحاء العالم . هذه المبادئ في مجموعها هي الأساس الثاني . والمسلم أخو المسلم في كل البقاع ، ومصر فيها مسلمون وغير مسلمين ، والسكل أمام الإسلام في الحق وفي الواجب سواء .

والإسلام روحه حب السلام ، والعمل على تمكين روابط المحبة والألفة والتعاون بين الناس ، وهو يرمى دائماً إلى نشر السلام في بقاع الأرض . والإسلام لا يحب العدوان ، وفي جميع الحالات التي اضطر فيها المسلمون في عهد رسول الإسلام إلى أن يستخدموا القوة لم يكونوا يبدئين بعدوان ، بل كانوا دائماً يعملون على الإقناع بالحق ، وبالحجة من طريق السلام .

والمسلمون في ذلك العهد ، وتحت زعامة الرسول ﷺ ، كانوا في حالات استعمالهم القوة مضطرين كل الاضطرار ، وكان يكرههم الأعداء المحييطون بهم لكرهاها بالغ الحد على أن يستخدموا هذه القوة التي لا بد لهم من استخدامها ، ليردوا عن أنفسهم وعن وطنهم عدوان أولئك المعتدين عليهم .

والإسلام لا يأخذ الناس بادية الأمر بالشدة والقوة ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ( لا إكراه في الدين ) ( يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ) .

كان إكراه أعدائهم لهم في استعمال القوة على ألوان مختلفة : مرة بحشد الجيوش والقوات لمحاربة المسلمين ، والإحاطة بهم من كل جانب ، وكان مرات كثيرة أخرى بالحيلولة بين الدعاة إلى السلام من أهل دين الإسلام وبين أن يقوموا بواجبهم الديني في التعليم والتثقيف ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده وعدم تقديس غيره ، والدعوة أيضاً إلى نبذ الأخلاق الفاسدة ، والعادات الذميمة ، والظلم ، وعدوان الناس بعضهم على بعض ، كانوا يحولون بين الدعاة وبين غاياتهم التي لا يقصدون من ورائها حرباً ولا تسلطاً ولا استعماراً ، ولكنهم كانوا يقصدون بها إنقاذ الناس من الجاهلية ومن فوضى الأخلاق ، ومن جميع العادات والتقاليد التي لا يرضاها الدين لعباد الله .

الإسلام حينما يراد بأهله الشر والظلم والغدر والجور ، فإنه لا يجوز في هذه الحالة الضعف والاستكانة والتزام خطة الذلة ، وإنما يأمر أهله بالدفاع القوى ، والاستماتة في هذا الدفاع ، لا يفرق في هذه الحالة بين معتد ومعتد . وعلى درجات هذا العدوان ، وبحسب تفاوتها يكون كفاح المسلمين وجهادهم وتعاونهم لرد ذلك العدوان .

والإسلام لا يحابي ولا يمارى . ومبادئه يجب تنفيذها على كل إنسان من أهله . ومن يرتكب مخالفة أو جريمة ، فإنه لا يعفيه من المؤاخذه قرابته لصاحب جاه أو نبي أو رسول من رسل الله ، فقد قال في ذلك رسول الله ﷺ ما معناه : لو أن فاطمة بنته سرقت لآخذها بالعقوبة كما يأخذ غيرها ممن يرتكب هذه الجريمة .

الإسلام يأمر أهله بالعمل للدين والدنيا معاً ، وليست تعاليمه مقصورة على أوامر الصلاة والزكاة والصيام والحج وما إلى ذلك من أنواع العبادات والطاعات ، وإنما يأمر أهله ويحثهم حثاً قوياً شديداً على العمل للدنيا ، لتعميرها واستثمار ما فيها من قوى ، والانتفاع بما في الأرض من ذخائر وكنوز ومعادن ، وما إلى ذلك .

فالاعتصار على النوع الأول وهو العبادة ، يعتبره الإسلام رهبانية وهو لا يجيزها للمسلمين كنظام عام ، فإن من المبادئ المحمكة في الدين الإسلامى ، أنه لا رهبانية في الإسلام .

وفي النوع الثانى الذى يطلب به العمل للدنيا يحذر من التهاكك على هذه الدنيا إلى درجة تضعف القيام بالواجب الأول ، فإن هذا مذموم أيضاً لأنه يسبب طغيان المادية على المعانى الروحية السامية ، التى لا بد للإنسان منها ، والتى لا يستطيع العالم أن يعيش فى سلام بدونها . وقد أخذ الإسلام فى هذه الناحية ناحية العمل الدنيوى بنظام يمكن أن يعبر عنه بأنه نظام اشتراكى ، ولكنه نظام اشتراكى انفرد به الإسلام ، فهو لا يسخر المجموع لمصلحة فرد ، ولا يقضى جهود الفرد لأجل المجموع ، وإنما يحرص على أن يكون للفرد كيانه وقوامه وحرية التى يحافظ معها على حرية غيره ، ثم هو مع ذلك يحتم عليه أن يقوم للمجموع بنصيب عظيم من جهوده . وهذا هو أساس نظام الزكاة فى الإسلام ، فإنه يفرض على أهل الثروة والغنى أن يكون لغيرهم من الفقراء والضعفاء نصيب وحق فى أموالهم ، ولكن ذلك بنسبة خفيفة لا تؤثر على الغنى فى ماله ، وهى فى الوقت نفسه تقوم بمصالح الفقير الضعيف

هذه النسبة قدرها الإسلام بحزم من أربعين جزءاً، من الثروة في كل سنة، فالإسلام لا يذهب مذهب المادية، ولا مذهب الرأسمالية العنيفة، ولا مذهب الشيوعية، ولا مذهب الاشتراكية المتطرفة، ولكن نظامه في هذه النواحي هو نظام الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط .

هذه نبذة صغيرة من تعاليم الإسلام وأخلاقه، ومصر بوجه عام، والأزهر بوجه خاص يرحب بكل دعوة تدعو إلى نشر الفضائل والأخلاق الجميلة التي انكشفت في عصرنا الحاضر عند غالب الأمم، لتأثير الناحية المادية وتغلبها وطغيانها على النفوس .

وأنا أكرر لحضرات الزائرين عظيم سروري وارتياحي لزيارتهم . وفوق ذلك قد سرنى كل السرور أنهم من دعاة هذه الفكرة، فكرة العمل على نشر مبادئ السلام والمحبة والأخلاق الفاضلة بين جميع الناس، لا فرق بين أهل قطر وقطر، وأمة وأمة، فإن هذه الفكرة التي يقومون بالعمل في سبيلها، هي جملة ما يدعوا إليه الإسلام وتعبير صادق عن مهمته .

وأرجو أن تتعاون الجهود في جميع الدول على تحقيق هذه الفكرة الصالحة الرشيدة، ونحن نستعين في ذلك بقوة الله وعنايته .

وتأكيذاً لسروري لهذه الزيارة أحب أن أقول : إن لي كتاباً صغيراً يعالج بعض هذه الشؤون من وجهة نظر الإسلام، هو الآن تحت الطبع، وسيتم طبعه قريباً، وسأعمل على أن أهدى إلى حضرات الاعضاء في مركزهم العام بجنيف نسخة منه، ورجائي أن يتقبلوه رمز حبة ومودة ومناصرة لهم على عملهم الجميل .

# الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

— ٤ —

ومن المخلوق المسكذوب ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى « وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله » الآية (١) . فقد روى عن قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بيت زيد بن حارثة فرأى زينب بنت جحش في زينتها ، وفي رواية أن الريح كشفت عن ستر بيتها ، فرأها في حسنها ... فرجع وهو يقول : سبحان الله العظيم ، سبحان مقلب القلوب . فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله ، فذهب إليه زيد وقال : بلغني أنك أتيت منزلي ، فهلا دخلت يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتك فأفارقها ، فقال له رسول الله : أمسك عليك زوجك واتق الله ، فنزلت الآية .

وقد ذكر هذا السبب الجلال المحلى وفسر الآية على ذلك ، وذكر مثله الزعزعى والنسقى وابن جرير والثعلبي وغيرهم ، إلا أن ابن جرير ذكر بجانب هذا الباطل رواية أخرى تتفق هي والواقع والحق ، وذكر مثل هذه الروايات - التي ليس لها شاهد من نقل صحيح ولا عقل - غفلة شديدة ، وإن كان من أبرز السند تبعته أخف . وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم متهم بالكذب والتحديث بالغرائب ورواية الموضوعات ، ولم يذكر هذا إلا المفسرون والأخباريون المولعون بنقل كل ما وقع تحت أيديهم من غث أو سمين ، ولم يوجد شيء من هذا الباطل في كتب الحديث ودواوينه المعتمدة ، والذي جاء في الصحيح يخالف هذا : روى البخارى في صحيحه عن أنس بن مالك أن هذه الآية « وتحنى في نفسك ما الله مبديه ، نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة . واقتصر على هذا القدر ، ولم يذكر شيئاً من هذا الخلط . وقال الحافظ بن حجر في الفتح (٢) بعد ما ذكر رواية قتادة : « ووردت

آثار أخرى أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير الطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها. وما أورده هو المعتمد، وهي شهادة لها قيمتها من الحفاظ ابن حجر، وهو من المتشددين في الحكم بالوضع أو بعدم الثبوت. والذي أورده هو ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق السدي في هذه القصة فساقها سياقاً واضحاً حسناً ولفظه «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وكان رسول الله أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه فسكرهت ذلك، ثم رضيت بما صنع رسول الله فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه بعد، أنها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر زيداً بطلاقها، وكان بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله، وكان يخشى أن يعيب عليه الناس ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً، وهذا هو السبب الصحيح المعتمد وما ينبغي أن تفسر به الآية.

وروى ابن أبي حاتم أيضاً والطبري عن علي بن الحسين بن علي قال «أعلم الله نبيه أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يزوجه، فلما أتاه زيد يشكوها وقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك. قال الله: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه.

وزواج النبي ﷺ بزینب، إنما كان لحكمة عالية وتشريع حكيم. ذلك أن العرب كان من عاداتها المتبني، وكانت تلحق الابن المتبني بالعصبى في الميراث، وحرمة زوجته على من تبناه، كما كان كبيراً عندهم أن تزوج بنات الأشراف من موال، وإن عتقوا وصاروا أحراراً. فلما جاء الإسلام كان من مقاصده أن يزيل الفوارق بين الناس التي تقوم على العصبية وحمية الجاهلية، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب، وأن يقضى على حرمة زوجة الابن المتبني. وقد شاء الله أن يكون أول عتيق يتزوج بشريفة في الصميم من قریش هو زيد ابن حارثة، وأن يكون أول من يبطل عادة حرمة زوجة الابن المتبني هو رسول الله، وقد كان ما أراد الله، فرسول الله يخاطب زينب لزيد فتأني ويأني بعض أهلها، فينزل الله «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، فتذعن زينب ويتزوج بها زيد. ولكنه وجد منها تعاضداً فيرغب في فراقها ويستشير رسول الله فينصحه بإمساكها، وكان جبريل عليه السلام أخبر رسول الله بأن زينب ستكون

زوجا له ، وسيبطل الله بزواجه بها هذه العادة . ولكن النبي ﷺ وجد غضاضة على نفسه أن يأمر زيدا بطلاقها ثم يتزوجها بعد ، فتشيع المقالة بين الناس من أعدائه ، وهو في دعوته إلى دين الله أحوج إلى التأييد والسلامة من لإرجاف المرجفين . فهذا المقدار من خشية الناس ، حتى أخفى ما أخبره الله به - وهو نكاحها الذي أظهره الله فيما بعد - هو ما عاتبه الله عليه ، وقد صرح الله سبحانه بالسبب الباعث على هذا الزواج فقال : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا ، فهذا هو التفسير الذي يوافق نص الآية والروايات الصحيحة المعتمدة . وقد نسج المستشرقون والمبشرون من تلك الروايات المختلفة ثوبا من الكذب والخيال ، وصوروا السيدة زينب وقد رآها النبي الطاهر ، كما يصور الرجل الخيالي لإحدى غادات المسرح ، وأطنبوا في ذلك ما شاء لهم خيالهم أن يطنبوا ، وظنوا بذلك أنهم نالوا من الإسلام ونبيه . وهم في ذلك واهمون ، فقد طعنوا في غير مطعن ، وبنوا على غير أساس ، فما اعتمدوا عليه من الروايات أوهى من بيت العنكبوت ، وما هي إلا دسيسة دسها أسلافهم من أعداء الدين في غابر الأزمان .

وثمة حجة دامغة تذهب بالقصص المختلفة من أساسها ، فالسيدة زينب هي بفت عمته ، وقد ربيت على عينه ، وله بحكم صلة القرابة معرفة بها وبجملها ، ولا سيما والنساء كن يبدن من محاسنهن في الجاهلية ما حرم الإسلام منه بعد ، وهو الذي خطبها على زيد مولاه وكرر الطلب حتى استجابت له ، فغير معقول - والحال كما ذكرت - أن لا يكون شاهدا . فلو صح ما يزعمون ، فأى شيء كان يمنع النبي عليه الصلاة والسلام من زواجها ، وإشارة منه كانت كافية لأن يقدمها أهلها له وما ملكك عن رغبة ورضى ، ومن بعد ذلك فحياة رسول الله من صباه إلى كهولته ترد هذه الفرية .

ما عرفت الدنيا أظهر ذبلا منه ولا أعف ، ولا لمست يده قط امرأة لا تحل له . ولو كان رسول الله صاحب هوى أو صبوة لأشبع رغبته وهي في ميعة الشباب أيام أن كان الغيد السكواعب من بنات الأشراف تشرتب أعناقهن إلى أن يكن حليلات له ، ولكنه قضى شبابه مع سيدة تناهز الأربعين عاما ورضيها زوجا له حتى توفاه الله ، ومهما قيل في جمال السيدة خديجة فهناك غيرها من الأبكار الشابات كن يفقهن في الجمال ، وللابكار ما لهن من جاذبية وروعة ، ومن جادل في ذلك فقد خالف سنة الله في الفطرة .

ولم يكن زواج رسول الله بزواجه إلا لحكم ومقاصد سامية : فزواجه بالسيدتين عائشة وحفصة تأكيد للعلاقة بينه وبين وزيريه ، وزواجه بالسيدتين سودة وزينب بفت خزيمة تكريم لهما وللعقيدة في شخص زوجيهما ، وزواجه بالسيدة أم سلمة جبر لكسرها وتعويض لها عن فقد عائلاها ، وقد كان من خيار المسلمين ، وزواجه بالسيدة زينب بفت جمش لإبطال هذه العادة الجاهلية كما صدع القرآن . ويطول بي القول لو استقصيت الحكم في زواجه ﷺ ، فلذلك مقام آخر .

والعجيب من هؤلاء الطاعنين إذا وقعوا على ما يشفى غليلهم من باطل الروايات ، تمادوا في قلب الحقائق ، وأنكروا عقولهم ، وتجاهلوا الظروف والملاسات ، والبيئة وأحكامها ، وسنن الله الفطرية في المكائتات ، بينما يطيشون في الحكم على روايات في غاية الصحة بأنها موضوعة ولا حامل لهم في الحالين إلا الهوى والنهص والحقد الدفين للإسلام ونبيه .

\* \* \*

ومن الموضوع ما يذكره غالب المفسرين في سبب نزول قوله تعالى في سورة الإنسان « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » ، فقد روى عن ابن عباس أن الحسن والحسين مرضا فعادهما جدتهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقالوا لعلى كرم الله وجهه : لو نذرت على ولدك ، فنذر على والسيدة فاطمة وجارية لهما إن شفيا أن يصوموا ثلاثة أيام شكراً لله ، فألبس الله الغلامين ثوب العافية ، فاستقرض سيدنا على ثلاثة أصع لحاء بها ، فقامت السيدة فاطمة إلى صاع فطحته وخبزت منه خمسة أقراص على عددهم ، فوقف بالباب سائل فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا مسكين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة . فأثروه وبانوا لم يذوقوا شيئاً . وفي اليوم الثاني جاء يتيم فأعطوه الأقراص الخمسة أيضا . وفي اليوم الثالث جاء أسير ففعل مثل الأولين فأثروه . وقد اشتمل الخبر على شعر ركيك <sup>(١)</sup> .

فهبط جبريل على النبي ﷺ وقال : خذها يا محمد ، هنالك الله في أهل بيتك . وأقرأه « هل أتى على الإنسان » السورة . ويكاد لم يسلم تفسير من ذكر هذا الخبر - وقد ذكره الحافظ السيوطي في الدر المنثور مع أنه وافق على وضعه في اللآلئ . وقد نبه على أن هذا

(١) انظر تفسير القرطبي جزء ١٩ ص ١٢٩ وما بعدها لترى هذا الشعر القدي يكاد ينطق بالاختلاق .



السبب مختلق الحكيم الترمذى وابن الجوزى والحافظ ابن حجر فى التخرىج وقال : « آثار الوضع لانتحة عليه لفظا ومعنى . فبناء سيدنا على بالسيدة فاطمة كان بالمدينة فى السنة الثانية ، مع أن السورة مكية كما روى عن ابن عباس والجمهور ، فليس من المعقول أن يكون هذا هو السبب .

ومن العجيب أن الإمام الألوسى قد حاول التكلف لإثبات هذا السبب بأن السورة مختلف فى مكيتها ومدنيتهما وبأن ابن الجوزى متساهل فى الحكم بالوضع ، وقد سمعت آنفا أن ابن الجوزى لم ينفرد بذلك بل قد وافقه على الحكم بالوضع أئمة كبار ، وأن ابن عباس الذى روى عنه هذا السبب المكذوب بمن يقول بأن السورة مكية ، فكيف يعقل هذا الخلط من حبر القرآن ١١٩ الحق أن هذه الرواية أثر من آثار التعصب الطائفى لسيدنا على وآل بيته ، ونحن لا ننكر فضل على وآله ، ولكن فى الأحاديث الصحيحة الثابتة غيبة هن هذا المختلق المصنوع .

\* \* \*

ومن ذلك ما يذكره بعض المفسرين فى سبب نزول قوله تعالى « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » ، السورة . قال السيوطى فى الدر المنثور : أخرج الترمذى وضعفه ، وابن جرير والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل ، عن يوسف بن مازن الرؤاسى قال : قام رجل إلى الحسن ابن على بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين . فقال له : لا تؤنبني رحمك الله فإن النبى ﷺ رأى ابن أمية على منبره فسامه ذلك فنزلت « إنا أعطيناك الكوثر » ونزلت « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد . وقد قال فى هذا السبب ابن كثير : « لأنه منسكج جداً ، وحكم بطلانه أيضاً ابن جرير فى تفسيره حيث قال بعد ما ذكر هذا الحديث فى جملة أقوال ذكرها « وأشبه الأقوال بظاهر التنزيل من قال : عمل فى ليلة القدر خير من عمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . وأما الأقوال الأخر فعان باطلة لا دلالة عليها من خبر ولا عقل ، ولا هى موجودة فى التنزيل ، » (١) .

وهذا الحديث المزعوم معناه غير صحيح ، فإن السيد معاوية رضى الله عنه استقل بالملك سنة أربعين ، واستمر ملكهم إلى سنة ١٣٢ لم يخرج عن ملكهم إلا الحرمان والأهواز مدة ابن الزبير وهى تسع سنين . وخروج بعض الجهات عن ملكهم فى هذه الفترة لا يكون مبرراً لانتقاصها فقدمهم إذن اثنان وتسعون عاماً وهى أكثر من الألف . ولو سلمنا لانتقاص مدة ابن الزبير فالباقى لا يوافق الألف وإن كانت تقرب منها ، فعلى أى حال حملناه فعناه غير صحيح ، مع أن لوائح الوضع ظاهرة عليه ، والترمذى قال فيه : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم وهو ثقة وشيخه مجهول ، وهل البلاء يأتى غالباً إلا من المجاهيل ؟

ومما يوهن هذه الرواية ويدل على اختلافها أنها سبقت لدم دولة بنى أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم ، لا يدل على ذم دولتهم ، وأيضاً فإن ليلة القدر شريفة ، والسورة الكريمة نزلت لبيان شرفها ، فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية وهى مذمومة بمقتضى هذا الحديث المزعوم ، فالحديث لا يعطى ما أراده الواضع من ذم أيامهم ، كما يعارض ما دلت عليه السورة من شرف هذه الليلة مما لا ينبغى أن يختلف فيه اثنان ، وقديماً قيل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصى

ثم إن السورة ، مكية والمنبر إنما صنع بالمدينة اتفاقاً ، فكيف يعقل أن يكون هذا سبب النزول ؟ الحق أن هذا اختلاق ، والتكلف لإثبات مثل هذا ليس من الدين فى شيء ولا يتفق وقواعد البحث العلمى النزيه ؟

محمد محمد أبو شريفة

الاستاذ بكلية أصول الدين

## اللبانات

قال ابن حطاب :

يا سرف المرء على ما فاته	من لبانات إذا لم يقضها
وتراه ضاحكاً مستبشراً	بالتى أمضى كأن لم يمضها
إنها عندى كأحلام الكرى	لقرب بعضها من بعضها

# محنة الأدب وما هو السبب ؟

لا شك أن الأدب في محنة ، ولا شك أن الأدباء كذلك في محنة . ونعني بالأدب ذلك الإنتاج الفني الرصين الذي يعبر عن خوالج النفوس ، ولوعات القلوب ، وغرائب الحوادث ، ومبتدعات الفن والحضارة ، في ثوب أنيق ، وأسلوب رشيق ، وتشبيه دقيق ، واستعارة رائعة ، وخيال مقبول ، ولا نعني به ذلك الإنتاج المبتذل الرخيص المهمل الذسج ، الذي رصفت عباراته في غير انسجام ، كما يرصف العطار الساذج بضاعته في غير ترتيب ولا نظام ، فيضع الحل بجانب العسل ، والسمسم بجانب الخردل ، والسكر بجانب الحنظل ، وما إلى ذلك مما يدل على انعدام ملكة الذوق وفضيلة الانسجام .

ونعني بالأدباء أولئك الذين يدركون ما في ذلك الأدب من جمال ، ويتذوقون ما فيه من فوق وإبداع ، ويظالعونك به في كتب فنية ، أو رسائل إنشائية ، أو دواوين شعرية . أما الأدب أو كتب الأدب التي تطالعك بها المطابع في كل شهر ، ويحملها إليك باعة الصحف فليست من موضوع حديثنا ، وليس من موضوعه كذلك مؤلفوها الذين يظنون أنهم ينتظمون بذلك الإنتاج السوقي في سلك الأدباء .

وتتمثل محنة الأدب في ندرة ما يظهر فيه من كتب . ونستطيع أن ندلس ذلك في يسر خصوصاً في الربع الثاني من هذا القرن . ولأنه ليعيبك أن تعد من هذه الكتب ما يبلغ أصابع اليد ؛ وكـم من الكتب في منشور الأدب تستطيع أن تذكره بعد كتب المنفلوطي ؟ وكـم من دواوين الشعر تستطيع أن تذكره بعد دواوين شوقي وحافظ ؟

وتتمثل محنة الأدباء في انصراف القراء عن قراءة الأدب ، وعدم تشجيعهم الأدباء بالإسهام في اقتناء كتبهم ، والتنويه بجهوداتهم .

وقد كثر الحديث عن محنة الأدب والأدباء ، ومحاولة تعرف الأسباب في تلك المحنة ، وذهب المتحدثون في ذلك مذاهب مختلفة ، فحاول بعضهم أن يلقى مسئوليتها على القراء ، وحاول بعضهم أن يلقبها على الأدباء ، وقد يكون من أسباب ذلك اشتغال القراء عن

الأدب ، لشئونهم الخاصة وشئونهم العامة التي تتصل بمعاشهم ، مما لا يدع فرصة للإقبال على الأدب والتوفر على قراءته . والأدب عند أكثرهم ترف ثماني يلودون به عند فراغ البال ، واستقرار الحال ، وصفاء خاطر ، وهبات أن يتوافر ذلك وقد ثقلت على الناس أعباء الحياة ، وهموم العيش .

وقد يكون من أسبابه ارتفاع أسعار الكتب ارتفاعا يصعب احتماله على جمهرة القارئ .

ولكن السبب الحقيقي فيما نظن وراء ذلك ، وهو مزاحمة المتأدين للأدباء ، ومحاولتهم أن يخلطوا إنتاجهم الغث الرخيص بالثمين الغالي من إنتاج هؤلاء ، معتمدين في ذلك على الدعاية بوسائل لا تليق بالأدب ولا الأدباء ، وتظاهروا على أهدافهم فوضى الانقلاب الأدبية ، فهذا الأخطل ، وذلك حسان ، وثالث متنبئ الزمان ، إلى نحو ذلك من اغتصاب الموقى لألقابهم وأسلاهم ، دون وازع من حياء ، أو زاجر من ضمير .

لقد طغى المتأدون على الأدباء ، وزاحت كتبهم ودواوينهم كتب ودواوين هؤلاء ، وقد يظهر في عالم التأليف مؤلف لبعض المتأدين لم تعرف منزلته الأدبية ، وتقبل على شرائه وقراءته مخدوعاً بالإعلان عن الكتاب وعن ألقاب صاحبه ، فإذا قرأته وقعت منه على ساقط من القول ، ومرذول من الكلام ، وراعى منه تهافت الأسلوب ، واضطراب الخيال ، وخروج بالشعر والنثر عن جادة الأدب وعماء تذوقته منه في كتب الأدب الرفيع ، ويكون من نتيجة ذلك أن تسكره الأدب وتبغض الأدباء ، وتأخذ البريء بحريرة المذنب ، وتصرف نفسك عن كل ما يظهر من كتب ، ويسوء ظنك بالأدب والأدباء ، وتركد همتك عن الاستزادة من الثقافة الأدبية الجديدة مهما كان مصدرها .

ولست أقول ذلك جزافاً أو تجنبياً على المتأدين ، ولعلى أعبر عما يشعر به كثير من القراء ويحسون بغضاضته ، ويأسفون على ما وصلت إليه حالة الأدب والأدباء الآن .

وما هي ذى المؤلفات الأدبية وهي كثيرة وكثيرة ، فكم منها ما يستحق أن ينظم في كتب الأدب ؟ وكم منها ما هو جدير بالخلود كما خلدت كتب الأدب الراقى ؟ وهل لنا أن نستغنى عشرة من أدبائنا المعروفين في الكتب التي ظهرت مثلاً في عشر السنين الأخيرة

أرى كم منها ما يظفر بإجماع هؤلاء على تقديره ؟ وما لنا نستفتى وقد أفتى بجمع اللغة في مسابقة قدمت فيها مئات الكتب فلم يظفر بتقدير المجمع منها إلا كتابان فيما نظن .

إنه بين أيدينا دواوين حديثة لشعراء تردد الصحف والمجافل أسماءهم ، وبزهي أصحابها بالقابهم ، ويدعون بالمجددين ، لأنهم كثيراً ما أنكروا على المتقدمين من الشعراء مناهجهم في الشعر ، وشكروا غموض معانيهم ، وبعد تشبيهاتهم ، وتعقيد أساليبهم ، وجذب خيالهم ، ولا غراهم في المقابلة والجناس والطباق ، وما إلى ذلك من أنواع البديع ، ونعوا عليهم تطفلهم في معانيهم وأغراضهم ، وانعدام الروح الشعرية في شعرهم ، حتى فقد تأثيره في نفوس السامعين ، وليس له من سمات الشعر إلا النظم فحسب .

لو شئنا لعرضنا على القارىء مقتطفات من أى ديوان شاء ، وفي أى غرض من الأغراض ، لينظر كم ترك هؤلاء المجددون مما أنكروه على الشعراء المتقدمين ؟ وما هو الجديد من الاخيلة والتشبيهات ، وما هو المحاكى به ، وحاشاى أن قول : المسروق أو المستعار !! إننا لو قلنا لكل تشبيه أو تخيل : عد إلى مكانك من شعر السابقين ، لاضحت صفحات من تلك الدواوين بيضاء لا تسر الناظرين .

ولولا أن تضيق صفحات مجلة الأزهر بما يضيق به صدرى ، لانطلق قلبى بعرض للشواهد على ما أقول ، وإياها الكثيرة وكثيرة ؟

أبو الوفا المرافى

## المروءة

رفع رجل إلى أمير المؤمنين في ذنب اقترفه ، فأراد معاقبته ، فأخبر أن له مروءة فقال : « استوهبه من صاحبه » .

## اتّفاق النخاطِط في الشعر عرض وموازنة

من آيات عظمة الشاعر ، وعلامات قدرته الفنية ، إعجاب الشعراء به ، وتقديرهم لمعانيه .  
وتقبلهم لأساليبه ، واستعارتهم أفكاره ، وإلهامهم بأخيلته ، وكلما كان الشاعر أكثر تأثيراً  
في نفوس الشعراء وإلهامهم ، كان ذلك أدل على حظه من القوة ، ونصيبه من التوفيق  
والبراعة . فإن الأرض لا تترعرع ، والروض لا يزهر ، إلا حين تستمد الحياة من الغيث  
المنسجم ، والسحاب الهامى .

وكذلك كان الشاعر العباسى الحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس . فتح للشعراء مغاليق  
القول ، وفتح لهم عن جيد المعانى وبارع الأفكار ، حتى قيل فيه : كأن المعانى حبست عليه  
فأخذ منها حاجته وفرق الباقي على الناس <sup>(١)</sup> .

وقال أبو حاتم : كانت المعانى مدفونة حتى أثارها أبو نواس فاستخرجها <sup>(٢)</sup> .  
ولقد أقبل الشعراء بعده على آثاره ، فأخذوا منها ، وانتفعوا بها ، واستلهموها كثيراً  
من معانيهم وأفكارهم ، حتى كان أبو تمام يستعمل معانيه في شعره وفي خطابه وكان يسميه  
الاستاذ والحاذق .

وفي وفيات الأعيان <sup>(٣)</sup> قال على الرازى : رأيت أبا تمام الطائى عند ابن أبى دود ،  
ومعه رجل يئشده عنه قصيدة منها :

لقد أنست مساوىء كلِّ دهرٍ      محاسنُ أحمد بن أبي دود  
وما سافرت في الآفاق إلا      ومن جدواك راحلتى وزادى  
فقال له ابن أبى دود : هذا المعنى تفردت به أو أخذته ؟ فقال : هو لى ، وقد ألفت فيه  
بقول أبى نواس :

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة      لغيرك إنساناً فأنت الذى نعى  
فعنى أبى نواس هو الذى ألهمه وأوحى إليه بمعناه .

وهكذا كان كثير من الشعراء يأخذون من أبي نواس ويقلدون أشعارهم درر معانيه .  
وسنعرض هنا بعضاً مما أخذوه ، ليكون أبين شاهد على تأثر الشعراء به ، وتبعمهم لمعانيه .  
قال الحسن بن هاني :

وإن جرت الالفاظ يوماً بمدحة      لغيرك إنساناً فأنت الذي نعتي  
أخذ المتنبي هذا المعنى فقال :

وظنوني مدحتهم قديماً      وأنت بما مدحتهم مرادى

ولكن بيت المتنبي يحمل في طابعه وسمته التنسك لممدوحيه القدماء والتردد عليهم . فهو  
يستجملهم ويخطئهم حين فهموا أنه مدحهم . ولكن أبا نواس كان أكرم من ذلك ،  
إذ يقول لممدوحه : أنت المقصود ، والمعنى بالمديح ، وهؤلاء صنائعك ومواليك ، فإذا  
مدحتهم فإنما نمدحك ، لأنك أنت أحسنت اختيارهم ، ووقفت في اصطفايتهم لأمور الدولة  
وتصريف شئونها .  
وقال الحسن :

ليس على الله بمستنكر      أن يجمع العالم في واحد  
أخذه البحتري فقال :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت      من المجد حتى عد ألف بواحد  
وأخذه أبو هلال العسكري فقال :

فن رآك رأى الدنيا وما جمعت      والناس كلهم في شخص إنسان  
وأخذه المتنبي فقال :

لما وزنت بك الدنيا قلت بها      وبالورى قل عندى كثرة العدد  
وقال أيضاً :

هدية ما رأيت مهديها      إلا رأيت العباد في رجل

وما يزال بيت أبي نواس منفرداً بعمومه وشموله ، وإطلاق معناه ، وحسن  
إصابته للغرض .

وقال أبو نواس في مدح الرشيد :

ملك تصور في القلوب مثاله فكأنما لم يخل منه مكان  
أخذه المتنبي فقال :

صدق الخبر عنك دونك وصفه من بالعراق يراك في طرسوسا  
وقد قصر المتنبي لانه اقتصر على من بالعراق ، وعم أبو نواس القلوب والاماكن  
وبين الاسلويين بن بعيد في الصحة والجزالة .  
وقال الحسن :

فكل شيء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه ظنه الساق  
أخذه المتنبي فقال :

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا  
فهو قد بالغ في معناه حتى أحال وأفسد المعنى .  
وقال أبو نواس :

وكلت بالدهر عينا غير نائمة بجود كفك تأسو كل ما جرحا  
وكان النقاد في عصره يعدونه أمدح بيت للحدثين <sup>(١)</sup> أخذه المتنبي وزاد فيه  
حسن التشبيه فقال :

تبع آثار الرزايا بجوده تتبع آثار الاسنة بالقتل  
وقال الحسن :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل  
أخذه المتنبي فنقله إلى معنى آخر ، فقال :  
وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل  
ولقد كان المتنبي معجبا بابي نواس ، مفتونا بمعانيه ، كثير الإلمام بها ، حتى يروى أنه

(١) ص ١٧٠ الصبح النني من حبيبة المتنبي .



تمارى مع على بن خالويه فى أيهما أشعر : أبو نواس ، أم أشجع السلى ؟ فقال ابن خالويه  
أشجع إذ قال فى مدح الرشيد :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد      رصدان ضوء الصبح والإظلام  
فإذا تنبه رعته وإذا غفا      سلت عليه سيفك الاحلام  
فقال المتنبي : لأبى نواس ما هو أحسن فى بنى برمك وهو قوله :

لم يظلم الدهر إذ توالى      فيهم مصيباته دراكا  
كانوا يحبرون من يعادى      منه فعاداهم لذاكا (١)

على أن قول أشجع مأخوذ من قول بعضهم لعبد الملك وقد قال له : إني أجبرك من  
الحجاج . فقال له : يا أمير المؤمنين هبك أجرتني منه فى البقطة ، فمن يجبرني منه فى النوم ؟

وقال أبو نواس :

لا تسدين إلى عارفة      حتى أقوم بشكر ما سلفا  
أنت امرؤ جللتنى نعماً      أوهمت قوى شكرى فقد ضعفا  
أخذه أبو تمام فقال :

كم من يد لك لولا ما أخففها      به من الشكر لم تحمل ولم تطق  
بالله ادفع عني ثقل فادحها      فإني خائف منها على عنق

والمعنيان مختلفان لأن أبا نواس ذكر أن نعم الممدوح قد غلبت الشكر ، فاستغفاه  
من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة ، وأبو تمام قال : لولا ما أخففها به  
من الشكر لم أطق حملها . ثم أحسن والطف فى قوله : فإني خائف منها على عنق . ومعنى  
أبى نواس أجود وأحسن سبكاً وأقوى عبارة .

وقال أبو نواس :

ترى ضوءه من ظاهر السكاس ظاهراً      عليك ولو غطيته بغطاء

أخذه أبو تمام فقال :

فعميت من شمس إذا حجب بدت      من نورها فكأنها لم تحجب  
والأصل من قول قيس بن الخطيم :

وقضى الله حين صورها لا      خالق ألا يكنها سدف  
وقال أبو نواس :

تبكي البذور اضحكة      والسيف يضحك إن عبس<sup>(١)</sup>  
أخذه أبو تمام وقصر عنه حين قال :

كل يوم له وكل أوان      خلق ضاحك ومال كئيب  
وقال أبو نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي      وجنح الليل مكتحل بقار  
أخذه أبو تمام فقال :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه      قد اكتحل منه البلاد بإئمد  
قال أبو هلال العسكري<sup>(٢)</sup> :

« وقول أبي تمام أجود ، لأن الاكتحال بالإئمد لا بالقار ،

على أن العسكري قد غفل أو تغافل عن الفرق بين المعنيين ، فهما في نظري مختلفان في المنزع متباينان في الهدف . إذ عند أبي نواس جنح الليل مكتحل بالقار ، وأول ما يیده الإنسان هنا ويخطر بباله هو تشبيه المكتحل به بالقار لا جعل القار نفسه مكتحلا به . وعند أبي تمام جنح الليل قد أفاض على البلاد ظلاما ، وألبسها سوادا ، فكأنها قد أخذت منه إئمدا اكتحلت به . فالمنزعان مختلفان إذ الأول بيان لمبلغ سواد الليل ، والثاني لما أصاب البلاد من سواده .

(١) البذور هنا جمع بدرة .

(٢) ١ - ٣٢٣ ديوان للمعاني .

فأساس المفاضلة والتميز على ما رآه العسكري منقوض ، ويبقى لبيت أبي نواس روعته  
وشدة تأثيره ، وما يحمله من غرابة ودهشة إذ يقول : « ابن لي كيف صرت إلى حريمي » .

وقال أبو نواس :

حتى الذى فى الرحم لم يك صورة لفؤاده من خوفه خفقان  
فقال أبو تمام :

لو أصغنا من بعده لسمعنا لقلوب الأيام منك وجيا  
ومع ما فى المعنيين من إحالة وبعد ، فإن المعنى الأول أقرب إلى الفهم والإساعة .  
وقال أبو نواس :

طوى الموت ما بينى وبين محمد وليس لما تطوى المنية نافر  
أخذه أبو تمام فقال :

أمن بعد طى الحادثات محمداً يكون لأثواب العلى أبداً نشر  
وقال أبو نواس :

ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها القلب مشتاقا  
أخذه ابن الرومى فقال :

أعاقبها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدان

هذا والمعاني التى اختلصها الشعراء من هذا الشاعر كثيرة ، والشعراء الذين تتلمذوا له  
وانتفعوا به عديدون . وما نحاول هنا الاستقصاء أو التماضى فى الموازنة والترجيح ،  
فذلك أمر يطول الكلام عنه ويتسع الحديث فيه . وإنما نهنا على الكثير بالقليل  
وفى اللبحة ما يغنى عن الإسهاب والتطويل ؟

عبد الحميد محمود المسالوت

المدرس فى كلية اللغة العربية

## من أعماق الماضي

وقفت على أبواب الماضي أرقب مواكبه الشاخنة في جلالها ، وصوره الساحرة في جمالها  
وأعنو في خشوع للتاريخ الذي عشت من تألق أضوائه عيون الوجود ، وقرأته الدنيا  
فطالها في آياته قبس من آيات الخلود . ثم انتزعت خيالي الذي فتن بجمال الغابر ،  
ودرت بعيني لمحمة بين جوانب الحاضر ، فاحسست غير الحسرة تسرى في رجفتها ،  
والخيبة تدرى في عصفتها ، فطويت نفسي على نفسي ، ودفنت بين كفى رأسي ، لأعيش مع  
الماضي بروحي ، ونزحت إلى أغواره السحيقة ، فإذا النفوس وكأنها محارِب خشع بين  
يديها الزمن ، وعبأت لها الدنيا شرور أسلحتها ، وألوان فتنها لتهدمها ، أو تحطمها ، فتحطمت  
في يد الدنيا أسلحتها ، وعجزت عن الإغراء فتنها ، وبقيت هذه النفوس سامية سمو السماء ،  
لأنها من صنع السماء .

هي نفوس سمت على زمنها وإن كانت تعيش فيه ، فكأنما اختارها الله للدنيا على  
فترات ليرى فيها الوجود بريقاً من حياة سيد الوجود ، حياة الاعتزاز بالله وحده ،  
والخضوع لله وحده ، حياة العلو عن الأرض ، والسمو عن المادة التي لا تعيش إلا في باطن  
الأرض ، العلو في غير كبرياء ، والسمو في غير خيلاء .

ذلك جانب مضى من جوانب الرسول عليه السلام ، وهي كثيرة بهرت الزمن ، ومشيت  
في تاريخ الوجود أشعة من تلك الحياة ، تتلمس روحاً فيها صفاء أرواح النبيين أو بعض  
صفائهما ، حتى إذا قيض الله لتلك الأشعة تلك الروح ، لمعت فيها فاستضاءت وأضاءت بعض  
من في زمنها .

وليس نفس الأوزاعي الذي عاصر المنصور العباسي سوى نفس من تلك النفوس التي  
قيضها الله لزمنها ، فنظرت إلى المنصور نظرة ليست هي النظرة إلى الخليفة المتوج الذي دان  
له ذلك الواسع ومن فيه إلا نفس الأوزاعي ، ومن على شاكلة الأوزاعي .

ولسكنها نظرة النفس العامية التي تصيح في المنصور :

« مهلا فإن ملك لا ينبغي أن ينأى ، إنما جعلت الأنبياء رعاة لعلهم بالرعية : يجبرون الكسير ، ويسمنون الهزيلة ، ويردون الضالة ، فكيف من يسفك دماء المسلمين ، ويأخذ أموالهم !

أعذك بالله أن تقول : إن قرابتك من رسول الله ﷺ تدعوك إلى الجنة ، إن رسول الله كانت في يده جريدة يستاك بها فضرب قرن أعرابي ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يبعثك جبارا مؤيسا مقنطا تكسر قرون أمتك ، ألقى الجريدة من يدك . فدعا الأعرابي إلى القصاص من نفسه . فكيف بمن يسفك دماء المسلمين ؟

واعلم أن ثوبا من ثياب أهل النار لو علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من تن ريحه ، فكيف بمن تقمصه ! ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبال الدنيا لذابت كما يذوب الرصاص حتى تنتهي إلى الأرض السابعة ، فكيف بمن تقلدها .

أى نفس تلك التى ضمنها جوارح الأوزاعى حين أرسل تلك السككيات النارية على الخليفة المنصور فأذابت نفسه وصهرت روحه ، إنما تنفس التى لا يرهها سلطان ، ولا يخيفها صولجان ، ولا يرعبها وعيد ، ولا يفزعها حديد .

وما أعظم أختها نفس سفيان الثورى الذى عاصر الرشيد ، حين كتب إليه هرون الرشيد يدعوه لزيارته ، ويذكر له وفود العلماء وغيرهم لهنثته بالخلافة ، وعودتهم إلى منازلهم بالجوائز السنية .

وكان قد بعث الرشيد بذلك الكتاب مع رسوله إلى سفيان الثورى فى مسجد الكوفة ، فلما بلغ الكتاب قال سفيان : اقرأوه على . فما كاد ينتهى من سماعه حتى ثارت نفسه المؤمنة العزيرة وقال : اكتبوا على ظهره . ( وكان مما أملاه عليهم ) .

« يا هرون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترادون بابك ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون ، يشربون الخمر ويضربون من يشربها ، ويسرقون ويقطعون يد السارق . أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها الناس ، فكيف بك يا هرون إذا نادى المنادى : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ، أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فقد مدت بين يدي الله تعالى ، ويداك مغلولتان إلى عنقك .

فاتق الله يا هرون في رعيتك ، واحفظ محمد صلى الله عليه وسلم في أمته ، وأحسن الخلافة عليهم ، واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك ، وهو صائر إلى غيرك ، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد ، فثم من تزود زادا نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، ولأن أحسبك يا هرون من خسر دنياه وآخرته ، فأياك إياك أن تكتب لي بعد هذا فلا أجيبك عنه . والسلام .

ووصل كتاب الثوري إلى الرشيد فقراه ودفعه يتجدر من عيفيه ، فقال بعض الحاضرين : اجترأ يا أمير المؤمنين ، فلو أنقلته بالحديد وضيقك عليه السجن . قال هرون : اتركوني يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه ، والشقي من أهلكتموه . إن سفيان أمة وحده حقا إن سفيان أمة كانت تعيش في أمة ، أمة في قوتها وعتادها واجهت بالحق خليفة أمة ، أمة عاشت من دنياها الطاهرة ، وعزتها القاهرة ، في برج مشيد ، تضام دون جلاله جلال الرشيد . إن سفيان سمحت نفسه فلم تستذل لبريق الذهب ، أو تستعبد لرقيق العيش ، فالنفس المعترضة بقناعها ، المدرعة بتقواها ، تعيش في محراب فضائلها تصونها قناعها ، وتحرسها تقواها ، فليس يحسد الشيطان في أخلاقها ناحية رثة يخرق نسجها ، وينفذ منها إلى حياتها القوية فيهلكها .

ثم ينزع الخيال من ماضي الشرق إلى ماضي الغرب إلى ماضي الاندلس ، فيلغى نفوسا في قوة من عزتها ، لا تحشى بأس الملوك ، ولا ترهب سلطان العروش .

فالمنذر بن سعيد البلوطي حين ينقد لإسراف الناصر في العبارة والبناء ، يكشف عن نفس عزت برهما ، وتسلمت بإيمانها ، فلم تخضع أمام صاحب العرش الذي زلزل قلوب المتوجين في أوربا .

لقد وقف بين يدي الناصر ليخطب الجمعة ، ولم يكن من أولئك الذين يخطبون ما يملئ ، بل من المؤمنين الذين لا يتكلمون إلا بما يؤمنون .

لقد فكر المنذر في عشرات الأعوام التي أنفق فيها الناصر ثلث ريع الدولة في بناء قصر الزهراء للزهراء ، فكيف به يكتم تلك الثورة العاصفة ، إذأ فلتسكن الخطبة ثورة في لغتها لبيب النقد لا كلمات النصح ، ثورة تدمر النفس التي حماها الحديد والنار بسلاح غير الحديد والنار .

لأنه سلاح القوى القهار ، يتفجر من قلب المنذر وعيداً وتهديداً ، أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تغلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم .

وانطلق المنذر يرسل من وحى الاعتزاز بالله قذائف انهارت أمامها نفس الناصر فبكى من خشية الله ، وارتعش قلبه خوفاً من عذاب الله .

أيها العلماء : إن فى بطون الكتب سيرة كثير من أولئك الذين سموا بنفوسهم . فلم يرغوها بين يدي صاحب جاء ولا سلطان ، وقد آن لنا أن نحكي سيرتهم بأعمالنا ، فنصل ما انقطع من أمجادنا وأسباب سعادتنا .

أيها العلماء : ألا هل من رجعة إلى الله ، واستمسك بحبل الله ، لتصلوا نفوسكم بالسماء ، قبل أن تحمل علينا غضبة السماء ، فلا تجدى ضراعتنا وقد غلقت دوننا أبوابها ، وحق بنا عذابها .  
أيها العلماء : ارحموا أنفسكم ، واقتلعوها من أحوال المسادة ثم طهروها ، وتساموا بها عن دنيا الرق ، لتكتبوا لتاريخ الأزهر صفحات جديدة ، ولتخلقوا على الزمن نفوساً يعنو لها جبين الزمن ، إن الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم .

محمد خليفة

المدرس بالأزهر

(المجلة) بعد إعداد هذا المقال للطبع جاءتنا مقالة أخرى من الاستاذ عبد القادر شيبه الحمد المدرس بعنوان : من صفحات هذه الأمة المثالية : مثل للخلفاء والعلماء ، وهى مبنية على رسالة الخليفة هارون الرشيد إلى سفيان الثوري وجواب سفيان عليها .

ومما لا شك فيه أن سفيان الثوري رحمه الله لم يدرك ولاية هارون الرشيد ، لأنه توفى قبل ولاية هارون بنحو عشر سنين وكان هارون عند وفاة الإمام سفيان الثوري صبياً فى الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره ، فن غير المعقول أن تكون هذه المراسلة بين الخليفة والثوري ، ولعلها بينه وبين سفيان بن عيينة فهو الذى عاصر خلافة الرشيد . وعلى كل حال فإن هذه النصوص ينبغى أن تؤخذ عن روايات الثقات ، وعن كتب أهل التحقيق .

## الدعوة إلى الإسلام في الخارج والتوجيه الروحي في المدارس الثانوية

حديث في زيارة قائد القوات المسلحة للأستاذ الأكبر

زار سيادة القائد العام للقوات المسلحة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في مكتبته الساعة العاشرة من صباح الأربعاء ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ (١٧ فبراير سنة ١٩٥٤) وتحدث معه في بعض الشئون .

وقد تناول الحديث موضوع ترجمة القرآن فسأل : هل هناك ترجمة مصرية للقرآن الكريم إلى لغة من اللغات الأخرى غير العربية ؟ فقال فضيلته : ليس هناك ترجمة مصرية للقرآن كله ، إنما كان يفسر في مجلة الأزهر من حين لآخر ترجمة لمبادئ وأحكام من الدين الإسلامي مشتملة على ترجمة المعنى لآيات من القرآن الحكيم .

على أن الترجمة الحرفية للقرآن الكريم لا توصل إلى المطلوب ، ولا توصل إلى الغرض المقصود منه . وضرب أمثلة ببعض الترجمات الفرنسية التي قام بها بعض المستشرقين وبين فيها أن الترجمة خرجت بالموضوع عن المعنى المطلوب . وكذلك ضرب سيادة اللواء مثلاً آخر فذكر أن توماس كارليل أحس بمثل هذا عند قراءته لترجمة القرآن .

وقال الاستاذ الأكبر : إنه خير المسلمين والإسلام وللشعوب التي يعرض عليها الإسلام أن تكتب لهم كتب بلغاتهم تبين فيها محاسن الإسلام وأحكامه ، مستشهداً عليها من كتاب الله بما يعززها .

وعرض الإسلام على هذا النحو له أثره في نفوس من ينقل إليهم ، ويؤدي الغرض المنشود بأجلى بيان .

ثم قال : إن القرآن جاء لغايات كثيرة ، فهو لم ينزل ليكون كتاب قانون فقط ، بل فيه ذلك ، وفيه العظة والعبرة ، والآداب والأخلاق ، وغيرها . ولذلك حين يقرأ الإنسان القرآن يرى آية متعلقة بالأحكام ، تتبعها أخرى متعلقة بالأخلاق ، وثالثة لتنظيم العلاقات بين الناس ، لحكمة يعلوها منزل القرآن .



فحين يترجم على هذا النحو ثم يعرض على رجل يريد من القرآن أن يكون كتاب قانون أو كتابا يعالج ناحية خاصة من نواحي المعارف والعلوم المختلفة ، فإن ذلك لا يرضى وغبته ، وقد يدخل بذلك نوع من التردد إلى نفسه . وهذا من الأمور التي تؤكد أنه من الخير ألا يترجم القرآن ترجمة حرفية .

وقال سيادة اللواء : لاني سمعت أن لاندونيسيا تطبع القرآن وترسله إلى اليابان ، ونحن أولى بذلك منهم . لانتنا لا نأمن أن يكون في هذا المصحف أخطاء .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننا نعمل جاهدين في المحافظة على القرآن الكريم من كل وجه ، وخاصة كتابته برسمه المأثور ، لكيلا تمتد يد التغيير والتبديل إلى كتابته ، وبذلك لا نخضعه للقواعد الإملائية الجديدة التي يعرض عليها التغيير والتبديل ، ولا يجوز إدخال أي تغيير على رسمه ، ولذلك جاءت بعض شركات الاستيراد تطلب توريد مصحف طبع في ألمانيا ، فلم نصرح بدخوله في الأراضي المصرية ، أولا - لخوف وقوع الأخطاء فيه ، وثانياً - لأنه مطبوع في حجم صغير لوضعه كحجاب أو في قطعة من الحلي للزينة ، والقرآن لم ينزل لهذا ، ولا يصح أن يوضع هذا الموضوع . ونحن لا نتوان في إرسال المصاحف إلى أي جهة تطلبها ، وقد طلبت بعثة من الضباط كانت مسافرة إلى لاندونيسيا عشرين نسخة من القرآن لتوزيعها فسلمت إليها .

## الاعداد الروحي بجانب الاعداد العسكرية

ثم عرض الحديث للجيش والمصانع الحربية ، وأن مصر آخذة في الاستعداد الكامل فقال الأستاذ الأكبر : ذلك قول الله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وليس الأساس في الإعداد المادى أن يراد به الاعتداء ، بل المحافظة على الأمة الإسلامية والدفاع عن كيائها . والمسألة تحتاج إلى إعداد روحي مع هذا الإعداد المادى .

فقال سيادة اللواء : إن هذا من الأمور الهامة التي تأخذ منا تفكيراً متواصلاً وجهوداً عنيفة .

فقال له فضيلة الأستاذ الأكبر : لقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه حين رجع من إحدى غزواته « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، يعني جهاد النفس .

## التوجيه الروحي في المدارس الثانوية

فقال سيادة اللواء : وما دام الحديث انجر إلى الإعداد الروحي فإني أعتقد أن الدين له أثره القوي . والذي يؤسفني أن المرحلة التي قضيناها في المدارس الثانوية ، لم يكن فيها هذا التوجيه الروحي المشيع بالدين ، وكانت دروسنا في الدين بعض آيات تحفظ ، ولا يستفيد منها التلميذ شيئاً . مع أن هذا التوجيه هو الأساس في التكوين الصحيح .

فقال الاستاذ الأكبر : إن هذه الناحية في الماضي لم تكن قوية ، ولكنها في هذا العهد أخذت في طريق النمو والازدياد ، وليس المراد من التعليم الديني إلقاء المعلومات من غير روح بل لا بد للمعلم من ( توجيه ) سديد لتلاميذه ، ونحن في أشد الحاجة إلى تربية استقلالية تدفع إلى النشاط والعمل الصالح وأداء الواجب ، لتخرج الأمة رجالاً عاملين . وعلى المدرس والواعظ حين إلقاء درسه أن يقف عند الأمور الهامة ، وقفات يحل فيها العبرة والعظة والتوجيه الصحيح .

ومنا استأذن سيادته في الانصراف متمنياً لفضيلته كل التوفيق ، وقال : نحن معك في كل وقت ، ونحن نشعر بالتبعة الملقاة على عاتقكم ، ونسأل الله تعالى أن يسدد خطاكم ، ونرجو أن يدرك الأزهريون ذلك . فشكر له الاستاذ الأكبر تمنياته وزيارته .

## كلمتان لأبي بكر وعلي

كان من دعاء خليفة رسول الله أبي بكر الصديق إذا مدحه الناس أن يقول :  
 « اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم . اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون ، واغفر لي واجعلني خيراً مما يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ،  
 وكان أمير المؤمنين علي يقول لمن يتعامله مغالياً في مدحه :  
 « أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك ،

# لغويات

## قد لا يتيسر حضوري غدا

هذا الأسلوب على اشتهاره وكثرته كتب الكتّابون في إنكاره وتهجينه . ومرد هذا إلى أن ( قد ) لا تدخل في العريضة على المنفى وإنما تدخل على المثبت ، فليس يصح أن يقال : قد لا أعلم هذا الأمر ، وإنما تقول : قد أجهله ، أو ربما لا أعلمه .

والحجة في هذا الإنكار قول ابن هشام في المغنى في مبحث قد : « وأما الحرفية فمختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس ، فتراه ذكر اختصاصها بالفعل المثبت . وقد تبع السيوطي في الجمع ٧٢/٢ ابن هشام إذ يقول : « قد حرف يختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس . فلا يدخل على الجامد ، كعمى وليس ، ولا الإنشائي ، كنعم وبئس ، ولا المنفى ، ولا المقترن بما ذكر ، . »

والتقييد بالإثبات في المضارع إذا كان بعد قد لم أره لغير ابن هشام ومن استفاه . وإنما يذكر فيه التجرد من الناصب والجازم وحرف التنفيس . ويقول ابن مالك في التسهيل : « وتكون حرفاً ، فتدخل على فعل ماض متوقع لا يشبه الحرف لتقريبه من الحال ، وعلى مضارع مجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس لتقليل معناه ، وعليهما للنحقيق » . ويقول الدماميني في شرحه : « فهي ثلاثة شروط . وإن شئت فشرطان : الرفع والتجرد من حرف التنفيس ، . ويقول الرضى في شرح الكافية ٣٨٨/٢ : « وتدخل أيضاً على المضارع المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس ، . »

ويذكر في أحكام « قد » حكم قد يكون مبعث ما اشترط ابن هشام من الإثبات . وهو ألا يفصل بينها وبين فعلها بغير القسم . ويقول ابن مالك في التسهيل : « ولا يفصل بين أحدهما بغير قسم ، ويقول أبو حيان في شرحه في تعليل هذا الحكم : « وذلك أن الحرف

المختص بما دخل عليه إذا لم يكن عاملاً فإنه يتنزل مما دخل عليه منزلة الجزئية ، فكما لا يفصل بين جزء الشيء وجزئه الآخر فكذلك هذا ؛ ألا ترى أنهم لا يفصلون بين أل والاسم بشيء فكذلك هذا . .

وترى أنه يسوغ الفصل بالقسم ، وهذا أمر لا مرية فيه ، وإذا فليست ( قد ) مطردة القياس على ( أل ) . وذلك أن أل لا يفصل بينها وبين مدخولها بالقسم ، وبذلك تراخى الاتصال بين قد والفعل عن مكانة الاتصال بين جزء الشيء وجزئه الآخر ، وهم يعلمون استثناء القسم بأنه يوثق به لتوكيد الخبر فساغ الفصل لذلك ، وقد يقال : إن أداة النفي شديدة الامتزاج بالخبر ، فالفصل بها لا يثلم الاتصال ولا يحل عقده المؤرب .

ونرى في أبي حيان وابن يعيش في التثنية للفواصل ذكر الاسم وإهمال أداة النفي ، فيقول أبو حيان : « فإذا قلت : قد ضربت زيداً ، أو قد أضرب زيداً فلا يجوز قد زيداً ضربت ، ولا قد زيداً أضرب » ، ويقول ابن يعيش في شرح المفصل ١٤٨/٨ : « اعلم أن ( قد ) من الحروف المختصة بالأفعال ، ولا يحسن إيلاء الاسم إياه » .

وإذا عرضت للفصل بالقسم أذكر هنا أنه استشهد عليه بقول الشاعر :

أخالد قد والله أوطئت عشوة	وما العاشق المسكين فينا بسارق
أقر بما لم يأنه المسرور إنه	رأى القاطع خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه	لألفيت في أمر الهوى غير ناطق

ولهذا الشعر قصة طريفة . وذلك أن فتى أخذ في دار قوم ورفع إلى السلطان بتهمة السرقة ، وأقر الفتى ، فأمر خالد بن عبد الله القسري أحد ولاة بني أمية بقطع يده حداً . ولم يكن الفتى من همه سرق المال ، وإنما غشى الدار لهوى له فيها . وآثر أن تناله العقوبة ؛ سراً لمن يحبها ، وحفاظاً على عرض أهلها . ولكن أخا الفتى لم يذهب مذهبه ، فكاتب بهذا الشعر إلى خالد . فكان أن تبين الأمر ورفع العقوبة عن الفتى ، وحمل أهل الفتاة على أن زوجوها من الفتى . وقوله : « أوطئت عشوة » ، أي خدعت ولم يصدقك الفتى الخبر . « و تراه » ببناء الفعل للمفعول . وهذا ما رصيه البغدادى في شرحه لشواهد المغنى ١/ ٩٦٣ وقد رسم في الكتب : « أوطأت عشوة » وفي الأساس : « أوطأه عشوة : حمله على أمر غير رشيد » . وقد يكون المراد : أوطأت يا خالد أعوانك إذ أمرتهم بقطع يد الفتى عشوة ، وحملتهم على خطة فائلة ، فالمفعول محذوف والنعل مبنى للناعل .

وأعود إلى دخول قد على النفي فأقول : إن الظاهر أن لا بأس به . وترى سيويه في الكتاب ٣٠٧/٢ يقول : د وأما قد لجواب لقوله : لمّا يفعل ، فتقول : قد فعل . وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر . وتسكون قد بمنزلة ربما ؛ قال الهذلي :

قد أترك القرن مصفراً أنامله كأن أثوابه مجت بفرصاد

كأنه قال : د ربما ، . وقوله : د مصفراً أنامله ، كناية عن موته ، والفرصاد : التوت . يريد أن أثوابه لطخت بالدم حين قتله . وترى سيويه يقرر أنها تستعمل بمنزلة ربما ، ولم نر من اشترط في ( ربما ) دخولها على المثبت ، وحظر دخولها على المنفي .

وقد ورد دخول قد على المنفي في قول قيس الحناني الجهمي :

وكننت مسوداً فينا حميدا وقد لا تعدم الحسناء ذاما

وقد ورد هذا البيت بهذه النسبة في المؤلف والمختلف للأمدى ٨٩ ، وفي طراز المجالس ١٤٣ .

وجاء في اللسان ( ذي م ) منسوباً إلى أنس بن نواس المحاربي . وفي معجم البلدان في ترجمة ( رذام ) نسبته إلى قيس بن الحناني الجهمي . وأياما كان الأسر فهو شعر قديم يحتاج به .

وورد في كلام ابن جني إذ يقول في الخصائص ٢٠/١ : د كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره .

\* \* \*

لفظ أنفاسه الأخيرة ، أو آخر أنفاسه ، لفظ نفسه

تكثر العبارتان الأوليان في الكناية عن الموت ، ولم أقف على هذا في العربية . وإنما فيها : لفظ نفسه ، بسكون الفاء أي روحه ، وفي اللسان : د لفظ نفسه ، يلفظها لفظاً كأنه رمى بها . وكذلك لفظ عصبه إذا مات . وعصبه : ريقه الذي عصب بفيه أي غرى به فيبس ، وفي التاج : لفظ نفسه ، يلفظها لفظاً كأنه رمى بها ، وهو كناية عن الموت .

وكذلك قام نفسه . وكذلك لفظ عصبه إذا مات ، . وفي المخصص ٦ / ١٢٦ : د لفظ نفسه يلفظها لفظا يعنى : مات ، ويقول ابن الرومي في مدح صاعد بن مخلد :

حصرت عميد الزنج حتى تحاذلت      قواه وأودى زاده المتزود  
فظل - ولم تقتله - يلفظ نفسه      وظل - ولم تأسره - وهو مقيد  
وكانت نواحيه كشفا فلم تزل      تخيفه سحتاً كأنك مبرد

وهو في مختارات البارودي ١ / ٣٦٧ .

وقد ظهر أن العبارتين اللتين فيهما الانفاس عن اللغات الغربية ، كما أخبرني بذلك أخى الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار .

\* \* \*

أحلف بهذا اليمين . حلف يميناً صادقاً

يكثر على الألسن تذكير اليمين في معنى القسم . وفي صحيفة الأهرام المؤرخة بيوم ١١ - ١١ - ٥٣ في مرافعة الادعاء في قضية القاويش أمام محكمة الثورة : د وأهم ما يتميز به رجل القضاء هو اليمين الذى أقسمه أن يكون حفيظاً على هذا اليمين ، .

واليمين للقسم منقول عن يمين الإنسان ، وهى ضد يساره . وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل واحد يمين صاحبه ، ولأن الحالف يشير بيمينه إلى الشيء المحلوف عليه . واليمين لليد مؤنثة البتة .

والتذكير لليمين منبعث عن الذهاب به إلى القسم . على أن هذا لا يسوغ لإخراجه عن أصله التأنيث ، فإن التأويل في هذا لا يسوغ إلا للعرب ، ولا يصح لنا القياس عليه . ولقد عيب على أبى نواس قوله :

وابن عم لا يكشفنا قد لبسناه على غميره  
كن الشنان فيه لنا كككون النار في حجره

إذ أعاد الضمير في د حجره ، على د النار ، وهى مؤنثة . وقد سأله أبو على الضرير عن هذا فقال . د رددت التذكير إلى النور . ومثل هذا في أشعارهم كثير إن فحشته ، يريد أنه أول النار بالنور والضياء ، فأعاد الضمير عليها مذكراً . وقال فى الموشح ٢٧٩ بعد أن ساق قصة أبى على مع أبى نواس : د قال ابن أبى طاهر : وسمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول : قال السكسائي وسئل عن هذا البيت : إنما أراد . فى حجرها فغلط ،

وقد عرض ابن جني في الخصائص ٢ / ١٥٤ لتذكير المؤنث لتأويله بالمذكر ، وقال في ختام بحثه : « وتذكير المؤنث واسع جداً ؛ لأنه رد فرع إلى أصل ، يريد أن الأصل التذكير ، فإذا أول المؤنث بمذكر كان ذلك رجوعاً إلى الأصل ، وهذا بخلاف رد المذكر إلى المؤنث كما في قول الشاعر :

أتهجر بيتاً بالحجاز تلفعت به الخوف والاعداء أم أنت زائر !

فتراه أنت فعل الخوف لتأويله بالخافة ، وكما في قول بعضهم : جاءته كتابي أي رسالتي وقد بان لك أن الصواب تأنيث اليمين وعدم النظر إلى تأويلها بالقسم ، والله الموفق للصواب ؟

محمد علي النجار

## شمم العرب

دخل عمار بن حمزة على أمير المؤمنين المنصور وقعد في مجلسه - وكان ذا عزة وثروة ونفس أبيّة - فقام رجل وقال :

— مظلوم يا أمير المؤمنين !

قال المنصور : ومن ظلمك ؟

قال : عمار بن حمزة غصبتني ضيعتي

فقال المنصور : يا عمار ، قم فاقعد مع خصمك

فقال عمار : يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم . إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أنزل عن مقام شرفي به أمير المؤمنين لأجل ضيعة .

# التأثير في نظر الإسلام

- ٢ -

## شناعة جريمة القتل في الإسلام :

إذا استثنينا القتال المشروع للجهاد في سبيل الله بشروطه وقواعده ، نجد أن القرآن الكريم يعتبر القتل جريمة كبرى ، ويتوعد فاعله بأشد ألوان العقاب والعذاب فيقول :  
 «... من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً . المائدة - ٣٢ .  
 ويقول عن ابني آدم : « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » .  
 المائدة - ٣٠ .

ويقول في صفات عباد الرحمن : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، الفرقان - ٦٨ و ٦٩ .  
 ويقول : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيماً ، (١) . النساء - ٩٣ .

وكما شدد القرآن المجيد في التنكير على جريمة القتل ، وبالع في التحذير منها ، جاء الحديث النبوي الشريف مشدداً ومخذراً ومنذراً ، فقال الرسول صلوات الله عليه : « لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » . وقال : « إن هذا الإنسان بغيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » . وقال : « إن من ورطات الأمور التي لا يخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله » . وقال : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » . وجاء الفقهاء من بعد ذلك يؤكدون هذه الشدة ، فنجد ابن حزم مثلاً يقول (٢) :

(١) من الميسور مراجعة تفسير هذه الآيات في بعض التفاسير المطولة كالطبري والقرطبي والألوسي .

(٢) في المحلى ج ١٠ ص ٣٤٢ .



« لا ذنب عند الله عز وجل بعد الشرك أعظم من شيئين : أحدهما تعمد ترك الصلاة المفروض حتى يخرج وقتها ، والثاني قتل مؤمن أو مؤمنة عمداً بغير حق » .

وقد جرى كلام بين الفقهاء عن توبة القاتل المتعمد ، وذهب بعضهم إلى أنه لا توبة له ، وقد استدلوا لذلك بقوله تبارك وتعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » ، لأنها آخر الآيات التي نزلت في عقاب القتل . واستدلوا كذلك بقول ابن عباس : « قاتل العمد لا توبة له » ، وبما روى في القاتل عن سفيان : « كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا : لا توبة له » (١) .

#### النار في الجاهلية :

لا شك أن النار الباغي المنحلل من قيود العدل والإنصاف علامة من علامات الفوضى ، وسمّة من سمات المجتمعات المنحلة ، وهو يترعرع حيث لا نظام ولا دولة ولا حكومة ولا سلطان ، لأن المرجع فيه حينئذ يكون إلى الغلبة والعنجهية وهوى النفس ، ولأن القائد فيه سيكون الشيطان الغوى المضل المبين ، والهوى الجاحل الأعشى الاثم .

ولقد كان النار في الجاهلية شامعاً ذائعاً ، حيث كان المجتمع منفرد العقد ، وحيث كان النظام القبلي يقوم مقام الدولة ، وكل قبيلة تفاخر بنسبها وحسبها ، وتعتبر نفسها أفضل من غيرها ، وحيث القانون هو قول شاعرهم :

لا يسألون أخاهم حين يتدبهم في النائبات على ما قال برهانا  
وكانوا يظنون أو يدعون أن الإسراف في القتل وأخذ النار يؤدي إلى قلة القتل ،  
ولذلك كانوا يقولون : « القتل أنقى للقتل » ، ويقولون : « أكثروا القتل ليقل القتل » ،  
ويقولون : « قتل البعض لإحياء للجميع » .

ولكنهم في الواقع لم يلتزموا روح هذه الأقوال ، بل أسرفوا في النار والاعتداء ، حتى قامت بينهم الحروب الطاحنة المدمرة لأقل الدواعي وأتفه الأسباب ، وكتب التاريخ تحتشد بأنباء هذه المجازر البشرية المخربة .

وكانوا في الجاهلية يزعمون أن القتل إذا قتل — مهما كان سبب قتله — يخرج من رأسه طائر يدور حول قبره ، ويظل يصيح قائلاً : اسقوني ، اسقوني ... ولا يكف

عن هذا الصباح حتى يأخذ قومه بثأره كما يرضى ويرضون ، ولهذا يقول ذو الإصبع العدواني مهدداً عدوا له .

يا عمرو ، إلا تدع شتمى ومنقضى أضربك حتى تقول الهامة : اسقوني وكانوا من حرصهم على الثأر ، وإسرافهم فيه ، وخوفهم من العار إذا تركوه أو توانوا عنه ، يحرمون على أنفسهم النساء والطيب والخمر حتى ينالوا ثأرهم ، ولا يغيرون ثيابهم ، ولا يغسلون رؤوسهم ، ولا يأكلون لحماً ، حتى يشفوا أنفسهم بهذا الثأر ؛ ولذلك يقول الشاعر المهمل :

خذ العهد الأكيد على عمرى      بتركي كل ما حوت الديار  
وهجرى الغانيات ، وشرب كأس      ولبسى جبة لا تستعار  
ولست بخالع درعى وسيفى      إلى أن يخلع الليل النهار  
ولأ أن تبيد سراة بكر      فلا يبقى لها أبداً آثار ١١ (١)

وكانوا في الجاهلية يثأرون مسرفين من الأبعد والأقرب ، فهذا مثلاً قيس بن زهير يقتل قرييين له ثأراً لأخيه مالك ، ثم يقول :

شفيت النفس من حمل بن بدر      وسيفى من حذيفة قد شفاني  
فإن أك قد بردت بهم غليلي      فلم أقطع بهم إلا بناني ١٢ (٢)

وكان النساء يحرضن على الثأر ، ويبرعن في دفع الرجال إليه ، فهذه عجوز تسمى خويلة من بني رثام ، يقتل من أسرتها ثلاثون رجلاً ، فتقطع خناصرهم ، وتصنع منها قلادة تضعها في عنقها ، وتهتف محرصة أحد رجالها على الثأر ، فتقول :

جاءتك وافدة الشكالى تغتلى      بسوادها فوق الفضاء الناضب  
هذى خناصر أسرقى مسرورة      في الجيد منى مثل سمط الكاعب ١٣ (٣)

وكان الفساء يعين الرجال على قبول الدية والسكوت عن غسل الدم بالدماء ، فهذه امرأة من ضبة تحذر أهلها من أخذ النياق دية ، وتحرضهم على الثأر ، فتقول :

(١) كتاب شعراء النصرانية ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) قال هذا قيس بن زهير بن جذيمة العبسي في قتله حمل بن بدر يوم جفر الهبابة طلباً لثأر أخيه مالك القدي قتل في بدء هذه الحرب . (٣) الأملاني ج ١ ص ١٢٧ .

ألا لا تأخذوا لبنا ، ولكن أذيقوا قومكم حد السلاح  
فإن لم تتأروا عمراً يزيد فلا دنت لبون بنى رباح !

ومن هذه الشواهد - ولها نظائر كثيرة - نستطيع أن ندرك شيوع الثأر في الجاهلية ، وأنه كان يحتكم إلى القوة والغلبة ، ويستجيب للأهواء والنزعات ، ولا يعرف اعتدالا أو أروعاء ؛ فكان القتل يقتل مثلاً ، فلا ترضى قبيلته بقتل قاتله وحده ، بل تقتل به عشرة أو عشرين أو مائة أو أكثر من ذلك ، أو تقتل في مقابل الفرد العادى منها رئيس القبيلة القاتلة ؛ وقد يترك القاتل حياً في بعض الأحيان ، لسبب من الأسباب ؛ ومن هنا تقطعت روابط المودات ، و انتهكت الأعراض والحرمات ، وشاع البغى والتقاتل ، وخيمت على الحياة ظلال كثيفة تقطر منها دماء الطغيان والعدوان ، فلا أمن ولا أطمئنان ، ولا حب ولا إكراه ، بل عداوات و ثارات ، وحروب وغارات ، فكيف تستقر الحياة أو يسعد الأحياء ١٤ ...

### الثأر في الإسلام :

وجاء الإسلام دين السلام ... جاء ليهدم هياكل البغى القديمة ، وأوضاع الحياة السقيمة وليبنى بعد ذلك مجتمعاً صالحاً سعيداً ، تقوده العدالة ويسوده الإنصاف ، فدعا إلى الإخاء والوحدة ، وذكر الناس بأصلهم الواحد ، وربهم الواحد ، ونهايتهم الواحدة ؛ وذكرهم بالآخوة الإنسانية : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تسمون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً » (١) ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (٢) .

وذكرهم بعد هذا بأخوة الإسلام والإيمان : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » (٣) ، « إنما المؤمنون إخوة » (٤) .

[١] سورة النساء ، الآية الأولى . [٢] سورة الحجرات - آية ١٣  
[٣] سورة آل عمران ، آية ١٠٣ . [٤] سورة الحجرات ، آية ١٠

وقضى الإسلام على خرافة الهامة ، وعندها من أباطيل الجاهلية ، فقال الرسول : « لا هامة ، . وحذر من الاعتداء على النفس أو حقوق الغير ، وأوعد على ذلك أشد الوعيد وأقام للناس حكومة نظامية تتولى معاقبة المعتدى ، وشرع قانون ( القصاص ) العادل ، لا النار الجاح ، ولا القتل الباغى ؛ لجعل العقاب على قدر الجريمة ، وجعل كل امرئ مأخوذاً بذنبه وحده ، . . . ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى <sup>(١)</sup> . »

وكان الإسلام في أمر القصاص وسطاً ، فبينما كانت الموسوية توجب قتل القتال ، ولا ترضى الدية ، وكان بعض الشرائع يوجب أخذ الدية لا القتل ، جاء الإسلام بمبدأ القصاص للتأديب ، مع مبدأ التحيب في العفو أو أخذ الدية ، ليكون الأول - وهو القصاص - رادعاً عند البغى والظغيان ، ويكون الثاني - وهو العفو الكامل أو للعفو عن القصاص وأخذ الدية - ملطفاً عند وجود المبرر أو الشبهة أو الخطأ .

وهناك مجرمون يرون أن الرضا بالدية والسكوت عن طلب النار عار لا يحى إلا بالقتل المضاعف ، فيقتلون بالواحد أكثر من واحد ، وهناك جهلة يقولون : إن القصاص عنف وقسوة ، ويقترحون ترك عقوبة الإعدام إلى العقوبات المختلفة الأخرى ...

« وأما النافذ البصيرة ، العارف بمصالح الأمم ، الذي يزن الأمور العامة بميزان المصلحة العامة ، لا يميزان الوجدان الشخصي الخاص بنفسه أو ببلده ، فإنه يرى أن القصاص - كما في شرعة الإسلام - بالعدل والمساواة هو الأصل الذي يربى الأمم والشعوب والقبائل كلها ، وأن تركه بالمرة يغري الاشقياء بالجريمة على سفك الدماء ، وأن الخوف من الحبس والاشغال الشاقة إذا أمكن أن يكون مانعاً من الإقدام على الانتقام بالقتل في البلاد التي غلب على أهلها التراحم أو الترف أو الانغماس في التعميم ، كبعض بلاد أوربا ، فإنه لا يكون كذلك في كل البلاد وكل الشعوب ، بل إن من الناس في هذه البلاد وغيرها من يحبب إليه الجرائم أو يسهلها عليه كون عقوبتها السجن الذي يراه خيراً من بيته ، <sup>(٢)</sup> . »

ونستطيع بعد هذا أن نعرف أن القصاص في الإسلام ليس ردعاً وتأديباً لحسب ، ولكنه باب للأمان والاستقرار ، وهذا هو السر في تعبير القرآن عنه بأنه سبب الحياة حين قال : « ولستم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ، . » **أحمد الشرباصي**

من علماء الأزهر الشريف

## إلى حضرات القراء

السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد :—

فيُسر مجلة الأزهر إذ توجه إلى حضراتكم أطيب تحياتها أن تستقبل معكم فترة طويلة مباركة من حياتها العلمية في عهد ميمون الطلعة إن شاء الله باختيار الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخاً للجامع الأزهر .

وإن المجلة لتصارحكم بما تشعر أنه يحتاج حضراتكم من رغبة في مضاعفة نشاطها والاختد في التحسين والدأب على محاولة السكال .

وهي إذ تحرص على مسaire هذه الرغبات المشكورة لكم ، لنأمل في توفيق الله تعالى أن يتيح لها من توجيه الشيخ الأكبر ومن مؤازرتكم لها أسباب الظفر بما تصبو وتصبون إليه ، حتى تكون عند رغباتكم ، وتظفر بمزيد ارتياحكم إليها ورضاكم عنها ، وعند ذلك تطمئن كثيراً إلى أنها أدت واجبتها نحو الأزهر في نشر ثقافته الإسلامية ، وفي توثيق الصلة العلمية بينه وبين قرائها الأفاضل في مختلف الأقطار الشرقية .

هذا وتود المجلة إلى حضرات الكتاب ، وهم عماد المجلة في نهضتها ، أن يتكرموا بمراعاة ما يأتي :

١ — إرسال المقالات إلى المجلة في النصف الأول من كل شهر عربي ، ليكون لدى القارئ على الطبع وقت مقسع لإظهار العدد في غرة الشهر التالي ، وهو الموعد المحدد ، فضلاً عما في تخلف المقالات أحياناً من فوات لفرصة النشر .

٢ — عدم الإطالة في الكتابة حتى يتسع العدد لاكثر ما يرد إليها . وحتى لا نعرض القارئ للسآمة من التطويل ، مع بيان عنوان الكاتب بالكامل .

٣ — ترحب المجلة بما يرد إليها من توجيهات القراء نحو الإصلاح وبلوغ المجلة مبلغها المنشود .

ونسأل الله أن يكون عوناً لنا ، وهو ولي التوفيق .

( المجلة )

# المؤلف قلبه بحم

أنا قادم من جنوب السودان ...

فقد أتيت لى الفرصة لزيارة السودان ، فشاهدت كثيراً من بلدانه من الشمال إلى الجنوب وخاصة الملاكال وجوبا وتوريت وكاتزى بالقرب من حدود أوغندا . وقد حرصت - خلال زيارتي - أن أشاهد بعينى وأتلمس بنفسى كثيراً مما كنت أسمع عنه من آثار الاستعمار فى جنوب الوادى .

وكان من أهم هذه الأمور أن المستعمر قد وضع خطته لفصل جنوب السودان عن شماله بوسائل متعددة : منها عزل الجنوب عن الشمال ، واعتباره منطقة مغلقة يحظر دخولها إلا بتصريح ، وبث الدعاية المغرضة لغرس روح الكراهية فى نفوس أهل الجنوب ضد أهل الشمال ، وفتح الباب على مصراعيه لإرساليات التبشير التى تستغل لخدمة الأغراض الاستعمارية لا للدعوة الدينية الخالصة .

كل هذه الأمور سمعت عنها ، ثم لمستها فى مجال الواقع ...

ولقد زرت بنفسى أحد المراكز التبشيرية ، ويشرف عليه جماعة من الأمريكين ، فشاهدت فيها الآتى :-

١ - غرف الدراسة .

٢ - مبنى المستشفى والمنازل الصغيرة لعزل المرضى .

٣ - المساكن التى يقيم فيها الطلبة .

وهذه المراكز تكون شبكة مفسقة وموزعة جغرافيا فى أنحاء الجنوب بحيث لا يزيد الفاصل بين المركز والآخر عن ستة عشر ميلا ، أى أن لكل مركز ما يشبه منطقة نفوذ فى هذا المدى ، ولعله من المهم أن نبين هنا ما تقوم به هذه المراكز ومدى ما لديها من إمكانيات ووسائل تعينها على عملها .

١ - يقدم الغذاء والمسكن لكل طالب .

٢ — تقوم المراکز بتعليم الدين المسيحي وبعض العلوم الأخرى باللغة الانجليزية ، ويوجد قاموس لكل لغة من اللغات العديدة الموجودة في الجنوب .

٣ — تقوم المراکز بتعليم بعض الصناعات العامة كالنجارة وغيرها وبعض الحرف كالغسل والسكى والطبخ .

٤ — تصرف المكتب مجانا .

٥ — يوجد لكل مركز عيادة طبية تقدم العلاج مجانا لكل من يابجا إليها من الأهالى ، هذا فضلا عن الطلبة ، وملحق بها عدة غرف يقيم فيها من تستدعى حالته الإقامة تحت الإشراف الطبي .

٦ — لكل مركز مساحة من الأرض حوله يقوم بزراعتها واستغلال منتجاتها .

٧ — لدى كل مركز وسائل الاتصال المختلفة من سيارات إلى زوارق إلى الطائرات في كثير من الجهات .

٨ — تعقد المؤتمرات الدورية بين القائمين بشئون المراکز لتفسيق أعمالهم ومراجعتها وإعداد الخطط المستقبلية .

ومن الميسور على المرء أن يخلص من المقارنة بين نشاط مراکز التبشير تلك وبين نشاط الأزهر إلى أن الأمر يدعو إلى الاهتمام الشديد ، وإلى توجيه العناية الفائقة لهذا الجزء من وادى النيل .

وقد حمدت لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر اتجاهه الذى صرح به أخيراً إلى إلغاء البعثات الإسلامية في البلاد المتحضرة مثل انجلترا وأمريكا لعدم جدواها والالتفات نحو الجهات المتأخرة .

ولا يفوتنى أن أتحديث عن تلك الجمعية المتواضعة التى تألفت في جنوب السودان واتخذت لها اسماً ( جمعية المؤلفه قلوبهم بملسكال ) والتى تقوم بمجهود متواضع في سبيل الإسلام .

تسكونت هذه الجمعية في أول سبتمبر ١٩٥٥ وكان من أغراضها : —

- ١ — إيواء وكسوة وإطعام الذين يدخلون في الإسلام حديثاً وليس لهم مأوى أو أقارب من المسلمين ريثما يجدون عملاً لهم .
- ٢ — العمل لإيجاد عمل لمن يدخلون الإسلام .
- ٣ — القيام بتجهيز ودفن موتى من يعتنقون الإسلام حديثاً إذا لم يتركوا مالا .
- ٤ — حل أى مشكلة مالية لهؤلاء الحديثى العهد بالإسلام إذا اقتضت الجمعية بضرورة ذلك .

### أموال الجمعية :

تتكون الجمعية من :

- ١ — التبرعات والإعانات والهبات .
- ٢ — الاشتراك الشهري الاختيارى على ألا يقل عن قرشين ولا يزيد عن عشرة .
- ٣ — جمع جلود الأضاحى وبيعها لحساب الجمعية .
- ٤ — الزكاة ، لأن المؤلفة قلوبهم مصرف شرعى من مصارف الزكاة .

### تنظيم الجمعية :

يدير الجمعية ويقوم بكل شئونها مجلس مكون من رئيس ونائب رئيس وسكرتير ونائب سكرتير وأمين صندوق ومراقبين للحسابات وعشرة أعضاء وقد كان رئيس هذه الجمعية الشيخ على عبد الرحمن وزير العدل في الوزارة السودانية الآن ، ثم تنازل عنها لبعثة الأزهر ، وقد تسلم رئاستها فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز أحمد عيسى في ١/٥/١٩٥٣ ويلاحظ أن الاشتراكات تارة تصل إلى ٣٠ جنيا مهربا وأخرى تنخفض إلى ٩ جنيهات و ١٠

### قطعة أرض للجمعية

ولما كان الأولاد الذين ينضمون إلى هذه الجمعية في حاجة إلى رعاية وعطف ، لأن أغلبهم يأتي من جهات بعيدة ، فقد فكر أعضاء الجمعية في شراء قطعة أرض يمكن إذا بنيت أن تستغل للدراسة نهارا وللتنويم ليلا .



وفعلا اشترت الجمعية قطعة أرض مساحتها ٣٩٦ مترا في أول يناير سنة ١٩٥٤ بثمان قدره ٣٢٥ جنيها مع أن القطع المجاورة تم المازاد عليها بخمسين جنيها إلى سبعين ، وقد علمت أنه إذا بنيت هذه القطعة تم تسجيلها ، وإذا لم يتم البناء في عام من توقيع العقد نزع ملكيتها . والجدير بالذكر مع الأسف أن الجمعية مدينة الآن لأمين الصندوق وهو أحد التجار بمبلغ ثلاثين جنيها تقريبا سوى ما يستجد ، فإذا عرفنا أن هذه الجمعية كانت سديا في إسلام الكثيرين وإيوائهم وذلك في حدود إمكانياتها ، فقد أسلم حوالي ٤٠ شخصا خلال عام ١٩٥٣ وأن الفرد الواحد يتسكف حوالي ٣ جنيهات مصرية ليأكل أكلا رديئا ولكنه أفضل من العدم ثم إذا عرفنا أن الجمعية مدينة في الوقت الحاضر أدركتنا خطورة الأمر وأنه يجب تقوية مركز الجمعية المالي على الفور .

ولست بحاجة إلى دعوة القراء إلى شد أزر هذه الجمعية وإعانتها بالمال لتؤدي رسالتها وأومن أن في مجرد عرض حالها وإيضاح موقفها المالي الكفاية .

ولي اقتراح بسيط ، وهو أن تجمع من أساتذة الأزهر ومن يرغب من طلابه اشتراكات شهرية تراوح بين القرشين والعشرة تعد في كشوف ثم ترسل للجمعية بانتظام كل شهر .

بهذه الطريقة نضمن للجمعية موردا مستمرا منتظما . نسأل الله لها التوفيق في مهمتها السامية .

**محمد جمال الدين محفوظ**

## الاتباع والابتداع

من خطبة لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على منبر مسجد بني أمية في دمشق :

« أيها الناس ، ليس بعد نبيكم نبي ، وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب ، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة . »

« ألا إنني لست بقاض ، وإنما أنا منفذ . ولست بمبتدع ، ولكن متبع . ولست بخيركم ، وإنما أنا رجل منكم ، إلا أني أثقلكم حملا . ألا لاسلامه لا مريء في خلاف السنة ، ولا طاعة لخلق في معصية الخالق . »

# فِكْرَةٌ وَمَنْهَجٌ

أحب دائما ألا أفصل الشعر - والفن بعامة - عن الحياة الاجتماعية ، وقد أصبحت الآراء تجمع على أن العلم إذا كان يفسر الحياة تفسيراً تجريبياً ، والفلسفة تفسرها التفسير العقلي ، فإن الفن يفسرها التفسير الوجداني ، ومن الحق أن أقول إن الشعراء العرب نحوا هذا النحو ، إلا أن الذين درسوه ونقدوه بعدوا به عن الحياة ، وسلبوه طبيعته ، وأخضعوه للنطق ، فإذا هو عند أغلبهم شيء جامد باهت لا ملاح له . حتى هؤلاء الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري وعقدنا عليهم الأمل وأعجبنا بنقدهم .. حتى هؤلاء اختلفوا فيما اختلف فيه السلف وظل الشعر في أذهانهم لا حقيقة وراءه إلا أن يكون مدحا أو هجاء أو رثاء ، ولا غناء فيه إلا ما يثيره من مقارنة وموازنة واستقصاء ، وملاحظة وجوه التشابه ووجوه الاختلاف . فليس عجباً بعد أن يدفع الشاعر إلى أن يرضى بقصيدته غرور الخلفاء من جانب ، وحاجة العلماء من جانب آخر .

نسوا روح الفن ووقفوا في جانب المتلقي وأعرضوا عن المتفنن نفسه ، فإذا كان علينا أن ننظر النظرة العادلة فلن يتم لنا ذلك إلا إذا بحثنا عن شخصية الشاعر وسألنا عما فعله ليسهم في تعبير الإنسانية عن نفسها . وقد يتصدى للدفاع من ينقل لنا أن أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، والاعشى إذا شرب ، فيظن أنه يتعرض لذات الشاعر .. فما دام امرؤ القيس أكثر وصفا للطرد وأكثر لإجادة في التحدث عن الخيل فهو يعبر عن هواه ويحقق نفسه ، وما دام أرق شعر النابعة ما قاله في ساعات خوفه فالشاعر يتحدثنا عن نفسه وهسكها . ونسى هذا كما نسي غيره أن الشعراء بعامة وصفوا الخيل وخافوا وطربوا وسافروا ووصفوا فأين الفروق الدقيقة في طريقة تناول .. في النظرة الخاصة التي تجعل من كل شاعر شخصية متفردة متميزة ، بل لقد اجترأ ابن سلام - صاحب الذوق العربي الاصيل - فجعل المجيد من الشعراء من في شعره مديح رائع ،

وهجاء مقذع ، وغرر معجب ، ونسيب مستطرف . في حين يقرر الاصمعي أن الشاعر لا يصير ، في قريض الشعر خلا حتى يروى أشعار العرب . . والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم . .

لقد غاب عن هؤلاء أن الإنسان كل يعمل في تكوينه عناصر نفسية نتيجة لصراعه مع مجتمعه ، وذلك أثر للإطار الثقافي والعقيدى والاجتماعى الذى يعيش فيه ، وأثر لما فى أسرته من دوافع وموانع وحواجز وحوافز ، وأثر لما هو عليه من ظواهر فسيولوجية تحدد الزاوية التى ينظر منها إلى الناس والأشياء من حوله ، ثم هو أثر لما فى المجتمع كله من صراع يخلف مشكلات سياسية واقتصادية .

غاب عن هؤلاء ذلك كله كما غاب عنهم أن الشعر تعبير وأنه - كتعبير - لا يدرس من ألفاظه فقط ولا من معانيه الجزئية فحسب . بل غاب عنهم أن الشعر عمل ذاتى ولا يمكن دراسته أو نقده إلا بما فيه من صفات إنسانية مشتركة أو فروق ذاتية متبايزة ، وأنه - كفن قولى - جلاء لواقع العالم كله على نفس الشاعر ، والأمور النفسية على أى حال لا يبحث عنها فى الخطوط الشكلية أو فى جزئيات المعنى .

ونحن نخطئ إذا صدقنا كل ما قيل عن شاعر مثل بشار أو شاعر مثل أبى نواس ، ذلك أن أغلب الحديث الذى يساق عن أيهما قد ينطبق على الآخر ، وقد ينطبق على كل من تغزل وتماجن وهجا ومدح . وهذه الفروق السطحية المتواضعة التى يقررونها ليست كل شئ . وينبغى ألا تكون كل شئ .

والحق أن هناك روح الشاعر ، ولو كان الامر أمر هجاء أو مدح لما رأينا من كل شاعر - تقريبا - هذه المعاناة التى يصادفها حين يشرع فى عمل قصيدة . وقد ذكر ابن قتيبة أن للشعر دواعى تحث البطىء منها الطمع والشوق ، ومنها الغضب والشراب والطرب ، وكان الفرزدق يقول : أنا أشعر الناس وربما أتت على ساعة ، ونزع ضرر أسهل على من قول بيت !

وكان ذو الرمة كلما شرع فى شئ خلا إلى نفسه يذكر أحبابه ، وكثير الشاعر يطوف فى الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسهل عليه أرضن الشعر ويسرع إلى أحسنه . أما جرير فقد اعتاد أن ينشئ شعره ليلا ، وقد يشرب النبيذ ، وربما علا السطح وحده فاضطجع

وغطى رأسه . والفردق كان إذا صعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف منفرداً في شعاب الجبال ويطوف الاودية . وقيل لابي نواس : كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر ؟ فأجاب : أشرب حتى إذا كنت أطيّب ما أكون نفساً بين الصاحي والسكران صنعت وقد داخاني الفشاط وهزنتي الأريحية .

ومثل هذه الاخبار كثير ، وهى تدل على أن الشعر العربى لم يكن كله وليد التكلف ، وإنما كان يصدر عن شىء فى نفس الشاعر . ولا أريد أن أزعّم أن الشعراء كانوا ينتظرون الإلهام ، ولكنى أقرر أنهم لم يكونوا يطلقون أشعارهم قبل أن تنهأ أنفسهم لها . وهذا على أى حال لا ينفى تكلف الشاعر فى كثير من شعره بصفة عامة . وفى وسعنا أن نضع أيدينا على جانب الصدق فى كل قصيدة إذا عمدنا إلى تحليلها وتعرف الظروف التى قيلت فيها ومدى توافق نفس الشاعر مع ما ومن تقال فيه القصيدة .

لنقل إذاً إننا لو فعلنا ما فعله النقاد حين بعدوا - فى أعينهم - عن نفس الشاعر إلى الملتقى أخطأنا الحقيقة وجانبنا روح العمل الأدبى . إذ يجب أن نؤمن بأن الشعر ينظر إليه من جانب المفشىء حين نريد أن نربطه بالملتقى ، لأن الشعر فن قبل كل شىء ، والفن عمل ذاتى ينبع من الوجدان . ومن هنا زعمت قبلُ أنه تفسير وجدانى للحياة .

وآية انصراف الشعراء إلى أنفسهم والتعبير عنها ما نجمده عند بشار وسلم الحاسر وأبى نواس والخلع والعلوى . . فقد لاحظ هؤلاء أن الحياة تغيرت . والجاهلى الذى كان يقول الشعر تعبيراً عن نفسه لا يمكن للواحد منهم أن يتقمص روحه فيصف ما لم يشعر به ، وقد يمكن له أن يحافظ على النمط العام للقصيدة إلا أن هذا لا يمنعه من أن يطلق نفسه فى هذه الدائرة . وهو على أى حال إذا كان موهوباً استطاع بحيلة أن يهيء لنفسه الجو الشعرى الذى يريد ، والامر بعد ليس أمر موضوع بطرقه الشاعر ، وإنما هو أمر الشاعر نفسه . . أمر عبقريته أو موهبته أو خياله المبدع !

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفرس ظاهرة وصف الأطلال عند أبى نواس مثلاً بله عند جرير أو ذى الرمة أو الفردق . ولن يعيننا البحث عن أن نجد ذات الشاعر فى هذا الوصف والامر مهما يكن يتوقف على تجربة الشاعر الوجدانية ومدى نجاحه فى التجريد ، حتى إذا لم يفعل تأخر عن غيره . ولقد روى أن ذا الرمة التقي بالفردق فى المربد فسأله عما يرى

في شعر له ألقاه عليه فقال : أرى خيراً ! قال ذو الرمة : فمالى لا أعد في الفحول ؟ قال : يمنعك عن ذلك صفة الصحارى وأبعاد الإبل .

وكأنه أراد أن يقول له : إنك في تفصيلك لما تصور من الصحارى تتبع الجاهليين . ومعنى ذلك أنه لم يعجبه منه أن يتقيد بالتفاصيل التي أثرت عن الأولين . وقد يشفع لذى الرمة أنه كان راعى إبل على ما يقول ابن سلام ، فطالت ألقته بالبيد ، وعرف مخابها وأسرارها وأحاط بحيوانها وأعشابها ، إلا أنه مع ذلك ورغم ملاحظة الفرزدق فقد أحس نقاد عصره باختلاف شعره عن شعر الأقدمين فقال أبو عمر بن العلاء : إنما شعره نقط عروس يضمحل عن قليل وأبعاد ظباء لها مشم في أول شتمها ، ثم تعود إلى أرواح البعر !

أجل ظل مع ذلك ورغم ملاحظة الفرزدق يعرض للطلل فلنحظ في تفاصيل عرضه روح العصر وشخصيته هو ونفسه وروحه . . فلقد روى الرواة أنه كان صالحاً فكان من أجل ذلك يذكر بجانب الآرى والسفع أعضاد المسجد المهدم فيقول :

عفت غير آرى وأعضاد مسجد      وسفع مناخات رواحل مرجل

بل يتعمق هذا الجانب فينتهز فرصة وقوفه مع صاحبيه على الطلل فيدعو لها أن يفوزا  
بالنعيم الخالد :

يا صاحبي انظرا آواكا      درج      عال وظل من الفردوس ممدود

فأين هذا من وقوف الجاهليين على دمنهم ؟

ولنستقرى ما قاله جرير في الاطلال فلن يطول بنا الأمر ، وسننتهي إلى أن الشعر ليس من الضروري أن يصدر كله عن تجربة مباشرة ، وأنه كان متصلاً في أول الأمر بالحياة البادية ثم صار نوعاً من الحنين ورد فعل للحياة السريعة المنهوبة المختلس فيها النعيم . نعود إلى جرير في تفاصيله الدقيقة فنراه يبعد بها عن التفاصيل القديمة ، وهو على فرط تغنيه بالوقوف عليها لم يذكر السفع والثوى والآرام والبعر ، ولعله ذكر الثمام ومنصب الخيام مرة واحدة في قصيدته الرائعة :

ألا حى رهبي ثم حى المطاليا      فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا

وكان في كثير من الأحيان يذكر الطلل في بيت واحد فيقول :

أتعرف أم أنكرت أطلال دمنة      بأثيت فالجونين بال حديدتها

وينتقل في البيت التالي إلى التشبيب فيقول :

ليالى هند حاجة لا تريحننا      يبخل ولا جود فينفع جسودها  
وكان مغرماً بتشبيه الطلل بوحى الكاف والميم أو بالكاف واللام . وتشبيه الآثار  
بأحرف الكتابة قديم إلا أنه لم يكن يمثل هذه الصورة التي صورها جرير . ويمكن  
أن يقال إن هناك فروقا بين رسوم الجاهليين ورسوم الإسلاميين ، وإن البصريين - مثلاً -  
الذين وصفوا الطلل وصفوه تخيلاً في أغلب الأحيان أو معاناة في بعضها ، ولكنهم لم يطيلوا  
الوقوف عند الآثار والنوى فبعدوا عن واحد مثل زهير في معلقته .

ويتلون الطلل على مر الأيام بروح الشاعر المنحضر ويطبع بشخصيته حتى تنقطع صلته  
بالقديم ، فيقول بشار ويعجب قوله النقاد :

أبي طلل بالجزع أن يتسكبا      وماذا عليه لو أجاب متبا  
وبالفرع آثار بقين وباللوى      ملاعب لا يعرفن إلا توها

ويقول راويته سلم :

أمن ربع تسائله      وقد أقوت منازل  
بقلبي من هوى الاطلا      ل حب ما يزايله  
رويدكم عن المشفو      ف إن الحب قاتله

فكأنك تسمع منه تشبيهاً بواحدة ، وأين هذا مما قاله امرؤ القيس ؟ لا شك أن هناك  
خلافاً كبيراً ، وحقق ذلك طواعية هذا الفن للنظير وتلونه بلون العصر . ولعل هذا ما عمل  
على فشل دعوة أبي نواس إلى ترك الطلل والبكاء عليه ، فلم تجد أذناً صاغية ، ولم يختصم  
عليها أحد فماتت ، بينما شغل الناس بمذهب أبي تمام . وكذا نتقدم فنقرر — بعد هذا  
الاستطراد — أن الشعراء رغم خضوعهم لتقاليد الشعر الجاهلي يفصحون عن أنفسهم ،  
فليس لنا في هذه الحال أن نعتبر إقلاع شاعر عن وصف الاطلال — في العصر العباسي —  
وفي مدينة كالبصرة أو بغداد بأنه تجديد أو نعتبه هو في حرصه على هذا الوصف بأنه شاعر  
قديم . فالامر كله موكل إلى درجة تقيده بالتفاصيل التي عني بها الجاهليون ، وهذا عندى  
فيصل في الحكم على شاعر ، ولو فطن إليه نقاد العرب وتعمقوه لانتهوا من جدلهم ولوقفوا  
على أسباب أخرى غير تلك التي ذكروها في معرض الخصومة حول مذهب أبي تمام وغيره .

إننا نؤمن بكل هذا ، ونؤمن بأن الشاعر العربي لم يدرس - حتى الآن - الدراسة التي نكشف لنا عن نفسه وعن طبيعة عمله وعن صلته بالحياة وعن أثره هو في هذه الحياة . وينبغي لنا إذا حاولنا هذه الدراسة أن نطرح الكثير مما قيل في تفسير تلك الخصومة الفنية التي دارت في القرون الأولى الإسلامية ؛ فكثير منها يرجع إلى تعصب فكري أو تعصب عنصري ، وكتب النقد التي بين أيدينا تحفل - إلى جانب الصائب القيم - من الزيف والافتراء والغرور بالكثير ، وحسبنا أن ننظر في كتاب الصولي ، أخبار أبي تمام ، لنقف من قرب على صحة هذه الدعوى .

ثم ماذا بعد ذلك ؟

ثم نؤمن أيضا بأن الصورة التي نقلتها الاثبات القديمة لا ترسم لنا ناسا يحسون وينفعلون ويعبرون ، وإنما تقيم أمامنا هياكل تتحرك بمقدار ، وتعثّر في قيود ، وتتفلسف في سجن . بل أخشى أن أقول إنها لا تصور إلا آلات صنعت لتتحرك حسب نواميس قدرت لها قسرا خرمت نعمة الحياة . والشعراء في الأصل قوم لهم تميزهم وإن كانوا يشتركون مع أبناء المجتمع في انفعالهم به ، حتى ليبدو في ظاهر الأمر أنه لا اختلاف في النوع بين فرد وفرد . ولكننا إذا قلنا إن التوافق في السلوك لا يعنى مطلقا توافقا في الفطرة ، أدركنا نوعية الشاعر بإطاره الذي كونه لنفسه بفطرته . وقد لوحظ على أى حال أن الشعراء يكشفون دائما بسلوكهم عن تفردهم بميزات قد تكون شاذة في كثير من الاحيان ، فيجب ألا ندهش بعد ذلك حين يتكلم « دى لاكروا » عن طبيعة الفن في كتابه « سيكلوجية الفن » ويعرض للشاعر فيقرر له قدرات فطرية خاصة تميزه عن غيره ص ١٥٣ .

ويعيننى هنا أن أشير إلى الأصول النفسية كموجه لطاقة الشاعر . وهى إلى حد كبير تحدد وجهة نظره إلى المجتمع وإلى من يضطرب معهم ويسعى بينهم ، ومن ثم لها دورها الكبير في شعره ؛ فنحن لا ننكر شدة العلاقة بين البواطن النفسية والظواهر النفسية . وعن هذه السبيل نستطيع أن نتعمق موقف بشار من مجتمعه وشذوذ أبى نواس ونرجسية عمر بن أبى ربيعة وتقول كثير وتباهى امرئ القيس وتسامى عنتره وهكذا .

بل يجب في هذه الحال أن نعرض لطبقة الشاعر وجذسه وأسلوب حياته ودرجة

ثقافته ... فكل هذه تلتقي الضوء على حقيقة ما يقول ، وتحدد الافكار الرئيسية في أثناء معالجته للفن وتضع الأساس النفسى لنبوغه كشاعر تمايز عن غيره بنوع من القلق فعبر عنه وصوره ، ومن ثم يمكن لنا أن نفسر موقف الفرزدق وجريير .  
وهكذا نلمح من قريب أننا فى محاولتنا معرفة ذات الشاعر نقتضى إلى هذه الصورة العامة وهى أنه والمجتمع وحدة متماسكة .

احمد كمال زكى

ماجستير فى الآداب

مدرس بمدرسة محمد على الثانوية

حكم

- \* الهوى مفتاح السيئات .
- \* الوفاء ضالة ناشدها كثير ، وواجدها قليل .
- \* يبصر القلب ما يعمى عنه البصر .
- \* ينصب لكل غادر لواء يعرف به .
- \* الغنى اليأس مما فى أيدي الناس .
- \* الفرصة سريعة الفوت ، بطيئة العود .
- \* لا خير فى فقه إلا بورع .



# الكتب والمناهج الأزهرية

أصبحت كتب الأزهر ومناهجه في المدة الأخيرة هدفا لحملة منظمة ، تمتاز بالعنف والقسوة ، والتهويل والمبالغة ، واشترك فيها أفراد من الأزهر وغير الأزهر . وكثيراً ما تجد حديث الطلاب يدور حول مشكلة السكتب ، يلصقون بها التهم ، حتى يخيل إليك أنها غول تغتال العقول ، وألغاز وطلاسم تفتك بالالباب .

وتجدهم في كل مؤتمراتهم يجعلون على رأس طلباتهم تعديل المناهج ، وتغيير تلك السكتب القديمة .

ولقد شهدت حفلة سمر أقامها طلاب إحدى كليات الأزهر منذ شهر ونصف فلم يفسوا حتى في أوقات مرحهم ولهوهم السكتب الأزهرية فأوسعوها نكنا لاذعة ، وحلات طاغية .

ويعلم الله أن هذه السكتب بريئة من كثير من هذه الاتهامات ، وأن الذين ينتقدونها من الاسانذة لا يفتقدونها عن عقيدة ؛ وإنما يتظاهرون بذلك رغبة في شهرة ، أو استجلاباً لمحبة ، وما مثلهم إلا مثل الخطيئة الذي لم يجد في يوم من الأيام ما يذمه ويهجو ، فذم نفسه وهجاها ، فقال :

أبت شفتاي اليوم إلا تسكها      بسوء فما أدري لمن أنا قائله  
أرى لي وجها شوه الله خلقه      فقبح من وجهه وقبح حامله

\* \* \*

ليس العيب في الحقيقة في هذه السكتب ، وإنما العيب فينا نحن ، ومن الشجاعة أن نعترف بذلك ؛ فإن الله تعالى يقول : « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » .

إن هذه السكتب التي نعيها قضى العلماء فيها زهرة أعمارهم وقد بذلوا كل جهودهم في تحقيق

مسائلها ، وواصلوا ليلهم بنهارهم في البحث والتحصيل ، وكانوا أمناء في النقل ، حريصين على تدوين الحقائق ، ولم يشغلوا عنها بزخارف الحياة وزينتها .

ومن بين أصحاب تلك المكتب عمرو بن بحر الجاحظ الذي كان يستأجر المكتبات ويبيت في داخلها ؛ منقبا باحثاً فيما تحتويه من نفائس ويدونها للأجيال من بعده .

ومنهم إمام المحدثين البخارى كان يسافر الايام والشهور لتحقيق حديث من رواه ، وإن غيرهما ممن هو على شاكلتهما كثير وكثير كما هو مسطور في تاريخ حياة هؤلاء الجهابذة الاعلام ، الذين قعدوا القواعد ، وكتبوا القوانين العامة ، وطبقوها على الجزئيات والفروع ، ولم يكتفوا بذلك بل افترضوا وتخيلوا مسائل لم تقع ويستحيل وقوعها ، كل ذلك لتركيز القواعد واتساع مجال التطبيق . إن هذه المكتب الصفراء كنوز زاخرة وسراج لا يطفأ نوره ، ولا يخبو ضياؤه ، إنها هي التي صهرت في بوتقتها الافئدة من الرجال ، وزودتهم بما دفعهم إلى الصدارة والقيادة ، وإيقاظ الشعوب من سباتها العميق ونشر الوعي الإسلامى والوطنى ، أمثال جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وسعد زغلول والمنفلوطى والمراغى .

وإن الأثر لواضح لمن شبوا على دراسة هذه المكتب فى النواحي العلمية .

ولولا أنى لا أريد التجريح ولا التعريض بأحد ، لنقلت هنا نماذج لبعض مشاهير الكتاب قبل طبعها ليعرف من لا يعرف ومن على عينيه غشاوة تلك الأخطاء الفاضحة فى أبسط قواعد اللغة والنحو .

إن فقهاء القوانين ، وعلماء الدساتير والمعاهدات ، وقضاة المحاكم العليا ومستشاريها لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالدقة فى التعبير ، والمحافظة على النصوص ، ووزن الالفاظ بميزان ذهبي دقيق ، ولم يتفاضلوا فيما بينهم إلا بالقدرة على تأويل النصوص ، ومعرفة العام منها والخاص ، والمطلق والمقيد ، والعلة والمعلول ، والإحاطة بأنواع الدلالات ، إلى غير ذلك من قواعد المنطق وأصول الفقه . على ما هو معروف فى نخط الدراسة الازهرية .

فما بال بعض الناقين على تلك المكتب يحاولون التخلص منها جميعا ؟ ثم من لهذه المكتب إذا تخليتكم أنتم عنها ؟

ومن لكتاب الله الكريم وسنة نبيه إذا لم تفهموا وجوه الإعراب ، ومذاهب النحاة ،  
وأساليب البلاغ ، وقواعد الأصوليين ، وأقوال المشكلمين ؟

هل تتركون كل هذه الكتب للمستشرقين والأجانب ، ثم تكونون بعد ذلك عالة  
عليهم في استردادها وفهمها .

لأنكم ساعثون تفقدون كل ما تمتازون به ، وتسرون بأزهركم الخالد بخطوات واسعة  
إلى الفناء ، وتستعجلون تطبيق حديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه قبل الأوان :  
« إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من قلوب العباد ، ولكن يقبضه بقبض العلماء » .

صبراً صبراً أيها الطلاب الأزهريون ؛ لأنها فتنة عيياء وبذور استعمارية بذرها المستعمرون  
وأذنانهم بالدعاية والإيحاء ؛ ليصرفوك عن دينكم ، ويقضوا على حيوييتكم وحمايتكم لشريعتكم  
الفراء ، وليجعلوا الأزهر مدرسة ابتدائية أو ثانوية ، ثم يستغنوا عنها بالمدارس الابتدائية  
الآخرى والثانوية .

إن الأزهر صخرة الاستعمار ، وغصة المستعمرين والمليدين ، وستحطم قرونها ،  
وستشدد غصنتهم حتى تقضى عليهم ما دتم أنتم متنبئين لما يراد بكم ، محافطين على ما جعلكم  
الله عليه أمناً ، محيطين أزهركم بقولكم وأجسامكم .

إن الأزهر ليس لمصر فقط ، وإنما هو أمل المسلمين جميعاً ، وكعبة العلم والإسلام  
ولم تباع الدول الإسلامية مصر بالزعامة لكثرة عددها ، أو لانتشار التعليم فيها ، أو لوجود  
بيت الله الحرام على أرضها ، وإنما بايعتها بذلك لميزة اختصها الله بها ، تلك الميزة هي الأزهر .

والأزهر ليس هو ذلك البناء الشاخ ، وإنما الأزهر بعلمائه وطلابه ، معقد آمال  
المسلمين ، وسراجهم الوهاج ، يبعثون إليه بفلذات أكبادهم ، ويلحون في إيفاد علمائه إليهم .

وها هم علماؤه الذين غدتهم تلك الكتب الصفراء ، ورشقوا من معينها الصافي يعملون  
جاهدين في تبليغ رسالة الأزهر ونشر دعوته . ومع ذلك يتهمهم البعض بأنهم مقصرون  
في أداء رسالتهم ، مشغولون عنها بأنفسهم ، فلم يشاهد لهم الناس موقفاً ناجحاً في القضاء  
على منكر .

ولكن متى كانت المنكرات تحارب بالعلم فقط إن لم يساعده القانون ، ويظهره السلطان ، فإن الله يزغ بالسلطان ما لا يزغ بالقرآن ، وقد جاهد الاستعمار في إبعاد أبناء الأزهر عن الحياة العملية ، وحاول دائماً أن يقضى على دعوتهم . فحينما نادى الشيخ المراغى بتجنيب القاهرة ويلات الحرب ، حفظاً لآثارها ومساجدها في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جل . كان لذلك أثر من الضغط لمسه الناس جميعاً .

إن مؤلفي الكتب الازهرية لم يؤلفوها لتقرر على سنوات معينة ، وتفرض على عقول غضة لا تستطيع هضمها ، وقد جانب التوفيق الذين قرروها ، وغفلوا عن تطور الزمن ولم يراعوا الاحتمال المفروض لطلاب اليوم ، فن الواجب أن تتلافى هذا الخطأ ، ونعترف بالواقع فنختار للطلاب من هذه الكتب - وما أكثرها - ما يوافق مستواهم وإدراكهم ، وأن تدرج بهم من الأدنى إلى الأعلى ، وأن تؤلف اللجان من أكابر العلماء لتضيف إليها ما استحدثت من معاملات وأحكام تختلف باختلاف العرف والوسط الاجتماعى ، وأن نجعلها شديدة الارتباط بحياتنا الواقعية ، مثينة الصلة بالاصطلاحات العصرية .

بهذا وحده نحافظ على تراثنا الإسلامى ، وعلى ما امتاز به الأزهر من تعمق في البحث ، وحب للنقاش والجدل للإقناع والافتناع .

والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

ابراهيم أحمد الوقفى

مدرس بمعهد القاهرة الدينى

## وصية عمر إلى أحد ولاته

كتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى عامله على البصرة :

« أما بعد - فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقى به رعيته . وإياك أن تزيع فريغ عمالك ، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغى بذلك السمن ، وإنما حثفها في سمنها . والسلام » .

# علماء الأزهر

## واتصالهم بالمجتمع والحياة

قابل فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر وفدا من أساتذة الجامعة الأمريكية وموظفي السفارة الأمريكية ، وسكرتيرة من السفارة اليوغسلافية .

وقد دار بينهم وبين الاستاذ الاكبر حديث طويل تناول موضوعات شتى تمس نواحي مختلفة في الأزهر والإسلام . وقد طلب حضراتهم بيانات عن الأزهر ونظامه ، فشرح لهم فضيلته مراحل الدراسة في الجامعة الأزهرية ، والشهادات التي تمنح في نهاية كل مرحلة ، وقال : إن هذا النظام لا يختلف في وضعه عن نظام الجامعات في الخارج .

### الأزهر والنظريات الحديثة :

وتطرق الحديث إلى علماء الأزهر وكيف يواجهون النظريات الحديثة وهم لم يدرسوا غير العلوم الدينية . فقال فضيلته : إن الأزهر يدرس العلوم الحديثة بجانب العلوم الدينية لمواجهة المجتمع خاصة وأن الدين الإسلامي يدعو لذلك ، لأنه يهدف إلى تنظيم علاقة الإنسان بخالقه ، وعلاقته بإخوانه في المجتمع ، وبذلك لا تقتصر مهمة العالم في الأزهر على العبادة والصلاة ، بل لابد من الاشتراك في الحياة العامة وأمورها . وإلا كان مقصراً .

### الأزهر كعبة الثقافة :

وسأل أحدهم : كيف يسمى الأزهر كعبة الإسلام وهناك كعبة أخرى بمكة ، وما الفرق بينهما ؟

فأجاب فضيلته : إن الأزهر هو الكعبة الثقافية التي يشع منها نور العلم ، أما كعبة مكة فهي التي يجتمع فيها المسلمون في المؤتمر العام في كل عام في موسم الحج يتدارسون شؤونهم ومصالحهم .

### لا فرق بين مسلم ومسلم :

وسألوا عن علاقة الأزهر بالمسلمين في خارج مصر . فقال : إن الأزهر لا يفرق

بين مسلم ومسلم ، فهم جميعاً أبناء دين واحد ، وهو يهتم بشئونهم ومصالحهم في أى مكان ولا فرق بين مصرى وغير مصرى .

### الأزهر بعيد عن الحزبية :

وسئل فضيلته عن موقف رجال الأزهر واشتراكهم في المسائل السياسية . فقال فضيلته : إن رجال الأزهر من الشعب . فهم يهتمون به ، وإن اتصلهم بالسياسة يأخذ صبغة قومية . وهم بعيدون عن المسائل الحزبية ، لأنهم يعتبرون أنفسهم فوق الأحزاب لا يناصرون أحداً إلا الحق وحده .

### ميزة الأزهر :

وسألوا عن المقارنة بين الحياة الجامعية في الأزهر والحياة الجامعية في الجامعات الأخرى ، فقال فضيلته : إن الطريقة واحدة ، وهى إلقاء الدروس والمحاضرات .

وبزيد الأزهر على ذلك طريقة أخرى هى دراسة النصوص دراسة دقيقة ، وفهمها وبحثها ليتمكن الطالب من تمييز الحقائق وتوضيحها . وهذا اللون بدأت بعض الجامعات في الأخذ به ، ولكن الأزهر يمتاز عنها بالسبق في هذه الناحية .

## من حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

- \* ما عاقبت من عصى الله فيك ، بمثل أن تطيع الله فيه .
- \* إياكم وذكر الناس فإنه داء ، وعليكم بذكر الله فإنه شفاء .
- \* إني أحب أن يكون الرجل في أهله كالصبي ، فإذا احتيج إليه كان رجلاً .
- \* من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به .
- \* لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين في غير ضعف ، والقوى في غير عنف .

# الحسن البصرى

٢١ - ١١٠ هـ

الإمام التابعى الذى يقول فيه الخليفة عمر بن عبد العزيز - وقد قيل له : من وليت قضاء البصرة ؟ فقال : سيد التابعين الحسن البصرى ، على أن القدر الذى أستطيع أن أتقدم به إلى القارئ الكريم أنه كان لا يزاحم في دقايقه . وأنه أعيا على معاصريه في بلاغته . وأنه أخلص لله إخلاصا جعل الحكمة تنضح من قلبه على لسانه . والبيان الخارق يتفجر في بيانه . والحق يسطع في ثنايا منطقته وبرهانه . فيزيل الرين عن قلوب طالما ألح عليها المرض فسكاد يفتك بها ، ويشرق في نفوس طالما عثا فيها ظلام الغفلة والغرور فحجبها فهل لى أن أتعجل فأزف إلى سمعك بعض عرائسها المصونة ، أو أجدلو بصرك بطلمعة محاسنها النادرة عسى أن تصادف منك قلبا خاليا فتتمسكن . ولعلها تلهب شوقك إلى التعرف إلى قائلها الإمام الحسن البصرى ، والتزود من صفاته ومحاسن أخباره ، بل لعلها هى نفسها تضع بين يديك تصويراً له . فإن من الكلام ما يحلو صفات قائله ، ويكون عنواناً له . بل ربما كان تاريخاً يسلاً الأسفار ، ويزرى بكل التواريخ والأخبار . وإليك قلا من كثر ، من تلك النفائس الدر<sup>(١)</sup> .

رأى الحسن رجلاً يكيد بنفسه<sup>(٢)</sup> . فقال : « إن أمراً هذا آخره ، جدير أن يزهد في أوله وإن أمراً هذا أوله ، جدير أن يخاف من آخره »<sup>(٣)</sup> .

وقريب منه في الأسلوب قوله للحجاج وقد عاتبه في انتقاصه إياه « إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير من أمنك حتى تلقى الخوف » ، وله رضى الله عنه : « من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء » .

ومن كلامه : « اقدعو هذه النفوس فإنها طلعة ، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور ، واعصوها فإنكم إن أطعتموها نزعت بكم إلى شر غاية » .

(١) الدر جمع درة . (٢) يكيد بنفسه يجوز بها كناية عن الاحتضار .  
(٣) الأمر الأول الدنيا وآخرها الموت ، والأمر الثانى الآخرة وأولها الموت ، والأسلوب فى بدعي

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « كأنك بالدنيا لم تكن ، وبالأخرة لم تول . والسلام ، ومن مواعظه رضى الله عنه : « إنما الدنيا حلم ، والأخرة يقظة ، والموت متوسط بينهما ، ونحن في أضغاث أحلام . من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر . ومن نظر في العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل . ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم . ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل . فإذا زلت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك . واعلم أن خير الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » .

« من كان قوياً فليعتمد على قوته في طاعة الله ، ومن كان ضعيفاً فليتكف عن معاصي الله - يا لها موعظة لو صادفت من القلوب حياة . أسمع حسيماً ولا أرى أنيساً . ما لهم تفاقدوا عقولهم . فراش نار وذباب طمع » .

« ابن آدم إنما أنت عدد ، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضك » .  
 وقال له رجل : مات فلان فجأة ، فقال : « لو لم يمت لجأة لمرض لجأة ثم مات » .  
 ومن حكمه : « أدركنا قوما كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليهم » .

« ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها . إذا رأيت في ولدك ما تكره فاعلم أنه شيء . تراد به فأحسن . شر الناس للبيت أهله ، يكون عليه ولا يهون عليهم قضاء ديونه ، إذا أراد الله بعبده خيراً في الدنيا لم يشغله بأهل ولا ولد » .

ولأنك أيها القارىء الكريم لو أخذت تتبّع ما لهذا الإمام العظيم من آداب وحكم ومعارف إذا اظفرت بالكثير الثمين ، ولتجلت لك البلاغة سافرة مشرقة ، ولرأيت صفة الإيجاز كيف تكون في أربابها ، ويكون على النفوس أثرها ، وهى آثار كما قلت لك تعرفك أن الرجل من رباني هذه الأمة ، وفقائها العاملين ، ونصحائها المجاهدين ، وحجزة الناس عن الشر يأخذونهم بحجزهم إلى الجنة - وإليك شيئاً من تفصيل أحوال هذا الإمام ، وتقلبه في شئون السكّال :



ولد هذا الإمام في السنة الحادية والعشرين لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وبقى إلى سنة ١١٠ هـ . فكانت سنو حياته تسعين سنة تقريباً ، وفي ظروف مختلفة ، تبين أوضاعها ، وتختلف مناهج الحياة الاجتماعية فيها ، إلا أنه قضى زهرة حياته في جمع العلم من أطرافه ، وأدرك ( كما حدث عن نفسه ) نحو ثلثائة من أصحاب ( المدرسة المثالية الأولى ) والعهد الذي لم تشهد الدنيا مثله : علماً ربانياً ، وأدباً سماوياً ، وخلقاً عظيماً . اتصل بهم في المدينة المنورة التي هي العرش الأول لهم ، وأخذ عنهم العلم في حرص وإقبال ، دل عليه ما انتهى إليه من كمال . وقد قضى شطراً من حياته - كما دلت أخباره - بالعراق موطن المدينيات القديمة ، ومستقر الملل والنحل من قبل ومن بعد . وهو بعد فارسي الأصل حصيف العقل ، مشرق النفس ، فاستطاع أن يرى الحق من بين قرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين .

وكان مما امتاز به ( كما امتاز ابن سيرين صاحبه ) أنه كان من الموالى . ومن موالى الصحابة أيضاً . فأبوه ( يسار ) مولى زيد بن ثابت الصحابي الجليل ، وأمه ( خيرة ) مولاة أم سلمة أم المؤمنين . وفي أخباره أنه ولد في بيتها المبارك ، وأن أمه كانت تغيب أحياناً في بعض الشأن لا منا للكرامة أم المؤمنين فتعلله بشديها الطاهر ، وكان أحياناً يدوله فيشرب . فمن أنت يا أبا سعيد ؟ ومن ذا الذي ظفر بهذا الفضل المجيد مثلك . إنا لنظن كما ظن الناس من قبلك أن بيانك وحكمتك وغزارة مادتك إن هن إلا مدينتا لتلك الرضعات النبويات . فله إذا درك ، لا لأبيك ولا لأملك . ذلك لعمر أبي الحجاج هو الشرف . لا ما عيرك به إذ يقول لاهل الشام : أيشتمنى عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكروا !

تستطيع إذا أيها القارئ الكريم أن تتحدث عن العوامل والمؤثرات التي كان لها خطرهما في تكوين هذه الشخصية زيادة على ما منحه الله من جمال وكال جسمي فتقول :

١ - ولادته في هذا البيت النبوي الكريم ، ونشأته الأولى فيه ، يسمع ما يتلى من آيات الله والحكمة ، فينبت عليها لحمه ودمه ، ويرى صوراً من الآداب ، ومظاهر الطاعات والإحسان ، فتمتزج بها نفسه ، مع أصالته وقوة استعداده وسلامة فطرته .

٢ - كونه من الموالى الفرس ، الذين أخذوا العلم على أربابه وحرصوا أن يسبقوا إليه ويكونوا أولى به . لأنهم تفرغوا لخدمة العلماء الربانيين ، ليس لهم رأس مال سواه . ولا حسب لهم بين العرب بدونه ، لهذا كانوا في التاريخ أهل العلم الذين نبأ بهم النبي ﷺ

في قوله « لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس » ثم تلا الآية السكرية ( وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ) .

ولهذا كانوا مراجع للمسلمين والعرب في علوم الدين واللغة . ولولاهم لذهب الكثير من معارف الإسلام القيمة ، وكان ابن سيرين فيهم بحيث علمت سبقا وامتيازاً .

٣ — إن الحظ تكامل له فأدرك من صفوة الرعيل الأول في مدرسة الإسلام ما هو كفيل أن يربي أجيالاً وربانيين ويكون أجيالاً من الفاضلين .

ولقد كونوا أئمة رجال القرن الأول والثاني . ومن أعظمهم انتفاعاً وإفادة ، هذا الإمام الذي لقي ثلثمائة منهم ، فيهم سبعون من البدرين ، وبأهلها سعادة .

٤ — اتصل في العراق بأولئك السريان الذين أنشأوا بها المدارس الثقافية فسمع منهم مختلف الآراء والمذاهب ، الصحيح منها والفساد ، وكان يعرضها على علم الصحابة ، ومعارف الكتاب والسنة ، فيقبل ما لا يدفعه الإسلام الصحيح ، ويدعم به معارفه ، ويذكر به أدبه ، ويلقح به معارفه . فأما ما يدفعه دينه ( وهو أول ما صادف قلبه فتمكن واستحصد ) فإنه يدفعه دفع الصديق الوامق عن صديقه . ويتخذ لحربه من الأسلحة ما هو جدير أن يرد به ، والحق قوى ، والباطل زهوق .

٥ — كان لما شهد الحسن من التناقض في المشارب بين عهدين عهد الخلفاء الراشدين وهو ما تعلم ، وعهد من بعدهم وهو أيضاً ما تعلم ، أثر بالغ في نفرتة من الثاني وقد امتلأ بالآول واندمج فيه وتفانى في حبه ، فهو برم بما يغيره . أو يفسد قداسته ، فكان جديراً أن ينفر من الأحداث والمظالم وما يتصل بذلك أو يدعو إليه ، وهو لإثارة الدنيا والاطمئنان بها ، والغرور ببرزجها ، ومن صور هذا التأثير في نفسه السكرية قوله « لو أن رجلاً منكم أدرك من أدركت ... لأصبح مهوماً وأمسى مغموماً ، وعلم أن المجد منكم كاللاهب ، والمجهنم كالنار ، ولو كنت راضياً عن نفسي لوعظتكم » .

كان لهذا كله ولغيره معه أثره في نفس الحسن ، فجاء كما وصفه ابن خلسكان ، وكما وصفه غير ابن خلسكان « من سادات التابعين وكبرائهم ، جمع من كل فن : من علم وزهد وورع وعبادة »<sup>(١)</sup> ووصفه أبو نعيم في الحلية « حليف الخوف والحزن ، أليف الهم والشجن ، عديم النوم والوسن ، الفقيه الزاهد » .

محمود النوروى

## لورضى الناس !

يكاد يكون من المستحيلات أن تجد إنساناً راضياً عن مكانه فى الحياة . ذلك بأنك لا تلقى إنساناً فى المنزل أو فى النادى أو فى الطريق ، أو حتى فى أماكن اللهو واللعب إلا وجدته ساخطاً ثائراً يلعن الدنيا ، ومن فيها ، وما فيها ، ولا يحدثك إلا باكيةً حزينةً ثم يقص عليك من فعل الزمن به ، ومن حوادث الأيام التى انتابته ، ما يستنزف من عينيك الدمع ، ويستنزى من قلبك الشفقة ، ثم لا ينسى - إن تمادى بينكما الحديث - أن يذكر لك ما يتمتع به الآخرون من نعيم ، وما يعيشون فيه من خفض وسعادة ، ويكاد يقسم لك أنه - وحده - المصاب المبلى ، ولكن ما درى أن الأمر كما قال الشاعر :

لـكـل شـجـون فـى الحـيـاة كـثـيـرة	ولـكـن يـوارى عـن سـواه شـجـونـه
وكل امرئ يبكى لبلواه غابطاً	ففى مثله باكى الفؤاد حزينه
ولم يدرك إنسان بآلام غيره	فهم مثل ما يبدو الجوى يكتمونه
وكل ينسدى نفسه فى خلائه	بأن جميع الناس تسعد دونه

والسر فى هذه الشكوى التى لا تنقطع ، وتلك الهموم التى تملأ نفوس الناس ، أن كل إنسان ينظر إلى ما ينقصه من متع الحياة ، ولا ينظر إلى ما عنده ، ولا يرضى فيما عنده ، مهما جل ، مغنياً عما يفقده ، وتراه كلما وصل إلى غاية تطلع إلى ما فوقها ، وهان عليه ما أدركه ، وقد عبر عن هذا المعنى رجل جليل القدر ، عظيم الشأن ، هو سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى الزاهد فقال : « إن لى نفساً تواقة : تاقت إلى الإمارة فلما نلتها تاقت إلى الخلافة ، فلما نلتها تاقت إلى الجنة . »

والناس : يتطلع أحدهم إلى المال ، فإذا نال منه قسطاً طلب المزيد ، فإذا كثر ماله طلب الأكثر ، ولا يزال يطلب ويستزيد ، وهذا معنى قوله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى ثالثاً » ، ويتطلع إلى الذرية ويسأل الله أن يهب له من لدنه ولياً يرثه ، ويرث آباءه ، فإذا رزق البنات طلب البنين ، فإذا رزق البنين اهتم بمكانهم وحظهم من

الحياة . وقل مثل ذلك في الصحة والجاء والعلم ، فلا يزال في هم من حظوظ الحياة ، ثم ينظر إلى الصفحة من جهتها الأخرى ، فإذا فيها حوادث الدهر ونكباته من نقص في الأموال والأولاد ، وضعف في الصحة ، وابتلاء في النفس ، فلا يزال — كذلك — يشكو ويئن .

وقد أصبح من الأمور البديهية أن أعدى أعداء الإنسان هو الهم ، وأن اضطراب الأعصاب ، وكثيراً من الأمراض إنما يرجع إلى ما يعتري الإنسان من هم وغم وحزن ، ولذلك اتجه العلماء وجهة جديدة ، فأخذوا يؤلفون الكتب ، وينشرون المقالات والأبحاث التي تبين للإنسان كيف يتمكن من التغلب على الهموم ، وتيسر له كيف يجعل حياته سعيدة طيبة ، فدعوا - أول ما دعوا - إلى الرجوع إلى الدين ( فإنه لا توجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر لا ترجع في أساسها إلى فقدهم الإيمان ، وخرجهم على تعاليم الدين ، ويصح القول بأن كل واحد من هؤلاء المرضى ، وقع فريسة المرض لأنه حرم سكينته النفس التي يجعلها الدين - أى دين كان - ) كما يقول كارل بونج أعظم الأطباء النفسانيين في هذا الجيل .

كما تعرض أولئك الباحثون لنصائح كثيرة يستعان بها على مواجهة الحياة ، لو اتبعها أصحاب الأمراض الحزينة ، والعواطف الثائرة ، لاستراحوا وهدأت عواطفهم .

ونحن نجد في ديننا الإسلامى أنجح علاج لهذه الأمراض ، ذلك هو الرضا ، الرضا بما حصل عليه الإنسان من خيرات ، وما حققه من آمال ، والرضا بما يصيبه من أحداث ، فإن الرضا أكبر داعية إلى هدوء النفس وطمأنينتها ، وإلى التغلب على آلامها وهمومها ولن يرضى الإنسان - حق الرضا - حتى ينظر إلى الحياة نظراً سليماً ، وحتى يمسأ نفسه الإيمان الخالص ، فإذا نظر إلى الحياة نظراً سليماً رأى أنه أعطى من الخيرات ما يكفل له عيشة هنية راضية ، وإذا مألأ نفسه الإيمان الخالص رأى أن كل الأحداث التي تمر به أمور عادية في الحياة ، ليس هو المختص بها من دون الناس . والفرق بين رجلين أحدهما صاحب مزاج ضاحك مستبشر ، والآخر صاحب مزاج باك حزين هو ما تعبر عنه هذه الكلمة : يقول المتفائل : إن كأسى ملأى إلى نصفها ، أما المتشائم فيقول : إن كأسى فارغة إلى نصفها فخطهما من الحياة لم يختلف ، ولكن اختلف نظرهما إليها . على أن الإنسان لو نظر إلى من

هو دونه - في شئون الدنيا - كما أمر بذلك ديفنا الخفيف - لملاّت نفسه السكينة . وهذا أيضا ما نجده في تعاليم المحدثين ، يقول أحدهم :

كاد القلب يبددنى هباء لأن قدمى افتقدتا حذاء  
حتى رأيت منذ يومين شخصا بلا قدمين

ولو فكر الإنسان فيما عنده لرأى نفسه مقصرا في شكر ما أنعم الله به عليه ، ولقد شكى بعض الناس فقره إلى بعض أرباب البصائر ، وأظهر شدة اغتمامه فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا . قال أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا . قال : أيسرك أنك قطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ قال : لا . فقال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا . فقال : أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا ؟ !

لو فكر الناس تفكيراً سليماً ، ولو آمنوا إيماناً خالصاً ، لرضوا بنصيبهم من الحياة ، ولورضى الناس بمحوظاتهم من الدنيا ، لعاشوا في سعادة ونعيم ، ولا ستغنى العالم عن نصف الأطباء ، ولكن :

كل من لا يت يشكو شجوه ليت شعري هذه الدنيا لمن ؟

على محمد حسن العمري



## الدين والوطن

من لا خير فيه لدينه ، لا خير فيه لوطنه . لأنه إن كان ينقضه عهد الوطنية غادراً فاجراً ، فهو ينقضه عهد الله وميثاقه أعذر وأجبر . وإن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان فمن لم يحرص عليها فأحر به أن لا يحرص على وطن السقوف والجدران ( المنفلوطي )

# تعليقات

## ١ - حول الفن القصصى فى القرآن

جاء فى صحيفة الأهرام بتاريخ ٦ - ٢ - ١٩٥٤ تحت عنوان - الفن القصصى للقرآن - كلام لمدرس بكلية آداب القاهرة ، وتأييد له بمحدث لعميد الكلية بالنيابة . ينتهيان إلى أن رسالة الفن القصصى فى القرآن الكريم ، ليس فيها كفر ولا نحوه ، وأن هذه الضجة التى أثارت حولها منذ سنين سبع لا معنى لها ، وأن إبعاد صاحبها عن الجامعة لا مبرر له ، وأن الحياة خارج الجامعة تحتل من حرية البحث ما لا تحتمله الحياة داخل الجامعة .

وقد يكون لهذا الكلام هدف خاص مثل إعادة صاحب هذه الرسالة إلى الجامعة بعد ما أقصى عنها بقرار جامعى ، حكومى ، برلمانى ، وقد يكون ذلك استجابة لبعض هذه المحاولات التى تجرى الآن فى كلية الآداب ، على أساس التكنل المعروف ... وهو شىء لا يهمنا .

وقد كان من المفروض الاكتفاء بهذا الرد الموجز القيم الذى نشرته مجلة الأزهر فى عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ هـ للأستاذ الكبير السيد محمد أحمد الغمراوى ، ولكن للسؤاله جوانب أخرى ينبغى أن تسجل فى هذه المجلة الكريمة ، ليكون الناس على بينة من أمرها ولئلا يخذعوا بشائعات المفرضين .

\* \* \*

وأول ذلك أن مشروع هذه الرسالة حين تقدم إلى كلية الآداب سنة ١٩٤٧ رفضت لجنة الفحص تقديمه للمناقشة وأسقطته لأسباب علمية ، دينية ، خلقية ، ويكفى أن أشهر بغاية الإيجاز إلى أن هذه الرسالة تقيس القصص القرآنى بمقاييس ليست وثيقة ولا مقرررة فإن خالف القرآن تلك المقاييس كان عند أصحابها كذباً وافتراء على التاريخ ، أو كان نوعاً من ذلك الفن الأدبى الذى لا يلتزم الواقع التاريخى ، ولا الصدق العقلى ، وإنما يخضع

في تأليفه لهذه الحرية الفنية التي يخضع لها كل فنان موهوب ، وتطبيقاً لهذه القاعدة ، صار القرآن - في رأى هذه الرسالة - يتناول على اليهود وينطقهم بما لم ينطقوا به ، ويتناول أموراً لن تحدث . ويقرر أمراً خرافياً أو أسطوريا ثم يعود فيقرر نقيضه . ويغير الواقع ويبدل ويزيد وينقص بحكم هذه الحرية الفنية . وهكذا كانت قصة موسى في سورة الكهف ليس لها أصل تاريخي ولا أسطوري ، والإجابة عن الأسئلة التي كان يوجهها المشركون للنبي ﷺ ليست تاريخية ولا واقعية . وقصة إبليس مع آدم من الخلق الفنى الذى لم يتشبث فيه القرآن بالواقع . ومصادر القصص القرآني ، هي التوراة والإنجيل والأقاصيص الشعبية ، وما امتزج بها من عناصر فارسية وإسرائيلية ، وإن ما تمسك به المستشرقون على أنه من أخطاء محمد الناتجة عن جهله بالتاريخ ليس بذى بال . ذلك لأن المسألة تعلل بأكثر من سبب . فقد يكون ذلك من عمل الفنان الذى لا يعنيه الواقع التاريخي ، ولا الحرص على الصدق العقلي ، وإنما ينتج عمله ، ويبرز صوره ، ويوحى بما يشاء ، بقدرته على الابتكار والاختراع ، والتغيير والتبديل .

ثم تدعى كذبا ، وجهلا ، وخيانة على أمثال الزحشرى ، والفخر الرازى ، ومحمد عبده أنهم قالوا بما يؤيد هذا الهرام الجاهل الضال .

\* \* \*

وأخطر من ذلك أن ينشر أصحاب هذه الرسالة في بعض الصحف أن كلا من فضيلتي الشيخ عبد المجيد سليم ، والشيخ محمود شلتوت قد أفتى لصالح هذه الرسالة ، ولكن فضيلتي الأستاذين يكذبانهم علنا في الصحف . . . ثم ماذا ؟

ثم يطلب السيد عبد الرزاق السنهورى وزير المعارف حينذاك إلى فضيلة الشيخ محمود شلتوت لخص هذه الرسالة وكتابة تقرير عنها ، فإذا بهذا التقرير يدمغها بالكفر ، وبالجهل ، والفساد ، لأنها قامت على أسس فاسدة ، وأنها غارقة في تكذيب القرآن الكريم ، وأن كاتبها افترى على العلماء ، وأنه جاهل لا يفهم النصوص ، وختم تقريره برجاء الرئيس الأعلى للجامعة أن يطهرها من هذه الدراسة التي تنافي الحرية العلمية ، وتنتهى إلى الفوضى ، وتهدم الأصول الإسلامية في هذا البلد الإسلامى الكريم .

\* \* \*

ولم يسكت الأزهر ، فقد قال رأيه في هذه المسألة التي تعد من صميم اختصاصه .  
فقد أفتى أكثر من مائة عالم أزهري في طائفة كثيرة من نصوص هذه الرسالة بأنها مكفرة  
يخرج بها صاحبها من الدين الإسلامى . . . الخ .

\* \* \*

ثم ماذا ؟ ثم تقدم النائب المحترم السيد الاستاذ عبد العزيز الصوفانى يستجوب الحكومة  
عن موقفها من هذه الرسالة ، فرجعت الحكومة إلى الجامعة وعادت منها برفض الرسالة ،  
وإبعاد كاتبها عن الجامعة ، وتحمل الطالب وحده مسئوليتها وذلك بحلقة ٢٤ / ٣ / ١٩٤٨  
وهنا سكت المشرف ، وقضى نهائياً على هذا المشروع الجاهل ، الضال . الفاسد .

\* \* \*

وهنا نسأل : هل هذه الصورة المطبوعة التي قال عنها عميد الآداب بالنيابة ما قال . هل  
هى مطابقة لذلك الاصل الذى قدم إلى لجنة الفحص بكلية الآداب سنة ١٩٤٧ . ويعرف  
العميد بالنيابة من أمره ما يعرف ! ؟

الواقع أن هذه الصورة المطبوعة ليست مطابقة لذلك الاصل أولاً . ثم هى صورة  
لا تزال جاهلة ، ضالة ، فاسدة ثانياً : كما أعلنت ذلك في بحث مطبوع منشور من قبل .

أما أولاً : فأين فى هذه الصورة المنشورة ما قيل فى الاصل عن مصادر القرآن ؟  
وأين ما قيل عن قصة موسى فى سورة الكهف ؟ وأين ما قيل ما يفيد : إما أن محمداً فنان  
هذا القرآن وصاحبه وإما أنه من عمل الذى لا يعنيه الواقع التاريخى ولا الصدق العقلى  
ولمّا يغير ويبدل ويزيد ويخترع لأنه فنان موهوب ؟ وكيف حرفت عبارة تدل على  
أن القرآن لم يتشبهت بالواقع فى قصة إبليس وآدم ، وكيف اضطرب الامر أمام الاسطورة  
والاساطير بعد ما قال الاقدمون إن الاساطير كذب وبهتان لم ينزل به وحى . إلى غير  
ذلك مما يثبت التزوير والتضليل ! ؟

وأما ثانياً ، فلا يزال القرآن — فى هذه الصورة المنشورة — يقول على اليهود ،  
ويتقول ما لن يحدث ، ويحكى غير الواقع ، وحين يقول القرآن الكريم : « لقد كان فى قصصهم  
عبرة لأولى الالباب ما كان حديثاً يفترى » . . تتوقف هذه الصورة المنشورة أمام هذا النص  
الحاسم الذى يقطع بأن قصص الرسل غير كاذب ولا مفترى ، وتقول : ولا يصح لمعارض  
أن يعترض على أن فى الاقاصيص القرآنية مخالفات للحق والواقع أو مخالفات للتاريخ إلى غير  
ذلك مما هو آخذ بأفاقها .



وأحب أن أشير هنا إلى أن ما ورد في هذه الصورة المطبوعة عن قول الله تعالى عن اليهود : «وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله» يقول كاتب الرسالة بالحرف الواحد : « فليس من شك أن اليهود ينكرون رسالة عيسى ومن أجل ذلك قتلوه ، فهم لم يقولوا هذا القول وإنما أنطقهم به القرآن » .

وبدهى أن عبارة — رسول الله — إما أنها من قول اليهود سخريّة ، وإما من قول الله بياناً للواقع وإكباراً لعيسى عليه السلام ، وهذا ما أراده صاحب الكشف وإن لم يفهمه أصحاب الرسالة ، ومن الخير لهم أن يرجعوا إلى الكشف في هذه الآية ليعرفوا أن الزخشرى يقول في بيان ذلك : قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون « إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ، ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به ، وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله « ليقولن خلقهم العزيز العليم ، الذى جعل لكم الأرض مهدا » .

وواضح أن صاحب الكشف يريد أن الله تعالى يضع الذكر الحسن على أنه من قوله هو تعالى ، لا على أنه من قول اليهود ، يفعل ذلك أثناء حكايته قصتهم ومجادلتهم . وإذا أرادوا زيادة الإيضاح فليرجعوا إلى ما قاله الزخشرى نفسه في تفسير هذه الآية « ليقولن خلقهم العزيز العليم » من سورة الزخرف ، لعلمهم يعلمون من هذه المقايضة ما يريد صاحب الكشف بقوله في تفسير آية الفساد .

كذلك تقولوا - وهم في سبيل الدفاع عن هذه الرسالة - على الاستاذ محمد عبده . فقالوا : إنه يجرى على طريقة الخلف إزاء القول في القصص القرآنى ، فيسكتهم الشيخ محمد عبده نفسه بقوله : وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض . وذلك بصدد القول في قصة الخليفة . وتقولوا على الشيخ محمد عبده أنه قال : إن القرآن لا يلتزم حدود التاريخ وذلك في تفسير قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت .. » ولكن الشيخ محمد عبده لم يقل ذلك ولم يعلنه مدويا في الرواق العباسى كما ادعوا عليه ، فليرجعوا إلى تفسير المنار لعلمهم يعلمون من قاله ، بل لعلمهم يفهمون ما قيل هناك .

وقد كفانا الاستاذ الشيخ محمود شلتوت - في تقريره عن هذه الرسالة - مثونة الرد على ما ادعته هذه الرسالة وأصحابها على الشيخ محمد عبده من أنه قال : إن القصص القرآنى من

المتشابه بهذا المعنى الذى يجرى فيه التأويل والتفويض ، والتقرير بين أيدينا لمن يريد أن يراه ولعل مجلة الأزهر تتسع لفشره كاملا .

وأما موقفهم من الفخر الرازى ، فقد بينه المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى بما فيه الكفاية فى مجلة الرسالة عدد ٧٤٩ - نوفمبر سنة ١٩٤٧ . وذلك بمناسبة تفسيره قوله تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق ، وموعظة وذكرى للمؤمنين » ، وانتهى من مقاله هناك إلى أن أثبت على أنصار الرسالة الجهل ، والكذب والخيانة ( ص ١٢٣٦ من مجلة الرسالة عدد ٧٤٩ ) ولولا ضيق المجال هنا لأوردت ما نشر هناك أو فصلت القول فيه .

### أحمد السائب

## ٢ - فى ركاب أبى بكر وعمر

ما كاد ينتشر الجزء الماضى من مجلة الأزهر ، وتتناوله الأيدى حتى حمل إلينا البريد قصيدة تائية رائعة من نظم الأستاذ صابر على رمضان الجوشنى ، يستغرب فيها كيف يوجد فى الأرض مسلم ينتسب إلى العلم ، ثم يشك فى إيمان صاحبه رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر . ومن قوله فيها :

سلوا الشيخ ما شأن إيمانه	وما الراشدون وما البيعة
أولئك لو تجهل الراشدو	ن وهم - أيها العالم - الصفوة
وأصحاب هذا النبي الكبر	يم . . وهم بعده للورى رحمة
لقد قتل المسلمين الخلا	ف ، فكل له منهم غاية
فهذا الإمام ، وهذا الزعم	يم ومن خلفهم فى الورى لجة
تعالى الذى أبدع الكائنا	ت د وفى كل شىء له آية ،

والقصيدة طويلة ، وفيها تعريض ودفاع شديد ، فاكتفينا من ذلك بهذه الإشارة ، على طريقتنا فى الدفع بالى هى أحسن . (المجلة)

### ٣ - موقف رجال الدين من السينما

نشرت أخبار اليوم في عددها الصادر في ٢٠/٢/٥٤ حديثاً للكاتب الكبير الأستاذ محمد التابعي عن الأفلام التمثيلية التي تعرض في دور السينما ، للدعاية الدينية ، ولغير دين الإسلام ، .

وقد هال الأستاذ التابعي - كعصرى مسلم - أن تذاع خمسة أفلام للدعاية غير الإسلامية في بلد كمصر ، وفي عام واحد ، ثم لا يذاع بجانبها فلم واحد عن الإسلام وهو دين الدولة . كما هاله أن تمر هذه الأفلام حتى تظهر على الشاشة أمام جمهرة المسلمين وغير المسلمين ، وفيها ما فيها مما يمس كرامة الأنبياء ، دون أن يبدي رجال الأزهر والدين - على حد تعبيره - اعتراضاً على ذلك ، في حين أن مشيخة الأزهر قد سبق لها أن تعرضت لشركات مصرية يوم قيامها بعرض مثل هذه الأفلام ، بحجة أن للأنبياء والرسول والخلفاء الراشدين وكبار الصحابة كرامة قد تعز صيانتها على التمثيل ، وأن لهم شخصيات فذة فريدة قد تستحيل على مقدرة التمثيل وكفاءة الإخراج ، وأنه مما لا يتفق مع هذه الكرامة وهذه القداسة أن يقوم بتمثيل دور نبي أو رسول أو صحابي كبير يمثل قد تكون له عيوبه ونقائصه في الحياة الخاصة ، وقد تكون معروفة عند الجمهور .

فكيف يسمع - وهذه حجة رجال الدين - لشخص هذه هي عيوبه ونقائصه بتمثيل دور نبي ورسول كريم ؟ كيف يسمع رجال الدين بهذا الاعتداء على كرامة هؤلاء الأنبياء والرسول وهي الأمانة في أعناقهم ، بصفتهم الحفاظ الأمانة على كرامة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

ولسكن رجال الدين والأزهر لا يذكرون هذه الأمانة التي في أعناقهم إلا في الأفلام المصرية ومع الممثلين المصريين ... إلى آخر ما كتب الأستاذ التابعي .

والأستاذ مشكور على غيرته البادية فيما كتب ، وعلى استنفاذه رجال الدين والأزهر إلى القيام بواجبهم نحو من يتعرض للأنبياء والرسول من غير تفريق بين الممثلين المصريين وغير المصريين .

غير أنه أبدى في نهاية مقاله - وفي كثير من عباراته قبل النهاية - أنه يود لرجال الدين أن لا يمنعوا أحداً ، بل يدعوهم إلى إباحة عامة لسكل من يرى تمثيل نبي أو رسول . ويعتبر منع ذلك ، من التقاليد البالية ، وخرافة من الخرافات التي لا يجد هو سنداً لها من كتاب الله أو في سنة أو حديث ( كذا ! ) .

ومع التناقض الواضح في موقف الاستاذ - من غيرته أولاً على الانبياء ، وتأثره لعدم نشاط رجال الدين ، ومن دعوته أخيراً إلى إباحة هذا التمثيل عامة ، واعتباره أن منع ذلك خرافة بالية - نطمئنه على أن موقف رجال الدين من هذه الأفلام الأجنبية اليوم هو موقفهم من الأفلام المصرية بالأمس ، وأنهم لم يفرقوا بين مصرى وغير مصرى في ذلك . بل سبق أن أفتت لجنة الفتوى بالأزهر بمنع شركة أجنبية من عرض فلم يمثل يوسف عليه السلام ، ونشرت هذه الفتوى في الصحف .

وأخيراً كتبت مشيخة الأزهر إلى الجهات المختصة بما تراه في فلم « الرداء » ، بالذات ، وفي نحوه من الأفلام التي أشار الكاتب إليها ، وتلقت المشيخة رد تلك الجهات بالموافقة على وجهة نظر الأزهر ، مؤكدة أنها معنية بتنفيذ ما جاء في خطاب المشيخة من ملاحظات .

أليس هذا دليلاً على أن رجال الأزهر لا يميزون في إنكار المنكر بين ما يصدر منه عن شركات مصرية وما يصدر منه عن شركات أجنبية ؟

وهل يملك الأزهر أكثر من ذلك ؟ أو هل بيده وسيلة أخرى يقف بها تلك الأفلام غير لفت أنظار المسؤولين إليها .

ليطمئن الاستاذ التابعي إلى أن الأزهر سبق إلى عمل ما يملكه إزاء هذا الموضوع ، فإن لم يكن علم فله أن يستريح الآن ، وإن كان يعلم وإنما يتذرع بهذه الغيرة إلى الغمز الجارح ، واعتباره أن المنع لهذه الأفلام خرافة بالية لا سند لها عنده من كتاب ولا سنة ولا حديث - كما يقول - فالسند عند غيره من أهل الذكر . وليس حتماً أن يكون السند عند كل فرد من الأفراد . وإن كان علم الاستاذ بالسند أو عدم علمه به مما يتيق له أن يكون صاحب الرأي في هذا الشأن ، فليفضل هو بالمبادرة إلى الإفتاء في هذا دون أن يعتب على الأزهر ويغمز بما لا يليق .

وقبل أن نختم هذه الكلمة نود أن نعيد الدولة نظرها إلى السينما بوجه عام ، فترسم لمصر سياسة حكيمة صالحة فيما يوافق مصلحة الأمة ، ويحفظ عليها أخلاقها ودينها ، ويوفر لها أسباب السعادة البيتية والاجتماعية ، فإن ذلك من أهم الأسس في السياسة التوجيهية الرشيدة التي يجدر بالدولة أن تأخذ بها في نهضتها الحاضرة .  
( المجلة )

#### ٤ - رد على رد - حول خرافة الميتافيزيقا

كان فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء ، قد نشر في جزى صفر وربيع الأول من هذه السنة مقالين في نقد كتاب ( خرافة الميتافيزيقا ) للدكتور زكى نجيب محمود ، وخص بالعناية بحثا من بحوثها وهو الخاص بقانون التناقض . ثم نشرنا في جزء جمادى الأولى مقالا للأستاذ الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة ، أشار فيه إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في نقض ما في المنطق من نواحي الضعف ، إلى غير ذلك مما لا يزال القراء على ذكر منه .

وقد جاءتنا في هذا الشهر مقالة مطولة من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة يرد بها على مقالة الأستاذ الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، ويقول له فيها :

« إنى قرأت كتاب ابن تيمية في نقد المنطق مطوله ومختصره . . . ولم أر فى الكتاب ولا فى مختصره ما يعيب به قانون التناقض ، ولا ما يمس من قريب أو بعيد . وكنت أحب من الشيخ الناقدا أن يدخل فى موضوع المناقشة ويهدم ما ذهب إليه ، ويؤيد المؤلف فى هذا الموضوع المحدد ، ولسكنه لم يفعل ، وذهب إلى عمومات يتكلم فيها لاثق حقا ولا تبطل باطلا ، .

ولما كانت وجهة كل من الكاتبين قد تبينت مما سبق نشره لهما من قبل ، فقد اكتفينا من مقال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة بهذا القدر ، لئلا نشغل القراء عن مهمة المجلة الأولى من البحوث الإسلامية ، والمعانى العامة التى يشترك فى الإفادة منها العدد الأكبر من القراء .  
( المجلة )

## ٥ - تفسير بيت من شعر جاهلي

نشرت المجلة بالصفحة ٦٨٥ بالجزء الاخير ، كلمة للأستاذ محمد بدوي المختون خطأ فيها الأستاذ عز الدين إسماعيل في تفسير هذا البيت . وهو :

فإن أنتم لم تنأروا واتديتم ففشوا بأذان النعام المصلم  
إذ فسر به بقوله « أى أنكم إن لم تنأروا وقبلتم الدية ، فتمشون كما يمشى النعام المقطوع  
الأذن ، لا تسمعون ما يقال فيكم من العار » .

وقال : إن الصواب أن ، مشوا من المش بمعنى المسح . ومنه المشوش أى المنديل  
الذى يمسح به .

والواقع أنهما روايتان ، وكلاهما صواب حسبما قرره شارحا ديوان الحساسة العلامة  
التبريزي والإمام المرزوقي وشارح الأمل :

قال التبريزي ج أول ص ١١٨ من طبعة بولاق ما يأتي :

وقوله : فشوا بأذان أى امشوا . وضعف الفعل للتكثير (ومن روى فشوا فعناه امسحوا .  
ويقال لمنديل الغمر المشوش ) والمعنى إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاء ، بأذان  
مجدة كأذان النعام .

ووصف النعام بالمصلم تصغيراً لها وإن كانت خلقة . يقول : كأنكم مما تعيرون  
ليست لكم أذان تسمعون بها فامشوا بغير أذان أى صمماً عما يتكلم به الناس في عيكم .  
وقال الإمام المرزوقي جزء أول ص ٢١٨ .

وقوله ( فشوا ) أى امشوا . وضعف الفعل للتكثير . ( ومن روى فشوا بضم الميم  
فعناه امسحوا . ويقال لمنديل الغمر المشوش ) .

والمعنى إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاء بأذان مجدة كأذان النعام . ووصف  
النعام بالمصلم تصويراً لها ، وإن كانت خلقة جميعها كذلك .

وجاء في سمط اللآلي في شرح الأمل ص ٨٤٨ بعد أن ذكر البيت :

تريد : إن قبلتم الدية فكونوا صمًا وامشوا بأذان النعام . فإن الناس لا بد لهم من الحديث بما فعلتم . والنعام لا يسمع . يقال : صلخ كصلخ النعامة . وقال علقمة :

فوه كشق العصا ما إن تدينه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم  
وما همنا بمعنى الذى . أى أسك الشئ الذى يسمع الأصوات .  
وقال قوم : إنما أراد امشوا أذلاء ، كما يمشى من صلت أذناه .  
ويقوى هذا المعنى قول أخت ابن مية التى قتل زوجها فى جوار الزبرقان :  
أجيران ابن مبة خبرونا أعين لابن مية أم ضمار  
مى تردوا عكاظ توافقونا بأذان مسامعها قصار  
ويروى : فشوا بضم الميم أى امسحوا بأذانكم المصلحة .

جزيرة الروضة محمد فؤاد عبد الباقي

### تزوير بيتين على أبي فراس

حكى بديع الزمان الهمداني قال : قال الصاحب بن عباد يوماً لجلسائه - وأنا فيهم - وقد جرى ذكر أبي فراس الحمداني :

- لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعراً .

فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذى يقول :

رويدك لا تصل يدها بباعك ولا تعز السباع إلى رباعك

ولا تعز العدو على إني يمين إن قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب : صدقت .

فقلت : أيد الله مولانا قد فملت .

والبيتان ارتجلهما بديع الزمان فى ذلك المجلس ، بأسلوب أبي فراس الشعرى ، حتى خيل إلى الصاحب أنهما من شعر أبي فراس حقاً .

## مقتطفات

### ١ - الأزهر والحياة

تفاوتت قيم الجامعات العلمية ، بقدر تفاوتها في قيم الأمانة التي تحملها ! ومن هنا ترتفع درجة الأزهر في مقاييس العظمة إذا ما قيس بسواه من الجامعات .

فالأزهر هو صوت السماء إلى الأرض ، وهو الرسالة الإصلاحية الكبرى التي بعث الله بها المصلحين الأولين من الأنبياء والمرسلين .

وبقدر ما كان حساب الرسل عسيراً ، مما لا يؤاخذ به سواهم ، يحاسب الأزهر من داخله أو خارجه ، فيؤخذ عليه ما لا يؤخذ على سواه ، والثوب الناصع يحسم النقطة السوداء ! وإذا لم تضق صدور الأنبياء بحساب أو عتاب فلن تضيق نحن الأزهريين بنقد أو توجيه أو إصلاح إذا صدر ذلك عن وعي إسلامي يقظ ، ونحن أرحب الناس صدرأ بكل ما يعيد للدين حرمة ، وللعلم دولته ، وللأزهر صولته ، ونرتقب في شغف ذلك اليوم الذي نلس فيه وجوه الإصلاح التي يتوخاها أستاذنا الأكبر إلى أن يكون الأزهر شمس الأرض بإزاء الشمس في السماء ، وكعبة للعلم في مصر بإزاء الكعبة للصلاة والحج في مكة ، وإن منطق الحياة يقتضى الأزهر أن يكون بأبناؤه نموذجاً حياً للنبوة يمشى بين الناس في الأرض ، ينشر رسالتها في كل عصر ومصر .

ألا وإن في الأزهر عناصر كثيرة من الخير ولسكنها أشتات وأوزاع ، وما بقي إلا أن تتجمع وتتسكتل وتتناسى كل شيء إلا أن تنصهر في بوتقة الإصلاح والإصلاح ، وقعتكف في محراب العمل والإنتاج .. إنهم إن فعلوا كان الخير للدين ، وكان النصر للدين ، وكانوا أزهرين مثاليين .. والله ولي التوفيق .

محمد الأسدي أبو النور

كلية أصول الدين



## ٢ - المساواة في الاسلام

المساواة أن يشعر كل فرد أنه مساو لآخره في الحقوق والواجبات ، ولقد هز محمد عليه السلام ، العالم بالنداء بها هزاً حتى زلزل على أصحاب العروش عروشهم ، وأذل المتطاولين بجاههم وسلطانهم ، لأن الناس جميعاً في ذلك الوقت كانوا على خلاف الفطرة .

أراد الإسلام أن يثبت المساواة ، وأن يزيل الفوارق بين الناس ، فأبان لهم أن التمييز إنما يكون إذا اختلف الأصل الذي منه خلقوا ، ولكن الأمر بالعكس فالأصل واحد .  
« يا أيها الناس كلكم لآدم و آدم من تراب » .

وإذا كان لا بد أن يتفاخر الناس فيما بينهم ، فهناك سبيل الخير والتقوى والعمل الصالح ،  
« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وبلغ من حرص الرسول في تحقيق هذا المبدأ ، أن طبقه على نفسه يوم بدر حينما وكز رجلاً خرج عن الصف فقال الرجل : « آلمتني يا رسول الله » ، فتقدم إليه الرسول وناولوه الجريدة ، التي وكزه بها وقال له : « اقتص مني » .

وأمر المؤمنين عمر بن الخطاب يوم أن وقعت بالمسلمين مجاعة في عهده فامتنع أن يذوق الشهى من الطعام حتى اسود لونه وضعفت صحته .

لقد ظن من لا معرفة له برسالة الإسلام ، أن الدعوة إلى المساواة من فضائل الغرب ، فأين تقرير الإسلام لمبدأ المساواة من تمييز الغرب بين بني الإنسانية في ألوانهم وأوطانهم وأجناسهم ! هذا مع سبق الإسلام إلى هذه الفضيلة وجده في تحقيقها .

واليوم ، وقد تطهرت مصر من عوامل الفساد نهيب بقادة الثورة أن يحققوا هذا المبدأ الإسلامى بين جميع طبقات الأمة مهما كلفهم ذلك من جهد ، فبتحقيقه تطهر الصدور من الإحـن ، وتعيش الأمة عيشة الأسرة الواحدة في إخاء وتعاون وتنعم بعيش رغد .

عبد الرحمن شمس الدين

طالب بمعهد القاهرة الثانوى

# الكتب

## السجل الثقافى فى سنة ١٩٥١

إدارة التسجيل الثقافى — ٥٣٣ ص — المطبعة الأميرية

نوهنا فى العام الماضى ( ص ٥٠١ ) بهذا الكتاب السنوى الحافل الذى تصدره إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف العمومية وتؤرخ فيه حركة الطباعة والنشر والصحافة والمحاضرات والهيئات والمؤتمرات والتعاون الثقافى والمهرجانات والمسابقات والمتاحف والحفائر والمعارض والمسرح والسينما .

وقد أهدي إلينا الآن المجلد الرابع من هذا السجل وفيه التنويه بما نشر فى مصر سنة ١٩٥١ من الكتب المؤلفة والمترجمة مرتبة على العلوم وملحقا بها كتب السلام وكتب الطفولة ، وختم الباب بإجمال ومقارنة من سنة ١٩٤٨ لغاية سنة ١٩٥١ .  
ويلى باب الكتب الرسائل الجامعية ، وهى رسائل الدكتوراه والماجستير فى كليات جامعة فؤاد وجامعة الإسكندرية .

وبالباب الثالث عن دور الكتب العامة ومكتبات الجامعات والمعاهد العليا ومكتبات الهيئات الحكومية والهيئات الحرة .

وبالباب الرابع لدور النشر فى مصر . والخامس للصحف والمجلات . والسادس للمحاضرات والسابع للإذاعة . والثامن للهيئات . والتاسع للمؤتمرات . والعاشر للتعاون الثقافى . والحادى عشر للمهرجانات والمسابقات . والثانى عشر للمتاحف . والثالث عشر للحفائر . والرابع عشر للمعارض . والخامس عشر للمسرح والسينما .

وقد امتاز هذا الجزء من السجل الثقافى بزيادة فهرس جديد لأسماء الكتب الموصوفة فيه مرتب ترتيبا هجائياً .

## أيام الكويت

للأستاذ أحمد الشرباصى - ٤٤٥ ص - مطابع دار الكتاب العربى

قضى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى العام الدراسى الماضى فى ربوع الكويت مبعوثاً للأزهر الشريف هناك ، فكان من ثمرات هذه الرحلة العلمية هذا الكتاب الحافل عن ذلك البلد الطيب ، وقد جمع فيه بين رواية التاريخ ووصف المشاهدة ولحمة الذكرى .

ويقول المؤلف فى وصف الكويت إنها الآن فى مفترق الطرق : كانت بالأمس تجاهد فى سبيل الحياة صابرة بما تهيأ لها من وسائل أو أسباب ، ثم تفجّر فيها ينبوع الثروة النفط ، فتفتحت أمامها أبواب النهضة ، وأسرف فى تزيين الدعاوى لهذه النهضة من أسرف ، وحدا ركبها بحسن الظن وصدق التوجيه وتوقع الخير وتجنب الشر من حدا ، والله المسئول أن يجعل مستقبلاً أكثر مما عليه حاضرها من خير وتعمير .

والكتاب بما اشتمل عليه من مئات الصفحات سجل حافل بكل شئ عن الكويت فى ماضيها ، وحاضرها ، ومصوراً مفصلاً .

وقد يستطرد لفوائد ومعارف تزيد الكتاب قيمة . وفضيلة المؤلف معروف بنشاطه وبلاغته وفضله .

## خواطر فى الأدب

ودراسة نصوصه ونقدها

جمعية التمدن الإسلامى بدمشق - ٨٠ ص - مطبعة الترقى بدمشق

كتيب لطيف للأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس تحرير مجلة التمدن الإسلامى بدمشق ، تكلم فيه عن الأدب وإصلاح المجتمع ، وعن جمال الأسلوب ، ودراسة النصوص الأدبية ، وعن البحترى فى وصف إيوان كسرى ، وابن الرومى فى رثائه مدينة البصرة عند نشوب ثورة الزنج ، ثم الموازنة بين رثاء ابن الرومى للبصرة وقصيدة شوقي القافية فى نسكبة دمشق ، وختم الكتاب بفصل فى النقد الأدبى ، وآخر فى الذوق والنقد الأدبى ، ومثل هذه الفصول مما يحتاج إليه شباب المتأدبين عند دراستهم الأدب فى المدارس .

## ذكريات مستشار سابق

للأستاذ السيد محمد شريف — ١٢٨ ص — المطبعة السلفية

لو أن كل من اجتاز طريق الحياة من أهل العلم والفضل ، دون لمن بعده أهم ما لاحظته في مراحل العمر . لكان للخلف ثروة أدبية من تراث آبائهم تربو على موارث المادة . والمستشار السابق الأستاذ محمد شريف ، أحد الذين قاموا بذلك فنشر هذا الكتاب اللطيف عن ذكرياته منذ كان طالباً في الحقوق إلى أن أكمل معظم الشوط في سبيل الحياة . وأكثر ذكرياته تدور حول بحوث علمية ، وذكريات إسلامية ، ومناقشات اجتماعية وأدبية ودينية ، ومقتبسات من مصادر شرقية وغربية وقد بلغت بضعة وعشرين فصلاً . وكان قد حاضر ببعضها في بعض الجمعيات الإسلامية ، ونشر بعضها في صحف أدبية . ثم رأى أن يجمعها في هذه الرسالة ، فأحسن بذلك ، أحسن الله إليه .

## أبو علي بن سينا

نبذة من حياته السياسية

دار منشورات البصرى — ٨٠ ص — مطبعة أسعد بيغداد

ألف هذه الرسالة باللغة الفارسية رحيم زاده صفوى أستاذ الأدب الفارسي في جامعة طهران ، ونقلها إلى العربية السيد علي البصري بالبصرة ، ونظر فيها وكتب حواشيها ورد ما فيها من الأوهام ، الأستاذ العبقري الفاضل السيد محمود الملاح ، وهذه الرسالة قد لا تفيد القارىء علماً محضاً عن حياة ابن سينا بقدر ما تفيده علماً بالعقلية المتقلبة على المشتغلين بالعلم والمنسويين إليه إذا لم يكن اشتغالهم بالعلم لأجل العلم ، حتى لو بلغوا فيه مرتبة التدريس في جامعة كما هي حال مؤلف هذه الرسالة الذي اتخذ من حياة ابن سينا ذريعة لبث آراء غير ناضجة ، ودعاوى لا يقيم الأدلة عليها ، مع ادعاء نصوص غير معزوة إلى مصادر محترمة . ولذلك اضطر الأستاذ الملاح إلى التعليق على أكثر ما ورد فيها مما يحتاج إلى تصحيح . وقد أحسنت دار منشورات البصرى بالاستعانة بهذا الفاضل الغيور على العلم ، فجاءت تعليقاته خيراً من الأصل وأنفع .

# الأدب والعمل في شهر

بالعباسية وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على أن تقام هذه المدينة على مساحة قدرها خمسة وعشرون فدانا على أن تستوعب ستة آلاف طالب من طلبة الأزهر والبعوث الإسلامية

## اشترك رجال الأزهر

في الرقابة على الأفلام

اهتمت مشيخة الأزهر بما تعرضه بعض دور السينما في مصر من الأفلام التي تتعرض للنواحي الدينية ، أو التي تمس الأخلاق والآداب العامة ، فكتبت إلى الجهات المسئولة في هذا الشهر طالبة إليها أن تبحث الأفلام قبل عرضها بحثاً دقيقاً ، بحيث يمنع منها ما يشتمل على دعاية دينية تتنافى مع تعاليم الإسلام أو مبادئ الأخلاق، وملاحظة عدم عرض ما سبق عرضه منها في مصر .

وقد تلقت المشيخة من تلك الجهات ما يفيد أنها معنية أشد العناية بهذه الناحية حريصة على ألا يمس الإسلام من قريب أو بعيد . هذا ، وقد تم الاتفاق بين الأزهر والجهات المختصة على اشتراك اثنين من رجال الأزهر في أعمال الرقابة على السينما لأداء هذه المهمة

## المصطلحات الفقيرية والمصطلحات القانونية

اعتذرت الحكومة العربية السعودية إلى الجامعة العربية عن الاشتراك في أعمال اللجنة القانونية المنوط بها بحث مشروع توحيد المصطلحات القانونية ، لأنها تعمل بمصطلحات الفقه الإسلامي ، ولا تأخذ بالتشريع الوضعي .

كرسى الآداب العربية في كبري مرج  
خطب الاستاذ آربرى ( أستاذ الآداب العربية في جامعة كبريدج ) عن الاستشراق ولا سيما في إنجلترا ، فكان مما قاله : إن كرسى الآداب العربية الذي يتشرف بالجلوس عليه أنشئ أول ما أنشئ سنة ١٦٣٢ ( أى قبل أكثر من ثلاثمائة سنة ) وإن كرسى الآداب العربية في أكسفورد أنشئ بعد ذلك بأربع سنوات .

## مدينة الأزهر بالعباسية

اجتمع فضيلة الاستاذ الاكبر بالمهندس مندوب شركة المساكن الشعبية وبالأستاذ المشرف على مشروع مدينة الأزهر الجامعية

## الازهر في البرلمان التركي

تقدم نائب تركي باقتراح إلى البرلمان بأن يعنى الطلبة الاتراك في الازهر من الخدمة العسكرية في مدة دراستهم أسوة بزملائهم الطلاب في جامعات أخرى .

وأحيل الاقتراح إلى لجنة العرائض فأقرته .  
ولما تلى قرار اللجنة في البرلمان نهض وزير المعارف فقال : إننا نعرض على هذا القرار ، وكانت حجته والمعلومات التي أدلى بها هي أن في الازهر ٨٤ طالبا تركيا منهم ٢٩ يحملون القراءة والكتابة ( واهله يريد أنهم يحملونها بالحروف اللاتينية ، ومع ذلك فإن هذا الامر مستبعد ) وقال إن ٢٨ منهم حازون على شهادة التعليم الابتدائي فقط ( ومعنى هذا أنهم في القسم الثانوي من الازهر ) . وقال إن نظام الدراسة في الازهر للمصريين يختلف عنه بالنسبة لغير المصريين . وإنه ليس في الازهر نظام للامتحانات ، ولجنة الامتحانات هي التي تقرر نوع الامتحانات ومادته ووقته . ونظام الانتساب لغير المصريين غير مقيد بشروط من سن أو شهادات مؤهلة .

وعقب عليه مقرر اللجنة السيد أحمد كوركان فقال إنه اطلع بنفسه على حالة الجامعة الازهرية عند زيارته لمصر ، فالازهر لا يقل شأنًا عن الجامعات العالمية الأخرى ، وقد اتضح لي من دراستي لأوضاع هذه الجامعة أن مكاتها العلمية أرقى بكثير من عدد كبير من الجامعات

المنتشرة في أنحاء العالم ، وفيها بعثات من دول راقية ، وتدرس فيها جميع اللغات الحية .  
ورد عليه النائب وصفي ماهر فوصف الازهر بأنه يمثل الجبل الأسود ، وطالب بالألأ يسمح لأحد من الاتراك بالالتحاق به ، وعلى الراغبين من الترك في الدراسات الإسلامية أن يتلقوها في الجامعات الأوروبية .

فرد عليه النائب علي فخري قائلا :  
« إن شبابنا يذهبون إلى مصر ليتلقوا دروس التربية المفقودة في تركيا ، وما كاد يعلن ذلك حتى عم المهرج والمرج قاعة البرلمان ، وأجبروه على النزول من منصة الخطابة ، وأعلن رئيس المجلس أن هذا الكلام إهانة موجهة إلى تركيا ونهض بعده النائب السيد عبد الله أيتمين فقال : إن الانقلاب التركي الحديث كان انقلابا واقعيا ، فكان علينا أن نقوم إلى جانبه بانقلاب ديني فنؤسس جامعة بجامعة الازهر تخرج شبابا يرعون شئون الدين . ولسكننا عملنا عكس ذلك فألغينا تدريس الدين وقضينا على رجاله ، ولم يستفد من عملنا هذا إلا الأساقفة ودعاة المسيحية . وها هو أحد نوابنا يقترح تعليم أبنائنا الإسلام في أوروبا .

ولما قال ذلك رد عليه الرئيس وأنذره بمنعه عن الكلام . واحتكم النائب إلى المجلس فأبيح له الكلام ولكن الرئيس رفع الجلسة . ولما أعيد انعقادها انصرفت الأكثرية ولم يكتمل النصاب القانوني .

## أبناء تركيا من الرعاية .

« إن هذه المسألة ما كانت لنتحتاج إلى رد على جماعة ذات أغراض ، لأن رسالة الأزهر معروفة للجميع ، وأين هي الجامعات التي تؤدي رسالة الأزهر؟ هل يقصدون الجامعات الأوروبية كالسوربون وغيرها وهي مهد الأديان غير الإسلامية أم ماذا؟ وهل تستطيع مثل تلك الحملة أن تؤثر على الشعب التركي المتدين ليتحول بأبنائه ( الذين يريد لهم ثقافة إسلامية صحيحة ) إلى معاهد غير المعاهد الإسلامية ليتزود فيها بثقافة إسلامية كما يريد هذا النائب الذي يريد تحويل الشباب التركي إلى جامعات أوروبا ليتعلموا الدين الإسلامي؟ »

« لقد زرت تركيا أنا وأولادي في سنة ١٩٤٣ ووجدنا الدين منتشرًا في تركيا ، ووجدت في وقت الصلاة يقف الموظف في جوار الصانع والعامل والجندى في صفوف متراصة . ووجدت في بعض الجوامع من الخلف دواوين محجوزة تصلى فيها النساء ، ولذلك تركت حرمي في هذا المكان مع المصليات المحشمات ، وذهبت أنا إلى صفوف الرجال الأولى .

« وأخيراً إذا أراد إنسان أن يعرف نظم الأزهر وبرامجه ومناهج دراساته وامتحاناته فلا يعجز أن يحصل على مطبوع من المطبوعات الأزهرية ليعرف منها قيمة تلك الادعاءات والمفتريات على الأزهر ونظامه ،

## الأستاذ الأكبر

يضع الحقائق في موضعها

لما وصلت إلى مصر أخبار المناقشة التي دارت في برلمان تركيا عن الأزهر والطلبة الأتراك المشمولين برعايته ، قابل مندوب ( المصري ) حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وعرض ذلك عليه ، فقال فضيلته :

« المعروف في كل العالم أن الأزهر جامعة إسلامية منظمة تدرس العلوم على اختلافها في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي والخصصات . وهو يفتح أبوابه لجميع الراغبين في ثقافته . وفي الأزهر نظام تعليمي يقضى بتحديد سن من ينتسبون إليه ، ولا يمكن لطالب أن يلتحق من سنة إلى سنة إلا بعد أن يجتاز بنجاح امتحانا تحريرياً وشفوياً في العلوم المقررة ، ولا يستطيع أن يتأهل الشهادات التي تمنح له إلا إذا نجح في امتحان تلك الشهادة .

« إن أبناء تركيا عندنا يلقون من الأزهر كل معونة ومساعدة ليستطيعوا مواصلة دروسهم حتى يكونوا رجالاً بمعنى الكلمة ، ومنهم مدرسون الآن في الأزهر بجميع فروعها ، ولهم رواق خاص بهم ، ورسالة الأزهر معروفة في جميع العالم الإسلامي وغيره ويؤمن بها الجميع . ولا يليق أن يوصم الأزهر بهذه الوصمة الشائنة . ويدحض تلك المزاعم ما هو موجود فعلاً في الأزهر وما يلاقه

### مكتبة جامعة القاهرة

كان عدد مجلدات جامعة القاهرة في سنة ١٩١١ لا يزيد على ١٠٠٠٠٠ مجلد ، فبلغ الآن ٥٠٠٠٠٠ مجلد . وهي بالعربية وبلغات أخرى شرقية وغربية تزيد على عشرين لغة .

وما ضم إليها من المكتبات الخاصة بمجموعات إبراهيم حلي ، وطبيب العيون مايرهوف ، والمستشرق الألماني زيبولد ، ومجموعة زينكر . وتعتبر مكتبة المستشرق زيبولد أكمل مجموعة في الدراسات الإسلامية والشرقية ، وقد اشتريت عام ١٩٢٩ .

وللمكتبة العامة فروع في كليات : الحقوق والعلوم ، والتجارة ، والهندسة ، والطب ، والطب البيطري ، ودار العلوم ، ومعهد الآثار ومعهد الأرصاد ، ومعهد علوم البحار ، ومعهد السودان . ويبلغ ما في هذه المكتبات ٢٠٠ ألف مجلد .

وقد زيد في اعتماد مكتبة الجامعة بميزانية هذا العام أحد عشر ألف جنيه دفعة واحدة .

### استفتاء الطلاب الشرقيين

من شرط السن

وافق مجلس الوزراء المصري على مشروع قانون بشأن إعفاء الطلاب الشرقيين من

شرط السن المقررة للقبول بالمعاهد المصرية وهذا القانون ينص على أنه يجوز لوزير المعارف أن يستثنى طلاب البلاد الشرقية من شرط السن المقررة للقبول بكافة المعاهد المصرية ، ولوزير أن يصدر القرارات اللازمة لتنفيذه .

### الامتحانات الأزهرية

يبدأ الامتحان التحريري للنقل في الدور الأول بالسكليات الأزهرية يوم السبت ١١ شوال ( ١٢ يونيه ) ، وللشهادات العالية والعالمية مع الإجازة يوم السبت ٢٥ شوال ( ٢٦ يونيه ) ، على أن يبدأ الامتحان الشفوي في النقل يوم ٥ شوال ( ٦ يونيه ) ، والامتحان الشفوي في الشهادات بعد التحرير مباشرة . ويبدأ امتحان النقل في الدور الأول للأقسام الابتدائية بالمعاهد الدينية وقسم البعوث الإسلامية يوم الاثنين ٦ شوال ( ٧ يونيه ) ، وفي الأقسام الثانوية منها يوم ١١ شوال ( ١٢ يونيه ) .

أما الشهاداتتان الابتدائية والثانوية فيبدأ امتحان الدور الأول فيهما يوم السبت ٢٥ شوال ( ٢٦ يونيه ) . وامتحان النقل في الدور الثاني للأقسام الابتدائية والثانوية يوم ٢٩ ذى الحجة ( ٢٨ أغسطس ) ، وامتحان الابتدائية والثانوية يوم ١٣ المحرم ( ١١ سبتمبر ) .



# إنشاء العمل الإسلامي

## العربية لغة المسلمين

قال الدكتور اشتياق حسين القرشي وزير المعارف الباكستانية وهو يفتح مركزاً في العاصمة ( كراتشي ) لتعليم الصدية والفتيان اللغة العربية إنه يقترح أن تكون العربية هي اللغة المشتركة لجميع البلاد الإسلامية على اختلاف لغاتها، فإن المسلمين أمة واحدة هي د ملة الإسلام ، واختلافهم في لغاتهم لا يقف عقبة دون تحقيق هذه الوحدة .

وقد أنشئت عشرة مراكز لتعليم العربية إلى الآن في كراتشي وحدها .

## الرعاية للحطام

في خطبة الجمعة

تلقى مكتب وزير الأوقاف كتاباً من رئاسة مجلس الوزراء جاء فيه :

« لاحظ السيد الرئيس أثناء الصلاة في المساجد أن الخطيب عند ما يدعوا قائلاً اللهم وفق أولي الأمر منا ، يردد المبلغ عبارة « آمين اللهم وفقهم آمين » . ولما كانت هذه العبارة الأخيرة لا تمت إلى السنة بشيء وما هي إلا بدعة دينية فترجو التكرم باتخاذ اللازم نحو إلغاء هذه البدع . »

ولما تلقى وزير الأوقاف هذا الكتاب لاحظ مع المسؤولين بالوزارة أن الدعاء للحاكمين نفسه أمر مبتدع ، وقد اتخذ الناس سيلاً إلى الملق غير المشروع . وعلى ذلك عقد المسؤولون في قسم المساجد اجتماعاً قرروا فيه هذه الصيغة :

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنينا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر . ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم . »

## التماثيل في مصر

قال السيد الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب وهو يتفرج على تمثال الحرية المصنوع من الخشب :

« إنه تقرر عدم إتفاق أى مبلغ في صنع أى تمثال ينصب في الميادين . »

## بعثة يمنية

وصلت إلى القاهرة من صنعاء بعثة يمنية مؤلفة من ٣٣ طالباً لتلقى العلم في المدارس الثانوية على نفقة الحكومة المصرية .

### الجمهورية السورية

كان العقيد أديب الشيشكلى آخر رؤساء الجمهورية السورية قد اعتقل ساسة سوريا وزعماء أحزابها في الشمال والجنوب ، وأعلن الأحكام العرفية في كثير من بلاد الجمهورية ثم فوجيء بانتفاض رجال الجيش وقواته في الشمال على الأوضاع التي اعتبروها في غير مصلحة الأمة ، وكان أعيان البلاد وجهاءه الشعب مؤيدين للحركة التي كانت محكمة وقوية فاضطر أديب الشيشكلى إلى التخلي عن سلطاته كلها والتجأ إلى السفارة العربية السعودية ، فوضعت الحكومة السعودية تحت تصرفه طائرة نقلته إلى بيروت في طريقه إلى المملكة السعودية ليسكون فيها لاجئاً سياسياً .

ولما كان الدستور القائم الذي جدد في عهد الشيشكلى يقضى بأن يقوم رئيس مجلس النواب بمهمة رئاسة الدولة إلى أن تختار البلاد رئيساً آخر ، فقد عارض الشعب في العمل بذلك لأن مجلس النواب لم يتألف بإرادة الأمة ، ولأن الدستور القائم أريد به غير مصلحة الأمة ، وقد وقعت بعض الاصطدامات في دمشق بسبب ذلك . فبادرت القوات العسكرية في الشمال بإرسال كتائب من حصص وغيرها إلى دمشق ، وقبض على بعض الضباط من المتنفعين في عهد الشيشكلى ، وبذلك استتب الأمن . ونكتب هذا عند وصول السيد هاشم

الأتاسى رئيس الجمهورية الأسبق إلى دمشق ، والمنتظر أن يتولى رئاسة الجمهورية السورية مؤقتاً إلى أن تجدد الانتخابات لتأليف مجلس نيابي جديد ثم ينتخب رئيس الجمهورية الأصل .

### هزيمة مصر للسودان

بمناسبة الاحتفال بافتتاح البرلمان السودانى رأت الحكومة المصرية أن تقرن هذه الذكرى السعيدة بعربون حهبها لتقوية السودان بأن تهدي إلى مواطنيها في الجنوب خمس طائرات جديدة للتدريب على فن الطيران ، وأن تقدم الأسلحة اللازمة لآلاف جندي سودانى .

### في اليمن

عادت من اليمن بعثة الجامعة العربية برئاسة أمين الجامعة ، وقد صرح أمين الجامعة لجريدة الجمهورية بأن الموقف في اليمن يتلخص في حوادث الحدود ، ومسألة الاتحاد الذي تسعى إليه بريطانيا . وقال : وقد تناول حديثنا مع حاكم عدن هاتين النقطتين .

إن حكومة عدن أعدت مشروعاً للاتحاد ، وعرضته على السلاطين فوعدوا بدرس الموقف وقد أرسل إليهم المشروع ولم يردوا عليه بعد وقدل المعلومات التي وصلت إلينا على أن أكثر السلاطين لا يوافقون عليه .

ثم وصف أمين الجامعة أهل اليمن ، فقال : إنهم أولو بأس شديد ، والأمن ناشر رواقه في بلادهم .

### تحسين ميزانه مصر التبارى

قال نائب رئيس الوزراء للشئون المالية المصرية : إن اختلال الميزان التجارى فى سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ و ١٩٥٢ أدى الى استنزاف أرصدتنا من العملة الأجنبية . وقد بلغ العجز فى ذلك الميزان فى تلك السنوات ٣٨ مليون جنيه و ٣٩ مليون و ٧١ مليوناً على التوالى ، نتيجة لتدخل الحكومة فى سوق القطن و شرائها كميات منه بأسعار مصطنعة تعلو على مستوى الأسعار العالمية ، وبقي تيار الاستيراد ومدفوعات العملة الأجنبية مستمراً نتيجة لاستمرار الناس فى الإنفاق مما حصلوا عليه من أثمان عالية لأقطانهم فأصبح من الضروري أن نعمل لتلافي أسباب الخلل بزيادة الصادرات وتقليل الواردات .

فبلغت سياستنا ما استهدفت من زيادة تصريف القطن فى نهاية عام ١٩٥٣ نحو ٢٣ مليون جنيه . على حين أنه فى الربع الأخير من سنة ١٩٥٢ فقد رصيدنا من الاسترلينى واضطررنا لأن نشترى ٤ ملايين من الجنيهات دفعنا ثمنها دولارات لنواجه بها المدفوعات الجارية . وهكذا بلغنا ما كنا ننشده من إعادة التوازن إلى ميزان مدفوعاتنا

### اصحح الزراعى ونتأجب

يتبين من إحصاء سنة ١٩٤٧ أن عدد

الذين كانوا يملكون أكثر من ألفى فدان ٦٠ شخصاً ، والذين يملكون من ١٥٠٠ فدان إلى ٢٠٠٠ يبلغون ٦٨ شخصاً ، والذين يملكون من ١٠٠٠ فدان إلى ١٥٠٠ يبلغون ١٢٢ شخصاً ، والذين يملكون من ٨٠٠ فدان إلى ١٠٠٠ يبلغون ١١٢ ، والذين يملكون من ٦٠٠ فدان إلى ٨٠٠ يبلغون ١٧٧ شخصاً والذين يملكون من ٤٠٠ فدان إلى ٦٠٠ يبلغون ٤٦٢ ، والذين يملكون من ٢٠٠ فدان إلى ٤٠٠ يبلغ عددهم ١١٠٢ . وهذه القلة القليلة التى يبلغ مجموع عددها ١٨٥٣ شخصاً هى التى كانت مسئولة على الأراضى الزراعية فى الوطن المصرى ، بينما الذين يملك الواحد منهم من نصف فدان إلى خمسة بلغ عددهم ١٠٢٠١٠٢٨٥

فلما قيض الله لمصر العمل بقانون الإصلاح الزراعى فى هذا العهد تفتحت الأبواب أمام المحرومين لأن يملكوا بجهودهم وفى سعة من الوقت المقدار المجزى من الأرض الزراعية لأن يعيشوا به المعيشة اللائقة بالمواطن الكريم ، وسيكون من أول نتائج ذلك أن يزداد عدد الطبقة الوسطى من سكان مصر ، والطبقة الوسطى هى التى يتألف منها أهل السلامة والخير فى كل زمان ومكان .

## مسلمو نيجيريا

يقول الحاج محمد أمين القديس أحد زعماء نيجيريا ومؤسس حزب المؤتمر الإسلامي فيها : إن تعداد سكان نيجيريا ٣٢ مليوناً ، المسلمون منهم خمسة وعشرون مليوناً ، فهم الاغلبية في تلك البلاد .

## سبب الحرب العالمية الثانية

كان فون ريبنتروب ( وزير خارجية هتلر السابق ) يكتب شذرات من مذكراته وهو في السجن أثناء محاكمت نورمبرج سنة ١٩٤٥ وقد قامت زوجته بجمع هذه الشذرات ونشرها في كتاب ظهر في مدينة ( بون ) أخيراً ، ومما جاء فيه عن سبب نشوب الحرب العالمية الثانية أن الرئيس روزفلت والدولة البريطانية كانا يرغبان في المحافظة على توازن القوى في أوروبا ، وأن الحرب بدأت لأن إنجلترا كانت مصممة عليها حتى لا تسترد ألمانيا مركزها كقوة دولية .

## ناقصات البترول السعودية

كان موقف إيران من نقل بترولها بعد تأميمه موقف عجز وفشل ، لأن إيران لم يكن لها من ناقلات البترول ما تستعين به على تصديره إلى الخارج ، فكان من ذلك عبء وعظمة للمملكة العربية السعودية ، ولذلك عقدت اتفاقاً مع صاحب إحدى الشركات

الملاحية الكبرى في الأرجنتين على إنشاء أسطول للنقل البحري مؤلف من ثلاثين سفينة ترفرف عليها الاعلام السعودية لنقل ما تنتجه آبار الظهران من البترول السعودي إلى أنحاء العالم . وقد تم عقد هذا الاتفاق بعد استشارات قانونية تأكدت منها الحكومة السعودية بأن هذا الاتفاق لا يعارض حق الامتياز الممنوح للأمريكيين . هذا وقد ترتب على إنشاء هذا الاسطول الذي أطلق عليه اسم ( شركة ناقلات البترول السعودية ) أن شرعت الحكومة السعودية في تأسيس معهد بحري في جدة لتخريج الضباط والمهندسين العرب للعمل في هذه السفن ليصبح الاسطول في المستقبل القريب عربياً صمياً . وبذلك خرجت البلاد العربية من العزلة الاقتصادية إلى ميدان جديد من ميادين الحركة والعمل العالمي .

## عضو بالبرلمان الصيني

يطلب أجازة من الأزهر

أذنت مشيخة الأزهر ، للسيد حبيب الله وونج بي ، عضو برلمان الصين الوطنية بفرموزا والطالب بالأزهر ، بإجازة مدتها ثلاثة أشهر ليتسنى له حضور جلسات البرلمان التي تبدأ في يوم ١٩ الجاري .

ومما يذكر ، أن العضو المذكور أحد ١٧ نائباً مسلماً في هذا البرلمان ، يمثلون ٦٠ مليون مسلم في هذه البلاد .

## فهرس

## الجزء السابع — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بقة
٧٦٩	تاريخنا . . . . .	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧٧٦	ففحات القرآن : طالوت وجالوت — ٢ . . .	» عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٧٨٢	السنة : اشفعوا تؤجروا . . . . .	» طه محمد الساكت المفتش بالأزهر .
٧٨٨	الفتاوى . . . . .	.....
٧٩٦	موقف الاسلام من التغيرات التي يمر بها العالم	حديث للاستاذ الأكبر . . . . .
٨٠٠	الدخيل وكتب التفسير — ٤ . . . . .	الاستاذ محمد محمد أبو شمسة . . . . .
٨٠٦	محنة الادب . . . . .	» أبو الوفا للرافعي . . . . .
٨٠٩	اتفاق الخواطر في الشعر . . . . .	» عبد الحميد محمود المسلوت . . . . .
٨١٥	من أعماق الماضي . . . . .	» محمد خليفة . . . . .
٨١٩	الدعوة إلى الاسلام في الخارج . . . . .	حديث للاستاذ الأكبر . . . . .
٨٢٢	لغويات . . . . .	الاستاذ محمد علي النجار . . . . .
٨٢٧	النار في نظر الاسلام — ٢ . . . . .	» أحمد الشرباصي . . . . .
٨٣٢	إلى حضرات القراء . . . . .	» المجلة «
٨٣٣	للمؤلفة قلوبهم . . . . .	» محمد جمال الدين محفوظ . . . . .
٨٣٧	فسكرة ومنهج . . . . .	الاستاذ أحمد كمال زكي . . . . .
٨٤٤	السكتب والمناهج الأزهرية . . . . .	» ابراهيم أحمد الوقفي . . . . .
٨٤٨	علماء الأزهر واتصالهم بالمجتمع . . . . .	حديث للاستاذ الأكبر . . . . .
٨٥٠	الحسن البصري . . . . .	الاستاذ محمود النواوي المفتش بالأزهر .
٨٥٤	لو رضى الناس . . . . .	» علي العماري . . . . .
٨٥٧	حول الفن القصصى في القرآن . . . . .	» أحمد الشايب . . . . .
٨٦١	في ركاب أبي بكر وعمر . . . . .	المجلة
٨٦٢	موقف رجال الدين من السينما . . . . .	»
٨٦٤	رد على رد (حول خرافة الميثاقية) . . . . .	»
٨٦٥	تفسير بيت من شعر جاهلي . . . . .	الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي . . . . .
٨٦٧	الأزهر والحياة . . . . .	محمد الاحمدى أبو النور . . . . .
٨٦٨	للساواة في الاسلام { مقتطفات	عبد الرحمن شمس الدين . . . . .
٨٦٩	السكتب . . . . .	قل التحرير
٨٧٢	الادب والعلوم في شهر . . . . .	»
٨٧٦	أبناء العالم الاسلامي . . . . .	»

# عاهل الجزيرة العربية

يؤدى صلالة الجمعة بالجماع مع الأزهري



# عاهل الجزيرة العربية

## يؤدى فريضة الجمعة بالآزهر

فى يوم الجمعة ٢١ رجب سنة ١٣٧٣ ( ٢٦ / ٣ / ١٩٥٤ ) أذى حضرة صاحب الجلالة ( سعود بن عبد العزيز ) ملك المملكة العربية السعودية يصحبه السيد الرئيس اللواء أركان الحرب ( محمد نجيب ) رئيس الجمهورية فريضة الجمعة بالآزهر .

وعند وصول جلالته إلى المسجد استقبله حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وحضرات أصحاب الفضيلة أعضاء جماعة كبار العلماء وأعضاء مجلس الأزهر الأعلى وشيوخ السكليات والمعاهد .

بينما امتلأ المسجد بعشرات الآلاف من العلماء والطلاب ومختلف الطبقات الذين استقبلوا جلالته بالتكبير والتهليل .

وقد ألقى خطبة الجمعة فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء وشيخ مذهب الحنابلة .

وبعد انتهاء الصلاة تفضل جلالة الملك فصافح فضيلة الأستاذ الخطيب مهتأ ، وأبدى إعجابه وسروره بالمعاني التي تضمنتها الخطبة ثم قال جلالته : ( أكثر الله من أمثالكم ونفعنا بعلومكم ) .

وهنا تقدم فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وصافح جلالة الملك وقال : ( فضيلة الخطيب هو الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء وشيخ مذهب الحنابلة ) فكرر جلالة الملك سروره وإعجابه ، ثم تفضل جلالته وخلع على فضيلة الشيخ السبكي الخلعة الملكية وألبسها لفضيلته بنفسه ، فشكر الأستاذ جلالته هذا التكريم .

ثم قدم فضيلة الأستاذ الأكبر إلى جلالة الملك ( المصحف الشريف ) هدية من الأزهر وذكرى لهذه الزيارة السعيدة قائلاً : ( هذه هدية الأزهر ، وهي خير هدية يقدمها مسلم لمسلم ) فقال له جلالته : أنا شاكر لكم هذه الهدية ، وأسأل الله تعالى أن يجمعنا على ما في كتاب الله ، وأن يوفقنا جميعاً لحسن العمل بما فيه .

وفما يلي النص الكامل لخطبتي الجمعة :



# الاسلام

## دين الاتحاد وحسن المعاملة

الحمد لله الذى أنزل القرآن هدى للعالمين ، فيه موعظة للمتقين ، وتنبية للغافلين ، وذكرى تنفع المؤمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، أوجب علينا فى محكم آياته أن نكون فيما بيننا متحدين ، كما فرض علينا أن نكون له عابدين مخلصين ، فقال عز شأنه : — « وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأمرنا أن نعبد عبده ورسوله ، أمرنا أن نعيش أوفياء مخلصين ، وإخوانا متحابين ، فقال : « توادوا تحابوا » .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ، وعلى جميع النبيين ، واجعلنا من الناهجين منهج سنته ، حتى نكون من المفلحين .  
عباد الله :

كانت الحياة الاجتماعية قبل الإسلام فى عثرات متتابعة ، تسودها نوازع الشر ، ويتغلغل فيها القلق ، ويتدافع الناس فيها وراء غايات وهموات .

وحظهم فى دنياهم أن يتغلب قوى ، ويظلم ضعيف ، وكانت رسالات الانبياء تشرق على الناس من حين إلى حين ، فيستجيب لها أناس من هدى الله ، ويعرض عنها آخرون ، وما يزال المعرضون فى لجاج من الخصومات ، وإيقاظ للفتن ، حتى تدور عليهم دائرة بغيهم ، يأخذهم الله بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون .

« فكلما أخذنا بذنبه ، فنهى من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كانت الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

ولما أذن الله سبحانه أن يرفه عن الإنسانية شقوتها ، ويستيق للأرض عمارتها ، وللدنيا بهجتها ، بثق نور الهداية الخالدة ، من شعاف الجبل فى مكة ، واختار من العروبة المجادة ،

خاتم رسله : محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، في الاولين وفي الآخرين .  
( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) .

تلقى دعوة القرآن ، فهب في قومه يحمل لواء السلام ، ويدعو إلى الوئام ، ويبلغ عن الله آياته ، ويردد نصحه وعظاته ، حتى تهيأ له بعد صبر وجهاد ، ومصابرة وجلاد ، أن يبين لقومه المحجة ، ويقنعهم بالحجة ، ويجمع من الاشتات أمة متماسكة ، وينظم في العرب باكورة دولة متناسقة .

واتصلت أجداد العربوة في ماضيها ، بعظمة الإسلام في حاضرها ، وأصبحت أمة محمد كما وصفها الله في كتابه خير أمة أخرجت للناس .

وقام فيها الإخاء في الدين ، مقام الإخاء في الفسب ، وتلاشت عصبيات العشيرة ، وانعقدت أوامر العقيدة ، وغدوا صفا واحدا ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وقد حذرهم الله بعد ذلك أن يعودوا إلى الفرقة ، بعد أن ذاقوا مرارتها ، فقال تبارك شأنه :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » .

وأمرهم بالحفاظ على نعمة الاتحاد ، وقد عرفوا حلاوتها ، فقال عز سلطانه :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

في ضوء هذه الآيات ونحوها من كتاب الله ، وبفضل ما يؤازرها من سنة رسول الله ، سار المسلمون في دينهم ودنياهم على نهج قويم ، حتى خفقت راية القرآن على البقاع النائية ، وتركزت عدالة الإسلام في أمم باغية ، فنهض الحق في محرابه ، واستقر الأمر في نصابه ، وتنفياً الشرق في ظل العربوة المسلمة ، أمناً وأماناً ، وساد على كبريات الدول حضارة ، وعلماً ، وسلطاناً .

ولم يعد الناس فيما بينهم يتنازعون بالألقاب ، أو يتفاخرون بالأنساب والاحساب ، بل يتسابقون في التقوى ، ويسارعون في الخيرات ، وهذه مفاقيهم ، ويتحاربون في الله ويتعاونون على البر ، وهذه مباحثهم .

ويعيشون على أن الإسلام رحم بين أهله ، وإن تنامت بهم الديار ، أو شط بينهم المزار .  
« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون » .

هذه وشيعة الإخاء بين المسلمين : لا يعتدون بها على مخالفهم في دين ، ولا يطفون على  
'مساكنهم في وطن ، فدينهم يعلمهم أن الحياة بين الناس سواء ، وأن الجهود فيها مشتركة ،  
والمنافع متبادلة .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا  
إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .  
عباد الله :

إن مصر اليوم في أعقاب ثورة مباركة ، جاشت فيها نخوة العروبة ، وعزة الإسلام ،  
وناصر الله أبطالها كفء ما أخلصوا لوطنهم ، وصدقوا في عهدهم ، واستجابوا لدينهم ،  
وأبناؤها في رعاية الله بالغون أهدافها ، ما ظلوا على ولاء للوطن ، وصلة بالله ، يؤثرون  
ولا يستأثرون ، ويصلحون ولا يفسدون ، ويتقون ولا يعصون ،  
« يأياها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

وإن خصوم مصر ليعملون على أن يستبيحوا حماها ، ويستبدوا ظلها ، وهم حاقنون  
على نهضتها ، وحاقدون على أبطالها وجيشها .

فليس بما يرضى الله ، ولا من الوفاء للوطن ، ولا من الخير للأفراد ، أن نخذل القائمين  
بالامر ، ونشغلهم ونشغل الأمة معهم بتلك الصيحات العابثة ، يرددها بعضنا في جنابات  
الوادي ، باسم حرية الرأي ، أو باسم الإصلاح . وربما كانت أمنيات شخصية يروجون لها ،  
أو تسكهنات مكذوبة يفسدون الوطنية بها . ونحن بحاجة قصوى إلى جمع القوى وتوفير  
الجهود ، وإيقاظ العزائم ، وإخلاص النوايا ، حتى تتوافر للنهضة أسبابها ، وترجى لها ثمراتها ،  
ويؤدي كل منا إلى مصر حقها ، وحتى لا نكون عابثين بتاريخها ، ولا مضيعين لآمانتها ، وبذلك  
نبرى ذمتنا إلى الله ، وإلى الأجيال من بعدنا . وتدوم العزة للوطن ، ويعود الخير على الجميع .

عباد الله :

بهذا كله أمرنا ربنا ، وإلى العمل به دعانا كتابنا . فعلينا أن نتق الله في ديننا وأوطاننا ،  
وأن نحرص على وحدتنا ، ونجمع صفوفنا في وجه عدونا ، وأن نتابع على دين الله حكمانا

وولاية أمورنا ، وأن نؤازرهم في تناصح ومودة ، وصفاء ومحبة ، وأن نتواصى دائماً بالحق ، ونتواصى بالصبر ، حتى تظل وحدتنا سياجا لقوميتنا ، وإذا تولينا الله في سياستنا وأمرنا ولم نتخذ وليا من أعداء ديننا ، فإن الله يتولانا كما وعدنا ، ويهدينا الرشاد كما أحببنا ، « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » ، « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » .

وقال : « توادوا تحابوا » .

وقال ربكم : « ادعوني أستجب لكم » .

### الخطبة الثانية

الحمد لله الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يحب لعباده أن يعملوا لدينهم ودنياهم ، ليظفروا بنعم الله ، وينالوا رضوانه .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، وقدوة العاملين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله :

كرم الله المسلمين فذكر لهم في كتابه تاريخاً يعترفون به ، وأقام على هذا التاريخ معالم ثابتة .

وكان من سنته فى تربيتنا أن جعل استذكارنا لهذا التاريخ عبادة منا ، وجعل شهودنا لمعالمه ركننا من أركان ديننا ، ومصداق ذلك فى قوله تعالى :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات : مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » .

ففي مشاهد الحج وفاء كريم لذكريات إبراهيم وإسماعيل . وفي هذه الذكريات استنهاض  
لأنفسنا إلى المسكارم ، وحث لها على متابعة السابقين ، فيما خلدوا من المآثر ، وتفسيط  
لعزائمتنا على وصل حياتنا بتاريخهم ، وربط سيرتنا بسيرهم . وفي التاريخ الصحيح وحى  
صادق في توجيه الأبناء ، وعلى معالم التاريخ نقيم لأنفسنا أكرم بناء .

فهناك حيث يجتمع الحجاج وقفا بعرفات ، وطائفين حول البيت ، وساعين بين الصفا  
والمروة ، وغادين ورائحين إلى منى ، يقترب المتباعدون ، ويتعارف المتناكرون ، وتعاطف  
النفوس ، وتتوَّق الاخوة ، ويتجدد العهد مع الله ، على الوفاء بما شرع لنا ، والإخلاص  
فيما عهد إلينا .

وفي هذا اللقاء يتبصر المسلمون في وجوه النفع لهم ، ثم نعود مستأنسين بما شهدنا ،  
وفرحين بما ظفرنا ، وهذا نمط من العمل فيه توجيه إلى معاودة النفع ، واستئناف الأمل ،  
والله يحب من عباده أن يعملوا في نشاط ، وأن يؤملوا في اعتدال ، وأن يتضافروا على  
ما تعمَّر به دنياهم ، وتسعد به أخراهم . « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » .

اللهم اجمع بين قلوب المسلمين على المحبة ، واحفظ على أوطانهم وشعوبهم الأمن  
والأمان ، وادراً عنهم بحولك وقوتك عوادي السوء .

اللهم ارح حكمانا وولاة أمورنا بحسن رعايتك ، وجميل توفيقك ، ووثق بين كل رعية  
وراعيا بأصدق الولاء خالصا لوجهك ، وبالوفاء والنصح طاعة لأمرك ، واجعل الأمة  
الإسلامية في كفافك آمنة من العثار ، ظافرة بالمني .

وباعد بيننا وبين نزغات الشيطان ، واهد إلى الصواب دعاة الفتنة ، وخذ بنا جميعا  
في دينك الحق ، وهدى كتابك المبين ، وكن دائما خير عون لنا ، فيما يصلح شؤنا يارب العالمين .

اللهم اغفر لامواتنا ، وأقل عثراتنا ، واستجب دعواتنا ، يا مجيب الطالبين .

« إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .  
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، وعلى سائر النبيين ، والحمد لله رب العالمين .

مدير المجلة  
عبد اللطيف السبكي  
عضو جمعية كبار العلماء

للعنوان  
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة  
٤٦٢١٤ قليفون

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

تصدر من شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير  
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

٥٠	في مصر والسودان
٣٠	للطبعة في مصر والسودان
٦٠	في الخارج
٤٠	للطبعة في الخارج
٥	ممن الجوز

الجزء الثامن - القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٣ - ٤ ابريل ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقالات

### في اصلاح الكيان المصري

يفتظر أن تواجه مصر في أيامها المقبلة كفاحاً أدبياً يدهه المراقبون لاحداث التاريخ خطوة ثالثة في إصلاح كيانها الاجتماعي .

أما الخطوة الاولى فقد خطاها عمرو بن العاص بإعلانه النظام الإسلامي في مصر ، فالغى به نظام الطبقات ، الذي استمر العمل به آلاف من السنين تحت سلطان الفراغة وأعوانهم ، والبطالة وأجنادهم .

وأما الخطوة الثانية فقد خطاها قادة الثورة من رجال الجيش في السنتين الاخيرتين بتحديد المملكية الزراعية ، وتوزيع المستولى عليه من أراضي الإقطاعيين على الفلاحين الذين كانوا يخدمون الارض ولا يملكونها .

والخطوة الثالثة التي جئت أتحدث عنها اليوم هي تركيز الاخلاق وتعديل السجاياء ومعالجة أمراض القلوب وضعف النفوس الذي كان نتيجة طبيعية للإسراف في التفاوت بين الغنى والحرمان ، فترتب عليه ما هو مشاهد من الانحراف الاجتماعي .

إن « نظام الطبقات » في مصر قبل إسلامها قد شطر سكان الوادى شطرين متباينين : أغنياء أقوياء ، وفقراء مغلوبين على أمرهم . وبذلك كان ابن النيل أحد رجلين : ظالم ، أو مظلوم ، وقدما كان بينهما وسط . كان في مصر غنى فاحش ولصاحبه السلطان على الألوف من الفدادين ، كما أن له السيادة على عشرات الألوف من الذين يعملون فيها . وكان إذا انتقلت السيادة على الأرض - بالوراثة أو البيع - من سيد إلى سيد ، تنتقل إلى السيد الجديد ملكية ما في الأرض من زرع وشجر ومواش ومبان وعمال . إنه الفقر ، و « كاد الفقر أن يكون كفرا » . وإنه الغنى ، و « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

لقد فتحت الثورة الأخيرة الباب أمام الفقر ليخرج من محبسه الذى كان مدفونا فيه قرونا وأحقابا . ولكنه سيخرج منه بما كسب من ضعف فى الأخلاق والتواء فى الاتجاه وانحراف عن سبيل الله ، فأصبح ذلك كله - على طول الأحقاب - من ألوان أخلاقه ومن مميزات سجاياه . وإن لم يقيض له المجتمع أطباء حكماء يعالجون هذه الطوارئ عليه بحكم الزمن ، ويساعدونه على الخلاص منها ، فإن الخروج وحده من محبس الفقر لا يشفيه منها ولا يزحزحه عنها . ومصيبة الفقير بما أورثه الفقر من ضعف فى الأخلاق وانحراف عن سبيل الله أفدح من مصيبته بالفاقة والحرمان . ويخطئ من يظن أن توفير الكفاف من العيش لمن كان محروما منه يشفيه مما كان الحرمان قد أورثه من انحراف عن بعض الفضائل الإنسانية .

وصحيح أن بعض الذين انحرفوا عن سبيل العفة والأمانة بدافع من الحاجة فصاروا خونة ولصوصا ما كانوا لينزلقوا فى هذه الهوة لو لم تدفعهم الحاجة إليها ، ولكنهم - بعد أن ينزلقوا إليها ويألفوا ظروفها وملابساتها - قلما يرجعون عن طريقهم مهما اغتنوا بعد ذلك ومهما كان مصدر هذا الغنى . ورجوع الفرد عما اضطر إليه بدافع طارئ قد يكون سهلا إذا زال ذلك الدافع ، وليس كذلك ما نتحدث عنه من مواريث عشرات القرون ، وما تخلف عنها من ألوان طارئة على الأخلاق والسجيا ، فهذه تحتاج من المجتمع إلى تفكير وتدبير ، وتحتاج من أطباء النفوس إلى استعداد واسع النطاق لكشف أذى طويل الأمد .

الطبقة الوسطى فى كل أمة هى التى يكثر فيها الخير ، وهى التى ينشأ أبناؤها وفيهم القابلية والاستعداد لأن يكونوا من أهل العافية والاستقامة ، إن لم يعترض طريقهم ما يحولهم عنه . وكلما كثرت نسبة الطبقة الوسطى فى أمة كانت تلك الأمة أقرب إلى الخير ، وأكثر

استعداداً للنهوض إلى الفضائل . والبلاد التى ساد فيها ، نظام الطبقات ، أحقاباً طويلة - كالهند ومصر - تحتاج أكثر من غيرها إلى حكمة الحكام فى تربية الطبقة الوسطى والإكثار من أهلها . وأول وسائل ذلك إلغاء نظام الطبقات نفسه ، وقد فعل ذلك - للمرة الأولى فى تاريخ مصر - أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمى رضى الله عنه يوم أعلن نظام الإسلام فى وادى النيل . ثم كانت الخطوة الثانية له فى عصرنا هذه الثورة التى حددت الملكية وفتحت الباب أمام المحرومين ليلسكوا من الأرض ما كان يستحيل عليهم تملكه مما يكون لهم به السكفاف من العيش ، والحلال من الرزق . وإذا استقام هؤلاء على الطريق الواضحة فإنهم يوشك أن يكونوا من أهل الطبقة الوسطى فتزداد نسبتها فى هذا البلد الطيب ، وتتجدد فيها القابلية لتكون من أهل الخير ، فتسير هى وتسير مصر معها فى الطريق إلى مرضاة الله عز وجل .

كما حددنا الملكية الزراعية ، ورسمنا لتحقيق هذا التحديد خططا وأنظمة دقيقة تفرغ لتنفيذها مئات من الموظفين ، وسيتفرغ للسهر على المضى فى ذلك ألوف من رجال التعاون والمهندسين والزراعيين ، فإن عشرات الألوف ممن ارتفعوا — بسبب هذا التحديد — من حضيض الحرمان إلى مستوى السكسب الرضى والعيش الحلال سيكونون على مفترق الطرق : فلما أن يستمروا فيما كانوا عليه فى سيرتهم ومعاملاتهم نتيجة لما كانوا عليه فى مستواهم المعيشى والمفهم الموروث ، ولما أن يفتعش فيهم روح الاغترباط والرضا فيصحبوا من أهل الاستعداد للخير . وفى كلنا الحالين هم إلى من يعالج نفوسهم ويزيل أثر الماضى فى أخلاقهم وقلوبهم أحوج منهم إلى من يسدد خطاهم فى معاشهم ووسائل الإفادة من ارتفاع مستواهم الاجتماعى .

الروح العالية قوة تعلو على قوة السلاح فى الجيوش والحروب ، وهى ثروة تعلو على ثروة المال فى البيئة الاجتماعية وحالة السلم . ونحن بعد الخطوة المباركة فى نظام تحديد الملكية ، وما سيكون من آثاره فى معاش السواد الأعظم من أهل الريف ، وما سيكون من نتائجها فى ازدياد نسبة الطبقة الوسطى بمصر ، نحتاج إلى جيش من أهل السكفاف الأدبى يأخذون بأيدى السواد الأعظم من الأمة إلى طريق الله فى السيرة والاخلاق والتعامل وحسن التصرف . وكما جدَّ علينا عمل جديد فى الإشراف على تحقيق تحديد الملكية



ورسم الخطط وتنظيم الانظمة لذلك والاستعداد للبضى فيه بالاساليب التعاونية ، كذلك ينبغي لأهل الكفاح الادبى ورجال الإصلاح الخلقى من أزهريين وإسلاميين أن يعملوا أنهم أمام واجب إسلامى جديد نحو دراسة أمراضنا الخلقية وتحليلها وانتهاز فرصة زوال الفاقة للبادرة إلى معالجة ما كان لها من آثار مزمنة وعلل مستعصية ، وأن يعمل كل من ناحيته لاستئصال ما يستطيع استئصاله من آفاتنا . ولماذا كانت هذه المهمة عسيرة فيما مضى لاستمرار الباعث عليها من الفقر والحرمان ، فإن ما جد فى هاتين السفتين من الشروع فى إزالة بواعث الفاقة سييسر العمل فى سبيل الله على الدعاة إلى الله ، إلى أن ينهضوا - إن شاء الله - بأخلاق السواد الأعظم من هذه الأمة إلى المستوى اللائق بالأمة المسلمة .

الطريق مفتوح للعمل أمام الطالب الأزهرى إذا عاد إلى بلده فى الريف إبان فترة الصيف بعد انتهاء الامتحان السنوى ، والطريق مفتوح للعمل أمام الواعظ الأزهرى فى منطقة وعظه وفى كل مكان حل به . فالرجوع بهذه الأمة إلى الله من أهم واجبات المسلم الذى أنعم الله عليه بنعمة العلم طالباً أم عالماً . لقد قال معلم الناس الخير ﷺ موجهاً الخطاب إلى سيدنا على كرم الله وجهه : « يا على ، لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » .

وأول شروط الهداية أن يتحلى بها من يتصدى لها ، فالهداية عبادة ، والوضوء المشروط لها قبل القيام بها هو العمل بها ، ومن تصدى لهداية الناس قبل أن يهتدى بما يدعو الناس إليه يكون كالدخول فى صلاته بلا وضوء فهو لا صلاة له .

أيها الأزهريون ، أيها المسلمون المتعلمون ، نحن الآن أمام فرصة جديدة فى إصلاح الكيان المصرى ، ومن ثم فمن أمام فريضة إسلامية جديدة للعمل فى ميدان هذا الإصلاح . وهذا العمل عبادة ، وشروط القيام بها أن ندعو إلى سبيل الله بسيرتنا وعملنا ، قبل أن ندعو إليه بالسنتنا ومحاضراتنا .

نحن فى مجتمعنا بحاجة إلى روح عالية ، فانهضوا بأرواح السواد الأعظم إلى المستوى الذى يغتبط به هادينا الأعظم إلى الحق يوم القيامة ، فإنه بعث لیتتم مكارم الاخلاق ، ولنعمل جميعاً على تحقيق ما بعث له نبينا صلوات الله وسلامه عليه ؟

محّب الدين الخطيب

# نفحات القرآن

- ١٤ -

## أولياء الله ... وأولياء الشيطان

١ - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .  
٢ - والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات.

تمهيد :

الولاء ، والموالاة ، والولاية - من قبيل واحد .

وإذا كان الاصطلاح يجعل لكل منها مقاما يذكر فيه ، وسيأتي يقتضيه ؛ فإنها تمت في اللغة إلى أصل واحد ، وترتبط في معانيها بوشيجة ، وتوجه إلى غرض عام تلتقي عنده وتذكر فيه .

وذلك الغرض العام - هو الصلة في قبول ، والمتابعة عن رضا .

وسواء أكانت الصلة بين الجانبين فيما يرتضيه الدين والعقل ، وتقوم عليه منافع الدنيا ، وترجي به سلامة العاقبة ، أم كانت في غير هذه النواحي : مما يعد مفسدة للدين ، وخرقا في الرأي ، ومضیعة للدنيا والآخرة .

فحيث تكون الصلة وثيقة فهي ولاء ، أو موالاة ، أو ما شئت من فروع هذه المادة .

والقرآن الكريم فيما توجنا به مقال اليوم يعتبر ما بين الله والمؤمنين ولاء : كما ترى في الآية الأولى .

ويعتبر ما بين الكافرين والشيطان ولاء : كما ترى في الآية الثانية ... فالله ولي المؤمنين ، والطاغوت ولي الكافرين ... ولكن : هل تصدق تلك المقابلة ؟ ويستوى ذلك التعبير ؟

- أما بعد - فنهج القرآن يميز لنا بين النوعين في ذكره الحكيم ، فهو يحدثنا عن أحدهما في أسلوب الرضا عنه ، والدهوة إليه ، والوعد الجليل لأهله ، حتى ليسبق إلى الذهن أن الولاء لا يكون إلا رعاية في رفق ، وتناصحا في إخلاص ، ومؤازرة في وفاء ... وهكذا : من كل ما يعد جنوحا إلى المسالمة ، وتعاهداً على النفع ، وتناصراً في دفع المكروه .

ومن هذا التوجيه نفهم في الولاء معنى يؤديه لفظه ، ويصدق به الوضع ، ويرتضيه الوجدان ، وحسبك أن الله سبحانه - سمي نفسه ولياً للمؤمنين . والموالة نسبة إضافية : لا تكون إلا من جانبين : فالمؤمنون - إذن - أولياؤه .

وما فاتهم أن يشيد بهم القرآن في هذا الوصف ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ) .

ومنهج القرآن كذلك يحدثنا عن النوع الثاني في لهجة التكبير له ، والسخط عليه ، والوعيد لأهله ، حتى ليستقر في الذهن أن ذلك ليس ولاء : إلا من قبيل السخرية .

وكيف يكون ولاء ما هو سبيل إلى الشر ، ومهلكة للأنفس ، ومضيعة للخير الدنيا ، ومجلبة لسوء العاقبة ؟ ؟

ومن هذا التوجيه ندرك أن الحبث والمتابعة فيه مما يستعصى معناه على لفظ الولاء ، ولا يصدق به الوضع ، ولا يرتضيه الوجدان .

ولكنها مشاكلة في الإطلاق ، قصدت للسخرية بأتباع الشيطان فيما جنحوا إليه من الفساد ، حتى كان الفساد أثيراً عندهم ، وكان استهواء الطاغوت لهم ، ومتابعتهم له كالولاء في الخير بين الأصفياء ، فسمى ولاء على حد قوله : « فبشرهم بعذاب أليم ، وحسبك أنه ولاء بين الكافرين والشياطين ، وهو ما تحدث به القرآن عنهم في مثل قوله : « ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً » - تدفعهم دفعا إلى التردد والعصيان .

وحسبك أنهم يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، فيبدو لك من هذا الاتجاه أن المقابلة بين الآيتين هي مقابلة بين الضدين ، وأن التعبير في كل منهما بلفظ ولى ، ولفظ أولياء لا يستوى في معناه .

وسنزيد الأمر إيضاحاً بعد الوفاء بحديث الولاء ، وقد أسلفنا لك أن ما بين الله وعباده المخلصين ولاء ، بل هو الولاء الحق . . .

وهو من جانب العباد ولاء الأدنى للأعلى . . . ومن جانب الله ولاء الأعلى للأدنى . .  
فما معناه أولاً ، وثانياً ؟ ؟

١ — ولاء العبد لربه يتمثل في إنسانية مهذبة : تعرف مكانتها من خالقها ، فهي في ضوء من الإيمان الصادق ، والآداب الروحية ، تبصر ما تهدف إليه من خير ، وهي دائماً في رقابة واعية ، وفي نجوة من دوافع الهوى ، ونزعات النفس ، وهي دائماً بين رغبة فيما يصلح لها الحياة الأولى والآخرة ، وبين رهبة مما يفضب الله ، ويفسد عليها إحدى الحياتين . والقائمون على هذه الإنسانية المهذبة موالون لله ، وسالكون إليه سبيله المشروعة ، فهم إذن أولياؤه ، وهنا تتعقد الموالاة من جانب المولى لعباده هؤلاء ، والله - سبحانه - يقرر أنه ولي الذين آمنوا .

٢ — فما معنى ولائه سبحانه ؟ جواب ذلك في قوله تعالى : « يخرجهم من الظلمات إلى النور » .

وفي طي هذه الجملة ما يطول بنا استيعابه من المعاني السكرية ، فما من شك أن الله صاحب الولاية المطلقة على سائر خلقه ، مما يعمر به هذا الكون ، وما وراء الكون ، ولكن تخصيص ولايته بالمؤمنين ينبئ عن تكفله بهم ، فلا يسكلهم إلى أنفسهم ، بل يتعهدهم بالإرشاد إلى السداد ، ويلهمهم الطمأنينة بذكر الله ، والرضا بما قدر لهم ، والصبر على ما نزل بهم ، فهم دائماً في رعايته وفي مدد من معونته ، ولديك قوله : « إن الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة : ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، أفرأيت ذلك العهد الصادق من جانبه لعباده المؤمنين ؟

وعلى هذا يتنزل الولاء في الآية التي معنا ، وفي نحوها من الآيات ، مثل « إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » ، وهو الولي الحميد . . ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، « أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ، فنعيم المولى ونعم النصير . .

ففي هذه المقامات ، وما هو من قبيلها يتأكد لك أن ولاية الله : إن تكن هيمنة عامة ، فهي للمؤمنين هيمنة وحماية من المفاتن ، وحياطة من المكارِه .

وذلك معنى إخراجهم من الظلمات إلى النور ، فلا تبطّرهم نعمة ، ولا تقنطهم محنة ، لأن أملهم معقود بما هو أزركى من الدنيا ، وهم مع جدهم في الحياة ليدركوا منها نصيبهم - على استعداد للرحيل منها مزودين بخير الزاد .

وليس من يكون على هذه الصلة بربه من تغمره ظلمة الكفر ، أو تغشاه ضلالة الفسوق أو ترين على قلبه غفلة الفسيان ، بل هم في نور يكتشفهم ، فلم يتعثروا في ظلمة من الظلمات . وللنفس هنا راحة في ألفاظ ثلاثة : يخرجهم .. من الظلمات .. إلى النور .

فالإخراج هو الانتزاع .. والظلمات جمع مستغرق .. والنور بالتعريف محمول على المعنى الاكمل ، ومفاد ذلك أن الله ينتزعهم انتزاعاً من جميع أسباب الضلالة إلى أكمل معنى من معاني النور ، فأين منهم نزغات شيطان أو غواية قرين ؟ ؟

هؤلاء هم العباد المخلصون ، الذين آمنوا حقاً بربهم ، واستجابوا صدقاً لأنبيائهم ، وعملوا لدنياهم في حدود ما شرع الله في دينهم ، فساكنوا على بيئته من ربهم .

ولذا كانت الولاية مدارج ، ولكل امرئ مقامه المعلوم ، فالأمر كما اهتمدنا مقيس بمقياس التدين ، والحكم فيه لله وحده .

وليس مقيساً بالتصنع ، ولا خاضعاً للدعايات ، ولا منوطاً بدعوى الكرامات ، وخوارق المعادات .

ومن الكذب على الله ورسوله أن نغصب الثقة من الناس من طريق الشعوذة ، ونزعم لهم أننا من المقربين ، وتتخذ من قداسة الدين شباكاً للتغريب بالناس . فما هو من شأن الدين عند الممارقين من حوزته مثل ألا عيب الجملة بأحكامه ، والانحجار على حسابه .

وما كان أصحاب محمد ولا الناهجون منهم يستيحيون لأنفسهم مثل هذه الأكاذيب ، ولا يتصايحون بأنهم أولياء الله ، ولا يتخذون المظاهر الخادعة مجلبة لتودد الناس إليهم ، فإن صلة العبد بربه أسمى من أن تكون أحبولة للمنافع المادية .

وقد عرفنا من نفحات القرآن التي أبديناها في حديثنا هذا كيف يكون العبد ولياً لربه .. ومعنى ولاية الله لعبده .

ولسائل أن يقول بعد ذلك : يبدو من سابق حديثك أن الموالاة بين العبد وربّه إنما تكون أولاً من جانبه ، فإذا تحقق منه ما هو مطلوب إليه تم له عند ربك جانب الولاء ، وما لم يكن من العبد إقبال لا تكون من الله رعاية بالمعنى الذى عرضت له ؟ .

والجواب نعم - فصاحب الحاجة هو الذى يمد يده إلى الجواد ليعطيه ، والله غنى عن عباده وهم الفقراء إليه ، وكان من كرمه أن دعانا ووعدنا ، وهياً لنا السبيل معبدة لتتجه إليه : فمن أقبل فله العطاء ، ومن أعرض فدونه الحجب ، وانظر إلى قوله تعالى « الله ولى الذين آمنوا ، فولايته رهينة بإيمانهم ، وبقدر ما يكون من إيمان تكون ولاية الرحمن .

ولنا الأمل فى فضله أن يهديننا السبيل إليه ، ويكشف لنا عما خفى علينا ، حتى نكون عند دعوته وفى ظل رعايته ، ولنا عودة إن شاء الله ؟

**عبد اللطيف السبكى**

عضو جماعة كبار العلماء

## الايان والحياة

إن هذه الحياة الحافلة بصنوف الشقاء وأنواع الآلام ، والتي لا يفيق المرء فيها من غمرة إلا إلى غمرة ، ولا يثل من عثرة إلا إلى عثرة ، لا يعين عليها إلا عقيدة راسخة يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته وتداركت عثراته ، ويستروح من أعطافها رائحة الجنة كلما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب .

**مصطفى لطفى المنفلوطى**

# الأسئلة

## الجوار في الإسلام

إحسان الجوار - الجوار في الجاهلية - تهذيب الإسلام للجوار -  
الجوار في الحرب - مثل رائعة من جوار الأرقاء والنساء -  
مق تعرف المسئلة مكانها في الإسلام ؟ السكلمة الاخيرة للإسلام .

عن أم هانئ رضي الله عنها قالت : ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح ، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره ، فسلمت عليه فقال : من هذه ؟ فقلت : أنا أم هانئ بنت أبي طالب ؛ فقال : مرحباً بأم هانئ . فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفاً في ثوب واحد ، فقلت : يا رسول الله ، زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلاً قد أجرته : فلان ابن هبيرة ، فقال رسول الله ﷺ : قد أجرنا من أجرته يا أم هانئ . وذلك ضحى .  
رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري (١) .

\* \* \*

للجوار معان متقاربة في لسان العرب :

منها - وهو أسبقها إلى الذهن ، وأشهرها في العرف - مجاورة الناس بعضهم لبعض ، في سكن أو عمل . والجوار بهذا المعنى على درجات ومراتب ، بعضها ألصق من بعض ؛ وأذناها جوار الزوجة ، وقد بينا في الجزء التاسع من المجلد السابع عشر من هذه المجلة كيف عني الإسلام بالجوار والمرأة عناية لم يعرف - ولن يعرف - لها مثيل في تاريخ الأخلاق والاجتماع .

(١) في باب أمان النساء وجوارهن ، من كتاب الجهاد ، وروياه في مواضع أخرى لمناسبات لا تحصى ، منها كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة .

ومنها - وهو موضوع حديثنا هذا - لإجارة المستجير بتأمين مخافته ، وإغاثة لطفته ، حتى يبلغ مأمنه مطمئنا وادعا .

\* \* \*

وإحسان الجوار - على كل معنى من معانيه - في الذروة من معالي الهمم ومكارم الأخلاق . وكان العرب في الجاهلية يذبون عن الجوار ، ويمنعون من حالقهم أو استجار بهم ، عما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ، وكانوا يقولون في معرض الفخر والثناء : فلان منيع الجار حامى الذمار ؛ بيد أنهم كانوا يسرفون في حماية الجار إسرافا جائرا ، يجاوز حدود العدل والإحسان ، ويطوح بهذه المنقبة السكريمة في متاهة العسف والعدوان !

كانوا يبذلون المهبج والأرواح ، ويشنون الحروب والغارات ، انتصارا لمن حالف أو استجار ، محققا كان أو مبطلا ، ظالما كان أو عادلا !

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائب على ما قال برهانا

\* \* \*

فلما جاء الإسلام بالهدى والنور ، والشفاء لما في الصدور ، هذب أخلاقهم ، وأكل آدابهم ، ونفى منها الخبث والرجس كما ينفي الكير خبث الحديد ، وأقر - فيما أقر من مكارم الأخلاق - حسن الجوار ، وحماية الذمار ، في غير من ولا أذى ، ولا بغى ولا عدوان . بل فرض على الناس فيما فرض ، أن ينصر كل منهم أخاه ظالما أو مظلوما ... فلما عرثهم الدهشة من دعوتهم إلى نصر الظالم ، بين لهم بيانا عجبا لم يكن ليخطر لهم على بال : بين لهم أن ليس نصر الظالم ما ألقوه في الجاهلية الأولى ، وإنما هو كفه عن الظلم ، والاخذ على يديه حتى يرعوى ، فذلك نصر له أى نصر ، على داعى الشهوة والهوى ، والاعتساف والطغيان !

\* \* \*

وافد بلغ من عناية الإسلام بالجوار وحب له ، أن أجاز لكل مسلم أن يجرى في الحرب ويؤمن ، رجلا كان أو امرأة ، عبدا كان أو حرا ، وجمل ذمامهم وأمانهم كشيء واحد ، فلو صدر أمان من أحدهم - كائنا من كان - لعدو ، فليس للإمام ولا للقائد ولا لغيرهما



من أولى الأمر أن ينقضه ، وذلك قوله صلوات الله عليه فيما رواه الشيخان : ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فن أخير مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ! ، وحدث في عهد عمر رضى الله عنه أن عبداً أمن أهل بلد بالعراق ، فسكتب إلى عمر قائد الجيش أبو عبيدة بن الجراح يستشيريه في هذا النأمين ، فسكتب إليه أمير المؤمنين : إن الله عظم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا ، فوفوا لهم وانصرفوا عنهم .

\* \* \*

وهذه فاختة شقيقة على بن أبي طالب رضى الله عنهما ، راوية هذا الحديث ، يحير النبي ﷺ من أجارت ، ويؤمن من أمنت .

كانت فاختة من ذوات الرأى الجزل ، والأدب الجم في عقائل قريش . . . فلما أسلمت عام الفتح فرق الإسلام بينها وبين زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، الذى هرب عند فتح مكة إلى نجران مشركا ، فلم يزل بها حتى مات . وكانت قد انكشفت منه عن أربعة بنين ، أصغرم هانىء الذى اشتهرت كنيته به .

وكان النبي ﷺ قد أهدر دم خمسة عشر رجلا وامرأة ، أمعنوا في السكيد للإسلام ، والإفساد في الأرض ، لكن تداركهم — إلا قليلا منهم — مع فظاعة جرمهم ، نعمة الجوار في الإسلام ، وشفاعة الصاحب الكرام ، عند من أرسله الله رحمة للعالمين .

فر من هؤلاء — وعدتهم أحد عشر — جعدة بن هبيرة . ورجل آخر من أمهات أم هانىء ، لم يذكر في حديث البخارى ، وكلاهما من بنى مخزوم ، فرا إليها ، واختبأ في بيتها فتوعدهما على ، وأقسم ليقتلنهما ، إنفاذا لإيعاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجزاء لما اجترحا من الحنث العظيم !!

لكن أخته أجارتها ومنعتها منه ، ثم ذهبت تشكوه إلى الرؤوف الرحيم صلوات الله وسلامه عليه .

صادفته يغتسل ، والزهرام رضوان الله عليها تسره ، فسلمت من وراء حجاب ، فسأل عنها ، وحياها بأحسن من تحتها ، حتى إذا اغتسل قام فصلى ثمانى ركعات : صلاة الضحى كاملة ، أو صلاة الشكر لله جلّت آلاؤه على ما أنعم عليه من نعمة الفتح ، أو الصلاتين معا ، في ثوب واحد مشتملا عليه .

لا جرم أن عليا ابن أمها وأبيها، ولسكنها نسبته إلى الام خُشب، كما قال هرون يستعطف أخاه موسى عليهما السلام . يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، تأكيداً لحُرمة القرابة، وتوسلاً بوشيجة الرحم التي آوتهما، والبطن الذي ضمهما في قرار مكين . .

تقول: إن أولى قرابتي، برعى عهدي وذمتي، هو أخى، ولسكنه توعده بنسكت جوارى وقطع رحمى! ونعم الحكم أنت . . فاستجاب لها صلوات الله وسلامه عليه، وطمأنها بأنه قد أجار هو نفسه من أجارت، وأمن هو نفسه من أمنت، فلتقرر عينا ولتطب نفسا .

\*\*\*

ومثل آخر: زينب الكبرى بناته صلى الله عليه وسلم، يفرق الإسلام بينها وبين زوجها وابن خالتها: أبي العاص بن الربيع، ويحتال عليه كفار قريش أن يطلقها، فيمتنع ويقول: والله لا أفارق صاحبتى ولا أحب أن لى بها امرأة من قريش، فنهاجر هى ويبقى هو كافرا بمكة، حتى يقع أسيرا فى قافلة يسوقها على بكرة أبيها زيد بن حارثة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى السنة السادسة من الهجرة . وهنالك يستجير أبو العاص بزينب التى طوقته بصنيعتها إذ افتدته وهو أسير يسدر — بقلادتها التى حملتها بها ليلة عرسها أمها أم المؤمنين خديجة، فتعده خيرا، ثم تنادى بعد صلاة الفجر: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم، قال: فوالذى نفسى بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذى سمعتم، المؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أذانهم، وقد أجرنا من أجارت .

ثم يعود أبو العاص إلى مكة فيؤدى الحقوق إلى أهلها — وكان من المعدودين فى رجال مكة تجارة وأمانة ومالا — ويؤوب إلى المدينة مسلما محسنا، فيرد عليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وزوجه، وبثنى عليه ثناء كريما .

\*\*\*

من لنا بأن تفقه نساؤنا مكان المرأة فى الإسلام، وكيف حاطها برعايته، ومنحها من الكرامة والتعجلة ما تحسدها عليه المرأة الغربية، ولو فطنت الغربية لمزايا الإسلام وآدابه لست إلى سعى أختها الشرقية للظاهر والمدينة أو أشد سعياً !؟

لم يكن الإسلام الذى هذب الجوار وجمله ، ودعا إليه صفياً زاكياً - ليقبل منه ما ينقض عهداً ، أو يفسد ودأ ، أو يوقظ فتنة ، أو يحرك ضغينة ، أو يهيج سلاماً وأمناً . وكيف ، وهو دين الوفاء والإخاء ، والوثام والسلام ، والصلح والإصلاح ، والرشد والفلاح ؟ ورد اللاجئين والمستجيرين فى صلح الحديبية ، وقد جاءوا مسلمين خائفين ، وفاءً بالعقد ، وحفاظاً على الشرط - بعض الشواهد الصادقة على ما نقول . ولولا مخافة السامة لكان لنا فى تفصيل هذا الإجمال ، مجال أى مجال .

نعم ، كان للمرأة إذا هاجرت من دار الكفر إلى دار الإسلام ، حباً لله ورسوله ، لا بغضاً لزوج ولا طلباً لآخر ، ولا التماساً لدنيا - كان للمرأة إذا شأن آخر غير شأن الرجل رفقا بها ، ورحمة بضعفها ، وخوفاً عليها أن تفتن فى دينها أو عرضها . فن لنا - مرة أخرى - بأن تفقه نساؤنا مكان المرأة فى الإسلام ، وكيف يصونها من الشرور والآثام ؟

\* \* \*

وأخيراً - وليس آخرأ كما يقول الباحثون - لو نظر أعداء الإسلام نظرة تقدير وإنصاف إلى الجوار فى الإسلام ، لما ترددوا أن يستجيروا به ، ويلتجئوا إليه ، وهنالك يرون رأى العين أعز مانع للجار ، وحام للذمار .

طه محمد الساكت

## كعب بن لؤى كما وصفته أمه

قال لؤى بن غالب ( جد النبي صلى الله عليه وسلم ) لامرأته : - أى بفيك أحب إليك ؟ قالت : الذى اجتمعت فيه ثمان خلال : لا يخامر عقله جهل ، ولا يخالط حلمه سفه ، ولا يلوى لسانه عى ، ولا يفسد يقينه ظن ، ولا يغيره عتوق ، ولا يقبض يده بخل ، ولا يكدر صنعه من ، ولا يرد لإقدامه جنب . قال : ومن هو ؟ قالت : ولدك كعب .

# الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

— ٥ —

الموضوعات فيما يتعلق بتوضيح مبهم أو تفصيل مجمل أو ترجيح رأى ونحو ذلك :  
فمن ذلك ما ذكره بعض المفسرين كالسيوطى فى الدر فى تفسير قوله تعالى « فتلقي آدم من ربه كلمات الآية » فقد فسرت الكلمات تفسيراً شيعياً ، ورووا فى ذلك عن ابن عباس أنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتأب عليه ، فقال : « سأل بحق محمد وفاطمة والحسن والحسين » .

وقد حكم بوضع هذه الرواية ابن الجوزى ووافقته السيوطى فى اللآلىء ، مع أنه لم ينبه على وضعه فى كتابه الدر ، والصحيح فى تفسير الكلمات هو قوله تعالى « قالاً ربنا ظلمنا أنفسنا والآية » ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

\* \* \*

ومنها ما ذكره بعض المفسرين - كالطبرى والسيوطى فى الدر المنثور - بأسانيد موقوفة ومرفوعة والفسفى من غير سند عند تفسير قوله تعالى « وما أنزل على الملائكة بيابلاً هاروت وماروت » ، ومحصل ما ذكره أن الملائكة تعجبت من كثرة عصيان بنى آدم ، وقالوا لله سبحانه : لو كنا مكانهم ما عصيناك ، فقال لهم : اختاروا ملكين منكم ، فاختاروهما ، فهبطا إلى الأرض فى صورة بشرين ، وألقى الله عليهما الشبق ، وحكما بين الناس فافتننا بامرأة تسمى الزهرة ، فراوداها عن نفسها ، فأبت إلا أن يعبدا صنما أو يشربا خمر أو يقتلا نفساً فأبيا ، وأخيراً وقعا فى المعصية . أما الزهرة ففسخها الله وصيرها النجم المعروف ، وأماهما فغيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا الأول ، ولتايبدا هذه الفرية وضعوا على المعصوم صلوات الله وسلامه عليه أنه كان إذا رأى الزهرة لعنها وقال : إنها فتنت الملائكة . والقصة مكذوبة مخنقة ، ولا سيما المرفوع منها ، وقد حكم بوضعها الإمام أبو الفرج ابن الجوزى ، وأص الشهاب العراقى على أن من اعتقد فى هاروت وماروت أنهما ملائكة يعذبان على خطيئتهما ، فهو كافر بالله العظيم . وقال القاضى عياض فى الشفاء : « وما ذكره

أهل الاخبار، ونقله المفسرون، في قصة هاروت وما روت لم يرد فيه شيء، لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما زيف المرفوع من هذه القصة الحافظ عماد الدين ابن كثير، وبين أن مفسراً ذلك روايات إسرائيلية، أخذت عن كعب الاخبار وغيره من علماء أهل الكتاب، وألصقها الزنادقة بالنبي صلى الله عليه وسلم زورا وبهتانا. قال ابن كثير: «وأقرب ما يكون في ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الاخبار لا عن النبي صلى الله عليه وسلم» (١).

والثقات من المحدثين لم يرفعوها إلى النبي ﷺ، وإنما وقفوها على كعب وأضرابه. والملائكة معصومون عن مثل هذه الكبرائر التي لا تصدر إلا من عبيد لا خلاق له، ثم كيف ترفع الفاجرة إلى السماء، وتصور كوكبا مضيقاً؟ وما النجم المعروف بهذا الاسم إلا في مكانه من يوم أن خلق الله السموات والأرض، وما ذكروه من هذا الخلط لا يوافق سياق الآية، ولا ما نزلت له، وليس السبب في نزول الملائكة ما ذكر، وإنما السبب أن السحرة كثروا في ذلك الزمان، واخترعوا أبواباً من السحر، وزعموا أن سليمان ما نال ملكه إلا بهذا السحر، حتى كادوا أن يفسدوا عقول الناس، ويضلوا عن الحق، فبعث الله هذين الملائكة كي يعلموا الناس السحر، فلا يشبهه عليهم بالمعجزة، وبذلك يسهل عليهم التمييز بين حق الأنبياء وباطل هؤلاء، وقد احتاط الملائكة وبالغوا في التحذير من العمل بالسحر «وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر». وبذلك تبين الحق، وظهر أن هذه الخرافة لا تمت إلى الإسلام بصلة.

\* \* \*

ومن قبيل هذا ما ذكره الثعلبي والزحشرى والفسفى في قوله تعالى في سورة يوسف: «إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين»، فقد روى أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف، ما أسماؤها؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودى: إن أخبرتك بأسمائها تسلم؟ قال: نعم. فقال له: جريان والطارق والذبال الخ فقال اليهودى: إنما لأسماؤها. وقد نبه على وضعه الحافظ بن الجوزى، وأعله بالحكم بن ظهير الذى تفرد به.

وقد ضعفه الائمة ، وتركه الاكثرون ، وقال فيه الجوزجاني : « ساقط ، وهو صاحب حديث نجوم يوسف ، .

\* \* \*

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين كالزحشرى والنسفي عند ذكر الاختلاف في كون الذبيح لإسماعيل أو إسحق عليهما السلام ، وهو كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام « من يعقوب لإسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ، ويستدلون به على أن الذبيح إسحق ، وقد قال فيه الدارقطني : « موضوع - وإسحق - أحد رواته - كان يضع الحديث على ابن وهب ، وكل ما ورد أن الذبيح لإسحق من المرفوع إلى النبي ﷺ فهو إما موضوع وإما ضعيف ، .

والظاهر أن الروايات في ذلك مما دسه اليهود كي ينسبوا هذا الفضل لجدهم إسحق . ولست الآن بصدد التمهيص والتحقيق فلذلك مقام آخر ، وبحسبي أن أذكر دليلاً على ما استظهرت ما ذكره ابن إسحق أن عمر بن عبد العزيز أرسل إلى رجل كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وكان من علمائهم ، فسأله أي ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : لإسماعيل ، والله يا أمير المؤمنين وإن يهود تعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب .

\* \* \*

ومن الغث الذي لا ينبغي أن يفسر به كتاب الله ما ذكره البعض كالعلي بن الزحشرى والنسفي في تفسير قوله تعالى : « ألم تركيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد ، . فقد زعموا أن إرم مدينة ، ورووا في ذلك أنه كان لعاد ابنان : شداد وشديد ، فلسكا وقهرائم خلس الملك لشداد ، فسمع بذكر الجنة ، فقال : أبني مثلها . فبنى إرم ذات العماد في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة ، وقد ذهب الخيال في بنائها كل مذهب . ولما تم بناؤها سار إليها في العدد والعدة ، فلما كان منها مسيرة يوم وليلة أرسل الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا ، ولكي يحبكوا هذه القصة المزيفة رووا أن عبد الله بن قلابة خرج في طلب لإبل له فوقع عليها مصادفة ، فحمل ما قدر عليه ، وبلغ خبره معاوية رضى الله عنه فاستحضره ، وقص عليه ما رأى ، فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار فسأله فصدق مقالة ابن قلابة . وهي قصة لا يشك المتأمل فيها في أنها موضوعة ، وآثار الوضع والصنعة بادية عليها . ومثل ذلك ما روى أن

لإرم دمشق أو الإسكندرية ، فشكل ذلك من خرافات بنى إسرائيل ، ومن وضع زنادقتهم الذين أرادوا أن يحجبوا جمال القرآن وسموه بمثل هذه الروايات التي لا يشهد لها عقل ولا نقل ، وقد تعرض لتزييف ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره ، والعلامة ابن خلدون فيلسوف العرب الاجتماعي في مقدمته .

والحق ما ذهب إليه محققو المفسرين من أن إرم عطف بيان من عاد ، وأنهم سموا بإعاد إرم نسبة إلى جدهم ، لأن عاداً هو ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح كما قال النسابون . ووصف القبيلة بذات العباد إما لأنهم كانوا أهل عمد وخيام في حلهم وترحالهم ، أو لما كانوا عليه من طول القامة وقوة البنية ، أو لسكونهم ذوى شرف ورفعة ، ومعنى : التي لم يخلق مثلها في البلاد ، أى في قوة البنية والعرامة وشدة البأس . وتفسير الآيات على هذا الوجه هو الذى يتفق وما سيقى له الآيات وهو تخويف المعاندين الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أهلك من كان قبلهم ، وكانوا أشد منهم بأساً ، وأعظم قوة وسلطاناً ، وأكثر مالا ، ومن العجيب أن من ذكرتهم من المفسرين ذكروا هذا الحق ، ولكن خلطوه بالباطل الزائف ، ولو اقتصرنا على الحق لكان أولى وأحسن . ثم كيف يتفق قول من قال إنها دمشق أو الإسكندرية ، وما هو الثابت يقينا من أنهم كانوا يسكنون الأحقاف ؟

\* \* \*

ما يتعلق بقصص الانبياء والأمم السابقة :

ومن الموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير ما جاء فيها مما يتعلق بقصص الانبياء وأحوال الأمم الماضية مما لا يعقل صدوره عن الرسول أو عن الصحابة والتابعين لمنافاته لعصمة الانبياء ، أو لسنة الله في الكون ، وجلها لا يعتمد على نقل صحيح ، وإنما هي أمور مدسوسة على الإسلام ، ليظهره أعداؤه بمظهر المخالف للمعقول وسنة الله في الكائنات .

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين ، ولما لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فقد ذكر الجلال السيوطي في الدر المنثور من الروايات في صفة هؤلاء القوم ، وعظم أجسادهم ، مالا يتفق وسنة الله في خلقه ، مثل

ما روى من أن سبعين استظلوا في قحف رجل من العماليق ، وما روى عن زيد بن أسلم أنه رثيت ضبع وأولادها رابضة في فجاج عين رجل منهم ، وما روى عن ابن عباس من أن الثقباء لما أرسلوا إلى هؤلاء الجبارين دخلوا حائطا لبعضهم ، فجاء صاحب الحائط ليبنى ثماره ، فوجدهم فصار يضعهم في كمه مع الفاكة ، وهو خلاف سنة الفطرة ولم يعرف الثباين بين الناس إلى هذا الحد ، ولما نبرأ إلى الله أن يكون ما روى عن الصحابة والتابعين مما تلقوه عن النبي المعصوم ، وأغلب الظن أنه مدسوس عليهم أو تلقوه عن أهل الكتاب استغرابا له ، فحمل عنهم وألصق بتفسير كتاب الله عن غير يدنة .

وثلاثة الأثافي في هذا ما ذكر من شأن عوج بن عوق الذي ولع بذكره بعض الاخباريين والمفسرين ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع ، وأنه كان يمسك الحوت فيشويه في عين الشمس إلى غير ذلك ، فكله أحاديث خرافة كانت مشهورة في الجاهلية ، ألصقت بالحديث بقصد الإفساد <sup>(١)</sup> . وقال الحافظ ابن كثير : « قصة عوج بن عوق وما يحكونه عنه هذيان لا أصل له ، وهو من مختلقات أهل الكتاب ، ويرحم الله العلامة ابن قيم الجوزية ، فقد قال بعد ذكر حديث عوج هذا : « وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله ، وإنما العجب ممن يدخل هذا في كتب العلم من التفسير وغيره ، فكل ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسول وأتباعهم . » وقد ذهب بعض الناس إلى تصحيح وجود شخص بهذا الاسم بعد طوفان نوح عليه السلام ، ولو سلمنا لهذا القائل ما يريد فنحن لا ننكر وجوده ، ولكن الذي ننكره وجود شخص على هذه الأوصاف الغريبة ، وكم من أشخاص حيك حولهم أثواب من الزور حتى صاروا بسبب ذلك من اختراع الخيال .»

محمد محمد أبو سريته

الاستاذ بكلية أصول الدين



## لمن يكون تنفيذ الحدود؟

### لمن يكون اختصاص التنفيذ ؟

يجب أن نلاحظ أولاً أن الأمة المنظمة لا بد لها من راع يرعاها ، ويقوم على شئونها ، ويفصل في أمورها ؛ ويعينه على ذلك أهل الحل والعقد ، وأرباب المشورة والرأى ، وأصحاب القدرة على المساعدة والمعونة ؛ وأن هذه الأمة تتكون من أفراد تعدد مصالحهم ، وتختلف مشاربهم ومطالبهم ، وتكثر خصوماتهم على أمور الحياة ، وقد تتضارب آراؤهم في هذه الأمور تبعاً لمؤثرات متعددة ؛ ولا يمكن للإنسان أن يكون خصماً وحكماً في الوقت الواحد . . .

ولذلك رأى الإسلام أن يكون للمسلمين إمام يعاونه من يعاونه ، وهذا الإمام بأعوانه يرضى مصالح العباد ، ويقوم على شئونهم ، ويفصل في خصوماتهم ، وينفذ الحدود بينهم ، متقيداً في ذلك بالكتاب والسنة ، ولذلك قال القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً ، » (١) .

ولو أن الإسلام ترك كل فرد يأخذ ما يراه حقاً له - وخاصة في الدماء - لكانت هناك الطامة الكبرى ، ولعادت جاهلية الأمم بفجورها وشرورها ، وطفغيانها وبهتانها ؛ لأن الطرف في الخصومة لا يستبين الرشد في خطواته وتصرفاته لو جعل نفسه حاكماً ؛ ولذلك اشترط الإسلام أن يفصل في الخصومات من لا هوى له فيها ، واشترط للقاضي صفات وأخلاقاً تجعله بمنأى من الريب والشكوك ، وبمعزل عن التهم والظنون ؛ فكيف يمكن بعد كل ذلك الاحتياط أن يكون الفرد الخصم حكماً بينه وبين خصمه ؟

ومن هنا روى أن ابن عمر قال : « الزكاة والحدود والنفء والجمعة إلى السلطان ، » (١) ؛ وأن ابن محيريز قال : « الحد والنفء والزكاة والجمعة إلى السلطان ، » .

وجاء في مجمع البيان للطبرسي : « . . . وأما من يتولى القصاص فهو لإمام المسلمين ومن يجرى مجراه ، فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولي ، لأنه حق الآدمي ، ويجب على القاتل تسليم النفس . . . » (٢) .

وجاء في حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : « فحيث ثبت القتل عمدا عدوانا وجب على الحاكم الشرعي أن يمكن ولي المقتول من القاتل ، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولي من القتل أو العفو أو الدية ، ولا يجوز للولي التسلط على القاتل من غير إذن الحاكم لأن فيه فساداً وتخريباً ، » (٣) .

وفي كتاب (المغني) لابن قدامة : « قال القاضي : ولا يجوز استيفاء القصاص إلا بحضرة السلطان ، وحكاه عن أبي بكر ، وهو مذهب الشافعي ، لأنه أمر يفتقر إلى الاجتهاد ، ويحرم الحيف فيه ، فلا يؤمن الحيف مع قصد التقضي ، فإن استوفاه من غير حضرة السلطان وقع الموضع ، ويعزر لافتياته بفعل ما منع فعله ، » (٤) .

ثم أشار الإمام ابن قدامة إلى من خالف في ذلك ، وأورد لهم اعتراضاً يومي بجواز الاستيفاء من الفرد بغير حضرة السلطان ، وعمدته أن رجلاً جاء يقود رجلاً إلى النبي ﷺ وقال له : إن هذا قتل أخى ، واعترف القاتل بذلك ؛ فقال له النبي : اذهب فاقتله .

والظاهر من هذا الحديث أنه لا يصلح للاستشهاد على ما ذهبوا إليه ، لأن السلطان هنا - وهو النبي عليه الصلاة والسلام - قد علم بالجريمة بعد أن رفعت إليه ، واعترف الجاني ، وحكم الرسول بالقصاص ، ووكل ولي الدم في القيام بهذا القصاص ، فليس هنا إذن دليل على قيام ولي الدم من نفسه بالقصاص دون علم الحاكم أو إذنه .

وقد يسكون من المناسب هنا أن نذكر أن القانون الوضعي اليوم ، يعاقب ولي الدم إذا أقدم على قتل القاتل قبل الحكم عليه ، ويعتبره القانون قاتلاً ، وإن تكن هناك فسحة

(١) انظر المحلى لابن حزم ج ١١ ص ١٦٥ ، وفي الموضوع خلاف بين الفقهاء .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ج ١ ص ٢٦٥ .

(٣) حاشية الصاوي على الجلالين ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٤) المغني لابن قدامة ج ٩ ص ٣٩٣ .

للقاضي كي يخفف الحكم، وهذا لا يخالف روح الشريعة الإسلامية عند كثير من الفقهاء ،  
وخصوصاً إذا رأى الإمام تركيز الاختصاص في القصاص بيد الدولة ، وقد يؤيد هذا  
ما رواه ابن حزم في المحلى وهو :

« إن في كتاب لعمر بن الخطاب : « والسultan ولي من حارب الدين ، وإن قتل أباه  
أو أخاه ، فليس إلى طالب الدم من أمر من حارب الدين وسمى في الأرض فساداً شيء . »  
وقال ابن جرير : وقال لى سليمان بن موسى مثل هذا سواء سواء حرفاً حرفاً ، وبه - أى  
بالسند المذكور قبل ذلك - إلى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : عقوبة المحارب  
إلى السلطان ، لا تجوز عقوبة ولي الدم ، ذلك إلى الإمام ، قال : وهو قول أبى حنيفة  
ومالك والشافعي وأحمد وأبى سليمان وأصحابهم <sup>(١)</sup> .  
أمر يجب اعتبارها :

ثم إن هناك أموراً يجب اعتبارها وملاحظتها في هذا المقام ، ومنها نسقين كيف يكون  
القصاص ، ولمن يسكون ، وكيف يخطئ خطأ فاحشاً من يعميه حب النار عن وجه الحق  
فيتعجل بالقصاص دون بصيرة أو تبصر .

من هذه الأمور أن ولي الدم يكون غالباً أكثر من واحد ، لأن أصحاب الحق في ذلك  
هم عصابة المقتول الذين يعتزون بحياته ، ويدلون بدونه ، ويحرمون من بره ومعونته ؛  
أو بتعبير آخر : هم ورثة القتل ؛ وهم شركاء في حق القصاص ، فكيف يجوز أحدهم لنفسه  
الانفراد بهذا الحق ، فيقدم على أخذ ثأره بيده ، فيجزم في حق الله وحق العباد ؟ ...

ومن هذه الأمور مسألة العفو من بعض المستحقين للثأر عن القاتل ، فقد ذكر  
الشعراني في كتابه ( الميزان ) أنه قد اتفق الفقهاء على أنه إذا عفا رجل من أولياء الدم  
سقط القصاص ، وانتقل الأمر إلى الدية ، واتفقوا على أنه إذا كان المستحقون صغاراً  
أو غائبين كان القصاص مؤخراً ، خلافاً لأبى حنيفة ، فإنه قال : إذا كان للصغار أب استوفى  
القصاص ولم يؤخر <sup>(٢)</sup> .

(١) المحلى لابن حزم ج ١١ ص ٣١٢ .

(٢) كتاب الميزان ح ٢ ص ١٢٠ باختصار .

وقال الإمام ابن حزم في المحلى : « العفو جائز لكل أحد من يرث ، وللزوجة والزوج وغيرهما ، فإن عفا أحد من ذكرنا فقد حرم القصاص ، ووجبت الدية لمن لم يعف <sup>(١)</sup> » . فكيف يجوز مع هذا لفرد من أولياء الدم أن يستجيب للشيطان فيقتل القاتل أو أكثر منه ، وقد يكون غيره مريداً للعفو ، أو مريداً للدية ، وقد يكون من هؤلاء الأولياء غائب وصغير ، ولو حضر أو بلغ لعفا أو لطلب الدية ولم يطلب القصاص ١٩

لقد قال الإمام ابن قدامة في المغنى هذه العبارة الصريحة : « إذا كان للقتول أولياء يستحقون القصاص فمن شرط وجوبه اجتماعهم على طلبه ، ولو عفا واحد منهم سقط كله ، وإن كان بعضهم غائباً أو غير مكلف لم يكن لشركائه القصاص حتى يقدم الغائب ويختار القصاص أو يوكل ، ويبلغ الصبي ، ويفيق المجنون ، ويختاراه <sup>(٢)</sup> » . فهلا تبصر ذلك المقدم على الثأر بلا روية أو تفكير ١٩

ومن هذه الأمور مسألة الآلة التي ينفذ بها القصاص ، فقال أبو حنيفة - كما نقل الشعراني - إنه لا يستوفى القصاص إلا بالسيف ، سواء قتل به أم بغيره ، وقال الشافعي ومالك : إنه يقتل بمثل ما قتل به <sup>(٣)</sup> .

وكذلك تعرض ابن قدامة في المغنى لوصف تنفيذ القصاص ، فذكر أنه يستحب عند الفقهاء إحضار الشهود حين القصاص ، وعلى الحاكم أن يتفقد آلة القتل التي سيستعملها ولى الدم ، حتى لا يكون بها عيب أو آفة <sup>(٤)</sup> .

فهل يتصور من الأرعن الثأر الذي يريد الانتقام دون تبصر أو احتكام إلى المعدلة ، أن يعطى هذه الناحية حقها ، أو يعدل في الحكم عليها ، أو أن الغضب المجنون سيدعوه إلى أخذ ثأره كيفما اتفق ، وبأقصى ما يهيب له شيطانه وهواه ؟

(١) المحلى ج ١٠ ص ٤٧٧ ، ومن الانصاف فبحث العلمى أن نقول إن ابن حزم قال عقيب ذلك : « وقال آخرون : العفو للرجال خاصة دون النساء . وقالت طائفة : من أراد القصاص فذلك له ، ولا يلتفت إلى من أراد الدية أو العفو ، ما لم يتفقوا على ذلك » . ولكن ابن حزم عاد فرجح الرأى الأول ، وهو سقوط القصاص بعفو واحد منهم أيا كان .

(٢) المغنى لابن قدامة ج ٩ ص ٣٣٤ .

(٣) لليزان ج ٢ ص ١٢٠ باختصار .

(٤) المغنى ج ٩ ص ٣٩٣ .

وهلا كان من الواجب حينئذ أن يرجع صاحب الدم إلى الإمام الشرعى ليحدد آلة القتل التى استعملت ، وليعين وسيلة القصاص التى تستخدم ؟

ولعله من المناسب هنا - وقد أشير إلى قيام صاحب الدم بالقصاص - أن نذكر أن القانون الوضعى لم ينص على تفويض الفرد طالب الثأر فى تنفيذ القصاص بنفسه ، بل لعل روحه وسوابقه تمنع ذلك ؛ ولأن الشريعة الإسلامية تجيز لصاحب الدم أن يقوم بنفسه بتنفيذ القصاص بعد ثبوته ، وبعد إذن الحاكم به ، مع إشراف الحاكم على ذلك التنفيذ ؛ وتقول الشريعة : إن ولى الدم يجوز له أن يوكل من يقوم له بالقصاص ؛ وإن كان ولى الدم أكثر من واحد وكلوا أحدهم أو غيرهم ، وإن تنازعوا فيما بينهم أجريت القرعة عليهم ، ومن وقعت عليه القرعة قام بالتنفيذ .

وقد لا يصعب التوفيق بين الشريعة الغراء والقانون الوضعى فى هذه الناحية إذا تذكرنا أن الإمام الشرعى يجوز له فى الإسلام أن يخصص الجائز لمصلحة عامة أو ضرورة بينة ، فإذا اقتضت المصلحة العامة الظاهرة أن يجعل تنفيذ القصاص فى يد خاصة قادرة محسنة جاز للإمام أن يحمل الناس على ذلك .

ومن هذه الأمور عملية القتل ، فقد قال الرسول صلوات الله عليه : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وقال : « أتعف الناس قتلة أهل الإيمان ، ونحن لا نضمن أن يقوم الفرد الموتور بعملية القتل فى عدوه ويحسنها ، دون أن يسرف أو يتعسف أو يزيد ؛ ولعلنا نتذكر هنا ما تردى فيه الكثيرون أخيراً من مهاوى الإجرام الشنيع ، إذ تراهم يذبحون الناس ذبح الشياه ، ويقطعونهم إرباً إرباً ، وقد يسلخون الوجوه ، ويشوهون الملاح ، ويمثلون بالجثة أفطع تمثيل ؛ وذلك لأنهم يريدون إطفاء نار الثأر الأليم ، وربما أخذوا بالظنة والشبهة ، أو أخذوا البرى بذهب المجرم ، أو تعدوا حدود القسطاس فأخذوا مع المجرم غيره بمن لا ناقة لهم فى الجريمة ولا جل .

ومن هذه الأمور الحالة التى يجب فيها القصاص شرعاً وتمييزها من الحالات التى لا يجب فيها ، فقد أجمع العلماء على أن القصاص لا يجب إلا فى حالة القتل العمد ، دون القتل شبه العمد ، أو القتل الخطأ ؛ ويشترط كذلك للقصاص أن يكون الجانى المقتص منه

مكلفاً ، فلا يقتص من الصبي والمجنون وكل من زال عقله ، لقول الرسول صلوات لله عليه : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » . وأن يكون المجنى عليه مكافئاً للجاني عند طائفة من الفقهاء ( كالحر بالحر ، والعبد بالعبد ) ؛ وأن يكون المقتول معصوم الدم ، فلا قصاص في قتل الكافر والحربي ، وأن لا يكون القاتل أباً للمقتول ، فلا يقتل الوالد بولده وإن سفل ، والآب والام في ذلك سواء ؛ إلى غير ذلك من الشروط ، كأن يكون القاتل مختاراً ، وأن تقوم عليه البينة بالشهود أو الاعتراف ... الخ

فهل ينتظر من الفرد ولي الدم - وقد يكون أمياً أو جاهلاً أو ظلوماً غاشماً - أن يلاحظ هذه الشروط ، وأن يرهاها حق رعايتها ، إذا ما تركنا له الجبل على الغارب ، فذهب يرضى شهوة الانتقام بإسالة الدماء ؟

محمد الشرباصي

من علماء الأزهر الشريف

## حكم

\* قال نصر بن سيار : « كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر ، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر . وكل شيء إذا كثر يرخس : إلا الأدب فإنه إذا كثر غلا ، » .

\* قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : قال لي أبي « يا بني ، لا تردن على أحق خطأ ، فإنه يستفيد منك علماً ، ويتخذك عدواً . »

\* قال محمد بن عبد الملك الزيات : « احذروا الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل ، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء ، كمن أساء وهو يظن أنه محسن » .

# المُؤْمِنُونَ حَقًّا

## كما وصفهم القرآن الكريم

- ٢ -

في الحديث السابق قلنا عن بعض صفات المؤمنين الصادقين ، وكان حديثنا عن الصفات التي لا تنعدي القلوب إلى غيرها ، ذلك أن الفضائل الإنسانية منها ما يكون معاملة بين العبد وربّه ، ومنها ما يكون معاملة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، ومنها صفات نفسية تصدر عن القلوب ، وتتصل بها اتصالاً وثيقاً ، وهي بعد مظهر قوى من مظاهر الإيمان بالله ، والحب له . نخوف القلوب من ذكر الله ، وزيادة الإيمان إذا تليت آيات الله ، والتوكل على الله حق التوكل ، كل ذلك مظهر من مظاهر سلامة القلوب وصفائها ، وخلوص نياتها . والصلاة - مثلاً - معاملة بين العبد وربّه ، والتواضع والعفة ، والإعراض عن اللغو ، والصفح عن المسيء ، معاملة بين الإنسان وأخيه الإنسان . وبشكل ذلك وصف الله عباده المؤمنين .

وأجمع الآيات في القرآن لأوصاف المؤمنين ، الآيات من أول سورة ( المؤمنون ) والآيات في آخر سورة ( الفرقان ) . وقد حدث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل ، فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا . وأكرمنا ولا تهنا . وأعطنا ولا تحرمنا . وآثرنا ولا تؤثر علينا . وارزقنا وارزق أئمتنا . ثم قال : لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ : قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون .

ابتدأت هذه الآيات بالخشوع في الصلاة ، وانتهت بالمحافظة عليها . وإقامة الصلاة ، والخشوع فيها ، والمحافظة عليها من الأوصاف التي جعلها القرآن ملازمة للإيمان ، ففي سورة الانفال : « الذين يقيمون الصلاة ، وفي سورة الفرقان : « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما ، وفي سورة الفتح في وصف أصحاب النبي : « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ... وهكذا في كثير من الآيات .

وقد يكون من فضول القول أن نتحدث عن موضع الصلاة من الإسلام ، فما أظن أن أحداً يحمل ذلك ، بعد ما استفاض الحديث عن ضرورة المحافظة عليها ، وعن الحكم فيمن تركها ، هل يسجن حتى يصليها ، أو يقتل ، وإنما نذكر هنا شيئاً مما يتصل بفقه الآيات ، فنحن نجد القرآن وصفهم أولاً بالخشوع ، وثانياً بالمحافظة على صلواتهم . والخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها ، فالمحافظة معناها أن تؤديها في أوقاتها ، والأفضل في أول الوقت . أما الخشوع فالمراد به اشتغال القلب بالله ، وعدم التفكير في شيء من أمور الدنيا ، والقيام في الصلاة غاضاً بصره ، ساكنة جوارحه ، فلا يلتفت يمينا ولا شمالا ، بل قال سعيد ابن جبير : الخشوع هو ألا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ، وفي الحديث : لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا التفت انصرف عنه ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلاً يعبت بلحيته في الصلاة ، فقال : لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه . هذا - ومن أعون الأشياء على الخشوع في الصلاة أن يتدبر المصلي فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر .

ومما تضمنته هذه الآيات - آيات ( المؤمنون ) من صفات المتقين أنهم يعرضون عن اللغو ، واللغو كل باطل ولهو ، وما لا يحمل من القول والفعل ، فن صفات المؤمنين أنهم إذا سمعوا القبيح لم يشغلو أنفسهم به ، ولم يخوضوا فيه ، بل قالوا خيراً أو صمتوا ، أو انصرفوا غاضبين منكبين . والذي يتعلق بكل كلمة يسمعون ، ويشترك في كل حديث يدور أمامه ، إنما هو اللثم ، أما الكريم فإنه يتجاوز إذا كان الكلام يمسّه . ويكف لسانه إذا كان كلاماً لا خير فيه . وهذا معنى قوله تعالى : « وإذا مروا باللغو مروا كراما ، وقوله : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، وقد سمع بعض الصالحين رجلاً يعييه فقال له : يا هذا ، إن كان في ما تقول غفر الله لي ، وإن لم يكن في ما تقول غفر الله لك .



وهذا شيء لا تستطيعه كل النفوس : حتى قال وهب بن منبه : منذ خمسين سنة ما رأيت أحدا غفر لى زلة ، ومرد ذلك إلى نقص معيب فى التربية الدينية ، وضعف واضح فى التربية الخلقية ، فالنفوس لن تتحمل ما يوجه إليها من العوراء حتى تراض ، وتطول رياضتها ، وحتى تدرك مدى ما فى هذا التحمل من خير لها وللجتمع ، من خير الدنيا ، وخير فى الأخرى .

ونستطيع أن نؤكد أن كثيرا من الحوادث البالغة الخطورة ، التى نراها كل يوم ، والتى نقرأ ونسمع عنها ، ليست ترجع إلى أسباب قوية ، وإنما ترجع فى القلوب إلى الحق ، وعدم التحمل ، وقديما قال حاتم طيىء :

وعوراء جاءت من أخ فرددتها بسالمة العينين طالبة عذرا  
ولو أتى إذ قالها قلت مثلها ولم أعف عنها أورت بيتنا شرا

وحاتم هذا ، هو الذى وضع الأساس الصالح ، فى هذا الشأن ، وجعل من خلقه الصفح عن الزلات . لأن الناس إما كريم وإما لئيم ، وكلاهما من حقه أن تغفر زلته ، تغفر زلة الكريم ، ليدخر ، وتغفر زلة اللئيم تعففا ، وتعاليا عن مشاتمته .

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكريما  
وقل من الناس من يتنبه لهذه المعانى السامية ، لأن الحق غالب على نفوسهم ، ولو فكر كل إنسان قبل أن يرد الكلمة التى يعتقد أنها نالت من كرامته ، وحطت من قدره ، لوجد أن الأمر أهون من أن يبادل صاحبه سباً بسب .

وكلمة حاسد فى غير جرم سمعت فقلت مرى فانفذنى  
فعاوبها على ولم تسؤنى ولم يعرق لها أبدا جبينى

ولما كان تحمل الأذى من أقوى الدلائل على تمكن الإيمان فى النفوس ، وطول الرياضة لها ، وجدنا أن الذين يقولون سلاما حين يخاطبهم الجاهلون ، جد قليلين .

وثالث الصفات التى تعرضت لها هذه الآيات ، فعل الزكاة ، وقد قرنت الزكاة بالصلاة فى كثير من نصوص الشرع ، ذلك أنها صنوها ، وهى ركن من أركان الإسلام ، ولذلك كان أدائها مما يوجب للمؤمنين للكرامة عند الله ، ويجعلهم من المقربين إليه ، والمراد بالزكاة هنا الزكاة الواجبة غير أن هناك نفقة التطوع ، وهى من دأب المؤمنين ، وعنهم تصدر ،

فالرجل المسلم يعطى عن سخاء، ويبذل محبا للإحسان، وقد وصف الله الأبرار في سورة (الإنسان) بأنهم « يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام - على حبه - مسكينا وييتما وأسيرا ، وذكر في سورة البقرة ، أن البر الحقيقي بر « من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتب والنبيين ، وآتى المال على حبه ، ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب » .

أما ما جاء فى وصف عباد الرحمن ، فى سورة الفرقان من قوله تعالى « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، فالمراد بالنفقة هنا النفقة على النفس وعلى العيال ، وليس المراد النفقة فى سبيل الله ، فليس فى هذه سرف ، وقديما قيل : لا سرف فى الخير ، ولا خير فى السرف . والمراد بهذه الصفة ، أن عباد الرحمن ليسوا مبذرين فى إنفاقهم ، فلا يصرفون فوق الحاجة ، ولا يخلوا على أنفسهم وأهليهم ، يقصرون فى حقوقهم ، بل يتبعون أوسط الأمور ، وخير الأمور أوسطها . وقد حث القرآن على هذا الاعتدال فى آيات أخر فقال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا . والاعتدال حميد فى كل شيء ، حتى فى العبادة ، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : ما أحسن القصد فى الغنى ، وما أحسن القصد فى الفقر ، وما أحسن القصد فى العبادة .

وليس الأمور حدود ضيقة فاصلة ، وإنما المسألة مسألة حب الدنيا ، أو زهد فيها ، والمعمل عليه القلب . فليس الزهد البعد عن الدنيا ، وإنما هو فراغ القلب منها ، بإظهار التقشف والبعد عن الطيبات ، لا يمت إلى الزهد بكثير ولا قليل ، وإنما الشأن كل الشأن فى القلب ، ففى كان القلب متعلقا بالدنيا ، حريصا على جمعها ، فلا ينفعه بعد ذلك شيء ومتى كان القلب خالصا لله ، يجعل الدنيا مطية للآخرة ، فلا يضره بعد ذلك شيء . ولقد قيل لبعض كبار الزهاد ، وكان يبدو للناس فى مظهر حسن ، قيل له : إن أصحابك لم يكونوا على ذلك ، فقال : أعيش عيش الأغنياء ، وأموت موت الفقراء .

على الصمري



## ركود ثقافى

مالدى تنفضه رعشة الوجع ، فتنفض معه مشاعرى ، وتفور من الملح أحاسيسى .  
فأتلس بين متاهة الحياة سيلا ، وما أشد فزعى حين لا أجد غير الاشواك التى تمزق آمال  
الطامحين ؟

وما لروحى ترقب من وراء منظارها إلى العالم المليء بالأشباح الجوفاء ، والصور التى  
رسمت عليها الحياة ظللا باهتة من الثقافة ، فتعود كسيرة ترعدها حتى الفزع ؟

لا شئ يروع النفس غير شبح الإفلاس الثقافى الذى تسدونوا جذه الخيفة . وكيف  
لا وقد جثم كابوسه على الشرق والغرب الإسلاميين منذ قرون ، فقضى على فقه المدينة من  
المدينة ، وثقافة دمشق من دمشق ، وأدب بغداد من بغداد ، ونحو البصرة والكوفة منهما  
وعلم القيروان من القيروان ، غبت أضواء تلك المائر التى عاشت حينما تهدى الحيارى بين  
مهامه الجمل ، ولم يبق فى العالم الإسلامى سوى منارة الأزهر التى عاشت قرونا تشع نورا  
يألتق حيننا ، ويخفت حيننا ، كالسراج إذا سكنت حوله الرياح تألق ، وإذا هاجت تبددت  
أضواؤه بين أنفاس العواصف ، ثم يعود ساطعا كأن لم تقتل ذبالة الأهواء الهوج .

ومنذ قرن بدأت عجلة الحياة العلمية فى الشرق تتحرك فتنفض عن كاهلها ذلك الجمود  
الذى شلها حيننا من الدهر ، ودب ديب الحياة فى الشرق كله ؛ وتفجرت الحيوية فى مصر ؛ لأن  
فيها المعين الباقي للثقافة الإسلامية العربية ، ذلك المعين الذى لم يزل صافيا على ضفاف نيلها  
يبعث فى شعبها الحياة .

ورأى الشرق فى مصر المنهل الذى يبل صدى لهواته .

ورأى فيها الأزهر الذى صان تراث أمجاده من عبث التتار ، وجهل الترك ، فنتطلع  
الشرق كله إلى مصر ، إلى الأزهر فاتخذة السكبة الثانية يحج إليه رواد العلم والثقافة من كل  
فج عميق .

ولكن نسكسة أملت بمصر منذ خمسة عشر عاما فثنتها عن تلك الثقافة التى اعتزت بها زمنا  
وانحرفت بأبنائها عن ذلك المورد فسكادت تقضى على أعز وشيجة تربطها بالعالم الإسلامى .

ولإن الحكومات التى تعاقبت على مصر فى تلك الحقبة وقد لمست تصدع الثقافة الإسلامية العربية ، ورأت تحت أنقاضها مئات الآلاف من شبابنا ، لم تفكر فى درء ذلك الخطر ، كأنما ليست له خطورة تخشى مغبته ، لأن صنائع الاستعمار هم الذين وكل إليهم الإشراف على الثقافة فى هذه الحقبة ، ، وأولئك شر على المجتمع الإسلامى من الجبل ، ولأنهم قد جنحوا بالشباب عن الثقافة الإسلامية ، وحشدوا له مناهج من قشور الثقافات الغربية ، وقطرات من ثقافة العرب لم تلبث أن تتبخر على الشفاه . وقد تخرجت فى ظل هذه المناهج أفراج وأفواج من الجامعات ، وكل يحمل الكثير بل لا يدرى القليل من ثقافتنا . ومناطق ذلك إلى أن رجال التعليم فى مصر ينكرون ويتنكرون لثقافة الإسلام ، فينظرون إلى القرآن على أنه كتاب دين ، وأمر هذا الدين ليس فى حسابهم ، ثم هم لا ينظرون إليه كذلك من ناحية اللغة على أنه كتاب محكم الآيات ، يقوم الالسنه ، ويهذب البيان ، ويحوى الكنوز الثمينة من الأساليب التى عجز عنها ويعجز أرباب البيان . ولو أن رجال التعليم أوتوا نصيبا من الثقافة جعلتهم يتذوقون أساليب القرآن لعكفوا عليه ، ورأوا فيه الغذاء العقلى الذى يغنى طلاب البيان عن النظر فيما ترجوا عن الغرب من بيان .

ومن العجب أن تاريخنا الإسلامى تكاد تتلاشى مناهج دراسته إلى جانب مناهج تاريخ أوروبا ودول أوربا ، وما أحوج أبناءنا إلى الوقوف بهم على تاريخ الإسلام ، ومعرفة مواطن القوة فى الدول الإسلامية ، وفى تاريخنا ألوان من البطولات ما أجددنا بالعباية بها ، والوقوف عندها طويلا ، نستشف من صورها ألوان الشجاعة والإقدام ، لنجعلها أمام عيون أبنائنا مثلا عليا .

فذلك الزاد خير مما يتزودونه اليوم مما خلفه لهم الاستعمار من زاد موبوء لم نزل نتهاك عليه ، ونحفزهم إليه دون أن نقدم لهم ألوانا شبيهة من ثقافة الإسلام .

فليس من الغريب بعد هذا أن نقول : إن مصر قد أصيبت بركود ثقافى ، فالطالب مل الحياة العلمية ، وشغلته أهواء نفسه ، ومظاهر الحياة الناعمة الرقيقة حوله ، ودور اللهو وألوان التسلية الرخيصة عن الإقبال على الكتب ، أو السماع إلى محاضر ، أو التنقيب بين المكتبات عن الكنوز العلمية الثمينة .

والمدرس لا يجد بين يديه الطالب الشغوف بالعلم ، فقع بالمسادة العلمية القليلة يقدمها وهو يعلم أن الطالب مشغول عنه وعن علمه .

حق لنا أن نألم وقد لمسنا عزوف شبابنا عن الثقافة وبغضهم للاطلاع ، وفرارهم من كل مجتمع وناد ، تعرض فيه مشاكلنا للبحث والدرس .

وحق لنا أن نأسى وقد أقفرت الأندية من روادها ، وكما كانت تضيق منذ عشرين سنة بالآلاف من هواة الثقافة ومحبي العلم والأدب .

وحق لنا بعد هذا وذاك أن نهيى بالمسؤولين ، وأن نصيح فيهم صيحة الحراس على هذه الثقافة وقد دهماها الركود ، وأصابها الجحود .

إن الركود الثقافى يهدد كيان الأمة ، فإذا أعددتكم له ؟

إن الاستعمار الثقافى أسر أبناءنا ونأى بهم عن التربية الإسلامية السليمة ، فإلى متى نظل خائعين له ؟

إن الثقافة الإسلامية العربية تستطيع أن تخلق الجيل الذى يؤمن بنفسه وبمكانة أمته فى هذه الحياة ، فكيف تبعدون شبابنا عنها ؟

وأخيراً إن مصر التى تحارب الاستعمار العسكرى والاقتصادى ، خلىق بها أن تتخلص من استعمار المقول ، ومن سياسة تلاميذ المستعمرين ؟

محمد خليفة

المدرس بالأزهر

## أبكتاتوس الحكيم الرومانى

كان أبكتاتوس الحكيم الرومانى عبدا لصاحب الشرطة فى روما على عهد الامبراطور نيرون فى أواخر القرن الاول للمسيح . ولما أمر الامبراطور فرمطيانوس بإخراج الفلاسفة من مملكته هاجر أبكتاتوس إلى بلاد اليونان ومات فيها . وكان أساس حكمته أن يميز الإنسان بين ما هو فى مقدوره فيحتاج له ، وبين ما هو فرق مقدوره فيصبر عليه ويرضى به . ومن أقواله : لا يكن حذرك إلا فيما هو فى قدرتك ، وكن مطمئن البال فيما سواه .

# سه نوادر الخضر طائفة

## تحرير المقال

في آداب ، وأحكام ، وقوانين ، يحتاج إليها مؤدبو الأطفال

عرف فن التربية طائفة من علماء المسلمين بحثوا في مسائله وتسكلموا في نظرياته ، وتفرقت بحوثهم ودراساتهم في مؤلفات تداولها الناس أزمانا طويلة ، وشهدوا لأصحابها بطول الباع والتفوق والإبداع ، وقدروا لهم سبقهم باختراع كثير من قواعده .

وما زال جهابذة علماء التربية في الغرب يعجبون بها ، ويعترفون بصحتها . فقد عرف علم التربية المربي الماسر ، والمرشد الحكيم ، الإمام الغزالي . يقرر قواعد التربية التي ينبغي أن ينهجها المربي لا في تربية الصبيان فحسب ، بل في تربية الكبار من المريدن والانبا ، وفي كتابه المعروف ( إحياء علوم الدين ) خلاصة لآرائه وتجاربه . وعرف لإمام التربية والاجتماع على وجه الدهر العلامة ابن خلدون بمبادئه التي قررها في مقدمة تاريخه الخالدة المعروفة بمقدمة ابن خلدون . وعرف الفيلسوف الكبير ابن سينا في رسائله المتفرقة . وعرف غيرهم من علماء الإسلام قبل أن يعرف كثيرا من علماء في الغرب .

وعلماء التربية من المسلمين فريقان : فريق بنى آراءه في التربية على دراسة نفسية وتجريبية تتصل اتصالا وثيقا بعلم النفس ، كالغزالي وابن خلدون وابن سينا . وفريق بنى آراءه فيها على قواعد الدين ، بمعنى أنه يقررها مستندة إلى أحكام الدين ، فيجوز ما تجوز ، ويمنع ما لا تقره . غير أنه ينبغي أن نلاحظ أن أكثر العلماء من الفريقين لم يفردوا مسائل التربية بمؤلفات خاصة كما فعل علماء الغرب ، بل أدخلوها تارة في علم الاخلاق والتصوف كما فعل الغزالي ، وتارة في علم الاجتماع كما فعل ابن خلدون . وعذرهم في ذلك واضح ووجيه ، فبإدء علم التربية وسيلة من وسائل تكوين الخلق الفاضل ، والسلوك المذهب الراقى ، كما أنها سبب من أسباب تكوين المجتمع المثالى النبيل ، كما ينبغي أن نلاحظ أن هؤلاء

العلماء حين يتكلمون في مبادئ التربية والتعليم أو آداب العلم والتعلم ، إنما يجعلون مهمهم ووكدهم أن يقرروا أولاً آداب تعليم القرآن وتعليم السنة ، وما ينبغي أن يتحلى به معلم ومتعلم كل منهما ، وما هي الطريقة المثلى في دراستهما وبلوغ الهدف منهما ، ووجهة نظرهما في ذلك أن القرآن كلام الله ، وهو دستور العالم الخالد الذي بدراسة ما جمع من أصول صحيحة ثابتة في مختلف العلوم يصل الناس إلى سعادتي الدنيا والآخرة . وكل علم من نبعه استفاض ، ومن نوره اقتبس واستمد ، فهو جدير بالرعاية واستنباط الوسائل التي تعين على سماعه وحفظه وتفهمه وتدبره وتليق بجلاله وقده .

ومن علماء الإسلام الذين تكلموا في علم التربية ، وقرروا بعض مبادئه ، العلامة ابن حجر الهيتمي في رسالة له سماها " تحرير المقال في آداب وأحكام وقوانين يحتاج إليها مؤدبو الأطفال " ، وهي رسالة موجزة بنى فيها قواعد التربية على أحكام الدين فأقر من قواعد التربية ما أقرته أحكام الشريعة ، ورفض ما رفضته . فهو إذ يقرر ضرب من شرد من الصبيان من الكتاب ، أو ضرب من نطق منهم بالفحش من القول ، ينظر إلى أحكام الدين : فما تأذن به يترخص فيه ، ويتحرج مما تمنع منه .

فالرسالة في بعض مبادئ التربية في نطاق الشريعة . وسبب تأليفها فيما ذكر أنه سئل في موضوعها من معلم كتاب ، كان قاضياً ثقلت عليه أمانة القضاء ، فاعتزله وفر بدينه وأمانته إلى الله ، مع ضيق الحال وعدم وجدانه لما يكفي به الأهل والعيال ، فيسر الله له مكتباً بالصفات الآتية في السؤال .

وفي الإجابة عن هذا السؤال تتلخص رسالة ابن حجر في تربية الأطفال . وهذا بعض ما في السؤال : مكتب موقوف على عدة أيتام قرر ناظره فقيها لقراءتهم وتأديبهم ، فهل يلزمه أن يرسل خلف من غاب منهم أولاً ؟ فإن قلتم : نعم . فهل يلزمه ذلك من ماله أو يستأجر من يحضر غائبهم من مال الوقف أولاً ؟ وهل يرسل بعضهم خلف بعض لإحضار من تغيب وهرب منهم أولاً . . . وهل له ضرب من شرد منهم ، أو أخذ شيئاً للغير أو ضربه أو سبه ، وعلم الفقيه بذلك منه أو ظنه بقول مقبول ، كما له ضربه على تعليمه وتأديبه ، وهل يفترق الحال في ذلك بين المميز وغيره ، والمراهق للبلوغ وغيره ممن لم يراهق . . . وهل

له إلزام حاذقهم بإقراء أو تعليم بليدهم ، لأن في ذلك مصلحة للحاذق بترسخه ما حفظ عنده فيأمن تشتته أولاً ؟ وقد ختم السؤال بقوله : وقد أشكل الأمر في هذه الأحوال فنفضلوا ببسط بيانها بذكر منقول المذهب وقواعده فيها ، ليحصل لكم بذلك الثواب .

وقد بنى ابن حجر رسالته على سبعة مقاصد : الأول في الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن ، الثاني في بعض الأحاديث الواردة في فضل معلم القرآن وتعليمه ؛ الثالث في الأحاديث الدالة على جواز أخذ الاجرة على تعليم القرآن والرقية به ونحوهما . الرابع في الأحاديث الدالة على امتناع أخذ الاجرة على تعليم القرآن . الخامس في بيان اختلاف العلماء في الأخذ بالأحاديث السابقة . السادس في تجويز المعلم من نظر المرد الذين يعلمهم حاجة التعليم . السابع في الأسئلة والأجوبة التي هي السبب في هذا التأليف .

ومخطوطة هذه الرسالة في ٦٤ صفحة ، وعدد سطور كل منها ٢١ سطرا ، وهي بخط معتاد واضح كتبت سنة ١٠٧٦ هـ ، أى بعد وفاة المؤلف بقرن تقريباً ، فقد توفي ابن حجر الهيثمي سنة ٩٧٤ هـ ، وابن حجر علم من أعلام المسلمين يمتاز بالذهن الحصب ، والثقافة الواسعة ، والإنتاج الوفير ومن أشهر كتبه : الزواجر من اقتراف الكبائر ، والإعلام بقواطع الإسلام ، وتحفة المحتاج لشرح المنهاج ، والفتاوى الكبرى الهيثمية ، والفتاوى الحديثية ، وكف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع . رحمه الله وأجزل له من ثوابه ورضوانه .

### أبو الوفا المراكشي

## أسس التربية في الاسلام

أوصى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ابنه فقال :

« يا بني . أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الصديق والعدو ، والعمل في النشاط والكسل ، والرضا عن الله في الشدة والرخاء » .



# الفتح المبين في الإسلام

شاهد بأنه من صنع الله ، لا من انعكاس البيئة

— ٣ —

الروح التقدمية ... في الأوضاع الدستورية والدولية :

في عصر الحكم المطلق ، يقرر الإسلام القواعد الدستورية .

وفي عصر الفتوح الإمبراطورية ، يقرر الإسلام خير المبادئ الدولية .

فالحكم في الإسلام إنما يكون طبقاً لشرع الله ، فهو موضوعي لا ذاتي شخصي .

والحاكم في الإسلام ، يختاره الشعب بالبيعة ، ويحاسبه الشعب بأحكام الله ، ويعزله

الشعب إذا اقتضت ذلك تلك الأحكام وأمنت الفتنة .

خطب أبو بكر - أول حاكم مثالي في الإسلام بعد رسول الله ﷺ - فقال كلمته المشهورة : « إني قيد وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن ، وعلينا فعلنا . فاعلموا أيها الناس أن أكيس السكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور . وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندي القوى حتى آخذ منه الحق . أيها الناس ، إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإذا أحسنت فأعينوني ، وإن أنا زغت فقوموني ، وقد أورد السيوطي في تاريخه هذه الخطبة ، وروى في ختامها عن مالك رضي الله عنه أنه قال : « لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط » .

واقعد قال ابن القيم تعاليفاً على الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » : « فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل لإعلاماً بأن طاعة الرسول يجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ... ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً بل حذف الفعل ، وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول

إذنا بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول ، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع ولا طاعة ، <sup>(١)</sup> .

وتأمل قوله تعالى « وأولى الأمر منكم » ، لتعرف كيف أشارت الآية في وضوح إلى المصدر الذي يستمد منه ولي الأمر ولايته ، فليس هناك دم ملكي ولا تفويض إلهي ، إنما الأمة هي التي تختار ولي أمرها طبقاً لشرعية ربها .

يقول ابن حزم : « الإمام إنما جعل ليقم للناس الصلاة ، يأخذ صدقاتهم ، ويقم حدودهم ، ويمضي أحكامهم ، ويجاهد عدوهم ، وهذه كلها عقود ، ولا يخاطب بها من لم يبلغ أو من لا يعقل ، <sup>(٢)</sup> .

ولذلك يقول صاحب كتاب « النظريات السياسية الإسلامية » : —

« أجمع مجتهدو الفرق الإسلامية كلها ما عدا الشيعة - على أن طريق ثبوت الإمامة هو الاختيار والاتفاق لا النص والتعيين . وصاغ علماء الفقه ذلك الصيغة القانونية فقالوا : إن الإمامة عقد . والعقد في عرفهم له مدلوله الخاص : فهناك ماهية مشتركة ، ثم لكل عقد موضوعه وأركانه ، وأحكامه وشروطه .

وقد بحث الأستاذ الدكتور السنهوري <sup>(٣)</sup> طبيعة عقد الإمامة بصفة خاصة كما عرضه علماء الشريعة الإسلامية فقال عنه : إنه عقد حقيقي - أي أنه عقد مستوف للشرائط من وجهة النظر القانونية . ووصفه بأنه مبنى على الرضا ، وأن الغاية منه أن يسكون هو المصدر الذي يستمد منه الإمام سلطته ، وهو تعاقد بين الأخير وبين الأمة . ثم أشار في مواضع أخرى إلى أن مفسكري الإسلام قد أدركوا جوهر نظرية روسو ، وهي التي تقول : إن الحاكم أو رئيس الدولة يتولى سلطانه من الأمة نائباً عنها نتيجة لتعاقد حر بينهما ، وأنهم عرفوا نظرية السيادة كما عبر عنها روسو فيما بعد ، وإن كانت نظريتهم احتوت على عنصر زائد خاص بها ... ثم يعقب المؤلف على ما نقله عن السنهوري ، وذلك أيضاً مع فارق ، فإن العقد الذي تكلم عنه روسو كان مجرد افتراض ، لأنه بناء على حالة تخيلها في عصور ماضية

(١) إعلام الموقعين - ١ ص ٣٩ . (٢) المحلى - ١ ص ٤٦ . (٣) في كتابه بالفرنسية [ الخلافة ] .

صحيحة ، ولا يوجد عليها برهان تاريخي ، بينما نظرية العقد الإسلامية تستند إلى ماض تاريخي ثابت ، هو تجربة الأمة في خلال العصر الذهبي للإسلام ، وهو عصر الخلفاء الراشدين ،<sup>(١)</sup> . والإسلام روائعه في تقرير قواعد سياسته مع غيره من الدول .

فهو يجعل السلم قاعدة ، ادخلوا في السلم كافة ، ، وهو يقتل جذور العصبية الإقليمية والدموية والمذهبية ويقتل جذور الطبقية ، ويخفف حدة الصراع الاقتصادي ، وهو بذلك يقتل جذور الحروب ذاتها .

لأنه يفتح البحار أمام الناس كافة على اختلافهم فيما بينهم ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، ، ويبيع خيرات الأرض كلها للناس كلهم ، يأبى الناس كلوا بما في الأرض حلالا طيبا ، ، ويجعل المعرفة قدرا مشتركا بين العالمين ، الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ، ورواه غيره بألفاظ أخرى بعضها موقوف على عليّ وابن عمر .

والإسلام يحدد أغراض القتال حتى لا تصبح الحرب حمية هوجاء ، وفورة طاغية ، فالقتال المشروع مقصور على رد العدوان السياسي والعسكري ، إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ، وعلى دفع الطغيان الفسكري ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، . والإسلام هنا لا يطلب إلا أن يخلى بين دعوته وبين الناس ، فإذا كفلت الضمانات الحرية الدعوة فهو لا يعنيه بعد ذلك أسلم الناس أم لم يسلبوا ، وإنما يعلن الإسلام الجهاد يوم تقف سلطة متحكمة لتحجج الدعوة بالقوة لا لترد عليها بالحجة ، وتستخدم سطوة السلطان التي خلعتها عليها الشعوب لتبذل في صالحها ، تستخدمها في حرمان الجماهير من حق التفكير الحر والاعتقاد الحر ، فالإسلام هنا يحارب التحكم في الحريات ، ولا يسعى ليفرض نوعاً من الاعتقاد ، وهو لا يهدف إلا إلى إزاحة هذه العقبات الغاشمة من الطريق ، فإن أزيلت فللشعب حين يسترد حريته أن يختار ما يريد .

وأخيراً فإن الإسلام يشرع الحرب لوقف المظالم الدولية ، فإن المسلمين وقد اعتنقوا من أصول دينهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يقفون موقف المتفرج على منازعات

العالم الدائمة وهم الشهداء على الناس ، وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنفي إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .

فإذا ما أعلنت الحرب في حدود هذه الأغراض الشرعية ، كانت السياسة الحربية الإسلامية هي أروع دستور إنساني للمحاربين ، قبل أن يحدد القانون الدولي أصوله في شريعة الحرب « لا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً أو امرأة أو شيخاً ، ولا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تعقروا بغيراً إلا للأكل . وستمرون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوه وما فرغوا أنفسهم من أجله . »

ولو كان المسلمون يقاتلون لمجرد الحق على مخالفهم في الدين ، ومن أجل إكراههم على تغيير عقائدهم بقوة السلاح ، لما سلم من أيديهم وسبوفهم صغير ولا كبير ، ولا مدبر ولا جريح ، ولوجدوا الفرصة السانحة لشفاء صدورهم ، مما تستعر فيه من نيران العصبية في رهبان الصوامع ، وهم يمثلون الرمز للدين المخالف ، ويمثلون العجز عن الدفاع والمقاومة ! ولكنه الإسلام .

وهل تجد أروع من هذا الإنذار النهائي القرآني ، دلالة على إنسانية السياسة الحربية الإسلامية ؟؟ إنه يحدد مهلة للإنذار كافية ، ويستثنى منه عهوداً سابقة ، ويقرر قواعد سامية يقول الله تعالى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . »

إعلان واضح ، وفي مكان جامع ، ولمدة كافية « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصوهم واقعدوا لهم كل مرصد . »

والسبب في إلغاء هذه العهود السابقة مذكور مقرر « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ، ؟ ولكن الأمانة القرآنية تأتي إلا أن تشهد للأوفياء « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين . »

وليس عدم احترام المشركين للعهود قاعدة قررها النظر والاستنتاج ، بل قد شهدت بها الوقائع والاحداث ، ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة ، أنخشوهم ؟ قاله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين .

وما دام إلغاء هذه العهود من طرف المسلمين مسيئاً بنقض المشركين ، فقد استثنت النصوص غير الناكثين الغادرين ، إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين .

وهنا يقرر الإسلام قاعدة ذهبية لتأمين اللاجئين السياسيين : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » .

والإسلام يقرر قاعدة تأمين السفراء والمندوبين ( الدبلوماسيين ) . فإنه حين قدم إلى رسول الله ﷺ وجلان بكتاب مسيلة الذي يدعى فيه النبوة ، سألهما الرسول عنه فصدقا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما » (١) .

وقرر الإسلام كذلك قاعدة إحسان معاملة الأسرى ، يأبى النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم . « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً » .

والإسلام حين ينتصر فإنما ينتصر بانتصاره العدل الإلهي الذي لا يميز بين غالب ومغلوب ، وتنتصر الفكرة العالمية الإنسانية التي لا تفرق بين أشبار الأرض ، وسلالات النسل ، وأوضاع الطبقات ، إلى غير ذلك من ألوان الفوارق ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور .

أليس عمر بن الخطاب هو الذي آثر فلاحى العراق بأرضهم على جنده العرب المسلمين إذ منع اعتبارها غنيمة لهم ؟ وحاسب عمرو بن العاص واليه في مصر على ما اشتبه أنه لبس بظلم من ليسوا على دينه وليسوا من جنسه ؟

فهل تثمر البيئة العربية هذه القواعد المذهبية، وهى التى غرقت فى بحار الدماء، وطمرت فى ركام الأشلاء، أثناء يوم الفجار، ويوم البسوس، ويوم داحس والغبراء؟

\* \* \*

وبعد: فإن هذه الروح التقدمية فى الفكرة الإسلامية من وحى الحكمة الإلهية، والعدالة الربانية. وإن العالم كله كان يفتقد هذه الأفكار التقدمية، فعصر الإقطاع الذى تخطاه الشرق بفضل الإسلام، قد رسف فيه الغرب حتى احتك بالشرق فى الحروب الصليبية، فعرف فيه الحرية الاقتصادية، فانقلبت الجيوش إلى بلادها تبشر بما رأته وتطالب بمثله.

والحرية الفكرية التى رعاها الإسلام فى الشرق، هى التى افتقدها الغرب حتى تعلبها على أيدى المسلمين فى الأندلس، فكانت الشرارة التى أوقدت النهضة الأوروبية، وأشعلت الحلة ضد الجمود والتزمت. والسماحة الدينية التى قررها الإسلام، كان يقابلها فى الغرب الحروب الصليبية ضد المسلمين، والمذابح المذهبية بين المسيحيين.

والحكم الدستورى الذى تقرر فى الإسلام كأصل ثابت مفروغ منه، قد ظل يمر فى أوروبا بأطوار عدة، والقوم هناك فى كل طور بين إقدام وإحجام، لا يعطون حق الانتخاب إلا لمن يثور فيقلعهم، أو يحتاجون إليه.

والسياسة الحرية الإسلامية لم تصل إليها من جهة الواقع الحروب العصرية التى لا تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم. ولم تصل إليها من جهة القانون المواثيق الدولية التى تعطى حق (الفيتو) للأقوى، والتى تجعل الأمن العالمى لا يهدد إلا إذا هددت الدول الكبرى — دون الصغرى!!

والمرأة، وما أدراك ما المرأة... ما زالت إلى الآن لا تعرف ما تريد، ولا يعرف الناس ما يريدون لها، إنها تتعثر بين شهوة السبروز والظهور، وبين غرائز الانوثة وعواطف الأمومة!!!

والناس يتعثرون بين شهوة (الرجل) فى إرضاء المرأة والاستمتاع بقربها على أوسع نطاق، وبين حرص (الزوج) على أن تكون المرأة الواحدة لرجل واحد، وبين ما يقرره العقل ويلائم طبائع الأشياء. وفى وسط هذه الأهواء خلقت مشكلة... جوفيت فيها

الطبيعة ، حتى لكان المرأة تفضل أن تنخلع عن أنوثتها وأموعتها ، تشيبتا لقدمها في ميدان طلب المساراة بالرجال !!!

والإسلام يقرر للمرأة حقوقها الثقافية والاجتماعية والأسرية والمالية ، مع صيانة مركز الزوج في الأسرة ، وسد الفرائع إلى الفساد في المجتمع ، وحسم الأمر باشتراط الذكورة لولى الأمر في الدولة .

وما أصدق ما قاله رسول الله عن كتاب الله ، وهما المرجعان في دين الله :  
 « لا تنفذ عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم » ، رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه مرفوعاً .

**محمد فتحي محمد عثمان**

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

## النساء وتراث الانسانية العقلية

قال ابن أبي أصيبعة في طبقات الاطباء ( ٢ : ١٨١ ) في ترجمة الامير محمود الدولة أبي الوفاء المبرش بن فاتك الامير الطيب بعد أن وصف خزائن كتبه : « وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضا من أرباب الدولة ، فلما توفي رحمه الله نهضت هي وجواربها إلى خزائن كتبه - وفي قلبها من السكتب أنه كان يشتغل بها عنها - فجعلت تندبه ، وفي أثناء ذلك ترمى السكتب ( المخطوطة ) في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواربها . ثم شيلت السكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها . فهذا سبب أن كتب المبرش بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال . »

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من بطلع أشاعر الإسلام إلى الكبريت من محرم حرمة الله  
بتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

المؤمنون والمنافقون

لما ذهب ابن قنثة يقول : إني قتلت محمدا ، جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد ما كان من أمره ما كان فقال : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قنثة وأبر . وكان أبو سفيان يرجف بقتله بين المشركين : -

\* \* \*

يقول ( أبو سفيان ) أودى ( محمد )	قتيلا ، ويأبى الشيخ إلا تماذيا
قلبا أراد الحق أقبل سائلا	فأبدى له ( الفاروق ) ما كان خافيا
وقال له : لا يعل صوتك ، إنه	ليسمعه من جاء بالحق هاديا
كذلك ظن القوم إذ طاح ( مصعب )	فراحوا سكارى ، يكثر الدعاويا
ورفعت قلوب المؤمنين فأجفلوا	يخافون من بعد ( النبي ) الدواهيا <sup>(١)</sup>

(١) قال قوم من المؤمنين : إن كان محمد قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم ، وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء . وقال ثابت بن الدحداح رضى الله عنه : يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل قال الله حى لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصرهم . وفي هؤلاء نزل قوله تعالى : ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ) . وقد هال الأمر بعض المؤمنين فظفروا حيارى ، ولكن الله ثبت قلوبهم ، وحفظ عليهم إيمانهم ، فلم يزولوا ولم يسكوا عن القتال .



وزلزل قوم آخرون ، فأدبروا  
يقولون : ما نبغى وهذا نبينا  
فما أقبلوا حتى انبرت (أم أيمن<sup>(١)</sup>)  
تدافعهم غضبي ، وتحشو ترابها  
تقول : ارجعوا ، ما بالمدينة منزل  
أمن ربكم يا قوم تبغون مهرباً ؟  
ألا فانصروا الدين القويم وجاهدوا  
فن خاف منكم أن يعود إلى الوغى  
سراعاً : يجررون الظبي والحواليا<sup>(٢)</sup>  
تردى قتيلاً ، ليته كانت باقيا  
وقد جاوز الغيظ الحشا والتراقيا  
تعفر منهم أوجهاً ونواصيا  
يبارك منكم بعد ذلك ثاويا  
فياويحكم إذ تتقون الاعاديا  
جهاداً يرينا مصرع الشرك داميا  
فذا مغزى ، وليعطى السيف ماضياً

\* \* \*

لك الخير ، لو تدرين ما قال (معتب<sup>(٣)</sup>)  
جزى الله ما قدمت يا (أم أيمن)  
تطوفين بالجرحي ، تواسين شاكياً  
سعى بك من إيمانك الحق دائب  
لأرسلت شؤبواً من الدمع هاميا  
من الخير ، تقضين الحقوق الغوالي  
يمج دماً منهم ، وتسقين صاديا<sup>(٤)</sup>  
يفوت المدى الأقصى إذا جد ساعيا

(١) هؤلاء هم المنافقون الذين رجع بهم عبد الله بن أبي ابن سلول إلى المدينة ، وكانوا ثلثمائة رجل ، وكان جيش المسلمين كله في هذه الغزوة ألف رجل ، وقد بقي من المنافقين قوم آخرون في أحد لم يتبعوا ابن أبي - قالت طائفة منهم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا فنزات : (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم - الآية) وقال بعضهم - لو كان نبيا ما قتل فارجموا إلى دينكم الأول ، وفي ذلك أنزل الله : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم - الآية) وقال جماعة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أمانا من أبي سقيان ، يا قوم إن محمدا قد قتل فارجموا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

(٢) لما رجع من رحى إلى المدينة لقيتهم أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم وجهلت نحو التراب في وجوههم وتقول لهمضهم : هاك المنزل فاغزل به ، وهلم سيفك - أي أعطنيه .

(٣) قيل إن معتبا هذا هو الذي قال : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا .

(٤) كانت أم أيمن من جملة نساء المؤمنين اللاتي كن يستقن الجرحى في هذه للغزوة وعدتهن أربع عشرة امرأة منهن عائشة وقاطمة بنت الرسول الكريم ، وأم سليم ، وأم عمار المازنية . ولا يدفع هذا أنها كانت بالمدينة عند رجوع الذين انقلبوا إليها من مواطن القتال ،

عجبت لمن يرميك : ماذا بداله ؟  
 ألم ير ( هنداً ) يرحم السيف ضعفها ؟  
 تورع عنها مؤمن ليس دينه  
 جزاء بها ( سعد ) إساءة ظالم  
 وإذا أنزل الله النعاس فأمسكت  
 كذلك إيمان النفوس إذا رست  
 بنام الفتى ، والموت يلبس جنبه  
 يحانبه حتى إذا جاء يومه  
 فما سطعت فأجعل من يمينك جنة  
 أطاشت يداه ، أم رمى عنك غازيا ؟<sup>(١)</sup>  
 فيصدف عنها وافر البر واقيا ؟<sup>(٢)</sup>  
 كدين ( حباب ) لأنه كان غاويا  
 فأمسي ( رسول الله ) جذلان راضيا  
 جـوانح لولا الله ظلت نوازيا<sup>(٣)</sup>  
 قواعد ، أمست ثقالا رواسيا  
 ويرجع عنه واهن الظفر واهيا  
 فأبعد شيء ، أن يرى منه ناجيا  
 كني ييقين المسره للمره واقيا

\* \* \*

هوت من عيون الهاجعين سناتها  
 وهب ( أمير الغيل<sup>(١)</sup> ) يدفع دونه  
 يزلزل أبطال الكريهة مقدما  
 توالى جراحت ( السكتوم<sup>(٢)</sup> ) فأسأرت<sup>(٣)</sup>  
 ولاحت عيون الحرب حمرا روانيا  
 ويولع بالفتك الليوث الضواريا  
 وبصرهم في حومة البأس راميا  
 بهم أثرا من ساطع الدم باديا

(١) رماها حباب بن العرقه وهى تسقى الجرحى بسهم فأصابها فوقت وانسكفت ، فأغرق فى الضحك ، وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فدفع إلى سعد بن أبى وقاص سهما لا نصل له ، وقال : ارم به ، فوقع السهم فى نحر حباب فوقع مستلقيا حتى بدت عورته فقال النبي صلى الله عليه وسلم : استفاد لها سعد : اللهم استجب لسعد إذا دعاك . فكان مجاب الدعوة .

(٢) هند زوج أبى سفيان ، إشارة إلى ما كان من أمر أبى دجانه معها حين أراد ضربها بالسيف وهو يظنها رجلا فولت ففرها وعف عنها .

(٣) أنزل الله النعاس على المؤمنين تنبيها لهم ( ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنا فاعلموا أن الله تعالى قد وهب لكم طائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق - الآية ) فهو خاص بالمؤمنين دون المنافقين . عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف ، وأرسل علينا النوم فأمنا أحد إلا وذقنه فى صدره . والنوازى النوازع أو التى تنب .

(٤) الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

(٥) قوس النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) أسأرت بمعنى أبتت .

تضن بنجواها ، وتكنم صوتها  
تظلم شظاياها تطاير حوله  
هو القائد الميمون ، ما خاض غمرة  
أبا (طلحة) (١) انظر كيف يرمى وجاره  
ويا (سعد) (٢) لا ترفق بقوسك وارمها  
ودونك فاضرب يا (سهيل) (٣) نحورهم  
وعينك فاحمل يا (قتادة) عانداً  
ألا ليتني أدركت (أم عمار) (٤)

ليخفى من الأسرار ما ليس خافيا  
والرعى الهروب (١) يواليه حاميا  
فغادرها حتى يرى الحق عاليا  
قضاء على القوم المنا كيد جاريا  
سهما أصابت من يد الله باريا  
ودعنى أصف للناس تلك المراثيا  
بمن لا ترى من دونه لك شافياً (٥)  
فألثم منها موطئ النعل جاثياً

(١) الألهوب الاجتهاد فيما هو الشأن ، وهو من الفرس العدو حتى يثير النبار ، أو تخرج من حافره النار ، وقيل إنه جمع اللهب وهو النبار الساطع .

(٢) تقدم ذكره رضى الله عنه ، وهو من الذين ثبتوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يقاتلون عنه ، ويقونه بأنفسهم .

(٣) سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : أجلسني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه فجعلت أرمى وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته ، حتى إذا فرغت من كثنانتي نثر ما في كثنانتي - قيل إن سعداً رمى في ذلك اليوم ألف سهم ، ورسول الله يقول عند كل سهم : ارم فذاك أبي وأمى ، وكان الرسول الكريم يفتخر به ويقول : سعد خالى ، فليرنى اسرؤ خاله - كان من بنى زهرة قوم أمه آمنة بنت وهب .

(٤) سهيل بن حنيف رضى الله عنه ، تابع النبي على الموت في أحد وثبت معه حتى انكشف الناس عنه ، وهو من المشهورين بالرمية .

(٥) قتادة بن النعمان الأوسى رضى الله عنه قال : كنت أتقى السهم بوجهي دون وجهه صلى الله عليه وسلم ، فكان آخرها سهم ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت بها إليه ، فلما رأها في كفي دمعت عيناه وقال . اللهم في قتادة كما وفى وجه نبيك ، وردّها الى موضعها وقال : اللهم اجعلها أحسن هيبته وأحدها ، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

(٦) أم عمار المازنية رضى الله عنها واسمها (نسبية) زوج زيد بن حاصم رضى الله عنه قالت : خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى ، فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والريح للمسلمين ، فلما انهزموا انحزت إليه فقامت بأبشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى جرحته . جرح رضى الله عنها اثني عشر جرحاً بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف ، وروى على عاتقها جرح أجوف له غور ، فقيل لها من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قتيبة لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجاً ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، ففربتني هذه الضربة ، وضربته ضربتين ، ولكن عدو الله كان عليه درخان ، قال الرسول الكريم فيها : ما التفت يمينا ولا شمالاً يوم أحد إلا رأيتهما تقاتل دوني .

وأشهد من حول (النبي) بلاءها      وأنشدها في الله هذى القوافيا  
وأجعل من وجهي وقاء لوجهها      إذا ما رماها مشرك من أماميا  
ويا ليت أنى قد حملت جراحها      وكنت لها في المأزق الضنك فاديا  
تفيض على الجرحى خاناً ، وتصطلى      من الحرب ما لا يصطلى الليث عاديا

\*\*\*

كذلك كان المسلمون ، وهذه      بجايا اللواتى كن فيهم دراريا  
إذا الحادثات السوء عب عباها      كفضن البلايا ، أو كشفن الدياجيا  
مناقب ، للدنيا العريضة هزة      إذا ذكرت ، فليشد من كان شاديا  
لها من معاني الخلد كل بديعة      فياليت قومي يفهمون المعانيا  
ويا أسفى إن لم يجد من شيوخهم      حفيظاً يلقاها ، ولم تلف واعيا  
إذا ما رأيت الهدم للقوم ديدنا      فوا رحمتا فيهم لمن كان بانيا

### عبد الله بن جحش رضى الله عنه

هو من أعظم أبطال غزوة أحد ، استشهد فيها على يد أبى الحكم بن الاخنس بن شريق  
الذى قتل كافراً بعد انتهائهما ، وكان عبد الله من جملة الشهداء الذين مثل بهم المشركون  
ونسأوهم ، ومن حديثه أنه دعا على نفسه قبل الغزوة فقال : اللهم ارزقنى غداً رجلاً شديداً  
بأسه فيقتلنى ، ثم يأخذنى فيجدع أنى وأذنى ، فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك  
وأذنك ؟ فأقول فيك وفى رسولك ، فتقول : صدقت ، وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب :

أبشر فذلك ما سألت قضاءه      رب هداك ، فكنت عند هداه  
آثرته ، ورضيت بين عباده      من صالح الاعمال ما يرضاه  
قلوك فيه تردهم عن دينه      صرعى ، وتمتع أن يباح حماه  
وبغوا عليك ، فعذبوا الجسد الذى      ما للكرامة والنعيم سواه  
هى دعوة لك ما بسطت بها يداً      حتى تقبل واستجاب الله  
ولقد رأيت حى الجهاد ، فصفا لنا      ذاك الحى القدسى : كيف تراه ؟  
ماذا جزاك الله من رضوانه      وحباك فى الفردوس من نعماه ؟

ماذا أهد لكل بر متق      غوت النفوس فما أطاع هواه ؟  
 رأيت ( عبد الله ) كيف بلغته      شرفا مدى الجوزاء دون مداه ؟  
 دمك المظهر لو أتيج لهالك      أعيا الاساة شفاؤه لشفاه  
 صوت يهيب بكل شعب غافل      طوبى لمن رزق الهدى فوعاه  
 معنى التفوق في الحياة ، فن أبى      إلا الصدود ، فما درى معناه  
 الأمر رهن الجد ، ليس بتافع      قول الضعيف : لعله وعساه  
 تشقى النفوس ، ولا كشقوة خامر      لا دينه استبقى ، ولا دنياه  
 والمرء يرغب في الحياة وطولها      حتى يكون الموت جل مناه

\* \* \*

أوتيت نصراً يا ( محمد ) ساطعاً      يبقى على ظلم العصور مداه  
 لك من دم الشهداء بأس لم يقم      في الأرض دينك عالياً لولاه  
 ما تنقضى لإمام حق قوة      إلا تزيد على الزمان قواه

## دعوة الاسلام

ألقى الأستاذ ادوار مونتيه لما كان مديراً لجامعة جنيف محاضرة عن الإسلام قال فيها :  
 « الإسلام حضارة قائمة بنفسها ، رغم انحطاط المسلمين في فترة من الزمن . إلا أنهم الآن  
 ينتهون مرة أخرى ، وينشرون المدنية والرقى في أنحاء العالم . ومسلو إفريقيا أكبر دليل  
 على ما أقول . وقد قابل أحد المنصفين بين تأثير الدين الإسلامى فى إفريقيا وبين تأثير  
 النصرانية فقال - وهو صادق - : إن تأثير الإسلام فى السكان مفيد أكثر من تأثير  
 المسيحية . فالمسيحية ضعفتها ظاهر فى إفريقيا بيننا قوة الإسلام وعظم تأثيره فى الحالة الاجتماعية  
 والدينية والخلقية والاقتصادية ظاهر جلى . وآخر ملاحظائى أن للإسلام قوة اندماج  
 وملاءمة للأوساط الإفريقية والأوساط المدنية العالية ، وليست هذه المزية لادى دين  
 ونظام اجتماعى غيره . »

# لغويات

## الأنانية

فشابين الناس استعمال الأنانية في الآثرة ، وحب المرء نفسه ، وتهاكك في تقديم هواه ومنفعته على منفعة غيره ، وقد يراد بالأنانية ما ينبعث عن النفس الأماراة بالسوء من النزغات ، ونزاعها إلى ما يلائمها ، وإن خالف داعي الهدى والعقل والدين ، وترى في مجلة الأزهر مقالا عنوانه : « شاعر منته أنانيته من الإسلام » .

والأنانية كلمة مولدة جاءت من النسب إلى (أنا) ضمير المتكلم ، وهذا كما قيل (الهوية) ، وهي كلمة مولدة أيضا جاءت من النسب إلى ( هو ) ضمير الغائب ، والهوية ما يميز شخص الفرد عما يشاركه في نوعه . فهوية زيد خصائصه وأوصافه من اللون والمقدار كالطول والعرض وغير ذلك مما يعمرون عنه في علم الحكمة بالمشخصات الخارجية ، والهوية تقابل الماهية ، وهي الخصائص التي بها يشارك الفرد قرنه في نوعه ، ورسيله في حقيقته ، فماهية زيد الإنسانية أى الأمور التي بها يكون إنسانا ، وهذا مبسوط في فن المنطق .

وإذ علمت أن ( الأنانية ) صيغة نسب ، فلك أن تسأل : هل جاء النسب فيها على وجهه ، وعلى السنن المألوف في نظائرها ؟ وللجواب عن هذا يساق الحديث ، ويقضى الجواب تقديم نبد من الكلام على المنسوب إليه : (أنا) .

إن (أنا) ينطق بها أكثر العرب في حالة الوصل دون ألف ، فأما في الوقف فإنهم يختمونها بالألف ، وقد يقفون عليها بهاء السكت فيقولون : أنه ، ومنه قول حاتم الطائي في مثل له : « هكذا فزدي أنه ، . وبنو تميم يثبتون الألف فيها وصلا ووقفا ، وقرأ نافع وأبو جعفر قوله تعالى في سورة السكهف : « فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، وكذا قوله تعالى في هذه السورة : « إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا ، بالمد وإثبات الألف في الوصل ، وهذا يوافق لغة بني تميم .

وقد كان من أثر الاختلاف في نطق ( أنا ) أن اختلف التحويون في أمرها وفي طبيعتها . فيذهب البصريون إلى أنها ثنائية مؤلفة من الهمزة والنون بحسب ، والألف إنما

تحتل بليان الحركة في الوقف ، كهاء السكت سواء ، وليست من سنخ الكلمة ، فأما ثبوتها وصلا في لغة تميم فتمد نشأ هذا من إشباع الفتحة ، والقصد إلى الإبانة عنها ، ويذهب السكوفيون إلى أن الكلمة ثلاثية ، وسقوط الالف في الوصل عند أكثر العرب إنما هو للاستخفاف ، كما تحذف ياء المنقوص لهذا الغرض .

ويختلف النظر في النسب إلى ( أنا ) باختلاف المذهبين السالفين .

فإذا نسب إليها على أنها ثنائية كان ذلك كالنسب إلى نحو هل وكم ، والمعروف أن يقال في النسب إلى كم : السكى والسكية . ويجوز بعضهم أن يقال السكية بتخفيف الميم ، وبالقياس على هذا يقال في النسب إلى ( أنا ) الانية أو الانية ، بتخفيف النون وتشديدها .

فأما على القول بأن الكلمة ثلاثية فعلى لغة أكثر العرب - وهي حذفها وصلا - تكون مثل يد وغد مما حذفت لامه اعتباطاً لغير علة ، وترى الثالث المحذوف لا يرد في التثنية ولا جمعي التصحيح .

ومثل هذا في قياس النحو يجوز فيه الرد وعدمه ، فنقول على هذا : أنى وأنوى ، كما يقال في النسب إلى غد : غدى وغدوى .

وعلى ذلك فالوجه أن يقال : الانوية أو الانية أو الانية ، فهذه الصيغ الثلاث هي الجارية على المنهاج النحوى ، فأما الانانية فهي مجافية لهذا المنهاج ، ولم ترد هذه الصيغة فيما شذ من صيغ النسب فتقبل .

وهذا الخطأ قديم . وأذكر أن ابن كمال باشا نبه عليه في رسالة له في أغلاط الناس في اللسان ، وليست تحت يدى الآن .

وقد يبدو لبعض الباحثين أن هذه الفسبة صحيحة ، على منهاج الكلمات التي ورد النسب فيها بالالف والنون ، ومن ذلك رقبانى لعظيم الرقبة ، ولحيانى لعظيم اللحية ، وجمانى لطويل الجملة - وهي مجتمع شعر الرأس - وروحانى في النسب إلى الروح ، وفي كتاب سيبويه ٧٠ / ٢ : د وزعم أبو الخطاب أنه سمع من العرب من يقول في الإضافة إلى الملائكة والجن جميعاً : روحانى ، وللجميع : رأيت روحانيين . وزعم أبو الخطاب أن العرب تقول له اسكل شئ فيه الروح من الناس والدواب والجن ، ويرد على هذا الخاطر أن هذه الزيادة

سبيلها السماع ، وإنما يقبل ما ورد منها عن العرب . وقد أسلفت أن ( الانانية ) لم تؤثر عن العرب .

\* \* \*

### أنجب . أغدق . أثمر . ابتكر

يستعمل الناس هذه الأفعال على غير وجهها في العربية . وسأتناولها على ترتيب ذكرها .

١ — فالفعل الاول : « أنجب » ، يحىء في استعمالهم متعديا ، يقولون : أنجبت مصر رجالا أوفياء . وأنجب في العربية فعل لازم ، يقال : أنجب الرجل أى أنى بولد نجيب ، ويتعدى إلى الولد بالباء ، يقال : أنجب بولد صالح ، ويقول الأعشى في مدح سلامة ذى فائش :

أنجب أيام والداه به إذ نجلاه ، فنعم ما نجلا

وفي البيت تقديم وتأخير أى أنجب والداه به أيام إذ نجلاه . ونجلاه أى ولداه ، ومنه النجل للولد ، وهو من التسمية بالمصدر .

والانحراف في استعمال هذا الفعل قديم . وترى ابن هاني الأندلسي يقول من قصيدة في مدح المعز العبيدي عرض فيها لجوهر الصقلي القائد فدحه بقوله :

لقد أنجبت منه السكتائب مدرها سريع الخطا للصالحات ميسرا

فتراه عدى الفعل فنصب به « مدرها » ، وهو المدافع عن القوم . وقد تنبه على هذا شارح ديوان ابن هاني الدكتور زاهد على ، ثم قال : « وعندي أن قوله هذا محرف عن : « قد انتجبت منه السكتائب مدرها » ، أى استخلصته لأنفسها ، واصطفته اختيارا له على غيره ، والذي يحمله على هذا تنزيه ابن هاني عن الخطأ في اللغة ، وابن هاني جاء في عصر متأخر قد يتسرب إلى الشعراء والادباء فيه الأخطاء الشائعة فيه ، ولو كان شارح الديوان اعتمد في القول بالتحريف على سند آخر كوقوفه على أصل صحيح للديوان لكان وجهه مقبولا ، ورأيه مستساغا . على أن خيرا من هذا في التنزيه للشاعر أن يحمل كلامه على التضمين ، أى أعطت السكتائب منه مدرها ، أو نحو ذلك . والتضمين جائز . إذا روعى فيه غرض ينتجيه البليغ .

٢ — والفعل « أغدق » ، يستعمل أيضا متعديا . يقولون : أغدق الله الخير على مصر ، وأغدق الله عليه شأبيب الرحمة والرضوان . وأغدق في العربية فعل لازم . وفي القاموس :



« أغدق المطر واغدودق : كثر قطره ، ، وفي اللسان : « غدقت الأرض غدقا ، وأغدقت : أخضبت ، وفي الأساس . « ومكان غدق ومغدق : كثير الماء مخصب . »

٣ — والفعل « أثمر ، يستعمل أيضا متعديا وهو لازم في العربية . يقولون : حسن الخلق يثمر المحبة بين الناس . وإنما يقال في العربية : أثمر الشجر أى ظهر ثمره . وقد جاء في الكتاب العزيز بهذا المعنى قوله تعالى في الآية ٩٩ من سورة الانعام : « انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، وقوله تعالى في الآية ١٤١ من هذه السورة « كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده . »

والانحراف في هذا الفعل أيضا قديم . ففي شعر عبد الله بن المعتز :

ومليح الدل ذى غنج لا بس للحسن جلبابا  
أثمرت أغصان راحته لجنان الحسن عتسابا

قال الشهاب الخفاجي في الريحانة ٣٠٤ : عقب لإنشاده البيتين : « قلت : عدى ( أثمرت ) وقد أنكره صاحب الدمية . « وأورد الشهاب في شفاء الغليل لابن المعتز أيضا :

وغرس من الأحباب غيبث في الثرى فأسفته أجفاني بسبح وقاطر  
وأثمرهمئا لا يبيد وحسرة لقلبي يحنيها بأيدي الخواطر

ومن أئمة اللغة والنحو محمد بن أحمد بن أشرس من تلاميذ أبي بكر الخوارزمي . وقد أورد له ياقوت عن الدمية في معجم الأدباء ( طبعة الحلبي ) ١٧ / ٢١٠ البيتين الآتين :

كأنما الأغصان لما علا فروعا قطر الندى نثرا  
ولاحت الشمس عليها ضحا زبرجد قد أثمر الدرا

ففقده الحاكم أبو سعد بن دوست فقال : « قوله : أثمر الدرا لا يستقيم في النحو ؛ لأنه لا يقال : أثمرت النخلة الثمر ، وإنما يقال : أثمرت ثمرا ، بغير الالف واللام ، . وكأن الوجه في تفرقة الحاكم بين الاستعمالين أنه إذا قيل : أثمرت النخلة الثمر كان الثمر في معناه الاسمي أى الثمرة لا محالة ، فكان الفعل عليه متعديا للفعول به . فأما إذا قيل : أثمرت النخلة ثمراً جاز أن يراد بثمر إثمار فيكون « ثمراً ، مفعولا مطلقاً لا مفعولا به ، وهذا كالغطاء يكون في معناه الاسمي فيقع مفعولا به ، كما في قولك اعرف عطاء الله واشكره ، ويكون مفعولا مطلقاً إذا أريد به الحدث ؛ كقولك . أعطيتك عطاء .

ويذكر الشهاب في شفاء الغليل أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وقعا في تعدية (أثمر) وأن شراح المفتاح تفهوا على هذا الخطأ ، وذكر أن بعض الشراح أبدى فيه فكرة التضمين للفعل المتعدى كأفاد مثلا ، وأن بعضهم له رأى آخر ، وهو أن يكون الفعل (أثمر) متعديا بنفسه ، غير أنه فيما ورد لنا عن العرب جاء في مواقع يعلم فيها المفعول مخذف ، كما في الآيتين السابقتين ، وكما إذا قلت : أثمرت النخلة ، فالعلم عند السامع يحيط بأن المفعول بلح . فأما إذا لم يعلم المفعول فلا شيء في ذكره على الاصل .

وهذا تخريج حسن . وأحب هنا لذكر محمد بن أحمد بن أشرس أن أذكر أنه وقع في شفاء الغليل : محمد بن شرف ، وفي تاج العروس في (ثمر) فقلا عن الشفاء محمد بن أشرف . والصواب ما أورده عن معجم الادباء .

٤ — والفعل (ابتكر) يأتي متعديا في استعمال الناس في معنى ابتداء الشيء واختراعه وابتدعه . يقولون : ابتكر الأستاذ المربي طريقة في التربية تسرع الوصول إلى الغرض من التربية . وقد أنكر هذا الاستعمال بعض الباحثين اعتماداً على أن الوارد في المعاجم غير هذا . فيقال : ابتكر الخطبة أى سمع أولها ، وابتكر أى بكر ، وقد وجدت في المعاجم : ابتكر الشيء أى أخذ أوله ، وابتكر الجارية أى افنضها ، وابتكر الفاكهة أى أكل باكورتها ويمكن بالاتساع استعمال الابتكار في الابتداع للشيء من الابتكار للشيء بمعنى أخذ أوله ، أو ابتكار الجارية بمعنى افنضها ، ففي هذين المعنيين سبق إلى الشيء والبدء به ، وهذا يناسب المعنى الشائع أى مناسبة .

ويقول الحريري في خطبة مقاماته : د إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن السكنايات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الادبية ، والاحاجى النحوية ، والفناوى اللغوية ، والرسائل المبشكرة ، والخطب المحبرة ، ويقول الشريشي في الشرح : «المبتكرة : التي لم يسبق إليها» . فهذا يؤنس بالمعنى الشائع ؟

محمد علي النجار

## الحسن البصرى

كنت لم أستوعب ما أردت من الحديث عن هذا الإمام فيما كتبت بالعدد السابق من مجلة الأزهر الغراء ، ولكننى ألممت به للمسامة يسيرة تصور شيئا من أدبه ، والعوامل التى حفت به ، فجعلته — كما تحدث الناس عنه — الفقيه الزاهد الحكيم الخ .

وقد رأيت أن أجدد عهدك بصفات الحسن من عبارات الناس حوله ، ثم أذكر لك ما يتسع المجال له من أحكامى عليه .

فما وصفه به أبو حيان التوحيدى — نقلا عن قرّة الجرائى الحكيم — « كان الحسن ابن أبى الحسن من درارى النجوم علما وتقوى ، وزهدا وورعا ، وعفة ورقة وتألها <sup>(١)</sup> ، وفقها ومعرفة ، وفصاحة ونصاحة . مواعظه تصل إلى القلوب ، وألفاظه تلتبس بالعقول ، وما أعرف له ثانيا ، ولا قريبا مدانيا ، كان منظره وفق خبره ، وعلايته فى وزن سريره ، عاش تسعين سنة لم يقرف <sup>(٢)</sup> بمقالة شنعاء ، ولم يزن بريية ولا خشاء <sup>(٣)</sup> . سليم الدين نقي الأديعة يجمع مجلسه ضروبا من الناس وأصناف اللباس ، لما يوسعهم من بيانه ، ويفيض عليهم بافتنانه : هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلتن منه التأويل <sup>(٤)</sup> ، وهذا يسمع منه الحلال والحرام ، وهذا يتبعه فى كلامه ، وهذا يجرد له المقالة ، وهذا يحكى له الفتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الموعدة ، وهو فى جميع هذا كالبحر العجاج تدفقا ، وكالسراج الوهاج تألقا ، ولا تنفس مواقفه ومشاهدته فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء ، بالكلام الفصل ، واللفظ الجزل ، والصدر الرحب ... يجلس تحت كرسيه قتادة صاحب التفسير ، وعمرو وواصل صاحبى الكلام ، وابن أبى إسحاق صاحب النحو ، وقرقد السبخى صاحب الرقائق ، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم ، فن ذا مثله ومن ذا يجرى مجراه . »

وروى أبو نعيم فى الحلية بسنده إلى خالد بن صفوان قال : « لما لقيت مسلبة

[١] التأله : التمسك والتعبد . [٢] قرف فلانا : طابه أو اتهمه . (٣) زنه بالشئ وأزنه : اتهمه .

[٤] فى القاموس : لقن كفرح فهو ألqn ولقن حفظ بالعجلة .

ابن عبد الملك بالحيرة قال : يا خالده أخبرنى عن حسن أهل البصرة . قلت : أصلح الله الأمير ، أخبرك عنه بعلم ، أنا جاره إلى جنبه ، وجليسه فى مجلسه ، وأعلم من قبلى به : أشبه الناس سريرة بعلائية ، وأشبه قولاً بفعل : إن قعد على أمر قام به ، وإن قام على أمر قعد عليه ، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به ، وإن نهى عن شئ كان أترك الناس له . رأيتك مستغنياً عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين إليه .

قال : حسبك يا خالده ، كيف ضل قوم هذا فيهم ؟

وأما أنا فسأفى لك بما يتسع له المجال من صفاته كما تدل عليه آثاره وأخباره :

١ — الزهد فى الدنيا :

وإذا كنت قد أطلعته على أن ابن سيرين كان أروع أهل زمانه ، فإننى أستطيع أن أقول لك : إن الحسن كان أزهد أهل زمانه من علماء التابعين . والزهد عند القوم منزلة فوق الورع . فإن الورع أن تكف عن محارم الله ، وأن تحتاط وتتحرى فى طلب الدنيا ، حتى تنقى الشبهات خشية الوقوع فى المحرمات ، كما حدثك عن ابن سيرين وأوردت صوراً من ورعه ، وهو لا ينافى التوسع فى طلب الحلال ، وأما الزهد فإنه ترك الدنيا ، وعدم الطلب إلا لما أوجب الشرع الكريم من حفظ الحياة بمقدار الضرورة .

وقد كان هذا العالم الربانى مقبلاً على الله سبحانه لإقباله لا يدع مجالاً للدنيا وسلطانها ، فإنها صارفة عن الحق ، وهى كما وصفها هو نفسه : « دار صارعة ، خادعة ، خائلة . قد تزينت بخدعها ، وغرت بغرورها ، وقتلت أهلها بأملها ، وتشوفت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلوة : العيون إليها ناظرة . والنفوس لها عاشقة » .

ووصفها فى رسالة طويلة كتب بها إلى عمر بن عبد العزيز صفات كثيرة بعيدة العمق تدل على توغل فى دراستها ، وتعمق فى بحث غوائلها ، أتى فيه من المعانى بما لا يعرف لغيره فى هذا الباب ، مما جعله حامل لواء الزهد ؛ وأكبر داعية إليه فى عهده ، ومما قال : « فهما عاشقان : فعاشق قد ظفر بها واغتر وطغى ، ونسى بها المبدأ والمعاد ، فشغل بها لبه ، وذهل فيها عقله حتى زلت عنها قدمه ... وآخر مات قبل أن يظفر بها فذهب بكره لم يدرك منها ما طلب ، ولم يرح نفسه من العناء والنصب ... والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئاً وجده إلى جنبه من غير طلب ولا نصب ، غير أنه إذا أخذ منها شيئاً لزمته حقوق الله فيه ،

لكان ينبغي للعاقل ألا يأخذ منها إلا قدر قوته وما يسكني حذر السؤال وكرهية لشدة الحساب ، وإنما الدنيا إذا فكرت فيها ثلاثة أيام : يوم مضى لا ترجوه ، ويوم أنت فيه ينبغي أن تقتنمه ، ويوم يأتي لا تدري أنت من أهله أم لا . . . فأما أمس حكيم مؤدب ، وأما اليوم فصديق مودع ، غير أن أمس وإن كان قد لجعك بنفسه فقد أبقى في يدك حكمته . وهو خطاب طويل جدا ضمنه من نفائس الحكمة ، وبدائع التصوير ، ولطائف الفلسفة ، مادل على أنه ممتاز في هاته النواحي وأنه نسيج وحده فيها .

كان الحسن دائماً الخوف متواصل الاحزان . كثير البكاء والنحيب . كأنه ثكلى فقدت ذويها القائمين على أمرها كله . من رآه قال : قد صب على هذا حزن الخلائق قال عبد الواحد ابن زيد : « كان واقه إذا أقبل فكأنه رجع من دفن حيمه ، وإذا أدبر كأن النار فوق رأسه ، وكان يصف للناس مصيبتة عند نفسه فيقول : « ما الذي يؤمنني أن يكون الله عز وجل قد نظر إلى نظرة مقتنى بها ، ولعل زهد الحسن من الوضوح والشهرة بحيث يغنى عن ترداد القول .

على أن الذي ينبغي أن يقبه إليه أن هذا الرجل في زهده ونسكه وبكائه وخوفه كان ظريفاً لطيفاً غير فظ ولا غليظ ولا قاس منفر ، وكذلك الربانيون من هذه الامة يظهرون سماحة الإسلام بما يسع النفوس ، ويرخصون بما لا يقنط الناس من رحمة الله ، فإذا خلا أحدهم إلى نفسه صهرها في بوتقة الرياضة ، وزج بها في محيط الضراعة ، لا كأهل الرياء الذين ينتسبون إلى طريق الله اليوم ويظهرون للناس شيئاً من الدين ، ويخفون عنهم ما لو علموه انتقربوا إلى الله يبغضهم .

كان الحسن يخالط الناس ويخاطبهم على قدر عقولهم ، وله مع الفرزدق الشاعر محادثات لطيفة ، جعلت الفرزدق يسكر التردد على حلقاته ، ويسير خلفه في كثير من المناسبات ، حتى كانت توبته على يده فيما سجله شعره الذي يقول فيه :

ألم ترني عاهدت ربي وإني      لبين رتاج قائما ومقام  
على حلقة لا أشتم الدهر مسلما      ولا خارجا من في زور كلام

وكان الحسن يخالط أرباب النحل والاديان على اختلافهم ، ويؤدي لهم حقوقهم كالمسلمين وفي أخباره أنه عزى نصرانياً في أخيه بعبارات كلها دقة في رقة ، وأدب إسلامي شريف .

وحضر الحسن وليمة فتمى على من رفع يده عند تقديم الحلوى وقال له : « كل يا سكع ، فلنعمه الله عليك في الماء البارد أعظم من نعمته في الحلواء » ، وقال لتلميذه الناسك فرقد في مثل هذه المناسبة : « لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن يعيبه مسلم » .

وكان الحسن يسمع الغناء ولا ينهى عنه ، بل يدعو إليه ويقول : إنه يعين على البر وصلة الرحم . والحق أن في السنة وعمل السلف ومقتضى النظر ما يؤيد هذا المذهب الكريم .

فالحسن إذا عالم ربانى اجتماعى ، جمع إلى الزهد الخارق والفسك العجيب الذى كان يبيكه ويكس كل عصى معه ، ترخصا في الطيبات يستعين بها على الحق ، وتسامحا في الناس يقتادهم به إلى البر ، عند الحاجة وبالقدر المطلوب .

وكان في صديقه العالم الربانى الإمام ابن سيرين ذلك الترخص ، ولكنه رضى الله عنه كان أقرب إلى الترخص وأكثر اتجاها إلى الدعابة . ولهذا يقول الناس : إنه وقعت بينهما جفوة آخر حياتهما حتى مات الحسن ولم يصل عليه ابن سيرين ، وقد صلى عليه الناس جميعا حتى تعطلت فريضة العصر يومها . وما أظن أن ابن سيرين يخاصم هذا الإمام ميتا إن صح أنه هجره حيا . ولكن الناس يقبلون ما يقال أحيانا دون بحث ولا تحقيق .

## ٢ — البيان الخارق :

ولأنك لتقرأ لكثير من عرفوا بالبلاغة واللسن فتجده خاليا من الأثر الواضح في نفس القارئ ، والنفوذ إلى باطنه ، وتحقيق الغاية من إيقاظ وعيه . فأما هذا الحسن فقد جمع إلى صفاء الديباجة ، وعراقة الأسلوب ، وخصوبة العبارة ، والتماس نواحي التجميل والتحسين ، كأنها عفو الخاطر ، جمع إلى ذلك كله شدة التأثير ، وقوة النفوذ ، ولا أدل على ذلك من موافقه أمام الحكام . وإضعافه لعظمتهم أمام سحر بيانه . وتخديره لأعصابهم ، وإرخائه لقواهم تحت سلطان بلاغته .

روى أبو نعيم في الحلية وغيره قالوا : لما ولي عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما بيوت وكانا فيه شهرا ثم إن الخصى غدا عليهما ذات يوم فقال : إن الأمير داخل عليكما . فجاء ممر يتوكأ على عصاه ، فسلم ثم جلس معظما لهما فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتبنا أعرف أن في إنفاذها الهلكة ، فإن أطعته عصيت الله ، وإن عصيته أطعت الله ، فهل تريان لى في متابعتي فرجا ؟ فتكلم الشعبي فأنحط

في جبل ابن هبيرة . فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ قال : أقول : يا عمر ابن هبيرة ، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصى الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك ، إلى ضيق قبرك . يا عمر بن هبيرة ، إن تق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل . يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك فظرة مقت ، فيغلق بها باب المغفرة دونك . يا عمر بن هبيرة : لقد أدركت ناسا من صدر هذه الامة كانوا والله عن الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة . يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاما خوفك الله تعالى فقال ( ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ) . يا عمر ابن هبيرة : إن تك مع الله تعالى في طاعته . كفناك بائقة يزيد بن عبد الملك . وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه ، قال : فبسكى عمر وقام بعبرته ... في حديث قد يطول لإيراده .

فهل ترى دلالة على مبلغ قوة البيان مع هذه الجرأة الخارقة ، ومظهر النفس الربانية ، التي تحدث عمر ويزيد وكل من في الأرض من ذلك القول .

وأما الطاغية الحجاج ، فإنه بنى دارا بواسط وأعجب بها ، فأمر بإحضار الحسن ليراها فنغص عليه عيشه ، وأهاج غضبه ، ثم أقنعه بوجوب النزول على قوله ببنيانه العجيب الذي يقدره الحجاج قدره ، قالوا : إن الحسن دخل تلك الدار فقال :

والحمد لله . إن الملوك ليرون لأنفسهم عزا . ولأنا لنرى لهم في كل يوم عبدا ، يعمد أحدهم إلى قصر فيشيد ، وإلى فرش فينجد ، وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ، ثم يحف به ذباب طمع ، وفراش نار ، وأصحاب سوء ، فيقول : انظروا ماذا صنعت . لقد رأينا أيها المغرور فسكان ماذا يا أفسق الفاسقين ؟ أما أهل السماء فقد لعنوك ، وأما أهل الأرض فقد مقتوك . بنيت دار الفناء ، وخربت دار البقاء ، وغررت في دار الغرور ، لتذل في دار الحبور ، ثم خرج وهو يقول : إن الله سبحانه قد أخذ على العلماء عهده ليدينه للناس ولا يكتفونه .

ثم دخل على الحجاج وهو يحرق أنيابه غضبا على الحسن ، ولكنه كناه وخاطبه بقوله : يا أبا سعيد ، أما كان لإمرتي عليك حق حين قلت ما قلت ؟ فقال : دىرحمك الله أيها الأمير ، إن من خوفك حتى تبلغ الأمن ، خير من أمنك حتى تبلغ الخوف . وما أردت الذي

سبق إلى وهمك ، والامران بيدك : العفو والعقوبة . فافعل الاولى بك ، وعلى الله فتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، فاستحيا الحجاج منه واعتذر إليه ، وسلم هذا الإمام بفضل أدبه وقوة روحه من هذا الطاغية الذى لم ينبج من بغيه أئمة من الصحابة والتابعين رحمهم الله .

قال صاحب العقد وغيره عن أبى زيد : لم يكن بالبصرة أفصح لسانا ، ولا أظهر جمالا من الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وزرعة ابن أبى حمزة . وقد سمعته عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها يتكلم فقالت : من هذا الذى يتكلم بكلام الصديقين ؟

وكان الإمام محمد بن على بن الحسين وهو النابت فى تربة البيان ، إذا ذكر له الحسن يقول : « ذاك الذى يشبه كلامه كلام الانبياء » .

على أن ما بقى من نواحي الحسن من فقهه فى دين الله ، ومعرفته بالعقائد ، وما وضع فيها من أسسه ودرايته بالقصص الصادق الصحيح ، ونواحيه الفياضة الفضفاضة ، ومذاهبه فى الحكم والسياسة ، ودراساته ، ومن تخرجوا فى مدرسته ، فإن الخوض فى تفصيل ذلك مما لا يتسع له هذا المقام الآن ، وإنما نشوق القارىء الكريم ، ونحاول أن نزج به فى هذا الخضم العظيم ، ليخرج بالآلى من بطون التواريخ ، وليعمر حياته بالخير الذى لا أمد له ولا غاية . وبالله سبحانه التوفيق والهداية ؟

محمود النواوى

## المال

لا أجعل المال لى ربأ يصرفنى      لا بل أكون له ربأ أصرفه  
مالى من المال إلا ما تقدمنى      فذاك لى ، ولغيرى ما أخلفه

أبو على البصير



## حيوية الأدب

الأدب طاقة روحية تشع ألوانا من الإشعاعات على مر الزمن ، فلا يخبو لمعانها حتى يتجدد مع الإنسانية المتجددة الدائبة التجدد . وهى طاقة هائلة القوة ، هائلة التأثير ، إذا هى قيست بطاقة الذرة التى كشفت فى عصرنا الحاضر . ويكفى أن يقول الأديب أو الشاعر كلماته حتى يكون لها من الفعل بالنفوس ومن تحريك الأرواح ما يفوق أثره أثر كل ذرة ؛ ذلك أن فعلها لا يقتصر على جماعة فى وقت من الأوقات . ولكنه من الممكن أن يمتد إلى كل إنسان فى كل زمان وكل مكان . يوم يطلق الشاعر قصيدته يكون العالم قد كسب قوة هائلة جديدة ، ولكنها قوة خالدة باقية . إن فى بيان الشاعر لسحراً ، ولكنه السحر الذى ينبى النفوس . ويظهر الأرواح ، وهو سحر تعرفه النفوس ، وتلقاه الأرواح ؛ لأنه صادر عن الروح الشفافة ، عن الروح الملهمة التى أودعها الله جنى الشاعر . إن خفة القلب لتدفع إلى الوجود وجوداً ، وإن لمحة الروح لتنفذ فتخترق قيوداً وسدوداً ، وفى الوجود الأكبر ، فى العالم الروحى ، تلتقى كل طاقة كونية ، تلتقى الطاقة تشعها الذرة ، وتلتقى الطاقة يشعها الأدب .

لم يكن الأدب فى يوم من الأيام صوراً جامدة ، وقوالب مفرغة باردة ، بل هو صورة حية متجددة الحيوية ، متجددة الحرارة . فليست القصيدة حشداً من ألفاظ كل قيمتها أن لها دلالة ، فإن هذا الحشد الجامد من الألفاظ التى ليس لها إلا دلالة نجده فى مكان آخر غير الأدب وغير الشعر ، نجده فى المعاجم اللغوية . أما القصيدة فكائن حى مثلى ومثلك ، وله كيانه وشخصيته ، بل هو أقوى منى ومثلك ، لأنه يستطيع أن يثبت وجوده على مر الزمن وأن يفرض نفسه فرضاً سواء رضى الناس أم أبوا . إن هذا الكائن ليتمتع بشخصية متكاملة ممتلئة بالوجود ، ممتلئة بالقوة ، ولكنها شخصية أميز ما فيها أنها مرنة وليست صلبة جامدة . إن النباتات والحيوان والإنسان جميعاً يتكيفون بحسب البيئة الزمانية والمكانية التى يوجدون فيها رغم أن أعمارهم نسبياً محدودة ، وهذه القدرة على التكيف مرجعها إلى المرونة التى يتمتع بها كيانهم وتتمتع بها شخصياتهم . وهم كلما اختلفت عليهم الأزمنة والأماكن راحوا يتكيفون مع الزمن الجديد والمسكان الجديد ، ولولا هذه القدرة على التكيف ،

لولا هذه المرونة التي تتمتع بها شخصياتهم — على تفاوت بينها في أنصبتها من هذه المرونة — لوجدناها تنقرض وتزول . فالشخص لا يعيش إلا بها في شخصيته من مرونة يواجه بها صروف الحياة فيتكيف معها ، ويتغلب بذلك عليها ، ويستمر بذلك في وجوده الحى النابض ، وتزداد بذلك شخصيته قوة على قوة .

العمل الادبي شخصية من هذا النوع ولكنها شخصية جبارة ، لأنها شخصية تقلبت عليها ظروف وظروف ، ومرت عليها مئات الأعوام وربما آلافها ، وتقلت في البلاد فشرقت وغربت ، وهي في كل زمان وكل مكان كانت قوية حية تتفاعل مع الناس ، تثير فيهم شعور الرضا تارة وشعور الكراهية تارة أخرى ، ولكنها تخرج من كل محنة موفورة القوة ، موفورة النشاط . وتتخلف الأزمان ، وتتلشى البلدان ، وينقرض الناس ، ولكنها تظل باقية تستقبل عهداً بعد عهد ، وتتفاعل مع أناس بعد أناس .

إن العمل الادبي حصيلة آلاف وربما ملايين من التفاعلات التي تمت بينه وبين الناس الذين صادفهم في حياته الطويلة . ولما كانت طاقته الروحية هائلة ، وإشعاعاته كثيرة الألوان متنوعة ، كانت إثارته للنفوس مختلفة ، فهو يشع هذا اللون في نفس ، ويشع لونا آخر في أخرى . وتستقبل النفوس الإشعاعات المختلفة ، فتتفاعل مع ما تستقبله منها كما تتفاعل مع الناس الأحياء سواء بسواء . إننا نتفاعل مع أصدقائنا وأقاربنا وتلاميذنا ألوانا مختلفة من التفاعل ، نتفاعل معهم بما هم كائنات حية تؤثر وتتأثر . وكذلك تتفاعل مع الأدب ، السننات نتخذ في كثير من الاحوال من الشعراء الذين مرت عليهم مئات السنين أصدقاء لنا ؟ السننات فطيل صحبة قصيدة من القصائد ونعز بهذه الصحبة ؟ إننا نتفاعل بذلك معها كما تتفاعل مع أصدقائنا ، نتفاعل معها فتؤثر فينا ونؤثر فيها ، ولما كنا نعيش جميعا وتبقى هي محتفظة بخصيلة تلك التفاعلات ، متمتعة بما أفادت من تأثيرات الآلاف الذين صاحبوها في وقت من الاوقات وتفاعلوا معها ، ألا تكون القصيدة بعد ذلك شخصية جبارة ، وطاقته هائلة ؟ ولكنها شخصية مرنة ، وطاقته متلونة .

إنها شخصية مرنة ، لا تقف منك موقف عناد ، ولا تقصر على شيء ، وهي بذلك تمتاز على الحقائق المنطقية الصارمة ، إنك تقرأ هذه العبارة الحسابية  $(2 + 2 = 4)$  فلا تستطيع أن تفهم منها إلا فهما واحدا ، وإن تخرج منها إلا بحقيقة واحدة ، وهي حقيقة خالدة باقية كذلك ولكنها حقيقة جامدة لا مرونة فيها بل فيها لإصرار ، ونحن ندع دائما في هذه الحالة

للإصرار والعناد . ويوم نريد من  $(2 + 2)$  أن تساوى خمسة نخذلنا تلك العبارة ، لأنها قصر على أنها تساوى أربعة فقط ، ولا يمكن الترحيح عن هذا الإصرار . وعندئذ نمضى طائعين أو مكرهين إلى التسليم بهذه الحقيقة التى نضطر جميعا إلى الاتفاق عليها . إنها حقيقة صارمة جامدة لا حياة فيها ، ومن ثم لا تفاعل معها ، لا تأثر بها شخصياتنا ولا ترك شخصياتنا فيها أثرا . وما أحسب أن هناك من عقد فى يوم من الأيام صحة بين هذه الحقيقة  $(2 + 2 = 4)$  .

أما القصيدة فشخصية مرنة ، تتودد إليك بما فيها من حيوية ، وتصحبك بقدر ما فيها وفيك من استعداد للتفاعل ، وأنت كلما أطلت صحبتها تكشففت لك جوانب جديدة من شخصيتها ، غير تلك التى تكشففت للوهلة الأولى ، بل ربما تبين لك بعد حين أنك أسأت أول الامر فهمها وأسأت تقديرها ، ألسنا نحكم فى كثير من الاحوال على الاشخاص الذين نصادفهم فى الحياة للمرة الاولى بأنهم خفاف الدم أو ثقلاء ، حتى إذا مضينا فى صحبتهم تبين لنا أننا كنا خطئين فى حكمنا الاول السريع ، لأنه تكشففت لنا فيهم — بعد الخبرة وطول العشرة — جوانب خفية من شخصياتهم تدفعنا إلى تعديل حكمنا الاول ؟ ذلك أن الشخصية ليست حقيقة ذات جانب واحد جامد بل هى عدة جوانب ( بعكس  $2 + 2 = 4$  فهى ذات جانب واحد ) وكذلك القصيدة بما هى كائن حى له شخصيته ، لا ينكشف لنا منها للوهلة الاولى كل جوانبها أو أصدق هذه الجوانب فيها . ولسكننا نستطيع أن نقنع من لقائنا لها بهذا الوجه وحده ، أما الآخرون فيعاملونها معاملة أخرى ؛ كل منهم يتفاعل مع جانب بذاته منها ، وعند ما يكشف هذا جانبها ويكشف ذاك جانباً آخر يخيل إلى كليهما أن صاحبه قد أساء الفهم . وليس هناك سوء فهم على الإطلاق فى هذه الحالة لأن واحدا منهما تفاعل مع جانب بذاته من القصيدة ، والآخر تفاعل مع جانب آخر . وشخصية الادب المتعددة الجوانب ، المرنة هى التى سمحت بهذا الاختلاف ، فتفاعلت مع كليهما بحسب ما لديه من استعداد للتفاعل وتبادل الفهم والتفاهم .

إن الطاقة المشعة التى فى الادب تصدر كما قلنا ألواناً من الإشعاعات . وبعض هذه الإشعاعات ظاهر وبعضها خفى . والكثيرون هم الذين يثقلون تلك الإشعاعات الظاهرة ، أما الخفية منها فلا يتلقاها إلا القلة . وعندئذ فقط يبدأ التفاوت بين الناس فى قدرتهم على تلتقي هذه الإشعاعات يفرق بين فهم وفهم ، وبين تذوق وتذوق . فالادب يتفاعل معنا

بحسب قدرتنا الأدبية ، بحسب قدرتنا على الفهم والتذوق . فنأراد صورة جامدة من الالفاظ فإنه واجد هذه الصورة ، ومن أراد شخصية حية نابضة فإنه واجد هذه الشخصية . هذه إشعاع وتلك إشعاع . ولكن فرق بين الاثنين ، هو فرق ما بين من يتذوق الأدب روحاً ، ومن يفهمه صورة جامدة .

وبعد : فهذا حديث أسوقه إلى المولعين بفهم الأدب على أنه صورة جامدة بعامة ، وإلى الأستاذ المختون ، الذى تطوع فى عدد جمادى الآخرة من هذه المجلة بتقد فهمى لبنت من الشعر الجاهلى بخاصة . فتذوق الشعر لا يصدر عن معاجم اللغة . وإذا كنا نستعين فى بعض الأحيان بهذه المعاجم لمعرفة دلالة لفظ غريب عنا فينبغى أن يكون معروف أن المعجم لا يعطينا الدلالة الفنية للفظ ، وإنما ندرك هذه الدلالة بحسنا الخاص ، وذوقنا الذى تربى على تعاطى الأدب والتفاعل معه . ولو كان المعجم هو كل شيء لسكان الخطب يسيرا ، وسكان كل إنسان ذواقة نقادة . إن الالفاظ فى المعجم جامدة والأدب شخصية حية ، ومحال أن نقل الحى حتى نستطيع فهمه . معاذ الأدب !

ومع أننى لم أكن فى مجال دراسة نقدية لذلك البيت بل كانت الدراسة أقرب أن تكون تاريخية فقد علم الأستاذ المختون أننى اخترت أحد معنيين يعيش بهما البيت بين الناس ، ولم أقترح شيئاً من عندى . وعندئذ يكون الحكم على فهمى بأنه لم يصب التوفيق ينطوى على مغالطة . وكان يستطيع - إن أراد مواجهتى حقاً - أن يتهمنى بفساد الذوق لأننى اخترت أحد التفسيرين دون الآخر .

وعندئذ أقول له : لأننى اخترت هذا التفسير يا صديق لأنه هو التفسير الذى يجعل فى البيت صورة حية ، صورة الشخص الذليل الذى صلمت أذنه ( اذكر يا صديق أن عبارة صلم الأذن هى ملصها التى نستخدمها فى لغتنا العامية ، وأنت تعرف ولاشك على أى شيء يدل تلمص الأذان ) وهذه أخرى أن تكون حالة من كان يقبل الدية ولا يأخذ بالثأر . أما التفسير الآخر الذى اخترته أنت فلا يفيد شيئاً من صورة الصلم بخاصة وأنها ارتبطت بالنعام ارتباطاً وثيقاً ، وأحسبك أدركت الآن السر فى اختيارى هذا التفسير بالذات ، فقد كنت مثلك أعلم بوجود تفسير آخر ؛ فقد اخترته لأنه يثبت فى البيت الحياة ويجعل الصورة فيه حية نابضة تستطيع أن تتفاعل معنا ، لا مجرد مجموعة من الالفاظ ذات دلالة جامدة .

## خالد بن الوليد

خالد بن الوليد ، كتاب للشيخ صادق عرجون ، ظهر في الصيف الماضي ، عن دار إحياء الكتب العربية .

والاستاذ صادق عرجون شيخ علماء الاسكندرية - للتعريف لا للتشريف - رجل نفخ من أية نواحيه نظرت إليه ؛ فهو كريم الخلق ، متين الدين ، غزير العلم ، بايخ القلم ، وجماع رأي فيه ، أنه خير مثال وأصدق للمسلم الغض .

قرأت له - منذ سنوات - كتابه : « عثمان بن عفان » ، وأعجبت به في جملته ؛ فكتبت عنه مقالاً رئيسياً في مجلة الأزهر ، كنت فيه شديداً بالغ الشدة ، محاسباً دقيق الحساب ؛ ولكني داورت ، فوضعت الدواء في برشامة ؛ وكشف مرارته قوم ، ولم يساورني شك في أن إخلاصه الذي لمست ؛ سيتهدى إلى إخلاص في أن أسهم بنصيب ، في جلاء بعض الأصداء عن هذه الأداة المستكملة ، وفي إسعاد هذه المواهب القوية في القراءة والاكتمال ؛ والمنافسة بيني وبينه - بطبيعة ظروفنا - مفقودة ، والتحاسد بيننا معدوم .

وقد أيد حسن رأيي فيه تأييداً حاسماً ، أنه عاد فأهدى إلى نسخة من كتابه هذا : خالد بن الوليد ، لأول عهده بالظهور ؛ وعلى الرغم من طغيان الرغبة في أن ألثمهم التهاماً ؛ تباطأت في قراءته ليطول استمتاعى بالحياة في تاريخ لم يظفر الوجود بأنعم من ظلاله ، جلت لوحته ريشة صناع ، وقلب مؤمن ، وعقل مستنير ، فلما انتهيت إلى غايته ، هممت أن أكتب ما رأيت ؛ فسبقتني الدكتورة ابنة الشاطئ . فكتبت عنه في الأهرام ، وأملت ببعض ما عرض لي ؛ ورجح عندي أن من الخير أن أوجل كلمتي ، حتى لا تذهب بجانب كتابة الدكتورة صيحة في واد .

\* \* \*

كان أبرز ما أخذته على عرجون في كتابه : عثمان بن عفان ؛ أن قلبه دائماً يسبق عقله وعاطفته تطغى على منطقته ؛ وأن سيطرة هذا الاتجاه عليه ، جعلته يمزج العصمة من الخطأ ؛

بالعصمة من الوزر المؤثم ، فيحاول أن يثبت العصمة من الخطأ لعثمان ، على حين أنه حسب عثمان أن يعصم من الإثم ، وفي الاجتهاد بذلك ضمان .

ولا ريب ، أن ( عرجون ) في كتابه : خالد بن الوليد ، ليس ( عرجون ) في كتابه : عثمان ابن عفان ، أو بعبارة أفضل ، أن عرجون في كتابه الاول ، كان ينزع عن شباب كله ثورة ، وكله عواطف ؛ فأما في كتابه الثاني ، فإنه ينزع عن اكتهال قريب جدا من الاكتهال ، يسيطر عليه - في أكثر أحواله - سلطان ، قوى السطوة ، من الروية والائزان . ومن التواضع السخيف الظالم ، أن أحرم نفسي حظها المحدود ، من فضل هذا الاتجاه .. ! مع الاعتراف بالفضل الأكبر لاطوار الحياة .

\* \* \*

كتاب : خالد بن الوليد للأستاذ صادق عرجون ، غرة في جبين الازهر ، تزينه ، وتشرفه ، وتقوم أسطح حجة ، على أنه ما يزال بين جوانحه أفذاذ يحسنون خفارة مجده ، وينضحون عن كرامته ، ويكشفون عن خصائص جلال الإسلام الذي يستظل الازهر بلوانه ، ويخاصم العالم فيه .

وقوة هذا الكتاب ، ليست مستمدة من موضوعه فحسب ، ولكنه قوى في تبويه ، قوى في أسلوبه ، قوى في تحرير مواضع النزاع ، قوى في سببر ما ورد من الأدلة ، وتزييف ما لا يثبت منها على البحث ؛ قوى في إحاطته بموضوعه ، وتمثله تمثلا مكن له في أن يبرزه في صورة متماسكة ، مترابطة ، ينظمها مزاج من التدوق والانسجام .

لا أريد أن آخذ على الناس مذاهب حريانهم ، فأطلب إليهم أن يصدقوني ، أو أن يعملوا برأيي ضربة لازب ؛ ولكنني أطلب إليهم أن يقرءوا كتاب خالد بن الوليد ، وأنا الضمين بأنهم سيرون فيه أجمل مما رأيت ، وسيمتدحونه بأبلغ مما مدحت .

أجل : أنا الضمين ، أنا الضمين . فهاؤم اقرءوا هذا الكتاب !

ولقد كنت أخذت على المؤلف ، ما أخذته عليه الدكتور بفت الشاطيء ، من شدته في الرد على الدكتور هيكل ، ولكنني اقتنعت برده المذهب عليها ، وتوجيهه لتلك الشدة ، بأنها دفاع عن جلال الفاروق ، ومن ذا الذي لا يغضب ويشور ، فيقول ما يريد وما لا يريد حمية لمركز الفاروق .

فأما الذى أجعله لهذا الكتاب الكريم ، كسوداء العروس ؛ فهو :

١ — عدم ضبط الأعلام ، وبعض ما يحتاج إلى الضبط من الكلمات ؛ مع أن الكتاب يرغب فى قراءته المثقف والعامى .

٢ — الاهتمام البالغ بتبرئة خالد فى قصة مالك ، مع أن الأمر فيها لا يعدو الاجتهاد ، وأن اجتهاد خالد خالف اجتهاد عمر ، وكلاهما مأجور : المخطئ منهما والمصيب . وبما تقره الشريعة ، ما قرره الشاعر :

وذات حليل أنكحتها رماحنا حلالا لمن يبنى بها لم تطلق

٣ — إنكار الأستاذ أن النصر فى غزوة مؤتة كان بالنجاة ، وأن الهزيمة والفرار يسمى فتحاً ؛ ص ٦٧ و٦٩ ، مع أن صلح الحديبية سمي فتحاً ، على موقف الصحابة منه .  
فأما فى الأسلوب ، فإني أرجو أن يراعى فى الطبعة الجديدة تصحيح ما يأتى :

١ — ص ٦٤ س ٢ : رسمت ، أسوأ ، هكذا : أسوء بهمزة مفردة ولعلها تطبيع .  
٢ — ص ٩٢ س ١٥ : قال الأستاذ : د فلو سلمنا بما فى الرواية ، لكان خالد ابن الوليد . . من أكثر الناس استهتاراً بتلك القواعد .

والاستهتار إنما يكون بالخمر والنساء ، ومعناه : الولوع . واستعماله فى غير ذلك على .  
٣ — ص ١٢٣ س ١٠ : قال : د وتجمع الغناء إلى بعضه جسراً يمنع تيار الإسلام . .  
وصوابه : وتجمع الغناء بعضه إلى بعض .

ص ٢٢٢ س ١٨ : قال : د لأن انعدام الثقة بين الجنود سبهم نافذ .  
وكلمة انعدام ليست فى اللغة العربية .

ص ٣٣٣ س ١٥ : قال : د وروى ابن عساكر أن هشام البخترى قال ، الخ . .  
هكذا كتب هشام بميم واحدة ولعلها تطبيع .

\* \* \*

أما بعد ، فمن شاء أن يرى الدين والعلم يتعاقبان ، والعاطفه والعقل يتعاطفان ،  
فليشهد الأستاذ صادق عرجون ، من خصاص كتابه : خالد بن الوليد .

عبد الجواد رمضان

# الشَّعْبُ الْمِصْرِيُّ وَالْإِنْجِلِيزُ

عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م)

غادرت الحملة الفرنسية مصر عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) وفي جسم كل جندي من جنودها أثر من آثار مقاومة الشعب المسلحة ، وفي خيال كل فرد من أفرادها ، أشباح مرعبة تتسلل وسط الحقول وتختفي وراء الجسور ، وهي تحديق في الفرنسيين بنظرات تنقد حماسا ووطنية . لقد غادر الفرنسيون مصر غير نادمين على الجلاء عنها ، بل كانوا فرحين لخلاصهم من أشبال وادى النيل والدلتا الذين جعلوا حياتهم جحما لا يطاق .

ولم تسكد تمضى مدة ستة أعوام على جلاء الفرنسيين عن مصر حتى فكرت إنجلترا في احتلالها عام ١٨٠٧ ؛ وكانت إنجلترا تهدف من وراء هذا الاحتلال إلى عدة أغراض : منها إضعاف تركيا والقضاء على المطامع الاستعمارية الفرنسية وضمان سلامة امبراطوريتها في الهند بالسيطرة على أهم مركز حربي في الشرق الأدنى ، وقد شجع الانجليز على المضي في سبيل تحقيق غايتهم اتفاق المالك بزعامة محمد الآلاني مع إنجلترا على احتلال البلاد ليستردوا سلطانهم المفقود بعد أن انفض من حولهم الشعب المصري .

الهجوم الانجليزى :

في ٤ المحرم ١٢٢٢ هـ (١٤ مارس عام ١٨٠٧ م) رست إحدى السفن الحربية الانجليزية في مياه الاسكندرية دون أن يعلم أحد سبب مجيئها ، وقام بزيارتها القنصل العام لانجلترا في مصر وهو المساجور ميست ، وقد لوحظ أن القنصل عقب هذه الزيارة قد نشط في إنفاذ عدة رسائل إلى جهات متفرقة في القطر ، ولم تثر هذه الرسائل أى اهتمام خاص للاعتقاد بأنها موجهة إلى الرعايا الانجليز في البلاد ، مع أنها كانت في الحقيقة موجهة إلى أمراء الممالك تنبئهم بهجوم الانجليز ، وتطالب منهم المساعدة في هذا الهجوم .

وكان من حسن حظ مصر أن الآلاني زعيم الممالك قد توفي قبل هذا الحادث بأسابيع قليلة ، وكان هو الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يجمع كلمة الممالك الخونة ليحاربوا في صف الانجليز .



وقد عثر فيما بعد على بعض هذه الرسائل التي تثبت خيانة المماليك لإثباتنا قاطعاً ، وكان مما جاء فيها : — « إننا جئنا إلى بلادكم باستدعاء الألفي لمساعدته ، وساعدتكم فوجدنا أن الألفي قد مات وهو شخص واحد منكم وأنتم جمع ؛ فلا يكون عندكم تأخير في الحضور فإنكم لا تجدون فرصة بعد هذه ، وتقدمون بعد ذلك إن تلتكأتم ، .

وفي ٧ المحرم ١٢٢٢هـ ( ١٧ مارس ١٨٠٧م ) أقبلت عمارة بحرية انجليزية مكونة من خمس وعشرين سفينة بقيادة الأميرال ( لويس ) ورسست في مياه الاسكندرية ، ونزلت منها حملة مؤلفة من فرقتين : إحداهما بقيادة الجنرال ستيوارت ، والأخرى بقيادة الجنرال ويكوب وكانت القيادة العامة للحملة معقودة للجنرال فريزر .

استطاعت الحملة أن تحتل الاسكندرية ليلة ١١ المحرم ( ٢١ مارس ) بخيانة من محافظ المدينة ( أمين أغا ) وهو أحد ضباط العثمانيين الذي سـلم نفسه ومعه حامية الثغر دون مقاومة .

بدأ الانجليز بعد ذلك في تنفيذ خطة الاحتلال ، وهى تركز في الاستيلاء على الثغور المصرية بمساعدة الأسطول ، بينما يقوم المماليك بالاستيلاء على المواقع الهامة في داخل البلاد . وتنفيذ هذه الخطة عزم الجنرال فريزر على الاستيلاء على رشيد وأرسل الجنرال ويكوب لتنفيذ هذه المهمة ، وفي ٢١ المحرم ( ٣١ مارس ) كان الانجليز على أبواب رشيد . بطولة أهالى رشيد :

لم يكذب أهالى رشيد يشعرون باقتراب الجيش الانجليزى حتى عقد أعيانهم اجتماعاً برئاسة أكبر شخصية في المدينة ، وهو السيد حسن كريت نقيب الأشراف ، وقد قرر مجلس الدفاع الوطنى للمدينة بعد مناقشات مثيرة تعبئة الأهالى للدفاع عن رشيد ، وقد شجع هذا القرار حامية المدينة المؤلفة من سبعمائة جنـدى للاشتراك في المقاومة بقيادة المحافظ ( على بك السلانكى ) .

وفي خلال هذه الفترة العصيبة وصلت إلى رشيد رسالة من الوالى ( محمد على باشا ) يبدى فيها استعداده لإرسال النجـدات لمواجهة الهجوم الانجليزى ، وتدل هذه الرسالة على أن محمد على لم يكن يرغب رغبة جـدية في دخول معركة التحرير ، وأنه يفضل ترك الشعب للدفاع عن نفسه ، ليدخر قوته لضرب المماليك ، لذلك اكتفى بعرض مساعدته كتابياً عن

الاشتراك الفعلى فى الحرب ، وقصد أجاب أهالى رشيد بالإجماع على هذه الرسالة بأنهم لا يحتاجون إلى أية نجدة ، بل إن إرسال النجدة لا يأتى منه إلا الضرر ، لأن الجنود الدلاة لا هم لهم سوى النهب والسلب والفتك بالشعب نفسه ، وأن حوادثهم عام ١٢٢٠ ( ١٨٠٥ ) لا تزال ماثلة فى الأذهان ؛ فقد مثلوا بأهالى القاهرة تمثيلا . هذا إلى أن جرى الحوادث قد برهن على أن هؤلاء الأخطا لا يهتمهم الدفاع عن البلاد فى شئ ، إذ سلمت حامية الاسكندرية للانجليز دون مقاومة ، وكذلك فعلت حامية دمهور .

كل هذه الظروف والملايسات جعلت الشعب وحده يتحمل مسؤولية الدفاع عن البلاد ، فقام بطل الأبطال ذلك الجندى المجهول - الشعب - وتقدم إلى الميدان لينخوض المعركة ضد الانجليز ، وقرر الزعيم الوطنى السيد حسن كريت بالاتفاق مع على بك السلانكلى إبعاد السفن إلى الشاطئ الشرقى للنيل ، حتى لا يفكر أحد فى الفرار ، ومعنى ذلك أن الاهالى قد صمموا على الدفاع عن مدينتهم حتى الموت .

وصل الانجليز إلى خارج المدينة دون أن يجدوا أثراً للمقاومة ، فظنوا أن حاميتهما قد أخلتها اقتداء بما حدث فى الاسكندرية ودمهور ، فدخلوا المدينة وانتشروا فى شوارعها وأزقتها ، وماكادوا يستقرون داخلها حتى دارت معركة الحياة أو الموت ، وانطلق الرصاص من جميع الجهات على الانجليز ، فكانت مفاجأة ملأت قلوبهم ذعراً ، وجعلتهم يتلصسون الفرار بأية طريقة ، وقد ضاقت الدنيا فى وجوههم من شدة الضرب ، حتى خيل لإلهم أن الطلقات النارية تصدر من كل جحر فى المدينة ، وكانوا أثناء فرارهم يتعشرون فى جثث القتلى والجرحى منهم ، فيزداد اضطرابهم ، ويمعنون فى الفرار ، وعادت قلوب الحملة إلى الاسكندرية عن طريق أبى قير بعد أن خسرت قائدها الجنرال ويكوب نفسه .

لقد كان هذا النصر درة فى جبين رشيد ، فقد سطر كل فرد من أفرادها قصة من قصص البطولة ، وأثبتت رشيد بفوزها أن الحرية لا تستعصى على شعب باسل يأبى الذل والاستعباد .

وما كادت تذيب أنباء ذلك النصر ، حتى اهتزت البلاد حمية ، واستعد كل مصرى لمواجهة الانجليز ليفعل بهم مثلاً فعل أبطال رشيد ، وبادر السيد حسن كريت وعلى بك السلانكلى بعد انتهاء المعركة بإرسال مائة وسبعين من أسرى الانجليز إلى القاهرة التى كانت

قد انقلبت إلى كتلة من الحماس ، بزعامه السيد عمر مكرم الذى تولى تعبئة المقاومة الوطنية في العاصمة استعدادا لمواجهة الانجليز ، وكان مظهر الشعب رائعا وهو يبنى الاستحكامات العسكرية للدفاع عن القاهرة ، وينفق على الاستعدادات الحربية من تبرعات الوطنيين ، كل ذلك ومحمد على باشا كان متغيبا في الصعيد .

العودة إلى الهجوم على رشيد :

شاهد المماليك هزيمة حلفائهم الانجليز ، ففقدوا عن مناصرتهم ، وبذا أفلح الشعب في عزل المماليك عن الانجليز ، كما أن هذه الهزيمة هالت الجنرال فريزر ، فعزم على أن ينتقم لانجلترا من أهالى رشيد ، وجرد لهذا الغرض حملة أخرى بقيادة الجنرال ستيوارت ليحوم أثر هذه الهزيمة .

قرر الجنرال ستيوارت أن يقوم بتطويق رشيد لمنع وصول الإمدادات إليها فاستولى على الحناد الواقعة في جنوبها ، وفي اليوم السابع من إبريل نصب مدافعه في جنوب المدينة وفي غربها ، وشرع في ضربها بالمدافع ، فأخذت القذائف تنهال على المدينة مدة اثني عشر يوما وكان في اعتقاده أن الأهالى سيكفون عن المقاومة تحت ضغط نيران المدفعية ، ولكن راعه تصميم الأهالى على المقاومة دون أن تبدو عليهم علامة من علامات الفتور أو الضعف وفي ذلك يقول في رسالة له إلى الجنرال فريزر :

« إن <sup>(١)</sup> ما أنبأتوني به من قرب حضور المماليك جعلنى أترى في الهجوم على رشيد ، لقد ألحقنا بالمدينة أضرارا كبيرة ، وقد بلغ ما أطلقناه عليها من المدافع البعيدة المرمى وحدها ثلاثمائة قنبلة ، على أنه قد تبين لنا أن الاعداء لا يكتفون بالمصائب التى تنزل بهم . »  
وختم رسالته بقوله : « إن نجاحنا معلق على نجدة المماليك ، ولكن المماليك لم يحضروا ولن يحضروا بعد ما رأوا من شدة بأس الشعب . »

استمر أهالى رشيد بزعامه السيد حسن كريت يدافعون عن مدينتهم دفاع المستميت وأرسل السيد حسن كريت إلى السيد عمر مكرم زعيم المقاومة المسلحة في القاهرة يطلب إرسال النجادات على وجه السرعة ، ولما أبطأت النجادات عاد وأرسل إليه رسالة أخرى يستعجته فيها على إجابة طلبه وبما جاء فيها نقلا عن المؤرخ الجبرتي :

« إن الانكليز محتاطون بالنصر ومتحلقون حوله ويضربون البلد بالمدافع والقنابر (القنابل) وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية ومات كثير من الناس وقد أرسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الإعانة والنجدة فلم تسعفونا بإرسال شيء ، وما عرفنا لاي شيء هذا الحال وما هذا الإهمال ؟! فآله الله في الإسعاف فقد ضاق الحناق وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المراقبة والسهر على المتاريس » .

وتدل صيغة هذه الاستغاثة على مبلغ ما لقيه المجاهدون من الشدة في الدفاع عن مدينتهم ، كما يدل استنجد الأهالى بزعم المقاومة الشعبية السيد عمر مكرم على أن الذى يدير دفة المعركة هو الشعب .

تدفق الشعب لنجدة رشيد :

لم يقصر السيد عمر مكرم كما كان يظن السيد حسن كريت ، بل إنه عندما وصلتته الرسالة الأولى من رشيد تلاها على الجماهير ، وطلب منهم سرعة العمل لنجدة المدينة فاستجاب له الأهالى فى حماس رائع حتى باعوا حاجياتهم الضرورية ليشتروا بثمنها أسلحة ، وكانوا يجمعون التبرعات من بعضهم للإنفاق على فقراء هذه الحملة الشعبية ، وتطوع للقتال أبناء الأقطار الشقيقة ومن أشهرهم أحمد النجارى وشقيقه سلامة النجارى ، وكانا من تجار مكة وقد جمعا حملة مؤلفة من مائة من البدو والمغاربة وتعددا بتسليحها والإنفاق عليها ، كما قاما بتقديم المعونة لغيرهما من المتطوعين واشتركا بنفسيهما فى معركة التحرير . وهب أهالى البحيرة والبلاد المجاورة لرشيد لقتال الانجليز ، فكانت هذه التعبئة الشعبية مظهرأ جليلا من مظاهر التضامن القومى الرائع الذى أدى إلى اندحار الانجليز فى معركة الحماة .

يقول مؤرخ مصر الجبرتي وصفا لحوادث معركة الحماة فى ٢٩ إبريل وكان معاصراً لها .

« ولما وصل المتطوعون إلى متاريس الانكليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم وصدقوا فى الحملة عليهم وألقوا أنفسهم فى النيران ولم يبالوا برميهم وهجموا عليهم واختلطوا بهم وأدهشهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم فألقوا سلاحهم وطلبوا الأمان » . وبذا انتصر الشعب للمرة الثانية ، وكانت خسائر الانجليز فادحة هذه المرة ، إذ بلغت حوالى التسعمائة ما بين قتلى وأسرى ، هذا عدا الجرحى .

## جلاء الانجليز :

سقطت هيبة الانجليز بعد معركة الحماة ، وضاع أملهم في احتلال البلاد بعد الهزائم الساحقة التي لحقتهم ، وحاول الجنرال فريزر أن يجمع حوله المماليك وأن يستنفرهم للقتال مرة أخرى ؛ إلا أن حماس الأهالي ووطنيتهم قد قطعاً كل أمل على المماليك في مساعدة الانجليز فلم ير الجنرال فريزر بداً من المفاوضة في الجلاء عن الاسكندرية ، وسافر محمد علي باشا إلى دمنهور ليقطف ثمرة هذا الانتصار الشعبي ، وهناك أبرم الطرفان معاهدة ١٠ رجب سنة ١٢٢٢ ( ١٤ سبتمبر عام ١٨٠٧ ) التي تقضى بجلاء الانجليز في مدى عشرة أيام من توقيع المعاهدة مع تسليمهم أسراهم وجرحاهم وفي يوم ١٦ رجب ( ١٩ سبتمبر ) تم جلاء الانجليز عن الاسكندرية .

ولا يسعنا هنا إلا أن نقول : إن مصر التي قهرت الانجليز عام ١٨٠٧ ، هي مصر الآن مع فروق واسعة في التعداد والاستعداد والإمكانات ؛ فبينما نجد أن تعدادها في المرة الأولى حوالى ثلاثة ملايين نجده الآن حوالى اثنين وعشرين مليوناً لا تنقصهم شجاعة أبطال رشيد ، وقد خاض الشعب المعركة عام ١٢٢٢ ( ١٨٠٧ ) دون استعداد وانتصر فيها ، ولكنه الآن على تمام الالهة لمواجهة الانجليز ، وقد واجه الانجليز الشعب بمفرده عام ١٨٠٧ ، ولكنهم الآن يواجهونه مع الحكومة والجيش متضامين ؛ فإذا كان النصر حليفنا في المعركة الأولى ، فهو محقق في معركة اليوم بإذن الله تعالى ؟

## أحمد عز الدين عبد الله خلف الله

المدرس بمعهد دسوق

( المجلة ) إن المصدر الأول لهذه الأحداث هو تاريخ الجبرتي ، وإن الأشهر والسنين المذكورة فيه هي اللائقة بالأزهر وأهله وسائر المسلمين . وقلم تحرير المجلة هو الذي يقوم في كل المقالات الواردة من حضرة الكاتب بتحويلها عن التاريخ الاجنبي إلى التاريخ الهجرى . فلعل الكاتب يكفيها هذه المؤونة مشكوراً فيما يقوم بكتابتها بعد .

# أَسْبَابُ الشَّرِيعَةِ

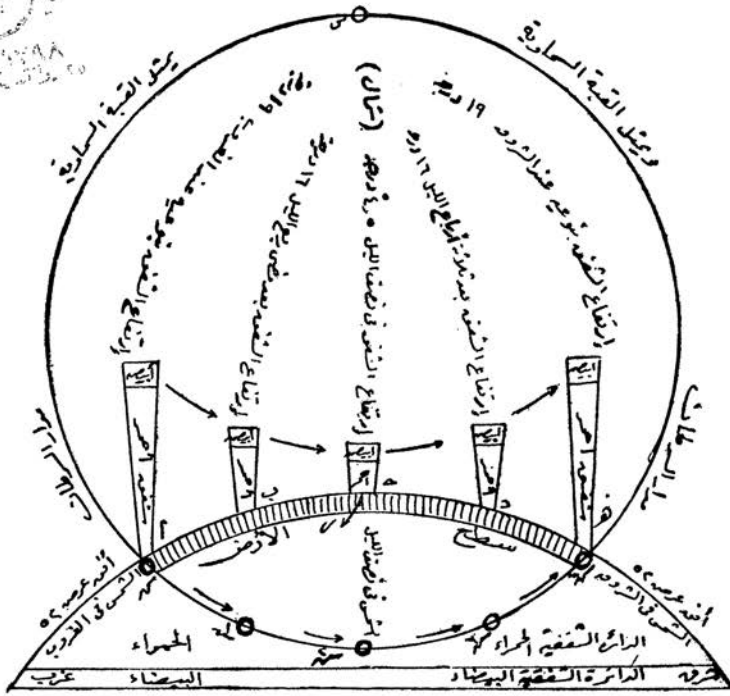
## واعتناء الحساب الفلكي لأوقات الصلوات الخمس

كان موضوع مقالنا السابق في جزء ربيع الآخر ، اعتناء الحساب التحقيقي لتحديد أوقات الصلوات الخمس عند جميع المحققين من الفقهاء ، ودأ على من عمد إلى قياس الظل لوقتي صلاة الظهر والعصر ، غير معتمد لحساب النتائج السنوية ، بعد اطلاعه على كلمة ابن دقيق العيد ، لا تجوز الصلاة على الحساب ، ...

وقد امتد كلامنا معه في هذه المناظرة إلى حكم البلاد التي يدوم فيها الشفق ظاهراً طول الليل فوق الأفق ، فتتصل حصّة المغرب بحصّة الصبح ، وأسقط علامة حصّة العشاء من بينهما .

ولما كان شرح هذه الظاهرة في حاجة إلى بيان أكثر ورسوم مختلفة الطرق ، أرجو أن تنسج صفحات المجلة لعرض الوجهين الآتين ، حتى تنطبع لهذه الظاهرة عند القارئ صورة قريبة من الحقيقة ، يمكنه أن يرتكز عليها تفسيكه عند الاعتبار بخلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، جزاكم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين ...

الوجه الأول : في ٢١ يونيو من كل سنة حينما ينطبق مدار الشمس اليومي على مدار السرطان ، وإذا وقف إنسان يرقب السماء في إحدى البلاد الآتية ( موسكو - ليننجراد - برلين - لندن - أكسفورد - دوفر - بروكسل - دنكيرك - كاليه - هافر - أمستردام - كوبنهاج - وجميع بلاد البلجيك وهولاندا والدانماركا ) إلى غير ذلك من كل بلد يبعد عن خط الاستواء بأكثر من (٤٩) درجة إلى (٦٦) درجة ، وكان هذا الراصد في فضاء متسع وليس حوله ما يمنع بصره من الامتداد كالموضع (س) في الرسم رقم (١) الذي يمثل العرض (٥٢) المتوسط للبلاد المتقدمة ، يترامى له :



الرسم رقم (١)

أولاً ، أن الأرض مبسوطة تحت قدميه وممتدة إلى أن تلتاق السماء والقبة الزرقاء ، من كل جهة ، بحيث يكون تلاقيهما دائرة محددة لنظره ومقاسارية الأبعاد بالنسبة إليه تسمى (الافق الظاهري) عند علماء الفلك العام ، ويسميه الفلكيون الشرعيون (الافق الشرعي) إذ تتعلق به أحكام تحديد الاوقات الشرعية للصلاة والصوم والحج وغير ذلك . .

ثانياً ، إذا استقبل هذا الراصد محل غروب الشمس بعد اختفائها في الافق يرى أن الضوء المنتشر فوقه غرباً لا يزيد ارتفاعه عن (١٩) درجة رأسية ، وهو المسمى بالشفق بنوعيه ، الاحمر والابيض ، ...

ثالثاً — يرى أن هذا الشفق يتناقص ارتفاعه تدريجياً بمرور الوقت كلما زاد انخفاض الشمس عن الافق ، كما يراه متتبعاً من محل غروب الشمس نقطة (١) في الرسم إلى جهة الشمال (ح)

لسيره حيثنذ بإزاء الشمس إلى أن تصل غاية انخفاضها (ش ٢) في منتصف ليل هذه  
الامكنة فيبلغ الشفق أيضاً نقطة (ح) وهي الشمال نصفاً كما يبلغ أقصر أطواله بحيث لا يقل  
ارتفاعه حينئذ عن (٥٠) درجة رأسية ...

إذ أن غاية انخفاض الشمس تحت الأفق في نصف ليل هذا اليوم وفي ذلك البلد لا يزيد  
عن (١٤٥) درجة ، وهو باقى طرح (٥٢) عرض البلد من متم الميل المساوى  
(٩٠ - ٢٣٥ = ٦٦٥) الذى هو أول حدود المنطقة المنجمدة الشمالية ، إذ أن  
(٦٦٥ - ٥٢ = ١٤٥) فيبقى فوق الأفق (١٩ - ١٤٥ = ٥٠) درجة ،  
والمفروض فى الشفق أنه لا يتم غيابه إلا بعد انخفاض الشمس بقدر (١٩) درجة رأسية ،  
وهو مقدار ارتفاع الشفق فوق الأفق وقت غروب الشمس مباشرة كما هو موضح فى الرسم  
رقم (١) ...

ثم بعد منتصف الليل تأخذ الشمس فى التحرك من نقطة (ش ٢) مرتفعة بالثانى  
ومتجهة نحو الأفق الشرقى فيسير الشفق بإزائها أيضاً حول الأفق من نقطة (ح) نحو الشرق  
(هـ) آخذاً فى الاستطالة بالثانى إلى أن تبلغ الشمس مكان شروقها (ش ٤) ، وحينئذ  
يكون الشفق قد بلغ فوق الأفق أكثر أطواله (١٩) درجة رأسية كما كان وقت غروب  
الشمس .

ومن ذلك يعلم أن علامة وقت العشاء قد انعدمت هذا اليوم فى تلك البلاد ، إذ أن شفق  
حصّة المغرب قد اتصل بشفق حصّة الصبح مباشرة وهو الفجر ، دون اختفاء فى الأفق الذى  
هو علامة حصّة العشاء .

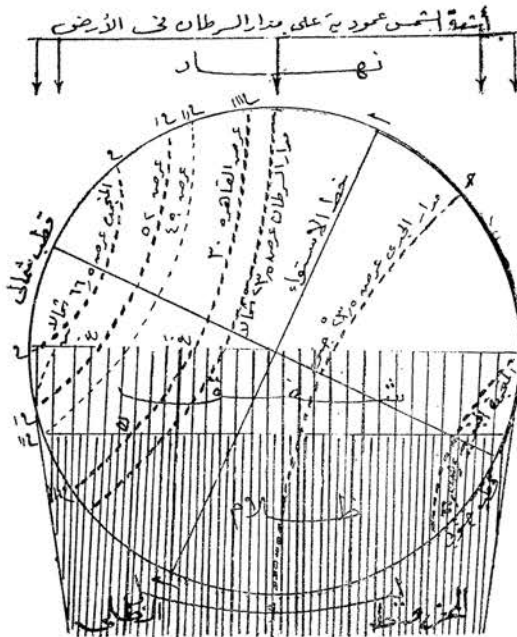
مع العلم بأن علامات الأوقات غير العشاء لاتعتمد أصلاً فى هذه البلاد ، أعنى المنحصرة  
عروضها بين (٤٩) و (٦٦٥) فى أى يوم طول السنة ...  
وأما البلاد التى يبلغ عرضها (٦٦٥) درجة فأكثر ، وهى بلاد المنطقة المنجمدة ،  
كجزيرتى (إيسلندا وجرينلندا) وشمال سيبيريا ، ففى أوائل الصيف تغدو فيها علامات  
الأوقات الثلاثة (المغرب والعشاء والصبح) ، إذ يدوم النهار فيها مقدار جملة أيام معتدلة  
دون ليل حيث لا غروب ولا شروق .



وفي أوائل الشتاء تنعدم فيها علامتا الظهر والعصر ، إذ يدوم الليل فيها جملة أيام كما سبق شرحه في مقال ربيع الآخر .

الوجه الثاني : قد عرضنا البيان الوصفي على القراء في الوجه الأول حسب ظواهر الحركة اليومية لنفس الشمس وسائر الكواكب السماوية ، وسنعرضه في الوجه الثاني على طريقة الحركة الحقيقية للأرض حول نفسها يوميا وحول الشمس سنوياً . وها هو البيان :

إذا تصورنا أن الكرة الأرضية في الرسم رقم (٢) تدور حول نفسها أمام الشمس مرة في كل (٢٤ ساعة) ويسمى دورانها هذا بالحركة اليومية كما تدور حول الشمس مرة في كل سنة ، ويسمى دورانها هذا : بالحركة السنوية ، وأنها بسبب حركتها اليومية يستدير وجهها المقابل للشمس وهو النهار ، وتحذف مخروطا ظلها يغطي وجهها المضاد وهو الليل ، ثم يتعاقب الليل والنهار لتقلبها أمام أشعة الشمس في هذه الحركة ...



الرسم رقم (٢)

وأنها بسبب هذه الحركة والحركة السنوية ، ترسم أشعة الشمس العمودية خط استوائها الجغرافي يومى ( ٢١ مارس وسبتمبر ) في تساوى الليل والنهار فى جميع بقاع الأرض ، ثم تميل أشعة الشمس العمودية عن خط الاستواء يوما بعد يوم إلى أن يبلغ الميل أعظمه فى يومى ( ٢١ ديسمبر ويونيه ) فترسم فى اليوم الأول مدار الجدى جنوبا ، وفى الثانى مدار السرطان شمالا ...

لذا تصورنا كل هذا وتأملنا فى الرسم رقم ( ٢ ) الذى وقعت فيه أشعة الشمس عمودية على مدار السرطان فى ٢١ يونيه نرى ، أولا ، أن البلاد التى عرضها ( ٤٩ ) فأكثر إلى ( ٦٦٥ ) قد دخلت عند الغروب فى المخروط الظلى الذى تحدفه الأرض فى الجهة المضادة لمقابلة الشمس ، إلا أنها لا تدخل فى عتمة المخروط الظلى ( الظلام الحالك ) بل تبقى متحركة فى منطقة الشفق إلى منتصف الليل ثم تتجه بعده نحو ضياء الشمس بالثانى إلى أن تخرج من منطقة الشفق فتشرق الشمس عليها ...

ومعنى هذا أن الشفق لم يغب ولم يغرب عن هذا البلد بعد غروب الشمس ، بل اتصل شفق المغرب بشفق الصباح ، وبقي ظاهرا على الأفق طول الليل حتى أشرقت الشمس وطلع النهار ، ولم توجد علامة وقت العشاء فى هذه الليلة ...

وقد ظهر فى الرسم عند نقطة ( غ ) فى عرض ( ٥٢ ) كيف تدخل البلد بحركة الأرض اليومية فى منطقة الشفق ، ثم تأخذ عائدة بعد غاية انخفاضها ( م ) فى المنطقة الشفقية ( نصف الليل ) فترتفع نحو النهار إلى أن تصل نقطة ( ش ) وهو معنى شروق الشمس عليها وطلوع النهار دون دخول البلد فى منطقة الظلام الحالك ...

وهذا الرسم كما تراه وإن لم يمكن أن يتبين فيه ظاهرة حركة الشفق حول أفق هذه البلاد من محل غروب الشمس إلى الشمال فى نصف الليل ثم إلى محل الشروق كما فى رسم الوجه الأول ، إلا أنه من جهة أخرى يتبين فيه كيف تدخل جميع بلاد الكرة الأرضية فى منطقة الشفق يوم ( ٢١ يونيه ) من كل سنة ، وكيف أن البلاد التى عرضها أكثر من ( ٤٩ ) درجة وأقل من ( ٦٦٥ ) شمالا لا تغادر هذه المنطقة طول الليل من الغروب إلى الشروق فلا تغيب عنها ولا تدخل منطقة غسق الليل والظلام الحالك ، وهو معنى عدم غروب الشفق وانعدام حصة العشاء ...

كما يتبين في هذا الرسم أيضاً أن البلاد التي عرضها أقل من (٤٩) درجة شمالاً كالقاهرة في عرض (٣٠) كيف تغيب عن ضياء الشمس أعنى عن النهار فتدخل منطقة الشفق عند نقطة (غ) متحركة إلى أن تصل نقطة (ك) في غاية منطقة الشفق ، إذ تغيب عندها عن الشفق وتدخل في منطقة غسق الليل وظلامه الحالك ، وهو معنى غروب الشفق في القاهرة وانتهاء حصة المغرب وابتداء حصة صلاة العشاء .

ثم تسير أى القاهرة في منطقة الغسق والظلام الحالك إلى أن تصل غاية انخفاضها فيه وقت نصف الليل عند (م) في الرسم ثم تواصل حركتها عائدة نحو المنطقة الشفقية فتدخلها بالثاني ، وذلك هو الفجر الصادق ، فتبدأ حصة صلاة الصبح فيها كما يبدأ النهار الشرعى إلى أن تصل ضياء الشمس المباشر ، وهو معنى شروق الشمس وانتهاء حصة صلاة الصبح وابتداء النهار بالعرف العام .

كما يتبين في هذا الرسم أيضاً كيف أن جميع البلاد الواقعة جنوب خط الاستواء في هذا اليوم (٢١ يونيه) تدخل منطقة الشفق بعد غروب الشمس عنها ، وكيف تتغيب عن الشفق وتدخل غسق الليل إلى نصف الليل ، ثم رجوعها إلى منطقة الشفق وهو الفجر إلى خروجها منه وهو النهار . وذلك معنى غروب الشفق وشروقه وهما علامتا ابتداء وانتهاء حصة العشاء فلا انعدام لها في هذه البلاد .

ولا يفوتنا أن ننبه القراء إلى أن هذا الرسم قد تبين فيه أيضاً أن جميع بلاد المنطقة المنجمدة الجنوبية وإن لم تنعدم فيها علامة حصة العشاء في هذا اليوم وكذا علامتا حصتي المغرب والصبح إلا أنه قد انعدم فيها علامتا حصتي ضلالتى الظهر والعصر ، إذ أن هذه البلاد في هذا اليوم لا تغادر في حركتها منطقتى الشفق والغسق (الظلام الحالك) إلى غيرهما .

فتبدأ يومها بدخول منطقة الشفق وهو علامة حصة المغرب ثم تخرج منها إلى منطقة الغسق والظلام الحالك وهو علامة حصة العشاء ثم تعود إلى منطقة الشفق وهو الفجر وعلامة حصة الصبح ، وبذا ينتهى اليوم الذى هو مقدار الـ (٢٤) ساعة دون أن يوجد لهذا اليوم نهار ، فلا زوال ولا بلوغ لظل الشيء مثله أو مثليه ، وهو معنى انعدام علامتى حصتى صلاة الظهر والعصر ..

كما لا يفوتنا التنبيه إلى أن هذا الرسم قد تبين فيه أيضاً كيف أن جميع البلاد الواقعة

في المنطقة المنجمدة الشمالية أعنى التي عرضها (٦٦ر٥) فأكثر شمالاً في هذا اليوم - لا تبارح منطقة ضياء الشمس وهو النهار ، فلا تدخل منطقة الشفق ولا غسق الليل ، فلا غروب ولا شروق للشمس ولا للشفق ، وعليه فتتعدم علامات المغرب والعشاء والصبح معاً ، ولا يوجد فيها إلا علامتا الظهر والعصر ، وهما الزوال وبلوغ ظل الشيء مثله أو مثليه ، مع ملاحظة أنهما يحصلان مرتين في هذا اليوم فيسكون ظل الزوال الأول شمال الشاخص والثاني جنوبه ، فزوال الظهر يتميز بأنه الواقع جنوب مدار الشمس في السماء ، وظله يقع شمال الشاخص ، وعلامة العصر هي التي تلي هذا الزوال . وأما الزوال الذي يحصل شمال المدار ويقع ظله جنوب الشاخص فيمثل نصف الليل في اليوم المعتدل ، وما يلي هذا الزوال من بلوغ ظل الشيء مثله أو مثليه غير ظل الزوال فيمثل مضى معظم الليل أعنى ثلاثة أرباعه تقريباً ليوم المعتدل وهكذا . .

ولذا قلنا إنه يمكن بسهولة أن يقسم أهل هذه البلاد هذا النهار إلى حصص أوقات للصلوات الخمس ، بواسطة دورة الشمس في السماء ، ومساعدة الساعات المضبوطة على المزاوِل ، أو قياس الظل حسب حصص الأيام المعتدلة أى التي يستوى فيها الليل والنهار كما قال محققو الفقهاء ، دون أى حرج في الدين خلافاً لما توهمه البعض ، ما دامت عوامل التقدير الذي أمرنا به موجودة معلومة ، ومن لا يعلمها يسأل من يعلمها ( فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ) فأحكام الشريعة الإسلامية كما تراها نيرة بيضاء ، وقواعدها سهلة سمجة صالحة للعمل بها في كل زمان ومكان حتى في أطراف المعمورة من الأقطار القطبية وغيرها كقول الرسول ﷺ : ( بعثت بالحنيفية السمجة ) وقوله : « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بدي إلا هالك » ، ومن يحش منكم فسيري اختلافاً كثيراً ، فعليكم بما عرفتم من سنتي ، والله الموفق .

محمد أبو العز البنا

مدرس الفلك بالأزهر

ومن علمائه

## غزوة أحد

مضى عام على هزيمة قريش في غزوة بدر الكبرى ، وكان هذا العام أشبه بالهدنة المؤقتة التي لا يلبث بعدها الفريقان أن يلتقيا .

وكانت دموع قريش لما تحف على قتلها الاشراف في بدر . وبلغت روح الانتقام والثأر أعلا درجاتها ، وهكذا حانت الساعة الفاصلة بين عهد الهدنة وعهد القتال .

وكانت غير قريش موقوفة بدار الندوة ، لا يفيد أربابها منها شيئا .

وفي ليلة من الليالي عمدت قريش مؤتمرا حضره كثير من أشرافها ، منهم عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، وكل من كان له تجارة في تلك العير ، وكان أبو سفيان بن حرب كبير الحاضرين ، فاتفقوا على أن يبيعوا العير ، وأن يؤخذ ربحها فيجهز به جيش قوى لقتال محمد ، فبلغ هذا الربح خمسين ألف دينار .

واستنفرت قريش القبائل للقشترك معهم في القتال ، فانضمت قبيلتنا كنانة وتهامة ، وكذلك اتفقت قريش على أن يأخذوا نساءهم معهم حتى يدفعهم على القتال ، ويذكركمهم بالبكاء والعويل بما كان في بدر ، فيزيد والثأر طلبا ، وعلى القتال إقداما . فخرج من نساء قريش في هذه الغزوة خمس عشرة امرأة مع أزواجهن ، وعلى رأسهن هند زوج أبي سفيان وكانت أشدهن شوقا للدماء والثأر .

خروج قريش :

وفي اليوم الخامس من شوال في السنة الثالثة من الهجرة ، خرجت قريش من مكة وكان عددهم ٣٠٠٠ رجل ، ٢٠٠ فارس ، ٧٠٠ جندي مدرع ، ٣٠٠٠ بعير .

وخرج معهم أبو عامر الراهب ، ومعه سبعون فارسا من الأوس .

وكذلك تجهزت قريش بالكثير من العدة والسلاح ، وأخذوا معهم القيان والدفوف والمعازف والخنور ، ولما اكتمل لهم ذلك خرجوا ، وكان قائدهم أبو سفيان ، فسار بهم

حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة ، وكان وصولهم يوم الأربعاء ١٢ شوال ، وبينهم وبين المدينة خمسة أميال .

العباس يبايع النبي ﷺ :

تهدأ للعباس - وكان بين المجتمعين في المؤتمر - أن يقف على كل ما اتفقوا عليه ، فلما ارفض الاجتماع ، أسرع فأرسل رجلاً من بني غنار برسالة محتومة للرسول ﷺ واشترط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام لبياها ، حتى يصلها قبل قريش بوقت كاف ، ففعل ذلك ، ووجد النبي ﷺ بقاء على باب المسجد بهم بالخروج ، فدفع إليه الكتاب ، فقرأه عليه أبي بن كعب ، فاستكتمه الرسول ﷺ ما فيه وعاد إلى المدينة .

فبعث أنسا ومؤنس ابني فضالة يتعرفان أخبار قريش ، فوجداها قد قاربت المدينة ، وأطلقت خيلها وإبلها ترعى ما يحيط بها من زرع يثرب ، ثم بعث الحباب بن المنذر فجاء بالذي أخبر به العباس .

ثم ذهب سلمة بن سلامة فوجد طليعة خيل قريش على وشك الدخول إلى المدينة ، فأوجس المسلمون مما بيتت قريش ، ولكنهم فعلوا ما استطاعوا من وسائل الحذر والحيلة حتى يطلع الصبح .

فأخذ كبار المسلمين من أهل المدينة أسلحتهم ، وباتوا في المسجد حراساً للنبي ﷺ وبات سائر المسلمين يحرسون المدينة طول الليل .

ولما كان الصبح جمع النبي ﷺ أهل الرأي من المسلمين ومن المنظرين بالإسلام ، الذين سماهم القرآن بالمنافقين يتشاورون في الأمر ، فانقسموا فريقين :

الرأي الأول - البقاء في المدينة :

كان النبي ﷺ يرى البقاء في المدينة للدفاع عنها ، فقال : : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها .

فكان مع النبي ﷺ في رأيه عبد الله بن أبي بن سلول ، فقال : : لقد كنا يارسول الله نقاتل فيها ونجعل النساء والأطفال في هذه الصياصي ، ونجعل معهم الحجارة ، ونشيك المدينة بالبقيان ، فتكون كالحصن من كل ناحية . فإذا أقبل العدو رمتهم الفسوة والأطفال

بالحجارة ، وقاتلناه بأسيا فانا في السكك . إن مدينتنا يا رسول الله عذراء ما فضت علينا قط ، وما دخل علينا عدو فيها إلا أصبناه ، وما خرجنا إلى عدو قط منها إلا أصاب منا . فدعهم يا رسول الله وأطعني في هذا الأمر ، فإنني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم .

الرأى الثانى - الخروج لقتال قريش عند أحد :

ولكن المسلمين الذين فاتتهم بدر ، وبعض أبطال بدر الذين ذاقوا حلاوة النصر ، تحمسون وأروا ضرورة الخروج خشية أن ترميهم قريش بالجن .

قال قاتل منهم : يا رسول الله ، إنا كنا نتمنى هذا اليوم ، فاخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جنبنا عنهم ، وقال آخر : إني لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها فيقولون حصرنا محمدًا في صياصي يثرب وآطامها ، فتكون هذه مجرئة لقريش . وهام هؤلاء قد وطئوا سعفنا فإذا لم نذب عن حوضنا لم يزرع ، وإن قريشا قد مكثت حولًا تجمع الجموع ، وتستجلب العرب من بواديها ومن تبعها من أحابيشها ، ثم جاءونا قد قادوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، حتى نزلوا بساحتنا ، أفحيحسوننا في بيوتنا وصياصيتنا ، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا ١٢٩ لأن فعلنا لا زدادوا جرأة ، ولشنوا الغارات علينا ، وأصابوا من أطرافنا ، ووضعوا العيون والأرصاد على مدينتنا ، ثم لقطعوا الطريق علينا .

وقال حمزة عم النبي صلوات الله عليه ، وسعد بن عباد ، والنعمان بن مالك ، وطائفة من الأنصار : يا رسول الله إنا نخشى أن يظن عدونا أننا كرهنا الخروج جنبًا عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا . وزاد حمزة : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعامًا ، حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة .

وقال النعمان : يا رسول الله ، لا تحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لادخلنها . وتعاقب القائلون بالخروج ولكل كلمة ، وأجمعوا على أنهم إذا ظفروا بعدوهم فذلك ما كانوا يرغبون إذ سيلقون ما وعدهم ربهم ورسوله ؛ وإذا هم انهزموا فهم شهداء ، مصيرهم إلى جنة عرضها السموات والأرض ، وبذلك رجحت أمام النبي ﷺ كفة الداعين إلى الخروج . وإذا نحن قارنا بين الرأيين اللذين انقسم اليهما المسلمون من وجهة النظر العسكرية :

(١) الرأى الاول : البقاء في المدينة .

(٢) والرأى الآخر : الخروج لقتال قريش عند أحد .

وجدنا أن الرأي الأول - وهو الرأي الذي كان رسول الله ﷺ يراه كان أحسن الرأيين ، وأفضل الحلين .

فلقد أثبتت الحروب الحديثة صدق النظرية القائلة بأن القتال في المدن من أشق أنواع القتال ، وأن مهمة المهاجم للندن أشق من مهمة المدافع عنها ، ولذلك يلجأ قادة الحروب إلى تجنب القتال في المدن طالما استطاعوا ذلك .

ولعلنا نذكر دفاع الروس المجيد في مدينتهم العظيمة ستالينجراد خلال الحرب العالمية الثانية ضد زحف جيوش هتلر .

فلقد أخذت جيوش الروس تنهقر أمام تقدم الألمان ، وفقدت روسيا نتيجة لهذا التمهق مساحات هائلة من أراضيها ، حتى إذا بلغت ستالينجراد التي كان الروس يعرفونها تماما ، ويعرفون كيف يدافعون عنها ، وقف زحف الألمان عندها نهائياً .

فقد كان الروس يدافعون عن هذه المدينة الهائلة دفاعاً لم يسبق له مثيل ، وجرت معارك بل مجازر في شوارعها وفي بيوتها ، بل وفي كل غرفة من غرفها ، حتى وجد الألمان أن الاستيلاء عليها أمر مستحيل ، فارتدوا عنها ، وبذلك أصبحت مدينة ستالينجراد نقطة تحول في تاريخ الحرب العالمية الثانية .

كانت إذن فرصة نجاح المسلمين في الدفاع عن المدينة أدنى لهم من الخروج لمقابلة قريش عند أحد .

هذا بالضبط ما عناه عبد الله بن أبي بن سلول حين قال مؤيداً رأى البقاء في المدينة ، لقد كنا يا رسول الله نقاتل فيها ... الخ .

ولقد كان رأى عبد الله هذا مستمداً من تاريخ المدينة وتجارب أهلها ، فتراه يقول : « فإني ورثت هذا من أكابر قومي وأهل الرأي منهم » .

« يتبع »

محمد جمال الدين محفوظ



# المؤلفة قلوبهم في جنوب السودان

## تبرع من الحجاز بخمسين جنيها

نشرنا في الجزء الماضى من مجلة الازهر الحقائق التى حملها إلينا من جنوب السودان حضرة السيد محمد جمال الدين محفوظ عن نشاط ( جمعية المؤلفة قلوبهم - فى ملـكال ) فى الدعوة إلى دين الله ، وقيامها بإيواء وكسوة وإطعام الذين يدخلون فى الإسلام حديثا ، وأنها اشترت قطعة أرض لذلك وهى مضطرة إلى مباشرة بنائها قبل نهاية هذا العام .

وما كاد الجزء الماضى من مجلة الازهر يصل إلى الحجاز حتى أخذت الأريحية الإسلامية حضرتى الوجييين الكريمين الحاج يوسف زينل على رضا ، والعالم السافى الجليل الشيخ محمد نصيف ، فتبرعا لهذا العمل الإسلامى المشكور بخمسين جنيها مصريا بعناهما تحويلا من جدة على البنك العربى فى القاهرة باسم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر ، فتقبل ذلك فضيلته بقبول حسن ، وأرسل إلى كل منهما رسالة شكر خاصة ، طالبا من الله عز وجل أن يجعلهما قدوة لخاصة المسلمين وعامةهم ، فى التعاون على البر والتقوى .

إن الاستعمار يتعاون مع جماعات التبشير فى جنوب السودان على استمالة القبائل فى تلك الأنحاء لأغراض سياسية لاتخفى على أحد ، وقد أقاموا لذلك مرا كز لاتحصى جعلوا منها شبكة منسقة موزعة جغرافياً فى أنحاء الجنوب ، وقد تمكن المسلمون من تكوين ( جمعية المؤلفة قلوبهم - فى ملـكال ) أداء لبعض الواجب ، وقد شاهد السيد محمد جمال الدين محفوظ الحالة بنفسه ووصفها لإخوانه المسلمين فيما نشرناه له فى الجزء الماضى ، وكانت جمعية المؤلفة قلوبهم برئاسة الشيخ على عبد الرحمن الذى أصبح الآن وزير العدل فى الوزارة السودانية فانتقلت هذه الأمانة من يده إلى بعثة الازهر هناك ، وتولى رئاسة الجمعية من العام الماضى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز أحمد عيسى .

ونحن نهيىب بإخواننا المسلمين أن يساهموا فى هذا الخير بما يستطيعونه لإقامة هذا البناء للدعوة الإسلامية فى هذه المنطقة البكراتى إذا غفلنا عنها أحاط بها ذئاب الاستعمار وأعوانهم ، وحبذا لو حقق أسانذة الازهر وطلابه اقتراح السيد محمد جمال الدين محفوظ بالاشتراكات الشهرية بين قرشين إلى عشرة قروش فى الشهر مع دعوة أهل الخير من سائر المسلمين إلى المساهمة فى هذا الخير حتى تتمكن ( جمعية المؤلفة قلوبهم ) من توسيع نطاق عملها . والله يتولى جزاء المحسنين

( التحرير )

# تَعْلِيْقَات

## ١ - السينما وما تقدمه للشرق الاسلامى

السينما أداة كالسلاح ، تكون أداة خير إذا استعملت للخير ، كما يستعمل السلاح في ميادين الجهاد ، وتكون أداة شر إذا استعملت للشر ، كما يستعمل السلاح للسطو وقطع الطريق وارتكاب الجرائم .

وقد بلغ من سوء حظ هذا الشرق الإسلامى أن السينما قام بها - في الأكثر - أناس أرادوا بها التجارة والكسب ، فاستغلوا شهوة الجماهير وعامة الناس فيما يرتاحون إليه من مشاهد الغرام واللهو والمتعة ، ومناظر التقييل والإغراء وشهوات الجسد ، إلى أن أصبح ذلك كله مألوفاً للناس بعد أن كان مستهجناً قبل نحو عشرين سنة فقط ، وأسرفوا في عرض أفلام الجرائم والسرقات والسطو ، حتى أصبحت السينما مدرسة لذلك تخرج فيها كل من يطاردهم البوليس من أصحاب السوابق ومرتكبي مختلف الجرائم ، مما نقرأ أخباره يومياً في الصحف .

وبعد أن صار هذا وذاك من الأمور العادية في عالم السينما ، شرعوا الآن في فتح باب جديد وهو العبث بالآديان ، والتفكير في إظهار الانبياء على الشاشة البيضاء ، والتمهيد لذلك باستفتاءات وتعليقات في الصحف والمجلات . والذين يفتونهم يجيبون بقولهم : « إن معجز كتابنا عن القيام بهذه المهمة الجليلة » ، أو بقولهم : « أتيجوا الفرصة للكتاب » ، أو بقولهم : « ارمزوا لصورة النبي من بعيد » ، أو بقولهم : « ظهور الانبياء على الشاشة البيضاء مسألة شائكة » ، وآخرون يتخرون بأن شركة سينمائية جديدة ستقدم بسيناريو فيلم يمثل حياة الحسين . ومن العجيب أن الذى قيل إنه كتب قصة حياة الحسين للسينما هو الذى نشر كتاباً عن سيدنا على في أربعة أجزاء شخنها بالمطاعن في أصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما الصحابي الذى كان سبب إسلام مصر - عمرو بن العاص - وله من الله نصيب في ثواب إيمان كل مؤمن في مصر من أربعة عشر قرناً إلى الآن . كل ذلك لأنهم وجدوا لهذه البضاعة رواجاً في بعض

الجهات التي ارتضى أهلها أن يكون في قلوبهم غل للذين آمنوا في الصدر الأول ، وقام الإسلام على أكتافهم .

إن جريمة السينا فيما تستعد الآن للإقدام عليه من أمور الدين وأنيائه ورجاله الأولين ، ستكون أفدح مما تم على يدها حتى الآن من تهوين أمر العفة والفضائل والأعراض ، وأفدح مما لقنته للجهلة والرعاع من دروس الإجرام والبغى والسطو . وإذا كان ما تم على يدها فيما مضى قد تم في عهد الاستعمار والفحش ، فمن الواجب أن يوضع حد أمامها لمنعها من الانتقال في عهد الاستقامة والتطهير إلى العبث بالدين ، والتعرض لما لا يفهمونه من سيرة حلة الأديان ومؤسسيها ودعائها الأولين .

لا يوجد في رجال السينا ولا فيمن يؤلف لهم من يدرك أهداف الأديان أو يؤمن برسالة أصحابها ، ثم يرتضى أن يزج بنفسه وبالناس في هذه المآزق الشائكة ، ومن الخير لهم وللأمة أن يبتعدوا عن هذا الميدان ، وكفاهم ما قدموه إلى الآن لأرطانهم مما رأينا ثمرانه في المجتمع ، وهى الثمرات التي زخرت الصحف اليومية بحوادثها ، مما لم يكن لمصر عهد بمثله من قبل . والله الأمر من قبل ومن بعد .

(المجلة)

## ٢ - الإسلام والأزهر

### في مجلة سلاح الإشارة

صدر العدد الأخير من مجلة سلاح الإشارة مفتتحاً بقول الله عز وجل : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » . وقد لفت نظرنا فيه مقال عن الإسلام من حيث هو دين القوة ، ومما جاء فيه : « كان محمد ابن عبد الله وأصحابه الأحرار دهاة حرب ، يحكمون الخطئة ، ويرسمون الاستراتيجية ، ويهيئون للنصر القريب ... وأين أنت من غزوة بدر ، ومعركة أحد ، وموقعة الخندق ، وصلاح الحديبية ، وفتح مكة ؟ أين أنت من هذه المفاز والامجاد ؟ ثم هذا دينك يعلم المسلمين ( صلاة الحرب ) ويشرع لهم كيفيةها في قوله تعالى : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ، فلتنم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم . ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » .. وهذا القرآن مزود بالبوارج

مشحون بالمدافع ، ملئ بالطائرات ، زاحر بالقنابل وأساليب القتال . . فالله تعالى يقول :  
 « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .  
 وما جاء في هذا المقال : « والأزهر ... صبح الزمن أكثر من ألف سنة ، وكان دائماً  
 مصنع البطولات ، ومعمل الرجولات ، وكم طارد الأعداء ، وأب الدنيا على المستعمر ،  
 وقهر الغزاة المغيرين . . وكان علماءه أئمة في السلم ، وأئمة في الحرب . ولم يقف في وجه  
 الفرنسيين ، ولم يلطم الانجليز ، ولم يلبب الشعور ، ولم يهيب الإحساس للثورة إلا عمالقة  
 الأزهر ورجاله . ولن ينسى التاريخ أبداً الشراوى ، والمهسدى ، والسيد عمر مكرم ،  
 وإخوانهم العلماء ... الخ

هذه نبذة موجزة من المقال . ومجلة الأزهر تشيد بهذه الروح الفتية التي تمثلت في كاتب  
 المقال ، بل تمثلت في نشاط سلاح الإشارة ، ويسرها أن تقترن الفتوة العسكرية بالغيرة  
 الدينية ، وأن يتعرف جيشنا المصري بمجده الإسلامي ، ويعتز بتاريخه الموروث ، وأن يستمد  
 فتوته ونشاطه من تعاليم الإسلام ، فإن الإسلام نشأ لتجديد شباب الإنسانية ، وتوجيه  
 الحياة الفردية والاجتماعية وجهة إصلاحية ، وتركيز الحضارة على أسس قوية ، تكفل صيانتها  
 من التصدع ، وتحفظ روافدها من شوائب المروق ، وأعاصير الزيف .

وقد عاش الإسلام في فتوته ردحا من الزمن ، ومع ما وقف في سبيل حضارته من  
 معوقات ، فإن روحه لا تزال وستظل في أروع قوة ، ولا نرى الإسهاب في حديث يعتبر  
 ترديداً لما هو راسخ في الأذهان ، وتشهد به معالم التاريخ . وجميل من الضابط الكاتب  
 في مجلة سلاح الإشارة أن يوقظ الوعي العسكري إلى هذه الملاح التاريخية الواقعية ، وجميل  
 منه كذلك أن يذكر من مناقب الإسلام تشريعه لصلاة الحرب ، فإن ذلك تشريع يؤكد  
 لأهل الدنيا جميعاً أنه دين الكفاح للأباطيل ، والدود عن الحى ، والسعى بالإنسانية إلى أوج  
 كمالها في مضمار الحياة .

ولقد صدق الضابط الكاتب في تسميتها صلاة الحرب ، فذلك أوفق لحقيقتها من تسميتها  
 عند ءولافى الفقه ( صلاة الخوف ) ؛ فلو كان خوفاً لما شرعت له صلاة ، ولما كان أولى  
 من الصلاة ولقاء العدو بالسلاح أن نستكين إلى المغاور والكهوف ، لا أن نقف أمام العدو  
 ونحن بين يدي الله في ركوع وسجود ، وكر على العدو ، وهجوم ومقاومة وغلب .  
 وأخيراً نتعشم أن تكون للجيش في نهضته الجديدة عودة إلى دينه الحق ؛ ليكون من ذلك  
 اليوم ما كان من مفاخره في صدر الإسلام .  
 ( المجلة )

### ٣ - الازهر فكرة اسلامية

كثّر حديث الناس في هذه الايام عن الازهر والازهرين ، وتناولوه في كثير من المناسبات بالسن حداد ، وكلمات شداد ، تصوره أمام الناس بصورة المتخلف عن القافلة ، والمتقطع في الطريق .

ولكنى أحب لهم ألا يظلموا الازهر ، أو يحكموا عليه حكماً جائراً لا يستهدف الخير . وهؤلاء كان جذيراً بهم أن يقتصدوا في تقديم ، حتى لا يقال فيهم :

غيرى جنى وأنا المعذب فيكم فسكانى سبابة المتقدم

فأما أن يؤخذ البرى بالمذنب ، والمقيم بالظاعن ، والولى بالمولى ، فذلك سياسة من جار ولم يعدل .

ولست أعرف العلة التى انبعثت من أجلها هؤلاء يصيحون ويجارون بالشكوى من الازهر ، كأنه اعترض طريقهم ، فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون . أو كأنهم ضاقوا به ، وأحسوا أنه يرصدهم ، ويكشف أمرهم حين تطوع لهم نفوسهم أن يقتحموا صرح الفضيلة ، ويصلوا إلى ما يريدون .

وقد نسي هؤلاء أن العواصف التى تتأمر على الازهر اصططحت عليه منذ القدم ، فهى لا تفتأ تناوئه الفينة بعد الفينة ، ولسكنها تنحسر عنه دائماً كليله وكأنها لا شىء ، وما أسرع أن يحنى لها الازهر هامته الفارعة حتى تمر به ، ثم يرفع تلك الهامة شامخاً فى كبر وسخرية .

لست أقول ذلك تعصباً للازهر ، فقد أكون أقل الازهرين تعصباً له ، ولكنى أقوله لأنه الحقيقة السافرة التى لا معدى لآى مخلوق عن أن يقولها ويعترف بها . إن الذى يظن أن الازهر مدرسة يتخرج فيها الموظفون وطلاب الحاجات مخطيء كل الخطأ ، لأن الازهر لو كان كذلك لكانت حجته فى بقاءه حجة واهية ، بل معدومة ؛ لأن مصر بحمد الله ، فيها

العدد الوفير من المدارس المدنية والدينية، وتستطيع أن تسد الحاجة للوظائف والموظفين .  
وكأنى بسكثير من الناس يتساملون في عجب بالغ : وما ذا يكون الازهر إن لم يكن مدرسة ؟  
إن الازهر فكرة إسلامية يرنو إليه المسلمون من جميع أقطار الارض ، وتشرب إليه  
نفوسهم ، وتظما إليه أرواحهم ، يعرف ذلك ويلبسه من أمكنته ظروفه أن يتصل بأى بلد  
شرقى ، وقد لمست بنفسى هذا الحب وتلك اللفتة في الحجاز والكويت والعراق ، وقد كنت  
أحد مبعوثى الازهر في الحجاز والكويت ، وكان معنا كثير من رجال وزارة المعارف  
المصرية ، ومع ذلك فقد كان تطلع الناس إلى مبعوثى الازهر ، وإلى السؤال عن الازهر  
أشد وأقوى من تطلعهم إلى غيرهم ، مما يؤكد أن المعنى المائل فى أذهان الناس هناك ،  
الراسخ عندهم عن الازهر أنه كما قلت فكرة وليس مدرسة ، وتربية خاصة وليس معهدا ،  
وأحب أن أكون صريحا أكثر فأقرر أن سياسة التعليم فى مصر التى كان للمستعمر أثره  
الواضح فيها قد حاولت جاهدة أن تجعل من الازهر - وقد كان معنى كبيرا ملء القلوب  
والاستماع - مدرسة صغيرة ذات برامج ومناهج يخرج فيها الموظفون دون أن ينعموا  
بالتربية الإسلامية الاستقلالية التى كان يعدم لها الازهر فى القديم ، وقد بلغ المستعمر من  
ذلك مبلغا عظيما أو كاد .

فهل لى أن أدعو الازهرين من كل قلبى أن يفهموا ما يحيط بهم ، وأن يتعمقوا  
الاشياء ، ويتدبروا الامور ، ويتكاشفوا حتى لا يتدافنوا ، وحتى تعود إليهم الثقة بأنفسهم  
وأزهرهم ، قبل أن يكرهنا الزمن على شىء قد لانحبه ولا نرضاه . ألا قد باغت ، اللهم فاشهد .

### رياض هزل

المدرس فى كلية اللغة العربية

## رَبِّهِ وَالطَّلَبَةُ

# مَنْطَفَات

- ١ -

## العبادات وتهذيب النفس

إن رسالة الإسلام الأولى ، هي تكوين الفرد الصالح الذى تتألف منه ومن أمثاله الأمة الصالحة الراشدة المستنيرة التى تعمل فى سبيل المثل العليا ، والمبادئ السامية .

والعبادات التى فرضها الله على عباده ، تهدف فى مجموعها إلى غاية واحدة . هى تهذيب النفس البشرية ، والسمو بها عن المستوى المادى البحت إلى مستوى أرقى من ذلك وأسمى ؛ فتطبع الإنسان بطابع الخير ، وتغرس فيه مكارم الأخلاق ، وكريم الخصال . فالصلاة التى نصلها فى اليوم خمس مرات ، إنما هى صلة بالرب ، ومناجاة للخالق ؛ والنفس فى هذه اللحظة القدسية تستشعر العظمة الإلهية ، فتتطهر من صنوف الرذائل ، وشتى الشوائب ، ولقد ضرب لها رسول الله ﷺ المثل بقوله : « رأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمساً ، ما تقول يبقى من درنه ؟ قالوا : لا يبق من درنه شيئاً . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بها الخطايا ، ؟ ولذلك يقول تعالى : ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) ويقول الرسول ﷺ : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » ، وفى رواية « لم يزد من الله إلا بعداً » .

والصوم وقاية من المفاسد ، وحفظ من اللغو والرفث والخبائث كما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم « الصيام جنة فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإذا سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم » ، وقال : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

والزكاة تزكى المال وتنميه ، وتطهر النفس وتبرئها من أسقامها وأدوائها كالبلخل

والشح والطمع والاثرة وغيرها من العلل المودية بكل مروءة ، الفاتكة بكل خاق وكرامة فيقول تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » .  
والحج توبة ، ونجدد للنفس المسلمة ، وتعويد لها على الطاعة ، وتذكير بالساعة ، وسبيل إلى التقوى ( الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ؛ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ) .

فإذا لم تؤد العبادات في المسلم هذه الثمرة ، ولم تصل معه إلى هذه النتيجة - وهى تهذيب النفس ، وظهور أثر هذا التهذيب على أخلاق المسلم وسلوكه - فما هى إذا إلا طقوس لا معنى لها تؤدى ، وأعمال جوفاء تباشر ، وفى هذا ورد عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له : يا رسول الله ، إن فلانة تذكرك من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال : هى فى النار . قال : يا رسول الله ، فإن فلانة تذكرك من قلة صيامها وصلاتها ، وأنها تصدق بالاثوار من الأقط - قطع الجبن - ولا تؤذى جيرانها . قال : هى فى الجنة .

السيد رزق عبد الوهاب  
بمعهد القاهرة

- ٢ -

## لا إصلاح إلا بالاسلام

الجماعات البشرية تهدف دائماً إلى عالم أفضل ، وتسعى جاهدة لرفع مستواها فى كافة ميادين الحياة ، وهى بذلك لا تفتأ دائبة على المضى إلى غايتها التى تحلم بها . وبغض النظر عن سلوك بعض الجماعات فى نيل أوطارها وتحقيق أمانها ، فسبيلها الهدف إلى عالم أفضل ، وإن كان بالنسبة لها دون اعتبار لسواها .

ونحن المسلمين عامة لا يسرنا هذا الوضع الممير الذى وصلنا إليه ، لأن إسلامنا عزيز ، فلا بد أن نكون أعزاء ، ولأنه قوى ، فلا بد أن نكون أقوياء ، ولأنه يمتد العبودية للبشر فلا يليق بنا أن نكون أئباطاً لاية دولة استعمارية ، فذلك سلب لعقيدتنا قبل أن يكون سلباً لقوتنا ومكانتنا كجماعة تؤلف بينها وحدة المنزع والغاية واللسان ، ولإذن فلا مناص لنا من أن نعص بالنواجذ على إسلامنا ، إن أردنا أن نرفع هاماتنا فى شيم وإباء .



ومن المؤلم أننا اليوم نحاول ترقيع أنفسنا فننظر إلى الأمم نظرة الضعيف للقوى ، والمعدم للثرى ، فنمد أيدينا استجداء منهم ، ورغبة في السير على منوالهم ، وحباً جارفاً في لبس لبوسهم وأنظمتهم . والإسلام وإن كان لا يحرم تبادل المنافع مع الأمم ، فإنه يحرم انسلاخنا من نظمهم ، لنجلس على مائدة الغير ، نجتمع الفتات وإن خلناه أشهى المأكولات .

وجل من يعتقدون هذا الاعتقاد قد أسندت إليهم أزمة الأمور في العالم الإسلامي ، فهم حقاً يريدون الخير ، ولسكنهم يحملون طريقه الصحيح ، وإذا نادى فيهم من يدعوهم إلى الأخذ من الإسلام اعتبروه جامد الفسك ، بطيء الإدراك ، وعقبة في سبيل الإصلاح . إن بلادنا تجوس فيها شتى الأمراض ، وتسرى في دمايتها الجسرايم . فالناحية الخلقية - وهي عماد الأمم - لا ترى فيها اليوم حياة نابضة ، وليس هناك ما يكفل لنا إقبالها من عثرتها سوى الإسلام ؛ لأن الأخلاق قد تضافر على انحلالها قوى كثيرة كالصحافة والخيالة والإذاعة ونظم التربية في مدارسنا . فإذا ما استرشدنا تعاليم الإسلام في هذه القوى كفلت لها أداء رسالتها على أحسن وجه وأشرف غاية ، فساعد على إنشاء الجيل الذي يقدر الفضيلة ويؤمن على سلامة القافلة .

إن كل مشكلاتنا ناجمة عن تفريطنا في ديننا ، فنحن تناسينا الحقائق العليا التي عليها يشيد المجتمع السليم ، ولم نحاول تحكيم الإسلام في أمور السياسة والاقتصاد وشئون المجتمع المتباينة ؛ لجهلنا أولاً ، ولفرض رغبات المستعمر ثانياً ، ولإهمال العلماء رسالتهم ثالثاً . ومن جهة أخرى غالبنا في القشور حتى خرجت على حدودها ، وصارت حجة علينا بأن الإسلام لا ينهض بالبشرية في مدارج الحضارة .

والآن وقد انجاب ظلام الطغيان ، نحاول تلبس السبل إلى المجد والعزة ، وليس أمامنا إلا طريق واحد ، وهو طريق الإسلام ، فياساسة المسلمين ، إن الإسلام يهدى للتي هي أقوم ، فلا تضيعوا الزمن في النظر إلى هنا وهناك ، ولا تسكونوا :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

**محمد الرسوئي**

معهد المنصورة الثانوى

# الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى ما يلي :

رجل مصرى مسيحى يدين بمذهب الروم الكاثوليك — توفى عن زوجتين ، أولاهما تدين بمذهبه ، وعقد زواجه بها أمام الجهة المالية المختصة ، والثانية مسيحية أشهد على زواجه منها أمام المحكمة الشرعية وأنجب منها ولدين وبنتين وأقر ببنتوتهم أمام المحكمة الشرعية . فما حكم الشرع فى توريث هؤلاء الأولاد . وإذا كان للورث إخوة فهل يرثون مع وجود أولاده المذكورين .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد ( أن إقرار هذا المتوفى بأولاده إقرار صحيح شرعا يعامل به فيرثه أولاده بعد وفاته كسائر الأولاد — وزواجه بالزوجة الثانية مع بقاء الأولى فى عصمته زواج صحيح شرعا .

وبذلك تنقسم تركته بعد وفاته بين ورثته : للزوجتين . منها الثن فرضا بالسوية بينهما لوجود الفرع الوارث ، والباقي لأولاده للذكر مثل حظ الانثيين تعصيا ، والله أعلم .

— ٢ —

رجل مسلم وامرأة يهودية ، يريدان أن يتقترنا من بعضهما ، ويبقى كل على دينه . فما رأى الشرع فى هذا ؟ .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه يحل للمسلم أن يتزوج بالسكتانية كاليهودية ، لقوله تعالى :  
 « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم  
 والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، الآية ، والله أعلم .

### — ٣ —

ما قولكم فيمن عنده زرع بالصحراء الغربية وأراد تركيته وقد صرف عليه مصاريف  
 لحصده ودراسه ، فهل تحسب المصاريف من الزكاة أو لا تحسب ، نرجو الافادة .  
 الصديق رضا

### الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
 ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .  
 يرى بعض الفقهاء أنه لا تجب الزكاة إلا في الباقي بعد المصاريف المذكورة إذا باغ ذلك  
 الباقي نصابا ، واللجنة اختارت هذا الرأي وأفتت به من قبل رفقا بالزراع . والله أعلم .

### — ٤ —

تزوجت من مدرسة وقد وعدني والدها ووكيلها أنها ستترك العمل بعد ولادتها  
 ثم أنجبت منها ، وأنا الآن مصمم على أن تستقيل وهي مصممة على عدم الاستقالة . فهل  
 يعتبر عملها هذا نشوزا ؟ وهل تستحق مؤجل الصداق ونفقة العدة في حالة الطلاق ؟ وهل  
 يحق لي ضم ذريتي منها .

### الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم  
 بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال . وتفيد بأن عدم مطاوعة الزوجة لزوجها فيما يأمرها به من ترك الاستمرار في التدريس يعتبر شرعا نشوزا منها لا تستحق معه النفقة الواجبة بحكم الزوجية . ولكن ذلك لا يؤثر في وجوب مؤخر الصداق ونفقة العدة إذا طلقها الزوج . أما مؤخر الصداق فلأنها بالدخول بها قد استحققت جميع المهر العاجل منه والآجل ، وأما نفقة العدة فلأنها محبوسة في أثنائها عن الزواج فكانت لها النفقة ، فإذا طلقها للنشوز أو غيره وجب عليه أن يوفى لها بمؤخر الصداق ونفقة العدة . أما ذريتها فلها حق حضانتهم بعد الطلاق إلى أن يبلغوا السن التي ينتهى فيها حق الحضانة شرعا . وهذا إذا لم يكن هناك مانع يمنعها من هذا الحق شرعا ككونها غير متفرغة للقيام بشئونهم ، وحينئذ يسقط حقها في الحضانة ، وينتقل الحق لمن يليها في ذلك شرعا ، وعلى الجملة فهذا أمر تقدره المحكمة الشرعية المختصة . والله أعلم ؟

— ٥ —

حلفت عدة أيمان بالطلاق من أول امرأة ولا أعرف عددها بالضبط ، وعلقت هذه الأيمان على أمور حصلت بالفعل . والآن أريد الزواج ، فأرجو الإفادة على المذاهب الأربعة مع بيان ما تختاره لى اللجنة .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن الذى جرت عليه فى الفتوى فى هذا الموضوع هو ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين على ما جاء فى نيل الأوطار للشوكانى وهو مذهب الإمام الشافعى والإمام أحمد رحمهما الله من أن تعليق الطلاق قبل قيام الزوجية بالفعل غير صحيح ولا أثر له . وعلى هذا فللحالف أن يتزوج ولا يقع عليه طلاق . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

# الكتاب

## المواريث في الشريعة الاسلامية

لفضيلة رئيس لجنة الفتوى — ١٧٤ صفحة — مطابع دار الكتاب العربي

أهدى إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر وعضو جماعة كبار العلماء نسخة من كتابه (المواريث في الشريعة الإسلامية) في طبعته الثانية، وهو كتاب قيم يمتاز بأسلوبه الحديث والأمثلة المهمة، بحيث يستغنى به القارئ عن المدرس في هذا العلم الإسلامى الدقيق، ويمكنه من الإلمام بأحكام المواريث على المذاهب الأربعة. وقد تناول الكتاب الشرح الوافى لقانون المواريث رقم ٧٧ سنة ١٩٤٣ المعمول به الآن في الديار المصرية. وكان الكتاب قد طبع قبل الآن فأقبل الناس على اقتنائه؛ لوضوحه ودقته واستيفائه أحكام هذا العلم، ثم أعيد طبعه الآن طبعة امتازت بالتنقيح والإيضاح الكثير والزيادات المهمة. والكتاب مفتوح بتمهيد تاريخى عن المواريث في جمهور العرب قبل إسلامهم، وبيان أسس النظام الإسلامى في التوريث، وامتيازاه على ما عرفه البشر في موضوعه. يلى ذلك تعريف التركة والحقوق المتعلقة بها وشروط استحقاق الارث وموانع الارث وأسباب الميراث وترتيب المستحقين للتركة وأحكام المواريث بالتفصيل مع ضرب الامثال عليها. وختم الكتاب بنص قانون المواريث المعمول به الآن في مصر. وهكذا جاء الكتاب كافياً وافياً في بابه يغنى عن غيره ولا يغنى عنه غيره.

## فتاوى وبحوث شرعية

لفضيلة رئيس لجنة الفتوى — جزءان في ٢١١ و ٢٧٥ صفحة — مطابع دار الكتاب العربي  
وهذا كتاب آخر لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف وهو في مجموعتين اشتملتا على بعض فتاويه الشرعية، وبحوثه الاسلامية التي نشرت تباعاً بمنبر الشرق،

فاختصت المجموعة الأولى بما نشر من شهر يونيه سنة ١٩٥٠ إلى مارس سنة ١٩٥١ ،  
والثانية بما نشر من إبريل سنة ١٩٥١ إلى يونيه سنة ١٩٥٢ مع زيادات مفيدة . وهذه  
الفتاوى غير الفتاوى المسجلة بدار الإفتاء . قال فضيلته : « وقد حرصنا في هذه الفتاوى على  
تناول بعض المشكلات الاجتماعية والأمور التي تشغل بال الناس ويكثر وقوعها ، وعلى  
تبسيط العبارة والأسلوب ، وتدعيم الأحكام بالأدلة والأسانيد ، غير متقيدين بمذهب  
الحنفية في الإفتاء . »

والفتاوى في المجموعتين مرتبة على أبواب الفقه : الطهارة ، الصلاة ، الصوم ، الحج .. الخ  
ثم الفتاوى في الشئون والموضوعات المنفرقة .

وفضيلته واسع النظر دقيق التفكير في تحرى الأحكام الصائبة وتوخى سنة الاسلام  
في المصالح المالية والشخصية فيما يفتى الناس به من أمور دينهم . وعساه يواصل إصدار هذه  
المجموعات السنوية بما يفيد الناس .

## معجزة القرآن

في وصف الكائنات

للأستاذ السيد حنفى أحمد - الجزء الاول . . ٤٠٠ صفحة مطبعة لجنة البيان العربى .

الأستاذ المؤلف كان عميد مفتشى العلوم ، وموضوع كتابه تصوير القرآن للكائنات  
تصويراً يكشف عن دقائق معانيه ، ويبين ما فيه من آيات الإعجاز الدالة على صدق وحيه  
وسمو رسالته ، ويقول المؤلف إن المتأملين من أهل العلم والخبرة بالكائنات يرون في حديث  
القرآن عن الكائنات معاني دقيقة فوق معانيه الظاهرة تتطوى على أصول وجوامع من العلم  
الواسع الدقيق عن الكائنات الذى لم يكن معروفا للناس إلا بعد انتشار العلم الحديث  
بينهم في القرنين الأخيرين .

وطريقة المؤلف في كتابه أنه بدأ أولاً بمحصر وجمع الآيات القرآنية عن الكائنات  
ثم رتبها حسب موضوعاتها فوقعت في خمسة أبواب أصلية وهى : الخلق العام للسموات  
والارض وتدير الامر فيهما ، والخلق الخاص بالارض وإعدادها للحياة ، وخلق النبات  
والحيوان ، وخلق الإنسان ، وسنة الله في إيجاد الخلق ، وحوادث فناء العالم بقيام الساعة .

وصدر هذه الأبواب بفصلين أولهما عن رسالة القرآن والآيات الكونية ، والثاني عن وسائل البحوث الفلكية وبعض نتائجها المهمة . واستعان من التفاسير بالمشهور المتداول كتفسير أبي السعود والرازي والجلالين وبمفردات الراغب الأصفهاني . وعقد في آخر كل فصل مقابلة بين القضايا القرآنية وما أثبتته أحدث البحوث العلمية من حقائق ونظريات ثم ما تدل عليه هذه المقابلة من وجوه الإعجاز في الآيات القرآنية عن الكون .

والجزء الأول من الكتاب الذي صدر الآن يشمل المقدمة والباين الأول والثاني ، وبصدور الجزء الثاني مشتملا على الأبواب الثلاثة الأخرى يتم هذا المجهود النافع إن شاء الله .

## أسمي الرسالات

للسيد عبد الحميد الخطيب — ١٣١١ — دار الكتاب العربي بمصر

هو كتاب كبير حافل ألفه فضيلة السيد عبد الحميد الخطيب الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بباكستان ، وجعله قسمين : الأول في سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، والثاني في بيان رسالته . وقد أشرف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي فضيلة الشيخ حسن بن محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق . وزينه المؤلف بأكثر ما حواه كتابه تائية الخطيب . والكتاب مطبوع طبعاً أنيقاً ، وكان من ضروريات التأليف تخرج ما فيه من أحاديث وبيان مواضعها من كتب السنة ، مع أن كل آية وردت في الكتاب قد نبه المؤلف إلى السورة التي هي منها وإلى رقم الآية ، والآيات في الغالب محفوظة لأهل العلم ، وأما الأحاديث والنصوص والنقول فهي التي تحتاج إلى بيان مصادرها وتعيين مواضعها في تلك المصادر ، ولعل المؤلف يستدرك ذلك في الطبعة الثانية ، وقد أهدى الكتاب إلى جلالة الملك سعود ، وصدره بكلمات كثيرة لطائفة من المشاهير في الثناء على الكتاب ومؤلفه ، ووعد المؤلف في مقدمة الكتاب أنه سيعمل على ترجمته باللغة الأوردية واللغة الانجليزية .

## من أجل فلسطين

للأستاذ الشرباصى — ٩٦ ص — المطبعة السلفية

أهدى إلينا فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعية الشبان المسلمين هذا الكتاب من تأليفه ، منظوياً على تفصيل ما وقع فى مؤتمر بيت المقدس الإسلامى العالمى الذى انعقد فى ٢٧ ربيع الأول من هذه السنة ، وانتهى فى اليوم الثالث من ربيع الآخر ، وقد أهاب فيه رجال المؤتمر بالعالم الإسلامى أن ينتقل من فترة القول إلى فترة العمل لإنقاذ المسجد الأقصى من الخطر وحماية فلسطين من اعتداءات اليهود ، وإعداد العدة للجولة القادمة فى سبيل إصلاح أخطاء الماضى فيما يتعلق بفلسطين ، قلب العالم الإسلامى .

والأستاذ الشرباصى كان شاهد عيان فى هذا المؤتمر ومن مثلى الشبان المسلمين فيه ، وقد وفى موضوعه حقّه ، وزين الكتاب بالصور ، وأثبت فيه كثيراً من الحقائق التى يجب على المسلمين أن يطيعوا النظر فيها ، ويعملوا فيها بما يرضى الله عز وجل ، فشكراً للمؤلف ، وجزاه الله خيراً .

## قصص النبيين للأطفال

للسيد أبى الحسن الندوى

الجزء الثالث ١٢٨ ص — ندوة العلماء بلكنو

السيد أبو الحسن الندوى من خيرة الدعاة والمفكرين الإسلاميين بالهند ، وقد انتشرت له كتب ورسائل فى العالم العربى كان لها جميل الأثر عند الناس ، وأهدى لنا الآن من مؤلفاته الجزء الثالث من قصص النبيين للأطفال ، وهو خاص بقصة موسى عليه السلام ، ومواقفه من بنى إسرائيل . وقد سبق انتشار كتب كثيرة فى قصص النبيين ، ولكن هذا الكتاب أوفى وأحكم وأنفع ما ألف فى هذا الموضوع للأطفال .

ومما يشكر عليه إخواننا مسلمو الهند وبا كستان تأليفهم مثل هذه الكتب الإسلامية



للمدارس بلغة القرآن تمهيدا لجمع المسلمين حول لغة الإسلام وهو سبيل تفاهمهم وتعاونهم .

والكتاب جميل الطبع جلى الحروف فصيح اللغة مشكول بالشكل الكامل ، وتنصح للبلاد الإسلامية بأن تستعمله في مدارسها لآبائنا .

### مجلة معهد القاهرة

صدر من هذه المجلة عددها الاول فى شهر رجب ، وهى أولى ثمرات « جماعة النشاط الثقافى ، فى معهد القاهرة ، بتشجيع شيخ المعهد فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالوهاب عبدالعزيز وإشراف وكيل المعهد فضيلتى الشيخ حسن العدل ، والشيخ محمد مرسى عامر وفضيلة الأستاذ محمد محمد خليفة رئيس تحريرها ، وسائر أساتذة المعهد ومدرسيه . وعدد المجلة حافل بمظاهر الحيوية والنشاط من أذكىاء الطلبة ونجبائهم مما يبشر إن شاء الله بحياة أعظم ونشاط أوسع ، ولنا عودة إلى الحديث مع طلاب المعاهد الأزهرية فى تنظيم نشاطهم الثقافى ، وتعيين وجهتهم الادبية والعلمية ، تحقيقا للأمل العظيم فيهم للمستقبل .

### وثبة الأحرار

وهذه مجلة أخرى تمثل نشاط الأزهر الثقافى بمعهد دمياط الدينى ، وهو نشاط سديد الأهداف رشيد الاتجاه فى إبراز حيوية النظم الإسلامية والدفاع عنها ومناقشة شائئها من دعاة الاستعمار العقلى فى العالم الإسلامى .

وقد افتتح عدد هذه المجلة بمقدمة كتبها شيخ معهد دمياط فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن جلال وأشرف على أبنائنا الطلبة فى إصداره فضيلة الأستاذ الشيخ محمد زين العابدين على ، وإن روحه تتجلى فى كل صفحة ومع كل طالب ، ونحن نهنته ونهتفأ أبناءه الطلبة بوقائهم لإسلامهم ومعرفتهم قدر رسالته وتوطيئهم النفوس على أن يكونوا من دعاة وجنودها . ونطلب منهم المزيد .

# الدراسة والعمل في الأزهر

## تعديل قانون تنظيم الأزهر

وافق مجلس الوزراء على قانون بتعديل قانون إعادة تنظيم الجامع الأزهر . وما جاء فيه .

يستبدل بالمواد ١٠ بند ثانياً و ١٦ بند ٢ و ٤١ فقرة ثالثة و ٩٢ من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ النصوص الآتية :

عضوية جماعة كبار العلماء

مادة ١٠ ( ثانياً ) - أن يكون أستاذاً ذا كرسى من الفئة ( ١ ) فى إحدى كليات الجامع الأزهر ، وفى حكم هذا القانون يعتبر الأعضاء السابقون من جماعة كبار العلماء أساتذة ذوى كرسى من الفئة ( ١ ) .

مادة ١٦ ( ٢ ) - تكون اللجنة المنصوص عليها فى المادة ٨٥ من بين أعضاء الجماعة لكل كلية للنظر فيما يقدم إليها من رسائل الحاصلين على المؤهل العالى من الأزهر الراغبين فى نيل شهادة العالمية من درجة أستاذ .

شروط تعيين الاستاذ المساعد

مادة ٤١ ( فقرة ٣ ) - يشترط فيمن يعين أستاذاً مساعداً أن يكون قد شغل وظيفة

مدرس لمدة خمس سنين على الأقل فى إحدى كليات الجامع الأزهر أو معهد معادل لها .

العالمية من درجة أستاذ

مادة ٩٢ - يجوز للحاصلين على مؤهل عال من الأزهر أن يتقدموا لامتحان شهادة العالمية من درجة أستاذ طبقاً للشروط الموضوعية لنيل هذه الشهادة .

## إعادة علماء للتدريس بالكليات

قرر مجلس الوزراء إضافة مادة برقم ١٢٤ إلى المرسوم بقانون ٢٦ لسنة ١٩٣٦ هذا نصها مادة ١٢٤ - يجوز للجلس الأعلى للأزهر خلال ستة أشهر من العمل بهذا القانون أن يعيد إلى هيئة التدريس من كان ضمن هذه الهيئة ثم نقل إلى وظيفة أخرى بالأزهر أو المعاهد الدينية ولو لم تتوافر فيه الشروط اللازمة للتعيين فى هيئة التدريس .

## مناهج قسم إجازة التدريس

قررت لجنة تعديل مناهج الدراسة بقسم إجازة التدريس بالأزهر تكوين خمس لجان فرعية من رجال الأزهر ووزارة المعارف لوضع المناهج الجديدة التى اقترح تدريسها

شيخا لمعهد الاسكندرية ، والشيخ محمد معالي عثمان عبد الهادي شيخا لمعهد أسبوط ، والشيخ ياسين سويلم طه شيخا لمعهد الزقازيق وعلى تعيين الشيخ سيد محمد الباز شيخا لمعهد شبن الكوم ، والشيخ عبد العزيز محمد سمك شيخا لمعهد جرجا ، والشيخ عبد الرحمن الغايش شيخا لمعهد منوف .

### نمحه أمة عربية

عاد من بغداد الدكتور سليمان حزين وكيل وزارة المعارف المساعد ، بعد أن تولى إدارة ( حلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة ) منتدبا من هيئة الأمم .

وقد اجتمع به الصحفيون في وزارة المعارف المصرية فتحدث إليهم عن رحلته وآثارها في نفسه وتفكيره . فقال :

« إن كثيرا من الشؤون الاجتماعية متشابهة في الدول والبلاد العربية . فنحن « أمة عربية » لحياتها ومقوماتها أسس أولى في تاريخنا الطويل . ثم إن لنا تراثا اجتماعيا مشتركا .

« لقد تشابهت أقدارنا وتوحدت مصائرنا خلال التاريخ الحديث ، وهذا التشابه يقتضي أن نتعاون على دراسة علمنا الاجتماعية ورسم الخطة لمعالجتها ، ولقد كانت ( حلقة الدراسات الاجتماعية ) مجالا طيبا لإبراز هذا التعاون بين الباحثين من مختلف الدول العربية . »

لطلبة الإجازة ، وهي : مناهج علم النفس ، وأصول التربية ، وطرق التدريس ، والتربية العملية ، والصحة المدرسية ، ومواد اللغة العربية بكليتي الشريعة وأصول الدين .

ووافقت اللجنة على جعل مدة الدراسة بقسم لإجازة التدريس سنة واحدة ابتداء من العام القادم .

وقررت جعل مادة الخط إجبارية بالقسم المذكور .

### تنظيم لجنة الفتوى

قررت لجنة الفتوى بالأزهر تنظيم أعمال الإفتاء بها على نحو جديد بوضع سجلات ودفاتر قيد لما يصدر عن اللجنة من فتاوى ، أسوة بما هو متبع في دار الإفتاء .

### معهد جرجا

افتتح فضيلة السكرتير العام للأزهر المعهد الديني الجديد بمدينة جرجا ، وهو معهد نموذجي ، ساهم المواطنون من أبناء جرجا في بنائه بتبرعاتهم السخية وجهودهم الموفقة .

### شيوخ المعاهد

وافق مجلس الوزراء على نقل حضرات أصحاب الفضيلة الشيخ محمد البسيوني زغلول شيخا لمعهد طنطا ، والشيخ محمد صادق عرجون

## جامعة أسيوط

وافق مجلس مديرية أسيوط على اقتراح بأن يساهم المجلس بنصيب من قيمة تكاليف إنشاء جامعة أسيوط ، واتخاذ الاجراءات لاستصدار مرسوم بفرض ضريبتين محليتين لهذا الغرض لمدة عامين ، الاولى بنسبة ١٦ر٥ في المائة من الضريبة الاصلية على الاطيان ، والاخرى على المباني بما يوازي عوائد المباني المفروضة بدائرة المديرية .

## الاذاعة المدرسية

حصلت وزارة المعارف على ١٢٥ جهاز اذاعة ، وقد درست الوزارة مع خبير هيئة اليونسكو تجربة لنشر الاذاعة المدرسية بدىء بتنفيذها في منطقة بنها قربها من القاهرة ولانها تتمثل فيها أنواع البيئة المصرية من ريف ومدن ، وتحتوى هذه المنطقة على ٥٥ مدرسة أعطى لكل منها جهاز راديو وكشوف وبرامج اذاعية للعمل بها ، وبعد أن تتم التجربة سينظر فيما إذا كانت صالحة للتعميم كما هي ، أو أنها في حاجة إلى تعديل .

## دار الوثائق التاريخية

### المصرية

لوحظ أن وثائق مصر القومية مبعثرة في عدة أمكنة : فالوثائق الاصلية للقوانين

هذا بعض ما قاله وكيل وزارة معارفنا المساعد ، ويخشى كثير من الناس أن ينسأه عما قريب ، إن لم يقنع زملاءه في وزارة المعارف بأن ما صرح به هو الحقيقة ، وأن من الخير أن تبني مناهج التثقيف في مدارس وزارة المعارف على أساس أتنا (أمة عربية) وأن لحياتها ومقوماتها أساساً أولى في تاريخنا مدة أربعة عشر قرناً ، ثم إن لنا تراثاً اجتماعياً مشتركاً بين الناطقين بالضاد ، وهو مستمد بلا شك من ثقافة الإسلام ، ووحى تاريخه ، وشعب إيمانه . فهل للدكتور حزين أن يحقق القول بالعمل ؟

## الدين في مدارس سوريا

كان عهد الشيشكلي في سوريا قد ألغى بمرسوم أن تكون مادة الدين من مواد الامتحانات العامة ، فقرر مجلس المعارف السورية إعادة إضافة هذه المادة إلى الامتحانات .

## مؤتمر الدراسات الإسلامية

### في بشاور

أرسل فضيلة الاستاذ الأكبر كتاباً إلى سفير مصر في باكستان يطلب إليه القيام بدراسة الأزهر في مؤتمر الدراسات العربية الإسلامية الذي عقد في جامعة بشاور من بلاد باكستان يوم ٢٧ رجب وما بعده ، وذلك تلبية للدعوة المرسلة إلى مشيخة الأزهر للاشتراك في هذا المؤتمر .

من ١٤ قاعة يصل بينها رواق طويل ،  
وتشتمل على ٢٤٩ ر ٤١٩ كتاباً في ٩٨٩ ٦٦  
بمجلدات بلغات وعلوم شتى ، وفيها لوحات فنية  
ومحفوظات ومجموعة أطالس وخرائط  
ووثائق تاريخية ، وقسدت لجنة الجرد قيمة  
محتوياتها بمبلغ ٦٨١ ر ٤٦ جنينها . ويقال إن  
الملك السابق جمع هذه المكتبة من التركات  
والمزادات ومن المساجد الأثرية ودرر الكتب  
المختلفة ؛ وفي قسم المصاحف ٢٥٨ مصحفاً في  
٣٦٣ مجلداً قدر ثمنها بمبلغ أحد عشر ألف  
جنيه وهي مكتوبة بخطوط كبار الخطاطين ،  
ويرجع تاريخ بعضها إلى العصور الإسلامية  
البعيدة وهي مزينة بالنقوش الفنية والتذهيب ،  
ومنها مصحف صغير مكتوب على جلد دجاج  
ومغلف برق غزال ، ومصحف آخر مكتوب  
على شريط طوله عشرة أمتار وعرضه ثمانية  
سنتيمترات ، ومن المصاحف مصحف بخط  
راهب مسيحي كتبته في أوروبا في القرون  
الوسطى ، وفي هذه المكتبة المصحف الذي  
أهداه القائمون على الأزهر إلى الملك الخلع  
لمناسبة زواجه وغلافه مذهب بالذهب الخالص  
وقدر ثمن الغلاف وحده بمبلغ ٣٥٠ جنينها ،  
وبعض هذه المصاحف مما كان مع أمراء  
آل عثمان لما هاجروا إلى مصر بعد إلغاء  
الخلافة ، وبعضها مما كان مودعاً في المساجد  
الأثرية .

والمراسيم لم ترسل قط لدار المحفوظات في  
القلمنة ، وإنما بقي في مجلس الوزراء ،  
والمعاهدات والوثائق الخاصة بالمفاوضات  
التي أجرتها مصر بعضها في وزارة الخارجية  
وبعضها في رئاسة مجلس الوزراء ، ووثائق  
تاريخ مصر منذ عهد محمد علي بعضها في حيازة  
القسم التاريخي بقصر عابدين وبعضها في مكان  
على حدة ، ولم يكن الاطلاع عليه ميسوراً  
في عهد الملكية إلا بإجراءات غاية في الصعوبة .  
وقد اتجه الرأي الآن إلى جمع كل هذه  
الوثائق في مكان واحد على أن ترتب ترتيباً  
علمياً ، وأن يدير البحث فيها ، وأن تشر  
الحقائق التي تحتويها على الشعب ، وإن قسم  
التشريع بمجلس الدولة يعد الصياغة القانونية  
لمشروع قانون أعدته وزارة الإرشاد القومي  
خاصاً بإنشاء دار الوثائق التاريخية التي تحقق  
هذا الغرض ، وستكون دار الوثائق تابعة  
لوزارة الإرشاد القومي . ويبيع القانون أخذ  
صور شمسية أو خطية من الوثائق طبقاً لقواعد  
يحددها المجلس الأعلى لدار الوثائق .

### مكتبة قصر القبة

أنشئت هذه المكتبة في السنة الأولى من  
سنى الحرب العالمية الثانية على أنقاض مكتبة  
صغيرة كانت تعرف باسم مكتبة أمير الصعيد ،  
وهي الآن تشغل جناحاً في قصر القبة مكوناً

# انباء العجلة السليمانية

## زيارة الملك سعود

وبعض نتائجها المباركة

قام حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ابن عبد العزيز آل سعود بزيارة كريمة لمصر في النصف الثاني من شهر رجب الماضي ، فساكن موضع الحفاوة والإجلال في أرض السكينة حكومة وشعبا ، وكان ذلك دليلا جديداً على ما لشخصيته الإسلامية من محبة وتقدير في قلوب المسلمين في خارج المملكة السعودية ، فضلاً عن البلاد المتمتعة بأحكام الشريعة الحنيفية في ظل حكمه ، وقد حققت زيارته أغراضاً سامية ترمى إليها الحكومتان السعودية والمصرية : فقد تبودلت في خلال هذه الزيارة الكريمة بين جلالة الملك وسيادة الرئيس محمد نجيب ورجال الحكومتين أحاديث تجلت فيها روح التضامن والإخاء بين القطرين الشقيقين .

وكان الجميع متفقين على مضاعفة الجهود لتدعيم الجامعة العربية حتى تحقق الأغراض

السامية التي أنشئت من أجلها ، وإن الأمة العربية في مختلف شعوبها وهيئاتها وحكوماتها يجب أن تزداد صلات التقارب والنفاهم والتعاون بينها لتكوين وحدة سياسية اقتصادية وثقافية على ضوء التجارب والمحن التي مرت بها الأمة العربية في السنين الأخيرة .

ومما جاء في بيان وزارة الخارجية الذي أذاعته عن هذه الزيارة السعيدة أن وجهة نظر الحكومتين الشقيقتين كانت ولا تزال على اتفاق تام في معالجة مصالح العرب في جميع أقطارهم ، وأن رباط التعاون الوثيق القائم بين البلدين يقضى بالسعي المشترك للوحدة الشاملة في الشؤون السياسية والمالية والعسكرية والتجارية والثقافية وغيرها تحقيقاً للتضامن بينها .

وقد دلت تجارب الماضي القريب على أن البلاد العربية لا تستطيع الدفاع عن نفسها والحفاظة على كرامتها وحقوقها ودفع العدوان عنها من غير أن توحد قيادتها العسكرية وأن تتخذ الأسباب العملية لتسليح قواتها وتدريبها

وكان الاتفاق تاماً على السياسة الخارجية للحكومتين السعودية والمصرية وعلى ضرورة إنماء المصالح المشتركة الاقتصادية والثقافية بينهما لحيز القطرين ولأمن المجموعة العربية كلها .

### الانجليز في قاعدة القنال

نشرت الأهرام تقريراً سرياً أعده الجنرال فيستنج القائد العام للقوات البريطانية في الشرق عن مشكلة قناة السويس . وأبرز ما جاء في التقرير اعتراف القائد بأن حكومة الثورة في مصر أقوى حكومة مصرية واجهت بريطانيا كما اعترف بسوء الحالة بين القوات البريطانية في القناة وقوة المقاومة المصرية المنظمة حتى أن جنود الإمبراطورية غدوا يرفضون الذهاب إلى جحيم ما يلقون في القناة .

وهو يرى أن الحرب إذا كانت قريبة احتمال الوقوع في ثلاثة أعوام أو خمسة وجب استمرار احتلال القناة ، أما إذا كان خطر الحرب بعيداً فلا مناص من تنظيم وضع القناة بالتعاون مع مصر . واعترف القائد بأن الإخفاق في الاتفاق مع مصر والدول العربية سيؤدي في النهاية إلى غير صالح بريطانيا ، لا من الناحية الاقتصادية فحسب ، بل من الناحية العسكرية أيضاً .

وتتمية مصانعها لتكون في خدمة الدفاع المشترك للبلاد العربية ، وأن تنظر البلاد العربية في تاريخها ونشأة ثقافتها وأغراضها من النعائم ومناجحه فتجعل من إدارته قيادة كذلك مشتركة لنشئة أبناء الأمة نشأة متجانسة تعين على كمال وحدتها ، وقد آن الأوان لأن تتطور أغراض العرب من الجامعة العربية إلى العمل لجعل الصلات بين العرب حكومات وشعوبا صلات الاعضاء لجسم واحد يجعل من الجامعة العربية قوة تستطيع الحسم في كل اختلاف أو نزاع يقع بين الدول العربية أو تتضارب فيه المصالح .

وهذا لا يمنع أياً من الحكومات العربية من تمتعها باستقلالها في حدود هذا التعاون الذي يهدف إلى المصلحة العربية العامة وذلك في سائر الشؤون المنظمة لاقتصادياتها وثقافتها وعمرانها وصناعاتها وزراعتها وتجارتها وأن تكون تبعه الدفاع عن الساحة العربية واقعة على الجميع .

وقد تناول الحديث شؤون الدول العربية بحيث تكون بلادهم ساحة حيوية واحدة تتعاون فيها دول العرب وشعوبها جميعاً وبينها الشعوب العربية التي ما برحت تجاهد في سبيل استقلالها .

### في منطقة البريمي

أعلنت الحكومة العربية السعودية أسفها لاستمرار السلطات البريطانية في منطقة البريمي على القيام بأعمال تدل على الحالة النفسية التي تستحوذ عليهم فقد حدث في يوم ١٨ رجب (٢٣ مارس) أن أطلق جنودهم الرصاص على مركز قصر السديري وقتلوا رجلين أحدهما من بني كعب والثاني من الشواص، وقد كان هذان الرجلان يسيران في طريق البريمي أعزلين من السلاح ولا ذنب لهما إلا أنهما مواطنان عريانان - إيران في بلادهما .

### السودان وأهله

تبلغ مساحة السودان نحو مليون ميل مربع وعدد سكانه نحو عشرة ملايين، وهو أوسع الأقطار مساحة في شمال إفريقيا، ومع أن النيل يخترقه فإن أكثر أراضيه تزرع بالمطر . وسكان الشمال من أصل عربي وفي الجنوب قبائل زنجية .

### فيضانه دمدم

ازداد فيضان دجلة وطفى على العراق فغمر تسعين في المائة من الأراضي والمزارع في حوض دجلة الأوسط وتقدر بأكثر من مليوني فدان، وأدى ذلك إلى تشريد

نصف مليون نسمة من السكان . والظاهر أن ارتفاع مياه النهر توقف عند هذا الحد، بيد أن بغداد تواجه خطراً آخر من جراء تسرب المياه من السدود . ويقدر الخسارة المادية التي لحقت القطر الشقيق من هذه الكارثة بنحو ١٥ مليون جنيه . وقد باتت بغداد معزولة من جراء غرق الطرق المؤدية إليها .

### ماذا ينقصنا؟ مقارنة

يقول غوستاف لوبون في كتابه ( حضارة العرب ) :

إن طبقات العرب الوسطى الماضية مساوية لطبقاتنا الوسطى المتقدمة الحاضرة، إن لم تكن أرقى منها في الغالب . والشرقيون المساوون لنا مهارة - وهم الذين لم يحط الاختصاص ذكاهم - يفوقوننا بقناعتهم، وقلة احتياجاتهم وطباختهم الموروثة وهم لا يفتقرون إلا إلى طبقة عالية وبعض عظماء الرجال ليسكونواهم والامم الاوربية المتقدمة على قدم المساواة ومن حسن الحظ ( أى من حسن حظ الاستعمار الغربي ) أن كانوا عاطلين من مثل أولئك ، وإلا استطاعوا - بالإضافة إلى طبقاتهم الوسطى - أن يقرموا مقامنا، وأن يقبضوا على زمام الحضارة .



## قبة الصخرة

في نبأ من القدس أن اللجنة العامة التي تدعو المسلمين إلى تدارك قبة الصخرة في المسجد الأقصى لإصلاحها وتقوية الأسوار قررت ندب لجان فرعية لزيارة الاوطان الإسلامية واستمضاء همة ملوك المسلمين وحكوماتهم لجمع الاموال اللازمة لهذا الإصلاح الضروري ، وكلما تأخر البدء بذلك كان الخطر أعظم والرزء فيه أفدح . وكان المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس قبل ثلاثة أشهر قد أوسع هذا الموضوع بحثاً وأعاره من اهتمامه ما هو جدير به .

## قناة العقبة

وضع اللورد هور بليشع - من أعيان اليهود البريطانيين - مشروعا لإنشاء قناة للأنابيب بين العقبة وحيفا ، وهو يقدر نفقائه بحوالى مائتى مليون جنيه للقناة ، يضاف إليه مبلغ آخر من عشرة إلى عشرين مليوناً لخط الأنابيب . ويلوح الدعاة لهذا المشروع اليهودى بأنه يمنع الأردن مصبا في البحر الأبيض . وستكون هذه القناة أطول كثيراً من قناة السويس . ويقول أولئك الدعاة : يحتمل أن تظل حركة الملاحة بين البحرين الأحمر والأبيض تمر بقناة

السويس إلا في الضرورات الحربية أو الاقتصادية التي تستدعى مرور السفن بالقناة التي يفكرون فيها .

وقد فتحت ( النيمس ) صدرها يوم ٢٠ مارس لمحررها البحرى للنحدث عن هذه القناة .

## ألمحة أمريكية للعرب

اعتذرت أمريكا لليهود ( في جلسة سرية عقدها نائب وزير الخارجية الأمريكية ومساعد الوزير مع فريق من رجال الكونجرس اليهود ) بأن ما تعززم الحكومة الأمريكية إرساله من الأسلحة إلى البلاد العربية ليس في الواقع إلا شخات « رمزية » لا قيمة لها من الناحية العسكرية العملية . وأكد نائب وزير الخارجية ومساعد الوزير هؤلاء الشيوخ والنواب أن أمريكا ستأخذ ضمانات من البلاد العربية بألا تستخدم هذه الأسلحة ضد إسرائيل بأى حال .

## الوعدة العربية

للقضاء على عدو العرب

استقبلت مدينة الرياض وفدا صحفيا من العراق لتهنئة الملك سعود بارتقاء العرش ، فخطب فيهم الملك معرباً عن تأييده النام للعمل

الاندونيسى وبين بعض حكامه المثقفين بثقافة الاستعمار الغربى ، فكانت فى مدينة جاكرتا أعظم مظاهرة عرفها تاريخ هذه العاصمة احتجاجا على الإهانات الموجهة ضد الإسلام ، وقد بلغ عدد المتظاهرين ثلاثمائة ألف ، وفيهم عدد كبير من النساء مما يدل على أن رأى العام الإسلامى كان ثائرا أشد الثورة على أصحاب النزعة الإلحادية وقد حطم المتظاهرون المكاتب الحكومية وقتل ضابط فى الجيش الاندونيسى برتبة كابتن .

على توحيد كلمة العرب فى جميع أوطانهم وأن وحدتهم وإيمانهم أقوى سلاح يردون به مكيد أعدائهم .

والتقى السيد طه فياض العائى صاحب جريد السجل خطابا بين يديه باسم الصحفيين العراقيين منوها بالوحدة ووسائلها . ثم دعاهم جلالتهم لتناول العشاء على مائدته مع كبار رجال المملكة العربية السعودية ، ثم قاموا برحلة لزيارة حقول البترول بالظهران والاعمال الإنشائية بالمملكة .

### وفد العراق الصحفى

**هزيمة الجيوش الهندى الى الجيوش المصرية**  
عادت البعثة العسكرية المصرية التى زارت الهند للاطلاع على المنشآت العسكرية هناك وعند إزماعها العودة قدم إليها الجيش الهندى هديتين منه إلى الجيش المصرى : إحداها عمود من الفضة على قاعدة من الالونوس وفى أعلاه شعار الجيش الهندى وهو أربعة سباع متلاصقة وتحت مخالبها بعض الحيوانات الهندية وعلى ثلاثة من أوجه القاعدة شعارات أسلحة الجيش الهندى ، وعلى الوجه الرابع كلمة الإهداء :

زار وفد العراق الصحفى القاهرة عند عودته من المملكة العربية السعودية قاصداً العراق ، وقد زار لإدارة مجلة الازهر بصحبه الملحق الصحفى فى السفارة العراقية ، وفى طليعة هؤلاء الضيوف حضرة الأستاذ السيد محمد طه فياض العائى صاحب جريدة السجل اليومية ورئيس تحريرها وقد دار الحديث حول أحوال العالم الإسلامى ، وتعاون قادة الرأى على إعداد الآمة المستقبل أفضل وكيان أقوى إن شاء الله .

### الرأى العام الإسلامى

فى أندونيسيا

وإلى الجيش المصرى رمزاً لصدقة الجيشين ،

اتسعت الفجوة بين الشعب الإسلامى

### المواثيق لفرنسا بمراكش

في صلاة الجمعة (يوم -ملخ جمادى الآخرة- الموافق ٥ مارس) حدث انفجار رهيب في المسجد الذي كان يصلي فيه محمد بن عرفة السلطان المرالي للفرنسيين وإلى جانبه الجللاوى فسقط السلطان جريحاً وسادت الفوضى ، وتبين أن ثلاثة من سكرتيرى السلطان أصيبوا مثله بجراح . أما الجللاوى فنجى للمرة الثانية من القتل ( وكانت المرة الأولى في ١٩ فبراير الماضى ) . وهكذا تصطدم الحياة بالجهاد المتواصل في المغرب الأقصى .

### جزيرة القريم

شبه جزيرة القريم مقاطعة عظيمة من المقاطعات الإسلامية في جنوب روسيا وهى من أجمل بقاع الدنيا . وكانت دولة إسلامية يحكمها أمراء من ذرية منكلى كرادت تحت سيادة الدولة العثمانية ، وكان رجال الدولة العثمانية وقعون الفرقه والتحاسد بين أمرائها ، ولكل فريق من أمرائها حماة وأنصار من رجال الدولة فى الآستانة إلى أن اضطرت آخر أمرائها وهو شاهين كراى للالتجاء إلى روسيا ، فضطت روسيا على الدولة العثمانية وانتزعت منها الاعتراف برفع يدها عن القريم وعقدت معاهدة قاي نارجه الصفرى سنة ١١٨٨ هـ ( ١٧٧٤ م ) ، وبعد عشر سنين بسطت روسيا سلطانها المطلق على هذه الجزيرة . وفى الحرب العالمية الثانية كان هذا

والهدية الأخرى إطار من الفضة على خشب فاخر فيه صورة مدخل القيادة العامة بالهند وقد حفرت عليه الوصايا الآتية :

« سعادة بلادك وشرفها أولاً ودائماً ،  
« وسعادة رجالك وشرفهم وراحتهم ثانياً ،  
« ثم راحتك وسلامتك أخيراً ودائماً ،

### حماقة استراتيجية

قال كليمنت اتلى زعيم المعارضة فى مجلس العموم البريطانى أثناء مناقشة ميزانية الدفاع :  
إن وجود القاعدة البريطانية فى منطقة قناة السويس حماقة استراتيجية فى الوقت الحاضر وقال : إن مما يدعو إلى الأسف أننا لم نتمكن من الوصول إلى اتفاق مع مصر لنتخلص من الموقف الذى يقتضينا حجز عدد كبير من قواتنا فى القاعدة يتراوح بين ٧٠ و ٨٠ ألفاً ، وإن القيمة التى يحتمل أن تكون لهذه القاعدة آخذة فى التضاؤل .

### هزيمة فرنسا فى الشرق

تجه الحرب الفرنسية فى الهند الصينية إلى نهاياتها بالرغم من مساعدات أمريكا لفرنسا وقد أعلن السناطور وايلى رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى أن هزيمة العالم الحر فى الهند الصينية لا تقل فى أهميتها عن أى هزيمة أخرى وقعت فى القرن العشرين .

وخصصت له حكومة باكستان من ميزانيتها ثلاثين مليون روبية ( عشرة ملايين دولار ) وستساهم أمريكا في هذا المشروع بثلاثة ملايين ونصف مليون دولار وفق برنامج الموعونة الفنية .

### مركز إيريه الاقتصادي

أرادت حكومة إيران أن تستعين بخبرة الدكتور شاخت ( الخبير المالي الألماني ) وأن تحصل منه على تقرير لتسفيد منه في إصلاح خططها الاقتصادية وقد مكث الدكتور شاخت ثلاثة أسابيع في إيران أجرى خلالها مباحثات مع خبراء المال الإيرانيين ورجال حكومة طهران ، ثم صرح قبل سفره بأنه لم يعط المعلومات الكافية التي تمكنه من وضع تقريره الاقتصادي عن مركز إيران ، ثم غادر العاصمة الإيرانية دون أن يقدم تقريراً أو يوقع أى اتفاق مع الحكومة الإيرانية .

### الامانة الإسلامية

نشرت صحف باريس خبراً على أنه د مثل رائع للأمانة الإسلامية ، جاء فيه أن عمر الحداد وهو شاب مسلم من شمال إفريقيا ذهب إلى أحد مراكز البوليس وسلمه كيساً يحوى ٣٧ ألف فرنك عثر عليها . وقد تبين أن عمر الحداد ترك عمله من أربعة أشهر ، وليس له مورد يعيش منه ، وقد بدا عليه الهزال من سوء التغذية .

الوطن الإسلامي ميدان قتال رهيب بين الروس والألمان . ثم عادت روسيا فبسطت سلطانها بعد الحرب على مسلمي القريم بأساليبها المعلومه . ولما كانت قلوب مسلمي القريم معارضة للحكم القائم في روسيا - ولو بأضعف الإيمان - فقد رأت موسكو في هذا الشهر أن ترميهم بمعارض آخر لها وهي جمهورية أوكرانيا التي كانت مصدر صدام لروسيا في السنوات الأخيرة ، فأعلنت ضم القريم إلى أوكرانيا لتشغل كلا منهما بالآخر ، ولو عقل الأوكرانيون بعد هذا الحادث السياسى المهم في تاريخهم مع الروس لاحتسوا علاقاتهم بمسلمي القريم وتعاونوا معهم على حياة الاستقرار وبذلك الخير كل الخير لهم وللقريمين ، وسيراقبهم الناس بعد الآن ليروا كيف يتصرفون في إقامة نظامهم الجديد مع شركائهم في الحياة الجديدة .

### هزازه في باكستان

تفشى ه باكستان عما قريب خزاناً على نهر أندوس يوفر مياه الري لسبعائة وخمسين ألف فدان من الاراضى الجديدة ، ويزيد من كميات المياه التي تروى بها الآن ٦٧٥٠٠٠ فدان لا تجد من مياه الري ما يكفئها ، وسيبنى الخزان بالحرسانة المسلحة ويكون طوله خمسة آلاف قدم وينشأ على بعد ١٢٥ ميلا شمالى ملتقى نهري اندرس والبنجاب . والمتنظر أن يتم إنشاؤه قبل آخر يونية سنة ١٩٥٦ .

صفحة	الموضوع	بسم
	المقالات	

٨٨١	في إصلاح الكيان المصري . . . . .	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٨٨٥	نفحات القرآن : أولياء الله وأولياء الشيطان	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء »
٨٩٠	السنة : الجوار في الاسلام . . . . .	« طه محمد السالك المفتش بالأزهر . . . . . »
٨٩٥	الدخيل وكتب التفسير — ٥ — . . . . .	الأستاذ محمد محمد أبو شهبة . . . . .
٩٠٠	لمن يكون تنفيذ الحدود . . . . .	« أحمد الشرابي . . . . . »
٩٠٦	المؤمنون حقا — ٢ — . . . . .	« علي الهباري . . . . . »
٩١٠	ركود ثقافي . . . . .	« محمد خليفة . . . . . »
٩١٣	من نواذر المخطوطات : تحرير المفال . . . . .	« أبو الوفا المرافعي . . . . . »
٩١٦	الروح التقدمية في الاسلام — ٣ — . . . . .	« محمد فتحي محمد عثمان . . . . . »
٩٢٣	ديوان مجد الاسلام . . . . .	الشاعر الاسلامي المرحوم أحمد محرم . . . . .
٩٢٩	لنويات . . . . .	الأستاذ محمد علي النجار . . . . .
٩٣٤	الحسن البصري — ٢ — . . . . .	الأستاذ محمود النواوي المفتش بالأزهر . . . . .
٩٤٠	حيوية الأدب . . . . .	« عز الدين إسماعيل . . . . . »
٩٤٤	خالف بن الوليد — نقد — . . . . .	« عبد الجواد رمضان . . . . . »
٩٤٧	الشعب المصري يطرد الانجليز . . . . .	« أحمد عز الدين خلف الله . . . . . »
٩٥٣	أسرار الشريعة واعتماد الحساب الفلكي . . . . .	« محمد أبو الملا البنا . . . . . »
٩٦٠	غزوة أحد . . . . .	« محمد جمال الدين محفوظ . . . . . »
٩٦٤	المؤلفة قلوبهم في جنوب السودان . . . . .	التحرير . . . . .

## التعليقات

٩٦٥	السبينا وما تقدمه لشرق الاسلامي . . . . .	« المجلة » . . . . .
٩٦٦	الاسلام والأزهر في مجلة سلاح الاشارة . . . . .	» . . . . .
٩٦٨	الأزهر فكرة إسلامية . . . . .	الأستاذ رياض هلال . . . . .

## ركن الطلبة (مقتطفات)

٩٧٠	العبادات وتهذيب النفس . . . . .	السيد رزق عبد الوهاب . . . . .
٩٧١	لا إصلاح إلا بالاسلام . . . . .	محمد المدسوقي . . . . .

\* \* \*

٩٧٣	الفتاوى . . . . .	لجنة الفتوى . . . . .
٩٧٦	الكتب . . . . .	قلم التحرير . . . . .
٩٨١	الأدب والعلوم في شهر . . . . .	» . . . . .
٩٨٥	أنباء العالم الاسلامي . . . . .	» . . . . .

مدير المجلة  
عبد اللطيف السبكي  
عضو جماعة كبار العلماء

الاعنونات  
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة  
تليفون ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة  
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير  
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

٥٠ في مصر والسودان  
٣٠ للاطراف في مصر والسودان  
٦٠ في الخارج  
٤٠ للاطراف في الخارج  
٥ عمدة الجوز

الجزء التاسع - القاهرة في غرة رمضان ١٣٧٣ - ٤ مايو ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقالات

### مع الرعيل الأول

أَرَقْنِي التفكير - ذات ليلة من هذا الشهر - في مصير مصر الإسلامية ، ومتى يكون  
بعثها ، وما هي السعادة التي اذخرها الله لها في مستقبلها القريب ، وهل يستطيع مثلي أن يريح  
عن هذا المستقبل يخف الغيب ، فيرى أحفادنا متعاونين على البر والتقوى ، في مجتمع إسلامي  
ينعم بالفلاح والنجاح ، وبالرضا والاستقرار . ولما استبدتني الآرق في تلك الليلة ،  
صعدت إلى سطح منزلي في الروضة ، وأطلتُ منه على أرض القسطنطينية ، فرجعت بذاكرتي  
إلى شهر رمضان من سنة ١٩ يوم كان أصحاب رسول الله ﷺ - من طبقة الزبير بن العوام  
والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة وشرحبيل بن حسنة ومسلمة  
ابن مخلد وقيس بن سعد وقائدهم العظيم أبي عبد الله عمرو بن العاص - محاصرين حصن  
بابلون ، وهم تحت سماء وادي النيل لا يكاد يبلغ عددهم بضعة عشر ألفاً ...

كان ذلك في شهر رمضان ، وقد ضيق المسلمون الحصار على أقوى حامية للروم في مصر ، فانتهر هؤلاء الفرصة في يوم الجمعة ٢٢ من رمضان - وعمر بن العاص يؤم الأبطال المجاهدين وهم معه سجد بين يدي الله عز وجل في الركعة الثانية من صلاة الجمعة - فهاجمهم أربعة آلاف مقاتل من حامية الحصن ، يريدون أن يفتالوهم وهم في مكانهم هذا من الله ، وما كاد الروم يقتربون منهم حتى كان فاتح مصر وبطل أجنادين رضى الله عنه قد أتم صلاته ، فابتدر المهاجمين بسيفه وسيوف رجاله ، وبذلك انتقلوا من عبادة إلى عبادة . لأنهم أولياء الله ، والولاية هي النصر ، وقد كتب الله عز وجل على نفسه أن ينصر الذين ينصرونه ، فما غربت شمس ذلك اليوم حتى فنى الغادرون عن آخرهم ولم ينج منهم أحد ...

وانتقلت بذاكرتي من مواقف القتال والفتح إلى سنوات الاستقرار والسلم ، فاستعرضت جهود هؤلاء الأولياء الأكابر وقد تحول بعضهم إلى أساندة معلمين ، وبعضهم إلى ولاية رحاء مصلحين ، وبعضهم إلى قضاة يقضون مقسطين ، وبعضهم كان يشرف على شق ترعة الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، وبعضهم قد استأنف جهاده تحت رايات عمرو الظافة متجهين إلى برقة ليفتحوا آفاقاً أخرى للوطن الإسلامى المرتجى ...

إن الذين تشرفوا بصحبة رسول الله ﷺ من هؤلاء الأبرار الأخيار الذين أدخلوا مصر في الإسلام يعدون بالآلاف ، وفيهم رجال ممن شهدوا بدرأ مع رسول الله ﷺ ، وفيهم من بايعوه صلوات الله عليه تحت الشجرة ، وقد عني علماؤنا بتسجيل أسمائهم وتراجمهم في كتب مستقلة ، وأول من ألف في ذلك محمد بن الربيع الجيزي الذي كان والده من أصحاب الإمام محمد بن إدريس الشافعى المطلبى رحمه الله ، وآخر من ألف فيه الحافظ جلال الدين السيوطى ، وله في ذلك رسالة اسمها ( دَرُ السحابة ، فيمن دخل مصر من الصحابة ) ، والذين عرف السيوطى أسمائهم من الصحابة المصريين يناهزون الثلاثمائة .

ودخول هذا العدد العظيم من أصحاب رسول الله ﷺ إلى مصر مما يغبطها عليه كثير من الأقطار الإسلامية ، وآخر من أعلن حزنه لحرمان الهند وباكستان من مثل هذه النعمة ، الكاتب المجاهد السيد مسعود الندوى الذى انتقل إلى رحمة الله ورضوانه في شهر رجب الماضى ، فقال في كتابه ( نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند

وباكستان - ص ١٥ ) : « وإن نفس لا نفس أن بلادنا قد حرمت أقدام الفاتحين من العرب من تشرفوا بصحبة النبي ﷺ أو استفادوا من أصحابه الكرام رضى الله عنهم ، وأسلاف السيد مسعود الندوى كانوا يتبركون بذكرى القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى الذى كان سبب إسلامهم ، وأفاضلهم الآن يتنافسون فى استقصاء المصادر والمراجع عن محمد القاسم وتفاصيل فتحه لبلاد السند وبعدون ذلك من أفضل بحوثهم العلمية (١) . ولو أن الذين حملوا الإسلام إليهم كانوا من الصحابة أو التابعين لكانت عنايتهم بذلك واغتنابهم به أضعاف ذلك .

قلت إن الصحابة الذين اشتركوا فى فتح مصر ، واختاروا الإقامة فيها تحولوا إلى أساتذة معلمين ، لأن أمير المؤمنين عمر كان يرسل رجاله إلى الأمصار والأقطار ليقوموا بمهمة التعليم بما علوا ، وتأديب الشعوب بما تأدبوا به . وقد رأينا طبقة التابعين فى مصر يزدهون على أبواب العلماء من طبقة آبائهم ، ليحفظوا عنهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهداف السنة المطهرة ، وأحكام الخنيفية السمحة ، فهذا أبو تميم عبد الله بن مالك الجيشانى الرعى ( المتوفى سنة ٧٧ ) لا يكتفى بما تلقاه عن الصحابة الذين نزلوا مصر ، بل يسافر إلى الحجاز ليأخذ عن على وأبى ذر وإخوانهما من الصحابة . ومثله عبد الله بن زُرير الغافقى ( المتوفى سنة ٨٩ ) ، وعبد الرحمن بن حنيفة الخولانى ( المتوفى سنة ٨٣ ) وهو من تولى قضاء مصر فى الصدر الاول ) . وهذا أبو الخير مرثد بن عبد الله البزنى ( المتوفى سنة ٩٠ ) أخذ عن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر وعبد الله بن مالك الجيشانى وعبد الله بن زُرير الغافقى . وهذا عبد الله بن مُنين التجبى يأخذ عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وهذا الضحاك بن شرحبيل الغافقى يأخذ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ويسافر إلى أبى هريرة فى المدينة ليلتقى عنه . وهذا أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسه المهرى ( المتوفى سنة ١٠٠ ) يستوفى علم الصحابة الذين فى مصر ، ويسافر إلى زيد بن ثابت وأبى ذر فى المدينة ليسمع منهما . وهذا موسى بن وردان العامرى أحد شيوخ الليث بن سعد لا يكاد يقضى من تلقى علم من لقيهم من أعلام مصر حتى يسافر إلى أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ليكون من تلاميذهما .

(١) وقد اطلع وزير مالية باكستان على منال لى عن محمد بن القاسم ، فكتب إلى يسألنى عن مصادر أخرى لحياة الرجل الذى كان سبب إسلام الهند لأنه مهتم بدراسة ذلك وتدوينه وتكريت أبنائه الجليل به .



وهذا علي بن رباح اللخمي ( المتوفى سنة ١١٧ ) يضيف إلى ما أخذ من علم عقبة ابن عامر ومسلمة بن مخلد علم زيد بن ثابت وأبي قتادة . ويفعل مثله سليم بن جبهر السدوسي المتوفى سنة ١٢٣ فيسافر من مصر إلى المدينة ليأخذ عن أبي هريرة . وهذا أبو قبيل حي ابن هانيء المعافري المتوفى سنة ١١٨ يأخذ عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر . ثم يكون من تلاميذه الليث بن سعد وبزید بن أبي حبيب المتوفى سنة ١٢٨ . وبزید ابن أبي حبيب هذا هو الذي انتهت إليه الإمامة في مصر بعد ذلك ، وكان قد أخذ عن عبد الله ابن الحارث بن جزء الزبيدي ( وهو آخر من مات في مصر من الصحابة الذين شهدوا فتح حصن بابلون ) كما أخذ عن أبي الخير مرثد البرقي وعبد الرحمن بن شماس وعطاء بن يسار وحي بن هانيء . وهذا بكر بن عمرو المعافري ( إمام جامع عمرو المتوفى بعد سنة ١٤٠ ) يأخذ عن مشرح بن عاهان من تلاميذ عقبة بن عامر وعن بكير بن الأشج المتوفى سنة ١٢٧ وكلهم مصريون . وهذا حميد بن هانيء الخولاني ( المتوفى سنة ١٤٢ ) يأخذ عن علي بن رباح اللخمي وعمرو بن مالك الهمداني وكلهم مصريون . وهذا حيوة بن شريح النجيب الإمام الزاهد العابد المتوفى سنة ١٥٨ يأخذ عن يزيد بن حبيب المصري وأبي يونس مولى أبي هريرة وحميد بن هانيء الخولاني المصري . وهذا موسى بن علي اللخمي أمير مصر يعتمد أحاديثه البخاري ومسلم وسائر أصحاب الكتب الستة ، وهذا عالم مصر وفتيها وإمامها ورئيسها الليث بن سعد الفهمي ( ٩٤ - ١٧٥ ) ما ترك عالما من علماء مصر إلا أخذ عنه أفضل ما عنده ، ثم قصد علماء الآفاق فأخذ عن قتادة ونافع وسعيد المقبري والزهرى وصفوان ابن سلم وعلق الطبقة ، ومن تلاميذه ابن المبارك وابن لهيعة وابن وهب وابن عجلان ومئات من حملة الفقه والسنة ، قال عنه ابن بكير : هو أفتح من مالك ، وكان دخله السنوي ثمانين ألف دينار ذهباً ينفقها كلها في سبيل الخير فلا يأتي عليها الحول وعنده منها شيء ولذلك ما وجبت عليه زكاة قط . وهذا بكر بن مضر المصري ( ١٠٠ - ١٧٤ ) يأخذ عن يزيد بن أبي حبيب وحي ابن هانيء وجعفر بن ربيعة حفيد شر حبيب بن حسنة وكلهم مصريون . ومن تلاميذه الإمام عبد الرحمن بن القاسم ( ١٣٢ - ١٩١ ) تلميذ إمام دار الهجرة مالك بن أنس ( ٩٣ - ١٧٩ ) وناشر علمه في الدنيا ، وعنه تلقى المدونة أسد بن الفرات ( ١٤٢ - ٢١٣ ) ورحل بها إلى القيروان سنة ١٨١ . ثم حملها إلى مصر سنة ١٨٨ عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب

سحنون (١٦٠ - ٢٤٠) وعرضها على عبد الرحمن بن القاسم فأصلح بعض مسائلها واعتمدها فرجع بها سحنون إلى القيروان سنة ١٩١ وعنها انتشر علم مالك في الخافقين .

وأسد بن الفرات الذي تلمذ لعالم مصر عبد الرحمن بن القاسم تولى قضاء القيروان في سنة ٢٠٤ وتولى بعد ذلك قيادة جيوش زيادة الله بن الاغلب وأساطيله وفتح بها جزيرة صقلية سنة ٢١٢ وتوفى من جراحات شديدة أصابته وهو يحاصر سرقوسة براً وبحراً . وهو مع كل هذا مثل أعلى في الصلاح والتقوى ، والاستقامة على الحق ، والتواضع في تصرفاته ، وإينار الآجلة على العاجلة في كل شيء ، منذ كان طالب علم ، إلى أن كان حامل أمن رسالات التشريع من مصر إلى شمال إفريقيا ، إلى أن جلس على كرسي القضاء في دولة بني الاغلب ، وقد أهله ذلك كله ليسكون قائداً مجاهداً فاتحاً وشهيداً . هذه هي تربية الرعيل الاول في القرون الثلاثة الاولى التي قال عنها حامل آخر رسالات الله ﷺ : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . وأظنني قد أشرقت مع قرأني من سطح منزلي في الروضة على نماذج صالحة من أهل هذه القرون الثلاثة في الفسطاط منذ دخل رعيهم الاول أرض مصر بقيادة الرجل الكامل أبي عبد الله عمرو بن العاص وإخوانه وتلاميذه ، حتى رأينا تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم بلمحة خاطفة لا يحتمل المقام التوسع في بسط تفاصيلها وأمجاد رجالها . وعلى نجباء الشباب الازهرى أن يجعلوا ذلك من دراساتهم ، ولو تفرغوا لذلك لاستطاعوا أن يؤلفوا في سيرة أسلافهم مئات المجلدات النفيسة .

ومن طبقة عبد الرحمن بن القاسم شيخ أسد بن الفرات إمام آخر من أئمة مصر هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ( ١٢٥ - ١٩٩ ) أخذ عن يونس بن يزيد الاموي وحيوة بن شريح وأسامة الليثي وصحب مالك بن أنس عشرين سنة وأخذ عن سفيان الثوري والليث بن سعد وابن جريج وسفيان بن عيينة وابن دينار وحرمة التميمي وزاد عدد شيوخه على أربعمائة ومن تلاميذه سحنون وابن عبد الحكم وأصبع وسعيد بن أبي مريم وابن مهدي وآلاف من فقهاء الإسلام . قال ابن حبان يصف ابن وهب المصري : إنه حفظ على أهل مصر والحجاز حديثهم ، وقال أحمد بن صالح : حدث ابن وهب بمائة ألف حديث .

ومن هذه الطبقة أبو عمر أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري ( ١٤٠ - ٢٠٤ ) الذي انتهت إليه رئاسة العلم في مصر بعد موت ابن القاسم ، وهو قد أخذ عن الليث ومالك

والفضيل بن عياض وتلك الطبقة ، وأخذ عنه بنو عبد الحكم وسخون ويونس بن عبد الأعلى والحارث بن مسكين وطبقته .

وفي هذه الحقبة ( سنة ١٩٩ ) وفد على مصر الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلي رحمه الله بعد أن استفاد من علمه قبل ذلك أمثال الإمام أحمد بن حنبل وطبقته ، فتجدد بقدمه نشاط العلم في القسطنطينية وجامع عمرو والتف حوله الربيع بن سليمان والبويطي والمزني والربيع الجيزي والحسن بن محمد الزعفراني ، فتدفق في العالم الإسلامي من علم هذا الرجل العظيم ما رأينا آثاره في طبقات الشافعية للسبكي وغيرها من الكتب التي تورخ لتطور المعارف الإسلامية وتداول أماناتها .

إن تطور هذه المعارف وتبعها بدراسة حياة رجالها من خير ما تتجه إليه هم شباب الأزهر ، ومتى شرعوا في ذلك فسيجدون منه لذة ومتعة لا أعرف في لذات الدنيا ومتعها ما يعدله أو يقرب منه . ويوم يرجعون بدراساتهم إلى ينابيعها الأولى ويحاولون أن تكون لها في أنفسهم آثارها الخلقية كآثار التي تركها الهدى الحمدي في نفوس الصحابة رضي الله عنهم فكانوا علماء وفاتحين ، وحكاما وقضاة ومصلحين ، وكآثار التي تركها علم شيوخ أسد بن الفرات في نفس أسد بن الفرات فكان عالماً وقاضياً وقائد أساطيل وفاتح بمالك . يوم يجد الشباب الأزهرى اللذة والمنفعة في علم السلف ، وتكون لذلك العلم المبارك مثل هذه الآثار السامية في نفوسهم ، فيؤمنند تكون مصر وطناً إسلامياً حقاً وتكون وطن السعادة والسيادة إن شاء الله ؟

محج الدين الخطيب

## ذكريات التاريخ

الذكريات من التاريخ قد درست وطارف المجد مود وقاله  
يا آسى الجرح بادر ضمده سائله إذا تريت لم تنجح ضمائه

هليل مردوم

# نَفَحاتُ الْقُرْآنِ

- ١٥ -

## ٢ - أولياء الله . . .

### وأولياء الشيطان

- |  |
|--|
| <p>أ - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .</p> <p>ب - والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور إلى الظلمات .</p> |
|--|

حدثناك عن الولاء بين الله وعباده المؤمنين ، وانتهينا بك إلى أن ما بين الله وعباده هؤلاء ، وأن ما بين الناس من مودات بريئة ، وروابط تقتضيها منافقهم ، ولا تأباها شريعة الله : ذلك هو الجدير حقاً بأن يسمى ولاء صحيحاً يحمله اللفظ ، ويرتضيه الوجدان ، وهو ولاء تتجلى به الإنسانية الممذبة التي ينشدها الإسلام ، ويعمل على تمتيتها بتعاليمه .

وأنت ذاكر ما وعدناك به من تمام الكلام على معنى الولاء بالنسبة لغير المؤمنين ، وإذا كان هؤلاء مجافين لدعوة الله ، ومستجيبين لدعوة الطاغوت ، فإن القرآن يقذف بهم بعيداً كما رضوا ، ويلقى بهم في أحضان متبوعهم فيقول : ( والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ) .

وما الطاغوت هذا ؟ أم هو الشيطان وحده ؟ أم الشيطان وأعوانه من دعاة الضلال وقرناء السوء ؟ كل أولئك طاغوت ، لطغيانهم عن الجادة المثلى . وقتنتهم لمن يستهوونهم ويلبسون فيه الهوادة لشهواته ، فيزينون له ، حتى يركن إليهم ، فهو منهم ، وهم به أولى .

ثم تتصل الآية من أتباع الطاغوت ، وتغفل رعايتهم ، ولا تثرئ لأشأنهم ، وتقول : ( يخرجونهم من النور إلى الظلمات ) وماذا يكون وراء متابعتهم للشيطان وأعوانه ؟ إنهم ليحيدون بهم عن الهدى ، ومواطن الرشده ، ويسيرونها بهم إلى آخر الشوط في ظلمات المآثم

والكبرياء ، والجهالة ... لذلك تصارحهم الآية بالمآل الذى يستقبلهم ، وتقطع عليهم سبيل الرجاء الذى قد يتخيلونه ، فتقول : ( أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) وهذا قول فصل فى قضية أولياء الطاغوت ، وأنت ترى أن جزاءهم اقترن بالحديث عنهم ، ولم يقترن جزاء المؤمنين بالحديث عنهم كذلك فيما سبق ، ولكن الجزاء الرهيب يؤتى به للإقناع بأن الله سبحانه لم يترك لهم معذرة من جهالة أوليائهم ، فهو يقتلع من نفوسهم جفوتها بالتحريف اللاذع والتبكيت الجارح ، ثم يدهم واختيارهم ( فن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ) أما جزاء المؤمنين فستمد من فضله الواسع ، والتنصيب عليه يشعر بتحديدته ، والله تعالى يعدم بفضل غير محدود ، فهو يدع باب الأمل مفتوحا فى وجوههم إلى غير نهاية ، ويشعرنا بأن جزاءهم لا يحيط به الأسلوب الكلامي ، وحينما يذكر جزاءهم فى آية أخرى يذكره بصيغ فضفاضة ، لاتقف بالذهن عند حد من الأمل ... فنلا يقول : ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) فهو ينفي عنهم الخوف والحزن إطلاقا وفى صيغة التأكيد .

فيثبت بذلك الأمان والسرور على وجه الإطلاق والتأكيد ، ولعل بصائرهم تستشف مباهج الأمل مما ينفع به الحديث القدسي ( فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ) فذلك وصف للجنة ، ومن أولى بها من أولياء الله الذين اكتنفهم رضوانه ؟؟

قلنا لك : إن لفظ الولاء لا يتسع لما بين الطاغوت وأوليائه إلا من قبيل المجانسة فى التعبير اللفظي ، أو من باب السخرية بهم ، وقلنا لك : إن منهج القرآن فى حديثه عن تلك المتابعة هو الذى يوجهنا تلك الوجهة ، ولك أن تنظر معنا إلى قوله تعالى : ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم ، فكيف ينفي هنا أن للكافرين مولى ، بعد ما قرأنا فى أول موضوعنا : والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، أليس هذا - الآن - رفضا لاعتبار الطاغوت وليا كما تكون الولاية الحققة ؟؟ فعلاقتهم به إذأ : لا تسمى ولاية ، وإنما ربطوا أنفسهم بها ، خسبت عليهم ولاية من باب السخرية بهم ، وإلزامهم بما التزموا . وانظر إلى قوله تعالى : إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا

من أصحاب السعير ، فهل يكون ولياً في نظر القرآن وقد سماه لنا عدوا ؟ وهل يكون ولياً من يستدرج أتباعه إلى سعير جهنم ؟ .

وانظر كثيراً غير ذلك ... ثم انظر أخيراً إلى قول الشيطان نفسه : « فبعضتك لا غوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين » ، فهو يقرر على نفسه ملعونا ، ويشهد الله - سبحانه - أن صلته بالناس صلة لإغواء وتضليل ، ولم يسمها ولاء ، ولا موالاته ، ولا نحو ذلك .

وبجمل القول : أن الولاية على أوسع معانيها لا تكون إلا فيما يكفل نفعاً ، أو يكشف ضرراً ، وهى بهذا التفسير الحاصر جارية بين الله وعباده الخيرين ، وجارية بين الآخذين بهدى الله في دينهم ودنياهم . وأن متابعة الشيطان ، ومودة أهل المآثم ، واتخاذ قرناء السوء ، تسمى غواية لا ولاية ... وفرق بين المنهجين .

وكل ذلك ما بين مسطور في آيات الكتاب ، أو مطوى في مثانيه .

ونفحات القرآن تكشف للألباب عن كثير من معانيه ، فإن يكن حقاً ما وصلت إليه فله الحمد والمنة . وإن يكن ظناً فهو ذو مغفرة مرجوة .

هكذا - وقد عقب القرآن بعد الآيتين اللتين تحدثنا عنهما بذكر أمثلة ثلاثة يبين فيها فرق ما بين قرناء الشيطان ، وأولياء الرحمن :

المثل الأول : الذى حاج إبراهيم في ربه .

د الثانى : الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها .

د الثالث : إبراهيم إذ قال رب أرنى كيف تحبى الموتى .

( ١ ) على عهد إبراهيم - عليه السلام - كان النمرود بن كنعان - طاغية الفرس - صاحب جدل وخصومة مع الخليل ، وهو على ما يروى العلماء صاحب النار التى كانت برداً وسلاماً عليه ، وقد أبطرتة النعمة المسبغة عليه ، واتى بلغت مبلغها من الكمال حتى كانت ملائكة ضحيا تسنم عرشه ، وتقلد صولجانه .

فلما أريد له تكميل نعمته ، وصياتها بالإيمان ، تولاه شيطانه ، وفتنته نعمته ، وغلبت عليه جهالته ، فأنكر على إبراهيم أن يدعو إلى ربه ، وقال له : من ربك ؟ فقال إبراهيم : « ربّ الذي يحيي ويميت ، وكان إبراهيم تخير في جوابه هذا أمراً مشهوداً لا تتعلق به قدرة إنسان : وهو أمر الإحياء والإماتة .

ولكن نمرود يزعم لنفسه مثل ذلك : أليس يأمر بقتل من يرى قتله ، فيكون أماته بقدرة ، ويعفو عن استحقاق القتل فيكون أحياء بعفوه ؟ هذا ما تخيله ، وهياً له أن يقول : ( أنا أحى وأميت ) وتفكير كهذا ، لا يطمع المرء في تقويم عوجه .

ولكن إبراهيم يؤيده ربه ، فيصرفه عن هذا الجواب إلى جواب لا ترقى إليه مزاعم الطاغية ، ويقول : ( فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب ) .

وهنا ينحسم الجدل ، ويتعثر ذهن الطاغية عن محاولة أخرى ، وكان محتملاً أن يحاور ويقول لإبراهيم : اطلب أنت من ربك الذي تدعو إليه أن يأتينا بالشمس من المغرب . . . ولو أنه قال ذلك لكان للدوقف شأن آخر لا يدر به إلا الله العليم .

ولكن أولياء الشيطان في هزيمة ، وكيدهم في ضلال ، وقد شرد الله خاطر نمرود عن مواصلة الجدل ، وعراه الخزي ( فبهت الذي كفر ) وكيف لا يبهت وقد حصر عن الغلب وهو يدعى الربوبية ، وما ادعاه طاغية قبله من كفر وأعرضوا رسلهم ؟؟ ومع هذا الخزي لم يهتز قلبه لخشية من الله ، ولاردعته الهزيمة ، ولا أفاد من إخفاقه عبرة ، وما كان يرجى منه شيء من ذلك وهو مطبوع على اللجاج ، مفتون بديناه ، ظالم لنفسه بالجحود الجاحد ( واقع لا يهدى القوم الظالمين ) .

فهذا واحد من أولياء الشيطان ، أو هو واحد من يتولاهم الطاغوت ، وقد أخرجه من نور الهداية ، وسد عليه أبواب الرشاد فافترى ، وخاب ، وضل عن الصواب ، ودخل في ظلمات ، فلم يفكر ، ولم ينطق ، وأحاطت به خطيئته ، فلم يكن على شيء مما ادعاه لنفسه ، ونكس رأسه بعد شموخ ، وحققت عليه لعنة الله مع طاغوته . وإبراهيم واحد من يتولاهم الله ، ثبتته ربه على الحق ، وألهمه السداد ، ولقنه الحججة على خصمه ، فكان من شأنه ما رأيت .

فأين من يتولاه الشيطان عن يتولاه الرحمن ؟؟

ذلك مثل من ثلاثة ذكرت في هذه القصة ، وهو صورة من صور التبعية للشيطان أو قرناء السوء ، وفيه داعية العجب من إنسان يدعى إلى التوحيد ، فلا يكفيه أن ينأى عن الدعوة ، بل يتمرد عليها ، حتى ليطغى فوق طغيانه ، فيدعى أنه رب للناس وهو بالخير أشبه .

والله — سبحانه — يثير العجب من شأنه في نفس رسوله محمد ﷺ وفي نفس من يقرأ ذلك النبأ فيبدأ الكلام بقوله : ( ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه . . . ٩٩ )

وهذه صيغة فيها تعجب وتقرير ، وكأن مقصودها أن يصدق بهذا من لم يكن يعلمه ، وأن يتعجب من حصوله ، وبالتصديق والتعجب تثار العبرة ، وتتخذ العظة ، وتجتنب الفتنة بغواية الشيطان وما إليه من دواعي الغرور ، ولئن تكن قصة مظلمة بالنسبة لمن كان مشارها ، وهو نمرود ، ففيها جانب تشع منه بوارق النفع لأولياء الله .

والله سبحانه يعظ أناساً بأناس ، وهذه سنته ، وتباركت حكمته ، والسعيد من وعظ بغيره ، ولنا عود إلى المثالين الباقين إذا أفن الله ۞

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

## شباب يملك غضبه

غضب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يوماً فاشتد غضبه - وكان فيه حدة - وعبد الملك ابنه حاضر . فلما سكن غضبه ، قال له ابنه :

— يا أمير المؤمنين ، في قدر نعمة الله عندك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده أن يبلغ بك الغضب ما أرى ؟

قال عمر : كيف قلت ؟

فأعاد عليه عبد الملك كلامه ، فقال له أبوه :

— أما تغضب أنت يا عبد الملك :

قال : ما يغني عني جوفي إن لم أرد الغضب فيه حتى لا يظهر منه شيء . . .



# البيان

## الجوار في الاسلام

- ٢ -

عزة المجير في الإسلام - تقدير الإسلام للإنسانية - سبيل الإسلام  
في معاملة أعدائه - عنايته البالغة بأهل الذمة - الجزية على الذميين والزكاة  
على المسلمين - خليفة المسلمين يوصى بأهل الذمة وهو يودع الدنيا !

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « من قتل معاهداً لم يرح  
رائحة الجنة ، وإن ربحها توجد من مسيرة أربعين عاماً ، » .

وعن عمر رضى الله عنه قال : « وأوصيه - يعنى الخليفة بعده - بذمة الله وذمة رسوله  
ﷺ : أن يوفى لهم ؛ وأن يقاتل من ورائهم ؛ ولا يكفروا إلا طاقهم ، » .  
رواهما البخارى (\*)

\* \* \*

لم نكن مبالغين حين قلنا فى ختام الحديث الماضى : « لو نظر أعداء الإسلام نظرة  
تقدير وإنصاف إلى الجوار فى الإسلام ، لما ترددوا أن يستجبروا به ، ويلتجئوا إليه ،  
وهناك يرون رأى العين أعز مانع للجار ، وحام للدمار ، بل لا نكون مبالغين إذا قلنا :  
إنهم لو أنصفوا الإسلام ، أو أنصفوا أنفسهم لما ترددوا ساعة أن يمتدوا بهديه ، ويستقيموا

[\*] الاول فى باب إنهم من قتل معاهداً بغير جرم ، من كتاب الجزية ، والثانى فى باب « يقاتل  
من أهل الذمة ، ولا يسترقون » من كتاب الجهاد . وراح يريج ، وراح يراج ، وأراح يريج : إذا وجد  
رائحة العى ، والثلاثة قد روى بها الحديث ، كما فى النهاية لابن الاثير .

على طريقته ، وأن يقولوا كما قال الحواريون من قبل : ربنا آمننا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكثبنا مع الشاهدين .

ذلك بأن الإسلام لم يعد الجوار فيه مجرد نافلة فاضلة ، أو فضيلة مكملة ، وإنما عد الجوار فيه عقدا محتوما يوجب احترامه ، وعهداً مسئولاً يحتم الوفاء به . هذا إلى ما يضيفه الإسلام على المجير - وإن قل شأنه - من معاني الإعزاز والتكريم لاتباعه ، بما لا يوجد له نظير في قانون دولي على وجه المعمورة ...

وأي عزة وعظمة ومنعة يشعر بها الجندي العادي من جنود الإسلام ، وهو يوقن أنه ذو حق في أن يجير من استجار به ، ويحمي من التجأ إليه ؛ ويرى أن قانون الإسلام الحربي تكفل له بهذا الحق أحسن كفالة ، وضمنه له أحسن ضمان ؟

لا جرم أنه حيثئذ يستعمل هذا الحق في خير وجوهه وأذناها إلى المصلحة العامة ؛ ليكون دائماً موضع ثقة الإسلام والمسلمين به . وكفى بهذا تقديراً للإنسانية في منهاج الإسلام ، الذي جاء نائراً للسلام ، ومتمماً لمكارم الأخلاق <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

إن غير المسلمين في منهاج الإسلام أصناف ثلاثة : محاربون ، ومعاهدون ، وذميون . وكل من هؤلاء ذاق - أو عرف - من حلاوة الجوار في الإسلام ، ما كان كفيلاً بأن يجذبه إليه ، لولا حوائل الكبر والبغى والحسد ، وغوائل العناد والعصية والجهود . فأما المحاربون فسييله معهم أن يدفع كيدهم ، ويرد عدوانهم ، ويقاتلهم كما قاتلوا أهله ، حماية لدعوته ، ودفاعاً عن حوزته ، ولذلك يشتد تكبير الإسلام على من يقاتل من لا يد له في القتال ولا رأى من النساء والصبيان ، والعجزة والرهبان ، فإن هؤلاء ومن إليهم في حماية الإسلام ورعايته ، يتقيهم ويحميهم ما استطاع إلى الحماية سبيلاً .

(١) بسط هذا المعنى السيد محب الدين الخطيب في علمته « الفتح » وهو يوازن بين كبرياء الجندي البريطاني للوطنية ، وعزة المسلم المجاهد الخفة في مقال عنوانه : جوار المروية وذمة الاسلام . انظر العدد ٨٣٠ مفتتح العام السابع عشر .

وكذلك يحجر الإسلام رسل العدو والمحارب ، فلا يعرض لهم بسوء ولا أذى ، ولو جاءوا منذرين بالحرب ، مستهزئين بالإسلام ، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : جاء ابن النواحة وابن أنال ، رسولاً مسيلة إلى النبي ﷺ ، فقال لهما : أتشهدان أنى رسول الله ؟ قالا : نشهد أن مسيلة رسول الله ، فقال ﷺ : آمنت بالله ورسوله ، لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما . قال عبد الله : فضمت السنة على أن الرسل لا تقتل . وروى أحمد وأبو داود عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : « بعثتنى قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقع في قلبى الإسلام ، فقلت يا رسول الله : لا أرجع إليهم ، قال : لى لا أخيس العهد ، ولا أحبس البرد ، ولكن أرجع إليهم ، فإن كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجع ، فرجع أبو رافع ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم .

\* \* \*

وفى إجارة الإسلام لرسل المحاربين وحمايتهم ، دعوة إلى هدايته ، ونشر لرسالته ، فى سياسة رشيدة ، وخطة حميدة ، وقد تردد بين النبي ﷺ وقريش جماعة من الرسل واحداً بعد واحد ، فرأوا من مكارم أخلاقه ومعاملته لأصحابه ما لم يروه عند كسرى ولا قيصر ، فأخبروا قومهم بذلك . وكان لهذا وأمثاله أعظم الآثار فى نشر الدعوة ودخول الناس فى دين الله أفواجا .

\* \* \*

وأما المعاهدون فهم الذين أبرمت بينهم وبين المسلمين معاهدة وميثاق على السلم ، ومنهم المستأمنون الذين دخلوا فى جوار الإسلام بتأمين واحد من أهله ، على ما بينا فى الحديث السابق .

وسبيل الإسلام مع هؤلاء أن يوفى لهم بعهدهم كاملاً غير منقوص ، وأن يستقيم لهم ما استقاموا للمسلمين .

ومن هؤلاء المستأمنين من يستجير بنا لسمع كلام الله ويتعلم شرائع دينه ، حق علينا أن نؤمته ليسكون على بينة من الأمر ، ثم نحميه حتى يبلغ منزله الذى يأمن فيه ويسكن إليه ،

اتتاراً بأمر السلام المؤمن عز سلطانه ، وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه . .

\* \* \*

ومن عجيب أمر الإسلام في الوفاء بالمعاهدات التي أضحت حبراً على ورق في الدول الكبرى - أنه لا يبيح لنا أن ننصر لإخواننا المسلمين الذين حرّموا التمتع بسلطاننا ، على المعاهدين من الكفار ، وقد كان الرجل يقر بدينه مسلماً لا نذاً بالمسلمين في عهد الحديبية ، فيرده النبي ﷺ إلى قومه الكافرين ويقول له : إن بيننا وبين القوم عهداً ، وإن الله جاعل لك فرجاً ومخرجاً ، وكانوا عاهدوا النبي ﷺ فيما عاهدوه ، أن يرد إليهم من جاء منهم إليه مسلماً ، على حين لا يردون إليه من جاء من المسلمين كافرين ...

وقد حى الله المؤمنين أن يرتد أحد منهم عن دينه ، كما صدق رسوله فجعل لهم فرجاً ومخرجاً ، بتحلل المشركين أنفسهم واستغاثتهم من هذا الشرط ، لأنه كان عليهم وهدم بلاء وشرأ ...

\* \* \*

وأما الذميون فهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وهم في حقيقة الأمر معاهدون من طراز آخر ، لهم ذمة الله وذمة رسوله ، وعهد الله وعهد رسوله ، في جوار الإسلام ورعايته ، لهم مآلنا وعليهم مآعلينا ، نحميهم وندافع عنهم ، ونقاتل من يعتدى على دينهم أو أنفسهم وأموالهم ، ولا نكلفهم من الجزية التي أمر الله بها أن تؤخذ منهم ما لا طاقة لهم به ، فمن ضيع حقاً من حقوقهم هذه أو أعان على ضياعه ، فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله ، وانتكح حرمة الإسلام والمسلمين ! ومن قتل واحداً منهم كان جديراً بسخط الله ورسوله ، خليقاً بأن يتوعده الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بما يتوعد به التارك لدينه ، فلا يدخل الجنة ولا يشم ريحها ، وإن ربحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً .

ومن المقرر في قواعد الشريعة أن مرتكب المعصية المجمع على تحريمها مرتد عن دينه إن استحلها ، وإلا فهو آثم متخلف عن ركب الطائعين ، إلى وضوان الله تعالى . إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً . .

وليست الجزية التي فرضها الله تعالى على أهل ذمته إلا جزاء يسيرا ، لا يكاد يكافئه ما يلتزمه المسلمون من إعانتهم والدفاع عنهم والسهر على مصالحهم ، وهي أيسر من الزكاة التي فرضها الله على الموسرين من المسلمين ، وأمر نبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يأخذها منهم ، لأن فريضة الزكاة عامة على كل موسر وإن كان طفلا أو امرأة ؛ وأما الجزية فلا تؤخذ - كما قال الماوردي في الأحكام السلطانية - إلا من الرجال الأحرار العقلاء ، مع أن حماية المسلمين شاملة لأهل الذمة جميعاً .

\* \* \*

ومعاذ الله والإسلام أن تكون الجزية كالضرائب التي يفرضها الفاتحون والمستعمرون على من يتغلبون عليهم . بل تلك مغارم فادحة ينقلون بها كواهلهم ، ويعصون بها خيرات بلادهم ؛ وما نظن أهل الكتاب يجهلون هذا ، وكثير منهم يعرفون الكتاب كما يعرفون أبناءهم ، ولكنهم تهاون المسلمين وانتهوا بهم لحرمت الله ورسوله ، ثم تجرؤ الكتابيين عليهم واعتدائهم ، جزاء وفاقا ! ومصدق هذا ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : كيف أنتم إذا لم تجتنبوا ديناراً ولادراً ؟ ! فقيل له وكيف ترى ذلك كائناً يا أبا هريرة قال : إني والذي نفس أبي هريرة بيده ، عن قول الصادق المصدوق . قالوا : عمّ ذاك ؟ قال : تنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ ، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة ، فيضعون ما في أيديهم .

وما رواه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ! فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ! فقال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت !!

\* \* \*

وبعد ، فهل بلغ أهل الذمة عامة أن دولة الإسلام وأئمة المسلمين ، عنوا بجوارهم والإحسان إليهم ، عناية لم تعرفها - وإن تعرفها - دولة أخرى على وجه البسيطة ولو كانت تدين بدينهم ؟ وهل بلغهم أن اليهود - وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا - كانوا يعيشون

في جوار الرسول ﷺ والمسلمين ، في رغد من العيش آمنين مطمئنين ، حتى نقضوا عهدهم ، ونكثوا أيمانهم ، وخانوا الله ورسوله في كل مرة ، ثم أخبروا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ؟ وهل بلغهم أن خليفة المسلمين عمر رضى الله عنه الذى أجلى اليهود من جزيرة العرب إلى الشام تنفيذاً لوصية النبي ﷺ ، أوصى وشدد في الوصية بإحسان الجوار لاهل الذمة والرفق بهم ، تنفيذاً لوصية النبي ﷺ كذلك ؟ ويبلغ من عنايته بهذه الوصية أن تكون منه في سكرات موته ، وهو يودع هذه الدار ويقبل على الله والدار الآخرة !! وأن تكون في سلك وصيته الجامعة للخليفة بعده ، بالمهاجرين الاولين ، وبالانصار الذين تبوءوا الدار والإيمان ! في حديث رواه البخارى في آخر كتاب الجنائز ، وبسطه في مناقب عثمان رضى الله عنه !! (١) .

\* \* \*

وأخيراً ، هل بلغ أقباط مصر أن الرسول الاكرم ﷺ خصهم من بين اهل الكتاب بوصية كريمة بالغة ، لان لهم ذمة وصحرا ؟ ... ذلك ما نرجو أن نفضله بعض التفصيل في الحديث القادم إن شاء الله ، ومن الله سبحانه العون والتوفيق ؟

طه محمد الساكت

## وصية وتوجيه

قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة :

« يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها . وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك . » أخرجه الخمسة

(١) واقتصر في كتاب الجهاد على بعض الذى سقناه هنا لمناسبة الباب ، ولا مانع من اختصار الحديث بقدر للناسبة .

# ١ - زواج المسلم بالكتابية

## ٢ - وإسلام زوج الكتابية وغيرها

لفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ حسين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتى مصر السابق ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر جولات علمية مشهودة . وقد تفضل فبعث إلى مجلة الأزهر يبحث فقهي تمتع في زواج المسلم بالكتابية ، وفي إسلام زوج الكتابية وغيرها والآثار المترتبة عليه شرعاً .

وهاتان المسألتان قد يتخيل البعض أنهما من الفقه المطروق الشائع ، وأن البحث فيهما لن يأتي بجديد . ولكنهم إذا عرفوا أن الفقه الإسلامى على كثرة ما بذل فيه من جهود ما زال كالكنز الحافل بالآلىء التى تحتاج فى إبرازها إلى يد صناع ، وأن العباقرة من رجال الفقه هم الذين يستطيعون أن يبرزوا للناس تلك الآلىء الغوالى .

إذا عرفوا ذلك فإنهم سيرون فى بحث فضيلة الاستاذ وما جمع فيه من آراء الفقهاء ، وما ذكر من أدلة لأصحاب تلك الآراء ، وما أبدى من توجيهات سديدة ، سيرون فى كل ذلك ما يشفى غلة المتعطشين للبحوث الشيقة وخاصة ما له أثر بارز فى الحياة الاجتماعية . وقد رأت المجلة أن تلفت حضرات قرائها ممن يحنهم النزود العلى إلى هذا البحث . ( المجلة )

... ..

### المسألة الاولى :

الكتابى فى إطلاق كثير من آيات القرآن : هو من كان من أهل النوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى كما ذكره أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن ، وابن قدامة الحنبلى فى كتابه - المغنى .

والمشرك من ليس من أهلها من عبدة الاوثان وغيرها كمشركى العرب وأشباههم ، ويشهد بذلك قوله تعالى : ، أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ، . وقوله تعالى ولم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ،

وقوله تعالى « إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، الآية وقوله تعالى « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، وقوله تعالى « لنجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولنجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، الآية . وغير ذلك من الآيات التى فصل بها القرآن بين المشركين وأهل الكتاب بالعطف الذى يقتضى المغايرة لغة عند الإطلاق .

وقد وصف أهل الكتاب الذين حرفوا وبدلوا بالشرك فى قوله تعالى « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، وقوله تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ، .

فقد وصفوا بالشرك لأنهم أشركوا مع الله تعالى آلهة أخرى من عباده .

ومن هنا ذهب عبد الله بن عمر إلى أنهم مشركون ، ففياً أخرجه البخارى عن نافع عن ابن عمر ونقله أبو محمد بن حزم الظاهرى بالمحلى ، والعلامة الألوسى فى تفسيره ، أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح الرجل المسلم النصرانية أو اليهودية : قال حرم الله تعالى المشركات على المسلمين ، ولا أعرف شيئاً من الإشراف أعظم من أن تقول المرأة : ربها عيسى ، أو عبد من عباد الله تعالى .

وقد اتفق جمهور الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وفقهاء مذاهم والظاهرية وجمهور الزيدية والإمامية على إباحة تزوج المسلم الكتابية .

قال أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن ص ٣٣٢ ج ١ : « روى عن جماعة من الصحابة والتابعين ، ومنهم الحسن البصرى وإبراهيم النخعى والشعبى ، إباحة نكاح الكتابيات ، وقد تزوج عثمان بناتلة بنت القرافصة الكلبيه وهى نصرانية على نسائه ، وتزوج حذيفة يهودية ، وتزوج طلحة يهودية من أهل الشام ، ولا نعلم عن أحد من الصحابة والتابعين تحريم نكاحهن ، وروى عن عبد الله بن عمر أنه كره نكاح النساء الكتابيات ، وروى عنه أيضاً أن قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، عام فى المشركات والكتابيات .

والظاهر أن مراده منهن اللاتى يشركن مع الله آلهة أخرى من عباده .

وقال الجصاص تعليقا على الرواية الاولى : إنها لا تدل على تحريم نكاحهن ، فإن ما ذكر



من الكراهة يدل على أنه ليس على وجه التحريم ، كما يكره تزوج نساء أهل الحرب من الكتائب لا على جهة التحريم ، وقال تعلقاً على الرواية الثانية عنه : إن الآية المذكورة خاصة بالمشركات دون الكتائب ، كما يدل عليه عطف الكتائبين على المشركين في كثير من الآيات ، وهو يدل على التغاير بينهما .

وقال في الجزء الثاني من أحكام القرآن ص ٣٣٤ عند تفسير قوله تعالى « في سورة المائدة » : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحضات من المؤمنات والمحضات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتوهن أجورهن » : إن المراد من المحضات العفاف ، كما روى عن عمر والحسن والشعبي وإبراهيم والسدي . وروى عن مجاهد أنهم الحرائر ثم قال : إن فساح الحرائر من الذميات لا خلاف فيه بين السلف وفقهاء الامصار إلا شيئاً روى عن ابن عمر أنه كرهه ، وكان يجيب من يسأله عن حكمه بتلاوة آية التحريم في البقرة وهي : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ، وتلاوة آية التحليل في المائدة وهي : « والمحضات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » دون أن يذكر الحكم ، ودل ذلك على أنه كان متوقفاً فيه لم يقطع فيه بدليل ثم قال : « واتفق جماعة من الصحابة على إباحة نكاح الكتائب سوى ابن عمر ، ومنهم سعيد بن جبير وعمر وحذيفة وطلحة ، ورويت لإباحته عن عامة التابعين ، وإذا سلم أن إطلاق آية التحريم يشمل الكتائب فقد خص هذا العموم بآية المائدة ، وإن كان الظاهر أن لفظ المشركات في الآية خاص بالوثنيات وآية المائدة لم تنسخ » .

ويخلص من هذا أن جمهور الصحابة والتابعين يرون حل زواج الكتائب بناء على أن آية البقرة خاصة بالمشركات أى الوثنيات ، وآية المائدة خاصة بالكتائب ، أو أن آية المائدة ناسخة أو مخصصة لآية البقرة على فرض عمومها ، وأن ابن عمر إما متوقف في الحكم فلا يكون له رأى في المسألة مقطوع به ، وإما أن رأيه الكراهة فقط دون التحريم ، وإما أن رأيه التحريم بناء على أنهم مشركات اعتقاداً فيمكن مثلهم في الحكم الثابت بقوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » .

وقال ابن قدامة في المغنى ص ٥٠٠ جزء ٧ « ليس بين أهل العلم اختلاف في حل

حرائر نساء أهل الكتاب ، ومن روى عنه ذلك عمر وعثمان وطلحة وحذيفة بن اليمان وسلمان وجابر وغيرهم ، قال ابن المنذر : « ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك » .

وروى الخلال أن حذيفة وطلحة والجارود بن المعلى وأذينة السدى تزوجوا نساء من أهل الكتاب ، وبه قال سائر أهل العلم ، وحرمة الإمامية تمسكاً بقوله تعالى : « ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن » ، وقوله تعالى « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » . ولنا قوله تعالى في سورة المائدة « اليوم أحل لكم الطيبات الخ » ، وإجماع الصحابة على ذلك .

أما قوله تعالى « ولا تتكحوا المشركات » ، فروى عن ابن عباس أنها نسخت بآية المائدة وكذلك ينبغي أن تكون آية « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، مفسوخة بها أيضاً لأنهما متقدمتان ، وآية المائدة متأخرة عنهما نزولاً ، وهى آخر ما نزل من القرآن .

وقال آخرون : إن هذا ليس نسخاً لأن لفظ المشركين لا يتناول بإطلاقه أهل الكتاب كما قال جمع من أهل العلم ، ومنهم ابن جبير وقتادة ، على أنه إذا كانت آية التحريم عامة فى كل من ليست مسلمة سواء أكانت مشركة أم كتانية ، فإن آية المائدة خاصة فى حل أهل الكتاب ، والخاص يجب تقديمه على العام ، نعم إن تزوج المسلم بالكتانية مكروه وغير حرام كما هو رأى عمر وعبد الله بن عمر فى إحدى الروايات عندهما ملخصاً .

وفى القرطبي ص ٦٧ - ٣ « عن ابن عباس أن الله تعالى حرم نكاح المشركات فى سورة البقرة ثم نسخ من هذه الجملة نساء أهل الكتاب فأحلهن فى سورة المائدة وبه قال مالك وسفيان بن سعيد الثوري والأوزاعي » .

« وهذا بناء على أن لفظ المشركات يشمل الكتانيات ، ولذلك عدت آية المائدة ناسخة » ، وقال قتادة وسعيد بن جبير : إن لفظ المشركات عام فى كل كافرة ، والمراد الخصوص وقد بينته آية المائدة ، ولم يتناول العموم قط الكتانيات وهو أحد قولى الشافعى .

وقال إسحاق : ذهب قوم إلى أن آية البقرة هى الناسخة ، وآية المائدة هى المفسوخة ، ووجههم فى ذلك رواية ابن عمر .

قال النحاس : وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة ، فقد قال بالحل جماعة من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ، وأيضاً يتمتع أن تكون آية البقرة

هى الناسخة لأن البقرة من أول ما نزل بالمدينة ، والمائدة من آخر ما نزل بها ، وإنما الآخر يفسخ الأول .

وأما حديث ابن عمر فلا حجة فيه لأنه كان متوقفا ولم يبلغه النسخ ولم يذكر عنه ذكر النسخ وإنما تؤول عليه ولا يؤخذ الناسخ والمنسوخ بالتأويل ، ثم ذكر رواية أخرى عن ابن عباس ، وهى أن آية البقرة عامة فتكون ناسخة لآية المائدة ، وهو ناظر فى ذلك إلى قول ابن عمر ، وعقب على ذلك بقوله : « ولا يصح عن أحد من الأولاد القول بالتحريم ، اهـ . » ويلخص من ذلك أن الإجماع منعقد على حل تزوجهم ولم يخالف فيه من الفرق سوى الإمامية تمسكا بالآيتين المذكورتين ، وهما منسوختان بآية المائدة ، إذا شملتا الكتابيات أو خاصتان بالمشركات دون الكتابيات .

وسأيت الكلام عليهما وأن حديث ابن عمر لا حجة فيه بل لم يصح عند أحد من الأولاد القول بالتحريم .

وهذا الذى ذكره الجصاص وابن قدامة والقرطبي ، هو المذكور فى كافة كتب المذاهب الأربعة .

### رأى الظاهرية :

قال ابن حزم فى المحلى ص ٤٤٥ > ٩ وهو لسان الظاهرية بجواز زواج المسلم الكتابية وهى اليهودية والنصرانية .

وروى عن ابن عمر تحريم نكاح نساء أهل الكتاب جملة ، واستدل لذلك بما رواه نافع عن ابن عمر وقد سئل عن نكاح اليهودية والنصرانية ، فقال : إن الله تعالى حرم المشركات على المؤمنين ، ولا أعلم من الإشراف أكثر من أن تقول المرأة : ربها عيسى أو عبد من عباد الله عز وجل .

وأباح أبو حنيفة ومالك والشافعى نكاح اليهودية والنصرانية ، واستدل على التحليل بأن هناك آيتين فى القرآن : آية التحريم وآية المائدة فى التحليل . والواجب الطاعة لكلهما وأن لا نترك إحداهما للأخرى ، ولا سبيل إلى الطاعة لهما إلا بأن يستثنى الأقل من الأكثر فوجب استثناء إباحة المحصنات من أهل الكتاب بالزواج من جملة تحريم المشركات ، ويبقى سائر ذلك على التحريم بالآية الأخرى . اهـ ملخصا .

مصنف محمد خواف

للبحث بقية

## رمضان هجرة الى الله

صوم رمضان عبادة غربية بين العبادات ، فهي على ما بها من صبر وألم ، وحبس وحرمان ، محبة إلى نفوس المؤمنين ، يفرحون بقدمها ، ويحتفلون للقائها ، إلا أنها فرحة مقرونة بحذر ، واحتفال مقرون بجلال ووقار ، خشية ألا يحالفهم التوفيق فيما يليق بها .

يفرح برمضان الكبير والصغير ويوقره ويهابه التقي والفاجر وكما من فاجر تاب بين يدي رمضان وعزم فيه على العودة إلى الله والإنابة إليه ، فكان مبعث خيره وسعادته ، وكما من تقي انتهز فرصته لمضاعفة الثواب فيه ، فأكثر من أعمال البر فسمت نفسه ، وانبسطت بالعطاء يده ، فقال من خيره البائس والمحروم ، والقريب والبعيد ، وفي رمضان يكف المسلم أذاه عن غيره توقيراً لحرمته ، وإجلالاً لمقامه ، ويقبل على تلاوة القرآن ما واثت الفرصة وأمكن الفراغ ، فهو بين صيام النهار وقيام الليل ، والثواب وراء ذلك على قدر النية والإخلاص ، وكل عبادة قدر الله فيها الثواب إلا صوم رمضان ؛ فقد وكل قدر الثواب فيها إلى نفسه ، وهو الوهاب الكريم الذي لا تنفذ خزائنه ولا تفيض بحار فضله .

ورمضان ميزان للإيمان وامتحان للعزائم ، أما المؤمن قوى الإيمان صادق العزم فيقبل على الامتحان في ثقة واطمئنان ، ويجوزه بنجاح ، ويفوز فيه بثواب الله ورضوانه . قال العلامة ابن رجب : « وكثير من المؤمنين لو ضرب على أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعل ، لعله بكراهة الله لفطره في هذا الشهر ، وهذا من علامات الإيمان أن يكره ما يلائمه من شهواته ، إذا علم أن الله يكرهه ، فتصير لذته فيما يرضى مولاه ، وإن كان مخالفاً لهواه ، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه وإن كان موافقاً لهواه ، أما ضعيف الإيمان ذو العزيمة الرخوة والإرادة الخائرة ، فإنه يقبل على رمضان حائراً يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، يتنازعه إيمانه وشيطانه ، وتضطرب في نفسه شهوته وإرادته ، فهو في كل يوم من رمضان في معركة وجهاد . ولا انتصار الصائم في كل يوم بتمام صيامه فرحة لا يقدرها إلا الصائم ، ولا انتصاره بصيام الشهر كله فرحة كاملة ، وفي الحديث « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » ، ولأن الصوم جهاد وامتحان ومصارعة بين الهوى والإرادة ، يتنافس الصبيان

في صيامه ، ويتواصون على أدائه ، وما أشد فرحة الصبي بصوم يوم من أيامه ، فهو شهادة بانتصاره ، ودلالة على عزمه وإرادته .

وللدقة في صيام رمضان جعل الثواب عليه كثيراً ، وأجر العمل فيه مضاعفاً . فعن سلمان الفارسي رضى الله عنه : من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وعن أنس رضى الله عنه : سئل النبي ﷺ : أى الصدقة أفضل ؟ قال : صدقة في رمضان ، وعن النبي ﷺ في الصحيحين : عمرة في رمضان تعدل بحجة — أو قال حجة — معي .

والصوم عبادة تهذيبية تكشف عن حيوانية الإنسان ، وترقق من نفسه الشهوانية ، وتجذبه شيئاً فشيئاً إلى الروحانية الخالصة ، وتقربه رويداً رويداً إلى الملائكة الأعلى ، ملائكة المقربين ، فيأنس بهم ، ويلوذ بكنفهم ، وكل يوم ينقضى منه بإخلاص فهو مرحلة إليهم ، حتى إذا كاد ينقضى رمضان تهيأ لمخالطتهم ومؤانسحتهم . لذلك كان من تمام حكمة الشارع أن يشرع الاعتكاف في العشر الاواخر من رمضان بالمساجد ، لينقطع بكليته عن الخلق ، ويجمع أمره كله للخالق ، يسعد بمناجاته ، ويتلذذ بقربه ، ويضع بين يديه حاله ، ويتفرغ إليه في ذلة وإخبات أن يتجاوز عما أسلف ويفقر له ما قدم . فالمعتكف حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه ، فسا بقى له هم سوى الله وما يرضيه عنه .

فمضى الاعتكاف وحقيقته قطع العلائق عن الخلق ، للاتصال بخدمة الخالق ، وكلما قويته المعرفة بالله والمحبة له والانس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله بالسكينة .

والصوم عبادة يقبل عليها المؤمن بنفس راضية مطمئنة ، واثقة بما فيها من الخير ، وما وعد الله عليها من الثواب ، ويحاول ضعيف الإيمان أن يتعرف فيها وجه المصلحة وسر التشريع ، وقد تسلم علماء الدين والنفس والطب في ذلك كثيراً ، ويمجبن في تلخيص سر التشريع قول ابن رجب الحنبلي : وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد : منها كسر النفس : فإن الشبع والرى ومباشرة النساء تحمل النفس على الأثر والبطر والغفلة . ومنها تخلي القلب للفكر والذكر ، فإن تناول هذه الشهوات يدنس القلب ويعميه ، ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر ويستدعى الغفلة . وخلو الباطن من الطعام والشراب ، ينور

القلب ، ويوجب رفته ، ويزيل قسوته ، ويخليه للذكر والفكر ، ومنها أن الغنى يعرف قدر نعمة الله بإقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والوقاع ، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع ذلك على الإطلاق ، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك .

ومع كثرة ما يذكره العلماء والأطباء في سر الصوم ووضوح حكمة تشريعه ، نرى كثيراً من المسلمين يضيقون به ويفرطون فيه بشتى الأعذار ، قسراً لتفريطهم ، واعتذاراً عن خيبتهم ويقولون : إنه عذاب ، وإن صوم رمضان فوق الطاقة ، كبرت كلفة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ، فما امتحن الله عبادَه بما يخرج عن طاقتهم ، وهو وحده العالم بمصالح عبادِه ومقدوراتهم ، وقد جعل لغير المطيق رخصة الفطر حتى يطيق ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .

وما رمضان في الحقيقة إلا ( رجيم ) خاص في شهر من السنة يدور في فصولها فيقع أحياناً في الشتاء لا يكاد يحس الصائم فيه بشيء من القسوة ، ويقع في القيظ فيحس الصائم بشيء من عناء يخفف بتكرار أيامه فيسكون ( رجياً ) محتملاً كما يحتمل غيره ، وكَم من أنواع الرياضات القاسية يحتملها هؤلاء المفرطون لغاية جسمية أو مادية ، وبدافع من الدوافع التافهة السخيفة ، كجسارة أهل الدين الزائف في تنحيف القوام ، أو الفوز بجائزة ، أو الحصول على شهرة ، ليقال فلان بطل في الجرى أو القفز أو السباحة أو غير ذلك ، ولأنهم ليتعرضون لخطر قد تودى بأرواحهم ، ومع ذلك يقبلون عليها بطيب نفس وفي ثقة واطمئنان ، وإذا قيل لهم صوموا رمضان ثقافوا وتحاذلوا ، وإذا قيل لهم ( آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ) .

وقد قيل من زمن قريب : إن بعض السيدات أضربن عن الطعام وهددن بمواصلة الصيام حتى يمتن أو تجاب مطالبهن السياسية ، وإذا قيل لهن ولأمثالهن : صمن رمضان ، قلن : إنه عذاب ، وإنه مذهب للبهاء والجمال ، ولقد صدق الله إذ يقول ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ) . هذا وإن من واجب المسلمين أن ينتهزوا فرصة رغبة الأطفال في الصيام ، وتهاقهم عليه فيغرسوا في نفوسهم حبه ، ويشجعوهم على صيامه ، والعادة عون على العبادة ، فإذا

شبا على حبه شابوا عليه وهان عليهم أداؤه ، وكثير من الناس يحرمون على صوم رمضان لأنهم اعتادوا صيامه ، ويهملون في غيره من عبادات دونه في الكلفة والمشقة ، وما ذاك إلا لسلطان العادة .

واللصوم آداب لا يتم ثواب الصائم إلا بها ، وقد لخصها جابر رضى الله عنه بقوله : « إذا صمت ، فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء . » وما أحسن ما قيل :

إذا لم يكن في السمع منى تصاون      وفي بصرى غض وفي منطقي صمت  
خفى إذا من صومى الجوع والظما      فإن قلت إنى صمت يومى فاصمت

أبو الوفا المرافى

## عزيمة من عزائم الصديق الأكبر

لما أشار بعض الصحابة على الصديق الأكبر بترك الجهاد ، ارتقى أعواد منبر رسول الله ﷺ وخطبهم فقال :

أيها الناس ، إن كثر أعداؤكم ، وقل عددكم ، ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون . قوله الحق ، ووعد الصديق « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون ، » « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ، » .

أيها الناس ، لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده ، حتى أبلغ نفسى عذراً أو أقتل مقتلاً . والله أيها الناس ، لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه ، واستعنت بالله خير معين .

## مسكين

هذا شاعر أموى شريف من سادات قومه بنى دارم ، عمر إلى أواخر الدور الثاني من العصر الأموى ، وهو شاعر لا تكثر الرواية عنه ، على أنه من الفحول قل أن تجد في شعره سفاسفاً أو مرذولاً ، وكيف يكون ذلك وهو من الثابتين في بحبوحة العروبة في بطون بنى تميم ، وقد ألهم بنو أمية جذوة الشعر وفتحوا اللها باللها ، وأندوا أصوات الشعراء ، بما يبذلون من جزيل العطاء .

ولم يكن أول أمره مسكيناً كما شهر ، وإنما هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عدس بن دارم .

ولكنه قال :

أنا مسكين لمن أنكرنى      ولمن يعرفنى جـد نطق<sup>(١)</sup>  
لا أبيع الناس عرضى لئن      لو أبيع الناس عرضى لنفقى

فسمى مسكيناً ، وكأنه مل هذا اللقب من بعد فصار يسلى نفسه ويقول :

سميت مسكيناً وكانت لـجاجة      وإنى لمسكين إلى الله راغب

وبثبت خلاف ما تتطلبه المسكنة من الخمول فيقول : إنه وإن سمي مسكيناً معروف في الناس ذائع ، وإن الأسماء علامات ترتفع بأصحابها فيقول :

إن أدع مسكيناً فـلست بمنكر      وهل تنكرن الشمس ذر شعاعها<sup>(٢)</sup>  
لعمرك ما الأسماء إلا علامة      منار ، ومن خير المنار ارتفاعها

وكان مسكين ممن قضت عليهم مناحى السياسة ، ودواعى الاقتصاد ، وحب الحياة أن يكون من المتعصبين لبنى أمية ، يدافعون عن دولتها ولا سيما في عهد معاوية . وقد كان خلفاء هذه الدولة وعلى رأسهم هذا الخليفة قد اشتروا السنة الشعراء فأحدثوا معنى من التكسب

(١) نطق كثير النطق .

(٢) فى القاموس أن ذر بمعنى طلع .



بالشعر، والتكذب به، عملاً على تحقيق الأهداف السياسية كما هي سنة هذا الوجود في الملوك والأمراء والسادة والرؤساء.

كانت السنة الشعراء هي العامل الأول إذ ذاك في توطيد الملك، فهي أسرع انتشاراً وأعمق أثراً وأطول رواية وأكثر تعميراً من الجرائد السيارة.

وقد وقف مسكين هذا نفسه موقفاً أغر في التاريخ لولاه ما استقر الملك لآل أبي سفيان ولا نقل من معاوية الزعيم الخطير إلى ابنه بعده.

لقد كان هذا الانتقال ينكره عليه القوم حتى من أصحاب الخليفة معاوية وندمائهم وجلسائه وكبار رجال الدولة<sup>(١)</sup> وإن شيئاً ينكره هؤلاء يقل الأمل فيه، لذلك احتال يزيد حتى عمل مسكين قصيدة، وأنشدها أمام الخاصة من وجوه بني أمية في مجلس معاوية يحتاج فيها بالمقدمات الشعرية، ويورطهم بقضاء الشعر الذي لا مرد له، وهكذا الشعر في هؤلاء الناس.

يرى حكمة ما فيه وهو فسكاهة ويقضى بما يقضى به وهو ظالم احتج مسكين بمقدماته الشعرية التي تقول: إن الخلافة لله يبوئها حيث يريد، ثم ينتقل من هذا إلى أن المنبر إذا خلاه ربه فإن الأمير يزيد، ويقرر ذلك بأنه على الطائر الميمون والجد صاعد ولكل أناس جدد. ويهني الخليفة قبل أن يكون خليفة، ثم يدعو له بتخليد بيت الملك فوقه تشيد له أطناب وعمد. وتوقد في كنفه النيران للقرى، وعلى قدور كالجوابي تحتها أناف ركود... وسكت الناس فاطمأن معاوية ومضى.

قال أبو الفرج الاصفهاني<sup>(٢)</sup>: كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارمي ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيأ ذلك وخاف أن لا يملكه عليه الناس، لحسن البقية فيهم، وكثرة من ترشح للخلافة، وبلغه في ذلك ذرو كلام<sup>(٣)</sup> كرهه من سعيد

(١) المجلة — وسبب ذلك أن الذين كانوا يرشحون أنفسهم من شباب قريش للخلافة بعد معاوية كثيرون جداً، ومنهم سعيد بن عثمان بن عفان، ومنهم دون سعيد، وكان حتى ابني أمية هوى في هذا أو ذاك، ولو لم يحسم معاوية هذا الأمر بمن يرى أن العصبية في جانبه أقوى لاستشرت الفتنة بعده. ومثل ابن خلدون أبصر بهذه المواقف ممن لا بصيرة له في سياسة الأمم ومعالجها.

(٢) الاغانى ١٨ ٥ ٧١. (٣) طرف منه.

ابن العاص ومروان بن الحسك وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد مسكينا أن يقول أبياتا وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلا بوجوه بنى أمية ... ودخل مسكين والخليفة جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشرف الناس في مجلسه فثقل بين يديه وأنشأ يقول :

إن أدع مسكينا فلإن ابن معشر      من الناس أحى عنهم وأذود  
إليك أمير المؤمنين رحلتها      تثير القطا ليلًا وهن هجود  
وهاجرة ظلت كأن ظباءها      إذا ما اتقتها بالقرون بحجود

\* \* \*

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر      ومروان أم ماذا يقول سعيد  
بنى خلفاء الله مهلا فإنما      يبوئها الرحمن حيث يريد  
إذا المنبر الغربي خلاه ربه      فإن أمير المؤمنين يزيد  
على الطائر الميمون والجد صاعد      لكل أناس طائر وجدود  
فلا زلت أعلى الناس كعبا ولا تزل      وفود تسامها إليك وفود  
ولا زال بيت الملك فوقك عاليا      تشيد أطناب له وعمود  
قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها      أثاف كأمثال الرئال ركود (١)

وعند ذلك قال معاوية ( ننظر فيما تقول يا مسكين ، ونستخير الله ) ولم يتكلم أحد من بنى أمية إلا بالإقرار والموافقة ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته . وإن جديراً بمن وهب مملكا سائعا في الخلق غير منغص ، أن يحكم فيما يريد وأن لا يغلي له شيء في المملكة .

هذا موقف من الشعر السيامي لمسكين وضعه حيث ترى .

على أن معاوية كان قبل هذا الموقف لا يحفل به ، ولا يقدره قدره ، إلا أن يكون يزيد هو الذى يشفع له ، وكأنما كان في يزيد إحساس باطن أو اعتقاد كامن بأن مسكينا يترشح لهذا الموقف .

(١) الاتاني جمع أنفية وهى الحجر توضع عليه القدر والرئال كواكب .. قاموس .

وتحدثوا جميعاً أن مسكيناً قدم على معاوية يطلب عطاء مما كان يهب معاوية للدولة  
قلوبهم عنده ، فأبى عليه ، وكان أول أمره لا يفرض إلا لليمن ، فخرج مسكين وهو يقول :  
حنناً لمعاوية يطوى معنى التهديد للخليفة مع التسلية لنفسه :

أخاك أخاك إن من لا أخا له      كساع إلى الهيجا بغير سلاح  
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه      وهل ينقض البازي بغير جناح  
وما طالب الحاجات إلا مغرر      وهل نال شيئاً طالب كجناح

على أن معاوية لم يعطف عليه إلا بعد حين .

ويظهر أن ذلك المعنى السياسى — مع ما كان من تهاوش بين الشعراء وتنافس  
على الخطوة فى ميدان المجادة — كان له أثره فى الباب الذى يسمى التهاجى بين الشعراء . فقد  
بثه فى الشعر فى ذلك العهد مع نقص الوازع الدينى وإحياء ما أمات الإسلام من الجاهلية  
الاولى ، وكثرت المخاصمات بين الشعراء : كجرير والفرزدق ، والاختل والبغيت ، ومسكين  
شاعرنا الذى منى بالتهاجى بينه وبين الفرزدق . وقد علم القارئ الكريم أن الفرزدق شاعر  
أموى كريم النفس ، لا يبالى أن لا يصيب مرضاة هؤلاء الخلفاء اعتزازاً بمجد قومه ،  
واعتماداً بعزة ربه ، غفر الله له ، لهذا كان يتعصب لآل البيت العلوى ، ويفخم شأنهم  
فى أخرج المواقف ، وأمام الخلفاء الامويين أنفسهم ، على أنه كان من علو النفس بحيث  
يقول فى مجلس سليمان الخليفة وقد تنافس الشعراء فى مدح الامير ، يقول الفرزدق  
مفتخراً بأبيه :

وركب كان الريح تطلب عندهم      لها ترة من جذبها بالعصائب  
إذا أبصروا ناراً يقولون ليها      وقد خصرت أيديهم نار غالب

وكان مسكين غير ذلك ودون ذلك ، فوقع بينهما ما كان بين شعراء ذلك العصر وكان  
بينهما شعر يجمع بين الهجاء والفخر شأن ذلك النوع من الشعر ، وكانت نهاية ذلك يوم مات  
زيد بن أبيه وكان محسناً جداً إلى مسكين ومسيئاً جداً إلى الفرزدق إلى — أنه ما زال  
هارباً يتنقل بين مكة والمدينة حتى مات زيد فقترت بلبله ، وكان سبب ذلك أن الفرزدق

هجا بنى فقيم فأرقت فيهم ، فاستعدوا عليه زياداً وهو على العراق ، فلما مات زياد رثاه  
مسكين بشعر يقول فيه :

رأيت زيادة الإسلام ولت      جهاراً حين ودعنا زياد  
فعارضه الفرزدق فقال :

أمسكين أبكى الله عينك إنما      جرى في ضلال دمعها فتحدرا  
بسكيت على علاج بيسان كافر      ككسرى على عدائه أو كقيصر  
أقول له لما أتاني نعيه      به لا بظي بالصريمة أهفرا  
فقال مسكين يجيبه :

ألا أيها المرء الذي لست قاعداً      ولا قائماً في القوم إلا انبرى ليا  
لجئني بعم مثل عمي أو أب      كمثل أني أو خال صدق نكاليا  
كعمرو بن عمرو أو زرارة في الندى      أو البسر من كل فرعت الروايا  
فأمسك عنه الفرزدق :

ولعل أبيات مسكين هذه لا تقل في إحكام نسجها ، وقوة أسلوبها ، عن أبيات الفرزدق  
إلا أنها لا تقاومها في معنى الهجاء ، واعلموا أقرب إلى الاستعطاف ، ولهذا أحجم عنه  
الفرزدق لإبقاء على القرابة ، فسكلاهما دارمي يجتمعان في دارم الجد السادس لسكل منهما ،  
وقد مشت الشيوخ بينهما فأحسنوا إلى كل منهما لأنه حفظ للعرض ، وعدم تمسكين لمثل جرير  
في الفرزدق ، ولا مثل عبد الرحمن بن أبي بكر في مسكين ، وهذا إجمال لا يتسع المجال  
اليوم لا كثير منه .

على أن لمسكين أشعاراً في أغراض أخرى كالحكم والفخر والشباب والشيب متفرقة  
في الاغانى ، ومعجم الادباء ، وأخبار الشعراء ، وحاسة البحترى ، فليطأها القارئ الكريم  
من مظانها إذا شاء . ولسكني لا أختتم المجال حتى أعرض عليك أبياتاً له في الغيرة .  
قال أبو عبيدة : إنها أشعر ما قيل فيها :

ألا أيها الغائر المستثني      ط فيما تغار إذا لم تغر

فما خير عرس إذا خفتها      وما خير عرس إذا لم تور  
تغار على الناس أن ينظروا      وهل يفتن الصالحات النظر  
وإني سأخلى لها بيتها      فتحفظ لى نفسها أو تذر  
إذا الله لم يعطى حبها      فلن يعطى الحب سوط عمر

وبعض أبيات له فى الحكيم أحب أن يعرفها القارى الكريم :

ولست إذا ما سرفى الدهر ضاحكا      ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر  
ولا جاعلا عرضى لمالى وقاية      ولكن أقى عرضى فيحرزه وفرى  
أعف لدى عسرى وأبدى تجملا      ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر  
وإني لاستحيي إذا كنت معسرا      صديق وإخوانى بأن يعملوا فقرا  
وأقطع لإخوانى وما حال عهدى      حياء وإعراضا وما بى من كبر  
ومن يفتقر يعلم مكان صديقه      ومن يحى لا يهدم بلاء من الدهر

وكتب الله لى ولك السلامة من المسكروه .

محمود النواوى

## (حكم)

- \* أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك .
- \* إذا قام جناة الشر فاقعد .
- \* التجربة علم ، والأدب عون .
- \* الجاهل صغير وإن كان شيخا .
- \* من أعجب برأيه ضل .
- \* إذا لم تشغل النفس بما يصلحها ، شغلتك بما يفسدك .



## الازهر والصحافة

استجاب الاستاذ محمد زكى عبد القادر لرغبة الطلاب بكلية اللغة العربية ، فآلتى فيه  
محاضرة بهذا العنوان . وقد حفزنى هذا الموقف أن أعود إلى صدر هذه النهضة لاكشف  
القناع عن فضل الازهر على الصحافة ، وهى من أقوى دعائم الادب ، وأروع مظاهر  
الوطنية إذ ذاك .

والحق أن المتتبع لهذه الحقبة من التاريخ يجد أن الصحافة منذ قيام النهضة فى العصر الحديث  
استمدت من الازهريين العون ، بل وجدت بهم وحدهم الحياة ، فكانوا أعوانها الأقوياء ،  
وأعضادها النافمين ، وأقلامها البليغة ، وأفكارها الناهضة . أمدوها ببحوث العلم ، وروائع  
الفكر ، وطرائف الادب ، واتخذوا منها منبرا اعتلاه الأدباء والشعراء وقادة المفكرين ،  
وصفوة الموجهين ، وما كان هؤلاء إلا من أفذاذ الازهريين وأعلامهم .

نعم لقيت الصحافة من الازهريين منذ استهل العصر الحديث أبلغ عون ، فهم الذين  
شقوا طريقها ، وآزروها فى رسالتها اجتماعياً وسياسياً وعلنياً وأديباً .

الوقائع المصرية وموقف الازهر منها :

كانت الوقائع أول نشأتها نشرة تضم طرفاً من الاخبار المحلية ، وتوزع على فريق من  
الموظفين ، وتحرر بالتركية والعربية ، وقد كان أول من ساعد على صوغ الاخبار صياغة عربية  
صحيفة الازهرى ، السيد شهاب الدين محمد بن إسماعيل الخشاب ، الذى عين بعد ذلك مصححاً  
أول لمطبوعات بولاق ، سنة ( ١٢٥٢ هـ ١٨٣٦ م ) وبقي فى خدمة الوقائع والمطبعة  
إلى ( سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٩ م ) حيث انقطع عن العمل الرسمى ، ومضى يؤلف شعراً وأهازيج  
ومواليشاً تغنى <sup>(١)</sup> .

(١) الآداب العربية فى القرن التاسع عشر تأليف لويس شيخو - ١ ص ٨٤ .

ومن كان له ضلع في تحرير الوقائع العربية في ذلك الوقت أحد علماء الأزهر وأدبائه الشيخ عبد الرحمن الصفى (١).

تولى الخشاب والصفى وجمهرة من أدباء الأزهر النهوض بتحرير الوقائع العربية ، وبذلوا في العناية بها جهدا كان من أثره أن ارتقى أسلوبها ، واتسع أفقها ، فلم تقتصر على نشر الأخبار الرسمية ، بل كانت تصور أحيانا حياة الشعب ، ونواحي الخير والشرفية ، وتعرض لبعض الحوادث بأسلوب يرتفع عن أسلوب الأخبار بلغة عربية فصيحة ، إلا أن فيه شيئا من السجع ، وبدت فيها إذ ذاك محاولة لإنشاء المقالة أو أدب المقالة .

وفي أوائل ذى القعدة سنة ١٢٥٧ هـ (ديسمبر ١٨٤١ م) اتجهت رغبة ولى الامر إلى إصلاح الوقائع وتبسيط أفقها ، فعمدت إلى الأزهرى النابه د رفاة رافع ، بترجمة بعض المواد المحدثة التى تلائم قراء الوقائع ، وإدخال بعض القطع الأدبية ، وتهذيب الجريدة وترتيبها بصفة عامة ، . ويشير السيد صالح مجدى بك ، أحد تلاميذ رفاة إلى أن نظارة الوقائع أحييت إلى رفاة في سنة ١٢٥١ هـ ( ١٨٣٥ م ) وبقي مشرفا عليها حتى سنة ١٢٦٧ هـ ( سنة ١٨٥٠ ) (٢).

ولما آل إلى رفاة الإشراف على الوقائع ، ومكن له من رعايتها ، جعل اللغة العربية في مكان الصدارة بدلا من التركية في صفحات الصحيفة الرابع ، واحتفل بها ، وبذل لها الجهد الكريم ، واستعان بطائفة من المحررين الماهرين من أمثال أحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين .

وحملت الوقائع في المقالة الرئيسية في العدد ( ٦٢٣ ) جديدا لم يعمد في الوقائع ، كانت هذه المقالة بعنوان " تمهيد ، وقد تحدثت عن السياسة والسياسيين ، وعن نظم الحكم الشورى والفردى ، وعن الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، ثم برت الوقائع بعهدا ، فخصصت في صفحاتها سطورا للنشر ماله علاقة بالأدب " (٣).

(١) الوقائع المصرية بتاريخ [ ٤ رجب ١٢٨٢ ٢٥٨ من نوفمبر ١٨٦٥ ] من مقال للاستاذ أحمد خيرى بك .

(٢) حلية الزمن في مناقب خدام الوطن .

(٣) تاريخ الوقائع المصرية للاستاذ ابراهيم عبده ص ١٠٦

وجاء في العدد التالى قصيدة من شعر الشيخ محمد شهاب الدين قالها بمناسبة تولية الشيخ محمد الحبشى منصب « مفتى السادة المالكية » ، وهو أول شعر ينشر فى الوقائع .

وحينما ظهرت الوقائع فى صورتين لإحداهما بالعربية والاخرى بالتركية كان يتولى تحرير العربية الشيخ ابراهيم بن عبد الغفار الدسوقي أحد علماء الأزهر وأدبائه .

وفى عهد الخديوى لإسماعيل انتعشت الوقائع ، وتنبأ لها نوع جديد من الحياة بعد أن نخل شأنها فى عهد عباس ، فزخرت بالأنباء والبرقيات وأنباء الافطار الشقيقة ، وحملت كثيراً من الشؤون التجارية والاجتماعية والادبية ، وخصص الخديوى لتحرير القسم العربى بها أحد علماء الأزهر المشهورين بالادب ، وهو الشيخ أحمد عبد الرحيم ، فاضطلع بهذا العمل ، وندب لمعاونته فيه شقيقه الشيخ محمد عبد الرحيم الذى كان مدرساً فى الأزهر .

وقد مضى الشيخ أحمد عبد الرحيم فى تحرير الوقائع وفى الإشراف عليها أربعة عشر عاماً ، وفى خلال إشرافه عليها عين لمساعدته فى التحرير أحد شعراء الأزهر وأدبائه الشيخ مصطفى سلامة النجارى ، والشيخ محمد عبده الذى عين محرراً ثالثاً (١) .

ولاذ ذاك أضيف إلى الاخبار لون من الادب يمتزج بها ، وعينت بالاخبار الخارجية التى تمس حياة الشعوب السياسية والاجتماعية فأصبحت تقدم لها وتعلق عليها ، وفسحت صدرها للأدباء من غير محرريها وهم صفوة من الأزهريين أيضاً ، فنشرت لهم شعراً كالشعر الذى نشرته للشيخ على اللبثى ، ثم نشرت لهم نثراً كالذى أرسله إليها المبعوثون إلى باريس كالشيخ على نائل وغيره من عشاق التحرير ، هذا عدا ما كانت تزخر به من آداب يحررها المحررون الموظفون بها .

وهنا نلاحظ أن الوقائع جاد أسلوبها ، وهذبت لغتها ، واتسع أفقها ، وأشرق الادب على صفحاتها ، بفضل رعاية علماء الأزهر وأدبائه الذين مكثوا لها من هذه الحياة الادبية الجديدة .

ولما عين الإمام محمد عبده محرراً ثالثاً بالوقائع وضع تقريراً اضافياً لإصلاحها ورفعها إلى رياض باشا ، ناظر النظار لاذ ذاك ، فارتاح لهذا التقرير وأمر بتعيين لجنة من مدير



المطبوعات ، ووكيل وزارة الداخلية ، وصاحب التقرير ، لوضع ( لائحة ) لقلم المطبوعات وتحرير الصحيفة الرسمية ، فوضعت اللائحة وأمضاها الوزير ، ثم كافأ الإمام على تقريره بتعيينه رئيساً لقسم تحرير الجريدة الرسمية ومشرفاً على المطبوعات .

### الوقائع في عهد الإمام :

صدرت الوقائع برياسة الإمام في ١٤ من ذى القعدة سنة ١٢٩٨ هـ ( ٩ من أكتوبر سنة ١٨٨٠ م ) وأصبحت صحيفة يومية تصدر كل يوم عدا يوم الجمعة وأصبح لها مطبعة خاصة بها ، وقد كان للإمام أبلغ الأثر في خلق هذه الصحيفة وجعلها كأحسن ما تكون الصحف لغة ورسالة ، بل لقد اتخذ منها أداة لنهوض الأدب ، وخدمة اللغة العربية ، مما أضاف إليه أبلغ المآثر .

### لإنشاء قسم أدبي بالوقائع :

فقد كان له برصفه رئيساً لتحريرها أن يكتب فيها ما يعن له أو يرد إليه من الفصول الأدبية . ورغبة منه في النهوض بالآداب وتخليصها من الجمود وتهذيب الكتابة ، وتقشيع ما غشها من الضعف والتكلف أنشأ في الوقائع قسماً يضم ما تجود به قريحته وقريحته أعوانه في كل ما له صلة بالإصلاح وبث روح النهوض بأقلام بارعة ، ولغة مهذبة ، وأسلوب فصيح ، فاختر طائفة من المحررين الذين تستميل أقلامهم الناس ، وأودع الوقائع أحكاماً غريبة ، يعجب بها الناظر فيها خصوصاً إذا كان من أبناء الشعب المتمدين ، أو من المقلدين المتمدينين <sup>(١)</sup> .

لقد ضم إليه لهذه المهمة الجليلة طائفة من المصلحين الأغاير الذين عرفوا بالثورة على الجمود ، والفرار من قيود الكتابة وسجعها وزخرفها . فضم إليه د سعاد ، و د الشيخ عبد الكريم سلمان ، و د الشيخ سيد وفا ، و د إبراهيم الهلباوى ، و د قاسم أمين ، و د إبراهيم اللقاني ، وغيرهم .

وقد كانت الكتابة في الوقائع قبل أن يرعاها الإمام وأصحابه من النابهين الأزهرين ركيكة ضعيفة الذسج ، يبدو عليها العجز عن الإبانة ، ويحاول كتابها أن يفصحوا ويبينوا عن غرضهم فيقعد بهم العجز .

ولم يكن الإمام فى المقالات التى دبجها فى الوقائع فى عهدىها الجديد يتكلف السجع أو بجرى وراء الحشو ، بل درج فى بيانىه على أسلوب هادى سهل واضح المراد ، وكانت مقالاته فضلا عن هذا صورة لحياة الأمة ، فيها تحليل لا غلو فيه ولا مبالغة ،<sup>(١)</sup> .

وقد نهج زملاؤه هذا النهج فى الكتابة ، وكانت له رقابة نافذة على الصحافة ، يرقب كل ما يرد إليها ، فلا يسمح بأن يتسلل إليها من محرريها أو من غيرهم ما يتنافى مع ما ينشده من الكتابة المطبوعة الواضحة ، وإذ ذاك لبست الوقائع حلة جديدة من حسن التعبير ، وسداد الآراء ، وامتد أسلوبها الممتع إلى كتابة دراوين الحكومة جميعها ، وإلى الصحف والمجلات العربية<sup>(٢)</sup> .

وانقرض السجع الذى كان هوى الكتاب ، وتقلص ظل الزخرف الذى طالما تنهالكوا عليه ، ونحى عن اللغة ما كان يشوبها من العامى والدخيل ، ومن يطلع عليها حينئذ يجد جهداً واضحاً فى البحث عن لفظ عربى يؤدى ما يؤدىه العامى ، وكثيراً ما كانوا يعبرون بالعربى ثم يضعون العامى والدخيل بجانبه ، لإشارة إلى أن العربى يعنى غناهما ، فائدة ودلالة .

وقد تحدث الأستاذ العقاد ، عن أثر الإمام فى هذه النهضة ، وفى تقديم الكتابة وإصلاحها بأن سعداً والإمام عملاً على تحرير العبارات وتقويم الأساليب ، وإدخال القصد والمعانى فى الالفاظ ، فأفاد فى هذا الباب أحسن ما يفيد كاتبان فى هذا الزمان ، وبدأ عهداً فى الكتابة العربية لم يسبقهما إليه سابق فى هذه الديار<sup>(٣)</sup> .

وكان من أثر هؤلاء أن تحررت أيضاً من اللغة التركية ، وأصبحت فى تهذيب ونظام بديعين ، ومن رواج الأدب فيها ما جارت فيه صحيفه « روضة المدارس » من نشر الكتب الأدبية تباعاً ، حتى يستطيع من يعنى بجمعها أن يتوفر له كتاب كامل لا غناء فيه ، وذلك كرسالة السيد صالح مجدى (بك) « حلية الزمن . فى مناقب خادم الوطن ، و « رفاعة رافع » . وكانت الملاحظات التى تحملها الوقائع ، والنقد الذى يبدىه المحررون قاسياً لا ذعاً ، ولم يدخر الإمام وسعاً فى الحث على النهوض بالأمة فى مختلف شئونها ، فدعا إلى إصلاح

(١) تاريخ الوقائع المصرية لأبراهيم عبده ص ١٨٥

(٢) من كلمة للمرحوم الأستاذ عبد الوهاب النجار فى الأهرام الصادر فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٠

(٣) من مقال للأستاذ العقاد فى البلاغ الأسبوعى الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٢٧

التعليم ، ونقد نظمته ، وصور ما فيه من قصور وعجز ، وحمل على نظارة المعارف حملة شعواء أفضت مضجعها حتى ساء ذلك ناظر المعارف واعتبره اعتداء على حقه ، ولكنه مضى شجاعاً غير مبال حتى أقرت الحكومة وجهة نظره ، وشكلت المجلس الأعلى للتعليم في ١١ جمادى الأولى ١٢٩٩ هـ ( ٣١ من مارس ١٨٨١ م ) وحد من سلطان الوزير وأصبح منفذاً خصب ، بل إن الحكومة كانت أكثر سخاء مما قدرت الوقائع ومحورها فاختارت الشيخ ( محمد عبده ) من بين أعضاء هذا المجلس <sup>(١)</sup> .

ثم اختير عضواً في لجنة فرعية ألّفها المجلس ، للنظر في إصلاح طرق التعليم والتربية في جميع المدارس ، وكان الكاتب العربي لها <sup>(٢)</sup> .

وقد بلغ نفوذ الوقائع في عهد الإمام حداً بعيد المدى ، فقد كان من هذا النفوذ أن لرئيس تحرير الصحيفة الرسمية باعتباره مديراً لإدارة المطبوعات حق نقد أى عمل من الأعمال عندما يرى له وجهاً ، حتى أعمال وزارة الداخلية نفسها ، وإذا رأت إدارتها في الصحف التي تنشر في مصر أو في غيرها ذكر الخلل في عمل من الأعمال أو سوءاً في تصرف ما كتبت إلى نظارة الداخلية أو الإدارة التي يختص بها ، تسألها الحقيقة ، فإن تبين كذب الصحيفة كلف صاحبها إثبات ما ذكر وإلا أنذر مرة أو مرتين ثم عطلت الصحيفة في الثالثة جزاء له .

وكان من أثر نفوذها أن بذل الموظفون جهداً فيما يكتبونه حذراً من الرقابة الممتدة إليهم ، ولأن النقد كان يصدر عن رئيس التحرير وهو ترجمان الحكومة المعبر عن آرائها . وقد تطوع الإمام رغم جهده وعنايته بإلقاء دروس في المدارس الليلية ، ليتعلموا كيفية التحرير ، فكان تفضلاً رسم أبلغ الطرق في التحرير ، وجرى السكاتبون عليها سراعاً .

ولعلك تعجب إذ تعلم أنه أنذر مدير جريدة بتعطيل جريدته إذا لم يختار لها محرراً صحيح العبارة في مدة عينها .

[١] تاريخ الامام ج ١ ص ١٢٩ .

[٢] الاسلام والتجديد ص ٤٦ .

### نهاية الوقائع :

حيل بعد ذلك بين الإمام والوقائع فقد سجن عقب دخول الإنجليز مصر فانقطع عهده بهذه الصحيفة بعد أن قضى زهاء ثمانية عشر شهرا يجاهد لعزة اللغة والأدب والمجتمع والحياة عامة - حتى حل محله في رئاسة تحريرها الشيخ عبد الكريم سلمان ، فبقي على شئونها مدة من الزمان حتى اختير عضوا بالمحكمة الشرعية العليا .

هذا حديث سقناه لنبين فيه فضل طائفة من الأزهريين على الصحافة في عصر النهضة ، لم نطل فيه الوقوف ، ولو أطلناه لابنا عن جهود كريمة ، وإنما أوحى بهذا المقال الذى نزمع اتباعه حتى يتم البحث ، ما استملنا به كلمتنا هذه من محاضرة الاستاذ محمد زكى عبد القادر ، وكم للأزهر من كنوز في التاريخ لم يقيض لها من ينقب عنها ؟

محمد كامل الفقى

المدرس بكلية اللغة العربية



## أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه

وهو بين الدنيا والآخرة

قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : دخلت على أمير المؤمنين عمر حين طعن فقلت : أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين ، أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف فى خلافتك اثنان ، وقتلت شهيداً .

فقال عمر : أعد على .

فأعدت عليه . فقال رضى الله عنه :

« والله الذى لا إله غيره ، لو أن ما فى الأرض من صفراء وبيضاء لى لافتديت به

من هول المطلق ، .

# اتفاق الخواطر في الشعر عرض وموازنة

كثيراً ما تشابه الافكار عند الشعراء ، وتقرب المعاني ، وتتحده المنازع ، حتى لرى شاعراً اهتدى إلى معنى قاله آخر ، أو إلى عكسه ، أو إلى معنى مولد منه . ويقول الناقدون : إن الثاني أخذ من الاول ، أو سطا عليه وسلب معناه الذي توصل إليه .

على أن هذا التشابه أو الاتحاد أمر طبيعي ، ما دامت منابع الثقافة واحدة ، وأصول المعرفة وعوامل التأثير كذلك واحدة ... فصدر شعر الشاعر ما ورث من ديوان العرب ، واطلع عليه من معانيهم وأخيلتهم ، واختزن لديه من ألوان معارفهم ، وتزاحم عنده من صور لا تنتهى لشعراء كثيرين . فربما انفدحت في نفسه صورة ، أو تكون لديه معنى ظنه وليد فكره ، أو ريبب يئانه ، ويكون غيره قد سبقه به وجلى فيه قبله أو قصر .

على أنه من العسير جداً أن يقطع الإنسان بأن شاعراً استحضّر في ذهنه معنى شاعر آخر قبل أن يقول معناه ، أو استجمع لديه صورة أخرى فسطا على محاسنها ، واقتنص بدائعها . وسواء تهيأ لما اتفق فيه مع غيره وقصده قصداً أو جاءه عفواً من غير عمد ولا ارتصاد ، فهو أمر لا يعرف له ضبط أو ميزان . وقد يماحل مثل هذا على مجرد المصادفة فليل : لأنه من توافق الخواطر ، ووقوع الحافر على الحافر .

ويقول الأمدى في كتابه ( الموازنة بين أبي تمام والبحتري ) (١) في صدد الكلام على أبي تمام : ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل - يقصد أبا تمام - يجعلون السرقات من كبير عيوبه . لأنه باب ما يعرف أحد من الشعراء خلا منه إلا القليل . بل الذي وجدتهم ينعون عليه كثرة غلظه وإحاليته وأغاليطه في المعاني والألفاظ .

ولقد طالما سمعنا معجبين بيت أمير الشعراء أحمد شوقي ينشد ويردد فيجمل في الأذن مسمعه ، ويطيب في القلب موقعه ، وهذا البيت هو :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا  
ولكن هذا المعنى الرائع الجليل قد تناوله شاعر قديم فقال .

وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك في الدلاء  
تجىء بمثلها يوما ويوما تجىء بحمأة وقليل ماء

وهذا المعنى الذي تعاوره الشعراء قد جاء في بلاغة ساحرة ، وقوة مبتكرة قادرة ، وبيان لا يضارعه بيان ، في قول الرسول الأكرم ، صلوات الله وسلامه عليه : « ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » ، وإن قوما قد غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

ولقد وقع للشاعر العباسي الحسن بن هانئ كثير من التشابه في الصور ، والاتحاد في منازع الافكار ، أو الأخذ عن الشعراء حتى ساء ظن بعض الناس به ، ورموه بأنه ليس شاعراً ؛ لأنه في زعمهم لا يحسن المدح ولا الهجاء ، ولأن شعره الجيد في الخمر والطرْد مأخوذ من غيره . بل هو يأخذ المعنى فلا يحسن الأخذ ، ولا يستطيع أن يبني عليه .. قال ابن منظور<sup>(١)</sup> : « وما قيل عن أبي نواس : إن الشعر إنما هو بين المدح والهجاء ، وأبو نواس لا يحسنهما ، وأجود شعره في الخمر والطرْد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له ، وإنما سرقه . وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يبني عليه حتى يجيء به قبيحاً مثل قوله « ودأوني بالتي كانت هي الداء » ، أخذه من قول الاعشى « وأخرى تدأويت منها بها » ، والذي أخذه منه أحسن مما قال . ومنها أيضاً قوله .

كان الشباب مطية الجهل وعسن الضحكات والهزل  
أخذه من قول النابغة ( فإن مطية الجهل الشباب ) . وقوله :

لما تبدى الصبح من حجابهِ كطلعة الاشمت من جلبابهِ

فإنه أخذه من قول أبي النجم ، كطلعة الاشطوط من كسائه ، ، ولكن رزق أبو نواس في شعره أن سار ، وحمله الناس ، وقدمه أهل عصره .

ونحن لا نقف عند هذه الأقوال إلا لنعرض ألوانا من تحاسد الناس وكفران بعضهم ببعض ، وجحودهم لما ظهر من المحاسن ، واستعلن أمام الناس جميعا من الميزات الادبية (وقديما كان في الناس الحسد) ومن ذا الذي يقول : إن قول الأعشى ، وأخرى تداويت منها بها ، أحسن من قول أبي نواس ، ودأوني بالتي كانت هي الداء . . . إن كان أبو نواس أخذ من سابقه فما أساء الأخذ ولا قصر في الاقتداء ، إن لم يكن فاقه بحسن الاختصار وسلامة شعره مما ينفر منه الطبع ، ويستكرهه السمع ، والنص الصريح على أن الخثر هي الداء بل قصر الداء عليها .

قال ابن قتيبة <sup>(١)</sup> ، وكان الناس يستجيدون قول الأعشى هذا إلى أن قال أبو نواس بيته ، فزاد فيه معنى اجتمع له به الحسن في صدره وبجزه . فللأعشى فضل سبق عليه ، ولأبي نواس فضل الزيادة عليه .

وقال الرشيد فيه : إن أوله أكثم بن صيفي في أصالة الرأي ، ونبل العظة ، وآخره بقراط في معرفته بالداء والدواء <sup>(٢)</sup> .

وسنعرض هنا بعض المعاني التي جاءت في شعر أبي نواس وكانت قبل ذلك في أشعار السابقين . قال ابن أخت تأبط شرأ :

ظاعن بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل

أخذه الحسن بن هاني فقال في مدح الحصيب .

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

وهو أجود لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأخف على السمع من ذاك .

وقيل لأعرابية مات ولدها : ما أحسن عزاءك فقالها : إن فقدى إياه أمتي كل فقد سواء ، وإن مصيبتني به هونت على المصائب بعده ثم أنشأت تقول :

[١] ص ١٣ الشعر والشعراء .

[٢] ص ٢٢١ - ٦ المقدم الفريد طبعة المريان .

من شاء بعدك فليمت      فعليك كنت أحاذر  
كنت السواد لناظري      فبكى عليك الناظر  
ليت المنازل والديار      ر حفائر ومقابر  
أليس يماثل هذا المعنى قول أبي نواس في رثاء الامين .

طوى الموت ما بيني وبين محمد      وليس لما تطوى المنية ناشر  
وكنت عليه أحذر الموت وحده      فلم يبق لي ثيء عليه أحاذر  
لئن عمرت دور بمن لا أحبه      لقد عمرت عن أحب المقابر  
فهو بهذه الايات الباكية يصور التياحه ، وحزنه على فقد صاحبه ، وامتلأ الدور  
والقصور بمن لا يود من أعدائه .  
وقال الشياخ :

إذا بلغتني وحملت رحلى      عرابة فاشرقى بدم الوتين  
وقال ذو الرمة في مدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري :  
إذا ابن أبي موسى بلالا بلغتني      فقام بفأس بين وصليكم جاور  
وجاء بعدهما أبو نواس فسكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله :  
وإذا المطى بنا بلغن محمدأ      فظهورهن على الرجال حرام

حتى قال بعض العلماء حين وقف على بيت أبي نواس : هذا والله المعنى الذي كانت العرب  
تحوم حوله فتخطئه ولا تصيبه ، فقال الشياخ ( إذا بلغتني وحملت رحلى ) وقال ذو الرمة  
( إذا ابن أبي موسى ... ) وما أبانه إلا أبو نواس بهذا البيت وهو في نهاية الحسن .

والاصل في هذا المعنى قول الانصارية المسأورة بمكة ، وكانت قد نجت على ناقة ،  
إلى رسول الله ﷺ ، فلما وصلت إليه قالت : يا رسول الله إني نذرت إن نجوت عليها  
أن أنحرها ، فقال الرسول ﷺ : لبئس ما جزيتها .

وتفسير هذا المعنى الذي تناوله الشعراء . انى لست أحتاج إلى أن أرحل إلى غيرك  
فقد كفيته وأغنيته . إلا أن الشياخ وعد ناقته بالذبح ، وذا الرمة دعا عليها أيضاً بالذبح .



وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها، وأراحها من السكد في الأسفار، فهو أتم في المقصود،  
لكونه أحسن إليها في قبالة إحسانها إليه، حيث أوصلته إلى الممدوح (١).

على أن أبو نواس كان يقول: ما زلت أستهجن قول الشماخ «إذا بلغتني الخ، وموافقة  
ذى الرمة إياه في قوله «إذا ابن أبي موسى، حتى سمعت قول الفرزدق:

علام تلفتين وأنت تحتي وخير الناس كلهم أمانى  
مضى تردى الرصافة تستريحى من الاتساع والدبر الدواى  
فتيمته في قولى «وإذا الملهى الخ».

ولكن أبو نواس وإن كان تبع الفرزدق قد بذه وتفوق عليه. فناقة الفرزدق تستريح  
من تعب، وتستجم من إعياء ونصب، وتستجمع القوة بعد جهد وكلال. وقد تتابع السير  
بعد الراحة، وقد تحمل أتساعها بعد أن تتخفف منها فترة. أما ناقة أبي نواس أو مطاياها  
فقد أصبحت لها حرمة ولها ذمام. تأكل وتعلف ولا تسام ولا تسكف. ذلك لأنها بلغت  
به محمداً وقربته من خير من وطئ الحصا.

قربتنا من خير من وطئ الحصا فلها علينا حرمة وذمام.  
وإن كان قوله (من خير من وطئ الحصا) مبالغة غير محمودة ولا مقبولة، ولكنه  
عمل الصنعة والتسكف، وجهد المحتفل المقلد في المذهب والطريقة. فهو لم يسلك إلى ممدوحه  
وعراً ولا سهلاً، ولا ركب ناقة ولا جملاً.

والأصل في قول الفرزدق وقول أبي نواس قول الأعشى في مدح الرسول الأكرم  
صلوات الله عليه:

فأليت لا أرتى لها من كلاله ولا من حفا حتى تلاقى محمداً  
مضى ما تناخى عقد باب ابن هاشم تراعى وتلقى من فواضله ندى

عبد الحميد محمود المسالوت  
المدرس في كلية اللغة العربية

## الصوم عبادة وتهذيب

روى الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :  
« ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء  
الحطيطه كما يطفىء الماء النار ، .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يوجه أمته توجيه الحكيم إلى تمسكها بأهداب  
الطاعة ، واستجابتها لما يحييها ، فى نطاق من العبودية الراشدة الخالصة ، إنما يسوق الحديث  
مجلولا ببيان سر التشريع ، منضرا بسمو الغاية وشرف الهدف ، محكما فى مبناء ومعناه . وقول  
الرسول صلى الله عليه وسلم فى إيجازه البالغ العذب : الصوم جنة ، إنما يحلق بنا فى فضل هذه  
العبادة البدنية ، وآفاقها البعيدة الواسعة ، وأثرها القوى فى التربية والتهذيب .

فالصوم تصفية وتوفية ، يصنى النفس من شوائب الرجز ، ويوفى حق الروح  
فى وجوب تغلبها على جمود المادة ، وحق الروح فى جمال لإشراقها فى ظلمة هذا الوجود  
المدلم بالعثرات والمنكرات .

والصوم تعاطف وتراحم ، لأنه ينتزع من القلب القوى الجاحد قسوته وجوده ، ولأنه  
يغرى بألوان من البر والمرحمة ، تتحول بها النفوس النافرة الحاقدة إلى تبادل فى الحب ،  
وتجاوب فى المشاعر ، واتتلاف فى الأرواح . والمتحابون فى الله لهم جلال المظهر ، وجمال  
المخبر ، وطهارة الملائكة ، وهم على منابر من نور يوم القيامة .

والصوم تربية وجهاد ، يجعل من الصائم جلدا صبوراً لا ترعزه شدة ، ولا يثنيه حرمان .  
والصوم تنظيم وتدعيم ، يحد من رغبات النفس الملحة الجامحة ، ويخضعها لنظام لا تلبث  
أن تعتاده ، فيدعم فيها قوة الضبط والكبح ، حتى لا تندفع وتنزلق فتهلك أو تهلك ، قال الشاعر :

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها      فمن علا زلقا عن غرة زلجا

فالصيام جنة ووقاية ، والصيام حاجب وحاجز ، والصيام سمو وهلو ، والصيام جهاد  
وجلاد . . ألا يكون بهذه المزايا السكرية العظيمة من أعظم أبواب الخير ؟؟

من أجل هذا ينادى القرآن الكريم ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ) .

فالغاية من الصوم واضحة بيّنة في قوله ( لعلكم تتقون ) يعنى لعلكم تتقون نزعة الهوى ونزعة الشيطان ، ولعلكم تتقون شح الأنفس وقسوة القلوب ، ولعلكم تتقون المتع الغالبة المضنيعة : تغريكم ، وتضيع فيكم معالم الرجولة ، وتبعد عنكم مشارق العزة ، وتقذف بكم من حائق مجدكم وبالق شأنكم ، ولعلكم تتقون قبل كل ذلك ، وبعد كل ذلك ، عذاب الله القاهر ، الذى يسلطه على الباغين الجاحدين المخالفين . .

ثم لعل من حكمة الصوم وسر تشريعه ، أن يفقه الصائم أنه يبتغى ثواب الله ورضوانه ، فهو من أجل ذلك يحرم على نفسه طعامه وشرابه الذى يملكه حلالا فى غير سرقة ولا تبجح ولا اغتصاب ، فلأن يحرم على نفسه ما خبث من إثم ورجس ، وما قبح من غش وتدليس ، وما استنكره الدين من زور وظلم وعدوان ، أحق وأجدر وأولى ...

ولعل من حكمة الصوم وسر تشريعه أن يشعر الصائم حين يعرضه الجوع ساعات من نهار ، أن بجواره بائساً قد يمر عليه اليوم واليومان ولا يجد هو ولا أولاده ما يخفف عنهم ألم الجوع ، أو يكفكف منهم ما يذرفون من دموع ، فيلين ويسخو ويبذل مما أفاء الله عليه ، وهو أن يخسر بعد شيئاً ، فالله المالك لحزائن الدنيا ، وفى قبضته ملك السموات والأرض . قد وعده أن يخلف عليه ما يبذله ، وهذا صريح قوله تعالى ( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ) وروى البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً . .

وروى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله : ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر ، .

ولعل رسول الله ﷺ حين جمع بين الصوم والصدقة فى هذا الحديث الذى نشرحه بقوله : الصوم جنة ، والصدقة تطهى الخطيئة كما يطهى الماء النار ، إنما جمع بين العبادة التى تخفف من حدة البخيل وبين أثر من آثارها فى بذل الصدقة ، وسخاوة اليد ، وإن كلا

من المؤثر والآثر من أبواب الخير التي تغرى بالوصول إليها ، ودخولها دخول العبد الظافر الذي استجاب لربه في العبادة . واستجاب لرسوله في حسن التوجيه وجمال الترغيب .

« يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » .

وبعد : فيا أيها الصائمون لا تدخلوا أبواب الخير وأنتم مدنسون بظلم ، أو منقلون بإثم . فإنكم لا تجدون من عبادتكم إلا صورة لا روح لها وإلا عملا لا خير فيه .

وقفنا الله في هذه الحياة لصالح العبادة ، وأسباب السعادة ، وبلوغ العزة والسيادة ، وجعلنا من « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

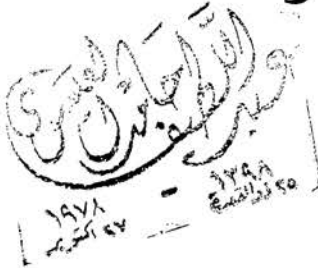
### محمد عبد التواب

المفتش العام للوعظ بالأزهر

## يد المتخاذل

ماذا عسى يجدى الكلام ولو حكى	ضحك الربيع إذا السحاب بكى له
أبعد للإسلام مجداً قطعت	أيدى المتخاذل والونى أوصاله
وعريض ملك كان يرهف بأسه	ويزيد فى عين الخصوم جلاله
يتلو مثانيه ويمضى حاكمه	فى الخافقين حلاله وحرامه
ويبث دعوته التى بعفانها	وضع الضلال عن الحجبى أقاله
فإذا به حر الجناح محاق	فى الكون يفتح للورى أقاله
	محمد النجمى

# لمن يكون تنفيذ الحدود ؟



— ٢ —

## تحبيب الإسلام في العفو :

من الأمور الهامة التي تجب ملاحظتها في موضوع القصاص تحبيب الإسلام في العفو تحبباً يثير أرق العواطف في أقدس القلوب . فالقرآن الكريم حين قال في صدر الآية : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ، سارع فقال في الآية نفسها مذكراً بالعفو محبباً فيه : « فن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

ولننظر كيف عبر القرآن عن ولى الدم الطالب للقصاص بأنه أخ للقاتل ؛ فهو أخوه في الإنسانية وفي الإسلام ، وقد يكون أخاه في الوطنية والجوار وغيرهما . فيحسن أن يكون بينهما تراحم الأخوة وعفو الأقرباء . .

وحينما قال القرآن الكريم : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » ، سارع في الآية نفسها فذكر بالعفو وحبيب فيه ، ووعد عليه الأجر ، واعتبره تصدقاً ، والله يجزى المتصدقين ، فقال تبارك وتعالى : « فن تصدق به فهو كفارة له » .

وروى أبو داود عن أنس بن مالك قال : ما رأيت رسول الله ﷺ رفع إليه شيء فيه قصاص إلا أمر بالعفو فيه ... ولم يكن ذلك الأمر أمر فرض وإيجاب ، ولكنه تعليم لمكارم الأخلاق .

وقد أجمع الأئمة على أن العفو في القصاص أفضل من القصاص ...

أفلا يحتاج الفرد الموتور صاحب الدم إلى من يذكره بهذا العفو ويحببه فيه ، لعل نفسه تتفتح له فيصفح وينال بذلك الثواب ؟ ومن أين يأتي ذلك التذكير إذا استباح الموتور لنفسه أن يتمجّل فيأخذ نأره بيده دون الرجوع إلى الإمام الحاكم ؟ ...

ومن هذه الأمور أيضاً مسألة التحذير من الرجوع في العفو، والتهديد لمن ينقض ذلك؛ فقد يحدث أن يقبل صاحب الدم الدية ويعفو، فإذا رجع فاعتدى على القاتل فقتله صار قاتلاً، وصار مهدداً بعذاب الله في الآخرة، لأن القرآن يقول في آية القصاص بعد ذكر العفو: «فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم».

ولذلك جاء في تفسير المنار أنه إذا عفا صاحب القصاص عن القاتل أو قبل الدية، ثم عاد فقتل القاتل تحم قتلته، ولا يجوز العفو عنه، ولو عفا عنه ولى المقتول، وذلك قول عكرمة والسدى وجماعة من المفسرين، وقال عمر بن عبد العزيز: أمره إلى الإمام يفعل فيه ما يراه، وجمهور الفقهاء على أن حكمه حكم القاتل ابتداءً، وعليه مالك والشافعي<sup>(١)</sup>، ويؤيد ذلك الحديث: «لا أعافى رجلاً قتل بعد أخذ الدية»<sup>(٢)</sup>. ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من أصيب بقتل أو خييل - أى فساد عضو - فإنه يختار إحدى ثلاث: إما أن يقتص، وإما أن يعفو، وإما أن يأخذ الدية، فإن أراد الرابعة فخذها على يديه، ومن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم»<sup>(٣)</sup>.

ومن هذه الأمور نصرة الموتور العاجز المطالب بالدم، إذ كيف يأخذ بالقصاص إذا لم يكن للدولة لإشراف على إثبات الحدود وإقامتها؟ ... ألا يقضى مثل هذا عمره مغنيًا محققاً أثراً على المجتمع يتلصق بالوسائل ليعيث في الأرض فساداً وإجراماً؟..

ومن هنا - فيما يلوح - جاءت الآية الناصة على السلطان المشروع الذي أقامه الله لعباده كي يفرعوا إليه في خصوماتهم ومنازعاتهم وحدودهم، وهى قول الله تبارك وتعالى: «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً».

ويمكن تفسير الآية على الوجه التالى: إن الذى يقتل مظلوماً بلا سبب، قتلاً عمداً، لم نضيع دمه، بل حفظنا لعصبته وورثته حق القصاص، وجعلنا لهم فى شرعنا وعند الإمام وجماعة المسلمين سلطاناً، أى سلطة ونصرة وقوة تعينه على التمسك من القاتل لتنفيذ القصاص فيه؛ وما دمتما قد مكناه من ذلك الحق فواجب عليه أن يقف عند حد المساواة، وهو الاقتصاص

[١] تفسير المنار ج ٢ ص ١٣٠ باختصار.

[٢] تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٩٥ طبعة المنار.

[٣] رواه أبو داود والبخارى والترمذى.

بالمثل ، ولا يسرف أو يخرج إلى غير ذلك ؛ وحسبه أنه كان منصوراً بتشريعنا ، ومنصوراً بإمام دولته ، ومنصوراً بالجماعة المؤمنة نفسها .

وقد يجمع هذا التفسير اليسير الواضح بين « حق ، الفرد في المطالبة بالدم ، وبين « اختصاص ، الدولة بالإشراف على الحكم والتنفيذ ، ولا يكون هناك بينهما - أى الفرد والدولة - تعارض أو تجاذب ، لأن هناك فرقا بين « الحق ، و « الاختصاص ، هنا ، فحق الدم يثبت للوارث ، وهو يطالب به أو يعفو عنه ، والاختصاص يتعلق بالإثبات والحكم والتسكين من التنفيذ ، وتكليف من ينفذ هذا القصاص <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ولا يأبى الإسلام في روحه وقواعده العامة التي تجعل دره المفاسد مقدما على جلب المنافع ، وتجعل المصالح المشتركة مقدمة على المصالح الفردية ؛ لا يأبى الإسلام أن يتركز هذا الاختصاص في يد الدولة ، وخاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه السكان ، وتعددت الأمور الحياتية ، وتضاربت المصالح ، وكثرت المنازعات ، وتعددت الأهواء والنزعات ، واتخذت المجتمعات أشكالا وأوضاعا غير التي كانت من قبل ؛ ولا شك أن للعرف والعادة مكانة من الاعتبار الفقهي في الإسلام ...

بل قال القرطبي في تفسيره ما نصه : « لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر ، فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك ، لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ، ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعاً أن يجتمعوا على القصاص ، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود » <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وخلاصة رأى الشريعة الإسلامية أن حق القصاص يثبت لولى الدم ( وهو الوارث

(١) في تفسير المنار ج ٢ ص ١٢٨ - ١٢٩ : « وليس للحكومة أن تمتنع من العقو إذا رضوا به ، ولا أن تستفل بالعفو إذا طلبوا القصاص ، فتحفظ قلوبهم ، وتخرج أعضائهم ، ونحملهم على محاولة الانتقام بأيديهم إذا قدروا ، فيزيد البلاء ويكثر الاعتداء ، أو يعيش الناس في تباعض وعداء ، وفوضى تقبح فيها الدماء » .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤٦ طبعة سنة ١٩٣٥ .

والقريب) إن شاء طالب بالقصاص ، وإن شاء أخذ الدية وعفا عن القود ، وإن شاء عفا عفواً مطلقاً ؛ ولهذا الولي أن يقوم بتنفيذ القصاص بنفسه بعد تمسكين الإمام الحاكم وإذنه ، وله أن يوكل عنه من يقوم بتنفيذه .

ويجب أولاً أن يعرف القتال ويضبط ، وأن تقوم البيئة عليه بالاعتراف أو الشهود حسبما رسم قضاء الإسلام في ذلك الباب ، وأن لا يكون هناك مانع من القصاص ؛ ولولي الدم أن يكل تنفيذ القصاص إلى السلطان .

ويجب شرعاً أن يؤخذ القتال وحده ، ولا يؤخذ معه غيره من ذوى قرابته كبيراً كان أو صغيراً ، وإذا قتلت امرأة وجب أن تتحمل تبعاتها دون غيرها ، وإذا كان القتال واحداً فالقصاص في واحد لا أكثر ، وإن عاقبتهم فعاقبوا بمنزل ما عوقبتهم به ، ، وإذا لم يكن هناك ثبوت جريمة فالاعتصام بالظن لإثم كبير ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة » (١) .

#### نكسة إلى الجاهلية :

بعد أن جلنا هذه الجولة التي عرفنا فيها موقف الإسلام من النار ، يسوؤنا أن نقرر أن فريقاً من الناس في هذا الزمان قد أبوا على أنفسهم هذا النور الساطع ، وذلك الهدى المبين الذي جاء به الإسلام الخفيف في أمر القصاص ، فتراهم وقد استعادوا لأنفسهم مبادئ الجاهلية وأساليب الظلمات ؛ فهم لا يرتضون القصاص وهو تشريع رب العالمين ، بل يفضلون عليه النار الجاح وهو وسوسة الشيطان المضل المبين .

فإذا قتل لهم قاتل أبوا أن يحتكموا إلى القضاء ، وأبوا أن يتقبلوا فيه العزاء ، وأبوا أن يسمعو كلمة الإصلاح أو الاعتذار ، وأبوا أن يستمعوا من داعي العفو أي نداء ؛ ولا يزالون يطوون صدورهم على الغل والحق حتى يثأروا لأنفسهم ، وليتهم يثأرون على بينه ويقين ، بل يأخذون بالإشاعة والشبهة ، ولا يتلبثون في ذلك ولا يترتبون ، بل يصرفون فيقتلون

(١) رواه الترمذي والحاكم والبيهقي ، وسنده الحاكم والبيهقي صحيح [ التاج ] .



بالواحد آحاداً ، ويجرمون أحياناً فيتركون القتائل الحقيقي لأنه غير ملائم في نظرهم ويقتلون بريئاً سواه .

بل ترى بعضهم يعجز أحياناً عن أخذ ثأره من المجرم الحقيقي ، فيميل على طفل أو صبي أو امرأة ، فيرتكب جريمة القتل الشنعاء مع هؤلاء الأبرياء . فهل تكون تلك رجولة أو شهامة ؟

وقد يجرمون على أنفسهم - كأهل الجاهلية تماماً - أشياء من الطعام أو الثياب أو الزينة ، حتى يأخذوا بالنار ؛ وقد تمر الأعوام تلو الأعوام ، والفرصة لا تواتبهم ، فيقضون حياتهم في ظلمات وأضغان وقلاقل نفسية ، ثم يبلغون مأربهم الأليم ، فتتكرر المآسي والنكبات ، ونصب عليهم من ربهم اللعنات ، ويختمون حياتهم أسوأ خاتمة ، فلا هم ظهروا بمظهر الكرام فصفحوا ، ولا هم تمتعوا بحياة هادئة ، ولا هم انقوا غضب ربهم ، بل خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وكم خربت بيوت ، وضاعت رجال ، وترملت نساء ، وتيتمت أطفال ، وتبددت ثروات ، وتمزقت صلوات ، بسبب هذا الثأر الخبيث اللعين .

وقد تجرى محاكمة ، أو تعقد جلسة لإصلاح ، فيتظاهر صاحب الثأر بالرضا والقبول ، ويعطى الكلمة بالموافقة على الصلح والصفح ، أو يقبل أخذ الدية ، ولكنه ينقض كلمته بعد حين ، فيستحق بذلك العذاب الأليم .

« ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ... ؟ »  
 إن كان هؤلاء المصرون على عدوانهم ينتسبون إلى الإسلام فقد برىء منهم الإسلام وهم على تلك الحال ، وإن كانوا - كما تدل أعمالهم - غير مسلمين ، فقد وجب أن يؤخذوا بما يقتضيه أمن الجماعة من الردع والعقاب .

أفما آن هؤلاء أن يعرفوا الإسلام وصبغته : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » ونحن له عابدون . أم يريدون أن يظلوا في ظلمات الجاهلية سادرين : « أخكم الجاهلية يغيثون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، ١٩ »

أحمد الشرباصي

من علماء الأزهر الشريف

## شهر الذكريات الخالدة

إن من الأيام والشهور أياماً وشهوراً لا تقاس بمقياس الزمن ، وإنما تقدر بمقياس الخلود ، لما لها من آثار صالحة باقية في حياة الفرد أو الأمة أو الدنيا بأسرها ، وشهر رمضان حافل بالذكريات الخالدات ، لا أقول في تاريخ الأمة العربية والدعوة الإسلامية فحسب ، بل في تاريخ البشرية جمعاء ، ولو أن هذا الشهر استأثر بذكرى واحدة من هذه الذكريات لكان حقيقاً بالتكريم والتعجيد ، فما بالك وفيه أكثر من ذكرى ، وفي كل ذكرى عبر وعظات .

وأولى هذه الذكريات وأحفلها بالمعاني السامية ، وأحقها بالخلود « إنزال القرآن الكريم » ، ففي يوم خالد من أيام رمضان عام نبى النبي ﷺ ، وفي غار حراء ، حيث كان النبي يتحنث فيه لما حجب إليه الخلاء ، نزل أمين الوحي جبريل عليه السلام ، على خاتم الانبياء والمرسلين بصدر سورة اقرأ : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » . وبذا بدأ التاريخ يتجه وجهة لم يكن له بها عهد من قبل ، وفتح الله في كتاب السكون صحائف مضيئة مشرقة ، وتتابعت آيات التنزيل وسوره كما تتتابع شأبيب الغيث على الارض القاحلة المجربة ، فأصاب منها أرضاً نقية خصبة فاهتزت وربت ، وجادت بزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .

وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه تنزل عليه الآية والآيتان والخمس والعشر وربما السورة من المفصل على حسب الحوادث والوقائع وكفاء حاجات الخلق وأحوال المجتمع الإسلامى ، ولم تمض اثنتان وعشرون سنة ونصف تقريباً <sup>(١)</sup> من نزول « اقرأ » ، حتى أتم الله إنزال القرآن وختم الوحي ، وكان آخر آية نزلت على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما

(١) نزلت أفرا في السابع عشر من رمضان على ما قيل ، ونزلت « واتوا يوماً ترجعون فيه الآية » قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ، وقيل بواحد وعشرين يوماً

« وانقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، وفيما بين البدء والختام جاء بهدية الخالق لإصلاح الخلق ، وتشريع السماء لأهل الأرض ، هذا التشريع العام الخالد الذى أودع الله فيه كل حكمة ، وناط بالتمسك به كل سعادة ، فاهتدت به القلوب بعد ضلال ، وأبصرت به العيون بعد عمى ، واستنارت به العقول بعد جهل ، وصدق الله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، المسائدة : الآية ١٥ ، ١٦ .

ونحن حين نذكر إنزال القرآن ، فإنما نذكر الثورة على العقائد الزائفة ، والوثنية الزائفة والخرافات والالوهام الباطلة ، والتقليد الاعمى الذى لا تبصر فيه ولا تثبت ، وبعد صراع وجهاد ، نرى التوحيد يسود وينتشر ، والعقول تعقل وتتححرر ، والحق يثبت ويتقرر ، والاضمام تهوى وتطوح ، وترتفع كلمة الحق مدوية على أسنة الخلق « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ونذكر الثورة على الأخلاق الفاسدة والأهواء ، والمظالم وسفك الدماء ، وانتهاك الأعراض واغتصاب الاموال ، فإذا الفضيلة تمحو الرذيلة ، والعدل يحل محل الظلم ، والامان يسود الأرض ، ويسير السائر من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذنب على غنمه .

ونذكر الثورة على أوضاع المجتمع الجائرة ، والعنجهية الآئمة ، واستئلال الملوك للشعوب ، والرؤساء للروسين ، والاحرار للمهالك ، والاقوياء للضعفاء ، وتسير الثورة فى طريقها مستبصرة متعقبة ، لا تنفى ولا تفتر ، فإذا المجتمع الإسلامى تسوده المساواة ، فالتناس جميعاً أمام الله والشرع سواء ، فلا تفاضل بالأجناس والألوان ، ولا بالاموال والاحساب ، وإنما التفاضل بالتقوى ، وهى كلمة فيها جماع كل حق وخير وفضيلة ، ويرفع الإسلام بالتقوى أناساً كانوا مضيعين ، فأصبحوا سادة وقادة ، وصدق الله « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وصدق رسوله « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

إن هذا الكتاب الخالد صير من الموات حياة ، ومن قساة الاكباد رحماً ، ومن رعاة الإبل والشاء حكماء علماء ، وكون أمة مثالية فى عقيدتها ، وفى خلقها ، وفى معاملاتها . وكون دولة صارت مضرب الامثال فى الحق ، والعدل ، والتراحم ، وأظلت العالم بلواء الامن

والسلام أحقاباً من الزمان ، فهل لنا أن نعوض بالنواجذ عليه ، وأن لا نحتكم في شأن من شئوتنا إلا إليه ؟ لنعيد دولة الإسلام الأولى ، ونصير بحق كما قال الله : « خير أمة أخرجت للناس » ، ١١١

السييل إلى ذلك أن نقرأ القرآن كما كانوا يقرأونه : قراءة إمعان وتدبر ، تستتبع العلم والعمل ، فبذلك فتحوا الفتوح ، وسادوا الدنيا ، وجعلوا سلطان الله مرهوباً في الأرض . لقد كان من شأن سلفنا الصالح أنهم كانوا إذا لاقوا الأعداء يسمع لهم دوى كدوى النحل بقراءة آيات الذكر ، فيفعل في النفوس فعل السحر ، ويصير منهم ليوناً كواسر تنضام أمامهم شم الجبال الراسيات ، فما بالك بالقلوب الخاويات ؟ ولا مر ما كان رسول الله ﷺ إذا بعث بعثاً استقرأهم ، فن كان أكثرهم قراءة كان أحق بالإمارة والقيادة . وفي يوم حنين أمر العباس فنادى في الناس : يا أصحاب الشجرة ، ، يا أصحاب سورة البقرة ، ، فجلسوا يقبلون من كل وجه . وفي يوم اليمامة جعل المهاجرون والانصار يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، حتى فتح الله عليهم ، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب .

وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة في اليوم السابع عشر منه ، كانت غزوة بدر الكبرى أولى وقائع الإسلام الفاصلة ، ولبدر في تاريخ الإسلام من بعيد الآثار مالها ، فلا عجب إذا كان الرسول ﷺ مشفقاً غاية الإشفاق على الإسلام من هذه الموقعة حتى لقد بلغ من إشفاقه أن أكثر من رفع يديه إلى السماء ، وهو يجأر إلى الله بالدعاء :

« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني . اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض ، ولا يكف الرسول عن إلهاب حماسة المسلمين ووعدهم الجنة على الثبات ، وكان مما قال : « والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة » ، فتمتلئ النفوس حماسة ، وتزداد إيماناً إلى إيمانها ، ويمد الله أنصاره بمدد من السماء ، وتجلى المعركة عن انتصار حزب الله على حزب الشيطان ، وتصير كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، وصارت بدر مثلاً في الأولين ، وعبرة في الآخرين ، ان النصر بيد الله يؤتاه من يشاء من عباده المتقين ، وصدق العلي العظيم « قد كان لكم آية في فتنتين التقتا : فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعلبة لأولى الأبصار ، .

إن الإنسان ليعجب كيف انتصرت الفئة القليلة في عددها وعدتها على الفئة الكثيرة المغترّة بخيلها وسلاحها وعنادها ، ولا يزال يقلب الأمر على جميع وجوهه حتى يخلص إلى سر الأسرار وهو الإيمان ، الإيمان بالله إيماناً لا تشوبه أية شائبة ، والإيمان بأن هناك حياة أخرى خيراً من هذه الحياة الدنيا ، يوفى فيها المحسنون والمجاهدون أجرهم بغير حساب ، والإيمان بالدعوة الإسلامية وصلاحتها لإصلاح الناس ، والإيمان بأنهم خير الأمم ، وأنهم أحق بهذه الدعوة وأهلها ، هذا الإيمان المتشعب المتغلغل في أعماق القلوب هو سبب الأسباب في هذه الموقعة الفاصلة وغيرها من مواقع الإسلام الحاسمة .

لقد كان من آثار هذا الإيمان القوى ، هذه المواقف المشرفة ، والكلمات العذاب المؤمنة . التي صدرت عن الصحابة الأماثل قبيل الغزوة ، فقد روى الثقات أن النبي ﷺ لما علم بخروج قريش لتمنع عيرها وأخبر صحابته أن الله وعدهم إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما النفير <sup>(١)</sup> وفرت العير ولم يبق إلا النفير ، أراد أن يتعرف رأى أصحابه في الخروج للقتال فقال : أشيروا علي أيها الناس . فقام السيد المقداد بن الأسود رضى الله عنه فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون » ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معك مقاتلون ، والله لو سرت بنا إلى برك الغماد <sup>(٢)</sup> لجالدنا معك من دونه حتى نبغته ، فدعا له النبي بخير . ثم قال عليه الصلاة والسلام : أشيروا علي - وكان يريد الانصار ، لأنهم بايعوه بيعة العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ما دام بين أظهرهم ولم يعاهدوه على الخروج ، فقام السيد الأوسى سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال : لسكانك تريدنا يا رسول الله . فقال : أجل . فقال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهدنا ، فامض لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر نخضنه لنخوضنه معك ، وما نكره أن تكون تلقى بنا العدو غدا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله ، فأشرق وجهه صلى الله عليه وسلم ، وبشرهم بالنصر ، وهكذا فليكن الإيمان .

(١) العير : الأبل تحمل الليرة . والنفير : القوم الذين نفروا من مكة لمنع العير وهم الذين حاربوا المسلمين .

(٢) موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن .

ويسمو الإيمان بالمسلمين في بدر ، ويسمو الحب الممتزج بالإيمان ، فيشير السيد سعد بن معاذ على النبي ﷺ أن يبذروا له عريشاً وراء الجيش وتكون عنده ركائبه ، فإن نصرهم الله فذلك ما أحبوا ، وإن كانت الأخرى ركب ركائبه ولحق بمن بقي من المسلمين بالمدينة ، وهم قوم ليسوا بأقل ممن خرجوا لإيماننا ولا طواعية لرسول الله ، ولولا ظنهم أن رسول الله خرج للعير لما تخلفوا عن الجهاد ، وقد أنى النبي ﷺ على سعد ونزل عند هذا الرأي وضرب في باب الاستماع إلى المشورة الصائبة مثلاً يحتذى إلى يوم الدين ، وما أشار به سعد رضى الله عنه هو غاية ما وصل إليه الفن الحربى الحديث ، فانظر بعين البصيرة كيف بلغ أبناء الصحراء في الفن الحربى شأواً بعيداً يشهد لهم بأصالة الرأي ، وذكاء القلب ، وسلامة الفطرة ، ولا عجب فالؤمن ينظر بنور الله .

وإن المسلم منا ليغض الطرف حياء من نفسه حين يستعيد هذه الذكريات المجيدة التى مكنت للمسلمين الأولين فى الأرض ، وبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . ومن بعد ضعفهم قوة وعزة ، ولو أن فى الخمسمائة مليون مسلم الذين يسكنون المعمورة اليوم ، مليوناً واحداً على غرار أهل بدر ، لصنعوا تاريخ العالم كما يريدون ، ولظهر الإسلام على الدين كله ، ولو كره الكافرون . فهل يثوب المسلمون إلى الرشد ؟ وهل يتخذون من أهل بدر وقادهم قدوة حسنة ؟ وهل تتحقق الآمال ؟

وفى رمضان من السنة الثامنة ، وفى اليوم العشرين منه ، دخل الرسول ﷺ وأصحابه مكة منتصرين مظفرين ، وكان من فرط شكر النبي ﷺ لربه وشدة تواضعه أن طأطأ رأسه حتى ليشكك تمس جبهته الرجل ، وضرب الرسول وأصحابه مثلاً علياً فى العفو والتسامح ، لا تكاد تعرف إلا فى تاريخ الإسلام . وبفتح مكة دخل الناس أفواجا فى دين الله ، حتى أضحت الجزيرة على قلب رجل واحد ، وحقق الله لحبيبه محمد وعده ، وأتم عليه نعمته .

ولم يسكد يمضى قرن من الزمان ، حتى بسط الإسلام لواءه على أنحاء العالم المعروف حينئذ ، ونعم بدين العدل والرحمة والمساواة ، وأضحى الناس فى أمن وسلام .

ولا يتسع المقال اليوم لإشباع القول فى ثلاثة الذكريات ، فإلى فرصة أخرى إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو سهرة

الأستاذ بكلية أصول الدين

## التأويل والتفسير

منذ سنوات مضت أشرنا بعض مقالات في التأويل العقلي ، كانت في جوهرها نماذج لتأويلات بعض الفلاسفة أو — على وجه التخصص — لفيلسوف إسلامي ، هو أبو علي ابن سينا ، لبعض الأصول التي تتعلق بالعقيدة .

ولما كان التأويل العقلي قد احتل مكانا مرموقا في الفلسفة الإسلامية ، واتخذته فلاسفة الإسلام سلاحا للتوفيق بين الدين والفلسفة ، فقد رأينا أن نتكلم في مقالنا هذا عن التأويل من ناحيته اللغوية والعامة .

يقول صاحب اللسان (١) : « وأما التأويل فهو تفعيل من أول يُؤوّل تأويلا ، وثلاثية آل يؤول أى رجع وعاد ، وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد ، ا هـ . يظهر من هذا النص أن التفسير والتأويل هو محاولة معرفة ما يراد من ظاهر العبارة ، وبسط ما أشكل فهمه أمام النظرة العابرة .

ولا يرد عند التهانوي (٢) ذكر « للتأويل ، كإداة مستقلة ، بل يذكره في ثنايا « التفسير » ويروى أن الراغب قال : « التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعماله في الالفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجل ، وكثيرا ما يستعمل في الكتب الإلهية ، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها . » وروى أيضاً أن أحد العلماء قال : « التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهها واحدا ، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة ، إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة . » وروى كذلك أن الماتريدي قال : « التفسير : القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، أو الشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع

(١) لسان العرب ص ٣٤ ، ١٣٦ ، طبعة أولى ، بولاق سنة ١٣٠٢ هـ

[٢] كشف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد علي التهانوي ، صححه وأوضحه وزاد فيه الفقيه مولوي محمد وجيه مدرس المدرسة للكلكتية ، وأطاعه فيه مولوي عبد الحق ومولوي غلام قادر ورتب ذيله الويس اسبرنكو التيرولي . ٢٠٠ ص ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧

به فصحيح ، وإلا فتفسير بالرأى ، وهو المنهى عنه ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله .

وفي كليات أبي البقاء <sup>(١)</sup> أيضاً لا يرد ذكر لمادة « التأويل » مستقلة عن « التفسير » بل يذكرها في ثناياها ؛ وهو يقول : « التفسير والتأويل واحد ، وهو كشف المراد عن المشكل ، والتأويل في اللغة من « الأول » ، وهو الانصراف ، والتضعيف للتعدي ، أو من « الأيل » ، وهو الصرف ، والتضعيف للتكثير ، وقيل التأويل بيان أحد احتمالات اللفظ ، والتفسير بيان مراد المتكلم ، ولذلك قيل : « التأويل ما يتعلق بالدراية ، والتفسير ما يتعلق بالرواية » .

يفهم من هذه النصوص أن التأويل معناه في الأصل التفسير والشرح ، ولكن الكلمة تطورت مع الزمن ، وفرق بعض العلماء بينها وبين التفسير ؛ فانصرف التأويل إلى المعاني والمراد الإجمالي ، وانصرف التفسير إلى شرح المفردات والالفاظ شرحاً لغوياً يؤدي إلى المعنى الظاهر من النص .

ولقد وردت في القرآن الكريم بعض آيات <sup>(٢)</sup> تشير إلى الوحي الذي ينزل على الرسول ﷺ . ومن ثم اقتصر لفظ التأويل ردحا من الزمن على هذا المعنى الخاص ، وظلت هكذا إلى أن أصبحت اصطلاحاً يطلق على تفسير مادة القرآن ، أي أن يكون التأويل جزءاً إضافياً هاما للتفسير أو الشرح اللفظي الظاهري .

وهذا يعد مقدمة لما اصطلح عليه الفقهاء والمتكلمون والفلاسفة على أن التأويل هو تفسير النص بمعنى غير الذي يفهم من ظاهره ، وهذه الطريقة أو هذا المنهج نال تأييد أهل السنة ما دام المعنى الناتج منه لا يختلف مع ظاهر النص ، والعكس صحيح .

(١) الكليات لأبي البقاء الحسيني السكفي الحنفى ، طبعة بولاق سنة ١٢٨٠ هـ ص ١٠٥

(٢) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله : [ الآية التاسعة والثلاثون من سورة يونس ] . فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله : [ الآية السابعة من سورة آل عمران ] .



ولقد وجد أصحاب المذاهب الفكرية في الإسلام - من متكلمين وفلاسفة ومتصوفة - بغيتهم في التأويل ، فاستشهدوا بآيات القرآن الكريم في تأييد مذاهبهم ، بل ذهبوا إلى الحد الذي بنوا فيه هذه المذاهب على نصوص القرآن .

ويطول بنا المقام إذا نحن حاولنا أن نحكم حكماً قيمياً على التأويل مبينين ماله وما عليه ، ولكن لا مانع من أن نذكر - في هذه المقدمة - أن المسلمين اضطروا إلى اصطناع منهج التأويل بعد أن ووجهوا بأقوام لا يكفهم في الإقناع أن يقال لهم : قال الله تعالى ، كذا ، وقال الرسول ﷺ ، كيت . ، بل كانوا يريدون مناقشة المسائل من ناحية عقلية بحتة ، فأنبرى لهم مفكرو الإسلام ، وساروا معهم إلى نهاية الشوط . ولما كان لابد لهم من التماس التأييد من دينهم في النهاية فقد أعملوا عقولهم عند النظر في آيات الله وفي أحاديث الرسول ، فوجدوا فيها متبعاً خصباً في تأييد مذاهبهم عند ما تساحوا بمنهج التأويل .

وليس من شك في أن بعض من سار على هذا النهج قد خرج عن الطريق السوى الذي رسمه الدين ، وسنبين ذلك كله بإذن الله في مكانه من البحث ؟

صغير زايد

## أدب الشعر

قال معاوية رضى الله عنه لعبد الرحمن بن الحكم :

« إنك قد لهجت بالشعر ، فأياك والتشبيب بالنساء فتعراً شريفة ، والهجاء فتهجن كريماً أو تثير لثيماً ، وإياك والمدح فهو كسب الاندال . ولكن اغتر بما أثر قومك ، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك . وإن لم تجد من المدح بداً فكن كالملك المرادى حين مدح لجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال :

أحلت رحلى في بنى ثعل إن الكريم للكريم محل

# محنة الأدب وما هو السبب ؟

اطلعت على مقال قيم ، للأستاذ الجليل ( أبو الوفا المراغى ) فى مجلة « الأزهر » ، الغراء تحت عنوان « محنة الأدب » ، وما هو السبب ؟ ، والحق أن مقال الأستاذ كان له أجل الأثر فى نفسى ، فقد بحث فيها الرضا والاطمئنان ، وحملى على الكتابة حلا ، لا قرر فى شئ كثير من الإعجاب أن الأستاذ من أولئك القلائل الذين يعنون بالأدب ، والذين لهم إلمام تام بأسراره ومناهجه . . ولكن رغم إعجابى هذا فإن الأمانة العلمية والأدبية تقتضيان إبداء الرأى فى هذا الموضوع على ضوء ما رسمه لنا الأستاذ فى هذا البحث الأدبى الرائع . فهذه أمانة فى أعناقنا ، ورسالة يجب أن تؤديها إلى أبنائنا الشباب ، وليس من رائدنا أن نشيع اليأس والذعر والقنوط فى نفوس أولئك الشباب ، ولا أن نأخذهم بما أخذهم به بعض أدباء الشيوخ الذين لا هم لهم إلا أن يكونوا هم رواد هذا الأدب وشيوخه وأعلامه ، فهذه هى الطامة الكبرى ، بل هذه محنة الأدب ، بهذا أصرح الأستاذ ولا أحب أن أكون من المشائمين ، فقد اعتدت أن أستقبل الحياة بما فيها من زوايع وضجيج وعواصف وبراكين بالرضا والاطمئنان . وإن الذى يقرأ مقال أديبنا الكبير ويمعن النظر ، ليعتقد معنا أن دولة الأدب قصت نحبها وشيع سفرها ذلك الزمن الهازل ، وأنه لم يبق لدينا من هذه الآثار إلا تلك الاطلال الصارخة الباكية ، والى مرق أستاذنا ببراعته وبراعته أكفانها .

لا تظلموا الموتى ، وإن طال المدى إلى أخاف عليكم أن تلتقوا ولا أدرى لماذا استقبل الأديب دولة الأدب بهذا العنف ، فأطلق حكمه ذاك على هذا الوليد ، أو ذلك الشيخ ، فقسم ظهر الأدب إن جاز هذا التعبير ، وجهه غير قادر على المضى فى طريقه الذى رسمه له شيوخ الأدب وأعلامه .

ومع هذا ، فالأدب يأسىدى ليس فى محنة ، ولكنها محنة الزمن الذى صهر الأدباء والشعراء فى بوتقته ، وأسدل عليهم حجابا كثيفا من الأحداث ، فلم يستطيعوا قهر الطبيعة بين عصف الحياة وزجرة الخطوب .

فهل صحيح بعد هذا ما يقوله الأستاذ ، وتمثل محنة الأدب في ندرة ما يظهر فيه من كتب ، ونستطيع أن ندلس ذلك في يسر خصوصاً في الربع الثاني من هذا القرن ، ولأنه ليعيبك أن تعد من هذه الكتب ما يبلغ أصابع اليد ، وكمن الكتب في منشور الأدب تستطيع أن تذكره بعد كتب المنفلوطي ، وكمن دواوين للشعر تستطيع أن تذكره بعد ديواني شوقي وحافظ ؟ . ونحب أن نقول لاستاذنا العالم الأديب : إذا كان ذلك كذلك ، فقيم إذاً هذه الضجة العنيفة التي يقوم بها كل حين شيوخ الأدب وشبابه ؟ أليس في ذلك دليل على أن هناك أدباً ، وأدباً رائعاً ، وأن هذا الركب يسير بين أعاصير النقاد ، وعواصف الرجعية العاتية ، فلم تطف عليه تلك السواقي الهائجة التي تهب من صحراء الابد .

فإلى أين يذهب ما تخرجه المطابع من كتب في الأدب وفلسفته ؟ هل تبتلعه أفواه الزمن ؟ ، أم تحمله الريح إلى وادي النسيان ؟ . وإلى أين تذهب تلك الدواوين ؟ أيكون مصيرها العدم والفناء فلا تقدر لها الحياة ؟ أم أنها خالدة خلود الزمن ؟ وإذا جازلنا أن نسأل الأديب عن شيء يختلج في النفس ، فإننا نقول له : لماذا اخترت المنفلوطي ، وشوقي ، وحافظ ، دون غيرهم من الكتاب والشعراء ؟ ونحن مع إجلالنا لأدب المنفلوطي نعتقد أنه الشعلة الأولى التي أزاحت لنا هذا الركام عن وجه الأدب ، ونفضت عنه غبار الزمن ، أقول مع إجلالي لأدب المنفلوطي فإنني مكروه على أن أقرر في شيء من الثقة والاطمئنان أنه لا يصور لنا إلا تلك النواحي القائمة في هذه الحياة التي يحياها الناس ، فهو قد ملأ الدنيا من حولنا بؤساً وشقاء وقتماً ، وعلى كل حال فقد مات هذا الأدب الباكي أو كاد ، ونسجت عليه الأيام طبقات من النسيان ، ومع هذا ورغم هذا . . فنحن نؤمن بأن المنفلوطي رحمه الله كان أديب عصره ، وأن له أدباً ما زال يفشر ويدرس ، وأن صاحبه قد شغل به الدنيا حيناً من الدهر ، وفي أغلب الظن أنه سيشتغل به الدنيا حيناً آخر .

وما دمننا بصدد الكلام عن الشعر والشعراء فإن في مصر والعالم العربي شعراء ، شعرهم ليس شعر شوقي وحافظ . وليس معنى هذا أن شوقياً وحافظاً غير شاعرين ، فهم في الطليعة ومن شعرائنا الأفاضل في عصرنا الحديث ، ولكن ما أتبع لهما من أسباب الشهرة والمجد لم يتبع لأولئك الشعراء المغفورين . وفي الحق أن (شوقي) خلده شعره الإسلامي ، الناصع ، (وحافظ) خلده شعره الوطني ، الملتهم الرائع ، وإن كان شعرهما لا يمتاز عن شعر غيرهما

من أولئك الشعراء الذين نغنيهم ، والذين يدركون ما في ذلك الأدب من جمال ، ويتذوقون ما فيه من فوق وإبداع .

وليس من الحق أن يقال : وما هي ذى المؤلفات الأدبية ، وهي كثيرة وكثيرة فكم منها ما يستحق أن ينظم في كتب الأدب ؟ ، الخ . . وما لنا نترك أستاذنا في هذه الحيرة الحائرة ؟ وفي استطاعتنا أن ندله في يسر على كتب ودواوين ظهرت في « عشر السنين الأخيرة » لكتاب وشعراء لم تظفر الدنيا بأمثالهم ، بل لم يظفر بأمثالهم الأدب ، وفيهم الشيخ والشاب ، وما لنا ندله على هذه الكتب ولا ندله على أصحابها فإن في ذكرهم ذكراً لكتبهم وآثارهم التي هي أبقى على الخلود من الخلود ، ومع هذا فالأدب يعلم من أمرهم ومن أمر الأدب ما نعلم ، ومن منا لا يعرف في دولة النثر الرافعي ، رحمه الله وهو أمة وحده ؟ وفي دولة النظم « أحمد محرم » ، صاحب ديوان بجد الإسلام ؟ ومن منا كذلك لا يعرف الزيات وأحمد أمين ، وهيكل والسيد قطب ، والسباعي وأحمد الشايب وعلى الطنطاوي ، وعرجون والكيلاني ؟ ومن منا لا يعرف السعيد رمضان ، والدكتور عزام ، وغيرهم وغيرهم ممن ملأوا الدنيا حكمة وعلماً وأدباً وفلسفة ، وسارت بآثارهم الركبان كما يقولون ، فهم ملء السمع والبصر ، وهم من قادة الفكر والرأي . . أقبعد هذا يقال إن الأدب في محنة ؟ وإن « السبب الحقيقي فيما نظن وراء ذلك ، وهو مزاحمة المتأدبين للأدباء ومحاولتهم أن يخلطوا إنتاجهم الغث الرخيص بالثمين الغالي من إنتاج هؤلاء . . وهل يعني فيما يقول أولئك الشيوخ ؟ أم أولئك الشباب ؟ وما لنا ننتظر الجواب ولا نبادر بذكر طائفة من الشعراء المعاصرين سواء منهم الشيوخ أو الشباب حتى لا يرمينا الأستاذ بالتشيع والقصور ؟ وحتى يعلم الناس أن في مصر والعالم العربي أدباء شعراء « في عشر السنين الأخيرة » ، ظفروا أو ظفرت آثارهم ودواوينهم بالتقدير والإعجاب والخلود . . فمن هؤلاء الشعراء الموهوبين الذين لهم « إنتاج فني رصين » ، محمود إسماعيل ، وعبد الغنى ، وأبو الوفا ، والاسمر ، وعهاد ، وكامل النجمي ، وشكري ، والسيد قطب ، وعبد القادر رشيد الناصري ، وبشارة الخوري ، وإيليا أبو ماضي ، وأنور العطار ، والجندى ، وغنيم ، والجرنوسي ، وغيرهم وغيرهم ممن يذكركم أستاذنا الفاضل من شعرائنا الأحياء ، ولهم آثار ودواوين « في عشر السنين الأخيرة » . وإن كان ينقص بعض هؤلاء الشعراء العباقرة التوجيه الإسلامي ليستطيعوا بمجهوداتهم الفنية أن يقودوا الرأي العام الإسلامي ، وأن يساهموا أو يشاركوا في هضتنا الأصلية ، وأن

يتغنوا بأبجاد الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . ونظرة واحدة إلى المعركة الأدبية التي تدور رحاها اليوم بين أدباء الشيوخ وأدباء الشباب تعطينا صورة صادقة على أن الأدب ليس في محنة ، ونستعير من ساداتنا الفقهاء هذا التعبير « فاقد الشيء لا يعطيه » ، وفاقد الأدب لا يناقش ولا يعطى الناس من أثماره شيئاً ، ولا يقيم المعارك حول الأدب ورسائله ، وإن هذا الوعي الأدبي الوثاب هو البرهان على أن الأدب لم يمت ولم يتعثر في مشيئته ، وأنه ليس في محنة ، شاء الزمن أو لم يشأ ، وها هو أدبنا الحديث يتبوأ مكانه بين آداب الأمم الراقية ، والشعوب الناهضة في الأرض ، وهذه هي بدائعهم وروائعهم قد ملأت الدنيا فتنة وسحراً وجمالاً .

الحقيقة أن ما نسميه « محنة » هو في دولة الأدب إنشاء وتجديد وتصوير وإبداع ، وهؤلاء هم أدباؤنا وشعراؤنا ، وتلك هي رسالتهم تلي على الدنيا سطور المجد وأهازيج الخلود ، وهؤلاء هم قراؤنا الأفاضل يلتمهون بشغف كل ما يقدم إليهم من ثمار هذا الأدب اليناع ، فهو غذائهم الروحي الذي يملأ دنياهم بهجة وأملًا ، فهل بعد هذا « تتمثل محنة الأدب في انصراف القراء عن قراءة الأدب » ؟ لعل الاستاذ يريد الناس جميعاً قراء لذلك الأدب الرفيع الذي يعنيه في مقاله القيم ، يقرءونه ويتذوقون ما فيه من لذة ومتاع ، وفتنة وسحر وجمال ... هنا . وهنا فقط يجب أن تؤمن بالتدرج ، فالله لم يخلق الناس ليصبحوا بين عشية وضحاها أدباء وشعراء وكتاباً ... فلنفسح الطريق إذاً لأدباء الشباب ولنبارك نهضتهم ، ولنذكر أشياخ الأدب وأعلامه ، ونأخذ عنهم الحكمة والأدب ، ونفسر به قدماً إلى الامام ولنوفق بين القديم والحديث ، ولنقل مع القائلين : إن الأدب ليس في محنة ، بل هو حي وسيبقى حياً ما دام الدهر ، وما دام كتاب الله محفوظاً في الصدور . ترتله الألسن ، وتفسر بدائعه وروائعه وأحكامه وقوانينه في الحياة علماء أمناء ، وشعراء حكماء ... وبعد فهذه لفنة أرجو أن تتبعها لفئات ، ولا أشك بعد هذا أن كل ما يرويه الناس عن الأدب ليس إلا رغبة متطيرة فوق بحر الحياة الأدبية والإنسانية ... أما أعماق الأدب وآفاقه فأبعد وأوسع من أن يتناولها قلم أو يستوعبها لسان ، فالأدب مهما جل لا معنى له إلا على قدر ما يكشف معنى الإنسانية والحياة .

## معنى الانسان فى مختلف الآيات

أصل معنى « الإنسان » ، هذا الجنس البشرى الذى يعمر الأرض ، وفى تعريف المنطقة « الحيوان الناطق » . وقد أطلقت كلمة « الإنسان » فى القرآن الكريم على هذا المعنى الاصلى وعلى معان أخر بينها وبين المعنى الاصلى مناسبة ، وإن كان إطلاقها على غير المعنى الاصلى فى بعض الآيات ليس نصاً وإنما يحتمله بعض التفاسير .

وسأذكر هنا أنواعاً من معنى الإنسان فى القرآن وصلت إليها بعد استقراء هذه الكلمة فى جميع الآيات ، واستعنت على ذلك بقراءة كتب التفسير المختلفة وبعض الكتب التى كتبت فى معانى القرآن .

١ — قال تعالى « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » ، يجوز أن يراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس البشرى كله ، ويكون الحين الذى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً هو مدة الحمل ، ولكن هذا المعنى لا ينطبق على آدم أبى البشر عليه السلام . لأنه لم تكن له مدة حمل . ويجوز أن يراد بالإنسان آدم عليه السلام ، والحين الذى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً هو المدة التى كان فيها صورة من الطين قبل أن ينفخ الله فيه الروح ، ويكون إطلاق لفظ الإنسان عليه مجازاً علاقته السكلية إذ أطلق السكل وأريد به الجزء ، ولما كان آدم أباً البشر وأصله جميعاً فكأنه الجنس كله . و « هل » فى الآية معناها قد .

ومثل هذه الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنين « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » ومثلاً أيضاً قوله تعالى فى سورة الرحمن « خلق الإنسان من صلصال كالفخار » ، ولكن إطلاق الإنسان فى هاتين الآيتين على آدم حقيقة ، وعلى آدم وبنيه مجاز ، علاقته الجزئية ، لأن آدم جزء من الجنس ، وصح إطلاق اسم الجنس كله عليه لأنه أصله فكأنه جميعه ، والذى يدعوننا إلى اعتبار المجاز أن بنى آدم لم يخلقوا من صلصال وإنما خلقوا من نطفة ، وآدم وحده هو الذى خلق من الصلصال ومن سلالة الطين .

٢ — قال تعالى في سورة ق : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

المراد بالإنسان في هذه الآية الجنس كله ، أو آدم عليه السلام . ولكن إرادة الجنس أرجح .

٣ — قال تعالى في سورة الدهر : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سمياً بصيراً » المراد بالإنسان في هذه الآية أولاد آدم ، لأنهم المخلوقون من النطفة .

٤ — قال تعالى في سورة « التين » : « ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » المراد بالإنسان في هذه الآية الجنس كله ، وقيل الوليد بن المغيرة ، وقيل كل كافر ، ومعنى أسفل سافلين أرذل العمر على الأول ، وعلى الآخرين النار .

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الزمر : « فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ، بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون » المراد بالإنسان الجنس كله ، وقيل الوليد بن المغيرة أو هشام بن المغيرة أو كل كافر .

٥ — قال تعالى في سورة العاديات : « إن الإنسان لربه لسكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد » المراد بالإنسان في هذه الآية الجنس كله فإن من طبيعة الإنسان جحد نعمة الله عليه وعدم توفيتها حقها من الشكر ، وهو شهيد على نفسه بذلك ، وقيل المراد بالإنسان الكافر لأنه يجحد نعمة الله عليه فيكفر به ولا يعبده ويعبد غيره ، ويصرف إليه الشكر ، والله أولى بعبادته وشكره ، وقيل قرط بن عبد الله .

٦ — قال تعالى في سورة العلق : « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » المراد بالإنسان الجنس كله ، أو أبو جهل بن هشام ، فإن من طبيعة الإنسان الطغيان والاستكبار عند ما يستغنى بالمال والجاه عن غيره ، وكذلك أبو جهل لما وجد نفسه غنياً ذا جاه طغى واستكبر وأراد أن يكون السيد الذي لا ينازعه أحد في رئاسة قريش ، وحارب رسول الله ﷺ حرباً مريرة ، ولكن الله خذله وقتله وهو قاهر الطغاة ، مدل المستكبرين وروى أنها نزلت في أبي جهل حين نهى النبي ﷺ عن الصلاة ، فأمره الله بالصلاة في المسجد وأن يقرأ باسم ربه الذي خلق .

٧ — قال تعالى في سورة « الإسراء » : « ويدعو الإنسان بالشئ دعاه به بالخير وكان الإنسان عجولاً ، المراد بالإنسان الجففس كله لأن من عادة الإنسان أن يدعو لنفسه بالخير إذا كان راضياً ، فإذا ضجر دعا على نفسه بالشئ ، لأنه عجول لا يصبر على الشئ ، ويستعجل دائماً الخير ، ورب شر أنفع من خير ، ولكن الإنسان من طبعه لإيثار العاجلة على الآجلة ، وقد أحسن الشاعر وصف النفس الإنسانية بقوله :

إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل  
وقيل المراد بالآية النضر بن الحارث .

٨ — قال تعالى في سورة الحشر : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين » المراد بالإنسان الجففس كله ، فإن الشيطان يغوى الناس جميعاً بالكفر ، فمن كفر منهم قال له : إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين . أو المراد بعض الجنس ، وهم الذين استجابوا لإغواء الشيطان فكفروا بربهم وقيل : المراد شخص واحد من الجنس هو برصيصا العابد الذي كان في أيام الفترة ، وله قصة تناقلها بعض المفسرين .

٩ — قال تعالى في سورة المعارج : « إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً ، إلا المصلين ، الآيات .

المراد بالإنسان هنا الجنس كله ، لأن من طبيعته الهلع والجزع والضجر وعدم الصبر إذا مسه الشر ، ومن طبعه الحرص والشح ومنع أصحاب الحقوق حقوقهم ، ولكن الله هذب هذه الطبيعة بما أرسل به رسوله ﷺ من الحث على الصبر وبيان جزائه العظيم والحث على الاستهانة بالدنيا في سبيل الله ، وإعطاء كل ذي حق حقه سواء كان ديناً أو أجر عمل أو زكاة مال أو غير ذلك ، ولذا استثنى الله المتأدبين بأدب القرآن من هذا الحكم فقال تعالى : « إلا المصلين ، الآيات ، وقيل المراد الأخنس بن شريق .

١٠ — قال تعالى في سورة الانفطار : « يأياها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ، قيل المراد بالإنسان في الآية الجنس كله ، فإن من طبيعته الظلم في رحمة الله والاعتزاز بما آتاه من نعمه ، وما أقاض عليه من كرمه ، فينفق صحته وماله في معصية ربه ، وكان الأجدر به أن ينظر إلى نفسه ، ويتأمل



في صورته وما وهبه الله من قوة في الجسم وحسن في الصورة ، فيشكر على ذلك بالتقوى ويتقرب بالطاعات ، وقيل المراد بعض الجنس وهم الكفار الذين اغتروا بفضل الله وكرمه عليهم ففسدوا وعبدوا غيره وحاربوا رسله ، وكان الواجب عليهم عبادته وطاعته ومساعدة رسله على نشر دعوتهم وتبليغ رسالتهم ، وقيل المراد أسيد بن خلف أو الوليد بن المغيرة أو أبي بن خلف .

١١ — قال تعالى في سورة البلد : « لقد خلقنا الإنسان في كبد ، الكبد : المكابدة . قيل المراد بالإنسان في هذه الآية الجنس كله ، فقد خلقه الله وجعله ملازماً للشدة والبأس والتعب ، وسلط عليه نفسه ، وأمره بمقاومتها ، وأرسل عليه المصائب في الدنيا يبتليه بها ، ثم بعد ذلك يقاسى أهوال الآخرة من الحساب والعقاب على ما اقترف من السيئات ، ولخوفه وهمه يوم القيامة أشد مما لاقى في حياته كلها . وقيل المراد بالإنسان كلدة بن أسيد .

١٢ — قال تعالى في سورة الفرقان : « ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً ، قيل المراد بالإنسان الجنس كله ، فإن الشيطان يغوى الإنسان ثم يخذله بعد أن يطيعه ويتبرأ منه . وقيل المراد بالإنسان الكافر لأنه أحب الإنسان إلى الشيطان ومع ذلك فهو يخذله ويتبرأ منه يوم القيامة ، ويقول كما حدث الله على لسانه « فلا تلوهمونى ولوموا أنفسكم » . وقيل المراد عقبة بن أبى معيط ، وكان قد أسلم فردده عن الإسلام أبى بن خلف ، وعلى ذلك فهو المراد بفلان في قوله تعالى « لم اتخذ فلاناً خليلاً » ، وعلى التفسيرين الأولين يكون المراد بفلان كل شخص يتخذ الكافر أو العاصى خليلاً يخضع له في مقارفة الكفر والمعصية .

١٣ — قال تعالى في سورة القيامة : « أيعسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه ، . قيل المراد بالإنسان الجنس كله لأن الإنسان يعظم عنده بحسب تفكيره الضيق جمع عظامه بعد بلاها ، وعودته حياً كما كان ، وقيل المراد عدى بن ربيعة الذى أنكر البعث وقال : أبعد أن أموت وأصير تراباً يعيدنى الله ويحاسبنى ؟ هذا حديث خرافة . وقيل المراد كل كافر ينكر البعث ، ولا يؤمن بقدرة الله على إعادة الخلق .

١٤ — قال تعالى في سورة يس : « أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الآيات .

قيل المراد بالإنسان في هذه الآيات العاص بن وائل أو أبي بن خلف الجمحي على الخلاف في ذلك ، روى أنه أنكر البعث واستعظمه على الله ، وزعم أن الإنسان بعد أن تبلى عظامه لا يحيى . وأخذ عظمها رميا ففتته أمام الرسول ﷺ وقال له : أترى يحيي الله هذا بعد ما بلى ورثم ؟ فقال له ﷺ : « نعم ويدخلك النار » .

وقد رد الله تعالى عليه في الآيات أبلغ رد فقال تعالى : « ونسي خلقه ، وقال : « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

ويجوز أن يراد بالإنسان الكفار الذين ينكرون البعث ويقولون : كيف يحيي الله الناس بعد موتهم .

وينبغي أن يلاحظ أن لفظ الإنسان إذا استعمل في الجنس كله فهو حقيقة ، وإذا استعمل في بعض الجنس فهو مجاز وتختلف علاقات المجاز باختلاف الاستعمال كما سبق بيانه في بعض الآيات .

طه الزينى

أستاذية في النحو والصرف

## حدائق الحيوان في الحضارة الاسلامية

العرب المسلمون أول من استحدث حدائق الحيوانات ، وكانوا يسمونها « حير الوحش » وقد أنشأ الخليفة المأمون واحدة من هذا النوع في عاصمة الخلافة ببغداد وجعلها متصلة بالميدان وقصر الثريا الذي بناه المعتضد على نهر عيسى ببغداد ، ثم جاء الخليفة المقتدر بالله فزاد في ذلك .

# لغويات

انظر في : أولا كتب النحو ، وثانيا كتب البلاغة .

شاع هذا الأسلوب في كتابة العصرين ، حتى من يتسم بالثقافة اللغوية . وفي إحدى المجلات اللغوية الجلية ما يأتي .

« قد يستعمل هذا الاصطلاح في مواطن السخرية للدلالة على :

أولا — الاهتلاس أو اختلاط الافكار

ثانياً — النظريات الفلسفية أو العلمية التي يظن أن فيها هاجساً أو غموضاً يحار فيه العقل ، والاهتلاس : ذهاب العقل ، والهلج : أن يخبر المرء بما لا يؤمن به .

والباحث اللغوي يرى في المثال المصدر به البحث بجالا للقول من ناحيتين .

الأولى مكان « كتب النحو ، من الإعراب . وظاهر الأمر أنها مجرورة بالحرف « في » . وهنا تتجه المؤاخذه : ذلك أن فيه الفصل بين الجار ومجروره ، وهذا من قبيح الفصل . ويقول ابن جني في الخصائص (١) : « والفصل بين الجار ومجروره لا يجوز . وهو أقيح منه بين المضاف والمضاف إليه . وربما فرد الحرف ، لجاء منفوراً عنه ؛ قال :

لو كنت في خلفاء أو رأس شاق وليس إلى منها النزول سبيل

فصل بين حرف الجر ومجروره بالظرف الذي هو ( منها ) ، وما جاء فيه الفصل بالظرف لضرورة الشعر قوله :

إن عمرا لا خير في اليوم عمرو إن عمراً مكثر الأحزان

وفي المثال احتمال أن يكون مجرور الحرف محذوفاً ، وتقدير الكلام : انظر فيما أعنيه أو أذكره ، مثلاً ، ويكون « كتب النحو » بدلاً من هذا المحذوف . وهذا وإن أنجانا من المحذور السابق لا ينبغي المصير إليه ، لأن فيه تعليق الحرف أى حذف معموله ، وهذا ممنوع عندهم .

والناحية الثانية مكان « كتب البلاغة » من الإعراب أيضا . وظاهر الحال أنه مجرور بالعطف على « كتب النحو » ، وهذا يرد عليه الفصل بين العاطف النائب عن الجار ، والمعطوف المجرور ، وهذا أيضا لا يجوز في النحو . ويقول أبو حيان في البحر <sup>(١)</sup> : « لا يجوز الفصل بالظرف أو المجرور بين حرف العطف ومعطوفه المجرور . لا يجوز : مررت بزيد اليوم وأمس عمرو . فإن جاء في شعر ، . وجاء قوله تعالى في الآية ٧١ من سورة هود : « وامراته قائمة فضحكك فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » ، فقرأ معظم القراء « يعقوب » بالرفع ، وقرأ ابن عامر وحمة وحفص بفتح باء « يعقوب » . وقد رأى بعضهم أن « يعقوب » في موضع جر بالعطف على « إسحق » . ورد هذا الوجه بأن فيه الفصل السابق . ويخرجه من لا يرضى هذا على أنه في موضع النصب بفعل يفهمه معنى الكلام ، وهو « وهبنا » مثلا . وذلك أن « بشرنا » في معنى وهبنا ، ومثل هذا من العطف على المعنى كثير في كلامهم . ويقول ابن جني <sup>(٢)</sup> : « والأحسن عندي في يعقوب من قوله - عز اسمه - : ( ومن وراء إسحق يعقوب ) فيمن فتح أن يكون في موضع نصب بفعل مضمّر دل عليه قوله : ( فبشرناها بإسحق ) أي وآتيناه يعقوب . فإذا فعلت ذلك لم يكن فيه فصل بين الجار والمجرور » .

وأعود إلى المثال الذي أوردته عن المجلة : ففيه : « ثانيا ، وهو معطوف على « أولا ، مع حذف العاطف . وهذا لا ينقاس » <sup>(٣)</sup> ؛ وإن ورد منه قليل . سمع بعضهم يقول : أكلت سمكا ، لحما ، تمرا . ويقول الشاعر :

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يزرع الود في فؤاد الكريم

ولأنما يريد : كيف أصبحت وكيف أمسيت ، أي إلقاء التحية في الصباح وفي المساء .

ويجرنا ما نحن فيه إلى مثال آخر يدنو منه . وهو :

أرجو صدور الأمر أولا : بإعادة فلان إلى عمله ، وثانيا : بإعطائه أجره .

وورد في صحيفة يومية ما يأتي : « ومن ثم يلتزم المدعى الأمر أولا بوقف القرار الصادر من الحاكم العسكري العام ... والقضاء بعد ذلك في موضوع القرار بإلغائه » .

وليس في هذا المثال شيء سوى تقديم الظرف على المجرور الذي هو في موضع المفعول به ، وهو أمر جائز في النحو ، وإن كان المستحسن تقديم المفعول به وما هو في معناه على الظرف . ويقول الصبان في آخر باب المفعول معه : « قال الفارسي : إذا اجتمعت المفاعيل قدم المفعول المطلق ، ثم المفعول به الذي تعدى إليه العامل بنفسه ، ثم الذي تعدى إليه بواسطة الحرف ، ثم المفعول فيه الزماني ثم المكاني ثم المفعول له ؛ كضربت ضرباً زيدا بسوط نهاراً هنا تأديباً وطلوع الشمس ا ه باختصار . والظاهر أن هذا الترتيب أولى لا واجب . »

\* \* \*

### النظارة : المرأة

تعرفت النظارة في عصرنا في الأداة الزجاجية التي توضع بإزاء العينين ، ويستعان بها في حسن البصر . ويطلق بعض الكتاب عليها المنظار ، يصوغ لها اسماً على حسد ما يعرف في اسم الآلة ؛ إذ كان الاسم الشائع ( النظارة ) لا يوافق ما صاغت عليه العرب لهذا المعنى . وصيغة الفعالة في وضعها الأصلي مؤنث الفعال لمن يكثّر منه الفعل . وقد أتى في اللغة هذا الوزن في بضع كلمات السكان . ومن ذلك الملاحاة لمنبت الملح ، والبقالة لمنبت البقل ، والزراعة للأرض التي تزدرع ، والزلافة لمكان الزلق . ولا ريب أن استعمال الفعالة في المكان من باب التوسع ، وإسناد ما للفاعل إلى المكان ؛ كما يقال : جرى النهر وإنما الجارى ماؤه . وهذا يفتح باب التوسع في هذه الصيغة لاستعمالها في الآلة ؛ فليس يبعد في النظر للغوى إطلاق الفعالة على أداة الفعل . وبهذا النظر يصح النظارة والكسارة ، وما شابههما . وقد فكرت حيناً في أمر هذه الأداة التي نأخذها عن الغربيين . فهل عرفها أسلافنا ، وبماذا كانوا يسمونها إذا كانوا عرفوها ؟

ولا ريب أن الأقدمين كانوا يعرفون بعض الأدوات والآلات التي تقرب المبصرات في الرؤية وعرف هذا فيما يرصد به النجوم . وهم يسمون الآلة التي تقرب لهم مرآة النجوم المرأة ، على اسم المرأة التي تنعكس فيها صور المرئيات . ويقابلها التلسكوب ، ويعبر عنه بعض العصرين بالمرقب . ولتخصيص هذه المرأة بالكواكب سموها مرآة المنجم . ويقول أبو العلاء المعري في إحدى لزمياته :

ومرأة المنجم وهي صغرى أرته كل عامرة وقفر  
وتراه في قوله « صغرى ، وقع فيما عيب على أبي نواس في قوله :

كأن « صغرى وكبرى من فقاها حصباء در على أرض من الذهب

فأما امرأة العينين فيبدو أنه يتصل بها النص الآتي في مفردات ابن البيطار في الكلام على السبج إذ يقول : « السبج : حجر يؤتى به من الهند . وهو أسود شديد السواد ، براق شديد البريق ، رخو ينكسر سريعاً ... نافع في الأحمال إذا وقع للعيون ، يمسك البصر ويقويه . إذا اتخذ امرأة نفع من ضعف البصر الحادث عن علة الكبر وعن علة حادثة ، وأزال الخيالات وبدو نزول الماء . »

وأصرح من هذا ما جاء في كتاب الإبريز ص ٢٥ في حديث المؤلف عن شيخه عبد العزيز الدباغ : « كانت للشيخ امرأة ينظر بها في السكتب قتلقت له . فجثته بمرآة أخرى من عند حبيبه وصديقه الحاج محمد الكواش ، فوجدها لا تليق . فقال : انظروا المرأة الأولى فإنها صافية ، لعلكم تجدونها . » ثم رفع السكتب الذي قثشناه والمرآة التي ليست بجيدة في أنفه . فسقطت من أنفه . فوضع السكتب فوجد المرأة الثالثة مطروحة فوق ظهره . فقال لولده عمر : قل لأمك : « الحمد لله ! قد رداقه على مرآتي . » ومؤلف الإبريز هو الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي . وقد ابتدأ وضع السكتب لتدوين كرامات شيخه في رجب سنة ١١٢٩ هـ ؛ كما ذكره هو في ص ٣ من السكتب .

\* \* \*

### الغير

المعروف أن غيراً لا يدخل عليه أل ، ويعد النحويون من الخطأ أن يقال : الغير . ويعلمون هذا بأنه يلزم الإضافة لفظاً أو تقديرأ ، فصار كـكل وبعض من الأسماء التي لا تدخل عليها الألف واللام . ويرى الباحث أن النحويين يعملون غيرأ من الأوصاف ، بدليل الوصف بها في قوله تعالى : « نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ، » وهنا يجد متفذاً للاعتراض عليهم في غير ؛ فإن الوصف قد يضاف وفيه أل كالضارب الرجل والحسن الوجه . ولهم أن يجيوا بأن غيرا ليس من الأوصاف الجارية على الفعل ، فليس على وزن المشتقات ، وإنما فيه معنى الوصف ، وقد يتجرد من هذا المعنى إذا جاء للاستثناء .

والمؤلفون يعطونها حكم الوصف السابق فيقرنون أل بها إذا أضيفت إلى ما فيه أل . وفي شرح السعد للنخيص في المقدمة : « وإنما قسم كلا من الفصاحة والبلاغة أولاً لتعذر جمع المعاني المختلفة الغير المشتركة في أمر يعمها في تعريف واحد ، ويقول المملو في شرحه للسمرقندية : « أى الاستعارة التصريحية الغير التخيلية ، فقال الأمير في كتابته عليه : « ( قوله الغير التخيلية ) جمع بين أل والإضافة لأن غيرا في معنى مغاير ، وهو وصف ، .

وجاء في كلام إمامنا الشافعى رضى الله عنه إدخال أل على غير دون إضافة ، فلم ير لها لزوم الإضافة . وذلك إذ يقول في الأم ج ٧ ص ٢٧٤ : « والغير الذى جهل لا دلالة عليه ببعض الذى علم ، . والشافعى يحتج به أئمة اللغة ، ويعرفون له فصاحته وقوة نفسه وصدق حسه العربى . وللإفاضة في هذا مجال آخر .

محمد على النجار

## العلم والعمل به

قال يحيى بن خالد لشريك :

علنا بما علمك الله يا أبا عبد الله .

فقال له شريك : إذا عملتم بما تعلمون ؛ علنا كم ما تجهلون .

أى انه لا فائدة للعلم بلا عمل ، بل هو حجة على أهله . وإن العمل بالعلم القليل ينميه ويجعله كثيراً ، فلا عبء بكثرة العلم إذ أن وإنما العبرة بأن تعمل بما تعلم . ويوشك أن يكون هذا معنى الحديث الشريف : « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ، .

# يارب!

هتاف المظلوم ، ونداء السجين ، وأنة المريض ، ودعاء الحائر ، ونفثة المسكروب ،  
وصيحة الغريق ، وصرخة المسكوبت : يارب !

\* \* \*

تغفو عيون الظالمين ، وتسكن مهودهم ، وتسبح بين جنات أحلامهم أرواحهم ، مختالة  
بين أفواف جاهها ، مياسة في بريق سلطانها . ووراء كل هذا عين يؤرقها الظلم ، ويحرق  
أهدابها حر الدمع ، وروح يطحنها العدوان ، فتتطاير ذراتها من بين رحاه غباراً يشق أجواز  
الفضاء ، ويخترق حجب السماء ، وتبله الانداء فيقلب عارضا واكفا تصطك ثورته .

فإذا الرعد الذى يجلجل فيصم دويه سمع الوجود ، يهز صداد طغيان العتاة ، ويزلزل  
هديره عروش الظالمين ، وتتجاوبه الأرض وما فوق الأرض والسماء وما بين السماء ،  
إنه هتاف المظلوم : يارب !

\* \* \*

ويسدل الليل ستاره فينام الوجود وكأن دنيا الناس تحولت إلى سجن رهيب ؛  
وبعد ساعات تنطلق هذه الدنيا الهاجعة من سجنها إلى حياة قد يكون في بعضها معاني الحياة ،  
إلا ذلك الذى تسميه اللغة سجننا ، وخليق بها أن تسميه قبرا ، لأن ظلمته ووحشته وقسوته  
تلف أشباه الموتى من ضاقت عقول البشر عن تهذيبهم وتربيتهم وإصلاحهم ، فأسلتهم إلى  
ما يشبه القبر ، فهم يسامون من دنياهم أكثر مما تسام البهائم من التعذيب والخسف ،  
وكلهم جراح تكاد تتفتق فتستشف فيها نداء الدمع ، ونداء الألم ، ونداء الندم ، ونداء التوبة ،  
ثم تختلط هذه الأصوات جميعا فتنبعث من القيود والاضلال وتخترق ظلمة السجن ، وأسوار  
السجن ، أو ظلمة القبر كما قلنا وأحناء القبر ، متمثلة في نداء واحد يحمل معاني ألمها وندمها  
ودمعها وإنابتها : يارب !

\* \* \*

ويقلب المريض على أشواك علته ، وحوله عيون تحمل نظراتها معاني البكاء والحسرة ،  
وكل عين ترى فيه المعنى الذى تبكيه ، وهو يدور بعين تلمع فيها عبرة ، وتعتثر وراءها نظرة



فيها معنى المرض ومعنى الشكوى ومعنى التوجع من دائه الذى أعيا جسمه وطيبه معا ، وكأنما يقرأ فى عيون من حوله كلمة اليأس وما وراها فيتلوى ، وتفتتح شفتاه عن أنه مريضة تحمل إلى رب السماء رجاء الرحمة ورجاء العافية فتجاوبها الأنفاس الحزينة ، وتلتقى مع أنه ضارعة إلى الله تقول : يارب !

\* \* \*

ويتخبط السارى فى مهامه الحيرة وتصطرع أفكاره مع أفكاره ، فلا يكاد يرى فيما حزه رأيا حتى تضيق به نفسه ، فيفزع إلى جانب آخر من جوانب فكره يتلبس فيه راحتته ونجاءه ، فلا يرى غير الآوهام المترافضة الساخرة فيعرك كفه وفكره حتى يدمى كفه وفكره ، فإذا ما استغلقت أمام أفكاره السبل شخص يبصره إلى السماء ، وإذا دمه وأعصابه ومشاعره بل إذا هو كله دعوة مستنجدة تسأل الخلاص مما هو فيه والنجاء مما يعانيه : تصعد إلى السماء تدق أبوابها ، ويحس كأنما دنياء كلها تدعو : يارب !

\* \* \*

وتزاحم الكرب على النفس المؤمنة فتعني كل كربة ما تطيق من قوة وهول ، وما تدخر من بأس وسلاح ، وتتلاقى كلها على تلك النفس ترمى وتفتن فى الرى ، وتقذف وتمن فى القذف ، لتحطم صبرها أو تخدش قدرها ، وتظل الشدائد تناوى ما وسعتها المناوأة ، وتجالد ما شاء لها الجلال ، والنفس المؤمنة صابرة على القضاء ، مستبسلة أمام البلاء ، لا تشكو بل لا تناجى النفس بالشكوى ، وإنما كل ما تبديه إذا ماتوا ثبت عليها التنازل ، وزحفت النوائب ، وتجنى الزمان ، نفثة يذشق عنها الصدر تحمل معاني الغوث والعون لا من الأرض ولا من خلق من الأرض . لا . لأنها منطلقة إلى السماء تنادى : يارب !

ويشوى الجوع نفس البائس المحروم فتجف أمعاؤه أو تكاد ، ويدب الجفاف فى جسده فتذهب حيويته ويترامى كأنما هو ظل من ظلال الفقر ، أو رفات تحمل سطرأ من تاريخ عاد فيه معنى البلى ، وإن كانت صورته تحمل فى نفسها معاني الحرمان ، وتحمل من زمنها معاني الظلم والقسوة والشح ، ويزيد فى ألم النفس المحرومة منظر صغارها الجياع وقد خطت الحياة السوداء على وجوههم تجاعيد تمكن فيها الفاقة والعوز .

وما أشد آلامهم حينما يرون دموع أبيهم تخضل بها لحيته المرتعشة ، فتتجمع معاني البؤس والحرمان ، وعجز الأبوة المحطمة عن الإنقاذ ، ثم يستجمعون جميعاً بقايا أنفاسهم ،

ويتزعون من دمهم البقية الباقية من الحرارة ، وهى كل ما يملكون ، ليرسلوا زفراتهم إلى السماء تشكو شح الإنسان على الإنسان ، وحياتهم كلها ليلاً ونهارها رمضان ، وكأنما زفراتهم تقول : من لنا إلاك يارب !

\* \* \*

وتحوم حول الغريق أهوال الموت ، وتمتد برائته في تلك الأمواج العاتية ، فيدور بعينه يرقب من وراء الآفاق المطبقة أملاً ، فلا يرى إلا زرقة السماء ، وزرقة الماء ، وزرقة الموت ، ويذكر الحياة ومن له في الحياة ، فيرسل صيحة اليأس قوية تفرع حيطان البحر ، وتشل أمواجه ، وتخرس هديره ، فيردد البحر وما في جوف البحر تلك الصيحة : يارب !

\* \* \*

ويكتم المستعمرون أو عملاء المستعمرين أنفاس المستضعفين أو المفككين ، ويضيقون على أعناقهم الأغلال حتى تكاد تجحظ عيونهم . وفي هذه السكينة الخائفة تزوغ الأبصار ، وتحار البصائر ، ويؤمن المسكبوت بعجز أبناء الطين عن نصرته ، فيتلمس مدد السماء ، ويسبح بتفكيره في قدرة ربه وجبروته وسلطانه ، ثم يصرخ صرخة تكاد تدك صروح الباغين ، وتحطم تيجان الجبابرة ، وتقوض عروش الظلمة ، إنها صرخة المسكبوت : يارب !

\* \* \*

يارب ! إن الشرق كله تجتاحه رياح الظلم وليس له في محنته إلاك يارب ... وهو يحج بين أسوار الانانية الطاغية والاثرة العاتية ينادى : يارب ... وهو صريع التفرق والاختلاف يلوذ برحمتك ، ويفزع إلى كنفك يارب ... وهو يتخبط في حيرة تضل في متاهاتها الظنون ، يبسط أكف الضراعة يارب ... وهو غريق في لجج من زرق الهموم يصيح : يارب ...

وهو مكبوت كتمت أنفاسه قذائف المستعمرين وعملاء المستعمرين حتى لا يصرخ يارب... يارب ! إن الشرق الإسلامى أرضه وجباله ووديانه وسماؤه وكل ما فيه يسألك أن تخلق فيه عالماً إسلامياً جديداً يحدد به شباب عالمه الإسلامى الأول ، فتملأه الرحمة والإخاء والإيثار ونكران الذات والتفانى في الواجب ومعرفة كل إنسان قدر نفسه ، فهل أنت مجيب دعاءه يارب ؟

محمد خليفة

المدرس في الأزهر

# الحملة الانجليزية على مصر

عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م)

قرأت في عدد شعبان الماضي من مجلة الأزهر مقالا بعنوان « الشعب المصرى يطرد الإنجليز » ، للأستاذ أحمد عز الدين خلف الله ، قال فيه : إن إنجلترا فكرت في احتلال مصر سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وكانت تهدف إلى عدة أغراض : منها إضعاف تركيا ، والقضاء على المطامع الاستعمارية الفرنسية ، وضمان سلام إمبراطوريتها في الهند بالسيطرة على أهم مركز حربى فى الشرق الأدنى .

ولكن لهذه الحملة قصة أخرى ، ولم يكن الغرض منها احتلال مصر ، ولنبدأ القصة من بدايتها .

كان الموقف الدولى فى أوروبا يتلخص فى قيام نضال بين إنجلترا وبين نابليون بونابرت ، وكونت إنجلترا حلفاء يضم معها النمسا والروسيا والسويد عام ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) لمحاربة نابليون ، الذى تمكن من هزيمة النمسا وإجبارها على الخروج من هذا الحلف . ولم تكن تركيا فى هذا التحالف ، وإن كانت فى التحالف السابق عليه ، وحين رأت تركيا انتصار نابليون انحازت إلى جانبه بإكرام سفيره ، وإرسال مندوب عنها ، سفيراً فوق العادة ، إلى باريس ، وبالإجمال بدأت تجامل فرنسا بحاملة أحفظت عليها إنجلترا .

وكان الصدر الأعظم هو صاحب هذه السياسة ، على غير إرادة السلطان الذى كان يضمم الود للإنجليز ، فأرسل سفير إنجلترا فى الأستانة إلى حكومته بطلب إرسال أسطول إلى القسطنطينية يساعد السلطان على مقاومة وزرائه . وفى نفس الوقت كانت روسيا قد أعلنت الحرب على تركيا ، فأرسلت إنجلترا أسطولا ، وتعميمات إلى سفيرها : منها طلب طرد سفير فرنسا من تركيا ، وتجديد التحالف مع إنجلترا ، وتنفيذ التزاماتها فيما يختص بحاكمى الدانوب ورومانيا ، وحرية المرور فى المضائق .

فإن رفضت تركيا هذه الطلبات تقطع العلاقات السياسية ، وتبدأ الأعمال العدوانية ،  
و حين بدتها ، يرسل قائد الاسطول البريطانى إلى قائد أسطول البحر الابيض بإرسال حملة  
لاحتلال الاسكندرية .

وقد قدم السفير البريطانى طلباته إلى تركيا وتشدد معها في قبولها ، فصمم الصدر الأعظم  
على منع اتصال السفير بالاسطول الانجليزى ، ففر السفير والجاليسة الانجليزية إلى خارج  
الدردنيل . وقبل أن يتمكن من مقابلة قائد الاسطول ، كان هذا قد أرسل إلى قائد أسطول  
البحر الابيض فى غرة ذى الحجة عام ١٢٢١ ( ٩ فبراير سنة ١٨٠٧ ) بإرسال قوة لاحتلال  
الاسكندرية حتى لا تقع فى أيدي الفرنسيين .

ولم تكن مدينة الاسكندرية جزءا من ولاية مصر ، وإنما كانت مستقلة عنها وتبع  
تركيا مباشرة .

وجاءت الحملة الانجليزية من صقلية وقوامها ستة آلاف جندى خصب ، وهو عدد  
- بالبداية - لا يكتفى لاحتلال المدينة وحدها ، بله مصر كلها . ووصلت الحملة إلى الاسكندرية  
فى ٤ المحرم ١٢٢٢ ( ١٤ مارس سنة ١٨٠٧ ) واحتلتها نتيجة خيانة محافظها أمين أغا ، .

ولما علم زعماء الشعب [ مشايخ الأزهر ] فى القاهرة بمجيء الحملة دعوا الشعب إلى  
التطوع لصد الانجليز .

ولن أذكر التفاصيل ، فإن الاستاذ أحمد عز الدين قد أفاض فى ذكرها .

كان القنصل الانجليزى فى مصر هو ميسيت Misset وكان من رأيه أن تستولى الحملة على  
مصر كلها ، ولكن تعاليم فريزر كانت الاستيلاء على الاسكندرية خصب . وحرص ميسيت  
فريزر على فتح رشيد بحجة ضرورتها لنموين الجيش بالاسكندرية ، فأرسل هذا حملته الأولى  
على رشيد .

ولما شعر ميسيت بفشله لجأ إلى الحيلة ، فجمع وفداً من الاجانب المقيمين بالاسكندرية  
وقابلوا فريزر وشكوا من قرب حدوث المجاعة إن لم تفتح رشيد ، فأرسل فريزر - للضرورة  
الحربية ونتيجة مساعى ميسيت - حملته الثانية إلى رشيد التى هزمت فى الحاد .

ولما علمت إنجلترا بالهزيمتين اللتين حملتا بحملتها في رشيد والحداد، وحاجة فريزر إلى مدد من الجند لفتح رشيد، كان عليها أن ترسل هذا المدد من جزيرة صقلية، ولكن عدد الجنود بها كان قليلا، وكان على الانجليز أن يختاروا بين إخلاء صقلية وبين إخلاء الاسكندرية.

وقررت إنجلترا سحب حملتها من الاسكندرية، إذ لم يكن غرضها أصلا احتلال مصر، كما أن قيام الحملة ذاتها كان نتيجة أوامر بفيت على سوء تفاهم كما رأينا. وقد عزز رأى إنجلترا في سحب حملتها من الاسكندرية عقد معاهدة تلسيت Tilsit بين نابليون وروسيا ضد تركيا، فتخلت تركيا عن فرنسا، وأصبح لزاما عليها محالفة إنجلترا، فبدأت المفاوضات بين تركيا وإنجلترا، وقبل أن تنتهى هذه المفاوضات كانت الاسكندرية قد أخليت من الانجليز.

والذى استفاد من هذه الحملة هو محمد علي، فإن الاسكندرية كانت تحت حكم العثمانيين مباشرة، ولكن فريزر حين أراد إخلاء الاسكندرية لم يجد أمامه غير محمد علي لمفاوضته، وبعد جلاء الانجليز احتل محمد علي الاسكندرية وجابه تركيا بالأمر الواقع، وأصبحت منذ رجب سنة ١٢٢٢ (سبتمبر سنة ١٨٠٧) تحت إدارته.

هذه هي ظروف حملة إنجلترا على مصر سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م)، ونرى منها أن إنجلترا لم تهدف بها إلى احتلال مصر، فإن هذه الفكرة لم تكن قد طرأت عندها بعد، كما أن انشغال إنجلترا بحروب نابليون في أوروبا في ذلك الوقت لم يكن يتيح الفرصة لإنجلترا لتقوم بمثل هذه المغامرة غير المحمودة العواقب، والتي لم ينجح فيها نابليون رغم عبقريته العسكرية. كما أن سياسة إنجلترا إذ ذاك كانت قائمة على الإبقاء على الإمبراطورية العثمانية حتى لا تتمكن روسيا من الوصول إلى البحر المتوسط من ناحية، ولسكى تنفادى وقوع الخلاف بين الدول الكبرى على تقسيم التركة، من ناحية أخرى. ومن هنا لم يكن معقولا أن تبدأ إنجلترا بمناقضة سياستها، وبمثل هذه الحملة القليلة العدد والعدة.

ومحمد علي نهال للفرص، يعرف كيف يستخدمها لصالحه، وقد رأى كيف ضم الاسكندرية إلى حكمه، كما نعرف قصة ولايته على مصر على أكشاف الشعب، ولكنه تنسك لهذا الشعب نفسه بعد ذلك.

وقصة تنسكه للشعب وزعماء الشعب جديرة بأن تروى.

كان محمد علي في أول حكمه يرجع إلى العلماء يشاورهم في الأمر وبخاصة فرض الإتاوات والضرائب ، وكان الشعب يلتجئ إلى العلماء لتخفيض الإتاوات ، فيقبل محمد علي وساطتهم ، فسكان العلماء - وهم زعماء الشعب إذ ذاك - كانوا في الواقع ملجأ الشاكين وملأ المظلومين وكانوا يراقبون أعمال محمد علي ، إذ يوقنون أنهم هم المسئولون عن توليته ، ومن ثم فهم المسئولون عن أعماله .

ومن هنا رأى محمد علي ضرورة التخلص من رقابتهم ، ولم يستطع ذلك طالما بقوا صفا واحدا ، ولكنه حين آنس فيهم الفرقة والانقسام انقض عليهم فأطاح بزعيمهم وأخرس الباقين . أعفى محمد علي المشايخ والعلماء من الإتاوات في مبدأ الأمر استمالة لهم ، ثم أبطل هذا الإعفاء في شعبان سنة ١٢٢٢ ( أكتوبر سنة ١٨٠٧ ) وبعد جلاء الانجليز عن الإسكندرية ثم ساءت الحالة الاقتصادية في البلاد لسكثرة الضرائب وانخفاض النيل في سنة ١٢٢٣ ( ١٨٠٨ ) فارتفعت الأسعار واشتد الغلاء . والتجأ الشعب إلى زعمائه لينقذوه من هذا البلاء . وخطب العلماء ( محمد علي ) ، فلم يستمع إليهم ، ثم فرض محمد علي « الميري » [ الضرائب الأميرية على الأتليان ] على « الرزق » [ الأراضي للمملوكة أو الموقوفة وقفاً أهلياً أو خيرياً ] وعلى « الأوسية » [ الأراضي التي يستثمرها الملتزم لحسابه الخاص ] ، وكانت هذه الأراضي معفاة من قبل من الضرائب .

كما قرر محمد علي فحص حبيج أتيان الرزق والاستيلاء على الرزق التي لا حبيج لها ، وقرر أيضاً أن يدفع الملتزمون نصف الفائض للحكومة ، وكانت هذه القرارات جميعاً مدعاة لاستياء الملاك ونظار الأوقاف والمستحقين والملتزمين فالتجأوا إلى المشايخ ، واتفق العلماء على رفع احتجاج إلى محمد علي عن تلك المحدثات الجديدة وغيرها مما أحدثته الحكومة كضريبة النعثة على المنسوجات والمصوغات ، على أن يتمتعوا عن مقابلة محمد علي حتى يلغى تلك المستحدثات . واستطاع محمد علي أن يستميل بعض العلماء إلى جانبه ، ففرق بذلك صفوف زعماء الشعب بعد أن حاول استمالة السيد عمر مكرم بالمال فلم يستطع ، وأخيراً لما انصدع الاتحاد وانقسم العلماء عزل محمد علي السيد عمر مكرم من نقابة الأشراف ونفاه إلى دمياط في رجب سنة ١٢٢٤ ( أغسطس سنة ١٨٠٩ ) ، ثم لم يعياً محمد علي برأى العلماء بعد ذلك إطلاقاً ، وهكذا تخلص من رقابتهم ومن نفوذهم وانفرد بالحكم دونهم ، ولم يبق أمامه من عقبات إلا الممالك ، وقد تخلص منهم كما هو معروف ؟

عمر طلعت زهران

أستاذ في الآداب

## غزوة أحد

- ٢ -

رجعت كفة الداعين للخروج للقاء قريش خارج المدينة .

وكان اليوم يوم الجمعة ، فصلى عليه الصلاة والسلام بالمسلمين ، ثم وعظهم وحثهم على الجِد والاجتهاد ، وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا ، وأمرهم بالنهوض لعدوهم . ثم صلى العصر وقصد إلى بيته ومعه أبو بكر وعمر ، فعماء والبساء درعه وتقلد سيفه .

وكان الناس في هذه الفترة خارج البيت في جدل وتقاش ، وقد ندم الذين دعوا إلى الخروج وقالوا : « استسكر هنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك » .

فلما خرج عليهم النبي قالوا : « يا رسول الله استسكر هناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك » .

فقال : « ما ينبغي لني إذا لبس لاميته » أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما أمركم به فاتبعوه ، والنصر لكم ما صبرتم » .

وهكذا برهن الرسول الكريم على أن احترام المشورة أمر واجب ، وأنه ما دام الرأي قد استقر على شيء فقد لزم السير عليه ووجب اتباعه .

### خروج المسلمين :

اجتمع مع الرسول من المسلمين ١٠٠٠ رجل ، بينهم ١٠٠ من لابسى الدروع . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه .

وقسم ( عليه الصلاة والسلام ) جيشه إلى ثلاثة ألوية :

- \* لواء الأوس : بيد أسيد بن حضير .
- \* الخزرج : الحباب بن المنذر .
- \* المهاجرين : على بن أبي طالب .

وهكذا يبدو لنا أنه عليه الصلاة والسلام راعى - بما أوتي من حكمة وبعد نظر - مسألة التجانس والانسجام ، فلم يشأ أن يخلط القبائل التي تحارب معه بعضها ببعض ، بل فصل بينها وجعل لكل قيادتها المنفصلة ، وتجمعهم جميعا كلمة واحدة هي كلمته صلوات الله وسلامه عليه . وفي هذا العصر نرى شبه ذلك ، فإن كثيرا من الاجناس المتباينة تحارب جميعا في سبيل غرض واحد ، وقد روعى أن يجمع كل متجانس على حدة ، ويخضع الجميع للقيادة العامة ، ضمنا لحسن التفاهم وتيسير المعاملة .

وفي أواخر الحرب العالمية الثانية مثلا كانت القيادة العامة لقوات الحلفاء مركزة في يد قائد أعلى هو الجنرال أيزنهاور ، وكانت جيوش الحلفاء مختلفة الاجناس : فكان فيها الأمريكى والانجليزى والفرنسى والسكندى والنيوزيلندى . الخ . وكان كل جيش من هذه الجيوش يحفظا بطابعه المتجانس ، ولكنها جميعا كانت تخضع لأوامر القائد الأعلى وتنفذ خطاه .

#### انخزال المنافقين :

تقدم رسول الله ﷺ بالمسلمين متجها إلى أحد ، حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة من الناس وقال : « أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا هنا أيها الناس » .

وكان عبد الله هذا ممن رأوا البقاء في المدينة ، ولذلك خرج مع المسلمين مرغما ، ولكنه ضعف أمام تأثير حلفائه عليه بترك المسلمين وشأنهم . وهكذا بقى النبي ﷺ ومعه المؤمنون حقا وعدتهم سبعمائة ، ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشى من أهل مكة ، كلهم موتور من يوم بدر ، وكلهم على ثأره حريص ، وعلى الدماء ملهوف .

ورغم هذا النقص العددي الذي أصاب المسلمين فإنهم تابعوا سيرهم وتقدموا مع الصبح حتى بلغوا أحدا فاجتازوا مسالكه ثم عسكروا فكان ظهرهم إليه .

وقال الرسول للمسلمين : « لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال » .

وكانت قريش قد أطلقت خيلها وإبلها ترعى في زروع بنى قيلة ( وهم الأوس والخزرج ) فقاط ذلك رجلا من الأبرار فقال : « أترعى زروع بنى قيلة ولما نضارب !! » ،



ولا يفوتنا هذا الأمر الذى صدر من قائد جيش المسلمين وهو لا يقاتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال ، . قبل أن نبين ما فيه من حكمة عسكرية باللغة الالهية .

فإن المسلمين قد جاءوا من المدينة وحطوا رحالهم بجانب أحد ، فهل يندفعون فوراً للقتال مع قوم سبقهم إلى هذا المكان ، وأعدوا عدتهم للقائم ؟ لا ، إن عبقرية الرسول قضت بأن يجرى - قبل القتال - استطلاع لأحوال العدو من حيث قوته ، وكيف رتبها للقتال ، ومن حيث خطته التى وضعها ، وما قد تحمل من عوالم المفاجأة والخذاع ، وأن يجرى استطلاع لأرض المعركة يشمل دراسة دقيقة لطبيعتها وما فيها من جبال وسهول ، حتى يمكن معرفة الأرض المناسبة للقتال ، ومعرفة مواطن الخطر فى هياتها .

وهذا هو ما تقتضى به تعاليم الحرب الحديثة من أنه يجب أن يجرى استطلاع قبل الدخول فى المعركة .

ولندرس الآن ماذا قصد الرسول من هذا الاستطلاع ، وماذا كانت النتيجة :

١ - نظر محمد ﷺ إلى قريش فوجد أنها قد اصطفت وجعلت على ميمنة خيلهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية . وعندئذ بدأ الرسول بتنظيم جيشه لمقاومة عدوه ، فقال للزبير بن العوام : « استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه » . وكذلك أمر جماعة آخرين أن يكونوا بإزاء خيل أخرى للبشرىكين .

٢ - نظر النبي ﷺ إلى أرض المعركة وإلى جبل أحد فوجد فى الجبل ممراً جعل المسلمين ظهرهم له نفشى أن يتسلل المشركون منه .

لجمع خمسين من الرماة وأقامهم على الممر وقال لهم : « احموا لنا ظهورنا ، فإننا نخاف أن يمحيتونا من ورائنا . والزموا مكانكم لا تبرحوا منه » .

وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا تقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، وإنما عايكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل . وعين عبد الله بن جبير بن النعمان قائداً لهم .

تلك كانت نتيجة الاستطلاع الذى قام به الرسول قبل الدخول فى المعركة وهو ما كان يعنيه حين قال : « لا يقاتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال » .

ولندرس الآن ما فى التعليمات التى أصدرها الرسول بعد الاستطلاع من فنون عسكرية :

أولاً: أهمية دراسة شخصية قادة العدو :

من الأهمية بمكان في الحرب الحديثة أن يدرس القائد شخصية القائد أو القادة الذين يواجهونه . وهذه الدراسة تشمل الحصول التي يتحلون بها ، وطريقتهم في القتال وفي وضع الخطط ، والنظريات العسكرية التي يؤمنون بها ، والعادات التي يتبعونها في مختلف أدوار المعركة .

هذه الدراسة لازمة جداً للقائد الذي يريد أن يتغلب على خصمه ، لأنها سترشده إلى الطريقة المثلى للتغلب عليه .

ورسولنا الكريم نظر فوجد خالد بن الوليد على ميمنة الخيل ، وهو يعرف خالدًا جيداً ويعرف أنه فارس ومقاتل من طراز فريد ، فأراد أن يكون قبالة من المسلمين من يستطيع أن يقف أمامه وقفة الند للند ، فاختار الزبير وقال له : « استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه » .

ثانياً: حماية ظهر الجيش :

إن الظهر أضعف نقطة في كل جيش دائماً ، وتقضى مسؤولية القائد عن سلامة جيشه أن يحمي ظهره ، فالنبي الكريم فطن إلى ذلك فلم يترك ذلك الممر الخطير في جبل أحد الذي يؤدي لظهر المسلمين دون أن يتخذ له سبيل الحيلة ودرء الخطر .

ولقد كانت تعليماته للخمسين رجلاً من الرماة الماهرة الذين جعلهم على هذا الممر آية من آيات العبقرية العسكرية التي تدل على الدراية الدقيقة للتكتيك الحربي .

١ — تعيين « الرماة الماهرة » عند الممر :

لقد كان الأمر حقاً يحتاج لمهارة الرماة حتى يمكن إحصابة كل من يفكر في عبور المضيق ، وإذا لم تكن نسبة الإصابة ١٠٠ ٪/ فسيسهل للعدو العبور غير مكترث بالإصابات المضطربة . ولذلك فإن المهارة في الرمي هي الصفة التي يجب أن يكون لها المقام الأول عند اختيار من يكلفون بمثل هذا الواجب .

ولا يفطن لهذا الأمر إلا الخبير المحرب في الفن العسكري .

ولذلك كان تعيين النبي ﷺ لمهارة الرماة لهذا الواجب عملاً غاية في البراعة العسكرية .

## ٢ — التشديد على هؤلاء الرماة بالبقاء في مكانهم :

إن في قوله ﷺ « والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ... الخ » . وتأكيده عليهم بعدم مغادرته بالمرة سواء هزم المسلمون أو انتصروا ، حكمة عسكرية بالغة هي ضمان الخذر الكافي ، وأخذ الحيلة كاملة ضد المفاجأة . فهذا المضيق يؤدي إلى ظهر المسلمين ، وهو لهذا بالغ الخطر عليهم ، فإذا لاحظ العدو أنه مفتوح ليس عليه من يذب عنه فهو لا بد واجد في ذلك من الفرصة الطيبة ما يمكنه من التسلسل فيه ومفاجأة المسلمين وطعنهم في أضعف مكان في كل جيش « الظهر » .

وقد تكون خطة قريش أن ترسل جيشاً يتظاهر بالهزيمة أمام المسلمين ، حتى إذا أغرى هذا المنظر الرماة القائمين على المعركة وتركوا أما كنهم اخترقت خيلهم المعركة ، وهناك تكون الطامة الكبرى . وهذا هو الذي دعا الرسول إلى التشديد في تعليماته على رجاله ألا يغادروا أما كنهم بأي حال من الأحوال .

## ٣ — الدربة الثامة بطبيعة الخيل وفنون قتالها :

فإن قول رسولنا صلوات الله عليه : « وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل » . يدل على إحاطته بطرق القتال بشتى نواحيها ، وهو هنا يدكر لرجاله أن السهام هي الوسيلة الفعالة لقتال الخيل حيث إنها لا تقدم عليها . وإن القائد الخبير حقا هو الذي يعرف لكل سلاح من أسلحة عدوه الوسيلة الناجحة للوقوف أمامه أو القضاء عليه ، وفي هذا ضمان للنصر وتوفير للوقت والجهد اللذين يضيعان في تجربة الكثير من وسائل المقاومة أو التدمير غير المجدية .

هذا وإذا نظرنا إلى تعليمات الرسول ﷺ بوجه عام وجدناها مثلا كاملا لمراعاة مبدأ الأمن والسلامة الذي يتخذه القائد لوقاية جيشه وهذا المبدأ هو : « كل قائد مسئول عن وقاية قوته » .

وفي التاريخ أمثلة كثيرة لجيوش دارت عليها الدائرة لعدم مراعاة هذا المبدأ الهام .

محمد جمال الدين محفوظ  
صاغ أركان الحرب

# تعليقاً

- ١ -

## الدعاة إلى الدين

من المألوف لنا وللناس أن نرى بعض حملات طائشة ، توجه إلى الدين من لا يراعون حرمة ، ولا يتأثرون بأدابه . ولقد أصبحت هذه الحملات غير مجدية لأربابها ، لما هو معروف من الأسباب الباطلة التي تدفع إليها ، بل أصبحت تنال من سمعتهم ، وتكشف عن خباياهم أكثر مما تنال من قداسة الدين في قلوب المطمئنين ، أو تخدش من جلاله في نفوس العارفين المخلصين .

ولكن الذى لم نكن نتوقعه هو أن يظهر بيننا فريق من عرفوا بالدعوة إلى الله ، ونصبوا أنفسهم للذود عن شريعة الله ، ثم نراهم يسلكون سبلا قد تشكك الناس في دينهم ، وتنال من ثقتهم في أولى العلم الراشدين الذين قيضهم الله للحفاظ على معالم الشريعة .

كنا من قبل نغبط أولئك الدعاة على ما يتكلفون من جهد في سبيل غايتهم التي يتجهون إليها ، غير أنه تبين لنا من مواقفهم أن في الأمر ما يقف بنا عن الإنصات إليهم ، لوجودنا بعضهم تشغله نفسه ، ويشغله حب الشهرة عن توخي الصواب فيما يهتف به من أسلوب دعوته .

عرضت لنا مناسبة جمعتنا مع آخرين ببعض أولئك الدعاة ، وسمعنا في هذا الاجتماع وسمع غيرنا شيئاً يتعلق بدعوة أولئك الدعاة وسيلهم التي ينتهجونها في دعوتهم . وقد كنا نود أن يقصر هذا الاجتماع على الغاية الأدبية التي اقتضته ، وألا يثار فيه ما يعتبر انتهازا للفرصة ، لمفاجأة السامعين بما لم يكن متوقعا .

ولو كان ما سمعناه صواباً في ذاته لشكرنا هذه الفرصة ، وحمدناها لمن تفضلوا بدعوتنا إليها ، فأما وقد سمعنا ما لا يعتبر علماً ولا سياسة ولا شيئاً آخر أكثر من أنه شطط

في الغرور ، وإسراف في حمل الناس على التحلل من متابعة الآئمة السالفين ، والتجروء على أولى العلم ، فذلك ما يثير الأسف لدينا ولدى كل محافظ على حياته الديني .

إذ ليس مما يعهده الناس ، ولا ينبغي أن يقال ، أن يجهر زعيم دعوة بقوله : ( يجب أن نأخذ شريعة الله من ألفاظ القرآن وألفاظ الحديث دون الرجوع إلى واحد من علماء التفسير ولا من شراح الحديث كأمثال ابن حجر أو خلافة ) .

وليس مما يعهده الناس ، ولا ينبغي أن يقال ، أن يجهر زعيم دعوة فيقول : ( إذا صعب عليكم فهم آية أو حديث فلا ترجعوا إلى السكتب ، وليفح أحدكم نظره إلى السماء وليقل : يا معلم إبراهيم علمني ، فإن الله سيعلمه ثم يقول عن نفسه : ( أنا أعلم كذلك ، والله يعلمني كل شيء ، فإن شئتم أن تسألوني عن الجيولوجيا فاسألوني أجيبكم ) .

وطبعاً لم يسأله أحد عن الجيولوجيا ولا غيرها ، لأن الجميع قد عراهم التحلل من كلام كهذا ياقى عليهم ، ولأن الجميع آمنوا إيماناً صادقاً بأن صاحبنا مسرف جداً فيما يتخيله في نفسه فيما يدفع إليه عوام الناس من تعرف الدين وأحكامه من القرآن والسنة ، أو هو مأخوذ في كلامه بشيء من رهبة الموقف ، فاندفع إلى قوله غير شاعر بما يتحدث به . وإلا فهل في الناس من يصدق أن جميعنا بما فينا من متعلم وغير متعلم ، وسوقة وغير سوقة ، وبما فينا من نساء مطالبات بمعرفة الدين وأحكامه ، هل في الناس من يصدق كلاماً كهذا ، ويزعم أن معرفة الدين ميسورة للجميع من ألفاظ القرآن والسنة ، أو من رفع البصر إلى السماء ، والنداء بيا معلم إبراهيم علمني ١١٤

ذلك خاطر مفاجيء تغلب على قائله ، فجرى على لسانه ما هو أشبه بالهذيان ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الناس من فجر الإسلام إلى يومنا هذا إلى معلم ولا إلى كتاب ولا إلى دور للتعليم ، وكان يكفهم أن يقولوا يا معلم إبراهيم . . . الخ .

وإذا ألغينا عقولنا وتابعنا زعيم الدعوة فيما هتف به ، فلتذهب جهود العلماء من صدر الإسلام إلى يومنا هذا ، وليذهب كذلك ما أثر عن الصحابة من تبادلهم المسألة الواحدة ليتعرفوا حكمها ، وما يراد فيها من نصوص القرآن أو السنة ، لينذهب كل ذلك هباءً وليذهب قبل هذا قول الله تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ، ولنحتفظ بشيء فقط هو ما نأخذه عن زعيم هذه الدعوة ، وأن نعمل مثل ما يعمل فنقول : يا معلم إبراهيم ،

وحيفئذ نصبح مثله أهل الذكر في كل شيء حتى في الجيولوجيا ، إلا إذا كان صاحبنا أنيراً  
على الله بهذه الخصوصية دون عباد الله أجمعين .

ولنا أن نسأله أخيراً : إذا تخيلنا عن سالف العلماء ، فمن أين نعرف سنة الرسول ،  
إذ أن الثقة فيهم وفيما توارثوه من فهم ونقل لم تصبح ذات بال عندنا ، ولا وسيلة للعلم .  
اللهم ارزقنا الأدب ، وعلمنا ما جهلنا ، وارزقنا الحياء في الدين ، وجنبنا الشطط في الرأى .

( المجلة )

— ٢ —

### أبو هريرة رضى الله عنه

أراد محرر في مجلة روز اليوسف أن يضرب المثل للذين يرون الصلاة وراء فلان أقوم ،  
والأكل على مائدة فلان أدم ، والبعد عن الحرب أسلم ، فالتمس المثل لذلك من التاريخ ،  
وأخطأه التوفيق في تسمية شخصية ما كان ينبغي لمسلم على وجه الأرض أن يكون عليه بها  
نايياً ومخجلاً إلى الحد الذى رأيناه في الفقرة التى عنوانها « أبو هريرة » .

لقد كان موقف أبي هريرة رضى الله عنه من الفتنة الكبرى على أمير المؤمنين ذى النورين  
كموقف الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وسائر الصحابة . وفي تاريخ  
أبى جعفر الطبرى ( ١ : ٣٠١٥ طبعة أوربا ) أن البغاة لما أحرقوا باب دار الخلافة وعثمان  
في الصلاة وأرادوا الهجوم ، أقبل أبو هريرة وقال للدفاعيين عنه : « أنا أسوتكم . هذا يوم  
طاب الضرب » . ولكن أمير المؤمنين عثمان أمرهم - بما له عليهم من الولاية - بالكف  
عن الدفاع عنه ليقى المسلمين بنفسه غوائل الفتنة وعواقبها ، ولولا ذلك لسارع أبو هريرة  
والحسن والحسين وجميع المهاجرين والانصار لافتدائه بدمائهم . وما منعهم من  
ذلك إلا أنه عزم عليهم ألا يفعلوا ، وكانت طاعته واجبة عليهم ، لأنه خليفة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فيهم . أما موقف أبي هريرة من حرب الجمل وأحرب صفين فإن تاريخ  
الطبرى - وهو أحفل كتبنا القديمة باستيفاء تاريخ صدر الإسلام - لا توجد فيه كلمة واحدة  
تدل على وجود أبي هريرة في هاتين الحربين .

إن العناية الإلهية هي التي أعدت هذا الصحابي الجليل رضى الله عنه لملازمة مجلس رسول الله ﷺ في فترات الدهر التي كان فيها أكثر المهاجرين يكدحون بالتجارة في أسواق المدينة لرزق أولادهم ، وأكثر الانصار في زراعتهم وبساتينهم ، موطنين نفوسهم على الاستعداد للتضحية بدمائهم وأولادهم وأموالهم كلما هتف بهم داعي الدفاع عن دعوة الحق ، إذا فوجئت ببغى الباطل عليها ، فكان أبو هريرة أكثرهم ملازمة لخاتم رسل الله ، وقد رزقه الله أقوى حافظة عرفت في الناس ، لحفظ الإنسانية من تشريعات آخر رسالات الله ما لا تستطيع الإنسانية أن تسكفنه عليه من فضل وإحسان .

ولو أن أبا هريرة كان من أصحاب موسى أو المسيح ، وحفظ لأمى موسى والمسيح ما حفظه لامة محمد من نصوص شريعتها ، لآلف علماء أوروبا وأمريكا ألوف المجلدات في تخليد فضل هذه الشخصية العظيمة . أما صحافتنا والمتخرجون في مدارسنا فمهرتهم بمفاخر سلفهم بلغت بهم إلى درجة التندر بالعطاء بما نخجل منه أمام المستشرقين فضلاً عن أعلام المسلمين ، وإلى الله المشتكى من مناهج تطوح بحملة الاقلام منا إلى هذا المنحدر .

( المجلة )

— ٣ —

### مجلة طائفية من بغداد

حمل إلينا البريد من بغداد مجلة طائفية أنيقة الطباعة ، يحررها المشكك في إيمان صاحبي رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر ، وقد اختص الأزهر ومجلته بأكثر صفحات عددها الأول ، فلم يدع ناحية من نواحي الحديث عن الأزهر إلا تحدث عنها بخلاف الواقع ، كزعمه في صفحة ٧٤ أن الأزهر أخذ ينصرف عن فقه أئمة السنة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلى فقه الشيعة ، معبرا عن ذلك بقوله : « ظهرت باكورة الإصلاح المنشود في الأزهر بعدم التقيد بفسكرة تقليد آراء الرجال البالية ، ونجد اليوم فقه أهل البيت ( كذا ١ ) المستمد من الوحي الإلهي ( كذا ١ ) يبحث عنه في الأزهر الشريف » .

وقد بلغه أن نفرأ من الطلبة اتخذوا من التمثيل الأدبي وسيلة من وسائل الثقافة ، فنلوا رواية « خالد بن الوليد » ، ورواية « وطنية عراقية » ، فوصف ذلك في صفحة ٦٨ من تلك المجلة بقوله : « لقد أخذ الأزهر في إحياء الفنون الجميلة ، وباحبذا لو كان ذلك قاصراً على

غير ما يشعر بالغضاضة في الأزهر . وما يدرينا فقد تهادى هذه الحالة الزرية بالأزهر الوضاء فيفتح أبواب التمثيل للأوانس والغانيات فيلجن هذا الوطيس من اختلاط الرجال بالنساء وتمثيل الادوار المثيرة للعواطف .

إن هاتين الصورتين عن الأزهر توحيان إلى قراء تلك المجلة المساكين عكس الحقيقة والواقع ، وهذا لا يضير الأزهر بقدر ما يضير قراء تلك المجلة بحملهم على الاعتقاد الخاطي في الأمور التي تعرضها مجلتهم عليهم . وإذا كان مراد منشى تلك المجلة الطائفية من التعرض للأزهر ومجلته وقلم تحريرها بهذه الطرق الملتوية أن يحملنا على مساجلتها ومناقشتها فيما ينحرف به عن الحق ليسكون له ومجلته ظهور بين الناس بما تتحدث به مجلة الأزهر عنهما ، فليعلم أن لمجلة الأزهر رسالة أسى من ذلك وأنبى ، وهى تربأ بنفسها وبقرائها عن الانزلاق في هذا الخطأ ، وهذا آخر ما يصدر عن هذه المجلة في هذا الموضوع ، ما لم نجد باطلا في الدين وكيداً للإسلام فنسكتفي بدفعه وتنبيه قرائنا إليه بالتي هى أحسن كدأبنا في مثل ذلك من قبل ومن بعد والله يتولى الصالحين .

( المجلة )

سبق للمجلة أن رغبت إلى حضرات أساتذة الرسم بالمعاهد الدينية ، في إدخال بعض تعديلات تكميلية على الشكل الذى يتوج به غلاف المجلة ، وقد تكرم أكثرهم فبعثوا إلينا بما راق لهم من رسومات متعددة .

والمجلة لا يسعها إلا أن تشكر لحضراتهم تفضلهم بتلبية رغبتها ، وتقدر لهم ما بذلوا من عناية في إبراز فكرتهم ، على النحو الذى ارتآه كل منهم .

وهى إذ تعرف لهم ذلك الفضل ترى من عرفان الجليل أن تخص بالشكر الأستاذ صلاح فؤاد المدرس بمعهد الزقازيق فقد وفق لتحقيق الرغبة على أقرب الوجوه المتمشية مع رغبة المجلة .

لذلك وقع الاختيار على الرسم المقدم من حضرته ، وهو الذى ظهرت به المجلة في عددها الحالى - عدد رمضان - وفى ذلك ما يسرنا ويسر إخوانه لأجله ، ونرجو للجميع حسن الجزاء ؟

( المجلة )



## رَبِّهِ الطَّلَبَةُ

# مَقْطَعَات

- ١ -

## حاجة العالم إلى الاسلام

كانت البعثة المحمدية نقطة تحول في التاريخ الإنساني ، فغيرت المبادئ ، وبدلت النظم ، ومضت بالناس إلى طريق مستقيم .

كانت رسالة إنسانية ربانية عالمية ترفض العنصرية ، وتقضى على العصبية ، وتجعل التفاضل بين الناس بالتقوى .

إن حامل أكمل رسالات الله ، جاء يدعو الإنسانية كلها إلى الرشد ، ويريد صلاح المجتمع البشرى أجمع ، فكان فيمن استجاب له مع العرب الحبشى والرومى والفارسى ، ولولا أن عناصر خبيثة عادت الإسلام في القديم والحديث ، لأنها رأت فيه قضاء على مطامعها ومنافعها التى لا تعيش إلا في ظلال من الباطل والبغى ، لتبينت أن سنن الإسلام هى دستور الإنسانية ومصباحها الذى يؤدى بها إلى أهداف السعادة .

واليوم وقد استبدت بالناس مشاكل الحياة المعقدة ، وتخطوا في مضطرب الأغراض ، وفقدوا الأسس التى تقوم عليها الحياة الصحيحة ، فإن لزماً على قادة التوجيه الإسلامى الذين ثبتوا على العهد والوعد أن يبدؤوا بأوطانهم الإسلامية ، وأن يعملوا جاهدين على إرساء قواعد الإسلام فيها ، وأن يعالجوها بالإسلام من جميع نواحيها ، فيحرروها من غاصبها ، ويحلوا مشاكلها الاقتصادية المعقدة ، ويحققوا العدالة الاجتماعية الإسلامية ، ويشرحوا للمسلمين حقيقة الإسلام ، إلى أن يرى العالم أجمع كيف يعالج الإسلام المشاكل ويحل العقد .

مصطفى عبد الواحد إبراهيم

معهد القاهرة الدينى

## - ٢ -

## الخيالة في مصر

للخيالة — كما يجب أن تكون — رسالة سامية وأثر كريم ، فهي تؤثر في النفوس ، وتهز القلوب بأسلوبها الواقعي ، وإخراجها الفني الجذاب ، حين تعالج المعضلات الاجتماعية وتحل مشاكل الاسر ، وهي إذ تقوم بذلك فإنما تقوم بأعظم خدمات تقدمها للمجتمع .

هذه رسالة السينما كما يجب أن تكون ، ولكنها اليوم وخصوصاً في مصر ليست في شيء من هذا كله . إن الخيالة في مصر لا تقوم بتأدية رسالتها التي خلقت لها ووجدت من أجلها ، فهي بدلا من أن تأخذ بأيدي الجماهير للنهوض بهم إلى السعادة والفضيلة ، تراها تتمالق هؤلاء الجماهير وتسائر أهواءهم ، بل أستطيع أن أقول في جرأة وصراحة : إن الخيالة في مصر تهدف إلى تقويض أركان بناء الأمة ، وتحويلها عن محاسن الإسلام وفضائله بل هي معول يهدم الأخلاق ، وداء يفتك بالمجتمع .

لئن أنتم ، أنتم السينما بأنهم تفسد الخلق والضمير ، وتشيع الفساد في المجتمع والدولة أنتم الخيالة في وضعها الحالي بأنهم تدفع الناشئين والناشئات إلى الانحدار في مهادن الرذيلة وتحمل هذا الشباب الناهض الوثاب على الانحراف عن طريق الله . أنتم السينما بأنهم تدفعنا إلى الانزلاق تحت ستار المدنية المزيفة . وكم كان يتم لهذا الوطن من خير بسبب السينما لو أنها ترفعت عن الإسفاف مع أهواء الجهال من النساء والرجال ، وعادت إلى رسالتها النبيلة كما كان يجب أن تكون .

يا ولاية الامر ، إذا أردتم للسينما البقاء وللوطن السعادة والخير ، فطهروا هذه الاداة من الموبقات والآثام ، طهروا من الادوار المماجنة ، طهروا من الرقص الخليع ، وأدوار التمثيل الماسجن الذي يشيع الفساد والانحطاط في المجتمع .

وأخيراً يا ولاية الامر ، طهروا السينما من الاختلاط الفاحش بالسافر ، ومن كل شيء يهدف إلى تقويض كيانات الإسلامى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

محمد عبد اللطيف الزقناوى

بمعهد الزقازيق الثانوى

- ٣ -

## حسرة

كنت ماراً بإحدى دور السينما وقت خروج المتفرجين ، فوجدت أشكالا وألوانا من الناس ، فتصورت هذا المنظر في ذهني كأنه يوم البعث .

اتنابتنى حسرة أليمة ، وحز في نفسي أن أشاهد هذا العدد الضخم وهو خارج من سينما واحدة ، فما بالك بالخارجين من سائر دور السينما . وقارنت بين هذا العدد الضخم ، وعدد الذين يلجأون إلى بيوت الله ليشكروا الله على نعمه وفضله ، فوجدت الفرق شاسعاً والحال خطيراً جداً : إذ عدد الذين يلجأون إلى بيوت الله لا يتجاوز واحداً من مائة من عدد المترددين على دور السينما .

هذه ظاهرة خطيرة إن دلت على شيء فإنما تدل على جحود الناس ونكرانهم لفضل ربهم ، والحال لم يتغير سواء بالأمس والهاضِر والجديد .

لقد مات أو أوشك أن يموت الوازع الديني ، وأن تغنى القيم الأخلاقية في القوم البشرية إذ ابتعدوا عن مواكب الفضيلة ، وإذا استمرت الحال على هذا فعلى الإنسانية السلام فاسأل نفسك لماذا استخلف الله البشر في الأرض ؟؟ فإنك حتماً واجد الجواب في قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . وعبادة الله طاعته فيما أَرَادَهُ للإنسانية من استقامة وتخلق بالفضائل ونوحي مرضاة الله في الخير .

إن صلاح المجتمع بصلاح الفرد . فإذا فسد الفرد فسد المجتمع وانهار ، وكل مجتمع غير مؤسس على أساس سليم قوى مجتمع منهار آيل إلى الاندثار . إذن يجب أن تسكور ثورتنا على هذا الفساد المنفشي في كل مكان بحشد الجهود وحث الناس على الفضيلة وتجنب الرذيلة . لنعمل الاذاعة على حشد جهودها على بعث الشعب بشأً جديداً ، وأن نشعرنا بأن هناك ثورة على الفساد حيثما كان ، وعلى الدولة أن تمنع المجلات الاباحية التي تصدر تحت ستار الفن الفاسد المفسد ، فإن كان هذا فماً ولا يكون الفن بغير هذه المناظر المؤذية ، فنحن في غنى عنه وعن أهله ، والله يرى منهم . فإننا الآن نحاكم الفساد الصادر من الكبراء في الماضي ، فالواجب علينا أن نحشد الجهود للقضاء على هذا الفساد المنفشي بين الطبقات إلى أن نرى شعباً مؤمناً بربه يلجأ إليه ويخشاه .

محمد محيي الدين المسيري

بليسانس الحقوق - جامعة الاسكندرية

# الفتاوى

- ١ -

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلي :

ما حكم صاحب المطعم الذى يفتح محله فى نهار رمضان ويقدم الأكل طيلة اليوم لجميع من يردون على محله ؟ هل هذا حرام أم حلال ؟ وإذا كان حراماً فلماذا ؟ وإذا كان حلالاً فلماذا وما الدليل . مع العلم بأن فتح المطعم بدون نداء ، لا بالإشارة ولا بالأقوال إلا لحالة الضرورة ، للتعيش لصاحب المطعم والعمال .

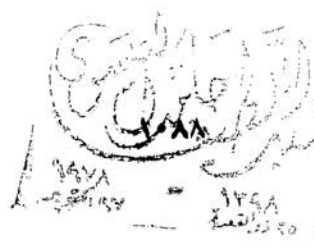
## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن فتح المطاعم أو المشارب ( المقاهى ) فى نهار رمضان لتقديم الطعام أو الشراب لمن يريده من فرض عليهم الصوم إعانة على المعصية ورضا بها ، وكلاهما معصية يحرم فعلها . وما يتذرع به أرباب المطاعم المادية من أن هذا نوع من التجارة والبيع وأن الله أحل البيع وحرم الربا ، إنما هو من تزوين الشيطان واتباع الهوى وتحريف السلم عن مواضعه ، لأن الله تعالى وإن كان أحل البيع قد حرمه فى كثير من المواطن كهذا المواطن . والله أعلم ؟

- ٢ -

ما حكم الاستحمام فى البحر أو الحمامات الخاصة فى شهر رمضان .



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه لا نزاع بين العلماء في أن اغتسال الصائم ولو للتبرد لا يفطر وإن وجد أثر البرودة في جوفه . إنما النزاع بينهم في كراهة ذلك للصائم إذا كان الغرض منه التبرد ، فذهب أبو حنيفة إلى كراهته لما فيه من إظهار الضجر من العبادة .

وذهب أبو يوسف من أصحاب أبي حنيفة إلى عدم كراهة ذلك وهو الاظهر ، وبه يفتى في مذهب الحنفية ، وهو أيضا قول الأئمة الثلاثة : مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وذلك لما رواه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : حدثني من رأى النبي ﷺ في يوم صائف يصب على رأسه الماء من شدة الحر والعطش وهو صائم . قال النووي في المجموع : وهو حديث صحيح رواه مالك في الموطأ وأحمد بن حنبل في مسنده وأبو داود والنسائي في سننه والحاكم في المستدرک والبيهقي وغيرهم بأسانيد صحيحة ، وإسناد مالك وأبي داود والنسائي على شرط البخاري ومسلم . اهـ .

ولأن في الاغتسال عند شدة الحر والعطش عونا على العبادة ودفع الضجر الطبيعي . وهذا هو الذي تختاره اللجنة للفتوى لقوة دليلة ومثانة حجته .

بقي ما إذا دخل الماء في جوفه غلبة بلا تعمد ؛ أيكون ذلك مفطرا له أم لا . فذهب بعض العلماء ومنهم الإمامان أبو حنيفة ومالك إلى أن ذلك مفطر . وذهبت طائفة من علماء السلف والخلف إلى أنه غير مفطر وهو المشهور في مذهب الإمام أحمد بن حنبل . وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته ( في حقيقة الصيام وما يفطر الصائم ) واختاره أيضا تلميذه ابن القيم في أعلام الموقعين ، وقد ساقا من الأدلة على ما اختارا ما يؤيده . وهو ما تختاره اللجنة للفتوى غير أنها ترى أنه ينبغي للاغتسال أن يعمل ما في وسعه للاحتراز عن سبق الماء إلى جوفه خروجا من الخلاف واطمئنانا على صومه . والله أعلم ؟

خلعت ضرسى في نهار رمضان وقد أعطاني الدكتور حقنة تحت الضرس ، وبعد خلعه وضع بعض الادوية مثل صبغة اليود . ورغم الحذر الشديد لمنع هذه الادوية وكذا الدم

المتسبب من خلع الضرس من تسربها إلى الجوف فقد شعرت بأن بعضها وصل إلى الجوف بواسطة الريق . فهل الحقنة مفطرة ؟ . وهل وصول الدواء والدم إلى الجوف على الوجه المذكور مفطر . علماً بأن وصول الدواء إلى الجوف مشكوك فيه . أما الدم فقطوع بوصوله إلى الجوف ؟ وهل يجب القضاء .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة :

أولاً : بأن الحقنة تحت الضرس لا تفطر الصائم لعدم وصول شيء منها إلى الجوف من المنافذ المعتادة .

وثانياً : أنه إذا كان الدم قد وصل إلى جوف الصائم على الوجه المشروح في السؤال بأن سبقه إلى الجوف ولم يستطع رده فإنه لا يفطر أيضاً ؛ وذلك كما إذا وصل الماء إلى الجوف بدون قصد في الوضوء أو الاغتسال . وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد ، وسبق للجنة اختياره في حالة أخرى .

وثالثاً : بأن الصائم لا يعد مفطراً إذا شك في وصول الدواء إلى الجوف لعدم تحقق الوصول ، وعلى فرض تحقق وصوله فهو نظير الدم الواصل إلى الجوف قهراً فيعطى حكمه السابق . والله أعلم ؟

- ٤ -

إنى رجل مزارع أقوم بالعمل بزراعتى من طلوع الشمس إلى غروبها من سقى بالشادوف ، وتسميد بالأمدة البلدية وإحضارها من الجبل من مسافة عشرة كيلو مترات

وأواجه الشمس طول النهار ، مع ملاحظة القيظ الشديد بمديرية أسوان . فهل يبيح لي الشرع الشريف مع هذا العمل الشاق الإفطار أم لا .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد بأن نصوص الفقهاء تنص بإباحة الفطر لضرورة حفظ مال أو نفس ، كما إذا خاف الزارع تلف الزرع إذا لم يتعاهده بالسقي والتسميد بالنهار . أما إذا كان لا يخشى تلفاً له بتأخير العمل إلى الليل وكان يمكنه العمل بالليل ، أو بتأخير العمل إلى ما بعد شهر رمضان لم يبيح له الفطر لعدم وجود ما يبيح الفطر حينئذ . وكذلك يباح الفطر للمحترف إذا كان مضطراً إلى العمل في حرهته بالنهار لتحصيل قوته وقوت عياله ، وكان يخشى على نفسه الهلاك أو حصول مرض بالصوم أو حصول ضعف له يضعفه عن العمل المحصل لقوته وقوت عياله ، وإذا أفطر في حالة من هذه الحالات التي يباح له فيها الفطر كان حكمه حكم المريض والمسافر في وجوب القضاء في أيام آخر والله أعلم .

\* \* \*

— ٥ —

وجاء إلى فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف ما يلي :

رجل قام ببناء برج للحمام ، واتخذ فيه عدداً قليلاً من الحمام ، فجمع هذا الحمام من الحمام الغريب عدداً كبيراً لا نعلم له صاحباً ولا مكاناً - وكان الرجل يعلم يقيناً في حال إنشاء البرج أن حمامه سيجمع معه حماماً غريباً - فهل في اتخاذ البرج مع هذا العلم حرمة ؟ ومع ذلك لو ظهر صاحب الحمام الطارىء على حمام البرج يسلم إليه ؟ مع ملاحظة أن الحمام الطارىء غير حمام بلادنا المعروف فيها .

نرجو الجواب ، ولفضيلتكم من الله الثواب .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد - فنفيد بأن المنصوص عليه في مذهب الحنفية أن الإنسان إذا نصب شبكة فوقع فيها صيد أو نصب فسطاطا للصيد فوقع فيه صيد ، ملك ما وقع فيهما فكذلك إذا اتخذ برجاً للحمام البرى يأوى إليه ، فشكل ما دخل فيه منه وما أفرخه فيه ملك له ، له أكله وبيعه وهبته - إلا أنه ينبغي أن يعلمه ولا يتركه بغير علف حتى لا يتضرر به الناس في أقواتهم ، وإلا كره اتخاذها . فإذا اختلط به حمام أهلى لغيره وأوى إلى البرج لا ينبغي أن يحبس فيه ، لأنه ربما يطير فيعود إلى محله الاصلى ، وإن حبسه يطلب صاحبه ليرده إليه ، لأنه كاللقطة - فإذا لم يحبس وفرخ عنده فالفرخ ملك له ، إن كانت الانثى ملسكه ، والغريب هو الذكر ، وملك لغيره إن كان الامر بالعكس ، فإن عرفه رده إليه مع الام ، وإن لم يعرفه فإن كان فقيراً جاز له أكله ، وإن كان غنياً تصدق به ثم اشتراه إن شاء .

وكذلك الحكم لو كان كل من الذكر والانثى غريباً ، لأن ولد الحيوان يتبع أمه فالبيض والفراخ لصاحب الام ( راجع التتوير وحاشيته أول كتاب الصيد وآخر كتاب اللقطة والفتاوى الهندية وحاشية أبى السعود على ملا مسكين في كتاب اللقطة ) .

ومن هذا يعلم أن اتخاذ أبراج الحمام جائز شرعاً ، وأن الحمام البرى الذى يأوى إليه وأفراخه حلال لصاحب البرج ، وأن الحمام الاهلى الذى يختلط بحمام البرج ويدخل معه فيه لا يملكه صاحب البرج ، ويلزمه رده لأصحابه إذا عرفهم ، وحكمه حكم اللقطة . وأما فراخه فتتبع الام فى الحكم على ما أسلفنا - والله تعالى أعلم ؟

مسئله محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية السابق



# الكتب

سنن ابن ماجه

بتحقيق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي

جزءان في ١٥٦٧ صفحة كبيرة — مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

كتاب السنن لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني الربعي (٢٠٩ — ٢٧٣) ديوان عظيم من دواوين السنة المحمدية، وقد سبق طبعه غير مرة: من ذلك مطبوعتا دهلي<sup>(١)</sup> عاصمة الهند قبل أكثر من مائة سنة (في سنة ١٢٦٣) وقبل خمسين سنة (١٣٢٣) ومطبوعتا مصر سنة ١٣١٣ و ١٣٤٩. وأما هذه الطبعة الجديدة التي تحملنا على أن نقول عنها: الآن طبعت سنن ابن ماجه، فهي مضبوطة بالشكل السكامل، وإن ضبط أسماء الرواة ومتون الأحاديث بالشكل السكامل يحتاج إلى عناية ومراجعة وثبت، ولا يعرف قيمة ذلك إلا من يعانيه. ثم هي تمتاز بترقيم الأحاديث — كما فعل في موطأ الامام مالك — وفقاً للإحالات التي ألزمها مؤلف كتاب مفتاح كنوز السنة والقائمون الآن في هولندا على إصدار المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي بمساعدة بعض الهيئات العلمية والثقافية ومنها اليونيسكو. فترقيم أحاديث سنن ابن ماجه على وفق هذين المعجمين سيسر الانتفاع بهما في الرجوع إلى كنوز هذه السنن وذخايرها.

ومما امتازت به هذه الطبعة المفهرس الأبجدي الذي ألحقه بها الاستاذ فؤاد عبد الباقي لاوائل جميع الأحاديث القولية وسماه (مفتاح السنن)، وكان قد فعل مثل ذلك في الموطأ.

(١) هذا هو الاسم الصحيح لعاصمة الهند وهكذا يكتبه علماء الهند، والنسبة إليه (دهلوي) والدهلويون من اعلام الاسلام وعلمائه كثيرون ومة الحمد وفي طليعتهم الشيخ عبد الحق الدهلوي [٩٥٨ — ١٠٥٢] والامام شاه ولي الله الدهلوي [١١١٤ — ١١٧٦] وأولاده وتلاميذه المجاهدون المنقطعون لدعوة الاسلام. أما الذين يكتبون [دهلي] برسم [دهلي] فهم مقلدون للانجليز وهو خطأ كما لو أراد مقلدو الانجليز أن يكتبوا اسم [الاسكندرية] برسم [الاسكندريا] وقد أردنا أن ننبه إلى ذلك ليرجع عن هذا الخطأ من لا يجب الخطأ.

وأهم من كل ذلك تنبيهه على درجة الأحاديث من الصحة أو الضعف . فإن عدد أحاديث سنن ابن ماجه على ما أحصاه محققها بالترقيم ٤٣٤١ حديثاً ، منها ٣٠٠٢ أخرجهما أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم ، وباقي الأحاديث وهي ١٣٣٩ هي الزوائد على ما جاء في الكتب الخمسة ، وهذه الزوائد منها ٤٢٨ رجالها ثقات صحيحة الاسناد ، و ١٩٩ حديثاً حسنة الاسناد ، و ٦١٣ أحاديث ضعيفة الاسناد و ٩٩ حديثاً فقط واهية الاسناد أو منكرة أو موضوعة ، قال محقق الكتاب : « وإن كتابا يجمع بين دفتيه ٣٠٠٢ حديثاً يرويها أصحاب الكتب الخمسة في كتبهم ، ثم يحى ابن ماجه يرويها كلها من طرق غير طرقهم ، وكل الطرق يؤيد بعضها بعضاً ، مما يعطى للأحاديث قوة فوق قوتها . ثم يضيف إلى عددها ٤٢٨ حديثاً صحيحة الاسناد ورجالها ثقات ، و ١٩٩ حديثاً حسنة الاسناد — هو كتاب له قيمته لو اقتصر على هذه المزية فقط . زد على ذلك تفسيره غريب الحديث بما يغنى عن مراجعة مثل النهاية لابن الأثير والفاائق للزحشرى . بل أهم من ذلك عندنا تثبته من ألفاظ متون الأحاديث فلم يثبت كلمة واحدة منها إلا بعد المراجعة عنها في مظانها من الكتب الموثوق بها ولو أن كتب المراجع الإسلامية كلها تطبع بهذه العناية لكان ذلك سبيلاً لنهضة علمية إسلامية محمودة الأثر إن شاء الله .

## أمين الأمة أبو عبيدة

الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى — ١٢٩ صفحة — مطبعة الاعتصام بالقاهرة  
أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى — أحد بنى فهر بن مالك بن النضر —  
علم من أعلام الإنسانية ، وطود من أطواد الحق ، وقدوة لشباب المسلمين ورجالهم  
في أخلاقه وسجاياه وجميع تصرفاته . وقد بلغ من وفائه للحق أن نجح النجاح الأكمل يوم  
تعارض الحق مع أخص خصوصيات الإنسان وهو بنوته لآبيه وأبوة أبيه له ، فدخل  
الامتحان في معركة بدر ، ووجد نفسه مع الحق في جانب وأباه في جانب يعارضه ، لجعل  
يحذر لقاء أبيه في المعركة وينأى عنه بعيداً ما استطاع ، وفاء منه لحق الأبوة ، ولكن لما لم  
يجد من لقاء أبيه بدأ كان الحق عنده فوق كل اعتبار في الوجود ، وكانت منية أبيه بسيف  
أبي عبيدة ، لإخلاصه منه لله عز وجل ، وهذه أعلى مراتب الإيمان في تاريخ الإنسانية ،  
وفيه نزل قول الله سبحانه في سورة المجادلة « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون  
من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب

في قلوبهم الإيمان وأبدى روح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ، ، ولمثل هذا التفجاف المتواصل في الامتحان الذى تعرض له أبو عبيدة في حياة رسول الله ﷺ شهد له الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى بأنه ، أمين هذه الامة .

إن هذه الشخصية التى تفخر بها العروبة ، ويعتز بها الإسلام ، وتعد في الذروة العليا من أعلام الإنسانية ، قد وفاها فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى بعض ما لها من حق بكتابة هذه الرسالة الوجيزة الجامعة ، مستعرضاً مراحل حياة ولى الله ورسوله أبى عبيدة عامر ابن الجراح إلى أن لقي الله في ميادين جهاده وفتوحه المجيدة في آفاق الشام ، وبذلك يتيسر لكل أخ مسلم ولكل فتى مسلم ولكل مؤمن لا تشوب لإيمانه في قلبه شائبة من الغل الإلحادى الذمى للمؤمنين الأولين — أن يحدد معارفه عن أمين الامة المحمدية ليتخذ من سيرته السنية قدوة له وأسوة في الحياة . وما أشد حاجتنا إلى أن نحب هذا الرعيل الأول من المسلمين ، لنكون إن شاء الله في قافلتهم يوم الدين .

## الأشعرى أبو الحسن

للدكتور حموده غرابية — ٢٠٤ صفحات — مطبعة الرسالة بالقاهرة

أبو الحسن الأشعرى ( ٢٦٠ — ٣٣٤ ) في طليعة عظماء المسلمين وعلمائهم الذين آن لنا أن ندرس حياتهم ونستعرض أعمالهم كما لو كنا معاصرين لهم وملزمين لصحبتهم ، بل إن حياة أبى الحسن الأشعرى حقل خصيب لدراسة التطور الفكرى في أعلام المسلمين ، لانه نشأ على الاعتزال وتبلذ فيه على الجبائى ( ٢٣٥ — ٣٠٧ ) حتى كاد يتسم ذروة الإمامة فيه ، ثم أيقظ الله بصيرته وهو في منتصف عمره وبداية نضجه ( سنة ٣٠٤ ) فرقى كرسياً في المسجد الجامع بالبصرة ونادى بأعلى صوته : من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى : أنا على بن إسماعيل الأشعرى ، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الابصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعالها . وأنا الآن نائب عن ذلك مقلع ، متصد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائهم ومعاييرهم . . ومضى في هذا الطور الثانى نشيطاً يؤلف وينظر ويلقى الدروس وهو في حالة وسطى بين ما عليه المعتزلة من التصرف والتأويل وما عليه رجال الحديث وأتباع سلف الامة من الصحابة والتابعين والائمة المتبوعين في إثبات صفات الله عز وجل كما وصف الله بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ مع التقيد بأن الله ليس كمثل شئ . وفي هذه

الحقبة كتب أبو الحسن الأشعري أكثر مؤلفاته الحافلة والصغيرة التي قيل إنها ناهزت ثلاثمائة كتاب ورسالة ومقالة ، ولا يبعد أن يكون بعضها مما ألفه وهو في الاعتزال ، غير أن أكثرها من محصول نشاطه بعد تطوره الأول ، وفي كلا الطورين كان أميناً صادقاً في كل ما يعزوه إلى غيره من خصومه وأوليائه ، وفي هذا الطور الوسط نقل عنه الناس ما سموه بمذهب الأشعرية ، ثم إن العلماء يكادون يكونون متفقين على نسبة كتاب ( الإبانة ) له وأنه إن لم يكن آخر ما استقر عليه اعتقاده فهو بلا شك من آخر ما ألفه وجنح إليه . وكتاب الإبانة يدور على مذهب السلف محضاً . ولو شاء إنسان أن ينسب كل شيء فيه إلى الإمام أحمد وأضرابه من يلتزم مذهب السلف كل الالتزام لما كان مخطئاً . وعلى هذا فللأشعري في اعتقاده ثلاثة أطوار : طور الاعتزال إلى ما بعد الثلاثين من عمره ، وطور ما نسميه الآن بالأشعرية ولعله استمر عليه عشرين سنة أو نحو ربع قرن وألف فيه أكثر الكتب التي عرفت عنه وتناقل الناس عنها آراءه واحتجاجاته . ثم الطور الثالث الذي أراد أن يلقى الله عليه وهو ما كان يعتقده الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان من إمرار صفات الله كما وردت واعتقاد صحتها بلا تأويل ولا تعطيل مع التقيد بأن الله ليس كشيء . وكتاب الإبانة من أوله إلى آخره حافل بهذه العقيدة مناضل عن صحتها وأنها هي التي تليق بالمسلم ولا يليق به غيرها ، وأنه يحب أن يلقى الله عليها ليكون مسلماً على مذهب أهل السابقة من المسلمين الأولين .

إن حياة الأشعري يجب أن تدرس بحسب هذا التطور لتنتهي دراستها بما انتهت به حياة هذا الإمام وما استقر عليه ، وبذلك يتبين لنا أن الأشعري شيء والأشعرية شيء آخر . وكما أن الأشعري لا يجوز أن يعتبر معتزلياً بحجة أنه آمن بالاعتزال واحتج له ودافع عنه نصف عمره ، كذلك ما نعرفه الآن عن الأشعرية ليس من الإنصاف أن يتاقى على أنه هو الذي أراد الأشعري في آخر حياته أن يلقى الله عليه ، لأن ما أراد أن يلقى الله عليه هو ما في الإبانة ، والذي في الإبانة هو الذي كان عليه الأئمة الأولون وآخرهم الإمام أحمد ومن اهتدى بهديه .

وكتاب الدكتور حموده غرابه المدرس بكلية أصول الدين كتاب نفيس متعوب عليه ، وقد اطلع مؤلفه عند تأليفه على كثير من المراجع الإسلامية والأوربية ، لكنه التزم طريقة المستشرقين في البحث والافتراض والنقاش ، وغالفهم في كثير مما جنحوا إليه ،

وذبح عن الأشعرى في كثير من المواقف . ونرى أنه لوالفتت إلى الطور الأخير من أطوار الأشعرى بقدر ما تستحقه هذه الدراسة النفيسة من عناية لا تنهى إلى ما انتهت إليه من أن الأشعرى كما أراد لنفسه في أنضج سنوات حياته هو الذى يستطيع كل قارى أن يعرفه من كتابه ( الإبانة ) وهى نهاية مشرفة للأشعرى يتمناها لنفسه كل مسلم يرى أن الإسلام هو ما كان عليه الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان .

### الفيلسوف المسلم « رينيه جينو »

تأليف الدكتور عبد الحليم محمود - ١٢٠ ص - مطبعة لجنة البيان العربى

عرفنا المسيو رينيه جينو قبل بضع وعشرين سنة عند صدور مجلة المعرفة المصرية ، فقد زارنا صاحبها ليبلغنا عتبه على فضيلة الاستاذ السيد محمد الخضر حسين فيما أورده في إحدى مقالاته من المآخذ على الصوفية ، فقلنا لصاحب مجلة المعرفة إن فضيلة السيد محمد الخضر معتدل وقيس كل ما يتصل بالشرع بمقاييس الشرع ، وقد أكون أنا أشد منه فيما جئت تشكوه . وفي تلك الجلسة سمعت من صاحب مجلة المعرفة اسم رينيه جينو وأنه أسلم وتسمى باسم عبد الواحد يحيى وأنه ساهم مالياً في إصدار مجلة المعرفة ، وأن مسيو جينو يرجو أن تكون مجلة ( المعرفة ) العربية امتداداً لمجلة له فرنسية كان أصدرها في باريس سنة ١٩٥٩ باسم مجلة المعرفة أيضاً . وتوسعنا في الكلام على المسيو جينو فعلمت أنه صوفى عميق في صوفيته دقيق في فهمها وشديد التعلق بها .

إن موجة المادية التى طغت على الغرب واستعبدهت لاساليبها ودفعت به إلى عواقبها ، قد أخرجت الكثيرين من أذكياه أبناءه فجعلوا ينشدون لأرواحهم مخرجاً من ذلك الكابوس وطغيانه ، ومن هؤلاء صاحبنا جينو ، فإنه بعد حصوله على البكالوريا سنة ١٩٥٤ في بلده ( بلوا ) سافر إلى باريس ليتلقى التعليم الجامعى ، وكان في باريس رجلاً اسمه شميرينو قد أصدر في تلك السنة مجلة سماها ( الطريق ) تنزع منزع الصوفية وتتسكلم عن الإسلام والديانة البرهمية والديانة البوذية ، ورأى صاحبها أن ينتسب إلى الإسلام فتسمى باسم عبد الحق وساهم معه مسيو جينو في تحريرها . ثم توقفت عن الصدور سنة ١٩٥٧ فأنشأ جينو في سنة ١٩٥٩ مجلة فرنسية باسم ( المعرفة ) ساهم معه صاحبها عبد الحق في تحريرها واستمرت إلى سنة ١٩٦٢ .

ولما عازمت إيطاليا على اختطاف ليبيا وبرقة بدأت تفشي العلاقات بينها وبين بعض المسلمين فشيدت في القاهرة جامعاً سمته جامع أمبرتو وأنشأت إلى جانبه مجلة عربية إيطالية تسمى (النادى) يحررها رجل كان اسمه إيفان غوستاف ثم أعلن إسلامه فسمى (عبدالمهادى) وكان على اتصال بالشيخ عبد الرحمن عlish والشيخ طنطاوى جوهرى .

وقد ساهم الشيخ عlish في الكتابة بالمجلة الإيطالية العربية وأعلن فيها ثناءه على المسيو (إيفان غوستاف) وأسسوا في إيطاليا ومصر جمعية لدراسة تعاليم ابن عربى ونشرها سموها (الجمعية الأكبرية) وأخذوا يستميلون الناس إليها ويقدمون المساعدة المادية والتشجيع الأدبى لمن هم فى حاجة إلى ذلك من ينتسب إليها .

ولما عرفت مقاصد إيطاليا فى ليبيا قامت القيامة فى مصر على جامع أمبرتو ومجلة النادى ومحررها عبد المهادى ، فأوقفوا إصدار المجلة ، وبإشارة من الشيخ عlish قام إيفان غوستاف بمحاولة إقامة صلة روحية بين الشرق والغرب . وسافر فى سبيل ذلك إلى أوروبا سنة ١٩١٠ والتقى فى فرنسا بصاحبنا مسيو جينو عند ما كان يصدر مجلة المعرفة فساهم فيها إيفان غوستاف وعقد بين المسيو جينو والشيخ عlish روابط المراسلة وكانت نتيجة ذلك إعلان المسيو جينو دخوله فى الإسلام سنة ١٩١٢ وتسمى (عبد الواحد يحيى) ثم أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وسافر إيفان غوستاف إلى إسبانيا فأت فيها سنة ١٩١٧ وقام المسيو جينو (عبد الواحد يحيى) مقامه فى حمل راية الجمعية الأكبرية وعينه الحكومة الفرنسية سنة ١٩١٧ أستاذاً للفلسفة فى الجزائر ثم عين سنة ١٩١٨ مدرساً فى بلدته . وفى سنة ١٩٢١ ألف عن البرهمية كتاب (المدخل لدراسة العقائد الهندية) . ومن سنة ١٩٢٥ إلى ١٩٢٩ كان يساهم فى تحرير مجلة (قناع إيزيس) وفى سنة ١٩٣٠ حضر إلى مصر مندوباً عن إحدى دور النشر الباريسية للاتصال بالثقافة الصوفية ، وفى مصر عاش فى حى الأزهر وساهم مادياً فى إصدار مجلة المعرفة ، ومن ذلك الحين بدأنا نعرف القليل ثم الكثير من المعلومات عن تطوره الفكرى إلى أن سكن فى شارع نوال بالندق محتجبا عن الناس فى (فيلا فاطمة) التى قد يعرف عنها بعض الذين فى أوروبا أكثر مما يعرفه عنها أهل القاهرة .

والآن تفضل حضرة الدكتور عبد الحليم محمود الأستاذ بكلية أصول الدين فأهدانا كتيبه اللطيف عن هذا الصوفى الفرنسى المولود فى فرنسا فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٦ ( صفر

سنة ١٣٠٤) والمنوفى فى مصر فى ٧ يناير سنة ١٩٥١ (٢٧ ربيع الاول سنة ١٣٧٠) وفيه تفاصيل مفيدة عن تطور المترجم له فى أفكاره ونشاطه وأطواره ، فجاء ذلك متمما للعلوم التى شاهدها المعاصرون للنشأة مسيو رينيه جينو المراقبون للحركات الإسلامية وللعاقلين فى حقها جهرة أو من وراء ستار .

## الوجيز فى مصطلح الحديث

لفضيلة الشيخ محمد أبى الفتوح المرصنى - ٦٤ ص - دار الكتاب العربى

كتاب يدل اسمه عليه ، موضوع لطلاب القسم الثانوى بالأزهر والمعاهد الدينية ، حسن التقسيم والتبويب ، مذيّل بأسئلة للتذكير والتوجيه ، ومعلق عليه بهوامش لزيادة الإيضاح والتمثيل . وفضيلة المؤلف من مدرسى هذه المسادة فى معهد الزقازيق وقد استرشد بخبرته وبالمناهج الرسمى فى تجويد هذا الكتاب وتيسير الاستفادة منه لطلاب علوم السنة المشرفة . ولا يستغنى عنه الراغبون فى معرفة ذلك من الطلاب وغيرهم .

## الأنوار المحمدية فى الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ على رفاعى - ١٩٢ ص - دار الكتاب العربى

مؤلف الكتاب من مفتشى الوعظ العام بالأزهر ، وقد أراد بكتابيه مساهمة نهضة الأمة والتمشى مع أغراضها بحيث تحوى كل خطبة فيه بهناً جديداً فى السامعين وتوجيها رشيدا للؤمنين يحفزهم للعمل المثمر النافع ، فتنتقل فى خطابه المنبرية بين ميلاد الحرية والمجتمع السعيد والمولد النبوى والشجاعة النبوية وشعار النهضة : الاتحاد والنظام والعمل ، والتعاون ومحاربة الفساد إلى غير ذلك من عشرات المعانى التى تدور حولها نهضة الأمة وأمانها فى الوقت الحاضر فلنفت إلى أنظار الخطباء والوعاظ .

## كيف تكون خطيبا

لفضيلة الشيخ على رفاعى - ٢٣٧ ص - دار الكتاب العربى

وهذا كتاب آخر لفضيلته يطبع الآن للمرة الثالثة بزيادة وتقيق ، ألفه لما رأى كثيرا

من خطباء المدن والقرى يخطبون للجمعة من كتب ألفت لغير هذا الزمن حتى مل الناس تلك الخطب التي تزهدهم في الدنيا فأراد أن ييسر لهم مهمتهم بخطب قصيرة متنوعة تعالج أمراض المجتمع وعيوبه . مع ضبط الآيات والاحاديث ، لجاء كتاباً جديراً بما لقيه من الإقبال عليه والإفادة منه .

## مع المفسرين والكتاب

للأستاذ أحمد محمد جمال - ٢٠٠ ص - دار الكتاب العربي

هذه هي الحلقة الثالثة من حلقات ( على مائدة القرآن ) التي سبق لنا وصف الحلقتين الأولىين منها . وهو نقد ودراسات لآراء ومذاهب ، تناولت من المحدثين الاسانذة الباقورى والعقاد وسيد قطب ومحمد أحمد خلف الله وحامد محسن ومحمد السمان ومحمد صبيح وعبد العزيز فهمى والدكتور فروخ والصعيدى والمزنى وغوستاف لوبون وغولد صهير . ومن القدامى الطبرى والنيسابورى والرازى والزخشرى وغيرهم . وكل هذه النقود والدراسات حول آراء هؤلاء المحدثين والقدامى تتعلق بالقرآن وشريعته وعقيدته والمذاهب في تفسيره مما لا يتسع بسطه هنا فاكثفينا بالإشارة إلى عناوين بحوثه . والمؤلف يتكلم على بصيرة من أمره فكتبابه جدير بالدراسة والمقارنة والتأمل .

## صوت الأزهر

صحيفة تمثل شباب الأزهر في توثبه وتطلعه إلى الآفاق الواسعة في التطور والتجديد محررة بأقلام ذوى النشاط من طلابه . وفي العدد الذى اطلعنا عليه منها خطاب مفتوح من شباب الأزهر إلى شيخ الأزهر وحديث مع الأستاذ فكبرى أباظة عن حاجة الأزهر إلى الإصلاح والطريق الذى ينبغي أن يرسم لذلك ، وحديث مع الأستاذ عبد السلام الشبراوى عن البعوث الإسلامية في الأزهر وأنها بلغت أربعة آلاف وخمسمائة طالب وبيانات عن أحوالها . إلى غير ذلك من الاحاديث والمقالات والخواطر والاخبار التي تدور كلها حول الأزهر ورسالته وما ينشده من خير وإصلاح . والصحيفة عنوان لنشاط محررها الأديب موسى صالح شرف واتجاهاته وأمانيه .



# الأزهر في شتائه

إدارة مجلة الأزهر وعضوية لجنة الإفناء  
وسائر ميادين نشاطه المشكور .

## معهده ودهور الدين

كان أحد أجواد مديرية البحيرة قد تبرع  
بقطعة أرض مساحتها ثلاثة أفدنة ليقيم عليها  
معهده ديني إسلامي في مدينة دمنهور عاصمة المديرية  
وجمع أهالي المديرية تبرعات للبناء بلغت  
١٨ ألف جنيه ، وترى لجنة المنشآت الدينية في  
الأزهر أن يساهم الأزهر من ميزانيته الجديدة  
بمبلغ ١١ ألف جنيه لتأثيث المعهد وتزويده  
بالأساتذة والموظفين والخادم وسائر  
الإمكانات الدراسية لحوالي ألف طالب يتسع  
لهم هذا المعهد الأزهرى الجديد في عاصمة  
مديرية البحيرة . ويشتمل المعهد على قسم  
ابتدائي وآخر ثانوي ، وسيكون الالتحاق به  
مقصوراً على أبناء مدينة دمنهور ومراكز  
أبي حمص وإيتاي البارود وشبراخيت  
والمحمودية وكوم حمادة والدلتا .

## الأزهر في أوغندة

عهد فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مراقبة  
البحوث والثقافة في اختيار اثنين من العلماء  
الذين يجيدون اللغات الأجنبية لإيفادهما في  
وقت قريب إلى أوغندة لنشر الثقافة الإسلامية  
فيها ، استجابة لرغبتهم التي أبدوها للمهندس  
السيد أحمد الشرباصي وزير الأشغال خلال  
رحلته الأولى التي قام بها هناك .

## إشراف الأزهر

على جمعيات المحافظة على القرآن  
ينظر أن يعتمد الأزهر في مشروع ميزانيته  
الجديدة مبلغاً كبيراً من المال يمكنه من  
الإشراف الكامل على جمعيات المحافظة على  
القرآن الحكيم في جميع أنحاء الجمهورية المصرية .  
والأزهر الآن في صدد وضع تشريع يكفل  
له ضم هذه الجمعيات وتنظيمها لتغذى المعاهد  
الأزهرية بطلبتها ، وقد سبق لنا أن تحدثنا عن  
ذلك في ص ١٣٣ من جزء صفر لهذه السنة .

## وكيل الأزهر

وشيخا كلية أصول الدين وكلية اللغة  
ومدير التفتيش  
وافق مجلس الوزراء على تعيين فضيلة  
الأستاذ الشيخ الحسيني سلطان شيخ كلية  
أصول الدين وعضو جماعة كبار العلماء  
وكيلاً للجامع الأزهر .  
وعلى تعيين فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد  
الشافعي الظواهري عضو جماعة كبار العلماء  
شيخاً لكلية أصول الدين .

وتعيين فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محي الدين  
عبد الحميد مدير تفتيش العلوم الشرعية  
والعربية شيخاً لكلية اللغة العربية .

وقد نيّطت إدارة تفتيش العلوم الشرعية  
والعربية بفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف  
السبكي عضو جماعة كبار العلماء علاوة على

# الْعَجَلُ الْإِسْلَامِيُّ فِي شَهْرِهِ

الهيئة الإسلامية العالمية التي أنشئت في ديسمبر سنة ١٩٤٩ حضره مندوبون عن مصر والجامعة العربية واندونيسيا والافغان وليران والعراق وسوريا ولبنان ، واشترك فيه مندوبون عن المنطقة المحررة من مقاطعة كشمير ويمثلون لفلسطين وتونس .

وافتح المؤتمر السيد غلام محمد الحاكم العام الباكستاني ونادى في خطاب الافتتاح بوجود تضامن دول الشرق الأدنى في تنفيذ مشروعات تتصل بالمصالح المشتركة بين تلك الدول كمشروعات الأبحاث الزراعية والرى وتبادل المعلومات الفنية والمعونة الفنية في بعض الأحيان .

وخطب السيد محمود أبو السعود فاقترح على مندوبي الدول المشتركة في المؤتمر المساهمة في المشروعات الاقتصادية للجامعة العربية . وأعلن وزير خارجية باكستان أن شركة فورد أعارت الهيئة الإسلامية العالمية خبيراً اقتصادياً أشرف على إنشاء المعهد الإسلامي للدراسات الاقتصادية في كراتشي .

وأعلن في المؤتمر تبرع أغاخان بمليون روبية للمعهد الإسلامي للدراسات الاقتصادية

## الرأية السعودية في البحار

أذاع الأمير فيصل نبأ اتفاق شركة عربية سعودية مع أحد كبار أصحاب السفن اليونانية المشتغلين بأعمال البناء على تأسيس شركة بحرية جديدة يقدر رأس مالها بنحو ٢٥٢ مليون دولار جانبه الاعظم سعودي وللشريك اليوناني نصيب صغير فيه إلا أنه سيتناول أجراً على خدماته بقدر ما يقدمه من عمل والغرض من الشركة بناء أسطول تجارى تحت علم المملكة العربية السعودية تبلغ حمولته نصف مليون طن .

وقد غادر الشريك اليوناني - واسمه أرسطوطاليس أو ناسيس - مدينة الرياض بطريق الجو قاصداً باريس وهمبورغ ليشرف في هذا الأسبوع على تحويل أكبر ناقلات للزيت في العالم - مما يصنع في همبورغ - إلى الشركة العربية السعودية .

وبذلك ستصبح المملكة العربية السعودية أكبر دولة بحرية في المنطقة الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط والصين .

مؤتمر الهيئة الإسلامية العالمية في كراتشي  
عقد في كراتشي في يوم ٢٢ شعبان مؤتمر

### البهائيون معارضة مرترو

ولا دين لهم في قوانين الدولة المصرية

تلقت وزارة الداخلية كتاباً من وزارة الصحة بأن بعض معتققي البهائية إذا بلغوا عن مسوإليدهم أو موتاهم لقيد أسمائهم في سجلات المواليد أو الوفيات يصرون على كتابة بهائى، فى خانة ديانة المولود أو المتوفى ويطلبون تحرير شهادات الميلاد والوفاة متضمنة هذه الصفة . وتقول وزارة الصحة : وبما كانت البهائية غير معترف بها من الدولة فالوزارة تخشى أن يتخذ هؤلاء من هذه الشهادة الرسمية دليلاً على الاعتراف بنحلهم . وأضافت أنها استطلعت رأى إدارة الشعبة الاجتماعية والثقافية بمجلس الدولة فتلقت منها كتاباً بتاريخ ١٨ مارس الماضى بأن موضوع الدين الهائى سبق أن عرض على محكمة القضاء الإدارى بمناسبة زواج أحد أفراد هذه الطائفة وعدم صرف العلاوة الاجتماعية له فرفع دعوى يطالب فيها بمنحه العلاوة من تاريخ عقد الزواج فرفضت المحكمة الدعوى وذكرت فى حكمها أن هذا الدين ليس له وجود قانونى وأن من يعتنقه بعد أن كان مسلماً يعتبر مرتدأ عن دين الإسلام والمرتد عن الدين زواجه باطل ، ولذا قررت الشعبة أنه لا يجوز إدراج أى بيان فى الخانة المخصصة للديانة إذا أصر المبلغ على ذكر ما سماه بالدين البهائى

وطلبت من وزارة الصحة إصدار التعليمات إلى المحافظات والمديريات للتنبية على التخصيص بمراعاة ذلك عند التبليغ عن الميلاد أو الوفاة أو عند طلب مستخرجات رسمية بأن يعمل خط أفقى فى خانة الديانة دون ذكر اسم أى دين . وبالفعل أذاعت وزارة الداخلية كتاباً على المديرين والمحافظين والهيئات الإدارية المختلفة بضرورة العمل بهذه التعليمات عند قيد المواليد أو الوفيات فى السجلات الرسمية هذا وقد سبق فى غرة شعبان سنة ١٣٦٥ ( ٣٠ يونيه ١٩٤٦ ) صدور حكم قضائى من محكمة المحلة الكبرى الشرعية ( رقم ٨٤٨ متتابعة ) فى القضية رقم ١٢٢٩٠ سنة ٤٥ - ١٩٤٦ المرفوعة من نبوية محمود أبو موسى ضد عبد الرحمن محمد نوفل بطلب تطبيقها منه لارتداده عن دين الإسلام وانزلاقه فى ضلالة البهائية . وقد حكمت المحكمة برده وتطبيق المدعية منه وبنت حكمها على أن البهائيين يقولون بأن دورة سيدنا محمد ﷺ قد انتهت بظهور الباب ، وأهمهم يحدود الصوم والصلاة والحج والحشر ويقولون إن المراد فيها غير مسماها المعروف فى الإسلام ، وبما أنه ثبت أن المدعى عليه بهائى وينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة لذلك اعتبر مرتدا والمرتد لا دين له ونسكاحه باطل لهذا حكمت المحكمة بالتفريق بينه وبين زوجته نبوية محمود أبو موسى .

### حلفاء الإثيوبيون في المساجد

منعت وزارة الأوقاف أن تقام في جميع مساجد الجمهورية المصرية حلقات الأذكار المخالفة لتعاليم الإسلام والمشوهة لاسماء الله الحسنى ، ولا يباح في المساجد إلا الأذكار التي يتوافر فيها جلال المقصد وروعة الأداء وإحكام صلوات العباد بالله على أساس روحى سليم .

### تعريب قوانين السودان

كانت روح الفطرسية الاستعمارية تحمل الانجليز على أن يجعلوا قوانين السودان وتشريعاته طلائع بإصدارها بالانجليزية لامة لا تعرف هذه اللغة . ويقول السيد على عبد الرحمن وزير العدل في تصريح أعلنه في مجلس النواب السودانى إن الحكومة السودانية الوطنية تنوى ترجمة جميع القوانين والتشريعات السودانية باللغة العربية لغة البلاد عملاً بالمادة ١٨ من قانون الحكم الذاتى التى تنص على أن تكون اللغة العربية هى اللغة المستعملة فى البرلمان ، وقال : إن فى ذلك اعترافاً بأن العربية هى اللغة الرسمية للبلاد .

### ديوان المحاسبة فى الحجاز

عزمت المملكة العربية السعودية على

إنشاء ديوان للمحاسبة فى مكة ، وهى خطوة حميدة فى تنظيم أداة الحكم فى عاصمة الإسلام . وقد اختير لتحقيق هذه الامنية خبير مصرى هو المراقب العام السابق لديوان المحاسبة المصرى ، وسافر بالفعل قاصداً مكة المكرمة لأداء المهمة التى نذب لها .

### بريد الحكومة

وبريد الشعب فى مصر

تبين من إحصاء سنة ١٩٥٢ أن مصلحة البريد المصرى نقلت فى خلال تلك السنة ٨٥٠٠٠٠٠ رسالة ، منها ٣ ملايين رسالة هى مجموع البريد الشعبى ، والباقي وهو الأكثر ومقداره خمسة ملايين و ٥٠٠,٠٠٠ رسالة هى من البريد الحكومى .

ولذلك كتبت مصلحة البريد إلى مصلحة الجمارك والمصالح الحكومية الأخرى طالبة مراعاة الاقتصاد فى إرسال البريد الحكومى بعد ما تبين من تضخمه الهائل إلى هذا الحد الذى دل عليه الإحصاء .

### المقر المتداول فى مصر

انخفض النقد المتداول فى أيدي الناس بمصر من ٤٦٠ مليون جنيه فى آخر سنة ١٩٥١ إلى ٤٢٤ مليوناً فى نهاية عام ١٩٥٢ ثم إلى ٤١٧ مليوناً فى ديسمبر عام ١٩٥٣ .

٩٩٣ مع الرعيل الأول . . . . .

٩٩٩ نفعات القرآن : أولياء الله وأولياء الشيطان

١٠٠٤ السنة : الجوار في الاسلام - ٢ - . . .

١٠١٠ زواج المسلم بالكتانية - ١ - . . .

١٠١٥ رمضان هجرة الى الله . . . . .

١٠١٩ مسكين . . . . .

١٠٢٥ الأزهر والصحافة . . . . .

١٠٣٢ اتفاق الحواطر في الشعر . . . . .

١٠٣٧ الصوم عبادة وتهذيب . . . . .

١٠٤٠ لمن يكون تنفيذ الحدود - ٢ - . . .

١٠٤٥ شهر الفكريات الخالدة . . . . .

١٠٥٠ التأويل والتفسير . . . . .

١٠٥٣ محنة الأدب : وما هو السبب . . . . .

١٠٥٧ معنى الانسان في مختلف الآيات . . . . .

١٠٦٢ لنويات . . . . .

١٠٦٧ يارب . . . . .

١٠٧٠ الحملة الانجليزية على مصر . . . . .

١٠٧٤ غزوة أحد - ٢ - . . . . .

• • • • • « المجلة »  
• • • • • « المجلة »  
• • • • • « المجلة »

١٠٧٩ الهداة إلى الدين . . . . .  
١٠٨١ أبو هريرة رضى الله عنه . . . . .  
١٠٨٢ محلة طائفة من بغداد . . . . .

مصطفى عبد الواحد إبراهيم . . . .  
 محمد عبد اللطيف الزفتاوى . . . .  
 محمد محي الدين المسيرى . . . . .

١٠٨٤ حاجة العالم الى الاسلام . . . . .  
١٠٨٥ الحياطة فى مصر . . . . .  
١٠٨٦ حسة . . . . .

قلم التحريـد

١٠٨٧	الفتاوى
١٠٩٢	الكتب
١١٠٠	الادب والعلوم في شهر
١١٠١	العالم الاسلامي في شهر

مدير المجلة  
عبد اللطيف السبكي  
عضو جمعية كبار العلماء

للعنوان  
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة  
تليفون ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية  
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير التحرير  
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

٥٠ في مصر والسودان  
٣٠ للطبقة في مصر والسودان  
٦٠ في الخارج  
٤٠ للطبقة في الخارج  
٥ من الجنيه

الجزء العاشر - القاهرة في غرة شوال ١٣٧٣ - ٢ يونيه ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقالات

### هذا هو الأساس

نعم ، هذا هو الأساس لتجديد شباب الأزهر ، وتشديد بقيان المجتمع المصري ، وبعث الحيوية والقوة في العالم الإسلامي . وإن شيئاً يترقب عليه كل هذا الخير لاشك أن أمره عظيم . وإن جيلاً يستجيب الله لدعائه ، فيتيح له الفرصة بأن يكون هذا الخير في عهده ، وأن يكون تحقيقه على يده ، جدير بأن يقوم بحق الشكر لله عز وجل على ما أتاحه له ، وأن يكون صادق العزم في الاضطلاع بنصيبه منه .

قلت في كلمة عنوانها ( قوى ضائعة <sup>(١)</sup> ) بعد استعراض ما أصيبت به مصر في أخلاقها ، وترديد الشكوى من رعاية مدارسنا بالتعليم دون التربية :

(١) في جزء صفر من ( مجلة الأزهر ) لهذا العام . ص ١٣٣

« وقد يكون من الشجاعة الأدبية الاعتراف هنا بأن الأزهر نفسه يشاطر في حمل مسؤولية الأخلاق في البلد ، ولكن الوضع الذي قام الأزهر على أساسه - بتلقيه طلابه وهم في السادسة عشرة من أعمارهم إن لم نقل في السابعة عشرة - قد جعل مهمة الأزهر شاقة ، وجعله في حالة لا تتمكن معها من تكوين طابته كما تتمكن وزارة المعارف من تكوين طلبتها . فالأزهر يتلقى أبناءه بعد أن احتضنهم غيره من السادسة إلى السادسة عشرة ، فيأتونه غير مستكملين كثيراً مما يطلبه من الملتحقين به . ولو مكنته ظروفه من أن يحك جلده بظفره ، ويقوم هو بإعداد أبنائه من سن السادسة فيربهم من نعومة أظفارهم على الأخلاق الإسلامية ، ويتولى بنفسه تحفيظهم كتاب الله كما يشترطه القانون فيمن يلتحق بالأزهر ، لاستطاع الأزهر أن يقدم للأمة والوطن دعاء الفضائل والأخلاق والنهضة والإصلاح ، العاملين بعلمهم ، الذين يقودون الأمة إلى أهدافها الصالحة ، ويكونون قدوة لها في كل ما يدعونها إليه ... إن وضع الأمور في مواضعها وردّها إلى طرقها الحكيمة هو في أن تيسر الدولة للأزهر إعداد العدد الكافي من الذين سيلتحقون به ، وتجهيزهم بما يلائم طريقهم العلمي الذي سيختارونه في حياتهم ، وكيف يكون ذلك إلا بأن يتولى الأزهر إعدادهم ، ليكون هو المسئول عنهم وعن حسن توجيههم من ناحية التربية والأخلاق ، ومن ناحية استيفائهم ما يشترطه القانون من حفظ كتاب الله . وبذلك يكون الأزهر قد ساهم في مكافحة الأمية في هذا الشطر التابع له من أبناء الأمة ، وسيعلمهم كل ما تعلمه وزارة المعارف لأمثالهم في مدارسها ، مضافاً إليه حفظ القرآن كاملاً ، والعناية بالتربية التي لا بد منها لمن سيقود الأمة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وصراط الله المستقيم . »

والآن وقد لاحظت تباشير الخير بأن الله عز وجل سيستجيب لهذه الدعوة ، وبوشك أن يواجه الأزهر عامه الدراسي الجديد بالمراحل الأولى من إنشاء مائتي مدرسة تحضيرية تقوم كالمصاييح المتلثة من حول معاهده في العاصمتين والمديريات ، فترجو الله أن يحتمق الآمال في بداية العام الآتي ، فترى طليعة هذه المدارس متدفقة بينابيع الجنة ترتوي منها المعاهد الأزهرية بماء الحياة عذبا زلالا لا تشوبه إن شاء الله شائبة مما كنا نشكوه فيما مضى ، ما دمتنا عازمين على القيام لتلك المدارس بما يحفظها ويصونها ، وبما نؤدى به حق الأمانة لهذه الأمة في السهر على فلذات أكبادها ، حتى يكونوا - بالعناية والرعاية والتثقيف - أمل الإسلام في مستقبله المرتجي ، ومفخرة مصر في نهضتها المرتقبة ...

ماتنا مدرسة تحضيرية يتولى الأزهر لإنشاءها لجيش من أبناء الدعوة الإسلامية تضعه الأمة بين أيدينا أمانة لله في سن الطفولة الطاهرة لنصنع منه الدعاة إلى الله ، وإلى مادعانا الله إليه من فضائل وسجايا ومكارم ، وإلى ما يجب أن يشيع في عياله من صدق ومحبة وإيثار وتعامل بالمعروف وتعاون على الحق والخير . . .

إن هذا لحادث عظيم في تاريخ مصر ، ولو نجحنا فيه - بما نتوخاه من العناية بالتربية كالعناية بالتعليم وأكثر - لقدمنا لمصر والعالم الإسلامى بعد عشرين سنة العنصر المفقود الآن من القادة الذين يبحث عنهم الناس في دنيا المسلمين ليأخذوا بأيديهم إلى طريق القوة والمنعة والاستقامة والتقوى فلا يجدونهم ، ولو وجدوهم لعرفت الأمة بهم طريقها إلى النهضة الصادقة والحياة السعيدة .

العالم الإسلامى اليوم على مفترق الطرق ، وقد رصد إبليس على رأس كل طريق شياطين من تلاميذه وصنائه يتخطفون الناس ويستهوونهم بشتى المغريات ليصرفوهم عن طريق محمد بن عبد الله صلاة الله وسلامه عليه . وقد يكون بعض أبنائنا وأقرب الناس إلينا ممن يستهوهم صنائع إبليس ، ويبعدونهم عن الإسلام وأهدافه الإنسانية العليا . وقد كنا نعتذر قبل اليوم بأن التيار شديد ، والمغريات خلافة ، والمؤثرات على أبنائنا أشد منا اتصالا بهم . وها قد استدار الزمان ، وسنحت الفرصة لآلوف من أطفال الأمة بوشك أن يملأوا - عما قريب - فصول مائتى مدرسة فى أنحاء الجمهورية المصرية ، فتمتد إلينا أيديهم الصغيرة اللطيفة طالبة منا أن نتقدم من تيار المغريات الصوارف ، بما نوقظه فى قلوبهم من عزائم الإسلام ، وما نسلحهم به من الأخلاق المحمدية وسجايا خير أمة أخرجت للناس . فلنستعد من الآن للأخذ بهذه الأيدى إلى الطريق الذى دلنا عليه معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه ورضوانه عليه . وإن رأس ذلك وعموده أن يكون مبدأنا الأول وهدفنا الأخير تمرينهم على العمل بكل ما نعلمه لهم ، فإذا علمناهم فضيلة الصدق وجماله ربيتناهم على التجمل به ، وألزمناهم العمل به فى المنشط والمكروه واليسر والعسر . وإذا عرفناهم أن الإسلام دين الحق جبيننا إليهم الحق ومرناهم على أن يكونوا من أوليائه العاملين به المؤيدين لاهله فى جميع الأحوال . هذا هو الطريق المحمدى فى تعليم العلم الذى ينفع ، والاستعاذة بالله من كل هلم يقتنى على أنه من العملة التى بطل التعامل بها .



ماتتا مدرسة يغشاها فلذات أكباد الأمة وهم في السادسة من طفولتهم ، لأنهم كالعجينة في أيدينا نستطيع إن شئنا أن نجعل منهم أمثال عبد الله بن عمر بن الخطاب في التزامه سنن الإسلام كلها من المهد إلى اللحد ، ونستطيع بالتفريط والإهمال أن ندعهم يسيرون وراء تلاميذ إبليس القائمين على مفترق الطرق ليصرفوا أهلها عن الطريق المحمدى . وكما أن تلاميذ هذه المدارس الأزهرية سيدخلون الامتحان في كل عام ليرى الناس أثر تلقينهم مبادئ العلوم ومبلغهم من النجاح فيها ، فإن القائمين عليهم سيكونون في مثل هذا الامتحان لترى الأمة مبلغ نجاحهم في إعداد الجيل المثالى ، في الأخلاق والتربية الإسلامية ، للنهوض بمصر في طورها الذى تستقبله ، ولقيادة العالم الإسلامى في الطريق الذى بعث الله به خاتم رسله .

كما أن كثيراً من رجال وزارة المعارف قد بلغ بهم سوء الرأى في مدارس الوزارة — فيما مضى — إلى أن بعثوا بأبنائهم إلى المدارس الاجنبية الموجودة في مصر ليتخرجوا فيها فإن كثيراً من علماء الأزهر أيضاً بلغ بهم العلم بمواطن الضعف فيما كان عليه الأزهر من قبل إلى أن بعثوا بأبنائهم إلى معاهد غير أزهرية ليتخرجوا فيها ، كل ذلك كان فيما مضى ، وما أعظم وأكثر مواطن الضعف في حياة مرافقنا فيما مضى . أما الآن وقد أوشك أن يتم — إن شاء الله — هذا الحادث العظيم في تاريخ الأزهر ، وبذلك سيمحك جلده بظفره ، ويقوم بنفسه على تربية الضيوف الجدد من أزهرى المستقبل وهم لا يزالون في السادسة من أعمارهم ، فلم يبق لنا أى عذر في الناس جميع أسباب السكال عند تكوين الأزهرى الجديد ، ليسكون من تلاميذ الدعوة المحمدية الاولى الذين يرتضعون لبان آدابها ومعارفها وأخلاقها خالصة إن شاء الله من كل الشوائب . وعلى كل عالم من علماء الأزهر أن يأخذ بيد طفله في أول العام الدراسى الجديد فيلحقه بأقرب المدارس التحضيرية الأزهرية إلى منطقته ، ثم يكون بعد ذلك مراقبا لاثر توجيهها في خطوات طفله ، ومتعاوناً مع القائمين عليها في ملاحظة نواحي القوة والضعف في ذلك ، إلى أن نطمئن جميعاً بأن هذه المدارس التى أتاح الله لنا الإشراف عليها ويسر لنا القيام على توجيهها ستكون المدارس المثالية في العالم الإسلامى في عنايتها بالتربية الإسلامية كعنايتها بالثقافة الإسلامية ، وأنها عرفت طريقها إلى تخريج الدعاة الذين نهتدى الدنيا بوميض أخلاقهم وأضواء تصرفاتهم قبل أن تهتدى بتعليمهم وتوصى إلى إرشادهم ، ويومئذ يقبل على المدارس التحضيرية الأزهرية الحريصون على تربية أبنائهم تربية إسلامية من أعيان البلاد وقادة الأمة فيلحقون بها أبنائهم ، ويضربون

بها المثل للدرسة الناجحة في الشرق ، ويكثر هؤلاء العنصر المذهب من النشء الإسلامى فيكون ذلك عوناً على تعميم التربية الإسلامية الكاملة في بيوتنا وازدياد عدد المتحليين بها في مجتمعاتنا .

وعندما ننهى من تأسيس مائتى مدرسة تحضيرية ذات خمسة فصول ، وتمتلىء فصولها بالافواج المتلاحقة من الازهرين الجدد ، وعندما نبذل أقصى ما نستطيعه من العناية في رسم مناهج التربية والتعليم لهذا الجيش العظيم من الدعاة إلى الله في المستقبل ، فإننا نكون قد وضعنا الأساس القوى السليم في بنيان الكيان الإسلامى الصالح في مصر والعالم الإسلامى ، ونكون قد أحبطنا أعمال الشيطان وصنائعه المرباطين على مفترق الطرق ليصرفوا هذه الأمة عن الإسلام وآدابه وسنته وأحكامه . وعلى قدر ما نبذل من جهود صادقة في تكوين النشء الأزهرى الجديد تكويناً إسلامياً قوياً وسليماً ، يكون انتصارنا على الشيطان وصنائعه انتصاراً حاسماً له ما بعده بإذن الله ، والله يتولى الصادقين .

### حب الربيع الخطيب

## الأخلاق

مثل المتعلم غير المتأدب كمثل شجرة عارية لا تورق ولا تثمر ، قد انتصبت للناس في ملتقى الطرق تعترض الراح وتصد سبيل القادى ، فلا الناس بظلمها يستظلون ، ولا هم من شرها ناجون .

ومن لا خير فيه لدينه لا خير فيه لوطنه ، لأنه إن كان بنقضه عهد الوطنية غادراً فاجراً ، فهو بنقضه عهد الله وميثاقه أغدر وأجفر ، وإن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان ، فمن لم يحرص عليها فأحر به ألا يحرص على وطن السموف والجدران .

مصطفى لطفى المنفلوطى

# نفحات القرآن

- ١٦ -

## ٣ - أولياء الله ...

## وأولياء الشيطان

١ - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .  
 ب - والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور إلى الظلمات

١ - ذلك الذى رويناه لك كان شأن النمرود بن كنعان فى جده مع إبراهيم عليه السلام .  
 وفيه ما يزيد المستزيد إيماناً بأن من يتولاه الطاغوت يخذله الله ... ومن يخذله الله لا يمكن أن ينصره أعوان ، ولا يجديه أن يكون ذا سلطان .

والذى رويناه لك : مثل من أمثلة يحفل بها القرآن فى صدد أولياء الطاغوت ، وإن كان واحداً من أمثلة ثلاثة فحسب جىء بها فى موضوعنا هذا ، وهو مثل فى الجانب السلبى : ولاية الشيطان .

والمثلان الآخران فى الناحية الإيجابية : ولاية الله للؤمنين .

٢ - وأحد هذين المثلين عن قرية دارسة ، تخربت مغانيها ، وتناثرت مبانيها ، وتكرت معالمها ، حتى لم يعد يطوف الأمل بناظرها أن تعود أو يعود أهلها إلى عالم الحياة .

وقد مر بها راء من الناس فنكرها ، وهاله ما بدا له من قبح منظرها ، ومخالفتها لما يعهده بها ... وكأنه وقد أذهله ما يرى من أمرها حاول أن يطابق بين ما يسمعه ويؤمن به ، وبين ما يراه ويأسى لمراه . فهو يسمع غير مرتاب أن بعد الفناء رجعة ، ويعلم غير متردد أن العظام النخرة ستعود فى جدتها إلى الحياة حينما تتعلق بها قدرة الله ... وأن الناس يجمعون لميقات يوم معلوم .

ولكنه يرى بعينه ما يثير الخواطر في نفسه ، ويستشعر أن عود هذه القرية إلى الوجود أمر تنعاضمه النفس ، ويشوقها أن تقف من حصوله على بيته . . . أو تهتدى منه إلى بيان .  
فما وسعه إذ رآها خاوية على عروشها إلا أن يقول : ( أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ )  
٣ — والآية لم تعرض لذكر الرائي ، ولا لتعيين البلد المرقى . . ذلك : لأن مغزى القصة لا يناط بتعيين الشخص ذاته ، ولا بتسمية القرية باسمها ، وإنما هو كشف عن خبيء تجهله الإنسانية ، وإرشاد على أن ما يستعصى على عقول البشر أهون من الهون في مقدور الله .  
ولكن أسلافنا - أحسن الله إليهم - حاولوا تعيين الرجل والقرية : وهل كان الرجل مؤمناً أو غير مؤمن ؟

وفي سبيل ذلك : تشعبت آراؤهم ، وتعددت أقوالهم ، إذ لا نص عندهم ، وإنما هو اجتهاد منهم ، وقد استظهر بعضهم أن الرجل غير مؤمن ، لأن ذكر نبئه عقب الكلام على نمروذ ، واستبعاده لإحياء القرية بعد موتها مما يشهد على الرجل عندهم بعدم الإيمان .

ولكن أهل التحقيق لم ينظروا في هذا المقام إلى السباق - بالباء - وما فيه عن نمروذ بل نظروا إلى اللحاق ، وما فيه عن إبراهيم عليه السلام ، فالرجل مؤمن ، وقد أردف الحديث عنه بحديث إبراهيم فكلاهما يأخذه العجب ، وتبهره مظاهر القدرة ، ويستولى عليه حب الاستطلاع ، فيدفعه إلى الاستفهام في لهجة الاستعظام ، لا في لهجة الإنكار ، ليشبع رغبة عليية ملحة ، ويرضى قلباً مؤمناً يستزيد . وكما أن إبراهيم قال يوماً : رب أرني كيف يحيى الموتى ، ثم قال : د . . . ولكن ليطمئن قلبي ، كذلك الرجل يقول ما معناه : يا عجباً لقدرة الله !! كيف تعمّر هذه الخربات . . وتعيد الحياة إلى هذا الموات ؟ وهذا مصداق قوله المحكي عنه : د أنى يحيى هذه الله بعد موتها .

وذلك توجيه أصح . وأرجح ما قيل في تسميته : أنه عزير بن شرخيا ، من خيار بني إسرائيل ، وأن القرية هي بيت المقدس ، وكان يختصر قد هاجمها ، وخرّبها ، حتى قال فيها عزير ما قال يوم رآها على غير ما يعهدها .

٤ — ثم ماذا فعل الله بعبد هذا ، وبالقرية ؟ ؟

أما عزير فقد أماته الله إثر موقعه هذا ، وأمات حماراً كان معه ، واستبقى طعاماً كان معداً لا كاله ، وبعد فترة - قدروها بسبعين سنة - توفى فيها بختنصر ، وهياً الله للقرية من ملوك

الفرس من عمرها ، ورد إليها من بقى من بنى إسرائيل المشردين عنها ، ثم أحيا الله عزيرا فرأى القرية فى زخرف من مباحج الحياة ، ووجدها حافلة بالسكان ، وهو لم يكن يشعر بطول موته ، فأخذه العجب أن تعود إلى القرية زينتها فى أمد قصير ظنه يوما أو بعض يوم . وقد أراد الله سبحانه أن يكشف له عما لا يدريه من شأن نفسه ، ومن شأن الحياة بعد الموت فى القرية وفى سواها ، فسأله عز شأنه بوسيلة لا ندرى : أكانت صوتا مسموعا له ، أم كانت ملكا خاطبه : ( كم لبثت ؟ ) قال عزير : ( لبثت يوما أو بعض يوم ) ( قال : بل لبثت مائة عام ) .

ومائة عام إذا مضت فى مثل السرعة التى تخيلها عزير يوما أو بعض يوم تصور له قرب ما يستطيعه من زمن الدنيا إلى يوم البعث ، وتقرب إلى نفسه ما كان يستعظمه من حياة القرية بعد أن نشب فيها الخراب وإن طال عليها الزمن .

وفى هذا توجيه لعزير ولغيره إلى مبلغ قدرة الله على ما قد يتخيله المرء فى حكم الممتنع . وكذلك يقيم الله لعزير دليلا آخر بقوله : « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ، إذ فى مضى مائة سنة على طعام وشراب دون أن يحدث بهما أثر من التغيير لإيقاظ من الغفلة ، ومدعاة للتنبه إلى أنه لا ينبغي لاسرى أن يستعظم شيئا على الله ، مما تتعلق به قدرته .

ثم يقيم له دليلا ثالثا فيما رأى بعينه من شأن حمارة ، فقد جمعت عظامه النخرة ، وركبت إلى بعضها ، وكسيت لحما ، وأعيدت إليها الحياة ، فصار كما كان يعمره قبل مائة عام .

فهذا عبد هاله من شئون الله فى السكون أن تكون عمارة بعد خراب ، وحياة بعد موت طويل ، وعلق بنفسه الأمل أن يستزيد علما فى ذلك ، والله تعالى يتعمده بالتوجيه ، فيقيم له الدليل من نفسه ، ومن ألصق الأشياء به ، ليسكون أجدى فى اقتناعه ، وأكمل فى إيمانه .

ولو أنه كان جاحدا مكبرا لتركه الله للطاغوت يتولاه ، ولكنه عبد مطيع ، يتولاه مولاه فيخرجه من عجزه وحيرته إلى تبصيره وهدايته ، ( فلما تبين له — ما كان يصبو إليه — قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير ) وبذلك تحققت الأمنية ، وتمت العبرة له من نفسه ، وللناس فى قصته .

وهذا قول الله تعالى « ولنجعلك آية للناس » ، يعنى فعلنا بك ما فعلنا لنكشف عن بصيرتك الشبهة ، ولنزيدك رسوخا فى العلم ، ولنكون قصتك آية يلتبس الناس منها العبرة ، ولنصير مثلا من الأمثال نضربها للناس لعلمهم يتفكرون .

٥ — ويذهب بعض العلماء في تفسير الموت الذي وقع بالعزير إلى أنه كموت النائم ، ليس فيه زهوق روح ، وإنما هو غيبوبة يفقد فيها السمع ، وتتعطل الاحاسيس ، ثم يعود إلى يقظته وحياته الاولى حينما يأذن الله ، كما يأذن باليقظة للنائم ، ولقد حلهم على هذا الرأي أن الدنيا ليست دار بعث ، وإنما يكون البعث في الحياة الآخرة .

وليس يبعد أن يكون هذا الموت حقا ، وأن يكون هذا البعث نوعا خاصا بحالات دنيوية اقتضتها حكمة الله تعالى ، وكيفما كان : فإن العبرة قائمة ، والعظة شاخصة ، سواء : أكان موتا حقا ، أم موتا صوريا يستغرق عشرات السنين .

٦ — قالوا : إن عزيرا بعد هذه المرحلة من قصته ركب حماره ، وذهب إلى محله التي كان يقيم بها في جانب من القرية ليتعرف بمن بقي فيها من أهله وذويه ، فصادف بعض من كانوا من أهلها قديما ، فلما تظاهر لهم بأنه عزير ، أخذوا يستبشرونه أمورا يعمدون بها في العزير ، ويسألونه علما كان معروفا به ، ويطلبون إليه تلاوة التوراة عليهم كما توارثوا عنه أنه كان يحفظها جيدا ، فلما أوفى بهم على الغاية من ذلك صدقوه ، بل فتن به بعضهم ، ومن هنا نشأت فرية بنى إسرائيل فقالوا : ( عزيرا بن الله ) .

وكذلك شأنهم : كلما أنعم الله عليهم نعمة كفروا بسببها ، وكلما هدام من ضلالة ضاعفوا طغيانهم بعدها .

ولك أن تقول بعد هذه الإلمامة : إن القصة كلها بدئت بذكر ولاية الله للؤمنين ، ولكن التمثيل بالأمثلة الثلاثة جاء على غير هذا الترتيب : إذ المثل الاول منها في شأن النمرود ، وهو تمثيل لاولياء الشيطان ، والمثل الثاني والثالث بعد : في جانب اولياء الله عزير وإبراهيم وولاية الله هي المذكورة أولا !! أفلم يكن التعقيب بالأمثلة على نسق الترتيب في مطلع القصة أروع نسقا ، وأخف تناولا ؟ ؟ وأنسب لقول البلغاء إنه على سبيل النشر المرتب ؟ ؟

وجوابنا : أن القرآن مصدر البلاغة ، وأن في سياقه إشعاع الحسن ، والإبداع . وقد بدأ الله بذكر اولياء الله لأنهم أحق بالتكريم والتقديم ، وأولى بالتبشير والتنويه . أما في التمثيل فقد سبق إلى ذكر اولياء الشيطان في حكاية النمرود : مسارعة إلى انتقاصهم ، والخط من شأنهم ، والتشفيع عليهم بما يسجل من حوادثهم وجناتهم على أنفسهم وتغفيرا من متابعتهم .. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

ح - المثل الثالث : مما جاء تعقيباً على الآية - سؤال إبراهيم - عليه السلام - ربه تعالى ( رب أرني كيف تحيي الموتى ) .

إبراهيم يعلم من طريق الوحي ما لا يدع في جوانب نفسه ذبذبة من الريبة في أمر البعث ، فما باله يقول لربه : أرني كيف تحيي الموتى ؟؟

وجواب ذلك - أن النفوس الصافية تطمح دائماً إلى العلم بأكثر مما لديها ، فأبراهيم إذا سأل : فإنما يسأل عن كيفية الإحياء وهو موقن بحصوله ، ليتعرف بالمشاهدة صورة إيجاده ، وبذلك تتجاوز معرفته درجة علم اليقين ، إلى درجة عين اليقين ، وهذه آتم وأكد ، وأوفر شأننا من تلك ...

وإذ كان السؤال في ظاهره لا يصدر إلا عن شك ، فقد اشتمل على أمرين يصرفانه عن ذلك .  
الاول - قول إبراهيم : - رب أرني - يعني : يا مربى العباد ... أرني ببصرى من دلائل قدرتك ما يوضح لي معرفتي من طريق وحيك ، وهذا أدب لا يكون إلا من مؤمن .  
الثاني - أن الله أتاح لإبراهيم أن يدفع عن نفسه شبهة الريبة في موقفه ، فقال له تعالى : ( أولم تؤمن ؟ ) يعني : ألم تعلم بأننى أحى الموتى ، ولم تؤمن بذلك ؟؟ ليكون جوابه إقراراً بما سئل عنه ، وهو : نعم : أنا مؤمن ، وعلى علم بذلك ، ولكن : لازداد إيماناً على إيماني وعلماً على علمي ، فأكون أكثر اطمئناناً إلى معرفتي من طريق وحيك إلى .

وقد تقبل الله من إبراهيم دعوته ، ليخفف من شغفه ، ويثبت مقامه لدى من يعرفون مقامه ، أو يترددون في شأنه ، وليكشف الله عن رعايته لأولياته ، فهو يبصرهم بما يبعد بهم عن شائبة الحيرة ... ( قال : نخذ أربعة من الطير ، فصهرن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادعهن يأتينك سعيًا ) .

وهنا أربعة أوامر ، يلقيها الله على نبيه إبراهيم ... الاول - أن يتناول أربعة من الطير كيفما كان نوعها ... الثاني - قوله : - فصهرن إليك - ومعنى صهرن إليك : قطعها أجزاء فإن الفعل صاره يصوره أو صاره يصيره معناه ذلك .

وقيل : معناه : ضم الطير إليك ، وعودها أن تألفك ، وتأنس بك ، فهاتان لغتان في الفعل ، وهو مشترك بين المعنيين - التقطيع ... والتأليف للطير بتأنسها إليه ... ولا نسرف في البحث اللغوي لئلا نعسر على القارىء .

وحسبنا أن نقول : اختار بعض المفسرين معنى التقطيع ، وتفريق الأجزاء على الجبال القريبة من إبراهيم ، كما قيل له ( ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ) وذلك هو الأمر الثالث .

والرابع — أن يدعو الطير ، وسيرها تسرع إليه في حياة جديدة بعد أن كانت أجزاء متفرقة مبعثرة ، وبذلك يتمثل لإبراهيم عيانا ما يصنع الله في بعث الاموات يوم القيامة ، وبذلك تمت لإبراهيم أمنيته كما شغفت بها نفسه .

وقد اختار بعض المفسرين في قوله تعالى — فصرهن إليك — المعنى الثاني : ضم الطير إليك ، وعودها أن تألفك وتأنس بك ... ثم فرقها على الجبال وحدات : لا أجزاء ، ثم ادعها إليك تجدر إليك في سرعة — وإن كان الطير نفورا بطبعه — ويرى هذا البعض من المفسرين أن ليس في الآية ما يدل على تقطيعها أجزاء ، وإن شهدت بذلك آثار مرجوحة ، فهي لا تقضى بالعدول عن ظاهر الالفاظ إلى تسكف القول بالتقطيع ، وخلط الأجزاء ، وبعثرتها على رموس الجبال . ويقول ذلك البعض :

بل الاوامر الاربعة التي في الآية لا يراد منها التنفيذ . بل قصدت للتوجيه إلى أن هذا لو نفذ فعلا : فسوف لا يمنع من إحيائها ، وتليتها لنداء إبراهيم ، وهو لم يفعل ، بل اقنع ، وكأنه فعل ، وخلاصة النقاش بين الفريقين : أن البعث الذي ينكره المكابرون ، والذي تتوق نفس إبراهيم إلى رؤية ما يتمثل به : أمر سهل عند الله ، كما يسهل رجوع الطير إلى إبراهيم إذا فرقها ودعاها : سواء أكان تفريقها بعد تقطيعها : أم كان توزيعاً لها دون تقطيع .

ومهما يكن من توجيه لسكلا الرأيين فالمقصد متحد : وهو حصول اليقين التام لإبراهيم بأن شأن البعث وإن تعاضمت نفوس لا يعد بدعا ، ولا منكورا بالنسبة لقدرة الله . ولا ينبغي لعاقل أن يستبعد على من بدأ الخلق أن يعيده : فضلا عن جمود ذلك ، بل الإعادة أيسر شأنا من البدء .

( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم ) .

وفي هذا القصص الذي مر بنا : في قضية النمرود بن كنعان مع إبراهيم ... وفي موقف العزير من القرية البائدة . وفي سؤال إبراهيم أن يرى كيف يحيي الله الموتى . في ذلك عبرة لمن شاء الله أن يهديه إلى الإيمان ، ويعفيه من نزع الجدال ، ويطمئنه إلى الحق . ومن يهد الله فما له من مضل . وإلى اللقاء في العام الجديد للذلة ... إن كانت في العمر بقية .

والسلام على قرائنا الكرام .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء



# الشيعة

## الجوار في الاسلام

- ٣ -

قبط مصر - صلّتهم بالإسلام - شرفهم بهذه الصلة - من آيات النبوة -  
هدية جبار مصر - هدية حاكم مصر - بشرى القبط بفتح مصر - الوصاة  
بالقبط - القبط بين الروم والفرس - القبط في جوار الإسلام -  
قبط يعجبون بالإسلام فيدخلون فيه - وشهد شاهد من أهلها .

عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم ستفتحون مصر ، وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحما ، أوقال : ذمة وصهرأ ، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها فى موضع لبنه فاخرج منها ، قال : فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان فى موضع لبنه ، فخرجت منها ، .  
( رواه مسلم فى باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر ، من كتاب الفضائل ) .

\* \* \*

القيراط : جزء من الدينار والدرهم والأرض وغيرها . قال بعض الحساب : القيراط فى لغة اليونان : حبة خرنوب . . والحساب يقسمون الأشياء أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له ثمن وربيع ونصف وثلاث صحيجات . والقيراط يذكر قديماً فى بلاد العرب وغيرها ، وفى البخارى : كنت أرهاها [ الغنم ] على قراريط لأهل مكة ، إلا أنه فى مصر أكثر ذكراً وتسمية ، فلماذا خصها بتسميته صلوات الله عليه .

ويقال إن أهل مصر كانوا يستعملون القيراط في السب وإسماع المكروه ، فيقولون أعطيت فلاناً قراريط ، يعنون : سبيته وأسمعته ما يكره ! ومرد هذا إلى التاريخ ، فإن صحت روايته فناسبة الجمع بين الوصية بهم وتسمية القيراط ، أن في القوم بذاءة ؛ فإذا فتحتم بلادهم - وأنتم يا ذن الله فاتحوها - فأحسنوا إليهم ، واستوصوا بهم خيراً ، ولا يجر منكم سوء مقالهم على الإساءة إليهم .

والذمة : العهد والأمان والحرمة - وتقدم القول في حرمة أهل الذمة في الحديث السابق .  
والرحم : القرابة . والصر : القرابة ، وحرمة المصاهرة ، وقد صاهرهم وفيهم ، وأصرهم وإليهم : صار فيهم صهراً .

وقبط مصر يمتنون إلى المسلمين ونبي المسلمين صلوات الله عليه وسلامه بسببين عظيمين ، ولهم بذلك شرف أى شرف :

بآجر - أو هاجر - أم أبي العرب لإسماعيل عليه السلام وهي ألقأ أهداها جبار مصر إلى سارة لما عصمها الله منه ، فوهبتها للخليل صلوات الله عليه ، في حديث طويل ...

ثم بمارية القبطية ، أم إبراهيم ولد خاتم النبيين عليهم صلوات الله وسلامه ، أهداها إليه نائب ملك الروم وحاكم مصر في هدايا أخرى عظيمة ... وذلك لما بعث إليه ﷺ رسولُه حاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه يدعوهُ إلى الإسلام ، كما كان يدعو ملوك الدنيا وعظماها في هدنة الحديبية .. فقال الحاكم خيراً وقارب الأمر ولم يسلم ، وكان يعلم من نعمته في الكتب القديمة أنه يقبل الهدية ، ولا يقبل الصدقة ، فتودد إليه بإهدائه وإكرام رسولُه حاطب ، وقد عرض حاطب الإسلام على مارية فأسلمت في طريقها ، وأكرمها النبي ﷺ إكراماً عظيماً . وأكرمها الخليفان بعده ، ورعى حرمتها حق رعايتها ، إلى أن جاورت ربهما في خلافة أمير المؤمنين عمر ستة ست عشرة ، فحشر الناس ليشهدوا جنازتها ، ثم صلى عليها ودفنها بالبقيع ...

\* \* \*

والهذكوروون في هذا الحديث جميعاً من أصحاب رسول الله ﷺ .

فأما أبو ذر الغفارى ( واسمه جندب ) فهو من السابقين الأولين ، رابع الإسلام أو خامسه ، أول من نادى بأعلى صوته بالشهادتين بجوار الكعبة . . فأبكت عليه قریش

يضربونه حتى كادوا يقتلونه ! ، أصدق الناس لهجة بشهادة الرسول ﷺ ، وكان من المبرزين في الزهد ، ذاهبا إلى أن ما زاد على الحاجة من مال فهو كنز ، وحاول أن يحمل الناس على زهده هذا فشكاه معاوية إلى عثمان - وكان بالشام حينئذ - فاستقدمه عثمان ثم أشار إليه بأن يسكن الرابذة قرب المدينة ، فلم يزل بها حتى جاور ربه سنة اثنتين وثلاثين . وصلى عليه عبد الله بن مسعود ، وكان مقبلا من المدينة إلى الكوفة فلما دعى إلى الصلاة عليه ، بكى طويلا وقال : أخى وخليلى ، عاش وحده ، ومات وحده ، ويبعث وحده ، طوبى له .

وأما شرحبيل بن حسنة فهو من مهاجرة الحبشة ، وحسنة أمه ، ولها صحبة وهجرة مع أبيها إلى أرض الحبشة كذلك . .

وأما عبد الرحمن وربيعة فهما أخوان شقيقان ، ابنا شرحبيل بن حسنة ، وكلاهما شهد فتح مصر مع أبي ذر رضى الله عنهم ، كما يشهد بذلك هذا الحديث الصحيح ، وكما نقل السيوطى جازما فى « حسن المحاضرة » . وأما شرحبيل فقيل إنه شهد فتح مصر مع ولديه ، وقيل إنه كان أحد أمراء أجناد الشام ، ومات بها سنة ثمان عشرة ، أى قبل فتح مصر بنحو عامين . .

\* \* \*

واختصاص النبي ﷺ أبا ذر رضى الله عنه بأمره أن يخرج من مصر حينما يرى رجلين يتنازعان فى موضع لبنه منها - واللبنه مثل كلمة : ما يعمل من الطين ويبنى به - دليل واضح على عرافته صلوات الله عليه وسلامه ، فى أصول التربية الإلهية ، والسياسة النفسية ، والعلم الملمهم بطبائع البشر ، وسياسة الأفراد والأمم ، ونأدية رسالات الله على خير وجهها وأكملها ...

ذلك بأنه يعلم أن أبا ذر رضى الله عنه ، ذلك العريق فى الزهد ، الحاد الدعوة ، الحار الإيمان واللاهجة ، لن يطيق أن يرى الناس يذنون ما لا يسكنون ، ويجمعون ما لا يأكلون ، وهو ساكت !! لئلا فلا بد أن يثور ، ولا بد أن يفرق مال الله فى عباد الله — وقد فعلها غير مرة — ولن يطيق الناس ثورته الصادقة تلك . . أرايت الذى يصرخ بالشهادتين فى آذان المشركين لا يبالهم ، والمسلمون حينئذ يضع أنفُسَ ، فما كان من المشركين إلا أن قاموا

فضربه حتى أضجهوه ، وأتى العباس فأكب عليه ، فقال : ويلكم ! أستم تعلدون أنه من غفار وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم ، فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد لمثلها فضربه وثاروا إليه فأكب العباس عليه فأنقذه . فقال له رسول الله ﷺ : هل أنت مبلغ عنى قومك عسى الله أن يفهم بك ويأجرك فيهم ، فعاد فأسلم أخوه أيس وأمهما وأنوا قومهم فأسلم نصفهم . ثم أسلم باقيهم حينما قدم النبي ﷺ المدينة . فى حديث طويل معجب !!  
ألا إن خير آلاى ذر رضى الله عنه ، ومن كان مثله فى صدق لهجته ، وعميق إيمانه وزهده - وإن يكونه - أن يعتزل الناس ، فيعيش وحده ، ويموت وحده . وبهذا أمره الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، ليرى ويستريح ، ويحمى نفسه الى أمره الله يامساكها ، أن تشتعل بحرارة الإيمان فتحترق !

ثم تأدب معاوية وذو النورين صهر النبي ﷺ بأدبه ، وصنعا معه ما يجمل به ، لحاه الأول من الناس ، وحى الناس من شعله إيمانه المنقد ، وأعاشه الآخر وحده رحمة به وإشفاقا عليه !!

\*\*\*

بعد هذا التمهيد الطويل الذى اضطررنا إليه ، ولم نجد بدا منه — يرى الناظر فى هذا الحديث بيسر وسهولة ، آيات من آى النبوة ، فى بشارة عظيمة ، ووصاة نبوية كريمة ، أشرنا إليها فى ختام الحديث السابق :

فأما آيات النبوة فإنها تتجلى فى إنبائه ﷺ أمته بفتح مصر ، وإنبائه أبا ذر رضى الله عنه ، بأنه سيرى رجلين يختصمان فى شبر من أرضها ، وأمره حينئذ أن يخرج منها خشية أن تمتد ثورته ، فتكون فتنة . وقد تحق ذلك كله ورآه أبو ذر وغيره رأى العين . وذلك لا يتصور البتة إلا بوحي من العليم الخبير عز وجل . وما أشبه بما أنزل على النبي ﷺ فى أمر الروم ، من أنهم سيغلبون فى بضع سنين ، بعد أن غلبوا فى أدنى الأرض ، ولا يفرق بين الوحيين إلا أن ذاك وحى غير منلو وهذا وحى وقرآن يتلى .

وقد صدق الله نبيه ، وأرى أمته ما أنبأهم به فى عهد أمير المؤمنين عمر ، على يد الصحابى الهمام ، والقائد المقدام عمرو ، عليهما رضوان الله عز وجل .

وأما البشارة العظيمة فإنها تتجلى في هذا الإنباء بالغيب إذ يعد النبي ﷺ صحابته وأمه بهذا الفتح ... ونخطئ خطأ عظيماً ، في حق النبي صلى الله عليه وسلم إذا قصرنا البشارة على المسلمين وحدهم ، بل نخطئ خطأ عظيماً في حق التاريخ نفسه ، فإنها وإيم الحق بشاراة عامة للمسلمين والقبط ، من سعد منهم بالإسلام ومن لم يسعد به .

فأما الذين سعدوا بالإسلام وآمنوا وكانوا يتقون ، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم .

وأما الذين لم يسعدوا بالإسلام فلهم البشرى في الدنيا فقط ، إذ أنجاهم الله على أيدي الهداة العادلين ، الذين وعدهم الله ليستخلفنهم في الأرض ، من أولئك الطغاة الجائرين ، الذين فرقهم أحزاباً وشيعاً ، وساموهم سوء العذاب ، من أكاسرة العجم ، وقياصرة الروم ، ونوابهم في مصر .

كانت مصر قبل الفتح الإسلامي في طريق الهلاك والدمار ، لا ينجها منه شيء ، فأعلاها مهرجان لعصابات اللصوص ، وقطاع الطريق ، والغزاة من بلاد النوبة والبدو ، وأسفلها ميدان للشغب وملئاً للفتن والثورات من كل فج . ولاهم للحكامها إلا جمع المال لخزائن الملوك ومن إليهم ...

وكانت إذا انتقلت من حكم الفرس إلى حكم الروم فسكناً رفع عنها التعذيب بالسياط ليحل بها تعذيب آخر من لسع العقارب ، على حد تعبير « بترل » الإنجليزى ، صاحب « فتح العرب لمصر » .

هذا إلى إكراه في دينهم ومذاهبهم ، وتحويلهم - مرغمين - إلى نحل يكرهونها أشد السكره ، ومذاهب يبغضونها أشد البغض ، في ظلل من التنكيل والتعذيب والعسف .

\*\*\*

فلما جاء نصر الله والفتح ، أنقذهم الله من هذا البلاء العظيم والجور ، ومنهم الإسلام الذى لا إكراه فيه ، بظله وجواره ، في نظام كريم من الأمن يكفل حرية الحياة والملك والعقيدة والثروة ، مما لا يمكن أن يحملوا به في غير الإسلام وجواره ..

واقعد أسلم كثير من أولئك المعجبين بالإسلام وفضائله ممثلة في المسلمين الصادقين ،  
 إسلاماً حقاً لانفاق فيه ، ولا تقية معه ، وإلا فماذا كان يمنعهم أن يظلموا على مسيحياتهم ،  
 وليس هناك من يكرهمهم على تركها ولو كان إمام المسلمين نفسه ؟ وليس لهم مغنم في ترك  
 المسيحية إلى الإسلام بعد أن علم الكافة — فيما قدمنا في الأحاديث السابقة — أن عبء  
 الجزية المقدرة على الذميين ، أيسر من عبء الزكاة المفروضة على المسلمين ، بل من ذا الذي  
 يجبرهم على الإسلام ، ونبي الإسلام يوصى بأهل الذمة عامة وبالقبط منهم خاصة — خيراً  
 وحسناً ؛ لأن لهم فوق الذمة والعهد رحماً أمر الله بها أن توصل ، وصهرها أمر الله به أن  
 يحل ويكرم ١٤ وهو صلوات الله وسلامه عليه أوصل الناس للرحم وإن قطعت ، وأحفظ  
 الناس للمصاهرة وإن بعدت ، ولا يرضى عن أمته إلا أن يكون لهم فيه أسوة حسنة ١٤ .

\*\*\*

ألا إن الفتوحات الإسلامية وإن حادت في القليل النادر عن طريقها المستقيم ، خيرٌ  
 مقاماً وأحسن وداً وعهداً ، من الفتوحات الأخرى ، وإن ترامت في القليل النادر أنها أوسع  
 حرية ، وأعظم مدنية ، وما هي إلا السم النافع ، والداء العضال . . .

بهذا شهد المنصفون من المؤرخين والباحثين من غير المسلمين ، وعابهم عولنا فيما كتبنا  
 من موازنة بين الفريقين ، والله يقول الحق ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم \*

طه محمد الساك

\* من أهم مراجعتنا في هذا الحديث بمد الصحيحين وشروحهما :

- ١ — حسن المحاضرة للسيوطي .
- ٢ — الرسالة الخالدة للدكتور عبد الرحمن عزام .
- ٣ — فتح العرب لمصر للدكتور بتلر ترجمة الاستاذ محمد فريد أبو حديد .

# فريضة الزكاة

## حديث لفَضِيلَةِ الاستِثاءِ الأكبرِ

السنة الثانية من الهجرة النبوية كانت حافلة بجسام الحوادث ، وعظام الامور التي تعد بحق مفاخر للإسلام والمسلمين : أمور في التشريع العام ، وإنشاء مهام الاحكام ، وأمور ترجع إلى تكوين الدولة ، وسلامة الأمة ، وحياتها وحفظها من بغى المعتدين عليها .

ففي هذه السنة الثانية من الهجرة كان كفاح ونضال بين طوائف الشرك والدعاة إلى الحق ، بين أهل الكفر وأهل الإيمان ، بين أحزاب الشيطان وحزب الرحمن . وفي هذه السنة الثانية من الهجرة كانت فرضية الصيام ، صيام رمضان الذي هو الركن الرابع من أركان الإسلام .

وفي هذه السنة أيضاً فرضت الزكاة على الاغنياء القادرين ، حقاً للفقراء المعوزين .

وشريعة الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة ، فليست هي — كما يظن بعض الناس — صدقة تفضل يتمدح بها الاغنياء ويتعالون بها على الفقراء والمساكين ، وليست تبرعاً ومنحة يمن بها القادرون على المحتاجين ، وإنما هي حق لازم ، وفرض حتم على القادرين عليها ، لا يقوم الإسلام بدونها ، كما لا يقوم بدون الصلاة التي هي فرق بين المؤمنين والكافرين .

وقد راعى الإسلام في الزكاة مصلحة أصحاب الاموال ومصلحة الفقراء البائسين ، فلم يفرضها على الاغنياء كل يوم أو كل جمعة أو كل شهر ، حتى يرهقهم بحملها ، أو يشق عليهم في التكليف بها .

ولم يقصر وجوبها على مرة واحدة في العمر كما هو الحال في فريضة الحج ، فنهمل بذلك — إلى حد كبير — مصلحة الفقراء وتسوء حالهم ، بضعف ما يمدود عليهم من زكاة ضئيلة هزيلة ، بل توسط في الامر بين الجانبين ، وقصد تحقيق المصلحتين ، وجعل الزكاة فريضة مرة واحدة

في كل عام ؛ فإنه في كل عام تجدد لأصحاب الأموال منافعها ، وتظهر أرباحها ، ويكون نتاج الماشية ، ونضج الزروع والثمار .

ثم لم يفرض الإسلام في الزكاة قدراً كبيراً مجحفاً بأصحاب الأموال ، ولم يجعله قدراً ضعيفاً تافهاً ، لا يقوم بأرد الفقراء ، ولا يسد خلة المحتاجين ، وإنما وقف بأصحاب الأموال والفقراء في حدود الاعتدال ، ففرض القدر الصالح الذي ينفع الفقراء ويرفع من شأنهم ، ولا يؤدي الأغنياء أو يشق عليهم أو يلغى جانب كدهم وكدحهم وما يبذلون من جهود في استثمار أموالهم .

راعى الإسلام جانب العدالة في القدر الذي أوجبه من الزكاة ، فجعله عشر المال أو نصف العشر أو ربعه - يختلف الأمر في ذلك ويتنوع حسب اختلاف المال وتنوعه ، وعلى حسب طريقة استثماره وسهولة ذلك وصعوبته ، فأوجب العشر كاملاً في الزروع والثمار التي لا يتحمل صاحبها في سبيل ربحها وسقيها نفقات ولا يتكبد مشقات ، وأوجب فيها نصف العشر إذا كان لا بد له في سقيها من العمل والإنفاق ، وأوجب ربع العشر لحسب في أموال التجارة التي لا يحصل صاحبها منها على الربح والفائدة إلا إذا عمل فيها وكد ، وكافح وجالد ، وصابر وسافر ، وإلا إذا بذل - على الجملة - من الجهد فوق ما يبذل عادة في استنبات الزرع واستثمار الشجر .

وأوجب كذلك ربع العشر على مالك نصاب معين من الذهب أو الفضة ، ولو عطلهما عن التداول ، وأهمل العمل فيهما للاسترباح والاتفاف بما يكون منهما من ثمرات .

ويجري مجراهما في هذا الحكم ما هو متداول من ورق النقد .

راعى الإسلام المصلحة والعدالة السكاملة فيما أوجبه من هذه المقادير ، كما راعى المصلحة وكال العدالة فيما فرضه من الزكاة على أصحاب الماشية ، مما يسهل الرجوع - لمعرفة تفصيلاته - إلى السنة النبوية الصحيحة التي بينت آيات القرآن حق البيان .

هذا ، ولا نظن أحداً - ممن يدنون بالإسلام أو تكون لهم معرفة صحيحة بمبادئه القيمة - يجهل حكمة الزكاة ، أو يحاول الخفض من شأنها والخط من قيمتها أو الزاوية بأهلها والمتنفعين بها ، فإن نظام الزكاة في الإسلام هو خير نظام تعاوني ، وأعدل منهج اشتراكي ، وأكمل تشريع في باب الضمان الاجتماعي .



ونحن إذا عرضنا هنا للكشف عن بعض أسرار الزكاة وحكمة شرعها فإنما ذلك للتذكير بهذا التشريع العظيم ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم : « وذكروا أن الذكري تقفع المؤمنين » .

فالزكاة تطهير وتزكية للنفوس من رذيلة البخل ، وتخليص لها من موبقات الشح ، وتعويد على السماحة والسخاء وبذل العون في أوقات الشدة والحاجة ، وتمرين للإنسان على حب المجتمع والعمل له ، والسعى في تحقيق الخير لأفراد وجماعته .

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » .

والزكاة تطهير وتزكية ونماء للبال ، فإنها إذا كانت - في الظاهر وأول الأمر - موجبة نقصان المال بصرف جزء منه للفقراء المحتاجين ، فإن الله قد كتب لصاحبها البركة والحفظ وسلامة المال من الآفات والتوازل ، وضمن له زيادته ونماؤه ومضاعفته الخير فيه ، على نقيض ما كتبه على المرابين الذين يبعون زيادة أموالهم من طريق الجشع والحرص المذموم واستغلال حاجة المحتاجين ، ومدانة الناس بما يتقاضونه منهم كاملا مع الزيادة عليه ، فإن ذلك كسب خبيث ، قلت فيه الزيادة أو كثرت ، وآية ذلك كله من القرآن الكريم قول الله تعالى : « وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله » ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » .

إن المزكى يكسب بركانه خيرا كثيرا ، وينال بها ربها عظيما ، يكسب بها رضا الله وثوابه بما أسدى إلى المجتمع من معونة ، ويكسب بها هداية الله وتوفيقه إياه ، فتفتتح أمامه وجوه الربح الطيب ، وتيسر له سبيل الرزق الحلال . ثم يعود عليه المجتمع - نظير ما أسدى إليه من معونة - بمعونة مثلها أو أعظم منها ، لا يلقاه أحد بحقد ، ولا يناله أذى من أحد ، بل يحبون له أن يكثر ماله ، ويعظم بره ويزداد خيره ، ويعينونه بكل ما يمكن من جهود وآراء صالحة ، على حفظ ماله وقسمته واستثماره فأما من أعطى واتق وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » .

هذا الحكم مقرر في مختلف الأديان ، مكتوب في القرآن ، وهو الذى عليه الناس

في هذه الحياة : أفرادهم وجماعاتهم ، حتى ليرعاه الأشرار الفجار الذين يعيشون على النهب والسلب ، وعلى السرقات وأنواع الاحتيالات ، وعلى السطو والعدوان على الناس في أنفسهم وأموالهم ، فكثيراً ما حمت الزكاة وأعمال البر أصحابها ، ودفعت عنهم أيدي عصابات كانت تنصدهم بالشر والأذى : تنكشف هذه العصابات ، وتلتوى عن سوء قصدتها عند ما تعلم أو يعلم بعض أفرادها أن من قصدوه بالسوء هو رجل بر وخير ينفع الناس بماله ، ويمنحهم من بره وخيره ، وإذا لا يكون من الرجولة ولا من حسن المروءة أن يقتلوه أو يؤذوه أو يرزؤوه في أهل أو مال .

هذا هو حكم الناس وتقديرهم - خيارهم وأشرارهم - لمن يكرم غيره ببره وعونه فما الذي يبتغيه الإنسان في هذه الحياة وراء أن يكون هادئ النفس ، ناعم البال ، مرموقاً - أينما كان - بعين التوقير وحسن التقدير ، واجداً دائماً من يحفظه وبكرمه ويصدق عنه ، ثم يعينه ويوفر أسباب الراحة له ويعمل على إيصال كل خير إليه ؟

وما الذي يرجوه من الحياة الآخرة غير أن يلقى ربه راضياً عنه ، - حقياً به ، مسبقاً عليه من فضله ومثوبته مع الأبرار الأخيار ، من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

نسأل الله الهداية والتوفيق للعمل على ما يصلح به ديننا ودياننا وما تكون به عزة أوطاننا . إنه سبحانه ولي التوفيق لا يضيع أجر العاملين المحسنين .  
عبد الرحمن تاج  
شيخ الجامع الأزهر

## في ظلال الغنى

لست أدري ولا المروءة تدرى	ما غناء الغنى إذا عاد ذلاً
يجمع المال غيرنا فيبارى	ساريات الربيع جوداً وبذلاً
غير أنا نثرى لنشقى ، ونمسي	في ظلال الغنى على الناس كلا
أى فضل - قل لى - لثرى بخيل	ما على الناس منه أثقل ظلاً

محمد النجمي

# زواج المسلم بالكتابية

- ٢ -

رأى الزيدية:

وقال صاحب الروض النضير شرح بمجموع الفقه الكبير من فقهائ الزيدية ص ٤٣ ح ٤ :  
 روى على جواز تزوج المسلم باليهودية والنصرانية ، وروى أيضا عن عمر بن الخطاب  
 وعن جابر بن عبد الله والزهرى . وأن نهى عمر لحذيفة حين تزوج اليهودية إنما كان على  
 طريق التنزيه والكرهية بدليل أن حذيفة كتب إليه أحرام هي ؟ قال : لا . فلم يطلقها حين  
 أمره عمر بمفارقتها . وأن الصحيح من مذهب الإمام زيد بن علي وأخيه الباقر والصادق هو  
 ما يدل عليه الحديث من جواز نكاح المسلم الكتابية من اليهود والنصارى ، وإليه ذهب  
 الحنفية والشافعية ، واختاره الإمام يحيى ، واحتج له السيد الخافظ ، وأجمع عليه الصدر الاول ،  
 والدليل على ذلك آية المائدة وهي آخر ما نزل من القرآن كما اتفق على ذلك العلماء .

وذهب بعض الزيدية إلى القول بتحريم الكتائيات والمشركات لقوله تعالى :  
 « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ، وقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » وحمل  
 آية المائدة على حل المحصنات من أهل الكتاب بعد الإسلام لأنهم كانوا يتأففون من نكاحهن  
 وأجاب الإمام المهدي بأن آية المائدة نص في التحليل وهو يدل على تحريم سابق ،  
 ولو كان المراد بها منع الانفة من نكاح الكتابية بعد الإسلام لكفى قوله تعالى  
 « والمحصنات من المؤمنات » ، وعمومه في كل من آمن ، ولم يبق لعطف الكتائيات فائدة .  
 وما ذهب إليه ابن عمر مما يفيد أن آية البقرة ناسخة لآية المائدة فرواية ضعيفة ، يبعدها  
 أن المتأخر لا يفسخ بالمتقدم ، على أن بعضهم حمل هذه الرواية عنه على أنه أراد بالكتائيات  
 الحريات اهـ

وهذا يظهر أن الصحيح من رأى الزيدية جواز نكاح الكتائيات ، كما هو رأى غيرهم  
 من أئمة المذاهب الاربعة والظاهرية . وقد حكوا إجماع أهل الصدر الاول عليه .

## تفسير الألوسى للآيات الثلاث .

١ — قال العلامة الألوسى فى تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » : إن الآية محمولة عند أكثر أهل العلم على من عدا الكتائيات ، وروى عن قتادة أنهن مشركات العرب اللاتى ليس لهن كتاب ، وعن عمار قال : سألت لإبراهيم عمن تزوج اليهودية والنصرانية فقال : لا بأس به ، قلت : أليس الله تعالى يقول : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ؟ فقال : إنما تلك المجوسيات وأهل الأوثان .

وروى عن ابن عمر حرمة نكاح الكتائيات لأنهن يقان مقالة المشركين ، وإلى هذا ذهب الإمامية وبعض الزيدية وجعلوا هذه الآية ناسخة لآية المسائدة نسخ العام للخاص .  
ولكن الذى عليه عمل أهل العلم أن آية المسائدة هى الناسخة لهذه الآية ، كما أخرجه أبو داود عن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات » : نسخ من ذلك نكاح نساء أهل الكتاب ، أحلهم للمسلمين وحرم المسلمات على رجالهن . ومثله عن الحسن ومجاهد وهو مذهب الحنفية .

وذهب الشافعية إلى أن آية المسائدة مخصصة لا ناسخة . ومبنى الخلاف أن قصر العام على بعض أفراداه بكلام مستقل تخصيص عند الشافعية ، ونسخ عند الحنفية ، والنتيجة واحدة فى الحكم .

٢ — وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة المسائدة : اليوم أحل لكم الطيبات الخ ، : روى عن ابن عباس أن المراد من المحصنات من الذين أوتوا الكتاب الذميات غير الحريات . وذهب الإمامية إلى حرمة نكاح الكتائيات على الدوام تمسكا بآية البقرة السابقة ، وآية الممتحنة وهى قوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، وتأولوا آية المسائدة بحملها على الكتائيات بعد إسلامهن . ولا يخفى أن هذا خلاف الظاهر .

ودعوى نسخ هذه الآية بآيتى البقرة والممتحنة احتجاجا بما رواه الجارود عن أبي جعفر لا تصح من طريق السنة .

٣ — وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة الممتحنة : يأياها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن . فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهن ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن

إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وأسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ، :

كان صالح الحديبية بين النبي ﷺ وأهل مكة المشركين يقضى بأن من أتى النبي من قريش رده إليهم وإن كان مسلماً ومن جاء قريشا من عند النبي لا يردونه عليه ، فلم يأت النبي أحد من الرجال إلا رده في مدة العهد وإن كان مسلماً ومنهم أبو جندل بن سهيل ، ثم جاء المؤمنات مهاجرات إلى النبي ومنهن أم كلثوم بنت عقبة بن معيط ، وكانت أول المهاجرات ، فخرج أخوها حتى قدما على النبي ، فكلما في ردها إلى قريش ، فلم يردها ، ونزلت الآية مقررّة لفعله عليه السلام وهو عدم الرد ، أو ناسخة لما جاء في الصلح من عموم الشرط بالنسبة للرجال والنساء ، فقصر على الرجال وحدهم دون المؤمنات المهاجرات ، كما رجحه الجصاص في تفسير سورة الممتحنة .

ودلت الآية على النهي عن إرجاعهن إلى الكفار بمكة بعد أن علم إيمانهن ، وأن هجرتهن إنما كانت رغبة في الإيمان والإسلام ، وأنهن به هذه الهجرة محرّمات على أزواجهن المشركين بمكة ، لاهن حل لم ولا هم يحلون لهن ، وحلال للمسلمين أن يتزوجوهن إذا أعطين مهورهن . ثم قال تعالى خطاباً للمؤمنين : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » فنهاهم عن أن يكون بينهم وبين زوجاتهم المشركات الباقيات في دار الحرب وهي مكة علقه من علق الزوجية أصلاً حتى لا تمتنع لإحداهن نكاح خامسة أو نكاح أختها في العدة . وهذا بناء على أن الكوافر هن النساء جمع كافرة .

وقال ابن عباس في تفسيرها : من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها عنه .

وقال إبراهيم النخعي ومجاهد وسعيد بن جبير : إن الآية نزلت في المرأة المسلمة تلحق بالمشركين فلا يمسك زوجها بعصمتها قد برى منها اه .

وعلى كل هذه الروايات لا يكون في الآية دليل على حرمة نكاح الكتانيات ، بل هي خاصة بالمشركات الباقيات في دار الحرب ، أو بالمسلمة التي كفرت بلحاقها بالمشركين بدار الحرب .

وقال الجصاص في تفسير آية الممتحنة ص ٤٣٨ جزء ٣ : إن في هذه الآية ضروبا من

الدلالة على أنواع الفرقة باختلاف الدارين بين الزوجين ، وذلك بأن يكون أحد الزوجين من أهل دار الحرب والآخر من أهل دار الإسلام ، فإن المهاجرة إلى دار الإسلام قد صارت من أهل دار الإسلام وزوجها باق على كفره من أهل دار الحرب ، فقد اختلفت بهما الداران ، وحكم الله بوقوع الفرقة بينهما ، ونهانا بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » أن نمنع من تزويجها لأجل زوجها الحربى . وهذا بناء على أن المراد من الكوافر الرجال لأنه في ذكر المهاجرات .

ومع أن هذا المراد غير ظاهر فليس في الآية شبه دلالة على حرمة تزوج المسلم بالكتابية ، والاستدلال بها على ذلك بعيد كل البعد عن سياقها ومعناها .

#### مذهب الإمامية :

جاء في كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام بعد أن ذكر الاتفاق على عدم جواز نكاح غير الكتابية : أن القائلين بعدم جواز نكاح الكتابية من اليهود والنصارى مطلقاً استدلوا أولاً بآية البقرة التي علق فيها النهى على الغاية التي هي الإيمان . فكان الإيمان شرطاً في النكاح . وكذلك تعقيب النهى بقوله « أولئك يدعون إلى النار » يقتضى كونه علة للنع مطلقاً ، وهذا المعنى مطرد في جميع أقسام الكفر ، ولا اختصاص له بالشرك . وبأن اليهود والنصارى من المشركين لقول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله .

واستدلوا ثانياً بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » والمراد بها نهى المؤمنين عن القيام على نكاح الكافرات لانقطاع العصمة بينهم .

وروى عن أبي جعفر في تفسيرها : من كانت عنده امرأة كافرة على غير ملة الإسلام وهو على ملة الإسلام ، فليعرض عليها الإسلام ، فإن قبلت فهي امرأته ، وإلا فهو برى منها .

وأن آية المائدة منسوخة بإحدى الآيتين . والتحقيق جواز نكاح الكتابيات مطلقاً بدليل آية المائدة ، وهي كما اشتهر محكمة لم تفسخ بنسخ . وقال رسول الله : إن سورة المائدة آخر القرآن نزولاً ، فأحلوا حلالها ، وحرّموا حرامها .

وعن على كان القرآن ينسخ بعضه بعضا وإنما يؤخذ من رسول الله بآخره ، وكان من آخر ما نزل سورة المائدة التي نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء .

وقد نهى المسلمون أولا عن نسخ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ثم نسخ بآية المائدة . والخلاصة أن آية المائدة هي النسخة ، وذلك هو الموافق للنصوص المستفيضة والمتوافرة الدالة على جواز نسخ الكتابيات منطوقا ومفهوما كصحيح ابن وهب وغيره . ومن ذلك يظهر أن مختار المصنف وغيره في التفصيل في غاية الضعف ، وكذلك سائر الأقوال ما عدا ما تقرر أنه التحقيق .

هذا رأى الإمامية في جواز نسخ الكتابيات .

ومن كل ما سبق يعلم أن رأى فقهاء الإسلام الذى عليه المعول عند سائر الفرق جواز نسخ الكتابيات ، وأن رأى ابن عمر ومن تبعه في هذه المسألة لم يعول عليه ، ولم يؤيده الدليل ، وأن التحقيق عند الإمامية مخالف له وموافق للجمهور ؟

مسئله محمد مخلوف

( يتبع )

## حب الاعرابى للبادية

قيل لاعرابى :

كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ ، وانتعل كل شئ ظله ؟

فقال : — وهل العيش إلا ذاك ؟ يمشى أحدنا ميلا فيرفض عرقا ، ثم ينصب حصاه ، ويلقى عليها كساه ، ويجلس في قيمه يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى ...

## فقيه أديب

نعم هو فقيه من أعلام الفقهاء ، وأديب بين الأدباء ، وقل أن يجتمع الفقه والأدب لعالم من العلماء ، لأن الصناعات تتزاحم وتندافع كما قال العلامة ابن خلدون ، فمن حصل على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فنل أن يجيد ملكة علم آخر على نسبته ، بل يكون مقصراً إن طلبه إلا في الأقل النادر من الأحوال .

رفعه علمه من الطبقة الدنيا إلى طبقات القادة والسادة ، وسما به فقهه إلى أعلى المراتب ، وبلغ به أعلى المنازل ، وأجاسه مجالس الخلفاء ، وجعل منه مستشاراً ديفياً لأعظم دولة في عصره ، وقاضياً لقضائها جميعاً ، وأنزله ورعه وشجاعته في الحق وللحق منزلة الناصح لخليفة المسلمين ، بل منزلة الواعظ الزاجر الذي يذكره بحقوق الرعية ، وينذره عاقبة التفريط فيها والغفلة عنها .

شهر بالفقه فأخذ مكانه في جماعة الفقهاء ، وخلت من ذكره تراجم الأدباء ، وكان خليقاً أن يكون في طليعتهم ، ولعل ذلك لأن علم الفقه أشرف العلوم ، والشهرة به كانت أجل وأثر إلى نفوس العلماء والعامّة من الشهرة بغيره لهذا العهد ، لذلك عفا الزمن على آثاره الأدبية ، ولم يبق إلا تنفيس سيرة من أدبه ، وبعض من كتبه يكفي للدلالة على مكانه من الأدب . وإذا أردت أن تعرف بعد ذلك من هو ؟ فاعلم أنه أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة .

نشأ أبو يوسف من أسرة ذات نسب عريق ، لجده الأعلى سعد بن حبة الانصارى أحد صحابة رسول الله ، ومن أبلى في بعض المواقع النبوية - إلا أنها كانت فقيرة لا تجدد ما تقيم به أودها ، فكانت أبعد الناس عن العلم والإقبال عليه ، لولا كلمة سبقت من ربك بالحظ لأحد أبنائها فكان ذلك الحظ يقصره على المجد قسراً ، ويدفعه إلى الخير دفعاً .

حدث أبو يوسف عن نفسه فقال : « توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمي ، فأسلتني إلى قصار أخدمه ، فكانت أفر منه وأختلف إلى حلقة أبي حنيفة ، فكانت أمي تجيء إلى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي إلى القصار ، وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصى على التعلم ، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي



قالت لآبي حنيفة : د ما لهذا الصبي فساد غيرك ! هذا صبي يقيم لا شيء له ، وإنما أطعمه من مغزلى وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه ، فقال لها أبو حنيفة : يا رعتاه ها هو ذا سيتعلم أكل الفالودج بدهن الفستق ! فأنصرفت عنه وقالت له : أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ، ثم لزمته فنفعنى الله تعالى بالعلم ، ورفعنى حتى تقلدت القضاء وكنت أجالس الرشيد وأكل معه على مائدته ، فلما كان فى بدى الأيام قدم إلى هارون الرشيد فالودجة ، فقال لى : يا يعقوب ، كل منها فليس فى كل يوم يعمل لنا مثلها . فقلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه فالودجة بدهن الفستق . فضحكك . فقال لى : مم تضحك ؟ فقلت : خيراً ؛ أبى الله أمير المؤمنين . قال : لتخبرنى . وألح على . فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها ، فتهيج من ذلك وقال : لعمري إن العلم لينفع ديناً ودنيا وترحم على أبى حنيفة وقال : كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه .

ذلك حديث أبى يوسف عن نفسه وإنه ليلخص تاريخه ويحلو حياته ، ويكشفنا عن التطويل فى الترجمة له لتصرف إلى الحديث عن فقهه وأدبه .

أما فقهه فيمكن أن يقال فيه إنه أحد المبرزين من أصحاب أبى حنيفة ، وأفقه أهل عصره ، وأول من وضع الكتب على مذهبه ، وأملى المسائل ونشرها فى أقطار الأرض ، وولى القضاء لثلاثة من الخلفاء هم : المهدي والهادي والرشيد ، وأول من دعى قاضى القضاء ومع أنه كان حافظاً للحديث ، إلا أنه كان ذا ملكة فقهية عجيبة لا تقف عند النصوص ، بل تستلهمها رأى الرشيد والحكم السديد ، وكان اعتماده على رأى واعتداده به يفزع منه بعض العلماء . قال محمد بن جرير الطبرى : د وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة رأى وتفريعه الفروع والأحكام مع صحة السلطان وتقلده القضاء .

وقد استمكننت له ملكة الفقه العلمى كما استمكننت فيه ملكة الفقه القضائى . قال له الرشيد يوماً : بلغنى أنك تقول : إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم : متصنعة . قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : وكيف ذلك . قال : لأن من صح ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه ، ومن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله ، وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين أظهروا السر وأبطنوا غيره . فتبسم الرشيد وقال : صدقت . وفقه أبى يوسف وأقواله وآراؤه وما اختلف فيه مع إمامه أبى حنيفة متفرقة فى كتب فقه أبى حنيفة ، وقد اختلف معه فى مسائل كثيرة ، وله كتاب خاص هو من أجل الكتب

في موضوعه ، وهو كتاب ( الخراج ) الذي يعتبره العلماء دستوراً إسلامياً جامعاً في مسائل الأموال الإسلامية وما عليها من خراج وعشر وجزية وغير ذلك .

هذا أبو يوسف الفقيه . أما أبو يوسف الأديب فحسبنا للدلالة على أدبه أن نعرض بعضاً من نتفه الأدبية التي توزعتها كتب التراجم ، ونقتبس بعض فقرات من كتابه إلى هارون الرشيد وهو مقدمة كتاب ( الخراج ) ، فما أثر عنه أنه قال : صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة . وقال : رؤوس النعم ثلاثة : أولها : نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها ، والثانية : نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها ، والثالثة : نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها . وقال : العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرر .

ومما جاء في مقدمة كتاب الخراج الذي بعث به إلى الرشيد قوله : يا أمير المؤمنين إن الله — وله الحمد — قد قللك أمراً عظيماً ، ثوابه أعظم الثواب ، وعقابه أشد العقاب ، قللك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت تبني للخلق كثير قد استرعاكهم الله وأتمنك عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم ، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأنيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعانه عليه ، فلا تضيعن ما قللك الله من أمر هذه الأمة والرعية ، فإن القوة في العمل بإذن الله . . .

أقم الحق فيما رلاك الله وقللك ولو ساعة من نهار ، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته ، ولا ترغ فترغ رعيته ولما بك والأمر بالهوى والاختد بالغضب . . . . . وكن من خشية الله على حذر ، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد ، ولا تخف في الله لومة لائم . . . . . واعمل لاجل مفضوض ، وسبيل مسلوك ، وطريق مأخوذ ، وعمل محفوظ . ومنهل مورود . . . فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين ، فإن ديار يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم . . . . . وجور الراعي هلاك للرعية ؛ واستعانت به غير أهل الثقة والخير هلاك للعامة . . . وإذا صح عندك من الدامل والوالى تعد بظلم أو عسف وخيانة لك في رعيته واحتجاز شيء من الفيء أو خبث طعمته أو سوء سيرته فحرام عليك أن تشركه في شيء من أمرك ، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمثل ما تعرض له ، ولأنى أسأل الله يا أمير المؤمنين الذي

من عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يكلك في شيء من أمرك إلى نفسك ، وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبابه ،

ذلك أبو يوسف الأديب ، وقد بلغ بفقهه وأدبه أقصى ما يطمع فيه فقيه وأديب من رياسة وجاه وغنى ، وقد أدى حق الرياسة وحق الجاه وحق المال فلم يجر في قضاء ، ولم يبخل بمال . قال محمد بن سماعة : سمعت أبا يوسف في العام الذي مات فيه يقول : اللهم إنك تعلم أنى لم أجر في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدًا ، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وكل ما أشكل على جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندى والله من يعرف أمرك ، ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه . وقد أوصى عند موته بمائة ألف لاهل مكة ، ومائة ألف لاهل المدينة ، ومائة ألف لاهل الكوفة ، ومائة ألف لاهل بغداد .

وقد أنجب أبو يوسف ابنا كان له من أبيه حظ كبير ، فكان فقيها عالما ، وولى القضاء في حياته ، فلما توفى أبو يوسف قال الخريجي الشاعر :

يا ناعى الفقه إلى أهله      إن مات يعقوب ولا تدرى  
لم يمت الفقه      ولكنه حول من صدر إلى صدر  
ألفاه يعقوب إلى يوسف      فزال من صلب إلى ظهر  
فهو مقيم فإذا ماتوى      وحل حل الفقه فى قبر

وأبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبة الانصارى . ولد ببغداد سنة ١١٣ هـ وتوفى بها سنة ١٨٢ هـ . قال معروف الكوفي الصوفى المشهور : رأيت البارحة كأنى دخلت الجنة فرأيت قصرا قد فرشت بجالسه ، وأرخت ستوره ، وقام ولدانه . فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا : ليعقوب بن إبراهيم الانصارى أبى يوسف ، فقلت : يا سبحان الله !! بم استحق هذا من الله تعالى ؟ فقالوا : بتعليمه الناس وصبره على أذاهم ؟

**أبو الوفا المرافى**

# لغويات

أحرى بك أن تصلح نفسك من أن تبحث عن عيوب غيرك

يرد في عبارات العصرين هذا الأسلوب . وفي كتاب ديواني من دار الكتب المصرية في شأن نشر الكتب فيها وطبعها : « وخير للدار ألا تنشر شيئاً من أن تنشر كتاباً لا تقف على النسخ الموجودة منه في المكتاب المختلفة في العالم الشرقي والغربي » .

والأسلوب يستوقف النحوي ويجافى صناعة الإعراب . ذلك أن المتبادر في أمره أن اسم التفضيل خبر مقدم ، والمصدر المؤول مبتدأ مؤخر ، والجار ( من ) مع مجروره متعلق باسم التفضيل . وموطن الريبة أن فيه الفصل بين العامل - وهو اسم التفضيل - ومعموله - وهو الجار والمجرور - بغير معمول العامل ، وهو المبتدأ ، وذلك تحظره صناعة الإعراب ؛ إذ تنكر الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي أي غير معمول للعامل .

ولكن الأسلوب - مع هذا - ورد في فصيح الكلام ، فوجب اعتياده وقبوله . وللعرب أن تقول ، وعلى النحويين أن يعربوا ، وأن يخرجوا على قواعدهم ما يتيسر لهم التخريج . فقد روى أبو زيد الأنصاري المنوفي سنة ٤١٥ هـ ، في نوادره ص ٢١ لزهير ابن مسعود الضبي :

نخير نحن عند الناس منكم إذا الداعي المئوب قال يالا

المئوب : المستصرخ والمستغيث . وقوله : قال يال أي يالني فلان ، خذف المستغاث . وقوله : عند الناس يروى بدله : عند البأس . والقاري يرى البيت كالمثال الذي هو موضوع البحث سواءً .

وقد أحسن النحاة إشكال البيت فغنوا بتخريجه . ويقول البغدادي في الخزانة في شواهد المفعول المطلق بعد إبراده : « قد تكلم الناس على إعرابه قديماً وحديثاً ؛ لا سيما أبو علي الفارسي ، فإنه تكلم عليه في أكثر كتبه . قال في التذكرة القصرية : سألت عن هذا البيت ابن الخطاط والمعمري فلم يجيبا إلا بعد مدة » .

والبيت - ومثله ما كان على شاكلته - تبدو فيه الوجوه الآتية :

الاول أن يكون «خير» خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن خير ، و «نحن» الملفوظ بها تأكيد للضمير المستتر في «خير» . وهذا خلاف المتبادر .

والثاني أن يكون «خير» مبتدأ ، و «نحن» فاعله سد مسد الخبر ، وقد وقع الوصف مبتدأ مكنته بمر فوعه عن الخبر مع عدم اعتناؤه على نفي أو استفهام ، وهذا يجزئه الاخفش والكوفيون . ولكن يغض من هذا الوجه أن فيه رفع اسم التفضيل للظاهر في غير مسألة السكحل - يراد بالظاهر غير الضمير المستتر - وهذا إنما يكون في النادر من الكلام . وقد ذكر سيبويه في الكتاب ١ / ٢٢٩ وما بعدها مسألة من مسائل التفضيل وهى : مررت برجل خير منك أبوه ، فذكر أن الوجه رفع «خير» على أنه خبر مقدم و «أبوه» مبتدأ مؤخر . ثم ذكر أن يونس زعم أن ناسا من العرب يحرون «خير» على أنه نعت سبى ، وعلى هذا يكون «أبوه» مرفوعا بالتفضيل في غير مسألة السكحل . ولكن سيبويه يرى الجر غير الوجه ، وكأنه لا يستثبته وإن رواه يونس ، وانظر التعبير عن روايته بالزعم . ويجعل النحويون رفع التفضيل للظاهر في غير النفي من نادر الكلام .

والوجه الثالث أن يكون «خير» خبرا مقدما ، والمصدر المؤول مبتدأ مؤخرا ؛ كما هو المتبادر . وهذا الوجه - كما سبق لك - فيه الفصل بين العامل والمعمول بالأجنبي والعذر في هذا أن المبتدأ وإن لم يكن معمولا للخبر هو منه بسبب قريب ، فكأنه ليس بالأجنبي . ويقرب هذا أن بعض النحويين يرون أن المبتدأ والخبر مترافعان ، وقد ركب الزحشرى متن هذا المذهب ، ولم يبال الفصل بين الخبر ومعموله بالمبتدأ . وذلك في قوله تعالى في سورة مريم : «قال أراغب أنت عن آلهتى» ، لجعل الوصف خبرا مقدما و «أنت» مبتدأ مؤخرا ؛ وقد فصل بين «راغب» ومعموله : «عن آلهتى» . وللخروج من هذا يجعل بعض النحويين حتما الوصف مبتدأ ، و «أنت» فاعله سد مسد الخبر . وقد تبع البيضاوى الزحشرى في الإعراب ، فقال الشهاب الخماحي في كتابته عليه : «خالف أبا البقاء وابن مالك من جعل «أنت» فاعل الصفة لاعتمادها على حرف الاستفهام لئلا يلزم الفصل بين (أغاب) ومعموله وهو «عن آلهتى» بأجنبي وهو المبتدأ لأنه غير معمول له ، أو يحتاج إلى تقدير عامل آخر له ، وهو خلاف الاصل ؛ لأنه قيل عليه : إن المبتدأ ليس أجنبيا من كل وجه ؛

لأسيا والمفصول ظرف متوسع فيه ، والمقدم في نية التأخير ، والبلغ يلتفت لفت المعنى بعد أن كان لما يرتكبه وجه مساغ ، وهذا الأسلوب قريب من ترجيح الاستحسان على القياس لقوة أثره ، والوجه الأخير أقرب الثلاثة وأجدرها بالقبول .

### عاطر الشتاء

يقع هذا التعبير كثيراً ، وكثيراً ما يقع في الرسائل الإخوانية : أهدي إليك عاطر التحية . وفي مجلة مجمع اللغة العربية ٢٩٤/٧ : « فطالما سمعت عاطر الشتاء على فضلك وعلمك ، ويراد بذلك طيب التحية وطيب الشتاء . وعاطر في هذا وصف من العطر ، وهو ما يتطلب به كالمسك وغيره ، وترى فيه تمثيلاً للمعقول بالمحسوس ، كأن التحية ضمنت بالطيب فصارت طيبة النشر . ومن استعماله في المحسوس قول الرصافي في غلام حائك :

قالوا وقد أكثروا في حبه عذلى      لو لم تهم بمذال القدر مبتذل  
علقت به حبي الثغر عاطره      حلو اللعى ساحر الاجفان والمقل  
جذلان يلعب بالمحواك أنمله      على السدى لعب الايام بالاجل

وقد وقع إنكار لاستعمال عاطر في معنى طيب الريح ، وأوجبوا أن يقال في ذلك العطر ، فأما العاطر فهو محب العطر ، وقد كان حجة هؤلاء ما في القاموس فقد اقتصر على هذا المعنى للعاطر . والاقتصار على بعض المعاجم كثيراً ما يكون سبباً لتخطئة أساليب صحيحة ، ولو رجع هؤلاء إلى اللسان لما تبادوا في إنكارهم ، ففيه : « ورجل عاطر وعطر ومعطير ومعطار ، وامرأة عطرة ومعطير ومعطرة : يتعهدان أنفسهما بالطيب ويسكنثران منه ، ثم قال : « ابن الأعرابي رجل عاطر وجمعه عطر وهو المحب للطيب ، و « عاطر ، يبدو أنه صيغة نسب وليس وصفاً من الفعل عطر ، إذ الوصف منه عطر كفرح من فرح ويقل في فعل أن يأتي الوصف منه على فاعل كسالم من سلم ، فعاطر : منسوب إلى العطر ، وذلك بأن يكون محباً له ، أو متطياً به .

وإذا كان عاطر معناه المنسوب إلى العطر فهل يقال : تحية عاطرة ؟ المشهور في هذا أن يجرد وصف المؤنث من التاء كما يقال امرأة مرضع وحائض على تخريجهما على النسب وذلك لأن الوصف حينئذ ليس جارياً على الفعل فلم يؤنث . وقد أورد الزمخشري في الأساس ( وري ) قول الأخطل :

والمطعمين إذا هبت شامية تزجي الجهام سديف المربع الوارى

وفسر المربع بالنافاة التى لقحت أول الربيع ، وأجاز فى « الوارى » - وهو السمين - ثلاثة أوجه ، الأول أن يكون وصفا للسديف ، وهو قطع السنام ، فيكون منصوبا ، وتكون الفتحة مقدرة للورى ، والثانى أن يكون كذلك وصفا للسنام ، وهو فى موضع جر على الجوار للربيع ، والثالث أن يكون وصفا للربيع على النسب أى ذات الورى وهو السمن . ولم يقل : الوارية نظرا لكونه صيغة نسب . وعلى ذلك يقال : تحية عاطر لا عاطرة . وقد ظهر لى أن الواجب أن يقال : تحية عاطرة على حد قوله تعالى : « فهو فى عيشة راضية » ففى بعض الوجوه أن « راضية » معناها ذات رضا ، على النسب ، ومع ذلك جاء فيها التأنيث . ومن ذلك قول الشاعر :

لقد عيل الأيتام طعنة ناشره أناشر لا زالت يمينك آشره

فآشرة أى ذات أشر وهو الشق ، وذلك أن يقع الشق عليها ، ولا يرد أن يقع الشق منها ، فإنه يدعو عليه ، ولا يدعو له ، فترى أنها صيغة نسب ، وقد قرنت بالتاء . وإنما يجرى من التاء إذا غلب الوصف فى المؤنث كمرضع وحائض . وانظر الخصائص ( طبعة الدار ) ١٥٢ / ١

## « الورى »

الورى : الخلق ويبدو من شعرذى الرمة الآتى اختصاصه بالاناسى . ويكثر فى وصف الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيقال : خير الورى وأفضل الورى . ويقول ابن مالك فى ديباجة لامية الأفعال :

الحمد لله لا أبغى به بدلا حمدا يبلغ من رضوانه الأمل

ثم الصلاة على خير الورى وعلى ساداتنا آله وصحبه الفضلا

وعهدنا بالورى واردا فى الإثبات كالنقى على السواء . ولكنى وقفت فى اللسان على أنه لا يكون إلا فى أسلوب النقي والحمد . وهاك عبارته فى ترجمة ( ورى ) : « الورى : الخلق . تقول العرب : ما أدرى أى لورى هو ، أى أى الخلق هو . قال ذو الرمة :

وكأن ذمرنا من مهة وراح بلاد الورى ليست له يبلاد

قال ابن برى: قال ابن جنى: لا يستعمل الورى إلا فى النقى. وإنما سوغ لذى الرمة استعماله واجبا لأنه فى المعنى منقى؛ كأنه قال: ليست بلاد الورى له ببلاد، والمهامة البقرة الوحشية، والراح: الثور الوحشى،سمى بذلك لمكان قرنيه فكأنهما رحمان له.

ولم أقف على مكان هذا الحكم فيما وقفت عليه من كتب ابن جنى، وقد بحث عن مصدره فى ذلك فبدا لى أنه قد يكون كلام ابن السكيت فى إصلاح المنطق، وإذا كان كذلك ساغ لنا بعد التأمل أن نعدل عنه، ولا نرى رأيه. وذلك أن ابن السكيت عقد بابا لما لا يتكلم به إلا مع الجحد، ثم عقد بابا<sup>(١)</sup> ذكر فيه العبارات التى تقال فى معنى: ما أدرى أى الخلق هو فقال: يقال: ما أدرى أى الناس هو، وما أدرى أى الورى هو، وما أدرى أى الطمش هو إلى آخر الباب. وكان بعض اللغويين يفهمون من هذا اختصاص هذه الكلمات بالنقى، حتى إن الأزهرى قال فى الطمش: «وقد يستعمل غير منقى الأول»، قال رؤبة:

وما نجا من حشرها المحشوش وحش ولا طمش من الطموش

وكانه يريد التعقيب على كلام ابن السكيت، وابن السكيت لا يريد الاختصاص بالنقى، فقد ذكر فى عبارات الباب ما أدرى أى الأنام هو، ولا يخطر بذهن أحد أن الأنام مختص بالنقى، وفى التنزيل العزيز: «والأرض وضعها للأنام». وكذلك ذكر ابن السكيت فى عبارات الباب ما أدرى أى خابط الليل هو، ولايجرى بخلد أحد أن خابط الليل لا يكون فى الإنبات. فنحن فى سعة إذا أن نخالف ابن جنى ومن لف لفه، وأن نعتد صحة ما جرى فى استعماله فى الواجب. وبما جاء من ذلك فى الشعر القديم قول شاعر بنى حنيفة فى مسيلة الكذاب:

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

ويرد الشطر الثانى كثيرا فى الكتب فى الكلام على اختصاص الرحمن بالله سبحانه، وقد ذكره الزغشرى فى مفتاح الكشف.

محمد على النجار



# المثالية الواقعية

في الفكرة الدينية

مثالية ... واقعية :

من المصطلحات التي شاع تداولها في هذا العصر ، كلمة « المثالية » ، وكلمة « الواقعية » ، فإذا دعوت إلى صورة من صور الخلق النبيل ، قيل لك : هذه مثالية ... وإذا دعوت إلى الأديان وإلى فضائل الأديان ، قيل لك : كن واقعياً ... فما هي المثالية ؟ وما هي الواقعية ؟

أسئلة يجب أن تنقرر إجاباتها في وضوح ، حتى لا يقيه شبابنا بين زيف الالفاظ وشقشقتها .  
حقيقة المثالية :

ونحن نرد على السؤال بالسؤال ، فإن الحرب اليوم تقول : إن أحسن طرائق الدفاع هي الهجوم .

لذلك تتساءل : ما منع المثالية أن تكون واقعية ؟؟ ولم لا يكون المثل الأعلى واقعياً ، ولم لا يكون الواقع القائم مثالياً ؟؟

ومن الذي حتم أن تكون المثالية والواقعية كلمتين متقابلتين متضادتين ؟؟ وهل تدرك الأرض وتنطبق السماء إذا جعلنا المقابل للواقع ، هو الخيال - فنقول :  
خيالية وواقعية ، بدلا من أن نقول مثالية وواقعية ؟؟

وهل يجوز أن تنطلي على العقول مؤامرات الشياطين من الإنس والجن التي تريد أن تزيج الخير والفضيلة من الوجود ، فهي لا تفنأ تحاول أن تقنع أصحاب العقول بأن لا مكان للخير والفضيلة في العالم .. من ناحية الواقع !!

مثالية الدين :

ولإذا صح أن هناك مثالية تقابل الواقعية ، فهيات أن تكون هذه المثالية مثالية الدين . ذلك أن صانع الدين هو صانع الإنسان وصانع الدنيا ، فمن المستحيل أن يتضارب دين الله مع الناس ومع دنيا الناس ، فأقم وجهك للدين حنيفاً ... فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، !!!

وكل من يدين الله ، يقر له بالكمال والقدرة والعلم والوحدانية . ومن التناقض المعيب بعد هذا الإيمان ، أن ينسكص المرء فيعود ليقول : إن مثالية الدين لا تصلح لواقع العصر ، لأن مؤدى هذا طعن فيما ينبغي لصاحب الدين من كمال تخلو به أفعاله من أى نقص ، وقدرة يبرأ بها صنعه من العجز ، وعلم يكفل الإحاطة الشاملة بواقع عصرنا ، وواقع ما قبل عصرنا وما بعد عصرنا ؟؟

لم يبق إلا أن يكون الإله الذى صاغ الدين ، غير الإله الذى خلق الدنيا وخلق الناس ، ومن وصلت عقيدته إلى مثل هذه الزلزلة وهذا التخبط والتخليط فعليه أن يرجع أدراجه ، ليستروح نسائم الإيمان من أول الطريق !

#### واقعية الدين ... فى وسائله :

إن مثالية الدين واقعية فى كل شيء ...

هى واقعية حين تختار الحكمة الإلهية دوسطاً حياً ، عن طريقه يمر الوحي من السماء إلى الأرض ... إن هذا الوسط ، لإنسان ، له كل خواص البشرية ، وإن هذا الوسط يستوعب الوحي فلا يخرم منه حرفاً ، ويبلغه فلا يتقول فى ذلك الأفاويل ، ويكون صورة مجسمة لهديه وأحكامه ، تسعى بين الناس فى الأرض كتاباً منشوراً من الأخلاق والأقوال والأعمال ، يقرأه من لا يعرف القراءة ، ويأخذ عنه من لا ينطق بلغته ولسانه ...

« قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى أنما لإلهك إله واحد ، .

هذه النبوة ... هى أصدق مثال لواقعية الدين .

إن الله لا يخاطب كل إنسان عن طريق مباشر ، لأن هذا أمر ليس فى طاقة كل إنسان « فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقاً ، .

وإن الله لا يرسل ملكاً ، لأن الملك لا يتوافق بطبيعته الملائكية مع الطبيعة البشرية « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، .

« ولو جعلناه ملكاً — لجعلناه رجلاً ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » !!!

« وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله رسلاً رسولاً ، ؟؟ « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ، .

لكن الله يرسل بشراً ، يختاره ويختنيه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصنعه على عينه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه ، ثم يبعثه في الناس فيكون وسطاً بشرياً للوحى الإلهي ، هو من الناس وإلهم ، وهو يعيش بين ظهرانهم ، به يأمنون ، وإليه يطمئنون ، وعنه يتلقون ...

« وقالوا ان تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي باله والملائكة قبلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء ، وإن تؤمن لرقيق حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه .

قل سبحان ربي ، هل كنت إلا بشراً رسولاً ، ٢٢٢٢ ؟

« وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سيلاً ..... »

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة - أتصبرون ، وكان ربك بصيراً . وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم ، وعتوا عتوا كبيراً .

وقد يقال هنا : إن الناس أنفسهم كانوا يطلبون من مقام النبوة طبيعة غير بشرية ، أفلا تكون إجابتهم لطلبهم مراعاة لواقع حالهم ، وإبطالا لحجتهم ؟ ؟  
والجواب هنا ... لا

إن الواقعية هنا هي ما اقتضته الحكمة الإلهية في الطبيعة البشرية ، أما هذه المطالب الشاذة فهي ليست طبيعية بالنسبة لعموم البشر ، ولعموم الزمن .

لربما بهرت هذه التهاويل أعين البعض ، ولكنها ليست المستوى المعتدل الوسيط الذي يلتقي عليه الناس كلهم ، ولربما استرخت جيلاً يحس ويشاهد ، ولكن ما ذنب باقي الأجيال ؟ ؟

بل إن هؤلاء الشاذين سوف يسكونون كذلك بالنسبة لأي وضع « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » فقضيتهم

ليست قضية الحجة والدليل بأى حال ، قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون . فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يحدون ، وجددوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً . وهذه النبوة قد يصاحبها كتاب ...

وهذا الكتاب وسيط واقعى ، يسجل فيه التخطيط الرئيسى لأصول الدين ومعالمه . ولقد كان هذا الكتاب فى الأديان واقعياً ، إذ كان متطوراً ، لكل أجل كتاب ، يحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .

وكان الاعتماد الرئيسى على الكتاب الحكيم آخر رسالات الله وأكملها ، حين نضجت البشرية وأصبحت مستعدة للتلقى عن الكتاب ، وللتجريد العقلى فى الفهم عن الكتاب ، لجاء الإسلام خاتم الأديان ومعه الكتاب الخالد والمعجزة الخالدة ، إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

يقول أحد المعاصرين : « إن حكمة الله اقتضت ألا تكون الخوارق دعامة لنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وبرهاناً على صحة رسالته وصدق دعوته التى جاءت بأسلوب جديد ، هو أسلوب لفت النظر إلى الكون وما فيه من آيات باهرة ، والبرهنة بها على وجود الله وقدرته الشاملة ، ووحدته واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة والاتجاه ، وبطلان الشرك والوثنية وسائر العقائد والتقاليد المتناقضة مع هذا الأصل النقى البسيط ، ثم أسلوب مخاطبة العقل والقلب فى الحث على الفضائل والتنفير من الرذائل ، وإثبات قدرة الله على الحياة الأخرى وفكرة الحق والعدل فيها ، وعلى اعتبار أن الدعوة التى تقوم على تقرير وجود الله واستحقاقه وحده للعبودية وإتصافه بجميع صفات الكمال ، وعلى التزام الفضائل واجتناب الفواحش هى فى غنى عن معجزات خارقة للعادة لا تتصل بها بالذات .

« وفى هذا ما فيه من وضوح مزية الرسالة المحمدية ، وترشيحها للخلود والتعميم ، وآيات الأنبياء السابقين الخارقة لحادثات وقعت وانقضت ، ولكن أسلوب الدعوة القرآنية هذا الذى اختلف كل الاختلاف عن أسلوب الكتب المنزلة على بعض أولئك الأنبياء ، هو أسلوب خالد حتى قوى فى كل زمان ومكان ببراهينه ودلائله وحيويته ونفوذه وفصاحته ومعقوليته ومنطقه وسموه ، ولذلك كان وظل معجزة النبوة الخالدة الكبرى من هذه النواحي (١) .

(١) سيرة الرسول لمحمد عزة دروزة - طبعة التجارية - ١٥ ص ٢٢٦ . وهذا لا ينفى طبعاً وقوع معجزات حسية تستبرئ من منزلة تالية لمنزلة القرآن كمعجزة . راجع المصدر نفسه ص ٢٢٦ - ٢٣٢ .

هذا الكتاب نفسه <sup>(١)</sup> — وهو وسيط واقعي — تناول الحقائق الأساسية في دين الله بأسلوب هو معجز لأنه من عند الله ، وهو معجز لأنه ملائم للبشر في كل زمان ومكان .

فهو مزيج متجانس من اللفظ والمعنى ، من العلم والفن ، من التشريع والتربية ...

لا يتناول التقريرات والنصوص والأحكام الشرعية والنواميس الكونية والاجتماعية تناولاً جافاً يضيق به غير المتخصصين ... ولا يرضى سذاجة العامة بنوع من المعزوفات اللفظية التي تستغرق منهم جانب الوله العاطفي ، وتدع الواحد منهم يتراقص في نشوته بغير معالم محددة وأصول واضحة ... بغير ثقافة أساسية وشريعة بينة ...

وهو لا يجمع بين الجانبين كما يجتمع الزيت والماء ، يطفو أحدهما على الآخر ولا يختلطان ، فيضحى كتاب الله عظيم ، منه جانب للعامة وآخر للخاصة ، ومنه قسم للعاش وآخر للمعاد ، ومنه باب للشرعة وآخر للحقيقة ، بل إنه محبوبك الأطراف ، متصل الحلقات أعلاه ثمرة ، وأسفله مغدق . ومن شاء البيان للمثال ، فليراجع آية الدين في آخر البقرة ، ويرى كيف تعانقت نصوص التشريع مع روحانية التربية ...

ثم من شاء البيان للمثال ، فليستمع إلى خطيب يخطب ، والمستمعون بين فاهم وغير فاهم ومتجاوب وغير متجاوب ، حتى إذا قرع الأسماع بآية من كتاب الله إذا بالجمع ينتفض انتفاضة الوعي ... على اختلاف الدرجات !!! وإنه لكتاب عزيز .

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر .

إن الفكرة الدينية واقعية من حيث الشكل الذي اتخذته للوصول إلى الناس ...

النبوة ، والكتاب ، لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وهي واقعية كذلك من حيث الموضوع ، أي من حيث أصولها وقواعدها وتفصيل هذا يحتاج إلى غير هذا المقال .

**محمد فتحي محمد عثمان**

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

(١) نقصد هنا القرآن ، لأنه هو الكتاب الرباني المنطوق بصحته سنداً ومتناً ، جملة وتفصيلاً .

# من نفحات إقبال

شاعر الإسلام الأكبر

لقد جرى العرف الباكستاني الحديث على وصف الشاعر إقبال بوصفين هما : « شاعر الإسلام ، وملهم الباكستان » ؛ والوصفان صادقان كل الصدق في صاحبهما ، وهو بهما جدير كل الجدارة ؛ فقد عاش إقبال للإسلام ، بدرسه ويتغنّى به ، ويدعو إليه في شعر قوى عميق ، وفلسفة دقيقة مثيرة ، وإيمان ثابت وطيد .

وكان إقبال ملهم الباكستان ، لأنه أول من نادى بفكرتها ، وصرح بالدعوة إليها ، في وقت كان التفكير في ذلك الأمر يعد ضرباً من ضروب الخيال البعيدة ، وفي وقت كانت جميع العوامل الظاهرة تدعو إلى الابتعاد عن ذلك التفكير ؛ ولكن الشعراء الاتقياء الأصحاء هم الناس ، وهم الذين يرون ما لا يراه سواهم ؛ ولقد كان إقبال يرى بعين الخيال وطناً مؤمناً ، ينهض في شبه القارة ، فيسكون أملاً للإسلام والمسلمين .

على أنه من حق إقبال ، أو من واجب القائمين بتخليده وتمجيده ، ألا يجعلوه ملهم الباكستان لحسب ؛ فإنه ملهم للمسلم أينما كان ، لأنه عاش بردد قوى الهتاف وعذب النغم حول تعاليم الإسلام ، وسنة محمد ، وأبجاء المسلمين .

وإذا كان اختلاف لغة إقبال عن لغات كثير من المسلمين سبباً في الحيلولة بينهم وبين ينابيع إقبال الفياضة ، فمن الواجب على المشتغلين بشأن إقبال أن يتعجلوا نقل الآثار الإقبالية كلها إلى لغات العالم الإسلامي الذائعة ، وفي طليعتها اللغة العربية ، لغة القرآن المجيد ، ولغة محمد عليه الصلاة والسلام .

ويوم يتم نقل آثار إقبال إلى لغات المسلمين سيكون ملهماً لهؤلاء المسلمين جميعاً ، لا للباكستان الشقيقة وحدها ؛ وأظن أن هذا مما أسر به الباكستان وتفرح له : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وقد يزيد هذا المعنى الإسلامى تأكيداً أن إقبالاً - عليه الرحمة - طعم أول ما طعم من مائدة المسلم الأساسية المشتركة بين عباد الله المؤمنين جميعاً ، وهى مائدة القرآن الكريم : فقد حدث إقبال عن نفسه بأن الفضل فيما أنشأه من شعر ونثر يعود إلى القرآن . . .

كان إقبال قد تعود أن يقرأ القرآن بعد صلاة الصبح ، وكلما رآه والده يقرأ سأله : ماذا تصنع يا إقبال ؟ فيجيب : أقرأ القرآن . . . ومرت ثلاث سنوات والقراءة تتكرر من الولد ، والسؤال يتكرر من الوالد ، والجواب هو نفس الجواب .

وذات صباح قال إقبال لآبيه : ولكن لماذا تسألنى عن شئ أنت بجوابه عليم ؟ فأجاب والد إقبال : : إنما أردت أن أقول لك : أقرأ القرآن كأنه نزل عليك ، .

يقول إقبال : : ومنذ ذلك اليوم بدأت أفهم القرآن وأقبل عليه ، فكان من أنواره ما اقتبست ، ومن بحره ما نظمت ، .

ولعل هذه المائدة القرآنية الربانية العجيبة ، الحافلة بالطعوم والآكال ، المثيرة للعقل والوجدان والخيال ، الذاهبة بقلب المؤمن فى كل مجال سماوى وأفق علوى ، هى التى أوجدت فى نفس إقبال تلك الهمة البعيدة التى لا تقف عند حد ، ولا تقنع فى باب الكمالات بغاية . وقد ترجم إقبال عن تساميه الموصول ترجمة قوية أجراها على لسان الشاعر فى حوار له مع الحور العين ؛ فيقول :

ماذا أقول وفطرتى	لا ترتضى دعة المنازل
قلبي على قلقي ، كما	تهفو الصبا حول الخنازل
فإذا نظرت إلى جميل	رائع ، حلو الشمائل
خفق الفؤاد إلى الذى	يعلوه حسناً فى المحافل
فن الشرار ، إلى النجوم	إلى الشמוש ، رقى آمل
إني ليهلكنى القرار ، فما	أعوج على المراحل
وإذا شربت من الربيع	الكأس تسرى فى المفاصل
أشدو بشعر آخر	وربى فى الآتى أغازل
طلبي النهاية فى الذى	لا ينتهى فيه المسائل
لا صابر نظرى ، ولا	قلبي عن الآمال غافل !

ولو أن إقبالاً اقتصر في ثقافته على البيئة الشرقية لظن الغافلون بأرائه الظنون ؛ ولقالوا عنه : إنه صورة لمجتمع الشرق الرجعي المحافظ ، ونموذج لمواطنيه الهائمين خلف عتيق الخيالات والتصورات ؛ ولكن شاعر الإسلام تنقل وارتحل ، ودرس في الغرب كما درس في الشرق ، ونال ثقافات ودرجات من إنجلترا وألمانيا وسويسرا ، ثم عاد إلى شبه القارة ، وهو أكثر إيمانا بربه ، وأوثق يقينا بدينه ، وأشد صلابة في روحه الإسلامى ، وأبعد همة في التبشير بتعاليم محمد عليه الصلاة والسلام ، ويدلنا على هذا الإيمان عند إقبال أن أحد زملائه في جامعة كمبردج سأله :

لماذا بعث الله الانبياء ومؤسسى الأديان من آسيا ، ولم يبعث أحداً منهم من أوروبا ؟  
فأجابه إقبال ساخراً :

لأن العالم مقسم بين الله والشیطان ، ولما كانت آسيا نصيب الله كانت أوروبا من نصيب الشيطان !... فقال قائل : قد عرفنا رسل الله ، فأين رسل الشيطان ؟ فأجابه إقبال :  
رسل الشيطان هم زعماء سياسة الخداع والمكر فى أوروبا !...  
ولعل إقبالاً قد زاد رأيه فى الغرب إيضاحاً حين يقول :

أهدت الشام إلى الغرب نيبا      هو عف ، وموايس ، وصبور  
ومن الغرب إلى الشام هدایا      من قمار ، ونساء ، وخمور !

\* \* \*

ليس غريباً بعد هذا على إقبال ، كما أنه ليس غريباً علينا أن يعلق شاعر الإسلام أكبر أمه على المسلم فى إصلاح العالم وإشاعة الحق ومجاهدة الباطل ؛ ولذلك نراه فى شعره يكرر الحديث عن ذلك المسلم ، واصفاً إياه بصفات البطولة والمجد ، ولم أر شاعراً يتصور للمسلم صورة مثالية عالية ، كذلك الصورة التى يرسمها إقبال للمسلم فى مواضع كثيرة من شعره .  
إنه يصور المسلم حيناً كأنه ماء فى رفته ، وحديد فى شدته ، يهزأ بالصعاب ، ويعلو على التراب ، ويسرى مع الأفلاك ، ويجرى مع الأملاك .



يقتسم المسلم في سلبه عن رقة الماء ولين الحرب  
وتبصر الفولاذ في عزمه إذا دعا الحرب ونادى التفير  
يمشى على الأشواك والنار والسيف، ويمضى ساخرًا بالعذاب  
فهو ترابي ، ولكنه حر ، طليق من قيود التراب  
المسلم الصادق في عزمه ينزع الأقار تاج الفلك  
لا يجعل العصفور صيداً له لكنه يرقى لصيد الملك

وما هو ذا يتحدث عن المؤمن ، فيراه في تصرفاته الحكيمة وكنبانه القويمة دليلاً  
على الخالق ، وبرهاناً على ألوهية البديع الخبير ؛ ففيه طهارة وقوة ورحمة ، وفيه سمو واستعلاء ،  
وفيه عدالة ووفاء ، وإذا ما جاءت أوقات السكينة والرحمة ، تفجر قلب المؤمن بالحنان  
والسلام ، فسكانه الندى يداعب الأكمام ، وإذا ما أقبلت ساعات البأس ولحظات الصدام ،  
كان الطوفان الجارف أو السيف الصمصام .

إن للمؤمن العجيب الشان كل حين جديد شان وآن  
هو في قوله السديد وفي الفعل على الله واضح البرهان  
فيه قدسية ، إلى جبروت ومن القهر فيه ، والغفران  
إن تواف هذى العناصر كان المسلم المستعلى على الحدثنان  
هو ترب سما يجاور جبريل ويأبى الحلول في الاوطان  
لست تدري بسره ، فتراه قارئاً وهو صورة القرآن  
فيه عزم ، على القضاء دليل وهو في العالمين كالميزان  
هو برد الندى بقلب شقيق وقلب البحار كالطوفان  
ليله والنهار لحن حياة في انسجام كسورة الرحمن !

ويتحدث إقبال عن المؤمنين ، فيراه يصفهم بالتوكل الصادق العازم المقدم : « ومن  
يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً ، . وهم لا يعرفون  
الخوف ولا يعرفهم ، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، . ولو مر الضعيف  
الفقير من هؤلاء المؤمنين على أطنى الطغاة وأجبر البشر لما خاف أو فزع ، بل لقال كلمة  
الحق لا يخشى فيها لومة لائم ، وما كان ذلك إلا لأنهم يثقون بالله ، ويرجون به ، ويسألونه  
ولا يسألون أحداً سواه .

وترى المؤمن من المؤمنين في مواطن الهول ومواقف الفزع ، فإذا هو كالجلجل رزينة  
وثباتا ، ولا عجب فإنه من كلمة قنعوا ورضوا فصاروا أغنياء ، وهو لذلك يدعو المسلمين  
إلى ترك الحزن ، ويحرضهم على فقر الاستغناء ، لأن أعراض الحياة وملذاتها ليست غرض  
الأحرار ، ولكنها قيود العبيد . . . يقول إقبال من قصيد طويل :

المؤمنون على عنا	ية رهم يتوكلون
لا خوف يفزعهم ، ولا	هم في الحوادث يحزنون
لو مر أضعفهم على	فرعون يجتاز الرهوسا
لأراك في الإفصاح ها	رونا ، وفي الإيمان موسى
إني رأيت الخوف في الـ	دنيا عدواً للعمل
هو مطلق نور الرجاء	، وسالب كنز الآمل
... ..	... ..
المؤمن الثواب تعـ	صحة من الهول السكينة
والخائف الهيب يفرق	وهو في ظل السفينة !

وهكذا لا نكون مغالين حين نقرر أن إقبالا قد عاش وهمه أن يرسم الصورة الكاملة  
للشخصية المسلمة المؤمنة ؛ ولعله قد نجح في ذلك نجاحا بعيدا ، ولعل من أسباب نجاحه أنه كان  
في نفسه مسلما مؤمنا ، وأنه كان يقول ويعمل ؛ وأقرب مثال على صدق إقبال أنه كان  
يتحدث عن شجاعة المؤمن وترحيبه بالموت ، فيقول :

لا أرى مؤمنا يخالجه الخوف إذا أقبل القضاء عليه  
ينلقي الردى بصبر جميل وابتسام الرضى على شفتيه

ولما حانت ساعة الامتحان لإقبال ، وهى ساعة الموت ، ظهر لنا صدقه فيما قال ، فقد  
استقبل الموت وكأنه عروس تزف إليه على هوى وتشوق ، وجعل يقول عن إيمان ويقين :  
لئننى لا أرهب الموت ولا أخشى الردى ، لئننى مسلم أستقبل المنية راضيا مسرورا . . .

أحمد الشرباصى

المدرس بالازهر الشريف

## أزمة الثقافة في مصر<sup>(٥)</sup>

تحتاج مصر الآن أزمة ثقافية .

هذه حقيقة يلزمها كل من ينظر نظرة متفحصة لمستوى المتعلمين الفكري . وليس طبعيا أن نتخذ غير المتعلمين مقياساً للمستوى الثقافي في الأمة ، فليس المثقفون هنا هم أولئك الذين يجيدون القراءة والكتابة أو من يمكن أن نسميهم غير الامين ، ولكن هم أولئك الذين نالوا مقادير صالحة من شتى صنوف المعرفة .

ما هي الثقافة ؟

هي — بكل إيجاز — مشاركة السكان الحى في كل جوانب الحياة من حوله .

مشاركة في الحياة العلمية ، العملية منها والنظرية ، مشاركة يفيد فيها الإنسان ألوانا من الخبرات .

ومشاركة في الحياة السياسية يتصل فيها السكان اتصالا قويا بالتيارات السياسية العالمية ، وبالمذاهب السياسية المصطرفة التي تسود العالم .

ومشاركة في المعتقدات ، يحدد فيها السكان موقفه الروحي حيث يزاول نشاطه الوجداني مزاوله تسكفل له حياة متوازنة في صميم تكوينه ، متوازنة مع نشاط الآخرين ومعتقداتهم .

ومشاركة في الحياة الاخلاقية يتصل فيها السكان بالقيم العامة لسلك الفرد والجماعة ، ويحدد من خلالها علاقته بالآخرين .

ومشاركة في الحياة الفنية يصيب فيها السكان معرفة واسعة بالتيارات الفنية والادبية لافي أمة بعينها بل في العالم أجمع .

(٥) هذا المقال موجه لى الأستاذ محمد خليفة بمناسبة مقالة من الركون الثقافي .

إنها مشاركة في كل شيء . وليس يهمنا موقف الشخص من تلك الجوانب المتعددة للحياة أى نزعة يمثل ، ولكن الذى نتطلبه فيه — كما يكون شخصا مثقفا — هو أن يكون له دائما موقف ما من هذه الجوانب .

ما هى مصادر الثقافة ؟

الثقافة بما هى خبرة بجوانب الحياة تأتى عادة من مصدرين : الخبرة العملية ، والمعرفة التحصيلية . والخبرة العملية تحصل نتيجة احتكاك أو اصطدام وتفاعل بين السكان وبين جوانب الحياة المختلفة ، وهى معركة كل إنسان ، ولكن أحسن النتائج التى يمكن أن تسفر عنها هذه المعركة هى تلك التى تحصل فى حالة ازدواج الخبرة ، أى اشتراك المعرفة التحصيلية مع المعرفة الأخرى الناتجة عن الخبرة العملية .

أما المعرفة التحصيلية فهى المعرفة التى يحنى فيها الإنسان ثمار تجارب الآخرين . ولا ينكر أحد ما لتجارب الآخرين من فضل على كل منا فى تحديد مكانه الثقافى من المجتمع . ولعلنى لا أغلو إذا قلت إن أغلب معرفتنا معرفة تحصيلية ، والقليل من هذه المعرفة ما هو نتيجة خبرتنا الشخصية .

فالحياة التى نحياها بين الناس فى العالم مصدر من مصادر ثقافتنا .

والحياة التى نحياها من خلال تجارب الآخرين مصدر آخر من مصادر ثقافتنا .

ويمتزج هذان المصدران فى نفس كل إنسان ، ويتفاعلان بحيث يخيّل إلى كل منا أن ثقافته كلها ملهه ومن عرق جبينه . ومهما يكن أمر هذا الخيال فالذى لا شك فيه أن توافر الخبرات الناتجة عن هذين المصدرين يكفل للإنسان ثقافة ممتازة .

ونقول الآن : إن فى مصر أزمة ثقافية .

ولا بد أن يكون لهذه الأزمة سبب .

ونستطيع بديا أن نرد هذه الأزمة إلى سببين ظاهرين :

السبب الأول هو عدم التكامل بين خبرة الأفراد العملية فى الحياة ومعرفتهم التحصيلية ، فالأفراد عندنا - وهم أساس المجتمع - ينقسمون نوعين : نوعا تكون كل ثقافته تجارب عملية

ونوعاً كل ثقافته معرفة تحصيلية . وكلا النوعين مستقلاً لا يمكن أن يكون مصدرأ كافياً للثقافة اللازمة لسكل إنسان . فينبغي أن يتكامل هذان النوعان فتسكون للفرد الواحد مشاركته العملية في الحياة ، ومعرفة التحصيلية .

والسبب الثاني هو - فيما يبدو - عدم التوازن بين الفرد والمجتمع ، بين حياتنا الخاصة والحياة العامة . وينقسم الناس هنا فريقين : فريقاً يعيش أغلب ما يعيش حياته هو ولا تعنيه كثيراً حياة الآخرين ، وفريقاً يعيش طفلياً يعتمد على كتف هذا ، ويستند إلى ذراع ذاك ، فهو يأخذ أكثر مما يبذل . وكلا الفريقين لا يعين على قيام ثقافة إنسانية عامة ، ولا بد من التوازن بين واقع الأفراد وواقع المجتمع حتى تجنى ثمار هذه الثقافة .

وظنى أن هذين السببين الظاهرين لا يكفيان لتفسير ظاهرة الازمة الثقافية ما لم ندرك السبب الاصيل - فى رأى - لهذه الازمة . وأستطيع أن أدل على هذا السبب عندما أطلق هذا الحكم فى كثير من الاطمئنان فأقول :

إن أزمة الثقافة فى مصر أزمة أخلاقية قبل أن تكون أزمة ثقافية .

والسؤال المتوقع هنا لا محالة هو : وما علاقة الثقافة بالأخلاق ؟

إذا أخذنا الأخلاق على أنها معرفة بالواجب ، وشعور بالمسئولية ، وسلوك يوازى هذه المعرفة وهذا الشعور ، كانت الأخلاق ألزم ما يلزم لكل نهضة ثقافية . والمحنة الأخلاقية التى نجتازها الآن جاءت نتيجة لتجاهل الواجب ، وفقدانا للشعور بالمسئولية ، وكان السلوك المصاحب لذلك بطبيعة الحال لا يقيم وزناً لواجب ، ولا يصدر عن أى شعور بالمسئولية .

على هذا الأساس نستطيع أن نفهم السببين السابقين ؛ فعدم تكامل المعرفة والخبرة جاء نتيجة لفقدان الثقة ، ثقة الأفراد فيما يقدمه لهم الآخرون . وفقدانهم ثقافتهم فى هؤلاء الآخرين راجع إليهم لأنهم هم أنفسهم لا يخلصون فيما يقدمون للآخرين من خبرات أو معارف . ويوم يفقد الناس بعضهم ثقته فى البعض الآخر يحدث الصدع الأخلاقى الذى يعنى كل فرد من المسئولية تجاه الآخرين . وقبلما يقوم الإنسان بواجبه على أحسن وجه إذا هو أعنى من كل مسئولية . ومن هنا استطاع كل دجال أن يعد نفسه مثقفاً ، وأن يقدم ثقافته القشرية إلى الآخرين ، فيخدعهم بها عن نفسه ، ويخدعهم بها عن الحقيقة .

كم عدد الذين يكتبون ، ولكن ما أضيع الصدق والإخلاص فيما يكتبون !

كم عدد المقالات التي تقرأها كل يوم . ولكن ما أضيع الحقيقة بين هذه القشور !

وعلى هذا الأساس الأخلاقي نفسه نستطيع أن نفهم السبب الثاني الذي تقدم . فعدم التوازن بين الفرد والمجتمع مرجعه إلى أن الفرد إما مهتم بنفسه وحدها ، يريد أن يوفر لها كل ما تشتهى وإن اصطدمت هذه الشهوة بحقوق الآخرين ، وإما غافل عن حقوقه بما هو إنسان له كيانه ووجوده الذي ينبغي أن يكون كريما . وفي كلتا الحالتين يحدث الصدع الأخلاقي ؛ يحدث في الأولى نتيجة لفقدانه المسؤولية إزاء الآخرين ، ويحدث في الثانية نتيجة لفقدانه إياها إزاء نفسه .

وهو في الحال الأولى : يحبس خبرته ومعرفته لنفسه وحدها ولا يتقدم بها إلى الآخرين الذين يشاركونه الحياة .

وهو في الثانية : يعيش على موائد الآخرين بضم من خبرة هذا ، ويلوك من معرفة ذلك ، دون أن يبذل هو من جانبه الجهد الذي يحصل به لنفسه مثل هذه الخبرة وهذه المعرفة أو حتى ذلك الجهد الذي يهضم ويتمثل به ما اختصه من موائد الآخرين .

وأمام هذا الصدع الأخلاقي لم يسكن بد من أن ينحط مستوى الثقافة في مصر الآن . ولن يكفل لنا نهضة ثقافية محترمة إلا أن يرأب هذا الصدع فيحدث التسامح والتوازن بين الفرد والمجتمع .

عز الدين اسماعيل

### عناية العرب بلغه شعرهم

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها  
نظر المتقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها  
عدي بن الرقاع

## غزوة أحد

— ٣ —

### صبيحة القتال :

كان أبو عامر الراهب الاوسى أول من أنشب الحرب بين المسلمين والمشركين ، وقد كان في المدينة ، فلما هاجر الرسول إليها حسده وكفر به وذهب إلى مكة يحرض قريشا على قتاله .

وفي غزوة أحد هذه اشترك مع قريش ومعه خمسة عشر رجلا من الاوس وكثير من عبيد أهل مكة ، وقد زعم لقريش أنه إذا نادى أهله من الاوس المسلمين الذين يحاربون في صفوف المسلمين استجابوا له وانضموا معه ضد المسلمين ، ولكن خاب ظنه : فإنه لما خرج من صفوف قريش ونادى : يا معشر الاوس أنا أبو عامر ١١ ... أجابه الاوس المسلمون :

لا أنعم الله بك عينا يا فاسق ١١ ، فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدى شر . ثم ترمى الجيشان بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه يجرئون أذيال الخيبة والهزيمة وعلى أثر ذلك صاح حمزة عم النبي صبيحة القتال « أمت أمت » .

وهكذا اشتبك الفريقان في القتال . وكانت نساء قريش يمشين خلال الصفوف يضربن بالدفوف والطبول وعلى رأسهن هند زوج أبي سفيان وينشدن الاناشيد المحرصة على القتال فسكن يفلن :

وبها<sup>(١)</sup> بنى عبيد الدار وبها حماة الادبار  
ضربا بكل بشار

### اشتداد القتال :

اشتد القتال وأخذ المشركون يتساقطون هرعى : الواحد تلو الآخر ، وكانوا يهتزون

(١) وبها : كلمة إغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان .

بلوائهم ، ويعتبرون حمله شرفا والذود عنه غاية الجهاد ، وكان يحمل هذا اللواء طلحة بن عبد الدار فخرج بين الصفين فقال :

يا أصحاب محمد زعمتم أن الله يجعلنا بسيف فكم إلى النار ويعجلكم بسيفنا إلى الجنة فهل أحد منكم يجعلني بسيفه إلى النار أو أعجله بسيفي إلى الجنة . كذبتم واللات والعزى ، لو تملكون ذلك حقا لخرج إلى بعضكم ، فخرج إليه على بن أبي طالب ذلك البطل الفارس فلقبه بسيفه فقتله ، وبذلك سقط حامل اللواء الأول ، ومنذ تلك اللحظة بدأت معركة مريرة حول هذا اللواء كانت نتيجتها الموت المحقق لكل من حدثته نفسه بحمله ، فقد تنازع عشرة من المشركين على حمله قتلوا جميعا ، وكان منهم أولاد طلحة الأربعة وأخواه .

وهكذا سقط لواء المشركين على الأرض فلم يزل طريقا لا يستطيع أحد أن يقدم على حمله لما رأوه من حظ جميع حامله من موت محقق ، حتى تقدمت عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعت له قریش فاستداروا حوله بأجسادهم عارا وخزيا .

وهكذا عجل الله المشركين إلى النار بسوف المسلمين .

وهذا - لاشك - من أهم العوامل التي أضعفت من روح قریش المعنوية ، وجعلت روح اليأس تدب في قلوب رجالها حتى ولى أكثرهم الأدبار فرارا بأرواحهم .

### نصر .. ولكن ١٩

بعد سقوط أصحاب اللواء جميعا اشتدت الحال بالمشركين حتى اضطروا إلى الجلاء عن المعركة والانسحاب تاركين وراءهم ما يفوق الوصف من الغنائم ، فأكب المسلمون على هذه الغنائم يصيدون مها ما تصل إليه أيديهم . حرك ذلك المشهد مشاعر الرماة الذين أمروا ألا يبارحوا الممر بأي حال ، وناقض نفوسهم إلى مشاركة زملائهم في الغنائم ، فقال قائل منهم : « لم تقيمون ههنا في غير شيء وقد هزم الله عدوكم ، وهؤلاء إخوانكم يفتنونه عسكرهم ، فادخلوا فاغنموا مع الغنائم » .

فقال آخر : « ألم يقتل لكم رسول الله لا تفرحوا مكانكم وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا » .



فقال الأول : « لم يرد رسول الله أن تبقى بعد أن أذل الله المشركين » .

ولم يستقروا على شيء ، فنصحهم كبيرهم عبد الله بن جبير باتباع أوامر الرسول ، فلم يطعه إلا نفر دون العشرة ، وانطلق الباقون إلى مسرح الغنائم .

### عاقبة مخالفة أوامر الرسول :

وهنا انتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة السانحة وكان يقود فرسان مكة ، فاخترق الممر وأقصى عبد الله بن جبير وأصحابه القلائل ، كل ذلك والمسلمون عنه في غفلة وفي نشوة ، وصاح خالد حتى شعر القرشيون المنسحبون بالنطور المفاجيء الذي حدث ، فمادت إليهم ووحهم وشجاعتهم وأصبحت رغبتهم في النار مزدوجة فانهاخوا على المسلمين ضرباً وتقتيلاً . أفاق المسلمون من غفلتهم ليقاتلوا من جديد ولكن بعد فوات الأوان ، بعد أن تبدل الأمر وأصبح الحال غير الحال .

لقد كانوا منذ قليل يقاتلون جنباً إلى جنب متضامنين متحدين ، وهم الآن يقاتلون متفرقين مبعثرين ، وكانوا يقاتلون لله وفي سبيل الله ، وهم الساعة يقاتلون لأنفسهم وفي سبيل الظفر بالجاة من مخاب الموت في أسوأ أوضاعه !

وكانوا يقاتلون وقلوبهم مفعمة بإيماناً وبقينا وثقة ، وهم الآن يقاتلون وقلوبهم مملوءة رعباً وندماً .

زاد الاضطراب واختلط الحابل بالابل ، فأصبح المسلم يقتل أخاه المسلم ولا يكاد يعرفه من فرط الذعر وتحت تأثير المباغة .

وصاح صائح بالناس : « إن محمداً قد قتل ! » ، فازداد الأمر سوءاً ، وعمت الفوضى ، وعظمت المصيبة ، وصار الرعب مع الدهشة والندم ومع الاضطراب من أهم عوامل القتل النفسي في نفوس المسلمين .

ويقول الحافظ ابن حجر : إنهم صاروا ثلاث فرق .

١ - فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى :

• إن الذين تولوا منكم يوم النقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا .  
ولقد عفا الله عنهم .

٢ — وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي قد قتل ، فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه ، أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة .  
٣ — وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ .

أما الطائفة الأولى فقد ذهبت إلى المدينة فلقيتهم أم أيمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به ! ولم سيفك ( أى أعطى سيفك ) .  
أما الطائفة الثانية فقد تراجعت إلى النبي ﷺ والتفت حوله حينما عرفوا أنه حى ، ولأنه ﷺ كان يقول : إلى يا فلان إلى يا فلان ، أنا رسول الله .

أما الطائفة الثالثة فكان عددهم أربعة عشر رجلاً : سبعة من المهاجرين ، وسبعة من الأنصار .  
وفي رواية أخرى أنه ثبت معه يومئذ ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهى دون وجهك ونفسى دون نفسك ، وعليك السلام غير مودع .

وتختلف الروايات فيمن ثبت معه عليه الصلاة والسلام ، ولا عجب فإن اختلافها لاختلاف الأحوال واللعظات .  
محمد جمال الدين محفوظ

### المؤلفة قلوبهم في جنوب السودان

نوهنا في جزء شعبان من هذه السنة بالتبرع الكريم الذى وصل إلى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر بأربعين جنياً من السرى الوجيه الحاج يوسف زينل على رضا وبشرة جنهات من العالم الجليل الشيخ محمد نصيف . وفي هذا الشهر أرسل حضرة الشيخ محمد نصيف إلى فضيلة الاستاذ الاكبر حوالة أخرى على البنك العربى بالقاهرة بقيمة خمسين جنياً تبرع بها حضرة السيد إبراهيم شاكر من أعيان جدة وتجارها . ثم وردت حوالة أخرى على البنك العربى أيضاً بقيمة عشرين جنياً من حضرة الشيخ محمد الطويل من أعيان جدة ، وقبل ذلك وصل إذن بريد من فاعل خير فى السودان بقيمة خمسمائة مليم . وبذلك صار مجموع ما تلقته مشيخة الازهر من التبرعات المشكورة مائة وعشرين جنياً وخمسمائة مليم . والمشيخة تدعو الله عز وجل أن يتولى جزاءهم وإضاعفه لهم من رحمته وكرمه أضعافاً مضاعفة .

## ابن أبي ذئب

عرف التاريخ الحفيظ لأفراد من هذه الأمة الكريمة صوراً من الكرامات الدينية ، فيها مجادة لهم لم يكونوا يسعون إليها ولا يعملون عليها ، وكانت تلك الكرامات تتمثل في تعظيم أوامر الله وحده وعدم المبالاة بشيء سواه ، تحقيقاً لمعاني : لا إله إلا الله والله أكبر . وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ، وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم .

إن الحق سبحانه أخذ ميثاقهم بما عهد إليهم ألا يقاروا على كظلة ظالم ولا سغب مظلوم مهما صادفهم من شدة ، فإن ذلك من الجهاد في الله ، وخير الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر .

إن الحق سبحانه يريهم أن كل الخاق ذليل إلا من أعزه الله ، وكلهم ضعيف إلا من قواه الله ، وكلهم فقير إلا من أغناه الله ، وأن الله يحكم ما يريد .

وكانت هذه المعاني تتمثل في أصحاب محمد ﷺ كما علمهم أستاذهم الأول بمواقفه العجيبة التي كانوا يشاهدونها رأى الدين ، فهو فرد واحد كون أمة فاضلة من جبروت الباطل وطغيان الضلال ، لم يبال أن يجمع الناس على خلافه أو يتألبوا على دعوته . فقد أمره الله بالجهاد لإعلاء هذه الكلمة التي يأتي الله إلا أن تكون هي العليا والله عزيز حكيم .

خالط ذلك المعنى قلوب الأصحاب الكرام ، وكان يشجع على ذلك عدل الأئمة وتشجيعهم للناصحين ، فلما فسد الدين وأورثت الدنيا وأخذ ظل الحق في الناس يتقلص ما يشارها : ظهر الانكماش في الحرص عليها ، فكان ملق ونفاق . وعادت مظاهر الجمل الأول في عمالة الظالم لأنه يملك من أمر الدنيا ، ولكن الله الذي شاء بحكمته ألا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم قد حفظ أفراداً من هؤلاء يمثلون الدين ويؤيدون حجة الله بين الظالمين ، وقد لمعت أسماء أفراد من هؤلاء ، ونوهنا ببعضهم على

صفحات هذه المجلة الغراء من أمثال سعيد بن المسيب والحسن البصري وابن سيرين وابن السماك والصابر المحتسب أحمد بن حنبل وآخرين منهم رضى الله عنهم وجعل لنا في سيرتهم الطاهرة عبرة نافعة وأسوة صالحة .

وقد كان ممن لمعت أسماؤهم في التاريخ وبين العلماء إمام جليل من هؤلاء ، كان من أهل الفقه والحديث ، وكان من أهل التقشف والزهادة ، يرفض الدنيا إذا أقبلت ، ليسكون حرا يقول الحق ويهدى السبيل ، يواجه بكلمة الحق كل جبار يصرع الابطال ، ويهزم الجحافل ولكنه يعجز أن ينال منه أدنى منال ، لأنه لا ينافسه على دنيا ولا يطلب منه دينارا ولا درهما ، فلا يسلطه الله عليه ، ولكنه يزججه من سلطانه الروحي ، ويخير قواه أمام ذلك الضعف البدني ، فتبارك الله رب العالمين .

ذلك هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب الذي نشأ في أواخر القرن الأول وبقي إلى ما بعد منتصف القرن الثاني ، واتصل بكبار التابعين من هذه الامة يتلقى عنهم ما أخذوا عن أصحاب محمد ﷺ من هدى ودين وإيمان وحق وثبات على المبدأ الشريف ، وهو مخلص القلب طيب العنصر والنفس ، لا يسمع شيئا من كتاب الله وسنة رسوله محمد وسيرته الطاهرة وهدى الأئمة الصالحين إلا زادته إيمانا بالله وتمسكا بالحق وتعصبا للدين ، يفتش تنفيذ أحكامه ، ويلتمس عند الملوك القيام بشرائعه . فأى مقمت لهم عنده إذا تنكبوا عن جادة الهدى ، وكانوا هم الهادمين لمعالم الدين الحنيف .

إنه ليهز الفرصة يلقى فيها أحدهم أو المجال ليدكرهم ويبصرهم لعلمهم يهتدون . ولد في المحرم سنة ٨١ هـ وتوفي بالكوفة منصرفا من بغداد إلى المدينة سنة ١٥٩ وتلقى العلم والدين عن عكرمة مولى ابن عباس ، ونافع مولى ابن عمر ، وشعبة مولى ابن عباس أيضاً ، والأئمة أبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهرى وغيرهم ممن حملوا هذه المعارف إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا مشاعل الفرقان لها .

وقد صحب الإمام مالك المتوفى سنة ١٧٩ إمام دار الهجرة ، واشتركا في الاخذ عن نافع والزهرى وغيرهما ، وكان يزاحمه في الفقه والحديث ، حتى قال ابن وهب : سمعت مناديا ينادى بالمدينة : ألا لا يفتى الناس إلا مالك بن أنس وابن أبي ذئب . ولعل الجول لم يخل لمالك إلا بعد وفاة ابن أبي ذئب لأنه كان يقدم عليه عند كثير من أهل العلم لورعه ومواقفه المشرفة التي أظهرته على مالك في عهده كما سترى . وكان الإمام مالك يظلمه ويرفع من شأنه

وينوه به حتى عند الخليفة المنصور . وقد سأل المنصور في يوم وفد عليه : من بقى بالمدينة من المشيخة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي ذئب ، وابن أبي سلمة ، وابن أبي سيرة .

أما الذى كان لا يراحم فيه ابن أبي ذئب فهو جهاده بكلمة الحق وتطبيق العلم الإسلامى على ما كان يرى في عهده ، يوم ماج بعض الناس في بعض وسفكت الدماء في سبيل وضع الملك ابنى العباس ، ثم في سبيل استقرار الملك فيهم والضرب على أيدي مناوئهم بكل سبيل ووسيلة . رأى ابن أبي ذئب كل ذلك وسمع به عن دعاة بنى العباس ، وعن خلفاء بنى العباس فأبغضهم وقاومه ، وبلغ كلمة الله في شأنه ، وسلك مسلك ابن المسيب في سيرته الطاهرة وعدم حمله بأبهة الملك ، ولا مظاهر السلطان ، لا يبالى حين يقتل مسلما على أى جنب كان في الله مصرعه ، فكان يرسل كلمة الحق ويسلم معها نفسه للسياف يفعل بها ما يريد تحت سمع الأرض وبصرها ، وتحت تصرف السماء وتقديرها .

وقد حدث الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي نعيم قال : حججت سنة حج المنصور وأنا ابن إحدى وعشرين سنة ومعه ابن أبي ذئب ومالك بن أنس ، فدعا ابن أبي ذئب فأقعده معه على دار الندوة فقال له : ما تقول في الحسن بن زيد بن الحسن بن فاطمة ؟ قال : إنه ليتحرى العدل . قال : فما تقول في ( مرتين أو ثلاثا ) قال : ورب هذه البنية إنك لجائر . فأخذ الربيع بلحيته فقال له أبو جعفر : كف يا ابن اللخناء . وأمر له بثلاثمائة دينار . وهناحب أن نعلق على هذا الموقف الدقيق البارح الذى وقفه المنصور فتسامل : كيف ساغ للمنصور أن يترك هذه السبة تمر في موسم الحج من غير أن يتخذ منها ردعا للعدو ؟ وكيف استساغ للمنصور أن يدافع عن ذلك الذى أصابه في كبده وهو يوازن بينه وبين خصمه فيقول : إنه يتحرى العدل ، ويقول : ورب هذه البنية إنك لجائر ؟ وأخيرا كيف استطاع المنصور وهو الشحيح الشديد أن يجود لهذا الإمام بثلاثمائة دينار ، والدينار الواحد من مثله هبة سنية ومنحة جليلة .

الحق أن هذا موقف حازم من داهية سياسى ، استغله ليسجل للناس على رموس الشهادات أنه يلين للحق وينقاد له في أهله أئمة الدين ، فهو يسترشد بهم ، ويتخذ منهم مرآة لصورة حكمه . فإذا شاع مثلها في الموسم ازداد المتعصب له تمسكا ، وقامت الحججة على خصمه مع بطش السيف المخوف على الآخرين . ولو أنه أساء إلى هذا الإمام المحبوب العظيم لاستهدف ولماكان من الخاسرين إلى حد بعيد . ولا تفس أيها القارئ الكريم أنه كان في الحرم الذى يأمن فيه كل مروع خائف فهل يستطيع المنصور أن يخيس بعهد الله في مأمنه .

لم يكن موقف ابن أبي ذئب مع الخليفة هو الوحيد من نوعه ، فقد جرى أنه استشهد في شهادة على والى المدينة كان الإمام مالك وغيره يلوذون فيها بالثقية ، ولكن ابن أبي ذئب كتب فيها رسالة خاصة جهره أمام والى وندد فيها بظلمه ، فلما حضر الخليفة للحج مر بالمدينة ليرى الأمر بنفسه واستدعى ابن أبي ذئب ، فكرر ابن أبي ذئب التنديد وأغلظ القول ، فغضب الالى وقال ( وهو يعلم مذهبه فى الخليفة ) : سله عن نفسك يا أمير المؤمنين . فقال له أبو جعفر : أسألك عن نفسى . قال : لا تسألنى . قال : أنشدك بالله كيف ترائى ؟ قال : اللهم لا أعلمك إلا ظالماً جائراً . فقام إليه وفى يده عمود وجلس قربه . قال الحسن بن زيد ( راوى القصة ) لجمعت إلى ثوبى مخافة أن يصيبنى من دمه وجعل الخليفة يقول له : يا مجوسى . أتقول هذا لخليفة الله فى أرضه وجعل يرددما . وهو يقول نشدتنى بالله ! ولعل هذه كانت المرة الأولى لاستفتاء الخليفة عن نفسه ذلك الإمام - ولهذا عز عليه الموقف . ثم ألفه منه .

وهناك مواقف أخرى كان يرشد فيها الخلافة لإرشاداً عملياً فيقول أفعلى كذا ودع كذا ويرفع إليه حاجات الناس ولك أن تراجعها فى مظانها فإن المجال لا يتسع لها .

أما المهدي فلم يكن حظه من ابن أبي ذئب خيراً من حظ أبيه ، فقد دخل مسجد المدينة والناس جميعاً يقومون له إلا ابن أبي ذئب ، وجاء حاجب الخليفة يقول له : ويحك . هذا أمير المؤمنين قم . أتدرى ما كان جواب الإمام ؟ ما كان جوابه إلا سخرية من أمير المؤمنين إذ يقول ضاحكاً : يا هذا إنما يقوم الناس لرب العالمين . ثم يقشعر بدن الأمير وترتعد فرائصه ويقول لحاجبه : ويحك دع الشبخ ، فقد قامت كل شعرة فى بدنى .

ومعنى ذلك أن إمرتنا على غير هؤلاء الذين ارتفع مستواهم ، فكانوا فوقنا ، تخيفنا النظرة من أحدهم ، وترعبنا السخطة اليسيرة منهم .

من لى بأمثال هؤلاء الصادقين المخلفين ليعز الله بهم دينه ، ويرفع بهم منار الحق فى أرضه . لو أراد الله أن يرفع شأن الحق لاكرم بأمثال هؤلاء الأرض .

اللهم اجعل لنا فيهم صادق العبرة وصالح الأسوة .

وأما فقه الإمام فحسبك أن هذا الامير ( المهدي ) استقدمه إلى العراق يعلم بها حتى حانت منيته وهو فى سفره من العراق إلى المدينة . وكان ذلك بالكوفة سنة ١٥٩ هـ . رحمه الله

رحمة واسعة

محمود التواوى

## مسكواة

فى بهو فسيح من أبهاء قصر الخلافة رسمت على سقفه وجدرانها آيات من الفن العربى ، وضعت إحدى الأرائك فى الصدر تحت لوحة رائعة مكتوب عليها ، العدل أساس الملك ، وفرشت الأرض بأبسطة جميلة ؛ ووقف الحجاب والحراس وقد فرغوا ساعتهم من صلاة الظهر ينأعبون شئى خطير . وهل هناك أخطر وأروع من رد المظالم إلى أهلها ، ومن إنصاف الضعيف وإحقاق الحق ؟ وهل هناك أيضاً أخطر وأروع من أن يكون الخليفة هو الذى يتولى هذا الأمر بنفسه ؟ .

كان الخليفة المأمون يصلى الظهر فى المسجد المجاور للقصر ، وبعد أن فرغ من صلاة الفرض توجه إلى القبلة مرة ثانية وصلى ركعتين ثم رفع يديه إلى السماء ، وتتم بدعاء إلى الله كى يهديه الصراط السوى ، ويلهمه السداد والتوفيق فيما هو مقبل عليه . وبعد أن فرغ من دعائه خرج من المسجد تحفه المهابة والجلال ، ودخل قصر الخلافة وتوجه إلى الأريكة وجلس عليها بعد أن خلع نعليه .

وبعد أن سمي باسم الله وقرأ بعض آيات الذكر الحكيم التفت إلى وزيره قائلاً : « ما عندك اليوم ، يا أخى ؟ » وكانت هذه الجملة بمثابة الاستعداد لافتتاح الجلسة . فسرعان ما أشار الوزير إلى أحد الحجاب الذى أسرع بدوره إلى باب ففتحه ، فدخلت جموع الشاكين والمظلمين ، وجلسوا صفوفًا مترابطة على البسط الممدودة .

وكان منظرًا رائعًا رفرف عليه الجلال والمهابة ، واشترأت الاعناق ترى أمير المؤمنين جالسًا فى مكان القاضى وقد أطرق برأسه إلى الأرض فكست لحيته صدره ، وتحركت شفاته بكلام الله عز وجل ، ولعبت أنامله بمسبحة توحى بالنقوى والورع ، وهمس كل فى أذن جاره يسأله عن شكايته ، وبمنيه برفع الظلم ، ويذكر له ما حدث لـكل من عرض شكواه فى هذا المكان ، وكيف خرج مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، مجبور الخاطر .

فأطرق الخليفة لحظة سبحت روحه فيها في ملكوت الله وهو يسمع المؤذن يدعو  
الناس لصلاة العصر، قائلاً : «حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، ثم رفع رأسه ونظر  
إلى المرأة قائلاً :



في دون ما قلت زال الصبر والجلد      عنى وأفرح منى القلب والسكبد  
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي      وأحضري الخضم في اليوم الذي أعد  
فالمجلس السبت- إن يقض الجلوس لنا      تنصفك منه - ولألا المجلس الأحد

قال هذا ، وهم بالخروج إلى المسجد المجاور ليصلي العصر ، وانصرفت المرأة راجعة من حيث أتت .

وفي اليوم التالي ، نودى عليها في أول المنتظمين ، فوقفت قائلة : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فرد عليها الخليفة قائلاً : « عليك السلام ورحمة الله وبركاته » ، ثم سأها : « أين الخضم ؟ » فقالت : « الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومات إلى العباس ابنه .

فعدت الألسنة من الدهشة ، وحمق كل جالس في جاره ، وظهرت الغرابة على الوجوه ، ولكن الخليفة لم يعجب ولم يندهش ، ولم تأخذه روعة الموقف ، بل أشار في هدوء إلى أحمد بن أبي خالد ، وقال له : « خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم » .

وانطلقت المرأة تروى قصتها ، وتشرح ظلامتها ، وارتفع صوتها على صوت العباس . فقال لها أحمد بن أبي خالد : « يا أمة الله ، إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير فاخفضي من صوتك » ، فرد المأمون في قوة : « دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه » . فاستأنفت المرأة روايتها حتى أتمتها .

ورأى الخليفة أن الحق بجانها ففضى برد ضيعتها لإيها ، واقتص من ابنه العباس ، وأمر بأن يكتب إلى العامل الذي يبلدها أن يسقط عنها الخراج ، ويحسن معاونتها ، وفرق ذلك كله أمر لها بنفقة م

سمير زاييم

محرر بجمع اللغة العربية

## تدقيق لغوى

فى باب اللغويات من الجزء الخامس من المجلد ٢٥ من المجلة الزاهرة مقال لفضيلة الأستاذ  
الجليل الشيخ محمد على النجار تحت عنوان ( كفى كلاماً ) ما تلخيصه :

« يكثر هذا الأسلوب فى الحديث والخطاب .. وقد جرى بحث فى هذا التركيب ..  
وموضع البحث فاعل ( كفى ) ما هو ؟ » .

بعده : « ويبدو أن التأليف صحيح وأن فاعل كفى محذوف مقدر ... أى كفى ما أتم  
عليه ... و( كلاماً ) تمييز . »

بعده : « وقد قرئ فى أواخر سورة البقرة ( وإن كان ذا عصرة ) ... أى إن كان  
المدين ، ص ٥٦٤ . »

أقول : إن ( كفى ) لها خاصية لا تشاركها فيها سائر الأفعال وهى جر فاعلها أو مفعولها  
بالباء الزائدة ويعقبها تمييز ، وغرض المتكلم التنويه ، والمضى مشروط ، فهى فى بابها فعل  
جامد وإن لم أذكر فيها نصاً .

فمن الضرب الأول قوله تعالى [ وكفى بالله شهيداً ] وقوله [ وكفى به لئماً مبيناً ] .

فإن لم يكن الغرض التنويه قيل : ( كفاك درهم ) كما تقول : ( بكفيك درهم ) فنخرج  
حينئذ من جمدها .

ومن الضرب الثانى قول المتنبي :

كفى بجسمى نحولاً أننى رجل      لولا مخاطبتى إياك لم ترى !

وقوله :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً !      وحسب المنايا أن يكن أمانياً !

وفي الحديث : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » .

والباء كثيرة . ومن القليل : ( كفى الشيب والإسلام البرء ناهياً ) .

وفضيلة الأستاذ لم يأت بشيء من شواهد الباب مع كثرتها واعتلاقيها بالذهن كالآيتين السابقتين ، بل طرق باب كان وساق عليه قريباً من صفحة ١ مع أن لسان خصائص لا تقبل المشاركة . كما أنه أبعد البجعة فراجع اللسان واستشهد بقطعة من الرجز .

والحال أن موضوع البحث ( كفى ) في تركيب خاص ١ فهمى في مناط الثريا من قول الراجز :

( يكفيك من سوداء واعتجائها ) ... ١ ص ٥٦٥ .

على أنى أستبعد أن يكون اللسان أغفل واجب اللسان في باب ( ك ف ي ) .

إن التركيب الذى جعل منه الأستاذ موضوع بحث ، من التراكيب السخيفة المستحدثة التى جرت بها أفلام لا عهد لأصحابها بالتحصيل أو عهدهم به ضئيل ، فهم لا يضبطون أزمة أقلامهم فى جريانها ، ولهذا نفقد هذا التركيب الأوج فى كلام انشاعير كما نفقده فى كلام المتقدمين أيا كان حالهم ، بل قد نفقده قبل خمس سنين !

وما قد نجده فى سبك بعض الفضلاء فيما جاءهم من طريق العدوى ! ورب عدوى نشأت عن خطأ مطبعى بسقوط حرف مثلاً كاستعمال ( البرود ) بمعنى ( البرودة ) سقطت التاء فأحدثت لغة ١ و ( شغرف ) مكان ( مشغوف ) سقط الميم فأحدث لغة ١ و ( تعمق البحث ) مكان ( تعمق فى البحث ) سقط حرف الجر فأحدث تعدياً أشبه بالاعتداء ١ وقريب من هذا ( شاركه العمل ) .

إن العلماء إذا جشموا أنفسهم توجيه أغلاط الجهلة أضاعوا وقتهم ، ونهكوا قوتهم وأفسدوا لغتهم ! والحزم أن يصارحوا الغالط بغلطه !

ونسکر على الموضوع فنقول : إن تركيب ( كفى كلاماً ) لا يتجه من جهة المعنى مع قطع

النظر عن اتجاهه من جهة الإعراب ، وذلك لحلوه من إفادة التنويه ، فعنى القائل ( كفى كلاماً ) على تقدير صحته لا يعدو معنى ( كفى الكلام ) !

أين هذا من قول القائل ( كفى بالشيب واعظاً ) و ( كفى بالكتاب سميئاً ) و ( كفى بالمسال شاغلاً ) لا ( كفى شغلاً بالمسال ) كما افتتح صاحب المقال بحثه !

وبعد ! فإنى أتوقع من الموكول إليهم أمر الازهر الشريف أن يلفتوا إلى جهة الاختصاص فى العربية وغيرها ... فإنى لا أعرف فى العالم العربى أو الإسلامى ذا اختصاص يرجع إليه فى الملمات كصاحب الخصائص وصاحب المفتى ... والازهر الشريف هو المسؤول الاول وعليه المعول !

لقد كان فى أسلافنا من يفهم سيبويه ! قبل فى العالم الإسلامى اليوم من يفهم سيبويه ؟ أما ( المجمع الرسمية ) القانعة بالوميض ... فما أفرغها من ذى اختصاص ، ولات حين مناص !  
بغداد — محمود الملاح

### تعقيب على « تدقيق لغوى »

بمحل القضية أنى وجدت أسلوباً يودى غرضاً صحيحاً وقع فى كلام الناس ، فعنيت ببحثه من جهة العربية ، هذا الأسلوب هو : كفى كلاماً ، وكفى خداعاً ، وما جرى هذا المجرى مما يطلب فيه الاكتفاء فى أمر كثر الغرى به ، ويلتمس الانصراف إلى ما هو أمثل منه وأهدى سبيلاً .

ولما كان الأسلوب ينقصه فى النطق فاعل « كفى » اتجهت إلى هذه الناحية ، فوجدت من النحويين من يحيز حذف الفاعل ، ويستشهد بشواهد أوردتها ، وقد حذف المرفوع فيها مع كان ، وهذه الشواهد يرى جمهرة النحويين أن المرفوع فيها مضمرة ، وكلا الأمرين قريب ، فسلكت هذا المذهب وخرجت الأسلوب عليه ، ووجدت فى رجز اللسان الذى أوردته ما يقوم بما ذهبت إليه ، إذ حذف فاعل « يكفى » فأوردته وصححت الأسلوب .

وليس يزرى بالأسلوب أنه لم يرد في كلام العرب إذ كان جارياً على منهاج كلامهم ،  
ويقرر ابن جنى الذى يعتز به السكاكيب أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .  
والاقتصار فى الأساليب على ما ورد فى كلام العرب تضيق فى اللغة ، وأخذ بالظاهرة فيها ،  
وهو ما يرفضه علماء العربية .

ويأخذ على " السكاكيب " أنى تركت القول فى خاصية فاعل كفى وما أورده هو من علم غزير ،  
وعذرى أنى لم أعقد بحثى فى كفى ومدلولها وفاعلها ، وإنما كان همى أسلوباً خاصاً ليس فيه  
الفاعل ظاهراً ، وقد استشهدت عليه بشواهد فيها كان ، ويذكر السكاكيب أن كان لها  
خصائص ، وكان عليه للرد على أن يذكر أن حذف المرفوع من خصائصها ويثبت ذلك ،  
ويعييب على إبعاد النجعة إلى اللسان حيث استشهدت برجز فيه حذف فاعل يكفى مع البون  
الشاسع بين كفى ويكفى . ولكن أين البون فى فعليتهما ؟ إنهما فعلاان ، وقد حذف فاعل  
أحدهما ، فى أن أهتبل هذا وأجيز حذف فاعل الآخر ، وما تكون النحو إلا بالقياس وحمل  
النظير على النظير .

وأنجاوز همز السكاكيب ولمزه ، وشكواه إلى الأزهر فقدان ذوى الاختصاص ومن يفهم  
سيبويه ، رغبة عن جداله ، وإبقاء على أدبه الذى تأدب به ، ولكنى أناقشه فى مسألة  
لا يصح إقرارها خشية اللبس على القراء ، فقد ذكر أن جر الفاعل بالباء الزائدة خاصية لكفى  
لا تشاركها فيه سائر الأفعال . والباء الزائدة تدخل على فاعل موازن فعل ، فى التعجب .  
وقد حكى السكاكيب : مررت بأبيات جاد بهن أبياتاً . أى جدن أبياتاً . ويقول الشاعر :

حب بالزور الذى لا يرى منه إلا صفحة أو لمسام

وتدخل فى التعجب على فاعل أفعل نحو أكرم بمحمد ، وهذا على رأى البصريين .

فأما طريقته فى معالجة ما حدث ويحدث من الأخطاء اللغوية فحتاج إلى تمحيص  
وفضل نظر ، فهو يرى مثلاً أن الشغوف أصلها المشغوف فسقطت الميم فى الطبع ، والبرود  
أصلها البرودة فسقطت التاء فى الطبع ، فسرت اللفظان وصارتا لغتين ، وأترك للقراء  
تقدير هذا .

والله المسئول أن يهدينا سواء السبيل ؟

محمد على النجار

## سورة الأنفال

نزلت سورة الأنفال كغيرها من سور القرآن منجمة بحسب الحاجة ، ثم أخذت وضعها من سابقها ولاحقها بطريق التوقيف في المصحف والتلاوة ، ولهذا فصلت مع سورة التوبة بين السبع الطوال — بين السور الست المرتبة : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، وبين سورة يونس بن متى . والأنفال مع التوبة جزءان متلاحقان ، وصنوان متجاوران ، وسورتان متصلتان متشابهتان ، نفذت الأولى إلى الثانية فجأة من غير نذير أو بشير ، ومن غير تعريف أو إعلام ، لتشابك أهدافهما ، فلم يذكر بينهما ما اعتاد القرآن أن يذكره بين سورته ، أو يذكره في افتتاح سورته ، فبسم الله الرحمن الرحيم التي ثبتت في أوائل سور القرآن في المصحف الإمام المجرد مما ليس من القرآن ، لم تذكر في افتتاح سورة التوبة والتوبة وحدها هي التي انفردت من بين سور القرآن : قصيرها وطويلها ، مكبها ومدنيها ، بإسقاط البسملة ، وفي ذلك ما يؤنس به إلى قرآنية البسملة ، وأنها آية في كل سورة من سور القرآن سوى سورة التوبة ، إذ الإثبات والإسقاط والترك والتلاوة ليس شهوة عند المثبتين والمسقطين والتاركين والتالين ، وإنما التوقيف والنقل هما الدعامة والمنارة والحجة والدليل .

ولست الأنفال ممتدة إلى آخر سورة التوبة ، فالتناس في التلاوة ، والمصاحف في التسجيل والكتابة قد شهدا بانفصالها وافتراقهما ، كما يدل تواتر النقل في التسمية للسورتين ، وترشد إليه العلامات الرسمية والشكلية بين السورتين في المصاحف الموجودة .

\* \* \*

وضعت سورة الأنفال في المصحف ، وتليت سورة الأنفال من الحفاظ بعد سورة الأعراف . وسورة الأعراف مكية كسورق الأنعام ويونس ، أما بقية السبع الطوال فهي مدنية . وسورنا الأنفال والتوبة مدنيتان ، والأغراض المكية والأغراض المدنية وإن اتحدتا من جهة الغاية فقد افرقتا تماما من جهة الوسيلة التي سلكتها الدعوة الدينية في مكة والمدينة ، ذلك أن مكة قد أنكرت الحق ، وظاهرت الباطل ، وجحدت الدعوة ، واستعجت العمى على الهدى ، وظننت الرسالة القدسية كسبا ينحاز إلى المال ، أو ينصرف

إلى شرف مزعوم ، ورياسة موهومة ، وعظمة ضالة ، فعز على أنفتها وكبريائها أن ينزل القرآن على رجل من القريتين غير عظيم في زعمهم . وللعظمة مقاييس يضعها الحق والمبطل ، والمسيح والمحسن ، فهي لفظ أصابت معناها عن طريق التعارف والتواضع ، ولو أصابت معناها عن طريق العقل ، لشفت لهم عن عظمة محمد ﷺ التي لا تدايها عظمة ، ولا بانة أن محمداً لا يوازن في نسبه وحسبه ، وشرفه ومجده . وخلقه وخلقه ، وصدقه وأمانته .

فالنزاع المسكي كان نزاعاً في أصل الدعوة وحامل الدعوة ، وكان هذا النزاع محتاجاً إلى ما يهدى طبعه ، ويخفف ثقله ، بالحجج الدامغة ، والدبر المؤثرة ، والمعطات الآخذة بمجامع النفوس ، لهذا نجد السور المسكية تنحو نحو تقرير العقيدة ، والإيمان بأصول الدين . وتستعين لذلك بالترغيب في الاتباع ، والتهديد والوعيد على الامتناع ، إما بذكر ما أعد للممتثلين من جنات ونعيم ، وزروع ومقام كريم ، أو أعد لمتخالفين من سموم وحميم . ونار وجحيم وإما بضرب الأمثال ، وسرد الأخبار ، وسوق القصص الحاملة بين ثنائها ما يذل الشومس ويفتح أسارير العيوس ، ويقود النافر ، ويستوى الشارد ، ويرقق الغليظ .

أما المدينة فقد استجابت لله ، وآمنت برسول الله ، وبابعت على السمع والطاعة ، والمؤازرة والنصرة ، لهذا نجد السور المدنية آخذة طريقها إلى تقرير الأحكام ، ووضع نظام الدولة ، وتشريع القوانين التي تسكف سلامة الأمة من نواحيها المختلفة : من ناحية سياستها وسيادتها ، واجتماعها وعقيدتها ، وآدابها وأخلاقها ، وعلاقاتها مع مخالفيها في دينها أو لغتها أو أرضها . كما وضعت إزاء نظم عمرائها حدوداً تقوم على حراسته ناجزة في الدنيا عند ما تسفر الجريمة ، ومؤجلة في الآخرة عند ما يشملها الخفاء ، ويصادفها الشد وتكون بمنأى عن الحاكمين ، فعند ذلك يقضى فيها من لا تخفى عليه خافية ، ويعلم السر وأخفى .

\* \* \*

هكذا كان هدف القرآن مكيه ومدنيه ، وقد عرفنا أن سابقة الانفال مكية ، وأن لاحقة التوبة مكية ، وأنهما من الطوال السبع ، وأن الانفال والتوبة قد وقعتا فاصلتين بين سورتين مكيتين طويلتين ، والقرآن كتاب محكم الآيات ، محكم الوضع والترتيب ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تداسق ألفاظه ، وتعاشق كلماته ، وترتبط آياته ، وتصل سوره ، حتى يبدأ وينتهي . وهو وحدة في بيانه ، ووحدة في دعوته ، ووحدة في إعجازه ، ووحدة في مرماه ومغزاه ، وحدة تنتهي به إلى الواحد الاحد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له

كفواً أحد. إذا فللأنفال مع الأعراف نسب جامع، وصلة وثيقة، لا يمنعها ما بين مكة والمدينة من مسافة وجفوة، كما أن لها مع أختها التوبة مثل ذلك، وللتوبة مع يونس ارتباط ومناسبة أوجدها الله للقرآن، كما أوجدها بين العرب والعجم بالإسلام.

فاتصال المسكى بالمدينى، والمدينى بالمسكى فى كتاب الله، إيماء للوحدة الإسلامية، وتحقيق لارتباط أفرادها وجماعاتها ارتباطاً يقضى على الفروق المزعومة، ويجمz على الحدود المرسومة، ويجعل من المسلمين حقيقة متداخلة، وجماعة متواصلة، تعصم بحبل الله، وترتبط برابط الحق، حتى تكون مثلاً وقدوة تحتذى وترتجى.

\* \* \*

وسورة الاعراف قد بدأت بذكر الكتاب، والكتاب حبل الله المتين، من قال به صدق، ومن تمسك به رشد، دعا إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ثم ثنت بالامر والتذكير، وتعرضت لخلق الإنسان الاول، وما كان من عداء الشيطان له حين قال: «أنا خير منه خلقتى من نار وخلقته من طين»، كما ختمت بالتحذير من الشيطان، والامر باستماع القرآن وبين بدئها وختامها عرضت لحل الطيبات، وتحريم الحباث، ودعت إلى النظر والتفكير فى ملكوت الله، وحددت آجال الامم كما حددت فى غيرها آجال الافراد، وأجاب الله فيها السائلين عن الساعة، والساعة غيب لم يبيع فى عالم المسادة والمشاهدة، بردها إلى مالك النفع والضر عالم الغيب والشهادة، وتخلل ذلك كله محاورات بين أهل الجنة والنار، وبين أهل النار بعضهم مع بعض، وقصص مستفيضة عن الرسل وأقوامهم، تكشف عن مقدار ما أصاب الدعوة إلى الله، والداعين إليها، من تنكر وخذلان، وجحود واضطهاد، برغم ما كان من بيان، ووجد من برهان، ثم كانت العاقبة أن أيد الله رسله، وأهلك أعداءه ونصر دعوته. وهذه الألوان التى اشتملت عليها سورة الاعراف ألوان مكية، لأنها تنجيه إلى العقائد، وتتخذ الإيمان بها أساليب مختلفة من الترغيب والترهيب، والعظات والعبر.

أما سورة الانفال فجاءت تمثل أغراضها المدنية، تنظم ناحية القوة فى الدولة، التى تتمثل فى جيشها المدافع عن حوزتها، والذاب عن فكرها ودعوتها، بعد أن طلب القرآن من المسلمين فى غير آية من سورته أن يقاتلوا فى سبيل الله، وأن ينتصفوا لأنفسهم، وأن يردوا العدوان بمثله.

«وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»، وقاتلوا



المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ،  
فناحية القوة في الإسلام تنبج لرد الباغين ، وتذكير الجاحدين وتأمين الدعوة ، وإقرار  
العدالة ، وتثبيت النظام ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين .

فمن المظالم المبين أن ينسب الإسلام أنه أقام صرحه وحقق وجوده تحت ظلال السيوف  
وفوق أسنة الرماح ، وما اهتزت السيوف ، ولا صوبت الرماح إلا دفعا للعدوان ، وردا  
للطغيان ، وكشفًا للحجب ، وإزالة للاستار عن دعوة الحق حتى تبين ، وبعد ذلك فلا إكراه  
في الدين قد تبين الرشد من الغي ، وهل نظام الذمم والمعاهدات عند المسلمين إلا احترام  
للحرية الشخصية ، وتقدير للإنسانية ، وفسحة للعقل ، ولفته إلى النظر والتأمل ؟ .

\* \* \*

وقد سئل عن الغنائم في الانفال ، وأحكام الغنائم من العمليات ، كما سئل عن الساعة  
في الاعراف ، والساعة من الاعتقادات ، وأمر الرسول أن يقول : الانفال لله . كما أمر أن  
يقول : الساعة لله . والمؤمن يوجل قلبه إذا ذكر الله ، والسكراب المنزل هو ذكر الله ، وقصة  
محمد مع قومه وقد تناولها الانفال بالبيان والتفصيل كقصة الرسل مع أتباعهم وأشباعهم  
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . والاستجابة لله لإحياء للقلوب ، كما أن نفخ الروح  
إحياء للأبدان ، ودأب قوم محمد معه مثل دأب فرعون والذين من قبلهم مع رسلهم ،  
والطاعة والإخلاص والتوكل والبذل من أنواع الأخذ بالعرف والإعراض عن الجاهلين ،  
كل أولئك صلات وثيقة بين الانفال والاعراف .

أما ناحية القوة أو الناحية الدفاعية ، وما يتصل بها من الجنوح للسلم عند المسالمة ،  
ووضع مقاييس القوة في الجيش الإسلامي ، وأنها مع الإيمان عدد وعدة ، وأن دعوة  
الحق لا تفتقر إلى الاعداد والعدد حتى تمكن ، فإن أمكنت كان من الإيمان بذل الطاقة ،  
ولما نحل الله عن المنصرين ، والتعرض للأمرى ، والتنويه عن شأن القوة المدافعة من  
المهاجرين والأنصار ، كل ذلك له مع إقرار معاهدات الجوار والإقامة ، وفرض الجزية ،  
والكشف عن ألوان النفاق ، وبيان أضراره المحسوسة على القوة الدفاعية ، والتعلق بالأعداء  
الواهيية ، وانتحال أسباب الفرار من صفوف الحق ، والتذرع لذلك بالحلف الكاذب ،  
والعهد المنقوض ، ثم بيان علاقة المؤمنين بالمنافقين ، وأنها علاقة مقطوعة في الحياة وفي  
الموت ، إلى غير ذلك من أعراض وأهداف نحت إليها سورة التوبة ، كل أولئك صلات  
وروابط بين الانفال والتوبة .

أما سورة يونس فقد نحت نحو الاعراف في اتجاهها إلى الناحية الاعتقادية ، مع تقديم المواعظ ، وسوق القصص والعبر التي تزيد في اطمئنان المؤمن ، وتبين للمشرك والمنافق مغيبه أمرهما ، ونتيجته فعلهما ، وأن محمد بن عبد الله ﷺ قين بالاتباع وجدير بالاستماع ، فقد جاءهم من أنفسهم ، وعز عليه عنادهم ، حرصا على نجاتهم .

\*\*\*

ونعود إلى الانفال وقد رسمت لنا حدود القوة ، وأبانت عن الجندية الحق ، وأنها تحتاج إلى إيمان وإذعان بما اعتقدته حقاً وديننا ، وتقوى الله والخوف منه مقرران لهذه العقيدة ، مدعمان لهذا الدين ، واتحاد الجند تقوية لدعائم الجيش ، ونزاعه مفض إلى الفشل مذهب للريح . وإصلاح ذات البين من خلال المؤمن ، والطاعة المطلقة لصاحب الدين ، وناشر الدعوة ، والقائم على المبدأ ، واجب حتى على الجنود ، إذا كانوا ممن يسمعون ، وشر الدواب عند الله الصم البكم ، وشر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون .

فالجندية إيمان ومراقبة وطاعة ، والإيمان مظهر قلبي يعمر بالوجل والخشية ، ويزداد بالعبادة والذكرى ، ويشرق بالتوكل والتفويض ، ومظهر علني يتمثل الخضوع فيه في ركوع وسجود ، والامتثال في بذل وإنفاق . ومتى كان الإيمان كذلك كان إيماناً حقاً ، ومتى كان حقاً كانت المراقبة والطاعة من أصول الإيمان . فالجندية الإسلامية تعتمد على الإيمان الحق وما يقرره الإيمان الحق في اللقاء ، والزحف والعدد والعدد والاستقبال والاستدبار ، والإقامة والتحيز ، والاعتدال والانحراف ، إلى غير ذلك من معان تحتاج في بيانها والكشف عنها إلى إخصائيين حريين يحددون نظامه ، ويدينون قوانينه ، والوفاء والطاعة هي دعامة النصر ، وركن الفلاح .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولَوْهُمْ الْاَدْمَارَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

محمد محمود

المدرس في كلية اللغة العربية

## رحلة الى الله

كلما أهل هلال شوال من كل عام أذن مؤذن الله أن هلبوا أيها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها إلى رحلة في سبيل الله ، حيث توجد السكبة البيت الحرام ، وزمزم والمقام ، ومشاهد الحج المقدسة ، ومغاني الحرمين الحبيبين إلى النفوس المؤمنة ، رحلة فيها تطهير القلوب من أدرانها ، وتركبة النفوس من خبيثها ، وتجرد الأرواح مما علق بها من الحجب المادية الكشيفة ، وظلمات الشهوات ، والمماصى ، فتعود إلى سالف عهدهما صافية قوية محبة للخير والحق والسلام .

هلبوا إلى البيت العتيق الذى بناه الخليل لإبراهيم وولده الذبيح إسماعيل قائلين : د ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يللو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ،<sup>(١)</sup> فكانت الأمة المسلمة هى الأمة المحمدية ، وكان رسولها هو النبي العربي الهاشمي الذى علمهم القرآن ، وجاء بالحكمة وفصل الخطاب ، وزكاهم من عبادة الاوثان ورجس الشيطان .

فما أن فرغا من البناء حتى أمر الله خليله إبراهيم أن يعلم الناس بالحج فقال : وما يبلغ صوتى يا ربى ؟ فقال الله سبحانه : أذن وعلى البلاغ . فقام الخليل على جبل أبى قبيس<sup>(٢)</sup> فنادى بأعلى صوته : د يأيتها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ، فبلغ صوته إلى أهل الارض ، وصدق الله حيث يقول : د وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفهم وليؤفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ،<sup>(٣)</sup> ومن يوم أن أذن لإبراهيم عليه السلام والناس تنهف قلوبهم إلى هذا البيت ويأتون إليه من كل سهل وحزن ، يطوون البيد والفيافي راكبين وراجلين ،

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ - ١٢٩ . (٢) جبل بمكة مشرف على الحرم .

(٣) سورة الحج الآية ٢٧ - ٢٩ .

قاصدين الحج أو معتمرين ، ليشهدوا منافع لهم دنيوية ودنيوية ، يحسبهم الحب الأكيد لبيت الله وظله الظليل في الأرض .

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وهذه آلاف السنين قد خلت ودروب الصحراء ومسالكها تسيل بالآلوف الوافدة من كل قطر ومن كل جنس ولون ، لا فرق بين أبيض وأسود ولا أحمر وأصفر ، ولا بين عربي وعجمي ولا نبي وغير نبي ولا ملك ومملوك ولا غني وصعلوك ، كلهم متجددون من زخارف الدنيا ، اللهم إلا من إزار ورداء يواريان السواة ، وكلهم يرفعون الصوت بالتلبية محيين داعي الله ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بوادي الأزرق فقال : أي واد هذا ؟ فقالوا : وادي الأزرق . فقال : كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية . ثم أتى على ثنية هرشي فقال : أي ثنية هذه ؟ فقالوا : ثنية هرشي . قال : كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمر جعدة ، عليه جبة من صوف ، خطام ناقته خلبة - أي ليف - وهو يلبي . وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس : لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج قال : يا أبا بكر أي واد هذا ؟ قال : وادي عسفان . قال : لقد مر به هود وصالح على بكرات حمر خطمها الليف ، أزهرم العباء ، وأرديتهم النصار ، يلبون يحجون البيت العتيق . وهكذا نرى أن الحج شعيرة من شعائر الأنبياء والمرسلين ، وهو فريضة باقية محكمة إلى يوم الدين . من ذا الذي لا تتوق نفسه إلى زيارة هاتيك البلاد المفضلة التي فيها قامت دعائم الإسلام ، ومنها انقشر نوره حتى عم أطراف الأرض ، والتي هي حافلة بشقى الذكريات الخوالد التي توحى إلى النفوس المؤمنة أن الحق مهما أودى وحروب فلا بد أن ينتصر ، وأن جهاد النفس والاعداء من صفات الاتقياء ، وأن الصبر عند نزول البلاء ، والإذعان لأمر الله ولو كان فيه إزهاق الأرواح من سنن الأنبياء ، وأن المسلمين جميعاً وفي بقاع الدنيا لهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وأمتهم أمة واحدة في آلامها وآمالها ووجعها ، وأن أمر المسلمين اليوم لا يقوم إلا بما قام به أولهم : اتحاد في قوة ، وعزم في حزم ، وعدل في حكمة ، وعلم في عمل .

إني حين أرجع بذاكرتي إلى سنوات قضيتها في الحجاز أدبت فيها الفسكين ، وتنقلت فيها بين الحرمين — مكة والمدينة — تتوارد على نفسي ذكريات ، وصور ومشاهدات ، تحمل في ثناياها عبراً وعظات . ولا أدري أى هذه المشاهد أذكر ؟ أذكر بيت الله وما أضفاه الله عليه من جلال ومهابة يملآن النفس رهبة والقلب خشوعاً ، حتى ليستشعر المسلم وهو واقف تجاه البيت عظمة ذى الجلال والكبرياء ، وتمتزج ال رهبة بالفرح والسرور فلا يملك عيذه من أن تفيض بالدمع مدراراً ، ولسانه من أن يجار بالدعاء مراراً . فتحنف به الرحمت ، وتستجاب الدعوات ، وتغسل الذنوب والخطيئات .

أم أذكر زمزم الممين الثرة المباركة التي أجراها الله بهزيمة جبريل (١) وجعلها سقياً لإسماعيل ، وكانت ولا تزال شرباً هنيئاً ، وغذاءً غنياً ، وعافية للمتضرعين بما أودعه الله فيها من سر دفين ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال فيها : « إنها طعام طعم وشفاء سقم » (٢) .

أم أذكر عرفات وهواها العليل ، وماءها النير ، وساحتها الفسيحة ، وجبلها المعروف بجبل الرحمة ، والصخور عند السفح التي وقف عندها رسول الله ﷺ راكباً على ناقته مستقبلاً القبلة مكثرأ من الدعاء ، وعرفات موطن من مواطن الرحمة الإلهية يتجلى الله فيها على أهل الموقف فيكفر عنهم السيئات ، ويرفع لهم الدرجات ، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة » ، وإله ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء ، وفي مسند عبد الرزاق : « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا عشية عرفة فيباهي بهم الملائكة فيقول : هؤلاء عبادي ، جاءوني شعثاً غبراً يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني » .

وما روى الشيطان أصغر ولا أدر من يوم عرفة لما يرى من كثرة غفران الله لمن شاء من حجاج بيته العتيق .

أم أذكر الدار التي فيها تكونت بذرة الإسلام الأولى ، وكانت المنتفس الذي ينتفس فيه المسلمون يوم أن أخذ أهل الشرك بخناقهم وضيقوا عليهم المسالك ، وهي دار الأرقم

(١) الهزيمة ضربة العقب . (٢) رواه الطيالسي وأصله في صحيح مسلم من رواية أبي ذر رضي الله عنه .

ابن أبي الأرقم ؛ والغار الذي منه أشرق النور فعم السكون وهو د غار حراء ، ؛ أو الغار الذي أوى إليه النبي وصاحبه الصديق الأكبر لما خرجا مهاجرين ، وما كان من عناية الله بنبيه ووقايته له في أشد المواقف وأحرجها ، حتى أعمى أبصار المشركين ورد كيدهم في نحورهم وهو د غار ثور .

وإذا ما يمت وجهي شطر دار الهجرة تذكرت الدار التي عز فيها الإسلام بعد غربة ، وقوى بعد ضعف ، وصارت له دولة و وصوله ، وتركزت فيها الخلافة الرشيدة في أزهى عصور الإنسانية قاطبة ، الدار التي طابت وطاب أهلها ، وآوت الإسلام في غربته ، وسيأرز إليها الإيمان في آخر الزمان ، والتي دفن في ثراها النبي وصحابته البهاليل الابداد الذين قلما أن تجود الدنيا بأمثالهم دينا وخلقا وعلميا وحكما وعدلا ورحمة .

وتذكرت مسجدنا النبوي أول مسجد أسس على التقوى ، وثالث المساجد المشرقة في الأرض ، وأحد المساجد التي تشد إليها الرحال من أقاصي البلاد ، وتعدل الصلاة فيه ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ، المسجد الذي كان في حقب من الزمان رمز الخلافة ومنازة الهدى والعرفان .

وتذكرت البقعة المباركة الطيبة وهي الروضة الشريفة التي ورد فيها قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : د ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، رواه مسلم ، والروضة تقع بين المنبر الذي طالما شمع منه الهدى والعلم والحكمة من النبي ﷺ في حياته ، والبيت الذي صار فيما بعد مشوى لجثمان النبي الطاهر بعد وفاته ، وجثمان شيخى الإسلام الصديق والفاروق رضى الله عنهما ، وفي الروضة يغضى كل لإنسان الطرف حياء ، وبغض من صوته تأدبا ، ويجد فيها ماشاء من راحة القلب وسكن النفس وهدوء الروح .

ولا تنس — يا أخى المسلم — وقد حلت بالبلد الطيب والبقعة المباركة أن تديم التعبد وقراءة القرآن والدعاء ، وأن تكثّر من الصلاة والسلام على نبيك المصطفى كفاء ما قدم للمسلمين من هداية ونصح وإرشاد ، وللدنيا كلها من خير وأمن وسلام ، وبحسبك فضلا أنك كلما سلمت على نبيك رد عليك السلام ، ولأنه لشرف عظيم وأمنية عزيزة تتضاءل دونها الأمانى ، كما أوصيك وقد حظيت بجوار الرسول الكريم أن تكون محمدياً في عقيدتك وفى خلقك وفى قولك وعملك وفى سمتك وهديك .

إني لأعجب من بعض من يتسم بالإسلام يذهب في كل عام إلى بلاد تروج فيها المفساد والمقاتن، وينفق فيها الآلاف من الدراهم والدنانير، ثم يعود خاوي الوفاض مكدود النفس مثقلا بالأوزار، بينما يصدف عن الرحلة إلى أحب البلاد إلى الله مع ما فيها من استجمام الفكر وصحة الجسم وقضاء الفرض وإرضاء الرب وغفران الذنب والفوز بنعيم الجنة، وصدق الموحى إليه من ربه « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له من ثواب إلا الجنة » .

فاغتنم أيها المسلم أداء الفريضة وأنت مستطيع سليم معافى، فإنك لا تدري ماذا ستكون في غدك، فقد يمرض الصحيح، وتضل الراحلة، وتعرض الحاجة، ألا إنه لا عذر لمعتذر بعد اليوم، فالسبل ميسرة، والمواصلات أضحيت سهلة مريحة، ومرافق العيش والحياة الطيبة هناك متوافرة من مسكن وملبس وطعام وشراب، ولا تعجب أن يوجد من الأرزاق وما يكفي سكان البلاد والحجيج على كثرتهم، فما ذاك إلا استجابة لدعوة الخليل عليه السلام « ربني أني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرونا » .

وأما الأمان فضررب بجرانه في تلك البلاد، فلا خوف على نفس أو عرض أو مال، وكل ذلك بفضل تطبيق الشريعة الإسلامية الغراء ولا سيما في الحدود والجنايات، وأشهد الله لقد كنا نسافر اليومين والاكث في المفاوز الشاسعة وبين الجبال الشاهقة فما حاجنا هائج من حيوان أو إنسان .

« وبعد، فهذه خواطر سنحت وذكريات ألمت، فأهاجت الاشواق، وأثارت كوامن النفس، ولعلك — أيها المسلم المشوق — وجدت أنك في حاجة إلى أن تجد نفسك، وتقضى حاجات فؤادك بالرحلة إلى هذى البقاع المقدسة، وإنك إن أخلصت النية وشددت العزم وفتحت القلب لواجد — إن شاء ربك — لذة لا تعد لها لذة، وسعادة أى سعادة، وعند الأوبة ستحمد الرحلة، وعند الصباح يحمد القوم السرى؟ »

محمد محمد أبو شربة

الاستاذ بكلية أصول الدين

## اتفاق النخاط في الشعر عرض وموازنة

تناولت في المقال الماضي بعض المظاهر التي يتجلى فيها أخذ شاعر من آخر ، وتنضح البراعة في الاقتباس : أو تستبين المشابهة في الهدف . ولعله يبدو من المساق أو الدرس والنظر كيف يبد الشاعر زميله في دقة المعنى وعمق الفكرة ، أو حسن الصياغة وجمال السبك ، أو السبق إلى تحديد المعنى واقتناصه ، حتى ليسترعى في ذلك النظر ، ويثير الدهشة ويبعث العجب .

واليوم نوالى ما الزمناء من عرض صور مختلفة . قال جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا  
وقال أبو نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وعند الموازنة بين الصورتين نجد أن معنى أبي نواس أعم وأشمل من معنى جرير ، وقد كرره في شعره بقوله :

متى تحطى إليه الرحـل سالمة تستجمعي الخلق في تمثال إنسان

فجرير جعل الناس كلهم في تميم ، وأبو نواس جعل العالم كله في واحد . وهذا أبلغ من غير شك ، ولقد كان أبو تمام معجبا أشد الإعجاب بببيت أبي نواس . ويحكى أنه دخل على ابن أبي دواد فقال له : أحسبك عاتبا يا أبا تمام . فقال إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا . فقال من أين هذه يا أبا تمام ؟ فقال من قول الحاذق أبي نواس ( ليس على الله بمستنكر )<sup>(١)</sup> .



وقال بشار :

يروعه السرار بكل شيء مخافة أن يكون به السرار  
فقال أبو نواس :

تركنتي الوشاة نصب المسر ين وأحدوثة بكل ملسان  
ما أرى خالين في السر إلا قلت ما يخلوان إلا لشاني  
وقال جرير :

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكرر عليهم ورجالا  
وقال عروة بن عتبة الكلبي :  
إذ تحسب الشجراء خلف ظهورنا خيلا وأن أماننا الصحراء  
فقال أبو نواس في غير هذا الباب :

فكل شيء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه ظنه الساق  
وأصل هذا المعنى من قول الله تبارك وتعالى : ( يحسبون كل صيحة عليهم ) ... على  
أن يبتى جرير وأبي نواس مستويان في تمثيل شدة الشعور وقوة الإحساس بالشيء حتى  
ليتملك العقل والفكر ، ويحتم في كل شيء يطوف بالبال أو يبدو للخاطر . ويأتي دونهما  
بيت عروة الذي يتوهم الشجراء فحسب خيلا  
وقال الأفوه الأودي :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار  
وقال النابغة :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب  
وقال حميد بن ثور الهلالي :

إذا ما غدا يوما رأيت غيامة من الطير ينظرن الذي هو صانع  
وقال مسلم بن الوليد :

قد عود الطير عادات وثقن بها فمن يتبعنه في كل مرتحل

فقال أبو نواس :

تأبى الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره  
وهذه الصورة لأبي نواس لا تقبل جمالا ولمتاعا عن صور أنداده وإخوانه،  
ولقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

وقد ظلت عقبان أعلامه ضحى      بعقبان طير في الدماء نواهل  
أقامت مع الرايات حتى كأها      من الجيش إلا أنها لم تقايل  
وأخذه أبو الطيب فقال :

سحاب من العقبان يزحف تحتها      سحاب إذا استسقت سقتها صوامه

قال الجرجاني في الوساطة <sup>(١)</sup> : د زعم كثير من النقاد أن أبا تمام زاد عليهم بقوله :  
إلا أنها لم تقايل ، فهو المتقدم . وأحسن من هذه الزيادة عندي قوله : في الدماء نواهل ،  
 وإقامتها مع الرايات ، وبذلك يتم حسن قوله إلا أنها لم تقايل . على أن الأفوه قد فضل  
الجماعة بأمر منها سبق وهي الفضيلة العظمى ، والآخر قوله : رأى عين ، نثر عن قربها  
لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر ، وإنما يكون قربها نوعاً للفريسة . وهذا يؤيد المعنى ثم قال  
: ثقة أن ستار ، فجعلها واثقة بالميرة . ولم يجمع هذه الأوصاف غيره ، وأما أبو نواس فإنه  
نقل اللفظ ولم يزد حتى يفضل ، .

وعندي أن بيت الأفوه وإن استكمل الأوصاف التي لم يصل إليها غيره ينقصه حسن  
المعرض ، وروعة الصورة فإن الصورة الشعرية التي تثير الحسن ، وتحرك المشاعر فيه ليست  
كالصورة التي في بيت أبي نواس . والشعر لا يقاس بحدود ، ولا بما يحمل من أوصاف  
ونعوت ، وإنما يعرف ويقدم بما يهيج من عاطفة ، ويبعث من طرب ونشوة .

وقال أبو جويرية العبدى :

وما زال يعطيني ومالى حاسد      من الناس حتى صرت أرجى وأحسد

فقال أبو نواس :

ذريني أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيه الخصيب أمير

فقد جعل أبو نواس زوجته محسدة ، فإذا رحل إلى الخصيب فقد كثر الحاسدون  
وازداد الحاقدون . وأراد أبو نواس أن يستل رفد الممدوح ويستثير أريحيته . وأما العبدى  
فجعله نفسه فقيراً معدماً لا يحسده الناس ، لأنه لا يملك شيئاً حتى جعله الممدوح رافه الغنى  
ميسور الحال محسداً من الرجال ، وقد أخذ المعنى أبو الطيب فقال :

أزل حسد الحساد عنى بكتبهم فأنت الذى صيرتهم لى حسداً  
وقال كثير :

متى ما أقل فى آخر الدهر مدحة فما هى إلا لابن ليلى المكرم  
فأخذه أبو نواس وقال :

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة لغيرك إنساناً فأنت الذى نعى  
وأخذه المتنبي فقال :

وظننى مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مرادى  
وقال كثير .

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى لى بكل سليل  
فقال أبو نواس :

ملك تصور فى القلوب مثاله فكأنما لم يخل منه مكان  
وإن كان بيت كثير فى النسيب وبيت أبى نواس فى المدح .

وقال العباس بن الاحنف فى ذم الشركة فى الهوى :

يا فوز لم أهرمك للملالة منى ولا لمقام واش حاسد  
لكننى جربتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد  
فقال أبو نواس فى صورة بديعة ومعنى رائع :

أتيت فؤادها أشكو إليه قلم أخلص إليه من الزحام

فيامن ليس يكفيها محب ولا ألسا محب كل عام  
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام .  
وقال الداعي :

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا ما اشترى الخزاة بالمجد يبيس  
وقال الأبيرد :

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء أعوزها القطر  
فقال أبو نواس :

فتى يشتري حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور  
وهذا النحو من العرض أو الموازنة بحر لا يدرك له غور ولا يعرف له ساحل .  
وعندى أنه لا يعيب الشاعر أنه أخذ أو انفتت بعض معانيه مع بعض معاني السابقين .  
ولما يعيبه قصور البيان وكلال الذهن وضعف التعبير ؟

عبد الحميد محمود المصاوت  
المدرس في كلية اللغة العربية

## الانوار الكشافة عند العرب

قالت مجلة رعمسيس في الجزء الثاني من سنتها الرابعة :

ألقى الأستاذ (دى لا فررت ) محاضرة في ندوة المهندسين ببرشلونة من أعمال أسبانيا  
عز ( اختراعات القدماء ) أثبت فيها أن أكثر مخترعات القرن الحاضر هي من استنباطات  
القدماء واستدل على ذلك بأن الانوار الكشافة التي نسمع بها الآن ونظن أنها من  
مستحدثات هذا العصر كانت معروفة منذ القرن السابع ، وكان العرب يستعملونها  
في حروبهم بالاندلس وشمال أفريقيا .

# المجاهدون الأولون

## في فتوح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة<sup>(١)</sup> في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأقام بها مدة ، ثم اتى ذات يوم طلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام فسألها : أى الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فأغزاه في جيش من هذه الجيوش التى ندها عمر لحمل رسالة الإسلام إلى أقطار الأرض . وكان أبوه قد كبر وضعف ، وخرج معه أخ له آخر ، فانبعث أمية يقول :

يا أم هيثم ماذا قلت أبلانى	ريب المنون وهذان الجديدان <sup>(٢)</sup>
إما ترى حجرى قدرك جانبى <sup>(٣)</sup>	فقد يسرك صلبا غير كذان <sup>(٤)</sup>
إما ترين لا أمضى إلى سفر	إلا معى واحد منكم أو اثنان
يا ابنى أمية ، إلا تشهدا كبرى	فإن نأيكما والشكل مثلان
إذ يحمل الفرس الأحوى <sup>(٥)</sup> ثلاثنا	وإذ فراقكما والموت سيان
أصبحت هزه الراعى الفتان أعجبه	ماذا يربيك منى راعى الضان ؟
انعق بضأنك فى نجم <sup>(٦)</sup> تحفره	من الأباطح واحبسها بجمدان <sup>(٧)</sup>
إن ترع ضأنا فإنى قد رعيتهم	بيض الوجوه بنى عمى وإخوانى

ولما طالت غيبة كلاب عنه قال :

لمن شيخان قد نشدا كلابا	كتاب الله إن رقب الكتبا
نفض مهده شققا عليه	ونجبه أباـرنا الصعابا
إذا هتفت حمامة بطن واد	على يضاها دعوا كلابا

(١) الجديدان : الليل والنهار . (٢) عبر بالحجر عن صحته . ومعنى رك : ضعف . (٣) الكندان : الرخو . (٤) الأحوى : الأسود . (٥) النجم : ما لا ساق له من الثبات . ومعنى تحفره تقنله . (٦) جدان : جبل بطريق مكة وواد .

تركت أباك مرعشة يدها وأملك ما تسبخ لها شرابا  
أناديه وولاني قفاه فلا وأبي كلاب ما أصابا  
فإن مهاجرين<sup>(١)</sup> تكنفاه<sup>(٢)</sup> لترك شيخه خطئا وخابا  
وإن أباك حين تركت شيخ يطارد أينقا شسبا طرابا<sup>(٣)</sup>  
إذا بلغ الرسم<sup>(٤)</sup> فكان شدا<sup>(٥)</sup> يخمر نخالط الذقن الترابا

فبلغت أمانة عمر فلم يرد له كلابا ، فاهتز أمية واختلط جزعا عليه ، وتغنت الركبان  
بمعر أبيه قبله ، فأنشأ يقول :

لعمرك ما تركت أبا كلاب كبير السن مكتنبا مصابا  
وأما لا يزال لها حنين تنادى بعد رقدتها كلابا  
لكسب المال أو طلب المعالي ولكني رجوت به الثوابا

ثم أتى أمية عمر رضى الله عنه يوما وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وحوله  
المهاجرون والانصار ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

أعادل قد عدلت بغير علم ولا تدرين عاذل ما ألاق  
فإما كنت عاذلني فردى كلابا إذ توجه للعراق  
ولم أقض اللبانة من كلاب غداة غد وأذن بالفراق  
فلا والله ما باليت وجدى ولا شغفى عليه ولا اشتياقي  
سأستعدى على الفاروق ربا له حج الحجيج على اتساق  
وأدعو الله مجتهدا عليه يطن الاخشبين<sup>(٦)</sup> إلى دفاق<sup>(٧)</sup>

فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص ، أن رحل كلابا ، فرحله  
إلى المدينة .

(١) يريد بالمهاجرين طلعة والزبير . (٢) تكنفاه : أحاطا به (٣) التسبب : النجفة اليابسة .  
(٤) الرسم : نوع من سير الابل أقل من الشد . (٥) والشد سير الابل السريع .  
(٦) الاخشبان : جبلا مكة : أبو قيس والاحمر ، وجبيلاني  
(٧) دفاق : موضع أو واد

فلما قدم دخل إليه فقال له عمر : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أبره وألفيه أمره ، وكنت أعتد - إذا أردت أن أحلب لبنا - أغزر ناقة في لبله وأسمنها فأسقيه .

فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه ، فأدخله يتهاذى ، وقد ضعف بصره وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال نعم : أشهى أن أرى كلابا فأشمه شمة ، وأضمه ضمة ، قبل أن أموت . فبكى عمر رضى الله عنه ، ثم قال سنبليخ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى .

ثم أمر كلابا أن يحتلب لآبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها ، ففعل ، فاوله عمر الإياء وقال : دونك هذا يا أبا كلاب ، فلما أخذه وأدناه إلى فمه ، قال : نعم والله يا أمير المؤمنين إني لأشتم رائحة كلاب من هذا الإياء . فبكى عمر وقال : هذا كلاب عندك حاضراً ، قد جشاك به فوثب إليه وضمه إليه وقبله وجعل عمر يبكي هو ومن حضره وقال لكلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا .

### طه الزبني

أستاذية في النحو والصرف

## التفسير الواضح

للأستاذ محمد محمود حجازي - الأجزاء ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

مطابع دار الكتاب العربي

نوهنا غير مرة بهذا التفسير اللطيف عند صدور أجزاءه السابقة . وقد أهدى إلينا الآن خمسة أجزاء منه من أول نصفه الثاني ، وبذلك تم ثلثا التفسير ، لأن مؤلفه ألزم أن يفسر كل جزء من القرآن بجزء من تفسيره ، وإذا كانت كتب التفسير المطولة مما يحتاج إليه العلماء وأهل التخصص . فإن هذا التفسير الواضح قد سد حاجة جمهور المسلمين والطلبة ، وعامة المثقفين فيسر لهم فهم كتاب الله عز وجل ببيان مدلول مفردات الألفاظ ، والمعاني المجملة لكل آية ، على قدر حاجتهم وبما يغنيهم عن غيره . مجرداً عن الحشو والإسرائيليات . فزجو الله أن ييسر للمؤلف إتمامه .

# تعلقات

- ٩ -

## خطاب مفتوح

إلى السيد رئيس تحرير الجمهورية .

تحية وسلاما - وبعد ... فقد قرأنا في الجمهورية - عدد الخميس ٣ رمضان - كلمة تحت عنوان « كفاح الشعب » ، ومذيلة بكلمة - الطليعة .

وكان موضوع الكلمة نقداً مريراً لأحاديث الصيام التي نشرت بالصحف في اليومين الأولين من رمضان ، ووجه النقد : أنها في بيان ما يمنع من صحة الصوم وما لا يمنع ، وفي التنبيه على أن الحقنة الشرجية ونحوها مما يفطر أولاً يفطر ... وقد تألم الكاتب لأن هذه الأحاديث من قبيل ما كان يذاع أيام الملكية في مصر ، ويوم كان فيها باشوات ، وزعم أن الأحكام التي تتعلق بالصوم ، مما يعرفه صبيان المسلمين من طريق آبائهم وأمهاتهم - كذا - ثم دعا في كلمته إلى العدول عن هذا ، وإلى التحدث مع الشعب بغير هذه اللغة « الفصيحة » ، وفي غير هذه الموضوعات ، ولم تخل كلمته الناصحة من غمز جارح في العلماء .

ونحن نستعير من الكاتب غيرته ، ونحاكيه في جرأته فنقول :

إن تذكير الناس بأحكام الدين أمر يجب تكراره ، ويجب الاستيعاب فيه : حتى يتذكر من يعرف ، ويعرف من لا يعرف ما يصحح به عبادته التي هي صلته بربه ، والتي هي السبيل إلى معرفة حق وطنه ومواطنيه عليه ، فإن ذلك دعاة أولى في تكوين الشعور الصادق بالواجب على اختلاف أنواعه ، وإذا تهدم بناء الشخصية من الناحية الدينية أو نقص تكوينه في إنسان فصدقنى - ياسيدى - ألا خير فيه لوطن ، ولا لمواطنين ، وإن جاهر بالغيرة على الشعب ، وجاهر بصدق وطنيته . وكيف يكون خير منه لوطنه ، وهو لا يحفل بالخير لنفسه . ويميش على نقص في دينه ١٩ .



وليس يمنع من تكرار الدعوة الدينية أن تتناول الكلام على الحقنة الشرجية <sup>التي</sup> هو دونها ، فإن المسلمين - والحمد لله - يثيرون في إلحاح مشكور هذه الاسئلة في مجالسهم أولاً في دروس العلم بالمساجد لوسمح الكاتب وزارها يوماً ، ويثيرونها في رسائلهم إلى العلماء وإلى جهات الفتوى لو كان للكاتب اتصال بها .

وما أحسب كل الآباء والامهات على علم بذلك حتى يلقنوه صبيانهم مثل ما تلقاه صاحب الطليعة عن أبويه الكريمين ، وإنما يلتقي صبياننا في هذا الجيل أشياء أخرى لعل كاتبنا يعيها أكثر منا لاتصاله الوثيق بالشعب كما يقول ، وإن لم يعجبه هو أن يتحدث بها ويساهم في إصلاحها ، ولا يعجبه كذلك أن يتعرض العلماء لها لأنها في اعتباره توافقه لا تستحق أن يتناولها الإصلاح الديني .

وكذلك لا يمنع من بيان أحكام الدين أن تكون سنة سابقة في عهد الملكية ، وفي عهد الباشوات ... بل العهد الذي نحن فيه أولى وأجدد بالتوسع في إرشاد الناس إلى كل نفع في دينهم وفي خلقهم وفي دنياهم ، لانه عهد الإصلاح المنشود ، ولا حرج على العلماء ولا غيرهم أن يضاعفوا ذلك النشاط في شهر رمضان ، فإنه الشهر الذي آثره الله رب الشعب والشعوب كلها باتخاذهم موسماً للعبادة ، وإن كانت العبادة حقاً على الناس في كل وقت سواء ، فإن لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص .

ثم : أليست هيئة التحرير تدعو الناس الى سماع الدروس الدينية في مركزها الرئيسي وتضاعف نشاطها في دعوة الناس إلى إطعام الفقراء . وتسمع القرآن يملاً الاسماع أينما اتجهنا .. وتتجاوب تلاوته في الريف والمدن بل تتجاوب بين قطر وقطر !  
فهل ننكر ذلك كله ونمنعه ترصية لكاتبنا الاجتماعي ، ولأن شيئاً من هذا كان يحدث أيام الملكية وعلى عهد الباشوات ١١٩

الحق - ياسيدى - أن الكاتب يهدف في كتابته إلى النيل من العلماء لحاجة في نفسه ، ولكن غايته قلبه فزل به في أمور ما كان ينبغي له أن ينحدر إليها لو كان مسلماً حقاً كما يزعم لنا . ولكن ...  
ياسيدى : سبق لنا أن رجونا الى المشرفين على صحف التحرير وإلى السيد المراقب للعام للصحافة والنشر بخصوص خطاب من غير مسلم نشرته مجلة التحرير ، ورجونا أن تتداركوا هذه الأقلام الجامعة فلا تفسحوا لها صحافتكم ، لإبقاء على الأوضاع الصحيحة أن تنال منها النزعات الطائشة .

ثم تكرم الرقيب العام فأجابنا لإجابة كريمة شاكرًا هذا التعاون في حسن التوجيه رعاية للصالح العام ، ومحافظة على عقول البسطاء أن تتأثر بهذه الثروة السكرية .  
واليوم نرجو إليكم ألا تمسكوا لهذه الأقلام أن تشق ثغرات بين الصفوف بتجريحها للهيئات السكرية رغبة في التشفي وانسيافا وراء النزعات المتطرفة .  
فإن كنتم - يا سيدي - جادين في احترام الرأي ، فالرأي عندنا لا كثيرين جداً ألا تنسح لهذا صحف التحرير التي يتلقاها القراء على أنها صحف الهيئة الحاكمة ، ولسان هيئة التحرير المظنون بها خير كثير .

وما ينبغي أن تكون حرية الرأي خاصة بأصحاب الفكر المنحرفة والمتجرين بالكلام الأجوف ، وكلما جاشت نفوسهم بسخائم مرذولة وجدوا في صحافتكم متسعاً لا يصادف مثله أصحاب الدعوة الحقّة والأقلام الممّدة .  
وإن كانت كلمة السكّاب طليعة لشر مبيت وتجديداً لنعمة الفتنة بعد نومها ، فما لنا من حيلة بعد هذا في صرف الساكرين عن مكرهم ومن يهداه الله فهو المهتدى .  
والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير مجلة الأزهر

— ٢ —

## خارج الباب

العلم علمان : علم الشيطان ، وشعاره السلاطة والبغي والكلام بلغة الجاهلين . وعلم الحق ، وشعاره الأدب والتعفف عن زلل القول والترفع عن سباب السوق ، ومدينة العلم الشيطان يغلب عليها الأسلوب اللائق بها ، كما يغلب على مدينة علم الحق الأسلوب اللائق بها .

وقد اطلعنا على الجزء الثاني من المجلة الطائفية التي يكتبها المشكك في إيمان أبي بكر وعمر فرأيناها انحطت عن الجزء الأول في لغتها وأدبها ، وحتى مقالها الافتتاحي فتعت فيه أصحاب رسول الله بأنهم عقب انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، بدلوا

وغيروا ، وقدموا ، وأخروا ، وتألبوا على الدين ، وكانوا بما قام في طريق الإصلاح والعمل بالمكتتاب والسنة من الناكثين والقاسطين والمارقين .

وبعد ان افتتحت المجلة جزءها الثاني بسبب الجليل المثالي الذي لا تعرف الإنسانية جيلا أكمل منه ولا أتقى لله ولا أصدق اتباعاً لرسول الله وعملا برسائله ، فزعمت المجلة أن هؤلاء « ناكثون قاسطون مارقون » . التفتت إلى الناحية التي تعمل على إحياء علم الصحابة وفي طلبهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهي ناحية الأزهر ، فصبت مثل هذه اللعنات على مقال السنة الذي يحرره فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت واختصت الصفحة ٦٥٩ من إحدى مقالاته بسبابها وفسوقها . ثم تجنبت بلغة السوق على فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد أبي شبة في مقالاته عن الدخيل وكتب التفسير واختصت إحدى تلك المقالات ببذاتها بما تمججه آداب العلم ، وينافي أخلاق أهله . وصدق الله العظيم في وصف المؤمنين : ( وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ) . ( المجلة )

### — ٣ —

## الاشعري ومراحل تطوره الفكري

كان لما كتبناه في باب وصف الكتب من الجزء الماضي عن كتاب : ( الاشعري أبو الحسن ) لحضرة الفاضل المحقق الدكتور حمودة غرابة صدى استحسان عند كثير من القراء ، غير أن الصديق الجليل مؤلف الكتاب يرى في تطور الاشعري أنه بعد خروجه من طوره الاول طور الاعتزال حمله رد الفعل على أن يكون في الطور الذي يمثله كتاب ( الإبانة ) ، ثم اعتدل فكان في الطور الذي يمثله كتبه الأخرى ولا سيما كتاب ( اللمع ) وقد زارنا حضرته وبشرنا بأنه آخذ في تحقيق كتاب ( اللمع ) وسيعيد نشره محققاً بما يليق بهذا الكتاب الففيس ، ثم قدم حضرته للمجلة مقالا في بيان وجهة نظره التي ذكرناها عن تطور الاشعري ، ولما كانت مواد هذا الجزء قد تمت عند اطلاعنا على مقال الدكتور حمودة فسنشره إن شاء الله في الجزء الاول من السنة الجديدة ، ونعلق عليه بوجهة نظرنا في أن ( اللمع ) من كتب الاشعري في طوره الثاني وأن ( الإبانة ) هي التي انتهى الاشعري إلى الاعتقاد بما فيها في آخر حياته وأراد أن يلقي الله عليها ، وموعدا بعرض وجهتي النظر في ذلك الجزء الآتي إن شاء الله ؟ ( المجلة )

- ٩ -

## حقائق

كنت أقرأ في تفسير سورة محمد عليه الصلاة والسلام حتى وصلت إلى قول الله تعالى :  
 • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا اللَّهَ نَتَنَصَّرَكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ) .  
 قال الشيخ المفسر : معنى نصر الله — نصر دين الله ورسوله — .

ثم أخذت أنامل في هذا المعنى وأنظر إلى المسلمين اليوم هل حققوا هذا المعنى الكريم  
 حتى يظفروا بنصر الله ؟ أم أنهم طرحو الدين وراهم ظهرياً — ثم أرجعت بعصرى  
 إلى الوراء ألقبه في صفحات التاريخ : هل حقق المسلمون في القرون الأولى هذا المعنى  
 حتى فازوا بتأييد الله ؟ فوجدتهم في صدرهم الأول قد حققوه ، فلا تجد فيهم إلا الطهر  
 والعفاف والصدق والأمانة ، القوى فيهم ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف قوى  
 حتى يؤخذ الحق له .

بهذا وغيره سادوا العالم وملكوا الدنيا ، وأصبحوا آمنين في ديارهم ، مطمئنين في أوطانهم  
 تخضع لسلطانهم أكثر ممالك الأرض ، حتى إن الخليفة العباسي يتحدثى السحاب بقوله :  
 ( أمطر في أى الجهات شئت ، فسيأتينا خراجك ) . هؤلاء هم الزعماء حقاً والأبطال الأجداد  
 الذين حققوا نصر الله فنصرهم الله .

أما نحن اليوم فقد تنكبنا عن جادة الطريق وسرنا في الخضيض والهوان حتى امتلك  
 بلادنا من كان بالأمس القريب لا يستطيع أن يدافع عن نفسه .

تجد المسلمين اليوم يحاربون في أوطانهم ويستذلون في ديارهم ، تتداعى عليهم الأمم  
 كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، ذلك لأننا حاربنا دين الله نخذلنا الله .

تجد في البلاد الإسلامية الصحافة التى من مهمتها تقويم الاخلاق ونشر الفضائل وبث  
 روح الجهاد والتضحية ، لا يتورع بعض أهلها عن المتاجرة بأعراض الأمة ويفسدون  
 أخلاق شبابها بنشر الصور العارية والقصص الغرامية التى توقع فى الشر والفساد .

فعلينا إذا أردنا نصر الله أن ننصر دينه ونتحلى بأداب سلفنا الأول ونجدد مجتمعنا  
 بما يقوى فيه أسباب الرجولة والقوة ( ولينصرن الله من ينصره ) . السيد محمد السيد  
 بمعهد سوهاج الدينى

- ٢ -

## المسلمون بين أمسهم و يومهم

إذا نظر الإنسان فيما صار إليه المسلمون في هذا العصر من تفرقة وشحناء واستهتار بشخصيتهم ورسالتهم الكريمة التي خلقوا لها والتي بوأتهم مقام الاستاذية على العالم حيناً من الدهر، فسكانت لها الوصاية الجامعة على البشرية القاصرة، وكان المسلم هو الشهيد على الإنسانية جمعاء — يقف مسائلنا: لماذا بعدنا عن رسالتنا تلك، وهل اغتصبت منا، أم نحن الذين تنكرنا لها .

الحق أننا نحن الذين تنكرنا لها، فتكرت لنا، جزاء وفاقا ( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) . ولما غيرنا تعالينا الاصيلية بما دخل عليها، ذهب ربحنا وطرأ علينا الضعف، فانقض علينا الأعداء الموتورون من الإسلام وتحينوا لنا الفرص، بل حاولوا إغرامنا بكل الوسائل لكي يحدوا الطريق الذي ينفذون منه إلى قلوبنا فيزلزلوا ما فيها من بقية الإيمان وأرسلوا لنا باسم العلم والثقافة جحافلهم، فقوضوا تعالينا الإسلامية، التي هي عصمة أمرنا، والتي هي دعامة شخصيتنا إلى أن صبغونا بتلك الصبغة وقبلناها راضين . فأصبحنا لا نفرق بين الغث والسمين، وبذلك صرنا جاحدين لتعالينا . نحسبها رجعية لا صلاح فيها — وتنكرنا للإخاء الإسلامي رغم أننا نرى أن أعداءنا على وفاق في جبهة عدائهم لنا، وأنهم على تنافر جنسياتهم، اتحدوا في محاربتنا في جميع المواقف وآخرها موقفهم منا في فلسطين وأمرها ليس ببعيد، فولدت في أحضانهم هذه المولودة لإسرائيل فتكتل أهلها وتجمعوا على تنافر لغاتهم وكونوا — في معقل إسلامي عظيم — دولة لا تفتأ ترمينا بسهامها المسمومة .

هذا ما كانت من حثالة البشرية، وأهل الإلحاد . . عندما عملوا بالإخاء والحب والاتحاد . وما كان منا نحن أهل الإسلام أهل التوحيد الذين تنادى بهم دعوتهم : بالإخاء والاتحاد . بل جعلت ذلك من الدعائم التي يقوم عليها المجتمع الانساني .

فيا أبا الإسلام هل عرفت ما نحن عليه، وما عليه أهل الإلحاد . . وكيف انعكس الحال وصار الوضع مقلوباً . . إن سبب ذلك تنكرنا لمبادئنا . . وتعالينا التي بتغييرنا لها تبدل حالنا . . وهو الجزاء الذي أئذنا به القرآن الكريم فقال : — « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وصدق الله العظيم .

محمد أحمد إبراهيم بدوي

# الفتاوى

- ١ -

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلي :

كريمة أحد أقاربى وهى مسلمة خطبها شاب مذهب من عائلة محترمة ، ولما تحرينا أمره وجدناه على مذهب ( البهائين ) فهل يجوز زواج المسلمة بالبهائى ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن البهائية فرقة ليست من فرق المسلمين ، فإن مذهبهم يناقض أصول الدين الإسلامى وعقائده التى لا يكون المرء مسلماً إلا بالإيمان بها جميعها ، بل هو مذهب يخالف سائر الملل السماوية ، فلا يجوز للمسلمة أن تزوج بواحد من هذه الفرق ، وزواج المسلمة به باطل .

بل إن من اعتنق مذهب هذه الفرقة من بعد ما كان مسلماً صار مرتداً عن دين الإسلام فلا يجوز زواجه مطلقاً ولو بهائية مثله . والله أعلم .

- ٢ -

تقدمت لخطبة فتاة فاعتزنت والدتها بحجة أفنى رضعت من ثديها ، فاستفسرت منها عن الحقيقة ، فعلمت أنها كانت أعطتني ثديها فأخذت منه جرعة واحدة ثم لفظته ونمت ، فهل يجوز لى الزواج من هذه الفتاة ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال حل للسائل أن يتزوج بهذه الفتاة على مذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام أحمد في الرواية المشهورة عنه ، وهو ما تفتي به اللجنة لقوة دليله . وإن كان الامامان أبو حنيفة ومالك يقولان : إن قليل الرضاع وكثيره سواء في التحريم متى وجد في مدته . والله اعلم ؟

### — ٣ —

شخص طلق زوجته ثلاثا بقسيمة رسميه ، ثم توفي بعد الطلاق بثلاثة أيام ، وكان مرصفا بالسرطان ملازما للفراش قبل ذلك بشهرين ، فهل هذا الطلاق يعتبر واحد أو ثلاثا . وهل ترث الزوجة وابنها منه حيث مات وهي في العدة ؟

### الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن المعول عليه في هذه الحادثة هو ما قيد بالقسيمة وهو طلاق بآئن قد صدر منه وهو في مرض الموت إذا كان الأمر كما ذكر بالسؤال . فإذا كان قد صدر منه بغير رضا الزوجة كان هذا الطلاق غير مانع من إرثها منه لأن المطلق في هذه الحالة فار من إرث الزوجة له فيعامل بنقيض قصده ، فترث منه إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال من أنه مات وهي في العدة ، وأما ابنه منها فهو وارث من أبيه مطلقا سواء أورثت طبقا لما قلنا أم لم ترث ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله اعلم ؟

### — ٤ —

عندى مقبرة تضم رفات والدي وجدى وعمى وغيرهم من أكثر من عشر سنوات ، وقد اشتريت الآن حوشا وبنييت به مقابر ، فهل يجوز لى نقل رفات أبى إلى المقبرة الجديدة مع العلم بأن الحوش الجديد بعيد عن المقبرة التى بها رفات والدى ، وإذا تركتها من غير زيارة هدمها الترتى وباعها لآخرين ولا يمكننى أن أوصل زيارتى فى الجهمتين بل سأقتصر على زيارة المقبرة الجديدة ، والمكان الجديد أنظف وأليق من المكان القديم ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ونفيد بأنه يجوز في مذهب المالكية والحنابلة نقل الميت من مكانه الذي دفن فيه إلى مكان آخر لمصلحة كدفنه بين أقاربه وسهولة زيارة أهله له بشرط ألا يصحب النقل ما يناقى احترامه كأنفجاره أو تكسر عظامه أو غير ذلك مما فيه انتهاك حرمة ، وبناء على ذلك يجوز في الحادثة المستول عنها نقل الأموات المذكورين إلى المقبرة الجديدة ، والله أعلم ؟

## — ٥ —

١ — هل الإفراز المهبلي يبطل الوضوء إذا حدث بعد إتمام الوضوء .

٢ — هل طلاء الأظافر يمنع الوضوء ويبطل الصلاة .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فتفيد اللجنة : —

أولا — بأن هذا الإفراز المستول عنه ناقض للوضوء .

ثانيا — بأن طلاء الأظافر بالمادة المعروفة مانع من تمام الوضوء لأنها ليست مجرد لون بل هي مادة ذات جرم يمنع وصول الماء إلى الأظافر فلا تصح الصلاة بهذا الوضوء ، لكن إذا توضأت المرأة قبل وضع هذا الطلاء ثم وضعت وصلت فصلاتها صحيحة ولا يمنع وجوده بعد تمام الوضوء من صحتها ، وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى



# الكتب

## محاضرات عن سوريا - من الاحتلال حتى الجلاء

للدكتور نجيب الارمنازى - نشرته جامعة الدول العربية - ٢٢٥ صفحة كبيرة

الدكتور نجيب الارمنازى السفير فوق العادة والمندوب المفوض للجمهورية السورية في مصر من رجال العلم والبحث والتحقيق، كما هو من رجال السياسة والتمثيل الدبلوماسى العربى. وقد ألف قبل أكثر من ربع قرن كتابه النفيس (الشرع الدولى فى الإسلام) باللغة الفرنسية، وقال به الدكتوراه من جامعة باريس بدرجة جيد جدا، ثم نقله إلى العربية وكتب له الأستاذ فارس الخورى مقدمة قارن فيها بين الشرائع وأشاد بمكانة الشرع الإسلامى منها. وكما أراد سفير سوريا فى مصر أن يعرف الغرب بالشرق الإسلامى فى كتابه (الشرع الدولى فى الإسلام) أراد أن يعرف الشرق الإسلامى بالأسس التى يقوم عليها نظام الغرب الدولى فأصدر قبل بضع سنوات كتابه (السياسة الدولية وأشهر رجالها) فى جزئين اختص أولهما بالأعمال والأخلاق والتقاليد وعلاقة ذلك بالسياسة الدولية فى الغرب، وترجم فى الثانى لأقطاب المناهج السياسية من مكيفلى وورشليو إلى كافور وبسمرك حتى ولسن وروزفلت. وقد أهدى الدكتور نجيب الارمنازى إلى صديقه القديم رئيس تحرير هذه المجلة كتابه النفيس الجديد (محاضرات عن سوريا - من الاحتلال حتى الجلاء) وهى محاضرات علمية ألقتها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية الذى افتتحته جامعة الدول العربية فى العام الماضى وهذه المحاضرات امتازت بالوقوف التام على تفاصيل الأحداث التى ألمت بها، والاستشهاد عليها بالوثائق والمستندات العربية والإفرنجية، ثم بحسن العرض والامانة فيه مما يعد أساساً جيداً لتاريخ سوريا السياسى فى الثلاثين سنة الأخيرة عندما يحاول المؤرخون تدوينه. ولا غرو فإن صاحب المحاضرات العلمية العالية من بيت جهاد قومى نبيل، وأخوه السيد على الارمنازى من شهداء الحركة القومية العربية خلال الحرب العالمية الاولى، وكان الدكتور المحاضر سكرتير المجلس النيابى السورى فى عهد ملكية فيصل الاول سنة ١٩٢٠ ثم كان شاهد عيان بصيرا بجميع الأحداث التى توالى بعد ذلك، فجاءت محاضراته هذه التى

ألقاما على طلبة معهد الدراسات التاريخية في القاهرة من أئمن وأروع ما سجله هذا المعهد من دراساته وبحوثه النفيسة . وقد أحسنت جامعة الدول العربية بنشرها في هذا الكتاب ليعم الانتفاع بها جميع المشتغلين بشئون القومية العربية وتكوين كيائها في العصر الحديث .

## لغويات

لفضيلة الأستاذ محمد علي النجار - ١٦٠ صفحة كبيرة - مطابع دار الكتاب العربي

فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار هو الحجة الثقة في تحقيق متون اللغة ، وتخرج القواعد وتطبيقها في فنون العربية ، عرف ذلك له قراء هذه المجلة من سنين طويلة بفصوله الشائقة وتحقيقاته الدقيقة التي ينشرها بعنوان ( لغويات ) . وقد أراد أن يشرك سائر قراء العربية في هذه الفوائد العظيمة ، فأصدر الجزء الأول منها في ١٦٠ صفحة محتويا على ٩٦ تحقيقاً كلها غرر ودرر . وقد قال في مقدمتها : « الكتب المؤلفة في اللحن ضربان : ما تلحن فيه العامة ، وما تلحن فيه الخاصة . وظاهر أن البدء بالتأليف كان بالضرب الأول حين كان لحن الخاصة نادراً لا يستوجب التأليف ، وقد ألف فيه الكسائي والفراء والجواليقي وغيرهم . ولما فشا اللحن في الخاصة ولغة الكتابة ظهرت التأليف في لحن الخاصة ، ولأبي هلال العسكري كتاب في هذا الضرب ، ولما صارت لغة العامة لحناً كلها أفرد التأليف في لحن الخاصة ، وأشهر كتاب في هذا « درة الغواص في أوام الخواص » ، للحريري وقد تناوله العلماء من بعد بالشرح والنقد والتأييد » .

ثم قال : وسيلي في هذه البحوث أن أدرس ما فيه ربيعة من الأساليب أو المفردات في ضوء العربية ، وقد أخرج منها بنى الريبة عنها . وقد أخرج بإلصاقها به وتذويتها فيه ، على حسب ما يبلغني اجتهادي » .

ووعده فضيلته بأن يتبع هذا السفر ما يجد من بحوث إن شاء الله .

فلنفت أنظار المتأدبين ومحبي جمال العربية إلى هذا المرجع القوي في بابه لينتفعوا به ويوسعوا به معارفهم عن لغة القرآن ، فإنه من خير ما يوصلهم إلى هذه الغاية إن شاء الله .

## خواطر الحياة

ديوان فضيلة الأستاذ السيد الخضر حسين - ٢٠٧ صفحات كبيرة - المطبعة السلفية .

يقول فضيلة الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر السابق في المقدمة التي كتبها لهذه المجموعة من شعره : « ربما خطرت لي صور من المعاني ، في أوقات أبتغى فيها راحة ، فألبسها ثوبا من الكلام الموزون . ولم يلم بخاطري في يوم أن أجمع ما نظمته وأخرجه للناس ، حتى اقترح على طائفة من إخواني الفضلاء أن أجمعه من أوراق متفرقة ، وأصدره إلى عالم الأدب في صفحات متتالية ، فما وسعني إلا أن تقبلت اقتراحهم وقلت : هو كلام موزون ، إن لم يجد فيه الأديب ما يروقه من لفظ أنيق ، أو معنى رشيق ، فقد يرى فيه المؤرخ أشياء يهمه أن يتعرفها من مصادر متعددة ، .

والحق أن ديوان « خواطر الحياة » قد فاز بالحسنيين : ما يروق الأديب من لفظ أنيق أو معنى رشيق ، وما يهم المؤرخ أن يتعرفه من خواطر عن مشاهد الحياة في عشرات السنين ومختلف الاقطار .

وقد قدم له مقدمة النشر رئيس تحرير هذه المجلة . وقام بتفسير ألفاظه اللغوية والتعليق عليه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار ، لجاء في جمال ديباجته وشرف أغراضه وأنيق طبعه طرفة من طرف المكتبة العربية لهذا المهد .

## مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي

للدكتور شكري فيصل — ٢٤٣ صفحة كبيرة — نشرته مكتبة الخانجي بـ مصر

وصفنا في العام الماضي كتابا للدكتور شكري فيصل عنوانه ( المجموعات الإسلامية في القرن الأول ) . وأما الآن كتاب جديد له عن ( مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي ) وهو مقسم إلى ثمانية أقسام تكلم في أولها على ( النظرية المدرسية ) ونشأتها وتاريخها وموقف الأدباء المعاصرين منها . وفي القسم الثاني تحدث عن حاجة الأدب العربي إلى نظرية أخرى جديدة تمكنه من المعرفة الخصبية العميقة بعد أن انتهت النظرية

المدرسية إلى الجمود ، وإلى ما يسوق إليه الجمود من هزال وضعف . فتحدث عن طبيعة الأدب العربي ، وعن واقع الأدب العربي ، ثم شرع يتسامل عن الأسس التي ينبغي أن تقام عليها الدراسة الأدبية ، فاستعرض في القسم الثالث من الكتاب نظرية الفنون الأدبية ، وفي القسم الرابع نظرية الجنس ، وفي القسم الخامس نظرية الثقافات ، وفي القسم السادس نظرية المذاهب الفنية ، وفي القسم السابع النظرية الإقليمية ، وختم الكتاب في قسمه الثامن بتحرى مهبج جديد ينظم الأدب العربي من أطرافه كلها بما لهذا الأدب من امتداد زمني وسعة مكانية وواقع لغوي خاص وحياة متميزة .

## غربة الإسلام — لابن رجب

بتحقيق الأستاذ الشرباصي — ١٤٨ صفحة — مطابع دار الكتاب العربي

هذا العنوان « غربة الإسلام » ، هو الذي اختاره فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي لكتاب « كشف الكربة بوصف حال أهل الغربة » ، للحافظ ابن رجب ( ٧٣٦ - ٧٩٥ ) صاحب المؤلفات النفيسة في علوم السنة والشريعة . وكتابه هذا في شرح الحديث الصحيح « بدأ الإسلام غريباً . وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » . وقد علق عليه فضيلة الأستاذ الشيخ الشرباصي تعليقات نفيسة مطولة أملت بهذا الموضوع في معانيه التي استلهمها من أحداث عصرنا مضافة إلى معانيه التي استوفاه المؤلف مستلهمة من مقاصد الشريعة ، فجاء الكتاب كاملاً وافياً بكل ما ينبغي لنسب المسلمين أن يفهموه في عصرنا من هذا الحديث النبوي الحكيم .

وبما زاد الكتاب فائدة أن الأستاذ الشرباصي ترجم فيه لسكل من ورد اسمه في خلال شرح ابن رجب ، فأغنى ذلك عن مراجعة غيره .

# الأدب والعلم في شهر

## الشهادات الأزهرية

وافق مجلس الوزراء على قانون بتعديل بعض أحكام المرسوم بقانون رقم ٢١ لسنة ١٩٣٦ ، ومن مقتضى هذا التعديل أن تمنح مشيخة الجامع الأزهر - بناء على طلب الكلية الأزهرية المختصة - شهادات العالمية ، وشهادة العالمية مع الإجازة ، وشهادات العالمية من درجة أستاذ . وسيوقع على هذه الشهادات رئيس مجلس الوزراء وشيخ الجامع الأزهر ، وتعتبر من الشهادات العليا من حيث الحقوق التي تخولها لحاملها .

## معهد البحوث الإسلامية في الأزهر

هذه البحوث الإسلامية إلى الأزهر أمانة العالم الإسلامي في مصر ، وهي أملة في إقامة شريعة الإسلام في تلك الاوطان إذا أتم طلابها دراستهم وانقلبوا إلى أهلهم ليفيدوا شعوبهم بما أفادوه مدة إقامتهم في الأزهر . لذلك رأى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يعاد النظر في تنظيم القسم المخصص لهم بما يكفل لهم الاستقرار العلمي فيما جاءوا

لأجله وأن يسمى (معهد البحوث الإسلامية) وأن يلحق به الطلبة من أبناء السودان في الأزهر إذا توفرت فيهم الشروط وسيكون القسم العام بالأزهر تابعا لهذا المعهد .

وتقدم طلبات الانتساب من الطلاب الوافدين من السودان عن طريق وكالة الوزارة لشئون السودان ، كما تقدم طلبات غير السودانيين عن طريق التمثيل السياسي أو القنصلي المصري . والمقبضون الآن في مصر من السودانيين وغيرهم تطبق عليهم شروط انتساب المصريين ماعدا اللاجئين فيكون لهم حكم الوافدين .

وقد اشترط لقبول الانتساب أن يكون الطالب مسلما حسن السير والسلوك بشهادة اثنين معروفين للشيخ وأن ينجح في الكشف الطبي وييده أوراق رسمية تثبت السن والجمعة التي وفد منها وتعين على إقامة أهله ، وألا تقل سن الطالب عن سن ١٢ سنة للسنة الأولى من القسم الابتدائي وألا تزيد على ٢٤ سنة مع مراعاة التدرج في هذه السن بالنسبة للسنوات الأخرى وأن يؤخذ رأى شيخ الرواق قبل إتمام الانتساب ..... الخ

# انباء العالم الاسلامي

## الميثاق التركي الباكستاني

يصطدم بالزعة الاسلاميه

يقول مراسل صحيفة (نيويورك تيمس) في اسطنبول: إنه بفضل الضغط الأمريكي عقد الأتراك ومثلوا الباكستان الميثاق المعلوم توطئة لإنشاء نظام الدفاع عن الشرق الأوسط بقصد تجميع القوى كلها لصد أى هجوم سوفيتى محتمل. ويقول الأتراك إن غلام محمد أكد لهم باسم باكستان أن حكومته راغبة حقاً فى التعاون على أساس الحقائق الجغرافية والسياسية، لا على أساس العلاقة الدينية وحدها.

والآن فإن الميثاق التركى الباكستانى يتعرض لخطر داهم من جراء اتجاه الباكستان إلى فكرة الوحدة الإسلامية، ومعروف أن الأتراك يعارضون تلك الوحدة وأبدوا الكثير من القلق عندما علموا أن الباكستان شجعت ملك الاردن على فكرة دعوة مؤتمر إسلامى فى القدس لبحث النزاع بين العرب وإسرائيل، غير أن الأتراك لا يرغبون فى التضحية بتجارهم مع إسرائيل ويخشون أن يصبحوا طرفاً فى النزاع.

والحكومة الأمريكية تعتقد أن زيارة محمد على وظهر الله خان لتركيا الشهر القادم ستساعد على إيجاد سياسة تقوم على حسن التفاهم ويأمل الأتراك أن ينبذ الباكستانيون فكرة المؤتمر الإسلامى وأن لا يقحمهم فى أى نزاع.

## اتفاقية عسكرية

بين أمريكا وباكستان

تم فى أواسط رمضان توقيع الاتفاقية العسكرية بين أمريكا وباكستان على أن تزود الولايات المتحدة الجيش الباكستانى بالمعدات الحربية الحديثة وأن تساهم فى تدريب القوات العسكرية الباكستانية. فى مقابل أن تتعهد باكستان - بالتعاون مع الولايات المتحدة - باتخاذ التدابير لمنع الاتجار مع الدول التى تهدد استقرار السلام العالمى، وأن تزود الولايات المتحدة ببعض (المواد الخام) والمواد (نصف المصنوعة) وفقاً لشروط خاصه. وتتعهد باكستان ألا تستخدم العتاد الذى ستحصل عليه فى القيام بأى عمل عدوانى ضد أية دولة أخرى، بل تستخدمه فى حفظ (أمنها الداخلى) فقط والدفاع عن نفسها، أو المساهمة فى (التدابير الجماعية) التى تقوم بها الأمم المتحدة فى سبيل إقرار الأمن. وتسمح باكستان للولايات المتحدة بإرسال بعثة من الخبراء والمستشارين ومنهم التسهيلات الكاملة والسلطة اللازمة (لمراقبة) كيفية استخدام المساعدات التى ستحصل عليها بمقتضى هذه الاتفاقية.

ومعلوم أن باكستان وقعت أخيراً ميثاق صداقة مع تركيا برمى إلى تفتيق الدولتين جهودهما فى النواحي السياسية والاقتصادية والدفاعية والثقافية أيضاً.

## سعود آباد

قررت حكومة باكستان لإنشاء مدينة للاجئين المسلمين من اضطهاد الهنالك ، وأن تسميها ( سعود آباد ) على اسم الملك سعود تذكراً لتبرعه لمشروع إنشاء هذه المدينة بمائة ألف جنيه وتبرع وزارة مالىته بخمسين ألف جنيه وسيجمل هذا المبلغ نواة لتحقيق هذا المشروع العمراني .

## لإصلاح المسجد الأقصى

يقوم وفد أردني بجمع التبرعات لإصلاح قبة الصخرة والمسجد الأقصى . وقد وصل هذا الوفد إلى الرياض في أواسط رمضان فتبرع له الملك سعود بمائة ألف جنيه لهذا الغرض . وقد أرسل الوفد برقية من الرياض إلى الملك حسين بعمان يبلغه ذلك .

## هؤلاء مثلنا الأعلى

لفضيلة الدكتور الشيخ عبد الحميد بن حيت - ١١٥ ص - شركة النيل للتوزيع فضيلة الاستاذ المؤلف من أساتذة كلية أصول الدين ، المتخصصين في التاريخ الاسلامي وقد أراد أن يضع بين أيدي جماهير الأمة صفحات من البطولة الإسلامية ، فكان شعاره في ذلك ( محمد رسول الله والذين معه ) فبدأ كتابه بأبطال الإسلام في تحرير فارس وادخالها في الأسرة الإسلامية ، ثم تكلم عن أبطال الإسلام في تحرير الشام ومصر ، ثم استعرض حياة الرسول الأعظم ﷺ وكيف كون الأمة الفاضلة ليسكون ذلك قدوة لنا في استئناف الدعوة لتكوين مثل تلك الأمة الفاضلة ، وأشار بتجديد الأزهر بين والعلماء لتربية أبناء الاسلام تربية عملية منتجة .

اضطرت المطبعة إلى الإسراع في طبع الملهمة الخامسة . فحدثت أخطاء مطبعية في بعض النسخ لا تخفى على فطنة القارئ . وأهمها .

س	ص	الخطأ	صوابه
١٢	١١٧٨	ربى	ربنا

# فهرس

المجلد الخامس والعشرين

( لسنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م )

( ١ )

اتفاق الخواطر في الشعر : عرض وموازنة ٨٠٩ ،

١١٧٩ ، ١٠٣٢

إحسان النمر : كنوز بلاد سدوم ٤٩٨ ، ميناء

العقبة ٧٠٣

أحمد بن حجر العسقلاني ( يقيم من مصر المتيقة ) ٧٨٥

أحمد بن حنبل : عقيدته ، مذهبه ، محفته ٨٢ ، ٣٢٣

أحمد الشايب : حول الفن القصصي في القرآن ٨٥٧

أحمد الشرايبي : العزة في القرآن الكريم ٧٢٥ ،

الرباط في الاسلام ٧٠٧ ، البدن في نظر الاسلام

٥٥٣ ، الثأر في نظر الاسلام ٧٠٧ ، ٨٢٧ ،

الذيل في ضوء القرآن ( كتيب ) ٧٥٧ ، أيام

الكويت (كتاب) ٨٧٠ ، لمن يكون تنفيذ الحدود

٩٠٠ ، ١٠٤٠ ، من أجل فلسطين ( كتيب )

٩٧٩ ، أمين الأمة أبو عبيدة ( كتيب ) ١٠٩٣ من

نفحات أقبال ١١٤٥ ، غربة الاسلام ١١٩٩

أحمد طه السنوسي : عقد التأمين في التشريع

الاسلامي ٢٣٢ ، ٣٠٣ ، الرق وآثاره في التشريع

الاسلامي والمصري ٤٤٦ ، اختلاف الهادين

في التشريع الاسلامي والفتاوى المصرية ٥٨٠ ،

٦٩٦ .

أحمد عز الدين خلف الله : الأزهر ومعارك

التحرير الإداري ٤٤٩ ، الأزهر والتضحية الوطنية

٣١١ ، الشعب للمصري بطرد الانجليز ٩٤٧

( وانظر ١٠٧٠ )

أحمد فؤاد الأهواني : في أصول للنشر ٤٧٧

أحمد كمال زكي : فسكرة ومنهج ٨٣٧

آثار سبأ ومأرب ٧٦١

آثار السلف : لجنة أزمريه لمراجعتها ٧٥٩

ابراهيم أحمد الوقفي : الكتب والمناهج الأزمريه ٨٤٤

ابراهيم علي أبو الحشب : سالم بن معقل ٢١٣

ابراهيم علي بديوي : إله أكبر يا محمد ( قصيدة ) ٣٥٥

ابسكتاتوس الحكيم اليوناني ٩١٢

ابن أبي ذئب ١١٥٨

ابن سيرين ٦٦٠

أبو أيوب الأنصاري ٣٨

أبو دهمل الجمحي ٥٦٦

أبو علي بن سينا ( كتيب ) ٨٧١

أبو هريرة ١٠٨١

أبو هريرة والطاعنون فيه ٥٥١

أبو الوفا المرازقي : شفاء الغليل في مسائل التمليل

لغزالي ٣٠ ، ليس في الاسلام موسيقى دينية

ولارقص ديني ٢٥٣ ، العالم في ظلال للمذاهب

البشرية ٤٣٠ ، إنباء النمر بأبناء العمر

لابن حجر ٥٧٧ ، فلنا وقالوا ٧٢٥ ، محنة

الادب وما هو السبب ٨٠٦ ، تحرير للقال ( كتاب

في تربية الأطفال لابن حجر الهيتمي ) ٩١٣ ،

رمضان هجرة إلى الله ١٠١٥ ، فقيه أديب ١١٣١

الاتحاد الاسلامي ٥٠٦ ، ٥٠٥

اتحاد علمي عربي ٢٥١

اتصال الثقافة ٦٧٤



- أحمد محرم : ديوان مجد الاسلام ٤٦ ، ١٤٩ ،  
٢٧٢ ، ٤١٢ ، ٦٠٠ ، ٩٢٣ ، وصيته إلى  
صديق له ٦١١  
أحمد محمد شاكرك : أبوهريّة والطاعون فيه ٥٥١  
أحمد مظهر العظمة : خواطر في الأدب ( كتيب )  
١١٥ ، سبل الاسلام ( كتيب ) ٧٥٥  
أحمد نصيب المحاميد : استفتاء لغوى ٤٦٥ ،  
جوابه ٧١٦  
اختلاف الدارين في التشريع الاسلامي والقانون  
المصري ٥٨٠ ، ٦٦٦  
أخلاق أمراء الصحابة ٧٢٤  
الاخلاق عند بنقاص ٧٨  
أدب الأخوة ( كتيب ) ١١٣  
أدب الشعر ( كلمة لمأوية ) ١٠٥٢  
الأدب : محنته ٨٠٦ ، ١٠٥٣  
الاذاعة للمدرسية ٩٨٣  
الأردن في أيام الحروب الصليبية ٥٩  
أزمة الثقافة في مصر ١١٥٠ [ وانظر ٩١٠ ]  
الأزهر ومعارك التحرير الأولى ٤٩  
» لجنة لتنظيمه ١١٨  
» حاجته إلى إعداد أبنائه بيده ١٣٣ ، ١١٠٥  
» والتضحية الوطنية من الحملة الفرنسية إلى  
ثورة عراقى ٣١١  
الأزهر والدراسات العليا فيه ٣٧٩  
» : التقدم لشهادته من الخارج ٣٧٩  
» إهداء مكتبة إليه ٣٨٠  
» الطلبة للمحققين به ٣٨٠  
» استيلائه على مبنى لمعهد سمنود ٥١١  
» : نفقات البعثات الإسلامية في مبرائته ٦٣٢  
» في مؤتمر نيرونى ٦٣٣  
» : لجنة مراجعة آثار السلف ٧٥٩  
» : لجنة الفتوى ٧٥٩  
» : ترقية خريجه للتعليم الثانوى ٧٥٩  
» : عنايته بالسودان ٧٦٠
- الأزهر : اشتراك رجاله في الرقابة على الأفلام ٨٧٢  
» في البرلمان التركى ٨٧٣  
» : امتحاناته ٨٧٥  
» تعديل قانون تنظيمه ٩٨١  
» والصحافة ١٠٢٥  
» إشرافه على جمعيات المحافظة على القرآن ١١٠٠  
» في أوغندة ١١٠٠  
استثناء الطلاب الشرقيين من شرط السن ٨٧٥  
الاستعمار : إفلاس نظامه ١٢٥  
الاستعمار العقلى ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٦٣٤  
استفتاء لغوى ٤٦٥ ، جوابه ٧١٦  
استقلال التعليم الأزهرى ٢٥٣  
أسرار الشريعة واعتماد الحساب الفلكى لأوقات  
الصلاة ٤٩٣ ، ٩٥٣  
أسس الحكم في الاسلام ( كتيب ) ٥٠٠  
الأسطول المصرى في مياه باكستان والهند ٧٦٢  
الاسلام والأزهر في مجلة سلاح الاشارة ٩٦٦  
الاسلام والاستعمار ٦٣٧  
الاسلام في ملايو وسيام ٧٦٤  
الاسلام دين الاتحاد وحسن المعاملة ( خطبة  
الجمعة بالأزهر ) قبل ص ٨٨١  
ألمحة أمريكا للعرب ( رمزية ) ٩٨٨  
أسمى الرسائل ( كتاب ) ٩٧٨  
أسوان بن أمسا وغدما ٥٠٨  
إشاعات السوء وموقف الاسلام منها ١٤٦  
الأشعرى أبو الحسن ( كتيب ) ١٩٤ ، ١٩٩٠  
اشفقوا تؤجروا ٧٨٢  
أصاب الشيخ وأخطأت أنا ٢١٢  
أصل النهائية وحقيقتها ٩٩  
أصل النيل ١١٦  
الاصلاح بين الأكابر ٦٥٥  
الاصلاح الزراعى وتناجه ٨٧٨

الاضطرابات العقلية في أمراض الشخصية عند  
ريبو ٥٨٩

الأطباء وإخلاهم بمثلهم العليا ٥٠٢  
إعداد القوة وأخذ الأهمية للاعداء ١٨٩

أفيون العالم الحر ٥٠٧  
أقبال شاعر الاسلام ١١٤٥

أقسام الواجب ١٧٥  
الله أكبر يا محمد ( قصيدة ) ٣٥٥

أمالى الشهاب الخفاجي ٢٩٢  
أمالى القالى ١٩٣

الأمانة الاسلامية ٩٩١

أمرأة أسرة محمد على لايعرفون العربية ٥٠٢  
الامراض المتوطنة في مصر وخسائر الانتاج ٧٦٥

أمركة التعليم ٦٣٣

الامريكيون في البلاد الاسلامية ١٢٦

أمير الامة أبو عبيدة ( كتيب ) ١٠٩٣

أمية بن أبى الصلت ٧٤٨

إنشاء الفمر بأبناء العمر لابن حجر ٥٧٧

انتكاس الانسانية والحضارة بانتصار شارل

مارتل على عبد الرحمن النافقي ٤٥٤

الانجليز في قاعدة الفنال ٩٨٦

الانجليز في كينيا ٦٣٩

الانجليز في المحميات اليمنية ٧٦٣

اندونيسيا : حيادها ٥١١

افدو نيسيا : الحزب الاسلامي فيها ٧٦٣

انتفاذ السودان ٥٠٨

الانوار المحمدية في الخطب للنبرية ( كتاب ) ١٠٩٨

أولياء الله وأولياء الشيطان ٨٨٥ ، ٩٩٩ ، ١١١٠

أيام الكويك ( كتاب ) ٨٧٠

إيران بين الشام ومصدق ٦٤٢

إيران ودولة إسرائيل ١٢٢

إيساغوجي لفرغوريوس الصوري ( ترجمته العربية )  
٤٧٠ ، ٤٧٧

إيمان :

الايمان والحياة : كلمة للمنفلوطي ٨٨٩

## ( ب )

باكستان جمهورية إسلامية ٣٨١

باكستان وفلسطين ٧٦٣

باكستان : اتفاقها العسكري مع أمريكا ١٢٠١

باكستان : ميثاقها مع تركيا اللادينية ١٢٠١

بترول ساحل الخليج العربي ١٢٦

بترول تحت مياه الخليج العربي ٢٨٢

البترول السعودي ٦٣٩

بدل من الهجرة ١٤

البدن في نظر الاسلام ٥٥٣

بريد الحكومة وبريد الشعب في مصر ١١٠٣

بعثة يمنية لمدارس مصر ٨٧٦

بقرة بني إسرائيل ١٣٦

بنقام : مذهبه في الاخلاق ٧٨

البهاية : أصلها وحقيقتها ٩٩

البهايون مرتدون عن الاسلام ١١٠٢ ، ١١٩٣

بيان أزهري عن أحداث مراكش ٤٤

## ( ت - ث )

تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ٧٥٣

تاريخ الكتابة ٨٦

تاريخنا ٧٦٩

تأويل الخوارق في القرآن ٩١

التأويل والتفسير ١٠٥٠

تبصير المسلمين بالاسلام ٣٨١

تجريد التوحيد المفيد ( كتاب ) للمقرزي ٣٧٥

تحديد النسل وشطط الداعين اليه ١٣٤

تحديد النسل هدم لكيان الامة وجريمة في حقها ٢١٧

التحرر من مفسد الماضي ٢٥٤

تحرير المقال ( كتاب في تربية الاطفال لابن حجر  
الهيتمي ) ٩١٣

تحريم الكتب العربية في تركيا ٣٨٣

تحسن ميزان مصر التجاري ٨٧٨

تلاميذ المدارس الابتدائية في مصر ٣٨٠  
التأثيل في مصر ٨٧٦

التوجيه الروحي في المدارس الثانوية ٨٢١  
الثأر في نظر الاسلام ٧٠٧ ، ٨٢٧

## (ج)

جامعة عراقى في التزويق ٢٥١

جامعة القاهرة : احصائيات عنها ٥٠١

جامعة أسبوط ٩٨٣

الجامعات المصرية : الخوف عليها من الجامع ١١٧ ،

عدد الملتحقين بها ٢٥١

جند ففسك ٢٥٧ ، ٤٦٦

جندوا أنفسكم كما جندتم ثيابكم ٣٦

جزيرة القريم ٩٩٠

جاعة كبار العلماء : بيانها عن أحداث مراکش ٤٤

جال الأسلوب القرآنى ٥٤٥

جاله الدين الاثنائى ٣٣٣

الجمهورية السورية ٨٧٧

جوادعلى : تاريخ العرب قبل الاسلام (كتاب) ٧٥٣

الجوار في الاسلام ٨٩٠ ، ١٠٠٤ ، ١١١٦

الجيل الثانى (أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٦٤١

جينو (صوفى فرنسى) ١٠٩٦

## (ح)

الحج المبور ٣٤

الحج رحلة إلى الله ١١٧٤

ابن حجر العسقلانى ٣٨٥

حداثق الحيوان في الحضارة الاسلامية ١٠٦١

حدود الحرم المسكى ٦٣٧

حرب الاستعمار على العرب ٣٨١

الحرس العربى في الأردن ٦٣٩ ، ٧٦٢

الحساب الفلكى واعتماده لتحديد أوقات الصلاة

٤٩٣ ، ٩٥٣

تخريج نصوص ارسطاطالية في كتاب الحيوان  
للباحظ ٢٤٦

تدقيق لنوى ١١٦٥ ، ١١٦٧

ترجان الشافعى ٢٧٤

الترجة المريسة لكتاب إيساغوجى لفرغوريوس

الصورى ٤٧٠ ، ٤٧٧

تزوير يتيين على أبى فراس ٨٦٦

تشجير مصر ٧٦٤

تشجيع تلاميذ الطيران ٧٦٠

التشكيك في إيمان أبى بكر وعمر ٧٢٩

تصويب لنوى ٢٢٣

تعاون العرب ٣٨٢

تعريب قوانين السودان ١١٠٣

تعليقات : الغيرة على الأزهر ٧٢٨ ، التشكيك في

إيمان أبى بكر وعمر ونسبة الاحاد إلى مجلة

الأزهر ٧٣٢ ، حول الفن القصصى في القرآن

٧٥٢ ، ٨٥٧ ، في ركاب أبى بكر وعمر ٨٦١ ،

موقف رجال الدين من السينما ٨٦٢ ، رد على

ودحول خرافة لليتافيزيقا ٨٦٤ ، السينما وما

تقدمه للشرق الاسلامى ٩٦٥ ، الاسلام والأزهر

في مجلة سلاح الاشارة ٩٦٦ ، الأزهر فكرة

إسلامية ٩٦٨ ، الهداة إلى الدين ١٠٧٩ ،

أبو هريرة ١٠٨١ مجلة طائفية من بغداد ١٠٨٢ ،

١١٨٩ ، خطاب مفتوح إلى رئيس تحرير

الجمهورية ١١٨٧ ، خارج الباب ١١٨٩ ،

الاشعري ومراحل تطووه الفسكرى ١١٩٠

للتعليم في مصر وحاجته إلى التربية ١٣١

تفسير بيت من شعر جاهلى ٦٨٥ ، ٨٦٤

للتفسير الواضح (كتاب) ٣٧٦ ، ١١٨٦

للتقدم لشهادات الأزهر من الخارج ٣٧٩

للتقدير المعنى والتقدير التقدى في الشريعة الاسلامية ٦٣

تقرير قسم الانكسكوما والبلهارسيا ١١٤

التقليد في الزندقة ٧١٥

تكتيكات الاستطلاع في سرية عبد الله بن جحش ٩٣

التكرار في الكلام ٧٣٥

الحسن البصرى ٨٥٠ ، ٩٣٤

حسین محمد مخلوف ( رئيس لجنة الفتوى ) : الموارث

في الشريعة الاسلامية ( كتاب ) ٩٧٦ ،

فتاوى وبحوث شرعية ( كتاب ) ٩٧٦ ،

زواج المسلم بالكتابية وإسلام زوج الكتابية

١٠١٠ ، ١١٢٦ ، جواز اتخاذ أبراج الحمام

وامتلاك ما يأوى اليها من الحمام البرى ١٠٩١

الحصار الاقتصادى لقريش في سرية زيد بن حارثة

٦٨٨

حقوق الزوجية ونظام الاسرة في الاسلام ٣٨٣

حلقات الاذكار في المساجد ١١٠٣

حماة استراتيجية ٩٩٠

حمد الجاسر : مجلته ( الجامة ) ١١٥

الجملة الانجليزية على مصر سنة ١٢٢٢ هـ ١٠٧٠

جمودة غرابية : الاشمرى أبو الحسن ( كتيب )

١٠٩٤ ، ١١٩٠

حنفى أحمد : معجزة القرآن في وصف الكائنات

( كتاب ) ٩٧٧

حواريون ( شعر ) ٦٨٦

حول حقوق المرأة السياسية ( كتيب ) ٧٥٦

حول الفن القصصى في القرآن ٧٥٢ ، ٨٥٧

الحياة النبوى ٢٦٧

الحياة النيابية في مصر ٥١١

حيوية الأدب ٩٤٠

( خ )

خالد بن الوليد ( كتاب ) ٣٧٦ ، ٩٤٤

خراقة الميثافيزيقا ٢١٩ ، ٦٠٨ ، ٨٦٤

خزائن الاسكتب العراقية ٥٠١

خزان في باكستان ٩٩١

خزاة الادب للبغدادى : نهجه فيها ٥٤

خصومة الاكابر ٤٠٥ ، ٥٢٨

خط الحجاز الحديدى ٦٣٧

خطر الارتجال ٥٠٣

الخطر على روحانية الصحراء ٥٠٧

الخوارق في القرآن وتأويلها ٩١

خواطر في الادب ( كتيب ) ١١٥

خواطر في الحياة ( ديوان شعر ) ١١٩٨

( د - ذ )

دائرة المعارف الاسلامية ١١١

دار للوثائق التاريخية المصرية ٩٨٣

الدخيل وكتب التفسير ٤٨٨ ، ٥٥٧ ، ٦٦٩ ،

٨٠٠ ، ٨٩٥

دراسات اسلامية ( كتاب ) ٣٧٣

الدراسات العليا في الأزهر ٣٧٩

الدعاء ٢٦٣

الدعاء للحكام في خطبة الجمعة ٨٧٦

الدعاء إلى الدين ١٠٧٩

دعوة الاسلام ( كلمة لمدير جامعة جنيف ) ٩٢٨

الدعوة إلى الاسلام في الخارج ٨١٨

دمشق : مدينة جامعية فيها ١١٩

دولة الاسلام بين الدين والسياسة ١٦٢ ، ٢٨١

دولة الشعر ( قصيدة ) ٥٨٥

دى لوجييه : شرح منازل السائرین لفركاوى ١٠٩

الديمقراطية في الاسلام ( كتاب للعقاد ) ١٧٨

الدين في مدارس سوريا ٩٨٣

ديوان مجد الاسلام لأحمد محرم : ٤٦ ، ١٤٩ ،

٢٧٢ ، ٤١٢ ، ٦٠٠ ، ٩٢٣

ديوان للمعاصرة في الحجاز ١١٠٣

ذكريات مستشار سابق ( كتيب ) ٨٧١

( ر - ز )

رأى ألامام في شروط التوظيف ٣١٦

الرأى العام الاسلامى في أفديونيا ٩٨٩

الرايه السعودية في البحار ١١٠١

الرباط في الاسلام ٤٣٧



سبب الحرب العالمية الثانية ١٩١٤  
 سبل الاسلام ( كتيب ) ٧٥٥  
 سنسر : وصيته ليا بائين بلخند من اذروا  
 وأمريكا ٥١٧  
 السجل الثقافي ( كتاب ) ٨٦٩  
 سحر هاروت وماروت ٣٩٨  
 سقاء بريطاني ١٢٥  
 سعد محمد حسن : الفتنة الكبرى لطف حسين ( نقد )  
 ٢٣٧ ، المهدي في الاسلام ( كتاب ) ٣٧٢  
 سعود آباد ١٢٠٢  
 سعيد زايد : الأخلاق عند بنتام ٧٨ ، الديمقراطية  
 في الاسلام ( كتاب ) ١٧٨ ، الاضطرابات  
 العقلية في أمراض الشخصية عند ريبو ٥٨٩  
 القأويل والتفسير ١٠٥٠ ، مساواة [ قصة ]  
 ١١٦٢  
 السعيد الشراصي : التقدير العيني والتقدير النقدي ٦٣  
 أدب الاخوة ( كتيب ) ١١٣  
 سنن ابن ماجه ١٠٩٤  
 السنة : بدل الهجرة ١٤ ، شعب الايمان ١٤١  
 الحياء النبوي ٢٦٧ ، خصومة الاكابر  
 ٤٠٥ ، ٥٢٨ ، الاصلاح بين الاكابر ٦٥٥  
 اشفعوا تؤجروا ٧٨٢ ، الجوار في الاسلام  
 ٨٩٠ ، ١٠٠٤ ، ١١١٦  
 السودان من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٩٥٣  
 ( كتاب ) ١١٢  
 السودان وأهله ٩٨٧  
 سورة الانفال ١١٦٩  
 سيد علي الطوبجي : كتمان في كتابين ٦٠٧  
 سيد قطب : في ظلال القرآن ( كتاب ) ١٩١  
 دراسات إسلامية ( كتاب ) ٣٧٣  
 سيد كمال الشوري : أصل البهائية وحقيقتها ٩٩  
 السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي كما ينبغي أن  
 نعلمها في معاهدنا ١٠٧

الرجال ١٨١  
 رحلة إلى الله ١١٧٤  
 رحلة للنشئ البغدادي ( كتاب ) ٣٧٣  
 رد القطة لفرنسا ١٢١  
 رسالة العلم ٣٧٧  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه ٢١٦  
 الرق في الاسلام ١٩٨  
 الرق وآثاره في التشريع الاسلامي والمصري ٤٤٦  
 ركن الطلبة : الازهر والحياة لمحمد الاحدي أبي  
 النور ٨٦٧ ، المساواة في الاسلام لمحمد الرحمن  
 شمس الدين ٨٦٨ ، العبادات وتهذيب النفس  
 لسيد رزق عبد الوهاب ٩٧٠ ، لا إصلاح  
 إلا بالاسلام لمحمد الدسوقي ٩٧١ ، حاجة العلم  
 إلى الاسلام لمصطفى عبد الواحد ابراهيم  
 ١٠٨٤ ، الحيلة في مصر لمحمد عبد اللطيف  
 الزرقاوي ١٠٨٥ ، حصرة لمحمد محي الدين  
 المسيري ١٠٨٦ ، حقائق لسيد محمد السيد  
 ١١٩١ ، المسلمون بين أمهم ويومهم لمحمد  
 أحمد ابراهيم بدوي ١١٩٢  
 ركود ثقافي ٩١٠ [ وانظر ١١٥٠ ]  
 رمضان هجرة الى الله ١٠١٥  
 الروح التقدمية في الاسلام شاهد بأنه من صنع الله  
 ٥٣٣ ، ٦٧٥ ، ٩١٦  
 رياض هلال : الازهر فكرة اسلامية ٩٦٨  
 الزكاة : صندوق لها ١٢٥ ، فريضتها ١١٢٢  
 زواج المسلم بالكتانية وإسلام زوج الكتانية ١٠١٠  
 ١١٢٦  
 زيارة الملك سعود لمصر ٩٨٥  
 ( س )  
 سالم بن معقل ٢١٣  
 سبأ ومأرب ( آثارهما ) ٧٦١  
 سبب تأخر المسلمين ٣٣٨

(ش)

- شاب يملك غصبه ١٠٠٣  
شاعر منعه أنانيته من الاسلام ٧٤٨  
شيلي ملاط : قصيدته في معركة تور ٤٦٧  
شخصية الاسلام والمسلمين ٣٦٦  
شرح منازل السائرين للفركاوى ١٠٩  
الشريعة الاسلامية أساس القوانين ٢٥٤  
شعب الايمان ١٤١  
الشعب المصرى يطرد الانجليز عام ١٢٢٢ ٩٤٧  
شفاء الغليل في مسالك التعليل للغزالي ٣٠  
شكرى فيصل : مناهج الدراسة الادبية ١١٩٨  
شلال الامم المتحدة ٣٨٣  
شيم العرب ٨٢٦  
الشهادات الأزهرية ١٢٠٠  
شهر القديرات الخالدة ( رمضان ) ١٠٤٥

(ص)

- صابر على رمضان الجوشنى : جدد نفسك ( شعر )  
٤٦٦ ، دولة الشعر ٥٨٥ ، حواريون  
٦٨٦ ، موت الامم ، رحلة السكون ، أسرار  
الخلود ٦٨٧ ، في ركاب أنى بكر وعمر ٨٦١ ،  
محنة الادب ١٠٥٣  
صادق ابراهيم عرجون : نظام الحكم فى الاسلام  
( كتيب ١١٤ ، خالد بن الوائيد ( كتاب ٣٧٦ )  
صانع القواد ٧٣٩  
الصحراء الغربية : إحيائها ١٢٤  
الصلاة فى المدارس ٦٣٣  
صور الطلاب العلم ٣٨٥  
الصور المناقبة للاداب ٧٦٠  
صور ومشاهدات من الحجاز للحى الدين رضا ٢٥٠  
الصوم عبادة وتهذيب ١٠٣٧

(ط)

- طائرات لتعليم بمصر ٧٦٠  
طلوت وجالوت ٦٥١ ، ٧٧٦  
طه الحاجرى : تخرىج نصوص ارسطاطالية فى كتاب  
الحيون للجاحظ ٢٤٦  
طه الزينى : نظرة فى شاهد ٣٤٣ ، ٤٨٥ ، ٥٩٣  
شاعر منعه أنانيته من الاسلام ٧٤٨ ، معنى  
الانسان فى مختلف الآيات ١٠٥٧ ، المجاهدون  
الأولون ١١٨٤  
طه محمد الساكت : بدل الهجرة ١٤ ، شعب  
الايمان ١٤١ ، الحياء النبوى ٢٦٧ ، خصومة  
الأكابر ٤٠٥ ، ٥٢٨ ، الاصلاح بين الأكابر  
٦٥٥ ، اشغفوا تؤجروا ٧٨٢ ، الجوار  
فى الاسلام ٨٩٠ ، ١٠٠٤ ، ١١١٦  
طاهر الجزائرى وكولد صهر ١٧٣  
طروء اللحن على اللغة ٢٩٨  
طفنان الاستعمار وخطر الشيوعية ٤٦٣  
طلاب الوظائف ٣٩٧

(ع - غ)

- العالم فى ظلال المذاهب البشرية ٤٣٠  
عاهل الجزيرة العربية يؤدى فريضة الجمعة بالآزهر  
قبل ص ٨٨١  
عباس المزراوى : الحكاكية فى التاريخ ( كتاب )  
٢٤٩ ، رحلة المنشى البغدادى ( كتاب )  
٣٧٣ ، الموسيقى العربية فى عهد المغول والتركان  
٧٥٨  
عبد الباقي العمري ( كتيب ٧٥٦ )  
عبد الجواد رمضان : خالد بن الوليد ( كتاب ٩٤٤ )  
عبد الحليم محمود : الفيلسوف رينيه جينو ( كتيب  
١٠٩٦ )  
عبد الحليم النجار : نشأة المعاجم القوية ٢٤  
عبد الحميد بنحيت : هؤلاء مثلنا الأعلى ١٢٠٢

عقبرية محمد والاستاذ العقاد ٦٠٦  
المعبدون : جنائهم على الفسطاط ٣٨٥ ، أصلهم ،  
وعقيدتهم ، وطريقتهم في التبن الروحي ،  
وبكل تاريخهم إلى زوال دواتهم بيد صلاح

الدين الأيوبي ٦١٢  
العرب : تسكتهم العسكري ١٢٣ ، سبهم إلى  
اكتشاف أسريكا ٦٣٤

العربية : في البنك الاهلي ١١٩ ، في مؤتمر هيئة  
الاغذية والزراعة ١١٩ ، لغة دولية للسياحة  
٧٦١ ، لغة دولية للمسلمين ٨٧٦

عز الدين اسماعيل : منهج البغدادى في خزنة  
الادب ٥٤ ، من مشكلات أدبنا القديم  
٢٠٢ ، المغرب في حلى المغرب (كتاب)  
٣٤٦ ، جال الأسلوب القرآنى ٥٤٥ ،  
التكرار في الكلام ٧٣٥ ، حيوية الأدب

٩٤٠ ، أزمة الثقافة في مصر ١١٥٠

العزة في القرآن الكريم ٢٢٥

عزيمة من عزائم الصديق الاكبر ١٨ ١

عضو أزهري بالبرلمان الصيقي ٨٧٩

العقبة : ميناؤها وموقعها السياسى والحربى ٧٠٣ ،

قناة العقبة ٩٨٨

عقد التأمين في التشريع الاسلامى ٢٣٢ ، ٣٠٣

العلم والعمل به ١٠٦٦

علماء الازهر واتصالهم بالمجتمع والحياة ٨٤٨

علماء جامع القرويين والاستثمار ٦٣٦

على العبارى : تصويب لنوى ٢٢٣ ، المدائح النبوية

٣٦١ ، للمؤمنون حقاً كما وصفهم القرآن ٦٨١ ،

٩٠٦ ، لو رضى الناس ٨٥٤

عمر بن الخطاب وهو بين الدنيا والآخرة ١٠٣١

عمر ظلت زهران : الحلة الانجليزية على مصر ١٠٧٠

عمران بلاد العرب ٧٦٢

عيد الجهاد الاسلامى (١٢ صفر سنة ١٢٠٨ هـ) ٣٠٨

غربة الاسلام لابن رجب ١١٩٩

عبد الحميد محمود المسلول : مشاكل العالم الاسلامى  
والمؤتمرات ٥٩٦ ، كيف ينهض المسلمون ٧٤٤  
اتفاق الخواطر في الشعر ٨٠٩ ، ١٠٣٢ ،  
١١٧٩

عبد الرحمن تاج ( الاساذ الاكبر شيخ الجامع  
الازهر ) : ترجمة حياته . قبل ص ٥١٣ ،  
حديثه الى مراسل النيويورك تايمس ٦٩١ ،  
حديثه عن أزمة الزواج ٦٩٢ ، زيارة رئيس  
الجمهورية له . قبل ص ٧٦٩ ، موقف الاسلام  
من التغيرات التى يمر بها العالم ٧٩٦ ، الدعوة  
إلى الاسلام في الخارج ٨١٩ ، التوجيه الروحي  
في المدارس الثانوية ٨٢١ ، علماء الازهر  
واقصاهم بالمجتمع والحياة ٨٤٨ ، ودتحامل  
النواب الازراك على الازهر ٨٧٤ ، فريضة  
الزكاة ١١٢٢

عبدالمعز الدهملوى : مختصر التحفة الاثني عشرية ٣٧٠

عبد الغنى إسماعيل . طروء اللحن على اللغة ٢٩٨

عبد القادر البغدادى : منهجه في خزنة الأدب ٥٤

عبد الله المراغى : أقسام الواجب ١٧٥ ، مقدمة

الواجب ٣٣٠

عبد القاطيف خليف : نظام الاجتماع في الاسلام ١٠٤

عبد القاطيف السبكى ( مدير المجلة : مسجد المدينة

١٩ بقرة بنى إسرائيل ١٣٦ ، الدعاء ٢٦٣ ،

سحر هاروت وماروت ٣٩٨ ، لقاب الحكيم

٥٢١ ، طالوت وجالوت ٦٥١ ، ٧٧٦ ،

خطبة في زيارة رئيس الجمهورية للاستاذ

الأكبر . قبل ص ٧٦٩ ، خطبة الجمعة بالازهر

في زيارة عامل الجزيرة العربية قبل ص ٨٨١ ،

أولياء الله وأولياء الشيطان ٨٨٥ ، ٩٩٩ ،

١١١٠ ، الدعاء الى الدين ١٠٧٩

عبد الواحد محيى ( رينيه جينو ) ١٠٩٦

عبد الوهاب حمودة : نشأة كتب الامالى وأمالى

القالى ١٩٣ ، أمالى الشهاب الحفاجى ٢٩٢

الليت من مدفنه لمصاحفة ١١٩٥ ، الافراز  
المهيلي نافض للوضوء ، طلاء الاظافر مانع  
تمام الوضوء ١١٩٥  
فتاوى وبحوث شرعية [ كتاب ] ٩٧٦  
الفقنة السكبرى لطفه حسين [ نقد ] ٢٣٧  
فرق الرماية بالمدادوس المصرية ١٢٤  
الفركاوى [ محمود بن حسن ] : شرحه منازل السائرین

لهروى ١٠٩

فرنسا والبعوث الأثرية ٦٣٥  
فريضة الزكاة ١١٢٢  
الفسطاط [ مصر العتيقة ] فى زمن ابن حجر ٣٨٥  
فقيه أديب [ الامام أبو يوسف ] ١١٣١  
فلسطين والمملكة السعودية ٦٣٦  
فن الحصار فى غزوة بنى قينقاع ٥٧٣  
فى إصلاح الكيان للمصرى ٨٨١  
فى أصول النشر [ الترجمة العربية لكتاب إيساغوجى ]  
٤٧٧

فى ركاب أبى بكر وعمر [ شعر ] ٨٦١  
فى الشعر العربى . فـكرة ومنهج ٨٣٧  
فى ظلال النقى [ شعر ] لمحمد النجمى ١١١٢٥  
فى ظلال القرآن [ كتاب ] ١٩  
فى منطقة البريمى ٩٨٧  
فى اليمن ٨٧٧  
فيضان دجلة ٩٨٧  
الفيلسوف المسلم ربنه جينو [ كتيب ] ١٠٩٦

## (ق)

القافية فى الشعر الاوربى ٢٩  
قبط مصر وصلتهم بالاسلام ١١١٦  
قبة الصخرة ٩٨٨  
القدس : مدرسة عربية فيها ١١٩  
قصص التبيين للاطفال ( كتاب ) ٩٧٩  
فضاء للمرأة ٧٦١

غزوة أحد ٩٦٠ ، ١٠٧٤ ، ١١٥٤  
غزوة بدر الكبرى : ميدان الاستراتيجية والتكتيك  
والفن الحربى ١٨٢ ، ٢٨٧  
الغيرة على الأزهر ٧٢٨

## (ف)

فاتحة السنة الخامسة والعشرين للمجلة ١  
الفتاوى : حكم إجارة البساتين ٧١٢ ، استغلال  
الاطيان المرتبة ٧١٣ ، مكبرات الصوت فى  
المساجد ٧١٤ ، حجر السيد البدوى وقدم  
الرسول صلى الله عليه وسلم ٧١٤ ، التعاون  
مع الاعداء ٧٨٨ ، شهادة الزور للوصول  
إلى الحق ٧٩١ ، حل المصحف الشريف ٧٩١  
هل على السجين زكاة ٧٩٢ ، الصلاة بخطبة جمعة  
تسمع من للذباغ ٧٩٣ ، تعدد الجملة فى بلد  
واحد ٧٩٣ ، حكم التبنى ٧٩٤ ، توريث  
مسيحي له أخوة وأولاد من إحدى زوجتيه  
توفى عنهما ٩٧٣ ، زواج المسلم باليهودية ١٧٣  
الزكاة على محصول الزراعة فى الباقي بسند  
للصروف عليها ٩٧٤ ، الزوجة الموظفة مكفنة  
بطاعة زوجها فى ترك الوظيفة إذا طلب منها  
ذلك ٩٧٥ ، تعليق الطلاق قبل قيام الزوجية  
بالفعل غير صحيح ٩٧٥ ، حكم صاحب المطعم  
إذا فتح مطعمه للمفطرين فى شهر رمضان  
١٠٨٧ ، الاستحمام فى البحر أو الحمامات  
الخاصة فى رمضان ١٠٨٨ . خلع الضرس  
والحنفة تحت الضرس وصبغة اليود والدم من  
الضرس فى رمضان ١٠٨٩ ، إباحة الفطر  
لضرورة حفظ المال والنفس ١٠٩٠ ، جواز  
اتخاذ أبراج الحمام وامتلاك ما يؤوى إليه من  
الحمام البرى ١٠٩١ ، الهامى مرتد وتزويجه  
باطل ١١٩٣ ، الرضاع وما يحرم به ١١٩٤ ، ثقل  
إرث للمطلقة فى مرض الموت ١١٩٤ ، ثقل



لقمان الحكيم ٥٢١ ( كتاب ) ١١٩٧  
لمن يكون تنفيذ الحدود ٩٠٠ ، ١٠٤٠ ،  
لورضى الناس ٨٥٤  
ليبيا . معاهدتها مع الانجليز ٦٩ ، الانجليز  
والفرنسيون فيها ١٢٦  
ليس في الاسلام موسيقى دينية ولا رقص ديني ٣٥٣

### ( م )

ماء الوجه ١٤٥  
ما ذا ينقصنا ؟ ( مقارنة ) ٩٨٧  
مأرب وسبأ ( آثارها ) ٧٦١  
متحف لعلم الحيوان ٦٣٤  
المثلية الواقعية والفكرية الدينية ١١٤٠  
المجاهدون ( كتاب ) لمحمد فهمي الطحاوي ٢٥٠  
المجاهدون الاولون ١١٨٤  
مجلة الأزهر : مصادرتها في تونس ، ٣٨٣  
مجلة معهد القاهرة ٩٨٠  
محاضرات عن سوريا - من الاحتلال حتى الجلاء ،  
١١٩٦

محاضرات في تفسير سورة الانفال ٣٧٥  
محب الدين الخطيب : فاتحة السنة الخامسة والعشرين  
للمجلة ١ ، إيمان ، قوى ضائعة ١٢٩ ،  
السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي كما ينبغي أن  
نعلمهما في معاهدنا ١٥٧ ، جدد نفسك ٢٥٧ ،  
ملاحظة في الفرق بين ولاء الموالاة وعقد  
التأويل ٣٠٧ ، مختصر التحفة الاثني عشرية  
٣٧٠ ، يقيم من مصر العتيقة : حياة الحافظ  
ابن حجر ٣٨٥ ، انتكاس الانسانية والحضارة  
باتتصار شارل مارتل على عبد الرحمن الفائق  
٤٥٤ ، وسائل وغايات ٥١٣ ، من هم  
العبيديون ولماذا أحرقوا مدينة القسطنطين  
ونحقيق أصلهم ومذهبهم وسيرتهم ٦١٢ ،  
الجيل التالي ( الصحابة ) ٦٤١ ، التشكيك

قلنا وقالوا ٧٢٠

قناة العقبة ٩٨٨

قوى ضائعة ١٢٩

قوة العرب أجمعين ٥٠٤

### ( ك )

السكاكيتية في التاريخ ( كتاب ) ٢٤٩  
السكتب والمناهج الأزهريه ٨٤٤  
كسوة السككية في العهد الجديد ٧٦٢  
كشمير والأزهر ١٢١  
كعب بن لؤي كما وصفته أمه ٨٩٤  
كلتان عن كتابين ٦٠٥  
كلتان لابي بكر وعلى ٨٢١  
كلودفارتير يصف انتكاس الحضارة بخروج العرب  
من أوروبا ٤٥٤  
كجال الإيمان ٣٣٩  
كنوز بلاد سدوم وخطرهما على الشرق ٤٩٨  
السكرباء في المدينة المنورة ٥٠٥  
كولدمهر والشيخ طاهر الجزائري ١٧٣  
كومنولك اسلامي ٢٥٥  
كيف تكون خطيبا [ كتاب ] ١٠٩٨  
كيف نفهم التاريخ الاسلامي ١٦٢ ، ٢٨١  
كيف ينهض المسلمون ٧٤٤

### ( ل )

لا تعرف الانسانية حضارة قاومت الرق كالاسلام  
١٩٨  
لاجئو فلسطين ٧٦٣  
اللبنات [ أبيات لابن حطان ] ٨٠٥  
لصوص الاعراض ٦٣٥  
اللغة الاسبانية في مدرسة اللسن ٦٣٥  
اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ٣٨٢  
لغويات : ١٦٩ ، ٣١٩ ، ٤٨٠ ، ٥٦٢ ، ٧١٦ ،  
٨٢٢ ، ٩٢٩ ، ١٠٦٢ ، ١١٣٥ ، ١١٦٧ ،

الامة وجريمة في حقها ٢١٧ ، رأى الاسلام  
في شروط التوظيف ٣١٦ ، نداء إلى الطلاب  
٣٤٢ ، مولد رسول مولد رسالة ٤١٠ ،  
ليس للمرأة شرطا أن تمارس السياسة ٤٤٤ ،  
طفيان الاستعمار وخطر الشيوعية ٤٦٣ ،  
المعاهدات في الدول الإسلامية ٤٦٧ ، خواطر  
الحياة ( ديوان شعر ) ١١٩٨

محمد خليفة : صانم القواد ٧٣٩ ، من أعماق الماضي  
٨١٥ ، ركود ثقافي ٩١٠ ، يارب ١٠٦٧  
محمد صبري عابدين : الاردن في الحروب الصليبية ٥٩ ،  
للمدارس الأجنبية ٣٥٧  
محمد عبد التواب : كمال الايمان ٣٣٩ ، الصوم  
عبادة وتهذيب ١٠٣٩

محمد عبد الرزاق حمزة : تأويل الخوارق الثابتة  
في القرآن ٩١ ، خرافة الميتافيزيقا ٦٠٨  
محمد عبد الله السمان : أسس الحكم في الاسلام  
كتيب ٥٠٠

محمد عبد النعم خفاجة : من مفاخر ديننا الخالف ٢٠٨  
محمد عيد الهادي أبو ريدة : الترجمة العربية لكتاب  
إيساغوجي ٤٧٠ ( وانظر ٤٧٧ )  
محمد عرفة : خرافة الميتافيزيقا ٢١٩ ، ٣٥٠  
محمد علي يشق جده سليمان حافظ ٥١١

محمد علي النجار : نظرات في كتاب الاموال ونظرية  
العقد في الفقه الاسلامي ٧٢ ، المعاجم ١٦٩ ،  
لهويات ٣١٩ ، ٤٨٠ ، ٥٦٢ ، ٧١٦ ،  
٨٢٢ ، ٩٢٩ ، ١٠٦٢ ، ١١٣٥ ، ١١٩٧

محمد غلاب : جمال الدين الافندي ٣٣٣  
محمد فتحي محمد عثمان : دولة الاسلام بين الدين  
والسياسة ١٦٢ ، ٢٨١ ، الروح التقدمية  
في الاسلام ٥٣٣ ، ٦٧٥ ، ٩١٦ ، الثالفة  
الواقعية في الفكرة الدينية ١١٤٠  
محمد فريد وجدى ( وفاته ) ٧٥١

في إيمان أبي بكر وعمر ٧٢٩ ، تاريخنا ٧٦٩  
في إصلاح الكيان المصري ٨٨١ ، السينا  
وما تقدمه للشرق الاسلامي ٩٦٥ ، مع الرعيل  
الاول ٩٩٣ ، أبو هريرة ٨١٠ ، مجلة طائفة  
١٠٨٢ ، ١١٨٩ ، هذا هو الاساس ١١٠٥ ،  
باب التعريف بالكتب ، وباب الآداب والعلوم ،  
وباب العالم الاسلامي ، وترتيب فهرس هذا العام  
محكمة عدل عربية ٧٦٦

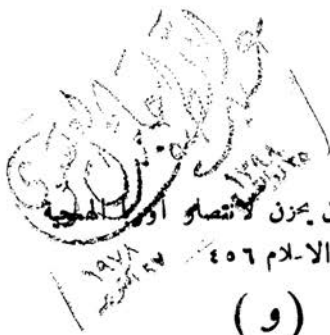
محكمة المياه العربية في إسبانيا ٥٠٣  
محمد أبو العلا البنا : الحساب الفلكي واعتماده لتحديد  
أوقات الصلوات الخمس ٩٩٣ ، ٩٥٢  
محمد أحمد الغمراوي : مشروع تقييد تعدد الزوجات  
٧٢٠ ، حول الفن القصصي في القرآن ٧٥٢  
محمد بدوي الختمون : تفسير بيت من شعر جاهلي  
٦٨٥ ( وانظر ٨٦٥ )

محمد جمال الدين محفوظ ( صاغ أركان حرب ) :  
تكتيكات الاستطلاع في سرية عبد الله بن  
جعش ٩٣ ، غزوة بدر الكبرى ميدان  
الاستراتيجية والتكتيك والفن الحربي  
١٨٢ ، ٢٨٧ ، نظرية الدفاع الهجومى بمد  
اقتصاد المسلمين في بدر ٤٢٦ ، فن الحصار  
في غزوة قينقاع ٥٧٣ ، الحصار الاقتصادي  
لقريش في سرية زيد بن حارثة ٦٨٨ ،  
المؤاغة قلوبهم في جنوب السودان ٨٣٣  
( وانظر ٩٦٤ و ١١٥٧ ) غزوة أحد ٩٦٠ ،  
١٠٧٤ ، ١١٥٤

محمد الحضرة حسن [ شيخ الأزهر السابق ] : الحج  
المبرور ٣٤ ، جددوا أنفسكم في الميدان كحدوث  
ثيابكم ٣٦ ، موقف الاسلام من حوادث  
مراكش ومعاودة ليبيا ٦٨ ، إشاعات السوء  
وموقف الاسلام منها ١٤٦ ، لا تعرف  
الانسانية حضارة قاومت الرق كلالاسلام  
١٩٨٠ ، الدعوة لتحديد النسل هدم لكيان

- محمد فهمى الطماوى : المجاهدون ( كتاب ) ٢٥٠  
 محمد فؤاد عبد الباقي : تفسير بيت من شعر جاهلي  
 ٨٦٥ ، سنن أبي ماجة ١٠٩٢  
 محمد كامل الفتى : نحو مجد الازهر ٧٣٢ ، الازهر  
 والصحافة ١٢٠٥  
 محمد محمد أبو شهبه : أبو أيوب الانصارى ٣٨ ،  
 اعداد القوة وأخذ الالهية للاعداد ١٨٩ ،  
 موهبة النبى صلى الله عليه وسلم السياسية ٢٧٥  
 المدخيل وكتيب التفسير ٤٨٨ ، ٥٥٧ ، ٦٦٩ ،  
 ٨٠٠ ، ٨٩٥ ، شهر الذكريات الخالدة  
 ( رمضان ) ١٠٤٥ ، رحلة إلى الله ١١٧٤  
 محمد فني الاسلام ( كتيب بالانجليزية ) لعبد السميع  
 المصرى ٧٥٧  
 محمد النجمي : يد التخاذل ( شعر ) ١٠٣٩ ، في  
 ظلال الغنى ( شعر ) ١١٢٥  
 محمد يوسف موسى . في ظلال القرآن ( كتاب )  
 ١٩ ، مهجة الفقيه ١٥٤  
 محمود جيلة . سورة الانفال ١١٦٩  
 محمود شكوى الالومى : مختصر التحفة الاثني  
 عشرية ٣٧٠  
 محمود فياض : عيد الجهاد الاسلامى [ ١٢ صفر  
 سنة ٢٠٨ ]  
 محمود الملاح : عبد الباقي العمري ٧٥٦ ، أبو على  
 ابن سينا ٨٧١ ، تدقيق لغوى ١١٦٥  
 محمود النواوى : أحمد بن حنبل ٨٢ ، ٣٢٣ ،  
 أبو دهميل الجمحي ٥٦٦ ، ابن سيرين ٦٦٠ ،  
 الحسن البصري ٨٥٠ ، ٩٣٤ ، مسكين  
 الدارمى ١٠١٩ ، ابن أبي ذئب ١١٥٨  
 محنة الادب وما هو السبب ٨٠٦ ، ١٠٥٣  
 محي الدين رضا : تاريخ السكتات ٨٦ ، صور  
 ومشاهدات في الحجاز [ كتاب ] ٢٥٠  
 مختصر التحفة الاثني عشرية ٣٧٠  
 مخطوطات أثرية في القدس ٥٠٢  
 للدائح النبوية ٣٦١  
 المدارس الاجنبية ٣٥٧  
 مدينة الازهر بالعباسية ٨٧٢  
 المرأة ٤٧٥  
 المرأة ليس لها شرطا أن تمارس السياسة ٤٤٤  
 مركز إيران الاقتصادي ٩٩١  
 المروعة ٣٤٥ ، ٨٠٨  
 المساجد : رسالتها ٢٥٤  
 مساعدات هذه الدول ٥٠٥  
 مساواة ( قصة ) ١١٦٢  
 المسجد الأقصى : إصلاحه ١٢٠٢  
 مسجد المدينة ٩  
 مسعود الهندوى : نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة  
 الاسلامية في الهند وباكستان ٢٤٨  
 مسكين الدارمى ١٠١٩  
 مسلمو نيجيريا ٨٧٩  
 مشاكل العالم الاسلامى هل تحلها للثورات ٥٩٦  
 مشروع تقنين تعدد الزوجات ٧٢٠  
 مشيخة الازهر : تعيين فضيلة الاستاذ الاكبر  
 الشيخ عبد الرحمن تاج . قبل ص ٥١٣  
 مصر : تقدمها العسكري ١٢٣  
 مصطفى زيد . محاضرات في تفسير سورة الانفال  
 [ كتاب ] ٣٧٥  
 مصطفى السباعى : نظام السلم والحرب في الاسلام  
 [ كتيب ] ٥٠٠  
 المصطلحات الفقهية والمصطلحات القانونية ٨٧٢  
 المضمون به على غير أمه | كتاب مكتوب على  
 الغزالي | ٦٠٥  
 مع الرعيل الاول ٩٩٣  
 مع المفسرين والكتابات [ كتاب ] ١٠٩٩  
 المعاجم ١٦٩  
 للماهدات في الدول الاسلامية ٤٦٧  
 معجزة القرآن في وصف الكائنات [ كتاب ] ٩٧٦  
 معجم ألفاظ القرآن الكريم ٧٥٤  
 معركة تور Tours بين عبد الرحمن الغافق وشاول  
 مارتل ٤٥٦

- معنى الانسان في مخلف الآيات ١٠٥٧  
 معهد البحوث الاسلامية في الازهر ١٢٠٠  
 معهد جرجا الدينى ٩٨٢  
 معهد الدراسات العربية ٧٦٦  
 معهد دمنهور الدينى ١١٠٠  
 معهد ديني بالملايو ٣٨٠  
 المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٣٤٦  
 مقدمة الواجب ٣٣٠  
 مكاتبات المدارس المصرية ١١٧ ، ٧٦٦  
 مكتبة جامعة القاهرة ٤٧٥  
 مكتبة قصر القبة ٩٨٤  
 مكتبة المهيأوى تهدي إلى الازهر ٣٨٠  
 ملق الطبقة المتعلمة ٥٠٣  
 المملكة السعودية أول مجلس وزراء فيها ٢٥٥  
 المملكة السعودية والاردن ٧٦٢  
 من أجل فلسطين [ كتيب ] ٩٧٩  
 من أعماق الماضي ٨١٥  
 من مشكلات أدبنا القديم ٢٠٢  
 من مفاخر ديننا الخالد ٢٠٨  
 من نقعات إقبال ١١٤٥  
 من هم العبيديون ولماذا أحرقوا مدينة الفسطاط ٦١٢  
 منازل السائرين لشيخ الاسلام الهروي : شرحه  
 لفركاوى ١٠٩  
 متاهج الدراسة الأدبية في الادب العربي ١١٩٨  
 منك تعلمنا [ كلمة قاض أمريكي ] ٧٧٥  
 منهج البغدادي في خزانة الادب ٥٤  
 للمهدية في الاسلام ( كتاب ) ٢٧٢  
 للمهذب في غريب القرآن لاحمد عبدالرازق شامخ ٢٥٠  
 مبة الفقيه ١٥٤  
 للوارث في الشريعة الاسلامية ( كتاب ) ٩٧٦  
 للواون لفرنسا في مرا كش ٩٩٠  
 المؤتمر الاسلامي في القدس ٥٠٦ ، ٦٣٨ ، ٩٧٩  
 مؤتمر إسلامي في نيروبي ١٢٧
- مؤتمر الدراسات الاسلامية في بشاور ٩٨٣  
 المؤتمر العلمي العربي الاول ١١٦  
 مؤتمر الهيئة الاسلامية العالمية في مرا كش ١١٠١  
 مؤسس الاستعمار العقلي في مصر ٥٢٠  
 للموسيقى المراقية في عهد للنول والتركان ٧٥٨  
 موقف الاسلام من الثغرات التي يمر بها العالم ٧٩٦  
 موقف الاسلام من حوادث مرا كش ومعاهدة ليبيا ٦٨  
 موقف رجال الدين من السينما ٨٦٢  
 موقف مصر من الاستثمار ٤  
 موقف مصر للاقتصادى ٥٠٩  
 مولد رسول مولد رسالة ٤١٠  
 للأولفة قلوبهم في جنوب السودان ٨٣٣ ، ٩٦٤ ، ١١٥٧  
 المؤمنون حقا كما وصفهم القرآن ٦٨١ ، ٩٠٦  
 موهبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية ٢٧٥  
 ميثاق الضمان الجاعى العربى ١٢٠  
 الميزان التجارى في مصر ٧٦٦  
 ميناء العقبة ٧٠٣
- ( ن )
- نافلات البترول السعودية في بحار الشرق ٨٧١  
 نجيب الامنازى : محاضرات عن سوريا ( كتاب )  
 ١١٩٦  
 نحن أمة عربية [ كلمة لوكيل وزارة للمارف  
 المصرية ] ٩٨٢  
 نحو مجد الازهر ٧٣٢  
 النساء وتراث الانسانية العقلي ٩٢٢  
 نسبة الاتحاد إلى مجلة الازهر ( ! ) ٧٢٩  
 نشأة كتب الامالى وخصائصها ١٩٣ ، ٧٩٢  
 نشأة المعاجم القفوية وأطوارها ٢٤  
 نظام الاجتهاد والاسلام ١٠٤  
 نظام الحكم في الاسلام [ كتيب ] ١١٤ ، كلمة  
 فيه لعميد كلية حقوق ١١٧



نظام السلم والحرب في الاسلام [ كتيب ] ٥٠٠  
نظرات في الشريعة الإسلامية بين التقدير العيني  
والتقدير النقدي ٦٣

نظرات في كتاب الاموال ونظرية العقد في الفقه  
الاسلامى ٧٢

نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند  
وباكستان ٢٤٨

نظرة في شامد : « قد شككت أمه من كفت  
واحد » ٣٤٣ ، « إلى ملك ما أمه من  
محارب » ٤٨٥ ، « سرينا ونجم قد أضاء  
فد بدا » ٥٩٣

نظرية الدفاع الهجومى بعد انتصار المسلمين في  
بدر ٤٢٦

نقحات القرآن : ٩ ، ١٣٦ ، ٢٦٣ ، ٣٩٨ ،  
٥٢١ ، ٦٥١ ، ٧٧٦ ، ٨٨٥ ، ٩٩٩ ، ١١١٠

التقد المتداول في مصر ١١٠٣  
نيتشه الفيلسوف الالماني يرفى حضارة الاسلام  
ويكبتها ٤٦٢

النيل : أصله ١١٦ ، ضياع مياهه في البحر للمالح ١٢٩  
النيل في ضوء القرآن [ كتاب ] ٧٥٧

## (هـ)

هؤلاء مثلنا الاعلى ( كتيب ) ١٢٠٢

هذا هو الاساس ١١٠٥

الهدم والبناء ٤٠٩

مدينة الجيش الهندى إلى الجيش المصرى ٩٨٩

مدينة مصر للسودان ٨٧٧

هزيمة فرنسا في الشرق ٩٩٠

هلال الحرم [ شعر لاهياوى ] ١٨

## (و)

واجب العلماء والمثقفين ٦٣٣

الواحات . الزراعة فيها ٥٠٩

وادى النظرون : مياه جوفية فيه ٧٦٥

وثائق مصر التاريخية ٢٥٢

وثبة الاحرار [ مجلة أزهريه ] ٩٨٠

الوجيز في مصطلح الحديث [ كتاب دراسى ] ١٠٩٨

الوحدة العربية للضاء على عدو العرب ٩٨٨

وسائل وغايات ٥١٣

وصية أحمد محرم إلى صديق له [ شعر ] ٦١١

وصية عمر إلى أحد ولاته ٨٤٧

وصية نبوية وتوجيه ١٠٠٩

وفد العراق الصحفى ٩٨٩

الوقت : [ احدى النوى الضائعة في مصر والعالم

الاسلامى ] ١٣٠

ولاية الاسلام مملون ٨١ ، ٩٩٥

وهي سليمان الالبانى : شخصية الاسلام والمسلمين ٣٦٦

## (ى)

يارب ١٠٦٧

يقيم من مصر العتيقة ٣٨٥

يد التنازل ( شعر ) لمحمد النجمى ١٠٣٩

اليامة ( مجلة نجدية ) ١١٥

الين يستعين بالغرب ١٢٤

اليهود في بلاد العرب ٦٣٨

اليوسكو ودى الصحراء النربية ٢٥٥

تم بحمد الله وتوفيقه المجلد الخامس والعشرون من مجلة الأزهر

وسيصدر الجزء الأول من المجلد السادس والعشرين في غرة المحرم سنة ١٣٧٤ إن شاء الله



# مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

تصدر عن مشيخة الأزهر  
في أول كل شهر عربي  
ستة عشرة أعداد

---

متعهدو المجلة في الخارج

الشركة السعودية للصحافة والتوزيع  
٥٩ شارع إبراهيم باشا بالقاهرة  
دار الكتب العربية الشرقية في تونس  
لصاحبها محمد خوجة

شركة فرج افه للصحافة والتوزيع  
شارع إبراهيم باشا بالقاهرة  
سالم عوض سعيد باسواد  
عميل المجلة مقدشو صوماليا

زكى . ج . بطليموس  
عميل المجلة الخرطوم سودان













